من مكتبة التراث

نوادر الأصول
في أحاديث الرسول

تأليف

محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم
الترمذي

حقق أصوله وخرج أحاديثه

الدكتور عبد الرحمن عميره

دار الجيل
بيروت

من مكتبة التراث

نوادر الأصول

في أحاديث الرسول

تأليف

محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم
الترمذي

المجلد الأول

حقق أصوله وخرج أحاديثه
الدكتور عبد الرحمن عميره

دار الجيل
بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

نوادر الأصول

في أحاديث الرسول

مقدمة المحقق
وتشمل

١ ــ حياة الحكيم الترمذي.
٢ ــ شيوخه وتلامذته ومريدوه.
٣ ــ مؤلفاته المخطوطة والمطبوعة.
٤ ــ التعريف بكتاب « نوادر الأصول... ».
٥ ــ منهج المحقق في التحقيق.

« لقد كانت السنة مفتاحاً لفهم النهضة الاسلامية منذ اكثر من أربعة عشر قرناً، فلماذا لا تكون مفتاحاً لفهم انحلالنا الحاضر...؟

ان العمل بسنة رسول الله ـــ ﷺ ـــ هو عمل على حفظ كيان الاسلام وعلى تقدمه، وإن ترك السنة هو انحلال الاسلام.

لقد كانت السنة الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الاسلام، وانك إذا ازلت هيكل بناء ما أُفَيْدهشك ان يتقوض ذلك البناء كأنه بيت من ورق... ؟

« ليوبولد قابس
أو
محمد أسد »

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين. خالق الأرض والسموات، وجاعل الظلمات والنور وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد الذي أمرنا ربنا سبحانه وتعالى بالصلاة عليه فقال في محكم كتابه: ﴿ **إن الله وملائكتَهُ يصلُّون على النبيِّ يا أيها الذين آمنُوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً** ﴾[1]

والحمد لله الذي أرسل رسوله بالهُدَى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. اللهم اهدنا صراطك المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين.

واجعلنا ربنا مع هؤلاء الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وعلموا أنك أنت الجبار الذي خضعت لجبروته الجبابرة، والعزيز الذي ذلت لعزته

---

(١) سورة الاحزاب آية رقم ٥٦

الملوك فلم يرهبهم بغْ باغٍ ولا ظُلم سفاحٍ ظالم. ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** ﴾ [1]

وبعد

فان الأمة العربية بعامة والاسلامية على وجه الخصوص لها تراث ضخم، وكنوز غالية من مؤلفات علماء أجلاء تربوا في مدرسة القرآن ونهلوا من ينابيع السنة المحمدية، ثم كتبوا تلك المؤلفات العظيمة في كل علم وفن.

وكان لهذه المؤلفات الدور الكبير في إقامة صرح الحضارة والمدنية في ربوع بلادهم، وإثراء حياتهم في فترة غالية من فترات التاريخ والأمم الناهضة تهتم بتراثها وتحافظ عليه، وتحاول جاهدة أن تبرزه الى النور ليكون قاعدة لما يأتي بعده من بناء.

من هذا المنطلق، يطيب لنا أن نقدِّم للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بعامة وللمهتمين بحديث الرسول ــ ﷺ ــ بخاصة كتاباً من انفس كتب التراث وهو « **نوادر الأصول في معرفة احاديث الرسول** » تأليف ابي عبد الله محمد الحكيم الترمذي.

وقبل أن نتناول أبواب الكتاب بالعرض والتحليل نقدم للقارئ صورة عن حياة المؤلف، وأعماله العلمية. وعلى الله قصد السبيل.

---

(١) سورة ابراهيم آية رقم ٣٧

حياة الحكيم الترمذي
اسمه ونسبه...

هو أبو عبد الله محمد بن علي بن بشير بن هارون المشهور بالحكيم الترمذي.[1]

عملاق من العمالقة الأبرار، وفارس من الفرسان الأخيار، ووليّ لله تعالى عاش حياته قائماً ليله، صائماً نهاره. ومفكر ألمعيّ كانت له سياحات في عالم الحقيقة والشريعة.

وباحث لماح رصد حياته لسنة الرسول ــ ﷺ ــ وهو في النهاية رجل رباني أجبر التاريخ على أن يقف مبهوراً ليسجل بأحرف من نور أعماله وأفعاله.

ولد في أوائل القرن الثالث الهجري، القرن الذي اتسعت فيه رقعة الدولة الاسلامية فانداح رجالها في أركان الأرض الأربعة هداة ودعاة، هداة الى الحق، ودعاة الى الواحد الأحد.

ويذكر الذهبي عند تناوله لحياة الحكيم في كتابه المحلق تذكرة

---

(١) يقول الدكتور عثمان يحيى: لماذا انفرد الترمذي من بين شيوخ الصوفية بهذا اللقب؟ ألأنه كان على معرفة بتركيب الجسم، مما يدل على أنه درس الطب..؟ أو لأنه كان حريصاً على أن يجمع في حياته وفي تآليفه بين الناحية الروحية القديمة للثقافة الاسلامية وبين المنهج العقلي الذي جد في عصره، أو لأن الترمذي كان أول مسلم بدت لديه براعم الأفكار الفلسفية الإغريقية فكان بالتالي الممهد لمذهب العرفان في التصوف الاسلامي، وبهذا مهد السبيل لأعمال الفارابي ــ راجع المقدمة على كتاب الرياضة وأدب النفس التي وضعها آربري والدكتور على حسن عبد القادر ص ١٣ القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ

وانظر مقدمة كتاب الحقيقة الآدمية للترمذي نشر عبد المحسن الحسين ص ٧ مجلة كلية الآداب جامعة فاروق الأول (اسكندرية) مجلد ٣ سنة ١٩٤٦ ومقدمة كتاب ختم الأولياء الحاشية رقم ٤ ص ٨ نقلًا من كتاب الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية ١: ٥٣

الحفاظ أنه رحل الى نيسايور في سنة خمس وثمانية ومائتين وأنه عاش حتى بلغ الثمانين[1]

ويقول ابن حجر العسقلاني في كتابه الجامع لتراجم المحدثين ـالمسمى ــ بلسان الميزان. « إن الأنباري سمع منه (من الحكيم) سنة ثماني عشرة وثلاث مائة وإنه عاش حتى بلغ التسعين »[2].

ويتناول الدكتور عبد الفتاح بركة صاحب كتاب (الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية) هاتين الروايتين وبقية الروايات الأخرى التي ذكرها العلماء بالتحليل والمقارنة، ويخلص من ذلك قائلًا: « من الممكن ــ إذن ــ أن نتفق مع الذهبي فيما يخص تاريخ ميلاده وأن نتفق مع ابن حجر فيما يتعلق بتاريخ وفاته لاسيما إذا عارضنا ذلك بما ذكره فريد الدين العطار في كتابه « تذكرة الأولياء » من أنه عاش مائة وخمسة عشر عاما »

فإذا فرضنا أنه قد توفي عام عشرين وثلاثمائة كما ذكره بعض الباحثين المعاصرين، وكما أخذنا من رواية ابن حجر، وأنه كان قد بلغ الخامسة عشرة بعد المائة ــ كما ذكر فريد الدين العطار، كان معنى ذلك أنه قد ولد عام خمسة ومائتين، وذلك يتفق مع ما يؤخذ من رواية الذهبي.

ومع ما استنتجنا من صحبته لأبي تراب النخشبي المتوفى عام خمسة وأربعين ومائتين لأحمد بن خضرويه المتوفي عام خمسة ومائتين، وأنه عمر مائة وخمسة عشر عاماً، وأنه توفي عام عشرين وثلاثمائة للهجرة.[3] »

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢: ٦٤٥

(٢) لسان الميزان ٥: ٣٠٨

(٣) راجع الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية للدكتور عبد الفتاح بركة ١: ٣٥

موطنه ونشأته...

ولد الحكيم الترمذي في مدينة ترمذ[1] الواقعة على نهر جيحون[2]، وهذه المدينة تعتبر من أجمل المدن في عصرها وأكثرها خصباً ونماء.

ولقد كان لأهلها حظ وافر بوجود النهر الذي حباهم الله به فأصبحت أراضيهم القاحلة بساتين يانعة، ومزارع واسعة، وإذا وجدت الزراعة الوافرة راجت التجارة، والتجارة في عرف الأقدمين والمحدثين مدرسة قائمة يتعلم الانسان من خلالها الكثير من شئون الحياة وتتاح له فرصة الاقتراب من النفس البشرية ومعرفة ما تنطوى عليه من خبايا وأسرار.

ومدينة ترمذ كانت قبل الاسلام مركزاً ومقراً لكثير من المذاهب والحركات. لقد ظهر زرادشت من أذربيجان ودعا ببلخ الى المجوسية، وراجت دعوته فانجلت السمنية عنها الى مشارق بلخ وكان في بلخ أحد بيوت أربعة للاصنام ذكرها صاحب كتاب تلبيس إبليس[3]. يقول: والرابع بمدينة بلخ بناه بنو شهر، فلما ظهر الاسلام خربه أهل بلخ.

كما كانت ترمذ من أهم مراكز البوذية، ومقراً لكثير من الأديرة، وإذا كان هذا قبل الاسلام فلقد أصبحت بعد دخول الاسلام إليها مركزاً هاماً من مراكز الثقافة الاسلامية ويعتبرها السبكي في طبقاته احدى مدن أربع هي مدن الاسلام فيقول: « وخراسان عمدتها مدائن أربع: كأنما هي قوائمها المبنية عليها وهي مرو ونيسابور وبلخ وهراة. هذه مدنها العظام، ولا ملام عليك لو قلت بل هي مدن الاسلام إذ هي كانت ديار العلم على اختلاف فنونه ».

---

(١) راجع معجم البلدان ٢: ٢٦ــ ٢٧

(٢) راجع البداية والنهاية ١: ٢٥ــ ٢٦ــ ٢٧ــ ٢٨

(٣) راجع تلبيس ابليس ٥٩ــ ٦٠

وإذا كانت بلخ كذلك فإنه لم يكن بينها وبين ترمذ غير اثني عشر فرسخاً فكانتا شريكتين في هذا النشاط.

يقول الدكتور عبد القادر وآربري نقلًا عن المؤرخ الفارسي حافظ آبرو: وإن ترمذ كانت عند الفتح الاسلامي مركزاً للبوذية، وأنه كان بها اثنا عشر ديراً لزهاء ألف راهب. ولقد كانت بعد الفتح الاسلامي موطناً لعدد كبير من المحدثين والفقهاء[1] كما كانت ميداناً لنشاط علماء الكلام وظهر فيها جهم بن صفوان من الجبرية الخالصة كما يقول الشهرستاني وقد بعث له واصل بن عطاء حفص بن سالم من أتباعه فدخل ترمذ وناظر جهم بن صفوان ويقال إنه قطعه[2].

ولا شك أن الطفل الطلعة « الحكيم الترمذي » كانت تطرق أذنيه بعض المجادلات والمناقشات التي كانت تدار في عالم الفكر والمعرفة، وكان يرسل بريد عينيه يتابع مجالس العلم وحلقات المحدثين والفقهاء فيلتقط ذهنه اللماح بعض هذه الأمور.

وكيف لا يكون كذلك وقد نشأ في بيت علم ودين فوالده علي بن الحسن بن بشير الترمذي: حدث ببغداد عن شداد بن حكيم، وصالح بن عبد الله الترمذي وأنه روى عنه محمد بن مخلد.

وإذا أردنا أن نتعرف على طفولته وشبابه وكيف قطع هذه الرحلة الطويلة من عمره المديد حتى أصبح من أعلام التصوف ومن رجالات

---

(١) منهم أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي صاحب الصحيح أحد الائمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث، وقتيبه بن سعيد أحد شيوخ الحكيم الترمذي، وأبو اسماعيل محمد بن اسماعيل بن يوسف الترمذي السلمي، واحمد بن الحسن بن جنيدب أبو الحسن الترمذي الحافظ. روى عنه البخاري في صحيحه والترمذي في جامعه، وأبو بكر بن خزيمة وغيرهم

(٢) مقدمة كتاب الرياضة وادب النفس نقلًا من كتاب الحكيم الترمذي ونظرية الولاية ١: ٧٤

الحديث يناقش الفقهاء ويصاول المحدثين، ويهاجم رجال الحسبة ويتفرد بمنهج فريد في المعرفة والحياة. إذا كان ذلك كذلك فعلينا أن نقطع شوطاً آخر في المبحث.

إن الباحث في طفولة هؤلاء الرجال ونشأتهم الأولى يجد صعوبة ومشقة لأن الكثير من المراجع تصمت صَمْت المريب فلا تتناولهم من قريب أو بعيد، والبعض الآخر يقدم نتفاً من المعلومات صغيرة، وإن كان يلقي بصيصاً من النور على حياة هؤلاء ولكنه في النهاية لا يحيط بهم إحاطة كاملة، ولا يقدم ثبتاً وافياً عن حياتهم الأولى وشبابهم اليافع. وهذا ما حدث بالنسبة لشيخنا العملاق.

كيف كانت طفولته... ؟ ما مدرسته الأولى التي فتحت عينيه على مبادئ المعرفة؟ مَنْ هم شيوخة في هذه الفترة؟ ما هي سياحاته التي قام بها خارج ترمذ؟ إن بطون الكتب والمراجع تكاد تكون خالية تماماً إلا فقرة من هنا ولمحة من هناك.

ولقد استطاع الباحث الكبير الدكتور عبد الفتاح بركة أن يجمع الشوارد والاستنتاجات ويقسم من خلالها حياة الحكيم الترمذي الى ثلاثة أطوار ويطيب لنا أن نستعرض هذه الأطوار فإنها وإن لم تكن وافية فلا شك أنها تعطي القارئ صورة عن حياة هذا الرجل العملاق.

الطور الأول

طفولته حتى الثامنة من عمره. ويرى الدكتور عبد الفتاح بركة أنها لم تكن طفولة عادية تقضي جل وقتها مع لداتها تلعب وتمرح وتجري وتعبث، حتى تأوى الى فراشها قريرة العين هادئة البال. ولكن كانت طفولة يقظة متحفزة فيها نوع من التهيئة النفسية والذهنية لتلقي المعلومات في الحافظة الواعية والدرس الجاد فيما بعد.

الطور الثاني

ويبدأ منذ بلغ الثامنة الى أن قارب سنه سبعاً وعشرين. وفي هذا الطور أخذ يتلقى المعرفة على يد شيخ تعهده بكامل عنايته ورعايته. ولكن مَنْ هذا الشيخ... ؟ وما هي المعرفة التي تدرج بها معه حتى أوصلته الى هذا النوع من الوعي الذي جعله على دراية كاملة بعلم الآثار والرأي؟

هل كانت هناك مراجع معينة أو كتباً مقررة أخذ يعب ما فيها ويفك رموزها ويتغلب على طلاسمها؟ وهذا الشيخ الذي أوصله الى هذه المرحلة ألم يكن معه غيره..؟

إنها أسئلة كثيرة ومتلاحقة ولكنها لا تجد الإجابة الشافية التي تكشف الغموض الذي أحاط بحياة الحكيم الترمذي الأولى.

يقول الدكتور عبد الفتاح بركة: « ولقد ظل الترمذي منصرفاً الى تحصيل هذين العلمين حتى قارب سنه السابعة والعشرين. ولكنه لم يكن يشعر بالرضا عن نفسه لأنه مع اشتغاله كل هذا الاشتغال بتحصيل الحديث وعلم الفقه كان لا يحفظ القرآن الكريم »

ولا شك أنه لم يوجه الى ذلك وكيف تكون لديه الاحاطة الكاملة بهذين العلمين دون أن يستظهر القرآن الكريم، وكلاهما قائم على كتاب الله تعالى وعلى سنة رسوله الكريم؟

الطور الثالث

وهذا يبدأ بخروجه من ترمذ الى مكة عندما قارب سنه سبعاً وعشرين. وفيه حرص على حفظ القرآن الكريم، وثابر على ذلك حتى فرغ منه واستغرق جل وقته في أنواع العبادة من صوم وصلاة وقرآن. وكان ذلك يجري دون ترتيب أو التزام بمنهج معين أو طريقة خاصة. ولكن عفو الخاطر. الى أن كان يوم وقع في مسامعه على حد تعبيره كلام أهل

المعرفة ووقع بين يديه كتاب الأنطاكي فاسترشد به في رياضة النفس، والتخلص من ادرانها وأمراضها وعاونه ذلك على أن يسير في طريق السلوك.

ونقول إذا كانت هذه الأشياء التي ذكرناها تلقي بعض الضوء على حياة الحكيم الترمذي في مراحلها الأولى فإنه يطيب لنا أن نقدم بين يدي القارئ الرسالة التي ترجم بها الحكيم الترمذي لنفسه وألقى فيها على حياته الأولى بعض الظلال والأضواء وسماها: بدو شأن أبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي رحمه الله[1].

نص رسالة
بدو شأن أبي عبد الله الحكيم الترمذي

قال أبو عبد الله:

١ــ كان بدو شأني أن الله ــ تبارك اسمه ــ قيض لي شيخي رحمه الله من لدن بلغت من السن ثمانياً. يحملني على تعلّم العلم، ويعلمني ويحثني عليه ويدئب ذلك في المنشط والمكره، حتى صار ذلك لي عادة وعوضاً عن الملعب في وقت صباي، فجمع لي في حداثتي علم الآثار وعلم الرأي، حتى إذا قارب سني سبعاً وعشرين أو نحوه وقع عليَّ حرص الخروج الى بيت الله الحرام فتهيأ لي الخروج فوقفت بالعراق طلباً للحديث، وخرجت الى البصرة[2] فخرجت منها الى مكة في رجب، فقدمت مكة في بقية شعبان فرزق الله المقام بها الى وقت الحج وفتح لي

(١) نص الرسالة موجود في كتاب ختم الأولياء الذي قام بتحقيقه الدكتور عثمان اسماعيل يحيى من ص ١٤ ولقد قمنا بنقل هذه النصوص منها.

(٢) مدينة اسلامية أنشأها عتبة بن غزوان سنة ١٧ هـ بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ وهي احدى عواصم الفكر الاسلامي القديم.

باب الدعاء عند الملتزم في كل ليلة سحراً ووقع على قلبي تصحيح التوبة، والخروج مما دق وجل، وحججت، فرجعت وقد أصبت قلبي.

وسألته عند الملتزم في تلك الأوقات أن يصلحني ويزهدني في الدنيا ويرزقني حفظ كتابه، وكنت لا اهتدي لشيء من الحاجات غير هذا.

فرجعت وقد ألقى عليَّ حرص حفظ القرآن في طريقي فأخذت سوراً منه في الطريق، فلما وصلت الى الوطن يسر الله عليَّ ذلك بمنِّه حتى فرغت منه فأقامني ذلك بالليل فكنت لا أملُّ من قراءته حتى أنه كان ليقيمني ذلك الى الصباح ووجدت حلاوته.

٢ ــ فأخذت أتتبع من الكتب محامد الرب، تبارك اسمه وألتقط محاسن الكلام من طريق العظات ومما يستعان به على أمر الآخرة واسترشد في البلاد فلا أجد من يرشدني الى الطريق أو يعظني بشيء اتقوى به وأنا كالمتحير لا أدري أي شيء يراد لي الا أني أخذت في الصوم والصلاة فلم أزل كذلك حتى وقع في مسامعي كلام أهل المعرفة، ووقع اليَّ كتاب الأنطاكي[1] فنظرت فيه، فاهتديت لشيء من رياضة النفس، فأخذت فيها، فأعانني الله وألهمت منع الشهوات نفسي، حتى صرت كأني أعلم على قلبي الشيء بعد الشيء، حتى ربما كنت أمنع نفسي الماء البارد وأتورع عن شرب ماء الانهار فأقول لعل هذا الماء جرى في موضع بغير حق، فكنت أشرب من البير أو من الوادي الكبير.

٣ــ ووقع عليَّ حب الخلوة في المنزل والخروج الى الصحراء فكنت أطوف في تلك الخربات والنواويس[2] حول الكورة فلم يزل ذلك دأبي،

---

(١) هناك صوفيان اثنان يذكرهما السلمي في طبقاته بهذا اللقب: احمد بن عاصم الانطاكي من أقران بشر بن الحارث والمحاسبي والثاني: عبد الله خبيق بن سابق الانطاكي صاحب يوسف بن أسباط ويبدو أن المقصود هنا هو أحمد بن عاصم والكتاب المشار اليه لعله (علوم المعلومات)

(٢) الخلاء أو المكان الذي توجد فيه مقابر الأموات

وطلبت أصحاب صدق يعينونني على ذلك فعز علي فاعتصمت بهذه الخرابات والخلوات. فبينما أنا على هذه الحال إذ رأيت فيما يرى النائم كأني أرى رسول الله ــ ﷺ ــ دخل المسجد الجامع في كورتنا، فأدخل على أثره فألزم اقتفاء اثره فمازال يمشي حتى دخل المقصورة وأنا على أثره، ومن القرب منه حتى كأن أكاد التزق بظهره واضع خطاي على ذلك الموضع الذي يخطو عليه حتى دخلت المقصورة.

فرقي المنبر، فرقيت على أثره كلما رقي درجة رقيت على أثره، حتى إذا استوى على أعلاها درجة قعد عليها فقعدت عند الدرجة الثانية من مجلس عند قدميه ويميني الى وجهه، ووجهي الى الأبواب التي تلي السوق، وشمالي الى الناس، فانتبهت من منامي وأنا على تلك الحال.

٤ــ ثم من بعد ذلك بمدة يسيرة، بينا أنا ذات ليلة أصلي فثقلت فوضعت رأسي في مصلاي جنب فراشي إذ رأيت صحراء عظيمة لا أدري أي مكان هو فأرى مجلساً عظيما وصدراً مهيئاً لذلك المجلس وحجلة[1] مضروبة لا أقدر على صفة تلك الثياب وذلك الستر.

فكأنه يقال لي: إنه يذهب بك الى ربك فأدخل تلك الحجب فلا أرى شخصاً ولا صورة إلا أنه وقع في قلبي أني لما دخلت وقع عليَّ الفزع في ذلك الحجاب، فأيقنت في منامي بالوقوف بين يديه، فما لبثت أن رأيت نفسي خارجاً من الحجب بالقرب من باب الحجاب واقفاً وأنا أقول عفا عني، وأجد نفسي قد سكن من الفزع.

٥ــ فدام لي شأن رياضة النفس من تجنب الشهوات وقعود في البيت على عزلة من الخلق وطول نجوى من الدعاء فانفتح لي شيء بعد شيء ووجدت في قلبي قوة وانتباهاً وطلبت من يعينني فكان يكون لنا اجتماع

---

(١) الحجلة: وجمعها حجل وحجال من معانيها المناسبة لهذا المقام حجرة تزين بالثياب والأسرة والستور

بالليالي نتناظر ونتذاكر وندعو ونتضرع بالأسحار.

فاصابتني غموم من طريق البهتان والسعايات وحمل ذلك على غير محمله وكثرت القالة وهان ذلك كله عليَّ، وسلط عليَّ اشباه ممن ينتحلون العلم يؤذونني ويرمونني بالهوى والبدعة ويبهتون وأنا في طريقي ليلًا ونهاراً دؤوباً دؤوباً. حتى اشتد البلاء وسار الأمر الى أن سعي بي الى والي بلخ[1] وورد البلاء من عنده، من يبحث عن هذا الأمر، ورفع اليه أن ههنا من يتكلم في الحب، وافساد الناس، ويبتدع ويدعي النبوة، وتقولوا عليَّ ما لم يخطر قط ببالي حتى صرت الى بلخ وكتب عليّ قباله أن لا أتكلم في الحب.

٦ــ وكان ذلك من الله تبارك اسمه سبباً في تطهيري فإن الغموم تطهر القلب وذكرت قول داود ــ ﷺ ــ وأنه قال: « يارب امرتني أن اطهر بدني بالصوم والصلاة، فبم أطهر قلبي؟ قال: بالغموم والهموم يا داود ».

فتواترت علي الغموم حتى وجدت سبيلًا الى تذليل نفسي، فكنت اراودها على أمور قبل ذلك من طريق الذلة فتنفر ولا تطاوعني مثل ركوب الحمار في السوق والمشي حافياً في الطرق ولبس الثياب الدون وحمل شيء مما يحمله العبيد والفقراء فيشتد عليّ ذلك. فلما اصابتني هذه المقالة والغموم ذهبت شرة نفسي فحملت عليها هذه الأشياء فذلت وأطاعت حتى وصل الى قلبي حلاوة تلك الذلة.

٧ــ فبينا أنا كذلك اذا اجتمعنا ليلة على الذكر في ضيافة لأخ من اخواننا فلما مضى من الليل ما شاء الله، رجعت الى المنزل فانفتح قلبي في الطريق فتحاً لا أقدر أن اصفه، وكأنه وقع في قلبي شيء طابت له نفسي والتزمت به وفرحت، حتى مررت فما استقبلني شيء هبته حتى أن الكلاب ينبحن في وجهي فآنس لنباحهن من لذة وجدت في قلبي حتى

(١) لعل والي بلخ الذي يشير اليه هو يعقوب أو ليث أو عمرو بن ليث. والمعروف تاريخيا ان ولاة بلخ في عهد العباسيين كانوا جميعا امراء منحدرين من خُطل

بدا له أن السماء بكواكبها وقمرها صارت الى قرب الأرض وانا فيما بين ذلك أدعو ربي، ووجدت كأن قلبي نصب فيه شيء فإذا وجدت تلك الحلاوة التوى وتقبض بطني والتوى بعضه على بعض من شدة اللذة واعتصر، وانتشرت في صلبي وعروقي تلك الحلاوة، وكان يخيل الي أن قربي من مكان قرب العرش.

فما زال ذلك دأبي كل ليلة الى الصباح أسهر ولا أجد نوماً فقوي قلبي على ذلك وأنا متحير لا أدري ما هذا إلا إني ازددت قوة ونشاطاً فيما كنت فيه.

٨ ــ وهاجت بالبلاد فتنة وانتقاص أمر حتى هرب جميع مَنْ كانوا يؤذونني ويشنعون علي في البلاد، وابتلوا بالفتنة ووقعوا في الغربة وخلت البلاد منهم.

فبينا أنا كذلك إذ قالت لي أهلي: إني رأيت في المنام كأن قائماً في الهواء خارجاً من الدار في السكة في صورة رجل شاب جعد عليه ثياب بيض له نعلان وينادي في الهواء وأنا في الصفة بحذائه أين زوجك؟ قلت: خرج قال: قولي له إن الأمير يأمرك أن تعدل. ثم مرّ.

٩ــ فلم يأت على هذا مدة، حتى اجتمع الناس ببابي من مشايخ البلد من غير أن أشعر بهم وقرعوا الباب فخرجت اليهم فكلموني في القعود لهم، وقد كان هؤلاء، الأشكال[1] قد قبحوا أمري عند العامة قبحاً كنت أتوهم أنهم السقَّم اكثرهم لما كانوا يذيعون هؤلاء عليّ من الكلام القبيح ويشنعون أمري ويرمونني بالبدعة من غير أن يكون ذلك من شأني أو توهمته قط.

فما زالوا يكلمونني في ذلك حتى أجبتهم الى القعود فذكرت لهم من

(١) الأشكال مفردها شكل وتجمع على شكول أيضاً ولهذه اللفظة معان كثيرة منها القناع المصنوع للوجه ولعل الشيخ اطلقها هنا مجازا على أهل الرياء والنفاق وهذه اللفظة تجري كثيرا على لسان الترمذي في كتبه ورسائله.

الكلام شيئاً كأنه يغترف من البحر فأخذت من القلوب مأخذاً واجتمع الناس فلم تتحمل داري ذلك وامتلأت السكة والمسجد فلم يزالوا بي حتى مدوني (جروني) الى المسجد وذهبت تلك الأكاذيب والأقاويل الباطلة ووقع الناس في التوبة وظهرت التلامذة واقبلت الرياسة، والفتن بلوى من الله لعبده.

ورجع اولئك الاشكال الى البلاد بعد ما قويت وكثرت التلامذة وأخذت القلوب مواعظي وتبين لهم أن هذا كان منهم بغياً وحسداً فلم ينفذ لهم بعد ذلك قول وأيسوا وقبل ذلك كانوا صيروا السلطان والبلاد عليَّ بحال لا أجترئ أن أطلع رأسي فأبى الله إلا أن يبطل كيدهم. انتهى كلام صاحب الرسالة.

نكتفي بهذا القدر من الرسالة، والحق يقال أنها وإن ألقت بعض الظلال على حياته ولكنها لا تفي بالغرض ولا تقدم ترجمة وافية له. والرسالة كاملة موجودة في كتاب ختم الأولياء الذي قام بتحقيقه د. عثمان اسماعيل يحيى من ص ١٤ الى ص ٣٢ فليرجع اليها من يريد الاستزادة، وبقية الرسالة لا تخرج عن الرؤى التي كان يراها أو ترى له.

وإذا كان ذلك كذلك فمن أين استقى معارفه وعلومه؟ ومن هم مشايخه الذين تلقى عنهم العلم..؟

للاجابة على ذلك علينا أن نقطع شوطاً آخر في البحث.

شيوخه، تلامذته ومريدوه

أولًا : شيوخه

لا شك أن الحكيم الترمذي التقى في رحلته لطلب العلم بالعديد من العلماء الأفذاد الذين كان لهم الفضل في توجيه سلوكه، ورسم طريقه ووضعه على الجادة.

وسنحاول بمشيئة الله أن نضع بين يدي القارئ مجموعة من تراجم هؤلاء العلماء. والمتفحص لتلك التراجم يلحظ ان اكثرها لرجال سلكوا طريق الولاية، وفروا بقلوبهم من دنيا الناس الى الله تعالى استجابة لقوله: ﴿ ففروا الى الله ﴾[1]

أحمد بن خضرويه البلخي[2]

هو أحمد بن خضرويه البلخي [أبو حامد] من أكابر خراسان سمع أبا تراب، وحاتماً الأصم، ورحل الى أبي يزيد.

---

(١) سورة الذاريات آية رقم ٥٠

(٢) راجع ترجمة ابن خضرويه في طبقات الصوفية: ١٠٣ــ ١٠٦ حلية الأولياء ١٠: ٤٢ صفة الصفوة ٤: ١٣٧، طبقات الشعراني ١: ٩٥ الرسالة القشيريه ٢١ تاريخ بغداد ٤: ١٣٧ سير اعلام النبلاء ٨ /١ /١٢٩ النجوم الزاهرة ٢: ٣٠٣ معجم المؤلفين ١: ٢١٤ جامع كرامات الأولياء ٢: ٢٩٠

ومات سنة أربعين ومائتين.

من كلامه:

١ــ لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشهوة، ولولا ثقل الغفلة ما ظفرت بك الشهوة.

٢ ــ وقال : من خدم الفقراء اكرم بثلاثة أشياء بالتواضع وحسن الأدب، وسخاوة النفس.

٣ــ وقال: من أراد أن يكون الله معه فليلزم الصدق، فإن الله مع الصادقين.

٤ــ وروي أنه اقترض من رجل مائة ألف درهم فقال الرجل: ألستم أنتم الزهاد في الدنيا..؟؟ فما تصنع بهذه الدراهم..؟ قال أشتري بها لقمة وأضعها في فم مؤمن ولا اجترئ أن أسأل ثوابه من الله تعالى. فقال: ولم؟ قال: لأن الدنيا كلها لا تساوي عند الله جناح بعوضة فما مائة ألف في جناح بعوضة وما قدرها؟

٥ــ وقال محمد بن[1] حامد: كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه وهو في النزع، فسئل عن مسألة فدمعت عيناه قال: يابني باب كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة هوذا يفتح لي الساعة، ولا أدري انفتح لي بالسعادة أم بالشقاوة وأنّى لي بالجواب[2].

أبو تراب النخشبي[3]

هو أبو تراب عسكر بن حصين النخشبي، نسبة الى نخشب، بلدة بما وراء النهر.

---

(١) محمد بن حامد بن محمد بن اسماعيل بن خالد، أبو بكر الترمذي من أعيان مشايخ خراسان. لقي احمد بن خضرويه ومن دونه وله أصحاب

(٢) راجع الرسالة القشيرية ٢١ وحلية الأولياء ١٠: ٤٢

(٣) راجع ترجمته في طبقات الصوفية ١٤٦ــ ١٥١ وحلية الأولياء ١٠: ٤٥ــ ٥١ صفة الصفوة ٤: ١٤٥ وطبقات الشعراني ١: ٩٦ والرسالة القشيرية ٢٢ وطبقات الشافعية ٢: =

من جلة مشايخ خراسان وأكابرهم، صحب الأصم وغيره.

واستاذه علي الرازي المذبوح، من قدماء المشايخ سميّ المذبوح لأنه غزا في البحر، فأخذه العدو فأرادوا ذبحه فدعا بدعاء ثم رمى نفسه في البحر فجعل يمشي على الماء حتى خرج

وسئل عن التوكل فقال: ﴿ **الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم** ﴾[1]

ومن كلام أبي براب:

١ــ الفقير قوته ما وجد، ولباسه ما ستر، ومسكنه حيث نزل.

٢ــ وقال: اذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله فإذا أخلص وجد حلاوته وقت مباشرته.

٣ــ وقال: إذا ألف القلب الاعراض عن الله صحبته الوقيعة في أعراض أولياء الله.

٤ــ قال يوسف بن الحسين: صحبت أبا تراب خمس سنين وحججت معه على غير طريق الجادة، ورأيت منه في السفر عجائب، يقصر لساني عن وصف جميع ما شاهدته غير أننا كنا مارين فنظر الي يوماً وأنا جائع وقد تورمت قدماي وأنا أمشي بجهد فقال لي: ما لك لعلك جعت.؟

قلت: نعم.

قال: ولعلك أسأت الظن..؟

قلت: بلى.

قال: ارجع اليه.

قلت: وأين هو

= ٥٥ــ ٥٦ وشذارت الذهب ٢: ١٠٨ــ ١٠٩ ودائرة معارف البستاني ٢: ٥٤ والنجوم الزاهرة ٢: ٣٢١ وتاريخ بغداد ٢: ٣١٥ــ ٣١٧ واللباب ٣: ٢١٩

(١) سورة الروم آية رقم ٤٠

قال: حيث خلفته.

قلت: هو معي

قال: فإن كنت صادقاً في هذا الهم الذي أراه عليك.

قال: فرأيت الورم قد سكن، والجوع قد ذهب، ونشطت حتى كدت أتقدمه فقال أبو تراب: « اللهم إن عبدك قد أقر لك، فاطعمه ونحن بين جبال ليس فيها مخلوق، ثم انتهينا الى رابية وإذا كوز ورغيف موضوع.

فقال لي: دونك دونك.

فجلست فأكلت وقلت: أليس تأكل منه أنت..؟

فقال: لا بل من اشتهاه.

مات بالبادية. نهشته السباع في سنة خمس وأربعين ومائتين

يحيى بن معاذ الرازي[1]

هو يحيى بن معاذ الرازي الواعظ أبو زكريا، أحد الأوتاد، وكان أوحد وقته في فنه

وكانوا ثلاثة: يحيى، واسماعيل، وابراهيم، وكلهم زهاد

ومن كلامه:

١ــ لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه، ويوم حشره ميزانه

٢ــ وقال: كيف يكون زاهداً من لا ورع له. تورع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك.

٣ــ وقال: ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال: ان لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تسره فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه

٤ــ وقال الزهد ثلاثة أشياء: الخلوة، والقلة، والجوع.

---

(١) راجع ترجمته في طبقات الصوفية: ١٠٧ــ ١١٤ وحلية الأولياء ١٠: ٥١ــ ٧٠ وصفة الصفوة ٤: ٧١ــ ٨٠ وطبقات الشعراني ١: ٩٤ الرسالة القشيرية ٢١ وفيات الأعيان ٢: ٢٩٢ وتاريخ بغداد ١٤: ٢٠٨ــ ٢١٢ وشذرات الذهب ٢: ١٣٨ سير أعلام النبلاء ٩ /١ /٣ والبداية والنهاية ١١: ٣١

٥ــ وأنشد:

سلم على الخلق وارحل نحو مولاكا
واهجر على الصدق والاخلاص دنياكا
عساك في الشر تعطي ما تؤملـــه
ويكـــرم الله ذو الآلاء مثواكـــــا

٦ــ وقال في قوله تعالى: ﴿ **فقولا له قولًا ليناً لعله يتذكر أو يخشى** ﴾[1] الهي هذا: أنا إله فكيف بمن يقول: أنت اله؟؟

٧ــ وقال له رجل: إنك لتحب الدنيا

فقال: اين السائل عن الآخرة..؟

قال: ها أنا.

قال: أخبرني أيها السائل عنها أبالطاعة تنال أم بالمعصية... ؟

قال: لا. بل بالطاعة.

قال: فأخبرني عن الطاعة أبالحياة تنال أم بالممات.

قال:لا. بل بالحياة

قال: فأخبرني عن الحياة، أتنال بالقوت أم بغيره..؟

قال: لا بل بالقوت.

قال: فأخبرني عن القوت أمن الدنيا هو أم من الآخرة..؟

قال: لا بل من الدنيا

قال: فكيف لا أحب دنيا قدر لي فيها قوت اكتسب به حياة أدرك به طاعة، أنال به الآخرة.

فقال الرجل: أشهد أن ذلك معنى قول النبي ــ ﷺ: « إن من البيان لسحرا »[2]

---

(١) سورة طه آية رقم ٤٤

(٢) هذا حديث صحيح رواه مالك عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ وذكره الامام أحمد بن حنبل في المسند والبخاري وأبو داود والترمذي

مات سنة ثمان وخمسين ومائتين وقبره بنيسابور يستسقي به ويتبرك بزيارته.

سفيان بن وكيع بن الجراح[1]

قال البخاري: يتكلمون فيه لأشياء لقنوه إياها. وقال أبو زرعة: يتهم بالكذب. وقال ابن أبي حاتم: أشار عليه أبي أن يغير وراقه، فإنه أفسد حديثه وقال له: لا تحدث إلا من أصولك.

فقال: سأفعل.

ثم تمادى، وحدث بأحاديث أدخلت عليه.

وقد ساق له أبو أحمد خمسة أحاديث منكرة السند لا المتن ثم قال: وله حديث كثير، وإنما بلاؤه أنه كان يتلقن ما لقن يقال: كان له وراق يلقنه من حديث موقوف فيرفعه، أو مرسل فيوصله أو يبدل رجلًا برجل.

قلت: وروى عن أبيه، وجرير، وعبد السلام بن حرب، وعنه أبو عروبة وابن صاعد وخلق.

وقد حسن له الترمذي هذا فقال: « حدثنا سفيان، حدثنا ابن أبي عدي، عن حماد بن سلمة، عن أبي جعفر الخطمي، ثقة عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن يزيد الخطمي، عن رسول الله ـــ ﷺ ـــ أنه كان يقول في دعائه: « اللهم ارزقني حبك وحب من يبلغني حبه عندك، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله لي قوة فيما تحب، وما زويت عني مما أحب فاجعله لي قوة فيما تحب ». قال: هذا حديث حسن غريب.

وقال ابن حبان مات سنة سبع وأربعين ومائتين، وكان شيخاً فاضلًا

---

(١) راجع ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢: ١٧٣

صدوقاً إلا أنه ابتلي بوراق سوء كان يدخل عليه فكلم في ذلك فلم يرجع.

يعقوب بن شيبة بن الصلت[1]

يقول الامام الذهبي: الحافظ العلامة أبو يوسف السدوسي البصري نزيل بغداد صاحب المسند الكبير (المعلل) ما صنف مسند أحسن منه، ولكنه ما أتمه. سمع علي بن عاصم، ويزيد بن هارون، وروح بن عبادة، وأبا النضر فما بعدهم فأكثر حتى أنه كتب عن أصحاب يحيى به معين وطبقتهم حدث عنه حفيده محمد بن أحمد بن يعقوب الأزرق وجماعة.

وثقه الخطيب وغيره، وكان من كبار علماء الحديث، له دنيا واسعة وتجمل.

قال الخطيب: نا الأزهري قال بلغني أنه كان في منزل يعقوب اربعون لحافاً أعدها لمن كان يبيت عنده من الوراقين الذين يبيضون المسند. قال ولزمه على ما خرج منه عشرة آلاف دينار قال: وقيل إن نسخة مسند أبي هريرة عنه شوهدت بمصر فكانت مائتي جزء. قال : والذي ظهر له من المسند مسند العشرة وابن مسعود، وعمار والعباس، وبعض الموالي

قال ابن كامل: كان فقيها سرياً من أصحاب أحمد بن المعزل، والحارث بن مسكين. وكان يقف في القرآن.

قلت: مات في ربيع الأول سنة اثنتين وستين ومائتين.

قال الذهبي: وكان قد عين لقضاء العراق ثم لم يول لمكان الوقف

---

(١) راجع تذكرة الحفاظ للذهبي ٢: ٥٧٧ــ ٥٧٨ وتاريخ بغداد ١٤: ٢٨١

قتيبة بن سعيد الثقفي البلخي [1]

قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: الشيخ الحافظ محدث خراسان أبو رجاء الثقفي مولاهم البلخي البغلاني. ولد سنة تسع واربعين ومائة. وسمع من مالك والليث وابن لهيعة وشريك وطبقتهم.

وعنه الجماعة سوى ابن ماجة، وموسى بن هارون، والحسن بن سفيان والفريابي، وأبو العباس السراج وخلائق.

وكان ثقة عالماً صاحب حديث ورحلات، وكان غنياً متمولًا.

قال احمد بن سيار: قال لي قتيبة: « أقم عندي هذه الشتوة حتى أخرج إليك مائة ألف حديث عن خمسة ».

قال ابن سيار: وكان ثبتاً صاحب سنة.

كتب الحديث عن ثلاث طبقات.

وقال ابن معين: ثقة.

وقال النسائي: ثقة مأمون

أخبرنا محمد بن عبد السلام التميمي، واحمد بن هبة الله الدمشقي قالا : نا عبد المعز بن محمد في كتابه انا محمد بن اسماعيل انا محلم الضبي انا الخليل بن احمد السجزي انا محمد بن اسحاق نا قتيبة نا بكر ابن مضر عن عمرو بن الحارث عن بكير بن يزيد مولى سلمة عن سلمة قال: « لما نزلت: ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين** ﴾ [2] كان من أراد منا أن يفطر ويفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها.

أخرجه الجماعة سوى القزويني عن قتيبة.

مات في شعبان سنة أربعين ومائتين رحمه الله تعالى عن إحدى وتسعين سنة.

---

(١) راجع تذكرة الحفاظ ٢: ٤٤٦ــ ٤٤٧

وتاريخ بغداد ١٢: ٢٦٤

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٨٤

صالح بن محمد الترمذي [1]

قال صاحب ميزان الاعتدال: صالح بن محمد الترمذي عن محمد بن مروان السدي وغيره متهم ساقط فمن بلاياه قال: حدثنا مقاتل بن الفضل عن مجاهد، عن ابن عباس بحديث متنه: من أكل الطين حشا الله بطنه ناراً.

قال ابن حبان في تاريخ الثقات: صالح بن عبد الله الترمذي صاحب سنة وفضل ليس بصالح بن محمد الترمذي: ذلك مرجئ دجال من الدجاجلة.

وقال أيضا: لا يحل كتب حديثه، كان مرجئاً جهمياً داعية، يبيع الخمر ويبيح شربه، رشاهم فولوه قضاء ترمذ فكان يؤدب من يقول: الايمان قول وعمل. حتى أنه أخذ رجلًا من الصالحين من أصحاب الحديث فجعل الحبل في عنقه وطوَّف به، وكان الحميدي يقنت عليه بمكة، واذا ذكره اسحاق بن راهويه بكى من تجرِّيه على الله.

وقال السليماني: هو منكر الحديث يقول بخلق القرآن.

ولأبي عون عصام بن الحسين فيه قصيدة طويلة منها:

يفتي بشرق الأرض شيخ مفتن ... له فحم في الصالحين إذا ذكر
أناف على السبعين لا درَّ درُّه ... وعجله ربي الجليل الى سقر
محلته لا يبعد الله غيره ... محلَّة جهم عند ملتطم النهر
على شط جيحون بترمذ قاضياً ... مرمى بألوان الفضائح والقذر

---

(١) راجع لسان الميزان ٣: ١٧٦ وميزان الاعتدال ٢: ٣٠٠ــ ٣٠١ وتاريخ بغداد ٩: ٣٣٠

الحسن بن عمر بن شفيق البلخي [1]

قال صاحب تهذيب التهذيب: الحسن بن عمر بن شفيق بن اسماء الجرمي أبو علي البصري، سكن الري وكان يتجر الى بلخ فعرف بالبلخي.

روى عن يزيد بن زريع، وعبد الوارث، ومعتمر بن سليمان، وحماد بن زيد وجعفر الضبعي وجرير بن عبد الحميد، وابن المبارك وعدة.

وعنه البخاري واحمد بن النصر النيسابوري، وجعفر الفريابي وعبد الله ابن أحمد وأبو زرعة، وأبو حاتم، وموسى بن اسحاق الانصاري، والحسن ابن سفيان وأبو يعلى وجماعة.

قال البخاري وأبو حاتم : صدوق.

وذكره ابن حبان في الثقات

اختلف في تاريخ وفاته قيل مات سنة ٢٣٢ هـ. وقيل: أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل.

وقال أبو نصر الكلاباذي: أقام ببلخ خمسين سنة ثم خرج الى البصرة سنة ٢٣٠ هـ. ومات بها بعد ذلك.

قلت: وحكى الحاكم عن صالح جزرة وسئل عنه فقال: شيخ صدوق

صالح بن عبد الله الترمذي.. [1]

ذكرت له ترجمة في تاريخ بغداد، وأخرى في لسان الميزان، ويقال إنه سكن مدينة بغداد وحدث بها عن الامام مالك بن أنس ــ رضي الله عنه.

---

(١) راجع تهذيب التهذيب ٢: ٢٠٨ــ ٢٠٩ وتاريخ بغداد ٧: ٣٥٥

وحدث أيضاً عن آخرين منهم حماد بن يحيى، وعبد الوارث بن سعيد وعبثر بن القاسم.

كما حدث في آخر حياته عن شريك بن عبد الله، وجعفر بن سليمان وفرج بن فضالة، وعمر بن هارون البلخي وغيرهم.

وروى عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان وغيرهم.

سئل أبو حاتم عنه فقال: هو صدوق

وقال ابن حبان في تاريخ الثقات: صالح بن عبد الله الترمذي: صاحب سنة وفضل.

★ ★ ★

وبعد:

هذه مجموعة من المَشايخ العلماء ورجال التصوف الاجلاء ممن تلقى عنهم العلم والمعرفة الحكيم الترمذى.

ولا شك أنه التقى بالعديد من هؤلاء العلماء الذين أصلوا العلم وقعدوا القواعد، وحفظوا سنة الرسول ــ ﷺ ــ وكانوا لطلابهم نعم المعين لاستيعاب العلم وفهمه وسلوك طريق الخلاص والصفاء وتذوقه.

وإذا كان الحكيم الترمذي قد عايش هؤلاء العلماء وتلقى عليهم ما جعله عالماً جليلًا وسالكاً نبيلًا فلا شك أنه جاء دوره بعد ذلك للعطاء والبذل وجلوسه على كرسي الاستاذية ليعلم ويفقه ويرشد ويربي ولقد كان له في هذا المجال العديد من الطلاب والكثير من المريدين ممن تخرجوا على يديه بعد أن غزاهم بعلمه وصقلهم بذوقه وأرشدهم الى الطريق السوي.

ويطيب لنا في هذه العجالة أن نستعرض بعض هؤلاء الطلاب والمريدين الذين تخرجوا على يديه.

وإذا كان ذلك كذلك فعلينا أن نقطع شوطاً آخر في البحث.

ثانياً: التلامذة والمريدون

يقول الحكيم الترمذي في رسالته: بدو شأن أبي عبد الله:

« فلم يزالوا بي حتى مدوني (جروني) الى المسجد وذهبت تلك الأكاذيب والأقاويل الباطلة ووقع الناس في التوبة وظهرت التلامذة واقبلت الرياسة ».

ولا شك أنه كان له العديد من التلاميذ والمريدين ويطيب لنا في هذه العجالة أن نلقي الأضواء على بعض هؤلاء ممن تلقوا العلم على يديه.

١ــ أبو محمد يحيى بن منصور القاضي

ترجم له صاحب معجم البلدان وتلقى العلم في بغداد وكانت له طريقة وسلوك وكان له اجتهادات في الفقه وأصوله. وولي قضاء نيسابور وكانت له حلقة وتلاميذ منهم: أبو عبد الرحمن السلمي: وغيره.

روى عن علي بن عبد العزيز البغوي، وأحمد بن سلمة وطبقتهما وتوفي سنة خمسين وثلاثمائة.[1]

٢ــ أبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق

يقول الشعراني: أصله من ترمذ وأقام ببلخ، ولقي أحمد بن خضرويه، وصحب محمد بن سعد الزاهد، ومحمد بن عمر البلخي.

له التصانيف المشهورة في أنواع الرياضات والآداب والمعاملات.

من كلامه: لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك في المقدور. ولو قيل

---

(١) راجع ابن العماد الحنبلي ٣: ٩

له ما حرفتك؟ لقال: اكتساب الذل، ولو قيل: ما غايتك؟ لقال الحرمان.

وكان ــ رضي الله عنه ــ يمنع أصحابه من السفر والسياحات ويقول: مفتاح كل بركة التصبر في موضع ارادتك الى أن تصح لك الارادة فإذا صحت لك الارادة فقد ظهر عليك أوائل البركة.

وكان يقول: الناس ثلاثة: العلماء، والفقراء، والامراء فإذا فسد الامراء فسد المعاش، وإذا فسد العلماء فسدت الطاعات، وإذا فسد الفقراء فسدت الأخلاق[1].

٣ــ أحمد بن محمد بن عيسى

ورد ذكره في صفة الصفوة[2]، وتاريخ بغداد[3] وطبقات السلمي[4] والشعراني وكان من كبار مشايخ العراق وجلتهم، وكان من جلساء الجنيد وأقرانه.

صحب سرياً السقطي، وابا فتح الحمال، وحارثاً المحاسبي، وبشر الحافي وطريقته في الورع قريبة من طريقة بشر.

٤ــ أبو علي منصور بن عبد الله بن خالد الذهلي الهروي.

وقد ورد ذكره في تاريخ بغداد[5]، وهو من أهل هراة، حدث عن جماعة من الخراسانيين بالغرائب والمناكير.

ثم وفد على بغداد وحدث بها.

تكلم فيه العلماء، ورموه برواية المناكير. وقال أبو سعيد عبد الرحمن

---

(١) راجع الطبقات الكبرى للشعراني ١: ٨٧

(٢) راجع صفوة الصفوة ٢: ٢٢٣

(٣) تاريخ بغداد ٥: ٦٠

(٤) طبقات السلمي ٢٤٩

(٥) تاريخ بغداد ١٣: ٨٤

ابن محمد الإدريسي : منصور بن عبد الله الهروي كذاب لا يعتمد على روايته.

٥ــ أبو علي الحسن بن علي الجرجاني

ورد ذكره في طبقات الصوفية[١]، وحلية الأولياء[٢] والطبقات الكبرى[٣] يقال: إنه كان من كبار مشايخ خراسان علماً وأدباً وله التصانيف المشهورة والمؤلفات الكبيرة.

وقد تكلم في علوم الآفات والرياضات والمجاهدات وربما تكلم في علوم المعارف والحكم.

روى عنه السلمي في رسالته عن الملاقية أصلًا من أصولهم المعدودة.

٦ــ محمد بن جعفر بن الهيثم بن عمران بن بريدة

أنباري الأصل وسكن بغداد وكانت له سياحة واطلاع على علوم القوم. سمع أحمد بن الخليل البرجلاني، ومحمد بن أبي العوام الرياحي وجعفر بن محمد الصائغ، وأبا إسماعيل الترمذي، وروى أيضاً عن ابراهيم ابن اسحاق الحربي.

وقد حدث عنه أبو الحسين بن الفضل القطان، وأبو الفرج بن سميكة وعلي بن أحمد الرزاز.

قال في تاريخ بغداد: قرأت بخط علي بن أحمد الرزاز ــ سألت الشيخ ــ يعني أبا بكر بن الهيثم عن مولده فقال: في شوال سنة سبع

---

(١) طبقات الصوفية ٢٤٦

(٢) حلية الأولياء ١٠: ٣٥٠

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ١: ١٠٥

وستين ومائتين سألت البرقاني عن ابن الهيثم فقلت: هل تكلم فيه أحد..؟ فقال: لا. قال: وكان سماعه صحيحاً بخط أبيه[1].

وتوفي في عاشوراء سنة ستين وثلاثمائة.

يقول الدكتور : إن حظ شيخنا من الأتباع والمريدين كان ضئيلا لا يتناسب تماماً وجلال قدره، وعظيم خطره.

ويقول الباحث الكبير الدكتور عبد الفتاح بركة: « والظاهر بعد الرجوع الى ترجمة شيخنا لنفسه من ناحية، ومطالعة رسائله مباشرة أو الذين يتلقون عنه بطريق المراسلة أن ضآلة حظه لم تكن في الاتباع والمريدين ولكن في كتب التاريخ والتراجم فقد أهملت إهمالًا ملحوظاً أن تعطينا صورة كاملة او واضحة على الأقل عن الشيخ الفذ الذي ترك آثاراً بيِّنة في الثقافة الصوفية »[2]

* * * *

وإذا كان ذلك كذلك فيطيب لنا أن نقدم ثبتاً ببعض مؤلفات الحكيم الترمذي.

---

(١) تاريخ بغداد ٢: ١٥٠ نقلًا من كتاب الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية ١: ٤٨ــ ٤٩

(٢) الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية ١: ٥٠

مؤلفات الشيخ الحكيم الترمذي

أولًا: المخطوطات

١ــ اثبات العلل

بداية: الحمد لله رب العالمين ولي الحمد وأهله: أما بعد فإنك سألتني عما اختلف الناس فيه من إثبات العلل في الأمر والنهي.

نهاية: توقى أن يزيل شيئاً من جسده عن شعره حتى لا يحرم الفداء والكرامة من الله تعالى.

تم كتاب العلل بحمد الله ومنه

مكتبة ولي الدين، ضمن المخطوطة رقم ٧٧٠ وكلها للحكيم الترمذي

٢ــ الأكياس والمغترون [يشمل المسائل العفنة]

بداية: قال أبو عبد الله محمد بن علي رحمة الله عليه، وأما المسائل العفنة فمن ذلك قوله: ان الوالد مطلق اليد في مال الولد اذا احتاج اليه

نهاية: وشغله إنفاقه في نهايته عن التهني بشكره وشغله مصايبها بفوتها عن مصايب ذنوبه وعيوبه، همته نفسه وإمامه هواه، وهو في سهو عنه لا يتفكر فيما خلق له، ولا لماذا خلق، والى ما صار أمره وعاقبته. تمت المسائل العفنة، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين.

دار الكتب الوطنية الظاهرية ضمن المخطوطة رقم ١٠٤ وكلها للحكيم الترمذي

٣ــ رسالة في الذكر ووصف المنفردين

بداية: قال أبو عبد الله رحمة الله عليه: وجدنا الذكر على ضربين: أن تذكر هويته بلا كيف فتغرق فيه الدنيا والآخرة.

نهاية: وقال تعالى: ﴿ **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم..** ﴾

مكتبة ولي الدين ضمن المخطوطة رقم ٧٧٠

ومكتبة أسعد أفندي ضمن المخطوطة ١٣١٢

٤ــ الرد على الرافضة

بداية: بسم الله أعوذ بوجهه الكريم وبكلماته التامات من شر الشيطان الرجيم من كلام محمد بن علي الترمذي ــ رحمه الله ــ في كتاب الرد على الرافضة قال: بعد ذكر خلافة الائمة الأربعة على الترتيب

نهاية: وماذا أجازهم أبو بكر ــ رضي الله عنه، وما دعاهم الى ما صنعوا واي عرض كان لهم في ذلك

مكتبة ولي الدين ضمن المخطوطة رقم ٧٧٠

٥ــ الرد على المعطلة

مصورة بدار الكتب المصرية عن مخطوطة مكتبة بلدية الاسكندرية رقم ٣٢٨٢ ج

٧ــ مسألة في الانسان

بداية: قال أبو عبد الله، رحمة الله عليه: إن الانسان مطبوع على سبعة أخلاق.

نهاية: « وذلك جزاء من تزكى » أي تطهر من الأسباب وهي هذه الاخلاق السبعة ان شاء الله.

٨ــ صفة الهوى

بداية: سئل رحمه الله عن الهوى ما هو..؟ قال: جوهره النفس فإن ابن آدم خلق من التراب فكان الهوى هو عنصره

نهاية: ومنه قيل: الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي.

٩ــ في الولاية والتقوى

بداية: قال أبو عبد الله رحمة الله عليه: الولاية على وجهين، ولاية يخرج بها من العداوة وهي ولاية التوحيد

نهاية: فمن أعرض عن الدنيا أقام الزهد ومن أعرض عن النفس أقام العبودة والولاية.

١٠ــ في قصة عزير عليه السلام:

بداية: قال أبو عبد الله، رحمة الله عليه في قوله تعالى: ﴿ **فلما تبين له..** ﴾أي تبين له كيف يحيى الموتى.

نهاية: فلما كان من النفوس ما كان دخل النقص في الطمأنينة والنقص في الوفا بتسليم النفس ووقع الحساب والوزن والحس الطويل في العرضة.

١١ــ ما ذكر في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير

بداية: قال رحمه الله: الفرق بين التسبيح والتقديس أن التقديس لآلائه والتسبيح لأسمائه.

نهاية: وقد قال رسول الله ــ ﷺ ــ ليس بين أهل الجنة وبين ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن.

١٢ــ شفاء العلل

بداية: بسم الله وبه نستعين قال أبو عبد الله محمد بن علي رحمه الله ان كلمة « لا اله الا الله » لازمة للخلق: الاعتقاد لها قلباً والاعتراف بها نطقاً والوفاء بها فعلًا.

نهاية: وهم كلهم أهل صدق واخلاص فانظر اين موقع هؤلاء في صدقهم واخلاصهم من هؤلاء الأدعياء عبيد المال ؟

مكتبة ولي الدين ضمن المخطوطة رقم ٧٧٠

١٣ــ أنواع العلوم

بداية: قال أبو عبد الله رحمه الله: الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله أما بعد، فإنك سألتني، رحمك الله، أن أبين لك أنواع العلوم وكم نوعاً هي وما عواقبها. فالعلم عندنا ثلاثة أنواع نوع منها الحلال والحرام ونوع ثان الحكمة ونوع ثالث المعرفة.

نهاية: وكل شيء يوجد بنفسه والله تعالى إنما يعرف ويوجد بآياته وخلقه وتدبيره وآيات القرآن كلها دالة على ما وصفنا والحمد لله رب العالمين.

مكتبة ولي الدين ضمن المخطوطة رقم ٧٧٠

علل العبادات

بداية: الحمد لله الذي رفع السماء بلا عمد مأسوس، وسطح الأرض على وجه ماء عبوس وأوتدها بالجبل المرسوس نحمده ونستعينه ونستغفره ونستشهده ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونشهد أن لا إله إلا الله.

نهاية: فهذا بمنزلة ملك قد هيأ لعبيده عرساً وفي ذلك العرس ألوان الاطعمة وألوان الأشربه حتى يصدرهم من عنده وقد ثملوا من الطعام شبعاً اشبعهم وأرواهم الى قوله: فهذا دأبهم أيام الحياة.

مكتبة ولي الدين ضمن المخطوطة رقم ٧٧٠

١٥ــ مسألة في الايمان والاحسان والاسلام

بداية: بسم الله مسألة في الايمان قال أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم رحمه الله: الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله سألتني عما وقع فيه الناس من الاختلاف في الايمان ومحله من الآدمي.

نهاية: لا إله إلا أنت أغثني يا مغيث يا مغيث أغثني يا مغيث

المخطوطة رقم ٢١٢ السابق ذكرها

٢ــ المطبوعات

١ــ أدب النفس

في نسخة جمعت بين كتابي الرياضة وأدب النفس تحقيق أ. ج اربري والدكتور علي حسن عبد القادر.

مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٩٤٧م

٢ــ بدء شأن أبي عبد الله

بداية: قال أبو عبد الله: كان بدو شأني أن الله تبارك اسمه قيض لي

شيخي، رحمه الله من لدن بلغت من السن ثمانياً يحملني على تعلم العلم ويعلمني ويحثني عليه ويدئب ذلك في المنشط والمكره.

نهاية: حتى كان يوم الجمعة في أيام العشرة حضرت المجلس فذكرت أنه وقع عليه اسم « اللطيف »

نشره الدكتور عثمان اسماعيل يحيى في مقدمة كتاب « ختم الأولياء » وقام بتحقيقه.

المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت

٣ــ الحج واسراره

تحقيق الاستاذ حسني نصر زيدان. وهو غير ممحص النسبة للحكيم الترمذي القاهرة ١٩٦٩م

٤ــ ختم الأولياء: حققه الدكتور عثمان اسماعيل يحيى

بداية: قال الامام أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذى رحمه الله. الحمد لله رب العالمين ــ وصلى الله على محمد النبي وعلى آله اجمعين.

أما بعد فإنك ذكرت البحث في ما خاض فيه طائفة من الناس في شأن الولاية، وسألت عن شأن الأولياء ومنازلهم.

نهاية: ألا ترى ان سارة لما قالت ﴿ **ان هذا لشيء عجيب** ﴾ أنكرت الملائكة قولها فقالوا ﴿ **أتعجبين من أمر الله** ﴾ ومريم لما بشرت بالمسيح صدقت فأثنى الله عليها فقال ﴿ **وصدقت بكلمات ربها وكتبه** ﴾ وسماها في تنزيله ﴿ **صديقة** ﴾

المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت

٥ــ الرياضة:

انظر أدب النفس.

نشره عبد المحسن الحسين بمجلة كلية الآداب ــ جامعة الاسكندرية ١٩٤٦ م تحت عنوان « حقيقة الآدمية »

٦ــ الصلاة ومقاصدها

تحقيق الاستاذ حسني نصر زيدان القاهرة ١٩٦٥ م

٧ــ بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب

تحقيق الدكتور نقولا هير، وهو غير ممحص النسبة للحكيم الترمذي القاهرة ١٩٥٨

٨ــ نوادر الأصول الملقب بسلوة العارفين وبستان الموحدين

بداية: الأصل الأول في بيان التحصين من لدغ العقرب وكلمة الاستعاذة بالكلمات. حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله ما نمت البارحة الخ

نهاية: والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب هذا آخر كتاب نوادر الأصول في أحاديث الرسول ــ ﷺ ــ والحمد لله على توفيقه واتمامه والصلاة والسلام على نبيه وحبيبه محمد ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ وعلى آله الطاهرين وأصحابه أجمعين.

ط استانبول ١٢٩٣ هـ

وقامت بنشره واعادة تصويره دار صادر للطباعة والنشر ــ بيروت.

هذه مجموعة صغيرة من مؤلفات الحكيم الترمذي تحتوي الكثير من المعارف والفنون التي كانت سائدة في عصره.

فبعضها في الفقه وبعضها في التصوف وبعضها في الحديث، وبعضها يندرج تحت علم النفس، وبعضها يندرج في التفسير، وبعضها يندرج في الرجال ولا شك أن هذا الرجل كان موسوعة متنقلة تناولت الكثير من معارف البشر مما يصلح نفوسهم ويطبب قلوبهم في الدنيا والآخرة[1]

الحكيم الترمذي في رأي المؤلفين والمصنفين

قل أن نجد عالماً كان له مجال في عالم الشريعة أو الحقيقة الا واختلف الناس فيه بين مادح وقادح.

فمثلًا الامام أبو بكر الباقلاني صاحب إعجاز القران في رأي ابن خلكان أوحد زمانه، وانتهت اليه الرياسة في مذهبه.

ولكن هذا الامام عند ابن حزم الظاهري: مظلم الجهالة ومن أهل الضلالة كافر اصلع الكفر مشرك يقدح في النبوات ملحد خبيث ملعون فاسق يكيد للاسلام ويستخف به.

والباقلاني: عند أبي حيان التوحيدي على مذهب الخرمية وطرايق الملحدة.

والامام الغزالي: حجة الاسلام أمره مشهور وقد كاد ينعقد الاجماع على غزارة علمه وسمو نفسه.

ولكنه عند الطرطوشي كاد ينسلخ من الدين، ويفتي الطرطوشي الملوك بوجوب حرق كتبه واعدامها.

---

(١) كانت مصادرنا في جمع مصنفات الحكيم الترمذي ١ــ كتاب ختم الولاية تحقيق عثمان اسماعيل يحيى ٢ــ الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية للدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة ط مجمع البحوث الاسلامية. وللاستزادة راجع الفهرس العام لمصنفات الحكيم الترمذي للاستاذ عثمان اسماعيل يحيى نشره عام ١٩٥٧ في مقدمة تحقيق كتاب بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب للحكيم الترمذي تبعاً بمؤلفات الحكيم الترمذي.

ولا شك أن الحكيم الترمذي أحد هؤلاء الرجال الذي اختلف فيه علماء الشريعة والحقيقة. فهو عند بعضهم ولي لله تعالى وعند البعض الآخر جاهل ادخل في علوم الشريعة ما ليس منها وغرر بالعامة، وفارق الجماعة.

واذا كان ذلك كذلك فعلينا ان نتعرف على آراء المادحين والقادحين:

قال ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد:

« كان اماماً من ائمة المسلمين له المصنفات الكبار في أصول الدين ومعاني الحديث، وقد لقي الائمة الكبار وأخذ عنهم وفي شيوخه كثرة وله كتاب نوادر الأصول. رواه عنه جماعة بخراسان »[1]

وقال أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية:

« له الشأن العالي والنعت المشهور، كان يقول ما وضعت حرفاً على حرف لينقل عني ولا لينسب الى شيء منه ولكن كنت اذا اشتد علي وقتي اتسلى بمصنفاتي »[2].

وقال القشيري في الرسالة القشيرية: « كان من كبار الشيوخ وله تصنيف في علوم القوم »[3].

وقال صاحب تاريخ حلب كمال الدين بن العديم:

« وهذا الحكيم الترمذي لم يكن من أهل الحديث ولا رواية له ولا علم له وإنما كان فيه الكلام على اشارات الصوفية والطرائق ودعوى الكشف عن الأمور الغامضة والحقائق حتى خرج في ذلك عن قاعدة

---

(١) راجع لسان الميزان ٥: ٣٠٨

(٢) طبقات الصوفية ٢١٧

(٣) الرسالة القشيرية

الفقهاء واستحق الطعن عليه بذلك والازراء وطعن عليه أئمة الفقهاء والصوفية واخرجوه بذلك عن السيرة المرضية وقالوا انه ادخل في علم الشريعة ما فارق به الجماعة وملأ كتبه الفظيعة بالأحاديث الموضوعة وحشاها بالأخبار التي ليست بمروية ولا مسموعة وعلل فيها جميع الأمور الشرعية التي لا يعقل معناها بعلل ما أضعفها وما أوهاها »[1].

وقال صاحب لسان الميزان رداً على هذا الكلام:

قلت: ولعمري لقد بالغ ابن العديم في ذلك ولولا أن كلامه يتضمن النقل عن الائمة انهم طعنوا فيه لما ذكرته ولم أقف لهذا الرجل مع جلالته على ترجمة شافية.

وقال أبو نعيم صاحب حلية الأولياء:

صحب الحكيم الترمذي ابا تراب النخشبي ولقى يحيى بن الجلاء وصنف التصانيف الكثيرة في الحديث وهو مستقيم الطريق تابع للأثر يرد على المرجئة وغيرهم من المخالفين وذكر أشياء من كلامه[2].

ويقول الدكتور عبد الفتاح بركة:

« وقد بلغ من تقدير المدرسة الشاذلية للحكيم الترمذي: أنهم كانوا يطلقون عليه لقب الإمام الرباني »

وقد روى **ابن عطاء** في كتابه لطائف المنن عن شيخه أبي العباس المرسي فقال: وكان أبو العباس المرسي يقول عن الشيخ أبي الحسن: عليكم بالقوت فإنه قوت. وكان هو والشيخ أبو الحسن كل منهما يعظم

---

(١) لسان الميزان ٥: ٣٠٨

(٢) حلية الأولياء ١٠: ٢٣٣

الامام الرباني محمد بن علي الترمذي وكان لكلامه عندهما الحظوة التامة، وكان يقول عنه: إنه أحد الأربعة الأوتاد[1].

وقال أربري في كتابه التصوف:

١ ــ « إن القرن الذي أبرز المحاسبي والجنيد والحلاج قد قدم للتصوف الاسلامي من أسهموا في بناء صرحه من ليسوا أقل أهمية إلا بوجه من المقارنة، وليس الحكيم أقل أهمية من هؤلاء ».

وفاته

لقد تعرض الحكيم الترمذي الى العديد من الاضطهادات في حياته الأمر الذي جعله يخرج من بلده منفياً منها وعاش خارجها فترة من الزمن لم تستطيع كتب التراجم التي بين أيدينا ان تحدد بدءها أو منتهاها ولكنه عاد الى ترمذ مرة أخرى بعد أن خفت حدة الهجوم عليه. ولا ندري كم عاش في ترمذ بعد عودته.

ونتيجة للاستقراءات والاستنتاجات التي قام بها الدكتور عبد الفتاح بركة يتضح أنه مات عام عشرين وثلاثمائة للهجرة.

رحمه الله رحمة واسعة بمقدار ما قدم من خير للاسلام والمسلمين.

---

(١) نقلاً من كتاب الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية ١: ١٩٩.

كتاب نوادر الأصول

التعريف به:

هذا الكتاب للحكيم الترمذي يعتبره بعض الراصدين للحركات الفكرية أنه من أوائل الكتب التي أثرت في الفكر العربي، وكان نبعاً ثرياً لطلاب المعرفة، ومائدة غنية بشتى الطعوم والألوان لكثير من المريدين والطلاب الذين سلكوا طريق الولاية، أو خاضوا تجربة السلوك، ويقال ما سبق بمثاله ولم يؤلف على منواله.

ويقول عنه صاحب مرقاة الوصول: « قد اشتمل على نفائس المواعظ والرقائق، وحوى دقائق العلوم والحكم والحقائق، اذ هو مؤصل على الأحاديث النبوية متوج بالآيات القرآنية موشح بالعلوم اللدنية. لقد جمع فأوعى ».

ثم يقول أيضاً: « ما صنف مثل هذه النوادر كيف لا؟ وقد صاغها الحكيم بلا تدبر من لدن حكيم عليم ».

لقد قلنا في ترجمة الحكيم الترمذي: لقد بدأ حياته دارساً لعلمي الآثار والرأي، ثم كانت له مصنفات في علمي الفقه والتصوف، فهل اراد بوضعه لهذا الكتاب أن يكون محدثاً يوضع اسمه في سجل علماء الحديث أمثال الامام البخاري، والامام مسلم بن الحجاج، وابن ماجة، وأبي داود ومعاصره أبي عيسى الترمذي... ؟

إن هذا الكتاب يعتبر من أواخر ما خطَّه الحكيم الترمذي، وفي هذا الوقت كانت معالم حياته واضحة جلية، وأنه اختط لنفسه طريق التصوف والولاية، فهل أراد أن يكون له كتاب في الحديث يفسره بالذوق الصوفي ويكون هذا الكتاب معتمد رجال التصوف في تجلياتهم وما يتنقلون فيه من مقامات وأحوال..؟

يقول الدكتور عبد الفتاح بركة: « ويخال من يطلع على هذا العنوان لأول وهلة أنه كتاب في الحديث النبوي على سنة كتب الحديث المعروفة لكنه مع كونه مليئاً بالحديث مكون من عدة أصول يأتي في رأس منها بخبر من الأخبار يشرحه ويبينه ويستخرج منه ما يتفق مع الأصل المطلوب، وهو في هذا البحث والشرح ينحو منحى خاصاً يتفق مع منهجه العلمي الخاص، ومع طريقته الصوفية مستشهداً خلال ذلك بالكثير والعديد من الأحاديث فهو من ناحية روايته للحديث ـــ في هذا الكتاب ـــ محدث لكن التحديث لم يكن مقصده من الكتاب »[1]

وإذا لم يكن التحديث مقصده من الكتاب. فما هو مقصده إذن والكتاب كما قال صاحب المرقاة: « مؤصل على الأحاديث النبوية، ومتوج بالآيات القرآنية..؟

لقد هوجم الحكيم الترمذي من رجال الحديث حيث تقولوا عليه بأنه ليس من أهل الحديث، ولا دراية له ولا رواية، وأنه ملأ كتبه التي سطرها بالأحاديث الموضوعة، وحشاها بالأخبار التي ليست بمروية ولا مسموعة.

وهوجم من الفقهاء حيث أشاعوا عنه أنه أدخل في علم الشريعة ما فارق به الجماعة وعلل جميع الأمور الشرعية التي لا يعقل معناها بعلل ما أضعفها وأوهاها.

وهوجم من المتصوفة حيث ألَّبوا عليه العامة واتهموه لدى حاكم البلاد

---

(١) راجع كتاب الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية ١: ٤٨

بأنه يتكلم على اشارات الصوفية، وادعى الكشف عن الأمور الغامضة والحقائق الغائرة، حتى خرج بذلك عن قاعدة الشرع واستحق الطعن عليه بذلك.

فهل أراد بوضعه لهذا الكتاب أن يثبت لرجال الحديث أنه أهل للرواية وأنه على دراية كاملة بحديث رسول الله ــ ﷺ ــ سنداً ومتناً.؟

وهل أراد بوضعه لهذا الكتاب أن يثبت لجماعة الفقهاء أنه فقيه بالشريعة القائمة على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ــ ﷺ ــ ومن أجل هذا وضع كتابه النوادر المؤصل على الأحاديث النبوية، والمتوج بالآيات القرآنية.؟

وهل أراد بوضعه لكتاب النوادر ان يثبت لرجال التصوف أن ما ينطق به أو يتكلم عليه لا يخرج عن دائرة ما عقده الشرع أو نزل به الوحي.؟

إننا نميل الى هذا الاستنتاج، وأن الحكيم الترمذي، اراد بهذا الكتاب أن يقدم للامة الاسلامية بعامة والشائين له بخاصة أنه سنِّي محمدي لا يخرج عن دائرة الشرع والوحي. هذه واحدة.

أما الثانية: فلقد أراد أن يقدم للسالكين التصوف النقي، التصوف الذي لم يتأثر بأي مؤثر خارجي من تهويمات النصرانية، أو تجسيمات الفارسية أو خزعبلات البراهمية، أو غير ذلك، ومن أجل هذا يطيب لنا أن نلقي بعض الأضواء والظلال على محتويات هذا الكتاب ولكي تكون الصورة واضحة جلية نقسم محتويات الكتاب الى أقسام أربعة:

القسم الأول: ويحتوي على مجموعة من الأصول قدم فيها الوسائل التي يجب أن يتدرج فيها الانسان حتى يكون بمنأى عن الشيطان، فإذا تحقق له ذلك ابتعد عن الغضب، لأنه جمرة يلقيها الشيطان في جوف

الانسان، وأمن من الخوف على الرزق، وعلى الجاه وعلى كل شيء: ﴿ **أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ [1]

وما دام بعيداً عن الشيطان فهو متأدب بأدب الاسلام يرجح الرجاء على القنوط، والهدى على الضلال، والنور على الظلام فتنفتح امامه المسالك فيسعى في الأرض ضارباً في فجاجها، آخذاً بالأسباب فيرزقه الله من حيث لا يحتسب، وتأتي اليه الدنيا راغمة فينفق مما اعطاه الله، ويعطي مما هو مستخلف فيه، ينفر من الحرص ويبتعد عن الاعتراض: ﴿ **قل كل من عند الله** ﴾ [2]

ويتأنى فلا يعجل لأنه صار من عباد الله ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا.** ﴾ [3]

وهو متأدب بأدب الاسلام فلا يجهل ولا يلمز، ولا يظن ولا يغتاب ولا يتجسس ولا يمش بالنميمة حتى يصفي وينقي.

وهذا ما يحتويه القسم الأول من هذا الكتاب.

القسم الثاني: جعله في فقه المؤمن فنراه يقدم له في هذا الجزء زاده من الفقه وزاده من المعرفة ولا يجد زاداً أطيب من مائدة القرآن، فالقرآن هو مائدة المؤمن وكلما عب من هذه المائدة استنار قلبه وفتحت بصائره فلا تغره الدنيا ولا تأخذ بلبه لأنها سراب خادع ولهو زائل وكما وصفها رب العزة في قوله تعالى: ﴿ **كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض** ﴾ [4]

---

(١) سورة الانعام آية رقم ٨٢

(٢) سورة النساء آية رقم ٧٨

(٣) سورة الفرقان آية رقم ٦٣

(٤) سورة يونس آية رقم ٢٤ وسورة الكهف آية رقم ٤٥

إذن لا خلود في هذه الدار، ولا بقاء في الفانية، فلماذا يتعلق بها الانسان وهي تفنى وتزول..؟

ثم يطالبه في النهاية بالتزود للاخرة: ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾ [1] والدنيا عنده لا تذم إلا إذا اتبع الانسان فيها هواه وسار خلف شيطانه لأن الدنيا ــ في رأيه ــ موطن العبادة ومنبت الخشوع، وطريق الوصول الى الله تعالى، وفيها يكون الإنسان خليفة لربه ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفه** ﴾ [2]

فعلى الانسان أن يعمر دنياه بالتقوى ويقيم أعمدتها بالعمل، وكل ما يفعله العبد ويرجو به وجه الله تعالى فهو عبادة وقربى.

القسم الثالث: اذا كان في القسم الأول أراد أن يجعل الانسان خليفة الله في أرضه مبتوت الصلة بينه وبين الشيطان وأراد أن يجعله في القسم الثاني فاراً الى ربه ومهاجراً الى مولاه لقوله تعالى: ﴿ **ففروا الى الله** ﴾ [3] فإنه في هذا القسم يضعه على عتبة الولاية التي من شروط تحققها الايمان والتقوى قال تعالى: ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ [4]

ويقدم في هذا القسم مجموعة من الأصول التي تؤدي به الى الغاية وتفرُّ به الى موطن الولاية منها:

١ــ تلاقي الأرواح في الدنيا.

٢ــ فيما يعلم به منزلة العبد عند الله تعالى.

٣ــ استغفار العبد، واستغفار الرسول ــ ﷺ

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٩٧

(٢) سورة البقرة آية رقم ٣٠

(٣) سورة الذاريات آية رقم ٥٠

(٤) سورة يونس الآيتان رقم ٦٢ و٦٣

٤ــ في صفة الأولياء والتحذير من إهانتهم.
٥ــ طلب المعونة والتعرض للنفحات: لقول الرسول ــ ﷺ: إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها..

وغير ذلك من الأصول

القسم الرابع والأخير، جعله سياحات في كتاب الله تعالى وتفسير بعض آيات الكتاب الكريم. ومن أصوله:
١ــ في فضل سورة الفاتحة.
٢ــ في آية الكرسي وما يحرس به السلطان والقرآن.
٣ــ في تفسير الاستئناس.
٤ــ بيان أقسام القرآن
٥ــ في أن القرآن مثله كجراب فيه مسك.
٦ــ في سر كلمة التقوى في قوله تعالى: ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾[1]
وغير ذلك كثير.

عملنا في هذا الكتاب

إن العمل في كتب التراث عمل شاق ومرهق ولا يحس به الا من زاوله على حسب قواعده، وعايشه معايشة كاملة، هذا إذا كان الكتاب يتناول فناً من الفنون التي تتصل بالشريعة.

فإذا كان الكتاب يتصل بأحاديث الرسول ــ ﷺ ــ فإن الأمر جد مختلف، لأنه حينئذ لا يتوقف على تصحيح النص أو ترقيم الآيات القرآنية الكريمة أو ترجمة الرجال، وإنما الأمر يتعلق مع كل هذه الأشياء بتخريج الأحاديث، وهو عمل شاق جداً ويحتاج الى دراية ودربة بهذا العمل.

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٩٧

إن تحقيق المخطوطة يتطلب من المحقق أن يضع يده على أكثر من نسخة من المخطوطة حتى يتمكن من المقارنة بينها وتوضيح الفروق بين نسخة وأخرى وهذا لم يتيسر لنا. ومن أجل هذا كان عملنا كالآتي:

١ــ بدأنا العمل بتخريج الحديث لنعرف أي كتب الصحاح والسنن يوجد بها.

٢ــ حرصنا كل الحرص على تخريج الأحاديث تخريجاً كاملًا بقدر ما أسعفتنا المراجع التي بين أيدينا، والدلالة عليها في أماكنها في كتب الصحاح والسنن والاشارة اليها بأرقامها وأبوابها وكتبها حتى لا يجد القارئ الذي يرغب في مراجعتها في مظانها أيّ صعوبة في الوصول اليها.

٣ــ أشرنا الى الأحاديث الضعيفة التي جاءت بين دفتي الكتاب، وإن كان بعض العلماء يجيزون روايتها والعمل بها في مجال الوعظ والترغيب.

٤ــ تتبعنا آيات القرآن الكريم التي وردت في ثنايا الكتاب فصححناها من تحريفات النسخ والطباعة وتم ترقيمها والاشارة الى سورها.

٥ــ ترجمنا الكثير من الأعلام التي جاءت في الكتاب والتي لا ترتبط برباط وثيق برواة الأحاديث.

وبعد: فإن الكتاب بهذه الصورة يعد من كتب الأحاديث الشاملة الجامعة والتي حوت الكثير من أقوال الرسول ــ ﷺ ــ وأفعاله وهديه في الدين والحياة والمتتبع لما حواه الكتاب بين دفتيه يرى أن صاحبه قد طوف على الكثير من كتب الصحاح والسنن وقطف وجنى من زهورها وورودها ما يصلح أن يكون دستوراً للمسلم ومنهاجاً له ينظم حياته الدنيوية ويعدّه لحياة أخرى خالدة دائمة في جنة عرضها السموات والأرض في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

فجزى الله المؤلف عنا وعن المسلمين جميعاً والمنتفعين بكتابه جزاء الابرار والشهداء والصديقين بمقدار ما قدم من خير للاسلام والمسلمين.

المحقق

أ. د. عبد الرحمن عميره.

من مكتبة التراث

نوادر الأصول

في أحاديث الرسول

تأليف

محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم
الترمذي

الجزء الأول

حقق أصوله وخرج أحاديثه
الدكتور عبد الرحمن عميره

دار الجيل
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

الأصل الأول

في بيان التحصين من لدغ العقرب وكلمة الاستعاذة بالكلمات

حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن سهيل بن أبي صالح[1]، عن أبيه، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رجل : يا رسول الله ما نمت البارحة. قال : من أي شيء ؟ قال : لدغتني عقرب. فقال : « أما انك لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامة كلها من شر ما خلق، لم يضرك شيء إن شاء الله تعالى ». وفي رواية : « لم يضرك شيء حتى تصبح »[2].

---

(١) أحد العلماء الثقات وغيره أقوى منه. قال ابن معين: سميه خير منه، وقال عباس، عن يحيى : ليس بالقوي في الحديث، وقال أيضاً : حديثه ليس بالحجة، وقال في موضع آخر : ثقة هو وأخواه عباد وصالح. وقال أبو حاتم : يكتب حديثه، ولا يحتج به، وهو أحب إليّ من عمرو بن أبي عمرو، ومن العلاء بن عبد الرحمن.

وقال ابن المديني: مات أخ لسهيل فوجد عليه فنسي كثيراً من الحديث. وقال ابن أبي خيثمة: سمعت ابن معين يقول: لم يزل أصحاب الحديث يتقون حديثه. وقال ــ مرة: ضعيف.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الطب ٣٥ باب رقية الحية والعقرب ٣٥١٨ ــ حدثنا عبيدالله الأشجعي عن سفيان، عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة. قال: وذكره =

وعن خولة بنت حكيم السلمية، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك »[1].

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده (رضوان الله عليهم أجمعين) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إذا فزع أحدكم في النوم، فليقل : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون، فإنها لن تضره »[2] فكان عبدالله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده، ومن لم يبلغ كتبها في صك ثم علّقها في عنقه.

= في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

ورواه الامام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ١٦ باب في التعوّذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، ٢٧٠٩ قال يعقوب، وقال القعقاع بن حكيم عن ذكوان، أبي صالح، عن أبي هريرة وذكره.

(١) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ١٦ باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، ٥٤ ــ ٣٧٠٨ حدثنا محمد بن رمح واللفظ له، أخبرنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن الحارث بن يعقوب، أن يعقوب بن عبدالله حدثه أنه سمع بُسر بن سعيد يقول سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: سمعت خولة بنت حكيم السلمية تقول: وذكره. ورواه الترمذي في كتاب الدعوات ٤١ باب ما جاء ما يقول إذا نزل منزلاً، ٣٤٣٧ حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن الحارث بن يعقوب عن يعقوب بن عبدالله بن الأشج عن بسر بن سعيد عن سعد بن أبي وقاص عن خولة بنت حكيم عن رسول الله وذكره.

(٢) الحديث رواه أبو داود في كتاب الطب « باب كيف الرقي » ٣٨٩٣ ــ حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، عن محمد بن اسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ وذكره.

وروى الامام مالك عن يحيى بن سعيد قال: بلغني أن خالد بن الوليد قال لرسول الله ﷺ وذكره.

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : كان رسول الله (ﷺ) يعوِّذ الحسن والحسين يقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ».

ويقول : « كان أبي إبراهيم يعوِّذ بهن إسماعيل وإسحاق (عليهما السلام)[1].

قال أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسين بن بشير الحكيم الترمذي المؤذن : كلمة الله التامة، وكلمات الله التامات يؤديان إلى معنى واحد. فمن قال : « كلمة الله التامة »، فانما أراد به الجملة. ومن قال : « كلمات الله التامات »، فإنما أراد الكلمة الواحدة التي تفرقت في الأمور في الأوقات فصارت كلمات، ومرجعهن إلى كلمة واحدة. فكلمته التامة هي قوله تعالى : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾[2]

وقال الله تعالى : ﴿ **إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون** ﴾[3].

وإنما قيل تامة لأن أقل الكلام عند أهل اللغة على ثلاثة أحرف : حرف يبتدأ به، وحرف يحشى به الكلمة، وحرف يسكت عليه. فإذا كان على حرفين، فهو عندهم منقوص. وإنما نقصت لعلة مثل قوله : يد، ودم، وغد، وفم. هذه كلها منقوصات لأنها على حرفين. وكذلك « كن » هي من الآدميين من المنقوصات، لأنها على حرفين، ولأنها كلمة ملفوظة

---

(١) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الطب ٣٦ باب ما عوذ به النبي ﷺ وما عوذ به، ٣٥٢٥ ــ حدثنا وكيع، وحدثنا أبو بكر بن خلاد الباهلي، حدثنا أبو عامر، قالا: حدثنا سفيان بن منصور، عن منهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وذكره.

(٢) سورة يس آية رقم ٨٢.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ٤٧.

بالأدوات. ومن ربنا (جل جلاله) كلمة تامة؛ لأنها بغير الأدوات، ومنفيّ عنه شبه المخلوقين. وقال الله تعالى : ﴿ **وتمت كلمة ربك** ﴾[1].

ثم وصفها فقال : ﴿ **صدقاً وعدلاً** ﴾.

أي قدساً واستواء. ثم قال : ﴿ **لا مبدِّل لكلماته** ﴾ أي ليس لأحد أن يعجزه إذا قال لشيء : كن. وإنما قال بكلماته لتفرق هذه الكلمة في الأمور كلها. فلكل قضية، ولكل إرادة من الأمور من ربنا في كل أمر كلام بقوله : كن. وهو ما روي عن أبي ذر (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) فيما يحكى عن الله (عزّ وجلّ) « إنما عطائي كلام وعذابي كلام »[2].

فأما قوله : « كن »، فالكاف من كينونته، والنون من نوره. وهي كلمة تامة بها أحدث الأشياء وخلق الخلق. فإذا استعاذ العبد بتلك الكلمة، صارت له معاذاً، ووقى شر ما استعاذ بها منه. لأن العبد المؤمن لما عرف أن لا يكون شيء إلا ما جرى به القضاء والقدر، وإنما يمضي القضاء بقوله : « كن »، عظمت هذه الكلمة عنده، فصارت متعلق قلبه، فإنما

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١١٥.

(٢) هذا جزء من حديث طويل رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة ٢٦١٣ أخبرنا أبو الأحوص عن ليث عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ وذكره.

وقال الترمذي : هذا حديث حسن. وروى بعضهم هذا الحديث عن شهر بن حوشب عن معد يكرب عن أبي ذر عن النبي ﷺ ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد ٣٠ باب ذكر التوبة ٤٢٥٧ ـــ حدثنا عبدة بن سليمان عن موسى بن المسيب الثقفي، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه الامام أحمد في المسند ٥ : ١٥٤، ١٧٧ (حلبي).

تأخذه الرغبة في الأشياء، والرهبة من الأشياء، وقلبه نازع إلى مشيئته، وفؤاده مراقب لإرادته، وأذنه مصغية إلى كلمة « كن »، وعينه شاخصة[1] إلى تدبيره.

فإذا قال : أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق، وقي شر ما خلق، وصار في حصنه، وارتتع في عياذه آمناً مطمئناً. هذا لمن قالها بيقظة، وعقل ما يقول. وهذا القول منه تحقيق الايمان؛ لأنه آمن برب لا يملك أحد سواه شيئاً، ولا شريك له في شيء. وهذا لأهل اليقين، الذين إذا قال أحدهم هذا القول، استقر قلبه بعد القول على مقالته، واطمأنت نفسه.

فأما أهل الغفلة، فإنهم يعاذون على أقدارهم لحرمة الكلمة. وهو مثل ما جاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « إذا قال العبد حسبي الله سبع مرات، قال الله تعالى : وعزتي لأكفينه صادقاً أو كاذباً »[2].

فإنما قال : « صادقاً أو كاذباً » لأن السابق المقرب وهو الموقن إذا قال : « حسبي الله »، صدقه بفعله. فهو صادق لأنه لا يتعلق بعد ذلك قلبه بالأسباب. وذلك مثل قول إبراهيم (عليه السلام) حين وضع في المنجنيق من الجبل ليرمى به في النار، وعري من الكسوة وكتف بالوثاق فقال : « حسبي الله ». فعارضه جبريل (عليه السلام) في الهواء امتحاناً

---

(١) الشخص: سواد الإنسان وغيره، تراه من بعيد وجمعه في القلة أشخص وفي الكثرة (شخوص) وأشخاص، وشخص بصره من باب خضع فهو شاخص اذا فتح عينيه وجعل لا يطرف. وشخص من بلد الى بلد أي ذهب، وبابه خضع أيضاً وأشخصه غيره.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الذكر عن عائشة أن النبي ﷺ كان اذا اشتد غمه مسح على رأسه ولحيته ثم تنفس الصعداء وقال: « حسبي الله ونعم الوكيل » وذكر السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ وعند أبي نعيم والديلمي عن شداد بن أوس قال وذكره.
راجع كشف الخفا ١ : ١٤، ٤٢٦، ٤٢٧.

وإبتلاء، وقال : هل من حاجة يا إبراهيم ؟ وهو يهوى في الجو. فقال إبراهيم (عليه السلام) : أما إليك فلا. وقد بكت السموات والملائكة وخزان المطر (عليهم السلام) لما حل به، وجأرت إلى الله تعالى، فأمر الله تعالى بنصرته من حين استغاث به عبده، فلم يلتفت إلى أحد من خلقه، ولا إلى جبريل مستغيثاً حتى تفرد الله تعالى بنصرته، فقال تعالى : ﴿ **قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم** ﴾[1]

وإنما عارضه جبريل (عليه السلام) في الهواء بما عارضه ليبرز صدق مقالة إبراهيم (عليه السلام) في قوله : « حسبي الله » عن مكنون قلبه، وليعلم الصادقون من بعده غاية الصدق في المقالات. فاتخذه خليلاً، ونوّه باسمه في العالمين. وهو أول مَن يكسى يوم القيامة لأنه عري في دار الدنيا في ذات الله تعالى فبدئ به من بين الأنبياء والرسل (عليهم السلام). فهكذا يكون قول أهل اليقين في « حسبي الله » والمخلط كذبه بفعله حيث تعلق بالأسباب وبالمخلوقين حتى صاروا فتنة عليه.

فقوله « حسبي الله » قول الموحدين، قول أهل الإيمان، لا قول المحققين، قول أهل النزاهة واليقين. فكذلك قوله : «أعوذ بكلمة الله التامة » المقرب عينه وأذنه إلى تدبيره وقضائه. وقوله : « كن » والمخلط عينه وأذنه إلى الأسباب والحيل والحرز والحصون والوقايات، فيعاذ على قدره لحرمة قوله واعترافه بأنها كلمة إيمان. فالاستعاذة بالله تعلق به محضاً. والاستعاذة بكلمته تعلق بتدبيره ؛ لأنه كذا دبر أن تكون الأشياء بالكلمة. وقال في تنزيله (عز من قائل) : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله** ﴾[2].

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ٦٩.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ٢٠٠.

وقال الله تعالى : ﴿ **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين** ﴾[1].

فهما يدلان على أن ما كان من أمر الباطن فالاستعاذة به، وما كان من أمر الظاهر فالاستعاذة بكلمته. لأن ما هو في الظاهر هو بقوله : « كن ». وما في الباطن صنعه وقال : ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾[2]

ثم قال : ﴿ **ملك الناس** ﴾[3].

ثم قال : ﴿ **إله الناس** ﴾[4].

أمره أن يستعيذ بثلاثة من أسمائه ﴿ **من شر الوسواس** ﴾[5] وهو باطن.

فقوله : « رب »[6] أي مالك، ربني فلان يربني فهو راب. ثم قالوا : « رب » فحذفوا الألف. كما قالوا : « بار » ثم قالوا : « بر » فقوله : « رب » يؤدي إلى الملك، وملك يؤدي إلى الملك، وإله يؤدي إلى وله القلوب. فالوسواس آفة على القلب أمره أن يستعيذ بمالك وملك وإله؛ لأن المالك الذي أحاط بهم فملكهم. والملك الذي نفذ أمره فيهم، والاله الذي أوله القلوب إلى نفسه.

---

(١) سورة المؤمنون آية رقم ٩٧.

(٢) سورة الناس آية رقم ١.

(٣) سورة الناس آية رقم ٢.

(٤) سورة الناس آية رقم ٣.

(٥) سورة الناس آية رقم ٤.

(٦) الرب الملك والسيد. قال تعالى: ﴿ **ارجع الى ربك** ﴾ أي الى مالكك وسيدك ومنها ﴿ **اذكرني عند ربك** ﴾.

والثاني: الرب الكبير قال تعالى: ﴿ **فاذهب أنت وربك** ﴾ ومنه الربيب قال تعالى: ﴿ **وربائبكم اللاتي في حجوركم** ﴾.

﴿ **من شر الوسواس الخناس** ﴾[1] وسوس عند الغفلة وخنس عند الذكر، فاشتق له اسمان من فعليه.

ثم بين أين موضعه من الجسد فقال : ﴿ **الذي يوسوس في صدور الناس** ﴾[2] والصدر ساحة القلب، وفيه الفكر، ومنه تصدر الأمور.

ثم بين أن الوسوسة جنسان فقال : ﴿ **من الجنة والناس** ﴾[3] وسوسة جنية وهي الشيطان، ووسوسة إنسية وهي النفس.

وكذلك روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال : هما وسواسان[4]. وإنما قال : « وسوس » لأنه يزعج. وقوله : أَزَّ يؤزّ أي أزعج يزعج. وقال في تنزيله: ﴿ **تؤزهم أزاً** ﴾[5] والهاء والهمزة والواو اخوات تجزئ الواحدة عن صاحبتيها. فقوله : أز، وهز، ووز بمعنى واحد، إلا أن كل واحدة تستعمل في نوع. والزاء والسين أختان تجزئ إحداهما عن الأخرى. كما قالوا : صقر، وزقر، وسقر. فقوله : وز، وقوله : وس يوس بمعنى وسوس. وقوله : « وسوس » في قالب العربية فع فع. لأنه في الأصل وس. ثم كرر فقيل: وسوس؛ لأن فعله على القلب مردد مكرر. فأمره أن يستعيذ بالأسماء الثلاثة منه.

---

(١) سورة الناس آية رقم ٤.

(٢) سورة الناس آية رقم ٥.

(٣) سورة الناس آية رقم ٦.

(٤) الوسوسة : حديث النفس يُقَال وسوست إليه نفسه وسوسة وسواساً والوسواس بالفتح الاسم كالزلزال وقوله تعالى : ﴿ **فوسوس لهما الشيطان** ﴾ يريد إليهما ويُقال لصوت الحلى (وسواس) والسواس اسم الشيطان.

(٥) هذا عجز آية من سورة مريم ٨٣ وصدرها ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ﴾.

ثم قال : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾[1] وكل ما انفلق شيء عن شيء، فهو فلق. قال أهل التفسير : الفلق واد في جهنم إذا فتح وانفلق هرَّ أهل النار من شدة حرّه. وقال بعضهم : الفلق الصبح؛ لأنه انفلق عن الليل، وهو قوله تعالى : ﴿ **فالق الإصباح** ﴾[2].

وقال الله تعالى : ﴿ **فالق الحب والنوى** ﴾[3].

فالحبة تنفلق فتنبت. والنوى كذلك أيضاً. وليس هذا منهم اختلاف لأن الكلمة تؤدي الى كل شيء انفلق. واعظم فلق في الدنيا فلق قلب المؤمن بنور الله تعالى، فقال : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾[4] وهو فلق القلب إذا انفلق بنوره.

وروي عن النبي (ﷺ) أنه قال : « للقلب أذنان وعينان. فإذا أراد الله تعالى بعبد خيراً، فتح عينيه اللتين في قلبه ».

﴿ **من شر ما خلق** ﴾[5] وهو ظلمة الكفر. ﴿ **من شر غاسق إذا وقب** ﴾[6] والغسق الظلمة. وهي ظلمة المعاصي. وقوله : « وقب ». أي دخل. ﴿ **ومن شر النفاثات في العقد** ﴾[7] وهو السحر. يعقد الساحر الذي قد باع آخرته بدنياه. فاعطى ما تمنى واختار. وربنا (عز وجل) واسع كريم. طلب آدم التوبة والطاعة فأُعطي. وطلب إبليس تضليل ولد

---

(١) سورة الفلق آية رقم ١.
(٢) سورة الأنعام آية رقم ٩٦.
(٣) سورة الأنعام آية رقم ٩٥.
(٤) سورة الفلق آية رقم ١.
(٥) سورة الفلق آية رقم ٢.
(٦) سورة الفلق آية رقم ٣.
(٧) سورة الفلق آية رقم ٤.

آدم وغوايتهم، وأن يعطى سلطان ذلك له، فأُعطي. وطلب الساحر مني الدنيا، وأن يعطى كل شيء يتمناه برفض الآخرة، وأن لا خلاق له فيها، فأُعطي. فهو يعقد خيطاً أو وتراً على منيته، وينفث فيه من نفسه الخبيثة، فيصل ضرره الى من يتمنى ذلك عليه. ﴿ **وما هم بضارين به من أحد الا بإذن الله** ﴾[1].

ولما سحر رسول الله (ﷺ) حتى عجز عن نسائه، وأخذ بقلبه لبث في ذلك ستة أشهر فيما روي في الخبر[2]، ثم نزلت المعوذتان إحدى عشرة آية. واستخرج الوتر فيه العقد من ذلك البئر. فكان كلما قرأ آية من المعوذتين انحلت عقدة. حتى حل العقد كلها وبرئ ﴿ **ومن شرِّ حاسدٍ إذا حسد** ﴾[3] وهو العين. والحاسد والحاصد بمعنى فهو يحصده بعينه أي يقطعه من الأصل هلاكاً ودماراً. وهو أن يعجب بالشيء، فلا يذكر خالقه، فإذا هو قد حصده ودمره. والحسد إرادتك التي تريد بها إبطال

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٠٢.

(٢) ثبت في الصحيحين من حديث عائشة ــ رضي الله عنها ــ أن النبي ﷺ سحره يهودي من يهود بني زريق ــ يقال له لبيد بن الأعصم ــ حتى يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث ــ في غير الصحيح ــ سنة، ثم قال: يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه. أتاني ملكان، فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال [الذي عند رأسي للذي عند رجلي] : ما شأن الرجل... ؟ قال : مطبوب قال : ومن طبه.. ؟ قال : لبيد بن الأعصم. قال : في ماذا.. ؟ قال : في مشط ومُشاطه وجف طلعه ذكر تحت راعوفه في بئر ذي أوران فجاء البئر واستخرجه ». انتهى الصحيح.

فانزل الله هاتين السورتين وهما احدى عشرة آية على عدد تلك العقد وأمر أن يتعوذ بهما فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد النبي ﷺ خفه حتى انحلت العقدة الأخيرة، فكأنما أنشط من عقال وقال: ليس به بأس. وجعل جبريل يرقى رسول الله ﷺ. فيقول: « باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر حاسد وعين والله يشفيك ».

(٣) سورة الفلق آية رقم ٥.

ذلك الشيء. فنوره فلق الظلمات. وهو في دعوة إدريس (عليه السلام) أنت الذي فلق الظلمات نوره. فاذا أورد على القلب نوره، فلق الظلمات. فجميع ما ذكر في التنزيل من الاستعاذة به، وجدناه يؤوَّل الى الباطن من الأمور. وما جاء عنه (ﷺ) أنه قال : « أمرني جبريل (عليه السلام) أن أكررهن في السجود ».

« وأعوذ[1] بعفوك من عقابك » فاستعاذ بالعفو من العقاب لأنه ضده. « وأعوذ برضاك من سخطك » فالرضى ضد السخط.

ثم قال : « وأعوذ بك منك » فاستعاذ به منه. لأنه لا ضد له. وهو كقوله : « لا مفر منك إلا إليك » وهو قوله تعالى : ﴿ **ففروا إلى الله** ﴾[2] أي فروا منه إليه.

---

(١) عذت بفلان أعوذ عوْذاً وعياذاً ومعاذاً ومعاذة أي لجأت به وهو عياذي وعوذي محركة، ومعاذي أي وملجئي وقرأت المعوذتين بالكسر، والتعويذ : الإعاذة، والتعويذ والعُوذَة : الرقية

(٢) سورة الذاريات آية رقم ٥٠.

الأصل الثاني

في كلمة النجوى[1]

عن نافع، عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا يجلس الرجل إلى الرجلين إلا على إذن منهما إذا كانا يتناجيان »[2].

روي عن النضر فيما يحكى عن أهل اللغة أن الجماعة إذا لم يكن فيهم

---

(١) النجوى: السر، والنجوى المسارون: اسم مصدر، ونجي: كغني من تساره، والجمع: أنجية، قال تعالى: ﴿ **وتناجوا بالبر والتقوى** ﴾ [سورة المجادلة آية رقم ٩] وقوله: ﴿ **وأسروا النجوى الذين ظلموا** ﴾ [سورة الأنبياء آية رقم ٣] وقد يوصف بالنجوى فيقال: هو نجوى، وهم نجوى قال تعالى: ﴿ **وإذ هم نجوى** ﴾.

(٢) الحديث الذي رواه مسلم في كتاب السلام ١٥ باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه، عن مالك عن نافع عن ابن عمر بلفظ: أن رسول الله ﷺ قال: « إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون واحد ».

ورواه الامام مالك في كتاب الكلام ٦ باب ما جاء في مناجاة اثنين دون واحد عن نافع عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « إذا كان ثلاثة فلا يتناجى إثنان دون واحد ».

ورواه الترمذي في كتاب الأدب ٥٩ باب ما جاء لا يتناجى إثنان دون ثالث ٢٨٢٥ — بسنده عن عبدالله بن عمر. وقال: هذا حديث صحيح.

غريب، فحديثهم نجوى وإن جهروا فيما بينهم. وإذا كانوا ثلاثة وفيهم غريب، فليس حديثهم بنجوى وإن أسروه. قال الله تعالى : ﴿ **فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا** ﴾[1].

وأهل النجوى إذا اجتمعوا نجياً فكأنهم في ستر أو وطن. فكما يجب الاستئذان في الدخول عليهم في أوطانهم، فكذلك يجب الاستئذان في الجلوس إليهم. فإن ذلك أذى لهم، وقطع عليهم، وهتك لسترهم. وهذا كله لعظم حرمة المؤمن وتجنب أذاه. وإذا كان وحده، ففيه سعة؛ لأنه ليس هناك سر يطلع عليه. ولكن يحق على الورع أن يتحين الوقت والحال، وأن يتجنب التثقيل.

قال إبراهيم النخعي (رحمه الله) : من أمن الثقل ثقل.

وقال أبو حنيفة (رحمه الله)، عن حماد : من خاف أن يكون ثقيلاً، فليس بثقيل.

قال مغيرة : لقد نهى الله تعالى عن التثقيل في قوله الكريم : ﴿ **فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث...** ﴾.

إلى قوله : ﴿ **... والله لا يستحيي من الحق** ﴾[2].

وهذه الآية نزلت في بعض أزواج النبي (ﷺ). أحسبها زينب (رضي الله عنها). تزوج رسول الله (ﷺ) بها، وأولم عليها، فلما أطعمهم، أراد رسول الله (ﷺ) أن يخلو بأهله، فقعدوا بعد الطعام

---

(١) سورة يوسف آية رقم ٨٠.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٥٦.

يتحدثون في بيته، ورسول الله (ﷺ) مرة يخرج ومرة يدخل، وهم في البيت قعود لا يبرحون، فنزلت هذه الآية[1].

وكان أبو هريرة (رضي الله عنه) إذا استثقل رجلاً قال : اللهم اغفر لنا وله وأرحنا منه.

وقال حاتم بن عبدالله الأشجي[2]: انتهيت مع سفيان الثوري إلى أبي حنيفة اليمامي (رحمه الله)، وإذا هو جالس في تراب، فدنونا منه، وسلمنا عليه، وقال له سفيان : رحمك الله، تأذن فنجلس إليك. قال : لا. فرجعنا. فقال سفيان : إن الرجل ليس في كل حالاته يحب أن يجلس إليه.

---

(١) قاله الامام الواحدي في تفسير قول تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي** ﴾ راجع تفسير البغوي ٥ : ٢٢٣، والطبري ٢٢ : ٢٦، ٢٧، والقرطبي ١٤ : ٢٢٤، والدر المنثور ٥ : ٢١٣ ــ وراجع صحيح البخاري ٦ : ١١٨، وصحيح الامام مسلم ٤ : ١٤٩.

(٢) لعلّه حاتم بن عبدالله بن حاتم، قال مسلمة بن قاسم أصله من لؤلؤة سكن مصر وتوفّى بها. راجع لسان الميزان ٢ : ١٤٥.

الأصل الثالث

في تأثير الغضب[1] في الإيمان

عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري، عن أبيه، عن جدّه (رضوان الله عليهم أجمعين) قال : قلت يا رسول الله أخبرني بوصية قصيرة فألزمها، قال : « لا تغضب يا معاوية بن حيدة. إن الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل »[2].

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) :

---

(١) الغضب: ثوران دم القلب إرادة للانتقام قال تعالى: ﴿ **فباءوا بغضب** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **غير المغضوب عليهم** ﴾ يعني اليهود.

وقال ابن عرفة : الغضب من المخلوقين شيء يُداخل قلوبهم ويكون منه محمود ومذموم. فالمذموم ما كان في غير الحق، وأما غضب الله عز وجل فهو إنكاره على من عصاه فيعاقبه، وقال الطحاوي: إن الله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى. وقال تعالى: ﴿ **وذا النون إذ ذهب مغاضباً** ﴾ أي مراغماً لقومه.

(٢) هو معاوية بن حيدة بن معاوية ــ معدود في أصل البصرة، غزا خراسان ومات بها، ومن ولده بهز بن حكيم الذي كان بالبصرة ــ وهو بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة ــ روى عن معاوية بن حيدة ابنه حكيم بن معاوية وحميد المزني. وسئل يحيى بن معين عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده فقال:

إسناد صحيح إذا كان دون بهز ثقة. الاستيعاب ٣ : ١٤١٦.

« إن الغضب ميسم من نار جهنم. يضعه الله تعالى على نياط أحدهم. ألا ترى أنه إذا غضب احمرت عينه واربد وجهه وانتفخت أوداجه ».

وقال في حديث آخر : « إن الغضب جمرة تُوقَد في قلب ابن آدم. ألا ترى إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه. وذلك أن الشيطان ينفخ في تلك الجمرة »[1].

فشبه رسول الله (ﷺ) ذلك بالعسل والصبر. فكما يفسد الصبر العسل، فكذلك الغضب يدنس الإيمان، ومرارته تذهب حلاوته ونزاهته. فالإيمان حلو نزه، والغضب مر دنس.

وروي عن عيسى (عليه السلام) أنه سأله يحيى بن زكريا (عليه السلام) عن الغضب ما بدؤه ؟ قال : الكبر، ألا ترى أنك تغضب على من هو دونك، ولا تغضب على من هو فوقك بمثله.

وقال رسول الله (ﷺ) : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر »[2] قيل : فما الكبر يا رسول الله ؟ قال : « أن تسفه الحق وتغمض الناس أي تحقرهم ».

---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه الترمذي في كتاب الفتن ٢٦ باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن الى يوم القيامة ٢١٩١ قال الترمذي: وفي الباب عن حذيفة، وأبي مريم، وأبي زيد بن أخطب، والمغيرة بن شعبة. وقال: وهذا حديث حسن صحيح.
ورواه الامام أحمد في المسند ٣ : ١٩، ٦١ (حلبي).

(٢) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الايمان ٣٩ باب تحريم الكبر ١٤٩ ــ حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة عن أبان بن تغلب عن فضيل عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله عن النبي ﷺ وذكره، ورواه الترمذي في كتاب البر والصلة ٦١ باب ما جاء في الكبر. ١٩٩٨ ــ حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش، عن ابراهيم بن علقمة عن عبدالله ــ قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. =

وعن أنس (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « يقول الله عز وجل: لي العظمة والكبرياء والفخر، والقدر سرِّي، فمن نازعني في واحدة منهن كببته في النار »[1] والإيمان هو خضوع العبد والقاؤه بيده له سلماً، والكبر ضده، والغضب منه يبدو، وينزع الشيطان بنفثه ونفخه حتى يتوقد ويهتاج. فلذلك قال : « يفسد الإيمان ».

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « إني لأعلم كلمة لو قالها، لذهب عنه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »[2] وذلك عندما رأى رجلاً يتمرغ أنفه من الغضب، وهو قوله تعالى : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾[3]

وإنما وضع هذا الميسم من النار في هذا الموضع من الآدمي لكي يغضب لله تعالى في المواضع التي ينبغي، فإن في الغضب قوة للآدمي على أمر الله تعالى. وهو محتاج إلى أن يعادي أعداءه ويحاربهم. فبالغضب

= وفي الباب عن أبي هريرة، وابن عباس، وسلمة بن الأكوع، وأبي سعيد، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه ابن ماجه في المقدمة ٩ باب في الأيمان بسنده عن علقمة عن عبدالله بزيادة « ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ».

(١) في الباب أيضاً عن أبي هريرة رواه ابن ماجه في كتاب الزهد ١٦ باب البراءة من الكبر والتواضع ٤١٧٤ ــ حدثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب، عن الأغر، أبي مسلم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه أيضاً بهذا الإسناد أبو داود في كتاب اللباس باب ما جاء في الكبر بلفظ « قال الله عزّ وجلّ : « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمَن نازعني واحداً منهم قذفته في النار ». ورواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٢٤٨، ٣٧٦، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٤٢ (حلبي).

(٢) الحديث رواه الطبراني بسنده عن ابن عباس ــ في الصغير والأوسط، قال صاحب مجمع الزوائد: رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف.

(٣) سورة الأعراف آية رقم ٢٠٠.

يتقوى حتى يحاربهم ويغير المنكر ويقيم حقوق الله تعالى وحدوده. فللحق نفخة في تلك الجمرة، وللشيطان نفخة في وقته. فنفخة الشيطان لها رجاسة تفسد الإيمان وطهارته وطيبه. وإذا كانت نفخة الحق، فإنه يتقوى ويحمر وجهه ويمتلئ من نور الحق ولا يفسد الإيمان. وكان رسول الله (ﷺ) إذا غضب، غضب لله تعالى، ولا يغضب لنفسه، ولا لدنياه. وكان إذا غضب، رؤي ذلك العرق بين عينيه يرد من الغضب، ويظهر نتوؤه وانتفاخه، وتحمرّ وجنتاه.

وكان موسى[1] (عليه السلام) إذا غضب، اشتعلت قلنسوته ناراً.

---

(١) موسى اسم مُعَرَّب أصله مُوشا، ومُو بالعبرية الماء، وشا الشجر سمي به لأنه وجد في الماء والشجر الذي كان حول قصر فرعون في عين شمس، وهو موضع معروف في مصر لا ينبت شجر البلسان إلا فيه. راجع بصائر ذوي التمييز ٦ : ٦١.

الأصل الرابع

في أدب الانتعال

عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال رسول الله (ﷺ) : « إذا انتقل أحدكم، فليبدأ باليمين. فإذا نزع، فليبدأ بالشمال. وليكن اليمين أوّلهما يلبس وآخرهما ينزع »[1].

اليمين محبوب الله ومختاره من الأشياء. فأهل الجنة عن يمين العرش يوم القيامة. وأهل السعادة يعطون كتبهم بأيمانهم. وكفة الحسنات من الميزان عن اليمين. والكرام الكاتبون، وكاتب الحسنات منهم عن اليمين.

وكان رسول الله (ﷺ) يتوخى في كل فعل من مثل هذا اليمين

---

(١) الحديث عند ابن ماجه في كتاب اللباس ٢٨ باب لبس النعال وخلعها ٣٦١٦ حدثنا وكيع عن شعبة، عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه مسلم في كتاب اللباس والزين ١٨ باب استحباب لبس النعال وما في معناها في اليمن أولاً والخلع من اليسرى أولاً وكراهة المشي في نعل واحدة ٦٧ : ٢٠٩٧ بسنده عن أبي هريرة ورواه الترمذي في كتاب اللباس ٣٧ باب ما جاء بأي رجل يبدأ إذا انتعل ١٧٧٩ ــ حدثنا الأنصاري، حدثنا معين، حدثنا مالك، وحدثنا قتيبة عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

توخياً لمختار الله تعالى. وكان إذا شرب أعطى الأيمن فالأيمن جرعته حتى أنه شرب يوماً وأبو بكر (رضي الله عنه) عن يساره، وغلام إعرابي عن يمينه، فقال للغلام: أتأذن لي فأُعطي الأشياخ ؟ فقال: ما كنت لأوثر بفضلك على نفسي أحداً فأعطاه الغلام. وكان يبدأ باليمنى إذا دخل المسجد، ثم إذا خرج أو نزع نعله، بدأ باليسرى؛ كي يكون اليمين آخر العهد بمسجد الله تعالى. وبما هو خير للقدم ورفق له. وكان يستعمل تدبير الله تعالى، ويفتقده في كل شيء، حتى في ترجله وتنعله وطهوره.

وعن أنس رضي الله عنه قال : لما رمى رسول الله (ﷺ) الجمرة، ونحر نسكه، ناول رأسه الحلاق. فقال : ابدأ بالشق الأيمن، فحلقه. فأعطاه أبا طلحة. ثم ناوله الأيسر، فحلقه، فقال : اقسمه بين الناس.[1]

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « إذا أكل أحدكم، فليأكل بيمينه. وإذا شرب أحدكم، فليشرب بيمينه »[2]

---

(١) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب الحج ٧٣ باب ما جاء بأي جانب الرأس يبدأ الحلق ٩١٢ ــ حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث، حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. والحديث أخرجه البخاري في ١٤ ــ كتاب الوضوء ٣٢ باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان حديث رقم ١٣٧ ــ وأخرجه الإمام مسلم في: ١٥ كتاب الحج، حديث رقم ٣٢٦ ــ حدثنا سفيان، سمعت هشام بن حسان يخبر عن ابن سيرين عن أنس بن مالك قال: وذكره.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم: ٣٦ ــ كتاب الأشربة ١٣ باب آدام الطعام والشراب وأحكامهما حديث ١٠٥، وأخرجه الإمام مالك في كتاب صفة النبي ﷺ ٤ باب النهي عن الاكل والشرب ٦ ــ حدثني مالك عن ابن شهاب، عن أبي بكر بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر، عن عبدالله بن عمر ــ أن رسول الله ﷺ وذكره وبزيادة [فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله]. ورواه أبو داود في الأطعمة ١٩، والدارمي في الأطعمة ٥٩، وأحمد بن حنبل ٢ : ٨، ٣٣، ١٠٦، ١٢٨ (حلبي).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « يمين الله ملأى سحاء[1] لا يغيضها[2] شيء بالليل ولا بالنهار »[3].

وعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « إن الله تعالى خلق آدم فمسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون. ثم مسح ظهره بيساره، فاستخرج منه ذرية، فقال : خلقت هؤلاء للنار. وبعمل أهل النار يعملون[4].

وعن أبي أمامة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال : « خلق الله الخلق وقضى القضية، فأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء، فأخذ أهل اليمين بيمينه، وأخذ أهل الشمال بالأخرى، وكلتا يدي الرحمن يمين، ثم قال : يا أصحاب اليمين، قالوا : لبيك ربنا وسعديك. قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى، ثم قال : يا أصحاب الشمال، قالوا : لبيك

---

(١) السحاء : أي دائمة الصب بالعطاء.

(٢) لا يغيضها: أي لا ينقصها. غاض الماء، قلَّ ونضب، وغاضه الله ــ يتعدى ويلزم.

(٣) الحديث رواه ابن ماجه في المقدمة ١٣ باب فيما أنكرت الجهية ١٩٧ ــ وبه زيادة [وبيده الأخرى الميزان، يرفع القسط ويخفض قال: أرأيت ما أنفق منذ خلق الله السموات والأرض فإنه لم ينقص مما في يديه شيئاً].

ورواه الترمذي في التفسير سورة ٥ آية رقم ٣.

(٤) الحديث رواه الإمام مالك في كتاب القدر (١) باب النهي عن القول بالقدر ٢ ــ عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، أنه أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ سأل عن هذه الآية ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلون** ﴾ ــ فقال عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ سمعت رسول الله ﷺ يقول : وذكره.

وأخرجه أبو داود في ٣٩ ــ كتاب السنه ١٦ ــ باب في القدر، وأخرجه الترمذي في ٤٤ ــ كتاب التفسير ٧ ــ سورة الأعراف حديث ٢.

وسعديك، قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى، فخلط بعضهم ببعض، فقال قائل منهم : رب لم خلطت بيننا ؟ فقال : لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون، فقال قائل : فما الأعمال ؟ قال : يعمل كل قوم لمنزلتهم. فقال عمر (رضي الله عنه) : « إذاً نجتهد ».

وسئل رسول الله (ﷺ) عن الأعمال أهي مؤتنف أم قد فرغ منها، قال : بل فرغ منها.

عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لما خلق الله تعالى آدم، ضرب بيده على شق آدم الأيمن، فأخرج ذرية كالذر، ثم قال : يا آدم هؤلاء ذريتك من أهل الجنة، ثم ضرب بيده على شق آدم الأيسر، فأخرج ذرية كالحمم، ثم قال : هؤلاء ذريتك من أهل النار »[1].

وقال تعالى في تنزيله : ﴿ **والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه** ﴾[2]. وجاء في الخبر أن الجنة يؤتى بها فتوضع عن يمين العرش يوم القيامة، والنار عن يسار العرش، ويؤتى بالميزان، فينصب بين يدي الله، وكفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة، وكفة السيئات عن يسار العرش مقابل النار. وقال تعالى : ﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال** ﴾[3].

حدث جعفر بن كثير من آل علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وهو يومئذ ابن ثمانين سنة، قال : حدثني أبي أن رسول الله (ﷺ) كان

---

(١) الحديث عن أبي الدرداء ـــ عن النبي ﷺ. رواه أحمد والبزار والطبراني. وقال صاحب مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح.

(٢) سورة الزمر آية رقم ٦٧.

(٣) سورة الواقعة آية رقم ٢٧.

إذا صلى الفريضة، تياسر، فصلى ما بدا له، وأمر أصحابه أن يتياسروا ولا يتيامنوا.

وعن ضبيعة[1] بنت المقداد بن معدي كرب، عن أبيها أن رسول الله (ﷺ) كان إذا صلى إلى عمود أو خشبة أو شبه ذلك، لم يجعله نصب عينيه، ولكن يجعله على حاجبه الأيسر.

قال : كأنه يدلّ بهذين الفعلين من هذين الحديثين على أنه يتوخّى اليمين، فإن العبد إذا اقام، فإنما هو قبالة الله (عز وجل).

بذلك جاءت الأخبار عن رسول الله (ﷺ). واليمين دل اسمه على معناه فالأمن والإيمان. واليمين كله موجود في هذا الاسم.

ووجه آخر أنه كان يتياسر بصلاة التطوع عن موضعه الذي أدى فيه الفريضة، كأنه لا يجب أن يقدم على الفريضة شيئاً. ومما يحقق ذلك ما روي عن أبي صالح[2] الحنفي قال : كان علي (كرم الله وجهه) يسلم تسليمتي الصلاة إحداهما أخفض من الأخرى. قيل لأبي صالح : أيهما أخفض من الأخرى ؟. قال : اليسرى. وإنما توخّى ذلك أن يكون فرقاً بين التسليمتين بالخفض ورفع الصوت؛ ليؤدي حق كاتب الحسنات برفع الصوت. وكذلك حق من عن يمينه ليؤديه برفع ذلك الصوت، وبخفضه عن اليسرى ليتبين فضل اليمنى عن اليسرى.

---

(١) روت عن أبيها أن النبي ــ ﷺ كان إذا صلى الى خشبة أو عود لم يجعله نصب عينيه الحديث، وعنها المهلب بن حجر البهراني. قلت قال ابن القطان لا تعرف وأفاد بأن النسائي أيضاً أخرجه كما أخرجه أبو داود. لها ترجمة في التهذيب ١٢ : ٤٣٢.

(٢) هو: عبد الرحمن بن قيس أبو صالح الحنفي الكوفي. روى عن أبيه قيس، وأخيه طليق بن قيس، وعن علي، وحذيفة، وابن مسعود وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وعائشة، وابن عباس. وروى عنه ابن عون محمد بن عبيدالله الثقفي وسعيد بن مسروق الثوري وجماعة، قال اسحاق بن منصور عن ابن معين: أبو صالح الحنفي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، وذكر ابن أبي حاتم أن روايته عن حذيفة وابن مسعود مرسلة.

الأصل الخامس

في النهي عن القزع[1]

عن نافع، عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : نهى رسول الله (ﷺ) عن القزع. والقزع أن يحلق وسط رأس الصبي ويترك ما حوله. وكان هذا فعل القسيسين وهم ضرب من النصارى. وفي القرآن : ﴿ **ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً** ﴾[2] والقسيس في النصارى كالصديق في الإسلام. وهو من قس أي قص أثر الرسول الذي دعاه على لسانه.

قال سلمان (رضي الله عنه) قرأت على رسول الله (ﷺ) ﴿ **ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً** ﴾ فأقرأني ذلك بأن منهم صديقين ورهباناً.

---

(١) القزع: بفتحتين قطع من السحاب رقيقة الواحدة: قزعة وفي الحديث كأنهم قزع الخريف، والقزع أيضاً أن يُحلق رأس الصبي ويترك في مواضع منه الشعر متفرقاً وقد نهي عنه. والقُنزعة بضم القاف والزاي واحدة القنازع وهي الشعر حوالي الرأس. وفي الحديث: « غطي عنا قنازعك يا أم أيمن ».

(٢) سورة المائدة آية رقم ٨٢.

وأما حلق أوساط الرؤوس فذلك علامة لضرب منهم أحدثوه فيما بينهم.

ولما بعث أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الجنود إلى الشام قال : « إنكم ستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم، وما حبسوا أنفسهم لله تعالى. وستجدون آخرين اتخذ الشيطان في أوساط رؤوسهم أفحاصاً[1]، فإذا أوجدتم أولئك، فاضربوا أعناقهم ». فالذين تركوا الدنيا وحبسوا أنفسهم في الصوامع واعتزلوا أمر بترك التعرض لهم. ولم يطالبوا بجزية لأنهم تركوا فتركوا؛ لأنهم كانوا صادقين في سبيلهم، وإن كانوا على ضلالة. والذين خرجوا من الصوامع فلم يصبروا على العزلة، وفحصوا عن أواسط رؤوسهم. فقد أخبر أبو بكر (رضي الله عنه) أن الشيطان دلهم على ذلك علامة لأنفسهم وتشهيراً وإظهاراً لما هم عليه، كأنه يدل على أن ذلك الصنف منهم بمنزلة من تزهد في هذا العصر، وهو غير صادق في ذلك، يريد بترك الدنيا، وقصد بلبس الصوف والخلقان وحفّ الشارب وتشمير الثياب والعمة المطوقة تحت الحنك والاستقصاء في الكحل إلى اللحاظ المراياة، فهذه علامات الطبقة الكاذبة المتزهّدة المتأكلة حطام الدنيا بما أظهروا من زيهم وشكلهم وتماوتهم وخشوع نفاقهم. فكذلك كان أولئك غير صادقين في عزلتهم في الصوامع. فلم يصبروا عليها، فخرجوا وقد حلقوا أوساط رؤوسهم ترائياً وتشهيراً لأمرهم. فأمر أبو بكر (رضي الله عنه) بضرب أعناقهم؛ لأنهم مع كفرهم لغير الله عملوا في دينهم. والذين تركوا وحبسوا أنفسهم، تركوا وما حبسوا

---

(١) الفحص: البحث عن الشيء وقد فحص عنه من باب قطع، وتفحص بمعنى. والافحوص بوزن العصفور مجثم القطاة لأنها تفحصه وكذا المفحص بوزن المذهب. يقال ليس له مفحص قطاة. وفي الحديث: « فحصوا رءوسهم » كأنهم حلقوا وسطها وتركوها مثل أفاحيص القطا.

لأنفسهم لأنهم صادقون في سبيلهم. قال الله تعالى : ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله** ﴾[1] ثم ذمهم فقال : ﴿ **فما رعوها حق رعايتها** ﴾[2].

فإنما نهى رسول الله (ﷺ) في شأن الصبي أن يحلق وسط رأسه للتشبه بهؤلاء الذين وصفناهم. وأما قصة هؤلاء الذين ابتدعوا الرهبانية : فقد روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله (عز وجل) : ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم** ﴾.

قال : كانت ملوك[3] بعد عيسى بن مريم (عليه السلام) بدلوا التوراة والإنجيل، فقال ناس لملوكهم : ما نجد شتماً أشد مما يشتموننا به، إنهم يقرأون : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[4] ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾[5] ﴿ ... **فأولئك هم الفاسقون** ﴾[6] مع ما يعيبوننا به من أعمالنا في قراءتهم. فادعهم فليقرأوا ما نقرأ، وليؤمنوا بما آمنا به. فدعاهم فجمعهم فعرض عليهم القتل، وأن يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها. فقالوا : وما

---

(١) سورة الحديد آية رقم ٢٧.

(٢) سورة الحديد آية رقم ٢٧.

(٣) قال الضحاك: إن ملوكاً بعد عيسى عليه السلام ارتكبوا المحارم ثلثمائة سنة فأنكرها عليهم من كان بقي على منهاج عيسى فقتلوهم، فقال قوم بقوا بعدهم: نحن إذا نهيناهم قتلونا فليس يسعنا المقام فيهم فاعتزلوا الناس واتخذوا الصوامع. وقال قتادة: الرهبانية التي ابتدعوها: رفض النساء واتخاذ الصوامع، وفي خبر مرفوع: « هي لحوقهم بالبراري والجبال ».

(٤) سورة المائدة آية رقم ٤٤.

(٥) سورة المائدة آية رقم ٤٥.

(٦) سورة المائدة آية رقم ٤٧.

تصنعون بقتلنا ؟ دعونا وابنوا لنا أساطيناً ادفعونا فيها واتركوا لنا شيئاً يُدلَّى فيه طعامنا ولا نؤذيكم.

وقالت طائفة أخرى منهم : دعونا نهيم في الأرض ونسيح، ونأكل مما تأكل منه الوحش، ونشرب مما تشرب منه الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم، فاقتلونا.

وقالت طائفة أخرى منهم : ابنوا لنا ديوراً في الفيافي، فنحتفر الآبار، ونحترث البقول ولا نؤذيكم ولا نمر بكم. وليس أحد من القبائل إلا له حميم فيهم، ففعلوا ذلك فيهم. وقال الآخرون ممن تعبد من أهل الشرك : نتعبد كما تعبد فلان، ونتخذ ديوراً كما اتخذ فلان، ونسيح كما ساح فلان. وهم في شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، وقد فني من فني منهم. فلما بعث رسول الله (ﷺ) ولم يبق منهم إلا قليل، انحط صاحب الصومعة من صومعته، وصاحب الدير من ديره، وصاحب السياحة من سياحته، فآمنوا به وصدقوه.

قال الله تعالى : ﴿ **فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون** ﴾[1]. وقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته** ﴾[2]. أي أجرين بايمانهم بعيسى (عليه السلام)، وبالتوراة والإنجيل، وإيمانهم بمحمد (ﷺ)، ﴿ **ويجعل لكم نوراً تمشون به** ﴾[3]. وقال: ﴿ **لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء** ﴾[4].

---

(١) سورة الحديد آية رقم ٢٧.

(٢) سورة الحديد آية رقم ٢٨.

(٣) سورة الحديد آية رقم ٢٨.

(٤) سورة الحديد آية رقم ٢٩.

قال أبو عبدالله : فعلى هذا المثال عاملت متزهدة زماننا. سمعت أنه مضى في السلف الصالح من الصحابة والتابعين قوم اجتزوا بالدون من الحال، فلبسوا الصوف والخلقان، وأكلوا النخالة، وامتنعوا من الشهوات، وشمروا الثياب، وامتنعوا من المخالطة صدقاً وتورُّعاً واحتياطاً لدينهم. كل ذلك خوفاً من الله تعالى أن يقدموا عليه متدنسين بحطام الدنيا، مفتونين فيها. وإنما فعل القوم ذلك لضعف يقينهم بمنزلة من امتنع من دخول البحر سباحة مخافة الغرق لعجزه عن السباحة. فلم يكتب الله تعالى هذا عليهم، بل أحل لهم الطيبات والزينة، ووسع عليهم، فابتدعوا تركها رهبة من الله تعالى، وكانوا فيها صادقين، فلم يعابوا ولم يذموا، لأنهم رعوا ما ابتدعوا حتى خرجوا من الدنيا مع صدق ما ابتدعوا ابتغاء رضوان الله تعالى، فخلف من بعدهم خلف اتبعوهم فيما ابتدعوه، وهم غير صادقين فيها، فأقبلوا على لبس الصوف والخلقان، وأكل النخالة والخبز المتكرج، يريدون بذلك إظهار الزهد، وقلوبهم مشحونة بشهوات الدنيا، تأكل دنياهم بدينهم، فما رعوها حق رعايتها، كما فعل أصحاب الصوامع والدّيور، واتبعوا القوم في فعلهم، وأسّ أمرهم على ضلالة.

عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال : قال لي رسول الله (ﷺ) : يا عبدالله بن مسعود. قلت : لبيك يا رسول الله. ثلاث مرات. قال : هل تدري أي عرى الإيمان أوثق ؟ قلت : الله ورسوله أعلم. قال : فإن أوثق عرى الإيمان الولاية في الله والحب فيه والبغض فيه. يا عبدالله ابن مسعود. قلت : لبيك يا رسول الله. ثلاث مرات. قال : هل تدري أي الناس أفضل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم. قال : فإن أفضل الناس أفضلهم عملاً إذا فقهوا في دينهم. يا عبدالله بن مسعود. قلت : لبيك يا رسول الله. ثلاث مرات. قال : هل تدري أي الناس أعلم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم. قال : فإن أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس، وإن كان مقصراً في العمل، وإن كان يزحف على أسته. واختلف من كان قبلنا على

ثنتين وسبعينة فرقة، نجا منهم ثلاث، وهلك سائرها. فرقة آذت الملوك وقاتلتهم على دين الله ودين عيسى بن مريم حتى قتلوا. وفرقة منهم لم يكن لهم بموازاة الملوك طاقة، فأقاموا بين ظهراني قومهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى بن مريم، فأخذتهم الملوك وقتلتهم وقطعتهم بالمناشير. وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا أن يقيموا بين ظهراني قومهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى بن مريم (عليه السلام)، فساحوا في الجبال وتزهدوا فيها، فهم الذين قال الله تعالى : ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون** ﴾[1] فالمؤمنون الذين آمنوا بي وصدقوني، والفاسقون الذين كذبوني وجحدوني[2].

فكأنه (ﷺ) يخبر في هذا الحديث أن الذين ساحوا وترهبوا هم الفرقة الثالثة التي قد نجت. وأن الذين أخبر أنهم ما رعوها حق رعايتها قوم جاءوا من بعدهم يقتدون بهم في ذلك، وليسوا على صدق من أمرهم. أخذوا بظاهر أمرهم وفعلهم، فساحوا ولزموا الدّيور والصوامع، وتركوا سبيل أصحابهم الذين مضوا على ذلك.

---

(١) سورة الحديد آية رقم ٢٧.

(٢) الحديث رواه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير ٢ : ٤٨٠ ــ حدثنا محمد بن صالح ابن هانئ، ثنا يحيى بن محمد، بن يحيى الشهيد، ثنا عبد الرحمن بن المبارك ثنا الصعق ابن حزن عن عقيل بن يحيى عن أبي اسحاق الهمداني عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ في قوله تعالى: وذكره.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: ليس بصحيح، فإن الصعق، وإن كان موثقاً فإن شيخه منكر الحديث، قاله البخاري.

الأصل السادس

في حسن حال المؤمن المحتضر

عن عبد الرحمن بن سمرة قال : سمعت معاذ بن جبل (رضوان الله عليهم أجمعين) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « ما من نفس تموت تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يرجع ذلك إلى قلب موقن، إلا غفر الله له »[1].

قال أبو عبدالله : هذه شهادة شهدها عند الموت، وقد ماتت منه الشهوات، وذهلت نفسه الأمارة لما حل به من هول الموت، وذهب حرصه ورغبته، وسكنت منه أخلاق السوء، وذل وانقاد، وألقى بيده سلماً لرب العالمين، إلقاء العبيد فاستوى الظاهر منه بالباطل، فلقي الله عبداً مخلصاً، فغفر الله له بتلك الشهادة الصادقة، التي وافق ظاهره باطنه. فأما الذي يقوله أيام صحته، فقوله مع التخليط لأنه يشهد بهذه الشهادة وقلبه مشحون بالشهوات والأماني، ونفسه شرهة بطرة ميتة على الدنيا عشقاً وحرصاً وولوعاً، وعلى الأركان من الأفعال علامة ما في باطنه، فلا

---

(١) رواه أحمد والبزار طرفاً منه في الصيام فقط عن حذيفة وقال صاحب مجمع الزوائد رجاله ثقات : وروى الطبراني في الأوسط عن علي قال : « قال رسول الله ﷺ : مَن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم يدخل النار » وفيه أبو بلال ضعفه الدارقطني.

يستوجب بذلك القول المغفرة. ولهذا ما روي في حديث آخر عنه (ﷺ) أنه قال : « لا يقولها عبد عند الموت إلا هدمت ذنوبه ». قيل : فكيف يا رسول الله لمَن قالها في الصحّة ؟ قال : « هي أهدم وأهدم ».

وإنما هدمت ذنوبه لأنه قالها وقد ماتت منه شهواته، وندم على ما فرط منه ندماً صحيحاً، فهو تائب صادق، والتائب الصادق على موعود الله تعالى في تنزيله أن ﴿ **يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات** ﴾[1] ويكفر عنه ويدخله الجنة. قيل : فكيف من قالها في الصحة ! فإنما يقولها في الصحة على تلك الصفة التي هي عند موته، بعد رياضة نفسه وموت شهواته وحرصه ورغبته، وبعد زهادته فيها، وصفائه عن التخليط، فهي أهدم وأهدم. فأما المخلط عبد نهماته وشهواته، عبد دنياه، عبد درهمه ودينار، فلا نعلم أن قوله هذا يهدم ذنوبه، حتى يصير مغفوراً له بهذه الكلمة، لأنه لا ترجع هذه الكلمة منه إلى قلب موقن، كما اشترط الرسول (ﷺ) في حديثه، بل ترجع هذه الكلمة منه إلى قلب مفتون بدنياه، مأسور بشهوات نفسه، سكران عن الآخرة، حيران عن الله تعالى، فقلبه ميال الى الهوى. والقلب الموقن الذي وصفه رسول الله (ﷺ) هو القلب الذي استقر لربه، واطمأن بحكمه، وقنع بقسمه، وانقاد لأمره، وشخصت عيناه إلى رحمته، قد أيس من كل شيء إلا من رحمته، فهو الذي إذا قالها، هدمت ذنوبه؛ لأنه صادق في قوله. وإنما سمِّي اليقين[2] يقيناً لاستقراره

---

(١) سورة الشورى آية رقم ٢٥.

(٢) اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتهما. وقال المحققون: اليقين من الايمان بمنزلة الروح من الجسد، وفيه تفاضل العارفون وتنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وعمل القوم إنما كان عليه، وإشارتهم كلها إليه، وإذا تزوج الصبر باليقين، ولد بينهما حصول الأمانة في الدين. قال تعالى: ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يؤمنون** ﴾. سورة السجدة آية رقم ٢٤. وقال بعض العارفين:

اليقين الصريح رؤيتك الشيء ... وما للفؤاد فيه هيام
لم يغيرك فيه ذم ولا يطعنك مدح ولا عليه كلام

في القلب وهو النور. يقال في اللغة : « يقن الماء في الحفرة » أي استقر. فإذا استقر النور، دام. وإذا دام صارت النفس ذات بصيرة فاطمأنت، فتخلص القلب من اشتغاله ودوائره.

وإنما استقر اليقين في القلب لأن العبد جاهد نفسه في الله حق جهاده على الصدق واليقظة من خدعها، والتحرز من آفاتها، حتى بلغ بها غاية الرياضة، وانقطع عاجزاً، فاستغاث بالله تعالى صارخاً مضطراً، فأجابه، فإنه يجيب المضطر ويكشف السوء ويجعله من خلفاء الأرض. كذلك وعد في تنزيله، فقذف النور في قلبه، ففلق تلك الظلمات التي ركدت في صدره على قلبه، فانكشف الغطاء، وصار أمر الملكوت له معاينة بقلبه، وهو قول حارثة لرسول الله (ﷺ) حيث قال : كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً. فقال رسول الله (ﷺ) : عبد نور الله (عز وجل) الإيمان في قلبه . وهذه كلمة جارية فيما جاء في الخبر من دعوة إدريس (عليه السلام)، وأن موسى (عليه السلام) علم ذلك في زمانه، وأن نبينا (ﷺ) أعطى ذلك في زمانه، فكان يدعو بهن، وهي قوله : « يا نور كل شي وهداه، أنت الذي فلق الظلمات نوره ».

قال رسول الله (ﷺ) : من قال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير، مخلصاً بها روحه، مصدقاً بها لسانه وقلبه، فتقت له السماء فتقاً، حتى ينظر الرب إلى قائلها من أهل الدنيا، وحق لعبد إذا نظر الله اليه أن يعطيه سؤله ».

فالروح يخلص من شهوات النفس وأسرها، وكذلك القلب. فإذا نطق اللسان بالكلمة، لم تنازعه النفس ولا القلب ولا الروح، فكان ذلك صدقاً، فقبل منه.

عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من قال : « لا إله

إلا الله » مخلصاً، دخل الجنة ».[1] قيل : يا رسول الله وما إخلاصها ؟ قال : « أن يحجره عن المحارم » ولهذا قال رسول الله (ﷺ) لمعاذ : يا معاذ أخلص يكفيك القليل من العمل .

وعن زيد بن أرقم أيضاً (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن الله عهد إليَّ أن لا يأتيني أحد من أمتي بلا إله إلا الله لا يخلط بها شيئاً إلا وجبت له الجنة » قالوا : يا رسول الله، وما الذي يخلط بها ؟ قال : « حرصاً على الدنيا وجمعاً لها ومنعاً لها، يقول بقول الأنبياء، ويعمل عمل الجبابرة »

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) فيما يذكر عن ربه (عز وجل) : « ان المؤمن مني بعرض كل خير اني أنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمدني». والعبد إنما يحمد الله وهو يقبض أعز شيء عليه بموت شهواته. ولهذا إذا رد إلى أرذل العمر، وتبرم بالحياة، وإذا انقطعت علايقه من الدنيا، وتخلص القلب من آفات النفس، فنطق بالكلمة العظيمة، استنار بها قلبه، واطمأنت بها نفسه، وأخلص بها روحه، فاستوجب المغفرة. ولهذا كان السلف (رحمهم الله) يستحبون أن يلقنوا المحتضر هذه الكلمة، ويتعاهدونه بها. وقال رسول الله (ﷺ) : « لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله »[2].

---

(١) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب الإيمان باب ١٧ ما جاء فيمَن وهو يشهد أن لا إله إلّا الله ٢٦٣٨ وفيه تغيير (حرم الله عليه النار) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وعن الزهري : بلفظ الحديث.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب الجنائز ٧ باب ما جاء في تلقين المريض عند الموت والدعاء له عنده، ٩٧٦ ــ حدثنا بشر بن المفضل عن عمارة بن غزية، عن يحيى بن عمارة عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ وذكره. ورواه الإمام مسلم في كتاب الجنائز (١) باب تلقين الموتى: لا إله إلا الله ١ ــ (٩١٦) بالسند السابق وأيضاً حدثني عمرو =

فهذا عبد ركبته أهوال الآخرة، فريضت نفسه بها عند الموت، فنطق بها، فغفر له. ومن راض نفسه أيام حياته، فتح له إلى الغيب، فركبته أهوال سلطان الله الكريم، وعظيم جلاله، فنطق بها عن مثل ذلك القلب، فهو للمغفرة أقمن وأخلق.

= الناقد، قالوا جميعاً: حدثنا أبو خالد الأحمر عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم عن أبي هريرة ــ قال رسول الله ﷺ وذكره.

ورواه ابن ماجه في كتاب الجنائز ٣ باب ما جاء في تلقين الميت لا إله إلا الله ــ ١٤٤٤ ــ حدثنا أبو خالد الأحمر، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

الأصل السابع

في ترجيح الرجاء على القنوط[1]

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « الفاجر الراجي لرحمة الله تعالى أقرب منها من العابد ».

المقنط لجهله بالله بعد من رحمة الله. وإنما رجاء العبد بالله على قدر معرفته بالله وعلمه بجوده وكرمه. والقنوط من الجهل. ألا يرى إلى قوله تعالى : ﴿ **ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون** ﴾[2].

والمقنط إنما يقنط غيره لقنوطه. فهو ضال عن ربه. وما تغني العبادة مع الضلالة، وقال تعالى : ﴿ **إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾[3].

واليأس من روح الله في الدنيا عند النوائب والكربات من سوء الظن

---

(١) القنوط: اليأس وبابه جلس، ودخل، وطرب، وسلم، فهو قنط وقنوط وقانط وقرئ: فلا تكن من القنطين. وقناطة، وقنط يقنط كجعل يجعل أي يئس، وقنطه غيره قال تعالى: ﴿ **لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾

(٢) سورة الحجر آية رقم ٥٦.

(٣) سورة يوسف آية رقم ٨٧.

بالله تعالى. ومن ساء ظنه بالله، انقطع عن الله تعالى، وتعلق بخلقه، واستعاذ بالحيل. ولا يلجأ إلى ربه. وكذلك القانط من رحمته قلبه متعلق بالجهد من الأعمال طالباً للنجاة بها. وإذا فكر في ذنوبه ألقى بيديه نفسه الى التهلكة، ورفض العمل.

وروي عن الحسن البصري (رحمه الله) أنه سئل عن القنوط[1] فقال : ترك فرائض الله في السر، معناه إذا تراكمت عليه الذنوب أيس من نفسه، فرفض الكل وقال : قد استوجبت النار. وقد كان وقع عندي بعض من رزقة الله الإنابة فجعل يصوم، فقلت له : ما هذا ؟ قال : صوم شهر رمضان. قلت : أو لم تكن تصومه ؟ قال : لا. قلت : لِمَ؟ قال : كان أصحابي لا يصومونه. قلت : وهم في الكورة معنا ؟ قال : نعم. قلت : وما حملهم على ذلك ؟ قال : كانوا يقولون : عملنا هذه الأعمال من سفك الدماء وأخذ الأموال وسائر المعاصي، فما يغني عنا الصوم والصلاة ! وكانوا لا يصومون رمضان ولا يصلون المكتوبات إلا على أعين الناس. يقولون : قد استوجبنا النار. فقلت : هؤلاء قوم أدركهم سخط الله، فقنطوا من رحمته.

عن جابر بن عبدالله (رضي الله عنهما) قال : خرج علينا رسول الله (ﷺ) فقال : خرج من عندي خليلي جبرائيل (عليه السلام) آنفاً، فقال لي : يا محمد، والذي بعثك بالحق إن لله تعالى لعبداً من عباده عَبَدَ اللهَ خمسمائة سنة على رأس جبل في البحر، عرضه وطوله ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية، وأخرج الله تعالى له عيناً بعرض الإصبع تبض بماء عذب، فيستنقع

---

(١) قَنَطَ يَقْنُط قنوطاً، وقنط يقْنَط ــ كفرح يفرح وقنطاً وقناطة وقنطه غيره قال تعالى : ﴿ **لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾ سورة الزمر آية رقم ٥٣.

في أسفل ذلك الجبل، وشجرة رمانة تخرج كل ليلة رمانة، فتغذيه يوماً، فإذا أمسى، نزل فأصاب من الوضوء، وأخذ تلك الرمانة وأكلها. ثم قام لصلاته. فسأل ربه (عز وجل) عند وقت الأجل أن يقبضه ساجداً، وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء يفسده عليه سبيلاً حتى يبعثه ساجداً، ففعل ذلك، فنحن نمر به إذا هبطنا وإذا عرجنا، ونجد في العلم أنه يبعث يوم القيامة، فيوقف بين يدي الله تعالى، فيقول الرب (عز وجل) : أدخلوا عبدي الجنة برحمتي. فيقول : بل بعملي يا رب. فيقول : أدخلوا عبدي الجنة برحمتي. فيقول : بل بعملي يا رب. فيقول للملائكة : قايسوا عمل عبدي بنعمي عليه وبعمله. فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة، وبقيت نعم الجسد فضلاً عليه. فيقول : أدخلوا عبدي النار. فينادي : يا رب برحمتك أدخلني الجنة. فيقول : ردوه. فيوقف بين يديه. فيقول : يا عبدي من خلقك ولم تك شيئاً ؟ فيقول : أنت يا رب. فيقول : أفكان ذلك من قبلك أم برحمتي ؟ فيقول : بل برحمتك. فيقول : من قواك لعبادتي خمسمائة سنة ؟ فيقول : أنت يا رب. فيقول : من أنزلك في جبل وسط البحر، وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح، وأخرج لك كل ليلة رمانة، وإنما تخرج الشجرة في السنة مرة، وسألتني أن أقبضك ساجداً، ففعلت ذلك بك. فيقول : أنت يا رب. فيقول : فذلك رحمتي، وبرحمتي أدخلك الجنة. أدخلوا عبدي الجنة برحمتي. فنعم العبد كنت يا عبدي. فأدخله الله الجنة. قال جبرائيل (عليه السلام) : إنما الأشياء برحمة الله تعالى يا محمد .

عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله (ﷺ) : « انه ليس أحد منكم ينجيه عمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته »[1].

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب الرقاق ١٨ باب القصد والمداومة على العمل بسنده عن أبي هريرة وفي الباب عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ ١٨ باب القصد والمداومة على =

وهذا الذي سأل رسول الله (ﷺ) فقال : « ولا أنت » كان أيضا في عمى من هذا الأمر. فإن الله منَّ عليه بالنبوة، وشرح الصدر، وكل ذلك رحمة منه. قال الله تعالى : ﴿ **وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك** ﴾[1].

= العمل. ورواه الإمام مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٧ باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى. حدثنا ليث عن بكير عن بسر بن سعيد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦.

ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد ٢٠ باب التوقي في العمل ٤٢٠١ ــ حدثنا شريك ابن عبدالله عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

قال صاحب مجمع الزوائد: هذا إسناد حسن، وشريك مختلف فيه.

ورواه الدارمي بسنده عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ قاربوا وسددوا واعلموا أن أحداً منكم الخ.

(١) سورة القصص آية رقم ٨٦.

الأصل الثامن

في بيان أن التعلق بالأسباب[1] مع التوحيد لا يضرّ

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) كان إذا أشفق من الحاجة أن ينساها، جعل في يده خيطاً ليذكرها أو يذكره.

الذكر والنسيان من الله تعالى، إذا شاء ذكر، وإذا شاء أنسى. وربط الخيط سبب من الأسباب؛ لأنه نصب العين. فإذا رآه ذكر ما نسي. فهذا سبب موضوع دبره رب العالمين لعباده كسائر الأسباب. تحرز الأشياء بالأبواب والأقفال والحراس، ويستشفى من الأسقام بالأدوية، وتقبض الأرزاق والأقوات بالطلب، وكل أمر بحيلة وسبب، والأرض تخرج نباتها بالماء. وهذا تدبيره في عباده. والخيط والذكر والشفاء وإيصال الأرزاق كل ذلك

---

(١) السبب: الحبل الذي يصعد به، وجمعه أسباب قال تعالى: ﴿ **فليرتقوا في الأسباب** ﴾، والاشارة بالمعنى الى نحو قوله: ﴿ **أم لهم سلم يستمعون فيه** ﴾ وسمي كل ما يتوصل به الى شيء سبباً قال تعالى: ﴿ **وآتيناه من كل شيء سبباً فأتبع سبباً** ﴾ ومعناه أن الله تعالى أتاه من كل شيء معرفة وذريعة يتوصل بها، فأتبع واحداً من تلك الأسباب وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ **لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات** ﴾ أي لعليّ أعرف الذرائع والأسباب الحادثة في السماء.

بيده يجريها على الأسباب. فأهل اليقين لا تضرهم الأسباب، وهم الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) يمضون عليها فيحترزون ويتداوون ويحترفون ويحتالون، لأنه تدبير الله تعالى. كذا دبر لعباده أن يجري أمورهم على الأسباب، امتحاناً منه لهم، لينظر من يتعلق قلبه بالأسباب، فتصير فتنة عليه، ومن يتخلى عنها، فيكون مع ولي الأسباب وخالقها، فيسلم من فتنة الأسباب لأن الأسباب لا تملكه. فإنهم في الجملة كلهم آمنوا واعترفوا بأن الأشياء كلها من الله تعالى، ثم صاروا على ضربين: فضرب منهم توالت على قلوبهم الغفلات، وركدت أشغال الشهوات وظلمتها على قلوبهم فحجبتهم عن الانتباه، فصاروا كالنيام والسكارى عن رؤية هذا وذكره. فإذا ذكروا، ذكروا. فاذا انبهوا، انتبهوا. ثم عادوا إلى رقدتهم وغفلتهم، فصار ذلك لهم كالخبر.

والآخرون هم أهل اليقين، قد خرجوا بيقينهم من الغفلة، فالذكر على قلوبهم دائم، والأمور لهم معاينة كيف يجريها، وكيف يدبرها. فليس الخبر كالمعاينة. فإن استعملوا الأسباب، لم تضرهم. فكذلك هذا الخيط لما ربطه صار نصب عينه علامة، إذا وقع بصره عليه، ذكر ما نسي. ثم لا يحجبه ذلك الخيط عن صنع الله تعالى، انه هو الذي ذكره بهذا الخيط. وحين ربطه لم يطمئن إلى الخيط، ولم يركن ركون أهل الغفلة، بل ربطه ابتغاء موافقة تدبير الله تعالى الذي وضعه لعباده. وكذلك تداويه من أسقامه، وطلبه لمعاشه، وأخذه الجنة في الحرب، وحفره الخندق من أجل العدو، وظاهر يوم أحد بين درعين. ولا يظن برسول الله (ﷺ) أنه مال إلى الشيء من الأسباب غفلة مقدار طرفة عين.

الأصل التاسع

في مرتبة روح المؤمن

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ رضي الله عنه »[1] وذكر يوماً عنده أن العرش اهتز لحب الله لقاء سعد. فقال ابن عمر : إن العرش ليس يهتز لموت أحد ولكن سريره الذي حمل عليه.

وأحسب أن ابن عمر قصد بما دفع من ذلك تعظيماً للعرش، فهاب هذه الكلمة إذ كان العرش أعلى شيء من خلقه وصفته ومنظره الأعلى، وموضع تسبيحه ومظهر ملكه ومبدأ وحيه ومحل قربه. ولم ينسب شيئاً من خلقه كنسبته، فقال : « ذو العرش »، كما قال : « ذو الجلال، وذو العز، وذو الكبرياء، وذو القدرة، وذو العظمة، وذو البهاء، وذو الرحمة، وذو الملك ». ولم يجز أن يقال : « ذو السموات، وذو الأرض، وذو

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة ٢٤ باب من فضائل سعد بن معاذ ــ رضي الله عنه ــ ١٢٤ ــ حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه الإمام البخاري في مناقب الأنصار ١٢، والترمذي في المناقب ٥٠ وابن ماجه في المقدمة ١١ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ٢٣٤، ٢٩٦، ٣١٦، ٣٤٩ (حلبي).

الكرسي، وذو اللوح ».، فلم يعط كلمة « ذو » من خلقه إلا للعرش فقط للقرب. و « ذو » كلمة لحق واتصال وظهور ومبدأ. فكأن ابن عمر (رضي الله عنه) لحظ إلى هذه الناحية، فدفع أن يكون يهتز لموت أحد. وأما سائر العلماء فلا نعلمهم دفعوا هذا القول. فإن للمؤمن عند الله تعالى مراتب علية، قد أتت بها الأنبياء من عند الله تعالى تنزيلاً، منها قوله تعالى : ﴿ **والله ولي المؤمنين** ﴾[1]

وقول تعالى : ﴿ **ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا** ﴾[2].

وقوله تعالى : ﴿ **هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير** ﴾[3].

وقوله تعالى : ﴿ **وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً** ﴾[4].

وقوله تعالى : ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾[5].

وقوله تعالى : ﴿ **ولدينا مزيد** ﴾[6].

ومنها قوله (ﷺ) : « إن المؤمن أكرم على الله عز وجل من الملائكة المقربين »[7].

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٦٨.

(٢) سورة محمد آية رقم ١١.

(٣) سورة الحج آية رقم ٧٨.

(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٤٧.

(٥) سورة يونس آية رقم ٢٦.

(٦) سورة ق آية رقم ٣٥.

(٧) الحديث عند ابن ماجة في كتاب الفتن ٣٩٤٧ ـ ثنا أبو المُتهزِّم يزيد بن سفيان، سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: وذكره. في الزوائد: إسناده ضعيف لضعف يزيد بن سفيان.

ومنها قوله (ﷺ): « المؤمن أعظم حرمة عند الله من الكعبة »[1].

ومنها قول معاذ بن جبل (رضي الله عنه): إن المتقين في الجنة لا يستتر الرب منهم ولا يحتجب.

ومنها ما جاء في شأن الزيارة في الأخبار ووضع المنابر والأسرة والكراسي لهم على مراتبهم في مجلس الجبار (جل جلاله). فروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : لا يبقى أحد يومئذ في ذلك المجلس إلا حاضره الله تعالى محاضرة، حتى أنه ليقول : يا فلان أتذكر غدرتك يوم كذا ؟ فيقول : أو لم تغفرها لي ؟ فيقول : بلى.

عن أبي هريرة، وأبي الدرداء (رضي الله عنهما) قالا : قال رسول الله (ﷺ) : « إن في بيوت المؤمنين لمصابيح إلى العرش يعرفها مقربو الملائكة من السموات السبع يقولون هذا النور من بيوتات المؤمنين التي يتلى فيها القرآن »[2] وأعظم بنور يكون هناك في نور العرش مستبيناً حتى يعرفه مقربوا الملائكة ! واعتبر في الدنيا بنور الشمس أي نور يستبين في جنبه ؟ فكيف بالنور الذي يستبين في نور العرش هناك !

عن النعمان بن بشير (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن ما تذكرون من جلال الله تعالى من تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن

---

(١) ولذلك قال الله تعالى: ﴿ **ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلًا** ﴾

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الأدب ٣٨٠٩. عن عون بن عبدالله عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : وذكره.
في الزوائد : إسناده صحيح، ورجاله ثقات وأخو عون اسمه عبدالله بن عتبة.

لصاحبهن أفلا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الرحمن (جل جلاله) شيء يذكر به ».

وقد جاءت أحاديث في وفاة سعد بن معاذ (رضي الله عنه) تكشف عن التأويل. عن جابر (رضي الله عنه) قال : اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ.

وعن أنس (رضي الله عنه) قال : افتخر الحيان من الأنصار الأوس والخزرج، فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة ابن الراهب، ومنا من اهتز لموته عرش الرحمن سعد بن معاذ، ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت بن الأفلح، ومنا من اجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت، فقالت الخزرج : منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه أحد غيرهم زيد بن ثابت، وأبو زيد، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل (رضوان الله عليهم أجمعين).

وعن الحسن البصري (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لقد اهتز عرش الرحمن لوفاة سعد بن معاذ فرحاً به فرحاً به فرحاً به »[1] وإذا كان العبد يفرح خالق العرش بلقائه، ففرح العرش يدق.

---

(١) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب المناقب باب ٥١ في مناقب سعد بن معاذ ــ رضي الله عنه ــ ٣٨٤٨ ــ حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره. قال الترمذي وفي الباب عن أسيد بن حضير وأبي سعيد وهذا حديث حسن صحيح وليس فيه (فرحاً به) ورواه ابن ماجه في المقدمة ١١ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ٢٣٤، ٢٩٦، ٣١٦ (حلبي).

الأصل العاشر

في أن الحرص والاعتراض والعجلة شؤم

عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم » أو قال : « لو لم تغترف الماء لكانت زمزم عيناً معيناً »[1].

أنبأ أن الحرص داخل بالفساد على الأشياء. لأن الحرص من النهمة، والآدمي خلق محتاجاً عجولاً، فهو ينتظر الأسباب ويحرص عليها، وإن كان معترفاً على حدّ الإيمان بالله تعالى أنه مسبّب الأسباب، وهذا لأهل اليقين. أمّا أهل الغفلة فهم مفتونون مشغولون بالأسباب عن خالق الأسباب. وأم إسماعيل أدركتها الضرورة مع كربة الغربة، فأخذت تعدو في طلب الماء هكذا وهكذا وتستغيث، فلمّا جاءها الغياث أدركتها العجلة فاغترفت وأحرزته في وعائها، فانقطع المدد، فأخبر

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الأنبياء ٩ باب ٣٣٦٢ حدّثنا وهب بن جرير عن أبيه عن أيوب عن عبدالله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس ــ رضي الله عنه عن النبي ــ ﷺ ــ قال وذكره وفي المساقاة. وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٣٤٧ (حلبي).

رسول الله (ﷺ) أنها لو اطمأنت في ذلك الوقت إلى من أجرى لها ذلك لجرت وبقيت جارية، لكنها شغلت بالموجود عن الذي أوجده، وحملتها النفس على الإحراز لتطمئن به. وهو قول سلمان (رضي الله عنه) حيث رؤي يحمل جراباً، فقيل له : ما هذا يا أبا عبدالله ؟ قال : إن النفس إذا أحرزت قوتها، اطمأنت. فهذا عمل النفس وليس عمل القلب، لأن القلب موقن أن الرزق هو الذي يوصله الله تعالى إليه في وقته. والنفس في عماها وظلمتها تزعم أن الرزق هو الذي توعيه في جرابها. فصاحبه في بلاء من وسوسته وتقاضيه فإذا أراد صاحبه أن يتخلص من وسوسته، أسعفها بذلك، كما فعل سلمان (رضي الله عنه) فيطمئن إلى ذلك.

وقد يهيِّئ الله تعالى له الرزق المكتوب من غير ذلك الذي هيّأه في جرابه، والذي أوعاه يسلط عليه غيره، فيصير رزق غيره حتى يتبين كذبها وجهلها. فمن أحرز ذلك فلطمأنينة نفسه، والخلاص من وسواسها. وهذا فعل يدخل فيه نقص على أهل التوكل والأنبياء والأولياء (عليهم السلام).

والعارفون في خلو من هذا؛ لأن الشهوات منهم قد ماتت، والنفس قد اطمأنت بخالقها، والقلوب منهم قد حييت بالله تعالى، والصدور منهم قد أشرقت بنور الله تعالى، والأركان منهم قد خشعت لله تعالى. فسواء عليهم أحرزوا أو لم يحرزوا، فإن أحرزوا، فليس ذلك منهم إحرازاً، إنما هو شيء قد ائتمنوا عليه فأخذوه من الله تعالى بأمانة وقفوها على نوائب الحق سبحانه وتعالى، قد امتلأت قلوبهم من عظمة الله تعالى، فلم يبق للدنيا بما فيها موضع إبرة توجد حلاوتها ولذتها وشهوتها هنالك، فقد ارتفعت فكر شأن الأرزاق والمعاش عن قلوبهم، وتعلقت نفوسهم بقلوبهم، وتعلقت قلوبهم بخالق الأرزاق وعالم التدبير، فقالوا حسبنا الله، فخرجت هذه الكلمة منهم من قلب حي بالله تعالى، على سكون من النفس، فلم يبق في صدورهم اختلاج، ولا تنازع، ولا ريب، فاستقرت الأركان. فمتى ما وقع

بأيديهم شيء من الدنيا، لم يحبسوها لأنفسهم، وعدوها أمانة قد ائتمنهم الله عليها، كما قال رسول الله (ﷺ) : « إنما أنا خازن، أقسم والله يعطي، فأنا أبو القاسم، أقسم والله يعطي »[1].

عن أنس (رضي الله عنه) قال : كان رسول الله (ﷺ) لا يدخر شيئاً لغد. وعن أنس (رضي الله عنه) قال : كنت خادم رسول الله (ﷺ) عشر سنين، فأُهدي له طيران، فتعشى بأحدهما، وخبأت له أم أيمن الآخر، فلما أصبح قال : يا أم أيمن : هل عندك من غداء ؟ قالت : أحد الطيرين. قال : « يا أم أيمن أما علمت أن أخي عيسى (عليه السلام) كان لا يخبأ عشاء لغداء، ولا غداء لعشاء، يأكل من ورق الشجر، ويشرب من ماء المطر، يلبس المسوح، ويبيت حيث يمسي، ويقول : يأتي كل يوم برزقه ». قالت : يا رسول الله لا اخبأ لك شيئاً بعدها.

عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (ﷺ) قال : أطعمنا يا بلال، قال : ما عندي إلا صبر من تمر خبأته لك. فقال : أما تخشى أن يخسف الله به نار جهنم، أنفق يا بلال، ولا تَخْشَ من ذي العرش إقلالاً.[2]. وخبأت أم سلمة قدرة من لحم لرسول الله (ﷺ) فوضعته

---

(١) رواية البخاري في كتاب فرض الخمس ٧ باب قول الله تعالى ٤٢ الأنفال ﴿ **فإن لله خمسه** ﴾ ٣١١٧ ــ عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال: وذكره مع تغيير في بعض الألفاظ. ورواه الامام مسلم في كتاب الزكاة ٣٣ باب النهي عن المسألة ٩٨ عن عبدالله بن عامر اليحصبي قال سمعت معاوية يقول إياكم وأحاديث إلا حديثاً كان في عهد عمر فإن عمر كان يخيف الناس في الله عز وجل، سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره، مع اختلاف في بعض الألفاظ وبزيادة (من يرد الله به خيراً يفقه في الدين).

(٢) الحديث رواه الطبراني في الكبير والقضاعي في مسنده عن ابن مسعود قال دخل النبي ﷺ على بلال وعنده سُبْرة من تمر فقال ما هذا يا بلال ؟.. قال يا رسول الله ذخرته لك ولضيفانك قال: أما تخشى أن يفور لها بخار من جهنم: انفق بلال الحديث. =

في كوة. فلما دخل رسول الله (ﷺ)، قربته إليه، فإذا هي قطعة كدانة أو حجر، فلما رآه قال : هل سأل بالباب سائل ؟ قالت : نعم. قال : فمن أجل ذلك. أو كما قال.

عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لو توكلتم على الله (عز وجل) حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً »(١). قال في تنزيله : ﴿ **وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها** ﴾(٢).

ثم قال : « وإياكم » أخبر أن المتوكل يرزق كما يرزق الطير. قال له قائل : فإن رسول الله (ﷺ) أدخل قوت سنة لعياله، وقد تواترت الأخبار بذلك من فعله، أجاب وقال : ليس الإدخال من الادخار في شيء. إنما قسم رسول الله (ﷺ) مال خيبر مما أفاء الله عليه، فأدخل لعياله من الخمس قوتهم. وكذلك من فيء قريظة والنضير، وتلك أمانة ائتمنه الله عليها، وسلطه على ذلك، وصرفها في نوائب الحق، والقلب منه خال ملك

= وذكره النجم عن أبي هريرة أيضاً بلفظ: أما تخشى يا بلال أن ترى لها بخاراً في نار جهنم، ورواه العسكري في الأمثال، وكذا البزار في مسنده عن عائشة بلفظ: قالت: قال رسول الله ﷺ: أطعمنا يا بلال فقال يا رسول الله ما عندي إلا صبرة من تمر خبأته لك فقال: أما تخشى أن يقذف بها في نار جهنم، أنفق: الحديث.

وأخرجه البزار أيضاً عن أبي هريرة بلفظ: أن رسول الله ﷺ دخل على بلال وعنده سُبْرة من تمر فقال: ما هذا.. ؟ قال: أدخره فقال: أما تخشى أن ترى له بخاراً في نار جهنم، انفق الحديث، ورواه البيهقي في الشعب عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه أيضاً مرسلاً عن أبي سيرين. راجع كشف الخفا ١: ٢٤٣، ٢٤٤.

(١) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الزهد ١٤ باب التوكل واليقين ٤١٦٤ أخبرني ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن أبي تميم الجيشاني قال سمعت عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره.

(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٦٠.

من الملوك غني بالله، حر من الأحرار فماذا ضره ؟ وهل كان سبيل ذلك المال الذي أوتي إلا هكذا أن يصرفه في نوائب الحق. فصرفه في الكراع والسلاح، وفي ذوي الحاجات من الأباعد، فما باله يحرم عياله؟ فلم يجئك في الخبر أنه أدخل قوت سنة لنفسه، إنما ذلك لعياله، وعياله كسائر الناس. ولا يحمل عياله ما لا يطيقونه. وإنما يطيق هذا الأنبياء والأولياء وأهل اليقين الذين بهم تقوم الأرض، قد طهرت قلوبهم، وتنزهت نفوسهم من تهمة الله تعالى، ألا ترى إلى قول رسول الله (ﷺ) حيث قال له ذلك الرجل : أوصني بوصية قصيرة. قال : « اذهب فلا تتهم الله في نفسك »[1].

وقد كان رسول الله (ﷺ) يخزن ما يقع بيده من المال لنوائب الحق، لا لنفسه. وقد كان يصرفها في السلاح والكراع لحاجتهم في ذلك الوقت إلى ذلك. فكان يرفع مقدار قوت نسائه ليعلم ما يبقي هنالك، فيصرفه في هذه الوجوه.

وقد أمر الله تعالى بخزن الأموال وحفظها، فقال تعالى : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً** ﴾[2] فإذا أحرزه، فإنما يحرزه لما ينوب من حقوق الله تعالى حتى يصرفه فيه، فهو مأجور فيه وخازن من خزانه. ومن أحرزه ليتخذه عدة لنوائب نفسه ودنياه وهو في نقص وإدبار وخذلان من الله تعالى، ومسئول غداً عن كل درهم من أين ؟ ولم ؟ وفي أين ؟ فما قسم لعياله كان مثل ما قسم لغيره، فإنه إحدى نوائب الحق. ولأن نفوس أزواجه كانت لا تطمئن إلا على الإحراز، فلم يكلفهن ما ليس ذلك لهن مقام. وإنما زجر بلالاً في حديثه لأنه قال : « خبأته لك » وكذلك أم أيمن، وأم سلمة، فإنها قالت : « خبأته لك ».

---

(١) لا يتّهم الله : أي يكون راضياً في كل حالاته في الضيق والفرح في الصبر والغضب في الفرح والحزن، وهذه وصيّة جامعة. وما أحرى المسلم أن يأخذ نفسه بها.

(٢) سورة النساء آية رقم ٥.

فأما عياله فقد كان يبعث إليهم بما يبقى عندهم أياماً. فأما أم إسماعيل فإن فعلها كان في حال الضرورة، فلما زالت الضرورة، أخذتها عجلة النفس، فجعلته في الوعاء، فامتنع ما ظهر، فانقطع المدد. وإنما كان ذلك بدؤه من الكرام. فلو تلقاه كرم الآدمية لكان شكراً، والشاكر يستحق المزيد، ولكان يجري ولا ينقطع المدد. ولكنها تلقته بلؤم النفس، فإن النفس لئيمة، فتراجع الكرم وأعرض مولياً لما لم يجد له قابلاً يحسن قبوله. وكانت تلك عين سوغ الله (عز وجل) لها مخرجها من الجنة إلى تلك البقعة من دار الدنيا. وبعث جبرائيل (عليه السلام) فكانت منه هزمة بعقبه، فانبعث الماء. فكان ذلك من كرم ربنا عاملها على بغيتها. فكان اللائق بهذا الفعل أن تأخذ منها حاجتها على تؤدة وإناءة وسعة صدر وحياء وتكرم وتعفف، وتذر ما بقي بين يدي من أجراه حتى تنظر ما يدبر فيه. فلما عجلت وأخذت تدبر لنفسها، فعلت فعلاً غير لائق بكرم ربنا (عز اسمه وجلت قدرته ورحمته).

ومثال ذلك في الآدميين موجود فيما بينهم. فلو أن ملكاً من ملوك الدنيا نظر إليك في وقت حاجتك إلى شيء فرحمك كأنه رآك جائعاً، فهيأ لك مائدة عليها ألوان الطعام لتأخذ منها حاجتك، فجعلت تأكل لقمة وتضع لقمة تحت المائدة، تخزنها لنفسك. أليس هذا مما يضعك عنده ؟ ولو نظر إليك وقت حاجتك إلى كسوة، ففتح عليك باب خزانته لتكتسي منها كسوتك، فرفعت منها كسوتك، ثم مددت يدك بالعجلة والحرص إلى أثواب لتخزنها، فرفعت منها في بيتك وعندك، أليس ذلك مما يضعك عنده ؟ وأريته من نفسك أنك اتهمته على نفسك. فأنت إذا نطقت وقلت : « أنت خير لي من نفسي » ألم يكن يضع ذلك القول منك على الهذيان ويقول في نفسه : فإن كنت أنا خيراً لك من نفسك، فما الذي حملك على أن مددت يدك إلى ما لا تحتاج إليه من الفضول، تريد أن تخزنه لنفسك دوني ! فإذا كان هذا سمجاً قبيحاً عند ملوك الدنيا، فكيف بمن يعامل رب العالمين بمثل هذا ؟ فكلما أعطاك من الدنيا شيئاً، فتناولته

على غير حد الأمانة، فأنت في هذا اللؤم من الفرق الى القدم حتى تأخذه على سبيل أنه ماله ائتمنك عليه لتصرفه في نوائب حقوقه.

فأول حقوقه نفسك وعيالك، ثم أرحامك وجيرتك، ثم نوائب الحق التي تنوبك واحداً على اثر واحد. وهو قول رسول الله (ﷺ) حيث سئل فقيل : يا رسول الله إني أصبت ديناراً، قال : « أنفقه على نفسك ». قال : أصبت آخر. فلم يزل يقول : أصبت آخر، وهو يأمره بصرفه في وجه، حتى كان في السابعة، قال : أصبت آخر، قال : أنفقه في سبيل الله. وذلك أخسهن وأدناهن أجراً[1]. فإذا تناولته على حرص وشره، تناولته لغير الله. فاحرازك لؤم ودناءة وظلمة يعود على القلب، ودنس على الفؤاد، وسقم في الإيمان، وسم في الطاعات. ولذلك قال رسول الله (ﷺ) : « يا سلمان قل اللهم إني أسألك صحة في إيمان »[2]

فهل يأمره بسؤال الصحة في الإيمان إلا من سقم، لأنه رأى في سلمان ما قال : « إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت »، فمن كانت نفسه مطمئنة بالأحوال، فهذا سبيله. ومن كانت نفسه مطمئنة بربه، فلو أعطى الدنيا إليها كلها، لم يلتفت إليها، وكان عيناه إلى ربه، وسكونه إليه، وكان فعل أبي بكر (رضي الله عنه) يدل على أنه ممن هو بهذا موصوف.

وروي لنا أن أبا بكر (رضي الله عنه) تلا هذه الآية بين يدي رسول الله (ﷺ) : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية** ﴾[3]

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٢ : ٤٧٣ ــ ثنا يحيى عن مالك قال: حدثني الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وذكره. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) يؤيّده حديث الرسول ــ ﷺ ــ مَن كان آمناً في سربه صحيحاً في بدنه لديه قوت يومه فكأنما حاز الدنيا الخ.

(٣) سورة الفجر، الآيتان رقم ٢٧ و٢٨.

فقال : ما أحسن هذا يا رسول الله، فقال : « يا أبا بكر أما ان الملك سيقولها لك عند الموت »[1].

فهذه نفس رضيت عن الله تعالى بجميع ما دبر لها من المحبوب والمكروه لأنها لذت بجوار الله تعالى وقربه، فلهت عن لذاتها الدنياوية، فرضي الله عنها وبشرت عند الموت بذلك.

فأما قوله : « لكانت زمزم عيناً معيناً » أي مرئياً ظاهراً تجري. والمعين أن يعاين بالعيون، معناه أنه لا يركد ولكن يجري حتى يعاينوه فبقي عيناً. ولبس بمعين لفعل أم إسماعيل (عليه السلام).

---

(١) الحديث: أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء في المختارة من طريق سعيد بن جبر، عن ابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـــ وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير، وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية عن سعيد بن جبر. والسيوطي في الدر المنثور ٦: ٣٥٠.

الأصل الحادي عشر

في حد التأديب في المماليك

عن ابن عمر (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « لا تضربوا الرقيق فانكم لا تدرون ما توافقون »[1].

قد ندب الله تعالى العباد إلى تأديب أهليهم، فقال : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة** ﴾[2].

فوقايتك نفسك وأهلك أن تعظها وتزجرها عن عمل يوردها النار، وتقيم أودهم بأنواع الأدب. فمن الأدب الوعيد، ومنه الضرب وحبس المنافع، ومنه الرفق والعطية والنوال والبر. فإن ذلك ربما كان ادعى لهم من الوعيد والضرب. وبين النفوس تفاوت، فنفس تضرع وتخضع بالبر والعطية، ونفس تضرع وتخضع بالغلظة والشدة، ولو استعملت معها الرفق والبر لأفسدتها، ونفس بالعكس من ذلك. وقد جعل الله تعالى الحدود أدباً

---

(١) الحديث رواه أبو يعلى، والطبراني قال صاحب مجمع الزوائد وفيه عكرمة بن خالد بن سلمة وهو ضعيف.

(٢) سورة التحريم آية رقم ٦.

لعباده ومزجرة للآخرين. ومن دون الحدود التعزير على قدر ما يأتون من المنكر. وقد جعل الله تعالى ممر الموحدين إلى الجنة على النار. فقال تعالى : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾[1] الآيتين. فأدب الأحرار إلى السلطان، وأدب العبيد، والمماليك، والأولاد إلى السادات والآباء.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع »[2] وقال (ﷺ) : « ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن »[3] وقال (ﷺ) : « إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ».[4]

---

(١) سورة مريم آية رقم ٧١.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب الأدب ٣٣ باب ما جاء في أدب الولد ١٩٥١ ــ عن ناصح عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.
قال الترمذي: هذا حديث غريب، وناصح هو أبو العلاء كوفي ليس عند أهل الحديث بالقوي، ولا يعرف هذا الحديث إلا من هذا الوجه، وناصح شيخ آخري بصري، يروي عن عمار بن أبي عمار وغيره، هو أثبت من هذا.

(٣) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة ٣٣ باب ما جاء في أدب الولد ١٩٥٢ حدثنا أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عامر بن أبي عامر الخزاز، وهو عامر بن صالح بن رستم الخزاز، وأيوب بن موسى، هو ابن عمرو بن سعيد بن العاصي. وهذا عندي حديث مرسل.
ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٣ : ٤١٢، ٤ : ٧٧، ٧٨ (حلبي).

(٤) الحديث رواه البيهقي في السنن كتاب الحدود، باب ما جاء في حد المماليك ثنا محمد ابن يعقوب الحافظ ثنا حسين بن حسن، ومحمد بن اسماعيل قالا ثنا عيسى بن حماد ثنا الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة أنه سمعه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره.
وقال البيهقي: رواه البخاري في الصحيح عن عبدالله بن يوسف وغيره عن الليث ورواه مسلم عن عيسى بن حماد، وكذلك رواه محمد بن اسحاق بن يسار عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة، ورواه عبيدالله بن عمر وأيوب بن موسى، وأسامة بن زيد عن سعيد المقبري عن أبي هريرة.

فأما قول رسول الله (ﷺ) : « لا تضربوا الرقيق » فخليق أن يكون إنما نهى عن ضربهم على غضب المولى لنفسه في نفع أو ضر، لا لله تعالى. وأما إذا ضربه تأديباً ليقومه لئلا يعصي الله تعالى في أموره، ولئلا يعصى المولى في أموره اللازمة له. فإن عصيانه وتضييع أموره معصية لله تعالى. فذاك مما يجب عليه. وهو داخل في قوله تعالى : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ...** ﴾[1].

عن زيد بن أسلم (رضي الله عنه) قال : قال رجل : يا رسول الله ما تقول في ضرب المماليك ؟ قال : « إن كان ذلك في كنهه، وإلا قيد منكم يوم القيامة ». قيل : يا رسول الله ما تقول في سبهم ؟ قال : « مثل ذلك ». قيل يا رسول الله فإنّا نعاقب أولادنا ونسبهم. قال : « إنهم ليسوا مثل أولادكم، إنكم لا تتهمون على أولادكم »[2].

عن عبيد الله بن رفاعة بن رافع الزرقي، عن أبيه (رضوان الله عليهم أجمعين) قال : قال رجل : يا رسول الله كيف ترى في رقيقنا أقوام مسلمون يصلون صلاتنا، ويصومون صيامنا، نضربهم. فقال رسول الله (ﷺ) : « يوزن ذنبهم وعقوبتكم إياهم، فإن كانت عقوبتكم أكثر من ذنبهم، أخذوا منكم ».

قال : أفرأيت سبنا إياهم، قال : « يوزن ذنبهم وأذاكم إياهم، فإن كان أذاكم أكثر، اعطوا منكم » قال الرجل : ما أسمع عدواً أقرب إلي منهم.

---

(١) سورة التحريم آية رقم ٦.

(٢) هناك أحاديث كثيرة في الإحسان إلى المماليك من ذلك أن الإمام مسلم جاء في كتاب الإيمان ٨ باب صحبة المماليك وكفارة مَن لطم عبده بعدّة أحاديث (١٦٥٧) بسنده عن ابن عمر (١٦٥٨) بسنده عن معاوية بن سويد وأيضاً عن هلال بن يساف وغيرهم.

فتلا رسول الله (ﷺ) : ﴿ **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً** ﴾[1] فقال الرجل : أرأيت يا رسول الله ولدي أضربه، قال : إنك لا تتهم في ولدك. لا تطيب نفساً تشبع وتجوع وتكتسي وتعرى.

عن زياد بن أبي زياد (رضي الله عنه) قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله إن لي مالاً وإن لي خدماً وإني أغضب فأعزم وأشتم وأضرب، فقال رسول الله (ﷺ) : « توزن ذنوبه بعقوبتك، فإن كانت سواء، فلا لك ولا عليك. وإن كانت العقوبة أكثر، فإنما هو شيء يؤخذ من حسناتك يوم القيامة ». فقال الرجل : أوه أوه يؤخذ من حسناتي. قال : فحسبت ماذا ؟ ألم تسمع إلى قول الله (عز وجل) : ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة** ﴾[2]

فحديث ابن عمر (رضي الله عنهما) : « لا تضربوا الرقيق » محمول على أنه لا يضربه للتشفي من غيظه، فإنه لا يدرى ما يوافق الضربة من أعضائه. فربما وقعت على عين ففقأها. وربما وقعت على عضو فكسره. وربما وقعت على صدر أو خاصرة فقتل. أما التأديب لله تعالى فهو تقويم للملوك، وهو مأجور عليه. وقد قال (ﷺ) : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »[3].

---

(١) سورة الفرقان آية رقم ٢٠.

(٢) سورة الأنبياء آية رقم ٤٧.

(٣) الحديث رواه الامام البخاري في كتاب الجمعة ١١ باب الجمعة في القرى والمدن ٨٩٣ ــ عن الزهري قال أخبرنا سالم بن عبدالله عن ابن عمر ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال: وذكره وفي كتاب الجنائز ٣٢ والوصايا ٩ والعتق ١٧، ١٩ والنكاح ٨١، ٩٠ والأحكام ١ ورواه الامام مسلم في كتاب الامارة، ٥ باب فضيلة الامام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، ٢٠، (١٨٢٩) حدثنا الليث عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ وذكره، وأبو داود في كتاب الامارة ١، ١٣ والامام الترمذي في كتاب الجهاد ٢٧، وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٥، ٥٤، ٥٥، ١٠٨، ١١١، ١٢١ (حلبي).

ومن أدب لله تعالى فمات في ذلك الأدب، لم يؤاخذ به، إذا كان ذلك حداً معلوماً، فضربه ولم يجاوز ولم يتعد فيه.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « من لاءمكم من رقيقكم فأطعموهم مما تطعمون واكسوهم مما تكتسون ومن لا فبيعوهم ولا تعذبوا خلق الله »[1].

فالضرب المحمود ما كان لله تعالى، والضرب المحجور ما كان للنفس. والناس في هذا على طبقات، فمن كان قلبه لله تعالى، أمكنه أن يؤدبه في أمر الدنيا والآخرة لله تعالى. ومن لم يكن قلبه لله تعالى وكان الغالب عليه هواه ونفسه، لم يمكنه أن يضربه إلا في أمر الدين فقط، حتى يكون لله تعالى.

وأما في أمر الدنيا من ضر أو نفع، فلا قوام له في تأديبه؛ لأنه إنما يغضب لنفسه. ألا ترى أنه لما ارتفعت التهمة في شأن الولد ذهب القصاص؛ لأن ذلك لله تعالى، وذهب نصيب النفس، وكذا اليتيم.

وعن بلال (رضي الله عنه) قال : قال رجل : يا رسول الله إن في حجري يتيماً أفأضربه ؟ قال : نعم مما تضرب منه ولدك.[2]

---

(١) رواه أحمد والطبراني وقال صاحب مجمع الزوائد : فيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف.

(٢) من ذلك الحديث الذي رواه الإمام مسلم في كتاب الايمان ٣٨ (١٦٦١) بسنده عن أبي ذر ـــ رضي الله عنه ولفظه : « هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم ممّا تأكلون وألبسوهم ممّا تلبسون ولا تكلّفوهم ما يغلبهم فإن كلّفتموهم فأعينوهم ».

الأصل الثاني عشر

في تعجيل إعطاء اجرة الأجير

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : أعط الأجير أجره من قبل أن يجف عرقه. وذلك أن أجرته عمالة جسده[1].

وجاء عن رسول الله (ﷺ) فيما يُحكَى عن الله (عزّ وجلّ) أنه قال : ثلاثة أنا خصمهم، ومن كنت خصمه خصمته: من باع حراً وأكل ثمنه، أو ظلم أجيراً أجره، أو ظلم امرأة مهرها[2].

فهؤلاء كلهم أحرار، وهي أثمان نفوسهم، فخصمهم مالكهم، فلذلك أمر بتعجيل أجره لأنه عجل منفعته. ومن شأن الباعة إذا سلموا المبيع قبضوا الثمن عند التسليم. فهذا أحق وأولى إذ كان ثمن مهجته لا ثمن سلعته.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الرهون ٤ باب أجر الأجراء ٢٤٤٣ ثنا وهب بن سعيد ابن عطية السلمي ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

في الزوائد: أصله في صحيح البخاري وغيره من حديث أبي هريرة، لكن إسناده ضعيف، وهب بن سعيد، وعبد الرحمن بن زيد ضعيفان.

(٢) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الرهون ٤ باب الأجراء ٢٤٤٢ ثنا يحيى بن سليم، عن إسماعيل بن أمية عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

الأصل الثالث عشر

في العين المؤمنة إذا رأت منكراً

عن الحسين بن علي (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا ينبغي لعين مؤمنة ترى أن يعصي الله تعالى فلا تنكر عليه »[1].

فالإيمان قد اشتمل على الجوارح السبع اللائي أخذ عليهن العهد والميثاق وائتمن العبد عليهن، ووكل برعايتهن. ومستقره في القلب. والشهوة في النفس. وسلطانها في الصدر. ثم يتأدى إلى هذه الجوارح السبع. فمن صدق الإيمان أن يكون سلطان كل جارحة منطفئاً بما اشتمل عليه من سلطان الإيمان. فإذا كان كذلك، فقد ملك نفسه، فلا يستعمل شهوة بجارحة من الجوارح السبع، إلا فيما أذن الله له فيه. وإذا رأى غيره يستعملها فيما لم يأذن به الله، أنكره. والإنكار على ثلاثة منازل : فمنكر بقلبه ولسانه ويده، ومنكر بقلبه ولسانه، ومنكر بقلبه.

وروي ذلك عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « الجهاد ثلاثة : جهاد باليد واللسان والقلب، وجهاد بالقلب واللسان، وجهاد بالقلب وذلك

---

(١) يؤيّده حديث الرسول ــ ﷺ ــ: مَن رأى منكم منكراً فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ».

أضعف الإيمان »[1]. فأول ما يكل جهاد اليد ثم جهاد اللسان ثم جهاد القلب، حتى لا ينكر منكر.

عن ابن مسعود (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « ما كان لله نبيّ إلا وله حواريون يهدون بهديه ويستنون بسنته ثم يكون من بعده خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويعملون ما ينكرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك مثقال حبة من الإيمان »[2]

وهو كما وصف رسول الله (ﷺ) عن شأن بني إسرائيل حين أحدثت الملوك في دينهم الأحداث، وأن أهل الهدى صاروا ثلاث فرق، وقد ذكرنا ذلك في الأصل الخامس في الحديث الذي نهى عن القزع فيه.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « ليس لمؤمن أن يذل نفسه ». قالوا : وكيف يذل نفسه ؟ قال : « يتكلف من البلاء ما لا يطيق »[3].

معناه : إذا علم أنه إن غير المنكر على القوي ابتلى به كفّ عنه وأنكر بقلبه. لأن ما يفسد أكثر مما يصلح.

---

(١) لم نعثر على لفظ هذا الحديث وإن كان هناك من الأحاديث ما يؤيّده في معناه.

(٢) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الايمان ٢٠ باب بيان كون النهي عن المنكر من الايمان، وأن الايمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان: ٨٠ عن الحارث، عن جعفر بن عبدالله بن الحكم عن عبد الرحمن بن المسور، عن أبي رافع عن عبدالله بن مسعود وذكره.

(٣) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الفتن ٢١ باب قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم** ﴾ ٤٠١٦ عن علي بن زيد عن الحسن عن جندب، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

عن أبي أمية الشعباني (رضي الله عنه) قال : سألت أبا ثعلبة الخشني عن هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم** ﴾[1] فقال لي : لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله (ﷺ) فقال : « يا أبا ثعلبة ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيت دنيا مؤثرة وشحاً مطاعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك فإن من بعدكم أيام الصبر المتمسك يومئذ بمثل الذي أنتم عليه له كأجر خمسين عاملاً » قالوا : يا رسول الله كأجر خمسين عاملاً منهم. قال : « لا. بل منكم »[2].

وقال رسول الله (ﷺ) : « المتمسك بسنتي عند اختلاف أمتي كالقابض على الجمر »[3].

---

(١) سورة المائدة آية رقم ١٠٥.

(٢) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الفتن ٢١ باب قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم** ﴾ ٤٠١٤ ــ عن عمرو بن جارية عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني قال: قلت ما تصنع في هذه الآية قال: سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: وذكره. ورواه الترمذي في كتاب التفسير سورة، ٥ : ١٧، وأبو داود في الملاحم ١٧.

(٣) الحديث رواه الترمذي في كتاب الفتن باب ٧٣، ٢٢٦٠ بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وعمر بن شاكر شيخ بصري قد روي عنه واحد من أهل العلم، ورواه ابن ماجه في كتاب الفتن وأبو داود في كتاب الملاحم ١٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣٩٠، ٣٩١ (حلبي).

الأصل الرابع عشر

في سرّ قوله ﷺ : لا تأمنن على أحد بعدي

عن أبي عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « يا أبا عبيدة لا تأمنن على أحد بعدي ».

كان رسول الله (ﷺ) مأمن الخلق ومفزعهم، له عطف الآباء، وشفقة الأمهات، ورحمة الوالدات، وشهد الله له في تنزيله أعظم شهادة، فقال (عز من قائل) : ﴿ **عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾[1] قد حشي بالرأفة والرحمة والنصيحة لله تعالى في خلقه. واستنار قلبه بنور الله تعالى، فدقت الدنيا بما فيها في عينه، وصغر عنده بذل نفسه لله في جنب الله، فكان مفزعاً، وكان مأمناً، وكان غياثاً، وكان رحمة، وكان أماناً. فأما المفزع فقال في تنزيله (عز من قائل) : ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً** ﴾[2].

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١٢٨.

(٢) سورة النساء آية رقم ٦٤.

وفي المأمن قوله (عزّ وجلّ) : ﴿ **ما ضلّ صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى ...** ﴾[1].

وفي الغياث قوله تعالى : ﴿ **وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ...** ﴾[2]

وفي الرحمة قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[3].

وفي الأمان قوله تعالى : ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ...** ﴾[4].

وليس لأحد بعد الرسول (ﷺ) هذا المقام صديقاً كان أو فاروقاً أو أميناً. فلذلك قال : « لا تأمنن على أحد بعدي » أي كأمنك عليَّ. فليس لمن بعده عصمة الرسل (عليهم السلام). ألا ترى أن أبا بكر (رضي الله عنه) خطب الناس فقال : إن لي شيطاناً يعتريني، فاجتنبوني إذا غضبت، لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، وإذا زغت فقوموني.

وقيل لرسول الله (ﷺ) حيث قال : « ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الشيطان » قالوا : ومعك يا رسول الله ؟ قال : « ومعي ولكن الله أعانني عليه فأسلم »[5] وكان الله عصمه وأقامه على أدب القرآن وقال : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[6].

---

(١) سورة النجم الآيتان رقم ٢ و٣.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٠٣.

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٧.

(٤) سورة الأنفال آية رقم ٣٣.

(٥) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٦ باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً ٦٩ (٢٨١٤) عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

(٦) سورة القلم آية رقم ٤.

وروي عنه (ﷺ) أنه أراد قتل بعض المشركين العتاة، وكان أمرهم أن يقتلوه وإن وجدوه متعلقاً بأستار الكعبة، فجاء به عثمان (رضي الله عنه) يسأل له الأمان، فسكت رسول الله (ﷺ) ثم سأله فسكت، ثم سأله ثالثة فأعطاه الأمان. وقال : انتظرت أن يقوم أحدكم فيضرب عنقه. قالوا : فهلا أومأت يا رسول الله. قال : « إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة عين »[1].

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري (رضي الله عنه) قال : كان رسول الله (ﷺ) لا يلتفت وراءه إذا مشى، وربما تعلق رداؤه بالشيء أو بالشجر، فلا يلتفت حتى يضعوه عليه، لأنهم كانوا يمزحون ويضحكون فكانوا قد أمنوا التفاته.

عن هند بن أبي هالة قال : كان رسول الله (ﷺ) إذا التفت، التفتوا جميعاً.

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الحدود ٤٣٥٩ ــ ثنا أحمد بن المفضل ثنا أسباط بن نصر قال: زعم السدي، عن مصعب بن سعد، عن سعد قال: لما كان فتح مكة اختبأ عبدالله بن سعد بن أبي السرح عن عثمان بن عفان فجاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله بايع عبدالله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك يأبى فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله: فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك ألّا أومأت الينا بعينك.. ؟ قال: وذكره. ورواه في الجهاد ١١٧ والنسائي في التحريم ١٤.

الأصل الخامس عشر

في تحقيق التهديد على زوارات القبور

عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال : قبرنا مع رسول الله (ﷺ) يوماً. فلما انصرف رسول الله (ﷺ)، انصرفنا معه. فلما حاذى بابه وقف وتوسط الطريق، فإذا هو بامرأة مقبلة لا نظنه عرفها. فلما دنت إذا هي فاطمة. فقال لها رسول الله (ﷺ) : ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟ قالت : أتيت أهل هذا الميت فرحمت إليهم ميتهم أو عزيتهم ــ لا يحفظ ربيعة أي ذلك ــ قال : فقال لها رسول الله (ﷺ) : فلعلك بلغت معهم الكدا. قالت : معاذ الله وقد سمعتك تذكر فيهم ما تذكر. قال : لو بلغت معهم الكدا، ما رأيت الجنة حتى يراها جدك أبو أبيك »[1].

قال قتيبة : الكدا المقبرة. بعث الله محمداً (ﷺ) بمحو آثار الجاهلية. وكان من شأنهم إذا مات لهم ميت أن يخمشوا الوجوه، وينتفوا

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الجنازة ٣١٢٣ عن ربيعة بن سيف المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عند عبد الله بن عمر بن العاص قال : وذكره ورواه النسائي في الجنائز ٢٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٦٩ (حلبي).

الشعور، ويشقوا الجيوب، ويخرقوا البيوت. فقال رسول الله (ﷺ) : « ليس منا من حلق أو خرق أو سلق »[1].

ولعن في حديث آخر ناشرات الشعور، واللاتي ينعون بأصوات الحمير، ونهاهم عن زيارة القبور لحداثة عهدهم بالكفر، لما في زيارة القبور من الفتنة حتى إستحكم إسلامهم، وصاروا أهل يقين وبر وتقوى، وصارت القبور لهم معتبراً بعد أن كان مفتتناً خلى عنهم. وقال (ﷺ) : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن لكم فيها معتبراً »[2]

وسكت عن ذكر النساء لضعفهن ورقتهن وسرعة افتتانهن. وقال (ﷺ) : « ما رأيت من نواقص عقول ودين أغلب للرجال منهن ». فقيل : ما نقصان عقولهن ودينهن يا رسول الله ؟ قال : أما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين بشهادة رجل، وأما نقصان دينهن فترك الصلاة والصوم في الحيض »[3].

---

(١) قال صاحب مجمع الزوائد: رواه البزار عن جابر ورجاله ثقات، ورواه أبو يعلى أيضاً، ومعناه ليس من أهل سنتنا من حلق شعره عند المصيبة ورفع صوته عندها.

(٢) رواه الامام أحمد عن أبي سعيد الخدري، ورجاله رجال الصحيح وعن أم سلمة ــ رضي الله عنها ــ قالت: قال رسول الله ﷺ وذكره، رواه الطبراني في الكبير وفيه يحيى بن المتوكل وهو ضعيف.

(٣) رواية البخاري في كتاب الحيض ٦ باب ترك الحائض الصوم ٣٠٤ أخبرنا محمد بن جعفر قال: أخبرني زيد هو ابن أسلم عن عياض بن عبدالله عن أبي سعيد الخدري، قال : خرج رسول الله ﷺ في أضحى ــ أو في فطر ــ الى المصلي ــ فمر على النساء فقال: وذكره. ورواه أيضاً في الشهادات ١٢، ورواه ابن ماجة في كتاب الفتن ١٩ باب فتنة النساء بسنده عن عبدالله ابن عمر ــ رضي الله عنه ــ وذكره.

وبايعهن رسول الله (ﷺ) يوم فتح مكّة على ما نطق به التنزيل من قوله تعالى : ﴿ **ولا يعصينّك في معروف فبايعهن** ﴾[1].

وأخذ رسول الله (ﷺ) في البيعة أن لا ينحن. عن أم عطية (رضي الله عنها) قالت : أخذ علينا رسول الله (ﷺ) في البيعة أن لا ننوح فما وفت منا امرأة إلا سبع نسوة منهن أم سليم. وكان رسول الله (ﷺ) يمنعهن عن حضور الجنائز. وفي حديث بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبيه، عن جده أن رسول الله (ﷺ) رأى نسوة في جنازة، فقال لهن : ارجعن مأزورات غير مأجورات[2].

عن أنس (رضي الله عنه) قال : خرجنا مع رسول الله (ﷺ) في جنازة، فرأى نسوة فقال : أتحملنه ؟ قلن : لا. قال : أتدفنه ؟ قلن : لا. قال : فارجعن مأزورات غير مأجورات.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : « لعن رسول الله (ﷺ) زوارات القبور والمتّخذين عليها المساجد والسرج »[3]. فبقي الخطر عليهن إلى آخر الدهر. فإن تخلت امرأة عن هذه الأمور فأتت قبراً لترمه أو تسلم أو تدعو أو تعتبر وقد أمنت ناحية نفسها ذلك وماتت شهوتها، وإنقطعت فتنتها، فهي خارجة من النهي.

---

(١) سورة الممتحنة آية رقم ١٢.

(٢) الأثر: رواه أبو يعلى، عن أنس بن مالك، وفيه الحارث بن زياد قال الذهبي: ضعيف.

(٣) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الجنائز ٤٩ باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور ١٥٧٤ ــ حدثنا أبو كريب، ثنا عبيد بن سعيد وحدثنا محمد بن خلف العسقلاني، ثنا الفريابي وقبيصة كلهم عن سفيان عن عبدالله بن عثمان بن خيثم عن عبد الرحمن بن بهمان عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه. قال: وذكره.
في الزوائد: إسناد حديث حسان بن ثابت صحيح ورجاله ثقات.

وروي عن فاطمة رضي الله عنها أنها كانت تأتي قبر حمزة (رضي الله عنه) في كل عام فترمه وتصلحه.

وروي عن غير واحدة من النساء أنها كانت تأتي قبور الشهداء فتسلم عليهم. فأما مرمة القبر فلئلا يدرس أثره فينبش عنه؛ لأنه إذا ذهب أثره حفر عنه لميت آخر، ولأن المسلم على الأموات، وزائرهم يخفى عليه إذا ذهب رسمه فتبطل الزيارة، وهي حق من الحقوق، ليس كالذي يسلم من بعد.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة مرة غفر له وكتب برا »[1].

عن ابن عمر (رضي الله عنه) قال : من زار قبر أبويه أو أحدهما احتساباً كان كعدل حجّة مبرورة ومَن كان زواراً لهما زارت الملائكة قبره.

والتشديد الذي جاء في حديث فاطمة نراه في بدء الأمر، ولا نعلم ذلك يحرم الجنّة. لكن معناه أن مَن فعل ذلك كان يخاف عليه أن يسلبه الله الإسلام. فإذا سلبه لم ير الجنة أبداً. وأعظم نعمة لله تعالى على عبده الإسلام. وللإسلام سنن ومنار كمنار الطريق. فإذا عمل عملاً يكون فيه إحياء سنن الجاهلية التي أطفأها الله تعالى بسيف رسول الله (ﷺ)، فقد كفر منَّة الإسلام. والكفور ممقوت، غير مأمون عليه السلب. فكان إتيان المقابر من سنن الجاهلية، فغلظ الزجر لتموت تلك السنن.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط والصغير عن أبي هريرة، وفيه عبد الكريم أبو أمية وهو ضعيف.

الأصل السادس عشر

في أن الورود في النار الدخول

عن جابر بن عبدالله (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « الورود الدخول لا يبقى برّ ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم (عليه السلام) حتى ان للنار ضجيجاً من بردهم ﴿ **ثم ينجي الله الذين اتقوا، ويذر الظالمين فيها جثياً** ﴾[1].

كأن الله تعالى أحب أن يجعل ممر المؤمنين فيها كي إذا نجوا منها، علموا من أين نجوا. وليس الخبر كالمعاينة. وإذا وردوا دار السلام علموا أين حلوا. فالشيء إنما يعرف بضده ويعظم قدره. ولذلك قالوا عند دخول الجنة: الحمدلله الذي أذهب عنا الحزن. أي حزن قطع النيران التي خلص منها وجعلها برداً وسلاماً. وعلموا أنهم لم يحلوا دار المقامة إلا من فضله. وانهم لم يستوجبوا ذلك منه. وكأنه (عز وجل) أحب أن يبرز فضل الصادقين وبذلهم أنفسهم له، وليأخذ بحقه من الطبقة التي آثرت شهوات نفوسها بتضييع الحق، وهم أهل لا إله إلا الله، حتى تنتقم النار

---

(١) سورة مريم آية رقم ٧٢. والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور ونسبه الى أحمد بن

منهم مدة ثم تدركهم رحمة الله، وقد محصوا ونقوا وصلحوا لدار السلام. وليجوز الصادقون وهم لا يشعرون بالنار. قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون** ﴾[1]

وإنما بعدوا عنها لأن نور الإيمان وبرد اليقين احتملهم واحتواهم فهم يمضون في النار، حتى إذا اخرجوا منها قال بعضهم لبعض : أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار ؟ قالوا : بلى، ولكن مررتم بها وهي خامدة. لأن الرحمة أظلتهم حتى أشرف نور الإيمان في قلوبهم. فخمدت النار من برد يقينهم. ولذلك نسب البرد إلى المؤمنين. وأما ضجة النار فمن أجل أنها خلقت منتقمة من أهل الغفلة، وحشيت بغضب الله. فإذا جاء المؤمن بنوره وبرده ضجت النار مخافة أن تبرد فتضعف عن الانتقام.

عن يعلى بن منبه (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن النار لتنادي : جِزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي »[2].

والنجاة من الله تعالى للعبد في هذا الموطن على قدر محله عنده. ومحله على قدر ما مَنَّ الله عليه من المعرفة به وهو اليقين الذي جعل له من ذلك حظاً.

عن السدي، عن عبدالله (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ)،

حنبل، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي سمية.

(١) سورة الأنبياء آية رقم ١٠١.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن باب ٢٠ ومن سورة مريم ٣١٥٩ عن اسرائيل عن السدي قال سألت مرة الهمداني عن قول الله عز وجل ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ فحدثني أن عبدالله بن مسعود حدثهم قال: قال رسول الله ﷺ وذكره وقال الترمذي: هذا حديث حسن رواه شعبة عن السدي فلم يرفعه، ورواه الدارمي في الرقاق ٨٩ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٤٣٣، ٤٣٥ (حلبي).

أنه قال : « يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحلة، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه، ثم كحبوه »[1].

وإنما ذكر الأعمال لأنها ظاهرة. والظاهرة محنة الباطن وما في القلوب غيب إلا عن خالق الغيب. والظاهر شاهد ينبئ عما في الباطن.

(١) حبا الصبي على استه زحف وبابه عدا وحباه يحبوه حبوة.

الأصل السابع عشر

في أن الدنيا أسحر من هاروت وماروت

عن عبدالله بن بسر المازني (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « اتقوا الدنيا فوالذي نفسي بيده أنها لأسحر من هاروت وماروت »[1].

هاروت وماروت ليسا من جنس الآدميين. والشيء إنما يألف جنسه. والآدمي خلق من الدنيا فهو يألفها وينخدع لها. وهاروت وماروت لا يعلمان أحداً السحر حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر.

فهذا يعلمك سحره وينبئك فتنته. والدنيا تعلمك سحرها وتكتمك فتنتها، وتدعوك إلى التحارص عليها والجمع لها والمنع منها. فيتعلم منها ما يفرق بينه وبين طاعة الله، وبينه وبين رؤية الحق ورعايته، ومحبتها

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا، ومن طريقة البيهقي عن أبي الدرداء، قال الذهبي لا ندري من أبو الدرداء، وأقول الظاهر: إنه الصحابي فليتأمل ثم رأيت النجم قال: رواه البيهقي عن أبي الدرداء الرهاوي مرسلاً انتهى فإن ثبت فهو غير الصحابي قطعاً، ووصله بعضهم عن رجل من الصحابة والحديث ضعيف كما قال المناوي، ورواه أحمد في الزهد عن مصعب بن سعد مرسلاً بلفظ: « احذروا الدنيا فإنها خضرة حلوة ».

تلذذك بشهواتها، وتمنيك بأمانيها الكاذبة حتى تأخذ بقلبك. ولهذا قال رسول الله (ﷺ) : « حبك الشيء يعمي ويصم »[1].

فمن أحب الدنيا أعمته وأصمته عن آخرته. ومن أحب الآخرة أعمته وأصمته عن دنياه. ومن أحب نفسه أعمته وأصمته عن الله. ومن أحب الله أعماه وأصمه عن نفسه. فإن الدنيا تحجب عن الآخرة، والنفس تحجب عن الله، ودنياه إنما هي نفسه وشهواتها، فسحرها أقرب إليه من سحر هاروت وماروت. فسحر نفسه ودنياه أصلي، وسحر هاروت وماروت دخيل. وليس الدخيل كالأصلي.

---

(١) قال في المقاصد: رواه أبو داود، والعسكري عن أبي الدرداء مرفوعاً وموقوفاً والوقف أشبه، وفي سنده ابن أبي مريم ضعيف، ورواه أحمد عن ابن أبي مريم فوقفه، والرفع اكثر ولم يصب الصنعاني حيث حكم عليه بالوضع، وكذا قال العراقي: إن أبي مريم لم يتهمه أحد بكذب، إنما سرق له حلي فانكر عقله.

الأصل الثامن عشر

في كيفية الاحتراز عن الشيطان

عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) قال : « إن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره في السفر »[1].

فالمؤمن قد وكل به قرينه من الشيطان. وإنما يحترز منه بالله تعالى. فإذا اعترض لقلبه، احترز بمعرفته. وإذا اعترض لنفسه وهيأ شهواته، احترز بذكر الله (عز وجل). وإذا اعترض لاموره وأحواله، احترز باسمه، فهو أبداً نضو[2] وقيد زجر به. فالبعير يتجشّم في سفره أثقال حمولته، ومع ذلك النصب يجوع ويظمأ. ومع ذلك مراعي مختلفة ومياه رنقة[3] غير عذبة. فإنما صار نضواً بهذه الأحوال. فكذلك شيطان المؤمن يتجشم

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٢ : ٣٨٠ حدثنا عبدالله حدثني أبي، حدثنا قتيبة ابن سعيد قال: حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره وفيه (شياطينه) بدلاً من شيطانه.

(٢) النضو: بالكسر البعير المهزول والناقة (نضوة) وقد أنضتها الأسفار فهي (منضاة). وأنضى بعيره هزله، ونضا ثوبه خلقه ونضا سيفه سله، وبابهما عدا.

(٣) ماء رنق بالتسكين أي كدر، والرنق بفتحتين مصدر رنق الماء من باب طرب، وأرنقه غيره ورنَّقه أي كدَّره، وعيش رنق أي كدر ورونق السيف: ماؤه وحسنه. ومنه رونق الضحى.

أثقال غيظه من المؤمن لما يرى من الطاعة والوفاء لله تعالى. وإذا أراد أن يشركه في طعامه وشرابه ولباسه ومنامه ومجلسه ومتصرف أحواله، زجره وطرده عنه بالتسمية، فوقف منه بمزجر الكلب ناحية. فإذا أراد أن ينفره عنه نطق بالوحدانية وهي الكلمة العليا التي يهتز العرش لها، فقال : لا إله إلا الله. فإذا سمعها انتكس فصار أعلاه أسفله، وولى على وجهه هارباً إلى رسه. وذلك قوله (عز وجل) : ﴿ **وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً** ﴾[1].

روي عن أبي الجوزاء أنه قال : « ليس شيء أطرد له من القلب من قول : لا إله إلا الله ». ثم تلا ﴿ **وإذا ذكرت ربك في القرآن...** ﴾ الآية.

عن عمرو بن مالك (رضي الله عنه) قال : قرأت في التوراة : إن سرّك أن تحيي وتبلغ علم اليقين فاحتل في كل حين أن تغلب شهوات الدنيا، فإنه من يغلب شهوات الدنيا، يفزع الشيطان من ظله.

عن سديسة مولاة حفصة (رضي الله عنهما) قالت : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « ما لقي الشيطان عمر قط إلا خر لوجه »[2].

عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « ما لقي الشيطان عمر في فج فيسمع صوته إلا أخذ في غيره »[3].

---

(١) سورة الفرقان آية رقم ٤٦.

(٢) رواه الطبراني في الكبير في ترجمة سديسة من طريق الأوزاعي عنها. قال الهيثمي: ولا نعلم الأوزاعي سمع أحداً من الصحابة. ورواه في الأوسط عن الأوزاعي عن سالم عن سديسة وهو الصواب وإسناده حسن إلا أن عبد الرحمن بن الفضل بن موفق لم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.

(٣) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب فضائل الصحابة ٢ باب من فضائل عمر ـــ رضي الله =

ومثل عمر (رضي الله عنه) في هذا الباب مثل أمير ذي سلطان وهيبة استقبله مريب، قد رفع إليه من ريبته أموراً شنيعة، وعرفه بالعداوة له، فانظر ماذا يحل بهذا المريب إذا لقيه. فإن ذهبت رجلاه فخر لوجهه فغير مستنكر.

= عنه ــ ٢٢ ــ (٢٣٩٦) حدثنا أبي عن صالح، عن ابن شهاب، أخبرني عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد أن محمد بن سعد بن أبي وقاص أخبره، أن أباه سعد قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن الخ وذكره. ولفظه عند مسلم: « والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك ».

ورواية الامام البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ٦ ــ باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ــ رضي الله عنه ــ ٣٦٨٣ عن صالح عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن زيد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: وذكره. ورواه في كتاب الأدب ١١ وبدء الخلق ١١ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ١٧١.

الأصل التاسع عشر

في حقيقة الفقه وفضيلته

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « أفضل العبادة الفقه وأفضل الدين الورع ».

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « ما عَبَدَ الله بشيء أفضل من فقه في دين »[1].

وروي عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « ما عَبَدَ الله بشيء أفضل من فقه في دين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه »[2].

---

(١) الحديث رواه البيهقي في الشعب بسند ضعيف عن ابن عمرو، قال النجم وعند ابن أحمد عن جابر ما عبدالله بشيء أفضل من حسن الظن قال ولا معارضة بينه وبين هذا لأن حسن الظن بالله من جملة الفقه في الدين.

(٢) هذا الحديث رواه الترمذي مختصراً ١٩ باب ما جاء في فضل الفقيه على العبادة. ٢٦٨١ حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا الوليد بن مسلم حدثنا روح بن جناح عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث غريب ولا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الوليد بن مسلم. ورواه ابن ماجه في المقدمة ١٧ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم.

والفقه هو انكشاف الغطاء عن الأمور. فإذا عَبَدَ الله بما أمر ونهى بعد أن فهمه وعقله وانكشف له الغطاء عن تدبيره فيما أمر ونهى، فهي العبادة الخالصة المحضة. وذلك أن الذي يؤمر بالشيء فلا يرى زين ذلك الأمر، وينهي عن الشيء فلا يرى شينه هو في عمى من أمره. فإذا رأى زين ما أُمر به وشين ما نهى عنه، عمل على بصيره، وكان قلبه عليه أقوى، ونفسه به أسخى، وحمد على ذلك وشكر. والذي يعمى عن ذلك فهو جامد القلب، كسلان الجوارح، ثقيل النفس، بطيء التصرف. والفقه مشتق من تفقؤ الشيء. يقال في اللغة فقأ الشيء إذا انفتح، وفقأ الجرح إذا انفرج عما اندمل، والاسم فقيء، والهاء والهمزة تبدلان تجزي إحداهما عن الأخرى، فقيل : فقيء وفقيه. والفهم هو العارض الذي يعرض في القلب من النور. فإذا عرض، انفتح بصر القلب، فرأى صورة ذلك الشيء، فالانفتاح هو الفقه، والعارض هو الفهم. وقد ذكر الله تعالى في تنزيله الفقه فقال : ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها** ﴾[1].

فاعلم أن الفقه من عمل القلب. وقال رسول الله (ﷺ) للإعرابي حين قرأ عليه : ﴿ **فمَن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومَن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾[2] فولى: وقال: حسبي حسبي. فقال (ﷺ): « فقه الرجل »[3].

وقال أبو الدرداء (رضي الله عنه) : إنك لن تفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة. وان الله (عز وجل) كلف العباد أن يعرفوه، ثم اقتضاهم بعد المعرفة أن يدينوا له، فشرع لهم شريعة الحلال والحرام. والدين هو

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٧٩.

(٢) سورة الزلزلة آية رقم ٧، ٨.

(٣) في مجمع الزوائد: عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه وذكره وفيه زيادة [لا أسمع غيرها] رواه الطبراني وأحمد مرسلاً ومتصلاً ورجال الجميع رجال الصحيح.

الخضوع. والدون مشتق من ذلك. وكل شيء اتضع فهو دون. فأمرت بأمور لتضع نفسك لمن اعترفت به رباً. فسمي ذلك الفعل وتلك الأمور ديناً. فمن فقه أسباب هذه الأمور التي أمر ونهى بماذا أمر ونهى، ورأى زين ما أُمر وبهاءه، وشين ما نهى، تعاظم ذلك عنده، وكبر في صدره شأنه، فكان أشد تسارعاً فيما أُمر، وأشد هرباً وامتناعاً مما نهى. فالفقه في الدين جند عظيم يؤيد الله تعالى به أهل اليقين الذي عاينوا محاسن الأمور ومشاينها. ومقدار الأشياء وحسن تدبير الله (عز وجل) لهم في ذلك بنور يقينهم ليعبدوه على يسر. ومن حرم ذلك، عبده على مكابدة وعسر؛ لأن القلب وإن أطاع وانقاد لأمر الله (عز وجل) فالنفس إنما تخف وتنقاد إذا رأى نفع شيء أو ضرر شيء. والنفس جندها الشهوات، وصاحبها محتاج إلى أضدادها من الجنود حتى يقهرها وهي الفقه.

قال له قائل : صف لنا واحدة من هذه الأمور نفهم بها غيرها. قال : نعم، أحل الله (عز وجل) النكاح وحرم الزنا وإنما هو إتيان واحد لامرأة واحدة، إلا أن هذا بنكاح وذاك بزنى. فإذا كان من نكاح، فمن شأنه العفة والتحصين للفرج. فإذا جاءت بولد، ثبت النسب وجاء العطف من الوالد بالنفقة والتربية والميراث. وإذا كان من زنا، ضاع الولد لأنه لا يدري أحد من الواطئين لمن هذا الولد. فهذا يحيله على ذلك، وذاك يحيله على هذا. وحرم الله (عز وجل) الدماء، وأمر بالقصاص ليتحاجزوا وليحيوا. وقال تعالى في تنزيله : ﴿ **ولكم في القصاص حياة** ﴾[1] إلى غير ذلك.

عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إذا أراد الله بعبد خيراً يفقهه »[2].

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٧٩.

(٢) رواه البيهقي عن أنس، ورواه البزار عن ابن مسعود بلفظ (إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين وألهمه رشده).

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »[1].

عن يوسف بن ماهك، قال : كان معاوية (رضي الله عنه) قليل الحديث عن رسول الله (ﷺ)، وقل ما قام خطيباً إلا قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. يا أيها الناس تفقهوا »[2].

---

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب الزكاة ٣٣ باب النهي عن المسألة ٩٨ ــ (١٠٣٧) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا زيد بن الحباب، أخبرني معاوية بن صالح، حدثني ربيعة بن يزيد الدمشقي عن عبدالله بن عامر اليحصبي قال: سمعت معاوية يقول: إياكم وأحاديث إلا حديثاً في عهد عمر، فإن عمر كان يخيف الناس في الله عز وجل، سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره.

(٢) الحديث رواه صاحب الموطأ في كتاب القدر (٢) جامع ما جاء في أهل القدر ٨ وحدثني عن مالك، عن يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي قال: قال معاوية بن أبي سفيان وهو على المنبر: وذكره وفيه (ثم قال معاوية سمعت هؤلاء الكلمات من رسول الله ﷺ. على هذه الأعواد).

الأصل العشرون

في حكمة قصر أعمار هذه الأمة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « عمر أمتي من ستين سنة إلى سبعين »[1].

وقال (ﷺ) : « معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين »[2].

وقال (ﷺ) : « أقل أمتي أبناء السبعين »[3].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الزهد ٢٣ باب ما جاء في فناء أعمار هذه الأمة ما بين الستين الى السبعين. ٢٣٣١ ــ حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري. حدثنا محمد بن ربيعة عن كامل أبي العلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة، وقد روي من وجه آخر عن أبي هريرة. وصححه الحاكم وقال على شرط مسلم، ورواه ابن عساكر، عن أبي هريرة وفي لفظ لأحمد والترمذي وابن ماجه وأبي يعلى والعسكري والقضاعي « معترك المنايا ما بين الستين الى السبعين ».

(٢) رواه الامام أحمد، والترمذي وابن ماجة، والعسكري، والقضاعي والرامهزمزي وغيرهم.

(٣) رواه الترمذي، والطبراني عن ابن عمر وأنس بلفظه وفي لفظ: الذين يبلغون السبعين، ولفظ الآخر: حصاد أمتي ما بين الستين الى السبعين ورواه الترمذي والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً: إذا كان يوم القيامة نودي أين أبناء الستين وهو العمر الذي قال الله تعالى: ﴿ **أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير** ﴾.

قال أبو عبدالله : من رحمة الله على هذه الأمة، وعطفه عليهم أخرهم في الأصلاب حتى أخرجهم إلى الأرحام، بعد أن نفدت الدنيا، ثم قصر أعمارهم لئلا يتلبسوا بالدنيا إلا قليلاً ولا يتدنسوا. فإن القرون الماضية كانت أعمارهم وأجسادهم وأرزاقهم على الضعف. كان أحدهم يعمر ألف سنة، وجسمه ثمانون باعاً بالباع الأول، والحبة من القمح مثل كلوة البقر، والرمانة الواحدة يجتمع عليها عشرة نفر، والعنقود مثله. فكانوا ما يتناولونه من هذه الدنيا بهذه الصفة على مثل تلك الأجساد في مثل تلك الأعمار. فمنها أشروا وبطروا واستكبروا، وأعرضوا عن الله (عز وجل)، فصب الله عليهم سوط عذاب على ما نطق به كتاب الله العزيز، ثم لم يزل الناس ينقصون في الخلق والخلق والأجل والرزق إلى أن صارت هذه الأمة آخر الأمم، حتى يأخذوا من الدنيا أرزاقاً قليلة، بأجساد ضعيفة، في مدة قصيرة، حتى لا يأشروا ولا يبطروا. فهذا تدبير من الله (عز وجل) رحمة لهذه الأمة. ثم ضوعف لهم الحسنات، فجعلت الحسنة الواحدة بعشرة إلى سبعمائة، إلى ما لا يعلمه من التضعيف إلا الله تعالى. وأيدوا باليقين، واعطوا ليلة القدر، فجعلت حسناتهم على ثلاث منازل، لأنهم ثلاثة أصناف : ظالمون، ومقتصدون، وسابقون. فالصنف الأول هم أهل تخليط، قوم موحدون لا يرعوون عن الحرام، ولا يحفظون حدود الله تعالى ﴿ **خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً** ﴾[1] فهم الظالمون، فالحسنة منهم بعشر أمثالها.

والصنف الثاني قوم متقون، قائمون على الحدود، وعلى سبيل الاستقامة، وهم المقتصدون، فالحسنة منهم بسبعمائة، لأن جوارحهم صارت مسبلة لله تعالى، قد استقامت على سبيل الله تعالى. فإذا أنفقوا من جوارحهم عملاً، كان بسبعمائة، كالذي ينفق ماله في سبيل الله، فهو

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١٠٢.

بسبعمائة. ومما يحقق ذلك قوله (ﷺ) : « إذا حسن إسلام العبد تمم الله له عمله بسبعمائة ضعف »[1].

فقوله : « حسن إسلامه » هو أن يستقيم، ويكون مستقيم الطريق إلى ربه، لا يعرج يميناً وشمالاً، أي لا يعصى. فهذا ترفع أعماله من جوارح طاهرة، والأول من جوارح دنسة.

والصنف الثالث قوم أهل يقين، انتبهوا وحييت قلوبهم بالله (عز وجل)، وماتت منها الشهوات، وهم السابقون المقربون. قال الله تعالى في السابقين : ﴿ **ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير** ﴾[2]. فأعمالهم مضاعفة، لا يعلم تضعيفها إلا الله (عزّ وجلّ). وهو قول رسول الله (ﷺ) : « إن الرجل من أمتي ليبلغ وزن الحرف الواحد من تسبيحه زنة أُحد »[3].

وما روي عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال : إن الرجل من هذه الأمة يعدل عمل يومه سبع سموات وسبع أرضين.

وما روي عن كعب (رضي الله عنه)، أن الرجل من هذه الأمة ليخرّ ساجداً، فيغفر لمَن خلفه، فكان كعب (رضي الله عنه) يتوخّى الصف الأخير من المسجد رجاء ذلك، ويذكر أنه وجده كذلك.

---

(١) لم نعثر على هذا الحديث على كثرة البحث والتقصّي.

(٢) سورة فاطر آية رقم ٣٢.

(٣) لم نعثر على هذا الحديث بهذا اللفظ ولعلّه من النوادر التي وضعها الحكيم الترمذي في مصنّفه.

الأصل الحادي والعشرون

في خصوصية هذه الأمة

عن ام الدرداء (رضي الله عنها) تقول : سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت أبا القاسم (ﷺ) ــ يكنيه قبلها ولا بعدها ــ يقول : « إن الله (عز وجل) قال : يا عيسى إني باعث من بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا. وإن أصابهم ما يكرهون، احتسبوا وصبروا. ولا حلم ولا علم. قال : يا رب وكيف يكون هذا لهم ولا حلم ولا علم ؟ قال : أعطيتهم من حلمي وعلمي »[1].

فهذه أمة مختصة بالوسائل من بين الأمم، محبوة بالكرامات، مقربة بالهدايات، محظوظة من الولايات، تولى الله هدايتهم وتأديبهم وتقريبهم، مسمون في التوراة صفوة الرحمن، وفي الإنجيل حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء، وفي القرآن أمة وسطا، أي عدلاً، وشهداء الله في الموقف للأنبياء (عليهم السلام) على الأمم، وخير أمة اخرجت للناس، والمنادون بجانب طور سيناء : يا أمة أحمد سبقت لكم رحمتي غضبي،

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في كتاب الزهد والطبراني في الكبير والمتوسط والسيوطي في الدر المنثور، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الايمان عن ابي الدرداء ــ رضي الله عنه ــ ورواه صاحب جامع الشمل

أعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، وأجبتكم قبل أن تدعوني، وهو قوله تعالى : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾[1] ﴿ **أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾[2] ﴿ **ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه** ... ﴾[3] الآية. غرّ محجلون، غر من السجود، محجلون من الوضوء، وهو قوله تعالى : ﴿ **سيماهم في وجوههم من أثر السجود** ﴾[4].

وعن عبدالله بن بشر المازني (رضي الله عنه) قال : قيل : يا رسول الله كيف تعرف أمتك يومئذ ؟ قال : أرأيت لو كان لأحدكم خيل دهم وفيها أغر محجل أما كان يعرفه ؟ قالوا : بلى يا رسول الله. قال : فإن أمتي يومئذ غر من السجود، محجلون من أثر الوضوء. سماهم الله مهاجرين وأنصاراً، هاجروا في ذاته الوطن والأهل والمال والولد، ونصروا الله تعالى : ثم من سار على منهاجهم بعدهم سماهم تابعين بإحسان. ثم جمعهم بالرضى عنهم فقال : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه** ﴾[5] وجمعهم في استحقاق الفيء فقال : ﴿ **للفقراء المهاجرين** ... ﴾[6] إلى أن قال : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم**... ﴾[7].

وإنما نالوا هذه الكرامات بخطة واحدة. وهو أن الله تعالى هداهم

---

(١) سورة القصص آية رقم ٤٦.
(٢) سورة الفتح آية رقم ٢٩.
(٣) سورة الفتح آية رقم ٢٩.
(٤) سورة الفتح آية رقم ٢٩.
(٥) سورة التوبة آية رقم ١٠٠.
(٦) سورة الحشر آية رقم ٨.
(٧) سورة الحشر آية رقم ١٠.

لسبيله، وهو قوله تعالى : ﴿ **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب** ﴾[1].

وقال (ﷺ) : « أعطيت أمتي من اليقين ما لم يعط أمة ».

وقال : (ﷺ) : « ما من نبيّ إلا وقد أُعطي من الآيات ما على مثله آمن البشر. وإني لم أبعث بآية وإنما أوحى إلي وحياً، ثم أنا أكثر الأمم تبعاً »[2] قال له قائل : وما تلك الهداية ؟ قال : الهدى على ثلاثة منازل : هدى على ألسنة الرسل وهو البيان يدعوهم ويبين لهم، فتلك هداية الظاهر، وهو قوله تعالى : ﴿ **فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى** ﴾[3] فإنما هداهم بالرسول (عليه السلام).

وهدى بالقلب يجعل فيه نوراً فيعرفه رباً واحداً وهو هدى التوحيد، وهو قوله تعالى : ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً** ﴾[4] فتلك هداية الباطن وهو الإيمان. قال الله تعالى : ﴿ **ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾[5].

أعطاه نوراً لمعرفته بأنه واحد، ثم تركه مع مجاهدة نفسه في أمره ونهيه على سبيل الاستقامة ليثيبه الجنة. وإنما كان ذلك لأن الشهوات

---

(١) سورة الزمر آية رقم ١٨.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الايمان ٧٠ باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد ﷺ الى جميع الناس ونسخ الملل بملته ٢٣٩ ــ (١٥٢) حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. ورواه الإمام البخاري في كتاب الاعتصام ٧٢٧٣ بسنده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ورواه الإمام أحمد في المسند ١ : ٢٤، ٤٥١ (حلبي).

(٣) سورة فصلت آية رقم ١٧.

(٤) سورة الأنعام آية رقم ١٢٢.

(٥) سورة البقرة آية رقم ١٤٢.

أحاطت بقلبه، فلم تتركه على سبيل أهل الوفاء، حتى يكون له عبداً بجميع جوارحه في جميع منقلبه كما عرفه رباً، فيكون واقفاً عند أمره ونهيه، مراقباً لحدوده. فهذه هداية العامة. ولا ينال بهذا تلك الصفة التي ذكرت في التوراة والإنجيل والفرقان؛ لأن النفس بما فيها من الهوى غلبت على القلب، ولا تتركه على الاستقامة حتى تميل به يميناً وشمالاً.

وهدى على القلب وهو هدى الولاية والعصمة، وهي أن يقذف الله في قلب العبد نوراً وهو اليقين حتى يهتك حجب الشهوات التي تراكمت في صدره. فتصير الآخرة له كالمعاينة، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾[1]. كما قال حارثة (رضي الله عنه) : كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً وإلى أهل الجنة كيف يتزاورون، وإلى أهل النار كيف يتعاوون فيها، وعزفت نفسي عن الدنيا، واستوى عندي حجرها ومدرها وذهبها وفضّتها. فقال رسول الله (ﷺ) : عرفت فالزم. عبد نور الله الإيمان في قلبه[2]. فهذا نور على نور. وذهبت ظلمات الشهوات من الصدر وهي التي كانت تحجبه عن الله تعالى ووعده ووعيده، وتزين له في صدره شهوات الدنيا، وهو قوله تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾[3].

هدى التوحيد شرط المجاهدة، وهي متقدمة عليها، وهدى الولاية حكم المجاهدة، فهي متأخرة عنها. وهذا الهدى نور يقذفه الله تعالى في القلب بعد المجاهدة، يستقر فيه وهو اليقين. فإنما سمي يقيناً لأنه استقر. فيمتلئ قلبه نوراً، ويشرق صدره به، فيتصور له الدنيا والآخرة وشأن

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٨٢.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث.

(٣) سورة العنكبوت آية رقم ٦٩.

الملكوت في صدره، ويتصور له أمور الإسلام، حتى تذل النفس وتنقاد، وتلقي بيديها السلم من الخشية والهيبة والسلطان الذي حل بقلبه وفي صدره، وهو قوله تعالى : ﴿ **أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه** ﴾[1].

فشرح الصدر إنما يكون من النور الذي يستقر فيقال له نور اليقين. وأما نور التوحيد في القلب والصدر بتراكم دخان الشهوات مظلم كالليل وكالغيم وكالغبرة وكالدخان وكالقتار.

وهدى رابع على القلوب، وهو هدى النبوة، وهو نور وجهه الكريم يوصل قلوبهم إلى وحدانيته، ويشرق صدورهم بنوره، ويجعلهم في قبضته، ويرعاهم بعينه، ويؤيدهم بنور قدسه. قال الله تعالى : ﴿ **اجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم** ﴾[2] وقال : ﴿ **أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة** ﴾[3] ثم قال : ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾[4].

وقال الله تعالى : ﴿ **قل إن هدى الله هو الهدى** ﴾[5].

أي إن ذلك الذي على ألسنة الرسل غير نافع ولا مغيث، وإنما الهدى هداي الذي أهدي على القلوب، وإن كان ذاك أيضاً يسمى هدى، فهذا أحق الهدى. وهو كما روي عن رسول الله (ﷺ) : ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس[6].

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٢٢.

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٨٧.

(٣) سورة الأنعام آية رقم ٨٩.

(٤) سورة الأنعام آية رقم ٩٠.

(٥) سورة البقرة آية رقم ١٢٠.

(٦) رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة مرفوعاً، وللديلمي بلا سند عن أنس رفعه: الغنى =

وهدي الرسل (عليهم السلام) حجّة الله على خلقه، بأن يبيّن لهم على ألسنتهم ضلالة سبيلهم. ثم ذكر هدى هذه الأمة فقال : ﴿ **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلّهم يرجعون** ﴾[1]... الآية إلى أن قال : ﴿ **قل إن الهدى هدى الله** ﴾[2].

أي هذا الهدى الذي آتيناكم يا أمة محمد هدى الله، فقوله : « إن الهدى » معرفة، وليست بنكرة، كأنه يشير إلى شيء منصوص يعني الهدى الذي أتى هذه الأمة هو هدى الله، أي هو الذي تولاكم بالهداية.

ثم قال : ﴿ **أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم** ﴾[3] أي من الهدى وهو اليقين. وهو قول رسول الله (ﷺ). « ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت هذه الأمة »[4].

ثم قال: ﴿ **أو يحاجوكم عند ربكم** ﴾[5] وهي المحاجة التي ذكر رسول الله (ﷺ) في الحديث يوم القيامة.

= غنى النفس، والفقر فقر النفس، ورواه العسكري عن أبي ذر في حديث أوله: يا أبا ذر أترى أن كثرة المال هو الغنى..؟ إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب، وروى النسائي وابن حبان، وابن عساكر عن أبي ذر: يا أبا ذر أترى كثرة المال هو الغنى.. ؟ إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب، من كان الغنى في قلبه فلا يضره ما لقي من الدنيا، ومن كان فقره في قلبه فلا يغنيه ما أكثر له في الدنيا، وإنما يضر نفسه شحها: انتهى.

وللعسكري أيضاً من حديث عائشة قال: قال اعرابي: « يسار غنى النفس أفضل من يسار المال، ورب شبعان من النعيم عريان من الكرم ».

(١) سورة آل عمران آية رقم ٧٢.

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٢٠.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ٧٣.

(٤) سبق تخريج هذا الحديث في هذا الجزء قريباً من هذا

(٥) سورة آل عمران آية رقم ٧٣.

ثم قال : ﴿ **قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾[1].

أما الحديث، فعن نافع، عن ابن عمر (رضي الله عنهما)، عن رسول الله (ﷺ) قال : « مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال : من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط. ألا فعملت اليهود. ثم قال : من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر، على قيراط قيراط، ألا فعملت النصارى. ثم قال : من يعمل لي من صلاة العصر إلى صلاة المغرب على قيراطين قيراطين. ألا فأنتم. فغضبت اليهود والنصارى. وقالوا : نحن أكثر عملاً وأقل عطاء. فقال : أظلمتكم من حقكم شيئاً ؟ قالوا : لا. قال : إنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء.[2] فقوله : « نحن أكثر عملاً وأقل عطاء. فقال أظلمتكم من حقكم شيئاً قالوا : لا. قال : إنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء »، فقوله : « نحن أكثر عملاً وأقل عطاء » هو المحاجة عند ربهم. قوله تعالى : ﴿ **أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء** ﴾[3].

فذكر في الآية أن هذه الأمة مختصة بالرحمة، مفضلة بالكرامة. فالفضل الذي آتاهم على الأمم أن أعطاهم اليقين فيه انكشف الغطاء عن قلوبهم حتى صارت الأمور لهم معاينة.

عن بكر بن عبدالله المزني (رضي الله عنه) قال : لم يفضل أبو بكر

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٧٣ وآية رقم ٧٤

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ٥٠ باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٣٤٥٩ ــ حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث بن نافع عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ عن رسول الله ﷺ قال: وذكره. ورواه أيضاً في الإجارة ١٠٨، وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٦ (حلبي).

(٣) سورة آل عمران آية رقم ٧٣.

(رضي الله عنه) الناس بكثرة صوم ولا صلاة، إنما فضلهم بشيء كان في قلبه.

عن عبد الرحمن بن زيد قال : قال عبدالله : أنتم اليوم أكثر صياماً وجهاداً وصلاة من أصحاب رسول الله (ﷺ)، وهم كانوا خيراً منكم. قالوا : فمم ذاك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة.

وقال طلحة بن عبيدالله (رضي الله عنه) : ما كان عمر (رضي الله عنه) أولنا إسلاماً ولا أقدمنا هجرة، ولكن أزهدنا في الدنيا وأرغبنا في الآخرة.

وأما قوله (ﷺ) في حديث عيسى (عليه السلام) : « فإن أصابهم ما يحبون، حمدوا وشكروا »[1] فالحمد هو التكلم بكلمة الحمد. وأما الشكر فهو رؤية النعمة من الله تعالى. ومن رأى النعم من الله تعالى ذللته أثقال النعم، وإنقاد لله تعالى. فإن الآدمي مطبوع هكذا ان من أحسن إليه فقد سبى قلبه وصار له كالآخذ باليد يذهب به حيث يشاء. والنفس يهيمها البر واللطف والرفق والإحسان. فإذا رأى العبد من الله تعالى إحسانه وبره تذلل له، واستحيى منه أن يخالف أمره.

وروي عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال : جبلت القلوب على حب من أكرمها وبغض من أهانها.

وعن عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : أحبوا الله لما يغزوكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي »[2].

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا.

(٢) هذا الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة ٣ : ١٤٩، ١٥٠ ثنا =

وعن الحسين (رضي الله عنه) قال : قال موسى (عليه السلام) : يا رب كيف شكرك آدم (عليه السلام) ؟ قال : علم أن ذلك مني وكان ذلك شكره.

فأما قوله : « احتسبوا وصبروا » فالاحتساب أن يرى ذلك الشيء الذي أخذه لله، وإن كان قد صيره باسمه، فالأصل هو لله تعالى، فيحتسبه لله تعالى كما في الأصل. وصبر أي ثبت فلم يزل عن مقامه لله (عز وجل) بزوال ذلك الشيء عنه. فإن العبد المؤمن يقول : انا لله وها أناذا بين يديه، مقيم في طاعته. ونعم الله عليه سابغة. فإذا امتحنه وأزالَ عنه نعمه، زال عن مقامه ذلك طالباً لتلك النعمة التي زالت. فليس هذا ثباتاً. والصبر هو الثبات على المقام بين يديه، وان لا يعصيه.

وأما قوله : « ولا حلم ولا علم » فكأنه يخبر أن الله (عز وجل) قدر علماً وحلماً لخلقه يتحالمون فيما بينهم ويتعالمون. فبذلك الحلم يتخلقون بأخلاقهم كما قدر فيهم رحمة واحدة، فقسمها بينهم فبها يتراحمون فيما بينهم، وبها يتلاطفون. ومنه قول رسول الله (ﷺ) : « ان الله (عز وجل) قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم »[1].

= عثمان بن سعيد الدارمي ثنا علي بن بري ثنا هشام بن يوسف الصنعاني وحدثنا أحمد بن سهل الفقيه، ومحمد بن علي الكاتب البخاريان ببخارى قالا: حدثنا صالح بن محمد بن حبيب الحافظ ثنا يحيى بن معين ثنا هشام بن يوسف، حدثني عبدالله بن سليمان النوقلي عن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس عن أبيه عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ وذكره. وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١) الحديث رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٤٤٧ كتاب التفسير: ثنا محمد بن عبد الوهاب ثنا يعلى بن عبيد ثنا أبو اسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة عن عبدالله ــ رضي الله عنه ــ في قوله تعالى: ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم** ﴾ الآية فقال عبدالله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره. وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ». وفيه زيادة [وإن الله ليعطي الدنيا من أحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من أحب، فمن أعطاه الدين فقد أحبه].

وكانت هذه الأمة آخر الأمم فرق ذلك ودق. فلو تركهم على دقة تلك الأخلاق، ورقة تلك الأحلام، وقلة العلم لم ينالوا من الخير إلا قليلاً يسيراً، وهو قول عبدالله بن عمر : ولم يزل الناس ينقصون في الخلق والخلق والرزق والأجل من زمن نوح (عليه السلام). وقد كان أحدهم يعمر الف سنة.

وروي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن البرة فيهم كانت ككلوة البقر، والرمانة الواحدة يقعد في قشرها عشر نفر، والرجل في خلقه ثمانون باعاً. فصارت الأعمار ما بين الستين إلى السبعين. والبرة هكذا والخلقة هكذا.

فانظر كم التفاوت بين العمرين، وبين الخلقتين، وبين الرزقين. فكذلك بين الخلقين. فكأنه على نحو ما ذكر لم يبق لنا من الحلم والعلم من الحظ إلا يسير كان ما يفسد أكثر مما يصلح. وكأنا في المثال كيأجوج ومأجوج إذ كان لا حلم ولا علم، فصرنا بمنة الله تعالى علينا بهذه الصفة التي وصف : إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا. حتى برزت هذه الأمة على الأمم وصاروا صفوة الرحمن، والمقدمين يوم القيامة، والمبدوء بهم، وحرام على الأمم دخول الجنة حتى تدخلها هذه الأمة. فسأل عيسى (عليه السلام) ربه، وقال : كيف يكون هذا الفضل لهم ولا حلم ولا علم ؟ قال : أعطيهم من حلمي وعلمي، وهو اليقين الذي أعطي هذه الأمة. فقال رسول الله (ﷺ) : « أعطي أمتي ما لم يعط أحد »[1] وهو قوله تعالى : ﴿ **أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم** ﴾[2].

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير باكبر من هذا وبزيادة [ان يقولوا عند المصيبة إنّا لله وإنّا إليه راجعون] ورواه ابن مردويه عن ابي عباس ــ رضي الله عنهما والسيوطي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **إن يُؤتى أحدٌ مثل ما أُوتيتم** ﴾.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٧٣.

ثم قال: ﴿ **قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾[1] وقوله: ﴿ **وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً** ﴾[2].

فقوله: « أعطيهم من حلمي وعلمي » أي أعطيهم النور في قلوبهم، فتنشرح له صدورهم، وتتسع، فهو حلمه. وأصل الحلم إتساع القلب والصدر بالأمور. فكلما دخل الصدر فكرة أمر ذاب فيه وانهضم كما ينهضم الطعام في المعدة، فاتسع الصدر للأمور، وصلحت وطابت، فكل طعام لا ملح فيه فلا طعم له، وكل أمر لا حلم له في القلب فلا يتسع له. ولا تجد النفس طعم ذلك الأمر فتلفظه. فإذا لفظته ضاق الصدر. فإذا ورد النور على القلب، اتسع الصدر لذلك الأمر، فمنه تخرج محاسن الأخلاق والأفعال. وهو قوله (عزّ من قائل): ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه** ﴾[3].

والحلم والملح يرجعان إلى معنى واحد. وكل واحد منهما ثلاثة أحرف، تستعمل كل واحد منهما في نوعه.

وأما قوله: « ومن علمي » فإنه لما ورد النور على قلوبهم، صاروا في العلم بالله تعالى وبأسمائه الحسنى، بحيث سبى قلوبهم، وصارت قلوبهم متعلقة بذكره، فاحتشت صدورهم من الحكمة. وفهموا عن الله تعالى فصاروا أبراراً أتقياء فقهاء. ولو تركهم على قسمهم وحظهم في آخر الأمم من الذي قدر لجميع الأمم من الحلم والعلم والرحمة، لكانت هذه

---

(١) سورة آل عمران الآيتان رقم ٧٣ و ٧٤.

(٢) سورة الفتح آية رقم ٢٦.

(٣) سورة الزمر آية رقم ٢٢.

الأمة أدنى الأمم وأخسها. فلما منَّ عليهم بعطائه الواسع الكريم، برزوا على الأمم.

فلذلك قال رسول الله (ﷺ) : « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى »[1] فإنما قووا على أن صاروا مهاجرين وأنصاراً هجروا أوطانهم وأموالهم وأولادهم، ونصروا الله تعالى ورسوله (عليه السلام) وصاروا من بعدهم تابعين لهم بإحسان بمثل هذا العطاء الواسع واليقين النافذ أي النافذ من الأسباب إلى ولي الأسباب. لأن النفس من شأنها أنها لا تترك شيئاً قبضت عليه حتى تطمع في شيء خير منه. وإلا فمخالبها أحد من أن يقدر على الانتزاع منها. فإذا كان في كفها درهم فأطمعت في دينار، فرأت الدينار رمت بالدرهم، فأعرضت عنه، ثم هي مقبلة على الدينار، فإذا أطمعت في جوهر فنظرت الى الجوهر الذي يعدل ملء بيت ديناراً، لهت عن الدينار وصارت خدرة ذبلة، وضعفت قوة مخالبها، فصارت سلسة فأقبلت على الجوهر معرضة عن الدينار والدرهم، مشتغلة بالجوهر، وتعنى به. فلولا أن منَّ الله على هذه الأمة بهذا اليقين حتى طالعوا الملكوت وعظم جلال الله في صدورهم متى كانوا ممن يؤبه لهم ويعبأ بهم وهم آخر الأمم، وأقلهم حظاً من الحلم والعلم الذي قدر لهذه الأمم.

وروي عن كعب (رضي الله عنه) أنه قال : لما نظر موسى (عليه السلام) في الألواح قال : يا رب إني أجد في الألواح صفة قوم على قلوبهم من النور أمثال الجبال، تكاد البهائم تخر لهم سجداً إذا رأوهم من النور الذي في صدورهم. قال : تلك أمة أحمد، يذمون أنفسهم ولا يعجبون بها. فمن سعة أخلاقهم ونور قلوبهم أمكنهم أن يهاجروا وينصروا

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد ٤٢٨٨ ــ عن بهز بن حكيم عن جدّه قال : سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يقول وذكره. وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٤٤ (حلبي).

الله ورسوله. وقالت بنو إسرائيل لموسى (عليه السلام): ﴿ **إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون** ﴾[1].

وعن عبدالله بن عمرو قال : أجد في الكتب أن هذه الأمة تحب ذكر الله تعالى كما تحب الحمامة وكرها، وهم أسرع إلى ذكر الله من الإبل إلى وردها يوم ظمأها.

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٢٤.

الأصل الثاني والعشرون

في النهي عن الأكل على الخوان وفي السكرجة والمرقق

عن قتادة، عن أنس (رضي الله عنه) قال : ما أكل رسول الله (ﷺ) على خوان قط، ولا في سكرجة، ولا خبز له مرقق. قلت لأنس : فعلى ما كانوا يأكلون ؟ قال : على السفر.

فالخوان[1] هو شيء محدث فعلته الأعاجم، والعرب لم تكن لتمتهنها، وكانوا يأكلون على السفر، واحدتها سفرة، وهي التي تتخذ من الجلود، لها معاليق تنضم وتنفرج، فبالانفراج سميت سفرة، لأنها اذا حلت معاليقها، انفرجت، فأسفرت عما فيها. وإنما سمي السفر لأسفار الرجل بنفسه عن البيوت والعمران.

وقوله : « ولا في سكرجة » لأنها أوعية الأصباغ، ولم يكن من شأنهم

---

(١) الخوان بالكسر الذي يؤكل عليه معرَّب. قلت: والضم لغة فيه نقلها الفارابي، وقال: والكسر أفصح، وثلاثة أخونة، والكثير خُونٌ ساكن الواو. والخان: محل التجارة.

الألوان، إنما كان طعامهم الثريد عليها مقطعات اللحم وقال (ﷺ) : « انهس اللحم نهساً فإنه أشهى وأمرأ »[1].

قوله : « ولا خبز له مرقق » فكان عامة خبزهم الشعير. وإنما يتخذ الرقاق من دقيق البر، وقل ما يتخذ، ويمكن اتخاذه من الشعير، وإنما الرقاق لمن اتخذ الميسر، والميسر من فعل العجم. والعرب تنهس اللحم عن وكيع ما درينا ما ورد طعام المريض، حتى جاءنا ابن المبارك. والميسر من تيسير اللحم، وهو تفريق اللحم اليسير على النفر الكثير.

فإن قال قائل : فقد جاء في الأخبار ذكر المائدة. قال رسول الله (ﷺ) : « تصلي الملائكة على الرجل ما دامت مائدته موضوعة ». عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : لو كان الضب حراماً ما أكل على مائدة رسول الله (ﷺ). وقال فرقد : رأيت محمداً (ﷺ) وطعمت على مائدته الطعام.

فالمائدة كل شيء يمدّ ويبسط، مثل المنديل والثوب، والسفرة لنسب إلى فعله، وكان حقه أن يكون مادّة الدال مضاعفة، فجعلوا إحدى الدالين ياء، فقيل مائدة. والفعل واقع به، فكان ينبغي أن يكون ممدوداً. ولكن خرجت في اللغة مخرج فاعل، كما قالوا سرّ كاتم وهو مكتوم،

---

(١) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب الأطعمة ٣٢ باب ما جاء أنه قال: انهسوا اللحم نهساً ١٨٣٥ حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا سفيان عن عبد الكريم عن عبدالله بن الحرث قال: زوجني أبي فدعا أناساً فيهم صفوان بن أمية فقال: إن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

قال الترمذي: وفي الباب، عن عائشة وأبي هريرة. وهذا حديث لا نعرفه إلا من حديث عبد الكريم، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الكريم المعلم منهم أيوب السختياني من قبل حفظه.

والحديث رواه أبو داود في الأطعمة ٢٠ والنسائي في الصيام ٤٣ والدارمي في الأطعمة ٢٠ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ٤٠٠، ٦ : ٤٦٥ (حلبي).

وعيشة راضية وهي مرضية. وكذلك قد خرجت في اللغة ما هو فاعل مخرج مفعول، فقالوا : رجل مشؤوم، وإنما هو شائم، وحجاب مستور وإنما هو ساتر. فالخوان هو المرتفع عن الأرض بقوائمه. والمائدة ما مد وبسط[1]. والسفرة ما أسفر عما في جوفه، وذلك أنها مضمونة بمعاليقها.

عن الحسن (رضي الله عنه) قال : الأكل على الخوان فعل الملوك، وعلى المنديل فعل العجم، وعلى السفرة فعل العرب وهو السنة.

ولما غلب العجم على هذا الفعل، قيل للخوان مائدة. ومما يحقق ذلك ما جاء في التنزيل من ذكر المائدة. وإنما نزلت سفرة حمراء مدورة.

---

(١) قال قطرب: لا تكون المائدة مائدة حتى يكون عليها طعام فإن لم يكن عليها طعام قيل خوان: وهي فاعلة من ماد عبده إذا أطعمه وأعطاه، فالمائدة تميد ما عليها أي تعطي ومنه قول رؤبة: أنشده الأخفش:

تهـــدي رءوس المترفيـــن الأنـــداد الـــى أميـــر المؤمنيـــن الممتـــاد

أي المستعطي المسئول، فالمائدة هي المعطية المطعمة الآكلين الطعام ويسمى الطعام مائدة تجوزاً، لأنه يؤكل على المائدة كقولهم: ماد الشيء إذا مال وتحرك قال الشاعر:

لعـــلك باكٍ إن تغـــنت حمامـــة يميـد بهـــا غُصن من الأيك مائـــل

وقال آخر:

وأقلقنـــي قتـــل الكنانـــي بعـــده فكـادت بي الأرض الـفضاء تميـد

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم** ﴾.

الأصل الثالث والعشرون

في الأمر بقطع المراجيح

عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (ﷺ) أمر بقطع المراجيح.

مرجح، ومرجاح لغتان. فمرجح جمعه مراجح. ومرجاح جمعه مراجيح. كمفتح ومفاتح ومفتاح ومفاتيح. وهو لهو ولعب. إنما كان يفعله العجم في أيام النيروز تفرجاً وتلهياً عن الغموم التي تراكمت على قلوبهم من رين الذنوب. وقد تأدت الى العرب سنتها. والمؤمن قد تعتوره الأحزان والغموم لا محالة، فمحال أن ينفك عنه غموم الذنوب وأحزان مشيئة الله تعالى فيه. هذا حال المقتصدة.

فأما أهل المعرفة وهم المقربون، فغمومهم من البقاء في الدنيا. فإن الدنيا مطبق المقربين ينتظرون متى الراحة منها. وهو قول رسول الله (ﷺ) : « الدنيا سجن المؤمن »[1].

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الزهد والرقائق ١ــ (٢٩٥٦) حدثنا عبد العزيز (يعني الدَّراوردي) عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره وفيه زيادة « وجنة الكافر » ورواه الترمذي في كتاب الزهد ١٦ باب ما جاء أن الدنيا =

وأما أحزانهم فمن ظماء الشوق إلى الله (عز وجل) فهذان الصنفان لم ينفكوا من الغموم والأحزان، وسائرهم مخلطون بطالون لعمرهم، غافلون عن الآخرة، سكارى حيارى، سكارى عن وعده ووعيده، حيارى في سيرهم إليه وركض الليل والنهار بهم إلى الله تعالى، فهم الذين يفزعون من غموم الدنيا ورين الذنوب المعذبة لقلوبهم في ظلمات سجون المعاصي إلى المرجاح تلهياً وتلعباً، يتفرجون ويتنشطون ويتلبسون ويلتمسون النزهة ونسيمها، ولا يعلمون أن النزهة في نزاهة القلوب وتطهيرها من آفات النفس وخدعها، ورين الذنوب حتى يجدوا نسيم الملكوت وروح قرب الله تعالى على قلوبهم في عاجل دنياهم.

روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « الإيمان حلو نزه فنزهوا ».

فإذا التمس العبد هذه النزهة، فهو نور على نور. والقلب مشحون بالنور، والصدر مشرق بالنور، يعلم من ربه، ويعلم ما مَنَّ به عليه ربه وهو عنه غنى، ولكنه رحمه فمنّ عليه مما يرى عنده. فأي فرح يتسع مع هذا الفرح في قلب ؟ وكيف يبقى في قلب فيه هذا الفرح بالله متسع للفرح بالدنيا وأحوالها؟ فالقلوب التي تعتورها غموم الآخرة هي نورانية تنفرج بتلك الأنوار التي يطالع بها الأخرة. وعظيم الرجاء من عند الماجد الكريم. وأما القلوب التي تعتورها ظلمات المعاصي، فهي قلوب معذبة ونفوس لقسة وجوارح كسلة يريدون أن يستروحوا إلى مثل هذه الأشياء من الملاهي، ويتنفسوا في فسيح النزهات ، وقد أخذت غموم النفس بأنفاسهم وجرعتهم الغيظ في أنهم لا يصلون إلى مناهم على الصفاء. فالملوك تخوف الغدر والبيات معهم، والأمراء خوف العزل معهم،

= سجن المؤمن وجنة الكافر ٢٣٢٤ بسنده عن أبي هريرة، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد، وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٩٧، ٣٢٣، ٣٨٩، ٤٨٥ (حلبي).

والأغنياء خوف السلب معهم. والأصحاء خوف السقم معهم. فهذه مخاوف مظلمة تورد على القلب مغمات كسحائب متراكمات تغور في جوفها من الحر، ومع تلك السحائب حر مؤذ، وذباب كلما ذب آب، وبراغيث يمنعن بعضهن عن الرقاد.

فهذه صفة قلب المتنزهة بنزهة الدنيا. فالسحائب معاصيه، والذي يغور في جوفها إصراره على المعاصي. والحر المؤذي شهواته التي تغلي في صدره، والذباب مناه كلما قضى نهمته من شيء عادت الأخرى. والبراغيث تنافسه في دنياه وفي أحوال دنياه، وثاب إليها. فإذا لم يصل إليها رجعت عليه بحزازة فعضته وهو الحسد والغيرة والبغضة والبخل والشح. فأي قلب هذه صفته يتهنى بنعمة من نعم الدنيا. فلا يغرن عاقلاً ظاهر فرحهم.

كما روي عن الفضيل بن عياض[1] أنه قال : ذل المعصية والله في قلوبهم وإن دقدقت بهم الهمالج أبى الله إلا أن يذل أهل معصيته. فأمر رسول الله (ﷺ) بقطع تلك المراجيح، وكره لهم أن يتزيوا بزي من اشترى الحياة الدنيا بالآخرة، فلا خلاق له هناك. مع أن الخطر في ذلك غير قليل. فربما انقطع الحبل، فاندق العنق، فصار معيناً على نفسه. فأما الذي يرخص فيه للتداوي لمريض ضاق بعلته صدره، أو للصبيان يعللون به، فذاك لهم كالمهد يرج فيه حتى يذهب به النوم؛ لأن الطفل لا يعقل ما يصلح له، ولا يصبر على الضجعة حتى يأخذه النوم، كما يصبر الكبير،

---

(١) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي، شيخ الحرم المكي من أكابر العباد الصلحاء كان ثقة في الحديث أخذ عنه خلق كثير منهم الإمام الشافعي، ولد في سمرقند عام ١٠٥ هـ ودخل الكوفة وهو كبير وأصله منها ثم سكن مكة وتوفي بها عام ١٨٧ هـ.

راجع طبقات الصوفية ٦ ــ ١٤ وتذكرة الحفاظ ١ : ٢٢٥ والتهذيب ٨ : ٢٩٤.

فيعلل بتلك الأرجوحة، فيهوي بجسده تلقفاً ودفعاً حتى ينام. فليس هذا بداخل عندنا في النهي؛ لأن هذا يأخذه على الانتفاع به، لا على الأشر والبطر، وعلى سبيل الملاهي في يوم أهل البطالات. عن داود بن أبي هند[1] (رضي الله عنه) قال : رأيت الشعبي[2] يترجح فنظرت إليه فقال : إنه نعت لي من وجع ظهري. ومحتاجة هذه النفس إلى تعليل في كل مكان. وأن تداوى ويرفق بها، والله تعالى رفيق يحب الرفق في الأمور كلها.

عن عروة، عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : قال رسول الله (ﷺ) : « إن الله يحب الرفق في الأمر كله »[3].

وعن القاسم بن محمد (رضي الله عنه) قال : سمعت عائشة (رضي الله عنها) تقول : قال رسول الله (ﷺ) : « من حرم حظه من الرفق

---

(١) هو داود بن أبي هند واسمه دينار بن عذافر ويُقال أبو محمد البصري رأى أنس بن مالك وروى عن عكرمة والشعبي وزرارة وغيرهم وعنه شعبة والثوري ومسلمه بن علقمة وغيرهم قال ابن معين ثقة، وقال العجلي بصري ثقة جيّد الإسناد رفيع. راجع تهذيب التهذيب ٣ : ٢٠٤.

(٢) هو عامر بن شراحبيل عبد الرحمن بن قاسم.

(٣) هذا جزء من حديث رواه الإمام البخاري في كتاب الاستئذان ٢٢ باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام ٦٣٥٦ عن الزهري، قال أخبرني عروة أن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك ففهمتها فقلت: عليكم السام واللعنة قال رسول الله ﷺ مهلاً يا عائشة: وذكره.

ورواه أيضاً في كتاب الدعوات ٥٩ والأدب ٣٥ ورواه الإمام مسلم في كتاب البر ٤٧ والترمذي في الاستئذان ١٢ باب ما جاء في التسليم على أهل الذمة ٢٧٠١ بسنده عن عائشة وقال: حديث عائشة حديث حسن صحيح. وابن ماجة في الأدب ٩ والدارمي في الرقاق ٧٥ وصاحب الموطأ في الاستئذان ٣٨ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ١١٢، ٤ : ٨٧ (حلبي).

فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة. ومن أُعطي حظه من الرفق فقد أُعطي حظه من خير الدنيا والآخرة »[1].

ومن الرفق والتعليل بالنفس ما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « لما انتهيت إلى سدرة المنتهى فتدلى النور الأكبر فغشى السدرة فحار بصري فحال دونه فراش من ذهب ». يعلله بذلك حتى يقوى بصره على رؤية النور. لأن الفراش إذا طار هكذا وهكذا حجبه مرة وانكشف له مرة.

وما روي عنه (ﷺ) في قصة المعراج أنه قال : « لما انتهيت إلى قرب العرش تدلى رفرف فأخذني من جبرائيل (عليه السلام) تناولاً إلى سند العرش، فجعل يهوي بي يخفضني مرّة ويرفعني مرّة ».

فذاك تعليل النفس، وذلك أنها لا تقوى على مباشرة الأمور في دفعة واحدة إلا قليلاً قليلاً. فقربه الرفرف في رفعه العرش، ثم خفضه ثم رفعه لكي تتمالك النفس. ولو كانت في دفعة واحدة لكان قمنا أن لا يتمالك، فكان الرفرف سبباً لتداريه والرفق به. وإنما قيل : « رفرف » لأنه يرفرف حول المشاهدة والقربة. ويقال هو أخضر من الدر والياقوت فيما جاء به الخبر. وإن أردنا بما ذكرنا من هذه الأشياء أن المرجاح الذي يوضع فيه الصبي أو المريض ليرجح بنفسه هكذا وهكذا حتى يجد الصبر على الإستقرار في موطن واحد خارج من النهي. وإنما وقع النهي على من تشبه بأهل البطالة في ذلك اليوم وبالملوك الفراعنة الذين تلذذوا به. فإن ذلك فعل ملهى مطرب مع الغناء والجواري والسماع على شاطئ الأنهار في تلك الخضر ونور الربيع، وأخذت الأرض زينتها وزخرفها في أيام

---

(١) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الأدب ٩ باب الرفق ٣٦٨٧ عن الأعمش، عن تميم بن سلمة عن عبد الرحمن بن هلال العبسي، عن جرير بن عبدالله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ٢٣ باب فضل الرفق ٧٤ (٢٥٩٢) بسنده عن جرير عن النبي ﷺ: وذكره.

النيروز مع طيب الهواء وسجسجة الجو تنزّهوا في نزهة الدنيا، وتنعّموا بالألوان، وقضوا المنى والشهوات، وحف بهم المعازف، وركبوا المراجيح، فتعجلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا.

قال الله تعالى : ﴿ **ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون** ﴾[1].

فبلغنا أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كلم في امتناعه من التوسع في النعيم، فتلا هذه الآية الكريمة. فقيل له : يا أمير المؤمنين أليس هذا للكفار ؟ فقال : ثكلتك أمك، الكفار أهون على الله تعالى من أن يعاتبهم. ونظرت في هذه الآية فوجدت مبتدأها ذكر الكفار، وهو قوله تعالى : ﴿ **ويوم يعرض الذين كفروا على النار ...** ﴾[2] ثم قال في آخرها : ﴿ **... فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون** ﴾[3].

فأخبر أنه إنما جزاؤهم عذاب الهون بالاستكبار بغير الحق، وبالفسق، ليحذر المؤمن أن يستكبر في أرضه بغير الحق، وأن يفسق. فإن دخول النار بالكفر، وتضاعف العذاب، وقسمة الدركات بالأعمال السيئة، والأخلاق السيئة. ودخول الجنة بالإيمان وتضاعف النعيم. وقسمة الدرجات بالأعمال والأخلاق الحسنة. ولما عير الكفار بالكبر والفسق، فزع عمر (رضي الله عنه) من ذلك، وحق له أن يفزع من التعجيل ببعض الطيبات في الحياة الدنيا، والاستمتاع بها.

---

(١) سورة الأحقاف آية رقم ٢٠.

(٢) سورة الأحقاف آية رقم ٢٠.

(٣) سورة الأحقاف آية رقم ٢٠.

ومن ههنا ما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه أُتي بعسل قد خيض بماء فرده، وقال : « أما إني لا أحرمه، ولكني أتركه تواضعاً لله تعالى »[1].

كأنه رأى أن النفس إذا أعطيت شهواتها فذاك من الاستكبار، وإذا منعت فذاك من التواضع لله تعالى. هذا فيما حل، وأطلق له. فكيف بما حرم عليه ؟ وان الله تعالى خلق الجنة فحشاها بالنعيم ثواباً لأهلها، وخلق النار فحشاها بالعذاب عقاباً لأهلها، وخلق الدنيا فحشاها بالآفات والنعيم محنة وابتلاء، ثم خلق الخلق والجنة والنار في غيب منهم، لم يعاينوه. فالنعيم والآفات التي في الدنيا من أنموذج الآخرة ومذاقه فيها. وخلق في الأرض من عبيده ملوكاً، أعطاهم سلطاناً أرعب به القلوب، وملك به النفوس قهراً أنموذجاً ومثالاً لتدبيره وملكه، ونفاذ أمره، ووصف الدارين، وضرب الأمثال، ثم قال : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾[2].

وليس في الدنيا شهوة ولا نعمة إلا وهي أنموذج الجنة وذوقها. ثم من وراء ذلك فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ولا سمي للعباد منها، لم ينتفعوا بتلك الأسماء؛ لأنهم لم يعقلوه ههنا، ولا رأوه، ولا أنموذج لها في الدنيا. والجنة مائة درجة، وإنما وصف منها ثلاث درجات : الذهب والفضة والنور، ثم ما وراء ذلك لا تحتمله العقول. ولأهل الجنة تلاق وزيارات ومتحدث من مواطن الألفة ومجتمع في ظل طوبى، ويركبون رفارف. والرفرف شيء إذا استوى عليه رفرف به، وأهوى به كالمرجاح يميناً وشمالاً، ورفعاً وخفضاً، يتلذذ مع أنيسه. فإذا ركبوا الرفارف أخذ إسرافيل (عليه السلام) في السماع.

---

(١) لم نعثر على هذا الأثر على كثرة البحث والتقصي، ولعله من النوادر التي تفرد بها الحكيم الترمذي.

(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٤٣.

وقال طلحة بن مطرف (رضي الله عنه) : يعجبني أن يمر بي يوم النيروز وأنا لا أشعر به. ومن ذهب يصوم في ذلك اليوم، ويزيد في أعمال البر، يتوخى بذلك خلافاً لهم، فهذا مذهب أيضاً، ولكن المذهب الأول وهو ما ذكره طلحة بن مصرف أسلم له. فإن هؤلاء اتخذوه عيداً لنزهتهم وسرورهم. وهذا قد اتخذه عيداً لعبادته. والإتخاذ يشبه الاتخاذ، وإن كان العملان متباينين. ألا ترى أن رسول الله (ﷺ) نهى عن صوم يوم الجمعة وقال : « لا تتخذوه عيداً »[1].

وروي عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه أُتي بفالوذج.

فقال : ما هذا ؟ قالوا : إنه يوم نيروز، وذلك بأرض العراق.

قال : « نورزوا كل يوم ». كأنه أراد أن لا يعبأ به.

---

(١) النهي عن صيام يوم الجمعة يكاد يكون متواتراً فقد رواه الإمام مسلم في كتاب الصيام ٣٤ باب كراهية صيام يوم الجمعة منفرداً ١٤٧ بسنده عن أبي هريرة، وأخرجه الترمذي في كتاب الصوم ٤٢ باب ما جاء في كراهية صوم يوم الجمعة وحده ٧٤٣ بسنده عن أبي هريرة وأخرجه البخاري في ٣٠ ــ كتاب الصوم ٦٣ صوم يوم الجمعة حديث ١٠١٠ ولكن ليس فيها (لا تتخذوه عيداً).

الأصل الرابع والعشرون

في قوله (ﷺ) : احشر أنا وأبو بكر وعمر

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « أحشر أنا وأبو بكر وعمر هكذا ». وأخرج السبابة والوسطى والبنصر وأراه قال : « ونحن مشرفون على الناس »[1].

السبابة من الأصابع التي تلي الابهام. وكانت في الجاهلية تدعى السبابة لأنهم كانوا يسبون بها. فلما جاء الله تعالى بالاسلام، سموها المشيرة. وذلك أنهم كانوا يشيرون بها إلى الله (عز وجل) بالتوحيد. وفي حديث وائل بن حجر سماها السباحة. ولكن اللغة سارت بما كانت تعرف في الجاهلية فغلبت.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا تأكلوا بهاتين ». وأشار بالابهام والمشيرة. وقال : كلوا بثلاث فإنها سنة، ولا تأكلوا بخمس فإنها أكلة الأعراب.

فالأكل بالخمس علامة الحرص والاقتحام في الطعام. وذلك مما يمحق البركة ويفسد على أصحابه حتى يعافوه. والأكل بإصبعين مما لا

(١) رواه الطبراني في الكبير وابن مردويه، وابن أبي حاتم، والسيوطي في الدر المنثور.

يستوفي وهي أكلة الملوك، وزي أهل النخوة الذين يستكبرون ويمتنعون عن الأكل عتواً وتجبراً وصلفاً، وإذا نظروا فبلحاظ أعينهم. وإذا تكلموا فبأشداق أفواههم، وإذا سمعوا فبأصعار خدودهم، وإذا تناولوا فبأطراف أناملهم، وإذا مشوا فبأجنحة صدورهم، وتمطّي خواصرهم، متبخترين مشية مطيطاً (بضم الميم) مدوداً بطراً وعلواً. والأكل بثلاثة أصابع تواضع عن النخوة، وعفة عن الحرص. فالأول غلو والآخر تفريط، وما بينهما وسط.

قال الحسن البصري[1] (رحمه الله) : ان دين الله وضع على القصد. فدخل الشيطان فيه بالإفراط والتقصير. فهما سبيلان إلى نار جهنم. وعنه أن دين الله تعالى وضع دون الغلو، وفوق التقصير.

عن كعب بن عجرة (رضي الله عنه) قال : رأيت رسول الله (ﷺ) يأكل بثلاث أصابع بالإبهام والتي تليها والوسطى. ثم رأيته لحق أصابعه الثلاث حين أراد أن يمسحها. فلعق الوسطى، ثم التي تليها، ثم الإبهام[2].

فأما قوله (ﷺ) : « أحشر أنا وأبو بكر وعمر يوم القيامة هكذا » فهذا على درجاتهم. فكانت إشارة رسول الله (ﷺ) بأصابعه الثلاث.

وروي لنا عن أصابع رسول الله (ﷺ) أن المشيرة منها كانت أطول

---

(١) هو الحسن بن يسار البصري ابو سعيد تابعي كان امام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه، وهو احد العلماء والفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ولد بالمدينة عام ٢١ هـ وتوفي بها عام ١١٠ هـ

راجع تهذيب التهذيب ووفيات الأعيان وميزان الأعتدال ١: ٢٥٤ وحلية الأولياء ٢: ١٣١

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الأشربة ١٨ باب استحباب لعق الأصابع والقصعة، وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى وكراهية مسح اليد قبل لعقها ١٣١ ــ (٢٠٣٢) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب، ومحمد بن حاتم قالوا: حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن سعد بن ابراهيم عن ابن كعب بن مالك عن أبيه قال: وذكره. ورواه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٤٥٤ (حلبي).

من الوسطى والبنصر أقصر من الوسطى. وذكر المنازل والإشراف على الخلق. وأن رسول الله (ﷺ) أعلاهم اشرافاً، ثم من بعده أبو بكر دون رسول الله (ﷺ) فوق عمر، ثم من بعده عمر دون أبي بكر (رضي الله عنهما). فمن لم يعرف شأن أصابع رسول الله (ﷺ)، حمل تأويل هذا الحديث على الانضمام والاقتراب بعضهم من بعض. وهذا معنى بعيد؛ لأن حشر رسول الله (ﷺ) حشر الرسل (عليهم السلام) وحشر أبي بكر وعمر حشر الصديقين (رضوان الله عليهم أجمعين). وكذلك مقامه في العرصات هو في مقام النبيين. ومقامهما من العرصات مقام الصديقين.

عن ميمونة بنت كروم (رضي الله عنها) قالت : خرجت في حجّة حجها رسول الله (ﷺ) ولقد رأيتني أتعجب وأنا جارية من طول إصبعه التي تلي الإبهام على سائر أصابعه.

الأصل الخامس والعشرون

في أن الكتابة قيد للعلم وحفظ له من النسيان

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « قيدوا العلم بالكتابة »[1].

وفي المأثور من الحديث، عن رسول الله (ﷺ) أن الله تعالى لما خلق آدم، خلق لقلبه غاشية تنطبق مرة وترتفع مرة، فما سمع والغاشية مرتفعة حفظه، وما سمع والغاشية منطبقة نسيه.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : يا أمير المؤمنين مم يذكر الرجل ومم ينسى ؟ فقال : إن على القلب طخاءة كطخاءة القمر، فإذا تغشت القلب نسي بن آدم ما كان يذكر، وإذا تجلت ذكر ما كان نسي.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أن أول من خط بالقلم بعد آدم إدريس (عليهما السلام). وسمي بذلك لأنه كان يدرس الكتب. وكتب نوح

---

(١) الذي رواه الدارمي في المقدّمة من كلام عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ أخبرنا أبو عاصم أخبرني ابن جريج عن عبد الملك بن عبدالله بن أبي سفيان عن عمّه عمرو ابن أبي سفيان أنه سمع عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ يقول : وذكره.

(عليه السلام) ديوان السفينة. وكتب الله تعالى التوراة لعبده موسى (عليه السلام). قال تعالى : ﴿ **وكتبنا له في الألواح من كل شيء** ﴾[1] وكتب الزبور من زبر الرجل أي كتب. وقال تعالى في تنزيله : ﴿ **وكل شيء فعلوه في الزُّبُر** ﴾[2]. أي في اللوح. وأول ما بدأ شأن الكتابة بدأ القلم واللوح، فكتب ما هو كائن.

والكتاب حق وتدبير من الله تعالى لعباده. والكتب الجمع بين الحروف، ومنه سميت الكتيبة لأنها جمعت. فإذا قيدت المعاني بهذه الحروف المخطوطة التي هي دلائل على المعاني، فإن كانت محفوظة، فالكتاب مستغنى عنه، وإن نسيت، صار الكتاب نعم المستودع. وإن دخل القلب ريب في ذلك، نفى الريب واطمأنت النفس. وقد أدب الله (عز وجل) العباد وحثهم على مصالحهم، فقال (عز من قائل) في شأن المداينة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم** ... ﴾[3] الآية.

فاعلم أن الكتابة قسط عند الله تعالى، وهو العدل يؤدي ما ائتمن واستودع، وأقوم للشهادة أي أحرى أن يقوم بها، وأبعد من الشك والريبة. ومن ههنا أخذ طاووس فقال : يسعه أن يشهد على خطه وهو لا يذكر. فإذا كان تجار الدنيا في المداينة فيما بينهم يقيدون الأمانات المؤجلة لئلا تدرس ليؤدوها في مواقيت حلها كما ندبهم الله تعالى إليه ودلهم عليه، كان تجار الآخرة في تقييد الأمانات ــ التي أخذ الله تعالى الميثاق فيها أن يؤدوه ولا يكتموه ــ أحرى أن يحافظوا عليها، ويداوموا على إثباتها وتقييد رسومها، لئلا تدرس ليؤدوها في مواقيتها عند حاجة الخلق إليها في نوازلهم. فإن أمانة الدين أعظم شأناً من أمانة الدنيا. وقد ائتمن الله تعالى

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٤٥.

(٢) سورة القمر آية رقم ٥٢.

(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٨٢.

أهل الأموال ليحرزوها ويحفظوها، ويراقبوا أمر الله تعالى فيها من صرفها في وجوهها، وإخراج حقوقها، وإنفاقها في السبل التي أذن الله تعالى فيها.

وائتمن الله تعالى أهل العلم على ما أودعهم من نوره وبراهينه وكتبه وحججه ليحرزوها ويحفظوها، ويراقبوا أمر الله تعالى فيها من صرفها في وجوهها، ووضع كل شيء منها مواضعها، وإخراج حقوقها لأهل الحاجة إليها، وإنفاقها في السبل التي سبلها الله تعالى لهم. ولهذا ما جاء في الخبر « ان الله تعالى يختص هذين الصنفين من جميع الخلق للحساب، فيقول للعلماء : كنتم رعاة غنمي. ولأهل الأموال : كنتم خزان أرضي فقبلكم اليوم طلبني ».

فالمراعي بيد الخزان، والمرعى بيد الرعاة. إذا أرعى الخازن الغنم، رعاه الراعي، وذلك أن مرعى الغنم دنياهم، والدنيا بأيدي الخزان، والرعاية بأيدي الرعاة يسوقهم إليها فيرعيهم ويوردهم الماء حتى يعيشوا. وهو العلم الذي بين لهم منه، وإن تردي مترد جبر كسيرته، وإن عدى الذئب طردهم عنه بالكلاب، وإن مال إلى منابت السوء من السموم القاتلة، صرف وجوههم عنها. فهؤلاء الرعاة. فهذا شأن عظيم، قد قلدوا من أمور الخلق، فوقعت شدة الحساب عليهم. وإذا منع الخازن، هلكت الغنم. وإذا ضيع الراعي، هلكت. وكذلك جاء في الخبر أنه ينادى يوم القيامة : يا راعي السوء أكلت اللحم، وشربت اللبن، ولبست الصوف، ولم تأوِ لي الضالة، ولم تجبر الكسيرة، ولم ترعها في مرعاها، اليوم أنتقم منك.

فأما قول رسول الله (ﷺ) : « إن من أشراط الساعة أن توضع الأخيار، وترفع الأشرار، وأن تقرأ المثناة على رؤوس الناس »[1]. وما

(١) لم نعثر على هذا الأثر على كثرة البحث والتقصّي وإن كانت له شواهد في السنن.

شددت الصحابة (رضوان الله عليهم) في ذلك فقالوا : كتاب مع كتاب الله، فإن ذلك مما كانت اليهود فعلته. وقد وصف الله تعالى في تنزيله الكريم فقال : ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً** ﴾[1].

وذلك أنه لما درس الأمر فيهم، وساءت رغبة علمائهم، أقبلوا على الدنيا حرصاً وجمعاً، فطلبوا شيئاً يصرف وجوه الناس إليهم، فأحدثوا في شريعتهم، وبدلوا وألحقوا ذلك بالتوراة، وقالوا لسفهائهم : هذا من عند الله ليقبلوها عنهم فتتأكد رياستهم، وينالوا به حطام الدنيا. وكان مما أحدثوا فيه أن قالوا : ﴿ **ليس علينا في الأميين سبيل** ﴾[2] وهم العرب، أي ما أخذنا من أموالهم، فهو حل لنا، وكان مما أحدثوا فيه أن قالوا : « لا يضرّنا ذنب فنحن أحباؤه وأبناؤه ». تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وإنما كان في التوراة : يا أحباري ويا أبناء رسلي، فغيروه وكتبوا : يا أحبائي ويا أبنائي. فأنزل الله تعالى تكذيبهم :

﴿ **وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه. قل فلم يعذبكم بذنوبكم** ﴾[3]. فقالت : لن يعذبنا، وإن عذّبنا فأربعين يوماً. مقدار أيام العجل. فأنزل الله تعالى : ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة. قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون * بلى من كسب سيئة...** ﴾[4] الآية.

فحذر الرسول (ﷺ) هذه الأمة لما قد علم ما يكون في آخر الزمان، فحذرهم أن يحدثوا من تلقاء أنفسهم معارضاً لكتاب الله تعالى،

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٧٩.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٧٥.

(٣) سورة المائدة آية رقم ١٨.

(٤) سورة البقرة آية رقم ٨٠ وأول الآية ٨١

فيضلوا به الناس. والمثناة ما ثُني من الكتاب ليصرف وجوه الناس عن كتاب الله تعالى. فأما إثبات الكتاب، وما سمعوا من الرسول (ﷺ) من تفسيره وبيانه وشرحه فمحمود. قال (ﷺ) : ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله، فلا يتكئن أحدكم على أن يقول : ما وجدنا في كتاب الله (عز وجل) أخذنا به، وما لم نجد تركناه[1]. في كلام نحو هذا.

وكان الذين يأخذون عن رسول الله (ﷺ) أهل بصائر ويقين، وتجلية قلوب ويحفظون عنه. فلما صاروا إلى القرن الذي يليه وظهرت الفتن، احتيج الى إثباته في الكتب.

فمنهم من هاب ذلك، لأنه رآه حدثاً وأمراً لم يكن على عهد رسول الله (ﷺ) فهاب أن يكون بدعة. ومنهم من تجاسر عليه لما رأى فيه من النفع، كما تجاسر أبو بكر (رضي الله عنه) على جمع القرآن، وهابه عمر (رضي الله عنه) وقال : أنفعل ما لم يفعل رسول الله (ﷺ) ؟ قال عمر (رضي الله عنه) : فلم يزل يرادني في ذلك حتى شرح الله صدري لذلك. كما شرح صدره. فجمعوا على تأليفه أبي بن كعب وقراء القرآن (رضي الله عنهم). فكذلك هذه الكتب، لم يزل الناس كلما مضى قرن احوج إلى تقييده وبيانه وشرحه؛ لأن العلم في إدبار، والجهل في إقبال. حتى غلب الجهل، وأحاط بالخلق البلاء، ونجمت قرون البدع فأحوج ما كانوا إلى شرحه وبيانه في هذا الوقت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وقد أذن رسول الله (ﷺ) لغير واحد من أصحابه في ذلك (رضوان الله عليهم).

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة ٤٦٠٥ حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل، وعبدالله بن محمد النفيلي قالا: ثنا سفيان عن أبي النضر، عن عبيدالله بن أبي رافع، عن أبيه عن النبي ﷺ قال: وذكره.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رجلاً شكى إلى رسول الله (ﷺ) سوء الحفظ، فقال : استعن بيمينك.

عن عبدالله بن عمرو (رضي الله عنه) أنه استأذن رسول الله (ﷺ) في صحيفة يكتب فيها ما سمع منه، فأذن له.

عن عبدالله بن عمرو أنه قال : يا رسول الله أكتب ما أسمع منك ؟ قال : نعم. قال : عند الغضب والرضى ؟ قال : « نعم، فإنه لا ينبغي أن أقول إلا حقاً ».

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) خطب حيث افتتح مكة (شرفها الله) فقام رجل من أهل اليمن، يقال له أبو شاه، فقال : اكتب هذا لي يا رسول الله ؟ فقال رسول الله (ﷺ) : اكتبوه لأبي شاه. (يعني تلك الخطبة).[1].

عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال : قيدوا العلم. قلنا : وما تقييده. قال: علموا وتعلموا واستنسخوه فإنه يوشك أن يذهب العلماء ويبقى القراء لا يجاوز قراءة أحدهم تراقيه.

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب اللقطة ٧ باب كيف تعرف لقطة أهل مكة ٣٤٣٤ ــ حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأزواعي قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير قال: حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: حدثني أبو هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: وذكره، ورواه أبو داود في المناسك ٨٩ والديات ٤ والترمذي في العلم ١٢ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٣٨ (حلبي).

الأصل السادس والعشرون

في ذكر فتاني القبر

عن عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) ذكر يوماً فتاني القبر، فقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أترد إلينا عقولنا يا رسول الله ؟ قال : نعم، كهيئتكم اليوم. فقال عمر (رضي الله عنه) : ففي فيه الحجر[1].

المؤمن كريم على ربه، يدل بزلفاه على خلقه، فمن عرض له بسوء، عارضه بإذن الله معتزاً بالله. وكيف لا يكون هكذا وقد أوصى الله تعالى في تنزيله الكريم ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** ﴾[2].

اعلم أن المنافقين لا يعلمون هذا. فأما المؤمنون فقد بان لهم أن الله تعالى قد أعزهم وبان لهم عند أنفسهم أنهم إنما يعتزون بالله تعالى. فعمر

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ١٧٢ حدثني أبي ثنا حسن ثنا ابن أبي لهيعة حدثني حسين بن عبدالله أن أبا عبد الرحمن حدثه عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ: وذكره.

(٢) سورة المنافقون آية رقم ٨.

(رضي الله عنه) حين ذكر له فتاني القبر كأنه غاظه ذلك من فعل الفتانين، ففزع إلى الله تعالى، وسأل الرسول (ﷺ) فإنما كان يجد الخبر من الغيب على لسانه « أترد إلينا عقولنا ؟ »، فلما قال : « نعم، كهيئتكم اليوم »، أنطقته الجرأة الدالة، لا جرأة الحماقة. وجرأة الدالة من اليقظة والمعرفة. وجرأة الحماقة من الجهل والغفلة. فقال : « ففي فيه الحجر » أي أنه إذا كان عقلي الذي معي اليوم يرد عليَّ كهيئته اليوم معي، أسكته بحسن الجواب، فكأني ألقمته الحجر، أي بجوابي، وبما أعطي من سلطان الحق، ونفاذ بصيرة العقل؛ لأنه نظر فوجده كأنه أُعطي سلطان الامتحان، ونظر إلى نفسه، فوجده قد أُعطي سلطان الحق ونوره، فلم يبال به. وخلق خلقة منكرة، وسمي منكراً لذلك، وسمى صاحبه نكيراً. وقد وصفهما رسول الله (ﷺ) فقال : أعينهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، وشعورهما تحت أقدامهما، يحفران الأرض بأنيابهما. فإذا كان في القلب من سلطان المعرفة ما لا يهاب ملوك الدنيا، وسائرها ما ينفر منه القلوب، فإنه لا يهاب منكراً ونكيراً. وقال عمر (رضي الله عنه) في رواية : إذا أكفيهما يا رسول الله.

وعن عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) أنه خرج في سفر له، فإذا الجماعة على طريق. فقال : ما هذه الجماعة ؟ قالوا : أسد قطع الطريق. قال : فنزل ومشى إليه حتى قفده بيده ونحاه عن الطريق، ثم قال : ما كذب رسول الله (ﷺ) قال : « إنما يسلط على ابن آدم من خافه ابن آدم ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله لم يكله الله إلى أحد غيره ».[1].

وحديث ابن عمر (رضي الله عنهما) يدل على أن كلا إنما يرد إليه عقله الذي خرج به من الدنيا على تلك الهيئة. وبين العقول تفاوت. فإذا كان عقل الرجل وافراً فاستقبله هول من أهوال الدنيا من ذي سلطان أو

---

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير بالصحة.

غيره فاستقام ولم يدهش، ولم تصبه الحيرة في أمره، كان يومئذ مردوداً عليه ذلك العقل. فإذا استقبله هول فتاني القبر، لم يدهش ولم يتحير. ومن كان عقله اليوم ما إذا حل به شيء من ذلك الوجه دهش وتحير، ولم يثبت على الإستقامة حتى مال، كان إذا إستقبله هول فتاني القبر هناك مثل ذلك. وان الله تعالى يلطف لعبده المؤمن وينصره ويثبته في الأحايين كلها. قال عز من قائل : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾[1] فعلى قدر ثباته في الدنيا يكون ثباته في القبر.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) أنه ذكر حديث الصور فقال في آخر ذلك بقول الله تعالى لملك الموت (عليه السلام) : مَن بقي ؟ فيقول : بقيت أنت الحيّ القيّوم الذي لا يموت، وبقي عبدك ملك الموت، فيقول : يا ملك الموت أنت خلق من خلقي، خلقتك لما ترى، فقد مات الخلق كلهم، فمت ثم لا تحيى أبداً[2].

وقد امتنع كثير من الرواة من رواية هذا الحرف « ثم لا تحيى أبداً » وهاب هذه الكلمة وذلك مبلغ علمه. فنظرنا في هذا الحرف، فوجدنا أن الله تعالى يحب المؤمن، ومن حبه إياه رزقه الإيمان والمعرفة. فقمن أن يترك إحياء ملك الموت (عليه السلام) كرامة للمؤمنين. فإن كل من لقي من أحد شدة، ثقل عليه النظر إليه، فكيف بمن قتله، وقطع روحه من كل مفصل حتى نزعه ! ألا ترى أنه كان يأتيهم عياناً فشتموه وآذوه، فشكا إلى الله (عز وجل) فصير أمره في خفاء، وهيأ لهم الأسباب من

---

(١) سورة إبراهيم آية رقم ٢٧.

(٢) رواه ابن ماجة وأبو داود والطبراني في الكبير والسيوطي في الجامع الصغير. ورواية ابن ماجة في كتاب الزهد ٣٨ باب صف النار، ورواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ٤٣.

الأمراض والعلل لكي يدرس ذكر ملك الموت (عليه السلام) عن قلوبهم وألسنتهم، ويقولون : مات فلان بعلة كذا.

ألا ترى أنه لطمه موسى (عليه السلام) ففقأ عينه، فرجع يشكو إلى الله (عز وجل) وإنما فقأ عين الصورة التي كان أتاه فيها. وهذا عند من يجهل معناه منكر مرفوع متهم رواته. وكيف يتهم رواته وقد روته الأئمة من غير وجه.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) قال : « كان ملك الموت يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى (عليه السلام) فلطمه ففقأ عينه فرجع ملك الموت إلى ربه (عز وجل) فقال : يا رب إن عبدك موسى فعل بي ما ترى، ولولا كرامته عليك لشققت عليه. قال : إرجع إلى عبدي موسى فقل له فليضع يده على متن ثور، فخيره بكل شعرة توازي كفه أن يعيش سنة. فقال موسى (عليه السلام) : يا ملك الموت فما بعد ذلك ؟ فقال : الموت. قال : فمن الآن. قال : فشمه شمة فقبض روحه، فرد عليه بصره، فكان يأتي الناس بعد ذلك في خفية[1].

وإنما استجاز ذلك موسى (عليه السلام) لأنه كليم الله تعالى. كأنه رأى أن من اجترأ عليه ومد يداً بالأذى إليه، فقد عظم الخطب فيه. وإنما اعتز بالله تعالى ورغب في عبادته ودعوة الخلق إليه لا شحاً على الحياة وحرصاً على الدنيا وتلذذاً بها.

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٥٣٣ حدثني أبي ثنا أمية بن خالد ويونس، قالا ثنا حماد بن سلمة، عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ وقال يونس: رفع الحديث الى النبي ﷺ وذكره.

الأصل السابع والعشرون

في أن من السنة مشاركة الجليس في الهدية

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إذا أتى أحدكم بهدية فجلساؤه شركاؤه فيها »[1].

فالجلساء هم الذين داموا على مجالستهم معك، وفاوضوك في أمورك، فليس كل من جلس إليك فهو جليسك، كما يقال أكيلك وشريبك وحريفك ووزيرك. وليس كل من أكل معك مرة، أو وازرك على أمر مرة بأكيل أو وزير. فإذا أهدى لك فله من الحق أن تحذي له منها، لأن

---

(١) الحديث رواه أبو نعيم والطبراني وعبد بن حميد وعبد الرزاق عن ابن عباس وكذا ابن راهويه، وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات عن الحسن بن علي، والعقيلي لا يصح في هذا الباب عن النبي ﷺ شيء، وعبارة الدر للسيوطي من أهديت له هدية فجلساؤه وشركاؤه فيها ــ رواه الطبراني من حديث الحسن بن علي ــ رضي الله عنه ــ وعلقه البخاري عن ابن عباس بصيغة تمريض، وأخرجه العقيلي عن عائشة، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات فأخطأ: انتهى وعبارة اللآلئ من أهدي له هدية وعنده جلساؤه فجلساؤه شركاؤه فيها ــ حديث ضعيف أخرجه الطبراني في الكبير عن الحسن بن علي وقال البخاري في صحيحه: باب من أهدي له هدية وعنده جلساؤه فهو أحق.

كرامتك كرامته، وهو من أهل وصية الله تعالى بالإحسان إليه فقال : ﴿ **والصاحب بالجنب** ﴾[1].

قيل في التفسير : رفيقك في السفر، وجليسك في الحضر، وامرأتك التي تضاجعك.

عن مالك بن دينار (رضي الله عنه) قال : يقول الله تعالى : « إني لأهم بعذاب أهل الأرض، فإذا نظرت إلى جلساء القرآن وعمار المساجد وولدان الإسلام يسكن غضبي ».

فليس كل من قرأ القرآن فهو جليس القرآن. إنما الجليس من جالسه القرآن وفاوضه وأبدا له عن أسراره وعجائبه وبواطنه. وإنما يكون هذا لمن انتفى عنه جور قلبه، وذهبت خيانة نفسه، فأمنه القرآن، فارتبع في صدره، وتكشف له عن زينته وبهائه. وكذلك عمار المساجد ليس كل من أنفق في مسجد أو رمه فهو من العمار، إنما عمار المساجد من عمرها بذكره. قال الله تعالى : ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ... ﴾[2] الآية. فجليس القرآن من جالسه القرآن. فإذا وجد القلب طاهراً جالسه القرآن وكشف عن وجهه. فإن وجهه باطنه، وهذا ظهره الذي يعقله الناس.

ومنه ما قيل لرسول الله (ﷺ) : إنا لنجد لقراءتك لذة يا رسول الله ما لا نجد لقراءة أحد. قال : « لأنكم تقرأونه لظهر وأنا أقرأه لبطن »[3] فلا يكشف عن وجهه إلا الأمين الذي لا يخونه.

---

(١) سورة النساء آية رقم ٣٦.

(٢) سورة التوبة آية رقم ١٨.

(٣) لم نعثر على هذا الحديث على كثرة البحث والتقصّي ولعلّه من النوادر التي انفرد بها صاحب نوادر الأصول.

ومثله كمثل عروس مزين مدَّ يده إليها دنس متلوث في المزابل، متلطخ بالأقذار، وهي تعرض عنه أنفة، وتعافه وتقذره، فإذا تطهر ثم تزين فقد أدى حقها، أقبلت إليه بوجهها ففاوضته، وصارت له جليسة، فكذلك القرآن له ظهر وبطن، فوجهه مما يلي بطنه، والزينة والبهاء والحسن في الوجه، فلا يكون جليساً إلا من تطهر من الذنوب ظاهراً وباطناً، وتزين بالطاعة ظاهراً وباطناً، فعندها يأمنه القرآن، فيتحلى له بزينته وبهائه ومواعظه وحكمه وما حشى الله تعالى فيه من المن واللطف لعباده. وحرام على من ليس هذه صفته أن ينال ذلك. وكيف ينال البر واللطف عبد آبق من مولاه، هارب على وجهه، لا يزداد على تجدد الأيام إلا هرباً بنفسه. إنما ينال البر إذا أقبل إليه من إباقه تائباً نادماً، فيمكث في التوبة مدة يظهر له نصحه. فهناك فليتوقع بره ولطفه. فكذلك هذا كيف ينال البر واللطف من الله تعالى من قلبه، مكب على حطام الدنيا وقضاء الشهوات ! وإنما البر واللطف للمتقين والمحسنين، وقال تعالى : ﴿ **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق** ﴾[1].

وعن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « من تواضع لله درجة، رفعه الله درجة، ومن تواضع لله درجات، رفعه الله درجات حتى يجعله في أعلا عليين. ومن تكبر على الله درجة، وضعه الله درجة. ومن تكبر على الله درجات، وضعه الله درجات حتى يجعله في أسفل سافلين »[2].

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٤٦.

(٢) الحديث عند ابن ماجه في كتاب الزهد ١٦ باب البراءة من الكبر والتواضع ٤١٧٦ بسنده عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: وذكره.
في الزوائد: هذا إسناد ضعيف، ودراج بن سمعان أبو السمح المصري وإن وثقه ابن معين فقد قال أبو داود وغيره مستقيم إلا ما كان عن أبي الهيثم، وقال ابن عدي: عامة أحاديث دراج مما يتابع عليه وضعفه أبو حاتم والنسائي، والدارقطني.

فالمتكبر بغير الحق هو الذي يقضي نهمته وشهوته، ولا يبالي أذن الله له فيها أو لم يأذن. فهو من الله تعالى على عقوبة أن يضيعه، فكيف ينيله البر واللطف الذي يريه أحباءه في تنزيله الكريم. بل إذا تلاه صرف قلبه عنها، فلا يعيه ولا يفهمه، كما صرف هذا بقلبه عن الله تعالى إلى نفسه ودنياه. وروي في التفسير في قوله تعالى : ﴿ **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض** ﴾ قال : « أنزع عنهم فهم القرآن فلا يفهمونه، ولا يحدون له حلاوة ولا لذاذة ». وذلك أن الفهم نور، إذا ورد على القلب دنس المعاصي ارتحل النور فتحير عن فهمه. وروي في الحديث أنه قال : يأتي على الناس زمان يخلق القرآن في صدورهم حتى يتهافت مثل الثوب الخلق البالي.

الأصل الثامن والعشرون

في سر إماطة الأذى عن الطريق

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : « بينما رجل يمشي في الطريق إذا أبصر بغصن شوك، فقال : والله لأرفعهن هذا لا يصيب أحداً من المسلمين. فرفعه، فغفر له »[1].

قال أبو عبدالله : ليس برفع الغصن نال المغفرة فيما نعلمه، ولكن بتلك الرحمة التي عم بها المسلمين، فشكر الله له عطفه ورأفته بهم.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) : بينما عبد لم يعمل لله خيراً قط، مر على بئر فشرب، فإذا هو بكلب يلهث عطشاً، فغرف له بخفة فسقاه، فشكر الله له ذلك، فغفر له. وبينما عبد لم يعمل لله

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ٣٦ باب فضل إزالة الأذى عن الطريق ١٢٧ ــ (١٩١٤) حدثنا يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

ورواه أيضاً في كتاب الامارة ١٦٤ ورواه الإمام البخاري في كتاب الآذان ٣٢ باب فضل التهجير الى الظهر بسنده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ورواه أبو داود في كتاب الأدب ١٦ والترمذي في البر ٣٨ وصاحب الموطأ في الجماعة ٦ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٨٦ (حلبي).

تعالى خيراً قط، فمر على غصن شوك فأماطه عن الطريق، فغفر الله له. وبينما عبد لم يعمل لله تعالى خيراً قط، ففرق فخرج هارباً، فجعل ينادي : يا أرض اشفعي لي، ويا سماء اشفعي لي، ويا كذا اشفعي لي حتى أصابه العطش، فوقع، فلما أفاق قيل له : قم فقد شفع لك من قبل فرقك من الله تعالى .

قال أبو عبدالله : فإنما غفر له من أجل الرحمة التي رحم بها الكلب، وإنما غفر له من أجل الفرق الذي حل بقلبه لأنه عمل فيه حتى فارق المعاصي أصلاً فتركه بالجوارح فعلاً، وتركه قلباً ونفساً، فطهر الظاهر والباطن، واماتت منه شهوة كل معصية. والذي يترك المعاصي بجوارحه وشهوتها في قلبه، ونفسه تنازعه إلى ذلك، فإنه طهر ظاهره، فلم يطهر باطنه، فلم يستكمل التوبة بحقيقتها. ولما أنزل الله تعالى على نبيه (ﷺ) : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة** ﴾[1] قال : فلما تلاها رسول الله (ﷺ) على أصحابه (رضوان الله عليهم أجمعين)، خر فتى مغشياً عليه، فوضع رسول الله (ﷺ) يده على فؤاده فإذا هو يتحرك. قال : يا فتى قل : لا إله إلا الله. فأفاق الفتى وهو يقولها، فبشره رسول الله (ﷺ) بالجنة. فقال أصحابه : يا رسول الله أمن بيننا ؟ فقال (ﷺ) : أما سمعتم الله يقول : ﴿ **ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ﴾[2].

والرهب هرب القلب من هول سلطان الله، وهو أكبر من الخوف. والخوف خيفته وانزعاجه. والرغب التهاب القلب حرصاً على الشيء، وهو أعلى من الطمع.

---

(١) سورة التحريم آية رقم ٦.

(٢) سورة ابراهيم آية رقم ١٤. والحديث رواه السيوطي في الدر المنثور ونسبه الى الحكيم الترمذي وابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا عن عبد العزيز ابن أبي رواد ــ رضي الله عنه قال: بلغني أن النبي ــ ﷺ ــ قال: وذكره.

الأصل التاسع والعشرون

في النظافة

عن عبدالله بن بشر المازني (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « قصوا أظافيركم وادفنوا قلاماتكم ونقوا براجمكم ونظفوا لثاتكم من الطعام وتسننوا ولا تدخلوا عليَّ قخراً بخراً »[1].

أما قص الأظفار فلأنها تخدش وتضر، وهو مجمع الوسخ، وربما أجنب ولا يصل الماء إلى البشرة من الوسخ، فلا يزال جنباً. والأظافير جمع الأظفور. والأظفار جمع الظفر. وفي حديث رسول الله (ﷺ) أنه سها في صلاته فقال : وما لي لا أوهم ورفع أحدكم بين ظفره وأنملته، ويسألني أحدكم عن خبر السماء وفي أظافيره الجنابة والتفث.

وأما دفن القلامة فإن جسد المؤمن ذو حرمة، فما سقط منه فحظه من

---

(١) روى الإمام أحمد في المسند ٦ : ١٣٧ عن مصعب بن شيبة عن طلق بن حبيب، عن ابن الزبير عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ عشر من الفطرة ـــ وهذا الحديث يؤكّد حديث عبدالله بن بشر المازني. وكذلك ما أخرجه ابن ماجة عن أبي هريرة وعمار بن ياسر.

الحرمة قائم. وقد أمر رسول الله (ﷺ) بدفن دمه حيث احتجم كيلا يبحث عنه الكلاب.

وعن عبدالله بن الزبير (رضي الله عنه) أنه أتى رسول الله (ﷺ) وهو يحتجم، فلما فرغ قال : يا عبدالله بن الزبير : اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك أحد، فلما برز عمد إلى الدم فشربه، فلما رجع، قال : يا عبدالله ما صنعت به ؟ قال : جعلته في أخفى مكان ظننت أنه خاف على الناس. قال : لعلك شربته ؟ قال : نعم. قال : لم شربت الدم، ويل للناس منك وويل لك من الناس.

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : كان رسول الله (ﷺ) يأمر بدفن سبعة أشياء من الإنسان : الشعر، والظفر، والدم، والحيضة، والسن، والقلفة، والمشيمة.

والبرجمة ظهر عقدة كل مفصل، وهو مجمع الدرن. والراجبة قصب الإصبع ما بين العقدتين. فلكل إصبع برجمتان وثلاث رواجب إلا الإبهام فإن لها برجمة وراجبتين أمر بتنقيتها لئلا تدرن، فيحول درن تلك الفصول بين الماء والبشرة، وتبقى الجنابة. واللثة هي اللحمة فوق الأسنان ودون الأسنان وهي منابتها. والعمور اللحمة القليلة بين السنين، واحدها عمر، أمر بتنظيفها لئلا يبقى فيها وضر الطعام فتتغير النكهة، وتتنكر الرائحة.

وقوله : « تسننوا » أي استاكوا مأخوذ من السن. أي نظفوا السن. وقوله : « لا تدخلوا عليَّ قخراً بخراً » المحفوظ عندي قلحاً وقحلاً. والأقلح الذي اصفرت أسنانه حتى بخرت من باطنها. ولا نعرف القخر والبخر إلا الذي نجد له رائحة منكرة. يُقال : رجل أبخر، ورجال بخر.

الأصل الثلاثون

في أدب الصحبة

عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال : « ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه »[1].

فالإجلال للكبير هو حق سنه الله تعالى أنه تقلب في العبودة لله تعالى في مدة طويلة. والرحمة للصغير هو موافقة لله تعالى بأنه رحمة ورفع عنه العبودة، فلم يؤاخذه بحفظ حد ولا حكم. ومعرفة حق العالم هو حق العلم أن يعرف قدره بما رفع الله من قدره وآتاه العلم، قال تعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾[2] فيعرف درجاته التي رفع رفع الله له بما آتاه من العلم.

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر ١٥ باب ما جاء في رحمة الصبيان ١٩٢١ حدثنا أبو بكر محمد بن أبان، حدثنا يزيد بن هارون عن شريك عن ليث عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره وليس فيه (ويعرف لعالمنا حقه) ورواية الإمام أحمد في المسند ١ : ٢٥٧ حدثني أبي ثنا عثمان بن محمد، وسمعته أنا من عثمان بن محمد ثنا جرير عن ليث عن عبدالله بن سعيد بن جبير عن عكرمة عن ابن عباس يرفعه الى النبي ﷺ وذكره.

(٢) سورة المجادلة آية رقم ١١.

الأصل الحادي والثلاثون

في حقيقة الاستيداع وسره

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إذا أردت سفراً أو تخرج مكاناً فقل لأهلك : أستودعكم الله الذي لا يخيب ودائعه » .

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) لعمر : « إن الله إذا استودع شيئاً حفظه »[1]. أصل الوديعة هو الترك والتخلي عن الشيء. وهو قوله تعالى : ﴿ **ما ودعك ربك وما قلى** ﴾[2]. أي ما تركك.

وإن الله تعالى جعل الأمور إنما تقوم بالأسباب محنة وبلوى لينظر من ينفذ قلبه من الأسباب إلى ولي الأسباب. ومن يتعلق بها فيكون قلبه سبياً من سبي الأسباب فيكون مثله كما ذكر الله تعالى في تنزيله فقال :

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٨٧ حدثني أبي حدثنا عبد الرحمن ثنا سفيان عن نهشل بن مجمع عن قزعة عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: إن لقمان الحكيم ـــ كان يقول: وذكره.

(٢) سورة الضحى آية رقم ٢.

﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل ﴾[1].

فهذا في الظاهر تجد رجلاً يعبد أصناماً، ورجلاً سلماً للواحد القهار. وفي الباطن رجلاً في قلبه شركاء متشاكسون وهي شهواته التي تغلي في صدره. فقد سبى قلبه أسباب تلك الشهوات، ورجلاً قد انفرد قلبه للواحد، وخلا من جميع الأسباب، وماتت نفسه من الشهوات. ﴿ هل يستويان مثلا ﴾ ؟ ثم قال : ﴿ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾.

ثم قال تعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾[2].

فأهل الظاهر لم يعبروا عن الأسباب إلى وليها، فضيعوا حقوقه، وركبوا مساخطه. وأهل اليقين يعلمون ربوبيته قائمة في الأسباب، فلا تطرف عين، ولا ينبض عرق، ولا تحس حاسة إلا بإذنه، وقوام الأشياء ودوامها به، فاحتدت أبصار قلوبهم بنور اليقين، فنفذت إلى تدبير ولي الأسباب، فاستوطنت على القربة عاكفة على ربها (عز وجل)، وولت الأسباب ظهراً فهو يمضي في الأسباب كسائر الخلق، والأسباب لا تأخذه، ولا تفتن قلبه؛ لأن قلبه بين يدي الخالق مبهوت في جلاله وعظمته، والأسباب من وراء ظهره، فهو يمضي فيها ولا يلتفت إليها.

وإنما تأخذ الأسباب من استنزلته نفسه، وصار قلبه سبياً لنفسه وأسيراً من أسرائه. فإذا خلف شيئاً في مكان أراد أن يغيب عنه، واستودع الله ذلك الشيء فهد امنه في ذلك الوقت تخل وتبرؤ من حفظه ومراقبته، لأنه

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٢٩.

(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٤٣.

مادام معه فهو في نفسه يحسب أنه هو الذي يحفظه ويكلؤه ويرعاه، وهو يقول مع هذا : ﴿ **الله خير حافظاً** ﴾[1].

ولكن هذا القول منه قول الموحدين لا قول الموقنين، ثم اذا خلفه في حرز أو في حراسة غيره أو أخفاه في موضع، فقد وكله إلى ذلك الحرز والحراسة. وإذا جعله هكذا، ثم مع هذا أودعه ربه سبحانه وتعالى، فقد وكله إلى الله وتبرأ من حفظه وحفظ حرزه وحارسه وتخلى منه مضى في تدبير الآدميين أن يحرزوا أو يحرسوا، ثم وكله إلى الله تعالى فوجده ملياً وفياً كريماً.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنّه قال : « مَن توكّل على الله كفاه »[2].

وقال (ﷺ) : « من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله. فإنه إذا توكل، قوي قلبه، ولم يبال بأحد، وذهبت مخاوفه » .

وقال (عز وجل) : ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾[3].

وقال (ﷺ) : « من انقطع إلى الله كفاه ».

وان الله أعطى الخلق علم الأمور وعلم أسبابها وعلم حيلها، وأعطاهم القوة ومعرفة التصرف في ذلك. ولم يغنهم عن نفسه بما أعطاهم. فالغافل الأحمق يرى أن ما أُعطي من هذه الأشياء يقتدر بها في الأمور ويتملك،

---

(١) سورة يوسف آية رقم ٦٤.

(٢) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الزهد ١٤ باب التوكل واليقين ٤١٦٦ ــ ثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمحي عن موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ وذكره.

وفي الزوائد: إسناده ضعيف، وصالح بن رزيق ليس له إلا هذا الحديث قال في الميزان: حديثه منكر.

(٣) سورة الطلاق آية رقم ٣.

فيريه الله تعالى ضعفه وفقره وعجزه، ويعرفه أنه لا يقوم له شيء إلا به. وان الأسباب التي أعطاها كلها له عجزة ضعفاء مثله. وإذا قال العبد : « لا حول ولا قوة إلا بالله »، تبرأ من الأسباب، وتخلى من وبالها، فجاءته القوة والعصمة والغياث والتأييد والرحمة.

قال المصنف (رحمه الله) : حدثنا عبيد بن إسحاق العطار الكوفي قال : حدثنا عاصم بن محمد بن زيد بن عبدالله[1] بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهم) قال : حدثني زيد بن أسلم، عن أبيه قال : بينما عمر (رضي الله عنه) يعرض الناس إذا هو برجل معه ابنه فقال له عمر : ويحك، حدثني ما رأيت غراباً بغراب أشبه بهذا منك. قال : أما والله يا أمير المؤمنين ما ولدته أمه إلّا ميتة. فاستوى له عمر (رضي الله عنه) فقال : ويحك حدثني.

قال : خرجت في غزاة وأمه حامل به، فقالت : تخرج وتدعني على هذا الحال حاملاً مثقلاً، قلت : أستودع الله ما في بطنك. قال : فغبت ثم قدمت، فإذا بابي مغلق. قلت : فلانة. قالوا : ماتت. فذهبت الى قبرها أبكي، فلما كان من الليل قعدت مع بني عمي أتحدث، وليس يسترنا من البقيع شيء، فرفعت لي نار بين القبور، فقلت لبني عمي : ما هذه النار ؟ فتفرقوا عني. فأتيت أقربهم مني فسألته فقال : نرى على قبر فلانة كل ليلة ناراً. فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله إن كانت لصوامة قوامة

---

(١) عاصم بن محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب العمري المدني: روى عن أبيه وأخوته، وابن عم أبيه القاسم بن عبيدالله بن عبدالله بن عمرو ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم، وعنه أبو اسحاق الفزاري وابن عيينة ويعقوب بن إبراهيم وغيرهم. قال أحمد وابن معين، وأبو داود ثقة، وقال أبو حاتم ثقة لا بأس به، وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: أبو زرعة: صدوق في الحديث، وقال البزار: صالح الحديث. راجع تهذيب التهذيب ٥ : ٥٧.

عفيفة مسلمة، انطلق بنا. فأخذت فأساً فإذا القبر منفرج وهي جالسة وهذا يدب حولها، وناداني مناد من السماء : أيها المستودع ربه وديعته، خذ وديعتك، أما لو استودعت أمه لوجدتها. فأخذته وعاد القبر كما كان، فهو والله هذا يا أمير المؤمنين.

قال عبيد : فحدثت بهذا الحديث محمد بن إبراهيم العمري فقال : هذا والله الحق. وقد سمعت عم أبي عاصم يذكره وقال : ورأيت ابن ابن هذا الرجل بالكوفة، وقال لي موالينا : هو هذا.

الأصل الثاني والثلاثون

في بطاقة البهتان وبيان الاحتراز منه

عن ابن عمرو (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : يجاء بالعبد يوم القيامة فتوضع حسناته في كفة وسيئآته في كفة، فترجح السيئات فتجيء بطاقة فتقع في كفة الحسنات فترجح بها، فيقول : يا رب ما هذه البطاقة ؟ فما من عمل عملته في ليلي ونهاري إلا وقد استقبلت به. قال : هذا ما قيل فيك وأنت منه بريء. قال : فينجو بذلك[1].

وروي في الخبر أن داود (عليه السلام) سأل سليمان (عليه السلام): ما أثقل شيء ؟ فقال : البهتان على البريء.

عن علي (كرم الله وجهه) : البهتان على البريء أثقل من السموات.

---

(١) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب الإيمان ١٧ باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ٢٦٣٩ ــ حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبدالله بن ليث بن سعد، حدثني عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن المعافري ثم الحبلي قال: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وإنما صار هكذا لأن الآدمي ائتمن على جوارحه السبع ووكل برعايتهن أيام الحياة لئلا تدنس حتى يقدم على الله تعالى وهو مقدس يصلح لدار القدس، وأن يكون مجاوراً للقدوس، وزائراً له. فإذا رعاهن هذا المؤمن، ثم ضيع منه ما ضيع من غفلة أو زلة أو فتنة، فمن ورائه الندم والإقلاع والاستغفار، وباب التوبة مفتوح. فإذا رعى العبد هذه الجوارح فقال هذا في عرضه ما هو بري منه، فقد خونه في أمانة الله تعالى عنده، ولم يخن ورماه بداهية هو فيها ساع به إلى الله تعالى، وغير مقبولة سعايته ؛ لأن علام الغيوب مطلع على كذبه، وكتب في شهداء الزور. وقد نهى الله تعالى عنه وقرنه بالشرك. فقال تعالى : ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور** ﴾[1].

وقال (ﷺ) : « البهتان عدل بالشرك بالله » .

وسمي بهتاناً لأنه يبهت القلب ويحيره من ظلمته. فإن الظلم ظلمات. وإذا بهت القلب وتحير في الظلمة، ذهبت الهداية والبصيرة. وهو بمنزلة الشمس إذا انكسفت فتهافت نورها، فيصير الذي نيل من عرضه بهذا البهتان عند الله تعالى بحال رحمة حيث أُصيب من عرضه وخلص الألم إلى قلبه. وإذا كان بريئاً فهو أوجع لقلبه.

---

(١) سورة الحج آية رقم ٣٠ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال (اجتبوا) بدلاً (فاجتنبوا).

الأصل الثالث والثلاثون

في سر الاحتجاب وبيان حكمه

عن نبهان مولى أم سلمة (رضي الله عنهما) أنه حدث أن أم سلمة زوج النبي (ﷺ) حدثته أنها كانت عند رسول الله (ﷺ) وميمونة، قالت : بينا نحن عنده إذا أقبل إبن أم مكتوم، فدخل عليه، وذلك بعد أن أمر بالحجاب. فقال رسول الله (ﷺ) : احتجبا منه. فقلنا : يا رسول الله أليس هو الأعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله (ﷺ) : أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ؟[1].

قال أبو عبدالله : إنما ضرب الحجاب عليهن كرامة لرسول الله (ﷺ) وإجلالاً له، وصير الله تعالى أزواجه أمهات المؤمنين ليحرمن على من بعده. وقد تكلم بعضهم في حياته بشيء من تزويجهن فنزلت :

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الأدب ٢٩ باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال ٢٧٧٨ ــ حدّثنا سويد، حدّثنا عبدالله، أخبرنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن نبهان مولى أم سلمة أنه حدثه، أن أم سلمة حدثته وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ورواه أبو داود في كتاب اللباس ٣٤ وأحمد ابن حنبل في المسند ٦ : ٢٩٦ (حلبي).

﴿ **ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً** ﴾[1] ونزلت : ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** ﴾[2].

فانقطع الخطاب الذي كان فيما بينهم، والطمع في شأنهن، فصرن أمهات المؤمنين، وليس المؤمنون بمحرم لهن، وذلك ليعلم أنه إنما صرن إمهات المؤمنين ليحرمن على الرجال من بعده. وليس الرجال بمحرم لهن. فقال تعالى : ﴿ **وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن** ﴾[3].

فكما حظر على الرجال النظر إليهن، فكذلك حظر عليهن النظر إلى الرجال. فبين علة الحجاب أنه إنما أريد بذلك طهارة قلوب الصنفين جميعاً قلوب الرجال منهن، وقلوبهن من الرجال.

وروي في الخبر أن الحسن والحسين (رضي الله عنهما) كانا لا يريان أمهات المؤمنين. وإنما كان يدخل عليهن محارمهن من النسب والرضاع ومماليكهن.

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٥٣.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٦.

(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٥٣.

الأصل الرابع والثلاثون

في حقيقة النظرتين

عن أبي امامة (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها »[1].

فالنظرة الأولى نظرة الروح، والنظرة الثانية نظرة النفس؛ لأن الإنسان خلق مفتوح العين عمول ناظراه لحاظ هكذا وهكذا، فهو مأذون له في ذلك؛ لأن من شأن العين أن تطرف وتفتح. فإذا وقع بصره على شيء، فليس عليه شيء لأن قلبه لم يعمل شيئاً. فإذا عمل بصره، فإنما يعلمه، والابتداء من القلب حتى تعمل العين، فذاك نظر تكلف، فهو مسئول عنه، والأول مرفوع عنه. فلذلك قال : « ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة ثم يغض بصره » لأنه لما وقع بصره على المحاسن أول مرة وجب عليه أن يغض. فالغض فعل العين، فعليه يثاب. والفتح والنظر بعد ذلك فعل العين، فعليه يعاقب. يقال : إن بصر العين متصل ببصر الروح من داخل. فلذلك

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٥ : ٢٦٤ حدثني أبي ثنا إبراهيم بن اسحاق ثنا ابن مبارك، وعتاب قال ثنا عبدالله هو ابن المبارك، أنا يحيى بن أيوب عن عبيدالله بن زحر عن علي بن يزيد القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال:وذكره.

قيل : الحياء في العينين لأن الحياء من فعل الروح. ولذلك قيل : لا تطلبن إلى أعمى حاجة.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : لا تطلبن إلى أعمى حاجة، وإذا طلبت الحاجة فاستقبل الرجل بوجهك، فإن الحياء في العينين، ولا تطلبنها ليلاً، وباكر في حاجتك، فإن رسول الله (ﷺ) قال : « اللهم بارك لأمتي في بكورها »[1].

فلما غض بصره عما لا يخل فانما صان روحه ان تتدنس وقمع نفسه عن أن تلذ بشهوة فأُعطي نوراً ثواباً عاجلاً فوجد حلاوة العبادة.

عن أبي امامة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « النظر إلى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام الشيطان فمن صرف بصره عنها أبدله الله تعالى عبادة يجد حلاوتها »[2].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب البيوع ٦ باب ما جاء في التبكير بالتجارة ١٢١٢ حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدثنا هيثم، حدثنا يعلى بن عطاء عن عمارة بن جديد، عن صخر الغامدي قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

قال الترمذي: حديث صخر الغامدي، حديث حسن ولا نعرف لصخر الغامدي عن النبي ﷺ غير هذا الحديث، وقد روى سفيان الثوري عن شعبة عن يعلى بن عطاء هذا الحديث.

وأخرجه أبو داود في ١٥ كتاب الجهاد ٧٨ باب الابتكار في السفر حديث ٢٦٠٦ وأخرجه ابن ماجة في ٦٢ ــ كتاب التجارات ٤١ ــ باب ما يرجى من البركة في البكور حديث ٢٢٣٦.

(٢) رواه الحاكم وصححه، وأقره العراقي بلفظ: « النظرة سهم من سهام ابليس، من تركها مخافة الله أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه ». وضعفه المنذري عن حذيفة، وأخرجه الطبراني عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل: النظرة سهم مسموم من سهام ابليس من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه ومن شواهده ما عند البيهقي وغيره.

قال المنذري ورواتهم لا أعلم فيهم مجروحاً عن ابن مسعود: الاثم حزاز القلوب، وما من نظرة إلا وللشيطان فيها مطمع والله أعلم.

الأصل الخامس والثلاثون

في أن الحسنة بعشرة

عن أبي أيوب (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر »[1].

فمن أجل أن الله تعالى جعل الحسنة لهم بعشر أمثالها، فصوم رمضان بثلثمائة يوم. كل يوم بعشرة. وبقي من السنة ستون يوماً، فعدل كل يوم بعشرة، فيحتسب له على حساب تضعيف الحسنات، كأنه صام الدهر كله.

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الصوم ٥٣ باب ما جاء في صيام ستة أيام من شوال ٧٥٩ ــ حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا أبو معاوية، حدثنا سعد بن سعيد عن عمر بن ثابت عن أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

قال الترمذي: حديث أبي أيوب حديث حسن صحيح، والحديث أخرجه الإمام مسلم في ١٣ كتاب الصيام ٣٩ باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعاً لرمضان حديث رقم ٢٠٤.

وأخرجه ابن ماجه في ٧ كتاب الصيام ٣٣ باب صيام ستة أيام من شوال حديث ١٧١٦.

عن معاوية بن قرة، عن أبيه (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من صام ثلاثة أيام من كل شهر، فقد صام الشهر كله »[1]. لأن كل يوم يحتسب له في التضعيف بعشرة أيام.

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في ٧ ــ كتاب الصيام ٢٩ باب ما جاء في صيام ثلاثة أيام من كل شهر حديث ١٧٠٨.

ورواه الإمام الترمذي في كتاب الصوم ٥٤ باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر ٧٦٢ ــ حدثنا هناد، حدثنا أبو معاوية عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

الأصل السادس والثلاثون

في الشكر والصبر

عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر »[1].

فالطعم فعل، والصوم كف عن فعل. فالطاعم بطعمه يأتي ربه بالشكر، والصائم بكفه عن الطعم يأتي ربه بالصبر.

وقد روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « الإيمان نصفان. نصف للشكر، ونصف للصبر » .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة ٥٦ باب الطاعم الشاكر، مثل الصائم الصابر فيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

قال الحافظ: وهذا الحديث من الأحاديث المعلقة التي لم تقع في هذا الكتاب موصولة، وقد أخرجه المصنف في التاريخ، والحاكم في المستدرك من رواية سليمان بن بلال عن محمد بن عبدالله بن أبي حرة ــ بضم المهملة وتشديد الراء عن عمه حكيم بن أبي حرة عن سليمان الأغر عن أبي هريرة ولفظه: « إن للطاعم الشاكر من الأجر مثل ما للصائم الصابر » وقد اختلف فيه على محمد فأخرجه ابن ماجة من رواية الدراوردي عنه عن عمه حكيم عن سنان بن سنة الأسلمي وقيل عن الدراوردي عن موسى بن عقبة عن محمد عن عمه عن رجل من أسلم لكن صرح الدراوردي في رواية أحمد بأن محمد بن أبي حرة أخبره فلعله كان حمله عن موسى بن عقبة عنه ثم سمعه منه.

وفي حديث آخر عن ابن مسعود (رضي الله عنه) : « الصبر نصف الإيمان »[1] وإنما قال « نصف الإيمان » لأن نصفه للشكر.

ثم قال : « واليقين الإيمان كله » ثم تلا : ﴿ **إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ [2] وقال : ﴿ **وفي الأرض آيات للموقنين** ﴾[3].

فجمع اليقين الصبر والشكر. وإنما هو صنفان : معطي فعليه الشكر، وممنوع منه فعليه الصبر. فإذا شكر هذا، فقد أتى من حقيقة الإيمان بنصفه. وإذا صبر هذا، فقد أتى من حقيقة الإيمان بنصفه.

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات ٨٧ باب ٣٥١٩ ــ حدثنا هناد حدثنا أبو الأحوص عن أبي اسحاق عن جرير النهدي، عن رجل من بني سليم قال: عدهن رسول الله ﷺ في يدي أو في يده: وذكره.

ولفظه: الصوم نصف الصبر، والطهور شطر الإيمان.

ورواه ابن ماجه في كتاب الصيام ٤٤ باب في الصوم زكاة الجسد بلفظ « لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم » زاد محرز في حديثه: وقال رسول الله ﷺ: « الصيام نصف الصبر ».

في الزوائد: إسناد الحديث عن الطريقين معاً ضعيف فيه موسى بن عبيدة الزيري ومدار الطريقين عليه وهو متفق على تضعيفه.

(٢) سورة إبراهيم آية رقم ٥.

(٣) سورة الذاريات آية رقم ٢٠ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال: « إن في ذلك لآيات للموقنين ».

الأصل السابع والثلاثون

في سر قتل الحيات والنهي عنه

عن سري بنت نبهان العنوية قالت : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « اقتلوا الحيات صغيرها وكبيرها وأسودها وأبيضها. فإن من قتلها كانت له فداء من النار. ومن قتلته كان شهيداً »[1].

فالحية عدو قد أظهرت العداوة. وقد كانت وكلت بخدمة آدم (عليه السلام) في الجنة فخانته، وأمكنت عدو الله من نفسها حتى صيرته سبباً لدخوله الجنة في إغوائه. فلما ألقاهم إلى الأرض تأكدت العداوة من عدو الله ومن الحية لآدم (عليه السلام) وأولاده.

قال وهب بن منبه : لما أسكن الله (عزّ وجلّ) آدم (عليه السلام) الجنة وزوجته، كانت الشجرة وغصونها منشعبة بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة تخلدهم، وهي الثمرة التي نهى الله تعالى آدم وزوجته (عليهما السلام) عنها. فلما أراد إبليس أن يستنزلهما دخل في

---

(١) قال صاحب مجمع الزوائد باب قتل الحيات والحشرات ــ ثم ذكر الحديث وقال : رواه الطبراني في الكبير، وفيه أحمد بن الحارث الغساني وهو متروك.

جوف الحية. وكانت الحية لها أربع قوائم تحتية من أحسن دابة خلقها الله تعالى. فلما دخلت الحية الجنة،خرج من جوفها إبليس، وأخذ من الشجرة التي نهى الله آدم وزوجته (عليهما السلام) عنها، فجاء بها إلى حواء فقال لها : انظري الى هذه الشجرة ما أطيب ريحها، وأطيب طعمها، وأحسن لونها. فأخذتها حواء، فأكلتها، ثم ذهبت بها إلى آدم (عليه السلام)، فقالت : انظر الى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها، فأكل منها آدم (عليه السلام)، فبدت لهما سوآتهما فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه : أين أنت ؟ قال : أنا هنا يا رب. قال : ألا تخرج ؟ قال : أستحيي منك يا رب. قال : اهبط إلى الأرض التي خلقتك منها. قال : ملعونة الأرض التي منها خلقت لعنة تتحول ثمارها شوكاً. ثم قال : يا حواء غررت عبدي. فإنك لا تحملين حملاً إلا حملت كرهاً، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مراراً. وقال للحية : أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غر عبدي، ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك، ولا يكون لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك، أين لقيت أحداً منهم أخذت بعقبه، وحيث لقيك شدخ رأسك.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « اقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في الصلاة »[1].

عن ابن عمر (رضي الله عنهما)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « خمس يقتلهن المحرم » فذكر الحية فيهن[2].

---

(١) قال صاحب مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط وفيه جابر غير مسمى والظاهر أنه الجعفي وثقه الثوري وشعبة وضعفه الأئمّة أحمد وغيره.

(٢) الحديث رواه البيهقي في كتاب الحج ٥ : ٢١٠ أخبرنا أبو الحسين بن بشران أنا أبو الحسن علي بن محمد المصري، ثنا مالك بن يحيى ثنا يزيد بن هارون أنا الحجاج بن أرطاة عن وبرة قال: سمعت ابن عمر يقول: وذكره. =

عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال : كنا مع رسول الله (ﷺ) بمنى، فمرت حية فقال رسول الله (ﷺ) : اقتلوها. فسبقتنا إلى جحر فدخلته. فقال رسول الله (ﷺ) : هاتوا بسعفة ونار فاضرمها عليه ناراً. وكان رسول الله (ﷺ) ينهى عن المثلة وعن أن يعذب بعذاب الله[1].

فلم يبق لهذا العدو حرمة حيث فاتته حتى اوصل إليه الهلاك من حيث قدر.

وكان ابن عباس (رضي الله عنهما) يقول : اخفروا ذمة إبليس عدو الله فإنه روي في الخبر أن عدو الله إبليس قال للحية : أدخليني الجنة وأنت في ذمتي.

فأما ما روي عن رسول الله (ﷺ) من النهي عن قتل الجان، فإن تلك في صورة الحيات هن من الجن، وهن سكان البيوت. فإذا قتلتها ضرت بك.

عن زيد بن الخطاب (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) نهى عن قتل دواب البيوت يعني الجان.

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « خلق الله (عز وجل) الجان ثلاثة أثلاث. فثلث كلاب وحيات

= والحجاج بن أرطأة لا يحتج به قال البيهقي: وقد روينا من حديث ابن المسيب مرسلاً جيداً ولفظه: يقتل المحرم: الحية والذئب وعن عبدالله بن مسعود مثله في الحية.

(١) الحديث أخرجه البيهقي في سننه كتاج الحج ٥ : ٢١٠ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن سهل ثنا داود بن رشيد ثنا حفص بن غياث ثنا الأعمش عن ابراهيم عن الأسود عن عبدالله قال كنا مع رسول الله ﷺ: وذكره. ورواه مسلم في الصحيح عن أبي كريب.

وخشاش الأرض، وثلث ريح هفافة، وثلث كبني آدم لهم الثواب وعليهم العقاب »[1].

وفي رواية أبي ثعلبة الخشني : صنف لهم أجنحة يطيرون يطيرون في الهواء. يدل قوله : « وثلث ريح هفافة ». وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أثلاث : فثلث لهم قلوب لا يفقهون بها وأعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها إن هم إلا كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً، وثلث أجسادهم كأجساد بني آدم وقلوبهم قلوب الشياطين، وثلث في ظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله.

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن بالمدينة نفراً من الجن أسلموا، فمن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثاً، فإن بدا له بعد ذلك فليقتله فإنه شيطان »[2].

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال : خرج رسول الله (ﷺ) إلى أُحد فخرج معه فتى منا من بني خدرة، وهو حديث عهد بعرس، فاستأذن رسول الله (ﷺ) أن يطلع على أهله، فأذن له، فخرج الفتى وفي يده الرمح حتى دخل الدار، فوجد زوجته بباب حجرته جالسة،

---

(١) الحديث رواه الإمام الترمذي ٢ باب ما جاء في قتل الحيات ١٤٨٤ حدثنا هناد، حدثنا عبدة عن عبيدالله بن عمر عن صيفي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

قال الترمذي: هكذا روي عبيدالله بن عمر هذا الحديث عن صيفي عن أبي سعيد الخدري، وروي مالك بن أنس هذا الحديث عن صيفي عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة عن النبي ﷺ وفي الحديث قصة.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب السلام باب قتل الحيات وغيرها ١٤١ وحدثنا زهير ابن حرب، حدّثنا يحيى بن سعيد عن ابن عجلان حدثني صيفي عن أبي السائب عن أبي سعيد الخدري قال سمعته قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

فأفزعه ذلك فقال : ما أخرجك من بيتك ؟ قالت : حية منطوية على فراشك هي التي ذعرتني، فدخل الفتى فوكزها برمحه، وخرج بها الى صحن الدار تضطرب فيه، فماتت ومات الفتى من ساعته. فذكر ذلك لرسول الله (ﷺ) فقال : « لا تقتلوا شيئاً تجدونه في البيوت منهن حتى تقدموا »[1].

عن ابن أبي مليكة قال : قتلت عائشة (رضي الله عنها) جاناً فأتيت في المنام فقيل : أما والله لقد قتلتيه مسلماً. فقالت : لو كان مسلماً ما دخل على أمهات المؤمنين. فقيل : ما دخل عليك إلا وأنت مستترة. فتصدقت وأعتقت رقاباً.

عن ثابت بن قطبة الثقفي قال : جاء رجل الى عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) فقال : إنا كنا في سفر فمررنا بحية مقتولة مشعرة في دمها، فواريناها، فلما نزلوا أتتهم نسوة وأناس، فقالوا : أيكم صاحب عمرو ؟ قلنا : من عمرو ؟ قالوا : الحية التي دفنتموها أمس، أما أنه من النفر الذين استمعوا من رسول الله (ﷺ). قلنا : ما شأنه ؟ قال : كان حيان من الجن مسلمون ومشركون بينهم قتال فقتل.

عن الربيع بن بدر قال : الجان من الحيات التي نهى رسول الله (ﷺ) عن قتلها هي التي تمشي ولا تلتوي.

عن علقمة قال : اقتلوا الحيات كلها إلا الجان الذي كانه ميل فإنه جنها.

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم ــ في كتاب السلام باب قتل الحيات وغيرها ١٣٩ ــ (٢٢٣٦) حدثني أبو الطاهر، أحمد بن عمرو بن سرج أخبرنا عبدالله بن وهب أخبرني مالك بن أنس عن صيفي (وهو عندنا مولى ابن أفلح) أخبرني أبو السائب مولى هشام ابن زهرة أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته قال: وذكره. وهو جزء من حديث طويل.

الأصل الثامن والثلاثون

في أكل القثاء بالرطب وسره

عن عبدالله بن جعفر (رضي الله عنه) قال : رأيت رسول الله (ﷺ) يأكل القثاء بالرطب[1].

قال أبو عبدالله : فهذا جمع بين لونين، فقد يجوز أن يكون قد اشتهاه، فقضى شهوته لله تعالى لتسكين النفس. فإن النفس نازعة إلى ما فيه اللذة لها، ولها حق إذا استقامت لمولاها، فأدّى حقها، وحمد الله وشكره عليها، فلا يكون على صاحبها وبال في مثل هذا، وإنما الوبال على من قضى شهوته بنهمة غافلاً عن ربه سبحانه وتعالى، منهوماً بلذته، لا يلتمس فيها حقّ النفس، ولا يبتغي بها وجه الله. فالحساب أمامه، وهو مسئول عن شكرها. وقد يجوز أن يكون على غير هذا السبيل الذي ذكرناه.

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب الأطعمة ٣٧ باب القثاء والرطب يجمعان ٣٣٢٥ ــ حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب، وإسماعيل بن موسى قالا ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عبدالله بن جعفر قال: وذكره. وأخرجه الترمذي في كتاب الأطعمة ٣٧ باب ما جاء في أكل القثاء بالرطب بسنده عن عبدالله بن جعفر وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن سعد.

ويحتمل أن يكون لمكان عياله أو ضيفه فعل ذلك، فتوسع من أجلهم في ذلك، ولم يحمل قوته على ضعفهم. فربما ينغص على الضيف أو العيال إمساكه عنه، واستوحشوا من فعله، وتكدرت تلك النعمة عليهم، ففيه تضييع حق الضيف وحق العيال، فيخالطهم في ذلك ويشركهم فيه. ووجه آخر محتمل أيضاً، وذلك أن القثاء بارد رطب، والرطب حار، فأحب أن يصيره مزاجاً، فيجمع بين الحار والبارد، كيلا يضربه واحد منهما على الانفراد.

وعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (ﷺ) كان يجمع بين البطيخ والرطب[1].

وعن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) كأن يأكل البطيخ بالرطب[2].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الأطعمة ٣٦ باب ما جاء في أكل البطيخ بالرطب ١٨٤٣ ـــ حدثنا عبدة بن عبدالله الخزاعي، حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان بن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ : وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ورواه بعضهم عن هشام بن عروة عن أبيه عن النبي ﷺ مرسل، ولم يذكر فيه عن عائشة وقد روى يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة هذا الحديث.

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب الأطعمة ٣٧ باب القثاء والرطب يجمعان ٣٣٢٦ حدثنا محمد بن الصباح وعمرو بن نافع قالا: ثنا يعقوب بن الوليد بن أبي هلال المدني عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: وذكره.

الأصل التاسع والثلاثون

في مراتب الأخلاق وفضل العلم

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : كنت ذات يوم رديف رسول الله (ﷺ) قال : « ألا أعلمك خصلات ينفعك الله بهن » قلت : بلى يا نبي الله. قال : عليك بالعلم، فإن العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قيمه، والرفق أبوه، واللين أخوه، والصبر أمير جنده[1].

قال أبو عبدالله : الإيمان مستقره في القلب، ويشرق نوره في الصدر، فإذا اعترض فكر في الأمور، تصور كل شيء على هيئته، فيرى الخير في بهائه وحسنه، والشر في قبحه وشينه. وإنما قيل : « علم » لأنه علائم الإيمان، قد أظهر في الصدر باطن ما في القلب، فهو خليله؛ لأنه قد خله إلى الإيمان، أي ضمه لما ظهر العلم اهتدى فمال إلى من آمن به ليأتمر بأمره، وينتهي عن نواهيه. والخلة الضمة في اللغة. يقال هذا ثوب خليل،

---

(١) لم نعثر على هذا الحديث ولم يذكر في الصحاح ولم يشِر إليه صاحب مجمع الزوائد والله أعلم.

وهو الذي شكه بالخلال، فضمه إلى نفسه. فكذلك لما ظهر في صدر المؤمن شكه وجمعه، حتى لا تنتشر جوارحه في شهواته وهواه.

والحلم وزيره، فالحلم هو سعة الصدر وطيب النفس. فإذا وسع الصدر وانشرح بالنور، أبصرت النفس رشدها من غيها، وعواقب الخير والشر، فطابت. وإنما تطيب النفس لسعة الصدر. وإنما يتسع الصدر بولوج النور الوارد من عند الله. وهو قوله تعالى : ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه** ... ﴾[1] وإذا دخل النور، سهل تسليم النفس، وذهبت عسرتها وكزازتها. والملح يطيب الطعام، والحلم يطيب النفس.

عن عبدالله بن جراد (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « ليس الأعمى من يعمى بصره، إنما الأعمى من تعمى بصيرته »[2].

قال الله تعالى في تنزيله الكريم : ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ... ﴾[3] فطيب النفس من روح اليقين، وهو من أعظم النعم.

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٢٢.

(٢) الحديث رواه البيهقي في الشعب، والعسكري،والديلمي عن عبدالله بن جراد مرفوعاً، قال العسكري: البصيرة الاستبصار في الدين يقال فلان حسن البصيرة إذا كان بصيراً بدينه. ولما قال معاوية لعقيل ابن أبي طالب ما لكم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم ؟ فقال: كما تصابون يا بني أمية ببصائركم وفي التنزيل ﴿ **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر** ﴾ [الإسراء ١٠٢].

وقال : ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾ [الحج ٤٦].

وروى البيهقي عن أبي عبيدة بن حَرْبويه أنه ذكر عنده القاضي ابن اسماعيل الفقيه فقال: ذاك الاعمى، فأنشأ يقول:

ليس العمى أن لا ترى بل العمى أن لا ترى مميزاً بين الصواب والخطأ.

(٣) سورة الحج آية رقم ٤٦.

وعن عمر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا بأس من غني لمن إتقى، والصحة لمن إتقى خير من الغني، وطيب النفس من النعيم » .

فالغني بغير التقوى هلكة، يجمعه من غير حقه، ويضعه في غير حقه. فإذا كان مع صاحبه تقوى، فقد ذهب البأس وجاء بالخير.

عن محمد بن كعب : أن الغني إذا كان تقياً، آتاه الله تعالى أجره مرتين، ثم تلا : ﴿ **وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون** ﴾[1].

فليس من امتحن كمن لم يمتحن. فقال في مؤمني أهل الكتاب : ﴿ **أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا** ﴾[2].

فصبر الغني أشد من صبر الفقير. كما أن محاربتك أسداً خلي عنه أشد من محاربتك أسداً قد ربط بوثاق.

قال مالك بن دينار (رحمه الله) : يقول الناس : مالك زاهد. وكيف لا يزهد وهو مقبز عليه، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز، نال الخلافة فلبس المسوح.

وأما قوله : « والصحة لمن اتقى خير من الغنى » فإن صحة الجسد عون على العبادة. والسقيم عاجز. فالصحة خير من الغنى مع العجز.

وأما قوله : « وطيب النفس من النعيم » فقد ذكرنا أنه من روح اليقين على القلب، وهو النور الوارد الذي قد أشرق في الصدر، وأراح القلب

---

(١) سورة سبأ آية رقم ٢٧.

(٢) سورة القصص آية رقم ٥٤.

والنفس من الظلمة والضيق؛ لأن النفس بشهواتها في ظلمة، والقلب في تلك الظلمات قد أحاطت به، فالسائر إلى مدعاة في ظلمة يشتد عليه السير، ويضيق صدره لما يتخوف في الطريق من المهاوي والمخاوف. فإذا أضاء له الصبح، انفقأت الظلمة، ووضح الطريق، وزالت المخاوف. فكذلك السائر بقلبه في شريعة الإسلام إلى الله تعالى، إذا كان قلبه في ظلمة شهواته وهواه، هو بهذه الصفة. وإذا أشرق نور اليقين في صدره، استراح القلب. فهذه صفة الحلم، فهو وزير المؤمن يوازره على أمر الله تعالى. وإذا لم يكن حلم، ضاقت النفس وانفرد القلب بلا وزير.

والعقل دليله، يدلّه على مراشد الأمور، ويبصره غيها، ويهديه لمحاسنها، ويزجره عن مساوئها. وخلق الله (عز وجل) العقل فقال : « وعزتي ما خلقت خلقاً أحب إليَّ منك، فبك آخذ وبك أعطي، وإياك أعاتب، ولك الثواب وعليك العقاب »[1].

---

(١) قال الصنعاني موضوع باتفاق، وفي زوائد عبدالله بن الإمام أحمد على الزهد لأبيه بسند فيه ضعف عن الحسن البصري مرفوعاً مرسلاً لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر قال: « ما خلقت خلقاً أحب إليَّ منك، بك آخذ وبك أعطي ».

وأخرجه داود بن المحبر في كتاب العقل له، وهو كذاب عن الحسن أيضاً بزيادة ولا اكرم عليَّ منك، لأني بك أعرف، وبك أعبد، وفي الكتاب المذكور لداود من هذا النمط أشياء منها: أول ما خلق الله العقل وذكره، لكن ذكره في الأحياء، وقال العراقي في تخريج أحاديثه: أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط، وأبو نعيم بإسنادين ضعيفين.

وقال السخاوي والسيوطي: رواه ابن أحمد في زوائد الزهد عن الحسن برفعه، وهو مرسل جيد الإسناد، ولا يلزم من رواية ابن المحبر أن يكون موضوعاً، لا سيما وقد رواه الأئمة بغير إسناد ابن المحبر فليس الحديث بموضوع.

وقال الحافظ ابن حجر: والوارد في أول ما خلق الله حديث أول ما خلق الله القلم، وهو أثبت من حديث العقل، وحاول الجمع بينهما البيضاوي في طوالعه بأن قال يشبه أن يكون هو العقل لقوله: أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب ــ الحديث فليتأمل.

راجع كشف الخفا ١ : ٢٧٥، ٢٧٦.

وروي في الخبر أن الله تعالى قال : يا موسى إنما أجزي الناس على قدر عقولهم.

والعمل قيمة، القيمة من شأنه أن يتوكل لك حتى يكفيك مهماتك، والعمل الصالح يهيئ له في معاشه طيب الحياة. قال الله تعالى ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾[1]. فالحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء في الآخرة. وقال تعالى : ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾[2].

والرفق أبوه، الأب له التربية مع العطف والشفقة، وهو يشمل أحوال الولد بالعناية، ويجمع له وجوه المكاسب. والرفق كشفير الأمور، به يتأتى الأمور، وبه يتصل بعضها ببعض، وبه يجمع ما تشتت منه، ويأتلف ما تنافر وتبدد منه، ويرجع إلى المأوى ما شذ. وهو يشمل أحوال المؤمن بالصلاح، ويجمع له الخيرات والطاعات من وجوه البر.

واللين أخوه، فالأخ آخية المرء ومعتمده من المخلوقين، فهو مستراحه. إذا أعيى ونصب استند إليه واستراح. فكذلك اللين، هو مستراح المؤمن. به تهدأ نفسه، ويطمئن قلبه، وتجد أركانه راحة ذلك. وحدته وشدته وغضبه تعب بدنه، وعذاب نفسه، ونصب قلبه. وإنما يلين قلبه بهدو نفسه. وإنما تهدو نفسه بموت شهواتها. وإنما تموت شهواتها بما أصبر قلبه بنور اليقين من جلال الله تعالى وعظمته، وصار كالدهن في اللين. ومن غلظ قلبه وفظ واشتد فمن القسوة. وإنما يقسو قلبه من الغفلة عن الله تعالى. وإنما يلين القلب لما يرطب بذكر الله تعالى. وفي اللغة : عسى، وعتا، وقسا قريبة المعنى، ويرجع المعنى إلى أنه يبس فكز، وضد

---

(١) سورة النحل آية رقم ٩٧.

(٢) سورة فاطر آية رقم ١٠.

ذاك رطب فلان قال الله تعالى : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾[1].

فالفظاظة وغلظ القلب تفرق المجموع وتبدد المؤتلف. واللطافة ورقة القلب تجمع المتفرق، وتؤلف المتبدد. وان القلب يلطف ويرق من النور، وسببه الرحمة، ويفظ ويغلظ من حرارة الشهوات، وقوة الغذاء والدم. وكان رسول الله (ﷺ) من شأنه المداومة على الحجامة إلى أن قبض. وقال (ﷺ) : « ما مررت بملأ من الملائكة إلا أمروني بالحجامة. وقالوا لي : مرأمتك بالحجامة »[2].

معناه عندنا لأنهم من بين الأمم أهل يقين. فإذا اشتعل نور اليقين في القلب، ومعه حرارة الدم، أضر بالقلب وبالطبع أيضاً. وكان (ﷺ) يستعمل الحناء في رأسه مع أنه لم يشنه الشيب، وما خضب. وإنما كان سبب الحناء أنه كان يأتيه الوحي فيصدع، فمن أجل الصداع كان يعالج بالحناء في رأسه حتى تخف حرارة رأسه.

والصبر أمير جنده، والصبر هو ثبات القلب على عزمه. فإذا ثبت الأمير، ثبت الجند لمحاربة العدو. وإذا جاءت النفس بشهواتها فغلبت

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٥٩.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب الطب ١٢ باب ما جاء في الحجامة ٢٠٥٢ حدثنا أحمد ابن بديل الكوفي. حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عبد الرحمن بن اسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن هو ابن عبدالله بن مسعود عن أبيه عن ابن مسعود قال: حدث رسول الله ﷺ عن ليلة أسري به: وذكره. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود وأخرجه ابن ماجة في كتاب الطب ٢٠ باب الحجامة ٣٤٧٧ بسنده عن عكرمة عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. ورواية الإمام أحمد في المسند ١ : ٢٥٤ (حلبي).

القلب حتى استعملت الجوارح بما نهى عنه، فقد ذهب الصبر، وهو ذهاب العزم، فبقي القلب أسيراً للنفس واستولت عليه، فانهزم العقل والحلم والعلم والرفق واللين وجميع جنوده.

الأصل الأربعون

في تكثير التوبة

عن خبيب بن الحارث (رضي الله عنه) قال : أتيت رسول الله (ﷺ) فقلت : يا رسول الله، إني رجل مقراف الذنوب. قال : يا خبيب فكلما أذنبت فتب الى الله تعالى. قلت : ثم أعود يا رسول الله ! قال : ثم تب. قلت : إذا يكثر يا رسول الله. قال : عفو الله أكثر من ذنوبك يا خبيب[1].

التوبة للعبد مبسوطة حتى يعاين قابض الأرواح وهو عند غرغرته بالروح، وإنما يغرغر به إذا قطع الوتين، فشخص من الصدر إلى الحلق، فعند ذلك حضور الموت ومعاينة ملك الموت الذي وكل به، فهو الذي يذيقه، ومن قبل ذلك كان أعوانه ليستوفون الروح وينزعونه من الجوارح والعروق. قال الله تعالى : ﴿ **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن** ﴾[2] فباب التوبة مفتوح إلى

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الأوسط. قال صاحب مجمع الزوائد: فيه نوح بن ذكوان وهو ضعيف.

(٢) سورة النساء آية رقم ١٨.

طلوع الشمس من مغربها. ودواء الذنب التوبة. وشفاء العبد منه إذا ماتت شهوة ذلك الذنب منه.

قوله : « عفو الله أكثر من ذنوبك » أي فضل الله على العبد أكثر من نقصان العبد. وأنه كلما أذنب أبق من ربّه (عز وجل)، وكلما أبق ازداد عيباً، وكلما ازداد عيباً ازداد نقصاً في القدر والجاه. قال : ففضل الله على العبد أكثر من نقصانه لأنه يتفضل من كرمه ومجده. فقبول التوبة من فضل الله، ورجوعه بالتوبة إليه أيضاً من فضله، فرب عبد لا يوفق للتوبة والعياذ بالله من ذلك.

الأصل الحادي والأربعون

في الخوارج

عن عبدالله بن أبي أوفى (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « الخوارج كلاب أهل النار »[1].

الخوارج قوم ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فهم الأخسرون أعمالاً، حبطت أعمالهم فلا يقام لهم يوم القيامة وزن، ذلك بأنهم قد اجتهدوا ودأبوا في العبادة وفي قلوبهم زيغ ومرقوا من الدين.

وقد روي عن رسول الله (ﷺ) أنه وصفهم فقال : « يقرأون القرآن يقيمونه إقامة القدح لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية »[2].

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في المقدمة ١٢ باب في ذكر الخوارج ١٧٣ حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا اسحاق الأزرق عن الأعمش عن ابن أبي أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

في الزوائد: إن رجال الإسناد ثقات إلا أن فيه انقطاعاً، ورواه الإمام أحمد في المسند ٤ : ٣٣٥، ٣٨٢ (حلبي).

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب الفتن ٢٤ باب صفة المارقة ٢١٨٨ بسنده عن عبدالله =

مازال بهم التنطع والتعمق حتى كفروا الموحدين بذنب واحد، حتى صاروا بذلك إلى الأنبياء (عليهم السلام) للزيغ الذي في قلوبهم دخلوا فيما لم يأذن به الله تعالى فقاسوا برأيهم وتأولوا التنزيل على غير وجهه. هم الذين وصفهم الله تعالى فقال : ﴿ **فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله** ﴾[1].

وربما تمسكوا بآخر الآية ونهوا عن أولها. حتى قال قائلهم لجابر بن عبدالله : أنت الذي تقول : يخرج الله من النار قوماً بعدما أدخلهم فيها ! قال : نعم، سمعته من رسول الله (ﷺ). قال : فأين قول الله تعالى : ﴿ **وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم** ﴾[2] قال جابر : انظر لمن هذا من مبتدأ الآية : ﴿ **إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه...** ﴾[3] الآية.

فالمؤمن يستر ويرحم ويعطف ويتوقى أن يلوم ويعير ويرجو من الله الرحمة ويرجيه. وهذا المفتون يهتك ويعير ويؤيس ويقنط ويكفر. فهذه أخلاق الكلاب، وتقولهم كلبوا على عباد الله، ونظروا إليهم بعين البغضة والعداوة والملامة. فلما دخلوا النار، صاروا في هيئة أعمالهم كلاباً كما كانوا على الموحدين في الدنيا كلاباً.

= ابن مسعود عن رسول الله ﷺ : وذكره.

قال الترمذي: وفي الباب عن علي وأبي سعيد، وأبي ذر وهذا حديث حسن صحيح، ورواه الإمام البخاري في الأنبياء ٦ وفي المناقب ٢٥ والمغازي ٦١ وفضائل القرآن ٢٦ والتوحيد ٢٣، ٥٧ ورواه الإمام مسلم في الزكاة ٤٧ باب ذكر الخوارج وصفاتهم ١٤٢ (١٠٦٣) بسنده عن جابر بن عبدالله وذكره، وأيضاً رقم ١٤٨ عن أبي سعيد الخدري. والنسائي في الزكاة ٧٩ والتحريم ٢٦ ورواه صاحب الموطأ في مس القرآن ١٠ وأحمد ابن حنبل في المسند ١: ٨٨، ٩٢، ١٣١ (حلبي).

(١) سورة آل عمران آية رقم ٧.

(٢) سورة المائدة آية رقم ٣٧.

(٣) سورة المائدة آية رقم ٣٦.

قال أبو العالية : ما أدري أي النعمتين أفضل : أن هداني للإيمان، ثم لم يجعلني حرورياً.[1] والله أعلم.

عن أبي عاكف قال : كنت بدمشق فجيء برؤوس الخوارج من العراق، فنصبت على درجة المسجد فبينا أنا قائم إذ أنا بشيخ على حمار، قصير ينظر إليهم ويبكي ويقول : كلاب النار، كلاب النار، كلاب النار. فسألت عنه فقالوا : أبو أمامة صاحب رسول الله (ﷺ) فدنوت منه فقلت : يا أبا أمامة أراك تبكي وتقول : كلاب النار. قال : رحمة لهم لأنهم قد صلّوا وصاموا وحجوا واعتمروا ثم صاروا كلاب النار. قلت : هذا شيء تقوله أم سمعته من رسول الله (ﷺ) ؟ قال : لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثة أو أربعة ـــ حتى بلغ عشر مرات ـــ ما قلت، ولكن سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « إنه سيكون من امتي قوم يقرأون القرآن لا تجاوز قراءتهم تراقيهم يعبدون الله تعالى عبادة يحتقرون عبادة الناس في عبادتهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعود فيه حتى يعود أعلاه فوقه هم شر الخلق والخليقة هم شر قتلى تحت أديم السماء طوبى لمن قتلهم أو قتلوه »[2].

والأزارقة[3] صنف من الخوارج، كان رئيسهم نافع بن الأزرق،

---

(١) يُقال للخوارج حرورية، ونواصب، وشراة، وحكيمة، ومارقة النواصب : جمع ناصب، وقد يُقال ناصبي وهو الغالي في بعضه علي كرم الله وجهه، والحرورية نسبة إلى حرورا، وهي قرية أو كورة بظاهر الكوفة، وأمّا الشراة فجمع شار مثل قضاة وقاض وقد سمّوا أنفسهم بهذا الاسم وزعموا أنهم شروا أنفسهم من الله.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث.

(٣) أتباع نافع بن الأزرق الحنفي المكنى بأبي راشد ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد منهم شوكة، والذي جمعهم من الدين أشياء، منه: قولهم بأن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون، ومنها قولهم إن القعدة مشركون، ومنها أنهم استباحوا قتل نساء مخالفيهم، وقتل أطفالهم أنظر في بيان هذا الفرقة مقالات الاسلاميين ١ : ١٥٧ والتبصير ٢٩، والملل والنحل للشهرستاني ١ : ١١٨.

وكان من شأنه أن يخاصم يتأول القرآن في زمن ابن عباس (رضي الله عنهما) فنسب تبعه إليه فقيل الأزارقة. وفي زمن عليّ (كرم الله وجهه) كان رئيسهم ابن الكواء، وفي زمن التابعين (رضوان الله عليهم أجمعين) نجدة الحراوري، وهو من بقيّة أهل حروراء الذين خرجوا على علي (كرّم الله وجهه). وحروراء قرية من قرى السواد.

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : لجهنم سبعة أبواب : باب منها لمن سل سيفه على أمتي. أو قال : أمة محمد (ﷺ).

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : كان في عهد رسول الله (ﷺ) رجل يعجبنا تعبده واجتهاده فذكرناه لرسول الله (ﷺ) فلم يعرفه. ووصفناه بصفته فلم يعرفه، فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل فقلنا : هو هذا يا رسول الله. قال : إنكم تخبروني عن رجل وعلى وجهه لسفعة من الشيطان. قال : فأقبل حتى وقف على المجلس، فقال له رسول الله (ﷺ) : أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس : ما في المجلس أحد أفضل مني أو خير مني ؟ قال : اللهم نعم. ثم دخل يصلي. فقال رسول الله (ﷺ) : من يقتل الرجل ؟ قال أبو بكر (رضي الله عنه) : أنا. فدخل فوجده يصلي. فقال : سبحان الله، أقتل رجلاً يصلي، وقد نهانا رسول الله (ﷺ) عن ضرب المصلين ! فخرج فقال له رسول الله (ﷺ) : مه. قال : وجدته بأبي أنت وأمي يصلي، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين. فقال (ﷺ) : من يقتل الرجل ؟ فقال عمر : أنا. فوجده ساجداً، فقال : أقتل رجلاً واضعاً وجهه لله تعالى وقد

---

(١) هو نجدة بن عامر الحروري الحنفي رأس الفرقة النجدية نسبة إليه من الحرورية من كبار أصحاب التورات في الاسلام كان أول أمره مع نافع ابن الأزرق استقل باليمامة سنة ٦٦ هـ قتله أصحاب ابن الزبير عام ٦٩ هـ.

رجع أبو بكر (رضي الله عنه) وهو أفضل مني ! فخرج إليه. فقال له رسول الله (ﷺ) : مه. فقال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي وجدته ساجداً، فكرهت أن أقتله واضعاً وجهه لله تعالى. قال (ﷺ) : من يقتل الرجل ؟ قال علي : أنا. قال : أنت إن أدركته قتلته. فوجده علي قد خرج. فجاء فقال : وجدته بأبي أنت وأمي قد خرج. قال : لو قتلته ما اختلف من أمتي رجلان، كان أولهم وآخرهم واحداً.

وقال محمد بن كعب القرظي : هو الذي قتله علي يوم النهروان رؤيته مثل البراغيث إنما نبت له جناحان يطير بهما حرقوص ذو الثدية[1].

عن أبي سلمة (رضي الله عنه) قال : وقف رجل على رسول الله (ﷺ) وهو يقسم تبرا فقال : يا محمد اعدل. فرفع بصره إليه. فقال : « ويلك إذا لم أعدل فمَن يعدل.. ؟ يوشك مثل هذا يظهرون يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم. فإذا ظهروا فاضربوا أعناقهم ».

قال : والظاهر من قولهم وفعلهم يسبي نفوس الجهال والحمقى، والباطن ظلمات بعضها فوق بعض، زيغ وكفر وزندقة وتشبيه.

---

(١) راجع مجمع الزوائد باب ما جاء في ذي الثدية وأهل النهروان فقد ذكر ذا الثدية وقصّة حمله، وما روته أمه في ذلك، ورواية أبي يعلى في هذا الموضوع مطوّلة. وقال صاحب مجمع الزوائد : فيه أبومعشر نجيح وهو ضعيف يكتب حديثه.

الأصل الثاني والأربعون

في فضيلة المؤذنين

عن معاوية (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة »[1].

قال أبو عبدالله : المؤذنون هم دعاة إلى أمر الله، فزيدوا على الناس مرتبة بطول أعناقهم ليشرفوا على الناس بأعناقهم. وهذا الطول عندنا في شخصهم وخيالهم. فأما نفس الخلقة بحيث خلقها الله تعالى من جنس خلق أهل الجنة. وإنما ذكر العنق للمقدار؛ لأن هناك طبقة أعلى منهم هم الأنبياء والأولياء الذين هم دعاة إلى الله تعالى، زيدوا في القامة كلها، لا في العنق فقط. وكان رسول الله (ﷺ) يوصف في هذه الحياة بصفة تدل على ما قلنا، وهو أنه (عليه السلام) كان إذا مشى ربما إذا اكتنفه رجلان طويلان فيمشي هو بينهما فيطولهما. فإذا مشى وحده، نسب إلى الربعة.

قال علي (رضي الله عنه) أنه (ﷺ) لم يكن بقصير ولا طويل وإذا جاء مع الناس غمرهم.

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم عن معاوية مرفوعاً، وأخرجه القضاعي عن أنس مرفوعاً، والبيهقي عن بلال. قال معناه أن الناس يعطشون يوم القيامة، والإنسان إذا عطش انطوت عنقه، والمؤذنون لا يعطشون يومها فلا تنطوي أعناقهم.

عن أم معبد في صفته (ﷺ) قالت : كان أنظر الثلاثة منظراً.

ووجه آخر أنهم أطول الناس أعناقاً بمد أعينهم إلى عظيم ما يأملون من الثواب. ومد العين إلى الشيء تأميلاً إشراف بالعنق. فإذا كان يوم القيامة ووصف الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) إلى كرامة الله تعالى، كانت قامتهم على حسب درجاتهم في الموقف إذا أتوها، حتى يصدروا من الموقف إلى الجنة، فيعطون قامة أهل الجنة. ومما يحقق ما قلناه ما رواه ابن عمر (رضي الله عنهما) عن رسول الله (ﷺ) قال : « أحشر أنا وأبو بكر وعمر يوم القيامة هكذا ... » وأخرج السبابة والوسطى والبنصر « ... ونحن مشرفون على الناس »[1]. وقد ذكرناه في الأصل الرابع والعشرين.

وممّا يحقّق ما قلنا ما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صورة الذر يطأهم الناس تحت أقدامهم »[2].

فالمتكبرون الذين تكبروا على الله تعالى فلم يوحدوه. قال تعالى : ﴿ **إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون** ﴾[3] فقامتهم قامة الذر يوم القيامة. فكل من كان أشد تكبراً، كان أقصر قامة. وعلى هذا السبيل كل من كان أشد تواضعاً لله تعالى، فهو أشرف قامة على الخلق.

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا.

(٢) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب صفة القيامة ٢٤٩٢ ــ بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: وذكره. وفيه زيادة [فيساقون الى سجن جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال].
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ورواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٧٩ (حلبي).

(٣) سورة الصافات آية رقم ٣٥.

الأصل الثالث والأربعون

في تسليم الحق وسر مصافحته لعمر (رضي الله عنه)

عن أبي بن كعب (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « أول من يصافحه الحق عمر وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة »[1].

قال أبو عبدالله : الرحمة والحق لهما شأن في الموقف يومئذ الحق يقتضي الخلق عبودته، والرحمة تشتمل على من وفى بالعبودة له. فمن طالبه الحق بالعبودة ولم تدركه الرحمة، فقد هلك. وكان من شأن عمر (رضي الله عنه) القيام بالحق. وكان الغالب على قلبه عظمة الله وجلاله، وهيبته سبحانه وتعالى. وكان الحق (عز وجل) معتمله حتى يقوم بأمر الله، ويحاسب نفسه وسائر الخلق على الذرة والخردلة في السر والعلانية، وهو الوفاء بما قلد الله الخلق من رعاية هذا الدين الذي ارتضاه لهم، وهو الإسلام. فكأنه خلق عزاً للإسلام.

---

(١) الأثر رواه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة بسنده عن يحيى بن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب ــ رضي الله عنه ــ قال : سمعت رسول الله ﷺ ــ يقول : وذكره.

وبذلك دعا رسول الله (ﷺ) فقال : « اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام »[1].

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : دعا رسول الله (ﷺ) لعمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام فأصبح عمر، وكانت الدعوة يوم الأربعاء وهم تسعة وثلاثون رجلاً، فأسلم عمر (رضي الله عنه) يوم الخميس، فكبر رسول الله (ﷺ) وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلى مكة، وخرج رسول الله (ﷺ) وكان مختفياً في بيت الأرقم، فأظهر الإسلام وطاف بالبيت، وعمر متقلد السيف حتى صلى الظهر معلناً.

وكان كما قالت عائشة (رضي الله عنها) : وكان أحوذياً نسيج وحده قد أعد للأمور أقرانها.

عن سعيد بن جبير، عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن جبرئيل (عليه السلام) جاء إلى رسول الله (ﷺ) فقال : يا محمد أقرئ عمر السلام، وأخبره أن غضبه عز، وأن رضاه عدل.

وقال رسول الله (ﷺ) : يا عمر إن غضبك عز ورضاك حكم.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ١٨ باب في مناقب عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ ٣٦٨١ ــ حدثنا محمد بن بشار، ومحمد بن رافع قالا: حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا خارجة بن عبدالله الأنصاري عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر. وأخرجه ابن ماجة في المقدمة ١١ باب بسنده: ثنا عبد الملك بن الماجشون، حدثني الزنجي بن خالد، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

في الزوائد: حديث عائشة ضعيف فيه عبد الله بن الماجشون، ضعفه بعضهم وذكره ابن حبان في الثقات، وفيه مسلم بن خالد الزنجي. قال البخاري: منكر الحديث وضعفه أبو حاتم والنسائي وغيرهم، ووثقه ابن معين وابن حبان.

وهذا لأن من استولى على قلبه الحق. إذا غضب، غضب للحق. وإذا رضي، رضي من أجل الحق. وكان الغالب على قلب عمر (رضي الله عنه) الحق ونوره وسلطانه.

قال رسول الله (ﷺ) : أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر[1].

وإنما القوة من أجل أن الحق على القلب سلطانه. وكان أبو بكر (رضي الله عنه) من شأنه القيام برعاية تدبير الله ومراقبة صنعه في الأمور حتى يدور مع الله تعالى في تدبيره. وكان مستعملاً بالتدبير، وعمر مستعملاً بالحق. فمن شأن أبي بكر (رضي الله عنه) العطف والرحمة والرأفة والرقة واللين. ومن شأن عمر (رضي الله عنه) الشدة والقوة والصلابة والصرامة. ولذلك شبه رسول الله (ﷺ) في حديثه أبا بكر بإبراهيم من الرسل، وبميكائيل من الملائكة (عليهم السلام). وشبه عمر بنوح من الرسل، وبجبرئيل من الملائكة (عليهم السلام). فابتدأ الله المؤمنين بالرحمة، ورزقهم الإيمان، ثم اقتضاهم حقه فشرع لهم الشريعة، واستهداهم القيام بذلك. فمن وفى له بالقيام بذلك، فقد أرضى الحق تعالى.

فأبو بكر مع المبتدأ وهو الإيمان، وعمر مع الذي يتلوه وهو الحق، وهو الشريعة. لأن من حق الله تعالى على عباده أن يوحدوه. وإذا وحدوه، فمن حقه عليهم أن يعبدوه بما أمرهم به ونهاهم عنه.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ٣٢ باب ٣٧٩٠ حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن داود العطاردي عن معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث قتادة إلا من هذا الوجه، وقد رواه أبو قلابة عن أنس عن النبي ﷺ نحوه والمشهور حديث أبي قلابة.

وأخرجه ابن ماجة في المقدمة ١١ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٩٥ (حلبي).

ولذلك ما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « أمرت أن أُؤوِّل الرؤيا على أبي بكر وأمرت أن أقرأ القرآن على عمر »[1]. لأن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة، والقرآن بيان حقوقه. ولذلك قيل : « أبو بكر الصديق » لأنه صدق بالإيمان بكمال الصدق.

وقيل لعمر : « فاروق » لأنه يفرق بين الحق والباطل. وأسماؤهما دليلان على مراتبهما من الله تعالى بالقلوب. ويكشف لك عن درجتيهما أن مجرى أبي بكر مجرى صدق الإيمان، ومجرى عمر مجرى وفاء الحق. وكيف ما دار الحق مع العباد يوم الموقف باقتضاء أمر الله (عز وجل)، وحبسهم على الباب، والانتقام بالنار منهم، فالعاقبة الرحمة؛ لأن الرحمة لا تترك أحداً قال : « لا إله إلا الله » مرة واحدة في دار الدنيا في جميع عمره صدقاً في قلبه، ثم لم يوجد له مثقال خردلة من خير إلا وتأخذه من النار ولو بعد مقدار عمر الدنيا.

وكذلك جاء عن رسول الله (ﷺ) في قصة الشفاعة : إذا انقضت شفاعة الرسل والملائكة والأنبياء والمؤمنين، جاء محمد في المرة الرابعة (ﷺ) فيسأل فيمن قال مرة : « لا إله إلا الله »، فيقول الله (عز وجل) : إنها ليست لك ولا لأحد من خلقي، فتجيء الرحمة من وراء الحجاب فتقول : يا رب منك بدأت وإليك أعود، فشفعني فيمن قال : « لا إله إلا الله » مرة واحدة. فتجاب إلى ذلك.

فإنما أعطاهم قول : « لا إله إلا الله » بالرحمة، ثم لا تتركهم تلك الرحمة حتى تأخذهم من الحق سبحانه وتعالى، وانتقامه منهم بالنار. ويكشف عن شأن درجتيهما الأخبار المتواترة. فمنها ما روي عن ابن شريحة قال : سمعت علياً (رضي الله عنه) على المنبر يقول : إن أبا بكر أواه منيب القلب، وان عمر ناصح الله فنصحه الله تعالى.

---

(١) لم نعثر على هذا الأثر على كثرة البحث والتقصّي.

عن ابن سيرين (رضي الله عنه) أن أبا بكر (رضي الله عنه) كان إذا صلى فقرأ خفض صوته. وكان عمر (رضي الله عنه) كان إذا قرأ جهر. فقيل لأبي بكر : لم تصنع هذا ؟ قال : أناجي ربي وقد علم حاجتي. قيل : أحسنت. وقيل لعمر (رضي الله عنه) : لم تصنع هذا ؟ قال : أطرد الشيطان، واوقظ الوسنان. قيل : أحسنت. فلما نزل : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً** ﴾[1] فقيل لأبي بكر : ارفع شيئاً، وقيل لعمر : اخفض شيئاً[2].

عن عبدالله بن بريدة (رضي الله عنه) قال : سمعت أبي يقول : خرج رسول الله (ﷺ) في بعض مغازيه، فلما انصرف رسول الله (ﷺ)، جاءت جارية سوداء فقالت : « يا نبي الله : كنت نذرت إن ردك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدف »، فقال : « إن كنت نذرت أن تضربي، وإلا، فلا ». فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل عمر، فألقت الدف تحتها ثم قعدت عليه. فقال رسول الله (ﷺ) : « إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالساً وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلت أنت ألقت الدف »[3].

---

(١) سورة الإسراء آية رقم ١١٠.

(٢) الحديث رواه الترمذي في أبواب الصلاة باب ٢١٢، ٤٤٧ عن عبدالله بن رباح الأنصاري عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال: وذكره. وقال: هذا حديث غريب ورواه أبو داود في التطوع ٢٥.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ٣٦٩٠ ــ حدثنا الحسين بن حريث حدثنا علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي، حدثني عبدالله بن بريدة قال: سمعت بريدة يقول خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث بريدة، وفي الباب عن عمر وسعد بن أبي وقاص وعائشة.

فلا يظن ذو عقل أن عمر في هذا أفضل من أبي بكر، وأبو بكر شبيه برسول الله (ﷺ) في ذلك. ولكن رسول الله (ﷺ) قد جمع الأمرين والدرجتين، فله درجة النبوة، لا يلحقه أحد، وأبو بكر له درجة الرحمة، وعمر له درجة الحق.

عن الأسود بن هلال (رضي الله عنه) قال : قال أبو بكر (رضي الله عنه) لأصحابه ذات يوم : ما ترون في هاتين الآيتين : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ...** ﴾[1] وقال : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ...** ﴾[2] ؟

قالوا : استقاموا فلم يذنبوا، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم بذنب. قال : لقد حملتموها على غير المحمل. ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ فلم يلتفتوا إلى اله غيره، ﴿ **ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾ أي بشرك.

عن الزهري أن عمر (رضي الله عنه) تلا هذه الآية : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا...** ﴾. قال: استقاموا والله لله بطاعته، ثم لم يروغوا روغان الثعالب.

عن مكحول رفع الحديث إلى رسول الله (ﷺ) قال : كان بين رجل من المنافقين ورجل من المسلمين منازعة في شيء ادعاه المنافق، فأتيا رسول الله (ﷺ)، فقصَّا عليه قصتهما. فلما توجه القضاء على المنافق، قال المنافق : يا رسول الله ادفعني وإياه إلى أبي بكر. قال : انطلق معه إلى أبي بكر، فانطلق معه فقصَّا قصتهما على أبي بكر (رضي الله عنه). فقال : ما كنت لأقضي بين من رغب عن قضاء الله وقضاء رسوله، فرجعا إلى رسول الله (ﷺ)، فقال : يا نبي الله ادفعني وإياه الى عمر.

---

(١) سورة فصلت آية رقم ٣٠.

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٨٢.

قال : انطلق معه إلى عمر. قال : يا نبي الله أنطلق مع رجل إلى عمر قد رغب عن قضاء الله وقضاء رسول الله. قال : انطلق معه. فخرجا حتى أتيا عمر (رضي الله عنه) فقصّا عليه قصتيهما. فقال عمر (رضي الله عنه) لا تعجلا حتى أخرج إليكما. فدخل فاشتمل علي السيف وخرج عليهما. فقال: أعيدا عليّ قصتكما، فاعادا. فلما تبين لعمر (رضي الله عنه) أن المنافق رغب عن قضاء الله وقضاء رسوله، حمل سيفه على ذؤابة المنافق حتى خالط كبده ثم قال : هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله. فأتى جبرئيل (عليه السلام) رسول الله (ﷺ) فقال : يا رسول الله إن عمر قد قتل الرجل. وفرق الله بين الحق والباطل على لسان عمر (رضي الله عنه)، فسمي الفاروق. ويلزم اسم الصديق من أقام الصدق في أموره كلها، ويلزم اسم الفاروق من أقام الحق في أموره كلها. ولو كان في بعضها، لكان هذا صادقاً وذاك فارقاً من العربية في قالب فاعل، وأما فعيل وفاعول هو الذي تمكن ذاك الأمر فيه فصار له عادة وطبعاً.

الأصل الرابع والأربعون

في ما يعدونه صدق الحديث

قال المصنف : حدثنا الحسين بن علي العجلي الكوفي، قال : حدثنا يحيى بن آدم، قال : حدثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه، قلته أو لم أقله فصدقوا به. وإني أقول ما يعرف ولا ينكر. وإذا حدثتم عني بحديث تنكرونه ولا تعرفونه فكذبوا به فإني لا أقول ما ينكر ولا يعرف »[1].

---

(١) قال السخاوي: رواه الدارقطني في الأفراد والعقيلي في الضعفاء، وأبو بكر بن البحتري في جزئيه عن أبي هريرة مرفوعاً، والحديث منكر جداً، وقال العقيلي ليس له إسناد صحيح، ومن طرقه ما عدا الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً سئلت اليهود عن موسى فأكثروا فيه وزادوا ونقصوا حتى كفروا، وأنه « ستفشو عني أحاديث فما أتاكم من حديثي فاقرءوا كتاب الله واعتبروا فما وافق كتاب الله فأنا قلته، وما لم يوافق كتاب الله فلم أقله » وقد سئل الحافظ ابن حجر عن هذا الحديث فقال إنه جاء من طرق لا تخلو عن مقال، وقد جمع طرقه البيهقي في كتابه المدخل انتهى. وقال الصنعاني إذا رويتم ويروى إذا حدثتم عني حديثاً فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافق فاقبلوه، وإن خالف فردوه. قال: هو موضوع. انتهى.

فالرسل بعثوا إلى الخلق بحمل الأمور ومعرفة التدبير في الأمور، وكيف ؟ ولم ؟ وكنه الأمور عندهم مكنون قد أفشى الله من ذلك إلى الرسل من غيبه ما لا يحتمله عقول من دونهم، وبفضل النبوة قدروا على احتماله.

فالعلم إنما بدأ من عند الله تعالى إلى الرسل، ثم من الرسل إلى الخلق، فالعلم بمنزلة البحر فأجري منه واد، ثم أجري من الوادي نهر، ثم أجري منه جدول، ثم من الجدول إلى ساقية، فلو أجري إلى الجدول ذلك الوادي غرقه وأفسده، ولو مال البحر إلى الوادي لأفسده. وهو قوله تعالى في تنزيله الكريم : ﴿ **أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها** ... ﴾[1].

فبحور العلم عند الله تعالى، فأعطى الرسل منها أودية، ثم أعطت الرسل من أوديتهم أنهاراً إلى العلماء، ثم أعطت العلماء إلى العامة جداول صغاراً على قدر طاقتهم، ثم أجرت العامة إلى أهاليهم وأولادهم ومماليكهم سواقي بقدر طاقتهم ومن ههنا ما روي في الخبر أن لله سراً لو أفشاه لفسد التدبير، وللأنبياء (عليهم السلام) سراً لو أفشوه لفسدت نبوته، وللملوك سراً لو أفشوه لفسد ملكهم، وللعلماء سراً لو أفشوه لفسد علمهم، وإنما يفسد ذلك لأن العقول لا تحتمله. فلما زيدت الأنبياء (عليهم السلام) في عقولهم، قدروا على احتمال النبوة، وزيدت العلماء في عقولهم وبذلك نالوا العلم فقدروا على احتمال ما عجزت العامة عنه.

وكذلك علماء الباطن، وهم الحكماء، زيدت في عقولهم، وبذلك نالوا العلم فقدروا على احتمال ما عجزت عنه علماء الظاهر. ألا يرى أن كثيراً من علماء الظاهر دفعوا أن تنقطع الوسوسة من الآدمي في صلاته، ودفعوا أن يكون له مشي على الماء، أو تطوى له الأرض، أو يهيأ له رزق من غير وجوه الآدميين، حتى أنكروا عامة هذه الروايات التي جاءت في مثل هذه

---

(١) سورة الرعد آية رقم ١٧.

الأشياء، ولو عقلوا لقالوا مثل ما قال مطرف بن عبدالله[1] حين سار ليلة مع صاحب له فأضاء له طرف عصاه كالسراج معه، فقال له صاحبه : لو حدثنا بهذا كذبنا. فقال مطرف : المكذب بنعم الله يكذب بهذا. ولو نظر علماء الظاهر إلى ما أعطى الله تعالى لهم من معرفته وهي أعظم شيء في السموات والأرض، لم يستعظموا ما إذا أُعطي أحدهم دسجة من جزر في برية من الأرض أو رغيفاً. بل قالوا : هذا من الله الذي أعطانا معرفته التي هي أثقل من سبع سموات وسبع أرضين. لكنه من أُعطي هذا العطاء الجليل فلم يرعه حق رعايته ولم يشكر المعطي، بل سها ولها وتبطل في صورة الكفور للنعمة، مقبلاً على الدنيا. ومن انتبه لما أعطي وانكشف غطاء قلبه رعى ما أُعطي وعز عليه أن يدنس خلعة الله الذي خلع على قلبه كما عز عليه أن يدنس خلعة الملوك في دار الدنيا، فكيف بالخلعة التي خلعها رب العالمين على قلوب الموحدين، اشتعل في قلوبهم نور التوحيد حتى عرفوه وآمنوا به فأشرقت صدورهم ونزع عنها ظلمة الكفر وخلعها عنهم، وخلع عليهم لباس التقوى الذي هو وقاية من النار.

ثم قال في تنزيله الكريم: ﴿ .... **ذلك من آيات الله**[2] وقال: ﴿ **حبب إليكم الإيمان وزينة في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون * فضلاً من الله ونعمة**﴾[3]. ثم قال : ﴿ **والله عليم حكيم** ﴾[4].

---

(١) هو مطرف بن عبدالله بن الشخير أبو عبدالله البصري روى عن أبيه وعثمان وعلي وأبي ذر وغيرهما. ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من أهل البصرة قال العجلي : كان ثقة، توفّي في أول ولاية الحجاج وقال الترمذي مات سنة ٩٥ هـ. راجع تهذيب التهذيب ١٠ : ١٧٤.

(٢) سورة الكهف آية رقم ١٧.

(٣) سورة الحجرات آية رقم ٧ وبداية الآية رقم ٨.

(٤) سورة النساء آية رقم ٢٦.

عليم بمعنى أعطى من هو من عباده حكيم في أمره، بالحكمة فعل هذا، لا بالجزاف.

﴿ وهو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ... ﴾[1].

فمن انتبه لهذه النعمة ولهذا الفضل، لم يستعظم أن تطوى له الأرض أو يعطى رغيفاً في برية. والله يقول في تنزيله الكريم : **﴿ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ... ﴾**[2].

قيل : هو الشفاعة يوم القيامة. فرجل يشفع في أهل النار يوم القيامة، وصار ممن يجوز قوله بين يدي رب العزة في ذلك الموقف إن أعطاه رغيفاً في الدنيا من حيث لا يقدر عليه ماذا يكون فيه حتى ينكر هذا، وما يخرج إنكار هذا إلا من قوم جهلوا صنائع الله تعالى وتدبيره في خلقه ولم يتبين لهم كرامة الله إياهم.

وجاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « لو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال » .

فعلماء الظاهر عرفوا الله ولكن لم ينالوا حق المعرفة، فلذلك عجزوا عن هذه المرتبة، ودفعوا أن يكون هذا كائناً لأحد. ولو عرفوه حق المعرفة، لماتت عنهم الشهوات وحب الرياسة والشح على الدنيا والتنافس في أحوالها وطلب الثناء. ترى أحدهم ينصب سمعه مصغياً الى ما يقول الناس له وفيه وعينه شاخصة إلى ما ينظر الناس إليه منه، وقد عميت عيناه عن النظر إلى صنع الله وتدبيره. فإن الله كل يوم هو في شأن. وقد صم أذنه عن مواعظ الله يقرأه ولا يتلذذ به، ولا يجد له حلاوة. وكأنه إنما

---

(١) سورة النجم آية رقم ٣٢.

(٢) سورة الشورى آية رقم ٢٦.

عنى به غيره، فكيف يتلذذ بما كلم به غيره ؟ وإنما صار كذلك لأن الله تعالى خاطب أُولي العقول والبصائر والألباب. فمن ذهب عقله وبصيرته ولبه في شأن نفسه ودنياه، كيف يفهم كلام رب العالمين ويتلذذ به ؟ وإنما وقع البر واللطف على أهل تلك الصفة.

عدنا إلى تأويل الحديث وهو قوله (ﷺ) : « إذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه ... »[1] فنقول : من تكلم بعد الرسول (ﷺ) بشيء من الحق وعلى سبيل الهدى، فالرسول (ﷺ) سابق إلى ذلك القول، وإن لم يكن تكلم بذلك اللفظ الذي أتى به من بعده، فقد أتى الرسول (ﷺ) بأصله مجملاً، فلذلك قال : « فصدقوا به قلته أو لم أقله، إن لم أقله بذلك اللفظ الذي يحدث به عني فقد قلته إذ جئت بالأصل والأصل مؤد عن الفرع ».

فجاء الرسول (ﷺ) بالأصل، ثم تكلم أصحابه والتابعون (رضوان الله عليهم أجمعين) من بعده بالفروع. فإذا كان الكلام معروفاً عند المحققين، غير منكر، فهو قول الرسول (ﷺ) قاله أو لم يقله، يجب علينا تصديقه لأن الأصل قد قاله الرسول (ﷺ) وأعطاناه. وإنما قال ذلك لأصحابه الذين قد عرفهم بالحق. فإنما يعرف الحق المحق وهو أولو الألباب والبصائر، فأما المخلط المكب على شهوات الدنيا، المحجوب عقله عن الله تعالى، فليس هو المعني بهذا لأن صدره مظلم، فكيف يعرف الحق ؟ وإنما شرط رسول الله (ﷺ) فقال : « إذا جاءكم عني حديث تعرفونه ولا تنكرونه ... ».

وإنما تعرف وتنكر العقول التي لها إلى الله سبيل يصل إلى الله، ونور الله سراجه، والعقل بصيرته، والحق جيئته، والسكينة طابعه، فيرجع إلى

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

خلقه، والحق عنده أبلج، يضيء في قلبه كضوء السراج يقيناً وعلماً به. كما قال ربيع بن خيثم[1] إن على الحق نوراً وضوءاً كضوء النهار نعرفه، وأن على الباطل ظلمة كظلمة الليل ننكره. فالمحقون هكذا صفتهم يعرفون الحق والباطل.

وكذلك وعد الله تعالى المتقين فقال (عز من قائل) : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً** ... ﴾[2].

قال أهل التفسير : إخراجاً. أي من الشبهات والظلمات. فأما محض التفسير فالمخرج أن يجعل له نوراً في قلبه يفرق بين الحق والباطل حتى يكون له مخرجاً من ظلمة الجهل وشبهات الدنيا. فإن الجهل يظلم، والدنيا تزيّن على الآدمي شهوته التي في جوفه فتشبه عليه حتى تخدعه. فبتقواه من هذه الأشياء يجعل له فرقاناً وهو النور يفرق بين الحق والباطل. هذا ثواب التقوى في عاجل دنياه، وثوابه في الآخرة قربته وكرامته ورفعة درجته. قال له قائل : إن كان النظر في معرفة الحق من الباطل إلى القلب، فما الحاجة بنا إلى هذه الآثار ؟ قال : اعلم أن الله تعالى أنار القلب ووفر عقله، والحق نور، وعلى قلب الموحد نور يتقد من قلبه على قلبه في صدره. فإذا عرض أمر الله تعالى هو حق فوقع ذكره في الصدر على القلب التقى نور الحق ونور القلب فامتزجا وائتلفا فاطمأن القلب بما فيه وسكن فعلمت أنه الحق. وإذا عرض باطل فوقع ذكره في الصدر على

---

(١) هو الربيع بن خيثم بن عائذ بن عبدالله بن موهب أبو يزيد الكوفي ــ روى عن النبي ــ ﷺ ــ مرسلاً وعن ابن مسعود وأبي أيوب، وامرأة من الأنصار، وعمرو بن ميمون وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعنه ابن عبدالله ومنذر الثوري والشعبي وهلال بن يساف وغيرهم، قال ابن حبان في الثقات مات بعد قتل الحسين سنة ٦٣ هـ وقال العجلي تابعي ثقة. راجع تهذيب التهذيب ٣ : ٢٤٢.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٢٩.

القلب والباطل ظلمة، التقت الظلمة ونور القلب فيفر النور ولم يمزج معه فاضطرب القلب.

عن وابصة بن معبد (رضي الله عنه) قال : قال لي رسول الله (ﷺ) : « جئت تسأل عن البر والإثم استفت قلبك البر ما إطمأنت إليه النفس والقلب. والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس »[1].

إنما ذكر طمأنية النفس ليعلم أنها نفوس قد ماتت منها الشهوات وراضها صاحبها وأدبها، فقارنت القلب في الصدر في العبودية. ولو كانت نفس شهوانية بطالة لم تستحق أن ينظر اليها لما يحيك فيها وإلى ما يطمئن. فالنفوس البطالة تطمئن إلى الجهل، ولا يحيك فيها الحق والخير، ويستقر فيها الشر والباطل.

عن عثمان بن عطاء، عن أبيه (رضي الله عنهما) قال : رجل أتى رسول الله (ﷺ) فقال : يا رسول الله أفتنا إن ابتلينا بالبقاء بعدك. قال : تفتيك نفسك. قال : وكيف تفتيني نفسي ؟ قال (عليه السلام) : ضع يدك على صدرك، فإنه يسكن للحلال، ويضطرب من الحرام، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وإن أفتاك المفتون، إن المؤمن يذر الصغير مخافة أن يقع في الكبير.

عن الحسن بن علي (رضي الله عنه) قال : سمعت جدي (ﷺ)

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب البر ٥ باب تفسير البر والإثم ١٤ (٢٥٥٣) عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن النواس بن سمعان الأنصاري قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم: وذكره، وأخرجه الترمذي في كتاب الزهد ٥٢ باب ما جاء في البر والإثم ٢٣٨٩ بالسند السابق وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

يقول : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك. فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة[1].

وإنما صير رسول الله (ﷺ) هذه الكلمة علامة لقلوب قد ملكت النفوس، وخلت من وساوسها الصدور، لا القلوب التي قد ملكتها نفوسها وشحنت بوساوساً صدورها. قال الله تعالى في تنزيله الكريم : ﴿ **ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً** ﴾[2] وعد الهداية على فعل ما يوعظ به.

وقال تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ...** ﴾[3]

وقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً** ﴾[4] بالهداية في القلب والفرقان في القلب، وهو نور يجعله الله في القلب فيشرق به الصدر، وتنجلي ظلمة الشهوات والهوى عن الصدور، ويزول رين الذنوب. فدلّت الآيات أن هذا لأهل التقوى والفاعلين بوعظه وأهل المجاهدة وهم أهل اليقين وطهارة القلوب. وأما العامة فإنهم يحتاجون إلى النصوص والآثار، على ألسنة علماء الظاهر لما دخل عليهم من آفة النفس وتخليطها. فقد تراكمت على صدورهم سحائب تترى من حب الدنيا،

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي، وأحمد وأبو يعلى في مسانيدهم، والدارمي والترمذي والنسائي وآخرون عن الحسن بن علي، وليس عند النسائي فإن الصدق الخ.

وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم صحيح الإسناد، وصححه ابن حبان وهو طرف من حديث طويل، ولابن عمر عن الزيادة فيه فإنك لن تجد فقد تركته لله، ورواه ابن قانع عن الحسن بلفظ الترمذي، وزاد « فإن الصدق ينجي ».

(٢) سورة النساء آية رقم ٦٨.

(٣) سورة العنكبوت آية رقم ٦٩.

(٤) سورة الأنفال آية رقم ٢٩.

وحب الجاه، وحب الثناء، وحب الرياسة، وحب الشهوات، وفتن الدنيا ورين الذنوب.

فإذا عرض في الصدر ذكر شيء هو حق وعلى الحق نور، حالت الظلمة بين نور الحق ونور القلب، فلم يمتزجا، ولم يعرف القلب ذلك الحق، فصاحبه في حيرة منه. وإذا عرض أمر هو باطل، وعلى الباطل ظلمة امتزج الباطل بظلمة الشهوات ورين الذنوب، فلم يعلم القلب بشيء من ذلك؛ لأن نور القلب قد انكمن في القلب ولم يشرق في الصدر. فليس لأهل التخليط من هذه العلامة شيء. فإنه قال : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » وصدره ممتلئ ريباً، فكيف يتبين فيه الريب الزائد ؟ قال له قائل : إن رأيت أن تنص على حديثين : حديث يعرفه المحقون ببصائرهم ولا ينكرونه. وحديث ينكرونه لنعرف به الوجهين جميعاً ومن قبل ذلك. فأخبرنا ما معنى قولك : « يعرفه المحقون ببصائرهم » ؟ قال : ان الحق الأعظم الذين انشعب منه الحقوق لا يسكن إلا في قلب طاهر. وكذلك اليقين لا يستقر إلا في قلب طاهر. فمن لم يطهر قلبه فهذه الأشياء نافرة عنه، لا تجد مأمنها. فإذا وجدت قلباً وقد تطهرت من أدناس الذنوب ودرن العيوب، فقد وجدت مأمناً فارتبعت فيه، فوجدت صاحبه حكيماً، ووجدته موقناً، ووجدته محقاً. فالحكمة ينبوع قلبه، ومثال بين عينيه، واليقين مطالعة الملكوت، والحق مستعمله. ومن لم يطهر قلبه فالحق نافر عنه، فهو يتبع الحق ليعمل به والحق هارب منه. فلذلك يشتد عليه القيام بالحق، ويثقل عليه حتى يعجز عنه. والمحق يجري فيه كالسهم وكالماء وكالدهن ليناً، وكالريح سرعة ومضياً.

وأما حديث يعرفه المحقون فروي عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : خرج رسول الله (ﷺ) على ناقته الجدعاء، فقال : « أيها الناس : كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق على غيرنا وجب، وكأن الذي نشيع من الموتى عن قليل إلينا راجعون، نبوءهم أجداثهم،

ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن ذل نفسه من غير منقصة، وتواضع لله تعالى من غير مسكنة، وأنفق مالاً جمعه من غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن ذل نفسه وطلب كسبه، وصلحت سيرته وحسنت خليقته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله »[1].

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : كنت رديف رسول الله (ﷺ) فقال : « يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ » قلت : بلى يا رسول الله. قال : « إحفظ الله يحفظك. إحفظ الله تجده أمامك. تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. وقد جف القلم بما هو كائن. فلو جهد الخلق على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك، لم يقدروا عليه. ولو جهد الخلق على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه. فإن استطعت أن تعمل لله بالرضى واليقين، فافعل. فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً. واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً »[2].

---

(١) رواه البخاري في تاريخه، والعسكري، والبغوي والبارودي، والطبراني وآخرون بسند ضعيف، حتى قال ابن حبان: لا يعتمد عليه، وإن قال ابن عبد البر إنه حديث حسن فيه آداب لاشتماله على فوائد جليلة، والظاهر أنه قصد الحسن اللغوي، ورواه العسكري عن ركب المصري، والله أعلم.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة ٥٩ باب ٢٥١٦ حدثنا أحمد بن محمد ابن موسى، أخبرنا عبدالله بن المبارك، أخبرنا ليث بن سعد وابن لهيعة عن قيس بن الحجاج قال وحدثنا عبدالله بن عبد الرحمن، أخبرنا أبو الوليد، حدثنا ليث بن سعد، حدثني قيس بن الحجاج: المعنى واحد عن حنش الصنعاني عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١ : ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧ (حلبي).

وأما حديث ينكره المحقون، فما روي عن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أن سليمان (عليه السلام) مر في موكبه برجل يقال له : « مرعبدي » وهو قائم يصلي، فوقف عليه حتى فرغ، فلم يرفع رأسه. فلما رأى ذلك منه، نزل إليه فكلمه، فقال له مرعبدي : ألست ابن داود الخاطئ، حملت الدنيا فوق رأسك، وجعلت الآخرة تحت قدميك، فصرت محجوباً عن الدارين ... في كلام طويل عامته كذب، لا يقبله قلوب المحقين، وقد جعل الله الرسل (عليهم السلام) أحباءه وأصفياءه. ومن قال لرسول مثل هذا، فقد عابه. ومن عابه، فقد كفر بالله سبحانه وتعالى. وقد جعل الله إيماننا به منظوماً به. فإيماننا بالله لا يقبل منا حتى نؤمن بالرسل كما آمنا به. وكيف يجوز أن يقال لرسول الله : « جعلت الآخرة تحت قدميك والدنيا فوق رأسك » ؟ فهو بذلك راد على الله تعالى. والله (عز وجل) يقول في كتابه الكريم : **﴿ ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين ﴾**[1].

فسليمان من أهل هداية الله تعالى، وسماه محسناً. وهذا يحكى أنه قال : « جعلت الآخرة تحت قدميك وصرت محجوباً عن الدارين ». وقال الله تعالى : **﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ﴾**[2] ثم قال لنبيه (عليه السلام) : **﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾**[3].

فهذا الذي زور هذا الحديث أحسبه من هؤلاء الحمقى الذين يتزهدون في الدنيا رياء وسمعة، يريدون أن يتأكلوا هذا الحطام بسمة الزهد، ولم

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٨٤.

(٢) سورة صٓ آية رقم ٣٠.

(٣) سورة الأنعام آية رقم ٩٠.

يعرفوا ما الزهادة وما معناها، حسبوا أن الزهادة شتم الدنيا، وأكل النخالة، ولبس الصوف، وذم الأغنياء، ومدح الفقراء. ومن جهله يزعم أنه قال مرعبدي لسليمان (عليه السلام) : ليس تقضي نهمة من الدنيا إلا نقص من ميزانك » والله تعالى يقول : ﴿ **هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب** ﴾[1] ثم قال : ﴿ **وان له عندنا لزلفى وحسن مآب** ﴾[2].

ومن الحديث الذي ينكره قلوب المحقين ما روي أن قوم موسى سألوا موسى (عليه السلام) أن يسأل ربه (عز وجل) أن يسمعهم كلامه الكريم، فسمعوا صوتاً كصوت الشبور : إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم أخرجتكم من مصر بيد رفيعة وذراع شديد. فهذا حديث من غرب فهمه. وإنما الكلام شيء خص به موسى (عليه السلام) من بين جميع ولد آدم (عليه السلام). فإن كان كلم قومه أيضاً حتى أسمعهم كلامه، فما فضل موسى (عليه السلام) حيث سمي كليم الله من بين رسله (عليهم السلام) ؟. ومن الحديث الذي ينكره قلوب المحقين ما روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله (عز وجل) : ﴿ **يوفون بالنذر ...** ﴾[3] الآيات.

قال : مرض الحسن والحسين، فعادهما رسول الله (ﷺ)، وعادهما عمومة العرب. فقالوا : يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذراً وكل نذر ليس له وفاء، فليس بشيء. فقال علي (رضي الله عنه) : إن برأ ولداي صمت لله ثلاثة أيام شكراً. وقالت جارية لهم ثويبة : إن برأ سيداي صمت لله تعالى ثلاثة أيام شكراً. وقالت فاطمة (رضي الله تعالى عنها) مثل ذلك.

---

(١) سورة ص آية رقم ٣٩.

(٢) سورة ص آية رقم ٤٠.

(٣) سورة الإنسان آية رقم ٧.

فألبس الغلامان العافية، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير، فانطلق علي (رضي الله عنه) إلى شمعون اليهودي الخيبري فاستقرض منه ثلاثة أصوع من شعير فجاء به فوضعه في ناحية البيت، فقامت فاطمة (رضي الله عنها) إلى صاع فطحنته واختبزته، وصلى علي مع النبي (ﷺ) ثم أتى المنزل، فلما وضع الطعام بين يديه أتاهم مسكين فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد، أطعموني أطعمكم الله على موائد الجنة. فسمعه علي (رضي الله عنه) فأنشأ أبياتاً لفاطمة (رضي الله عنها)، وأنشأت فاطمة أبياتاً له، فأطعموه الطعام، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح. وفي اليوم الثاني قامت إلى صاع فاختبزته، فوقف بالباب يتيم، فأنشأ علي (كرم الله وجهه) أبياتاً[1]، وأنشأت فاطمة (رضي الله عنها) أبياتاً، فأعطوه الطعام، ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئاً إلا الماء. فلما أن كان اليوم الثالث، قامت إلى الصاع الباقي فطحنته وأختبزته، فوقف بالباب أسير استطعم أهل بيت النبي (ﷺ) فأنشأ علي (رضي الله عنه) أبياتاً، وأنشأت فاطمة (رضي الله عنها) أبياتاً، فأعطوه الطعام، ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح.

فلما أن كان اليوم الرابع وقد قضى الله النذر، أخذ علي بيده اليمنى الحسن، وبيده اليسرى الحسين، وأقبل نحو رسول الله (ﷺ) وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، فلما أبصرهم رسول الله (ﷺ) قال : يا أبا الحسن ما أشد ما أرى بكم، انطلق بنا إلى ابنتي فاطمة، فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها، وغارت عيناها من

---

(١) من هذه الأبيات:

فاطمة ذات الفضل واليقين	يا بنت خير الناس أجمعين
أما ترين البائس المسكين	قد قام بالباب له حنين
يشكو الى الله ويستكين	يشكو إلينا جائع حزين
كل امرئ بكسبه رهين	وفاعل الخيرات يستبين

شدة الجوع. فلما أن رآها رسول الله (ﷺ) وعرف المجاعة في وجهها بكى فقال : واغوثاه أهل بيت محمد يموتون جوعاً. فهبط جبرئيل عليه السلام، فقال : السلام يقرئك السلام يا محمد، خذ هنيئاً في أهل بيتك. فأقرأه : ﴿ **يوفون بالنذر ...** ﴾ إلى قوله ﴿ **... جزاء ولا شكوراً** ﴾[1].

هذا حديث مزوق. وقد تطرف فيه صاحبه حتى يشبه على المستمعين، والجاهل يعض على شفتيه تلهفاً ألا يكون بهذه الصفة، ولا يدري أن صاحب هذا الفعل مذموم. قال الله تعالى في تنزيله الكريم : ﴿ **ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو** ﴾[2] وهو الفضل الذي يفضل عن نفسك وعيالك. وقال (ﷺ) : « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بنفسك ثم بمن تعول »[3].

وافترض الله تعالى على الأزواج النفقة لأهاليهم وأولادهم. وقال (ﷺ) : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت »[4].

---

(١) سورة الإنسان آية رقم ٧ ــ ٩ قال القرطبي: ذكر النقاش والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وجاريتهما حديثاً لا يصح ولا يثبت، ورواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس. راجع تفسير القرطبي ١٩ : ١٢٨.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢١٩.

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الصدقة ٣١ باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح ٩٥ حدثنا محمد بن بشار، ومحمد بن حاتم وأحمد بن عبدة جميعاً عن يحيى القطان قال ابن بشار، حدثنا يحيى، حدثنا عمرو بن عثمان قال: سمعت موسى ابن طلحة يحدث أن حكيم بن حزام حدثه أن رسول الله ﷺ قال: وذكره وأخرجه ابن ماجة في المقدمة ٢٠ وكتاب الأدب ٣ والبخاري في كتاب النفقات ٢ وأبو داود في الزكاة ٣٩.

(٤) الحديث عزاه صاحب الأصل لصحيح مسلم، واعترضه في التمييز فقال الذي في صحيح مسلم « كفى بالمرء إثماً أن يحبس من يملك قوته » وإنما لفظ الترجمة: فرواه النسائي، وأبو داود بسند صحيح. والمشهور بمعناه « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول ». بل هي رواية الحاكم ــ رضي الله عنه ــ كما في النجم.

أفيحسب عاقل أن علياً (رضي الله عنه) جهل هذا الأمر حتى أجهد صبياناً، صغاراً من أبناء خمس أو ست على جوع ثلاثة أيام ولياليها حتى تضرروا من الجوع، وغارت العيون فيهم لخلاء أجوافهم حتى أبكى رسول الله (ﷺ) ما بهم من الجهد. هب أنه آثر على نفسه هذا السائل، فهل كان يجوز له أن يحمل على أطفاله جوع ثلاثة أيام بلياليهن. ما يروج هذا إلا على حمقى جهال، أبى الله لقلوب منتبهة أن تظن بعلي (رضي الله عنه) مثل هذا. وليت شعري من حفظ هذه الأبيات كل ليلة عن علي وفاطمة (رضوان الله عليهما) وإجابة كل منهما صاحبه حتى أداه إلى هؤلاء الرواة[1]. فهذا وأشباهه عامتها مفتعلة.

ومما ينكره المحقون ما يروى عن رسول الله (ﷺ) أن في سنة مائتين يكون كذا، وفي العشرين والمائتين كذا، وفي الثلاثين كذا، وفي الأربعين كذا، وفي الخمسين كذا، وفي الستين والمائتين تعكف الشمس ساعة فيموت نصف الجن والإنس، فهل كان كذا وقد مضت هذه المدة، وعكوف الشمس لا يخلو منه بلد في شرق أو غرب. ودلالة أخرى وهو أن التاريخ لم يكن على عهد رسول الله (ﷺ)، وإنما وضعوه على عهد عمر (رضي الله عنه).

عن ميمون بن مهران قال : رفع إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) صك محله شعبان، فقال عمر (رضي الله عنه) : أي شعبان هذا الذي هو آت أو هو الذي نحن فيه. ثم قال لأصحاب محمد (ﷺ) : ضعوا للناس تاريخاً. فقال بعضهم : اكتبوا على تاريخ الروم. فقيل : إنهم يكتبون من عند ذي القرنين، وهذا يطول. وقال بعضهم : اكتبوا على تاريخ الفرس. فقيل : إن الفرس كلما كان ملك أرخ من قبله. فاجتمع رأيهم أن ينظروا كم أقام رسول الله (ﷺ) بالمدينة، فوجدوه عشر سنين. فكتب التاريخ من هجرة رسول الله (ﷺ).

ومما تنكره القلوب حديث رووه عن عوف عن أبي القموص، قال: شرب أبو بكر (رضي الله عنه) الخمر ــ يعني من قبل نزول تحريمها ــ فقعد ينوح قتلى بدر وينشد أبياتاً. فبلغ رسول الله (ﷺ) ذلك فخرج حتى أتاه، فرفع عليه شيئاً في يده. فقال أبو بكر : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله. فنزلت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ...** ﴾[1] الآية. فهذا منكر من القول والفعل.

وقد أعاذ الله الصديقين من فعل الخنا وأقوال أهله. وإن كان قبل التحريم، فقد كان أبو بكر بمكة مع رسول الله (ﷺ) قبل أن يهاجر، وقد وسم بالصديقية. لأنه كان هو وعثمان مع رسول الله (ﷺ) على حراء، فرجف بهم الجبل. فقال رسول الله (ﷺ) : اسكن حراء، فإنما عليك نبي وصديق وشهيد[2].

وعائشة (رضي الله عنها) أعلم بأبيها من أبي القموص، فهي تنكر هذا وتكذب أهله.

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : ما قال أبو بكر ولا عثمان بيت شعر في جاهلية ولا في إسلام.

وعنها أيضاً أنها كانت تدعو على من يقول : إن أبا بكر قال هذه القصيدة وأولها :

تحيا بالسلامة أم بكرٍ وهل لي بعد قومي بالسلام

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٩٠.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب فضائل الصحابة ٧ باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي ــ رضي الله عنه ــ ٣٦٩٩ ــ حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سعيد عن قتادة أن أنساً ــ رضي الله عنه ــ حدثهم قال وذكره.

إلخ. ثم قالت : والله ما قال أبو بكر بيت شعر في الجاهلية ولا في الإسلام. ولقد ترك أبو بكر وعثمان شرب الخمر في الجاهلية، وما ارتاب أبو بكر في الله منذ أسلم، ولكنه كان تزوج امرأة من بني كنانة، ثم من بني عوف، فلما هاجر أبو بكر طلقها فتزوج بها ابن عمتها أبو بكر بن شعوب الكناني الشاعر، فقال هذه القصيدة يرثي بها كفار قريش الذين قتلوا ببدر، فحملها الناس أبا بكر من أجل امرأته أم بكر التي طلقها.

الأصل الخامس والأربعون

في النهي عن إكراه المرضى على الطعـــام والشراب

عن عقبة بن عامر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا تكرهوا مرضاكم على الطعام، فإن الله يطعمهم ويسقيهم »[1].

إطعام الله وسقياه الآدمي في دنياه، هذا الذي هيأه في أرضه وسمائه، وفي الآخرة ما هيأه في جواره من جنانه، ثم فيما بين ذلك منَّ الله تعالى للعباد لطائف من خزائنه في أحوالهم مثل مائدة عيسى (عليه السلام)، ومثل ما أوتي مريم حيث قيل : ﴿ **وجد عندها رزقاً** ﴾[2].

وسقياه مثل عسكر رسول الله (ﷺ) حيث أصابهم العطش

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الطب ٤ باب ما جاء: لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب ٢٠٤٠ ــ حدثنا أبو كريب حدثنا بكر بن يونس بن بكير عن موسى بن علي عن أبيه عن عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.
قال الترمذي: هذا حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وأخرجه ابن ماجة في الطب ٤ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٦٩ (حلبي).

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٣٧.

فانفجرت من أصابع رسول الله (ﷺ) منابع الماء حتى ارتوى العسكر. وأما معنى قوله (ﷺ) : « فإن الله يطعمهم ويسقيهم » هو أنه يطهر قلوبهم من رين الذنوب. إذا طهرهم من رين الذنوب مَنَّ عليهم باليقين فأشبعهم وأرواهم. فذاك طعامه وسقياه لهم. ألا ترى أنه يمكث الأيام الكثيرة لا يذوق شيئاً ومعه قوته. ولو كان ذاك في أيام الصحة لضعف عن ذلك وعجز عن مقاساته. وأقل الناس طعاماً الأنبياء ثم الأولياء وكلما كان العبد أكثر حظاً من اليقين كان أقل طعماً وتناولاً.

روي عن عامر بن عبد قيس أنه داوم شهراً لا يأكل شيئاً. قال الأعمش : سمعت إبراهيم التيمي (رحمه الله) يقول : لقد أتى عليَّ شهر وما أكلت طعاماً ولا شراباً إلا حبة من عنب أكرهوني عليها، وما أنا بصائم وإني أقضي حوائجي.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « الكافر يأكل في سبعة أمعاء، والمؤمن يأكل في معاء واحد »[1].

فقد فسرناه في بابه.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في: ٧٠ كتاب الأطعمة ١٢ باب المؤمن يأكل في معي واحد، ومسلم في ٣٦ ــ كتاب الأشربة ٣٤ باب المؤمن يأكل في معي واحد حديث ١٨٥ وأخرجه صاحب الموطأ في كتاب صفة النبي ﷺ ٦ باب ما جاء في معي الكافر ٩ ــ حدثني عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

الأصل السادس والأربعون

في بيان أنه مما يحصل عذاب القبر

عن ميمونة (رضي الله عنها) أنها قالت : يا رسول الله : من أي شيء عذاب القبر ؟ أفتنا عن عذاب القبر. قال : « من أثر البول فمن أصاب منه شيئاً فليغسله بماء، فإن لم يصبه أو يجده فليمسحه بتراب طيب »[1].

جعل التيمم حالة الشك والتخوف أنه أصاب جسده البول دافعاً لعذاب القبر. كما جعل غسله بالماء في الحالة التي يدري أنه أصابه دافعاً وباله في القبر.

---

(١) رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة ٢٦ باب التشدد في البول بسنده عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ قال: وذكره ورواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٣٢٦ عن طريق أبي عوانة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: وذكره، ورواه النسائي في كتاب السهو ٨٨ ولفظه عن ابن ماجة « أكثر عذاب القبر من البول ».

وفي الزوائد: إسناده صحيح وله شواهد.

الأصل السابع والأربعون

في بيان أن مدة المحنة لم تقدر بثلاثة أيام

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « ما صبر أهل بيت على جهد ثلاثة إلا آتاهم الله تعالى برزق » .

إنما صار مدة المحنة ثلاثة أيام، لأن العبد على أجزاء ثلاثة : جزء منه للإيمان، وجزء للروح، وجزء للنفس. فالطمأنينة للإيمان والطاعة للروح، والشهوة للنفس. فإذا منع أول يوم فجاع وصبر، فذاك صبر الإيمان، لأنه أقوى الثلاثة. وإذا منع اليوم الثاني فجاع وصبر، فذاك صبر الروح، يطيع ربه ولا يتناول ما لا يحل. وإذا منع اليوم الثالث فجاع وصبر، فذاك صبر النفس. وتمت المحنة لأن المحنة إنما تقع على أهل التهمة. والإيمان عزيمتهم، وكذا الروح. وإنما التهمة للنفس. وفي اليوم الأول لم يتبين صبرها لأن الإيمان والروح لها معين. وفي اليوم الثاني الروح معين لها. فإذا صبرت في اليوم الثالث، برزت منقبتها. وإنما وقعت المحنة لشأن النفوس الكاذبة وامتحن ايمانهم. قال الله تعالى : ﴿ **الم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾[1].

---

(١) سورة العنكبوت آية رقم ١، ٢.

الأصل الثامن والأربعون

في أن البركة في بيع العقار منزوعة

عن سعيد بن حريث (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من باع داراً أو عقاراً فليعلم أنه مال قمن أنه لا يبارك له فيه إلا أن يجعله في مثله »[1].

وعن عمران بن الحصين الخزاعي البدري (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « من باع عقدة وهو يجد بداً من بيعها وكل بذلك المال ما يتلفه ». قيل: إنما نزعت البركة منها لأنها ثمن الدنيا المذمومة.

---

(١) رواه أبو داود والطيالسي في مسنده عن حذيفة، وأحمد، والحارث في مسنديهما والطبراني عن سعيد كلاهما رفعه، وقد كتب السخاوي فيه جزءاً وقال النجم: قلت حديث حذيفة رواه ابن ماجة والضياء في المختارة بلفظ « من باع داراً ثم لم يجعل ثمنها في مثلها لم يبارك له فيه »، وحديث سعيد أخرجه ابن ماجة أيضاً بلفظ: « من باع داراً أو عقاراً فليعلم أنه مال قَمِنٌ أن لا يبارك له فيه إلا أن يجعله في مثله »، وأخرجه الطبراني عن معقل ابن يسار بلفظ: «من باع عُقر دار من غير ضرورة سلط الله على ثمنها تالفاً يتلفه ». والله أعلم.

قال رسول الله (ﷺ) : « الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذاكر الله، أو معلماً، أو متعلماً ».[1].

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : « ملعونة الدنيا وملعون أهلها إلا ذكر الله تعالى وما آوى ذكر الله ».

وكل شيء أريد به وجه الله تعالى من الأمور والأعمال فهو مستثنى من اللعنة لأنه قد آوى ذكر الله تعالى.

وقيل : إنما نزعت البركة عن ثمن العقار لأنه مخالفة لتدبير الله تعالى. لأن الله تعالى خلق الأرض وجعلها مهاداً ومسكناً، لا ليتجر فيها، وجعل الجبال أوتاداً وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وجعل أثمان الأشياء في الذهب والفضة. فإذا اتجر فيما خلق له، بورك له فيه. وإذا اتجر فيما خلق مهاداً وسكناً، نزعت البركة عنه. ولهذا سماه عقدة لأنه مهاد لك قد عقد مسكناً.

---

(١) الحديث رواه الترمذي، وحسنه عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود، ورواه أبو نعيم في الحلية، والضياء عن جابر.

الأصل التاسع والأربعون

في أن النفقة في التراب والبناء لا أجر فيها

عن خباب (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « يؤجر العبد في نفقته كلها إلا ما كان في التراب » أو قال : « في البناء »[1].

وفي رواية : « كل نفقة ينفقها العبد يؤجر فيها إلا ما كان من نفقة في التراب ».

هذا عندنا في البناء الذي يجعله مرفقاً لنفسه. وأما المساجد التي هي لله تعالى فلا يملكها أحد. فهي خارجة من ذلك. وقد جاءت الآثار عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة »[2].

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة ٢٤٨٣ عن حارثة بن مضرب قال : أتينا خباباً نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال : وذكره. قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البزار والطبراني، وابن حبان، وعند أحمد، والبزار عن ابن عباس: من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتاً في الجنة، وعند الترمذي عن أنس: من بنى لله مسجداً صغيراً أو كبيراً بنى الله له بيتاً في الجنة، وأطال في ذلك النجم.

فإنما صار غير مأجور في النفقة في التراب؛ لأنه ينفق في دنياه، وقد أذن الله في خرابها، وهو يزيد في زينتها التي جعلت فتنة وبلوى للعباد، وتصير عاقبتها إلى ما قال الله تعالى : ﴿ **وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً** ﴾[1].

عن راشد بن الحارث ــ أو غيره ــ قال : بنى أبو الدرداء كنيفاً في منزله بحمص، فكتب إليه عمر (رضي الله عنه) : لقد كان لك يا عويمر فيما بنت فارس والروم كفاية عن تزيين الدنيا. وقد أذن الله بخرابها، فإذا أتاك كتابي هذا فارتحل من حمص إلى دمشق. قال : يعني أنه عاقبه بما بنى.

فإن كان البناء مما لا يستغني عنه، وقد بنى محتسباً فهو خارج عن ذلك؛ لأن الحاجة إلى المسكن كالحاجة إلى المطعم والمشرب والملبس والمركب. فإن كان في نفقته في هذه الأشياء محتسباً، فهو مأجور، فكذلك المسكن. وإنما تأويل هذا الحديث عندنا إذا بنى لنفسه بناء مرفق لا يحتسب بها.

وجاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « كل نفقة ينفقها العبد على نفسه فهي صدقه ».

وعن المقدام بن معدي كرب قال : قال رسول الله (ﷺ) : « ما أنفقت على نفسك فهو صدقة. وما أنفقت على زوجك فهو صدقة»[2].

---

(١) سورة الكهف آية رقم ٨.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الوصية ٨ ــ عن عمرو بن سعيد عن حميد بن عبد الرحمن الحميري عن ثلاثة من ولد سعد كلهم يحدثه عن أبيه أن النبي ﷺ: قال: وذكره.

الأصل الخمسون

في الاعتصام بالكتاب والعترة وبيانها

عن جابر بن عبدالله (رضي الله عنه) قال : رأيت رسول الله (ﷺ) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول : « أيها الناس : قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي »[1].

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري (رضي الله عنه) قال : لما صدر رسول الله (ﷺ) من حجة الوداع خطب فقال :

« أيها الناس : إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لن يعمر نبي إلا مثل نصف عمره الذي يليه من قبل، وإني أظن موشك أن أدعى فأجيب، وإني فرطكم على الحوض، وإني سائلكم حين تردون عليَّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفونني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله تعالى سبب طرفه بيد الله تعالى وطرف بأيديكم فاستمسكوا فلا تضلوا ولا تبدلوا، والثقل الأصغر

---

(١) رواية المسند ٣ : ١٤ عن طريق أسود بن عامر، أخبرنا أبو إسرائيل يعني إسماعيل بن أبي إسحاق الملائي عن عطية عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

عترتي أهل بيتي، فإني قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض »[1].

روي عن رسول الله (ﷺ) أنه دعاهم ثم تلا هذه الآية : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[2].

فذريتهم منهم فهم صفوة وليسوا بأهل عصمة. إنما العصمة للنبيين (عليهم السلام)، والمحنة لمن دونهم، وإنما يمتحن من كانت الأمور محجوبة عنه. فأما من صارت الأمور له معاينة ومشاهدة فقد ارتفع عن المحنة.

وقوله (ﷺ) : « لن يتفرقا حتى يردا على الحوض » وقوله (ﷺ) : « ما إن أخذتم به لن تضلوا » واقع على الأئمة منهم السادة، لا على غيرهم. وليس بالمسيء المخلط قدوة. وكائن فيهم المخلطون والمسيئون لأنهم لم يعروا من شهوات الآدميين، ولا عصموا عصمة النبيين. وكذلك كتاب الله تعالى من قبل ما منه ناسخ ومنسوخ. فكما ارتفع الحكم بالمنسوخ منه، كذلك ارتفعت القدوة بالمخذولين منهم.

وإنما يلزمنا الاقتداء بالفقهاء العلماء منهم بالفقه والعلم الذي ضمن الله تعالى بين أحشائهم، لا بالأصل والعنصر. فإذا كان هذا العلم والفقه موجوداً في غير عنصرهم، لزمنا الاقتداء بهم كالاقتداء بهؤلاء. وقد قال تعالى في تنزيله الكريم : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ...** ﴾[3].

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة ٣٦ (٢٤٠٨) بسنده عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه وذكره.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣٣.

(٣) سورة النساء آية رقم ٥٩.

فإنما يلي الأمر منا من فهم عن الله تعالى، وعن رسوله (ﷺ) ما يهم الحاجة إليه من العلم في أمر شريعته.

وروي عن جابر، وابن عباس، وعدة من أصحاب رسول الله (ﷺ) في تفسير هذه الآية الكريمة : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم...** ﴾[1] قال: هم العلماء والفقهاء[2].

وإنما أشار رسول الله (ﷺ) فيما نرى إليهم لأن العنصر إذا طاب، كان معيناً لهم على فهم ما يحتاج إليهم. وطيب العنصر يؤدي إلى محاسن الأخلاق. ومحاسن الأخلاق تؤدي إلى صفاء القلب ونزاهته. وإذا نزه القلب وصفا، كان النور أعظم وأشرق الصدر بنوره، فكان ذلك عوناً له على درك ما به الحاجة إليه من شريعته.

---

(١) سورة النساء آية رقم ٥٩.

(٢) الحديث أورده السيوطي في الدر المنثور ٢: ١٧٦ واسنده الى عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن عطاء في قوله تعالى وذكره.

الأصل الحادي والخمسون

في بيان عدد الأبدال وصفاتهم

عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « الأبدال ثلاثون رجلاً، قلوبهم على قلب إبراهيم (عليه السلام) إذا مات الرجل أبدل الله مكانه آخر »[1].

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : البدلاء أربعون رجلاً، اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق، وكلما مات واحد، بدل آخر. فإذا كان عند القيامة ماتوا كلهم »[2].

---

(١) الحديث في المسند ٥: ٣٢٢ عن طريق عبد الوهاب بن عطاء أنا الحسن بن ذكوان عن عبد الواحد بن قيس عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: وذكره.
قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: قال أبي رحمة الله فيه يعني حديث عبد الوهاب كلام غير هذا، وهو منكر يعني حديث الحسن بن ذكوان.

(٢) هناك حديث رواه صاحب المسند ١ : ١١٢ عن طريق أبي المغيرة ثنا صفوان حدثني شريح يعني ابن عبيد قال: ذكر أهل الشام عن علي بن أبي طالب ـــ رضي الله عنه ـــ وهو بالعراق فقالوا العنهم يا أمير المؤمنين قال: لا: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره وفيه زيادة [يسقي بهم الغيث وينتصر بهم على الاعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب].

وليس في الحديثين اختلاف. وإنما هم أربعون رجلاً. فثلاثون منهم قلوبهم على قلب إبراهيم (عليه السلام). دل عليه ما روي عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : ان الأنبياء (عليهم السلام) كانوا أوتاد الأرض. فلما انقطعت النبوة، أبدل الله تعالى مكانهم قوماً من أمة أحمد يقال لهم الأبدال، لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا تسبيح، ولكن بحسن الخلق وبصدق الورع وحسن النية وسلامة قلوبهم لجميع المسلمين والنصيحة لله تعالى ابتغاء مرضاته بصبر، وحلم، ولب، وتواضع في غير مذلة، فهم خلفاء من الأنبياء، قوم اصطفاهم الله تعالى لنفسه، واستخلصهم بعلمه لنفسه وهم أربعون صديقاً، منهم ثلاثون رجلاً على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن، بهم تدفع المكاره عن أهل الأرض والبلايا عن الناس، وبهم يمطرون، وبهم يرزقون، لا يموت الرجل منهم أبداً حتى يكون الله تعالى قد أنشأ من يخلفه، ولا يعلنون شيئاً، ولا يؤذون من تحتهم، ولا يتطاولون عليهم، ولا يحقرونهم، ولا يحسدون من فوقهم، ولا يحرصون على الدنيا، ليسوا بمتماوتين ولا متكبرين ولا متخشعين، أطيب الناس خبراً، وأورعهم أنفساً، طبيعتهم السخاء، وصفتهم السلامة من دعوى الناس قبلهم. لا تتفرق صفتهم ليسوا اليوم في حال خشية وغداً في حال غفلة ولكن مداومين على حالهم، وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الريح العاصف، ولا الخيل المجراة، قلوبهم تصعد في السماء ارتياحاً إلى الله تعالى واشتياقاً إليه، قدما في اشتياق الخيرات. ﴿ **أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾[1].

قلت : يا أبا الدرداء : ما شيء أثقل عليَّ من هذه الصفة التي وصفتها، فكيف لي بأن أدركها ؟ قال : ليس بينك وبين أن تكون في أوسط ذلك إلا أن تبغض الدنيا. فإذا أبغضت الدنيا، أقبل عليك حب الآخرة. وبقدر ما

---

(١) سورة المجادلة آية رقم ٢٢.

تزهد في الدنيا، تحب الآخرة. وبقدر ما تحب الآخرة، تبصر ما ينفعك وما يضرك. فإذا علم الله صدق الطلب من عبده، أفرغ عليه السداد، واكتنفه بعصمته. وتصديق ذلك في كتاب الله العزيز. ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾[1].

فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بشيء أفضل من حب الله تعالى وطلب مرضاته.

عن الحسن (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن بدلاء امتي لا يدخلون الجنة بكثرة صوم ولا صلاة ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور وسخاوة الأنفس والرحمة لجميع المسلمين ».

عن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) قال : الأبدال بالشام وهم ثلاثون رجلاً على منهاج إبراهيم (عليه السلام) كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر.

فالعصب بالعراق أربعون رجلاً. كلّما مات رجل، أبدل الله مكانه آخر. عشرون منهم على اجتهاد عيسى بن مريم (عليه السلام)، وعشرون منهم قد أُوتوا مزامير آل داود. والعصب رجال تشبه الأبدال.

وعن وهب بن منبه في ما يجيء في مناجاة موسى (عليه السلام) عن الله تعالى قال : هم أربعون صديقاً، كلهم بي ولي وإليّ.

وروي في الخبر أن الأرض شكت إلى الله تعالى ذهاب الأنبياء (عليهم السلام)، وانقطاع النبوة فقال لها : سوف أجعل على ظهرك صديقين أربعين فسكنت.

فالصديقون إنما بانوا من الخلق بصدق القلوب مع الله تعالى، لا

---

(١) سورة النحل آية رقم ١٢٨.

بصدق الأعمال مع الملائكة والعمال ليس لقلوبهم طريق إلى الله تعالى إنما طريق قلوبهم إلى الثواب. والأنبياء والصديقون قد انكشف الغطاء عنهم وصار لهم الى الله طريق ليعبده كأنهم يرونه. كما قال رسول الله (ﷺ) : « اعبد الله كأنك تراه »[1] وهو ما وعد الله تعالى من هداية السبيل للذين جاهدوا فيه. فقال تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ... ﴾[2].

ويعقبه التوكل. قال الله تعالى : ﴿ **وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا** ... ﴾[3]. وإنما سموا أبدالاً لوجهين :

وجه أنه كلما مات رجل، بدل مكانه آخر لتمام الأربعين.

ووجه آخر أنهم بدلوا أخلاقهم السيئة وراضوا أنفسهم حتى صارت محاسن أخلاقهم حلية أعمالهم.

وأما قوله تعالى في مناجاة موسى (عليه السلام) : « كلهم بي » أي بي يقومون ويقعدون وبي ينطقون، وبي يأخذون ويعطون.

وهو قوله (عليه السلام) فيما يحكى عن الله (عز وجل) : « فإذا

---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ١ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بايثار قدر الله سبحانه وتعالى ١ ــ (٨) بسنده عن عبدالله بن عمر، عن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ قال: وذكره. ورواه الإمام البخاري في كتاب الإيمان ٣٧ وأبو داود في السنة ١٦ والترمذي في كتاب الإيمان ٤ والنسائي في الإيمان ٥، ٦ وابن ماجة في المقدمة ٩ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ :١٠٧، ١٣٢ (حلبي).

(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٦٩.

(٣) سورة إبراهيم آية رقم ١٢.

أحببت عبدي كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفؤاده فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يأخذ وبي يبطش وبي يعقل »[1].

وقوله : « ولي » أي هم صفوتي قد بذلوا لي قلوبهم ونفوسهم فهم لي، لا يشركني فيهم نفوسهم.

وقوله : « إليَّ » أي تأوي قلوبهم إليَّ في كل أمر وسعي وحال. أما الذين قلوبهم على قلب إبراهيم (عليه السلام) فهم الذين لا تسكن قلوبهم الى من دون الله تعالى في شيء من أمر الدين والدنيا. وأما العصب فهم المحقون، فمنهم مستعملون على طريق الجهد، ومنهم روحانيون قد أوتوا مزامير آل داود (عليه السلام).

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ٣٨ باب التواضع ٦٥٠٢ حدثني محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبدالله ابن أبي تمر عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

ومحمد بن عثمان بن كرامة: هو من أصغر شيوخ البخاري، وقد شاركه في كثير من شيوخه منهم خالد بن مخلد شيخه في هذا الحديث. قال الحافظ: هذا حديث غريب جداً لولا هيبة الصحيح لعدوه في منكرات خالد بن مخلد، فإن هذا المتن لم يرو إلا بهذا الإسناد، ولا خرجه من عدا البخاري، ولا أظنه في مسند أحمد. ولكن للحديث طرق أخرى يدل مجموعها على أن له أصلاً منها عن عائشة أخرجه أحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد من طريق عبد الواحد بن ميمون عن عروة عنها، وذكر ابن حبان وابن عدي أنه تفرد به، وقد قال البخاري إنه منكر الحديث، لكن أخرجه الطبراني من طريق يعقوب عن مجاهد عن عروة، وعن أنس أخرجه أبو يعلى والبزار والطبراني وفي سنده ضعف أيضاً. والله أعلم.

الأصل الثاني والخمسون

في أنه يقبض العبد حيث اثره

عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « إذا كان أجل العبد بأرض أتيت له الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره، قبضه الله سبحانه فتقول الأرض يوم القيامة : رب هذا عبدك ما استودعتني »[1].

قال أبو عبدالله : إنما صار أجله هناك لأنه خلق من تلك البقعة.

وقد قال (عز وجل) في تنزيله الكريم : ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم** ... ﴾[2] وإنما يعاد المرء من حيث بدأ.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : خرج رسول الله (ﷺ) يطوف ببعض نواحي المدينة فإذا بقبر يحفر، فأقبل حتى وقف عليه

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٤٢٦٣ ــ حدثنا أحمد بن ثابت الجحدري، وعمر بن شبَّة بن عبيدة، قالا: ثنا عمر بن علي، أخبرني إسماعيل بن أبي خالد عن قيس ابن أبي حازم، عن عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: وذكره.

في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) سورة طه آية رقم ٥٥.

فقال : لمن هذا ؟ قيل : لرجل من الحبشة. فقال : لا إله إلا الله، سيق من أرضه وسمائه حتى دفن في التربة التي منها خلق.

وروي أن الأرض عجت إلى ربها تعالى لما أخذت تربة آدم (عليه السلام) منها، فقال لها : إني سأرده إليك. فإذا مات دفن في البقعة التي منها تربته.

وإنما صارت وديعة عندها حتى تقول يومئذ : « رب هذا عبدك ما استودعتني » لأنها عبدت ربها. فالعبودة وديعة في الأرض حتى يبعث للثواب. فيكون الحق (عز وجل) أحق به من الأرض لأنه كان والي الحق ونصره، فصار الحق أملك به، فأعاده سوياً وسلمه إلى الحق ليعيده إلى دار السلام. أو عبد جحد العبودة، فهو مسجون في بطن الأرض، للحق عنده تبعة وطلبة حتى يبعث للعقاب، فيكون الحق أحق به من الأرض، وهو خصمه وله فيما لديه طلبة وتبعة. فإن الله تعالى لم يخلق جسده لعباً، إنما خلقه للحق وبالحق.

وفي الحديث أن الملك الموكل بالأرحام يأخذ النطفة من الرحم فيضعها على كفه، ثم يقول : يا رب مخلقة أو غير مخلقة ؟ فإن قال : مخلقة، قال : يا رب ما الرزق ؟ ما الأثر ؟ ما الأجل ؟ فيقال : أنظر في أم الكتاب، فينظر في اللوح فيجد فيه رزقه وأثره وأجله وعمله. ثم يأخذ التراب الذي يدفن في بقعته، فيعجن به نطفته. فذلك قوله الكريم : ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم** ... ﴾[1].

عن علقمة، عن عبدالله (رضي الله عنه) قال : إن النطفة إذا استقرت من الرحم، أخذها الملك بكفيه فقال : أي رب : أمخلقة أم غير مخلقة ؟ فإن قال : غير مخلقة، لم تكن نسمة وقذفتها الأرحام دماً. وإن قال :

---

(١) سورة طه آية رقم ٥٥.

مخلقة، قال : أي رب : أذكر أم انثى ؟ أشقي أم سعيد ؟ ما الأجل ؟ وما الأثر ؟ وما الرزق ؟ بأي أرض تموت ؟ فيقال له : إذهب إلى أم الكتاب، فإنك ستجد هذه النطفة، فيقال للنطفة : من ربك ؟ فتقول : الله تعالى. فيقال : من رازقك ؟ فتقول : الله. فتخلق فتعيش في أجلها، وتأكل رزقها وتطأ أثرها. فإذا جاء أجلها ماتت فدفنت في ذلك المكان[1].

فالأثر هو التراب الذي يؤخذ فيعجن به ماؤه. وذكر الزبير بن بكار الزبيري المدني (رضي الله عنه) كتاباً صنفه بعض أهل المدينة في فضل المدينة، وكتاباً صنفه بعض أهل مكة في فضل مكة، فلم يزل كل واحد منهما يذكر بقعته بفضيلة، يريد كل واحد منهما أن يبرز على صاحبه بفضيلة بقعته، حتى برز المدني على المكي في خلة واحدة عجز عنها المكي، فقال : إن كل نفس إنما خلقت من تربتها التي دفنت فيها بعد الموت، فكأن نفس الرسول (ﷺ) إنما خلقت من تربة مدفنه. فبان أن تلك التربة لها فضيلة بارزة على سائر الأرضين.

عن ابن سيرين (رضي الله عنه) يقول (رحمه الله) : لو حلفت حلفت صادقاً باراً، غير شاك ولا مستثن أن الله (عز وجل) ما خلق نبيه (ﷺ)، ولا أبا بكر، ولا عمر (رضي الله عنهما) إلا من طينة واحدة. ثم ردهم إلى تلك الطينة.

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب القدر (١) باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته. بسنده عن أبي الزبير المكي أن عامر بن واثلة حدثه أنه سمع عبدالله بن مسعود يقول: عن رسول الله ﷺ: وذكره.

ورواه البخاري في كتاب الأنبياء ١ وكتاب الحيض ١ وفي القدر ١٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ١١٦، ١٤٨، ٣٩٧ (حلبي) بسنده عن أنس بن مالك يرفعه.

الأصل الثالث والخمسون

في أن الكبائر لا تجامع طمأنينة القلب بالله تعالى

عن الأعرج، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن »[1].

وعن عبدالله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة (رضي الله عنهم) مثله. وعن عكرمة، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) مثله. وعن مدرك بن عمارة، عن إبن أبي أوفى مثله.

قال أبو عبدالله : الإيمان هو الطمأنينة واستقرار القلب. وإنما هما اثنتان :

الأول ــ طمأنينة التوحيد، وهو أن يوحد الله تعالى، فلا يلتفت إلى شيء سواه. فيتخذه رباً.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الفتن ٣ باب النهي عن النهبة ٣٩٣٦ عن ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره وفيه زيادة [ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن].

والآخر ــ طمأنينة الإقبال، وهي أن يكون مقبلاً عليه بجميع قلبه، فلا يلتفت إلى شيء من شهوات نفسه، ولا إلى أحوالها. فالذي يسرق ويزني هو في حالته تلك غير مطمئن إلى ربه سبحانه وتعالى طمأنينة الإقبال. ولو كان كذلك، لم يزن ولم يسرق، بل هو مقبل على شهوات نفسه وهو في طمأنينة التوحيد والإيمان اسم يلزم العبد بفعله، وبدؤه من النور الذي جعل الله في قلبه فأحياه به وشرح صدره، ونطق بتوحيده لسانه. ﴿ **ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور** ﴾[1].

وكل شيء له مبتدأ ونهاية. فأوله لازم ذلك الاسم له، ومنتهاه هو البالغ. فالذي وحد ربه بقلبه ولسانه وقبل الشريعة هو مؤمن قد حرم ماله ودمه وعرضه، ثم هو أسير نفسه. والمؤمن البالغ الذي ماتت شهوة نفسه وقطع قلبه عن كل شيء سواه، وهذه قلوب الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) وللمؤمنين بين هذين الحدين درجات كل يعمل على درجته، فكلهم عبيد قد أقروا له بالعبودة الكاملة. ولا يقر له بالعبودة الكاملة إلا الأنبياء والأولياء. وذلك أنهم تركوا مشيئتهم في جميع أمورهم لمشيئته. وهكذا صفة العبيد رفض المشيئة في جميع الأشياء، وترك الاختيار للأحوال.

ولا يقدر على هذا إلا مَنْ نَوَّر الله الإيمان في قلبه. كما قال رسول الله (ﷺ) في صفة حارثة (رضي الله عنه) حيث قال له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً. قال : وما حقيقة إيمانك ؟ قال : كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً وإلى أهل الجنة كيف يتزاورون، وإلى أهل النار كيف يتعاوون. قال : عرفت فالزم. ثم قال : من سره أن ينظر إلى عبد نور الله الإيمان في قلبه فلينظر إلى هذا[2] فإذا إمتلأ الصدر والقلب من

---

(١) سورة النور آية رقم ٤٠

(٢) سبق تخريج هذا الحديث في هذا الجزء.

النور، كان كما وصفه الله تعالى : ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ...** ﴾[1].

وكان المؤمن عندهم في زمن رسول الله (ﷺ) من كان بهذه الصفة.

ولذلك قال أبو بكر (رضي الله عنه) : وددت أني شعرة في صدر مؤمن لما عرفوا غور هذه الكلمة. وأثنى الله تعالى على إبراهيم خليله (عليه السلام) بعدما شهد له بالتسليم حين أراد ذبح ابنه. وهو الإسلام وشهد له بالإحسان. فأثنى عليه فقال : ﴿ **إنه من عبادنا المؤمنين** ﴾[2]. وقيل : ان الله تعالى إذا أثنى على عبد فأبلغ في الثناء قال : ﴿ **إنه من عبادنا المؤمنين** ﴾.

والله تعالى وصف المؤمنين في تنزيله الكريم فقال : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ...** ﴾[3] إلى قوله : ﴿ **... أولئك هم المؤمنون حقاً** ﴾[4].

فمن ههنا استجاز من قال : الإيمان يزيد وكما يزيد فإنه ينقص. سمي الزائد من النور في صدره إيماناً، وما نقص فمنه ينقص. والأصل الذي منه بدأ التوحيد قائم. فبأقل النور يصير موحداً. فاطمأن به وعبده رباً. وهو إيمانه، حتى إذا نما النور وامتلأ القلب وأشرق الصدر منه، اطمأن الى جميع مشيئآته وأحكامه وأموره، كما اطمأن به. ومن قبل هذا لم يقدر أن يطمئن إلى مشيئآته وأحكامه للشهوات المستولية على قلبه. فلما امتلأ القلب من نوره خشية ومهابة ودخلت عظمته في قلبه، ماتت شهواته

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٢٢.

(٢) سورة الصافات آية رقم ٨١، ١١١، ١٣٢.

(٣) سورة الأنفال آية رقم ٢.

(٤) سورة الأنفال آية رقم ٧٤.

وسكن قلبه الى تدبيره وأحكامه وأقضيته، كما سكن على توحيده في بدء الأمر.

وكان أصحاب رسول الله (ﷺ) بهذه الصفة وكانوا إذا قالوا : « مؤمن » إنما يسمون ما يعرفون من أنفسهم. وكان بعضهم في تخليط من هذا. ألا ترى أنه لما هاجت الفتن، وقع التخليط.

قال حذيفة (رضي الله عنه) : لو رميت صخرة من أعلى مسجد ما أصابت مؤمناً.

ولم يكونوا عندهم كفاراً بما أحدثوا، ولكن زلوا عن تلك الدرجة التي كانوا يسمون أهلها بذلك الاسم. ومما يحقق ذلك ما روي عن كعب بن مالك (رضي الله عنه) كان يحدث عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تعالى يوم القيامة إلى جسده ثم يبعثه »[1].

قال أبو عبدالله : فليس هذا لأهل التخليط فيما نعلمه، إنما هو للصديقين. وكان إسم المؤمن عندهم هكذا.

فقول رسول الله (ﷺ) : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » إنما يعني بذلك الإيمان البالغ، لا انه يذهب توحيده ويكفر، وإنما يتأول مثل هذا جهال الناس وحمقاهم. ولو كفروا بذلك، وزال عنهم الإيمان، لكان حدهم القتل. وحدودهم قائمة جلد مائه في الزنى، وقطع اليد في السرقة. ولكن تأويل ذلك الحديث أنه إذا زنى المؤمن، فهو في ذلك فقد

---

(١) الحديث أخرجه صاحب الموطأ في كتاب الجنائز ١٦ باب جامع الجنائز ٤٩ عن مالك، عن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك الأنصاري أنه أخبره أن أباه كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: وذكره أخرجه النسائي في ٢١ كتاب الجنائز ١١٧ باب أرواح المؤمنين او ابن ماجة في ٣٧ ــ كتاب الزهد ٣٢ باب القبر والبلى.

نور إيمانه، وحجبته شهوته التي حلت به عن ذلك النور، فسلب ذلك النور، وصار محجوباً عن الله تعالى. فلما تاب، راجعه النور. وذلك النور يسمى إيماناً؛ لأنه اطمأن بذلك إلى ربه (عز اسمه) فذهبت طمأنينته في وقت استعمال الشهوة فاطمأن الى شهوته. والعبد عندما أدركته الهداية من ربه (عز وجل) قد كان من قبل ذلك قلبه في تردد وجولان، طالباً لمن يتخذه رباً، ويعبده. فلما جاءته الهداية، واستنار القلب، سكن القلب، واطمأنت النفس عن الجولان والتردد في طلب المعبود. فقيل : آمن يؤمن إيماناً. وهو في قالب : افعل.

ومن الخوف قيل : أمن. لأنه كان يضطرب. فلما ذهب الخوف، سكن. فقيل : أمن على قالب فعل. فكلما إزداد العبد نوراً، إزداد سكوناً وطمأنينة عند أموره وأحكامه. ومن قبل ذلك، كان الغالب على نفسه شهوات نفسه فكان القوم إذا ذكروا المؤمن، يعلمون أنه ذلك المؤمن الذي قد اطمأن قلبه عند أموره وأحكامه إليه. ومن ههنا قال أبو الدرداء (رضي الله عنه) : مثل الإيمان مثل قميصك بينا أنت لبسته إذ أنت نزعته.

وعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) أنه قال : كان عبدالله بن رواحة إذا لقيني قال : اجلس يا عويمر، فلنؤمن ساعة. فنجلس فنذكر الله تعالى بما شاء، ثم قال : يا عويمر : هذا مجلس الإيمان، إن مثل الإيمان ومثلك مثل قميصك بينا أنت نزعته إذ لبسته، وبينا أنت لبسته إذ نزعته. يا عويمر : القلب أسرع تقلباً من القدر، إذا استجمعت غليا.

وعن عتبة بن عبدالله بن خالد بن معدان، عن أبيه، عن جده (رضوان الله عليهم) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إنما الإيمان بمنزلة القميص، مرة تقمصه، ومرة تنزعه »[1].

---

(١) لم نعثر على هذا الحديث على كثرة البحث والتقصّي ولم يُذكَر في كتب الصحاح ولا في كتب السنن والله أعلم.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : لم يزن عبد قط إلا نزع نور الإيمان منه. ثم إن شاء رده، وإن شاء منعه.

وعن أبي أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) قال : ليأتين على الرجل أحايين وما في جلده موضع إبرة من النفاق، وليأتين عليه أحايين وما في قلبه موضع إبرة من الإيمان.

قال : فإنما يخلو منه ذلك النور المشرق في صدره. وأما الإيمان إيمان التوحيد فهو بمكانه.

وقول ابن عباس (رضي الله عنهما) حيث قال : « لم يزن عبد قط إلا نزع منه نور الإيمان » يدل على تفسير حديثه الذي رواه : « لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن ».

وفي قوله « حين يزني » وهو وقت الفعل دليل على أنه في ذلك الوقت صار محجوباً عن النور وزائله.

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر (حين) يشربها وهو مؤمن » قيل: يا رسول الله: فكيف يصنع إذا وقع شيء من ذلك ؟ قال: إن راجع، راجعه الإيمان. وإن ثبت، لم يكن مؤمناً.

وعن عطاء، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يقتل وهو مؤمن. فاذا فعل، نزع منه نور الإيمان كما ينزع منه قميصه. فإن تاب، تاب الله عليه »[1].

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب المظالم ٣٠ باب النهي عن النهبة بغير إذن صاحبه =

قال أبو عبدالله : وإنما خفي شأن هذا وذهاب هذا النور من القلوب ورده عليه لأن فتن القلوب قد عمت، والصدور قد شحنت بظلمة الإصرار على الذنوب من المآكل الرديئة، والمكاسب الدنسة، والأخلاق البذلة الفاسدة.

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال : « المؤمن في الدنيا على ثلاثة أجزاء : الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا، والذي يأمنه الناس على أنفسهم وأموالهم، والذي إذا أشرف على طمع تركه لله تعالى » .

قال : فالجزء الأول هم الظالمون لأنفسهم آمنوا ثم لم يرتابوا في إيمانهم. ولكنهم ضيعوا العبودة واستوفوا الرزق، واكتالوا النعم بالكيل الأوفى، وكالوا الطاعات بكيل الخسران، فهو من المطففين الظالمين.

والحزء الثاني قد أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم؛ لأنه متق مستقيم، وهو المقتصد.

والجزء الثالث تركوا الهوى وشهوة النفس، ورضوا بتدبيره في جميع الأحوال فهم المقربون. وذلك مثل ما جاءنا عن رسول الله (ﷺ) أنه أُتي بشراب قد خيض بعسل، فتركه ثم قال : « أما إني لا أحرمه، ولكني أتركه تواضعاً لله تعالى » .

= ٢٤٧٥ ــ عن أبي بكر بن عبد الحمز عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال النبي ﷺ ورواه أيضاً في الأشربة أو الحدود ١، ٦، ١٤ ورواه أبو داود في السنة ١٥ : ٤٦٨٩ عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة و ٤٦٩٠ عن أبي سعيد بن أبي سعيد المقبري حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ. ورواه أحمد في المسند ٢ : ٢٤٣ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به الى النبي ﷺ وذكره. ورواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٢٤ باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية ١٠٠ ــ (٥٧) ١٠١، ١٠٢ بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

عن كثير بن مرة أن رسول الله (ﷺ) قال لعائشة (رضي الله عنها) : أطعمينا يا عائشة. قالت : ليس عندنا طعام. قال : أطعمينا يا عائشة. قالت : والله ما عندنا طعام. فقال أبو بكر (رضي الله عنه) : يا رسول الله إن المرأة المؤمنة لا تحلف أنه ليس عندنا طعام وهو عندها. فقال رسول الله (ﷺ) : وما يدريك أنها مؤمنة ؟ إن المرأة المؤمنة في النساء كالغراب الأعصم في الغربان، وإن النار خلقت للسفهاء، وان النساء من السفهاء إلا صاحبة القسط والسراج .

قال أبو عبدالله : يعرفك هذا الحديث أن المؤمن في ذلك الوقت بأية صفة كان عندهم.

فأما قوله : « صاحبة القسط والسراج » فالقسط العدل، وهو الذي على سبيل استقامة، وهو المقتصد. والقسط والقصد بمعنى واحد. إلا أن هذا مستعمل في نوع وذاك في نوع كما قيل توكيل وتفويض، وكلاهما بمعنى واحد. إلا أن التوكيل في أسباب الرزق يستعمل والتفويض في سائر الأمور. فالقسط العدل من أموره. والقصد أن تأخذ من كل أمر وسطه، وهو الذي أمر به. وأما السراج فهو اليقين. ومن أشرق في قلبه اليقين، فقلبه يزهر. ومنه قول حذيفة (رضي الله عنه) : « قلب أغلف » وهو قلب الكافر. « وقلب مصفح » وهو قلب المنافق. « وقلب أجرد وأزهر » وهو قلب المؤمن. وإنما يزهر بالسراج الذي فيه.

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « ما شبهت خروج المؤمن من الدنيا إلى الآخرة إلا مثل خروج الصبي من بطن أمه من ذلك الغم والظلمة إلى روح الدنيا » .

فالمؤمن الذي هو بالغ في إيمانه الدنيا سجنه وهي مظلمة عليه، ضيقة حتى يخرج منها إلى روح الآخرة. وهذا غير موجود في العامة. وإنما ذكر المؤمن ووصفه بذلك ليعلم أن المؤمن عندهم البالغ في إيمانه. وهو

كما قال أبو الدرداء (رضي الله عنه) : ما كفرتم فنتبرأ منكم، ولا عندكم إيمان بالغ فنحبكم عليه، وما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم، ولا أرى الله إلا قد تخلى عنكم.

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : ما لكم لا تحابون وانكم اخوان على الدين ما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم. ولو اجتمعتم على أمر تحابيتم. ما هذا إلا من قلة الإيمان في صدوركم. ولو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها، لكنتم للآخرة أطلب؛ لأنها أملك باموركم، فبئس القوم أنتم إلا قليلاً منكم. ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم. فما كفرتم فنتبرأ منكم. وعامتكم تركوا كثيراً من أمر دينهم، ثم لا يستبين ذلك في وجوهكم ولا تغيير حالاتكم. ما هذا إلا شر حل بكم. وإني لأرى الله قد تخلى عنكم. فأنتم تخطئون وتمنون الأماني. والله إني لأستعين على نفسي وعليكم. فإنما قول رسول الله (ﷺ) : « لا يزني الزاني وهو مؤمن ... » أي بذلك الإيمان البالغ. فأما ايمان التوحيد فهو معه، وإنما زال عنه نور الإيمان. ألا يرى إلى قول أبي الدرداء (رضي الله عنه) : « وإن زنا وإن سرق » فلو كان زناه وسرقته يخرجه من إيمانه، لم يدخل الجنة.

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾[1] قلت : يا رسول الله : وان زنى وإن سرق ؟ فقال : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ فقال : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » قلت : يا رسول الله : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق وإن رغم أنف أبي الدرداء[2].

---

(١) سورة الرحمن آية رقم ٤٦.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ١٥٣ (٩٤) عن واصل الأحدب عن =

ومما يحقق ما قلنا ما جاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »[1] بروايات جمة وطرق شتى.

قال أبو عبدالله : فالمؤمن المخلط قد يلدغ مرات، وهو لسكره لا يجد لدغة اللدغة. وقد عمل فيه حمة السم. فلو قد أفاق لاحتاج إلى من يمسكه من الاضطراب والتلوي. وإنما عني بالمؤمن ذلك البالغ الذي وقف به حذره على أمر عظيم. كما روي عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). سئل ابن عباس عن أبي بكر (رضي الله عنه) قال : كان كالخير كله من رجل كان فيه حدة. وسئل عن عمر (رضي الله عنه) فقال : كان كالطير الحذر الذي يرى أن له في كل طريق شركاً يأخذه.

فالمؤمن البالغ إذا وقع في الخطيئة، وجع قلبه وتمرر عيشه وقلقت نفسه، فهو يتلوى كاللديغ يتململ ندماً وتحسراً وأسفاً، يبيت ساهراً ويظل نائحاً، قد أنكت فيه هذه الخطيئة سمها. فكأنه أيقظته من الغفلة، فلا يواقع تلك الخطيئة مخافة أن يقع فيها. وهذا لمن لدغته الخطيئة

= المعرور بن سويد قال: سمعت أبا ذر يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: أتاني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت: وذكره، ورواية البخاري في كتاب الجنائز باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله ١٢٣٧ ــ عن المعرور بن سويد عن أبي ذر ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه في بدء الخلق ٦، واللباس ٢٤ واستئذان ٣٠ والرقاق ١٣، ١٤ والتوحيد ٢٣، والترمذي في الإيمان ١٨، وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٥٧، ٤ : ٢٦٠ (حلبي).

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب ٨٣ باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٦١٣٣ عن عقيل، عن الزهري عن ابن المسيب، عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ قال: وذكره.

ورواه الإمام مسلم في كتاب الزهد ٦٣ بالسند السابق عن أبي هريرة ورواه أبو داود في كتاب الأدب ٢٩ وابن ماجة في كتاب الفتن ١٣ والدارمي في الرقاق ٦٥ والإمام أحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١١٥، ٢٧٩ (حلبي).

وعمل فيه سمها. كما فعل يوسف (عليه السلام) بعد الهم، كان لا يكلم امرأة حتى يرسل على وجهه ثوباً.

عن أبي الأحوص، عن عبدالله قال : كان يوسف (عليه السلام) إذا جاءته امرأة تستفتيه، ألقى على وجهه ثوباً مخافة أن تفتتن.

عن الشعبي، عن فاطمة بنت قيس (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال لها حين جاءته بعد ما طلقها زوجها فقال بيده على وجهه فاستتر به. وذلك بعد ما لقي من شأن زينب ما لقي..

فأما مؤمن عمل بالخطيئة فلم تلدغه، ولم يتبين فيه عمل سمها، لأنه سكران قد أسكرته شهوات الدنيا، ومات قلبه عن الشعور بذلك. فمتى يحذر حتى لا يلدغ وسم الخطيئة هو الظلمة التي تتراكم في صدره على قلبه، فتحجبه عن ربه، فيصير قلبه مسجوناً محجوباً عن الملكوت. وهو قول عبدالله بن عمر (رضي الله عنه) : لنفس المؤمن أشد ارتكاضاً[1] في الخطيئة من العصفور حين يغدف[2] به. والإغداف الإرسال، يعني إرسال الشبكة عليه.

وقول عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) : إن المؤمن إذا أذنب فكأنه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه فتقتله، والمنافق ذنبه كذباب مر على أنفه وقوله : لا تجد المؤمن بخيلاً ولا تجد المؤمن جباناً ولا تجد المؤمن كذاباً.

---

(١) الركض تحريك الرجل، ومنه قوله تعالى : ﴿ **اركض برجلك** ﴾ وبابه نصر، وركض الفرس برجله استحثّه ليعدو ثم كثر، حتى قيل : ركض الفرس إذا عدا، وفي حديث الاستحاضة: « هي ركضة الشيطان » يريد الدفعة.

(٢) الغداف: غراب الفيظ، وأغدف الصياد الشبكة على الصيد أراحها.

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) : « خصلتان لا تجتمعان في قلب مؤمن : البخل وسوء الخلق »[1].

فهذه الخصال كلها موجودة في الموحدين. فإذا ذكروا المؤمن فإنما يعنون به الذين ذكرهم الله تعالى بأنهم مؤمنون حقاً، وصيرلهم الدرجات في الجنة بما ترقوا من درجات الإيمان.

عن بكر بن عبدالله المزني (رضي الله عنه) أن الحواريين طلبوا عيسى (عليه السلام) فقيل لهم : توجه إلى البحر. فجاءوه وهو يمشي على الماء يرفعه الموج ويضعه. فقال أفضلهم : ألا أجيئك يا رسول الله ؟ فأدخل رجله الماء ورفع الأخرى. فقال : أدركني فقد غرقت. فقال : يا قصير الإيمان، أو قال : هات يدك يا قصير الإيمان، لو أن لابن آدم مثقال حبة من خردل من اليقين، مشى على الماء.

عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : لو وزن ايمان أبي بكر (رضي الله عنه) بإيمان أهل الأرض، لرجع إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض.

عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أيضاً أنه قال : تزعمون أنكم مؤمنون وفيكم مؤمن جائع.

عن أبي إسحق السبيعي (رضي الله عنه) قال : سمعت وهب بن منبه (رضي الله عنه) يقول : اسمع يا أخي إلى ما أصف لك من صفة

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة ٤١ باب ما جاء في البخيل ١٩٦٢ ـــ حدثنا أبو حفص عمرو بن علي، أخبرنا أبو داود حدثنا صدقة بن موسى حدثنا مالك بن دينار عن عبدالله بن غالب الحراني عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ وذكره.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صدقة بن موسى ورواه أبو داود الطيالسي عن أبي سعيد الخدري أيضاً.

المؤمن : وجدت في التوراة المؤمن الذي إلى الإسلام هُدي وبالاقرار بدي، ظاهر الإيمان، بدنه على الإيمان بني، وذلك أنه عالم بالعلم، ناطق بالحلم، صادق بالفهم، ورع عن الحرام، بين الأعلام، كثير السلام، لين الجانب، قريب المعروف، سريع الرضاء، بعيد السخط، يعلم إذا فهم، وإذا علم علم، ويكف إذا شتم، إن صحبته تسلم، وإن شاركته تغنم، وإن فارقته تندم، وإن سمعت منه تتعلم، كثير الوقار، مكرم للجار، مطيع للجبار، قلبه بمعرفة الله زاهر، ولسانه بذكر الله غازر، وبدنه في طاعة الله ساهر. فهو من نفسه في تعب، والناس منه في أرب. فمثله كمثل الماء؛ لأن الماء حياة الأشياء كلها. فكمال المؤمن الرضى، وعمله التقوى، مبغض للدنيا، قليل المنى، صادق اللسان، صابر البدن، قانع القلب، إن ائتمن أمانة أداها، وإن ائتمن هو غيره لم يتهم، أب لليتيم، وللأرملة رحيم، وإلى الجنة مشتاق، وبالوالدين غير عاق، له علم يرضى، وعقل ينمى، كلامه منفعة، وجواره رفعة، إن استكتمته كتم، وإن استطعمته أطعم، جواد لله بالعطاء وللناس بحسن الخلق والرضى، إن استقرض أدى، وإن سئل أعطى، إن كان فوقك اتضع، وإن كان دونك اعتدل. فمثله كمثل شجرة ثبت أصلها، وجاد فرعها وكثر ثمرها، فهو من رآها رغب فيها، لا يأخذ شيئاً إن أخذ رياء، ولا يتركه إن تركه حياء، بل أخذه لله تعالى سالماً، وتركه لله تعالى غانماً، محاسب نفسه، ناظر في عيوبه، مستعرض لعمله، إن كان محسناً يخاف على نفسه أن لا يقبل منه، وإن كان مقصراً يخشى أن لا يغفر له، وإن كان فاضلاً كان شاكراً، لا يظلم ولا يأثم، ولا يتكلف لين تدبيره كثير عمله، قليل ذلله، سهل أمره.

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « الورع سيد العمل. من لم يكن له ورع يرده عن معصية الله تعالى إذا خلا بها، لم يعبأ الله بسائر عمله شيئاً ».

فذلك مخافة الله تعالى في السر والعلانية، والاقتصاد في الفقر والغنى،

والصدق عند الرضاء والسخط. ألا وإن المؤمن حاكم على نفسه، يرضى للناس ما يرضي لنفسه. والمؤمن حسن الخلق. وأحب الخلق إلى الله تعالى أحسنهم خلقاً، ينال بحسن الخلق درجة الصائم القائم وهو راقد على فراشه لأنه قد رفع لقلبه علم. فمن شهد مشاهد القيامة يعد نفسه حنيفاً في بيته، وروحه عارية في بدنه، ليس بالمؤمن جفاء، حملانه على نفسه، الناس منه في عفاء، وهو من نفسه في عناء. رحيم في طاعة الله، بخيل على دينه، حي مطواع. وأول ما فات ابن آدم من دينه الحياء. خاشع القلب لله تعالى. متواضع قد بُرئ من الكبر. ينظر إلى الليل والنهار يعلم أنهما في هدم عمره. لا يركن إلى الدنيا ركون الجاهل.

قال رسول الله (ﷺ) : لا جرم أنه إذا خلف الدنيا خلف ظهره خلف الهموم والأحزان ولا حزن على المؤمن بعد الموت بل فرحه وسروره دائم بعد الموت.

فمن هذه صفته فلدغ من حجر المعاصي مرة، كان ذلك الحجر نصب عينيه أبداً. فمتى يمر بها حتى تلدغه ثانية. فإنما ذكر رسول الله (ﷺ) من أوحشته المعصية حتى أسهر ليله ما حل بقلبه من وجه الذنب كمن يفارق محبوبه من المخلوقين بموت أو غيبة يفجع لفراقه.

فألم المؤمن إذا أصاب الذنب أشد من مصيبته بفراق المخلوقين. فقال رسول الله (ﷺ) : « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين »[1] أي هذا الأمر قد لدغته مرة فأوجعته. فوجع ذلك تذكرة له من الغفلة في ذلك

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الأدب ٨٣ باب لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين ٦١٣٣ ــ عن عقيل، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ أنه قال: وذكره. ورواه الإمام مسلم في كتاب الزهد ٦٣، وأبو داود في الأدب ٢٩ وابن ماجة في الفتن ١٣ والدارمي في الرقاق ٦٥، وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١١٥، ٣٧٩ (حلبي).

حتى لا يقع فيه ثانية. أي أن هذا صفة المؤمن وشرطة حتى يستحق شرط الإيمان.

عن يحيى بن أبي كثير (رضي الله عنه) أن نبي الله كان في سفر ومعه أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) فأرسلوا إلى رسول الله (ﷺ) يسألونه لحماً فقال : أو ليس قد ظللتم من اللحم شباعاً. قالوا : من أين ؟ فوالله ما لنا باللحم عهد منذ أيام. فقال : من لحم صاحبكم الذي ذكرتم. قالوا : يا بني الله إنما قلنا : والله إنه لعفيف ما يعيننا على شيء. قال : وذاك فلا تقولوا. فرجع إليهم الرجل فأخبرهم بالذي قال. فجاء أبو بكر (رضي الله عنه). فقال : يا نبي الله طأ على صماخي[1] واستغفر لي. ففعل. وجاء عمر (رضي الله عنه) فقال : يا نبي الله طأ على صماخي واستغفر لي. ففعل. فهذا تكون اللدغة ألجأته الخطيئة إلى أن فزع إلى رسول الله (ﷺ) وألقى نفسه في التراب تذلّلاً، وأن يطأ بقدمه على صماخه. فهذا شأن المؤمن البالغ. وأما الذي يلزمه اسم المؤمن فيحرم ماله ودمه وعرضه فهم الموحّدون.

عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن »[2].

---

(١) الصماخ بالكسر خرق، الأذن، وقيل: هو الأذن نفسها، والسين لغة فيه.

(٢) هذا جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي في كتاب الفتن ٧ باب ما جاء في لزوم الجماعة ٢١٦٥ ــ حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا النضر بن إسماعيل أبو المغيرة عن محمد ابن سوقة عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الأصل الرابع والخمسون

في أول تحفة المؤمن بعد الموت

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : أول تحفة المؤمن أن يغفر لمن صلى عليه »[1].

المؤمن كريم على ربه (عز وجل) ومقدمه على رب كريم. ومن شأن الملوك أن أحدهم إذا قدم عليه بعض خدمه من سفرة طال غيبته فيها أن يتلقاه ببشرى وكرامة، ويخلع عليه ويجيزه بالجائزة السنية، ويأمر بأن يُهَيَّأَ له نزل. والله تعالى أرانا تدبير الملوك في الدنيا. فإذا قدم عليه المؤمن، لقاه روحاً وريحاناً وبشرى على ألسنة الرسل (عليهم السلام).

قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم**

---

(١) رواه الديلمي عن أبي هريرة، وفي سنده عبد الرحمن بن قيس أبو معاوية رمي بالكذب، بحيث حكم عليه بالوضع لأجله، وللبزار والديلمي عن ابن عباس مرفوعاً: أول ما يجازى به العبد بعد موته أن يغفر لجميع من تبع جنازته وله طرق كلها ضعيفة، لكنه مشعرة بأن له أصلاً.

توعدون ﴾[1]. وقال : ﴿ من عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ﴾[2] وقال : ﴿ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلاً من عند الله ﴾[3].

وأول تحفته أن يغفر لحملته إلى بابه والمصلين عليه. فإن الرجل من عرض الناس ليحمل إليه الهدية، فيستحيي أنه ينصرف عنه الحامل للهدية خائباً صفر اليد حتى يناوله شيئاً. فكيف الملك من ملوك الدنيا. والله تعالى أخرج المؤمن إلى الدنيا ليستكمل ويستعد للقائه، ويتزود للآخرة. فما زال يسعى في إرضاء الحق (سبحانه وتعالى). فلما مات غسلوه وطيبوه وكسوه وحملوه هدية إلى الحق (عز وجل) فقبله الحق تعالى، وأداه إلى الرحمة. فلم يستجز أن ينصرف حملة هذه الهدية خائبين فغفر لهم.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : « أول ما يجازى به العبد أن يغفر لمن يصلي عليه ». قوله « يجازي » من الجائزة.

والتحفة عندنا هي الطرفة. والهدية هي العطية. ومعناهما قريب إلا أن بينهما نكتة في الفرق. فالهدية ما تعطيه لتستميل به. والهدي الميل. ومنه قيل : مشى يتهادى. أي يتمايل. ومنه سمِّي الهدي لأنه يميل به إليه. والطرفة شيء يعطيه بعد الاستمالة، وبعد أن صار له ولياً وثقة، فهو يطرفه بشيء يريد أن يحليه بذلك. كالسكر على رأس الأرز ونحوه. والله تعالى يوالي بين نعمه على العبد، ثم يريد أن يبره ويطرفه بشيء ليس عنده في الجنة ليتجدد به بره. فذلك البر يكون أعظم موقعاً. ومن طرقه ما جاء في الخبر : إذا أراد الله تعالى أن يتحف عبده المؤمن، سلط عليه من يظلمه.

---

(١) سورة فصلت آية رقم ٣٠.

(٢) سورة الروم آية رقم ٤٤.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٩٨.

لأن بلوى الدنيا كثيرة، من الأمراض والمصائب، وللنفس فيها فجعة. ثم يرجع إلى ربه تعالى في أن هذا صنعه وتدبيره، وإذا ظلم اشتدت فجعته وتضاعفت لوعته. فتلك المصائب والأمراض هدايا من رب العالمين. والظلم تحفة قد طرفه الله بها. والطرفة هي شيء يكون في الأحايين مرة لم يكن عنده مثله. وقد سلط على يحيى بن زكريا (صلوات الله عليهما) من ذبحه ذبحاً. وهذا شيء نادر طريف ليس مما يجري في بلوى أهل الدنيا ومصائبهم. وكذلك يجعل له الجنة ثواباً، ثم يوجب له رضوانه الأكبر. ومن جعلت له الجنة هدية فتحفه من ألطافه الجسيمة.

الأصل الخامس والخمسون

في بيان ما يهرم ويشب من الآدمي

عن أنس (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « يهرم ابن آدم ويشب منه اثنان : الحرص على المال والحرص على العمر »[1]. الحرص لهيان الشهوة. والشهوة نار ذات دخان. فكلما زدت النار وقوداً إزدادت نوراً وتلهباً. وسمي المال مالاً لأنه يميل بالقلب عن الله تعالى. والعمر مدة عمارة البدن بالحياة. وذكر المال لأن به ينال جميع الشهوات. وذكر العمر لأن بدوامه تدوم الشهوات.

فإذا ذهب العمر وزال المال، تعطّلت الشهوات، فوجدت النفس

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الزكاة ٣٨ باب كراهة الحرص على الدنيا ١١٥ ــ (١٠٤٧) وحدثني يحيى بن يحيى، وسعيد بن منصور، وقتيبة بن سعيد كلهم عن أبي عوانة. قال أخبرنا أبو عوانة عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

ورواه الترمذي في كتاب الزهد ٢٨ باب ما جاء في قلب الشيخ شاب على حب اثنتين ٢٣٣٩ ــ حدثنا قتيبة حدثنا أبو عوانة، عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ورواه أيضاً في كتاب القيامة ٢٢ وابن ماجة في كتاب الزهد ٢٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ١٥، ١٩، ٦٩، ١٩٢، ٢٥٦، ٢٧٥ (حلبي).

لذة الشهوات ولذة دوام العمر فتشبّثت به واستأثرت القلب. والهرم الخالي من الأشياء قد خلت طبائعة من الحرارة والقوى، وقحل جلده من الحرارة لانتشاف الحياة ماء جلدته، ودق عظمه، وانتشف النقص ماء شبابه. ولا يطفئ لهيب الحرص إلا الإيمان بالله. فكلما ازداد العبد إيماناً بربه، وهو النور الذي ينشرح به صدره، فهو على نور من ربه، ازداد ثقة بربه وطمأنينة إليه. وكلما إزداد ثقة، إزداد غنى. قال رسول الله (ﷺ) : « ليس الغنى عن كثرة العرض. إنما الغنى غنى النفس »[1]. فإذا استغنت النفس بالله تعالى لما دخل الصدر من نور اليقين المنشرح به صدره، صار عرض الدنيا فضلاً.

عن مكحول (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « نفس ابن آدم شابة ولو التقت ترقوتاه من الكبر إلا من امتحن الله تعالى قلبه للتقوى وقليل ما هم » .

فهذا الخبر يكشف عما ذكرنا من المعنى. لأن النفس معدن الشهوات، فهي شابة. لأن الشهوات بمنزلة النار لا تزال متوقدة ما دامت واجدة للحطب. فإذا أمسك عنها الحطب، خمدت خامدة لا محالة. فكذلك النفس لا تزال رطبة متوقدة بشهواتها ما دامت واجدة للنعم. فإذا أمسك عنها ذبلت ويبست. فإذا امتحن الله تعالى قلباً للتقوى، قوى صاحبه على

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة مرفوعاً، وللديلمي بلا سند عن أنس رفعه « الغنى غنى النفس، والفقر فقر النفس »، ورواه العسكري عن أبي ذر في حديث أوله يا أبا ذر أترى أن كثرة المال هو الغنى ؟ إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب، وفي النجم وروى النسائي، وابن حبان وابن عساكر عن أبي ذر يا أبا ذر أترى كثرة المال هو الغنى، إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب، من كان الغنى في قلبه فلا يضره ما لقي من الدنيا، ومن كان فقره في قلبه فلا يغنيه ما أكثر له في الدنيا وإنما يضر نفسه شحها. انتهى. وللعسكري أيضاً من حديث ابن عائشة قال: قال أعرابي: يسار النفس أفضل من يسار المال، ورب شبعان من النعم عريان من الكرم.

الامتناع من قضاء الشهوات. والامتحان هو أن يستخرج سره. والسر هو النور الذي قذفه في قلبه. فإذا استقر ذلك في قلبه وأشرقه به صدره، صار ذاك وقاية له من جميع مكاره الآخرة. فقيل : تقوى. وإنما هو وقوى، حولت الواو تاء. ومأخذه من الوقاية. فإذا فعل ذلك، فقد امتحنه لأنه يظهر على الأركان بالأفعال المحمودة المرضية.

فالنفوس شابة وإن هرمت الجوارح، وانهدت الأركان لدوام التنعم بالمال والعمر. الا هذه الطبقة الممتحنة الذين استثناهم، فنفوسهم هرمت في وقت شبابهم؛ لأن شهواتهم ذبلت، وضعفت بالخشية التي دخلت قلوبهم لما اطلعوا عليه بقلوبهم من علم الملكوت، ولعلمهم بالله تعالى صاروا سبياً من سبيه. فالمشغوف سبي من به شغف.

فإن شغفت بالدنيا، فأنت سبيها. وإن شغفت بالآخرة، فأنت سبيها وإن شغفت بالخالق فأنت سبيه. وابن آدم ركب في طبعه أن لا تزال نفسه تجمع في طلب شيء حتى إذا اطلعت على أفضل منه، رفضت هذه وأقبلت على الأفضل. فلا يزال طالباً للدنيا حتى إذا طالع الآخرة، رفض هذه وأقبل عليها. فلا يزال لها طالباً حتى إذا طالع الملكوت، أقبل على مولاه ولها عن ذكر الدارين، واشتغل بالماجد الكريم. فتراه سلس القياد، منكسر القلب، قد أخذت الأحزان بمجامع قلبه، فقطعته عن فكر الدنيا وأهلها وما هم فيه، فهو حبيس الله في سجنه. وهو قول رسول الله (ﷺ) : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »[1]. والمسجون عينه إلى الباب يراقب دعوة من يدعى فيجيب.

---

(١) رواه مالك، ومسلم والترمذي عن أبي هريرة، وقال الترمذي حسن صحيح وأما ما في الموضوعات للصنعاني من أنه موضوع فلا يعول عليه، ورواه الطبراني وأبو نعيم واللفظ له عن ابن عمر مرفوعاً يا أبا ذر الدنيا سجن المؤمن، والقبر أمنه، وفي لفظ بدله: والقبر حصنه، والجنة مصيره، المؤمن من لم يجزع من ذل الدنيا. وعند أحمد وأبي نعيم عن ابن عمر بلفظ: الدنيا سجن المؤمن وسنته.

الأصل السادس والخمسون

في أن عدد الشرائع بتعدد الرسل

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) حدث أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول : « إن لله (عز وجل) ثلثمائة وخمس عشرة شريعة. يقول الرحمن : وعزتي لا يأتين عبد من عبادي لا يشرك بي شيئاً بواحدة منهن إلا أدخلته الجنة ».

فالرسل ثلثمائة وخمسة عشر. ولكل رسول شريعة. قال الله تعالى في تنزيله الكريم : ﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً** ﴾[1] وقال : ﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها** ﴾[2].

وان الله تعالى دعا العباد الى دار السلام بعد أن دعاهم إلى الاقرار بالتوحيد فأجابوه. وإنما أجابه من هداه. ثم شرع لكل رسول طريقاً إليها، وهو الحلال والحرام. فالحلال مرضاته والحرام مساخطه. وإذا استقام العبد في سيره في شريعته، أدخله الجنة. فقوله : « لا يأتيني عبد لا يشرك بي شيئاً بواحدة من هذه الشرائع » أي شريعة زمانه ورسوله. فلو

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٤٨.

(٢) سورة الجاثية آية رقم ١٨.

أتى رجل بشريعة هود في زمن موسى (عليهما السلام)، لم ينتفع به. ولو أتى بشريعة موسى في زمن عيسى (عليهما السلام)، لم ينتفع به. ولو أتى بشريعة عيسى في زمن محمد (عليهما الصلاة والسلام)، لم يقبل منه ولم ينتفع به. إنما يقبل من كل عبد شريعته التي شرعت له على لسان رسوله (ﷺ). وان الله تعالى شرع الطريق لعباده ليحلوا حلاله، ويحرموا حرامه، كي يصلحوا لدار السلام يوم مقدمهم عليه.

الأصل السابع والخمسون

في حقيقة اليقين ومعنى العافية

عن سلمان بن عامر (رضي الله عنه) يقول : سمعت أوسط البجلي على منبر حمص يقول : سمعت أبا بكر الصديق على المنبر وهو يقول : سمعت رسول الله (ﷺ) على هذا المنبر عام أول، والعهد قريب : « سلوا الله اليقين والعافية. فإن الناس لم يعطوا شيئاً خيراً من اليقين والعافية »[1].

فاليقين هو استقرار النور في القلب والصدر. وذلك أن نور الإيمان في القلب، والشهوات بظلمتها وفوران دخانها متراكمة على القلب، قد أظلمت الصدر وحالت بين عيني القلب وبين رؤية أمور الغيب. فهو مقر بالغيب من الجنة والنار والحساب وأهوال الموقف وتدبير الله تعالى في دنياه، إلا أن نفسه تشبه عليه بخدعها وأمانيها، لأنها لم تصر له كالمعاينة.

---

(١) في الزوائد : قلت رواه النسائي في اليوم والليلة من طرق منها عن يحيى بن عثمان عن عمر بن عبد الواحد، وعن محمود بن خالد عن الوليد كلاهما عن عبد الرحمن ابن يزيد عن جابر عن سليم بن عامر ورواه ابن ماجة مع تغاير في توجيه الألفاظ في كتاب الدعاء ٣٨٤٩ بسنده عن أوسط بن اسماعيل البجلي أنه سمع أبا بكر حين قبض النبي ــ ﷺ ــ يقول : وذكره.

وليس الخبر كالمعاينة. فإذا امتلأ القلب من النور، كان كمن قال رسول الله (ﷺ) لحارثة حين قال : يا رسول الله كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً الخبر. فاليقين استقرار القلب بذلك النور. يقال في اللغة : يقن الماء في الحفرة أي استقر. وأما العافية والعفو فكل واحد منهما مشتق من صاحبه. فالعفو في الآخرة، والعافية في الدنيا، وهو أن يعفى عنك من الخذلان، فلا تخذل حتى لا تقع في الذنب، وأن يعفى عنك حتى لا تصيبك الشدائد والبلايا. وأصله من العفو، فقد عفى عنك أن يصيبك هذا وأن تصيبك شدائد الآخرة. وكلاهما في المعنى واحد. إلا أن العفو يستعمل في أمور الآخرة، والعافية في أمور الدنيا.

الأصل الثامن والخمسون

في تفسير قوله تعالى
﴿ فروح وريحان ﴾ بالوجهين

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : كان رسول الله (ﷺ) يقرأ : ﴿ **فروح وريحان** ﴾[1]. الراء مضمومة. وقد قرئت الراء مفتوحة. فمَن قرأ : فروح مضمومة الراء، ذهب الى أن الروح أمر جليل من أمره يحل بالقلب. فبه تطمئن القلوب الى الله تعالى، وبه ينال الذكر الصافي، وبه يصير محقاً، وبه يقدس القلب، وبه يشتاق عند حضور أجله إلى اللقاء، فيهون عليه الموت ويبشر، وتطيب النفس للشخوص إلى الله، وبه تأتلف قلوب المتحابين في الله، وبه عصمة قلوب الأنبياء (عليهم السلام). ومن قرأها : فروح. مفتوحة الراء، فإنه ذهب الى أن يسلم عليه ملك الموت (عليه السلام) في ذلك الوقت ويقرئه السلام من رب العزة، فيجد لذلك راحة على القلب. وهو قوله تعالى : ﴿ **تحيتهم يوم يلقونه سلام** ﴾[2].

---

(١) سورة الواقعة آية رقم ٨٩.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٤٤.

الأصل التاسع والخمسون

في معنى معاء الآدمي لم كانت سبعاً فصارت واحدة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « المؤمن يأكل في معاء واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء »[1].

وعن أبي موسى (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) مثله.

قال أبو عبدالله : الإنسان مبني على سبعة : على الشرك، والشك، والغفلة، والرغبة، والرهبة، والشهوة، والغضب. فهذه أخلاقه. وأي خلق من هذه الأخلاق إستولى على قلبه نسب إليه دون الآخر. ومما يحقق ذلك قوله تعالى : ﴿ **وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾[2] فأهل النار مجزءون مقسمون على هذه

---

(١) رواه البخاري في الأطعمة ١٢ ومسلم في الأشربة ١٨٢ ــ ١٨٦ والترمذي في الأطعمة ٢٠ وابن ماجة في الأطعمة ٣ والدارمي في الأطعمة ١٣ ــ ٢٠ وصاحب الموطأ في صفة النبي ٩، ١٠ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢١ ٤٣، ٧٤، ١٤٥، ٢٥٧، ٣١٨، ٣٧٥ (حلبي).

(٢) سورة الحجر آية رقم ٤٤.

الأبواب السبعة. فكل جزء منهم صار جزءاً بخلق من هذه الأخلاق المستولية عليه.

ومما يحقق ذلك ما روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « للنار باب لا يدخلها منه إلا من شفا غيظه بسخط الله تعالى » .

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل سيفه على أمتي » .

فهذا للرغبة، والأول للغضب. فابن آدم مبني على هذه الأخلاق السبعة فإذا ولج الإيمان القلب، نفى هذه السبعة من القلب. فبقدر قوة الإيمان تذوب هذه الأخلاق من النفس. وعلى قدر ضعفه يبقى ضررهن. فإذا اكمل النور وامتلأ القلب منه، لم يبق لهذه الأخلاق فيه موضع. فنفى الشرك والشك والغفلة أصلاً. وصار بدل الشرك إخلاصاً، وبدل الشك يقيناً، وبدل الغفلة انتباهاً وكشف غطاء معاينه، وصار الغضب له وفي ذاته، وصارت الرغبة إليه والرهبة منه، وصارت الشهوة منية وكانت نهمة. وبقدر ضعف الإيمان وسقمه يبقى من هذه الأخلاق في المؤمن. فبقي منه شرك الأسباب، وشك الأرزاق، وغفلة التدبير في كنه الأمور، والرغبة والطمع في الخلق، والرهبة منهم في المضار والمنافع، واستعمال الشهوات على النهمة. فإيمانه يقتضيه ما عقد في توحيده لربه أن هذه الأشياء كلها منه وله، وأخلاقه تمنعه الوفاء بذلك عند نوائبه. فلذلك يبقى في عرصة القيامة محاسباً في مدة طويلة. والآخر كمل إيمانه فامتلأ قلبه من نور الإيمان فه ار كما وصفنا بدءًا، فسقط عنه الحساب غداً.

فابن آدم يأكل في معاء واحد اعني الخلقة، إلا أن هذه الأخلاق السبعة سوى الغضب قد عملت على قلبه فصار كأنه يأكل في سبعة أمعاء. فإذا آمن فامتلأ قلبه من نور الإيمان، سكنت هذه الأخلاق فشبع وروي؛ لأنه

قد ثقل قلبه بما ولج فيه من الإيمان. فإذا آمن فإنما يأكل بمعاه الذي خلق فيه. وكلما كان أوفر حظاً من إيمانه، كان أقل لطعمه بهذا المعاء الواحد أيضاً وإذا كان كافراً فهذه الأخلاق الستة تعمل على قلبه حتى يصير كأنه يأكل في سبعة أمعاء. لأن الشرك والشك والغفلة والشهوة والرغبة والرهبة هي أعوان لحرصه. فإذا أحرص، لم يشبع واحتاج إلى الكثير. والذي سكنت عنه هذه الستة الأخلاق بولوج الإيمان قلبه، ذاب الحرص في جوفه، وثقل الإيمان في قلبه فأكل بمعاه الذي خلق للآدميين فاكتفى بذلك.

عن أبي صالح السمان قال : قدم ثلاثون راكباً على رسول الله (ﷺ) من غفار، فيهم رجل يقال له أبو بصيرة مثل البعير. فقال رسول الله (ﷺ) لأصحابه : بدّدوا القوم. فجعل الرجل يقيم الرجل، والرجل يقيم الرجلين على قدر ما عنده من الطعام حتى تفرق القوم غير أبي بصيرة. قال : وكل القوم يرى أن ليس عنده ما يشبعه. فلما رأى رسول الله (ﷺ) ذاك، قام واستتبعه فتبعه. فلما دخل دعا له بطعام فوضعه بين يديه، فكأنما لحسه. ثم دعا بقدح فحلب فيه فشربه حتى حلب له في سبعة أقداح فشربها. وبات عند رسول الله (ﷺ) فعرض عليه الإسلام فتكلم منه بشيء. فلما خرج رسول الله (ﷺ) إلى صلاة الغداة، واستتبعه فتبعه، فصلى معه الغداة. فلما سلم رسول الله (ﷺ)، أقبل على القوم بوجهه فقال : علموا أخاكم وبشروه. فأقبل القوم بنصح يعلمونه. وألقى عليه رسول الله (ﷺ) ثوباً حين أسلم، ثم قام فاستتبعه فتبعه. فلما دخل دعا له بطعام، فوضعه بين يديه، فلم يأكل إلا يسيراً حتى قال : شبعت. ثم دعا له بقدح فحلب فيه، فلم يشرب إلا يسيراً حتى قال : رويت. فضرب رسول الله (ﷺ) على منكبه فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إنك كنت أمس كافراً، وإنك اليوم مؤمن، وإن الكافر يأكل في سبعة أمعاء، وإن المؤمن يأكل في معاء واحد.

الأصل الستون

في أن للصائم دعوة مستجابة عند إفطاره

عن ابن عمر (رضي الله عنهما)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « لكل عبد صائم دعوة مستجابة عند إفطاره اعطيها في الدنيا أو ذخر له في الآخرة[1].

فكان ابن عمر (رضي الله عنهما) يقول عند إفطاره : يا واسع المغفرة اغفر لي.

خصَّ أمة محمد (ﷺ) من بين الأمم في شأن الدعاء فقيل : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾[2].

وإنما كان يكون ذلك للأنبياء (عليهم السلام)، فأعطيت هذه الأمة ما أعطيت الأنبياء (عليهم السلام). فلما دخل التخليط في أمورهم من

---

(١) رواه ابن ماجة في كتاب الصيام ٤٨ باب في الصائم لا ترد دعوته ١٧٥٣ ــ سمعت عبدالله بن أبي مليكة يقول سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص يقول : وذكره. ففي الزوائد : إسناده صحيح، لأن اسحاق بن عبيدالله بن الحارث قال النسائي : ليس به بأس، وقال أبو زرعة ثقة وذكره ابن حبان في الثقات.

(٢) سورة غافر آية رقم ٦٠

أجل الشهوات التي استولت على قلوبهم، حجبت قلوبهم. فالصوم منع النفس عن الشهوات. وإذا ترك شهوته من أجله، صفا قلبه وصارت دعوته بقلب فارغ قد زايلته ظلمة الشهوات وتولته الأنوار، فاستجيب له. فان كان ما يسأل في المقدور، عجل له. وإن لم يكن، كان مدخوراً له في الآخرة. وبلغنا أن العبد إذا دخل الجنة، أعطي من الجنة بقدر ما يستقر في ملكه، ويجاز له ثوابه. فإذا زيد، قيل له : هذا دعواتك التي كنت لا ترى لها إجابة، كان لك ذخراً عظيماً.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) يقول : سمعت رسول الله (ﷺ) قال : « للصائم عند فطره دعوة لا ترد »[1].

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

الأصل الحادي والستون

في سجود الشكر

عن أبي بكر (رضي الله عنه) قال : كان رسول الله (ﷺ) إذا جاءه الأمر يسر به، خر لله ساجداً شكراً[1].

فالسجود أقصى حالة العبد في التواضع لله تعالى، به ترتبط النعمة ويجتلب المزيد. فالشكر رؤية العبد النعمة. ولا ينفك من رأى النعمة من الجبار إذا استحيى خجل وتذلل وتواضع. وكان رسول الله (ﷺ) من شأنه إذا فرح، غض بصره. وغض البصر من الحياء. لأن الحياء في العينين من أجل أن الحياء من شأن الروح. وبصره متصل ببصر الروح. وأيضاً الفرح في القلب مؤد الى العين. فإذا انتهى الفرح إلى العين فلم يغضها، انتشر الفرح وقوي. فلم يكن (ﷺ) يحب أن ينتشر فرحه في دار الأحزان حتى يكون ذلك كله في دار الله تعالى.

عن عبد الرحمن بن أبي بكر (رضي الله عنهما) قال : جئت أزور عائشة (رضي الله عنها). فكان رسول الله (ﷺ) يوحي إليه، ثم سرى

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة ١٣٩٤ ــ ثنا أبو عاصم، عن بكار ابن عبد العزيز بن عبدالله بن أبي بكرة عن أبيه عن أبي بكرة أن النبي ــ ﷺ ــ : وذكره.

عنه فقال : يا عائشة ناوليني ردائي فناولته، ثم أتى المسجد فإذا مذكر يذكر. فجلس حتى قضى المذكر تذكرته. افتتح ﴿**حم * تنزيل من الرحمن الرحيم**﴾[1] فسجد فطالت سجدته. ثم تسامع به أظنه قال مَن كان على ميلين وملئ عليه المسجد. وأرسلت عائشة (رضي الله عنها) في حاجتها أن احضروا رسول الله (ﷺ) فلقد رأيت منه أمراً ما رأيته منه منذ كنت معه. فرفع رأسه فقال : سجدت هذه السجدة شكراً لربي تعالى فيما أبلاني في أمتي فقال له ــ أحسبه أبو بكر (رضي الله عنه) ــ وما ذا أبلاك في أمتك؟ قال: أعطاني سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة. فقال: يا رسول الله، إن امتك كثير طيب فازدد يا رسول الله. قال : قد فعلت فأعطاني مع كل واحد من السبعين الألف سبعين ألفاً. قال : يا رسول الله ازدد لامتك. فقال بيديه ثم قال بهما إلى صدره أو إلى بعض جسده. فقال عمر أو غيره : أوعيت يا رسول الله. أو كلمة نحوها[2].

عن عبد الله بن بكر أبي وهب السهمي، حدثنا هشام بن حسان، عن القاسم بن مهران، عن موسى بن وردان، عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن الله تعالى أعطاني سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ». فقال عمر : يا رسول الله فهلا استزدته. قال : قد استزدته فأعطاني مع كل واحد من السبعين الألف سبعين ألفاً. فقال (رضي الله عنه) : يا رسول الله فهلا استزدته. قال : استزدته فأعطاني هكذا، وفتح أبو وهب يديه. قال أبو وهب : قال هشام : هذا من الله لا يدري ما عدده.[3].

---

(١) سورة فصلت الآيتان ١ و٢.

(٢) يؤيّده ما رواه الإمام البخاري في كتاب اللباس ١٨ والإمام مسلم في كتاب الإيمان ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٣.

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ١ : ١٩٧. حدثني أبي ثنا عبدالله بن بكر السهمي، ثنا هشام بن حسّان عن القاسم بن مهران عن موسى بن عبيد عن ميمون بن مهران عن عبد الرحمن بن أبي بكر أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : وذكره.

وهذا الحديث أتم وأشبع. والأول لم يذكر فيه أنهم يدخلون الجنة بغير حساب.

وعن قيس بن أبي حازم، عن أبي بكر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « أعطيت سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب. قلوبهم على قلب رجل واحد. واستزدت فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً ».

وعن أم قيس أن رسول الله (ﷺ) خرج آخذاً بيدها في سكة من سكك المدينة، حتى انتهى إلى بقيع الغرقد فقال : « يبعث منها سبعون ألفاً يوم القيامة في صورة القمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب ».

فقام رجل فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال : أنت منهم. فقام آخر فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. فقال : سبقك بها عكاشة.[1].

فهذا العدد من مقبرة واحدة، فكيف سائر مقابر أمته. وإنما قال رسول الله (ﷺ) : « أنت منهم » كأنه رأى فيه أنه منهم، والآخر لم يره بموضع ذاك. وأم قيس هي ابنة محصن. وهي أخت عكاشة بن محصن الأسدي. فالسبعون الألف الأولون سقط عنهم الحساب لأن الله تعالى أيدهم باليقين حتى عاملوا الله تعالى على الصدق والوفاء بيقينهم. وهم أولياء الله تعالى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وهم السابقون المقربون، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً ممن احتسب للحساب

---

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٣٦٧ (٣١٦) عن محمد بن زياد عن أبي هريرة أن النبي ــ ﷺ ــ قال : وذكره ورواه البخاري في الرقاق ٥٠ والطب ١٧ ــ ٤٣ واللباس ١٨ والترمذي في القيامة ١٦ والدارمي في الرقاق ٨٦، ١٠٢ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٢٧١، ٢٠١، ٢ : ٣٠٢، ٣٥١، ٤٠١، ٤٥٦، ٥٠٢، ٤ : ٤٣٦ (حلبي).

في الموقف ممن وجبت له الجنة، ثم يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً ممن وجب عليه الوقوف طول الموقف.

عن عبدالله بن أبي أوفى قال : إن رسول الله (ﷺ) لما أتى برأس أبي جهل[1]، صلى ركعتين، وصلى بهم يوم الفتح ركعتين.

وسجد عمر بن عبد العزيز ثلاث سجدات تباعاً حيث روى له أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه، عن رسول الله (ﷺ) الحديث الذي قال : يجاء باليهودي والنصراني يوم القيامة فيقال : هذا فداؤك يا مسلم من النار .

---

(١) راجع موقف أبي جهل من الدعوة الاسلامية ومقتله في غزوة بدر في كتابنا « رجال أنزل الله فيهم قرآنا » ط: دار الجيل: بيروت.

الأصل الثاني والستون

في بيان أفضل الصدقة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « ما من صدقة بأفضل من صدقة يتصدقها على مملوك عند مليك سوء ».[1] فالمملوك عند المليك السوء مضطر. والصدقة على المضطر أضعاف مضاعفة. لأنهم ثلاثة أصناف : فقير مستغن عن الصدقة في ذلك الوقت. وفقير محتاج. ومضطر. فالصدقة على المستغنى عنه وهو في حد الفقر صدقة. والصدقة على المحتاج مضاعفة. والصدقة على المضطر أضعاف مضاعفة. والمملوك عند المليك السوء انتظمت حالته هذه الثلاث، هو فقير، وهو محتاج، وهو مضطر.

---

(١) هذا الحديث لم يذكر في الصحاح ولم نعثر عليه في السند ولم يشِر إليه صاحب مجمع الزوائد، فلعلّه من النوادر التي اختصّ بها كتاب النوادر.

الأصل الثالث والستون

في أنه (ﷺ) كان يحب الفأل الحسن

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إذا بعثتم إليَّ رسولاً فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم »[1].

هذا من طريق التفاؤل. وذلك أن أهل اليقظة والانتباه يرون الأشياء كلها من الله تعالى. وإذا ورد وارد حسن الوجه، حسن الاسم تفاءل به وهو حسن الظن بالله تعالى. وكان رسول الله (ﷺ) يتفاءل ولا يتطير. لأن التفاؤل هو حسن الظن بالله تعالى. والفأل هو شيء يخصّ به قوم. وليس يكون لكل أحد كالفراسة والإلهام وكالحكمة. وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : الفأل مرسل .

فمن أُعطي حظاً من التفاؤل انتفع به. كمن أُعطي الفراسة، فله منها حظ. ومن لم يعط، لم يكن له منها حظ. والفأل قريب من الأركان والحظ نحوه.

---

(١) الحديث رواه البزار والطيراني في الأوسط عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه وأشار اليه السيوطي في الجامع الصغير بالضعف

وكانت قريش جعلت مائة من الإبل في من يأخذ نبي الله (ﷺ) فيرده عليهم حيث توجه إلى المدينة. فركب بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم، فتلقى نبي الله، فقال له نبي الله (ﷺ) : من أنت ؟ قال : أنا بريدة. فالتفت إلى أبي بكر (رضي الله عنه) فقال : يا أبا بكر برد امرنا وصلح. فقال : وممن ؟ قال : من اسلم. فقال لأبي بكر : سلمنا. قال : ثم ممن ؟ قال : من بني سهم. قال : خرج سهمك. فأسلم بريدة وأسلم الذين معه جميعاً. فلما أن أصبح قال بريدة لنبي الله (ﷺ) : لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء. فحل عمامته ثم شد بها في رمح، ثم مشى بين يديه (ﷺ)، فقال : يا نبي الله تنزل عليّ. فقال : إن ناقتي مأمورة. فسارت حتى وقفت على باب أبي أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) فبركت. فقال بريدة : الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « قال الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء »[1]. فإذا أحسن ظنه، وفى له بما أمل وظن. والتطيّر سوء الظن بالله، وهروب من قضائه، والعقوبة إليه سريعة. ألا ترى إلى العصابة التي فرت من الطاعون كيف أماتهم. قال الله تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ...** ﴾[2].

عن أبي رافع قال : أتيت رسول الله (ﷺ) ومعي مكتل فيه شاة

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة رفعه وللبيهقي عن أبي هريرة أيضاً رفعه بلفظ (أمر الله تعالى بعبدين إلى النار فلمّا وقف أحدهما على شفتها التفت فقال أما والله إن كان ظني بك لحسن فقال الله عزّ وجلّ ردّوه فأنا عند ظنّك بي فغفر له. وقال النجم رواه أحمد وابن حبان وابن ماجه عن واثلة.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٤٣.

مشوية. فقال لي : يا أبا رافع ضع ما معك. ثم قال : ناولني الذراع فناولته فأكلها. ثم قال : ناولني الذراع فناولته فأكلها. ثم قال : ناولني الذراع فقلت : وهل للشاة أكثر من ذراعين ؟ فقال : لو سكت لوجدتها.

الأصل الرابع والستون

في معنى الفطرة الأصلية

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال :

« كل مولود يولد على الفطرة. فأبواه يهودانه وينصرانه. كما تناتج الإبل من بهيمة جمعاء. هل يحس من جدعاء. »[1] قالوا : يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيراً. قال : الله أعلم بما كانوا عاملين. على الفطرة أي على الإسلام.

وذلك أن الله تعالى أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم. فأسلموا له طوعاً وكرهاً، وألقوا بأيدهم اعترافاً بربوبيته. فمنهم مسلم ومنهم مستسلم. وفي الجملة كلهم أقروا له بالربوبية وحده. وبالسمع والطاعة له. فأخذ عليهم الميثاق. ثم ردهم إلى الأصلاب. فلما خرجوا من الأرحام الى الدنيا مولودين، إنما خرجوا على تلك الفطرة. فمن ولده يهودي أو نصراني أو مجوسي فالولد في الحكم له.

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب القدر ٢ (٢٦٥٨) بسنده عن الزبيدي عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه كان يقول : وذكره. ورواية الإمام البخاري في الجنائز ٨٠ وتفسير سورة ٣٠ : ١ والقدر ٣ والإمام أحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣١٥، ٣٤٦ (حلبي).

قال المصنف (رحمه الله) : الولد في الحكم لأبيه دون أمه. لأن العظام والعصب والعروق من الأب. واللحم والدم والشعر والجلد من الأم. فأصل الجسد من الأب. ألا ترى أن اللحم والدم والجلد والشعر يذهب ويجيء والجسد باق. والعظام والعصب والعروق إذا ذهب، ذهب الجسد. ولذلك نسب إلى أبيه. والعصوبة له في الميراث والولاية وسائر الأحكام.

أما قوله : « كما تناتج الابل هل يحسّ من جدعاء » فإنه يقول ان الانعام إذا تناتجت فمولودهن صحيح سوي. فعمد المشركون فجدعوا آذانها.

روى عوف بن مالك الجشمي (رضي الله عنه) قال : أتيت رسول الله (ﷺ) فصعد فيَّ البصر وصوبه وقال : أرب إبلٍ أنت أم رب غنم ؟ قلت : من كل المال قد آتاني الله تعالى، فأكثر وأطيب. قال : أفلست تنتجها وافية أعينها وآذانها ؟ قلت : بلى. قال : فتجدع آذانها فتقول : صرماء وتشق من هذه فتقول : بحيرة. فساعد الله أشد من ساعدك. وموساه أحد لو شاء الله أن يأتيك بها صرماء، فعل.

فقول رسول الله (ﷺ) حيث قال : « فأبواه يهودانه وينصرانه كما تناتج الإبل فهل تحس من جدعاء » أي أن الله تعالى خلقه سوياً وافراً وافياً. فأنتم جدعتموه. وكذلك خلق الله تعالى هذا المولود على الفطرة التي فطرهم حيث استخرجهم من صلب آدم (عليه السلام) معترفين له بالربوبية. وأنتم هودتموه ونصرتموه. ومنه قول الله تعالى : ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** ﴾[٢]

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٣: ٤٧٣ ثنا شعبة عن أبي اسحاق قال: سمعت أبا الأحوص يحدث عن أبيه قال: وذكره.

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٣٨.

كانت اليهود إذا ولد لهم ولد صبغته. وكانت النصارى إذا ولد لهم مولود صبغته في ماء لهم. يقولون : تطهر بذلك. فقال الله تعالى : ﴿ **صبغة الله** ﴾ أي فطرة الله التي فطرهم عليها أحسن من صبغهم.

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم فإنما يولدون على الاسلام كلهم. ولكن الشياطين أتتهم فاجتالتهم عن دينهم فهودتهم ونصرتهم ومجستهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً. وقال الله تعالى وقوله الحق : خلقت عبادي حنفاء وأمرتهم أن لا يشركوا بي شيئاً »[1].

عن عياض بن حمار (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال في خطبته : ان الله تعالى أمرني أن أعلمكم. وقال تعالى : « خلقت عبادي حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم. وأمرتهم أن يشركوا بي. وحرمت عليهم ما أحللت عليهم »[2].

قال أبو عبدالله. فهذا بعد الإدراك حين عقلوا أمر الدنيا وتأكدت حجة الله عليهم وعملت أهواؤهم فيه ؛ لأن الشياطين وجدت قلوباً خالية. والنفس والروح يعقلان أمر الدنيا والمضار والمنافع. والآيات ظاهرة من خلق السموات والأرض والشمس والقمر واختلاف الليل والنهار. وهذه حجج الله سبحانه وتعالى على عبيده. فذهبت بأهوائهم يميناً وشمالاً. وأما المؤمنون فهم أهل منة الله تعالى مَنَّ الله عليهم فجعل لهم نوراً فأحياهم فقال : ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس**

---

(١) و(٢) رواه الإمام مسلم في كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها ٦٣ (٢٨٦٥) حدّثنا معاذ ابن هشام، حدّثني أبي عن قتادة عن مطرف بن عبد اللهبن الشخير عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال: وذكره، ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٤ : ١٦٢ (حلبي).

كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾[1] **﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾**[2].

فأهل منته أحياهم الله تعالى بنوره. وأهل عداوته حرموا ذلك فخابوا. والحجة عليهم قائمة بما أعطوا من المعرفة بأمور الدنيا.

قال الله تعالى : ﴿ **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾[3] إنما زكاها بنور المعرفة. وإنما دسي قلب الكافر. وقوله : دسي ودسس ودس كله بمعنى واحد. وهو أن يدس باب قلبه كما تدس الكوة حتى لا يقع في البيت ضوء، فهو بيت مظلم، وقد مال به هوى نفسه.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال : « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسهم النار إلا تحلة القسم »[4].

عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخل الله تعالى والديهم الجنة بفضل رحمته إياهم. والذي نفسي بيده إن السقط ليجر أمه إلى الجنة بسرره إذا احتسب »[5].

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول : « يا عائشة مَن مات له فرطان من أمتي أدخله الله الجنة بفضل

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٢٢.

(٢) سورة النور آية رقم ٤٠.

(٣) سورة الشمس آية رقم ١٠.

(٤) رواه ابن ماجة في كتاب الجنائز ٥٧ باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده ١٦٠٣ ــ عن الزهري عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة عن النبي ــ ﷺ ــ قال : وذكره.

(٥) رواه ابن ماجة في كتاب الجنائز ١٦٠٩ ــ عن عبيدالله بن مسلم الحضرمي عن معاذ ابن جبل عن النبي ــ ﷺ ــ قال: وذكره.
في الزوائد : في إسناده يحيى بن عبدالله بن موهب وقد اتفقوا على ضعفه.

رحمته إياهم ». قالت : يا رسول الله فمن كان له فرط واحد ؟ قال : ومن كان له فرط واحد يا موفقة. قالت : ومن لم يكن له فرط ؟ قال : فأنا فرط أمتي لم يصابوا بمثلي[1].

فإذا كان الوالدان إنما يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته للولد، فكيف يكون رحمته للولد ؟

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : سألت رسول الله (ﷺ) عن أولاد المسلمين أين هم يوم القيامة ؟ قال : في الجنة يا عائشة. وسألت عن أولاد المشركين ؟ فقال : في النار يا عائشة. قلت : لم يدركوا الأعمال يا رسول الله، ولم تجر عليهم الأقلام. فقال رسول الله (ﷺ) : ربك أعلم بما كانوا عاملين[2].

عن علي (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن السقط ليراغم ربه (عزّ وجلّ) إذا أدخل أبويه النار. فيقال له : أيها السقط المراغم ربه قد أدخل أبويك الجنة. فيقول : لا حتى يجرهما بسرره.

عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلاً وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيراً فيقول الممسوخ عقلاً : يا رب لو آتيتني عقلاً ما كان من آتيته عقلاً بأسعد مني. ويقول الهالك في الفترة. يا رب لو أتاني منك عهد ما كان

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز ٦٢: ١ بسنده عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ــ ﷺ يقول: وذكره.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد ربه بن بارق.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم بسندين الأول عن عطاء بن زيد عن أبي هريرة، والثاني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مختصراً ورواه البخاري في الجنائز ٩٣ وأبو داود في السنة ١٧ والنسائي في الجنائز ٦٠ وصاحب الموطأ في الجنائز ٥٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٤٤ ٢٥٣، ٢٥٩ (حلبي).

من أتاه منك عهد بأسعد بعهدك مني. ويقول الهالك صغيراً: يا رب لو آتيتني عمراً ما كان من آتيته عمراً بأسعد بعمره مني. فيقول الرب تبارك وتعالى : فإني آمركم بأمر أفتطيعونني فيقولون : نعم وعزتك. فيقول لهم : فاذهبوا وادخلوا جهنم ولو دخلوها ما ضرتهم شيئاً. فتخرج عليهم قوابض من نار يظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء. فيرجعون سراعاً ويقولون : يا ربنا خرجنا وعزتك نريد دخولها فخرجت علينا قوابض من نار فظننا أنها قد أهلكت ما خلق الله تعالى من شيء. ثم يأمرهم ثانية فيرجعون ويقولون كذلك. فيقول الرب : خلقتكم على علمي وإلى علمي تصيرون ضميهم. فتأخذهم النار.

عن عبدالله بن شداد (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) أتاه رجل فسأله عن ذراري المشركين الذين هلكوا صغاراً، فوضع رأسه ساعة ثم قال : أين السائل ؟ فقال : ها أنا ذا يا رسول الله. فقال : إن الله تعالى إذا قضى بين أهل الجنة والنار لم يبق غيرهم. عجوا فقالوا : اللهم ربنا لم يأتنا رسولك ولم نعمل شيئاً. فأرسل اليهم ملكاً والله أعلم بما كانوا عاملين. فقال : إني رسول ربكم إليكم فانطلقوا فاتبعوه حتى أتوا النار. فقال لهم : إن الله (عز وجل) يأمركم أن تقتحموا فيها. فاقتحمت طائفة منهم. ثم اخرجوا من حيث لا يشعر أصحابهم. فجعلوا من السابقين المقربين. ثم جاءهم الرسول (عليه السلام) فقال : إن الله تعالى يأمركم أن تقتحموا في النار فاقتحمت طائفة أخرى. ثم أخرجوا من حيث لا يشعرون فجعلوا من أصحاب اليمين. ثم جاء الرسول فقال : إن الله تعالى يأمركم أن تقتحموا في النار. فقالوا : ربنا لا طاقة لنا بعذابك. فأمر بهم فجمعت نواصيهم وأقدامهم ثم القوا في النار[1].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط عن سمرة وعن أنس بن مالك وأشار اليه السيوطي بالصحة، وأبو الحسن في أماليه عن انس أيضاً.

قال أبو عبدالله : الولد عضو من الرجل. فإذا قدمه من قبل أن يبلغ الحنث فقد عتق من أسار الذنوب. وفي الشرع أن المملوك إذا عتق جزء منه شاعت الحرية في جميع أجزائه. فهذا الطفل قدم على ربه وهو غير مطلوب بذنب. فصار حراً من رق الذنوب وهو جزء من أجزاء الوالدين.

وقوله : « لم يبلغوا الحنث » أي ما أدركوا مدرك الرجال. فتركوا الوفاء بما عاهدوا يوم الميثاق.

وقوله : « تحلة القسم » يريد قوله تعالى : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ... ﴾[1].

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) : « إني سألت ربي أولاد المشركين فأعطانيهم خدماً لأهل الجنة ». قال : لأنهم لم يدركهم ما أدرك آباؤهم من الشرك. ولأنهم في الميثاق الأول.[2]

---

(١) سورة مريم آية رقم ٧١.

(٢) راجع المسند للإمام أحمد بن حنبل ٢ : ٢٥٩ والنسائي في الجنائز ٦٠.

الأصل الخامس والستون

في بيان قوله (ﷺ) : ان هذا المال خضرة حلوة

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال : إن رسول الله (ﷺ) قال : « إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بحقه فلنعم المعونة هو »[1].

الأخذ على ثلاثة أوجه عندنا : فالظالم يأخذه تمتعاً. والمقتصد يأخذه تزوداً. والمقرب يأخذه تبلغاً. فالظالم لم يأخذه بحقه؛ لأن الدنيا إنما خلقت متعة للأعداء وهم الكفار يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم. فهذا قد ظلم نفسه حيث أخذها أخذ الأعداء. قال الله تعالى : ﴿ **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون** ﴾[2].

---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه الترمذي في القيامة ٢٩ بسنده عن حكيم بن حزام وقال هذا حديث صحيح ورواه الترمذي في الفتن ٢٦ والزهد ٤١ وابن ماجة في الفتن ١٩ والدارمي في الرقاق ٢٧ ومسلم في الزكاة ٩٦، ١٢٢ والنسائي في الزكاة ٥٠، ٨١، ٩٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ٢١ (حلبي).

(٢) سورة الحجر آية رقم ٣.

لأن المؤمن قد علم أنه عابر سبيل، ولم يخلق للبقاء في هذه الدنيا. فهو مسافر يقطع الدنيا بعمره إلى الله تعالى، والليل والنهار يركضان به اليه. وقد آمن بالله واليوم الآخر. ومن صدق إيمانه أن يرفع باله عن الدنيا وييأس من الخلود فيها. ويأخذ منها ما يأخذ المتزود لما بين يديه من السفر الطويل. وأخذ التزود أن يكون له إرادة فيما يأخذ منها أن يأخذها لقوام دينه، ويقدم فضله ما بين يديه ليكون ذلك زاداً له في المحشر. فالأول ظالم أخذه أخذ الأعداء. وهذا أخذه بحقّه، فلنعم المعونة. والثالث أخذه تبلغاً لأنه خلق محتاجاً مضطراً لا ينفك في دنياه أيام حياته من حاجة به إليه، أما في نفسه، وأما في المتصلين به من عيال وقرابة وجيرة واخوان، من أجل حراً وبرداً وجوع أو عرى أو نوائب من سقم أو غيره.

وتدبير رب العالمين في هذا المال أنه وضعه في هذا الدار، وأنه يصلح به هذه المصالح. فما تناول منه تناول على التبلغ إلى الله تعالى لينفذ عمره، ويبلغ إلى ربه تعالى دافعاً هذه النوائب التي تنوبه في هذه الدنيا عن نفسه وعن هؤلاء بهذا المال الذي هكذا دبره رب العالمين. وكان أبو بكر (رضي الله عنه) بعد رسول الله (ﷺ) يعطي المال بغير عدد ولا تقدير يحثي حثواً، ويعطي قبضات. فراوده عمر (رضي الله عنه) على أن يقدر ويفضل المهاجرين لفضلهم، ومن له قدوة في الإسلام يبرر له ذلك بالمال. فأبى عليه وقال : إن هذا المال بلاغ وخير البلاغ أوسعه، وأجورهم على الله تعالى. فلما ولي عمر (رضي الله عنه) فضل أصحاب بدر، وجعل بين الناس فضائل. ففعل أبي بكر (رضي الله عنه) فعل الصديقين. المال عنده بلاغ. فكلما تناول شيئاً منه فقدمه في نوع من أنواع البر، لم يجعله عدة ليوم فقره كما فعل هذا المقتصد؛ لأن عدة الصديقين والمقربين خالقهم. وأعينهم مادة إلى رحمته. والمقتصدون ومن دونهم عدتهم خالقهم عدة الايمان. فإذا صاروا إلى الحقائق، صيروا أعمالهم عدة.

الأصل السادس والستون

في أن الاختيار من الخير

عن أبي بكر (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) كان إذا أراد أمراً قال : « اللهم خر لي واختر لي »

قال أبو عبدالله : الخيرات كلها من خيرته. والصفوة من الخيرات محبوبة ومختارة. خار لعباده الأعمال والأفعال، واختار لنفسه من الذي خار لهم، فذاك محبوبه ومصطفاه، سأله أن يخير له أن يرزقه الخير. وإذا رزقه الخير، وقاه الشر. ثم سأله أن يختار له من الخير محبوبه، وله دعوة أخرى في حديث آخر. وهو قوله (ﷺ) : « اللهم إني أسألك التوفيق لمحابك من الأعمال وصدق التوكل عليك وحسن الظن بك » .

فانظر إلى هذه الخصال الثلاث كأنها نظام واحد. وهذا باب غامض يخفى على الصادقين. وإنما ينكشف للصديقين دون الصادقين، لأن الصادق يفتش عن الأعمال كيلا يدخل فيه العدو والنفس والهوى، ويروجه عليه بخدعه. فهو يبغي الصدق والإخلاص ويلحظه. والصديق يلحظ في أعماله إلى الله تعالى لأنه استقام قلبه على الصدق، وانطرد عنه الهوى، واختسأ العدو، فهو يفر من ظله. وهو الذي ينكشف له التوفيق

من الله لمحبوبه. فرب عمل هو في الظاهر أعلى وأشرف على ألسنة الرسل (عليهم السلام) والكتب المنزلة. والمحبوب في ذلك الوقت ما هو دونه في الظاهر. فالذي يحبه في ذلك الوقت قد خفي على الأنبياء (عليهم السلام) حتى سأله التوفيق لذلك.

وأما بيان انتظام هذه الأمور في طلق، فهو أن الله تعالى إذا وفّقه لمحبوبه وهو أدنى في الظاهر وآثر الأدنى، وإن كان الأدنى في الحقيقة من محاب الله تعالى فسأله صدق التوكل. والتوكل هو أن يتخذ الله وكيلاً ويفوض إليه جميع أموره. فسأله صدق ذلك حتى لا يتردد ولا يتلكأ فيه، ويسارع فيه كما يسارع في الذي كان عنده أعلى.

ثم قال : « وأسألك حسن الظن بك » فإن النفس إذا مرت في الادون، دخلها سوء الظن من قبلها فتقول : لعلي فيه مخذول إذا أقبلت على الادون وأعرضت عن الأعلى في الظاهر. فسأله حسن الظن كي لا تأخذه الحيرة، ولا يخاف أنه خذل. فلهذه الخصال الثلاث كلها منظومة محتاج إليها في طلق. لا يستغني ببعضها عن بعض لمن سأل أن يختار له محبوبه ويوفقه لمحابه من الأمور.

فجاءت الرواية عن رسول الله (ﷺ) بهاتين اللفظتين وكلاهما يؤديان إلى معنى واحد. قوله : اختر لي. وقوله : وفقني لمحابك. فالاختيار من الخير هو محابه في ذلك الوقت. قال له قائل : صف لنا واحدة من هذه الأمور نعتبر بها ما سواها. قال : نعم. خرج رسول الله (ﷺ) معتمراً يزور بيت الله الحرام لبعد عهده به قصد عن البيت. فكان محاب الله تعالى في ذلك أن يصالحهم ويعطيهم ما يريدون من ذلك. فإنهم كانوا يريدون أن لا يدخل مكة في هذه الهيئة، فحلق دون قضاء العمرة، ونحر الهدي ولما يصل إلى البيت ولم يبلغ محلها. وكان في الظاهر تعظيم البيت والاعتمار والوفاء بالنذر وهو الاحرام، وهدي البدن وهي سبعون بدنة أعلى عندهم وأشرف. والصلح والرجوع عنهم

محاب الله في ذلك الوقت. فاتسع لهذا الأمر رسول الله (ﷺ) ولم يضق به ذرعاً، واتسع أبو بكر (رضي الله عنه)، وضاق عمر (رضي الله عنه) حتى صار إلى أبي بكر (رضي الله عنه) فقال : يا أبا بكر أليس هذا رسول الله (ﷺ) أو ليس نحن المسلمون » فقال : بلى. فقال : فعلى م نعطي الدنية في ديننا وهم الكفار ؟ قال أبو بكر (رضي الله عنه) : يا عمر الزم غرز رسول الله (ﷺ) واسمع وأطع فإني أشهد أنه رسول الله (ﷺ). قال : وأنا أشهد. فلم يصبر على ذلك، فأتى رسول الله (ﷺ) فقال : يا رسول الله : ألست رسول الله، أولسنا بالمسلمين، أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى. قال : فعلى م نعطي الدنية في ديننا وهم الكفار ؟ قال : أنا عبدالله ورسوله ولن أخالف أمره، ولن يضيعني[1].

قال عمر (رضي الله عنه) : فمازلت أصوم وأصلي وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ.

فصالح رسول الله (ﷺ) المشركين، وكتب الكتاب فيما بينهم على وضع الحرب عشر سنين يأمن منهم الناس، ويكف بعضهم عن بعض، فأمنوا ولقي بعضهم بعضاً وخالطوهم، واستمعوا إلى القرآن وإلى ما جاء به عن الله تعالى. والرجل يكلم أخاه وصديقه ورحمه بذلك. فدخل الناس أفواجاً في دين الله مثل ما دخلوا في سنين كثيرة.

فانظر إلى رسول الله (ﷺ) كيف فوض أمره إلى الله تعالى، وأبرز صدق توكله، وكيف حسن ظنه بالله تعالى، فقال : إني لن أخالف أمره ولن يضيعني. وكيف تابعه على ذلك أبو بكر (رضي الله عنه) واتسع

---

(١) الحديث رواه الامام البخاري في كتاب الجزية ١٨ وكتاب التفسير سورة ٤٨ : ٥ ورواه الامام مسلم في كتاب الجهاد ٩٤ (١٧٨٥) حدثنا حبيب بن أبي ثابت عن أبي وائل قال: قام سهل بن جنيف يوم صفين فقال أيها الناس وذكره.

فيه، وكيف ضاق عمر (رضي الله عنه)، ومن بعد عمر عامة أصحاب رسول الله (ﷺ) حتى بلغ من أمرهم أنه أمر مناديه، فنادى بأن يحلقوا رؤوسهم فلم يحلقوا، حتى دخل رسول الله (ﷺ) الخيمة فقال : يا أم سلمة ألا ترين أن الناس لا يحلقون. فقالت يا نبي الله بأبي أنت وأمي احلق أنت، فلو قد رأوك حلقت لقد فعلوه. فحلق رسول الله (ﷺ) فأخذ الناس يحلقون. ومنهم من قصر، فقال : اللهم اغفر للمحلقين. قالوا : والمقصرين يا رسول الله. قال : اللهم اغفر للمحلقين. قالوا : والمقصرين يا رسول الله. قال : اللهم اغفر للمحلقين. قالوا : والمقصرين يا رسول الله. قال : والمقصرين[1]. قالوا : ظاهرت بالترحم والمغفرة للمحلقين. قال : لأنهم لم يشكوا.

فليس هذا شكاً في أصل الفعل، إنما الشك هنا ضيق الصدر بذلك الفعل. احتاجوا إلى أن يحلقوا وهم في إحرام ولم يحلوا بعد. لأن السبيل كان عندهم في الجاهلية وراثة أن لا يحل أحد من إحرامه دون الطواف بالبيت. فلما أمرهم بالحلق، استعظموا ذلك، وضاقت صدورهم. ثم اتبعوه فقصروا كأنهم على كراهة شديدة. وهذا من خلق النفس وكزازته. فحرموا الدعوة للكزازة التي فيهم وركوب الهوى.

وقول رسول الله (ﷺ) : « إني لن أخالف أمره » أي لن أخالف أمر الله. أي لن أخالف ما استقبلني من وجه الأمر ومن توفيقه لما هو أحب إليه. وذلك أن أهل مكة لما تلقوه ليردوه في جمعهم، أخذ رسول الله (ﷺ) في أسفل مكة. فلما بلغ الحديبية، بركت ناقته. فقال الناس :

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الحج ٣٢١ وابن ماجة في المناسك ٣٠٤٣ ــ ٣٠٤٤ ــ ٣٠٤٥ بسنده عن أبي هريرة وعن ابن عمر، وعن ابن عباس رضي الله عنهم ورواه أبو داود في المناسك ٧٨ والترمذي في الحج ٧٤ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٢١٦، ٢٥٣، ٢ : ١٦ (حلبي).

خلأت. أي حزنت. فقال (ﷺ) : ما خلأت وما لها ذلك بخلق. كأن معناه أن هذه ناقة مسخرة لصاحبها. وصاحبها ليس بحرون. فإذا لم يحرن الذي سخر على ربه، لم تحرن المسخرة. فقال : ما خلأت، ولكن حبسها حابس الفيل[1]. فعلم أن بروك الناقة ههنا ليس من الحرانة، لأنه لم يحرن على ربه في أمره. ولكن هذا شيء بديع قد اختار له ربه ما هو أحب إليه فنزل وعسكر هناك، وانتظر ما يكون، ثم وجه الرسل إلى أهل مكة واحداً بعد آخر أني لم أجئكم لحرب، وإنما جئت معظماً للبيت ومعي هدي. فعاهدوا الله أن لا يدخلها أبداً أو نحاربك. ثم كان من تلك الرسل عثمان بن عفان (رضي الله عنه). فأتاه الخبر أن عثمان قد قتل، فانتدب رسول الله (ﷺ) لحربهم وقال : لا نبرح حتى نناجزهم. فدعا إلى البيعة تحت الشجرة فبايعوه. فقال أصحابه بعد ذلك بحين : بايعنا رسول الله (ﷺ) على الموت. وقال آخرون ممن فهم الأمر : لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر. فأنزل الله تعالى : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ...** ﴾[2] الآية.. فأوجب لهم رضاه وبشرهم بذلك ووعدهم النصرة والفتح.

وكان رسول الله (ﷺ) رأى في الطريق رؤيا أن يدخل المسجد الحرام مع أصحابه محلقين ومقصرين لا يخافون. فأخبر بها أصحابه، فلم يشكوا أنها تفتح لهم. فلما استقبلهم هذا الصلح، شكوا في الرؤيا وساءت ظنون كثير منهم. قال الله. تعالى : ﴿ **فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً** ﴾[3]. فصالحوا وانصرفوا، فخرجوا إلى خيبر، ففتح الله عليهم فاستأصلوا اليهود وهم احد الأعداء، وغنموا الغنائم الكثيرة، وتقووا بما

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في الشروط ١٥، والجهاد ٥٩ وأبو داود في الجهاد ١٥٦، وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٣٢٣، ٣٢٩ (حلبي).

(٢) سورة الفتح آية رقم ١٨.

(٣) سورة الفتح آية رقم ٢٧.

غنموا، وأخذوا العدة من الكراع والسلاح، وبلغ المشركين ذلك فذلوا وانقصموا.

وعاد رسول الله (ﷺ) من العام المقبل فقضى عمرته وأخلوا له مكة من نسائهم وأولادهم حتى انصرف. ثم عاد من العام القابل لفتح مكة في عشرة آلاف رجل. وكان ذلك العام الذي صدر عنه في سبعمائة، وكثر أصحابه لدخول الناس في دين الله وذلك للصلح الذي كان بينهم وما التقوا فوعظ بعضهم بعضاً، وقرأ عليهم ما نزل.

فانظر إلى محاب الله تعالى ومختاره، وإلى محاب الخلق ومختارهم. فقد كان مختار الخلق أن يدخلوها عنوة فيقتلون ويقتلون. وقد كان لله (عز وجل) فيها أولياء قد اجتباهم واختارهم وسبقت لهم منه الحسنى. ولم يجئ وقت إسلامهم بعد. وفيهم أيضاً قد أسلموا من المستضعفين نساء وشيوخاً وعجزة. ولو دخلوها بقتال لأصابهم معرة الجيش. فقال الله تعالى في تنزيله الكريم : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم** ﴾[1].

وكانت طائفة من أهل مكة خرجوا عليه من وراء عسكره فهزمهم أصحاب رسول الله (ﷺ) فأخذوا أسراء، فأعتقهم رسول الله (ﷺ) فلذلك قوله تعالى : ﴿ **من بعد أن أظفركم عليهم** ﴾.

ثم قال : ﴿ **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ...** ﴾[2] إلى قوله : ﴿ **... عذاباً أليماً** ﴾.

---

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٤.

(٢) سوة الفتح آية رقم ٢٥.

فهؤلاء رجال مؤمنون ونساء مؤمنات، قد كانوا هناك في أيديهم مستضعفين. فلو دخلتم الحرب لوطأتهم الخيل وهلكوا. ولو تزيلوا، أي فارقوهم وزايلوهم، لعذبنا الذين كفروا. أي لنسلطنك عليهم بالحرب حتى تقتلهم. ولكن هيأ الصلح وحبس الناقة فبركت. فلما بركت، قال رسول الله (ﷺ) : حبسها حابس الفيل. لا تدعوني اليوم قريش إلى خطة فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها[1].

وكان رجال مؤمنون ونساء مؤمنات في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، لم يخرجهم الله تعالى إلى الدنيا، وكان في سابق علمه أنه يخرجهم إلى مدة، وأسماؤهم مكتوبة في اللوح بالسعادة من الله تعالى. فلو دخلوها عنوة لهلك آباؤهم وأمهاتهم في الحرب ومعرة الجيش. فلو تزيلوا، أي زايلوا الأصلاب والأرحام، لعذبنا الذين كفروا، أي الآباء والأمهات الكفرة، وأنجينا هؤلاء الأطفال الذين هم في علمي أوليائي. فهيأ الله (عز وجل) الصلح بينهم حتى توالدوا وخرجوا من أصلاب آبائهم من يعبد الله وحده. وتهيأ للمستضعفين حال نجاح، وفتح الله تعالى مكة (شرفها الله تعالى) من العام الثالث عليهم وأظفره بهم.

ومن قبل فتح مكة سهل الله سبيله حتى جاء قاضياً لعمرته في ذلك الشهر الذي كان جاء أول عام الحديبية، فاعتمر وغاظ المشركين في ذلك. واقتص الله (عز وجل) لنبيه (ﷺ) منهم كما ردوه وصدوه عن العمرة. فأنزل الله تعالى : ﴿ **الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص** ... ﴾[2].

ثم فتح الله تعالى عليه مكة من العام الثالث من الحديبية. وهو سنة

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا.

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٩٥.

ثمان من الهجرة. وكانت الحديبية سنة ست. وقضاء العمرة في سنة سبعة. وافتتح مكة سنة ثمان من الهجرة. فغص المسجد الحرام بأصحاب رسول الله (ﷺ) وكان في عشرة آلاف حتى لم تجد ناقته موضعاً تبرك فيه في المسجد الحرام. حتى دنا من البيت فاحتملوه على أيدي الرجال، فدعا بالمفتاح، ففتح له، فدخل البيت فصلى فيه ثم خرج، فوقف على الباب فقال : الله أكبر الله أكبر الله أكبر صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده[1].

فانظر إلى هذه الكلمات، عظم ربه وصغر ما دونه بتعظيمه. ثم قال : « صدق الله وعده » نشر عن ربه الجميل بأنه وفي له. ثم قال : « ونصر عبده » رأى النصر من عنده، ورأى دوران الأمور به، ونظر إلى تدبيره من لدن مبعثه، وما لقي منهم من الأذى والضرب والشتم والمصائب، وما حرم أقاربه وأرحامه من بركة ما جاء به، والى الناس من افناء الناس غرباء كيف رزقوا ذلك واحد من الروم، وواحد من الحبشة، وآخر من فارس، وواحد من الخيام، وآخر من حضرموت وبلاد الشام، وأبو لهب وأبو طالب وولد عمومته حاربوه وعادوه وأخرجوه من بلاد الله ومن وطنه وبيت الله الحرام وغربوه وتواطئوا على قتله، وطلبوه فلم يظفروا به. وانظر إلى تدبير الله تعالى في الأنصار وبذلهم أنفسهم. قال الله تعالى : ﴿ **فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين** ﴾[2].

ثم حروبهم ببدر واحد، وتلك العجائب التي كانت هناك مرة لهم ومرة عليهم إلى يوم الحديبية وصلحه. وأنهم قد وضعوا الحرب فيما قد وضعوا الحرب فيما بينهم عشر سنين. فضاق عمر (رضي الله عنه) بذلك يوم الحديبية. ولم يعلم أن الله تعالى سيفتح لهم مكة في العام الثالث من

---

(١) راجع سيرة ابن هشام فتح مكة ٤: ٣١ قال ابن اسحاق حدثني بعض أهل العلم. والبداية والنهاية لابن كثير عند حديثه عن فتح مكة ٤: ٢٩٢ ــ ٢٩٦ أيضاً.

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٨٩.

عامهم في أعز نصر وأوفر جمع. فحسن الظن وسوء الظن ههنا يتبين. فرأى رسول الله (ﷺ) يومئذ جميل صنع الله تعالى في أمره فقال : « الله أكبر صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ».

فلو شاء الله تعالى لبعث مع محمد (ﷺ) ملائكته (عليهم السلام) معهم الشهب فيدمرون على من جحده. ولكن تدبير الله تعالى في عباده في التؤدة والتأني والرفق بهم، ليتسعوا مع تدبيره. فإن الإتساع مع تدبيره عبودة. والضيق من الاستبداد وكزازة النفس. والعبودية الصادقة أن يدور مع تدبير الله تعالى في الأحوال كيف ما دارت. فهناك تكون عند الله تعالى راضياً في الأحوال، فيرضى عنك. وهو قوله تعالى : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية...** ﴾[1]. إطمأنت إلى الله سبحانه وتعالى وماتت شهواتها وذهب استبدادها فرضيت عن الله تعالى في أحوالها على اختلاف محبوبها ومكروهها. فرضي الله عنها.

فلما تكلم على باب الكعبة بما تكلم، قال لأهل مكة وهو حوله : ماذا تقولون وماذا ترون أني صانع بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم. قال : فإني أقول كما قال أخي يوسف : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين[2].

قال عمر (رضي الله عنه) : وانتضحت عرقاً من الحياء من قول رسول الله (ﷺ)، وذلك أني كنت قلت لهم حين دخلنا مكة : اليوم ننتقم منكم ونفعل ونفعل. فلما قال رسول الله (ﷺ) ما قال، استحييت من قولي.

فهكذا يكون فعل الناظر إلى تدبير الله تعالى فيهم من قبل في تلك الأمور الماضية وحكمته.

---

(١) سورة الفجر آية رقم ٢٧ و٢٨.

(٢) سورة يوسف آية رقم ٩٢.

وأيضاً قصة أخرى في شأن أبي جندل بن سهيل بن عمرو وكان مسلماً في أيدي المشركين، مقيداً بمكة. فلما جاء سهيل بن عمرو أبوه يراجع رسول الله (ﷺ) في الصلح، وهو بعض رؤسائهم أبرم الصلح وكتب الكتاب. فجاء ابنه أبو جندل يرسف في قيوده، قد انفلت من محبسه. فقال : يا محمد يا رسول الله إني مسلم في أيدي المشركين. واستغاث برسول الله (ﷺ) وبالمسلمين. فقام إليه أبوه فضرب وجهه ورده. وقال : يا محمد لقد لجت[1] القضية فيما بيننا. فتركه رسول الله (ﷺ) في يده حتى رده. فكاد المسلمون أن يفتتنوا في ذلك الأمر، وأخذهم الغيظ الشديد، ولم يقدروا على شيء من الصلح. وكان وقع الصلح بينهم على أن من صار من المشركين إلى رسول الله (ﷺ) مسلماً، أن يرد عليهم. ومن صار من المسلمين إليهم مرتداً، لم يطلب. فأجابهم رسول الله (ﷺ) إلى ذلك. فتحرك أصحابه في ذلك فقال رسول الله (ﷺ) : « من جاءنا مسلماً فرددناه عليهم فإن الله (عز وجل) جاعل له فرجاً ومخرجاً ومن صار إليهم مرتداً فالى النار فما نصنع بمن ارتد عن دين الله ».

فأنظر إلى حسن ظنه حيث قال : « فإن الله جاعل له فرجاً ومخرجاً »[2] فكيف لا يحسن ظنه وقد أوحى إليه (عز وجل) : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾[3].

فالوحي قد نجع فيه، وانكشف الغطاء عن قلبه حتى عاين حسن تدبير الله وصنائع ربه، وعرفه بالمجد والكرم. فذهب سهيل بن عمرو بابنه إلى

---

(١) الملاجة: التمادي في الخصومة ورجل لججة يوزن همزة اي لجوج واللجلجة: والتلجلج التردد في الكلام يقال الحق أبلج والباطل لجلج أي يتردد من غير أن ينفذ

(٢) هذا جزء من حديث طويل رواه الامام أحمد في المسند ٤: ٣٢٥ بسنده عن رجل عن خريم بن فاتك.

(٣) سورة الطلاق آية رقم ٢.

مكة في قيوده، ورجع رسول الله (ﷺ) إلى المدينة ففتح خيبر، فقال عمر (رضي الله عنه) : كنت أماشي أبا جندل وهو في قيوده، وهو جنب أبيه، وأهوى بمقبض سيفي نحوه وأدنيه منه وأقول : يا أبا جندل ليهن عليك فانما دم أحدهم دم كلب، وأدنى قائمة السيف منه رجاء أن يأخذ السيف فيضرب به أباه. قال : فضن الرجل بأبيه وسهيل آخذ بتلبيبه يجره إلى المنزل، وأبو جندل يصرخ : يا معشر المسلمين أرد الى المشركين يفتنونني عن ديني ؟ فقال رسول ﷺ (ﷺ) : اصبر واحتسب أبا جندل فإن الله (عز وجل) جاعل لك وللمسلمين فرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وانا لن نغدر[1].

فلما رجع رسول الله (ﷺ) لم يلبث إلا قليلاً حتى انفلت أبو جندل من قيوده، ومر إلى ناحية البحر على طريق الشام فقعد هناك؛ لأنه قد علم أنه إن صار إلى رسول الله (ﷺ)، لم يجد بداً من رده عليهم لما جرى بينهم في الصلح من ذلك. فأقام هناك أياماً، فكان كل من سمع به من الشذاذة المنفلتين ممن هم في مجالس المشركين، لحق به حتى توافوا نحواً من سبعين رجلاً، فقطعوا على المشركين عيرهم وأخذوا أموالهم وأضروا حتى بلغ من أمرهم وما تأذى بهم المشركون أن وجهوا إلى رسول الله (ﷺ) يسألونه أن يضمهم إلى نفسه؛ حتى يرتفع عنهم ضررهم. ثم أسلم سهيل بن عمرو، وقتل شهيداً في خلافه عمر (رضي الله عنه).

قال أبو عبدالله : فأهل سعة الصدر عاشوا مع الله تعالى في دار الحبس والضيق عيش أهل الجنان. وإنما نالوا ذلك كله بذلك النور الذي إنشرح به صدورهم فاتسعت لتدبير الله تعالى. وان الله تعالى دبر للعباد امور امرن

---

(١) هذا جزء من الحديث السابق الذي رواه الامام أحمد في المسند ٤: ٣٢٥ بسنده عن خريم بن فاتك رضي الله عنه.

النفوس سلوك طريق ذلك التدبير وعرفوه ووطنوه. ثم له تعالى في ذلك التدبير تدبير آخر مختص.

فأهل الضيق يتحيرون ويضيقون. ومن عاين الصنعين والتدبيرين لم يضق. وان لله (عز وجل) في كل تدبير مشيئة، إن شاء أمضاه وإن شاء أخره. فالتدبير الذي قد وطنه الناس ان يكون بالولد من ذكر وانثى، فاختص الله تعالى لعيسى (عليه السلام) تدبيراً فحملت به مريم من غير ذكر. فتحير فيه علماء ذلك الزمان وأحبارهم، وهلك فيه العام والسفهاء. وأدرك مريم (رضي الله عنه) بعض تلك الحيرة فقالت :

﴿ أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً ﴾[1] **﴿ قال كذلك الله يخلق ما يشاء ﴾**[2].

فأبصرت وأذعنت لحكم ربها (تعالى وتقدس) فاستوجبت بذلك أن أثنى عليها رب العالمين. فقال : **﴿ وصدقت بكلمات ربها ... ﴾**[3] وقال : **﴿ وامه صديقة ﴾**[4].

وكذلك فعل زكريا (عليه السلام) فيما بشر به من الولد بعد الكبر. وكذلك رزق مريم (رضي الله عنه) **﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾**[5].

فقد علم الناس أرزاقهم من مظانها من السوق ومن الكدح، ومن

---

(١) سورة مريم آية رقم ٢٠.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٤٧.

(٣) سورة التحريم آية رقم ١٢.

(٤) سورة المائدة آية رقم ٧٥.

(٥) سورة آل عمران آية رقم ٣٧.

الكرم ومن الكيس ومن أيدي الخلق. فرزقت على وجه التدبير المختص مما لم تمسه أيدي العالمين.

فأبصر رسول الله (ﷺ) التدبيرين ودخول أحدهما في الآخر، وخفاء شأنهما. فسأل التوفيق. وسأل مع التوفيق أن لا يكون من نفسه إذا وفقه تلكأ. وسأله إذا وفقه فلم يوافق شهوة نفسه أن يحسن الظن به. فقد يكون الرجل من أهل الغفلة يقول : اللهم اختر لي ووفقني. فإذا وفقه هرب من مختار الله ودفع عن نفسه ذلك.

بلغنا أن موسى (عليه السلام) قال : يا رب أي عبادك أكثر ذنباً ؟ قال : الذي يتهمني. قال : ومن يتهمك يا رب ؟ قال : الذي يستخيرني في الأمور، فإذا اخترت له، لم يرض بقضائي وخيرتي.

وأيضاً قصة أخرى في شأن بدر. وعدهم الله تعالى إحدى الطائفتين أنها لكم الظفر بالعير أو الظفر بالعدو الذي انتدب من مكة وهم رؤساء الكفر وصناديد قريش.

وكان محاب الله تعالى في ذلك أن يظفروا بالعدو، فيقتلهم على أيديهم، ويقطع دابرهم. ومحابهم الظفر بالعير ليتقووا به وينكوا فيهم. فقال في تنزيله الكريم : ﴿ **وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم** ... ﴾[1] الآية.

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٧.

الأصل السابع والستون

في عقاب من غش العرب

عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي »[1].

غش العرب أن يصدهم عن سبيل الهدى، أو يحملهم على أمور يبعدون بها عن رسول الله (ﷺ). ومن فعل ذلك فقد قطع الرحم فيما بينهم وبين الرسول (ﷺ).

ومن غشهم أيضاً أن يحسدهم على ما آتاهم الله من فضله، وأن يضع ما رفعه الله ويغمر فضلهم، والأخبار قد أتت بفضلهم.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً. فذلك قوله

---

(١) هذا الحديث أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ٣٩٢٨ عن حصين بن عمر الأحمس عن مخارق بن عبدالله عن طارق بن شهاب عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حصين بن عمر الأحمس عن مخارق، وليس حصين عند أهل الحديث بذاك القوي.

تعالى : ﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين** ﴾[1] ﴿ **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال** ﴾[2]. فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين.

ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرهم ثلثاً. فذلك قوله تعالى : ﴿ **فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون** ﴾[3]. فأنا من السابقين، وأنا خير السابقين.

ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خير قبيلة. وذلك قوله تعالى : ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾[4]. فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله تعالى ولا فخر.

ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً. فذلك قوله تعالى : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[5].

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله (ﷺ) إذ مرت بنا امرأة من بنات رسول الله (ﷺ)، فقال بعض القوم، هذه ابنة رسول الله (ﷺ)، فقال أبو سفيان : إنما مثل محمد (ﷺ) في بني هاشم كالريحانة في وسط النتن. فسمعت المرأة فدخلت على رسول الله (ﷺ) فذكرته له، فخرج ولا أراه إلا مغضباً فصعد المنبر وقال : ما بال أقوال تبلغني عن أقوام أن الله تعالى خلق سبع

---

(١) سورة الواقعة آية رقم ٢٧.

(٢) سورة الواقعة آية رقم ٤١.

(٣) سورة الواقعة آية رقم ٨، ٩، ١٠.

(٤) سورة الحجرات آية رقم ١٣.

(٥) سورة الأحزاب آية رقم ٣٣.

سموات فاختار العليا فسكنها، وأسكن سمواته من شاء من خلقه، وخلق سبع أرضين فاختار العليا فأسكنها خلقه، ثم اختار خلقه فاختار بني آدم، ثم اختار بني آدم فاختار العرب، ثم اختار العرب فاختار مضر، ثم اختار مضر فاختار قريشاً، ثم اختار قريشاً فاختار بني هاشم، ثم اختار بني هاشم فاختارني، فلم أزل خياراً من خيار، ألا فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم.

عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال رسول الله (ﷺ) : أتاني جبرئيل (عليه السلام) فقال : يا محمد إن الله بعثني فطفت شرق الأرض وغربها وسهلها وجبلها فلم أجد حياً خيراً من العرب. ثم أمرني فطفت في العرب فلم أجد حياً خيراً من مضر. ثم أمرني فطفت في مضر فلم أجد حياً خيراً من كنانة. ثم أمرني فطفت في كنانة فلم أجد حياً خيراً من قريش. ثم أمرني فطفت في قريش فلم أجد حياً خيراً من بني هاشم. ثم أمرني أن أختار من أنفسهم فلم أجد فيهم نفساً خيراً من نفسك.

إنما ذكر النفس لأن الأخلاق هي في النفس حسنها وسيئها. فهذا يدل على ما قلنا أنه إنما طاف في هذا الخلق يطلب النفوس الطاهرة الصافية الزاكية بمحاسن الأخلاق. فمن أجل ذلك إختارهم فلم ينظر إلى أعمالهم، فإنهم كانوا أهل جاهلية. إنما نظر إلى أخلاقهم فوجد الخير في هؤلاء. وجواهر النفوس متفاوتة بعيدة التفاوت. وذلك أن الله تعالى خلق آدم (عليه السلام) من قبضة.

عن قسامة بن زهير، عن الأشعري (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض. فجاء بنو آدم على قدر الأرض. جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض. ومن ذلك السهل والحزن والخبيث والطيب[1]. فالتربة الطيبة نفوسها سهلة

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير باب ٣ ومن سورة البقرة، ٢٩٥٥ عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الأشعري قال رسول الله ﷺ وذكره. =

كريمة، وليست فيها كزازة ولا يبوسة ولا شعوثة، فهم أحرار كرام، ولدتهم أمهاتهم من رق النفوس وشهواتها. والآخرون كانت الحزونة في تربتهم، فجاءت الكزازة والشعوثة والصعوبة، ولدتهم أمهاتهم عبيداً قد ملكهم رق نفوسهم بشهواتها. وهو قول عيسى (عليه السلام) فيما يعظ به بني إسرائيل فقال : لا عبيد أتقياء ولا أحرار كرماء.

معناه لستم من العبيد الذين يجاهدون أنفسهم ويتقون الله. ولا من الأحرار الذين نجوا من رق النفوس، فساروا إلى الله تعالى سير الكرام بلا تعريج ولا تردد. والبخل والضيق والحدة والعجلة والحقد والحرص وما أشبهه من كزازة النفس. والجود والسماحة والسعة واللين والتؤدة والتأني والرفق من سهولة النفس وطيبها. فنفوس العرب بارزة أخلاقها، لا ينكرها إلا معاند، ولا يجحدها إلا مارد، إنها أخلاق الكرام. فبهذا فضلوا لا باللسان العربي. والله تعالى يحب معالي الأخلاق ويبغض مدانيها.

ومما يحقق ذلك ما روي عن رسول الله (ﷺ) في يوم بدر أنه سمع رجلاً يقول بعد ما انصرفوا من بدر : إنما قتلنا عجائز صلعاً. فأنكر ذلك رسول الله (ﷺ) وقال (ﷺ) : مه أولئك الملأ من قريش لو نظرت إلى فعالهم لاحتقرت فعالك عند فعالهم. لولا أن تطغى قريش لأخبرتها بما لها عند الله تعالى. اللهم إنك أذقت أول قريش نكالاً فأذق آخرها نوالاً[1].

فالعرب بالأخلاق شرفوا. وإلا فالشجرة واحدة، وهو خليل الرحمن

= قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ورواه أبو داود في السنة ١٦ وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٤٠٠، ٤٠٦ (حلبي).

(١) الحديث رواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ١ : ٢٤٢ حدثني أبي أحمد بن محمد بن حنبل بن كنانة ثنا يحيى بن سعيد الأموي، قال الأعمش ثنا عن طارق عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس ــ قال رسول الله ﷺ وذكره. وقد جاء هنا مختصراً.

(عليه السلام). ومما يدلك على ذلك دعوات إبراهيم (عليه السلام) حيث رفع القواعد من البيت وأتم بناءه فقال : ﴿ **ربنا واجعلنا مسلمين لك** ﴾[1]. ثم قال : ﴿ **ومن ذريتنا أمة مسلمة لك** ﴾[2] فإنما سأل من ذرية إسماعيل (عليه السلام) خاصة. ألا يرى أنه قال على أثر ذلك : ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم** ﴾[3]. يعني محمداً (ﷺ).

فالإسلام هو تسليم النفس وبذلها والجود بها. ومن جاد بنفسه على الله تعالى، فلا أحد أحسن خلقاً منه، ولا أكرم منه. فليس الشأن في الجود بالمال. إنما الشأن في الجود بالنفس حتى يسلمه إلى خالقه. فجرت هذه الدعوة في ولد إسماعيل (عليه السلام) خاصة أن صيرهم أمة مسلمة له. فوهب لهم أخلاق الكرام، حتى تكرمت نفوسهم على الله تعالى بذلاً حين جاءهم الرسول (عليه السلام). ومن قبل مجيء الرسول (ﷺ) كانت تلك الأخلاق ظاهرة فيهم. فلما جاءهم الرسول (عليه السلام)، وجدهم مهذبين كراماً، فصاروا صديقين وأبراراً، وأتقياء وحكماء، وعلماء بالله تعالى، باذلين مهجهم وأموالهم لله تعالى، والسيوف على عواتقهم، والحجر على بطونهم من الجوع، وينصرون الله ورسوله.

وبنو إسرائيل قالوا لموسى (عليه السلام) : ﴿ **إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون** ﴾[4] وقيل لأمة محمد (ﷺ) : ﴿ **إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٢٨.

(٢) سورة البقرة آيةرقم ١٢٨.

(٣) سورة البقرة آية رقم ١٢٩.

(٤) سورة المائدة آية رقم ٢٤.

(٥) سورة آل عمران آية رقم ١٧٣.

فصار قولهم هنا كقول أبيهم حيث ألقي في النار : حسبي من سؤالي علمه بحالي. فهل يمكن أن يقول هذا إلا من حسن خلقه فجاد بنفسه على الله تعالى. وإنما قال هذا أصحاب محمد (ﷺ) يوم أحد بعد ما انهزموا وأصابتهم جراحات، وقتل من قتل منهم. وانصرف عسكر المشركين فنزلوا مكاناً وتآمروا فيما بينهم أن يجمعوا جمعاً فيكروا عليهم، ودسوا إلى أصحاب رسول الله (ﷺ) هذا الخبر ليفزعوهم، فانتدب رسول الله (ﷺ) في أصحابه (رضوان الله عليهم أجمعين) وفيهم من الجراحات غير قليلة يمضون الى جمعهم وفيهم مشاة. حتى أن الرجل ليغشى عليه في الطريق من كثرة ما يسيل من الدم من جراحته فيحمله صاحبه، يسيرون بمثل هذه الحالة إلى العدو، ﴿ **وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾[1]. فوجدوا العدو تفرقوا وذهبوا. قال الله تعالى: ﴿ **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله** ﴾[2] ولم يقل : رضاء الله. فان الرضوان أكثر من الرضا. وهو غاية الرضاء.

فنهاية العرب إلى إسماعيل (عليه السلام). والشجرة واحدة، وهو إبراهيم خليل الله (عليه السلام). ولسانه عبراني. وأنهما غصنان لهذه الشجرة إسماعيل واسحاق (عليهما السلام). فاسماعيل عربي اللسان. وإسحاق عبراني اللسان. فاسماعيل أب العرب. واسحاق أب العبرانيين وهم بنو إسرائيل نسبوا إلى يعقوب (عليه السلام) إسرائيل الله تعالى ابن إسحاق بن إبراهيم. ولكل واحد من الغصنين حظ من الله تعالى ونصيب وفضيلة وكرامة وموهبة، فصارت وراثة في أولادهما إلى الأبد. فظهر في ولد إسحاق من تلك الموهبة والكرامة الجهد والعبادة. وظهر في ولد

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٧٣.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٧٤.

إسماعيل حسن الخلق. والسماحة والشجاعة والموهبة إنما تكون على قدر الحظ والجاه له عنده على قدر ذلك. فنظرنا إلى موهبة كل واحد منهما، ومن أي خزانة أُعطي لنستدل به على حظيهما منه. فوجدنا الجهد والعبادة من خزائن الحكمة. والأخلاق من خزائن المنة. فنظرنا إلى الحكمة والمنة من أين بدت كل واحدة منهما. فوجدنا الحكمة من العدل بدت. والعدل من الربوبية. والربوبية من الملك والقدرة. ووجدنا المنة أنها بدت من العطف. والعطف من الفضل. والفضل من الجمال. فمن الملك بدا الغضب فأسعرت فاستجرت النار واسودت من الغضب. فهي سوداء مظلمة، مشحونة بغضبه. ومن جماله بدت الرحمة، وظهر الفضل والعطف، حتى اهتزت الجنان وتوردت واستنارت بنوره. فهي بيضاء نورانية مشحونه برحمته وروحه. وإنما هي نظرة وجفوة. فأهل الثواب سعدوا منه بنظرة واحدة. وأهل العقاب شقوا منه بجفوة واحدة. ففهمنا بمبلغ ما علمنا من ظاهر ما عليهما وعلى أولادهما من بعدهما ما بطن من حظيهما وموهبتيهما. وإنما كثر ولد إسحق، وظهروا في وقت موسى (عليه السلام) حيث أنقذهم من ملكة فرعون وسخرته، وجاء بالكتب من الله تعالى وظهرت العبودة لله تعالى إلى وقت عيسى (عليه السلام). ثم صارت فترة فظهرت منازلهم ودرجاتهم وجواهر نفوسهم بما عاملهم الله تعالى وما عاملوه. وكثر ولد إسماعيل، وظهر شأنهم بمبعث محمد (ﷺ)، وظهرت سيرتهم في دينهم، وما عاملهم الله تعالى وما عاملوه. فتبين لنا بفعليهما شأن نفوسهم ومحلهم من الله تعالى وحظوظهم.

عن مكحول (رضي الله عنه) قال : لما كثر بنو معد أغار منهم أربعون فارساً على عسكر بني إسرائيل فيهم موسى وهارون (عليهما السلام) فملئوا أيديهم من الغنيمة ورجعوا بغنيمتهم لم يستنقذ مما في أيديهم شيء. فقالوا لموسى (عليه السلام) : أغار علينا بنو معد وهم قليل، فكيف لو كانوا كثيراً وأنتم فينا، فكيف لو لم تكونوا فينا، فادع الله

عليهم. وكانت الأنبياء (عليهم السلام) تفزع إلى الصلاة فصلى فقال : اللهم إن بني معد أغاروا على قومي ففعلوا وفعلوا وإن قومي أمروني أن أدعو عليهم. فقيل له : لا تدع عليهم فانهم عبادي. وانهم ينتهون إلى أداء أمري، وإني أغفر لهم أول ما يستغفروني. قال : يا رب اجعلهم من أمتي. قال : نبيهم منهم. قال : يا رب فاجعلني منهم. قال : استقدمت واستأخروا.

وجاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال في حديث المعراج : فلما جاوزت موسى (عليه السلام) في السماء السادسة، بكى موسى وقال : يزعم بنو إسرائيل أني أكرم ولد آدم على الله تعالى، وهذا عبد أكرم على الله مني، ولو كان وحده هان، ولكن الله تعالى قضى أن مع كل نبي تبعه من أمته. ثم انطلق بي إلى السماء السابعة، فإذا إبراهيم (عليه السلام) ملزق ظهره بالبيت المعمور ومعه تبعه من أمته. فقال لي جبرئيل : هذه منزلتك ومنزلة أمتك. وهذا أبوك إبراهيم (عليه السلام). فقال تعالى : ﴿ **إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا معه والله ولي المؤمنين** ﴾[1].

فألحق هذه الأمة بابراهيم (عليه السلام) وضمهم في الولاية جميعاً، ولم يدخل فيه بنو إسرائيل وهم ولد إبراهيم أيضاً. فبين في هذا الحديث منزلتيهما ودرجتيهما. وانما أرى في السماء الأنبياء (عليهم السلام) وأتباعهم على درجاتهم. وإبراهيم (عليه السلام) المقدم عليهم. ووصف الله تعالى في تنزيله الكريم شأن الأمتين. فوجدنا شأن بني إسرائيل يجري على سبيل العدل وأساس الربوبية، وشأن هذه الأمة يجري على سبيل الفضل والألوهية. فظهرت في بني إسرائيل السياحة والرهبانية، وعليهم في شريعتهم الأغلال والآصاد.

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٦٨.

وظهرت في هذه الأمة السماحة والصديقية والشجاعة والولاية. وسيوف الله تعالى في أيديهم يقتلون اباق عبيده، ويردونهم لله تعالى للرق والعبودة وفك عنهم الأغلال، ووضع عنهم الآصاد. فصاروا في حد الأمناء، وجعلت شريعتهم أسمح الشرائع وأوسعها. فهم في عبودتهم في صورة الخدم. وبنو إسرائيل في عبودتهم في صورة عبيد الغلة. ألا ترى أنه لما خاطبهم تعالى قال : ﴿ **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون** ﴾.[1] كما يقول الرجل لعبده : أوف لي بهذه الغلة عند كل هلال أوف لك بالعتق في سنة كذا.

ثم قال لهذه الأمة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ...** ﴾[2] فدعاهم بالكنية. كنية باطنها منة، وظاهرها مدحة مَنَّ عليهم في الباطن بالايمان، ثم نسب ذلك إلى فعلهم فقال : آمنوا. فمدحهم بذلك. فبتلك الكنية دعاهم، ودعا أولئك فنسبهم إلى أبيهم فقال : ﴿ **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم علي العالمين** ﴾[3]. أي عالمي زمانكم. ولكل زمان عالم.

وقال لهذه الأمة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم ...** ﴾ الآية. ثم قال : ﴿ **وجاهدوا في الله حق جهاده ...** ﴾[4] ثم قال : ﴿ **هو اجتباكم ...** ﴾ أي هو اختاركم، ثم قال : ﴿ **وما جعل عليكم في الدين من حرج ...** ﴾ أي من ضيق. ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم** ﴾ ثم قال : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ...** ﴾[5] أي من

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٤٠.
(٢) سورة المائدة آية رقم ١.
(٣) سورة البقرة آية رقم ٤٧.
(٤) سورة الحج آية رقم ٧٧ ــ ٧٨.
(٥) سورة الحج آية رقم ٧٨.

قبل أن يخلقكم في اللوح المحفوظ سماكم هكذا. ﴿ **وتكونوا شهداء على الناس** ﴾[1]. فهم شهداء الله تعالى للأنبياء (عليهم السلام) على الأمم يوم القيامة. ﴿ **ليكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾[2]. ﴿ **واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير** ﴾[3].

فانظر إلى مخاطبة بني إسرائيل في أي صورة هي. وانظر إلى مخاطبة هذه الأمة في أي صورة هي. يتبين لك أنهم في صورة عبيد الغلة، وهذه الأمة في صورة عبيد الخدمة. وعبيد الخدمة أولى بالسيد من عبيد الغلة.

فساحت بنو إسرائيل بأبدانهم إلى الجبال في مفاوز الدنيا عزلة بالأبدان من الخلق؛ كي يصدقوا الله تعالى في طلب ما عهد لهم، ويوفوا بعهد الله عليهم.

وساحت أمة محمد (ﷺ) بقلوبهم في مفاوز الملكوت إلى خالق العرش عزلة بالقلوب عن همم النفوس؛ كي يصدقوا الله في طلبه والوصول إليه.

فإن الله تعالى دعا الخلق إليه فقال : ﴿ **استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ...** ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ...** ﴾[5].

وقال الله تعالى فيما حكى عنه النبي (ﷺ) : « إليَّ إليَّ يأهل الموت

---

(١) سورة الحج آية رقم ٧٨.
(٢) سورة الحج آية رقم ٧٨.
(٣) سورة الحج آية رقم ٧٨.
(٤) سورة الشورى آية رقم ٤٧.
(٥) سورة الأنفال آية رقم ٢٤.

الموت والفناء، لا إلى غيري، فإني قد قضيت بالرحمة على نفسي، وأوجبت المغفرة لمن استغفرني، فأنا العفو أعفو عن صغير الذنوب وكبيرها ولا أبالي ».

فلما أبطأت النفوس في الإجابة قال : ﴿ **والله يدعو إلى دار السلام** ﴾[1].

فأهل الالتفات إلى الثواب والعقاب في الحياء من الفرق الى القدم بين يديه غداً؛ لأن نفوسهم لم تسمح بالعبودة لربها إلا باسترواح إلى الثواب، وهرب من العذاب. فهذه عبودة برشوة وعربون، وليست عبودة الأنبياء ولا الصديقين ولا الأولياء (عليهم السلام). فجعل حظوظ بني إسرائيل على قلوبهم في دار الدنيا حقوقه وعهده، وفي الآخرة جنانه ثواباً لرعاية حقوقه والوفاء بعهده. وحظوظ هذه الأمة على قلوبهم في دار الدنيا جلاله وعظمته وسلطانه ومعرفة آلائه وفضله ورحمته. وفي الآخرة قربه ورفع الحجاب فيما بينه وبينهم. وقدمهم في الدنيا خروجاً، وأخرنا وقدمنا في الجنة دخولاً وأخرهم.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « الجنة محرمة على الأنبياء حتى أدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتي »[2].

فبهذه الأمة فتح العبودة يوم الميثاق، وبهذه الأمة يختم العبودة يوم تصرم الدنيا، وبهذه الأمة يفتح باب الرحمة فيدخلون داره.

ثم ظهرت من معاملة بني إسرائيل ربهم، ومن معاملة هذه الأمة ربها ما دلت على نفوسهم وأخلاقهم ومحلّهم من المكارم التي أُعطيتا والمواهب. فكانت مكرمة إسماعيل (عليه السلام) بيت الله الذي خلقه قبل

---

(١) سورة يونس آية رقم ٢٥.

(٢) لم نعثر على هذا الحديث ولعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر

السموات والأرض، فكانت زبدة بيضاء، إذ عرشه على الماء مبوَّء الذكر هناك، وخلق ملكين يسبحانه ويقدسانه على الزبدة فأبيضت. فهناك مظهره ومعلمه ومبوء ذكره وموضع تقديسه، ولا سماء ولا أرض ولا خلق، فولاه الله تعالى رفع قواعد بيته مع أبيه دون إسحاق (عليهم السلام)، وجعل حجابته بيد ولده فهم يحجبون ويأتون وانبط زمزم سقيا له ولولده من بعده ولجميع من أم البيت معظماً وساق إليه عيناً من عيون الجنة ففتح فيه ينبوعاً وجعله مهبط رحمته في كل يوم. ومنه تنتشر على أهل الدنيا، فيختص منها أهلها بمائة رحمة وعشرين لأهل الدنيا.

ومكرمة إسحاق (عليه السلام) الصخرة التي إليها يجمع الخلق ويحاسبهم، وهي صخرة من الجنة عليها الأرضون السبعة وهي رأس تلك الصخرة. وأما المعاملة فإنه لما جاءت المحنتان من الله تعالى لهما في وقتيهما، برز ما في نفوسهم، وبرز ما لهم من الحظ في الغيب عنده بالمحنة. فإن السيد إذا كان له عبيد فإنما يتبين له حظوظ العبيد منه بمعاملته إياهم ويتبين جواهر نفوسهم بمعاملتهم إياه.

وإنما كثر ولد إسحاق (عليه السلام) في زمن يوسف (عليه السلام) بمصر بعد ما حاز الله تعالى ليوسف (عليه السلام) مدائن مصر، وأسكنه إياها، وجعل بيده خزائنها، ودخلها إسرائيل وهو يعقوب (عليه السلام) في ستة وسبعين نفساً من ولده وولد ولده ونسلهم. فأنمى الله تعالى عددهم وبارك في ذريته، حتى خرجوا إلى البحر يوم غرق فرعون وهم ستمائة الف من المقاتلة سوى الشيوخ والذرية والنساء. وجاوز عددهم ألف ألف. فقال الله تعالى فيما يحكى عنهم : ﴿ **ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً** ﴾[1].

---

(١) سورة غافر آية رقم ٣٤.

فهذا قولهم بعد أن صيرهم ملوك مصر وأربابهم فغير الله تعالى ما بهم، فصاروا سخرة لآل فرعون يخدمونهم خدمة العبيد والإماء. ومن عجز عن الخدمة لسنه، وضع عليه الغلة فاستودى مساء كل يوم. فإن أعطى، وإلا غلت يمينه. ويقتلون أبناءهم مخافة رؤيا فرعون أنه يولد منهم مولود يكون هلاك ملكه على يديه. فبعث الله (عز وجل) موسى (عليه السلام) ورحمهم به فقال في تنزيله الكريم : ﴿ **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ...** ﴾[1] الآية.

فجعل فيهم الأنبياء، وبث فيهم الكتب، وجعلهم أهل عبادة وجهد وميثاق وعهد. وأنقذ الله بني إسرائيل من ملكة فرعون وعذابه وسخرته بمبعث موسى (عليه السلام). وغرق فرعون، وجعل لهم في البحر طريقاً يبساً. فلما جاوزوه قالوا : يا موسى إن قلوبنا لا تطمئن ان فرعون غرق حتى أمر الله تعالى البحر فلفظه، فنظروا إليه. فلمّا اطمأنوا وصاروا من طريق البر إلى مدائن فرعون حتى نقلوا كنوزه وغرقوا في النعمة، رأوا قوماً يعكفون على أصنام لهم، فقالوا : يا موسى : إجعل لنا إلها كما لهم آلهة. حتى زجرهم موسى (عليه السلام) وقال : ﴿ **أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين** ﴾[2] أي عالمي زمانهم.

ثم أمرهم أن يسيروا إلى الأرض المقدسة التي كانت مساكن آبائهم ويتطهروا من أرض فرعون. وكانت الأرض المقدسة في أيدي الجبابرة قد غلبوا عليها. فقالوا له : أتريد أن تجعلنا لحمة للجبارين لو تركتنا في يدي فرعون كان خيراً لنا. قال : ﴿ **يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة ...** ﴾[3] الآية. ﴿ **قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا**

---

(١) سورة القصص آية رقم ٥.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٤٠.

(٣) سورة المائدة آية رقم ٢١.

فيها فاذهب أنت وربك ... ﴾[1] الآية. حتى دعا عليهم وسماهم فاسقين. فبقوا في التيه أربعين سنة عقوبة.

ثم رحمهم فمن عليهم بالمن والسلوى، وبالغمام يظللهم، وبالحجر ينفجر منه اثنتي عشرة عيناً، إذا ضربه بعصاه. فقالوا : لو أن موسى انكسر عصاه لمتنا عطشاً. فأوحى الله تعالى إلى موسى (عليه السلام) إذا كان وقت الماء فكلم الحجر ولا تضربه بالعصى حتى ينفجر منه الماء من العيون بكلمتك. ثم سار موسى (عليه السلام) إلى طور سيناء ليجيئهم بالتوراة فاتخذوا العجل. فقال لهم السامري : هذا إلهكم واله موسى فاطمأنوا إلى قوله. ونهاهم هارون (عليه السلام) فقال : ﴿ **يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري * قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ... ﴾**[2].

فلم يتبع هارون ولم يطعه في ترك العجل إلا إثني عشر ألفاً فيما روي في الخبر. وتهافت في عبادته سائرهم وهم أكثر من ألفَي ألف. فلما رجع موسى ألقى الألواح، فرفع من التوراة ستة أجزاء وبقي جزء واحد وهو الحلال والحرام وما يحتاجون إليه وأحرق العجل وذراه في البحر فشربوا من مائه حباً للعجل، فظهرت على شفاههم صفرة وورمت بطونهم فتابوا فلم تقبل توبتهم دون أن يقتلوا أنفسهم. فذلك قوله تعالى : ﴿ **فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾**[3].

فقاموا بالخناجر والسيوف بعضهم على بعض من لدن طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى لا يسأل والد عن ولد، ولا ولد عن والد، ولا أخ عن أخيه. كل من استقبله ضربه بسيفه وضربه الآخر بمثله حتى عج موسى

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٢٤ وقد جاءت هذه الآية محرفة حيث قال « قالوا لن تدخلها ».

(٢) سورة طه آية رقم ٩٠، ٩١.

(٣) سورة البقرة آية رقم ٥٤.

(عليه السلام) إلى الله تعالى صارخاً : يا رباه قد فنيت بنو إسرائيل. فرحمهم الله تعالى. فقبل توبة من بقي، وجعل من قتل في الشهداء.

ثم قالوا : ﴿ **يا موسى أرنا الله جهرة** ﴾. فجاءت صاعقة فأحرقت من جمعهم أربعين ألفاً فيما جاء في الخبر. ثم عرض عليه ما في التوراة ليقبلوها فأبوا وقالوا : لا نطيق هذا. فنتق الله عليهم الجبل، ونودوا منها : ﴿ **خذوا ما آتيناكم بقوة** ﴾[1] وإلا رميناكم بالجبل، فسجدوا على حروف وجوههم ينظرون إلى الجبل ويقولون : قبلنا قبلنا. ثم قيل لهم : قد وصلتم الى بيت المقدس ﴿ **وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة...** ﴾[2] أي حط عنا بمنزلة قوله: استغفر الله.

جاء في الخبر أنهم أمروا أن يدخلوا الباب سجداً على ركبهم. فعلم الله تعالى منهم ضيق أخلاقهم وأنهم لن يدخلوها سجداً. فلما صاروا الى الباب طوطئ لهم الباب حتى لم يمكنهم أن يدخلوها قياماً، فكزت نفوسهم والتوت وانكشف سوء أخلاقهم فاستلقوا على ظهورهم زحفاً على الإستاه وهم يقولون : حنطة حنطة هطى سمقائا، سخريةً واستخفافاً بما أعطوا. قال الله تعالى : ﴿ **فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم ...** ﴾[3] الآية.

وكان موسى (عليه السلام) شديد الحياء ستيراً فقالوا : انه آدر. فلما اغتسل، وضع على الحجر ثوبه، فعدى الحجر بثوبه الى مجالس بني اسرائيل وموسى على أثره عريان، وهو يقول : يا حجر ثوبي. فذلك قوله

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٦٣.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٥٨ وقد جاءت محرفة في المطبوعة حيث قال: فادخلوا بدلاً من (وادخلوا).

(٣) سورة البقرة آية رقم ٥٩.

تعالى : ﴿ **ولا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ...** ﴾[1].

ثم لما مات هارون قالوا له : أنت قتلت هارون وحسدته حتى نزلت الملائكة بسريره وهارون ميت عليه، ثم سألوه أن يكون ما نقدم من أموالنا نعلم تقبلها، فجعلت نار تجيء من السماء فتقبل قربانهم.

ثم سألوه أن يبين لنا كفارات ذنوبنا في الدنيا. فكان من أذنب ذنباً أصبح وعلى بابه مكتوب : عملت كذا وكفارته قطع عضو من أعضائك يسميه له. ومن أصابه بول، لم يطهر حتى يقرضه ويزيل جلدته من بدنه.

ثم بدلوا التوراة من بعده، وافتروا على الله وكتبوا بأيديهم ليشتروا به من الدنيا عرضاً. ثم صار أمرهم إلى أن قتلوا أنبيائهم (عليهم السلام). فهذه معاملتهم مع الله تعالى وسيرتهم في دينهم قد انكشف لنا عن جواهرهم وأخلاقهم وحظوظهم عن ربهم بما أنزل الله علينا من أخبارهم، ولمن كان له فهم.

وأما ولد إسماعيل (عليه السلام) فجعل فيهم السخاء هم أولو الأخلاق السنية والمكارم، ومنحهم من خزائنه تلك الأخلاق الطاهرة التي عيش أهلها عيش أهل الجنان. فإن صاحب الأخلاق قلبه في راحة، لأن نفسه طيبة كريمة، وصاحب الضيق قلبه معذب لأن نفسه شكسة كزة يابسة فقيرة. هذا من قبل أن تأتيهم الهداية. فلما جاءتهم الهداية من الله تعالى ورد على قلوب بني إسرائيل نور التوحيد وروحه. وتركوا مع مجاهدة نفس كزة يابسة ضيقة، وورد على قلوب هذه الأمة نور التوحيد وروحه، ونور اليقين وروحه. فقلوب بني إسرائيل مؤيدة بالتوحيد، معذبة بكزازة النفس وضيقها. وقلوب هذه الأمة مؤيدة بالتوحيد مستريحة بنور

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٦٩.

اليقين. وهو قوله تعالى : ﴿ **قل إن هدى الله هو الهدى** ﴾[1]. ﴿ **قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم** ﴾[2]. ﴿ **قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء** ﴾[3]. ﴿ **وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾[4]. ﴿ **يختص برحمته من يشاء** ﴾[5].

وقال رسول الله (ﷺ) : « ما أعطيت أمة من اليقين مثل ما أعطيت أمتي. ومثل من أُعطي اليقين ومن حرم ذلك كمثل شجرة لها غصنان والسقيا واحد. فلما جرى الماء إلى أحد الغصنين تحول طيباً بإذن الله تعالى، وجرى في الغصن الآخر فتحول ثماراً. فمن الثمار حلو وحامض ومدخول وعفن ومر. فمنه ما ينتفع به، ومنه ما ينفى فيرمى به. والطيب يطيب به كل شيء من المأكول والمشروب والملبوس والمركوب والمنكوح »[6].

فهذه الأمة نفوسها طيبة أيدت بروح اليقين فخرجت الأعمال طيبة فيها الهناءة والمراءة. يهنأ بها الحق ويستمرئ بها.

فولد إسماعيل (عليه السلام) لم يزالوا مذكورين بالسماحة والأخلاق السنية، يطعمون الطعام ويفكون العاني، ويكفلون الأيتام ويرعون الذمام، وهم في شركهم، ولم يسلط عليهم أحد فيسبيهم ويستسخرهم، ولا صاروا ملكاً لأحد من الفراعنة، حتى أكرمهم الله تعالى ببعث محمد (ﷺ)، وصاغ محمداً (ﷺ) صياغة برز على الأنبياء والرسل فصار

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٢٠.
(٢) سورة آل عمران آية رقم ٧٣.
(٣) سورة آل عمران آية رقم ٧٣.
(٤) سورة الفتح آية رقم ٢٦.
(٥) سورة البقرة آية رقم ١٠٥ وسورة آل عمران آية رقم ٧٤.
(٦) سبق تخريج هذا الحديث.

سيداً لجميع ولد آدم (عليه السلام)، وأنزل عليه كتاباً مهيمناً على الكتب، أجمل فيه التوارة والإنجيل، واختصر له الكلم، وزاده المفصل وفاتحة الكتاب وآية الكرسي وخاتمة سورة البقرة من كنزه الذي ادخره لهذه الأمة. ووصفهم في التوراة بمحاسنهم لبني إسرائيل من قبل أن يخلقهم بآلاف من السنين، ولعيسى (عليه السلام) ولقومه في الإنجيل. حتى روي في الحديث أن أمة محمد (ﷺ) يسمون في التوراة صفوة الرحمن، وفي الإنجيل حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء.

وقال (عز وجل) في القرآن الكريم : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** ... ﴾[1] الآية. تصديقاً لما في التوراة صفوة الرحمن، وقال : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾[2] وقال (عز وجل) : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً** ... ﴾[3] أي عدلاً. ﴿ ... **لتكونوا شهداء على الناس** ... ﴾[4].

أي شهداء للرسل بالبلاغ عندما تجحد الأمم تبليغ الرسل (عليهم السلام) رسالات الله تعالى، فتشهد هذه الأمة لنوح (عليه السلام) فمن دونه رسولاً رسولاً أنهم أدوا الرسالة، فيحكم الله تعالى بشهادتهم على سائر الأمم، ويتخلص الرسل (عليهم السلام) من أمانة الرسالة، وذلك بعد ما يعدلهم محمد (ﷺ)، فذلك قوله تعالى : ﴿ **لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾[5].

فتكون شهادة أمة محمد (ﷺ) يومئذ مقبولة على جميع الأمم

---

(١) سورة فاطر آية رقم ٣٢.
(٢) سورة آل عمران آية رقم ١١٠.
(٣) (٤) سورة البقرة آية رقم ١٤٣.
(٥) سورة البقرة آية رقم ١٤٣.

لجميع الأنبياء (عليهم السلام). ثم أعطاهم سيفه ليقتلوا به أعداءه، ولا يقتل أعداءه إلا أولياؤه. ثم قال : ﴿ **والله ولي المؤمنين** ﴾[1].

فهم أولياء الله، والله تعالى وليهم. وهم أهل حميته وأنصاره، فدعوا إلى الحرب فوضعوا السيوف على عواتقهم، وربطوا الحجر على بطونهم من الجوع، والخرق على ظهورهم من العري، وقد هجروا أوطانهم ومقرهم، وحرم الله تعالى عداوة في الله لأهل الشرك، وخرجوا من ديارهم وأموالهم، ونابذوا أرحامهم في الله حتى كان الرجل يقتل أباه وأخاه. فكان أبو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) ممن قتل أباه، فأنزل الله تعالى : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم** ﴾[2].

ثم أثنى عليهم فقال : ﴿ **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** ... ﴾[3] الآية.

وقالوا عندما استشارهم رسول الله (ﷺ) في شيء من أمر الحرب : مرنا بما شئت وسر بنا حيث شئت، فلو سرت بنا الى برك الغماد لسرنا ــ موضع بعيد ذكروه ــ فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل : ﴿ **فاذهب أنت وربك فقاتلا** ... ﴾[4] الآية.

وافتتح خيبر وغنم الغنائم فقسم في المهاجرين ولم يقسم في الأنصار لأنهم في أموالهم، والمهاجرون خلفوا أموالهم بمكة وكانوا فقراء،

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٦٨.

(٢) سورة المجادلة آية رقم ٢٢.

(٣) سورة المجادلة آية رقم ٢٢.

(٤) سورة المائدة آية رقم ٢٤ وقد جاءت محرفة في المطبوعة حيث قال « إذهب » بدلاً من « فاذهب ».

فسمحت الأنصار بذلك، وكانوا حين قدموا المدينة ناصفوهم الأموال، وواسوهم بالكثير، حتى كان الرجل يطلق إحدى امرأتيه ليتزوجها أخوه المهاجر.

هذا كله لحب الله تعالى، وحب طاعته، وحب رسول الله (ﷺ). فأنظر أي قلوب هذه، وأي شيء في هذه القلوب من منن الله تعالى من خزائن فضله. وانظر أي نفوس هذه شيمها. وأنظر أي أخلاق لهذه النفوس. اللهم إنا نتقرب إليك بحبهم فإنهم أحبوك. ولم يحبوك حتى أحببتهم. فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك، ونحن لم نصل إلى حبهم فيك إلا بحظنا منك. فتمم لنا ذلك حتى نلقاك به يا أرحم الراحمين. وأثنى الله تعالى على الأنصار (رضوان الله عليهم أجمعين) ومدح سرائرهم فقال (عز وجل) : ﴿ **يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ...** ﴾[1]

أي لا يجدون ضيقاً ولا بخلاً ولا نفاسة فيما أوتي المهاجرون من غنيمة خيبر ولم يؤت الأنصار، ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾[2].

يخبر أنه كان بالأنصار فقر وحاجة إلى تلك الغنائم فآثروا المهاجرين على أنفسهم. ثم أخبر أن هذا من منة الله تعالى على الأنصار أن أمات منهم الحرص وهو الشح، فقال عز من قائل : ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾[3].

وإنما أمات منهم الحرص بما أعطاهم من اليقين. وما يصنع من احتشى قلبه بنور الله تعالى ويرى قربة الله منه بظلمات الدنيا وحطامها ولهوها ! وسار بهم رسول الله (ﷺ) إلى فتح مكة، وهو وطنهم وأرضهم

---

(١) (٢) (٣) سورة الحشر آية رقم ٩.

المقدسة، كما سار بها موسى (عليه السلام). فما تلكأ منهم شاب ولا شيخ حتى فتح الله عليهم من غير أن يمسهم سوء. ثم قبض رسول الله (ﷺ) فابتعث الله تعالى لهذا الدين أئمة صديقين خلفاء الأنبياء (عليهم السلام)، وأوتاد الحق، يقومون بالحق وبه يعدلون. فتفاوت الأمران والشأنان، شأن بني إسرائيل، وشأن هذه الأمة.

عن سالم بن عبدالله بن عمر (رضي الله عنه) قال : بينما رجلان جالسان إذ قال أحدهما : لقد رأيت البارحة كل نبي في الأرض. وقال الآخر : هات. قال : رأيت كل نبي معه أربعة مصابيح، مصباح من بين يديه ومصباح من خلفه، ومصباح عن يمينه ومصباح عن يساره، ومع كل صاحب له مصباح. ثم رأيت رجلاً قام أضاءت له الأرض. وكل شعرة في رأسه مصباح. ومع كل صاحب له أربعة مصابيح، مصباح من بين يديه، ومصباح من خلفه، ومصباح عن يمينه، ومصباح عن يساره. فقلت : من هذا ؟ قالوا : محمد بن عبدالله.

قال كعب (رضي الله عنه) ما هذا الحديث الذي تحدث به ؟ قال : رؤيا رأيتها البارحة. قال : والذي بعث محمداً بالحق انها في كتاب الله كما رأيت.

فبرز ولد إسماعيل (عليه السلام) وهم العرب بما منحهم الله تعالى من أخلاقه.

وجاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « ان لله مائة وسبعة عشر خلقاً من أتى بواحدة منها دخل الجنة »[1].

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير وابن ابي حاتم والبزار وقال السيوطي في الدر المنثور ضعيف

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « الأخلاق في الخزائن فاذا أراد الله بعبد خيراً منحه خلقاً »[1]

ألا يرى أن الرجل المفرط في دينه المضيع لحقوقه يموت وقد كان صاحب خلق من هذه الأخلاق، فتنطلق أَلْسِنَةُ العامة بالثناء عليه. والمؤمنون شهداء الله في الأرض. كذلك روي عن رسول الله (ﷺ).

عن أنس (رضي الله عنه) قال : مات رجل على عهد رسول الله (ﷺ) فأُثني عليه خير. فقال رسول الله (ﷺ) : وجبت. ثم مات آخر. فأُثني عليه شر. فقال رسول الله (ﷺ) : وجبت. فقيل له يا رسول الله : قلت لذلك وجبت وقلت لهذا وجبت. قال : « إنكم شهداء الله في الأرض ». ثم تلا رسول الله (ﷺ) : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾[2].

إذا مات صاحب التخليط، انطلق ألسنة المؤمنين بالثناء عليه فيقال : كان سخي النفس. فيقبل الله شهادتهم عليهم ويدخله الجنة بسخاوته. ويموت أحدهم فيقال : كان ليناً. ويقال : كان رحيماً. ويقال : كان حسن الخلق. ويقال : كان حليماً. ويقال : كان رزيناً، وكان عطوفاً أو براً أو متوداً، وكان مواتياً منبسطاً، كان سهلاً كريماً، كان عفواً حمولاً، كان عفيفاً، كان شكوراً، كان شجاعاً صارماً.

فهذه أخلاق الله تعالى أكثرها مما تسمى به. والذي لم يتسم به فهو داخل فيما تسمى به؛ لأن اللين والرزانة من الحلم، والرحمة والعفاف من النزاهة والطهارة.

فمن منحه الله تعالى واحدة من هذه الأخلاق يعطيه نور ذلك الآسم

---

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير وأشار الى رواية الحكيم الترمذي له.

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٤٣.

الذي تسمى به ربنا (عز وجل) فيشرق نوره على قلبه وفي صدره. فيصير لنفسه بذلك الخلق بصيرة فيعتادها ويتخلق بها. فحقيق عليه إذا أكرمه بذلك أن يهب لها مساويه ويستره بمغفرته ويدخله الجنة. فإنه ما أعطاه ذلك حتى أوجب له ذلك في غيبه.

يحقق ذلك ما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « بينما رجل لم يعمل خيراً قط فرفع غصن شوكة من الطريق وقال : لعل ماراً يمر به فيؤذيه. فغفر الله له »[1] وإنما غفر له بالرحمة التي في قلبه وبالعطف الذي عطف على خلقه.

وجاء عنه (ﷺ) أنه قال : « بينما رجل حوسب فلم توجد له حسنة. فقال الله تعالى : اذكر شيئاً كنت تفعله في الدنيا. قال العبد : لا أذكر شيئاً إلا أني كنت أسامح الناس وآمر غلماني أن يسامحوهم في اقتضاء مالي منهم. فيقول الله تعالى : فأنا أحق اليوم أن أسامحك.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أن الله تعالى يحب كل عبد طلق سهل لين هين وحرمه على النار.

وقال رسول الله ﷺ: الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء[2].

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٢١ ثنا عبد الصمد ثنا عبد الرحمن يعني ابن عبدالله بن دينار قال: سمعت أبي يذكر عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: وذكره.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ١٦ ما جاء في رحمة المسلمين ١٩٢٤ عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ وذكره وفيه زيادة [الرحم شُجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله] وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

وقال : الجنة دار الأسخياء. وما جبل الله قط ولياً له إلا على السخاء، ولجاهل سخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل.

وقال (ﷺ) : « حسن الخلق ذهب بخير الدارين ويدرك به الرجل درجة الصائم القائم ».[1]

فهذه أخلاق العرب منحها الله تعالى إياهم، وطهرهم بالتوحيد، وطيبهم باليقين، فعبدوا الله كأنهم يرونه، فشرع الله تعالى لهم أوسع الشرائع وأسمحها، وستر عليهم ذنوبهم، وجعل خروجهم منها بالندم والاستغفار. وقال لبني إسرائيل : عاقبوا أبدانكم بذنوبكم، فاقطعوا منها كذا، وتجدونه مكتوباً على أبوابكم. وقال لنا : توبوا إلى الله. أي ارجعوا إليَّ بقلوبكم فيما بيني وبينكم. وقال لهم : قولوا حطة. أي حط عنا. وقال لنا : قولوا : اغفر لنا.

فجوهر هذا الكلام غير ذلك. وإنما صار هذا هكذا؛ لأن كلام كل قوم عند ربهم على ما هم عليه. فبنو إسرائيل لم يكن عندهم من اليقين ما عند هذه الأمة. فلما أذنبوا قيل لهم : قولوا حطة. وهذه الأمة بفضل يقينها استحيت من الله تعالى من الذنب الذي يعمله. وكأنه رأى نفسه خارجاً من ستر الله، عرياناً. فأعطى الكلمة التي تكون دواء لما حل به. فقيل له : قل : إغفر. فمن استحيا من ذنبه ورأى نفسه عارياً بين يدي الله تعالى، قيل له : قل : اغفر. ومن عجز عن رؤية هذا، قيل له : قل : حطة. وصارت صدقاتهم عوداً بها على فقرائهم، فطابت نفوسهم بما رأوا على فقرائهم من فضلهم، وسكنت قلوبهم على الصدقات أنها تصير إلى الله

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ٦٢ ما جاء في حسن الخلق ٢٠٠٣ ــ عن مطرف عن عطاء عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ وذكره وليس فيه [ذهب بخير الدارين] ورواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٦ : ٤٤٢، ٤٤٦ (حلبي).

تعالى قال الله تعالى: ﴿ **إن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات...** ﴾[1].

وقال (عليه السلام) : « إن الصدقة لتقع في يد الله من قبل أن يأخذها السائل » .

فرزقهم الله تعالى من اليقين ما اذا قبل لهم الشيء، سكنت قلوبهم. فكان أحدهم يمشي بصدقته إلى السائل لا يكلها إلى غيره، ويقبلها من قبل أن يضعها في يده ليقينهم بمن يأخذها منهم.

وقيل : إن قلوب هذه الأمة تأوي إلى ذكر الله كما تحن الحمامة الى وكرها، ولهي أسرع إلى الذكر من ظمأ الإبل يوم وردها الى الماء. وأمرت بنو إسرائيل أن يضعوا في أرديتهم خيوطاً خضراً؛ كي إذا نظروا إليها، ذكروا السماء. فاذا ذكروا السماء، ذكروا العرش فيذكرون الله تعالى. ويوم الوفادة حيث اختار موسى (عليه السلام) سبعين رجلاً لميقات الله تعالى. فلما صاروا إلى الجبل، أعطاهم الله تعالى ثلاث خصال فيما روي في الخبر. فقال : أعطيكم الحفظ لتقرؤها عن قلوبكم. فقالوا : إنا نحب أن نقرأ التوراة نظراً. فقال : ذلك لأمة أحمد (ﷺ). قال : وأعطيكم السكينة في قلوبكم. فقالوا : لا نقدر على حملها، فاجعلها لنا في تابوت، فكلمنا منها إذا احتجنا. قال : فذلك لأمة أحمد. قال : وأعطيكم أن تصلوا من الأرض حيث أدركتم. قالوا : لا نحب أن يكون ذلك إلا في كنائسنا. قال : فذلك لأمة أحمد. فكان نوف البكائي إذا حدث بهذا الحديث، قال : احمدوا ربكم الذي شهد غيبتكم، وأخذ

---

(١) هناك أحاديث كثيرة في الصحاح وفي السنن تؤيد هذا الأثر ومنه ما رواه الامام مسلم في كتاب الزكاة ١٨ باب الترغيب في الصدقة ٥٨، ٥٩. والآية سورة التوبة آية رقم ١٠٤.

بحظكم، وجعل وفادة بني إسرائيل لكم. فجعل الله السكينة في قلوب المؤمنين وجعل لهم الأرض مسجداً وطهوراً، وقرن الحفظ بالعقول منهم ليقرءوا عن قلوبهم.

وقال (ﷺ) : أعطيت أمتي ثلاثاً لم يعط أحد : صفوف الصلاة وتحية أهل الجنة وآمين. الا ما أعطي موسى وهارون من قوله آمين[1]. وكان من قبلهم يتفرقون في الصلاة، وجوه بعضهم إلى بعض، وقبلتهم الى الصخرة. وإذا لقيهم، لقي أحدهم أخاه، انحنى له بدل السلام. يخضع له. وفيه مؤنة. يريد بذلك أمانه. فأعطينا تحتة أهل الجنة أن يقول أحدهم بلسانه فيؤمنه. وجعل سيماء عبودتنا يوم القيامة على وجوههم وأطرافهم غراً من السجود، محجلين من الوضوء. وقد سجدت الأمم من قبلهم، فلم يظهر على جباههم، ولا على أطرافهم. وتلك بشارة أمة محمد (ﷺ) في الموقف. وبهم يعرفون. وهم أهل الله وخاصته. قيل : يا رسول الله، من أهل الجنة ؟ قال : أهل القرآن. وما زال موسى (عليه السلام) يقول : يا رب إني أجد في الألواح أمة لهم كذا ويعملون كذا، فاجعلهم أمتي. ويقول الله تعالى : هم أمة أحمد حتى قال فيما روي : يا ليتني كنت معهم. غبطة بهم.

وفي الخبر عن ابن عباس (رضي الله عنه) أن موسى (عليه السلام) اشتاق إلى رؤيتهم. فقال الله تعالى له بطور سيناء : أتحب أن أسمعك أصواتهم. فقال : نعم يا رب. فنادى : يا أمة أحمد. فأجابوه من الأصلاب : لبيك اللهم لبيك. فقال : أعطيتكم قبل أن تسألوني، وأجبتكم قبل أن تدعوني، ورحمتكم قبل أن تعصوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، من لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا أنا وأن محمداً عبدي

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

ورسولي، أدخلته جنتي. فذلك قوله تعالى : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ ناديا ولكن رحمة من ربك** ﴾.

يمن على نبيه محمد (ﷺ) أي لم تكن يا محمد بجانب الطور إذ ناديا أمتك. ولكن كانت مني رحمة عليهم قبل أن أخلقهم. فالعرب رأس الأمة وسابقها الى المكارم. قال الله تعالى : ﴿ **لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ...** ﴾[1] وقال : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** ﴾[2] وقال : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون** ﴾[3] أي شرف لك ولقومك حيث خاطبتهم بالوحي. وسوف تسئلون عن شكر هذا الشرف.

والعجم وإن شاركوا العرب في مناقب هذه الأمة، لكان السبق للعرب. وتلك الأخلاق غير موجودة في العجم إلا في الواحد بعد الواحد. تخلقاً لا طبعاً. وبلغنا أن كنانة كان إذا لم يجد من يأكل معه، وضع بين يديه حجراً، فأكل لقمة وألقى إليه لقمة أنفة أن يأكل وحده. وكانت مائدة عبد المطلب موضوعة. وكان يرفع منها للطير والسباع في رؤوس الجبال. وكان سوط أدبه معلقاً حيث يراه السفيه يؤدبهم بذلك.

عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله (ﷺ) : إني دعوت العرب فقلت : اللهم من لقيك منهم مؤمناً موقناً مصدقاً بلقائك فاغفر له أيام حياته. وهي دعوة أبينا إبراهيم (عليه السلام) ولواء الحمد بيدي يوم القيامة. ومن أقرب الناس إلى لوائي يومئذ العرب.

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٦٤.

(٢) سورة النساء آية رقم ٦٤.

(٣) سورة الزخرف آية رقم ٤٤.

ومما يحقق ما قلنا قول الله تعالى : ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم ...** ﴾[1] الآية. ثم قال : ﴿ **وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ...** ﴾[2] ثم قال : ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ...** ﴾[3]

فهم الرأس ونحن منهم. لا أنهم منا. والفضل لهم بما منحهم الله تعالى من الأخلاق، لا بمجرد اللسان. فمن لم يوجد فيهم بهذه الأخلاق، فهو هجين. والهجنة ضائرة جداً حتى في الخيل، فكيف في الآدميين ؟ وبلغنا أن سليمان بن داود (عليه السلام) أرسل الخيل من صنعاء إلى تدمّر فتقدم فرسان من الخيل، فقال المسبوق للسابق : لولا هجنة فيَّ أدركتني من ثماني عشرة جدة، ما سبقتني.

---

(١) سورة الجمعة آية رقم ٢.

(٢) سورة الجمعة آية رقم ٣.

(٣) سورة الجمعة آية رقم ٤.

الأصل الثامن والستون

في الأمر بالعقد بالأنامل في الذكر

عن حميضة بنت ياسر، عن جدتها يسيرة (رضوان الله عليهن) أخبرتها أن رسول الله (ﷺ) أمرهن أن يراعين الشمس بالتسبيح والتقديس والتهليل، وأن يعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات ومستنطقات.

وعن حميضة، عن جدتها يسيرة (رضي الله عنهما) قالت : دخل علينا رسول الله (ﷺ) ونحن نسبح بالسبح، فقال : « ألقين أو دعن عنكن، وعليكن بالأنامل، فسبحن بها، فإنهن مسئولات مستنطقات ».

مراعاة الشمس مراقبة وقت طلوعها وغروبها. وهو قوله تعالى : ﴿ **وسبحوه بكرة وأصيلا ...** ﴾[1].

والتقديس هو التنزيه، وهو التكبير. والتهليل هو التوحيد. والعقد بالأنامل من أجل أنها تنطق وتشهد لصاحبها.

أما المؤمن فتنطق عنه بخير وتصمت عن السوء ستراً من الله تعالى

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٤٢.

عليه. وأما الكافر فتنطق عنه بالسوء وتصمت عن محاسنه لأنه لغير الله، فهو هباء منثور.

قال الله تعالى : ﴿ **شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم ...** ﴾[1]

كنّى بالجلود عن الفروج. ﴿ **وقالوا لجلودهم لِمَ شهدتم علينا...** ﴾[2] رجعوا باللوم على الفروج لأن الأمر فيه أشدّ، والعار أكثر.

ثم بين بقوله : ﴿ **أنطقنا الله ...** ﴾[3] الآيات. أنها تشهد على من لم يعرف الله.

فأما المؤمن فهو يعلم أن الله تعالى مطلع عليه فيتوب ويستغفر. وإنما يعامل المشرك بمثل هذه الأشياء فإنه لا يعرف الله تعالى معرفة الموحدين بل معرفة المشركين.

ومعرفة المشركين معرفة الفطرة. فليس لأحد أن ينكره. ومعرفة المؤمنين معرفة التوحيد والتنزيه. قال الله تعالى : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ...** ﴾[4] وقال (عز من قائل) : ﴿ **قل لمن الأرض ومن فيها ...** ﴾ الآيات. إلى قوله : ﴿ **فأنى تسحرون** ﴾[5]. سحرتهم أهواؤهم وانقلبت بهم عن الله تعالى منكوسين لم يمن الله تعالى عليهم بنور التوحيد. ﴿ **ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور** ﴾[6].

---

(١) سورة فصلت آية رقم ٢٠.
(٢) سورة فصلت آية رقم ٢١.
(٣) سورة فصلت آية رقم ٢١.
(٤) سورة يوسف آية رقم ١٠٦.
(٥) سورة المؤمنون الآيات ٨٤ ــ ٨٩.
(٦) سورة النور آية رقم ٤٠.

الأصل التاسع والستون

في أن حق المؤمن على المؤمن ست خصال

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من صلى على جنازة، فله قيراط، ومن تبعها حتى يفرغ من أمرها، فله قيراطان أحدهما أو أصغرهما مثل أُحُد »[1].

فالقيراط سدس المثقال فيما نرى أنه كان عند القوم في ذلك الزمان وقد تغير بناحيتنا في عصرنا.

وجاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « إن للمسلم على المسلم ست خصال : يجيبه إذا دعاه، ويسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، ويصلي عليه إذا مات، وينصحه إذا استنصحه، ويشمته إذا عطس »[2].

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الجنائز ١٧ باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها ٥٤ بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: وذكره. ورواه الترمذي في كتاب الجنائز ٤٩ ورواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٣٢١ (حلبي).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٣٢١ ـــ ثنا أبو عبد الرحمن ثنا سعيد ثنا عبدالله بن الوليد عن ابن حجيرة عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: وذكره. ورواه النسائي في كتاب الجنائز ٣٥٢.

فذكر القيراط يعلمك أنه إذا صلى عليه، فقد قضى سدس حقه. وأما القيراط الآخر بدفنه أو انتظاره حتى يدفن فذاك من النصيحة له، وهي إحدى الخصال الست. ومن النصيحة أن يكون في المشهد والمغيب على حالة واحدة.

الأصل السبعون

في فضل الشهيد وكرامته على الله عز وجل

عن جابر بن عبدالله (رضي الله عنه) قال : لقيني رسول الله (ﷺ) فقال : يا جابر ما لي أراك منكسراً ؟ قلت : يا رسول الله استشهد أبي وعليه دين، وترك عيالاً وديناً. قال (ﷺ) : أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟ قلت : بلى يا رسول الله. قال : ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأنه أحيا أباك فكلمه كفاحاً فقال تعالى : يا عبدي تمن عليَّ أعطيك. قال : يا رب تحييني فأُقتل فيك. قال الله تعالى : سبق مني أنهم إليها لا يرجعون[1] ونزلت : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾[2] كفاحاً أي وجاهاً. وهو كقوله شفاها إلا أن الشفاه للمخلوقين.

والكفاح له غير موصوف بالأدوات. وفيه ما يدل على أن قوله :

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب التفسير باب ٤ من سورة آل عمران ٣٠١٠ بسنده عن جابر بن عبدالله ــ يقول لقيني رسول الله ﷺ فقال له وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ورواه أبو داود في السنة ١٦ وابن ماجة في المقدمة ١٣ والجهاد ١٦.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٦٩.

﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب** ﴾[1] أن هذا في الدنيا.

أما في الآخرة فلأهل الجنان الحظ من الكلام كفاحاً لما بذل نفسه لله تعالى ساعة فاز بهذه الدرجة. فكيف بالصديقين الذين بذلوا نفوسهم عمراً. وتمنيه أن يحيى لأنه وجد لذة بذله لنفسه حين قتل. وإنما بذل نفساً خاطئة قد تدنست بالذنوب فأحب أن يبذلها ثانية طاهرة.

---

(١) سورة الشورى آية رقم ٥١ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال: « ما كان » بدون الواو.

الأصل الحادي والسبعون

في بيان المنافاة بين اللعان والصديق

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا يكون اللعانون شهداء ولا شفعاء » .

اللعان متعسف لأن اللعنة مستأصلة. فإن أجيب الى ذلك فقد أهلك، وإن لم يجب فقد عمل عمله من الافراط والتعسف فهو جائر. والجائر لا شهادة له.

وروي عن رسول الله (ﷺ) : لا يكون اللعانون شهداء لما عندهم من الأحنة والعداوة والجور. ولا يكونون شفعاء لأن قلوبهم خالية من الرحمة.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : لا يدخل الجنة ــ والذي نفسي بيده ــ أحدكم حتى يرحم العامة كما يرحم أحدكم خويصته.

عن عائشة (رضي الله عنه) قالت : سمع رسول الله ﷺ أبا بكر (رضي الله عنه) وهو يلعن بعض رقيقه، فالتفت إليه رسول الله (ﷺ) وقال: يا أبا بكر لعانين وصديقين كلا ورب الكعبة. فأعتق أبو بكر يومئذ بعض رقيقه، وجاء إليه فقال: لا أعود إليه يا رسول الله.

الأصل الثاني والسبعون

في الذكر الخفي

عن حنظلة الأسيدي، وكان من كتاب رسول الله (ﷺ) قال : لقيني أبو بكر (رضي الله عنه) فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة يا أبا بكر. قال : سبحان الله ما تقول ؟ قلت : نافق حنظلة. قال : مم ذاك. قلت : نكون عند رسول الله (ﷺ) فيذكرنا بالجنة والنار حتى كأنَّا رأي عين، أو كأنَّا نراهما، فإذا خرجنا من عنده، عَافَسْنَا[1] الأزواج والأولاد والضَّيْعَاتِ[2]. ففزع أبو بكر، فقال : والله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله (ﷺ). فلما رآني رسول الله (ﷺ)، قال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة يا رسول الله. قال : مم ذاك ؟ قلت : نكون عندك يا رسول الله فتذكرنا بالجنة والنار حتى كأنَّا رأي عين، حتى اذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات. فقال رسول الله (ﷺ) : « والذي

---

(١) قال الهروي: معناه حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به أي عالجنا معايشنا وخطوطنا.

(٢) الضيعات: جمع ضيعة، وهي معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة.

نفسي بيده إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وطرقكم. ولكن يا حنظلة ساعة وساعة »[1].

الذكر المذهل للنفوس إنما يدوم ساعة ثم ينقطع. ولولا ذاك لما انتفع بالعيش. والناس في الذكر على طبقات. فمنهم من يدوم له ذكره في وقت الذكر، ثم تعلوه غفلة حتى يقع في التخليط وهو الظالم. ومنهم من يدوم له ذكره في وقت الذكر، ثم تعلوه معرفته بسعة رحمة الله وحسن معاملته مع عباده، فتطيب نفسه بذلك، فيصل إلى معاشه وهو المقتصد على سبل الاستقامة.

وأما أهل اليقين وهم السابقون المقربون، جاوزوا هذه الخطة ولهم درجات. فأولها الخشية يمتنع بها من جميع ما كره الله تعالى دق أو جل. والخشية من القربة والعلم بالله. فإذا علم لزمه خوف العظمة، لا خوف العقاب. وإذا كان الخوف لازماً للقلب، غشاه بالمحبة. فيكون بالخوف معتصماً مما كره. وبالخشية وبالمحبة منبسطاً في أموره. إذ لو ترك مع الخوف، لانقبض وعجز عن كثير من أموره. ولو ترك مع المحبة لاستبد وتعدى. لكنه لطف له فجعل الخوف بطانته، والمحبة ظهارته حتى يستقيم به قلبه، ثم يرقيه الى مرتبة أخرى، وهي الهيبة والأنس. فالهيبة من جلاله، والأنس من جماله. فاذا نظر الى جلاله، هاب وانقبض. ولو ترك هكذا، لصار عاجزاً في جميع أموره، كجثة بلا روح. واذا نظر الى جماله، امتلأ كل عرق منه فرحاً وسروراً ولذّة ونعيماً لامتلاء قلبه. ولو ترك

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٢٨ باب المداومة على العمل ٤٢٣٩ ــ بسنده عن حنظلة الكاتب التميمي الأسيدي. قال: وذكره ورواه الإمام مسلم في كتاب التوبة ٣ باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة ١٢ (٢٧٥٠) بسنده عن حنظلة الأسيدي. ورواه الترمذي في كتاب القيامة ٩ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣٠٥، ٣ : ١٧٥ (حلبي).

هكذا، أداه الى التعدي والافراط. لكنه لطف له فجعل الهيبة شعاره والأنس دثاره حتى يستقيم به قلبه. فهو عبد ظاهره الأنس بالله تعالى، وباطنه الهيبة من الله تعالى. ثم يرقيه إلى مرتبة أخرى، وهي مرتبة الانفراد بالله قربه القربة العظمى وأدناه ومكن له بين يديه، ونقاه وفتح له الطريق إلى وحدانيته، فهو ناظر إلى فردانيته. فأحياه الله تعالى به واستعمله. فبه ينطق، وبه يعقل، وبه يعلم، وبه يعمل. وقد جاوز مقام الهيبة والانس الى مقام الأمناء. ويصير سيد الأولياء والعارفين، وأمان أهل الأرض، ومنظر أهل السماء، وخاصة الله تعالى، وموضع نظره، وموضع سره، وهو سوط الله في خلقه، يؤدب به عباده، وبه يحيي القلوب الميتة، وبه يرحم أهل الأرض، وبه يمطر ويرزق، ويدفع عنهم البلاء، مفتاح الهدى وسراج الأرض، وهو شفاء الأدواء وإمام الأطباء، كلامه قيد القلوب، ونظره شفاء النفوس، وإقباله قهر الأهواء. فهو ربيع يزهر بنوره، وخريف يجتنى ثماره، وكهف يلجأ إليه، ومعدن يؤمل ما لديه، وفصل بين الحق والباطل. وهو الولي العارف، والصديق المقرب، والفاروق المجتبى، واحد الله في أرضه، كما قال إبراهيم (عليه السلام) : اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض.

وقد قال النبي (عليه السلام) : « يكون في هذه الأمة رجال قلوبهم على قلب إبراهيم (عليه السلام) » .

وقوله : « ساعة وساعة » أي ساعة للذكر، وساعة للنفس. فساعة الذكر تكون الجنة والنار رأي عينه، وساعة يقبل على المعاش ومرمته؛ لأن القلب ربما عجز عن احتمال ما يحل به فيحتاج الى مزاج. ألا ترى أن ما روى أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : لما انتهيت الى السدرة إذا ورقها مثل آذان الفيلة، وإذا نبقها أمثال القلال، فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها، تحولت ياقوتاً. وفي رواية : حال دونها فراش

من ذهب، وفي رواية : رأيت النور الأعظم ولط دوني الحجاب رفرفنا الدرّ والياقوت، فأوحى إليَّ ما شاء أن يوحي[1].

لما لم يعم بصره للنور، عورض بالزبرجد والياقوت، وفراش الذهب، حتى يقوى ويستقر، كأنه شغل قلبه بهذا المزاج عما رأى، حتى لا ينفر، ويجد قراراً، ويقدر احتماله. فكان هذا من تدبير الله تعالى للعبيد. وكان أصحاب رسول الله (ﷺ) يطلبون تلك الساعة، حتى قال معاذ (رضي الله عنه) لرجل : تعال نؤمن ساعة. فذكر ذلك الرجل لرسول الله (ﷺ) قول معاذ. وقال : يا رسول الله : أو ما نحن بمؤمنين ؟ فقال رسول الله (ﷺ) : دع عنك قول معاذ فإن الله تعالى يباهي به الملائكة.

ولهذا قال عبدالله بن رواحة لأبي الدرداء : يا عويمر تعال نؤمن ساعة فللقلب أسرع انقلاباً من القدر حين تغلي. وإنما الإيمان بمنزلة القميص بينما أنت لبسته إذ أنت نزعته.

ولهذا قال (ﷺ) : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »[2].

أي أنه إذا فعل ذلك، فقد خلع القميص ووضعه ناحية. وإذا تاب ورجع إليه بالصدق كساه وألبسه ذلك القميص. فكان هذا الإيمان عندهم استقرار ذلك النور وإشراقه في صدورهم، حتى تصير الآخرة وأمر الملكوت لهم معاينة. فمنهم من هذا النور له دائم، فتدوم له معاينة أمور

---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٧٤ باب الإسراء برسول الله ﷺ ٢٥٩ (١٦٢) بسنده عن أنس بن مالك ـــ رضي الله عنه ـــ أن رسول الله قال: وذكره. ورواه البخاري في كتاب الصلاة أو التوحيد ٣٧ وكتاب الأنبياء ٥ ورواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ١ : ٣٨٧، ٤٢٢، ٣ : ١٤٩، ٥ : ١٤٤ (حلبي).

(٢) سبق تخريج هذا الحديث.

الآخرة وأمر الملكوت. وهو مع ذلك يصاحب الأزواج والأولاد، ويرم المعاش، وعددهم في كل زمان قليل. قال الله تعالى : ﴿ **والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين ...** ﴾[1] فالثلة الجماعة، وهم الأنبياء (عليهم السلام).

وختمت النبوة برسولنا (ﷺ). ﴿ **وقليل من الآخرين** ﴾[2] وهم الأولياء عددهم قليل في كل زمان.

وقال (عليه السلام) : في كل قرن من أمتي سابقون، وهم البدلاء، والصديقون بهم يسقون، وبهم يرزقون، وبهم يدفع البلاء عن أهل الأرض .

---

(١) (٢) سورة الواقعة الآيات رقم ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤.

الأصل الثالث والسبعون

في خصال سألها سليمان (عليه السلام)

عن عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : لما فرغ سليمان عن بناء بيت المقدس، سأل ربه حكماً يصادف حكمه وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وأن لا يأتي أحد هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه، إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. فقال رسول الله (ﷺ) : أما اثنتان فقد أعطيهما، وأما الثالثة فأرجو أن يكون قد أعطى[1].

قوله : « حكماً يصادف حكمه » معناه أن يحكم بين عباد الله بما يصادف حكم الله تعالى؛ لأن أمور العباد في الغيب، وإنما أمروا أن يعملوا بالظاهر عندهم بالشاهد أو اليمين. وربما كان شاهد زوراً أو كان في يمينه كاذباً، فليس على الحاكم إلا الحكم بما يظهر عندهم، ويكلهم فيما غاب عنهم إلى الله تعالى. وأما سؤاله ملكه لا ينبغي لأحد من بعده، فإن أحباب الله وخاصته يتنافسون في المنزلة عنده، ويغار أحدهم أن يتقدمه

---

(١) الأثر رواه الامام أحمد في كتاب الزهد وأشار اليه السيوطي في الدر المنثور

غيره من نظرائه. قال (عليه السلام) في حديث المعراج : « لقيت موسى (عليه السلام) في السماء السادسة، فلما جاوزته، بكى وقال : يزعم بنو إسرائيل أني أكرم ولد آدم على الله (عز وجل) وقد جاوزني ... »[1].

فللأنبياء والأولياء (عليهم السلام) تنافس في محل القربة، وحق لهم ذلك، فسخر الله له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب. أي ليته مع قوتها وشدتها، حتى لا تضر بأحد، وتحمله بعسكره وجنوده وموكبه. وكان موكبه فيما روي فرسخاً في فرسخ مائة درجة بعضها فوق بعض، في كل درجة صنف من الناس، وهو في أعلى درجة منه مع جواريه وحشمه وخدمه. وكانت الريح تحمله بهذا الموكب فتهوي به في الجو مسيرة شهر في غداة واحدة، ومسيرة شهر في رواح واحد. قال الله تعالى : ﴿ **غدوها شهر ورواحها شهر** ﴾[2].

وكانت الريح لا تدع كلمة يتكلم بها إلا ألقتها في أذنه. وعلم منطق الطير، ومرَّ بوادي ﴿ **فقالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون** ﴾[3].

فمرت به الريح فألقته في مسامعه، وسخر له الجن. قال رسول الله (ﷺ) : أخذت ليلة شيطانا فخنقته حتى وجدت برد لسانه ولهاته على يدي، فأردت أن أربطه على سارية في المسجد لتنظروا إليه إذا أصبحت،

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٢٦٤ (١٦٤) بسنده عن أنس بن مالك قال نبي الله ﷺ وذكره ولفظه « فلما جاوزته بكى فنودي ما يبكيك ؟ قال: رب هذا غلام بعثته بعدي، يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي ».

(٢) سورة سبأ آية رقم ١٢.

(٣) سورة النمل آية رقم ١٨.

ثم ذكرت دعوة أخي سليمان فتركته[1]. وكان لكل نبي دعوة، فجعلها سليمان في ذلك، وأخرها رسول الله (ﷺ) لأمته.

وعن عبد الرحمن بن عقيل (رضي الله عنه) قال : انطلقت في وفد إلى رسول الله (ﷺ) فأتيناه فقال قائل منا : يا رسول الله : ألا سألت ربك ملكاً كملك سليمان ؟ فضحك ثم قال : « فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان إن الله (عز وجل) لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة. فمنهم من اتخذ بها دنيا فأعطيها، ومنهم من دعا بها على قومه إذا عصوه فأهلكوا بها. وإن الله تعالى أعطاني دعوة اختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة »[2]. فلكل نبي دعوة مجابة. وسليمان (عليه السلام) ما سأل الدنيا لنفسه، وإنما سألها لله تعالى.

وكان رسولنا (ﷺ) يسأل شيئاً من الدنيا ولم يسأل كلها. قال : « اللهم اجعل أوسع رزقي عند كبر سني ».

وكان نوح (عليه السلام) سأل إهلاك الدنيا فقال : ﴿ **رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً** ﴾[3] فغرقت الدنيا كلها بدعوته. وإنما سأل إهلاكها لله تعالى، لا لنفسه فأجيب الى ذلك.

وأما رسولنا (ﷺ) فأخرها لتكون تلك الحاجة مقضية له في اليوم

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٨ جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة ٣٩ (٥٤١) بسنده عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ وذكره، ورواه البخاري في كتاب الصلاة ٧٥ وكتاب الأنبياء ٤٠ والتفسير سورة ٣٨ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٩٨.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٨٦ باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ٣٣٤ (١٩٨) عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

(٣) سورة نوح آية رقم ٢٦.

الذي يعز فيه العفو، ويظهر الجود والكرم من ربنا وما يقضي له هناك. فالخلق إليه أحوج منه في هذه الدنيا مما سأل سليمان (عليه السلام). فإنما سأله مملكة الدنيا. وقد كان أبوه داود (عليه السلام) ممن عرضت عليه الخلافة فقبلها. وكان حاكم الله في أرضه.

وعرضت على لقمان فأبى، فأُعطي الحكمة، فكان حكيم الله في أرضه. قال الله تعالى : ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله** ﴾[1].

وقال رسول الله (ﷺ) : إن لقمان كان عبداً كثير التفكر، حسن النظر، كثير الصمت، أحب الله فأحبه الله، فمَنَّ عليه بالحكمة. نودي بالخلافة قبل داود (عليه السلام)، فقيل له : يا لقمان، هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق. قال لقمان (عليه السلام) : إن جبرني ربي، قبلت. فإني أعلم إن فعل ذلك بي، أعانني وعلمني وعصمني. وإن خيرني ربي، قبلت العافية ولم أسأل البلاء. فقالت الملائكة بصوت لا يراهم : يا لقمان، لم قلت هكذا ؟ قال : لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها، يغشاه الظلم من كل مكان فيخذل أو يعان. وإن أصاب فبالحري أن ينجو. ولئن أخطأ، أخطأ طريق الجنة. ومن يكن في الدنيا ذليلاً خير من أن يكون شريفا ضائعاً. ومن يختار الدنيا على الآخرة، فاتته الدنيا، ولا يصير إلى ملك الآخرة. فعجبت الملائكة لحسن منطقه، فنام نومة فغط بالحكمة غطاً، فانتبه فتكلم بها. ثم نودي داود (عليه السلام) بعده بالخلافة فقبلها، ولم يشترط شرط لقمان، فأهوى في الخطيئة، فصفح الله عنه وتجاوز.

وكان لقمان يوازره بعلمه وحكمته، فقال داود (عليه السلام) :

---

(١) سورة لقمان آية رقم ١٢.

طوبى لك يا لقمان، أوتيت الحكمة، وصرفت عنك البلية. وأُوتي داود الخلافة وابتلي بالرزية والفتنة. فكان داود (عليه السلام) يحكم بين خلقه. قال الله تعالى : ﴿ **وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** ﴾[1].

وسخرت له الجبال ليسبحن معه بالعشي والإشراق والطير، كي يزداد قوة على إسعاد الجبال والطير له بذلك، فلا يفتر فترة الآدميين. فإن في الإسعاد قوة. قال الله تعالى : ﴿ **يا جبال أوبي معه والطير** ﴾. ثم قال تعالى : ﴿ **وألنا له الحديد** ﴾[2] فجعل الحديد في يده كالعجين، يعمل الدروع، فجعل قوته ومطعمه منها ليكون من كديده.

وروي في الخبر أنه كان (عليه السلام) يرتفع له كل يوم درع فيبيعه بستة آلاف، فينفق على بني إسرائيل أربعة آلاف وعلى عياله ألفين. فأُوتي داود ما أوتي ثم قيل له : ﴿ **اعملوا آل داود شكراً** ﴾[3].

وأعطي سليمان منطق الطير، والريح، وعين القطر أسيلت له ثلاثة أيام، فاتخذ منها تماثيل على صور الرجال من النحاس.

روى عن إبن عباس (رضي الله عنه) في قوله تعالى : « وتماثيل »، قال : اتخذ سليمان تماثيل من نحاس. فقال : يا رب انفخ فيها الروح، فإنها أقوى على الخدمة، فنفخ الله فيها الروح، فكانت تخدمه، وكان « اسبنديار » من بقاياهم.

فلما انتهت خلافة داود (عليه السلام)، أراد أن يستخلف ابنه سليمان (عليه السلام). قال له سليمان : أبحب الولد تفعل هذا، أم

---

(١) سورة ص آية رقم ٢٠.

(٢) سورة سبأ آية رقم ١٠.

(٣) سورة سبأ آية رقم ١٣.

بشيء أمرك الله تعالى. قال داود (عليه السلام) : بحب الولد. فأبى سليمان (عليه السلام) أن يقبلها حتى أمره الله تعالى بذلك. قال تعالى : ﴿ **وورث سليمان داود** ﴾[1].

وجعل الله تعالى السيف في يد محمد (ﷺ)، والرعب جنده، يرعب منه العدو مسيرة شهر. وجعل قوته ومطعمه من الغنائم. فقيل لداود (عليه السلام) : خذ هذا الحديد فقد ألنتها لك من عطفي عليك لتعمل منه دروعاً، فيكون منها رزقك. وقيل لمحمد (ﷺ) : خذ هذا الحديد الذي قد حددتها من سلطاني، فاضرب بها رقاب أعدائي، وصيرت أموالهم نحلة وطعمة خصصتك بها من بين الخلق، ولم تكن لأحد قبلك. ثم قال : حلالاً طيباً. وفي السيف عز وسلطان وملك ليس في التجارة ذلك، فأنت تجاهد أعدائي لي، وتملك ما خولتهم، فتأخذ منهم ذلك على سبيل القهر، وأنا معك في النصرة.

فلمحمد (ﷺ) في هذا تكرمة العز والسلطان. ولداود (عليه السلام) تكرمة العطف أن لان له الحديد.

قال (عليه السلام) : « إن الله تعالى بعثني بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم »[2].

فلما ورث سليمان داود، جعل دعوته في ذلك، فسأل مملكة الدنيا كلها ليسوي الدنيا وأهلها، ويحكم فيهم حكماً يصادف حكمه، وينفي الظلم عن أهل الأرض، وينصف بعضهم من بعض، حتى الجن والإنس،

---

(١) سورة النمل آية رقم ١٦.

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في كتاب المسند ٢ : ٥٠ ثنا محمد بن يزيد يعني الواسطي أنا ابن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

والطير والوحوش والسباع، وبقاع الأرضين، والجبال والبحار. فكان له حكم في كل ذلك ومملكة وسلطان وأعين بالريح والشياطين والجن، فسخر ذلك له، وأُعطي الفهم لما زيد في المعرفة. قال (عليه السلام) : « إن المعونة تنزل من السماء على قدر المؤنة »[1].

وكان يعول خلقاً من خلق الله تعالى، ويعطف على عبيد الله تعالى وإمائه شفقة على خلق الله، فوهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، ثم قال : ﴿ **هذا عطاؤنا فأمنن أو أمسك بغير حساب** ﴾[2].

فكان المهنأة فيه أنه لا تبعة له عليه. وجعل نوح (عليه السلام) دعوته إهلال الكفار؛ لتطهر الأرض من أقذارهم، ونجاسة شركهم، شفقة على حق الله؛ ليخلص الحق من أنجاسهم. ومحمد (ﷺ) أخر دعوته الى يوم الثواب والعقاب، ليفتح الله تعالى على لسانه خزائن الرحمة على عبيده في يوم بروز الجود والكرم وشدة الفاقة في ذلك المقام المحمود، فعمت الملائكة والأنبياء والرسل وجميع الموحدين بالرحمة، وسكن الهول واطمأنت القلوب. وكان أهل الموقف كلهم محتاجين إلى ما ادخره (عليه السلام) ليوم القيامة، وصاروا عيالاً عليه حتى قال (عليه السلام) : « إن إبراهيم (عليه السلام) ليرغب إليَّ يوم القيامة في تلك الدعوة ويحتاج إليّ ».

وروي عن أنس (رضي الله عنه)، أنه قال (عليه السلام) : « لكل نبي دعوته دعا بها في أمته فإني اختبأت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة »[3].

---

(١) أبو داود في الآداب ٦٠ باب المعونة للمسلم.

(٢) سورة صٓ آية رقم ٣٩

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٣٤١ بسنده عن أنس بن مالك أن نبي الله ﷺ قال: وذكره ورواه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٣٨٤ بسنده عن جابر بن عبدالله ــ رضي الله عنه ــ يقول: وذكره.

الأصل الرابع والسبعون

في نشر السجلات يوم الحشر

عن عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « سيصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فيقول الله تعالى : عبدي هل تنكر من هذا شيئاً ؟ فيقول : هذه حجتك. فيقول : لا يا رب. فيقول : هل لك من حجة ؟ فيقول : لا يا رب. فيقول : بلى لا ظلم عليك اليوم. فيخرج الله تعالى له بطاقة. فيقول : هذه حجتك. فيقول : أي رب وما تغني هذه البطاقة من هذه السجلات ؟ فيقول : يا عبدي لا ظلم عليك اليوم. فيؤتى بالميزان، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، وإذا فيها شهادة أن لا إله إلا الله »[1].

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الإيمان باب ١٧ ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ٢٦٣٩ ــ حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبدالله عن ليث بن سعد، حدثني عامر ابن يحيى عن أبي عبد الرحمن المعافري ثم الحبلي قال: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. =

فهذا عبد كثرت سيئاته حتى غمرته فأدركه غوث تلك الكلمة، وليست تلك بأول مما قالها، ولكنها كانت مقالة طاهرة، خرجت من زكاوة قلبه في ساعة من عمره فأنجته، فحاطت ذنوبه وهدمتها وطاشت بالسجلات يوم الوزن لوزن تلك الكلمة. وإنما ثقلت لعظم نورها؛ لأنها خرجت من نور استنار قلبه بالنطق بها. وإذا أراد الله بعبد خيراً، منَّ عليه في ساعة من عمره ونبهه، فإذا انتبه، انفتح قلبه واستنار صدره من تلك الفتحة. فإذا انفتح القلب، خرج النور إلى الصدر فأشرق. فأي كلمة نطق بها في ذلك الوقت، فإنما ينطق على شرح الصدر والمعاينة لصورة تلك الكلمة. فتلك الكلمة تسمى كلمة الإخلاص. وكلمة يقين تثقل في الوزن يوم الوزن، وتكون سبباً لنجاة صاحبها. وهذا لا يكون في شهادة التوحيد، إذ لو كان لها، لاستوى الناس فيها.

وقد روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « من قال : لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير، مخلصاً بها روحه، مصدقاً بها لسانه وقلبه، إلا فتقت له السماء فتقاً حتى ينظر الرب سبحانه وتعالى إلى قائلها من أهل الدنيا. وحق لعبد إذا نظر الله إليه أن يعطيه سؤله ».

شرط إخلاص الروح، فإن الروح سماوي خلقها الطاعة. والنفس أرضية خلقها الشهوة معصية كانت أو طاعة. فإذا قال العبد هذه الكلمة في وقت فتحة القلب واستنارته وانشراح الصدر فنمقت النفس وذلت وانخشعت، وتخلص الروح من أسرها وتعلقها به، فصار روحه كالعازم

= ورواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٣٥ باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ٤٣٠٠ ـ بسنده عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: سمعت عبدالله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

ورواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٢١٣، ٢٢٢ (حلبي).

على هذه الكلمات بحقائقها فصار خالصاً لله تعالى، وقد باين النفس وهواها، وصدق بها لسانه وقلبه، لأن القلب قد استنار بالكلمات، فاستوى اللسان بالقلب والقلب باللسان. وقد صدق بالكلمة لسانه وقلبه، وأخلص روحه فاستوجب النظر إليه. فإذا أراد الله بعبد خيراً، رزقه فتحة قلبه، وخرجت منه هذه الكلمة في ذلك الوقت، فعظم وزنها وقدرها عند ربها. قال الله تعالى : ﴿ **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾[1] ثم قال : ﴿ **أولئك هم المؤمنون حقاً** ﴾[2] وصفهم بحقيقة الإيمان.

قالت عائشة وأم الدرداء (رضي الله عنهما) : إنما إيمان الرجل في القلب كاحتراق السعفة، لا يكاد يلبث طويلاً. فإذا وجد أحدكم فليدع الله تعالى، فإن الدعاء عند ذلك يستجاب.

وعن ثابت البناني (رضي الله عنه)، عن رجل قال : إني لأعلم متى يستجاب لي. قالوا : ومن أين تعلم ذلك ؟ قال : إذا اقشعر جلدي ووجل قلبي وفاضت عيناي، فذاك حين يستجاب لي. لأن هذه نفوس لا تحتمل ما يرد على القلب فتقشعر منه الجلود. أما أهل اليقين الذي استنارت صدورهم بنوره، فهذا لهم دائم في الأمور كلها. وهم الذين يذكرون الله تعالى على كل حال. لا ينقطع ذكرهم لأنهم بنور يقينهم قد صارت قلوبهم بين يديه يعبدونه كأنهم يرونه. قال (عليه السلام) : « أعبد الله كأنك تراه ... »[3] ولأن نفوسهم قد إطمأنت إلى رؤية الملكوت وما يرد على القلوب ومرنت على ذلك واعتادت.

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٢.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٤.

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان رقم ١، ٥، ٧ بسنده الأول عن عمر بن الخطاب، والثاني عن أبي هريرة، وكذلك الثالث وهو جزء من حديث طويل، ورواه الإمام البخاري في كتاب الإيمان ٣٧ وفي كتاب التفسير سورة ٣١، ٢ ورواه الإمام النسائي في الإيمان ٥، ٦.

ومثل ذلك في الدنيا مثل جرة لم يصبها الماء. فإذا وضعتها في الماء انتشقت وسمعت لها قشيشاً. فإذا تكرر عليها ذلك، لم تسمع لها ذلك؛ لأنها قد تشربت من الماء وارتوت. فكذلك قلب العارف قد ارتوى من سقيا الله تعالى.

وعن جابر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : قال لي جبرائيل : يا محمد إن الله (عز وجل) يخاطبني يوم القيامة فيقول : يا جبرائيل: ما لي أرى فلان بن فلان في صفوف أهل النار ؟ فأقول : يا رب انا لم نجد له حسنة يعود عليه خيرها اليوم. قال : يقول الله تعالى : إني سمعته في دار الدنيا يقول : يا حنان يا منان فَأْتِهِ فاسأله : ماذا عني بقوله يا حنان يا منان ؟ فآتيه فأسأله فيقول : وهل من حنان ومنان غير الله ؟ فآخذ بيده من صفوف أهل النار فأدخله في صفوف أهل الجنة.

الأصل الخامس والسبعون

في أن غرس الله محفوظ في الدارين

عن أبي عتبة الخولاني (رضي الله عنه) ــ وكان ممن صلى القبلتين مع النبي (ﷺ) ــ قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم بطاعته»[1]. فغرس الله محروس في الأحوال، ومحفوظ في الأصلاب والأرحام، ومراعي في قطع الأسفار إليه يكلؤه ويرعاه، وهم رجاله في أرضه وأولياؤه والدعاة إليه. وغرس الله راسخ عروقه في الأرض، باسق فروعه في الملكوت، غرسهم الله تعالى وأنبتهم وهو يجني ثمرتهم.

وغرسهم أي اجتباهم بمشيئته. وأنبتهم أي راض نفوسهم وأدبها، وقوم أخلاقها بتدبيره. وهو يجني ثمرتها. أي لما وصلوا إليه وقبلهم، ورتب لهم عنده في تلك الخلوات والمجالس، وصاروا في قبضته. وهو الذي يستعملهم بطاعته. وهو قوله (عليه السلام) فيما يحكي عن الله تعالى أنه

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة ١ باب اتباع سنة رسول الله ﷺ ٨ بسنده عن أبي عتبة الخولاني وكان قد صلى القبلتين مع رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : وذكره. ورواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٤٠٠ (حلبي).

قال : « إذا أحببت عبدي كنت سمعه وبصره ويده ورجله، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يعقل وبي ينطق »[1].

ومن علامة أولئك أنه يخرجهم من بطون أمهاتهم أحراراً من رق النفوس، قد طبع نفوسهم على أخلاق الكرام من السخاوة والشجاعة والسماحة والحلم والتأني والنزاهة والصيانة. فهذا حر من رق النفس. ومن كان ضد هذه الأشياء مثل البخل والضيق والمكر والعجلة وحدة الشهوة والحرص والجبن، فهو عبد نفسه. فإن رزق تقوى احتاج إلى أن يجاهد نفسه حتى لا يستعجل أركانه بما يصير به عاصياً. فهو وإن جاهد فهذه الأخلاق باطنه. وهو قول عيسى (عليه السلام) : لبني إسرائيل : « فلا عبيد أتقياء ولا أحرار كرماء ». فالعبيد الأتقياء هؤلاء الذين فيهم هذه الأخلاق، فهم أتقياء يتقون الله أن يعصوه بجارحة. وتتردد فيهم هذه الأخلاق. فإن عملوا بطاعة، عملوها بكزازة نفس وجهد. والأحرار الكرماء قد عوفوا من هذه الأخلاق طبعاً. فإن انتهوا عما نهى الله تعالى عنه، لم يحتاجوا إلى أن يحاربوا ويجاهدوا نفوسهم. وإن عملوا بطاعة، عملوها تكرماً وسماحة. فقلبه لين منقاد، ليس فيه كزازة، حيث ما قاده مولاه في أموره، انقاد من غير تلجلج.

قال النبي (ﷺ) : « لا تقولوا للعنب كرم إنما الكرم قلب المؤمن »[2]. وإنما سمِّي العنب كرماً لأنه لين ينقاد حيث ما استقيد.

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الرقاق ٣٨ وقد سبق تخريج الحديث قريباً من هذا.

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الأدب ١٠٢ باب قول النبي ﷺ إنما الكرم قلب المؤمن ٦١٨٣ عن الزهري عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. وقد أخرجه ابن أبي عمر في مسنده عن سفيان ومن =

فكذلك المؤمن قلبه لين رطب بذكر الله سبحانه وتعالى، ينقاد لله تعالى في أموره وأحكامه.

= طريقه الاسماعيلي فقال في أوله ويقولون بغير واو، وأخرجه الحميدي في مسنده ومن طريقه أبو نعيم وذكره بالواو كما ذكره البخاري عن علي بن عبدالله، وكذا أخرجه أحمد في مسنده عن سفيان ولكن قال فيه، عن أبي هريرة رفعه، وأخرجه مسلم عن ابن أبي عمر، وعمرو الناقد قالا: حدثنا سفيان بهذا السند قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

الأصل السادس والسبعون

في منع الشيطان من المشاركة في كل شيء

عن نبيشة الخير وأنس بن مالك (رضي الله عنه) قالا : قال رسول الله (ﷺ) : « من أكل من قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة وصلت عليه »[1].

المؤمن إذا سمى الله تعالى على كل أمر، منع الشيطان من مشاركته في طعامه وشرابه ولباسه وجميع أموره. وإذا ترك التسمية، وجد فرصة فشاركه في ذلك حتى في إتيانه أهله.

وعن مجاهد (رضي الله عنه) قال : إذا جامع الرجل أهله ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه. فذلك قوله تعالى : ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾[2].

---

(١) رواه الترمذي عن أم عاصم وكانت أم ولد لسنان بن سلمة قالت دخل نبيشة الخير ونحن نأكل في قصعة، فحدثنا أن رسول الله ﷺ قال وذكره، وأخرجه ابن ماجة، وأحمد، والبغوي والدارقطني وأورده بعضهم بلفظ تستغفر الصفحة للاحسها، وأخرجه ابن خثيمة وابن السكن وابن شاهين وقال الترمذي غريب، وثبت في مسلم عن جابر الأمر بلعق الأصابع والصحفة فإنكم لا تدرون في أي شيء من طعامكم البركة، وفي لفظ لابن حبان، ولا يرفع الصحفة حتى يلعقها فإن آخر الطعام بركة.

(٢) سورة الرحمن آية رقم ٥٦.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قام رسول الله (ﷺ) يخطب فقال : « إن الله (عز وجل) أمرني أن أعلمكم ما علمني وأن أؤدبكم، إذا اقمتم على أبواب حجركم فسلموا يرجع الخبيث عن منازلكم. وإذا وضع بين يدي أحدكم طعام فليسم كيلا يشارككم الخبيث في أرزاقكم. ومن اغتسل بالليل فليحاذر على عورته. فإن لم يفعل فأصابه لمم فلا يلومن إلا نفسه. وإذا رفعتم المائدة، فاكنسوا ما تحتها فإن الشياطين يلتقطون ما تحتها، فلا تجعلوا لهم نصيباً في طعامكم » .

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال : إذا وضعت يدك في الطعام فنسيت أن تقول بسم الله، فقل حين تذكر : بسم الله في أوله وآخره، فإنما يمتنع المؤمن من هذا العدو باسم الله تعالى . فإذا سمى على طعامه، فالشيطان منه بمزجر الكلب. وإذا فرغ من الطعام ولم يلحس القصعة، جاء الشيطان فلحسها لينال ما بقي هناك. فإذا لحسها، فقد خلصها من الشيطان ولحسه فاستغفرت له وصلت عليه شكراً له.

الأصل السابع والسبعون

في حقيقة الرؤيا وان الشيطان لا يتمثل بالنبي (ﷺ)

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بي فكان الرجل إذا قص عليه الرؤيا يقول له : كيف رأيته ؟ فإن جاء بالرؤيا على وجهها، وإلا قال : لم تره[1].

قوله : من رآني في المنام أي على نعتي الذي أنا عليه. واعلم أن الرؤيا على ثلاث منازل : منها ما يريه الملك الموكل على الرؤيا، فذاك حق. ومنها ما يمثل له الشيطان. ومنها ما يحدث به المرء نفسه.

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب العلم ٣٨ باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١١٠ عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: وذكره. والتعبير ١٠ ورواه الإمام مسلم في الرؤيا ١ باب قول النبي ﷺ من رآني في المنام فقد رآني ١٠ بسنده عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ وذكره، ورواه أبو داود في الأدب ٨٨ والترمذي في الرؤيا ٤، ٧ وابن ماجة في الرؤيا ٢ والدارمي في الرؤيا ٤ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٣٢، ٢٦١، ٣٤٢ (حلبي).

قال (ﷺ) في رواية أبي هريرة (رضي الله عنه) : الرؤيا ثلاثة : فرؤيا حق. ورؤيا يحدث به المرء نفسه. ورؤيا تحزين من الشيطان. فمن رأى ما يكره فليقم فليصل[1].

وفي رواية أبي قتادة (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : الرؤيا على ثلاث منازل : فمنها ما يحدث به المرء نفسه ليست بشيء. ومنها ما يكون من الشيطان، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليبصق عن يساره، وليستعذ بالله من الشيطان فلن يضرّه بعد ذلك. ومنها بشرى من الله تعالى. ورؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة. فإذا رأى أحدكم رؤيا فليعرضها على ذي رأي ناصح فليقل خيراً أو ليتأول خيراً. فقال عوف بن مالك الاشجعي (رضي الله عنه) : والله يا رسول الله لو كانت حصاة من عدد الحصى لكان كثيراً.

وفي رواية لقيط بن عامر (رضي الله عنه) أنه قال (ﷺ) : « الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت، وقعت »[2].

فالرؤيا أصله حق جاء من عند الحق، يخبر عن أنباء الغيب، وهو من الله تعالى تأييد لعبده بشرى ونذارة ومعاتبة ليكون له فيما ندب له ودعي إليه عونا. وقد وكل بالرؤيا ملك يضرب من الحكمة الأمثال. وقد اطلع على قصص ولد آدم من اللوح. فهو ينسخ منها، ويضرب لكل على قصة

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الرؤيا ٦ (٢٢٦٣) عن أيوب السختياني عن محمد ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: وذكره، والترمذي في الرؤيا ١، ٧، ١٠ وابن ماجة في الرؤيا ٣ والدارمي في الرؤيا ٦ وأحمد بن حنبل ٢ : ٣٦٥ في المسند (حلبي) والبخاري في كتاب التعبير ٢٦.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الرؤيا ٦ باب الرؤيا إذا عبرت وقعت فلا يقصها إلا على واد ٣٩١٤ عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس العقيلي عن عمه أبي رزين أنه سمع النبي ﷺ يقول وذكره وفيه زيادة عند ابن ماجة، وأحمد بن حنبل ٤ : ١٠ (حلبي).

مثله. فإذا نام وخرجت نفسه تمثل له تلك الأشياء على طريق الحكمة لتكون له بشرى أو نذارة أو معاتبة، ليكونوا على بصيرة من أمورهم.

فأما البشرى فمثل ما يروى أن صهيباً جاء إلى أبي بكر (رضي الله عنه) فقال : إني رأيت كأن يدك مغلولة إلى عنقك إلى سرير الى الحشر. فقال أبو بكر (رضي الله عنه) : الله أكبر جمع لي ديني إلى يوم الحشر.

وأما النذارة فما يروى عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) أنه رجع من اليمن بعد وفاة رسول الله (ﷺ) قدم معه برقيق قد أصابه هناك. فقال له عمر : إذهب بها إلى أبي بكر حتى تطيب لك، فأبى وقال : إنما بعثني رسول الله (ﷺ) ليجبرني فيما أصابني من الدين وطيب لي الهدية. فلما رجع إلى أهله وبات، رأى تلك الليلة كأنه قد وقع في ماء غمره، فأتاه عمر فأخذ بيده حتى أخرجه منها. فلما أصبح غدا بالسبي إلى أبي بكر (رضي الله عنه) فقص عليه قصته. فقال أبو بكر : قد علمت أن رسول الله (ﷺ) إنما بعثك ليجبرك، هم لك حل.

وما روي في فتح نهاوند حيث حمل إلى عمر « السفطين » فيهما حلي. وقد كان « للنجيرجان » كنز، فدلّه ذلك الرجل على الكنز على أن له الأمان ولأهل بيته. فجمع ذلك فحمله السائب بن الأقرع إلى عمر (رضي الله عنه) مع أصحابه، فجمع أصحاب رسول الله (ﷺ) فختمه ووضعه في خزائنه. فرأى تلك الليلة كأن ملائكة جاءت « بسفطين » فأوقدوا ما فيهما جمراً يتوقد، فجعلت أنثني عنهما وأنكص واقدم إليهما، فكاد ابن الخطاب يحترق، فأتبعه بريداً إلى الكوفة حتى جاء فقال : ما لي ولك يا سائب، إني رأيت كذا، فاذهب بهما إلى الكوفة وبعهما بأعطيات المقاتلة والذرية.

وأما المعاتبة فما روى سليمان بن يسار قال : استيقظ أبو أسيد الأنصاري (رضي الله عنه) ليلة وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون فاتني وردي الليلة. وكان وردي البقرة، فقد رأيت في المنام كأن بقرة تنطحني.

وأما الخبر الذي يلقي إليه من أمر الدنيا والآخرة مثل ما روى ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : جاء رجل إلى عمر وهو عند أبي بكر (رضي الله عنهما) فقال : إني رأيت رؤيا. فقال عمر (رضي الله عنه) : لا حاجة لنا برؤياك. فقال أبو بكر. هات. قال : رأيت كأن الناس قد حشروا فكأنك قرعت الناس بثلاث بسطات. قلت : بأي شيء قرع عمر الناس بثلاث بسطات ؟ قال : بأنه يكون خليفة، وأنه لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنه يقتل شهيداً. فقال عمر (رضي الله عنه) : أضغاث أحلام، لا حاجة لنا برؤياك. قال أبو بكر (رضي الله عنه) : رأيت خيراً وخيراً يكون. فلما أتى عمر (رضي الله عنه) الشام وبصر بالرجل، قال : عليَّ بالرجل. وقال : أنت صاحب الرؤيا ؟ قال : وما تصنع برؤياي وما تنتهرني حتى أني قد جئت بأمر. قال : قصها. قال : رأيت كأن الناس يحشرون، فرأيتك قرعت الناس بثلاث بسطات. فقلت : بأي شيء قرع عمر الناس بثلاث بسطات ؟ قال : بأنه يكون خليفة. قال : فقد كانت، نسأل الله خيرها ونعوذ بالله من شرها. قال : وبأنه لا تأخذه في الله لومة لائم. قال : إني أرجو من الله أن يكون كذلك، أو أن يعلم الله ذلك مني. قال : وبأن تقتل شهيداً. قال عمر (رضي الله عنه) : أما الشهادة فأني الشهادة. ثم قال : بلى يأتي الله بكافر فينقرني نقر الديك، فيكرمني الله بهوانه ويهينه بكرامتي.

وكان شأن الرؤيا عظيماً عند رسول الله (ﷺ) وأصحابه. روي عن سفينة قال : كان رسول الله (ﷺ) إذا صلى الصبح أقبل على أصحابه، قال : أيكم رأى الليلة رؤيا ؟. فقال ذات يوم ذلك فقال رجل : أنا يا رسول الله رأيت كأن ميزاناً دلي من السماء فوضعت في كفة الميزان ووضع أبو بكر في كفة، فرجحت بأبي بكر، ثم رفعت وترك أبو بكر. ثم جيء بعمر فوضع في الكفة الأخرى، فرجح أبو بكر بعمر، ثم رفع أبو بكر، وترك عمر حتى جيء بعثمان فوضع في الكفة الأخرى، فرجح عمر

بعثمان، ثم رفع الميزان. فتغير وجه رسول الله (ﷺ) ثم قال : خلافة نبوة ثلاثين عاماً ثم يكون ملك[1]. قال سفينة : أمسك سنتين أبو بكر، وعشراً عمر، وثنتي عشرة عثمان وستاً علي (رضوان الله عليهم أجمعين).

الرؤيا من أخبار الملكوت من الغيب وهو جزء من أجزاء النبوة. وقد قال (عليه السلام) يوم وفاته : « انه لم يبق بعدي من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة ». وقال الله تعالى : ﴿ **لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ .

قال عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) : سألت رسول الله (ﷺ) عن قوله تعالى : ﴿ **لهم البشرى في الحياة الدنيا** ... ﴾ قال : هي الرؤيا الصالحة، يراها الرجل المسلم أو ترى له :

وعن عبادة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه في المنام ».

وقال بعض أهل التفسير في قوله تعالى : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب** ﴾[2] قال في منامه.

وعلم الله تعالى يوسف (عليه السلام) تأويل الرؤيا وسماه حديثاً فقال تعالى : ﴿ **ولنعلمه من تأويل الأحاديث** ﴾[3].

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الفتن باب ٤٨ ما جاء في الخلافة ٢٢٢٦ ــ عن سعيد ابن جمهان قال حدثني سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.
قال الترمذي: وفي الباب عن عمر وعلي: وهذا حديث حسن قد رواه غير أحد عن سعيد بن جمهان ولا نعرفه إلا من حديث سعيد بن جمهان ورواه أبو داود في السنة ٨ وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٢٧٣، ٥ : ٤٤ (حلبي).

(٢) سورة الشورى آية رقم ٥١ وقد جاءت محرفة في المطبوعة حيث قال « ما » بدون الواو.

(٣) سورة يوسف آية رقم ٢١.

والمحدث على ثلاثة أنواع : محدث بالوحي وهو الذي يخفق على القلب بالروح. ومحدث في المنام أمره على الأرواح، إذا خرجت الأرواح من الأجساد كلموا. ومحدث في اليقظة على القلب بالسكينة. فيعقلوه ويعلموه.

أما المحدث في المنام مثل ما روي عن رقية بن مصقلة قال : رأيت رب العزة (جل جلاله) في المنام فقال : وعزتي وجلالي لأكرمَنَّ مثوى سليمان التيمي. وما روي عن إبراهيم بن أدهم (رحمه الله) أنه قال ذات يوم : اللهم فإنه قد وقع الشوق إليك في قلبي والنظر إليك. وقد علمت أنك لا ترى في الدنيا، فهب لي من عندك ما يسكن إليه قلبي، فغفى في مجلسه ذلك، ثم أفاق فقال : سبحان الله. فقيل له : لم سبحت ؟ قال : من لطف ربي، إني بينما أنا غافٍ إذ أتاني آت من ربي فقال : يا رجل أجب ربك. فأتيت ربي فكاد يذهب بصري لنور ربي. فناداني ربي فقال : « يا إبراهيم تسألني بدلاً من النظر إليَّ والشوق إلى لقائي فهل لذاك من بدل ؟ » فقلت : يا رب دهشت في حبك وكان قلبي إليك فلم أتمالك أن قلت ما قلت، فكيف تأمرني أن أقول ؟ فقال : « يا إبراهيم من وجدت قلبه خالياً من الدنيا والآخرة، ملأته حبي. حتى إذا ملأته قبضت عنه فكان في قبضي. فإذا كان في قبضي، كنت سمعه الذي به يسمع، وبصره الذي به يبصر، ويده الذي بها يبطش، وعزتي وجلالي لو سألني جميع الدنيا كلها في كفه، لفعلت. وكيف يتفرغ الى المسألة من سهلت له السبيل إلى نفسي، وأريته كرامتي. فإن كنت لا بد سائلاً فاسألني أن أجمعك إليَّ، وأونسك بكلامي، وآذن لأرواح أنبيائي في الالتقاء معك، فإن ذلك يهون عليَّ لأوليائي ».

وهذا لأن العامة في تخليط من الشهوات وميل النفوس. فلم يكلموا الا بعد مزايلة الأرواح من النفوس والشهوات. ولما صفت عقول المحدثين وطهرت قلوبهم وتنزهت من الآفات والشهوات والعلائق، كلموا على

القلوب. فإذا كان الكلام على الأرواح في المنام جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، كان الكلام على القلوب في اليقظة أكثر من ثلث النبوة على قدر قربها من ربها في تلك المجالس.

وعن أبي سلمة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : بينا أنا نائم إذا اتيت بقدح لبن، فشربت منه حتى أني لأرى الري جرى من أطرافي. ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب. فقال من حوله : ماذا أولته يا رسول الله؟ قال : العلم. قال : ورأيت الناس يعرضون عليَّ وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ الركب، ومر عمر وعليه قميص يجره. قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : الدين .

الأصل الثامن والسبعون

في أن المعدة إذا كانت صحيحة ترجى معها النجاة

عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، حدثنا رسول الله (ﷺ) أنه كان عبد من عباد الله آتاه الله مالاً وولداً فكان لا يدين لله ديناً، فلبث حتى إذا ما ذهب عمر وبقي عمر ذكر، فعلم أنه لم يبتئر[1] عند الله خيراً دعا بنيه فقال : أي بني تعلموني قالوا : خيراً يا أبانا. قال : فإني والله لا أدع عند رجل منكم مالاً هو مني إلا أنا آخذ منه، أو لتفعلن بي ما آمركم، فأخذ منهم ميثاقاً وَرَبِّي[2]. قال : اما اني فإذا مت فخذوني فألقوني في النار حتى إذا كنت حمماً فدقوني، ثم اذروني في الريح لعلي أضل الله. ففعلوا به ورب محمد حين مات، فجيء به أحسن ما كان قط، فعرض على ربه. فقال : ما حملك على النار ؟ قال : خشيتك يا رباه. قال : إني أسمعك راهباً. فتيب عليه[3].

---

(١) وفي بعض النسخ لم ابتهر ومعناه: لم يقدم خيراً قط.

(٢) وربِّي: على القسم.

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم بسنده ٣٧ ــ (٢٧٥٧) في كتاب التوبة عن أبي سعيد =

وفي رواية أبي سعيد (رضي الله عنه) : دخل رجل الجنة ما عمل خيراً قط، فذكر الحديث.

وفي رواية أبي بكر (رضي الله عنه) : فيقول الله (عز وجل) : انظر إلى ملك أعظم ملك في الدنيا، فإن لك مثله وعشرة أمثاله. فيقول : لم تسخر بي وأنت الملك. قال رسول الله (ﷺ) : فذاك الذي أضحكني.

قوله : « لا يدين لله ديناً » أي لم يكن يسير في شريعته سير المطيعين. فأما قبول الشريعة فلم يكن يخلو منه. إذ لو جحد الدين لكفر. وهو مثل قوله في الحديث الآخر : « لم يعمل خيراً لله قط ». قوله : « أسمعك راهباً » أي رهبت مني. وهو كقوله : هربت مني. والهرب بالنفس، والرهب بالقلب. فهذا عبد كانت المعرفة استقرت في قلبه بالتوحيد لله تعالى، وبالمبعث بعد الموت، والثواب والعقاب. والغالب عليه الجهل بالله وبأمره، فأهمل الحدود وعطل العمر. فلما حضره الموت، هاج منه خوف التوحيد، فأعمل في قلبه، فطلبته نفسه الجاهلة بالله ملجأ وخلاصاً من الله، فدلته نفسه على ما أوصى به أهله من الإحراق والسحق والتذرية، فذهل عقله من المخافة، وانقطعت حيله فهذا بذلك، فألجأه الله تعالى بالمعرفة من غير التفات الى العبودة. قال الله تعالى : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾[1].

فلم يعمل خيراً قط، فأدركته دولة السعادة، فأصاب حظاً من الخشية. والخشية إنما تنال عند كشف الغطاء وانشراح الصدر بالنور. وكان قد

= الخدري عن النبي ﷺ مع الاختلاف في بعض الألفاظ ورواه الإمام البخاري في كتاب التوحيد ٣٥ باب قول الله تعالى: ﴿ **يريدون أن يبدلوا كلام الله** ﴾ ٧٥٠٨ بسنده عن أبي سعيد الخدري، وكذا أخرجه أبو نعيم في المستخرج من رواية اسحاق بن ابراهيم الشهيدي عن معتمر.

(١) سورة الأنعام آية رقم ٨٢.

سبق له من الله تعالى أثرة وحظ. وهو يقطع عمره في رفض العبودة ويضيعها. فلما حضر أوان شخوصه إلى الله تعالى، جاءت الأثرة والسعادة بذلك الحظ الذي كان سبق له، فاستنار الصدر بالنور، وانكشف الغطاء حتى صار بحال لا يعقل ما يقول من الرهب من الله تعالى، فقدم عليه معها، فغفر له بخشيته.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « بينما عبد لم يعمل لله خيراً قط، ففرق فخرج هارباً فجعل ينادي : يا أرض اشفعي لي، ويا سماء اشفعي لي، ويا كذا اشفعي لي. حتى أصابه العطش، فوقع. فلما أفاق، قيل له : قم فقد شفع لك من قبل فرقك من الله تعالى » .

وعن العباس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إذا اقشعرّ جلد العبد من خشية الله، تحاتت عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة البالية ورقها »[1].

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : قال الله تعالى : « وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، فمن خافني في الدنيا، أمنته في الآخرة »[2].

---

(١) الأثر لم يذكره صاحب الجامع الصغير ولا يوجد في الصحاح

(٢) سبق تخريج هنا الحديث قريبا من هذا

الأصل التاسع والسبعون

في أن في الخل منافع الدين والدنيا

عن عائشة (رضي الله عنه) قالت : قال رسول الله (ﷺ) : « ما أقفر بيت فيه خل »[1]. أقفر أي خلا. والخل من الأدم التي تعم منافعها.

وقيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ **تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً** ﴾ أنه الخل. وفيه منافع الدين والدنيا. فلذلك قال : « ما أقفر بيت فيه خل » أي ما خلا من أمر الدين والدنيا. وذلك بأنه بارد يطفئ حرارة الشهوة ويقطعها.

وعن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : كان عامة أدم أزواج النبي (ﷺ) بعده الخل ليقطع عنهن ذكر الرجال.

وخلق ابن آدم مجبولاً على الشهوات، الرجال منهم والنساء. وكلما

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الأطعمة باب ٣٥ ما جاء في الخل ١٨٤١ عن أبي حمزة الثمالي عن الشعبي عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: دخل على رسول الله ﷺ فقال: هل عندكم شيء.. ؟ فقلت لا. إلا كسر يابسة وخل فقال النبي ﷺ وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. ورواه ابن ماجة في كتاب الأطعمة ٣٣.

وجدوا عوناً لهم على طفء ذلك منهم، كان عوناً لهم. وكل شيء هو عون للدين فالبركة حالة به. وإذا بورك في الشيء، سعد به أهله.

قال (عليه السلام) فيما رواه أنس (رضي الله عنه) : « نعم الادام الخل »[1].

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الأطعمة باب ٣٥ ما جاء في الخل ١٨٣٩ ــ عن سفيان عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال: وذكره. ورواه ابن ماجة في كتاب الأطعمة: باب الائتدام بالخل ورواه الإمام مسلم في الأشربة: باب فضيلة الخل والتأدم به.

الأصل الثمانون

في دفع المنكرات بالدعاء

عن زياد بن علاقة، عن عمه (رضي الله عنه) قال : كان رسول الله (ﷺ) يقول : اللهم جنبني منكرات الأعمال والأخلاق والأهواء والأدواء.

ابن آدم لا ينفك فيما عده (عليه السلام) في متقلبه ليلاً ونهاراً. فالكبائر منكرات الأعمال. وسوء الخلق من منكرات الأخلاق وهو الحقد والحسد والبخل والشح وما أشبهه، والزيغ منكرات الأهواء. والسل وذات الجنب والجذام وما أشبهه منكرات الأدواء. وهذه كلها بوائق الدهر. وكان (ﷺ) يقول : « أعوذ بك من بوائق الدهر وفجأة النقم »[1].

فأما منكرات الأعمال والأخلاق والأهواء فمنها ما يعظم الخطب فيه

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الوتر ٣٢ ورواه الإمام مسلم في كتاب الذهر والدعاء ٩٦ (٢٧٣٩) عن موسى بن عقبة عن عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر قال: كان من دعاء النبي ﷺ وذكره ولفظه: « اللهم إني أعود بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك ».

حتى يصير منكراً، غير متعارف فيما بينهم، فذاك الذي يشار إليه بالأصابع.

روي أن عبدالله بن عائذ الثمالي (رضي الله عنه) حين حضرته الوفاة، قال له غضيف بن الحارث : إن استطعت أن تلقانا فتخبرنا ما لقيت، فتوفي فرؤي في المنام فقال : وجدنا ربنا خير رب، يقبل الحسنات ويغفر السيّئات، إلّا ما كان من الأحراض. قيل : وما الأحراض ؟ قال : الذي يشار إليه بالأصابع في الشر.

وروى الحسن (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : « بحسب إمرئ من الشر أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصمه الله تعالى[1]. إنما يشار إليه في دين لأنه أحدث بدعة ومنكراً، وفي دنيا أحدث منكراً من الكبائر فأشير إليه »

وقوله (عليه السلام) : بحسبه من الشر لأنه قد هتك الله ستره. والمهتوك ستره يكون في دنياه في عار، وغداً في النار. ومن ستر الله عليه في الدنيا، رجا له العفو في الآخرة.

قال عليه السلام : « إذا ستر الله على عبد في الدنيا، لم يفضحه غداً ».

وقال علي (رضي الله عنه) : أقسم على ذلك من غير أن أستثني، لا يستر الله على عبد فيفضحه غداً.

---

(١) الحديث رواه البيهقي في شعب الايمان عن أنس وعن أبي هريرة وذكره السيوطي في الجامع الصغير

الأصل الحادي والثمانون

في أن النفس تألف بمن يبرها وبيان سره

عن جابر (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليجب فان شاء طعم وإن شاء ترك »[1].

المقصود من الدعوة ابتغاء الألفة والمودة. وفي النفس هناة وفي الصدر سخائم، والنفوس جبلت على حب من أكرمها. وقد حثهم رسول الله (ﷺ) على الاجابة ليصل ذلك البر الذي بر به أخوه حتى تتأكد الألفة، وتصفو المودة، وتنفي حزازات الصدر. فإن صاحب الغل والحقد لا يسلم له دينه من سوء ما يضمر لأخيه. فالإطعام بر للنفس يطفي حرارة الحقد وينفي مكامن الغل. وقد كانت للقوم أحقاد الجاهلية فألف الله تعالى بين قلوبهم بالإيمان، فحثهم رسول الله (ﷺ) على إجابة الدعوة لألفة النفوس. ولذلك قال (عليه السلام) : « من لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله »[2] لأنهم كانوا يتخذون الطعام يدعون عليها لنفي السخيمة.

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب النكاح ١٠٥ (١٤٣٠) عن أبي الزبير عن جابر ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب النكاح ١٠٧ (١٤٣٢) عن ابن شهاب عن الأعرج =

فمن امتنع عليه ليثبت على الغل والحقد، فقد عصى الله ورسوله، وامتنع من حق عظيم. والألفة من ثلاثة وجوه. إذا حصل تأكد واستتم. فالقلب يألف بالإيمان الذي في قلب صاحبه. والروح تألف بطاعته. والنفس من شأنها الشهوة واللذة، وليست همتها الإيمان والطاعة، فتألف ببرها. فإذا برها، صفت وصارت طوعاً. وإلا فهو كالمكره. فإنما دعاه أخوه إلى قبول بره فندبه (ﷺ) إلى أن يقبل ذلك من أخيه كيلا يضيع كرامته، ولا يجد الشيطان سبيلاً إلى وسوسته بالشر. ثم له الخيار إن شاء طعم، وإن شاء ترك. وترك الإجابة مما يدل على الجفاء والبعد والاستهانة به. فهناك يجد العدو سبيلاً، إلا أن يعتذر إليه المدعو، فيقبل الداعي عذره. وإن أحس بالشر في الدعوة، فله في التخلف عنها عذر، مثل إن كان ذلك الطعام لمباهاة أو رياء، فله عذر في ترك الإجابة. وقد نهى (عليه السلام) عن طعام المتباهين أن يؤكل، أو يكون في تلك الدعوة أمور منهي عنها من اللهو واللعب المحظور عليهم، فهذا عذر؛ لما روى الحكم بن عمير وكان بدرياً، قال : أرسل رجل من الأنصار إلى رسول الله (ﷺ) يدعوه إلى طعام، وكان (عليه السلام) يحفر الخندق، فجاء وأصحابه. فقال : ادخل يا نبي الله البيت، فدخل فرأى البيت منجداً مستراً فخرج. فقال : يا رسول الله ما أخرجك ؟ فقال : أطعمنا بالفناء. فأطعمهم، حتى إذا شبع القوم. فلما تفرقوا قال : يا رسول الله، لو كنت دخلت فإن البيت كان أبرد وأطيب. قال : إنك نجدت البيت وسترته وهذا لا يحل شبهته بيت الله، ولو شئت بسطت فيه وطرحت فيه وسائد.

= عن أبي هريرة أنه كان يقول: بئس الطعام طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء ويترك المساكين: وذكره.

الأصل الثاني والثمانون

في أصل الأدوية وسر الحكمة في التداوي

عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله »[1].

وعن أسامة بن شريك (رضي الله عنه) يقول : شهدت الأعراب يسألون رسول الله (ﷺ) : هل علينا جناح في كذا ؟ هل علينا جناح أن نتداوى ؟ فقال : « تداووا عباد الله، فإن الله تعالى لم ينزل داء إلا وضع له شفاء إلا الهرم »[2].

---

(١) الحديث عند ابن ماجة في كتاب الطب ١ باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ٣٤٣٨ عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن عن عبدالله بن مسعود ـــ رضي الله عنه ـــ عن النبي ﷺ قال: وذكره.

(٢) الحديث عند الترمذي في كتاب الطب باب ٢ ما جاء في الدواء والحث عليه ٢٠٣٨ عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال: قالت الأعراب يا رسول الله ألا نتداوى. قال: نعم. وذكره، ورواه ابن ماجة في كتاب الطب ٣٤٣٦ بالسند السابق: في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات وقد روى بعضه أبو داود في الطب: باب ما جاء في الرجل يتداوى والنسائي: في الطب والعلم.

فالطبائع تتغير بحدوث الأزمنة من الحر والبرد وفساد الهواء، فيصير داء في الأجساد، وتحدث في الجسد الأحداث من الطعم وما يتعاطاه ابن آدم من قضاء الشهوات واللذات والنصب والسهر والتعب والهموم، وما يجتمع في الجسد من الدم والمرة والبلغم وكل ذلك يحدث منه ما يتغير حاله، فيحتاج إلى دواء يسكن منه ما هاج. فهذا تدبير الجسد. فإذا ترك تدبيره، ضيعه كما لو ترك تدبير المعاش ضاع. فالتداوي حق وهو فعل الأنبياء (عليهم السلام). وقدم رسول الله (ﷺ) المدينة وهم يلقحون النخل، فقال : ما أرى يغني هذا شيئاً. فذهبت عامة ثمارهم وصارت دفلاً. فعرف أن التدبير من الله تعالى في ذلك غير ما رأى. فأمرهم أن يعودوا إلى ما كانوا عليه. فكذا وضعت علل الأجساد ان تعالج حتى ترد إلى الهيئة التي كانت عليها. ولولا ذلك لكانت الأدوية مهملة، ولم يخلقها الله تعالى عبثاً. وكان سليمان (عليه السلام) تنبت في محرابه كل يوم شجرة ثم تناديه الشجرة : أنا دواء لكذا، فتقطع وتوضع في ديوان الطب. فعامة الطب إنما ورثوه من تلك الكتب.

فالناس في التداوي على ثلاث طبقات :

فالطبقة الأولى هم الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) أهل يقين ومشاهدة يتداوون وقلوبهم مع خالق الدواء الذي جعل الشفاء في ذلك الدواء. فهم يتداوون على ما هيأ لهم من التدبير وينتظرون الشفاء من الله تعالى، وقلوبهم خالية عن فتنة الدواء.

والطبقة الثانية هم أهل اليقين، لم يأمنوا خيانة نفوسهم أن تطمئن إلى الدواء وتركن إليه فيفروا من ذلك. فكلما عرض لهم داء، فوضوا الأمر في ذلك الى الله تعالى وتوكلوا عليه، ولم يتكلفوا تداوياً. وتركوا التداوي من ضعف يقينهم خوفاً على قلوبهم أن تطمئن نفوسهم الى الدنيا، فيصير سبباً يتعلق به قلوبهم. والأول أعلى وأقوى.

والطبقة الثالثة أهل تخليط وقلوبهم مع الأسباب لا ينفكون منها. فهم محتاجون الى التداوي ولا يصبرون على تركها وهم العامة.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك ولا تعجز. فإن غلبك أمر فقل : قدر الله وما شاء. فعل وإياك واللو. فإن اللو يفتح عمل الشيطان »[1].

فالأقوياء تداووا ومروا في الحيل والأسباب وقلوبهم مع رب الأدوية لا مع الأسباب، وهم الأنبياء والأولياء (عليهم السلام). والمؤمن الضعيف انه يحجبه تداويه عن الله تعالى ويتعلق قلبه به، وذلك لضعف يقينه، وفي كل خير. والقوي أحب إلى الله تعالى.

وقوله : « احرص على ما ينفعك » أي استعمل تدبير الله تعالى في هذه الأمور، ولا تعجز بتركه. فإن استعملت ولم يكن الذي أردت، فقل : قدر الله وما شاء. أي هكذا كان قدر وشاء. فارض بحكمه وإياك أن تقول : لو كان كذا، كان هذا الأمر كذا. ولو لم يكن كذا، لكان كذا. فهذا قول من يتعلق قلبه بالأسباب، وعمي عن تدبير الله تعالى وصنعه.

وما رواه ابن عباس (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) : « يدخل سبعون ألفاً من أمتي الجنة بغير حساب ». قيل يا نبي الله من

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب القدر ٨ باب الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ٣٤ ــ (٢٦٦٤) عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن يحيى بن حبان عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره ورواه ابن ماجة في المقدمة ١٠ والزهد ١٤ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣٦٦، ٣٧٠ (حلبي).

هم ؟ قال : « الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون »[1].

فإنما كره رسول الله (ﷺ) الكي واستعمال النار في الأدوية، وكذلك الرقي؛ لأن أكثره يشوبه الشرك.

قال (عليه السلام) : أقرب الرقي إلى الشرك رقية الحية والجنون. وكذلك الطيرة من فعل الجاهلية. فرسول الله (ﷺ) ذكر الخصال المكروهة انهم تركوها تورعاً. وتوكلوا على ربهم، ولم يذكر أنهم لا يتداوون. وليس في طلب المعاش والتداوي والمضي في الأسباب على تدبير الله تعالى ترك للتفويض والتوكل، إذ الأنبياء والرسل (عليهم السلام) هم طلاب المعاش وأهل الحرف والتجارات.

قال (عليه السلام) : إن الله يحب أن يرى العبد محترفاً.

ومر عمر (رضي الله عنه) بقوم فقال : من أنتم ؟ قالوا : المتوكلون. فقال : أنتم المتأكلون. إنما المتوكل رجل ألقى حبة في بطن الأرض وتوكل على ربه.

وإنما ترك التوكل بالقلب إذا غفل عن الله تعالى، وكان قلبه محجوباً. فإذا طلب المعاش أو تداوى، صار فتنة عليه، وتعلق قلبه به. وقد نهى رسول الله (ﷺ) عن الرقي ثم رخص فيما يؤمن فيه الشرك.

روى جابر (رضي الله عنه) أن عمرو بن حزم دعا لامرأة بالمدينة

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٣٧١ (٢١٨) عن هشام بن حسان عن محمد يعني ابن سيرين قال: حدثني عمران قال: قال نبي الله ﷺ وذكره. ورواه الإمام البخاري في كتاب الطب ١٧ والرقاق ٥٠ ورواه الترمذي في القيامة ١٦ باب ٢٤٤٦ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

لدغتها حية ليرقيها فأبى، فأخبر بذلك رسول الله (ﷺ) فدعاه، فقال عمرو : إنك لتزجر عن الرقي. فقال : اقرأها عليه، فقرأها، فقال : لا بأس بها، إنما هي مواثيق فارق بها.

وعن جابر (رضي الله عنه) قال : كان بالمدينة رجل يكني أبا مذكر يرقي من العقرب ينفع الله بها. فقال رسول الله (ﷺ) : يا أبا مذكر ما رقيتك هذه ؟ اعرضها عليّ. فقال أبو مذكر : شجة، قرينة، ملحة، بحر، قغطى. فقال (عليه السلام) : لا بأس بها، إنما هي مواثيق أخذها سليمان بن داود (عليه السلام) على الهوام. وهذه لغة حمير.

الأصل الثالث والثمانون

في التنبيه على أن العقوبة من الله تعالى تعم والرحمة للمطيع

عن يوسف بن عطية الصفار قال : سمعت ابن سيرين وسأله رجل فقال : يا أبا بكر ما تقول في هذا الذر يقع في طعامنا وشرابنا فنقتله ؟ فقال : حدثنا أبو هريرة (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) أن نبياً من الأنبياء كان في غزاة له، فنزل تحت شجرة فلذعته نملة فأمر بتلك الشجرة فأحرقت. فأوحى الله تعالى إليه : الا نملة مكان نملة[1].

كان هذا النبي قد حاور ربه في شأن الخلق. وروي أن ذلك كان موسى بن عمران. فقال : يا رب تعذب أهل قرية بمعاصيهم وفيهم

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب بدء الخلق ٣٣١٩ ــ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. وعند البخاري [فهلا نملةً واحدة] ورواه الإمام مسلم في السلام ١٤٨ (٢٢٤١) عن ابن شهاب عن سعيد ابن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ وذكره، وأيضاً ١٤٩ بسنده عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: وذكره وأبو داود في الأدب ١٦٤ والنسائي في الصيد ٣٨ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣١٢، ٤٤٩ (حلبي).

المطيع فكأنه أحب أن يريه ذلك من عنده، فسلط عليه الحر حتى التجأ الى ظل شجرة مستروحاً وعندها بيت النمل، فغلبه النوم. فلما وجد لذة النوم، لذعته النملة فأضجرته فدلكهن بقدمه وأحرق تلك الشجرة التي عندها مساكنهم. فأراه الله تعالى العبرة في ذلك : إنك تحيرت في عذابي أهل قرية وفيهم المطيع والعاصي. وإنما أجرمت إليك نملة فكيف قتلتهم. وليس في هذا خطر عن قتل النمل. لأن كل ما أذاك، أبيح لك قتله. ألا ترى أن الفأر والغراب والكلب والحية والعقرب قد أبيح للمحرم قتلها. وكذلك سائر الهوام المؤذية. إلا إن المؤمن لا يقتل هذه الأشياء عبثاً. ولكنه يقتلها بحق إذا كان من تأذ أو خوف. وليس ذاك بأعظم حرمة من المؤمن ومع ذلك يباح دفعه بالقتل.

الأصل الرابع والثمانون

في أن الناس ينزلون منازلهم وتدبير الله في اختلاف أحوالهم

عن ميمون بن أبي شبيب، عن عائشة (رضي الله عنه) قالت : مر عليها سائل فأمرت له بكسرة. ومر عليها رجل ذو هيئة فأقعدته، فقيل لها فقالت : إن رسول الله (ﷺ) أمرنا أن ننزل الناس منازلهم[1].

---

(١) الحديث رواه مسلم تعليقاً في مقدمة صحيح، فقال: ويذكر عن عائشة قالت : وذكره. ووصله أبو نعيم في المستخرج، وأبو داود، وابن خزيمة والبزار، وأبو يعلى، والبيهقي في الأدب، والعسكري في الأمثال، وغيرهم من حديث ميمون بن أبي شبيب أنه قال: وذكره، قال في اللآلئ وأعله أبو داود بأن ميمون لم يدرك عائشة، ورد عليه بأن ميمون هذا كوفي قديم أدرك المغيرة، والمغيرة مات قبل عائشة، وقد حكم بصحته، وتبعه ابن الصلاح في علومه انتهى ما في اللآلئ، ورواه أبو نعيم في الحلية بلفظ: إن عائشة كانت في سفر فأمرت لناس من قريش بغذاء فمر رجل غني ذو هيئة، فقالت ادعوه فنزل فأكل ومضى وجاء سائل فأمرت له بكسرة فقالت: إن هذا الغني لم يجمل بنا إلا ما صنعناه به، وإن هذا السائل سأل فأمرت له بما يترضاه وأن رسول الله أمرنا ــ الحديث ــ ولفظ أبي داود أنزلوا الناس منازلهم. وقال في التمييز وذكره الحاكم أبو عبدالله في كتابه معرفة علوم الحديث، وقال: حديث صحيح.

دبر الله تعالى لعبيده الأحوال غنى وفقراً وعزاً وذلاً ورفعة وضعة؛ ليبلوهم في الدنيا أيهم يشكر على العطاء، وأيهم يصبر على المنع، وأيهم يقنع بما أوتي وأيهم يسخط، ثم ينقلهم الى الآخرة فذلك يوم الجزاء. فالعاقل يعاشر أهل دنياه على ما دبر الله لهم. فالغني قد عوده الله النعمة، وهي منه كرامة ابتلاء لا كرامة ثواب. قال الله تعالى : ﴿ **فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعَّمَهُ فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن * كلا** ﴾[1].

أي لست أكرم بالدنيا ولا أهين بمنعها.

فإذا لم تنزله المنزلة التي أنزل الله تعالى، استهنت به وجفوته من غير جرم استحق به ذلك الجفاء، وتركه موافقة الله تعالى في تدبيره، وأفسدت عليه دينه. وهو قوله (عليه السلام) : « أنزلوا الناس منازلهم »[2]. أي المنازل التي أنزلهم الله من دنياهم. أما الآخرة فقد غيب شأنها عن العباد. فإذا سويت بين الغني والفقير في مجلس أو مأدبة أو هدية، كان ما أفسدت أكثر مما أصلحت. فإن الغني يجد عليك إذا أزريت بحقه. فإن الله تعالى لم يعوده ذاك. والفقير يعظم ذلك القليل في عينه ويقنع بذلك لأن تلك عادته. وكذلك معاملة الملوك والولاة على هذا السبيل. فإذا عاملت الملوك بمعاملة الرعية، فقد استخففت بحق السلطان وهو ظل الله تعالى في أرضه. به تسكن النفوس وتجتمع الأمور. فالناظر إلى ظل الله عليهم في الشغل عن الالتفاف الى سيرهم وأعمالهم. وإنما نفر قوم من السلف عنهم وجانبوهم لأنه لم تمت شهوات نفوسهم، ولم يكن لقلوبهم مطالعة ظل الله تعالى عليهم، فخافوا أن يخالطوهم أن يجدوا حلاوة برهم فتخلط قلوبهم بقلوبهم، فجانبوهم وأعرضوا عنهم وتأولوا في ذلك. لحديث ابن

---

(١) سورة الفجر الآيتان ١٥ و١٦ وبداية الآية ١٧.

(٢) رواه مسلم، وأبو داود عن عائشة، ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق عن معاذ بلفظ: أنزلوا الناس منازلهم من الخير والشر، وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة.

عباس (رضي الله عنهما) : « ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر ». وهذا من قلة معرفتهم بتأويله. فإنهم لو نظروا إليهم بما ألبسوا من ظله، لشغلوا عن جميع ما هم فيه، ولم يضرهم اختلاطهم. وبهذه القوة كان أصحاب رسول الله (ﷺ)، والتابعون من بعدهم بإحسان يلقون الأمراء الذين قد ظهر جورهم ويقبلون جوائزهم ويظهرون العطف عليهم والنصيحة لهم.

وأما حديث ابن عباس (رضي الله عنه) فتأويله أن الذي يعظم في عينه حطام الدنيا، وباع آخرته بدنياه من المنافسة في الدنيا والرغبة فيها، وعظَّمَ شأن الأغنياء في عينه لما يرى عليهم من الدنيا فيعظمهم ويتملقهم، ويكرمهم تكريماً وتعظيماً لما في أيديهم. وإذا رأى من قد منع هذا، وزويت عنه الدنيا، ازدراه وحقره. فلغلبه الشهوات يعظم أبناء الدنيا، ويحقر أبناء الآخرة، فهو مستوجب لعنة الله تعالى لأنه مفتون يكرم مفتوناً. فأمّا عبد دقت الدنيا في عينه ورحم أهل البلاء، فهو يرى الغني مبتلى بغناه، قد تراكمت عليه أثقال النعمة، وغرق في حسابها، وعليه وبالها غداً، فيرحمه في ذلك، كالغريق الذي يذهب به السيل. فإذا لقيه، أكرمه وبره على ما عوده الله تعالى إبقاء على دينه لئلا يفسد، فإنه قد تعزز بدنياه وتكبَّر وتاهَ ويعظم ذلك في نفسه. فإذا حقرته، فقد أهلكته لأن عزه دنياه. فإذا أسقطت عزّه فقد سلبته دنياه. وهذه محاربه لا عشرة. فعليك أن تبرّه وتكرمه مدارياً له على دينه ورفقاً به، وترحمه بقلبك، وقد صغر في عينيك ما خوله الله تعالى من الدنيا. وهذا فعل الأنبياء والأولياء. وبذلك أوصى رسول الله (ﷺ) فقال : « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه » .

أراد من عوده قومه الاكرام من غير أن ينسمه إلى دين أو صلاح. فإذا

---

(١) الحديث رواه ابن حاجة في كتاب الادب ١٩ باب اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه، ٣٧١٢ بسنده عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ــ ﷺ ــ وذكره
في الزوائد: في اسناده سعيد بن مسلمة وهو ضعيف

أنت مأجور باكرام من عوده قومه الاكرام، فكيف من عوده الله تعالى وأكرمه ونعمه كرامة الابتلاء. فإذا رأى ذا نعمة، عظمه في الظاهر تعظيم بر ولطف؛ ليبقى من دينه ودين نفسه، وليكون تدبير الله تعالى الذي وضعه له في العز والتعظيم بمكانه وهو في الباطن قلبه منه بعيد. وهكذا أهل الفساد من الموحدين يلطف بهم ويرفق بهم في الظاهر إبقاء على أحوالهم في أمر دينهم، والرفق محبوب مبارك.

عن عائشة (رضي الله عنها) قال رسول الله (ﷺ) : « إن الله يحب الرفق كله »[1].

وقال (عليه السلام) : « من أُعطي حظه من الرفق، أُعطي حظه من خير الدنيا والآخرة. ومن حرم حظه من الرفق، حرم حظه من خير الدنيا والآخرة »[2].

وقال (عليه السلام) : « إذا أراد الله تعالى بأهل بيت خيراً أدخل عليهم باب الرفق »[3] صدق رسول الله.

---

(١) الحديث عند الإمام مسلم في كتاب السلام ١٠ ــ (٢١٦٥) عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: استأذن رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم فقالت عائشة بل عليكم السام واللعنة فقال رسول الله ﷺ يا عائشة: وذكره. ورواه الإمام البخاري في الاستئذان ٢٢، والدعوات ٥٩ والأدب ٣٥، ورواه أبو داود في الأدب ١٠ والترمذي في الاستئذان باب ما جاء في الاستئذان على أهل الذمة ٢٧٠١ عن الزهري، عن عروة عن عائشة قالت: وذكره كما جاء في صحيح مسلم، ورواه ابن ماجة في كتاب الأدب ٩ والدارمي في الرقاق ٧٥ وصاحب الموطأ في الاستئذان ٣٨، وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ١١٢، ٤: ٨٧، ٦ : ٣٧، ٨٥، ٩٩ (حلبي).

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر باب ٦٧ ما جاء في الدفق ٢٠١٣ ــ عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه الإمام أحمد في المسند ٦ : ١٥٩، ٤٥١ (حلبي).

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٦ : ٧١، ١٠٤، ١٠٥ (حلبي).

الأصل الخامس والثمانون

في أن المؤمن يموت بعرق الجبين

عن بريدة، عن أبيه (رضي الله عنهما) وكان بخراسان، فدخل على ابن أخ له يعوده، فوجده في الموت، فإذا هو يعرق جبينه. فقال بريدة : الله أكبر، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « المؤمن يموت بعرق الجبين »[1].

المؤمن لما رأى من ذنوبه في وقت مقدمه على ربه، فتراءى له قبح ما جاء به، فيستحيي منه فيعرق لذلك وجهه؛ لأن ما سفل منه قد مات، وإنما بقيت قوى الحياة وحركاتها فيما علا. والحياة في العينين، وذلك وقت الحياء والرجاء والأمل. فإذا عرق، فذاك علامة الإيمان. فأما الكافر ففي عمى عن هذا كله.

---

(١) الحديث أخرجه النسائي في: ٢١ ــ كتاب الجنائز ٥ باب علامة موت المؤمن، وابن ماجة في: ٦ كتاب الجنائز، ٥ باب ما جاء في المؤمن يؤجر في النزع حديث رقم ١٤٥٢ ورواه الترمذي باب ١٠ ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين ٩٨٢ ــ عن المثنى بن سعيد عن قتادة، عن عبدالله بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: وذكره. قال: وفي الباب عن ابن مسعود، وقال: هذا حديث حسن، وقد قال بعض أهل العلم لا نعرف لقتادة سماعاً من عبدالله بن بريدة.

وعن سعيد بن سوفة قال : دخلنا على سلمان الفارسي نعوده وهو مبطون. فقال : إني محدثك حديثاً لم أحدثه أحداً قبلك ولا أحدث أحداً بعدك، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « ارقبوا الميت عند موته، فأما إن رشحت جبينه وذرفت عيناه وانتشر منخراه، فهي رحمة من الله تعالى قد نزلت به. فإن غط غطيط البكر المخنوق وخمد لونه وأزبد شدقاه، فهو عذاب من الله تعالى قد حل به » . ثم قال لامرأته : ما فعل المسك الذي جئنا به من بلنجر ؟ قالت : هوذا. قال : فألقيه في الماء ثم اضربي بعضه ببعض، ثم انضحي حول فراشي، فإنه يأتيني الآن قوم ليسوا بجن ولا إنس. ففعلت. فقمنا من عنده، ثم رجعنا فوجدناه قد قبض.

وعن عبدالله قال : موت المؤمن بعرق الجبين إن المؤمن يبقى عليه خطايا من خطاياه، فيجازف بها عند الموت، فيعرق لذلك جبينه.

الأصل السادس والثمانون

في أن الكيس من أبصر العاقبة والأحمق من عمي عنها

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رجلاً قال : يا نبي الله أي المؤمنين أكيس[1] ؟ قال : أكثرهم ذكر للموت، وأحسنهم له استعداداً. وإذا دخل النور في القلب، انفسح واستوسع. قالوا : ما آية ذلك يا نبي الله ؟ قال : الإنابة الى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت. ثم قرأ : ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه** ﴾[2].

الموت عاقبة أمر الدنيا. فالكيس من أبصر العاقبة، والأحمق من عمي عنها بحجب الشهوات التي قامت بين يدي قلبه فاقتضته إنجازها وجاءته

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد ٣١ باب ذكر الموت والاستعداد له ٤٢٥٩ ــ عن فروة بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر ــ أنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ فجاء رجل من الأنصار فسلم على النبي ﷺ ثم قال يا رسول الله أي المؤمنين أفضل: وذكره مع اختلاف في اللفظ وفي الزوائد: فروة بن قيس مجهول، وكذلك الراوي عنه، وخبره باطل قاله الذهبي في طبقات التهذيب.

(٢) سورة الزمر آية رقم ٢٢.

الأماني بمواعيدها الكاذبة المخلقة. فتقول له : خذها ثم تتوب. وأتته الشهوة وتقول له خذني إليك، ثم تستغفر، فإن الله غفور للمذنبين، وحبيب للتائبين. فهذه حجب كثيفة دون العاقبة، فلا يراها. والكيس من سعد بجميل نظر الله تعالى، واعطى النور الزائد على نور الموحدين، وهو نور اليقين. يهتك هذا النور الحجب والدخان والظلمة التي في الصدر من الشهوات. فسكن الدخان، وانقشعت الظلمة، واستنار الصدر، فأبصر عاقبة أمره، وأنها قاطعة لكل لذة وشهوة، وحائلة بينه وبين كل أمنية، وأن عمره أنفاس معدودة، لا يدري متى ينفد العدد، فصار من ذلك على خطر عظيم، ولا يعلم متى يحل به الموت، ويبغت به الأمر، فيرحل إليه من دار الغرور مغتراً به، مخدوعاً عنه، مع دنس المعاصي وقبح الآثام، فلا وصول إلى توبة، ولا مهلة له في إنابة، فيكون مقدمه مقدم العبيد الاباق الذين أمهلهم الله في الدنيا وحلم عنهم، وكانوا يحكمون لأنفسهم بما يشتهون في دنياهم، وهم مستدرجون في مكره، فيردهم إليه ويحكم فيهم بما يستوجبون من إباقهم. قال الله تعالى : ﴿ **ثم ردوا الى الله تعالى مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين** ﴾[1].

فالكيس نظر بنوره الذي مَنَّ الله تعالى عليه به، فأبصر أن الموت قاطع لكل لذة، حائل بينه وبين التوبة، فانكسر قلبه، وذبلت نفسه، وخمدت نار شهوته، واكفهر الحق في وجه أمنيته، واستعد لكل ذنب توبة واعتذاراً، ومكان كل سيئة حسنة واستغفاراً؛ لتكون الحسنة غطاء للسيئة، والتوبة محاء للخطيئة. فهذا تفسير قوله (عليه السلام) : « أكيسهم أكثرهم ذكراً للموت، وأحسنهم له استعداداً ». فالاستعداد أن يجانب التخليط مجانبة لا يحتاج إلى استمهال إذا فاجأه أمر الله تعالى، وجاءته دعوته، فيقول : أمهلني حتى أتوب وأصلح أمري. وحسن الاستعداد أن يكون قد استعد للقائه والعرض عليه بعد علمه أن الموت يؤديه إليه. فطاب قلبه بالله

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٦٢.

تعالى وروحه بالطاعة ونفسه تتجنب الشهوات والمني ورفض التدبير لنفسه وتفويض ذلك إلى خالقه.

وهذا صفة أهل اليقين الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة** ﴾. الآية . تسلم عليهم الملائكة من الله تعالى، وتبشرهم بدخول الجنة من غير حبس في موطن أي حساب في موقف. وإنما سموا طيبين لأنه لم يبق فيهم تخليط، فطابوا روحاً وطابوا قلباً وطابوا نفساً. وأما أهل التخليط لا يقال لهم هذه الكلمة عند الموت. وإنما يقال لهم : ﴿ **طبتم فادخلوها خالدين** ﴾[1] عند باب الجنة بعد ما محصوا بعذاب القبر وأهوال القيامة وتناول النيران فيهم بلفحاتها على الصراط والحبس في العرض الأكبر. فإذا خلي عنهم وبلغوا باب الجنة، نودوا : ﴿ **سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾[2].

وقد روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « الناس يعرضون ثلاث عرضات يوم القيامة ».

فأما عرضتان فجدال ومعاذير. وأما في العرضة الثالثة تطاير الصحف، فالجدال للأعداء؛ لأنهم لا يعرفون ربهم، فيظنون أنهم إذا جادلوه، نجوا وقامت حججهم، والمعاذير لله الكريم يعتذر الى أنبيائه (عليهم السلام) ويقيم حجته عندهم على الأعداء، ثم يبعثهم الى النار. قال (عليه السلام) : « لا أحد أحب إليه المدح من الله تعالى ولا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى »[3].

---

(١) (٢) سورة الزمر آية رقم ٧٣.

(٣) الحديثُ رواه الإمام البخاري في كتاب التفسير ٧ باب ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ٤٦٣٤ عن عمرو عن أبي وائل عن عبدالله ــ رضي الله عنه ــ قال: وذكره: قلت: سمعته من عبدالله.. ؟ قال: نعم، قلت: ورفعه ؟ قال: نعم. ورواه أيضاً في كتاب النكاح ١٠٧ والتوحيد ١٥، ٢٠ ورواية الإمام مسلم في كتاب اللعان ١٧ والتوبة ٣٢، =

والعرضة الثالثة للمؤمنين، وهو العرض الأكبر، وهم على ضربين : منهم من نبهه في الحياة الدنيا فكاد يموت حياء وفرقاً، فأعطى الأمان غداً من ذلك. فإنه لن يجمع ذلك على العبد في موطنين.

قال (عليه السلام) : « قال ربكم : وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين، فمن خافني في الدنيا، أمنته في الآخرة. ومن أمنني في الدنيا، أخفته في الآخرة » .

ومنهم من يريد أن يعاتبه حتى يذوق وبال الحياء منه، ويرفض عرقا بين يديه، ويفيض العرق منهم على اقدامهم من شدة الحياء، ثم يغفر لهم ويرضى عنهم. فمن استحيى من الله تعالى في الدنيا مما صنع، استحيى الله تعالى من تفتيشه وسؤاله، ولا يجمع عليه حيائين كما لا يجمع عليه خوفين. وقد ستر محاسنه مساويه حتى يصير في ستر محاسنه، وستر عليه علمه حتى لا يستحيي من الخلق ومن نفسه.

وقوله (عليه السلام) : « إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح » فدخول النور في القلب، والانفساح في الصدر، فإن الصدر بيت القلب، ومنه تصدر الأمور، فيدخل النور في القلب، ومنه ينفسح الصدر وينشرح ويتسع، لأن الصدر كان مظلماً بالشهوات المتراكمة فيه والأماني والفكر وعجائب النفس ودواهيها، فكان يضيق بأوامر الله تعالى؛ لأنها خلاف امنيته وهواه، فلما قذف بالنور فيه، نفى الظلمة وأشرق الصدر، واتسع فيه أمر الله تعالى ونصائحه وآدابه ومواعظه. فهذا كله علامة الباطن، وأما علامة الظاهر فثلاث خصال، أشار (عليه السلام) إليها بقوله : « الإنابة إلي دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت » فأما الانابة

= ٣٣، ٣٤، ٣٥ والترمذي في الدعوات ٩٥ والدارمي في النكاح ٢٧، وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٣٨١، ٤٢٦، ٤٣٦ (حلبي).

إلى دار الخلود، فهي أعمال البر؛ لأنها وضعت جزاء لأعمال البر. قال الله تعالى : ﴿ **جزاء بما كانوا يعملون** ﴾[1].

فإذا إنكمش في أعمال البر، فهو إنابته. وأما التجافي عن دار الغرور، فهو أن يخمد حرصه على الدنيا ولها عن طلبها، وأقبل على ما يعنيه منها واكتفى بها وقنع، فقد تجافى عن دار الغرور.

وأما الاستعداد للموت هو أن يعلم أنه ربما كان في قضاء شهوة في مساخط الله تعالى، ويخافض بأمر الله تعالى، ويبغت بدعوته ولا بد من الإجابة في أسرع من اللمحة. فلا رجاء للمهلة، ولا وصول الى التوبة فيحكم أموره بالتقوى، فكان ناظراً في كل أمر، واقفاً متأثياً متثبتاً حذراً يتورع عما يريبه إلى ما لا يريبه. فمن فعل ذلك، فقد استعد للموت. وإنما صارت له هذه الرؤيا بالنور الذي ولج القلب.

---

(١) سورة الواقعة آية رقم ٢٤.

الأصل السابع والثمانون

في أن من الناس مفاتيح للخير ومن الناس مفاتيح للشر

عن أنس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من الناس ناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر. ومن الناس ناس مفاتيح للشر، مغاليق للخير. فطوبى لمن جعل مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل مفاتيح الشر على يديه »[1].

فالخير مرضاة الله، والشر مسخطه. وإذا رضي الله عن عبد، كان علامة رضاه عنه أن يجعله مفتاحاً للخير. فإن رؤي، ذكر الخير برؤيته. وإن حضر، حضر معه الخير. وإن ذكر، ذكر الخير معه. وإن نطق، نطق بخير. وعليه من الله تعالى سمات ظاهرة تذكر بالخير من لقيه. يتقلب في الخير بعمل الخير، وينطق بالخير، ويفكر في الخير، ويضمر على الخير، وهو مفتاح الخير حيث ما حضر. وسبب الخير لكل من خالطه أو عاشره أو صحبه. والآخر يتقلب في الشر، يعمل بالشر، وينطق بالشر، ويفكر بالشر، ويضمر على شر، فهو مفتاح الشر حيثما حضر، وسبب الشر لكل من

---

(١) الحديث عند ابن ماجة في المقدمة ١٩ باب من كان مفتاحاً للخير ٢٣٧ حدثنا محمد بن أبي حميد. ثنا حفص بن عبيدالله بن أنس عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

في الزوائد إسناده ضعيف من أجل محمد بن أبي حميد فإنه متروك.

خالطه أو صحبه. فصحبة الأول دواء لا ترجع منه إلا بزيادة. وصحبة الثاني داء لا ترجع منه إلا بنقصان. فمن كان بين يدي قلبه دنياه، فإنما يفتتح بدنياه إذا لقيك. ومن كان بين يدي قلبه آخرته، فإنما يفتتح بآخرته إذا لقيك. ومن كان بين يدي قلبه خالقه، فإنما يفتتح بذكره إذا لقيك. قل انما ينشر عليك بره ويحدثك عما يطالع قلبه. فالناطق عن دنياه يرغبك فيها، ويزين لك أحوالها. فالاستماع منه سقم، يورطك في ورطته، ويلقيك في وهدته. والناطق عن آخرته يرغبك فيها، ويزين لك أحوالها، ويقلل الدنيا في عينك، ويزهدك فيها، ويقف بك منها على سبيل خطر لما يخبرك عن فتنها وغرورها وخدعها وأمانيها الكاذبة، وما يلقى أهلها غداً من شدة الحساب وأهوال القيامة. والناطق عن الله تعالى (عز ذكره) يقف بك على تدبير الله تعالى، وعلى سبيل الاستقامة في العبودة، ويلهيك عن نفسك وعن الدارين لما يفتح عليك من منن الله تعالى وإحسانه ولما يكشف عن آلاء الله من الغيوب المستترة التي حرم هذا الخلف معرفتها، والانتباه لها، حتى يؤديك الى سنن التوحيد فيرقى بك الى فردانيته، فتتفرد للفرد الواحد، وهم الكبراء الذين روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « يا أبا جحيفة : جالس الكبراء، وخالل الحكماء، وسائل العلماء »[1].

فالعلماء بعلم أموره ينطقون. فالمسألة لهم تسائلهم عن حلال الله وحرامه. والحكماء بعلم تدبيره ينطقون. فالمخاللة لهم تخالله وتصير له مأمناً، فيفضي إليك حكمته. والكبراء بعلم آلائه ينطقون، تكبروا في كبرياء الله وعظمته، وانفردوا في فردانيته، واعتزوا به، فرؤيتهم دواء، وكلامهم شفاء، فالمجالسة لهؤلاء. فقد جعل الله تعالى في الخير من البركة ما يغلب الشر حيث ما كان.

---

(١) راجع ما كتبه صاحب الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٤: ١٦١٩ حيث قال: كان صغار الصحابة ذكروا ان الرسول ــ ﷺ ــ توفي وأبو جحيفة لم يبلغ الحلم، ولكنه سمع من رسول الله ــ ﷺ ــ وكان علي ــ رضي الله عنه قد جعله على بيت المال بالكوفة وشهد معه مشاهده كلها.

الأصل الثامن والثمانون

في أن إجماع الأمة حجة واختلافهم رحمة

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا يجمع الله أمتي ـــ أو هذه الأمة ـــ على ضلالة أبدا. ويد الله على الجماعة هكذا. فاتبعوا السواد الأعظم. فإنه من شذ، شذ في النار »[1].

وعد الله رسوله أن لا يزال دينه ظاهراً على الأديان، عالياً غالباً لأهلها النصرة معه حيثما كان. قال تعالى : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** ﴾[2].

وهذا الدين يشتمل على الإيمان والإسلام. فجملة الإيمان هو الايمان بالله وحده لا شريك له، وبالرسل (عليهم السلام)، والكتب كلها،

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن ٨ باب السواد الأعظم ٣٩٥٠ ـــ حدثني أبو خلف الأعمى: قال: سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره.
في الزوائد: في إسناده ضعيف، وأبو خلف الأعمى واسمه حازم بن عطاء: وهو ضعيف وقد جاء الحديث بطرق في كلها نظر، قاله شيخنا العراقي في تخريج أحاديث البيضاوي.

(٢) سورة الفتح آية رقم ٢٨.

والملائكة، واليوم الآخر، والبعث والجزاء، والقدر خيره وشره. هذا جملة الإيمان. وجملة الاسلام هي الصلوات الخمس بوضوئها في مواقيتها، والغسل من الجنابة، والزكاة، والصوم، والحج، وتحريم ما حرم الله، وتحليل ما أحل الله تعالى. هذه جملة الإسلام. وعليه السواد الأعظم لا يختلفون فيه. فمن شذ عن شيء منه فجحده، فقد خرج من الشريعة، وخاب من الإسلام، وزاغ عن سبيل الهدى، وشذّ إلى النار. ثم للعلماء مداخل ومقال في الحوادث من طريق الاحكام، واختلافهم فيها رحمة واسعة لأمة محمد (ﷺ) منَّ الله تعالى عليهم بذلك، وسهل لهم سبل النظر والاجتهاد في الرأي فيما لم يجدوا فيه تنزيلاً ولا سنة عن الرسول (عليه السلام).

الأصل التاسع والثمانون

في صفة الجنان الأربع

عن عبدالله بن قيس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) :

« جنان الفردوس أربع: جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما. وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما. وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »[1].

هذا تأويل قوله تعالى : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾[2] وقوله : ﴿ **ومن دونهما جنّتان** ﴾[3] وقد وصفهم الله تعالى في سورة الرحمن. وقوله : « ما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم إلا رداء الكبرياء في جنة عدن ».

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٨٠ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ٢٩٦ (١٨٠) عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: وذكره. ورواه الإمام البخاري في التوحيد ٢٤ والتفسير سورة ٥٥ : ١، ٢ والترمذي في الجنة ٣ وابن ماجة في المقدمة ١٣ باب فيما أنكرت الجهمية ١٨٦ بسنده عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس الأشعري عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

(٢) سورة الرحمن آية رقم ٤٦.

(٣) سورة الرحمن آية رقم ٦٢.

فجنة عدن دار الرحمن ومقصورته. والفردوس جنات الأولياء والأنبياء (عليهم السلام) بقرب جنة عدن. فعدن كالمدينة والفردوس كالقرى حولها. فإذا تجلى الرب لأهل الفردوس،رفع الحجاب، وهو رداء الكبرياء فينظرون الى جلاله وجماله. فحجابه في جنات عدن رداء الكبرياء وفي الدنيا النار.

وقال (عليه السلام) : « حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره »[1].

وهذا لأن أيام الدنيا أيام الملك والسلطان والربوبية، وأيام الآخرة أيام المجد والكرم والبر والمفاوضة. فقال : ههنا حجاب وهناك رداء.

قال (عليه السلام) : ان من أهل الجنة من ينظر الى الله تعالى غدوة وعشياً.

وفي حديث آخر : أن أهل الجنة يزورون في كل يوم جمعة فينظرون إلى الله تعالى. وللقوم في ذلك منازل ودرجات متفاوته.

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٧٩ باب في قول الله تعالى: « إن الله لا ينام » وفي قوله: حجابه النور ٢٩٣ (١٧٩) عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وذكره. ورواه ابن ماجة في المقدمة ١٣ باب فيما أنكرت الجهمية وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٤٠١، ٤٠٥ (حلبي).

الفهارس العامة للجزء الاول
من كتاب نوادر الأصول

١ ــ فهرس الآيات القرآنية
٢ ــ فهرس الأحاديث النبوية
٣ ــ فهرس الأعلام
٤ ــ مراجع التحقيق
٥ ــ فهرس موضوعات المقدمة
٦ ــ فهرس الموضوعات

١ ــ فهرس الآيات القرآنية

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١	قال تعالى: « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً. »	الاحزاب	٥٦
٢	قال تعالى: « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء. »	ابراهيم	٣٧
٣	قال تعالى: « الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم. »	الروم	٤٠
٤	قال تعالى: « فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى. »	طه	٤٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٥	قال تعالى: « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون. »	الأنعام	٨٢
٦	قال تعالى: « قل كل من عند الله. »	النساء	٧٨
٧	قال تعالى: « وعباد الرحمن الذي يمشون على الأرض هوناً. »	الفرقان	٦٣
٨	قال تعالى: « كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض. »	يونس	٢٤
٩	قال تعالى: « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى. »	البقرة	١٩٧
١٠	قال تعالى: « إني جاعل في الأرض خليفة. »	البقرة	٣٠
١١	قال تعالى: « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون. »	يونس	٦٢، ٦٣
١٢	قال تعالى: « إنما امره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. »	يس	٨٢
	قال الله تعالى: « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته. »	الانعام	١١٥

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٣	قال تعالى: « قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم. »	الأنبياء	٦٩
١٤	قال الله تعالى: « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله. »	الأعراف	٢٠٠
١٥	قال الله تعالى: « وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين. »	المؤمنون	٩٧
١٦	قال الله تعالى: « وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله. »	البقرة	١٠٢
١٧	قال تعالى: « فلما استيئسوا منه خلصوا نجياً. »	يوسف	٨٠
١٨	قال تعالى: « فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث. »	الاحزاب	٥٦
١٩	قال الله تعالى: « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم. »	الاعراف	٢٠٠
٢٠	قال الله تعالى: « والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه. »	الزمر	٦٧

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢١	قال الله تعالى: « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال. »	الواقعة	٢٧
٢٢	قال الله تعالى: « ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون. »	المائدة	٨٢
٢٣	قال الله تعالى: « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله. »	الحديد	٢٧
٢٤	قال الله تعالى: « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون. »	المائدة	٤٤
٢٥	قال تعالى: « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون. »	المائدة	٤٥
٢٦	قال الله تعالى: « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون. »	المائدة	٤٧
٢٧	قال الله تعالى: « فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون. »	الحديد	٢٧
٢٨	قال تعالى: « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كِفْلَين من رحمته. »	الحديد	٢٨

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٩	قال الله تعالى: « لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. »	الحديد	٢٩
٣٠	قال الله تعالى: « ألم يعلموا أن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. »	الشورى	٢٥
٣١	قال الله تعالى: « إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون. »	يوسف	٨٧
٣٢	قال الله تعالى: « وما كنت ترجو أن يُلْقى إليك الكتاب رحمة من ربك. »	القصص	٨٦
٣٣	قال الله تعالى: « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم. »	محمد	١١
٣٤	قال الله تعالى: « هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير. »	الحج	٧٨
٣٥	قال الله تعالى: « وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً. »	الاحزاب	٤٧
٣٦	قال الله تعالى: « للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة. »	يونس	٢٦

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٣٧	قال الله تعالى: « وكأي من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها. »	العنكبوت	٦٠
٣٨	قال الله تعالى: « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً. »	النساء	٥
٣٩	قال الله تعالى: « وكأي من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها. »	العنكبوت	٦٠
٤٠	قال الله تعالى: « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً. »	النساء	٥
٤١	قال الله تعالى: « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية. »	الفجر	٢٧-٢٨
٤٢	قال الله تعالى: « قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة. »	التحريم	٦
٤٣	قال الله تعالى: « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً. »	الفرقان	٢٠
٤٤	قال الله تعالى: « ونصنع الموازين القسط ليوم القيامة. »	الأنبياء	٤٧

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٤٥	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم. »	المائدة	١٠٥
٤٦	قال الله تعالى: « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم. »	التوبة	١٢٨
٤٧	قال الله تعالى: « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً. »	النساء	٦٤
٤٨	قال الله تعالى: « وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها. »	آل عمران	١٠٣
٤٩	قال الله تعالى: « ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى. »	النجم	٢، ٣
٥٠	قال تعالى: « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون. »	الانفال	٣٣
٦١	قال الله تعالى: « ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله. »	الممتحنة	١٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٦٢	قال الله تعالى: « ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا. »	مريم	٧٢
٦٣	قال الله تعالى: « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون. »	الأنبياء	١٠١
٦٤	قال الله تعالى: « وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً. »	الفرقان	٤٦
٦٥	قال الله تعالى: « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها. »	الأعراف	١٧٩
٦٦	قال الله تعالى: « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره. »	الزلزلة	٧ـ٨
٦٧	قال الله تعالى: « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون. »	لبقرة	١٧٩
٦٨	قال الله تعالى: « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما آتاهم من نذير من قبلك. »	لقصص	٤٦

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٦٩	قال الله تعالى: « أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً. »	الفتح	٢٩
٧٠	قال الله تعالى: « ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه. »	الفتح	٢٩
٧١	قال الله تعالى: « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه. »	التوبة	١٠٠
٧٢	قال الله تعالى: « والذي جاءوا من بعدهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا. »	الحشر	١٠
٧٣	قال الله تعالى: « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب. »	الزمر	١٨
٧٤	قال الله تعالى: « فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى. »	فصلت	١٧

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٧٥	قال الله تعالى: « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الظلمات. »	الأنعام	١٢٢
٧٦	قال الله تعالى: « ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم. »	البقرة	١٤٢
٧٧	قال الله تعالى: « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون. »	الأنعام	٨٢
٧٨	قال الله تعالى: « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين. »	العنكبوت	٦٩
٧٩	قال تعالى: « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه. »	الزمر	٢٢
٨٠	قال الله تعالى: « اجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم. »	الأنعام	٨٧
٨١	قال الله تعالى: « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة. »	الأنعام	٨٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٨٢	قال الله تعالى: « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون. »	آل عمران	٧٢
٨٣	قال الله تعالى: « أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم. »	آل عمران	٧٣
٨٤	قال الله تعالى: « قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم. »	آل عمران	٧٤
٨٥	قال الله تعالى: « وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً. »	الفتح	٢٦
٨٦	قال الله تعالى: « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه. »	الزمر	٢٢
٨٧	قال الله تعالى: « فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون. »	المائدة	٢٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٨٨	قال الله تعالى: « ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون. »	الاحقاف	٢٠
٨٩	قال الله تعالى: « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون. »	العنكبوت	٤٣
٩٠	قال الله تعالى: « وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفسيراً لكل شيء. »	الأعراف	١٤٥
٩١	قال الله تعالى: « وكل شيء فعلوه في الزبر. »	القمر	٥٢
٩٢	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه. »	البقرة	٢٨٢
٩٣	قال الله تعالى: « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً. »	البقرة	٧٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٩٤	قال الله تعالى: « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق. »	المائدة	١٨
٩٥	قال الله تعالى: « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده، أم تقولون على الله ما لا تعلمون، بلى من كسب سيئة. »	البقرة	٨٠ـ٨١
٩٦	قال الله تعالى: « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون. »	المنافقون	٨
٩٧	قال الله تعالى: « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. »	ابراهيم	٢٧
٩٨	قال الله تعالى: « والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم. »	النساء	٣٦
٩٩	قال الله تعالى: « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله وباليوم الآخر. »	التوبة	١٨
١٠٠	قال الله تعالى: « سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق. »	الأعراف	١٤٦

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٠١	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة. »	التحريم	٦
١٠٢	قال الله تعالى: « ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد. »	ابراهيم	١٤
١٠٣	قال الله تعالى: « يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات. »	المجادلة	١١
١٠٤	قال الله تعالى: « ما ودعك ربك وما قلى. »	الضحى	٢
١٠٥	قال الله تعالى: « ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل. »	الزمر	٢٩
١٠٦	قال الله تعالى: « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون. »	العنكبوت	٤٣
١٠٧	قال الله تعالى: « الله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين. »	يوسف	٦٤
١٠٨	قال الله تعالى: « ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره. »	الطلاق	٣
١٠٩	قال الله تعالى: « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور. »	الحج	٢٠٠

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١١٠	قال الله تعالى: « ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ذلكم كان عند الله عظيماً. »	الأحزاب	٥٣
١١١	قال الله تعالى: « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم. »	الأحزاب	٦
١١٢	قال الله تعالى: « وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن. »	الأحزاب	٥٣
١١٣	قال الله تعالى: « إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور. »		
١١٤	قال الله تعالى: « وفي الأرض آيات للموقنين. »	ابراهيم	٥
١١٥	قال الله تعالى: « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه. »	الزمر	٢٢
١١٦	قال الله تعالى: « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. »	الحج	٤٦
١١٧	قال الله تعالى: « لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر. »	الاسراء	١٠٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١١٨	قال الله تعالى: « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. »	الحج	٤٦
١١٩	قال الله تعالى: « وما من أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون. »	سبأ	٢٧
١٢٠	قال الله تعالى: « أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا. »	القصص	٥٤
١٢١	قال الله تعالى: « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينَّهُ حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون. »	النحل	٩٧
١٢٢	قال الله تعالى: « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه. »	فاطر	١٠
١٢٣	قال الله تعالى: « فبما رحمة من الله كنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك. »	آل عمران	١٥٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٢٤	قال الله تعالى: « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن. »	النساء	١٨
١٢٥	قال الله تعالى: « فأما الذين في قلوبهم زيع فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله. »	آل عمران	٧
١٢٦	قال الله تعالى: « وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم. »	المائدة	٣٧
١٢٧	قال الله تعالى: « إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه. »	المائدة	٣٦
١٢٨	قال الله تعالى: « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً. »	الاسراء	١١٠
١٢٩	قال الله تعالى: « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا. »	فصلت	٣٠
١٣٠	قال الله تعالى: « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون. »	الأنعام	٨٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٣١	قال الله تعالى: « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها. »	الرعد	١٧
١٣٢	قال الله تعالى: « حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك الراشدون. فضلاً من الله ونعمة. »	الحجرات	٧ـ٨
١٣٣	قال الله تعالى: « هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم. »	النجم	٣٢
١٣٤	قال الله تعالى: « ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله. »	الشورى	٢٦
١٣٥	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً. »	الأنفال	٢٩
١٣٦	قال الله تعالى: « ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً. »	النساء	٦٨
١٣٧	قال الله تعالى: « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا. »	العنكبوت	٦٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٣٨	قال الله تعالى: « ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين. »	الأنعام	٨٤
١٣٩	قال الله تعالى: « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب. »	ص	٣٠
١٤٠	قال الله تعالى: « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده. »	الأنعام	٩٠
١٤١	قال الله تعالى: « هذا عطاؤنا فامن أو أمسك بغير حساب. »	ص	٣٩
١٤٢	قال الله تعالى: « وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب. »	ص	٤٠
١٤٣	قال الله تعالى: « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو. »	البقرة	٢١٩
١٤٤	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه. »	المائدة	٩٠
١٤٥	قال الله تعالى: « ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. »	العنكبوت	١ ـ ٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٤٦	قال الله تعالى: « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. »	الأحزاب	٣٣
١٤٧	قال الله تعالى: « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم. »	النساء	٥٩
١٤٨	قال الله تعالى: « أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون. »	المجادلة	٢٢
١٤٩	قال الله تعالى: « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. »	النحل	١٢٨
١٥٠	قال الله تعالى: « وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا. »	ابراهيم	١٢
١٥١	قال الله تعالى: « منها خلقناكم وفيها نعيدكم، ومنها نخرجكم تارة أخرى. »	طه	٥٥
١٥٢	قال الله تعالى: « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور. »	النور	٤٠

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٥٣	قال الله تعالى: « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون. »	الأنفال	٢
١٥٤	قال الله تعالى: « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون. »	فصلت	٣٠
١٥٦	قال الله تعالى: « من عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون. »	الروم	٤٤
١٥٧	قال الله تعالى: « لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلاً من عند الله. »	آل عمران	١٩٨
١٥٨	قال الله تعالى: « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً. »	المائدة	٤٨
١٥٩	قال الله تعالى: « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها. »	الجاثية	١٨
١٦٠	قال الله تعالى: « فروح وريحان وجنة ونعيم. »	الواقعة	٨٩
١٦١	قال الله تعالى: « تحيتهم يوم يلقونه سلام. »	الأحزاب	٤٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٦٢	قال الله تعالى: « وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منها جزء مقسوم. »	الحجر	٤٤
١٦٣	قال الله تعالى: « ادعوني استجب لكم. »	غافر	٦٠
١٦٤	قال الله تعالى: « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم. »	البقرة	٢٤٣
١٦٥	قال الله تعالى: « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة. »	البقرة	١٣٨
١٦٦	قال الله تعالى: « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها. »	الأنعام	١٢٢
١٦٧	قال الله تعالى: « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور. »	النور	٤٠
١٦٨	قال الله تعالى: « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها. »	الشمس	٩ـ١٠
١٦٩	قال الله تعالى: « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون. »	الحجر	٣

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٧٠	قال الله تعالى: « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة. »	الفتح	١٨
١٧١	قال الله تعالى: « فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً. »	الفتح	٢٧
١٧٢	قال الله تعالى: « وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم. »	الفتح	٢٤
١٧٣	قال الله تعالى: « ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم. »	الفتح	٢٥
١٧٤	قال الله تعالى: « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص. »	البقرة	١٩٥
١٧٥	قال الله تعالى: « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية. »	الفجر	٢٧ـ
١٧٦	قال الله تعالى: « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب. »	الطلاق	٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٧٧	قال تعالى: « أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً. »	مريم	٢٠
١٧٨	قال الله تعالى: « قال كذلك الله يخلق ما يشاء. »	آل عمران	٤٧
١٧٩	قال الله تعالى: « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. »	آل عمران	٣٧
١٨٠	قال الله تعالى: « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم. »	الأنفال	٧
١٨١	قال الله تعالى: « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم. »	الواقعة	١٣
١٨٢	قال الله تعالى: « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. »	الأحزاب	٣٣
١٨٣	قال الله تعالى: « ربنا واجعلنا مسلمين لك. »	البقرة	١٢٨
١٨٤	قال الله تعالى: « فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون. »	المائدة	٢٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٨٥	قال الله تعالى: « إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. »	آل عمران	١٧٣
١٨٦	قال الله تعالى: « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله. »	آل عمران	١٧٤
١٨٧	قال الله تعالى: « إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا معه والله وليّ المؤمنين. »	آل عمران	٦٨
١٨٨	قال الله تعالى: « يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون. »	البقرة	٤٠
١٨٩	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون. »	الحج	٧٧
١٩٠	قال الله تعالى: « هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل. »	الحج	٧٨

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٩١	قال الله تعالى: « استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله. »	الشورى	٤٧
١٩٢	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم. »	الأنفال	٢٤
١٩٣	قال الله تعالى: « والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم. »	يونس	٢٥
١٩٤	قال الله تعالى: « ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً. »	غافر	٣٤
١٩٥	قال الله تعالى: « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. »	القصص	٥
١٩٦	قال الله تعالى: « أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين. »	الأعراف	١٤٠
١٩٧	قال الله تعالى: « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة. »	المائدة	٢١

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٩٨	قال الله تعالى: « قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون. »	المائدة	٢٤
١٩٩	قال الله تعالى: « يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى. »	طه	٩٠ ــ ٩١
٢٠٠	قال الله تعالى: « فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم. »	البقرة	٥٤
٢٠١	قال الله تعالى: « خذوا ما أتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون. »	البقرة	٦٣
٢٠٢	قال الله تعالى: « وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم. »	البقرة	٥٨
٢٠٣	قال الله تعالى: « فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم. »	البقرة	٥٩
٢٠٤	قال تعالى: « ولا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا. »	الأحزاب	٦٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٠٥	قال الله تعالى: « قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم. »	آل عمران	٧٣
٢٠٦	قال الله تعالى: « وكانوا أحق بها وأهلها. »	الفتح	٢٦
٢٠٧	قال الله تعالى: « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا. »	فاطر	٣٢
٢٠٨	قال الله تعالى: « كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله. »	آل عمران	١١٠
٢٠٩	قال الله تعالى: « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً. »	البقرة	١٤٣
٢١٠	قال الله تعالى: « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم. »	المجادلة	٢٢
٢١١	قال الله تعالى: « يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. »	الحشر	٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢١٢	قال الله تعالى: « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً. »	البقرة	١٤٣
٢١٣	قال الله تعالى: « إن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات. »	التوبة	١٠٤
٢١٤	قال الله تعالى: « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك. »	القصص	٤٦
٢١٥	قال الله تعالى: « لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم. »	آل عمران	١٦٤
٢١٦	قال الله تعالى: « وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه. »	النساء	٦٤
٢١٧	قال الله تعالى: « وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون. »	الزخرف	٤٤
٢١٨	قال الله تعالى: « هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم. »	الجمعة	٢
٢١٩	قال الله تعالى: « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم. »		

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٢٠	قال الله تعالى: « شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء. »	فصلت	٢٠ ــ ٢١
٢٢١	قال الله تعالى: « وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون. »	يوسف	١٠٦
٢٢٢	قال الله تعالى: « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. »	آل عمران	١٦٩
٢٢٣	قال الله تعالى: « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب. »	الشورى	٥١
٢٢٤	قال الله تعالى: « والسابقون السابقون أولئك المقربون في في جنات النعيم ثلّة من الأولين. »	الواقعة	١٠ ــ ١١ ــ ١٢
٢٢٥	قال الله تعالى: « غدوها شهر ورواحها شهر. »	سبأ	١٢
٢٢٦	قال الله تعالى: « فقالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون. »	النمل	١٨

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٢٧	قال الله تعالى: « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا. »	نوح	٢٦
٢٢٨	قال الله تعالى: « ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله. »	لقمان	١٢
٢٢٩	قال الله تعالى: « وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب. »	ص	٢٠
٢٣٠	قال الله تعالى: « اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور. »	سبأ	١٣
٢٣١	قال الله تعالى: « يا جبال أوبي معه والطير. وألنا له الحديد. »	سبأ	١٠
٢٣٢	قال الله تعالى: « وورث سليمان داود وقال أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء. »	النمل	١٦
٢٣٣	قال الله تعالى: « هذا عطاؤنا فامن أو أمسك بغير حساب. »	ص	٣٩
٢٣٤	قال الله تعالى: « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم. »	الأنفال	٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٣٥	قال الله تعالى: « أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات. »	الأنفال	٤
٢٣٦	قال الله تعالى: « لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان. »	الرحمن	٥٦
٢٣٧	قال الله تعالى: « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. »	يونس	٦٤
٢٣٨	قال الله تعالى: « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب. »	الشورى	٥١
٢٣٩	قال الله تعالى: « ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. »	يوسف	٢١
٢٤٠	قال الله تعالى: « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون. »	الأنعام	٨٢
٢٤١	قال الله تعالى: « فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعَّمَهُ فيقول ربي أَكْرَمَنِ وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا. »	الفجر	١٥ — ١٦ — ١٧
٢٤٢	قال الله تعالى: « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه. »	الزمر	٢٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٤٣	قال الله تعالى:		
	« ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين. »	الأنعام	٦٢
٢٤٤	قال الله تعالى:		
	« الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة. »	النحل	٢٢
٢٤٥	قال الله تعالى:		
	« سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين. »	الزمر	٧٣
٢٤٦	قال الله تعالى:		
	« جزاء بما كانوا يعملون. »	الواقعة	٢٤
٢٤٧	قال الله تعالى:		
	« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. »	الفتح	٢٨
٢٤٨	قال الله تعالى:		
	« ولمن خاف مقام ربه جنتان. »	الرحمن	٤٦
٢٤٩	قال الله تعالى:		
	« ومن دونهما جنتان. »	الرحمن	٦٢

٢ ــ فهرس الأحاديث النبوية

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١	قال ﷺ: « أما أنك لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامة كلها من شر ما خلق لم يضرك شيء إن شاء الله تعالى. »	٦٥
٢	قال ﷺ: « من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك. »	٦٦
٣	قال ﷺ: « إذا فزع أحدكم في النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنها لن تضره. »	٦٦
٤	قال ﷺ: « إذا قال العبد حسبي الله سبع مرات قال الله تعالى: وعزتي لأكفينه صادقاً أو كاذباً. »	٦٩

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٥	قال ﷺ: « لا يجلس الرجل الى الرجلين إلا على إذن منهما إذا كانا يتناجيان. »	٧٦
٦	قال ﷺ: « لا تغضب يا معاوية بن حيدة إن الغضب يفسد الإيمان كما يفسد العسلَ الصبرُ. »	٧٨
٧	قال ﷺ: « إن الغضب ميسم من نار جهنم يضعه الله تعالى على أحدهم ألا ترى أنه إذا غضب احمرت عينه واربد وجهه وانتفخت أوداجه. »	٨٠
٨	قال ﷺ: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. »	٨٠
٩	قال ﷺ: « يقول الله تعالى: « لي العظمة والكبرياء والفخر والقدر سرّي فمن نازعني في واحدة منهن كببته في النار. »	٨١
١٠	قال ﷺ: « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. »	٨١
١١	قال ﷺ: « إذا انتقل أحدكم فليبدأ باليمين فإذا فزع فليبدأ بالشمال وليكن اليمين أولهما يلبس وآخرهما ينزع. »	٨٣

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٢	قال ﷺ: « إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب أحدكم فليشرب بيمينه. »	٨٤
١٣	قال ﷺ: « يمين الله ملأى سحّاء لا يغيضها شيء بالليل ولا بالنهار. »	٨٥
١٤	قال ﷺ: « إن الله تعالى خلق آدم فمسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره بيساره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل الجنة يعملون. »	٨٥
١٥	قال ﷺ: « خلق الله الخلق وقضى القضية فأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء فأخذ أهل اليمين بيمينه وأخذ أهل الشمال بالأخرى وكلتا يدي الرحمن يمين ثم قال: يا أصحاب اليمين قالوا: لبيك ربنا وسعديك قال: ألست بربكم... ؟ قالوا: بلى. ثم قال: يا أصحاب الشمال قالوا: لبيك وسعديك قال: ألست بربكم... ؟ قالوا: بلى. فخلط بعضهم ببعض فقال قائل منهم: ربِ لم خلطت بيننا... ؟ فقال: لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون. فقال قائل: فما الأعمال... ؟ قال: يعمل كل قوم لمنزلتهم. فقال عمر: إذا نجتهد. »	٨٦

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٦	قال ﷺ: « عن عبدالله بن مسعود ــ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ــ ﷺ ــ يا عبدالله بن مسعود. قلت: لبيك يا رسول الله ثلاث مرات قال: هل تدري أي عرى الإيمان أوثق... ؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال: فإن أوثق عرى الإيمان الولاية في الله والحب فيه والبغض فيه. يا عبدالله ابن مسعود. قلت لبيك يا رسول الله ثلاث مرات قال: هل تدري أي الناس أفضل... ؟ قلت: الله ورسول أعلم. قال: فإن أفضل الناس أفضلهم عملاً إذا فقهوا في دينهم. الخ.	٩٢
١٧	قال ﷺ: « ما من نفس تموت تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يرجع ذلك الى قلب مؤمن إلا غفر الله له. »	٩٤
١٨	قال ﷺ: « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير مخلصاً بها روحه، مصدقاً بها لسانه وقلبه فتقت له السماء فتقاً حتى ينظر الرب الى قائلها من أهل الدنيا وحق لعبد إذا نظر الله إليه أن يعطيه سؤله. »	٩٦
١٩	قال ﷺ: « يا معاذ أخلص يكفيك القليل من العمل. »	٩٧
٢٠	قال ﷺ: « لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله. »	٩٧

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٢١	قال ﷺ: « الفاجر الراجي لرحمة الله تعالى أقرب منها من العابد. »	٩٩
٢٢	قال ﷺ: « إنه ليس أحد منكم ينجيه عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله... ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته. »	١٠١
٢٣	قال ﷺ: « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ ــ رضي الله عنه. »	١٠٥
٢٤	قال ﷺ: « إن المؤمن اكرم على الله عز وجل من الملائكة المقربين. »	١٠٦
٢٥	قال ﷺ: « المؤمن أعظم حرمة عند الله من الكعبة. »	١٠٧
٢٦	قال ﷺ: « إن في بيوت المؤمنين لمصابيح الى العرش يعرفها مقربو الملائكة من السموات السبع يقولون هذا النور من بيوتات المؤمنين التي يتلى فيها القرآن. »	١٠٧
٢٧	قال ﷺ: « إن ما تذكرن من جلال الله تعالى من تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن لصاحبهن أفلا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الرحمن (جل جلاله) شيء يذكر به. »	١٠٨
٢٨	قال ﷺ: « يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم. أو قال: لو لم تغترف الماء لكانت زمزم عيناً معيناً. »	١٠٩

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٢٩	قال ﷺ: « إنما أنا خازن أقسم والله يعطي فأنا أبو القاسم أقسم والله يعطي. »	١١١
٣٠	قال ﷺ: « يا بلال: أما تخشى أن يخسف الله به نار جهنم... ؟؟ انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً. »	١١١
٣١	قال ﷺ: « لو توكلتم على الله (عز وجل) حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً. »	١١٢
٣٢	قال ﷺ: « يا سلمان قل اللهم أسألك صحة في إيمان. »	١١٥
٣٣	قال ﷺ: « لا تضربوا الرقيق فإنكم لا تدورن ما توافقون. »	١١٧
٣٤	قال ﷺ: « لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع. »	١١٨
٣٥	قال ﷺ: « ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب وحسن. »	١١٨
٣٦	قال ﷺ: « إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها. »	١١٩
٣٧	قال ﷺ: « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. »	١٢٠

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٣٨	قال ﷺ: « من لاءمكم من رقيقكم فأطعموهم مما تطعمون واكسوهم مما تكسون ومن لا، فبيعوهم ولا تعذبوا خلق الله. »	١٢١
٣٩	قال ﷺ: « اعط الأجير أجره من قبل أن يجف عرقه، وذلك أن أجرته عمالة جسده. »	١٢٢
٤٠	قال ﷺ: « قال تعالى: ثلاثة أنا خصمهم ومن كنت خصمه خصمته من باع حراً وأكل ثمنه أو ظلم أجيراً أجره أو ظلم امرأة مهرها. »	١٢٢
٤١	قال ﷺ: « لا ينبغي لعين مؤمنة ترى أن يعصى الله تعالى فلا تنكر عليه. »	١٢٣
٤٢	قال ﷺ: « الجهاد ثلاثة جهاد باليد واللسان والقلب وجهاد بالقلب واللسان، وجهاد بالقلب وذلك أضعف الإيمان. »	١٢٤
٤٣	قال ﷺ: « ما كان لله نبي إلا وله حواريون يهدون بهديه ويستنون بسنته ثم يكون من بعده خلوف يقولون ما لا يفعلون ويعملون ما ينكرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن. »	١٢٤

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٤٤	قال ﷺ:	
	« المتمسك بسنتي عند اختلاف أمتي كالقابض على الجمر. »	١٢٥
٤٥	قال ﷺ:	
	« يا أبا عبيدة لا تأمن على أحد بعدي. »	١٢٦
٤٦	قال ﷺ:	
	« إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة عين. »	١٢٨
٤٧	قال ﷺ:	
	« ما أخرجك يا فاطمة من بيتك.. ؟ قالت: أتيت أهل هذا الميت فرحمت إليهم ميتهم أو عزيتهم ــ فقال لها رسول الله ﷺ: فلعلك بلغت معهم الكدا قالت: معاذ الله وقد سمعتك تذكر فيهم ما تذكر قال: لو بلغت معهم الكدا ما رأيت الجنة حتى يراها جدك أبو أبيك. »	١٢٩
٤٨	قال ﷺ:	
	« ليس منا من حلق أو خرق أو سلق. »	١٣٠
٤٩	قال ﷺ:	
	« ما رأيت من نواقص عقول ودين أغلب للرجال منهم. »	١٣٠
٥٠	قال ﷺ:	
	« لعن رسول الله ــ ﷺ ــ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج. »	١٣١
٥١	قال ﷺ:	
	« من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة مرة غفر له وكتب براً. »	١٣٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٥٢	قال ﷺ:	
	« الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على ابراهيم عليه السلام حتى أن للنار ضجيجاً من بردهم. »	١٣٣
٥٣	قال ﷺ:	
	« إن النار لتنادي: جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي. »	١٣٤
٥٤	قال ﷺ:	
	« يرد الناس النار ثم يصدون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرجل ثم كمشية، ثم كحبوة. »	١٣٥
٥٥	قال ﷺ:	
	« اتقوا الدنيا فوالذي نفسي بيده أنها لأسحر من هاروت وماروت. »	١٣٦
٥٦	قال ﷺ:	
	« حبك الشيء يعمي ويصم. »	١٣٧
٥٧	قال ﷺ:	
	« إن المؤمن ينصني شيطانه كما ينصني أحدكم بعيره في السفر. »	١٣٨
٥٨	قال ﷺ:	
	« ما لقي الشيطان عمر في فج فيسمع صوته إلا أخذ في غيره. »	١٣٩
٥٩	قال ﷺ:	
	« أفضل العبادة الفقه وأفضل الدين الورع. »	١٤١

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٦٠	قال ﷺ:	
	« ما عبدالله بشيء أفضل من فقه في دين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه. »	١٤١
٦١	قال ﷺ:	
	« إذا أراد الله بعبد خيراً يفقهه. »	١٤٣
٦٢	قال ﷺ:	
	« من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين يا أيها الناس تفقهوا. »	١٤٤
٦٣	قال ﷺ:	
	« عمر أمتي من ستين الى سبعين. وقال: معترك المنايا ما بين الستين الى السبعين. »	١٤٥
٦٤	قال ﷺ:	
	« إذا حسن اسلام العبد تمم الله له عمله بسبعمائة ضعف. »	١٤٧
٦٥	قال ﷺ:	
	« إن الله عز وجل قال: يا عيسى إني باعث من بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا... »	١٤٨
	قيل: يا رسول الله كيف تعرف أمتك يومئذ ؟ قال: أرأيت لو كان لأحدكم خيل دهم وفيها أغرّ محجل أما كان يعرفه... ؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فإن أمتي غر من السجود محجلون من أثر الوضوء.	١٤٩

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٦٦	قال ﷺ: « أعطيت أمتي من اليقين ما لم يعط أمة. »	١٥٠
٦٧	قال ﷺ: « ما من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما على مثله آمن البشر، وإني لم أبعث بآية وإنما أوحي الي وحياً ثم أنا أكثر الأمم تبعاً. »	١٥٠
٦٨	قال ﷺ: « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس. »	١٥٢
٦٩	قال ﷺ: « ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت هذه الأمة. »	١٥٣
٧٠	قال ﷺ: « مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي من صلاة الصبح الى نصف النهار على قيراط قيراط ألا فعملت اليهود ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ألا فعملت النصارى ثم قال: الخ. »	١٥٤
٧١	قال ﷺ: « أحبوا الله لما يغزوكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي. »	١٥٥
٧٢	قال ﷺ: « إن الله عز وجل قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم. »	١٥٦

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٧٣	قال ﷺ: « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى. »	١٥٩
٧٤	قال ﷺ: « انهس اللحم نهساً فإنه أشهى وأمرأ. »	١٦٢
٧٥	قال ﷺ: « تصلي الملائكة على الرجل ما دامت مائدته موضوعة. »	١٦٢
٧٦	قال ﷺ: « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. »	١٦٤
٧٧	قال ﷺ: « الايمان حلو نزه فنزهوا. »	١٦٥
٧٨	قال ﷺ: « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله. »	١٦٧
٧٩	قال ﷺ: « من حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة. »	١٦٨
٨٠	قال ﷺ: « أما إني لا أحرمه، ولكني أتركه تواضعاً لله تعالى. »	١٧٠
٨١	قال ﷺ: « لا تتخذوه عيداً » نهى عن صوم يوم الجمعة.	١٧١
٨٢	قال ﷺ: « أحشر أنا وأبو بكر وعمر هكذا، [وأخرج السبابة والوسطى والبنصر] وقال: ونحن مشرفون على الناس. »	١٧٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٨٣	قال ﷺ:	
	« قيدوا العلم بالكتابة. »	١٧٥
٨٤	قال ﷺ:	
	« إن من أشراط الساعة أن توضع الأخيار وترفع الأشرار، وأن تقرأ المثناة على رؤوس الناس. »	١٧٧
٨٥	قال ﷺ:	
	« ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله فلا يتكتمن أحدكم على أن يقول: ما وجدنا في كتاب الله عز وجل أخذنا وما لم نجد تركناه. »	١٧٩
٨٦	قال ﷺ:	
	« إنما يسلط على ابن آدم من خافه ابن آدم ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله لم يكله الله الى أحد غيره. »	١٨٢
٨٧	قال ﷺ:	
	« كان ملك الموت يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى عليه السلام فلطمه ففقأ عينه فرجع ملك الموت الى ربه عز وجل فقال يا رب إن عبدك موسى فعل بي ما ترى ولولا كرامته عليك لشققت عليه قال ارجع الى عبدي موسى فقل له فليضع يده على متن ثور فخيره بكل شعرة توازي كفه أن يعيش سنة فقال موسى عليه السلام يا ملك الموت فما بعد ذلك فقال: الموت قال: فمن الآن. قال: فشمه شمة فقبض روحه فرد عليه بصره فكان يأتي الناس بعد ذلك خفية. »	١٨٤
٨٨	قال ﷺ:	
	« إذا أتى أحدكم بهدية فجلساؤه شركاؤه فيها. »	١٨٥

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٨٩	قال ﷺ: « من تواضع لله درجة رفعه الله درجة، ومن تواضع لله درجات رفعه الله درجات حتى يجعله في أعلا عليين، ومن تكبر على الله درجة وضعه الله درجة، ومن تكبر على الله درجات وضعه الله درجات حتى يجعله في أسفل سافلين. »	١٨٧
٩٠	قال ﷺ: « بينما رجل يمشي في الطريق إذا أبصر بغصن شوك فقال: والله لأرفعنّ هذا لا يصيب أحداً من المسلمين فرفعه فغفر له. »	١٨٩
٩١	قال ﷺ: « بينما عبد لم يعمل خيراً قط مر على بئر فشرب فإذا هو بكلب يلهث عطشاً فغرف له بخفه فسقاه فشكر الله له ذلك فغفر له. »	١٩٠
٩٢	قال ﷺ: « قصوا أظافيركم وأدفنوا قلاماتكم ونقوا براجمكم ونظفوا لثاتكم من الطعام وتسننوا ولا تدخلوا عليَّ فخراً بخراً. »	١٩١
٩٣	قال ﷺ: « ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه. »	١٩٣
٩٤	قال ﷺ: « إذا أردت سفراً أو تخرج مكاناً فقل لاهلك استودعكم الله الذي لا يخيب ودائعه. »	١٩٤

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٩٥	قال ﷺ: « من توكل على الله كفاه. » وقال: « من سره أي يكون أقوى الناس فليتوكل على الله. »	١٩٦
٩٦	قال ﷺ: « يجاء بالعبد يوم القيامة فتوضع حسناته في كفة وسيئاته في كفة فترجح السيئات فتجيء بطاقة فتقع في كفة الحسنات فترجح بها فيقول يا رب ما هذه البطاقة.. ؟ فما من عمل عملته في ليلي ونهاري إلا وقد استقبلت به قال: هذا ما قيل فيك وأنت منه بريء قال: فينجو بذلك. »	١٩٩
٩٧	قال ﷺ: « البهتان عدل بالمشرك بالله. »	٢٠٠
٩٨	قال ﷺ: « احتجبا منه (يقصد ابن ام مكتوم) فقلنا يا رسول الله أليس هو الأعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا.. ؟ فقال رسول الله ﷺ: أنتما ألستما تبصرانه. »	٢٠١
٩٩	قال ﷺ: « ما من مسلم ينظر الى محاسن امرأة أول مرة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها. »	٢٠٣
١٠٠	قال ﷺ: « اللهم بارك لأمتي في بكورها. »	٢٠٤
١٠١	قال ﷺ: « النظر الى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام الشيطان	٢٠٤

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	فمن صرف بصره عنها أبدله الله تعالى عبادة يجد حلاوتها. »	
١٠٢	قال ﷺ:	
	« من صام رمضان واتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر. »	٢٠٥
١٠٣	قال ﷺ:	
	« الطاعم الشاكر بمنزله الصائم الصابر. »	٢٠٧
١٠٤	قال ﷺ:	
	« الإيمان نصفان نصف للشكر ونصف للصبر. »	٢٠٧
١٠٥	قال ﷺ:	
	« اقتلوا الحيات صغيرها وكبيرها وأسودها وأبيضها فإن من قتلها كانت له فداء من النار ومن قتلته كان شهيداً. »	٢٠٩
١٠٦	قال ﷺ:	
	« عليك بالعلم فإن العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله، والعمل قيمه، والرفق أبوه، واللين أخوه، والصبر أمير جنده. »	٢١٦
١٠٧	قال ﷺ:	
	« لا بأس من غنى لمن اتقى، والصحة لمن اتقى خير من الغنى وطيب النفس من النعيم.	٢١٨
١٠٨	قال ﷺ:	
	« الخوارج كلاب أهل النار يقرأون القرآن يقيمونه إقامة القدح لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. »	٢٢٥

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٠٩	قال ﷺ:	
	« المؤذنون أطول الناس اعناقاً يوم القيامة. »	٢٣٠
١١٠	قال ﷺ:	
	« أحشر أنا وأبو بكر وعمر يوم القيامة هكذا [وأخرج السبابة والوسطى والبنصر] ونحن مشرفون على الناس. »	٢٣١
١١١	قال ﷺ:	
	« أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة. »	٢٣٢
١١٢	قال ﷺ:	
	« ارحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر. »	٢٣٤
١١٣	قال ﷺ:	
	« اذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه قلته أو لم لم أقله فصدقوا به، وإني أقول ما يعرف ولا ينكر وإذا حدثتم عني بحديث تنكرونه ولا تعرفونه فكذبوا به فإني لا أقول ما ينكر ولا يعرف. »	٢٣٥
١١٤	قال ﷺ:	
	« لو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال. »	٢٤٢
١١٥	قال ﷺ:	
	« جئت تسأل عن البر والإثم استفت قلبك. البر ما اطمأنت إليه النفس والقلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس. »	٢٤٥
١١٦	قال ﷺ:	
	« خير الصدقة ما كان عن ظهر غني وابدأ بنفسك ثم بمن تعول. »	٢٥٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١١٧	قال ﷺ: « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت. »	٢٥٢
١١٨	قال ﷺ: « اسكن حراء فإنما عليك نبي وصديق وشهيد. »	٢٥٤
١١٩	قال ﷺ: « لا تكرهوا مرضاكم على الطعام فإن الله يطعمهم ويسقيهم. »	٢٥٦
١٢٠	قال ﷺ: « الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معاء واحد. »	٢٥٧
١٢١	قال ﷺ: « من باع داراً أو عقاراً فليعلم أنه مال قمن أنه لا يبارك له فيه إلا أن يجعله في مثله. »	٢٦٠
١٢٢	قال ﷺ: « يؤجر العبد في نفقته كلها إلا ما كان في التراب أو قال في البناء. »	٢٦٢
١٢٣	قال ﷺ: « كل نفقة ينفقها العبد على نفسه فهي صدقة. »	٢٦٣
١٢٤	قال ﷺ: « الأبدال ثلاثون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام إذا مات الرجل أبدل الله مكانه آخر. »	٢٦٧
١٢٥	قال ﷺ: « إذا كان أجل العبد بأرض أتيت له الحاجة إليها حتى إذا	٢٧٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	بلغ أقصى أثره قبضه الله سبحانه فتقول الأرض يوم القيامة: رب هذا عبدك ما استودعتني. »	
١٢٦	قال ﷺ:	
	« لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن. »	٢٧٥
١٢٧	قال ﷺ:	
	« خصلتان لا تجتمعان في قلب مؤمن البخل وسوء الخلق. »	٢٨٦
١٢٨	قال ﷺ:	
	« الورع سيد العمل من لم يكن له ورع يرده عن معصية الله تعالى إذا خلا بها لم يعبأ الله بسائر عمله شيئاً. »	٢٨٧
١٢٩	قال ﷺ:	
	« أول تحفة المؤمن أن يغفر لمن صلى عليه. »	٢٩٠
١٣٠	قال ﷺ:	
	« يهرم ابن آدم ويشب منه اثنان الحرص على المال والحرص على العمر. »	٢٩٣
١٣١	قال ﷺ:	
	« لكل عبد صائم دعوة مستجابة عند افطاره اعطيها في الدنيا أو ذخر له في الآخرة. »	٣٠٤
١٣٢	قال ﷺ:	
	« إن الله أعطاني سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب فقال عمر: يا رسول الله فهلا استزدته فقال: استزدته فأعطاني هكذا وفتح أبو وهب يديه قال أبو	٣٠٧

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	وهب: قال هشام: هذا من الله لا يدري ما عدده. »	
١٣٣	قال ﷺ:	
	« إذا بعثتم إليَّ رسولاً فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم. »	٣١١
١٣٤	قال ﷺ:	
	« كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تناتج الإبل من بهيمة جمعاء هل يحس من جدعاء. قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيراً.. ؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين على الفطرة أي على الإسلام. »	٣١٤
١٣٥	قال ﷺ:	
	« قال تعالى: خلقت عبادي حنفاء فأتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي وحرمت عليهم ما أحللت لهم. »	٣١٦
١٣٦	قال ﷺ:	
	« لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسهم النار إلا تحلة القسم. »	٣١٧
١٣٧	قال ﷺ:	
	« يا عائشة من مات له فرطان من أمتي أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قالت: يا رسول الله فمن كان له فرط واحد قال: ومن كان له فرط واحد يا موفقة، قالت: ومن لم يكن له فرط ؟ قال: فأنا فرط أمتي لم يصابوا بمثلي. »	٣١٨
١٣٨	قال ﷺ:	
	« إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بحقه فلنعم المعونة هو. »	٣٢١

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٣٩	قال ﷺ: « عن أبي بكر ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ــ ﷺ كان إذا أراد أمراً قال: اللهم خر لي واختر لي. »	٣٢٣
١٤٠	قال ﷺ: « اللهم اغفر للمحلقين قالوا: والمقصرين يا رسول الله.. ؟ قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا: والمقصرين يا رسول الله.. ؟ قال: والمقصرين. »	٣٢٦
١٤١	قال ﷺ: « ما خلأت ، وما لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل. »	٣٢٧
١٤٢	قال ﷺ: « اصبر واحتسب أبا جندل فإن الله عز وجل جاعل لك وللمسلمين فرجاً إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وإنا لن نغدر. »	٣٣٣
١٤٣	قال ﷺ: « من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي. »	٣٣٦
١٤٤	قال ﷺ: « إن الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً فذلك قوله تعالى: ﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين** ﴾ ﴿ **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال** ﴾ فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين. »	٣٣٧
١٤٥	قال ﷺ: « إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأسود	٣٣٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	والأبيض ومن ذلك السهل والحزن والخبيث والطيب. »	
١٤٦	قال ﷺ:	
	« الجنة محرمة على الأنبياء حتى أدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتي. »	٣٤٦
١٤٧	قال ﷺ:	
	« ما أعطيت أمة من اليقين مثل ما أعطيت أمتي. »	٣٥٢
١٤٨	قال ﷺ:	
	« إن لله مائة وسبعة عشر خلقاً من أتى بواحدة منها دخل الجنة. »	٣٥٦
١٤٩	قال ﷺ:	
	« الأخلاق في الخزائن فإذا أراد الله بعبد خيراً منحه خلقاً. »	٣٥٧
١٥٠	قال ﷺ:	
	« إنكم شهداء الله في الأرض ثم تلا هذه الآية ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾.	٣٥٧
١٥١	قال ﷺ:	
	« بينما رجل لم يعمل خيراً قط فرفع غصن شوكة من الطريق وقال: لعل ماراً يمر به فيؤذيه فغفر الله له. »	٣٥٨
١٥٢	قال ﷺ:	
	« حسن الخلق ذهب بخير الدارين ويدرك به الرجل درجة الصائم القائم. »	٣٥٩
١٥٣	قال ﷺ:	
	« إن الصدقة لتقع في يد الله من قبل أن يأخذها السائل. »	٣٦٠

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٥٤	قال ﷺ:	
	« أعطيت أمتي ثلاثاً لم يعط أحد: صفوف الصلاة وتحية أهل الجنة وأمين إلا ما أعطي موسى وهارون من قوله آمين. »	٣٦١
١٥٥	قال ﷺ:	
	« إني دعوت العرب فقلت: اللهم من لقيك منهم مؤمناً موقناً مصدقاً بلقائك فاغفر له أيام حياته، وهي دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة، ومن أقرب الناس الى لوائي يومئذ العرب. »	٣٦٢
١٥٦	قال ﷺ:	
	« من صلى على جنازة فله قيراط ومن تبعها حتى يفرغ من أمرها فله قيراطان أحدهما أو أصغرهما مثل أحد. »	٣٦٦
١٥٨	قال ﷺ:	
	« إن للمسلم على المسلم ست خصال يجيبه إذا دعاه ويسلم عليه إذا لقيه ويعوده إذا مرض ويصلي عليه إذا مات وينصحه إذا استنصحه ويشمته إذا عطس. »	٣٦٦
١٥٩	قال ﷺ:	
	« ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب وأنه أحيا أباك « يا جابر » فكلمه كفاحاً. »	٣٦٨
١٦٠	قال ﷺ:	
	« لا يكون اللعانون شهداء ولا شفعاء. »	٣٧٠
١٦١	قال ﷺ:	
	« والذي نفسي بيده إنكم لو تدومون على أن تكونوا	٣٧٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وطرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة. »	
١٦٢	قال ﷺ:	
	« يكون في هذه الأمة رجال قلوبهم على قلب ابراهيم عليه السلام. »	٣٧٣
١٦٣	قال ﷺ:	
	« دع عنك قول معاذ فإن الله تعالى يباهي به الملائكة. »	٣٧٤
١٦٤	وقال عليه السلام:	
	« لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن. »	
١٦٥	قال ﷺ:	
	« لقيت موسى عليه السلام في السماء السادسة فلما جاوزته بكى وقال: بنو اسرائيل أني أكرم ولد آدم على الله عز وجل وقد جاوزني. »	٣٧٧
١٦٦	قال ﷺ:	
	« أن لقمان كان عبداً كثير التفكير حسن النظر كثير الصمت أحب الله فأحبه الله فمنَّ عليه بالحكمة. »	٣٧٩
١٦٧	قال ﷺ:	
	« إن الله بعثني بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم. »	٣٨١
١٦٨	قال ﷺ:	
	« إن المعونة تنزل من السماء على قدر المؤنة. »	٣٨٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٦٩	قال ﷺ:.	
	« لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فإني اختبأت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة. »	٣٨٢
١٧٠	قال ﷺ:	
	« سيصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الأشهاد فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر فيقول الله تعالى: عبدي هل تنكر من هذا شيئاً.. ؟ فيقول هذه حجتك فيقول: لا يا رب فيقول: هل لك من حجة. فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله تعالى له بطاقة فيقول: هذه حجتك فيقول: أي رب وما تغني هذه البطاقة من هذه السجلات.. ؟ فيقول يا عبدي لا ظلم عليك اليوم فيؤتى بالميزان فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وإذا فيها شهادة أن لا إله إلا الله. »	٣٨٣
١٧١	قال ﷺ:	
	« لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم بطاعته. »	٣٨٧
١٧٢	قال ﷺ:	
	« يقول الله تعالى: إذا حببت عبدي كنت سمعه وبصره ويده ورجله فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يعقل وبي ينطق. »	٣٨٨
١٧٣	قال ﷺ:	
	« لا تقولوا للعنب كرم إنما الكرم قلب المؤمن. »	٣٨٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٧٤	قال ﷺ: « من أكل من قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة وصلت عليه. »	٣٩٠
١٧٥	قال ﷺ: « إذا وضعت يدك في الطعام فنسيت أن تقول بسم الله فقل حين تذكر: بسم الله في أوله وآخره. »	٣٩١
١٧٦	قال ﷺ: « من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بي. »	٣٩٢
١٧٧	قال ﷺ: « الرؤيا ثلاثة فرؤيا حق، ورؤيا يحدث به المرء نفسه، ورؤيا تحزين من الشيطان فمن رأى ما يكره فليقم فليصل. »	٣٩٣
١٧٨	قال ﷺ: « الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت. »	٣٩٣
١٧٩	قال ﷺ: « رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه في المنام. »	٣٩٦
١٨٠	قال ﷺ: « بينا أنا نائم إذا أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى أني لأرى الري جرى من أطرافي ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب فقال من حوله: ماذا أولته يا رسول الله.. ؟ قال: العلم.	٣٩٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٨١	قال ﷺ: « إذا أقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما تحات الشجرة البالية ورقها. »	٤٠١
١٨٢	قال ﷺ: « قال الله تعالى: وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فمن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة. »	٤٠١
١٨٣	قال ﷺ: « ما أقفر بيت فيه خل » وقال: نعم الادام الخل.	٤٠٣
١٨٤	قال ﷺ: « اللهم جنبني منكرات الأعمال والأخلاق والأهواء والأدواء. »	٤٠٤
١٨٥	قال ﷺ: « أعوذ بك من بوائق الدهر وفجأة النقم. »	٤٠٤
١٨٦	قال ﷺ: « بحسب امرئ من الشر أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصمه الله تعالى إنما يشار إليه في دين. »	٤٠٥
١٨٧	قال ﷺ: « إذ دعي أحدكم الى طعام فليجب فإن شاء طعم وإن شاء ترك. »	٤٠٦
١٨٨	قال ﷺ: « إن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله. »	٤٠٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٨٩	قال ﷺ: « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير. »	٤١٠
١٩٠	قال ﷺ: « يدخل سبعون ألفاً من أمتي الجنة بغير حساب، قيل يا نبي الله من هم.. ؟ قال الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. »	٤١١
١٩١	قال ﷺ: « إن نبياً من الأنبياء كان في غزاة له فنزل تحت شجرة فلذعته نملة فأمر بتلك الشجرة فأحرقت فأوحى الله تعالى إليه: ألا نملة مكان نملة. »	٤١٣
١٩٢	قال ﷺ: « أنزلوا الناس منازلهم. »	
	قال ﷺ: « من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة. »	٤١٨
١٩٣	قال ﷺ: « إذا أراد الله تعالى بأهل بيت خير أدخل عليهم باب الرفق. »	٤١٨
١٩٤	قال ﷺ: « المؤمن يموت بعرق الجبين وقال: ارقبوا الميت عند موته فأما إن رشحت جبينه وذرفت عيناه وانتشر منخراه فهي رحمة من الله تعالى. »	

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٩٥	قال ﷺ: « أن رجلاً قال: يا نبي الله أي المؤمنين أكيس قال أكثرهم ذكراً للموت وأحسنهم له استعداداً وإذا دخل النور في القلب وانفسح واستوسع قالوا: ما آية ذلك يا نبي الله.. ؟ قال: الانابة الى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت. »	٤٢١
١٩٦	قال ﷺ: « لا أحد أحب إليه المدح من الله تعالى ولا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى. »	٤٢٣
١٩٧	قال ﷺ: « من الناس ناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ومن الناس ناس مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل مفاتيح الشر على يديه. »	٤٢٦
١٩٨	قال ﷺ: « لا يجمع الله أمتي على ضلالة أبداً ويد الله على الجماعة هكذا فاتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذ شذ في النار. »	٤٢٨
١٩٩	قال ﷺ: « جنان الفردوس أربع جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن. »	٤٣٠

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٢٠٠	قال ﷺ: « حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره. »	٤٣١
٢٠١	قال ﷺ: « إن من أهل الجنة من ينظر الى الله تعالى غدوة وعشياً. »	٤٣١

٣ ــ فهرس الأعلام

حرف الألف

أبي بن كعب : ٥٢، ٥٥، ٧٠، ٧٣، ٨٥، ٩١، ٩٦، ١٠٠، ١٢٠، ١٥٧، ١٨٣، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢١٧.

أحمد بن حنبل : ٧١، ٧٤، ٩٠، ٩٢، ٩٧، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٩، ١١٥، ١١٨، ١٢٢، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٥، ١٥٣، ١٥٨، ١٦٨، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٦، ٢٠٧، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٤٥، ٢٥٩، ٢٦٣، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٤٦، ٣٧٢، ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٩٠، ٤٠٠.

آدم عليه السلام : ٦٠، ٦٤، ٧٠، ٦١، ٧٦، ٨٢، ٩٥، ٩٩، ١٠٥، ١١٦، ١٢٢، ١٣٥، ١٤٧، ١٥٦، ١٦٢، ١٦٩، ١٧٠، ١٩٦، ٢١٧، ٣١٨، ٣٥٤، ٣٦٦، ٣٧٢، ٣٨٥، ٣٩٠، ٣٩٢، ٤٠٠، ٤٠٥، ٤٠٦.

أسامة بن زيد : ٧٢، ٧٥، ٩٣، ١١٤، ١٢٧، ١٤٨، ١٥٦، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٤، ١٩٩، ٢١٦، ٢٧٨، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣١٧، ٣٣٥، ٣٤٢، ٣٨٧، ٣٩٦.

أسماء بنت أبي بكر : ٩٣، ١١٤، ١٣٢، ١٩٧، ٢١٦، ٢٢٨، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٧٢، ٢٨٣، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٠١.

أسماء بنت عميص : ٧٢، ٨٤، ١١٦، ١١٧، ١٣٧، ١٤٢، ١٨٦، ١٩١، ٢٠١، ٢١٥، ٢١٩، ٢٥١.

أسماء بنت يزيد : ٩٥، ١١٦، ١٢١، ١٣٣، ١٩٥، ٢٢٧، ٢٤١، ٢٥١، ٢٦٢، ٢٧٣، ٢٨٦، ٢٩٤.

الأسود بن هلال : ٨١، ١١٦، ١١٨، ١٤٧، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢٧،

٢٤٩، ٢٦١، ٢٧٢، ٢٨٤.
الأسود بن يزيد : ٧٩، ١٠٢، ١١٥، ١٤٨، ١٦٥، ٢٠٢، ٢١٧، ٢٨٤، ٣٠٠، ٣٤٥.
الأشعري : ٩٧، ١١٥، ١٧٢، ١٩٤، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٥٦، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٨١، ٣١٠.
أسيد بن صفوان : ٧٢، ٨٣، ٩٦، ٩٧، ١١٣، ١١٤، ١١٧، ١٥١، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٣.
الأعمش : ٢٥٢، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣١٢، ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٤٨، ٣٦١، ٣٧٤، ٣٨٧، ٣٨٠.
أنس بن مالك : ٧١، ٨٣، ٨٦، ٩٢، ٩٤، ٩٨، ١١٢، ١١٤، ١١٦، ١٣١، ١٤٢، ١٤٨، ١٩٦، ١٩٨، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٣٤، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٧٢، ٢٨٨، ٢٩٤.
الأوزاعي : ١١٥، ١٢٦، ١٣٤، ١٤٣، ١٥٦، ١٦٢، ١٧٤، ١٨٦، ٣٠٤، ٣٢٧، ٣٦٢، ٣٨٠، ٣٩٣، ٤٠٠.
أويس القرني : ٧٨، ٨٣، ٩٧، ١٢٧، ١٣٩، ١٤٤، ١٥٣، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٧، ٢٤١، ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٧٤.

حرف الباء

بريدة (الصحابي) : ٧٢، ٨٤، ٩٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٥٧، ١٦٣، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣١٨، ٣٥٦، ٣٨٧.
بشر بن الخصاصية : ١٢٣، ١٣١، ٢١٦، ٣٢٤، ٣٩٦، ٤٠٢، ٢١٦، ١٤٤.
بلال مؤذن الرسول : ٨٥، ٨٦، ٩٤، ٩٦، ١١٥، ١٢٦، ١٣٢، ١٣٥، ١٤٧، ١٥٣، ٢٠٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٩٤،))٣.
بلال بن يحيى : ٩٦، ٩٧، ١١١، ١١٤، ١١٨، ١٢٥، ١٢٨، ١٤٨، ١٥٦، ١٧٢، ١٧٤، ٢٠٢، ٢١٣، ٢٢٦، ٢٤٨، ٢٦١، ٢٨٠، ٢٩٤، ٣٠٠.
بهز بن حكيم : ٢١٧، ٢٥٤، ٢٨٦، ٢٩١، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٠٨، ٣٢٤، ٣٣٩، ٣٥١، ٣٥٨، ٣٦٣، ٣٧٤، ٣٨١، ٣٩٤، ٤٠٠.

حرف الثاء

ثابت البناني : ٧٦، ٨٢، ٨٦، ٩٤، ١٠٦، ١١٢، ١٢٧، ١٣٩، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١٧، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٦١،

٢٧٤، ٢٨٦، ٣٠١، ٣١٦، ٣٢٤، ٢٤٢، ٣٥٠.
ثعلبة الخشني : ٢١٤، ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٨٢، ٢٩١، ٣٠٤، ٣١٦، ٣٣٨، ٢٤٧، ٣٥٦، ٣٦٤، ٣٨٠، ٣٩١.
ثوبان مولى الرسول : ٩٠، ٩٣، ١١٧، ١١٩، ٢٠٢، ٢١١، ٢١٣، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٨٤، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣١٣، ٣١٥، ٣٢٨.

حرف الجيم

جابر بن عبدالله : ٩٧، ٩٩، ١١٢، ١٢٦، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٥، ١٤٦، ١٨٨، ١٩٥، ٢٠٠، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٥.
جابر بن عتيك : ٢٤٧، ٢٩٩، ٣٢٤، ٣٦٦، ٣٩٧، ٤٠٥، ٤١٦.
جامع بن شداد : ٢٤٥، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣١٢، ٣٣٧، ٣٦٠، ٣٩٠، ٣٩٦، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤١٣.
جبير بن مطعم : ٢١٤، ٢٥٦، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٤.
جبير بن نفير : ٤٦، ٨١، ١١٠، ١١٣، ١٢٦، ١٣٨، ١٤٤، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٥، ٢١٦، ٢٢٢.
جريج الراهب : ٩٤، ١٥٣، ١٩٦، ٢٢٠، ٢٤٤، ٢٨٦، ٣٢٠، ٣٥٢، ٣٧٠، ٣٨٤.
جرير بن عبدالله : ٢٧٦، ٢٨٤، ٢٩٠، ٣٢٧، ٢٤٨، ٣٦١، ٣٨٢، ٣٨٦، ٣٩٩، ٤١٥، ٤٢١.
جعفر بن برقان : ٨٣، ٩٥، ١١٣، ١٤٢، ١٨٤، ١٩٠، ٢٠٥، ٢١٣، ٢١٤، ٢٤٧، ٢٨٢، ٢٩٦، ٣٠٠.
جعفر بن عبد الرحمن : ١٤٧، ٢١٦، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣٢٧، ٣٤٨، ٣٨٥، ٣٩٠، ٣٩٤، ٤٠١، ٤٢٨.
جعفر بن محمد : ٨٨، ٩٦، ١١٥، ٣٣٢، ٣٤٧، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤١٦، ٤٢٢.

حرف الحاء

الحارث بن عميرة : ٩٦، ١٢٣، ١٤٥، ١٥٧، ١٦٦، ١٨٣، ٢١٠.
حبيب بن أبي ثابت : ٩٨، ١١٤، ٢٢٧، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٣١، ٣٤٤، ٣٦٥، ٣٧٢، ٣٨١، ٣٩٠، ٤٠٥.
حبيب بن صالح : ٩٠، ٩٥، ١١٢، ١٢٧، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٤٠، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٩٤، ٢٩٨، ٣٠٠.

الحجاج بن يوسف : ٢١٢، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٨٤، ٢٩٥، ٣٢٠، ٣٥٢، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٨١، ٣٨٩، ٣٩٣.
حذيفة بن اليمان : ٢٠٩، ٢٢٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣١٨، ٣٢٣.
الحسن البصري : ٢١٠، ٢١٥ ٢١٨، ٢٤٤، ٢٥٦، ٢٧٨، ٣٠٠، ٣٠١، ٣١٤، ٣٢٤، ٣٥٦، ٣٦٨، ٣٨٢.
الحسن بن صالح : ٨٢، ٩٤، ١١٦، ١٣٤، ١٤٦، ١٥٧.
الحسن بن علي : ٢٢٨، ٢٥٦، ٢٧٤، ٣١٦، ٣٢٤، ٣٤١، ٣٥٦، ٣٨٨.
الحسين بن علي : ٧٠، ٧٥، ٨٦، ٩٠، ٩٤، ١١٢، ١٤٧، ١٥٦، ١٦٣، ٢١٠، ٢٣٦، ٢٤٨.
حفصة بنت عمر : ٣٥٤، ٣٦٢، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٩٦، ٤٠٦، ٤١٢، ٤١٧، ٤٢٣، ٤٣٢، ٤٣٥.
حكيم بن حزام : ٢٠٧، ٢٢٤، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣١١، ٣١٤، ٣١٨، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٦٧، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٨٠، ٣٨٦.
حماد بن زيد بن ثابت : ٩٤، ٩٦، ١٠٢، ١١٥، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٢، ١٦٠.
حماد بن عبد الرحمن : ١١٨، ١٩٦، ٢٠٢، ٢١٦، ٢١٨، ٢٤٤، ٢٥٦، ٢٦٣، ٢٧٥، ٢٨٦، ٢٩٠.
حوشب الفهري : ٢١٥، ٢٩٦، ٣١٨، ٣٤٤، ٣٧٦، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٥، ٣١٧.

حرف الخاء

خالد بن أبي عمران : ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٣٠٦، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٣٢، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٦٠، ٣٧٢.
خالد بن ثابت : ٦٧، ٨٤، ٩٦، ١١٢، ١٣٧، ١٤٢، ١٥٤، ١٨٦، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣١.
خالد بن الحرث : ٢١٩، ٢٣٣، ٢٧١، ٢٨٣، ٢٩٦، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٣.
خالد الربعي : ٧٢، ٨١، ٩٢، ٩٧، ١٢٨، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١، ١٨٥، ٢١٠، ٢٢٤، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٥٦، ٣٠٠.
خالد بن سمير : ٩٨، ١١٨، ١٤٥، ١٦٧، ١٨٤، ١٩٩.
خولة بنت حكيم : ١٩٧، ١٩٩، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٦٨.

حرف الراء

رافع بن عمرو : ٦٧، ٨٨، ٩٤، ٩٦، ١١١، ١١٤، ١٢٩، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٥، ١٦٢.

الربيع بن خيثم : ١٥٢، ١٧٠، ١٨٤، ١٩٢، ١١٧، ١١٩، ١٢٦، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٦٧، ٣٠٠.

الربيع بنت معوذ بن عفراء : ٧٦، ٨١، ٩٢، ٩٩، ٢٠٠، ٢٢٤، ٢٨٦، ٢٩٧، ٣٠٠.

حرف الزاي

الزبير بن العوام : ٨٣، ٩٦، ١٠٤، ١١٧، ١١٩، ١٢٧، ١٣٥، ١٨٦، ١٨٩، ١٩١، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٦.

زكريا بن أبي زائدة : ٧٧، ٧٨، ٨٧، ٩٦، ١١٥، ١١٦، ١٣٤، ١٧٧، ١٩٨، ٢١٣، ٢٥٦.

الزهري : ١٨٦، ١٩٠، ٢٠٥، ٢٤٧، ٢٦٨، ٢٩٦.

زياد بن أبي مريم : ٢١٨، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٥٦، ٢٦٥، ٢٧٤، ٢٨٦، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣١٠.

زياد بن سعد : ٩٥، ١٣٣، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٦، ١٦١، ١٨٤، ١٩٦، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٥.

زيد بن أرقم : ٩٣، ١١٣، ١٢٨، ١٩٦، ٣١٣، ٣٢٤، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٣، ٣٩٥.

زيد بن أسلم : ٢١٥، ٢٩٦، ٣٣٤، ٣٤٦، ٣٧٦.

زيد بن ثابت : ١٤٧، ١٦٨، ١٧٦، ١٨٨، ١٩٤، ٢٠٠.

زيد بن حارثة : ٦٨، ٨٨، ٩٢، ١١٢، ١١٦، ١٢٨، ١٣٢، ٣٠٢، ٣١٨، ٣٦٦، ٣٨٣.

زيد بن خالد الجهني : ١٢٣، ١٣٢، ١٥٤، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٥، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٩٧، ٣٠٠.

زيد بن رفيع : ٧٠، ٩٣، ١١٧، ١٥٨، ١٧٦، ١٩٤، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٨٠، ٢٨٧.

زيد بن علي : ٢١٦، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٩٤، ٣١٣، ٣٢٧، ٣٥٩، ٣٩٠.

زينب بنت أبي سفيان : ٢٤٧، ٢٦٨، ٢٩٦، ٣١٤، ٣٢٤.

زينب بنت جحش : ٢٠٧، ٢١٦، ٢١٨، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٩٠.

حرف السين

سالم بن عبدالله : ٨٦، ٩٤، ١٠٢، ٣٠٤، ٣٢٧، ٣٤٠، ٣٥٠.

سعد بن أبي وقاص : ٩٧، ١٢٤، ١٣٨، ٢١٠، ٣١٥، ٣٣٨.

سعد بن زارة : ١١٥، ١٢٨، ١٩٢، ٢١٦، ٢٢٨، ٣٠٠، ٣١١، ٣٨٦.

سعد بن معاذ : ٢١٨، ٢٦٠، ٢٨٤، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣١٨.

سعيد بن أبي زائدة : ٢١٧، ٢٣٨، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣١٧، ٣٢٦، ٣٤٧، ٣٦٠، ٣٦٥.

سعيد بن جبير : ٩٤، ٩٦، ١١١، ١٧٦، ١٨٣، ١٩٦، ٢١٦.

سعيد بن خميس : ٦٨، ٩٢، ١١٣، ١٨٦، ١٩٤، ٢١٢، ٢١٤.

سعيد بن المسيب : ٧٠، ٧٤، ٨٣، ٨٦، ٩٢، ٩٤، ١١٣، ١٦٠، ١٧٢، ٢٦٠، ٣٦٠، ٣٧١، ٣٨٤.

سفيان الثوري : ١٦٢، ١٨٣، ٢٠٠، ٢٥٤، ٢٨٦، ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤٠٠.

سفيان بن عيينة : ٨٣، ٩٤، ١١٥، ١٤٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٨١، ١٩٦، ٢٠٧، ٢١٣.

سلمة بن صفوان : ٢١٩، ٢٢٧، ٢٨٨، ٢٩٦، ٣٠٨، ٣١٦، ٣٤٥.

سليمان بن بلال : ٧٤، ٨٥، ٩٣، ٢١٦، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٨٦، ٢٩٢، ٣٠٠.

سليمان الفارسي : ٢١٦، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٩٢، ٣٠٣، ٣١١، ٣١٤.

سهل بن سعد : ٣١٤، ٣٤١، ٣٥٢، ٣٥٨.

حرف الشين

شبيب بن بشر : ٢١٧، ٢٣١، ٢٦١، ٢٧٤، ٢٨٣، ٢٩٥.

شداد بن أوس : ٨٦، ٩٤، ١٨٦، ٢٠٠، ٢١٨، ٢٥٣، ٢٨٤، ٢٩٦، ٣٠٠.

الشعبي : ٣٢٧، ٣٣٢، ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٩، ٣٩٦، ٤٠٢.

شعيب بن عبدالله : ٨٠، ٩٢، ٩٦، ١٠٧، ٢١١، ٢٥٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٣٠٠، ٣١٣.

شقيق بن سلمة : ٢٠٠، ٢١٧، ٢٤٨، ٢٥٧، ٢٦٩، ٢٧٤.

شهر بن حوشب : ٣٠٠، ٣٢٦، ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٦١.

حرف الصاد

صفوان بن أمية : ٢٠٨، ٢١٣، ٢٨٦، ٢٩١، ٣٠٠، ٣١١، ٣١٤، ٣٢٠.

صفوان بن سليم : ١٩٤، ١٩٦، ٢١٦، ٣١٥، ٣٤٨، ٣٥٠.

صلاح الدين الأيوبي : ٢٠٦، ٢٢٧، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤١، ٣٠٧، ٣١١، ٣٢٣، ٣٣٤، ٣٤٠.

حرف الطاء

طاووس : ٢١٤، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٥٠، ٣٢٤.

الطفيل بن أبي كعب : ٧١، ٨٤، ٨٦، ٩٣، ٩٩، ١١٨، ١٢١، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٣، ١٧٧، ١٧٨.

طليق بن قيس : ٨٢، ٨٤، ١١٦، ١٣٨، ١٤٥، ١٥٦، ١٨٦، ١٩٢، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٧، ٢٣٩، ٣١٧، ٣٢١، ٣٥٧، ٣٨٠، ٣٩١.

حرف العين

عائشة أم المؤمنين : ٣٠٢، ٣١٤، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٧١.

عائشة بنت طلحة : ٨٥، ٩٤، ٩٩، ١١٧، ١٢١، ١٣٣، ١٣٥، ١٤١، ١٦٢، ١٧١، ١٧٣، ١٨٧، ١٩٩، ٢١١.

عاصم بن أبي الجود : ٣١٦، ٣٤٧، ٣٩٦، ٤٠٢، ٤١٥، ٤٢١.

عامر بن الجراح : ٧٠، ٧٣، ٨٦، ٩٤، ١١٤، ١١٧، ١٢٠.

عبادة بن الصامت : ٨٤، ٩٦، ١٢٨، ١٣٢، ١٦٢، ١٧٧، ٢٠٥، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٣٠.

عبد الرحمن بن أبي بكر : ٢٠٠، ٢٦٥، ٢٧٠، ٢٨١، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣١١، ٣٢٤، ٣٣٥، ٣٤٦.

عبد الرحمن بن خالد بن يزيد : ٢١٧، ٢٢٨، ٣١٦، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٧٠، ٣٨٢.

عبد الرحمن بن سمرة : ٣٠٠، ٣٢٨، ٣٣٩، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤١٢، ٤١٨، ٤١٩.

عبد الرحمن بن عوف : ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٨٧، ٣٩٠.

عبد الرحمن بن غنم : ٦٨، ٧٤، ٨٦، ٩١، ٩٨، ١٥١، ١٧٠، ١٨٣، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٠، ٢١٤.

عبدالله بن أبي أوفى : ٢٠٠،

٢٠٤، ٢١٧، ٢٢١، ٢٣٣، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٤.
عبدالله بن الأعرج : ٨٠، ٨٢، ٩٣، ٩٧، ٩٩، ٢١١، ٢١٣، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٧.
عبدالله بن اكيمة : ٣٠٠، ٣١٦، ٣٤٨، ٣٦١.
عبدالله بن إدريس : ٣٢٤، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٥٦، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٨٢، ٣٩٠.
عبدالله بن بشير : ٩٣، ١٠٤، ١١٣، ١١٩، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٨، ١٤٢.
عبدالله بن جعفر : ٢١٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٥٦، ٢٦٧، ٢٨٨، ٢٩٠.
عبدالله بن راشد : ٣٠٠، ٣١٢، ٣٢٨، ٣٤٢، ٣٥١.
عبدالله بن زمعة : ٩٦، ١١٨، ١٢٧، ١٣٨، ١٤٧، ١٥٣، ٢١٠، ٢٣٨، ٢٤٧، ٢٦٣، ٢٨٦، ٢٩٠.
عبدالله بن عباس : ٧٢، ٧٤، ٧٦، ٨٨، ٩٠، ٩٢، ٩٦، ١٠٠، ١٢٠، ١٢١، ١٢٤، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٠، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ١١١، ٢١٧، ٢١٨، ٢٣٠، ٢٣١.
عبدالله بن عمر : ٧١، ٧٥، ٨٨، ٩٢، ٩٤، ١٠٢، ١٠٦، ١١٨، ١٢٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٥، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٤٠، ٢٤٦.
عبدالله بن عمرو بن العاص : ٩٨، ١١٧، ١٣٨، ١٩٥، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٦، ٢١٨.
عبدالله بن مسعود : ٧٨، ٨٠، ٨٢، ٩٤، ١١٦، ١٢١، ١٣٢، ١٤٨، ١٥١، ١٦٣، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٦، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٩٠، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٣٦.
عبدالله بن معاوية الجمحي : ٩٦، ٩٧، ١٠٨، ١١٦، ١١٨، ١٢٢، ١٢٤، ١٣٦، ١٤٨.
عبدالله بن معاوية العامري : ٨٦، ٩٠، ١٠٤، ١١٥، ١٢٨، ١٣٠.
عثمان بن سعيد الدارمي : ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٤، ١١٧، ١٢٠، ١٢٤، ١٣٢، ١٣٧، ١٤١، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٤.
عثمان بن عفان : ٩٠، ٩٢، ٩٥، ١٠٧، ١١٣، ١١٩، ١٢١، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٩، ١٣٢، ١٤٤، ١٤٨،

١٦٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٩٠، ١٩٣، ٢١٧، ٢١٨، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٨١، ٢٩٠.
عروة بن الزبير : ٩٢، ٩٧، ١٠٣، ١٠٧، ١١٣، ١١٨، ١٢٠، ١٦٩، ١٧٢، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٧٦، ٢٨٢، ٢٩١، ٣٠٠.
عطاء بن يسار : ٩٠، ٩٥، ١٠٦، ١٥٢، ١٨٤، ١٩٦، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٣، ٢٤٠، ٢٥٠، ٢٦١.
عقبة بن عامر الجهني : ٨٦، ٨٧، ٩٣، ٩٤، ١٠٨، ١١٢، ١١٤، ١٢٦، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٥، ١٥٠، ١٦٢.
علقمة بن عبدالله : ٣٢٤، ٣٧٢، ٣٩٦، ٤٠٢، ٢١٧.
علي بن أبي طالب : ٢٥٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٩١، ٣١٥، ٣١٨، ٣٤٦، ٣٥٢، ٣٥٩، ٣٦٦، ٣٧٢، ٣٨٠، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤١٨، ٤٣٦، ٤٤٢.
عمر بن الخطاب : ٨٠، ٨٢، ٨٥، ٩٠، ٩٤، ٩٨، ١٠٠، ١١٤، ١٥٧، ١٦٦، ١٧٢، ١٨٨، ١٩٢، ٢٠٠، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٦٠، ٢٧١، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٢.
عمرو بن الجموح : ٣٠٠، ٣١٦، ٣٤١، ٣٥٧، ٣٦٦، ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٨، ٤٠٠.
عمرو بن دينار : ٢٥٠، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٨٢، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٥.
عمرو بن العاص : ٣٢٧، ٣٤٢، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧٤.
عمرو بن مالك : ٨٦، ٨٩، ٩١، ٩٩، ١١٧، ١٢٨، ١٣٩، ١٤١، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٤.

حرف الفاء

فاطمة بنت الحسين : ٣٠٠، ٣١٨، ٣٣٦، ٣٤٩، ٣٦٠، ٣٧٤، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٩٠، ٣٩٢.
فاطمة الزهراء : ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٩١، ٣٠٧، ٣١١، ٣٢٨، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤٥.

حرف القاف

القاسم الشيباني : ١٩٨، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٦٢.
القعقاع بن حكيم : ٢٠٠، ٢٢٨،

٢٣١، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٥٩، ٢٦٧، ٢٧٩، ٢٨٥، ٢٨٧، ٣٠٠، ٣٠٤.

قيس بن أبي حازم : ٩٦، ٩٧، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٠، ١٧١، ٢٠٣، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٤٦، ٢٥٠، ٣٠٠، ٣١٦، ٣٢٧.

حرف الكاف

كثير بن هشام : ٣٠٠، ٣٣٥، ٣٤٤، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٤.

كعب بن مرة : ٢١٧، ٢٢٩، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٩٠، ٣١٢.

حرف اللام

لقمان الحكيم : ٢٢٧، ٢٩٤، ٣١٥، ٣٤٧، ٣٥٢.

حرف الميم

مالك بن أنس : ٧٢، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٩٠، ٩٣، ٩٥، ٩٨، ١٠٠، ١١٨، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٠٥.

مالك بن دينار : ٣١٨، ٣٢٧، ٣٣٦، ٣٥١، ٣٦٥، ٣٧٤، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٩٠.

معاذ بن جبل : ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٨، ٢٥٠.

محمد بن المبارك : ١٦٧، ١٩٣، ٢١٦، ٢٤٧، ٢٦١، ٢٧٧، ٢٤٨، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٧.

مرة الهمذاني : ١٤٧، ١٦١، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٣.

معاوية بن أبي سفيان : ١٧٣، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٠، ١٩١، ١٩٥، ٢٠٠، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٥٧.

معاوية بن مزرد : ١٨٤، ١٩٢، ٢٠٢، ٢١١، ٢١٣، ٢٢٨.

مليح بن عبدالله الخطمي : ٩٦، ١١٥، ١٢٧، ١٤٣، ١٥٦، ٢١٦.

حرف الهاء

هارون بن زياد : ٩٥، ٩٨، ١٠٩، ١١٢، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٢، ١٦٢، ١٧٧، ١٨٥، ١٩٠، ٢٠٣، ٢٠٦.

هرم بن حيان : ٧٢، ٧٣، ٧٦، ٨١، ٨٦، ٩٤، ٩٥، ٣٠٠، ٣٣٤، ٣٥٧، ٣٧٢.

هشام بن حسان : ٧٠، ٨٢، ٩٤، ١٠٣، ١١٨، ١٢٠، ١٥٣، ١٥٩، ١٨٤، ١٩٢.

الهيثم بن خالد : ٧٤، ٧٦، ٧٩، ٨٣، ٨٥، ٩٦، ١٠٢، ١١٤، ١١٣، ١٣٩، ١٤٣، ١٥٠.

حرف الواو

واثلة بن الاسقع : ٣٠٠، ٣٥٦، ٣٧٢، ٣٨٤، ٣٩٦.

وهب بن منبه : ٢١٢، ٢١٤، ٢٩٣، ٣٠٠، ٣١٤، ٣١٦، ٣٣٧، ٢٣٤٢، ٣٤٥.

حرف الياء

يحيى بن يعمر : ٩٣، ٩٧، ١١٦، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٣، ٢٢٥، ٢٤٧، ٢٨٦، ٢٩١، ٣٠٠.

٤ ــ مراجع تحقيق الكتاب

١ ــ القرآن الكريم

٢ ــ فتح الباري ــ شرح صحيح البخاري.
دار المعرفة ــ بيروت

٣ ــ صحيح مسلم ــ للإمام مسلم بن الحجاج.
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار احياء التراث العربي ــ بيروت

٤ ــ الجامع الصحيح ــ وهو سنن الترمذي.
تحقيق ــ أحمد محمد شاكر ــ دار الحديث ــ القاهرة

٥ ــ سنن الحافظ أبي عبد الله بن يزيد ــ ابن ماجة.
تحقيق ــ محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار الحديث.

٦ ــ سنن النسائي ــ بشرح الحافظ السيوطي.
دار الحديث ــ القاهرة

٧ ــ المستدرك على الصحيحين ــ للامام الحاكم النيسابوري.
دار الكتاب العربي ــ بيروت

٨ ــ سنن أبي داود.
مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد
دار الكتب العلمية ــ بيروت

٩ ــ المسند ــ للامام أحمد بن حنبل.
المكتب الاسلامي ــ بيروت
١٠ ــ تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ــ للسيوطي.
احياء الكتب العربية ــ مصر
١١ ــ الادب المفرد ــ للامام البخاري.
عالم الكتب ــ بيروت
١٢ ــ الموطأ ــ للامام مالك بن أنس.
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار الحديث ــ مصر
١٣ ــ المعجم الكبير ــ للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني.
تحقيق حمدي عبد المجيد
١٤ ــ الجامع الصغير ــ للحافظ السيوطي ــ
مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ــ مصر
١٥ ــ ضعيف الجامع الصغير وزيادته ــ تأليف محمد ناصر الدين الألباني.
المكتب الاسلامي ــ بيروت
١٦ ــ كتاب الاسماء والصفات ــ للبيهقي
المركز الاسلامي للكتاب ــ بيروت
١٧ ــ جامع الشمل في أحاديث خاتم الرسل ــ محمد بن يوسف اطفيش.
دار احياء الكتب العربية ــ مصر
١٨ ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ــ للهيثمي ــ
مكتبة القدسي ــ مصر
١٩ ــ اللالىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ــ للسيوطي.
دار المعرفة ــ بيروت
٢٠ ــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ــ للسيوطي.
دار المعرفة ــ بيروت

٢١ ــ طبقات الشافعية الكبرى ــ للسبكي
دار احياء الكتب العربية ــ مصر
٢٢ ــ تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير
دار المعرفة ــ بيروت
٢٣ ــ الجامع لاحكام القرآن الكريم ــ القرطبي.
دار الكاتب العربي ــ بالقاهرة
٢٤ ــ تفسير الطبري ــ لابن جرير الطبري.
تحقيق محمود محمد شاكر ــ دار المعارف مصر
٢٥ ــ فهارس التاريخ الكبير ــ للامام البخاري.
دار الكتب العلمية ــ بيروت
٢٦ ــ زاد المسير في علم التفسير ــ لابن الجوزي.
المكتب الاسلامي ــ بيروت
٢٧ ــ كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.
حاجي خليفة ــ المثنى ببغداد
٢٨ ــ كتاب الأعلام ــ للزركلي ــ
طبعة ثالثة ــ بيروت
٢٩ ــ كتاب الضعفاء الكبير.
تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت
٣٠ ــ ميزان الاعتدال ــ للذهبي ــ
تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية ــ بيروت
٣١ ــ لسان الميزان ــ لابن حجر العسقلاني
حيدر أباد ١٣٢٥ هـ
٣٢ ــ تهذيب التهذيب ــ لان حجر العسقلاني
حيدر أباد ١٣٢٥ هـ

٣٣ ــ نصب الراية لاحاديث الهداية ــ للزيلعي ــ
دار الحديث ــ مصر

٣٤ ــ صفوة صحيح البخاري ــ
اختيار الشيخ عبد الجليل عيسى ــ جماعة الأزهر للنشر والتأليف

٣٥ ــ السيرة النبوية ــ لابن هشام ــ
ط مؤسسة علوم القرآن

٣٦ ــ الاستيعاب في معرفة الاصحاب.
تحقيق علي البجاوي ــ مكتبة نهضة مصر

٣٧ ــ الأذكار المنتخبة من كلام سيد الابرار ــ لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ــ
ط ــ الحلبي مصر

٣٨ ــ الاصابة في تمييز الصحابة ــ لابن حجر العسقلاني ــ
ط التجارية مصر

٣٩ ــ تذكرة الحفاظ ــ لابي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي
حيدر أباد ــ ١٩٥٥

٤٠ ــ الترغيب والترهيب للمنذري.
تحقيق ــ مصطفى عمارة ــ الحلبي ــ القاهرة

٤١ ــ التصوف الثورة الروحية في الاسلام ــ للدكتور أبي العلا عفيفي.
ط المعارف بالاسكندرية ــ مصر

٤٢ ــ التعرف لمذهب أهل التصوف ــ للكلاباذي ــ
عبد الحليم محمود عيسى الحلبي ــ مصر

٤٣ ــ جامع الأصول من أحاديث الرسول ــ لابي السعادات. مبارك بن محمد بن الأثير الجزري
تصحيح محمد حامد الفقي ط السنه المحمدية ــ القاهرة ١٩٤٩

٤٤ ــ دائرة المعارف الاسلامية ــ
اعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وزميليه ــ ط كتاب السنة.
٤٥ ــ الرسالة القشيرية ــ لابي القاسم عبد الكريم القشيري ــ
محمد صبيح القاهرة ــ ١٩٤٨ م
٤٦ ــ سنن الدارمي ــ لابي محمد عبد الله الدارمي
ط دمشق ١٣٤٩ هـ
٤٧ ــ شرح النووي على صحيح مسلم ــ للامام النووي ــ
المطبعة المصرية بالازهر القاهرة ــ ١٣٤٧ ــ ١٩٢٩ م
٤٨ ــ الطبقات الكبرى للشعراني ــ
ط ــ مصر بدون تاريخ
٤٩ ــ جامع الأحاديث ــ للجامع الصغير وزوائده ــ للامام السيوطي ــ
جمع وترتيب عباس أحمد صقر، واحمد عبد الجواد ــ ط مطبعة خطاب
٥٠ ــ الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية، للدكتور عبد الفتاح بركة ــ
ط مجمع البحوث الاسلامي
٥١ ــ كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي
تحقيق الدكتور عثمان اسماعيل يحيى ــ ط الكاثوليكية بيروت
٥٢ ــ كشف الخفاء ومزيل الالباس، لاسماعيل بن محمد العجلوني ــ
ط القدسي القاهرة ١٣٥١ هـ
٥٣ ــ كنز العمال ــ لعلي المنقى بن حسام الدين الهندي
ط ــ حيدر آباد

٥ ــ فهرس موضوعات المقدمة

تمهيد ٩

حياة الحكيم الترمذي

اسمه ونسبه ١١
موطنه ونشأته ١٣

شيوخه وتلامذته

شيوخه ٢٣
تلامذته ومريدوه ٣٤

مؤلفات الحكيم الترمذي

المخطوطة ٣٨
المطبوعة ٤٢
الترمذي في رأي المؤلفين والمصنفين ٤٥
وفاته ٤٨

كتاب « نوادر الأصول... »

التعريف به ٤٩
عملنا في تحقيق الكتاب ٥٤

٦ ـ فهرس موضوعات الجزء الأول من كتاب نوادر الأصول

الأصل الأول	: في بيان التحصين من لدغ العقرب وكلمة الاستعاذة بالكلمات	٦٥
الأصل الثاني	: في كلمة النجوى	٧٦
الأصل الثالث	: في تأثير الغضب في الإيمان	٧٩
الأصل الرابع	: في أدب الانتعال	٨٣
الأصل الخامس	: في النهي عن القزع	٨٨
الأصل السادس	: في حسن حال المؤمن المحتضر	٩٤
الأصل السابع	: في ترجيح الرجاء على القنوط	٩٩
الأصل الثامن	: في بيان أن التعلق بالأسباب مع التوحيد لا يضرّ	١٠٣
الأصل التاسع	: في مرتبة روح المؤمن	١٠٥
الأصل العاشر	: في أن الحرص والاعتراض والعجلة شؤم	١٠٩
الأصل الحادي عشر	: في حدّ التأديب في المماليك	١١٧
الأصل الثاني عشر	: في تعجيل إعطاء أجرة الأجير	١٢٢
الأصل الثالث عشر	: في العين المؤمنة إذا رأت منكراً	١٢٣
الأصل الرابع عشر	: في سرّ قوله ﷺ: لا تأمنن على أحد بعدي.	١٢٦

الأصل الخامس عشر	: في تحقيق التهديد على زوارات القبور	١٢٩
الأصل السادس عشر	: في أن الورود في النار الدخول	١٣٣
الأصل السابع عشر	: في أن الدنيا أسحر من هاروت وماروت	١٣٦
الأصل الثامن عشر	: في كيفية الاحتراز من الشيطان	١٣٨
الأصل التاسع عشر	: في حقيقة الفقه وفضيلته	١٤١
الأصل العشرون	: في حكمة قصر أعمار هذه الأمة	١٤٥
الأصل الحادي والعشرون	: في خصوصية هذه الأمة	١٤٨
الأصل الثاني والعشرون	: في النهي عن الأكل على الخوان، وفي السكرجة والمرقق	١٦١
الأصل الثالث والعشرون	: في الأمر بقطع المراجيح	١٦٤
الأصل الرابع والعشرون	: في قوله ﷺ: أحشر أنا وأبو بكر وعمر	١٧٢
الأصل الخامس والعشرون	: في أن الكتابة قيد للعلم وحفظ له من النسيان	١٧٥
الأصل السادس والعشرون	: في ذكر فتاني القبر	١٨١
الأصل السابع والعشرون	: في أن من السنَّة مشاركة الجليس في الهدية	١٨٥
الأصل الثامن والعشرون	: في سر إماطة الأذى عن الطريق	١٨٩
الأصل التاسع والعشرون	: في النظافة	١٩١
الأصل الثلاثون	: في أدب الصحة	١٩٣
الأصل الحادي والثلاثون	: في حقيقة الاستيداع وسره	١٩٤
الأصل الثاني والثلاثون	: في بطاقة البهتان وبيان الاحتراز منه	١٩٩
الأصل الثالث والثلاثون	: في سر الاحتجاب وبيان حكمه	٢٠١
الأصل الرابع والثلاثون	: في حقيقة النظرتين	٢٠٣
الأصل الخامس والثلاثون	: في أن الحسنة بعشرة	٢٠٥
الأصل السادس والثلاثون	: في الشكر والصبر	٢٠٧
الأصل السابع والثلاثون	: في سر قتل الحيات والنهي عنه	٢٠٩

الأصل الثامن والثلاثون	: في أكل القثاء بالرطب وسرّه	٢١٤
الأصل التاسع والثلاثون	: في مراتب الأخلاق وفضل العلم	٢١٦
الأصل الأربعون	: في تكثير التوبة	٢٢٣
الأصل الحادي والأربعون	: في الخوارج	٢٢٥
الأصل الثاني والأربعون	: في فضيلة المؤذنين	٢٣٠
الأصل الثالث والأربعون	: في تسليم الحق وسرّ مصافحته لعمر ـــ رضي الله عنه ـــ	٢٣٢
الأصل الرابع والأربعون	: في ما يعدونه صدق الحديث	٢٣٩
الأصل الخامس والأربعون	: في النهي عن إكراه المرضى على الطعام والشراب	٢٥٦
الأصل السادس والأربعون	: في بيان أنه مما يحصل عذاب القبر	٢٥٨
الأصل السابع والأربعون	: في امر بيان أن مدة المحنة لم تقدر بثلاثة أيام	٢٥٩
الأصل الثامن والأربعون	: في أن البركة في بيع العقار منزوعة	٢٦٠
الأصل التاسع والأربعون	: في أن النفقة في التراب والبناء لا أجر فيها	٢٦٢
الأصل الخمسون	: في الاعتصام بالكتاب والعترة وبيانها	٢٦٤
الأصل الحادي والخمسون	: في بيان عدد الأبدال وصفاتهم	٢٦٧
الأصل الثاني والخمسون	: في أنه يقبض العبد حيث أثره	٢٧٢
الأصل الثالث والخمسون	: في أن الكبائر لا تجامع طمأنينة القلب بالله تعالى	٢٧٥
الأصل الرابع والخمسون	: في أول تحفة المؤمن بعد الموت	٢٩٠
الأصل الخامس والخمسون	: في بيان ما يهرم ويشب من الآدمي	٢٩٣
الأصل السادس والخمسون	: في أن عدد الشرائع بتعدد الرسل	٢٩٦
الأصل السابع والخمسون	: في حقيقة اليقين ومعنى العافية	٢٩٨

الأصل الثامن والخمسون	: في تفسير قوله تعالى: ﴿ فروح وريحان ﴾	٣٠٠
الأصل التاسع والخمسون	: في معنى معاء الآدمي لِمَ كانت سبعاً فصارت واحدة	٣٠١
الأصل الستون	: في أن للصائم دعوة مستجابة عند إفطاره	٣٠٤
الأصل الحادي والستون	: في سجود الشكر	٣٠٦
الأصل الثاني والستون	: في بيان أفضل الصدقة	٣١٠
الأصل الثالث والستون	: في أنه ﷺ كان يحب الفأل الحسن	٣١١
الأصل الرابع والستون	: في معنى الفطرة الأصلية	٣١٤
الأصل الخامس والستون	: في بيان قوله: ﷺ: إن هذا المال خضرة حلوة	٣٢١
الأصل السادس والستون	: في إن الاختيار من الخير	٣٢٣
الأصل السابع والستون	: في عقاب من غشَّ العرب	٣٣٦
الأصل الثامن والستون	: في الأمر بالعقد بالأنامل في الذكر	٣٦٤
الأصل التاسع والستون	: في أن حق المؤمن على المؤمن ست خصال	٣٦٦
الأصل السبعون	: في فضل الشهيد وكرامته على الله عز وجل	٣٦٨
الأصل الحادي والسبعون	: في بيان المنافاة بين اللعان والصديق	٣٧٠
الأصل الثاني والسبعون	: في الذكر الخفي	٣٧١
الأصل الثالث والسبعون	: في خصال سألها سليمان عليه السلام	٣٧٦
الأصل الرابع والسبعون	: في نشر السجلات يوم الحشر	٣٨٣
الأصل الخامس والسبعون	: في أن غرس الله محفوظ في الدارين	٣٨٧
الأصل السادس والسبعون	: في منع الشيطان من المشاركة في كل شيء	٣٩٠

الأصل السابع والسبعون : في حقيقة الرؤيا وأن الشيطان لا يتمثل بالنبي ﷺ ٣٩٢
الأصل الثامن والسبعون : في أن المعدة إذا كانت صحيحة ترجى معها النجاة ٣٩٩
الأصل التاسع والسبعون : في أن في الخلّ منافع الدين والدنيا ٤٠٢
الأصل الثمانون : في دفع المنكرات بالدعاء ٤٠٤
الأصل الحادي والثمانون : في أن النفس تألف بمن يبرها وبيان سره ٤٠٦
الأصل الثاني والثمانون : في أصل الادوية وسر الحكمة في التداوي ٤٠٨
الأصل الثالث والثمانون : في التنبيه على أن العقوبة من الله تعالى تعمّ والرحمة للمطيع ٤١٣
الأصل الرابع والثمانون : في أن الناس ينزلون منازلهم وتدبيره ﷺ في اختلاف احوالهم ٤١٥
الأصل الخامس والثمانون : في أن المؤمن يموت بعرق الجبين ٤١٩
الأصل السادس والثمانون : في أن الكيِّس مَنْ أبصر العاقبة، والأحمق مَنْ عمي عنها ٤٢١
الأصل السابع والثمانون : في أن الناس مفاتيح للخير، ومن الناس مفاتيح للشر ٤٢٦
الأصل الثامن والثمانون : في أن إجماع الأمة واختلافهم رحمة ٤٢٨
الأصل التاسع والثمانون : في صفة الجنان الأربع ٤٣٠
فهرس الآيات القرآنية ٤٢٩
فهرس الأحاديث النبوية ٤٦٣
فهرس الأعلام ٤٩٣
فهرس مراجع التحقيق ٥٠٥
فهرس موضوعات المقدمة ٥١١
فهرس موضوعات الجزء الاول ٥١٣

من مكتبة التراث

نوادر الأصول

في أحاديث الرسول

تأليف

محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم
الترمذي

المجلد الثاني

حقق أصوله وخرج أحاديثه
الدكتور عبد الرحمن عميره

دار الجيل
بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

نوادر الأصول

في أحاديث الرسول

الأصل التسعون

في الفرق بين حسن الأشياء عند أولي الألباب وبين حسنها عند السفهاء

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: أهدى النجاشي إلى رسول الله ﷺ حلية فيها خاتم من ذهب، فيه فص حبشي، فأخذه رسول الله ﷺ بعود أو ببعض أصابعه، وإنه لمعرض عنه، ثم دعا ابنة ابنته امامة ابنة أبي العاص، فقال: تحلي بهذا يا بنية.

جعل ﷺ الحلية زينة لجوارح الإنسان. فإذا لبسها، زانه لذلك. وإذا زانه، حلاه. فصار ذلك العضو أحلى في أعين الناظرين. ولذا سمي حلية، لأنه تحلي تلك الجوارح في أعين الناظرين وفي قلوبهم. قال الله تعالى: ﴿ **وتستخرجون منه حلية تلبسونها** ﴾[1]. وهي اللؤلؤ. فما كان من ذهب فللاناث، ويحرم على الذكور. وما كان من فضة أو جوهر فمطلق للرجال والنساء. وقد لبس (عليه السلام) خاتماً اتخذه من فضة وفصه منه.

وعن نافع أن حفصة زوج النبي ﷺ صاغت حلياً بثلاثين ألف

(١) سورة النحل آية رقم ١٤ وقد جاءت في المطبوعة محرفة حيث قال: تستخرجون بدون الواو.

درهم، وجعلته حبيساً على نساء آل عمر (رضي الله عنه) فلم تكن تؤدي زكاته. وقد خلق الله تعالى الآدمي خلقاً سوياً بارزاً فضله، قدمه على سائر الخلق في أرضه، وكل خلق ربي حسن. قال الله تعالى: ﴿ **أحسن كل شيء خلقه** ﴾[1].

وظهر حسن الأشياء عند أولي الألباب والبصائر والعقول، لأنهم ينظرون إلى صنعه في الأمور، وأحكامه ولطفه في الأشياء. وظهر الحسن عند السفهاء ما تحلو في نفوسهم عند موافقة شهواتهم، فإنهم ينظرون بعين الشهوة، وهي سقيمة. والحكماء ينظرون بعين الحكمة، وهي صحيحة. والعارفون ينظرون بعين المعرفة إلى صنعه ولطفه. فتبارك الله أحسن الخالقين. والزينة والحلية حق. وإنما يفسدها الإرادة والقصد. فإذا كان الإرادة لله تعالى فقد أقام حقاً من حقوق الله تعالى، وعَبَدَ اللهَ باقامته. وإذا كان لغير الله صار وبالاً كسائر الأشياء. ومثل ذلك ما يروى أن جماعة أتوا منزل زكريا (عليه السلام) فإذا فتاة جميلة رائعة أشرق لها البيت حسناً. قالوا: من أنت؟ قالت: أنا إمرأة زكريا. قالوا فيما بينهم: كنا نرى نبي الله لا يريد الدنيا، فإذا هو قد اتخذ امرأة جميلة رائعة. قالوا: فأين هو؟ قالت: في حائط آل فلان. يعمل له فأتوه. فإذا هو قرَّب رغيفين فأكل ولم يدعهم ثم قام فعمل بقية عمله وقال لهم: حاجتكم. قالوا: جئنا لأمر ولقد كان يغلبنا ما رأينا على ما جئنا له. فقال: هاتوا. قالوا: أتينا منزلك فإذا امرأة جميلة رائعة، وكنا نرى نبي الله لا يريد الدنيا. فقال: إني إنما تزوجت امرأة جميلة رائعة لأكف بها بصري، وأحفظ بها فرجي. قال: فخرج نبي الله مما قالوا. وقالوا: ورأيناك قربت رغيفين فأكلت ولم تدعنا. قال: إن القوم استأجروني على عمل، فخشيت أن أضعف عن عملهم إن لم آكل، ولو أكلتم معي لم يكفني ولم يكفكم. فخرج نبي الله مما قالوا.

---

(١) سورة السجدة آية رقم ٧.

الأصل الحادي والتسعون

في الخصال المنظومة للشكر

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ وهو على المنبر يخطب الناس. وتلا هذه الآية: ﴿ **إعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور** ﴾[1].

ثم قال: ثلاث من أوتيهن فقد أوتي مثل ما أوتي داود. فقيل له: ما هي يا رسول الله؟ قال: العدل في الرضى والغضب، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية.

معناه أن هذه الخصال منتظمة للشكر، من أتى الله بهن فهو شاكر. وهو قوله (عليه السلام): « ثلاث منجيات وثلاث مهلكات. فأما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية، والحكم بالحق عند الرضى والغضب، والاقتصاد عند الفقر والغنى. وأما المهلكات فشح مطاع، وهوًى متبع، وإعجاب المرء بنفسه »[2].

---

(١) سورة سبأ آية رقم ١٣.

(٢) روى أبو داود في كتاب الملاحم جزءاً من حديث قريباً من هذا ٤٣٤١ بسنده عن أبي ثعلبة الخشني وفيه: « حتى إذا رأيت شجاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة، واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك ــ يعني بنفسك ــ ودع عنك العوام ».

وقد أمر الله آل داود أن يعملوا شكراً. أي يعملوا عملاً يكون ذلك العمل شكراً لما آتاهم من النعم. وفضلهم بها فأجمل (عليه السلام) لهذه الأمة في ثلاث خصال. فقال: من أوتيهن فقد أوتي الشكر، فهو شاكر كشكر آل داود (عليه السلام). ويجوز أن يكون معناه أن الأشياء التي أعطيت داود وسليمان (عليهما السلام) فاستعملاها من أجلي شكراً لي ولم يبطروا بهذه النعمة فيغفلوا عني، بل صيروا استعمالها لي، فصار شكراً. وإذا أوتي العبد هذه الخصال الثلاث، قوي على ما قوي عليه آل داود (عليه السلام).

الأصل الثاني والتسعون

في الحث على ترك ما لا يعني

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »[1].

الأشياء لا تكون قبيحة ولا حسنة في نفسها. وإنما تحسن وتقبح بالشرع. ولهذا كان فيما تقدم من الشرائع أفعال قد أطلق الله تعالى فيها. فكان غير قبيح. فلما حرمه حل به القبح. كنكاح الأخوات، والجمع بين الأختين كان مطلقاً وكان حسناً. فلما حرمها، صارت فاحشة ومقتاً. والمسلم قد اعتقد بقلبه وحدانية الله تعالى، لا شريك له وعرفه رباً أسلم نفسه إليه، وصار له عبداً بكل ما يأمر وينهى، ويحكم ويشاء. فأمرهم بالحق، وزجرهم من الباطل، وبين الحق والباطل

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الزهد ٢٣١٧ ــ عن اسماعيل بن عبد الله بن سماعة عن الأوزاعي عن قرة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ورواه ابن ماجه في كتاب الفقه ١٢ باب كف اللسان ٣٩٧٦ عن قرة بن عبد الرحمن بن حيوئيل عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه صاحب الموطأ في حسن الخلق ٣ واحمد بن حنبل في المسند ١ : ٢٠١ (حلبي).

في تنزيله الكريم. فكل شيء يعرض للمؤمن فلم يعنه تركه، من فضول الأشياء، وفضول الطعام، وفضول الكلام، وفضول المال، وفضول الأعمال، والأمور التي له منها يد وغنى. فترك هذه الفضولات دليل على حسن إسلام نفسه إلى ربه وبذله عبودية له.

الأصل الثالث والتسعون

في التعوذ بنسبة الحق تعالى

عن عثمان (رضي الله عنه) قال: دخل عليَّ رسول الله ﷺ يعودني، فقال: أعيذك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد من شر ما تجد. فرددها سبعاً. فلما أراد القيام قال: تعوذ بها. فما تعوذ بخير منها يا عثمان. فمن تعوذ بها، فقد تعوذ بما يعدل ثلث القرآن[1]. وبنسبة الله تعالى التي رضيها لنفسه.

---

(١) هناك أحاديث كثيرة تدل على أن سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن ومنها ما رواه الترمذي في كتاب فضائل القرآن بسنده عن أبي أيوب الأنصاري: من قرأ الله الواحد الصمد فقد قرأ ثلث القرآن ».

الأصل الرابع والتسعون

في حكمة الله تعالى فيما نهى عن قتله وأمر بقتله

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: نهى رسول الله ﷺ عن قتل النملة والنحلة والهدهد والصرد[1].

خلق الله تعالى في الأرض أمماً. ثم خلق آدم (عليه السلام) وأبرز فضله على سائر البرية، بأن سخر له ما في السموات وما في الأرض. قال الله تعالى: ﴿ **خلق لكم ما في الأرض جميعاً** ﴾[2] بأن فضل الآدمي على سائر الأمم. قال الله تعالى: ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم...** ﴾ الآية[3].

وعن عمر (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله تعالى خلق ألف أمة. ستمائة في البحر وأربعمائة في البر. وإن

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب الصيد ١٠ باب ما ينهى عن قتله ٣٢٢٤ عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: وذكره، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب ١٦٤ والدارمي في الأضاحي ٢٦ وأخرجه حنبل في المسند ١:٣٢٢، ٣٤٧ (حلبي).

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٩.

(٣) سورة الاسراء آية رقم ٧٠.

أول هلاك هذه الأمة الجراد. فإذا هلكت الجراد، تتابعته الأمم مثل نظام السلك إذا انقطع.

وإنما تهلك الأمم لهلاك الآدميين؛ لأنها سخرت لهم. ومن فضل الآدميين على سائر الأمم أن جميعها يعودون تراباً يوم القيامة. والآدميون يوقفون للثواب والعقاب. والآدميون وغيرهم من الأمم جواهر على اختلاف تربتها التي منها خلقت. وقال (عليه السلام): « إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض. جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض والسهل والحزن والخبيث والطيب »[1].

فكما ترى في بني آدم جواهرهم حتى يظهر منهم معالي الأخلاق ومدانيها، كذلك في سائر هذه الأشياء من الدواب والوحوش والطير. فالحية أبدت جوهرها حيث خانت آدم (عليه السلام) حتى لعنت وأخرجت من الجنة، فأمر رسول الله ﷺ بقتلها. وقال: « اقتلوها وإن كنتم في الصلاة ». والوزغة أبدت جوهرها، فنفخت على نار نمرود (عليه اللعنة) فلعنت.

قال (عليه السلام): « من قتل وزغة فكأنما قتل كافراً »[2].

والفأر أبدت جوهرها فكن يقرضن حبال سفينة نوح (عليه السلام)

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ٣ ومن سورة البقرة ٢٩٥٥ ــ عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الأشعري قال رسول الله ﷺ: وذكره وقال: هذا حديث حسن صحيح وأخرجه أبو داود في السنة ١٦ وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٤٠٠، ٤٠٦ (حلبي).

(٢) الحديث أخرجه الامام مسلم في كتاب السلام ١٤٦ (٢٢٤٠) عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره وليس فيه (فكأنما قتل كافراً) وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب ١٦٣ والترمذي في الصيد ١٢ وأخرجه حنبل في المسند ١ : ٢٤٠، ٢ : ٣٥٥ (حلبي).

فشكى نوح إلى الله تعالى. فأوحى إليه أن امسح جبهة الأسد فعطس، فخرج سنوران فأكلا الفار. ثم كثرت العذرة في السفينة، فأوحي إليه أن امسح ذنب الفيل، فنثر خنزيران فاكلا العذرة. والغراب أبدى جوهره حيث بعثه نوح (عليه السلام) من السفينة ليأتيه بخبر الأرض، فترك أمره، وأقبل على جيفة. والحمار أبدى جوهره حيث تلوط ونزا على ذكر.

قال ابن سيرين: ليس شيء من الدواب يعمل عمل قوم لوط إلا الخنزير والحمار. والضفدع أبدى جوهره حيث جاء بالماء ليطفئ عن إبراهيم (عليه السلام) ناره فأُثيب أن جعل مكانه الماء، وأنها أكثر الدواب تسبيحاً. والنملة أبدت جوهرها حيث أثنت على سليمان (عليه السلام) فقالت: ﴿ **لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون** ﴾[1]. والنحلة مذكورة في التنزيل. قال الله تعالى: ﴿ ... **أن اتخذي من الجبال بيوتاً**... ﴾[2].

والهدهد كان رسول سليمان (عليه السلام) إلى بلقيس، وحامل كتابه، والمؤدي عنها خبرها إلى سليمان (عليه السلام). والصرد يقال له: صرد الصوام.

قال أبو هريرة (رضي الله عنه): أول طير صام الصرد، لما خرج إبراهيم (عليه السلام) من الشام إلى الحرم في بناء البيت، كانت السكينة معه والصرد، وكان الصرد دليله إلى الموضع، والسكينة مقداره. فلما صار إلى البقعة، وقفت السكينة على موضع البيت ونادت: ابنِ يا إبراهيم على مقدار ظلي.

نهي عن قتل النملة لأنها أثنت على سليمان (عليه السلام) بأبلغ ما تقدر. ونهى عن قتل النحل لأن فيه شفاء.

---

(١) سورة النمل آية رقم ١٨.

(٢) سورة النحل آية رقم ٦٨.

قال أبو هريرة (رضي الله عنه): الذبان كلها في النار يجعلها عذاباً لأهل النار إلا النحل.

ونهى عن قتل العنكبوت لأنه نسج على غار رسول الله ﷺ. وعن الهدهد لأنه كان دليل سليمان (عليه السلام) على الماء. وعن الضفدعة لأنها كانت تصب الماء على نار إبراهيم (عليه السلام). وعن الصرد لأنه دل إبراهيم (عليه السلام) على البيت. فقد علم الله سبحانه من جواهر هذا الخلق. فاختار لمحبوبه من الأمور من قد علم طيب جوهره. وأظهر الآخرون بأفعالهم خبث جواهرهم، مثل الفأرة والغراب والوزغة والحية، ويحل قتلها من غير أذى. فأما غير ذلك إذا آذى فيحل قتله ودفع شره عن نفسه.

وعن زيد، قال رسول الله ﷺ: « لا تسبوا الديك فإنه يدعو إلى الصلاة »[1].

---

(١) رواه أبو داود، وابن ماجة باسناد جيد عن زيد بن خالد الجهني وعن أبي الشيخ في العظمة عن ابن عباس ــ رضي الله عنه أن ديكاً صرخ عند النبي ﷺ فسبه رجل ولعنه فقال رسول الله ﷺ لا تسبه ولا تلعنه فإنه يدعو الى الصلاة قال الحكيم: فيه دليل على أن كل من استفيد منه خير لا ينبغي أن يسب ويستهان به، بل حقه يكرم ويشكر ويقابل بالاحسان. انتهى.

الأصل الخامس والتسعون

في سر قوله تعالى: ﴿ من يعمل سوءًا يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾[1]

عن حيان قال: صحبت ابن عمر من مكة إلى المدينة، فقال لنافع: لا تمر بي على المصلوب (يعني ابن الزبير). قال: فما فجئه في جوف الليل أن صك محمله جذعه، فجلس يمسح عينيه، ثم قال: يرحمك الله أبا خبيب ان كنت وان كنت. ولقد سمعت أباك الزبير يقول: قال رسول الله ﷺ: من يعمل سوء يجز به في الدنيا أو في الآخرة. فإن يك هذا بذاك فهمه همه. قال الله تعالى: ﴿ **من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ وهذا عام.

ثم ميز رسول الله ﷺ فقال: يجز به في الدنيا أو الآخرة. وليس يجمع الجزاء في الموطنين.

وروي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ **من يعمل سوءًا يجز به** ﴾، قال أبو بكر (رضي الله عنه): يا رسول الله ما هذه ببقية منا. قال: يا أبا بكر إنما يجزى به المؤمن في الدنيا، ويجزى بها الكافر يوم القيامة.

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٢٣.

وفي رواية أخرى قال: ألست تنصب، ألست تحزن، ألست تصيبك اللأواء؟ قال: بلى. قال: فذلك ما تجزون به[1].

وقول ابن عمر « ان يك هذا بذاك فهمه همه » فإن ابن الزبير قاتل في حرم الله وأحدث فيها حدثاً عظيماً، حتى أحرق البيت، ورمى الحجر الأسود بالمنجنيق فانصدع حتى ضبب بالفضة. فهو إلى يومنا كذلك، وسمع للبيت أنيناً آه آه.

وقد قال (عليه السلام) يوم فتح مكة: إنها لا تحل لأحد بعدي، وإنما احلت لي ساعة من نهار، وانها حرمت يوم خلق الله السموات والأرض[2].

فلما رأى ابن عمر فعله، ثم رآه مصلوباً، ذكر قول رسول الله ﷺ فقال: ذلك وذلك. لأن المؤمن من يجزى بالسوء في الدنيا بالنصب والتعب ونوائب الدنيا الحزن والغم. والكافر يصيبه ذلك وليس ذاك جزاء له بالسوء الذي قد عمل. وادخر جزاؤه إلى يوم القيامة؛ لأن جميع ما يصيب الكافر من المصائب لا يصبر فيها. وإن صبر فصبره تجلد لا حسبة وتسليم. والمؤمن في كل ذلك صابر محتسب مذعن. والكافر ساخط على ربه، مضمر على عداوته. لأن المؤمن حبب إليه الإيمان وزين في قلبه، فالتذت نفسه وطابت، فلان القلب، ورق الفؤاد، وراحت النفس، وطابت بلذتها، فانقاد له واستسلم، وألقي بيديه سلماً. فان جاءته أحوال المكاره، تحملها. وهو في ذلك راض عنه، طيب النفس يحمده بلسانه، ويرجوه بقلبه. وطابت نفسه بما يرى من رحمة

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ١: ١١ ثنا عبد الله بن نمير قال اخبرنا اسماعيل عن أبي بكر بن أبي زهير قال أخبرت أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، قال: يا رسول الله: وذكره.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث.

الله تعالى عليه بأنه قد محصه وطهره. وإذا خرج من الدنيا، انقطع رجاؤه من جميع الخلق، وكان متعلق رجائه خالقه. فإذا أعطى صحيفته يوم القيامة فأتي على سيئاته، قيل له: تجاوز عن قراءتها، فقد تجاوزنا عنك بما أصابك في الدنيا.

قال (عليه السلام): « ما من شيء يصيب المؤمن من حزن ولا نصب ولا وصب حتى الهم يهمه إلا أن الله تعالى يكفر عنه سيئاته »[1].

وفي رواية عائشة (رضي الله عنها)، قال (عليه السلام): « لا تصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة أو حط عنه خطيئة »[2].

ومن ههنا قيل: إن المرض إذا كان عقوبة، لا يقبل الدواء؛ لأنه قد جوزي بها في الدنيا.

قال النبي (عليه السلام): ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء فإذا كانت عقوبة فلا دواء له حتى تنقضي مدة العقوبة وينزل العفو إن شاء الله تعالى.

---

(١) الحديث أخرجه الامام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ٥٢ (٢٥٧٣) عن الوليد بن كثير عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: وذكره ورواه البخاري في كتاب المرض ١ والترمذي في الجنائز ١ وأحمد بن حنبل في المسند ٢: ٢، ٣، ٢٣٥، ٣: ١٨، ٤٨ (حلبي).

(٢) الحديث أخرجه الامام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ٤٩ أخبرني مالك بن أنس ويونس بن يزيد عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

الأصل السادس والتسعون

في القبلة وتقبيل الباكورة

عن أنس (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتي بالباكورة من كل شيء قبلها ووضعها على عينه اليمنى ثلاثاً، ثم على عينه اليسرى ثلاثاً ثم يقول: اللهم كما بلغتنا أولها فبلغنا آخرها، ثم يعطيها أصغر الولدان[1].

القبلة على وجوه: قبلة شهوة، وقبلة رحمة، وقبلة حنين، وقبلة اشتياق. وكلها عبادة إذا أريد بها وجه الله تعالى. وأصلها من القلب. لأن الرأفة والرحمة معدنهما القلب. ثم تصير الرحمة منها إلى الكبد، والرأفة إلى الطحال. ولذلك قال علي (كرم الله وجهه): الرحمة في الكبد والرأفة في الطحال.

فإذا تقلب القلب بما فيه من الرأفة، فارت الرأفة. وإنما قيل: « رأفة »

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الأطعمة ٣٩ باب اذا أتى بأول الثمرة ٣٣٢٩ ــ بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان: وذكره واللفظ له وأخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب ٥٤ ما يقول اذا رأى الباكورة من الثمر ٣٤٥٤ بسنده عن أبي هريرة ورواه الامام مسلم في كتاب الحج باب فضل المدينة، والنسائي في عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا دعي بأول الثمر فأخذه.

لأنه يرؤف ويفور بحرارته. والرؤف والفؤر بمعنى واحد. وإذا فار خرجت حرارته من فم القلب إلى الصدر، وفار إلى الحلق فاستعمل الشفتين بذلك، وهو تقبيلهما لتقليب القلب بالرأفة، فقبل. وقبل وقلب بمعنى واحد. إلا أن في الشفتين قبل، وفي القلب قلب. وإنما يفور ذلك من نور الإيمان. وكانت الأنبياء (عليهم السلام) أعظم نوراً وأوفر حظاً من الرأفة. إذا عرفت هذا فقبلة الشهوة للزوجة. وذاك من الرحمة والمودة التي جعلت بين الزوجين. قال الله تعالى: ﴿ **وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾[1].

والرأفة والرحمة يهيجان الشهوة لأنها حارة. وكان رسول الله ﷺ يقبل عائشة ويمص لسانها وهو صائم. وأما قبلة الرحمة فهي للولدان ومن أشبههم. وإذا قبله فمن رحمته له لأنه من ريحان الله تعالى. وكان يستروح إلى تقبيل الولد.

قال (عليه السلام) حين قبل الحسن: إنكم لتبخلون أو تجهلون وتجبنون وأنتم لمن ريحان الله تعالى. وفي رواية: من ريحان الجنة.

وأما قبلة الحنين فهي للحجر الأسود. فكان إذا قبل الحجر، قبله حنيناً إلى الجنة؛ لأنه من الجنة. والجنة دار الله تعالى. وإنما يحن الأنبياء (عليهم السلام) إلى دار الله تعالى لأجل الله سبحانه وتعالى، لا من أجل التنعم. قال (عليه السلام) لعمر حين قبل الحجر وبكى: ههنا تسكب العبرات[2]. وأما قبلة الاشتياق فهي للباكورة لأنه يرى أثر صنعه لعباده. فأول ما تخرج الثمرة طرياً لم تدنس بظلمة الدنيا وهو فلقها. قال الله تعالى: ﴿ **فالق الحب والنوى** ﴾[3].

---

(١) سورة الروم آية رقم ٢١.

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٩٥.

(٣) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب المناسك ٢٩٤ عن نافع عن ابن عمر قال استقبل رسول =

فإذا رأى الباكورة، وهو الذي قد ابتكر بخروجه، تحرك نور الإيمان بما أبصر من صنعه ولطفه، فانقلب بالرأفة التي فيه، فانفلق القلب، أي فتح بابه، فخرجت تلك الحرارة من القلب إلى الفم فاستعمل الشفتين بالحركة فيقبلها ثم يضعها على عينه وأشفاره إكراماً وتعظيماً له، ثم يدعو بذلك الدعاء، ثم يعطيها من لم يتدنس بالذنوب وهو الصبي؛ لأن القلم عنه مرفوع، والرحمة عليه ظاهرة، ولا يؤاخذ بذنب.

= الله ﷺ الحجر ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً ثم التفت فإذا هو بعمر بن الخطاب يبكي.

فقال: وذكره

في الزوائد: في اسناده محمد بن عون الخراساني، ضعفه ابن معين وأبو حاتم وغيرهما.

الأصل السابع والتسعون

في أن رهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله تعالى

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « لكل أمة رهبانية. ورهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله ».

فالرهبانية والسياحة قد كانت في الأمم الماضية. كان أحدهم إذا علاه الخوف والرهبة من الله تعالى، ساح في البراري واتخذ صومعة في برية، فترهب بها لتدوم رهبته في تلك العزلة، ليستعين بها على بذل النفس لله تعالى عبودة. وأعطى الله تعالى هذه الأمة السيف يضربون به وجوه أعدائه ويضربون. قال الله تعالى: ﴿ **يقاتلون في سبيل الله فَيَقْتلون وَيُقْتلون** ﴾[1].

وهذه أعظم الامتحان في بذل النفس. فمن تلقى سيوف العدو بوجهه، فقد صدق الله تعالى في بذل النفس له عبودة، فهي رهبانية هذه الأمة. ورسولنا (عليه السلام) مبعوث بالجهاد والحرب عن الله تعالى حمية له ونصرة لحقه وكلمته العليا. قال (عليه السلام) : « إن الله تعالى

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١١١.

بعثني بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة على من خالف أمري. ومن تشبه بقوم فهو منهم ».

الأصل الثامن والتسعون

في دعوة المغموم

عن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قال: ذكر رسول الله ﷺ دعوة، فشغله إعرابي. فلما قام تبعته. فلما خفت أن يسبقني إلى بيته، ضربت بقدمي على الأرض، فالتفت فقال: أبو إسحاق، مه. قلت: يا رسول الله، دعوة ذكرتها فشغلك الإعرابي. قال: نعم. دعوة ذي النون في بطن الحوت: « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ». ما دعا بها مسلم، إلا استجيب له[1].

العبد إذا وَحَّده ونفى عنه الشرك، ثم نزهه عما رآه عليه من السوء واعترف بأنه من الظالمين، تكرم عليه ربه وتفضل على العبد، فلم يخيبه فيما أمل ورجا. وكذلك وعد الله في تنزيله الكريم فقال: ﴿ **وذا النون إذا ذهب مغاضباً...** ﴾[2] الآية.

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ٨٢، ٣٥٠٥ عن ابراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن سعد قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. قال الترمذي: وقد روى غير واحد هذا الحديث عن يونس بن أبي اسحاق عن ابراهيم بن محمد بن سعد عن سعد ولم يذكر فيه عن أبيه. وروى بعضهم عن يونس بن أبي اسحاق فقالوا: عن ابراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه سعد.

(٢) سورة الأنبياء آية رقم ٨٧.

الأصل التاسع والتسعون

في أن هدى الله تعالى على لسان الناطقين بالحق

عن أبي رافع (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس »[1].

الهدى على يديه شعبة من الرسالة. لأن الرسل (عليهم السلام) بعثت لتؤدي عن الله تعالى (عز وجل) وتهدي عباده. فالرسول هاد بما جاء من البيان. والله هادي القلوب، يهدي القلوب بما يهدي رسوله بالمنطق بياناً وأداءً عنه. فمن كان داعياً إلى الله فهدى الله به عبداً، فقد أخذ شعبة من الرسالة، واحتظى من ثواب الرسل حظاً من الكرامة. فلذلك صار خيراً له مما طلعت عليه الشمس. قال الله تعالى: ﴿ **يا داود لأن تأتيني بعبد آبق أحب إليَّ من عبادة الثقلين** ﴾.

وإذا هدى الله تعالى قلبا على لسان ناطق بالهدى، فقد أكرم الناطق بجزيل الكرامة. فمن إحدى الكرامات أن جعل لكلامه حكم الصدق، والعدالة في القلوب، وكساه من النور كسوة تلج آذان السامعين من

(١) الحديث رواه الامام البخاري في كتاب الجهاد عن أبيه عن سهل بن سعد ــ رضي الله عنه سمع النبي ﷺ يقول وذكره. ورواه في فضائل الصحابة ٩ والمغازي ٣٨ وأحمد بن حنبل في المسند ٥ : ٢٣٨، ٣٣٣ ولفظه خير لك من حمر النعم ».

تلك الكسوة، فتخرق حجب الشهوات حتى تصل إلى مستقر الإيمان من قلوبهم فيحيي ما مات منهم، ويشفي ما سقم منهم. وجعل له من السلطان ما يذهل نفوس المخاطبين عن شهواتهم، فيأخذ بنواصي قلوب العبيد الاباق، فيردهم إلى الله تعالى جذباً، وجعله من العملة الحرثة للقلوب، يبذر بذره، فيزرعه الله وينميه.

وروى أبو هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « من أفضل ما أعطي العبد في الدنيا العافية. ومن أفضل ما أعطي العبد في الآخرة المغفرة. ومن أفضل ما أعطي العبد من نفسه موعظة حسنه صدر بها قوم عن خير ».

الأصل المائة

في حقيقة النصح لله تعالى وبيان سره

عن أبي أمامة (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: « قال الله (عز وجل): أحب ما تعبدني به عبدي النصح لي »[1].

فالنصح له الاقبال عليه بالعبودية، وأن يرفض جميع مشيئاته بمشيئة مولاه، وأن لا يخلط بالعبودية شيئاً من شأن الأحرار وأفعالهم، فيكون في سره وعلانيته قد آثر أمر الله تعالى على هواه، وآثر حق الله الكريم على شهوات نفسه. فهذا هو النصح لله تعالى.

روي أبو امامة (رضي الله عنه) قال: قال الحواريون لعيسى بن مريم (عليه السلام): ما الناصح لله؟ قال: الذي يبدأ بحق الله قبل حق الناس، ويؤثر حق الله تعالى على حق الناس. وإذا عرض أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة، بدأ بأمر الآخرة قبل أمر الدنيا.

وهذا درجة المقتصدين. وأما المقربون فقد جاوزوا هذه الخطة بجميع

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٥: ٢٥٤ حدثنا علي بن اسحاق أنا عبد الله بن المبارك أنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة عن النبي ﷺ قال قال الله عزوجل: وذكره.

أمورهم كلها للآخرة، لأنها صارت لله تعالى. وقد ماتت نفوسهم عن أن تأخذ بحظها من الأعمال، وحيت قلوبهم بالله تعالى، فاستوى عندهم عمل الدنيا والآخرة وحقوق الله تعالى وحقوق الناس، فصارت كلها حقوق الله تعالى عندهم. ولهذا كان (عليه السلام) يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب. فإذا سجد، وضعها. وإذا قام، رفعها.

وروى شداد بن الهادي عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل إحدى ابني ابنته الحسن أو الحسين، فتقدم فوضعه عند قدمه اليمنى، ثم صلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها. قال أبي: فرفعت رأسي من بين الناس. وإذا رسول الله ﷺ ساجد، وإذا الغلام على ظهره، فعدت فسجدت. فلما قضى صلاته، قيل: يا رسول الله لقد سجدت سجدة ما كنت تسجدها. أفشيء أمرت به أم كان يوحى إليك؟ قال: كل لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته[1].

وعن علقمة قال: قدم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ ومعهم هدية، فقبضها، ثم جلسوا وشغلوه بالمسألة، فما صلى الظهر إلا عند العصر. فالأنبياء والأولياء المقربون (عليهم السلام) قد تخلصوا من نفوسهم، فأعمالهم خالصة لله تعالى، دنيا كانت أو آخرة، حق الله تعالى كان أو حق الناس؛ لأن الأمور قد صارت لهم معاينة بنور يقينهم. وعلموا أن الدنيا والآخرة لله تعالى، وأن حق الناس هو حق الله تعالى أوجبه عليهم وهم في قبضة الله تعالى يستعملهم في أمور دنياهم وأخراهم وحقوقه وحقوق الناس كيف شاء. وقد فارقهم المقتصدون في ذلك لأنهم قد احتاجوا إلى تقديم الأمرين وتمييز الحقين؛ لأنهم لما يفارقوا

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٣ ٤٩٣، ٤٩٤ ثنا يزيد قال أنا جرير بن حازم عن محمد بن أبي يعقوب عن عبد الله بن شداد عن أبيه قال: وذكره.
ورواه النسائي في التطبيق ٨٢.

أنفسهم. فأي عمل عملوه من دنيا وآخرة، فحظوظ نفوسهم فيها قائمة لأن شهواتهم عاملة تأخذ بحظها. فإذا اجتمع عليهم أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة، أو حقان أحدهما لله تعالى والآخر للناس، فشهواتهم عاملة في أمر دنياهم، منزوعة في أمر آخرتهم. فمن نصيحتهم لله تعالى أن يؤثروا الأمر الذي لا شهوة لنفوسهم فيه، ويؤخروا ما فيه حظ للنفس.

كما يروى عن أم سلمة (رضي الله عنها) أنها قالت: يا رسول الله إن بني أبي سلمة في حجري وليس لهم شيء إلا ما أنفقت عليهم أفلي أجر إن أنفقت عليهم؟ فقال (عليه السلام): أنفقي عليهم فإن لك أجر ما أنفقت عليهم.

فإذن المقتصد إذا صلى أو قرأ القرآن، أو عمل شيئاً من هذه الأعمال، عدها آخرة. وإذا أكل أو شرب أو نام أو جامع عدها دنيا لأنه لا يقدر أن يخلصها حتى يصفو من الشهوة النفسية، فافترق أمراه دنيا وآخرة. فما كان من أمر الآخرة، أمكنه تصفيته على حسب طاقته. وما كان من أمر دنياه، فالشهوة غالبة عليه، قاهرة له. فمن النصح له أن يبدأ بأمر الآخرة. وأما المقرب فقد صارت شهوته منية. فالفرق بين الشهوة والمنية أن النفس صارت حية بشهوتها. فإذا عرض لها ما تلتذ به، اهتشت النفس بالعجلة إليه حرصاً وشرهاً. فتلك شهوة. والمنية لما ماتت شهوة النفس حيي القلب بالله تعالى. فإذا عرض لها ما تلتذ به بالله تعالى لحظت إلى الله تعالى وراقبت تدبيره. فإن أعطيت أخذت. وإن منعت قنعت. فتلك منية. فالمقرب منيته فيما دبر الله تعالى له يراقب ما يبدو له من غيب الملكوت فيتلقاه بالرضاء والذلة والانقياد والقبول عبودة لله تعالى ومسكنة. فصارت الأمور كلها آخرة عنده، والحقوق كلها حقوق الله تعالى. فالغالب على أمور المقرب ذكر الله تعالى. والغالب على أمور المقتصد ذكر النفس.

قال علي (كرم الله وجهه) في وصف الشيخين: ان أبا بكر كان أواه القلب منيباً، وأن عمر كان عبداً ناصحاً لله تعالى. فنصحه.

فالأواه لا يميز بين الأمرين لأنهما كلهما لله تعالى، وليس فيهما ذكر النفس. والناصح لله عبد تفرد لله تعالى بقيام حقوقه. فكلما اجتمع أمران للنفس في أحدهما نصيب آثر الذي لا نصيب لها فيه وبدأ به. ففعل عمر (رضي الله عنه) في الظاهر فعل المقتصدين، وفي الباطن من المقربين؛ لأن المقربين صنفان: صنف منهم قد انفردوا في فردانيته فخلت قلوبهم من ذكر نفوسهم. والله تعالى يستعملهم ووحدانيته تملك قلوبهم. وهذه صفة أبي بكر (رضي الله عنه). وصنف منهم لم يصلوا إلى هذه الخطة قد انكشف على قلوبهم من جلال الله تعالى وعظمته ما ملأت قلوبهم من هيبته، فهم القائمون على نفوسهم، فلا يدعونها تلحظ إلا إلى حق. فالحق يستعملهم والهيبة تملك قلوبهم. وعمر (رضي الله عنه) منهم.

روي كعب بن مالك أن أبا بكر (رضي الله عنه) أتى من اليمن بثلاثة سيوف أحدها محلي فقال ابنه عبدالله بن أبي بكر: مر لي بهذا السيف المحلي. فقال أبو بكر (رضي الله عنه): فهو لك. فقال عمر (رضي الله عنه): بل إياي فاعطني. فقال أبو بكر: فأنت أحق به. فأخذه عمر (رضي الله عنه) فانقلب عمر بالسيف إلى منزله، فراح وقد جعل حلية السيف في ظبية والنصل معه. فقال عمر: يا أبا بكر استعن بهذه الحلية على بعض ما يعروك، ورمى بالنصل إلى عبدالله ابن أبي بكر. وقال : والله ما صنعت هذا نفاسة عليك يا أبا بكر، ولكن للنظر لك. فبكى أبو بكر (رضي الله عنه) وقال: يرحمك الله، يرحمك الله.

دق عند أبي بكر شأن ذلك السيف وحليه، فلم يظهر على قلبه قدر ذلك. فاستوى عنده سؤال ولده وسؤال الأجنبي، فأنعم. ثم لما

سأله الأولى، آثره عليه. وعمر نظر إلى الحق وإلى تدبير الحق. فإن من تدبير الحق (جل جلاله) أن ينزع الحلية، فيستعين بها في النوائب. وفي النصل بلا حلية كفاية. وتابعه أبو بكر (رضي الله عنه) في ذلك؛ لأنه أشار إلى الحق، وبكى فرحاً بما وجد من التأييد والعون فيما قلده الله تعالى عند أخيه وصاحبه، ودعا له بالرحمة لما وجده ناصحاً لله تعالى، ولإمامه مشفقاً عليه. ولكن فعل أبي بكر فعل الرسل (عليهم السلام). فالرسول ومن في درجته قريب منه، في سعة عظيمة من ملكه. وفعل عمر (رضي الله عنه) فعل المحقين لأنهم في أمر عظيم من القيام بحقه حزماً واحتياطاً وصحة وتقويماً.

وقد روى زيد بن أسلم، عن أبيه قال: قدم عبدالله وعبيدالله ابنا عمر (رضي الله عنهم) على أبي موسى الأشعري من مغربي لهما، فقال أبو موسى: وددت أني قدرت أن أنفعكما. قال: ثم قال: ههنا من مال الله، فخذاه فاشتريا به تجارة من تجارة المدينة واضمناه. فاذا قدمتما، فأديا المال إلى أمير المؤمنين. وكتب إلى عمر (رضي الله عنه) أن اقبض منهما كذا وكذا. فلما قدما على عمر (رضي الله عنه) قال لهما: أديا المال وربحه. فأما عبدالله فسكت. وأما عبيدالله فقال: يا أمير المؤمنين أرأيت لو تلف هذا المال أما كنت تأخذه منا؟ قال: بلى. قال: فلم تأخذ الربح؟ فقال رجل في مجلسه: يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضاً. قال: فقاسمهما الربح وأخذ المال. فهذه معاملة عمر مع ولده ومع سائر الخلق إقامة الحق ونصرته في الأمور كلها.

قال (عليه السلام): « إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه »[1]. وقال في رواية: « الحق بعدي مع عمر وقلبه ». وقال في رواية: « الحق بعدي مع عمر حيث كان ».

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة فضل عمر ــ رضي الله عنه ١٠٨ عن محمد بن اسحاق عن مكحول، عن غضيف بن الحرث عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ. =

ووصفه ابن عباس (رضي الله عنهما) فقال: كان عمر (رضي الله عنه) كالطير الحذر الذي يرى أن له في كل طريق شركاً. فهذا شأن النصحاء لله تعالى.

وروى جابر (رضي الله عنه) قال: دخل أبو بكر (رضي الله عنه) على رسول الله ﷺ وكان يضرب بالدف عنده، فقعد ولم يزجر لما رأى من رسول الله ﷺ، فجاء عمر (رضي الله عنه) فلما سمع رسول الله صوته، كف عن ذلك، فلما خرجا، قالت عائشة (رضي الله عنها): يا رسول الله كان حلالاً فلما دخل عمر صار حراماً! فقال (عليه السلام): يا عائشة ليس كل الناس مرخياً عليه.

فهذه كلمة تكشف لك أن المقربين صنفان: صنف منهم قلوبهم في جلاله وعظمته هائمه، فقد ملكتهم هيبته، فالحق (سبحانه وتعالى) يستعملهم في كل أمر، فهم مشرفون على الأمور مشمرون لها. وصنف آخر قد أرخى من عنانه، فالأمر عليه أسهل؛ لأنه قد جاوز قلبه هذه الخطة. فقلبه في محل الشفقة في ملك الوحدانية. وكلما كان القلب محله أعلى، ومن القربة أوفر حظاً، كان الأمر عليه أوسع. وهذا لأن الله تعالى تلطف بلطفه بعبده المؤمن. فإذا علم منه أن نفسه صعبة وأنه محتاج إلى اللجام، ألجمها بلجام الهيبة وأبدى على قلبه من سلطانه وعظمته لئلا يفسد. وإذا علم أن نفسه لينة كريمة أرخى من عنانه فأبدى على قلبه من الوحدانية والفردانية ما انفرد له قلبه ونفسه، وماتت شهوته، وذهل عن ذكر نفسه فهو يستعمله وهو يكلؤه. فالمحق في الظاهر أعلا فعلاً عند أهله. والأواه في الباطن أعلا.

= وذكره ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٢ ٥٣، ٩٥، ٤٠١، ٥: ١٤٥، ١٦٥، ١٧٧ (حلبي) ورواه الترمذي في المناقب ١٧.

الأصل الحادي والمائة

في أن العقوبة لا تثني في الآخرة

عن علي (كرم الله وجهه) قال: قال رسول الله ﷺ: « من أصاب في الدنيا ذنباً فعوقب به فالله أعدل من أن يثني عليه عقوبته. ومن أذنب في الدنيا ذنباً فستره الله وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود في شيء وقد عفا عنه[1]. قال الله تعالى: ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾[2] والكثير من الله تعالى لا يحصى عدداً ».

وقد بين (عليه السلام) في هذا الحديث ما يعفى عنه مما لا يعفى فقال: « من أذنب ذنباً فستره الله » ذكر الستر. وقوله تعالى: ﴿ **ويعفو عن كثير** ﴾. هم الذين قد ستر الله عليهم. فإذا دام هذا الستر لهم، فالله (سبحانه وتعالى) أكرم من أن يهتك ما قد ستره أيام الدنيا.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الايمان باب ١١ ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن ٢٦٢٦ عن يونس بن أبي اسحاق عن أبي اسحاق الهمذاني عن أبي حنيفة عن علي عن النبي ﷺ قال: وذكره وأخرجه ابن ماجة في الحدود باب الحد كفارة. وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب صحيح.

(٢) سورة الشورى آية رقم ٣٠.

وقال (عليه السلام): قال الله تعالى: لأنا أكرم وأعظم عفواً من أن أستر على عبد لي مسلم في الدنيا ثم أفضحه بعد أن سترته ولا أزال أغفر لعبدي ما استغفرني[1].

وقال (عليه السلام) يقول الله تعالى: « إني لأجدني أستحيي من عبدي يرفع يديه إليَّ ثم أردهما صفراً ». قالت الملائكة: إلهنا ليس لذلك بأهل. قال الله تعالى: « لكني أهل التقوى وأهل المغفرة. وأشهدكم أني قد غفرت له »[2].

قال: ويقول الله تعالى: إني لاستحيي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام ثم أعذبهما بعد ذلك في النار.

فنستغفر الله العظيم.

---

(١) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ٧١ (٢٥٩٠) عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وذكره، ورواه المسند ٦ : ١٤٥ بسنده عن عائشة وذكره مع اختلاف في الالفاظ.

(٢) الحدث رواه ابن ماجة في كتاب الدعاء ١٣ باب رفع اليدين في الدعاء ٣٨٦٥ عن أبي عثمان عن سلمان عن النبي ﷺ قال: وذكره مع اختلاف في بعض ألفاظه.
ورواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ١٠٥، ٣٥٥٦ بالسند السابق عن ابن ماجة وبلفظه وقال: هذا حديث حسن غريب، وروى بعضهم ولم يرفعه.

الأصل الثاني والمائة

فيما كتب على جباه الجهنميين وجباه المتحابين في الله

عن أنس (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ أنه قال: يدخل قوم النار حتى إذا صاروا فحماً أخرجوا فأدخلوا الجنة فيقول أهل الجنة: من هؤلاء؟ فيقال: الجهنميون[1].

هؤلاء قوم موحدون. وحدوا الله تعالى بألسنتهم وقلوبهم، وضيعوا العبودة التي أوجبها الله تعالى على خلقه امتحاناً. فهم مكذبون في الظاهر، مصدقون في الباطن. فقدموا عليه مع كذب الظاهر وصدق الباطن. وإنما وكل الحق بفعل الظاهر، فهو يقتضي الخلق القيام بذلك. قال الله تعالى: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾[2].

فإذا كان يوم الجزاء، جاء الحق تعالى يقتضي حقه، فلم يجد عندهم

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٣: ١٢٥ ثنا يحيى بن سعيد عن يزيد وروح ثنا يزيد ابن أبي صالح قال سمعت رسول الله ﷺ يقول وذكره وهناك حيث رواه الامام أحمد لسنده عن عمران بن الحصين عن النبي ــ ﷺ قال: « يخرج من النار قوم بشفاعة محمد ﷺ فيسمون الجهنميين ».

(٢) سورة الذاريات آية رقم ٥٦.

شيئاً فحبسهم في النار، ثم تدركهم رحمته ويترك ما وجب له من العبودة ويهبها منهم ويعتقهم، ويكتب على جباههم: الجهنميون عتقاء الله تعالى. وفي رواية: محرري الرحمن رحمهم بصدق الباطن وأنهم كانوا لا يلتفتون إلى غيره ولا يشركون به.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي ثم ماتوا عليها فهم في الباب الأول من جهنم، لا تسود وجوههم، ولا تزرق أعينهم، ولا يغلون بالأغلال، ولا يقرنون مع الشياطين، ولا يضربون بالمقامع، ولا يطرحون في الأدراك. فمنهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها يوماً ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج، وأطولهم مكثاً فيها مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم أفنت وذلك سبعة آلاف سنة. ثم إن الله (عز وجل) إذا أراد أن يخرج الموحدين منها، قذف في قلوب أهل الأديان، فقالوا لهم: كنا نحن وأنتم جميعاً في الدنيا، فآمنتم وكذبنا، وأقررتم وجحدنا، فما أغنى ذلك عنكم، فنحن وأنتم اليوم فيها جميعاً سواء، تعذبون كما نعذب وتخلدون كما نخلد. فيغضب الله تعالى عند ذلك غضباً لم يغضبه في شيء فيما مضى ولا يغضب في شيء فيما بقي، فيخرج أهل التوحيد منها إلى عين بين الجنة والصراط، يقال لها نهر الحياة، فيرش عليهم من الماء، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ما يلي الظل منها أخضر وما يلي الشمس منها أصفر، ثم يدخلون الجنة، فيكتب في جباههم: « عتقاء الله من النار ». إلا رجلاً واحداً فإنه يمكث فيها بعدهم ألف سنة، ثم ينادي: « يا حنان يا منان » فيبعث الله إليه ملكاً ليخرجه فيخوض في النار في طلبه سبعين عاماً لا يقدر عليه، ثم يرجع فيقول: يا رب: إنك أمرتني أن أخرج عبدك فلاناً من النار، وإني أطلب في النار منذ سبعين سنة، فلم أقدر عليه، فيقول الله تعالى: « انطلق فهو في وادي كذا وكذا

تحت صخرة فأخرجه »، فيذهب فيخرجه منها، فيدخله الجنة.

ثم إن الجهنميين يطلبون إلى الله تعالى أن يمحو ذلك الاسم عنهم، فيبعث ملكاً فيمحو عن جباههم ذلك. ثم إنه قال لأهل الجنة ومن دخلها من الجهنميين: اطلعوا إلى النار فيطلعون إليهم فيرى الرجل أباه، ويرى أخاه، ويرى جاره، ويرى صديقه، ويرى العبد مولاه. ثم إن الله تعالى يبعث إليهم ملائكة بأطباق من نار ومسامير من نار، وعمد من نار، فيطبق عليهم بتلك الأطباق، ويشد بتلك المسامير، ويمد بتلك العمد، ولا يبقى فيه خلل يدخل فيه روح ولا يخرج منه غم، وينساهم الجبار على عرشه، ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم، ولا يستغيثون بعدها أبداً، وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفيراً وشهيقاً، فذلك قوله تعالى : ﴿ **إنها عليهم مؤصدة في عمد ممدة** ﴾[1].

أحب الله تعالى أن يظهر عذره عند أهل الجنان في تأخرهم دخول الجنة وأنهم لم يدخلوها إلا برحمته، ولم ينالوا جواره إلا بكرمه. وهؤلاء قوم لم يتخلصوا من نفوسهم في الآخرة كما لم يتخلصوا في الدنيا طرفة عين، وأنفوا من هذا الاسم أن ينسبوا إلى جهنم، واستحيوا من إخوانهم، وأرادوا أن تكون العقوبة التي حلت بهم مستورة عند أهل الجنة، ولا يدري أحد أنهم ممن ابتلوا بهوان الله وعقوبته أنفة وذهاباً بنفسه، وليس في الجنة أذى، إنما هي محشوة بكرم رب العزة، فترك الله تعالى محبته لمحابهم، ومحى عنهم ذلك الاسم تكرماً وتفضلاً وإتماماً للمنِّ عليهم. ولو كان لهم من الانسانية والتكرم لما آثروا محابهم على محابه. ولو كان المحبون له ابتلوا بهذا، لم يسألوه أبداً أن يمحو اسمه من جباههم والكتابة على الجباه سيماهم في الجنان، كما كتبت على جباه أهل الصفوة والأولياء (عليهم السلام): « هؤلاء المتحابون في الله ».

---

(١) سورة الهمزة آية رقم ٩.

روى ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « إن المتحابين في الله لعلي عمود من ياقوتة حمراء، في رأس العمود سبعون ألف غرفة يضيء حسنهم أهل الجنة كما تضيء الشمس أهل الدنيا، يقول بعضهم لبعض: « انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله ». فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم أهل الجنة كما تضيء الشمس أهل الدنيا، عليهم ثياب خضر من سندس مكتوب على جباههم: « هؤلاء المتحابون في الله » .

الأصل الثالث والمائة

في علامات أولياء الله تعالى

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: قيل يا رسول الله: من أولياء الله؟ قال: الذين إذا رأوا ذكر الله.

وفي رواية أخرى عنه: قيل: يا رسول الله: أي جلسائنا خير؟ قال: من ذكركم بالله رؤيته، وزاد في أعمالكم منطقه، وذكركم بالآخرة عمله[1].

وفي رواية عبدالله بن عمرو (رضي الله عنه): وقال (عليه السلام): « خياركم من ذكركم بالله رؤيته، وزاد في عملكم منطقه، ورغبكم في الآخرة عمله »[2]. وهم الأولياء الذين عليهم سمات ظاهرة من الله تعالى، قد علاهم بهاء القربة ونور الجلال وهيبة الكبرياء وأنس الوقار.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٤٤١١٩ بسنده عن اسماء بنت يزيد بلفظ (ألا أبدئكم بخياركم) بدلًا من أولياء الله

(٢) يؤيد هنا الحديث ما رواه الامام أحمد في المسند ٣: ٤٣ ثنا الهيثم بن خارجة قال عبد الرحمن وسمعته أنا من الهيثم ثنا رشدين بن سعد عن عبد الله بن الوليد عن أبي منصور مولى الانصار عن عمرو بن الجموح أنه سمع النبي ﷺ يقول: وذكره وفيه: «الذين يذكرونه بذكري واذكر بذكرهم ».

فاذا نظر الناظر إليه، ذكر الله لما رأى عليه من آثار الملكوت. والقلب معدن هذه الأشياء ومستقر النور، وشرب الوجه من ماء القلب. فإذا كان على القلب نور سلطان الوعد والوعيد، تأدي إلى الوجه ذلك النور. فإذا وقع بصرك عليه، ذكرك البر والتقوى، ووقع عليك منه مهابة الصلاح والعلم بأمور الله تعالى. ومتى كان على القلب نور سلطان الحق، ذكرك الصدق والحق، ووقع عليك مهابة الحق والاستقامة. وإذا كان عليه نور سلطان الله تعالى وعظمته وجلاله، ذكرك عظمته وجلاله وسلطانه. وإذا كان على القلب نوره وهو نور الأنوار، بهتك رؤيته. فكل نور من هذه الأنوار كان في قلب، فشرب وجهه من تلك الأنوار التي فيه لا غير. قال الله تعالى: ﴿ **ولقاهم نضرة وسروراً** ﴾[1] أي سروراً في القلب ونضرة في الوجه. فإذا سر القلب برضاء الله تعالى عن العبد وبما يشرق قلبه وصدره من نوره حيث ينكشف الغطاء، نضرت الوجوه بما ولجت القلوب، وهو الذي دله (عليه السلام) على الذكر عند رؤيته. وصيره علامة لأهل ولايته. والناس على ثلاث طبقات. كل طبقة تعرف بما عندها وهم رجال ما عندهم. فرجال هم علماء بأمور الله تعالى من الحلال والحرام، فعليهم سمات العلم، وبالعلم يعرفون. ورجال هم علماء بتدبير الله تعالى، فعليهم سمات الحكمة، وبالحكمة يعرفون. ورجال هم علماء بالله تعالى، فعليهم سمات نوره وهيبته، فبالله يعرفون، فهم أولياء الله، وهم الذين قال عنهم (عليه السلام) لأبي جحيفة: « سائل العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء » لأن في مجالستهم شفاء، وفي رؤيتهم دواء، وسائر الناس عمال وعباد وأهل بر وتقوى. بذلك يعرفون وإلى أعمالهم ينسبون. يقال: « هذا رجل زاهد، وهذا رجل متق ». فإذا جاء الولي ذهب هذا الذكر من القلوب وغلب على قلوب الناظرين ذكر الله تعالى.

---

(١) سورة الإنسان آية رقم ١١.

روى عمرو بن الجموح (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: إن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم[1].

وعن أنس (رضي الله عنه) يقول: قالوا: يا رسول الله: أينا أفضل كي نتخذه جليساً معلماً؟ قال: الذين إذا رأوا ذكر الله لرؤيتهم.

وقوله: « يزيد في عملكم منطقه » لأنه عن الله ينطق. ومن كان يذكر بالله رؤيته يزيد في العمل منطقه. والناطق صنفان: فصنف ينطق بالعلم عن الصحف تحفظاً، وعن أفواه الرجال تلقفاً. وصنف ينطق بذلك العلم عن الله تلقياً. فالذي ينطق عن الصحف وهو غير عامل به يلج آذان المستمعين عريان بلا كسوة. والذي ينطق كذلك وهو عامل به يلج آذانهم عارياً خلق الكسوة، لأنه لم يخرج من قلب نوراني، وإنما خرج من قلب دنس، وصدر مظلم، وإيمان مغشوش بحب الرياسة والعز والشح على حطام الدنيا. والذي ينطق عن الله تعالى إنما يلج آذان المستمعين مع الكسوة التي تخرق كل حجاب وهو نور الله تعالى؛ لأنه خرج من قلب مشحون بالنور وصدر مشرق به. فإذا خرج المنطق مع ذلك النور فولج آذان المستمعين، خرق هذا النور كل حجاب قد تراكم على قلوب المخلطين من رين الذنوب وظلمة الشهوات ومحبة الدنيا فخلصته إلى نور التوحيد فأنارته. ومثل ذلك مثل جمرة قد أحاط بها الرماد فذهب بحرها وضيائها. فلما وصلت النفخة إليها، طيرت الرماد عنها فتلهبت وأضاءت البيت. كذلك الكلمة التي تخرج من الناطق

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٣: ٤٣ ثنا الهيثم بن خارجة ثنا رشدين بن سعد عن عبد الله بن الوليد بن أبي منصور مولى الانصاري عن عمرو بن الجموح أنه سمع النبي ﷺ يقول: وذكره وفيه زيادة [لا يحق العبد صريح الايمان حتى يحب لله تعالى ويبغض لله فإذا احب الله تبارك وتعالى وابغض لله تبارك وتعالى فقد استحق الولاء من الله الخ

عن الله تعالى، تخرج من نور، وكسوته النور. فإذا وصل إلى الصدر، خرقت حجب الظلمات حتى وصلت إلى القلب فأثارت نور التوحيد فأضاءت البيت، فاستغفر وبكى وندم وأبصر. قال الله تعالى: ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني...** ﴾[1] أي على معاينة وهذا لمن تفرغ من نفسه واشتغل بالله تعالى. فأما من ليس عبداً لله تعالى، ولا هو لله (عز وجل) وإنما قلبه عبد نفسه ولنفسه ومشغول بشهوته ونهمته، فكيف يدعو إلى الله تعالى.

وقوله: « يزيد في عملكم منطقه » فإنه إذا نطق، نطق بآلاء الله تعالى وتدبيره وصنعه. فأما آلاء الله تعالى فهو ما أبدا من الهيبة في وحدانيته كالجلال والجمال والعظمة والهيبة والكبرياء والبهاء والسلطان والعز والفخر. فهذه صفات على قلوب الأنبياء والأولياء (عليهم السلام). فتمالكوا مع ذلك، واحتملته عقولهم. وأما تدبيره، فما دبر من خلقهم من تراب، ثم جعل فيهم أرواحاً سماوية، ثم أعطاهم جوارح قوالب لتلك الأرواح، ثم اضطرهم إلى التربية والمعاش، ثم دبر لهم الموت، ثم هيأ لهم يوماً يحاسبهم ويفتشهم، ويقتضيهم حقه فيه، ثم جعل ممرهم إلى الجنة على متن النار، ثم أكرم وأهان، وأدنى وأقصى، وحرم وأعطى، وأبرز عدله ثم أفضل على من شاء بجوده وكرمه ومنته. فهذا من تدبيره منذ أبدا خلقه. وأما صنعه فأحوال العباد في الدنيا كيف يفقر، وكيف يغني ويعز ويذل، ويملك وينزع الملك، ويبتلي ويعافي، ويغير الأحوال ساعة فساعة.

وقوله: « ويرغبكم في الآخرة عمله » لأن على عمله نوراً، وعلى أركانه خشوعاً، وعلى تصرفه فيها صدق العبودة مع البهاء والوقار والحلاوة والمهابة؛ لأنه عمل على معنى المعاينة، وعامل الله بتلك الأعمال

---

(١) سورة يوسف آية رقم ١٠٨.

عبودة لا متاجرة. فإذا رآه الراءون، تقاصرت إليهم أعمالهم، وهم في تلك الأعمال بأعيانها، وليس لأعمالهم ذلك النور وتلك المهابة والحلاوة؛ لانهم يعاملون على الرغبة والرهبة والخوف والطمع. وهؤلاء أهل اليقين يعاملونه على المعاينة على الشوق والمحبة عبودة له، قد سبت قلوبهم محبته، فعملوا على اليسر وطيب النفس.

قال بعض الأنبياء (عليهم السلام) لبعض العباد: أنتم تعملون على الرغبة والرهبة، ونحن نعمل على الشوق والمحبة. وشتان ما بين عبدين أحدهما يعمل لخوف وعيد مولاه وحرمان وعده، والآخر يعمل لمولاه شفقة على عمله ونصحاً له وتذللاً وتخشعاً ومحبة له وشغوفاً به.

قال (عليه السلام) لعوف بن مالك الجشمي[1] (رضي الله عنه): أرأيت لو كان لك عبدان أحدهما يخونك ويكذبك، والآخر يصدقك ولا يخونك، أيهما أحب إليك؟ قال: الذي يصدقني ولا يخونني. قال: فكذلك أنتم عند ربكم.

---

(١) هو عوف بن مالك بن نضلة الجشمي أبو الأحوص الكوفي من بني جشم بن معاوية. روى عن أبيه وله صحبة وعن علي وابن مسعود وأبي موسى الأشعري وغيرهم وروى عنه ابن أخيه أبو الزعراء الجشمي وأبو اسحاق السبيعي، ومالك بن الحارث وغيرهم، عن ابن معين: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات، وقال النسائي كوفي ثقة.

الأصل الرابع والمائة

في أن التمطر من امارات المشتاقين إلى الله تعالى

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: أصابتنا السماء ونحن مع رسول الله ﷺ في مطر، فحسر رسول الله ﷺ الثوب عن رأسه حتى أصابه من المطر. فقلنا: يا رسول الله، لم صنعت هذا؟ قال: لأنه قريب عهد بربه سبحانه[1].

هذا فعل المشتاقين. وأولاهم بالله أشدهم شوقاً. وكلما ازداد العبد انتباهاً ويقظة، ازداد شوقاً وكمداً. وكان (عليه السلام) طويل الفكر، دائم الاحزان، ولا يكون حزنه إلا من الحبس عن لقاء الصفاء. فأعلاهم منزلة، وأقربهم قرباً، وأشدهم حرقة في القلوب شوقاً، وينتظر متى يدعى فيجيب. فكأنه ﷺ وجد روحاً إلى ذلك المطر بما وصف من حداثة عهده بربه (عز وجل). وكذلك جد المشتاق إلى لقاء من غاب عنه، فهو قلق لمكانه. فإذا ورد عليه منه كتاب أو شيء

---

(١) الحديث أخرجه الامام مسلم في كتاب الاستسقاء ١٣ (٨٩٨) عن ثابت البناني عن أنس قال: قال أنس ــ رضي الله عنه ــ: وذكره ورواه في الأدب ١٠٤، ١٠٥ ومعنى قريب عهد بربه: أي بتكوين ربه اياه ومعناه أن المطر رحمة، وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى لها فيتبرك بها.

من آثاره، كان له فيه أنس وإليه استرواح، وبه تلذذ.

وروي عن موسى (عليه السلام) أنه كان يخرج إلى طور سيناء، فربما ضاق عليه الأمر في الطريق فشق قميصه من شدة الشوق والعجلة التي كانت تأخذه. وهو الذي حمله على سؤال الرؤية لما سمع الكلام قلق وغلي شوقه غلي المرجل، وضاق به الأمر ففزع إلى الرؤية طمعاً لتسكين غليانه. فاعلم الله تعالى أنه لا يحتمل ذلك، فأبى عليه، وألقى إليه عذره بأن جعل الجبل دكاً يعلمه أنك لا تقدر احتمال ذلك لأن الجبل حجر وحديد وصخر، وأنت لحم ودم.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: في قوله تعالى: ﴿ **رب أرني أنظر إليك..** ﴾[1] قال تعالى: « يا موسى لن تراني. إنه لا يراني حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، ولا رطب إلا تفرق. إنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلي أجسادهم ».

وكان رسول الله ﷺ يقول: أسألك الشوق إلى لقائك، ولذة النظر إلى وجهك الكريم[2].

وعن زيد بن ثابت (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « اجعل في دعائك: ارزقني لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك ».

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٤٣.

(٢) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٤ : ٢٦٤ ــ وهو جزء من حديث طويل ثنا اسحاق الأزرق عن شريك عن أبي هاشم عن أبي مجلز قال ــ صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فانكروا ذلك فقال: ألم أتم ركوعها وسجودها قالوا: بلى قال أما إني دعوت فيهما بدعاء كان رسول لله ﷺ يدعو به: اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى: وذكره. ورواه النسائي في السهو ٦٢.

الأصل الخامس والمائة

في أن مناولة المسكين تقي ميتة السوء. وأن خصلتين لا يكلهما إلى أحد

عن حارثة بن النعمان أنه جعل خيطاً من مصلاه إلى باب حجرته، وكان قد ذهب بصره، فيضع مكتلاً فيه تمر وغير ذلك، فكان إذا أسلم المسكين أخذ من ذلك المكتل، ثم أخذ الخيط حتى ينتهي إلى باب الحجرة فيناول المسكين، فكان أهله يقولون: نحن نكفيك. فيقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ان مناولة المسكين تقي ميتة السوء »[1].

ففي مناولة المسكين خصلة تعلو الخصال. لأن الله تعالى قد شرف هذه الأمة من بين الأمم، وعظم شأنها وأكرمها بفضل يقينها، وجعل صدقاتها تؤخذ من أغنيائها، فترد إلى فقرائها، فيبقى النفع فيهم. وكانت الأمم من بني إسرائيل صدقاتها وقرباتها توضع فتجيء نار فتقبله وتترك من لم يتقبل منه، فيصير منهتك الستر، وكانت نفوسهم لا تسخو إلا على عيان وجهر، حتى بلغ بهم أن قالوا لموسى (عليه السلام):

---

(١) رواه الطبراني بلفظ (الصدقة تقي ميتة السوء) قال صاحب مجمع الزوائد فيه رجل لم يسم

﴿ **أرنا الله جهرة** ﴾[1]. وأيدت هذه الأمة بفضل يقين، فعلموا أن الشيء إذا أعطوه لله تعالى، أن الله لا يضيعه، وتفضل عليهم. أن ولي أخذ صدقاتهم بنفسه الكريمة، فلم يكلها إلى ملائكته ولا إلى أحد من خلقه. قال الله تعالى: ﴿ **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات** ﴾[2].

ولهذا كان رسول الله ﷺ لا يكل خصلتين إلى أحد. فكان يمشي بالصدقة إلى المسكين، ويستقي لوضوء الماء ولا يكله إلى أحد.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقه حسنة طيبة فيضعها في حق إلا كانت تقع في يد الرحمن يربيها كما يربي أحدكم فصيله أو فلوه، حتى أن التمرة واللقمة لتصير مثل الجبل العظيم ». ثم قرأ: ﴿ **يمحق الله الربا ويربي الصدقات** ﴾[3].

وقال (عليه السلام): « إن الصدقة لو جرت على يد سبعين نفساً لكان أجر أحدهم مثل أجر آخرهم ».

ومعناه أن هذه الأيدي كلها منتهية إلى يد الله تعالى بنقل تلك الصدقة.

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٥٣.

(٢) سورة التوبة آية رقم ١٠٤.

(٣) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الزكاة ١٩ باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ٦٣ (١٠١٤) عن سعيد بن أبي سعيد عن سعيد بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: وذكره. وأخرجه البخاري في: ٢٤ كتاب الزكاة ٨ باب الصدقة من كسب طيب حديث رقم ٧٥١، وأخرجه النسائي في الزكاة ٤٨، وابن ماجة في الزكاة ٢٨ والدارمي في الزكاة ٣٤ وصاحب الموطأ في الصدقة ١ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٦٨، ٤٠٤، ١٤٨، ١٤٩، ٤٣١، ٤٧١، ٥٣٨، ٥٤١، ٦ : ٢٥١ (حلبي).

وكان علي بن حسين (رضي الله عنه) إذا أعطى لسائل شيئاً قبله ووضعه على يده. وإنما قبله لأنه علم من يأخذه.

وقوله (عليه السلام): « مناولة المسكين تقي ميتة السوء » لأنه يصير بالمناولة في قرب الله تعالى. ومن وقع في قرب الله، كان له مأمناً وذمة وكان في ذمته، ويوقى مصارع السوء. وميتة السوء أن يموت مصراً على معصيته، أو قانطاً من رحمته، أو يفجأه الموت من غير توبة. فمن كان في ذمة الله، وُقيَ هذه الأشياء.

قال (عليه السلام): من صلى الغداة فهو في ذمة الله، لأنه شهد الله (عز وجل) وملائكته. قال تعالى: ﴿ **إن قرآن الفجر كان مشهوداً** ﴾[1] معناه ليشهد الله وملائكته.

---

(١) سورة الإسراء آية رقم ٧٨.

الأصل السادس والمائة

في حقيقة الزهاد وحقيقة الإيمان وحقيقة الإخلاص

عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا باضاعة المال. ولكن الزهادة أن لا يكون شي مما في يديك أوثق منك مما في يدي الله تعالى. وأن يكون ثواب المصيبة أحب إليه من أن لو نفيت المصيبة عنه[1]. ولكل حق حقيقة. ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وان ما أخطأه لم يكن ليصيبه. ولكل حق حقيقه. ولا يبلغ العبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يحمد في كل شيء يعمله لله تعالى »[1].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب ٢٩ ما جاء في الزهادة في الدنيا ٢٣٤٠ ــ عن أبي ادريس الخولاني عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: وذكره وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأبو ادريس الخولاني: اسمه عائذ الله بن عبدالله وعمرو بن واقد: منكر الحديث. ورواه ابن ماجة في كتاب الزهد ١ باب الزهد في الدنيا ٤١٠٠ بسنده عن أبي ذر العفاري قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. قال هشام: قال أبو ادريس الخولاني: مثل هذا الحديث في الأحاديث كمثل الإبريز في الذهب.

الزهد القلة. فالزاهد قلت في عينه الدنيا بما فتح له من الغيب فرأى الآخرة ببصر قلبه، فاستقل هذه وتهاون بها، وشخص بصره إلى ضامن الرزق الذي ضمن له رزقه ووثق بضمانه، وصار هذا الذي في يده كأنه أودع وديعة وكل بحفظها على نوائب الحق لينفقها هناك، وضمان الرب لعبده الرزق له أوكد عنده وأعظم شأناً من أن يتلف مما في يده، ويكون ثواب المصيبة آثر عنده من أن لو بقي عنده ذلك الشيء لأن الشيء من الدنيا، وقد دق في عينه. والثواب من الآخرة، وقد عظم في عينه.

فأما من لم يفتح بصره في الآخرة، وعظم قدر الدنيا في عينه حتى وجد شيئاً منها إحتدت مخاليبه فيها وعلق قلبه بها، ولم يستبن عند قلبه ضمان الرزق. وكلما ذكر الفقر أو حبس في نفسه خيفة فركن إلى ما في يده. فهذا وان جانب الدنيا، ولبس المسوح، وأكل الحشيش فليس بزاهد. إنما هو متزهد، يتكلف الزهد بجوارحه.

وقوله: « ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه » فالموحدون كلهم يعلمون هذا علم اللسان، ولكن لا تستقر قلوبهم مع هذه الكلمة. ولهذا يفرون من المخلوق فراراً فيه عصيان الله تعالى. فأما أهل اليقين، فقد استقرّ هذا العلم في قلوبهم، وانشرحت به صدورهم، فكانوا في النوائب كرأي العين أن هذا الذي ناب قد كان في سابق العلم، ثم تصور عندهم كونه في اللوح مسطوراً فاستقرت نفوسهم لعلم يقينهم بذلك. فهذا حقيقة الإيمان.

وأما حقيقة الإخلاص فأن ينفي عن قلبه وصدره حب المحمدة والثناء، ويكون مخلصاً لله تعالى في أمور يعملها من أعمال البر، وذلك لأن النفس تحب المحمدة والثناء لينفذ قوله، وينال نهمته في دنياه من خلقه، ويقول بلسان التوحيد: « هذا كله من الله تعالى » ثم تراه معلق القلب بخلقه طامعاً فيما لديهم، غير ناج من التزين والترائي،

يريد بذلك التحمد عندهم، لتنال النفس ما تطمع فيه، ولم يبلغ حقيقة الاخلاص حتى استنار صدره بالإيمان وتعلق قلبه بالله تعالى، وينجو من الخلق والأسباب، وشخصت آماله إلى خالقه، فينبئ الخلق ما تصور في صدره مما تنطق الألسنة به من قوله: لا مانع لما أعطي ولا معطي لما منع.

الأصل السابع والمائة

في أن الله تعالى أحق أن يستحيي منه

عن بهز بن حكيم، عن جده، عن أبيه (رضي الله عنه) قال: قلت: يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك ».

قلت: « أرأيت إذا كان القوم بعضهم في بعض ؟ ».
قال: « فإن استطعت أن لا يراها أحد فلا يرينها ».
قلت : « أفرأيت إذا كان أحدنا خالياً ؟ ».
قال ﷺ: « فالله سبحانه وتعالى أحق أن يستحيي منه »[1].

فالعورة كانت مستورة من آدم وحواء (عليهما السلام) وعاشا ودخلا

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الأدب باب ٢٢ ما جاء في حفظ العورة ٢٧٦٩ — حدثنا بهز بن حكيم حدثني أبي عن جدي قال: قال قلت يا رسول الله وذكره. قال الترمذي: هذا حديث حسن، وجد بهز اسمه: معاوية بن حيدة القشيري. وقد جاء الحديث عند البخاري تعليقاً في الغسل: باب من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة ومن تستر فالستر أفضل: ورواه أبو داود في الحمام: باب ما جاء في التعري، والنسائي في الكبرة عشرة النساء باب نظر المرأة إلى عورة زوجها، وأخرجه الترمذي أيضاً في كتاب الأدب باب ٣٩ ما جاء في حفظ العورة ٢٧٩٤ بالسند السابق.

الجنة. فلما خرجا من ستر الله تعالى بالخطيئة، وأكلا من الشجرة، وإنكشفت سوآتهما، أمرا بالستر. قال تعالى: ﴿ **ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما...** ﴾[1].

والزوجة وملك اليمين مطلق في ملامستهما، فيحل النظر إليهما. قال الله تعالى: ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين...** ﴾[2].

إلا أن الحياء يحجر صاحبه عن ذلك. وكان رسول الله ﷺ يتوقى أن يرى أحد من نسائه عورته.

قالت عائشة (رضي الله عنها): ما رأيت ذلك من رسول الله ﷺ وما رأى مني قط.

وأما إذا كان خالياً، فتعرى ولم يحتشم عن ذلك فهذا قلبه غافل عن الله تعالى، لم يعلم أن الله تعالى يراه، ثم لا يأخذه الحياء، ولا يثقل ذلك عليه.

قال أبو بكر (رضي الله عنه): إني لأدخل الخلاء فأقنع رأسي حياء من الله تعالى.

وكان عثمان (رضي الله عنه) إذا اغتسل، اغتسل في بيت مظلم.

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ٢٧.

(٢) سورة المؤمنون آية رقم ٥.

الأصل الثامن والمائة

في فضل الإحسان إلى اليتيم

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « من أحسن إلى يتيم أو يتيمة كنت أنا وهو في الجنة كهاتين ». وقرن بين اصبعيه.

وفي رواية أخرى: « أنا وكافل اليتيم ـــ له ولغيره إذا اتقى الله ـــ في الجنة كهاتين »[1].

إنما فاق هذا سائر الأعمال لأن اليتيم افتقد بر أبيه ولطفه وتعاهده ومصالح أموره. والله تعالى ولي ذلك كله يجريها على الأسباب. فإذا قبض أبوه فهو الولي لذلك اليتيم في جميع أموره، يبتلي به عبيده لينظر أيهم يتولى ذلك.

قال موسى (عليه السلام): يا رب أتميت أبوي الصبي ومن لا

(١) الحديث أخرجه صاحب الموطأ في كتاب الشعر ٥ عن مالك عن صفوان بن سليم أنه بلغه أن النبي ﷺ قال: وذكره ولمالك في هذا اسناد آخر أسنده مسلم في صحيحه في: ٥٣ ـــ كتاب الزهد والرقائق ٢ باب الاحسان الى الأرملة والمسكين واليتيم حديث ٤٢ ورواه البخاري عن سهل بن سعد في ٧٨ كتاب الأدب ٢٤ باب فضل من يعول يتيماً، وأخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة ١٩١٨ بسنده عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره واحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣٧٥، ٥ : ٢٣٣ (حلبي).

حيلة له وتدعه هكذا! قال: يا موسى أما ترضى بي كافلاً.

فاليتيم كافله خالقه؛ لأنه قطع عنه من كان قيض له وطوى عنه أسبابه. فمن مدّ يده إلى كفالته فانما ذلك عمل يعمله عن الله تعالى، لا عن نفسه. كما أن الرسل (عليهم السلام) يعملون عن الله تعالى، يؤدون عنه حججه إلى خلقه وبيانه وهدايته. والذي يكفل اليتيم يؤدي عن الله تعالى ما تكفل به. فلذلك صار بالقرب منه في الدرجة في ذلك الموقف. وليس في الجنة بقعة أروح ولا أطيب ولا أنور ولا آمن من البقعة التي يكون بها الرسل (عليهم السلام). فإذا نال كافل اليتيم القرب من تلك البقعة فقد سعد جده. وأما سائر الأعمال سوى الجهاد فيعمله العمال عن أنفسهم. والجهاد فيه ذب عن الدين، وإعلاء كلمة الله تعالى. فهم على أثر الأنبياء (عليهم السلام) يومئذ وبالقرب منهم. وقد ذكر الله تعالى شأن العفو فقال: ﴿ **ومن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾[1].

ولم يوجد شيء من أعمال البر أجره مضموناً في عاجل الدنيا غير العفو؛ لأن الرجل إذا ظلم وقع قلبه في سجن المعصية وصار محجوباً عن الله تعالى، فهو وإن تاب فهو غير مقبول منه حتى يتحلل المظلوم، فيهب ظلامته، فيكون في خذلان من ربه، وعمى عن رؤية الحق تعالى. فإذا رحمه هذا المظلوم لما يعلم من فساد قلبه وعفا وأصلح ما فسد من قلبه لسؤال ربه المغفرة له، فانما عمل لله تعالى، لا لنفسه، فأجره على الله تعالى في عاجل الدنيا. قال تعالى: ﴿ **ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور** ﴾[2].

فسمى سؤال الغفران له من عزم الأمور. فقد أخذ هذا الذي عفا

---

(١) سورة الشورى آية رقم ٤٠.

(٢) سورة الشورى آية رقم ٤٣.

وطلب له المغفرة بحظ من أمر أولي العزم. وكان أولي العزم من الرسل (عليهم السلام) من يضر به قومه حتى تسيل دموعه على وجنته. فاذا أفاق قال: اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون.

وعن الحسن (رضي الله عنه) قال: ينادي مناد يوم القيامة: ألا من كان له على الله أجر فليقم. فلا يقوم إلا من عفا الله تعالى.

الأصل التاسع والمائة

في أن الحوض لا يرده من كذب به

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « إن لي حوضاً ما بين عدن إلى عمان. آنيته عدد نجوم السماء. وله ميزابان، أحدهما من ورق، والآخر من ذهب، يمدانه من الجنة. لا يرد عليه من كذبه »[1].

فالحياض يوم القيامة للرسل (عليهم السلام). لكل على قدره وقدر تبعه. وقد هيأ له مشرباً يروى منه، فلا يظمأ بعدها أبداً.

عن أبي بن كعب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: أول من يدعى يوم القيامة أنا. فأقوم وألبي. ثم يؤذن لي بالسجود فأسجد له سجدة يرضى بها عني. ثم يأذن لي فأرفع وأدعو بدعاء يرضاه عني. فقلنا: يا رسول الله وكيف تعرف أمتك يوم القيامة؟

قال: يقومون غراً محجلين من آثار الطهور، ويردون إلى الحوض

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي مختصراً في كتاب صفة القيامة باب ١٤ ما جاء في صفة الحوض ٢٤٤٢ ــ عن الزهري عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ٢٢٥، ٢٣٠ (حلبي).

ما بين بصرى إلى صنعاء، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك، فيه من الآنية عدد نجوم السماء. من ورده فشرب منه، لم يظمأ بعده أبداً. ومن صرف عنه، لم يرو بعده أبداً. ثم يعرض الناس على الصراط، فيمر أوائلهم كالبرق، ثم يمرون كالريح، ثم يمرون كالطرف، ثم يمرون كأجود الخيل والركاب، وعلى كل حال وهي الأعمال. والملائكة جانبي الصراط يقولون: رب سلم سلم. فسالم ناج، ومخدوش ناج، ومرسل في النار. وجهنم تقول: هل من مزيد. حتى يضع فيها رب العالمين ما شاء أن يضع، فتنزوي وتنقبض وتغرغر كما تغرغر المزادة الجديدة إذا ملئت، وتقول: قط قط[1].

(١) الحديث روى جزءاً منه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق باب ١٥ ما جاء في صفة أواني الحوض ٢٤٤٤ ــ عن العباس عن أبي سلام الحبشي قال: وعن ثوبان عن النبي ﷺ. وروى جزءاً منه الامام مسلم في كتاب الطهارة ٣٩ (٢٤٩) بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ. وذكره.

الأصل العاشر والمائة

في أن الولد من ريحان الله تعالى

عن أنس (رضي الله عنه) قال: لما قبض إبراهيم بن رسول الله ﷺ قال لهم رسول الله ﷺ: لا تدرجوه في أكفانه حتى أنظر إليه. فأتاه وانكب عليه وبكى[1].

الولد من ريحان الله تعالى يشمه المؤمن فيلتذ به. قال (عليه السلام): « إنكم لتجهلون ولتجبنون وتبخلون وانكم لمن ريحان الله تعالى »[2].

فكأنه (عليه السلام) أحب أن يتزود من ريحان الله تعالى آخر

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الجنائز ١٣ باب ما جاء في النظر الى الميت إذا أدرج في اكفانه ١٤٧٥ ثنا أبو شيبة عن أنس بن مالك. قال: وذكره.
في الزوائد: اسناده ضعيف لأن أبا شيبة، قال ابن حبان: روى عن أنس ما ليس من حديث لا يحل الرواية عنه، وقال البخاري: صاحب عجائب، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث عنه عجائب.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ١١ ما جاء في حب الولد ١٩١٠ ــ عن ابراهيم بن ميسرة قال: سمعت ابن أبي سويد يقول: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول، زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم: قالت خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وهو محتضن احد ابني ابنته وهو يقول: وذكره. قال الترمذي: ولا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعاً من خولة.

العهد به. ولذلك قيل: ريح الولد ريح الجنة. فكان (عليه السلام) يفعل فعل المشتاقين إذا هاج غليان الشوق إلى الله تعالى. ولهذا كان إذا مطرت السماء، تجرد وكشف عن رأسه وأبرز، ثم يتلقاه بجسده ويقول: إنه حديث العهد بربه. وكان ينكب على الحجر الأسود ويقول: ههنا تسكب العبرات. ألا ترى أنه كان يستبطئ جبرئيل (عليه السلام) في مجيئه، حتى قال: يا محمد ما نتنزل إلا بأمر ربك. فانكبابه على إبراهيم (عليه السلام) تزود منه. وبكاؤه توجع منه لمفارقة من يشمه ريحاناً من الله تعالى. فنسب إلى الله تعالى لأنه هبة الله. والهبة منه حشوها البر واللطف، وظاهرها الابتلاء، قال تعالى: ﴿ **يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور** ﴾[1].

وقال (عليه السلام): « أولادكم من هبة الله تعالى لكم فكلوا من كسبكم ».

---

(١) سورة الشورى آية رقم ٤٩.

الأصل الحادي عشر والمائة

في أن إقراض الله تعالى سفاتج الآخرة وسره

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال:

لما نزلت: ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً...** ﴾[1]، قال أبو الدحداح الأنصاري: أَوَإِنَّ الله تعالى يريد القرض منا؟ قال: نعم يا أبا الدحداح. قال: أرني يدك يا رسول الله. بأبي أنت وأمي. قال: فناوله يده. قال: فإني أقرضت ربي حائطي، فيه ستمائة نخلة[2]. قال: فجاء إليه فنادى وهو خارج من الحائط: يا أم الدحداح. مرتين. قالت: لبيك. قال: اخرجي فقد أقرضت ربي (عز وجل).

القرض سفاتج الآخرة. فان الله تعالى خلق هذا المال قواماً لمعاش بني آدم. وجعل قوام الروح به. فأحبه الآدمي على قدر نفعه منه. والمحبة لازقة بالقلب؛ لأنها تخلص إلى حبة القلب، أي باطنه وشهوته.

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٤٥.

(٢) الحديث رواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن عرفة عن خلف بن خليفة ورواه ابن جرير في التفسير ٥٦٢٠ عن عبدالله بن مسعود ونقله ابن كثير في التفسير ١ : ٥٩٣، ٥٩٤ وذكره السيوطي ١ : ٣١٢ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ : ٣٢٠ وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

وإنما هما بضعتان: قلب وفؤاد. فالقلب ما بطن. والفؤاد البضعة التي قد اشتملت على قلبه. وفي الفؤاد العين والأذن. قال الله تعالى: ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾[1].

نسب الرؤية إلى الفؤاد. ثم قد يجتمعان في اسم واحد. فيقال للكل: قلب. كما قيل: نفس.

وقال (عليه السلام): « أتاكم أهل اليمن ألين قلوباً وأرق أفئدة »[2]. وصف القلب باللين، والفؤاد بالرقة. وذلك لأن القلب بضعة لحم في بضعة أخرى. فالقلب ما بطن منه، والفؤاد ما ظهر منه. وفيه العينان والأذنان. يقال في اللغة لخبز الملة: « خبز فئيد ». إذا كان له ظهارة وبطانة. فنور التوحيد في القلب. وشهوة النفس قد خلصت إلى حبة القلب، فلصقت به. وذاك معدن الإيمان والحكمة والعلم، ومستقر النور. وليس بموضع شهوة. فإن الشهوة داء القلب وسقم الإيمان.

قال (عليه السلام): « حبك الشيء يعمي ويصم »[3].

---

(١) سورة النجم آية رقم ١١.

(٢) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الايمان ٨٤ عن صالح، عن الأعرج قال: قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: وذكره وفيه زيادة [الفقه يمان والحكمة يمانية] ورواه الامام البخاري في المغازي ٧٤ واحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٥٢، ٣٨٠، ٤٨٠، ٤ :١٥٤، (حلبي).

(٣) قال في المقاصد: رواه أبو داود، والعسكري عن أبي الدرداء مرفوعاً وموقوفاً والوقف أشبه، وفي سنده ابن أبي مريم ضعيف ورواه أحمد عن ابن أبي مريم فوقفه، والرفع اكثر ولم يصب الصنعاني حيث حكم عليه بالوضع، وكذا قال العراقي إن ابي مريم لم يتهمه أحد بكذب، إنما سُرق له حُلى فانكر عقله.

وقال الحافظ ابن حجر تبعاً للعراقي ويكفينا سكوت أبي داود عليه فليس بموضوع ولا شديد الضعف، فهو حسن انتهى.

فإذا خلص حب الشهوات إلى القلب، فقد أعمى بصر القلب وأصم أذنه. لأنه صار سميعاً وبصيراً بالنور. فإذا خالطه حب الشهوات ودخانها، ثقل الأذن، وغشي البصر. ومن ههنا قال (عليه السلام) لسلمان (رضي الله عنه): قل: اللهم إني أسألك صحة في الإيمان.

سأل الصحة من السقم. وسقم الإيمان ما خالط من شهوة النفس. وقد ذكر الله تعالى في تنزيله الكريم خروج العباد من أموالهم. وذكر ثواب كل واحد منها، فذكر الإنفاق والإيتاء والإطعام، وأشار في جميع ذلك إلى المساكين، وإلى سبيله، فقال تعالى: ﴿ **وما تنفقوا من خير يوف إليكم...** ﴾[1].

وقال: ﴿ **ومثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل...** ﴾[2].

وقال في شأن الصدقة: ﴿ **ويكفر عنكم سيئاتكم...** ﴾[3].

وقال في شأن الإطعام: ﴿ **فوقاهم الله شر ذلك اليوم...** ﴾[4]

فلما صار إلى ذكر القرض، أشار إلى إقراضه دون خلقه، وذكر ثواب القرض فقال: ﴿ **إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم...** ﴾[5]

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٧٢ وقد جاءت هذه الآية محرفة في المطبوعة حيث قال: من شيء بدلاً من (خير).
والآية الأخرى ﴿ **وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف لكم** ﴾ الانفال آية ٦٠.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦١.

(٣) سورة الانفال آية رقم ٢٩.

(٤) سورة الانسان آية رقم ١١.

(٥) سورة التغابن آية رقم ١٧.

وعد المغفرة والتضعيف، وقال في موضع آخر: ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة...** ﴾[1].

والكثير من الله تعالى لا يحصى. والقرض زائد على الجميع في الاسم الذي سمي به. والشرط الذي علق به. فقال تعالى: ﴿ ... **يقرض الله قرضاً حسناً...** ﴾[2].

فالقرض هو القطع. وسمي بالمقراض لأنه يقطع به الشيء اللاصق بالشيء، وليس منه، وإنما يحسن قرضه إذا قرضه من أصله قرضاً لا يبقى هناك شيء. فإذا أقرض الشيء الذي قد لصقت شهوته ومحبته بالقلب، وصرفه إلى نوع من أنواع البر، فقد قرض محبته من قلبه؛ لأنه قد فارقه ملكاً، وأخرجه إلى ملك غيره. فأما إذا أعطى وعلى قلبه كراهة الإعطاء وعسره، فقد قطعه وبقي هناك شيء فلم يستأصله. وإذا أعطى وانتظر الخلف والثواب، فقد شخصت عيناه إلى محبة شيء هو أعظم من الذي أعطى، فقد أنهك القطع وقصر فيه. وهذا لأن الله تعالى ابتلى العباد بما أعطاهم من الدنيا، ثم سألهم منها بعد إذ ولجت لذة منافعه قلوبهم محنة لسرائرهم. فمن أسكرته لذة هذه المنافع، فقد سكرت عقولهم عن الله تعالى، فصارت فتنة لهم. فإن أعطى كرهاً أو أعطى على طمع ثواب أو خلف، لم تصف عطيته. وإنما تصفو إذا أعطى ربه عطاء لا تتبع نفسه العطية، ولا تنتظر الخلف منها، ولا الثواب عليها، عطاء من كان الشيء عنده بأمانة. فإذا استرد اغتنم ذلك منه، وتسارع إلى ردها، ولا يقوى على هذه الخطة إلا أهل اليقين وهم المقربون السابقون لأن الأشياء عندهم عواري وودائع، قبلوها عن الله تعالى بقلوبهم، وأمسكوها لله تعالى على نوائب حقوقه، وقد سقط عن قلوبهم قدر الدنيا وما فيها، وولجت قلوبهم عظمة الله تعالى،

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٤٥.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٤٥.

فرقت الدنيا في أعينهم. فإذا أعطوا منها شيئاً، فإنما هي عندهم أمانة، خرجوا منها إلى الله تعالى في وقت نائبة الحق، فهم خزانه وأعوانه وأمناؤه في أرضه، وقد ماتت شهوات نفوسهم عن جميع حطامها وإمساكها حرصاً وعدة، والدنيا عندهم كما قال (عليه السلام): « إنما مثل الدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح منها »[1].

وكما فعل أبو بكر (رضي الله عنه) حين حثهم رسول الله ﷺ على الصدقة، فأتاه بماله كله، فقال: ما تركت لأهلك يا أبا بكر؟ قال: الله تعالى ورسوله.

فالمستغني بالله، لا بالمال، هكذا قلبه. فمن أعطى العطية وغناه بالله تعالى، لم تشخص عيناه إلى الخلف والثواب، ولم يكن عليه في وقت الإعطاء عسر ولا كراهية. فهذه عطية الأولياء ونفقاتهم. ومن قبيل ذلك ما فعله أبو الدحداح فانه صفق يده على يد رسول الله بالعطاء. فإن من أعطى الرسول فقد أعطى الله. فالرسول ولي الله تعالى في الأرض يتولى قبض ما يعطى لله تعالى حتى يضعه حيث يأمر الله تعالى. ثم صار إلى الحديقة، لم يدخلها، وأخرج عياله منها، وخلا عنها، وقال: إني أقرضته ربي. وإنما توقى دخولها مخافة أن تتبعه نفسه شيئاً مما ذكرنا. فلم يأمن نفسه، فاجتنب دخولها؛ لئلا يكون في النفس شيء منه.

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الزهد باب ٤٤، ٢٣٧٧ ــ حدثنا عمرو بن مرة عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ورواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٣ واحمد ابن حنبل في المسند ١: ٣٠١ (حلبي).

وقال (عليه السلام) : كم من عذق مذلل لأبي الدحداح في الجنة[1].

وكان ابن عمر (رضي الله عنهما) إذا أعجبه الشيء، أخرج منه إلى الله تعالى. وكانت له سرية، وكان بها معجباً فأعتقها وزوجها بعض مواليه، فولدت له غلاماً. وكان ابن عمر (رضي الله عنهما) يضم ولدها إلى نفسه، ثم يقبله، ثم يقول: واهاً، إني أجد منك ريح فلانة (يعني جاريته).

قال: وكان راكباً بعيراً له فأعنق وأعجبه سيره فقال: أخ أخ. فنزل ثم قال: يا نافع جلله وألحقه بالبدن.

---

(١) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الجنائز ٨٩ (٩٦٥) حدثنا سقبة عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال ــ ﷺ ــ وذكره ورواه الامام احمد في المسند ٣: ١٤٦ / ٩٠ (حلبي).

الأصل الثاني عشر والمائة

في أن زيارة قبر النبي (عليه السلام) هجرة المضطرين

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: « من زار قبري، وجبت له شفاعتي »[1].

زيارة قبره ﷺ هجرة المضطرين. هاجروا إليه، فتوجب لهم شفاعة تقيم حرمة زيارتهم. والشفاعة لمن أوبقته ذنوبه.

قال (عليه السلام): شفاعتي للمتلوثين المتلطخين المؤيسين. فأما المتقون فقد كفوا أنفسهم.

وشفاعته (عليه السلام) من الجود. قال (عليه السلام): « إن إبراهيم

---

(١) قال في الأصل رواه أبو الشيخ، وابن أبي الدنيا وغيرهما عن ابن عمرو هو في صحيح ابن خزيمة، وأشار الى تضعيفه، وعند أبي الشيخ والطبراني وابن عدي، والدارقطني والبيهقي، وضعفه البيهقي وقال الذهبي: طرقة كلها لينه لكن يتقوى بعضها ببعض لأن ما في رواتها متهم بالكذب قال: ومن أجودها اسناد حديث حاطب الذي أخرجه ابن عساكر وغيره: من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي وللطيالسي عن عمر مرفوعاً من زار قبري كنت له شفيعاً أو شهيداً.

(عليه السلام) ليرغب إليَّ يوم القيامة ». وفي حديث آخر: « يحتاج إليَّ ». وشفاعة غيره من الأنبياء (عليهم السلام) من الصدق والوفاء والحظوظ.

الأصل الثالث عشر والمائة

في أن أفضل الصلاة الصلاة لوقتها

عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: قال لي رسول الله ﷺ: « صل الصلاة لوقتها. فان أتيت الناس وقد صلوا كنت قد أحرزت. وإن لم يكونوا صلوا كانت لك نافلة »[1].

وقت الصلاة ممتد إلى آخر الوقت. وأعلم رسول الله ﷺ أصحابه بما يكون بعده من الأحداث والفتن، حتى قال: « سيكون بعدي امراء يميتون الصلاة فيصلونها لغير وقتها. فصلوها لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم سبحة »[2].

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة ١٢٥٦ عن أبي عمران الجوني عن عبدالله ابن الصامت عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال وذكره. ورواه الامام مسلم في كتاب المساجد ٤١ باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار ٢٤٠ ـــ بسنده عن أبي ذر وأبو داود في الصلاة ١٠، ٥٦ والترمذي في الصلاة ٤٩ والنسائي في الامامة ٥٤ الدارمي في الصلاة ٩٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ١٦١ (حلبي).

(٢) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب المساجد ٢٣٩ عن أبي عمران الجوني عن عبدالله ابن الصامت عن أبي ذر. قال: قال رسول الله ﷺ وذكره ورواه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ١٥ باب ما جاء فيما إذا أخروا الصلاة عن وقتها ١٢٥٧ بسنده عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ: وذكره.

وظهر تأويل هذا الحديث في زمن بني أمية. فإنه روى أبو مسلم قال: كان يخطبنا الحجاج يوم الجمعة، فلم يزل يخطب حتى غربت الشمس، ثم نزل وصلى الظهر والعصر والمغرب.

وروي سالم قال: لما قدم الوليد بن عبد الملك جاءت الجمعة، فجمع بنا، فما زال يخطب حتى مضى وقت الجمعة، ثم ما زال يخطب حتى مضي وقت العصر ولم يصل. قال له القاسم بن محمد: فما قمت وصليت. قال: لا. قال: فما صليت قاعداً. قال: لا. قال: فما أومأت. قال: لا والله خشيت أن يقال رجل من آل عمر.

وقوله (عليه السلام): « كانت لك نافلة » أي صلاتك التي صليت معهم هي النافلة لأن الفريضة قد مضت.

الأصل الرابع عشر والمائة

في أن البداية في الخيرات بالأكابر

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: إن رسول الله ﷺ استن فأعطي أكبر القوم. ثم قال: أمرني جبرئيل (عليه السلام) أن أكبر.

وروى زيد بن رفيع قال: دخل على رسول الله ﷺ جبرئيل وميكائيل وهو يستاك. فناول رسول الله ﷺ جبرئيل السواك. فقال جبرئيل له: أكبر (أي ناول ميكائيل) فأنه أكبر.

وعند عبدالله بن كعب أن رسول الله ﷺ كان إذا استن أعطى السواك الأكبر. وإذا شرب أعطى الذي عن يمينه. لأن أكبرهم سناً أقدمهم خروج أسنان. ومن كان أقدم، فهو أحق. وهكذا في حق الجوارح يبدأ بالأقدم.

روى أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا أدهن أحدكم فليبدأ بحاجبه، فإنه يذهب بالصداع » وذلك أول ما ينبت على ابن آدم من الشعر. فإذا قدم الشيء في الخلقة، فهو المقدم في التدبير عند خالقه، وصاحبه مطلوب بحفظ ذلك ورعايته ليقدم ما قدم الله (سبحانه وتعالى) ويؤدي حقه. فإذا اتبع الحق في كل شيء

من أمره، فعقله مستريح. وإذا اتبع الجهل، أتعبه. لأن العقل مسكنه الدماغ. وتدبيره على القلب. فإذا بدأ بالحاجبين في الإدهان، فقد أدي حقه؛ لأنه بدئ به في الخلقة. فإذا ضيع الحق في ذلك فقدم المؤخر، وأخر المقدم، فغير مستنكر أن يهيج الصداع؛ لأن في فعله اتعاب الحق والعقل. ويبدأ بالأكبر فالأكبر في كل شيء؛ لأنه إذا لم يبدأ به، لم يوقره.

وقال (عليه السلام): « ليس منا من لم يوقر كبيرنا... »[1].

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كان رسول الله ﷺ إذا سقي قال: « إبدءوا بالأكابر، فان البركة مع أكابركم » .

وقوله: « إذا شرب أعطي الذي عن يمينه » لأن الإناء كان واحداً، فإذا شرب الكبير وقد فضلت فضلة، لم يجد بداً من مناولته غيره. فالحق لليمين ومن على اليمين. كذلك يروى عن رسول الله ﷺ.

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ١٥ ما جاء في رحمة الصبيان ١٩١٩ عن زربي قال: سمعت أنس بن مالك يقول: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له فقال النبي ﷺ: وذكره. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب وزربي له أحاديث مناكير عن أنس بن مالك وغيره ورواه أحمد بن حنبل في المسند ١ : ٢٥٧، ٢ : ٢٠٧ (حلبي).

الأصل الخامس عشر والمائة

في المبادرة إلى الآخرة

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور »[1].

الغريب نازع قلبه إلى الوطن، ماد عينه إلى أهله، شاخص أمله إلى وقت الارتحال متى ينادى بالرحيل فيرتحل. وكلما قطع مرحلة، خف ظهره وهاج شوقه، ينتظر نفاد المراحل، ونهاية المسافة. فإذا بلغ آخر مرحلة، قلق وضاق ذرعاً. فإذا وقع نظره على وطنه، رق ودمعت عيناه، فبكى من طول الغربة، ومقاساة الوحشة، ثم بكى فرحاً بوصوله

(١) الحديث رواه البيهقي في الشعب والعسكري عن ابن عمر مرفوعاً وأخرج البخاري عنه في صحيحه شطره الى قوله أو عابر سبيل، وزاد أحمد والنسائي أوله: أعبد الله كأنك تراه، وأخرجه البخاري عن مجاهد ورواه الترمذي وآخرون، وزاد العسكري: إذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك فإنك لا تدري ما اسمك غداً، وقال النجم وفي معناه ما عند الحسن بن سفيان وأبي نعيم عن الحكم بن عمير كونوا في الدنيا أضيافاً، واتخذوا المساجد بيوتاً، وعودوا قلوبكم الذمة واكثروا من التفكير والبكاء ولا تختلفن بكم الأهواء.

إلى الوطن، ونظره إلى الأحباب. فعلى هذه الصفة، دله (عليه السلام) أن يكون نازع القلب إلى دار السلام، مادًّا عينه إلى الملك العلام، شاخصاً أمله إلى دعوته، ينتظر متى يدعى فيجيب. وكلما قطع يوماً من عمر، خف ظهره من أثقال العمر، وهاج شوقه ينتظر نفاد الليالي والأيام التي أجلت له. وإذا بلغ آخر يومه، قلق وضاق ذرعاً لخوف الخطر الذي ركبه، وأنه لا يدري بما يختم له. فإذا كشف الغطاء عنه وبشر بالسلامة، وأُري مكانه، رق وبكى من طول الغربة ومقاساة جهد النفس، ثم بكى فرحاً بلقاء مولاه ووصوله إليه. والغريب منفرد منكسر القلب، لا يتهنى بعيشٍ وإن كان في سعة من العيش ونعمة. لا يتوجع لما ينوبه في سفره ولا يجزع لما يقاسي من الشدة لأنه يعلم أن سفره منقطع.

وقوله: « وعد نفسك من أهل القبور » أن يقول ساعة بعد ساعة: الآن يحضرني أمر الله تعالى، فيعد نفسه منهم، لا من الأحياء؛ لأن أهل القبور قد انقطعت أطماعهم من الأحياء، وقطعوا الدنيا، ورفعوا بالهم عنها. ولهذا كان السلف يبادرون إلى تصحيح الأمور مخافة أن يحال مما يحافظ بينهم وبين ذلك. فإن الأمر قد غيب عن الخلق. وكان عامر بن عبد القيس (رحمة الله عليه) يمر مسرعاً إلى أمر، فقيل له، فقال: أبادر طي صحيفتي. وانتهى كرز بن وبرة إلى قنطرة وعليها زحام فنزل عن حماره، وقام يصلي وقال: أكره أن تبطل من عمري ساعة. وقيل لجعفر بن برقان: ألا تخضب؟ قال: أكره أن يأتيني رسول ربي وأنا مشتغل به. وسئل محمد بن النضر عن الصوم في السفر، فقال: المبادرة المبادرة، فاغتنم. وسئل داود الطائي عن الرمي وتعليمه فقال: إنما هي أيامك فاقطعها بما شئت.

الأصل السادس عشر والمائة

في أن خوف الإقلال من سوء الظن بالله تعالى

عن عمر (رضي الله عنه) أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه، فقال (عليه السلام): ما عندي شيء، ولكن اتبع علي، فإذا جاء قضينا. فقال عمر (رضي الله عنه): ما كلفك الله ما لا تقدر عليه. فكره رسول الله ﷺ قول عمر. فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً[1]. فتبسم رسول الله ﷺ بذلك، وعرف السرور في وجهه لقول الأنصاري، ثم قال (عليه السلام): بذلك أمرت.

خوف الإقلال من سوء الظن بالله تعالى؛ لأن الله تعالى خلق الأرض بما فيها لبني آدم. قال تعالى: ﴿ **خلق لكم ما في الأرض جميعاً وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض...** ﴾[2].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير والقضاعي في مسنده عن ابن مسعود، ورواه العسكري في الامثال، وكذا البزار في مسنده عن عائشة بلفظ قالت قال رسول الله ﷺ: اطعمنا بلال فقال يا رسول الله ما عندي إلا صبرة من تمر خبأته لك، فقال أما تخشى أن يقذف به في نار جهنم أنفق بلال ولا تَخْشَ من ذي العرش إقلالاً.

(٢) سورة الجاثية آية رقم ١٣.

فهذه الأشياء سخرة للآدمي قطعاً لعذره ليكون له عبداً في الدنيا، ويقدم عليه غداً فيحرره من العبودية، ويبعثه ملكاً إلى داره. فالمستقيم من رفع باله وهمته عن الدنيا، وكان كل همته في إقامة العبودة. والكون له كما خلقه مراقباً لأموره في السر والعلانية، منقاداً لحكمه يعد نفسه عبداً لا يملك شيئاً، وأحواله عواري يقلبها وليها ساعة فساعة كيف شاء، ليست له فيها مشيئة، ويتوقى أن يفكر فيها، فيحدث له مشيئة، ناظراً إلى ما برز له من مشيئة الغيب. وخوف الإقلال يضمحل من القلب بأن يحسن الظن بالله تعالى، ويعلم أنه رب غني كريم. وقد استنار في صدره غناه وكرمه. فإذا أنفق، لم يخف الإقلال؛ لأنه يخلف ولا يعوزه شيء. وإذا عرفه بالقلة أو بالضيق والبخل، جبن في ذلك.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: سبقت رحمتي غضبي. يا ابن آدم أنفق أنفق عليك. يمين الله ملأى سحاء، لا يغيضها شيء بالليل والنهار[1].

وعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ قال: أطعمنا يا بلال. قال: ما عندي إلا صبر من تمر قد خبأته لك. قال: أما تخشى أن يخسف الله به نار جهنم، أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً[2].

وعن الزبير (رضي الله عنه) قال: جئت حتى جلست بين يدي رسول الله ﷺ فأخذ بطرف عمامتي من ورائي، ثم قال: يا زبير، إني رسول الله إليك خاصة وإلى الناس عامة، أتدري ماذا قال ربكم؟

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٣٥ باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ٤٢٩٥ عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: وذكره مختصراً ورواه البخاري في كتاب التوحيد ٥٥ وبدء الخلق ١ ورواه الامام مسلم في كتاب التوبة ١٤ : ١٦ واحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٤٢، ٢٥٨ (حلبي).

(٢) سبق تخريج هذا الحديث.

قلت: الله ورسوله أعلم. قال: قال ربكم حين استوى على عرشه، ونظر إلى خلقه:

« عبادي أنتم خلقي وأنا ربكم، أرزاقكم بيدي، فلا تتعبوا فيما تكفلت لكم، واطلبوا مني أرزاقكم، وإليَّ فارفعوا حوائجكم، انصبوا الى أنفسكم أصب عليكم أرزاقكم ».

« أتدرون ماذا قال ربكم؟ قال الله تعالى: « عبدي أنفق أنفق عليك، وأوسع أوسع عليك، ولا تضيق فأضيق عليك، ولا تضر فأضر عليك، ولا تخزن فأخزن عليك » .

« إن باب الرزق مفتوح من فوق سبع سموات متواصل إلى العرش، لا يغلق ليلاً ولا نهاراً، ينزل الله تعالى منه الرزق على كل امرئٍ بقدر نيته وعطيته وصدقته ونفقته، من أكثر أكثر له، ومن أقل أقل له، ومن أمسك أمسك عليه. يا زبير : فكل وأعطى ولا توك فيوكى عليك، ولا تحصي فيحصي عليك، ولا تقتر فيقتر عليك، ولا تعسر فيعسر عليك. يا زبير: إن الله تعالى يحب الإنفاق ويبغض الاقتار، وإن السخاء من اليقين، والبخل من الشك. فلا يدخل النار من أيقن، ولا يدخل الجنة من شك. يا زبير: إن الله يحب السخاء ولو بفلق تمرة، والشجاعة ولو بقتل عقرب أو حية. يا زبير: إن الله تعالى يحب الصبر عند زلزلة الزلزال، واليقين النافذ عند مجيء الشبهات، والعقل الكامل عند نزول الشهوات، والورع الصادق عند الحرام والخبيثات. يا زبير: عظم الاخوان، وجلل الأبرار، ووقر الأخيار، وصل الجار، ولا تماش الفجار، وادخل الجنة بلا حساب ولا عذاب. هذه وصية الله إليَّ ووصيتي إليك يا زبير ».

الأصل السابع عشر والمائة

في النعمة والرحمة وذكر بلوغ ذرى الإيمان

عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: يبعث الله يوم القيامة عبداً لا ذنب له، فيقول له: بأي الأمرين أحب إليك أجزيك بعملك أم بنعمتي عليك؟ قال: يا رب تعلم أني لم أعصك. قال: خذوا عبدي بنعمة من نعمي. فلا تبغي له حسنة إلا استفرغتها تلك النعمة. فيقول: يا رب بنعمتك ورحمتك. قال: فيقول: بنعمتي ورحمتي. ويؤتى بعبد محسن في نفسه لا يرى أن له سيئة. فيقال له: هل كنت توالي أوليائي؟ قال: يا رب كنت من الناس سلماً. قال: فهل كنت تعادي أعدائي؟ قال: يا رب لم أكن أحب أن يكون بيني وبين أحد شيء. قال: يقول الله (عز وجل): وعزتي لا ينال رحمتي من لم يوال أوليائي ولم يعاد أعدائي[1].

فالأول عبد غافل عن ربه، متيقظ لآخرته، مكب على نفسه، يحب أن يلقى الله تعالى بالصدق من نفسه، فيقتضي الثواب منه على صدقه، وقد خفي عليه شأن المنة والنعمة، عاش حافظاً لأموره، ماداً عينه إلى ثوابه. فإذا لقيه، نطق لسانه بما توطنه في الدنيا وعامل الله تعالى

(١) لم نعثر على هذا الخبر على كثرة البحث والتقصي.

به، فتح له الحق وطلب منه ما يقتضيه شكراً لنعمه، فأخذ بأصغرها فاستفرغت عمله. فعندها انكشف له الغطاء عن شأن المنة والنعمة وقدرهما. فطلب النعمة والرحمة. وهذا عبد لم يفقه. إذ لو فقه وكانت له عبادة الثقلين، عمر الدنيا، لم يلحظ إليها أنه عمل شيئاً، ولم يوازن ذلك أصغر نعمة من نعم الله تعالى.

قال (عليه السلام): « ما عبدالله بمثل الفقه ». وقال: « من أراد الله به خيراً يفقهه في الدين ». ولو كان جريج الراهب فقيهاً لعلم أن إجابة أمه من عبادة ربه تعالى[1].

وأما العبد الثاني فهو عبد رعى نفسه، وعجز عن رعاية الحق سبحانه. فمن رعى نفسه، فإنما عمله حفظ جوارحه، وأداء فرائضه، ائتماراً لأمره وتناهياً عن نهيه لئلا يهلك نفسه. فلذلك صار للناس سلماً، ولم يدر أن في رعاية الحق نجاة نفسه. والراعي للحق انكشف له الغطاء عن جلاله وعظمته، فاشتعلت الحرقات في جوفه حباً له وشغوفاً به، حتى أداه ذلك إلى معرفته، فامتلأ قلبه من جلال الله وعظمته، فوالي أولياءه، وعادى أعداءه، موافقة له. كما أن من حل من قلبك محلاً ترى الدنيا به فيهيج حبك له أن تحب من أحبه وتعادي من عاداه. وهذا من بلوغ العبد ذرى الإيمان.

---

(١) الحديث رواه صاحب الموطأ في القدر ٨ عن مالك عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: قال معاوية بن أبي سفيان وهو على المنبر وذكره. ورواه الامام البخاري في كتاب العلم ١٠ والخمس ٧ والاعتصام ١٠ ورواه الامام مسلم في كتاب الامارة ١٧٥ والزكاة ٩٨ : ١٠٠ ورواه الترمذي في كتاب العلم ٤ وابن ماجة في المقدمة ١٧ والدارمي في المقدمة ٢٤ والرقاق ١ واحمد بن حنبل في المسند ١ :٣٠٦، ٢ : ٢٣٤ ٤ : ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦ (حلبي).

الأصل الثامن عشر والمائة

في دعائه ﷺ

عن عمر (رضي الله عنه) قال: علمني رسول الله ﷺ فقال: اللهم اجعل علانيتي صالحة. واجعل سريرتي خيراً من علانيتي. اللهم إني أسألك من خير ما يؤتي الناس من المال والولد غير الضال والمضل[1].

العلانية الصالحة مرضاة الله تعالى من الائتمار بأمر الله تعالى والتناهي عن نهيه. والسريرة التي هي خير من العلانية تعظيم أمره ونهيه، والوقوف عند حكمه، وترك الاختيار في جميع أحواله، وموافقته في مشيئته حتى ما يحب إلا ما يحب، ولا يكره إلا ما يكره، ولا يريد إلا ما يريد.

وقوله: « أسألك من صالح ما يؤتي الناس » فإن الله يؤتي الناس ما يصير عليهم وبالاً، ويؤتي ما يبارك لهم فيه. فما بورك لهم فيه من مال وولد، فهو صالح ما يؤتي، وليس ذلك بضال ولا مضل. وما نزعت منه البركة من المال والولد فهو الفاسد وهو الضال المضل.

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ١٢٤، ٣٥٨٦ عن الجراح بن الضحاك الكندي عن أبي شيبة عن عبدالله بن حكيم عن عمر بن الخطاب قال: علمني رسول الله ﷺ قال: قل وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس اسناده بالقوي.

الأصل التاسع عشر والمائة

في مبادرة العاطس بالحمد

عن واثلة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « من بادر العاطس بالحمد لم يضره شيء من داء البطن » .

العطاس تنفس الروح وسطوعه إلى الملكوت حنيناً إلى قرب الله تعالى. لأنه من عنده جاء. وهو شيء لطيف طاهر طيب ملكوتي، تمكن له في لحم ودم، وأمر بالقرار فيه فاستقر. فهذا من لطف ربنا لعبده وكرامته إياه. ولولا الأرواح لم ينتفع بهذه الجوارح. قال الله تعالى: ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم...** ﴾ إلى قوله: ﴿ ... **وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** ﴾[1].

وقال (عليه السلام): الأرواح للملائكة والآدميين. والجن والانفاس للدواب.

ويقال ان الروح في الرأس، ثم هو بعد كالسربال في الجسد. قال الله تعالى: ﴿ **فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان** ﴾[2].

---

(١) سورة الاسراء آية رقم ٧٠.

(٢) سورة الانفال آية رقم ١٢.

دل على مستقر الروح وهو المقتل. فإذا عطس المؤمن، فإنما ذلك وقت ذكر الله تعالى لعبده، وتعزية للروح بما وقع فيه من الضيق. فاذا خلص إلى الروح، تاق إلى موضعه وموطنه. فتلك الصيحة منه. فالمؤمن من رأى عظيم صنع الله تعالى في جسده، فحمده على صنعه وكرامته إياه بالروح. فالمبادر بالحمد أفهمهم لذلك. ألا ترى أن آدم (عليه السلام) لما عطس، بادر بالحمد فقال الله تعالى له: يرحمك ربك، سبقت رحمتي غضبي.

فكذلك المؤمن المتنبه لما عطس حمد، فبورك عليه. وإذا سمع عاطساً سبقه إلى الحمد؛ لأنه رأى عظيم صنع الله تعالى فيه، فاستوجب بذلك البركة والعطف من الله. وإذا بورك فيه، وقي داء البطن وهو وجع الخاصرة.

وقد روي: وقي وجع الخاصرة، والمكر، وسوء السرائر في الكليتين. فذلك داء البطن. فإذا كان سابقاً بالحمد، كان متنبهاً، وكان صدره وجوفه مستنيراً. فلم يعمل المكر فيه شيئاً.

روي أن الله تعالى أوحى إلى سليمان (عليه السلام): إن عطس عاطس من وراء سبعة أبحر فاذكرني.

ولذلك قال (عليه السلام): « حق المسلم على المسلم ست خصال »[1] فكان إحداهن تشميت العاطس. وذاك تهنئة بما ظهر للعبد من الحال عند ربه تعالى. فإذا لم يهنه، فقد استهان به. ومن استهان بأمر الله، أهانه الله تعالى.

---

(١) الحديث رواه الترمذي في ٤٤ كتاب الأدب باب ١ ما جاء في تشميت العاطس ٢٧٣٦ عن أبي اسحاق عن الحرث عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره قال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد روي من غير وجه النبي ﷺ وقد تكلم بعضهم في الحرث الأعور ورواه ابن ماجة في الجنائز: باب ما جاء في عيادة المريض.

الأصل المائة والعشرون

في أن أطيب الكسب كسب التجار وسني خصالهم

عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « أطيب الكسب كسب التجار، الذين إذا حدثوا لم يكذبوا. وإذا ائتمنوا، لم يخونوا. وإذا وعدوا، لم يخلفوا. وإذا اشتروا، لم يذموا. وإذا باعوا، لم يطروا. وإذا كان عليهم، لم يمطلوا. وإذا كان لهم، لم يعسروا »[1].

فهذه خصال الحافظين لحدود الله. ولا يقدر على الوفاء بها إلا من وثق بضامن الرزق في شأن الرزق، وسقط عن قلبه خوفه، وسكنت نفسه، ودرس محسبة الرزق من أين وكيف. فعندها يستحق اسم التقويّ. والتقويّ يصير رزقه من غير محسبة. قال الله تعالى: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾[2].

ومحسبة الرزق مظانه ومعادنه، وأسبابه التي تعلقت قلوب الخلق بها حتى يعصي الله من أجل سبب لا يدري فيه رزقه أم لا، مثل

---

(١) الحديث رواه البخاري في التاريخ، والبيهقي في شعبه عن معاذ بن جبل ــ رضي الله عنه ــ وخرجه صاحب جامع الشمل في كتاب المال والكسب

(٢) سورة الطلاق آية رقم ٣

ان اشترى سلعة فخان فيها، أو مدح بما ليس فيه، فانما فعل ذلك لغنية قلبه، وأنه يحسب أن ذلك رزقه ومعيشته. وكم من مغرور بمثل هذا قد خدعه شيطانه وأماني نفسه، ثم يبغت بالموت، وقد عري من منفعته، فيصير مهنأة لوارثه، والوبال عليه. فلو سقط عن قلبه محسبة معاشه ورزقه، وعلم أن ذلك بيد الله تعالى، يخرجه من مشيئة الغيب فيجريها بالأسباب، كان مراقباً لما يصنع مولاه، ماداً عينه إلى ما تختار له، ثم لا يتهمه إن أتاه غير ما تحب نفسه، يؤتي برزقه عفواً صفواً، وتقواه معه، وعلى رزقه طابع الإيمان.

قال (عليه السلام): « أفضل الأعمال أن لا تتهم الله تعالى في شيء قضي عليك »[1].

والمتعلق بأسباب الرزق قلبه جوال، ونفسه جشعة. وهو كالهمج في المزابل يطير من مزبلة إلى مزبلة، حتى يجمع أوساخ الدنيا، ثم يخلفها وراء ظهره، وينزع قابض الأرواح مخاليبه التي قد احتدت للقبض على حطام الدنيا. ويلقى الله تعالى بايمان سقيم دنسة وسخة، ويخاطبه ربه (عز وجل) في وقفته بين يديه: عبدي من كنت تعرف لنفسك رباً وإلهاً؟ فيقول له: إياك عرفت وبك آمنت. فيجيبه: أمن معرفتك إياي أو إيمانك بي كان يحل بك من خوف القوت والرزق ما عملك على أن عصيتني بأنواع المعصية لأجله، أشككت في ضماني أم اتهمتني، أم أسأت الظن بي؟

فمن فتح له طريق الهداية إلى الله تعالى، وعرف ربه (عز وجل) معرفة الموقنين، سقط عن قلبه هم الرزق وفكره، ولها عنه وشغله

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٥ : ٣١٨ باكبر من هذا ثنا حسن ثنا ابن لهيعه ثنا الحرث بن يزيد عن علي بن رباح أنه سمع جنادة بن أبي أمية يقول: سمعت عبادة بن الصامت يقول إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: وذكره.

عن ذلك خوف جلاله وعظمته، فكفي مؤنته. ومن لم يفتح له طريق الهداية، تعب قلبه بما يرد عليه من المخاوف، ونصب مما تتعاوره ظنون السوء بالله تعالى. وكل بدنه في السعي خلف زانية لا ترد يد لامس، تتزين وتتشوق، حتى إذا سبت القلب، ولت هاربة. والمسبي على أثرها كالواله. وهذا جزاء من أعرض عن الله تعالى وإحسانه وأياديه ومننه، وهل يجازى إلا الكفور المكب على جمع حطام الدنيا من بين شبهة وحرام وحلال، وقد عصى الله تعالى، وينفقها في شهواته ومناه، مضيعاً لحدود الله تعالى فيها، مسرفاً بطراً، يأخذون الدنيا على غفلة، ويخزنونها على تهمة، وينفقونها في نهمة، ولا يذكرون ما أمامهم من الصراط والعرض على الله تعالى، والسؤال. ونسوا وعيده الذي قدمه الله فقال: ﴿ **كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولي وجمع فأوعى** ﴾[1].

ومن قنعت نفسه بما أعطيت من الدنيا، ولم يرفع بما سواه رأساً، ورضيت في الأحوال بتدبير الله تعالى وحكمه، فقال له: ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي** ﴾[2].

وقال (عليه السلام): « من انقطع إلى الله، كفاه الله مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب ».

وقال (عليه السلام): « التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء »[3] وعن قيلة أخت بني النمار (رضي الله عنها) قالت:

---

(١) سورة المعارج آية رقم ١٥ ــ ١٨.

(٢) سورة الفجر آية رقم ٢٧ ــ ٣٠

(٣) الحديث رواه الترمذي في كتاب البيوع باب ٤ ما جاء في التجار وتسمية النبي ﷺ إياهم ١٢٠٩ عن سفيان عن أبي حمزة عن الحسن عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: =

كنت امرأة أشتري وأبيع في السوق، فقدم رسول الله ﷺ مكة، فأتيته وهو عند المروة، فقلت: يا رسول الله: إني امرأة أشتري وأبيع في السوق، فيأتيني الرجل يريد أن يشتري مني الشيء فأستام عليه بأكثر مما أريد أن أبيعه، فلا أزال أنقص وأنقص حتى أبيعه بالذي أريد، وكذلك في الشراء. قال: « فلا تفعلي يا قيلة، إذا أردت أن تبيعي شيئاً، فاستامي بالذي تريدين أن تبيعيه به، أعطيت أو منعت، وإذا أردت أن تشتري شيئاً، فاشتري بالذي تريدين أن تشتريه به، أعطيت أو منعت ».

وكان زاذان (رضي الله عنه) يبيع الكرابيس، وكان يسوم سومة واحدة، وكان إذا جاء المشتري، ناوله شر الطرفين.

= وذكره، وقال الترمذي: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الشورى عن أبي حمزة، وأبو حمزة اسمه: عبدالله بن جابر وهو شيخ بصري، وأخرجه ابن ماجة في التجارات ١ والدارمي في البيوع ٨.

الأصل الحادي والعشرون والمائة

في أن الروحانيين قراء أهل الجنة. وأن من استمع الى صوت غناء، لم يؤذن له أن يستمع أصواتهم

عن سهل ــ من ولد أبي موسى الأشعري ــ (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « من استمع إلى صوت غناء، لم يؤذن له أن يستمع الروحانيين في الجنة »[1]. فقيل: وما الروحانيون يا رسول الله؟ قال: قراء أهل الجنة.

وفي الجنة أئمة كالعرفاء، وهم الأنبياء (عليهم السلام) إذا صاروا إلى الله تعالى، فهم أمام القوم والسابقون إليه. وعرفاؤهم أهل القرآن الذين عرفوا به ههنا تلاوة له وعملاً به.

قال (عليه السلام): أهل القرآن عرفاء أهل الجنة وقراؤها، فيلذذون أهل الجنة بما يعطون من الأصوات، وحظ كل واحد منهم من الله

---

(١) هذا الحديث وأمثاله فيها مقال وإن كان أبو داود روى حديثاً في كتاب الأدب بسنده عن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يقول: (الغناء ينبت النفاق في القلب) وهنا الحديث رواه السيوطي في الجامع الصغير وقال رواه الحكيم الترمذي عن أبي موسى وأشار عليه بالضعف.

على قدر درجته. فمنهم من كانوا يفرحون في الدنيا بالعطاء مع نفوسهم، فهم كذلك في الجنة فرحهم بما يعطون في الجنة، فبه يتلذذون، وبه يفرحون. ومنهم من كانوا يفرحون بالله تعالى، فهم كذلك في الجنة فرحهم بالله تعالى. ودقت الجنة في جنب فرحهم بالله تعالى وهم الأولياء، ويسمون الروحانيين. فالروح الذي على قلوبهم شهرهم وحسن أصواتهم في الجنة، حتى يطربوا ويلذذوا أهل الجنان. وهذه الطبقة على ثلاثة أصناف: منهم من يكون الروح على قلوبهم، والفرح غالب عليهم ومثالهم في الملائكة هم المقربون. ومنهم من يكون الهول على قلوبهم، والأحزان غالب عليهم، ومثالهم في الملائكة الكروبيون. فالأول أهل روح من شأنهم التسبيح والتحميد والتقديس، فتح لهم من جماله وبهائه فانبسطوا وملكهم الفرح به. والثاني أهل كرب من شأنهم البكاء، فتح لهم من جلاله وعظمته فاكتأبوا وملكهم الكرب، ويقولون في تسبيحهم: سبحانك، ما لم تبلغه قلوبنا من خشيتك فاغفر لنا يوم نقمتك من أعدائك.

وإنما يأخذ كل واحد ما أعطي، وينظر إلى ما وضع بين يديه، وكشف له عنه، وفتح له من الغيب. فالكروبيون كربهم وأحزانهم من رؤية التقصير. والروحانيون شغلهم جماله عن الالتفات إلى أنفسهم وأعمالهم. فإذا ذكروها، لم تدعهم رؤية جماله إلا أن يحسنوا الظن به. فحسن الظن به غالب على رؤية التقصير، والفرح لهم به دائم، والروح على قلوبهم مترادف. وصنف ثالث أعلى من هذين قد جاوزوا هاتين الخطتين إلى وحدانيته فانفردوا به، فشغلتهم وحدانيته عن الجلال والجمال، فهم أمناء الله تعالى، وأعلامه في أرضه، وقواد دينه، وهم الذين قال (عليه السلام) لأبي جحيفة: « جالس الكبراء »، وهم الذين تكبروا في عظمة الله تعالى وجلاله، واعتزوا به وله.

والفرح على ثلاثة أضرب: فرح بالدنيا الدنية الزائلة. فقد خسر أهله،

وهو فرح الظالمين. قال الله تعالى: ﴿ **وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع** ﴾[1]

وقال في قصة قارون: ﴿ **لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين** ﴾[2].

وفرح بفضل الله تعالى ورحمته أن فضلهم بمعرفته والإيمان به، وهذا فرح المقتصدين الشاكرين. قال تعالى: ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾[3].

وفرح بالله تعالى حيث انتبهوا أنه ربهم في عظمته وجلاله ومجده وكبريائه وملكه وكرمه وغناه. وهذا فرح المقربين.

فالأول عبد ملكته دنياه فكان بها يفتخر ويصول، وبها يفرح.

ثم أفاق إفاقة فملكته نفسه بالعطايا التي وردت على قلبه، فكان بها يفتخر ويصول، وبها يفرح، ثم أفاق إفاقة فملكه الحق ليروضه ويؤدبه بين يديه حتى يصلح له. فإذا تمّت رياضة الحق له بباب الملك الأعلى، رفع الحجاب عن قلبه وأوصله إلى قربه، فكان بين يديه به يفتخر وبه يصول وبه يفرح. حتى إذا إطمأن على المقام، واعتاده وسكنت منه الأفراح والأهوال والدهشات من النظر إلى جلاله وجماله، قدمه إلى الوسيلة العظمى، والقربة الأوفى، فغرق قلبه في وحدانيته، فصار منفرداً به، مشغولاً عن جميع صفاته، فهو أمينه وواحد بين عبيده، فهو الذي إذا ناداه في أرضه: « يا واحدي »، يصدق في قوله. وهو الذي قال (عليه السلام): « سيروا فقد سبق المفردون » قالوا: يا رسول الله: ومن المفردون؟ قال: « الذين اهتروا في ذكر

---

(١) سورة الرعد آية رقم ٢٦.

(٢) سورة القصص آية رقم ٧٦.

(٣) سورة يونس آية رقم ٥٨.

الله، يأتون يوم القيامة خفافاً يضع الذكر عنهم أثقالهم »[1].

فالمهتر هو الذي خرف فذهب عقله. فإذا تكلم هتر في كلامه كأنه يهذي. والمفرد قد فرد قلبه للواحد في وحدانيته، وجاز من الجلال والجمال إلى وحدانيته، قد خمد نور عقله لنور وجهه الكريم، فصار كالواله في ذكره، كالذي يهذي؛ لأن من شأن العقل أن يقيم بك على الحدود والأشياء المقدرة المعلومة. فإذا خمد العقل، فقد ذهب عمله. فهو الذي اهتر في ذكر الله تعالى. فالمقتصدون يتعبدون بذكره، ويفرحون بفضله عليهم. والصديقون به يتنعمون، وبه يفرحون. فإذا أدخلوا الجنة، فهمة المقتصدين الوصول إلى ثوابه من المساكن والحور في الحجال. وهمة الصديقين وقصدهم قربهم إلى ربهم.

يروى أن الملائكة يأتون المؤمنين يوم القيامة فيقولون: يا أولياء الله انطلقوا. فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة. فيقولون: إنكم لتذهبون بنا إلى غير بغيتنا. فيقال لهم: ما بغيتكم ؟ فيقولون: المقعد الصدق مع الحبيب.

وقال (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿ **إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر** ﴾[2] أن أهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين، فيقرأ عليهم القرآن، وقد جلس كل آمرئ منهم مجلسه على منابر الدر والياقوت والزمرد والذهب والفضة بالأعمال. فلا تقر أعينهم قط، كما تقر بذلك، ولم يسمعوا شيئاً أعظم منه،

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الدعاء ٣٥٩٦ بسنده عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب

(٢) سورة القمر آية رقم ٥٥.

ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم قريرة أعينهم، ناعمين إلى مثلها من الغد.

فهؤلاء الروحانيون الذين ذكرهم رسول الله ﷺ أنهم قراء أهل الجنة. فمن استمع إلى صوت غناء في الدنيا ثم دخل الجنة، حرم أصواتهم.

الأصل الثاني والعشرون والمائة

في أن خير هذه الأمة أولها وآخرها استقامة

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « خير أمتي أولها وآخرها وفي وسطها الكدر ».

وفي رواية ابن عمر (رضي الله عنهما): « مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أو آخره »[1].

وعن عبد الرحمن بن سمرة (رضي الله عنه) قال: بعثني خالد ابن الوليد بشيراً إلى رسول الله ﷺ يوم مؤتة. فلما دخلت عليه قلت: يا رسول الله. فقال: على رسلك يا عبد الرحمن أخذ اللواء زيد بن حارثة، فقاتل زيد حتى قتل، رحم الله زيداً، ثم أخذ اللواء جعفر، فقاتل جعفر حتى قتل، رحم الله جعفراً، ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة، فقاتل فقتل، رحم الله عبدالله، ثم أخذ اللواء خالد ففتح الله لخالد، فخالد سيف من سيوف الله تعالى. فبكى أصحاب رسول الله ﷺ وهم حوله. فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: وما لنا لا نبكي وقد قتل

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الأمثال باب ٦، ٨٦٩، عن ثابت البناني عن أنس: قال رسول الله ﷺ: وذكره. قال وفي الباب عن عمار، وعبدالله بن عمرو وابن عمر، وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا. قال: « لا تبكوا فانما مثل أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها، فاجتثت رواكبها، وهيأ مساكنها، وحلق سعفها فأطعمت عاماً فوجاً، ثما عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً، ولعل آخرها طعماً يكون أجودها قنواناً، وأطولها شمراخاً، والذي بعثني بالحق نبياً ليجدن بن مريم في أمتي خلقاً من حواريه ». وفي رواية أخرى: ليدركن المسيح من هذه الأمة أقوام انهم لمثلكم أو خير منكم ثلاث مرات. ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها.

مَنَّ الله تعالى على هذه الأمة فقال تعالى: ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس...** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً...** ﴾[2] أي عدلاً لا يميل إلى إفراط ولا إلى نقصان. فالميزان لسانه في وسطه. وباستواء الطرفين والكفتين يستوي لسان الميزان، ويقوم الوزن. فجعلت أوائل هذه الأمة وأواخرها ككفتي الميزان، يستويان لأنهم يهدون بالحق، وبه يعدلون. وما بينهما من العوج كلسان الميزان، يستقيم باستواء الكفتين. فإنه إن مال الوسط إلى أي الجانبين، مال إلى ركن وثيق، فعم استواء الكفتين اعوجاج الوسط.

وقد جاء في الخبر أنه سيظهر العلم في آخر الزمان، ويقبل الناس على أمر الله تعالى حتى تتم حجة الله على عباده.

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١١٠.

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٤٣.

الأصل الثالث والعشرون والمائة

في شرائط الولاية

عن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن من أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ، ذو حظ من صلاته، أحسن عبادة ربه[1]. وكان غامضاً في الناس[2]. وكان رزقه كفافاً فصبر عليه فعجلت منيته، وقل تراثه، وقلت بواكيه »[3].

---

(١) عند الترمذي بزيادة [وأطاعه في السر].

(٢) عند الترمذي بزيادة [لا يشار اليه بالأصابع].

(٣) الحديث رواه الترمذي في كتاب الزهد باب ٣٥ ما جاء في الكفاف والصبر عليه، ٣٣٤٧ عن يحيى بن أيوب عن عبد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي امامة عن النبي ﷺ قال: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن، وفي الباب عن فضالة بن عبيد القاسم هذا هو ابن عبد الرحمن ويكنى أبا عبد الرحمن، ويقال أيضاً يكنى أبا عبد الملك وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن يزيد بن معاوية، وهو شامي ثقة، وعلي بن يزيد ضعيف الحديث ويكنى أبا عبد الملك ورواه ابن ماجة في الزهد ٤ باب من لا يؤبه له ٤١١٧ ـــ عن صدقة عن ابراهيم بن مرة عن أيوب بن سليمان عن أبي امامة عن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

في الزوائد: اسناده ضعيف لضعف أيوب بن سليمان، قال فيه أبو حاتم مجهول، وتبعه على ذلك الذهبي في الطبقات وغيرها، وصدقة بن عبدالله متفق على تضعيفه.

وقال (عليه السلام): هكذا ونقر باصبعه هكذا.

الولي من كتب الله له الولاية وجعل له حظاً. فبحظه من الله تعالى يقدر أن يتولاه. كما أن النبوة لمن كتب له النبوة وجعل له حظاً. فبحظه من الله تعالى قامت له النبوة. وبين الأنبياء (عليهم السلام) تفاوت في الدرجات. قال تعالى: ﴿ **ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض...** ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله...** ﴾[2] الآية. وهذه الآية نزلت في أبي عبيدة ابن الجراح[3] (رضي الله عنه) حين قتل أباه يوم بدر.

وقال عبد الرحمن بن أبي بكر[4] لأبيه (رضي الله عنهما) بعدما أسلم: يا أبت لقد أهدفت لي يوم بدر، فضفت عنك. فقال أبو بكر (رضي الله عنه): أما أنك لو أهدفت لي ما ضفت عنك.

وكتب الله لأهل الولاية ولايتهم وأيدهم بروح منه. فلا تأخذهم

---

(١) سورة الاسراء آية رقم ٥٥.

(٢) سورة المجادلة آية رقم ١١.

(٣) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي الأمير القائد، فاتح الديار الشامية، والصحابي، وأحد العشرة المبشرين بالجنة قال ابن عساكر: داهينا قريش أبو بكر وأبو عبيدة، وكان لقبه أمين الأمة، ولد بمكة ٤٠ ق ه وهو من السابقين الى الاسلام وشهد المشاهد كلها، وولاه عمر بن الخطاب قيادة الجيش الزاحف الى الشام توفي عام ١٨ هـ راجع طبقات ابن سعد والاصابة وحلية ١: ١٠٠

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق: يكنى أبا عبد الله، وام عبد الرحمن أم رومان بنت الحارث بن غنم الكنانية فهو شقيق عائشة ام المؤمنين ــ رضي الله عنها وشهد عبد الرحمن بدراً وأحدا مع قومه كافراً ودعا الى البراز مات بمكة قبل ان تتم البيعة ليزيد بن معاوية.

راجع الاستيعاب ٢ : ٨٢٤ ــ ٨٢٧

في الله لومة لائم، ولا حب ولد، ولا والد، ولا أهل، ولا تالد.

قال ابن عباس (رضي الله عنهما): لا ينال الرجل ولاية الله وإن كثرت صلاته وصيامه، حتى يحب في الله، ويبغض في الله، ويوالي في الله، ويعادي في الله.

فبين الأنبياء تفاوت في القلوب والدرجات. وكلهم أنبياء (عليهم السلام) فكذلك الأولياء بينهم تفاوت، وكلهم أولياء. فهذا الذي وصفه (عليه السلام) كأنه يحكي عن الله تعالى فقال: « إن من أغبط أوليائي عندي... » فالمغبوط من يقرب درجته من درجة الأنبياء علواً وارتفاعاً. « ... مؤمن خفيف الحاذ » مثل أويس القرني وأشباهه. وهذه صفة الظاهر، لا صفة الباطن.

وقد يكون من الأولياء من هو أرفع درجة، وذلك عبد قد ولي الله استعماله، فهو في قبضته يتقلب، به ينطق وبه يبصر، وبه يبطش، وبه يعقل ؛ شهره في أرضه، وجعله إمام خلقه وصاحب لواء الأولياء، وأمان أهل الأرض، ومنظر أهل السماء، وريحانة الجنان، وخاصة الله وموضع نظره، ومعدن سره، وسوط الله في أرضه، يؤدب به خلقه، ويحيي القلوب الميتة برؤيته، ويرد الخلق إلى طريقه، وينعش به حقوقه، مفتاح الهدى وسراج الأرض، وأمين صحيفة الأولياء وقائدهم، والقائم بالثناء على ربه بين يدي رسوله ﷺ، يباهي به الرسول ﷺ في ذلك الموقف، وينوه الله باسمه في ذلك المقام، ويقر عين الرسول به ﷺ، قد أخذ الله بقلبه أيام الدنيا، ونحله حكمته العليا، وأهدى إليه توحيده، ونزه طريقه عن رؤية النفس، وظل الهوى، وائتمنه على صحيفة الأولياء، وعرفه مقاماتهم، وأطلعه على منازلهم، فهو سيد النجباء، وصالح الحكماء، وشفاء الأدواء، وإمام الأطباء، كلامه قيد القلوب، ورؤيته شفاء النفوس، وإقباله قهر الأهواء، وقربه طهر الأدناس، فهو ربيع يزهر بنوره، وخريف يجتنى ثماره، وكهف يلجأ إليه، ومعدن

يؤمل ما لديه، وفصل بين الحق والباطل، وهو الصديق والفاروق، والولي والعارف، والمحدث واحد الله في أرضه.

قال (عليه السلام): يكون في هذه الأمة قلوب على قلب إبراهيم (عليه السلام) وهم صنف من البدلاء.

وقال في شأن هلال عبد المغيرة بن شعبة: هذا أحد السبعة الذين بهم تقوم الأرض، بل هو خير منهم.

روي أبو الدرداء (رضي الله عنه) قال: كنت مع رسول الله ﷺ فقال: « يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة »، فقام رسول الله ﷺ إلى الصلاة. قال أبو الدرداء (رضي الله عنه): فخرجت من ذلك الباب، فمضيت فنظرت هل أرى أحداً، فلم أر أحداً، فدخلت فيه فقعدت إلى رسول الله ﷺ فقال: « أما أنك لست به يا أبا الدرداء ». ثم جاء رجل حبشي فدخل من ذلك الباب وعليه جبة صوف فيها رقاع من ادم رام بطرفه إلى السماء حتى قام على رسول الله ﷺ فسلم عليه، فقال: كيف أنت يا هلال؟ فقال: بخير يا رسول الله، جعلك الله بخير. فقال (عليه السلام): ادع لنا يا هلال، واستغفر لنا. فقال: رضي الله عنك يا رسول الله وغفر لك. فقال أبو الدرداء: فقلت له: استغفر لي يا هلال، فأعرض عني. ثم عاودته الثانية، فأقبل على رسول الله ﷺ، ثم قال: أراض أنت عنه يا رسول الله؟ قال: نعم. قال: رضي الله عنك وغفر لك. ثم خرج وهو رام بطرفه إلى السماء، فقال أبو الدرداء: لقد رأيت عجباً يا رسول الله، لقد أقبل وهو رام بطرفه إلى السماء وما يقلع، ثم خرج وهو على ذلك، فقال (عليه السلام): « لئن قلت ذاك ان قلبه لمعلق بالعرش، أما أنه لم يبق فيكم أكثر من ثلاثة أيام ». فأحصيت الأيام، فلما كان اليوم الثالث وصلى رسول الله ﷺ الفجر، خرج من المسجد ونحن معه، فخرج يؤم دار المغيرة بن شعبة، فلقي المغيرة خارجاً من داره، فقال له:

آجرك الله يا مغيرة. قال: يا رسول الله: ما مات في دارنا الليلة أحد. قال: بلى، توفي هلال فالتمسه برسول الله ﷺ فوجده في ناحية الدار في إصطبل له، خاراً على وجهه، ساجداً ميتاً، فأمر أصحابه فاحتملوه، فولي أمره رسول الله ﷺ بنفسه حتى دفن، ثم أقبل على أبي الدرداء فقال: « يا أبا الدرداء أما إنه أحد السبعة الذين بهم كانت تقوم الأرض وبهم كنتم تستسقون المطر، بل هو خيرهم ».

فالصديقون أمان أهل الأرض، وهم خلفاء النبيين. لما خلت الأرض عن النبوة، شكت إلى الله تعالى وعجت، فقال: « سوف أجعل عليك أربعين صديقاً ». كلما مات واحد، بدل الله مكانه. والحظ هو أن فتح الله تعالى لعبده قلبه وقذف في صدره النور حتى ينخرق حجب الشهوات، ويضيء، فهو على نور من ربه، وجعل له طريقاً إليه، فذاك مبتدأ الحظ، فلا يزال يسير إليه، ويأتيه المدد من النور حتى يصل إليه، فيظهر على قلبه جلاله وعظمته، وجماله وبهاؤه، فلا يزال هناك حتى يصل إلى فرديته، فيصير والهاً به، مبهوتاً في وحدانيته. فهذا هو الحظ الوافر الباهر.

قال الله تعالى: ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾[1].

فالأنبياء (عليهم السلام) لهم حظ النبوة، والأولياء لهم حظ الولاية. قال تعالى: ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله** ﴾[2].

هم طائفة من المؤمنين، قد خصهم الله تعالى بالولاية، وعصمهم باليقين، ونور قلوبهم بالهداية. ولي الله تعالى منهم ذلك واجتباهم لنفسه،

---

(١) سورة العنكبوت آية رقم ٦٩.

(٢) سورة يونس آية رقم ٦٢.

فهم صنيعه وهم الذين ذكرهم الله تعالى: ﴿ **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** ﴾[1].

قال الضحاك (رحمه الله): أحسنه ما أمر الله تعالى النبيين من الطاعة. وقال (عليه السلام) في حديث جبرائيل (عليه السلام) حيث سأله عن الإحسان، ما الإحسان؟ فقال: أن تعبد الله كانك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك. قال: فإذا فعلت ذلك فأنا محسن؟ قال: نعم. قال: صدقت[2].

فمن عبد الله كأنه يراه، إستمع إلى القول فاتبع أحسنه، ونظر إلى الأمور فعمل بأحسنها.

---

(١) سورة الزمر آية رقم ١٨.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة ٦٤٩ ــ عن أبي حيان عن أبي زرعة، عن أبي هرير ة قال: كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل فقال يا رسول الله: وذكره ورواه الامام البخاري في كتاب الايمان ٣٧ والامام مسلم في الايمان ١ ــ ٥ ــ ٧ وأبو داود في السنة ١٦ والترمذي في الايمان ٤. والنسائي في الايمان ٥، ٦ واحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٠٧، ١٣٢ (حلبي).

الأصل الرابع والعشرون والمائة

في ضغطة القبر وعذابه

عن حذيفة (رضي الله عنه) قال: كنا في جنازة مع رسول الله ﷺ، فلما انتهينا إلى القبر، جلس (عليه السلام) على شفته وجعل ينظر ثم قال: « يضغط المؤمن في هذا ضغطة يزول منها حمائله ويملأ على الكافر ناراً »[1].

فالمؤمن من أشرق نور الإيمان في صدره، فباشر اللذات والشهوات، وهي من الأرض، والأرض مطيعة، وخلق الآدمي منها. وقد أخذ عليه العهد والميثاق في العبودة. فما نقض من وفاء العبودة، صارت واجدة عليه. فإذا وجدته في بطنها، ضمته ضمة ثم تدركه الرحمة فترحب عليه. وعلى قدر مجيء الرحمة يتخلص من الضمة. فإن كان محسناً، فإن رحمة الله قريب من المحسنين. فلم يكن للضمة لبث. وإن كان خارجاً عن حد المحسنين، يطول اللبث في الضمة حتى تدركه الرحمة. وهذا لأن المحسن توسع عليه الرحمة. وتلك الضمة ضمة الشفقة، لا ضمة السخطة؛ لأنه كان على ظهرها محسناً، وكانت مشتاقة إليه.

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٥ : ٤٠٧ ثنا موسى بن داود ثنا محمد بن جابر عن عمرو بن مرة عن أبي البحتري عن حذيفة قال: وذكره.

فلما وجدته في بطنها، ضمته كغائب وجد غائبه بعد الشوق إليه. والظالم المخلط يكون لضمته لبث حتى تدركه الرحمة. والكافر لا خلاق له من الرحمة، فيملأ عليه ناراً.

روى أبو هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إن المؤمن في قبره في روضة خضراء. يرحب له قبره سبعين ذراعاً، وينور له قبره مثل ليلة البدر. أتدرون فيم نزلت هذه الآية: ﴿ **فإن له معيشة ضنكاً** ﴾؟[1] قال: عذاب القبر. والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً. أتدرون ما التنين؟ تسعة وتسعون حية. لكل حية منها تسعة رؤوس ينفخن في جسمه ويلسعنه ويخدشنه إلى يوم يبعثون[1].

وهذا لأن من عاد من بني آدم إلى الأرض بعد الموت، وقد وضع الله تعالى وزره، فلا سبيل للأرض عليه؛ لأنه نفسه قد طهرت من الدنس. فإذا عاد جسده إلى الأرض التي منها ابتدئت مع نور الإيمان ونور الطاعات، فذاك جسد أشرف وأعظم خطراً من أن تضمه الأرض وتضغطه. فإن هذا الجسد صار في مرتبة أعظم من مرتبة الأرض من منن الله تعالى فيها. وطاعته لا تشبه طاعة الأرض؛ لأن نفس الأرض مجبورة ونفس الآدمي مفتونة بالشهوات. فليست طاعة شيء من خلق الله تشبه طاعة الآدمي؛ لأنه يخرجه من بين شهوات ووساوس وعجائب.

---

(١) سورة طه آية رقم ١٢٤.

(٢) الحديث رواه مختصراً الامام أحمد في المسند ٣ : ٣٨ ثنا سعيد ابن أبي أيوب قال: سمعت أبا السمح يقول سمعت أبا الهيثم يقول: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: قال رسول الله ﷺ. وذكره ورواه الترمذي في كتاب صنعة القيامة ٢٤٦٠ بسنده عن أبي سعيد مطولاً وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه، مع اختلاف في الألفاظ.

وما روي عن ابن عمر (رضي الله عنهما) في شأن سعد بن معاذ (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ دخل قبره فاحتبس. فقالوا: ما حبسك يا رسول الله؟ قال: ضم سعد في القبر ضمة، فدعوت الله أن يكشف عنه.

وفي رواية أخرى: جلس على القبر فقال: لا إله إلا الله، سبحان الله، هذا العبد الصالح، لقد ضيق عليه قبره حتى خشيت أن لا يوسع عليه، ثم وسع عليه[1].

وروي في الخبر أنه سئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: كان يقصر في بعض الطهور من البول.

فإن القوم من ابتداء الإسلام يتمسحون بالحجارة والتراب. فلما نزل قوله تعالى: ﴿ **رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين...** ﴾[2] فشا فيهم الطهور. فمنهم من كان يستنجي. ومنهم من كان يتطهر بالماء. وليس الاستنجاء بذنب عندهم ولا خطيئة فيحاسبون في قبورهم. فمن ورد اللحد مع التقصير، نالته ضمة الأرض كما نالت سعداً مع عظم قدره، فكانت ضمة، ثم فرج عنه.

قال حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه): في القبر حساب وفي الآخرة حساب. فمن حوسب في القبر، لم يعذب في الآخرة.

وعن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « اتقوا البول فإنه من أول ما يحاسب به العبد في القبر »[3].

---

(١) سيأتي تخريج هذا الحديث والذي قبله قريباً من هذا

(٢) سورة التوبة آية رقم ١٠٨.

(٣) الحديث عند ابن ماجة في كتاب الطهارة ٢٥ عن البول في الماء الراكد ٣٤٨ عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ولفظه: اكثر عذاب القبر من البول ٣٠ في الزوائد: اسناده صحيح وله شواهد.

وروي أنه لما توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ، خرج رسول الله ﷺ إلى جنازتها. قال: فكأنما يسفي على وجه رسول الله ﷺ الرماد. فلما دفنت، ذهب عنه بعض ذلك. فقالوا: يا رسول الله، لا نزال نرى في وجهك ما نكرهه. قال: إني ذكرت ضعفها وضغطة القبر فعفي لي عنها. ولقد ضغطت ضغطة سمع كل شيء [صوتها] إلا الثقلين.

وقال (عليه السلام): لو أفلت أحد من فتنة القبر أو ضمه، لنجا سعد. ولقد ضم ضمة، ثم أرخي عليه[1].

وهذا لأهل الاستقامة يكون من التقصير، ثم رفع عنهم لأن الحق يقتضي حقه ثم تجيئه الرحمة فتكشف عنه.

فأما الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) فليس لهم ضمة ولا سؤال؛ لأنهم بحظهم من ربهم امتنعوا من ذلك وتخلصوا، فان على قلوبهم من جلال الله تعالى وعظمته ما إذا وردوا اللحود، تهابهم اللحود من جلالتهم.

قال (عليه السلام): « من هاب الله تعالى، أهاب الله منه كل شيء ». وقال (عليه السلام): « من اتقي الله، أهاب الله (عز وجل) منه كل شيء. ومن لم يتق الله، أهابه الله من كل شيء »[2].

وقال (عليه السلام): « لو عرفتم الله تعالى حق معرفته، لزالت بدعائكم الجبال ».

---

(١) الحديث رواه أحمد عن نافع عن عائشة، وعن نافع عن انسان عن عائشة قال صاحب مجمع الزوائد: وكلا الطريقين رجالها رجال الصحيح.

(٢) الحديث رواه السيوطي في الجامع الصغير، وقال أخرجه الحكيم الترمذي عن واثلة واشار على الحديث بالضعف

وقرأ ابن مسعود (رضي الله عنه) على مصاب: ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً...** ﴾[1] الآية. فبرأ. فقال (عليه السلام): « لو قرأها موقن على جبل لزال ». وهذا لأن القلب إذا كان له حظ من السلطان والهيبة والجلال، نفذ قوله وفعله. فمن نور الله قلبه باليقين، وفتح على قلبه من جلاله وعظمته وسلطانه، هابه كل من رآه.

ومن ههنا قال ابن عباس (رضي الله عنهما): والله لدرة عمر كانت أهيب في صدور الناس من سيوف غيره.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يهابونه. وإذا أرادوا أن يكلموه بشيء، رفعوا ذلك إلى بنته حفصة (رضي الله عنها) هيبة له.

وعن نافع قال: خرج عنق نار من حمرة النار، لا تمر على شيء إلا أحرقته، فاتى عمر (رضي الله عنه) فأخبر بها، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس أطفئوها بالصدقة. فجاء عبد الرحمن ابن عوف بأربعة آلاف دينار، فقال عمر: ماذا صنعت حصرت الناس. فتصدق الناس. فأتى عمر (رضي الله عنه) فقالوا له: قد طفئت. فقال: لو لم تفعل لذهبت حتى أنزل عليها. وزلزلت المدينة على عهد عمر (رضي الله عنه) حتى اصطفقت السرر. فقام عمر (رضي الله عنه) على المنبر فقال: أيها الناس: ما هذا؟ ما أسرع ما أحدثتم. قال: فسكنت. فقال: لئن عادت لا أساكنكم فيها. وكان رسول الله ﷺ مع طلاقته وبشاشته إلى أصحابه ورحمته وعطفه على الأمة يهابه الخلق كأنما على رءوسهم الطير. حتى كانوا يغتنمون أن يجيئهم أحد من البادية في جفائه فيسأله عن بعض الأمر. وقال لرجل جلس عنده فأخذته الرعدة، فقال: هون عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد[2].

---

(١) سورة المؤمنون آية رقم ١١٥.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الأطعمة باب القدير ٣٣١٢ بسنده عن أبي مسعود =

فإذا كان هذا حال المؤمن على ظهر الأرض فكيف يجوز أن تضمه؟

عن عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: إن المؤمن إذا مات، تجملت المقابر لموته. فليس منها بقعة إلا وهي تتمنى أن يدفن فيها. فإذا دفن في البقعة التي قضى الله أن يدفن فيها، دخل عليه ملكا الرحمة فأجلساه، ثم سألاه، فقال أحدهما للآخر: أرفق بولي الله فانه نجا من هول شديد. ثم يسأله عن الرب، فعظم إجلاله فأخبره بعظمته. ثم يسأله عن نبي الله، فصلى عليه وأثنى عليه. وان الأرض تزينت له فقالت: رب مني خلقته، وفيّ أعدته، ومني تبعثه للحساب، فاذن لي حتى أدخل على عبدك فلان. فأمر الله الأرض فتزينت في صورة لم تر الأعين مثلها، ودخلت على من هو أحسن منها. فقالت له حين دخلت عليه: ما أحسن وجهك وأطول نعمك وأفسح مضجعك. فقال لها: ومن رآك في هذه الصورة فليحسن وجهه وليطل نعمه وليفسح مضجعه. فقالت له: أنت مني خلقت، وعلي أعدت، وفي أكرمت. وخرجت من عنده. فكان ابن آدم ناعماً حتى يبعث أولياء الله تعالى، لم يذق عذاب القبر، ويبعث مبياض وجهه حتى يبلغ الجنة، فتلقاه الملائكة فيقولون: سلام عليكم هذا بشراك الذي كنت توعد.

عن أبي الحجاج الثمالي (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: يقول القبر للميت حين يوضع فيه: ويحك يا ابن آدم ما غرك بي، ألم تعلم أني بيت الظلمة، وبيت الفتنة، وبيت الوحدة، وبيت الدود، ما غرك بي إذ كنت تمر بي فداداً. قال: فإن كان مصلحاً، أجاب

= قال: أتى النبي ـــ ﷺ رجل فكلمه فجعل تردع فرائصه فقال له: وذكره وفيه زيادة [فإني لست بملك] في الزوائد: هذا اسناد صحيح ورجاله ثقات وقال السيوطي: قال ابن عساكر: هذا الحديث معدود في أفراد ابن ماجة وقد استغربه حجاج ابن الشاعر وأشار على اسماعيل أن لا يحدث به إلا مرة في السنة لغرابته.

عنه مجيب القبر فيقول: أرأيت ان كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. فيقول: اني إذاً أعود إليه خضراً، ويعود جسده عليه نوراً وتصعد روحه إلى رب العالمين.

الأصل الخامس والعشرون والمائة

في أن سعادة ابن آدم الاستخارة والرضي بالقضاء

عن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « من سعادة ابن آدم استخارته ربه. ومن سعادة ابن آدم رضاه بقضاء الله تعالى »[1]. الاستخارة في الأمور لمن ترك التدبير في أمره، وفوضه إلى ولي الأمور الذي دبر له ذلك وقدره قبل أن يخلقه.

قال الله تعالى لداود (عليه السلام): تريد وأريد ويكون ما أريد. فإذا أردت ما أريد، كفيتك ما تريد، ويكون ما أريد. وإذا أردت غير ما أريد، عنيتك فيما تريد، ويكون ما أريد.

وسئل بعض السلف (رحمهم الله تعالى): بم تعرف ربك؟ قال: بفسخ العزم. فالآدمي يفكر ويدبر ويعزم، وتدبير الله تعالى من ورائه بإبطال ذلك. وتكون تلك الأمور على غير ما فكر ودبر. فأهل اليقين

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب القدر باب ١٥ ما جاء في الرضا بالقضاء ٢١٥١ عن محمد بن أبي حميد عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن سعد قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن أبي حميد ويقال له أيضاً حماد بن أبي حميد وهو أبو ابراهيم المدني وليس بالقوي عند أهل الحديث. ورواه أحمد بن حنبل في المسند ١ : ١٦٨ (حلبي).

والبصائر والتفويض لما علموا علم اليقين أن إرادتهم تبطل عند إرادته، رموا بإرادتهم وفكرهم، وأقبلوا عليه يراقبون تدبيره، وينتظرون حكمه في الأمور. فإذا نابهم أمر، قالوا: « اللهم خر لنا ». فهذا من سعادته. فإذا خار الله له، رضي بذلك وافقه أو لم يوافقه. والآخر ترك الاستخارة. فإذا حل به تدبيره وقضاؤه، سخط وضاق به ذرعاً وخنق نفسه، ولا يزداد إلا اختناقاً. وقد صار الوهن في عنقه.

ومن سنة الاستخارة ما روي جابر (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن. يقول: إذا هم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: « اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم. فانك تقدر ولا أقدر. وتعلم ولا أعلم. وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي، ومعاشي، ومعادي، وعاقبة أمري ــ أو قال: عاجل أمري وآجله ــ فاقدره لي، ويسره لي، وبارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني، ودنياي، ومعاشي، ومعادي، وعاقبة أمري، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ورضني به. وتسمي حاجتك باسمها »[1].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ٤٨ باب الدعاء عند الاستخارة ٦٣٨٢ عن محمد بن المنكدر عن جابر ــ رضي الله عنه ــ قال: وذكره، وخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي الموال وهو مدني ثقة روى عنه غير واحد، وفي الباب عن ابن مسعود وأبي أيوب وجاء عن أبي سعيد، وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر، فحديث ابن مسعود أخرجه الطبراني وصححه الحاكم، وحديث أبي أيوب أخرجه الطبراني، وصححه ابن حبان والحاكم، وحديث أبي سعيد، وأبي هريرة أخرجهما ابن حبان في صحيحه، وحديث ابن عمر وابن عباس حديث واحد أخرجه الطبراني من طريق ابراهيم بن أبي عن عبلة عن عطاء عنهما وليس في شيء منها ذكر الصلاة سوى حديث جابر.

فان قيل: هذا رضاه بالمقدور من المضار والمنافع في الدنيا، فكيف يكون رضاه بالمقدور من المعاصي؟ قيل له: رضاه بتقدير الله تعالى وسخطه على نفسه بارادتها وعلى جوارحه في حركاتها فيما لم يؤذن له فيه، وتقديره محمود عليه لأنه لم يظلمك. ومن هو منزَّه عن الظلم فمحمود في جميع شأنه. وقد اتخذ عليك الحجة البالغة بما أعطاك من العلم والعقل والهدى والبيان. ولم يوجب لك على نفسه العصمة. إن شاء، عصم. وإن شاء، خذل. فارض بتقديره ولا تسخط عليه، واسخط على نفسك الجائرة. ومعنى تقدير الله تعالى إبراز علمه في عبده من الغيب. فقد علم ما يعمل هذا العبد فابرز علمه.

الأصل السادس والعشرون والمائة

في أن الندم التوبة

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: « الندم التوبة »[1].

وعن أنس (رضي الله عنه) مثله.

الندم العزم على أن لا يعود. ومعناه إقامة القلب بين يدي الرب (جل جلاله). لأن العبد بايع ربه أن يكون بين يديه. وما دام بين يديه، فهو مطيع له. فإذا أقبل على عمل غيره، فقد أعرض عنه وتولى. فإذا انتبه من نومته أو أفاق من سكرته، انقلب راجعاً إلى مولاه، فوقف بين يديه عازماً على أن لا يبرح. فتلك الإقامة تسمى ندماً. ومنه سمي النديم؛ لأنه مداوم على مجالسته. ويقال: مدن الرجل بأرض كذا، إذا أقام بها. ومنه سميت المدينة؛ لإقامة الناس بها واتخاذها وطناً بحيث

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم عن أبي سعيد الأنصاري مرفوعاً بزيادة: والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وسنده ضعيف، ورواه ابن ماجة عن مغفل قال: دخلت مع أبي علي ابن مسعود، فسمعته يقول قال رسول الله ﷺ: الندم توبة، فقال له: إني سمعت النبي ﷺ يقوم: الندم توبة، قال: نعم واخرجه أحمد وابن ماجة، وآخرون عن ابن مسعود، وفي سنده خلاف.

لا يبرحون عنها. فإذا كانت الإقامة بالبدن، قيل مدن. وإذا كان بالقلب بين يدي الله تعالى، قيل ندم. فقدم الميم وأخر النون هناك، وقدم النون وأخر الميم ههنا. وهو ذلك العزم الذي يعزم للإقامة بين يدي الله تعالى مطيعاً. والتوبة الرجعة إلى الله تعالى، وهو أن يعطي من جوارحه لله تعالى ما يأمر به، حتى يقيم العبودة التي لأجلها خلق. فإذا أذنب، فقد منع الله تعالى من جوارحه العبودة، فليس بمطيع. والمؤمنون في أحوالهم على ضربين:

ضرب منهم سكارى، وقد أسكرتهم شهوات نفوسهم عن الله تعالى، وحالت تلك الشهوات بين قلوبهم وبين العقل، فلا يبصرون قبح ما يأتون؛ لأن معدن العقل في الدماغ، وعلى القلب تدبيره. فبذلك النور الذي على القلب من العقل يبصر محاسن الأمور ومشانيها. فجاءت هذه الشهوات فسدت طريق العقل فسكر. وضرب آخر قد أفاقوا من سكرتهم بعمل النور الوارد على قلوبهم، فأبصروا الوعد والوعيد، فذهبَ سد الطريق، فهم على معاينة من الجنة والنار، إلا أنهم نيام عن الله تعالى، وهم المقتصدون أهل الاستقامة، مطيعون لله تعالى، حافظون لحدوده. ولكن لنومته عن الله إن أطاع وعمل أعمال البرّ، استكثر ذاك من نفسه. وإن تورع عن الذنب، كبر في صدره فعله، ويرى أنه عمل شيئاً عظيماً، ولم ير أنه غريق في نعم الله تعالى ومننه وتتابع إحسانه. فإذا أفاق الضرب الأول من سكرته وانتبه الآخر من نومته، فر إلى الله راجعاً إلى الكون بين يديه، فعزم على أن لا يبرح. فذلكَ العزم هو الذي أشار إليه رسول الله ﷺ أنه توبة؛ لأنه باطن فيما بينه وبين الله تعالى، ولم يظهره بلسانه. والاستغفار سؤال العبد ربه أن يستره بعد ذلك. فانه لما برح من بين يديه وترك مقامه فأخل بمركزه، انحطت درجته وبعد من ربه وخرج من ستره وتعرى. فلما رجع بندمه إليه عارياً، استحيى منه ومن خليقته، فأمر أن يسأل ربه المغفرة، أي الغطاء والستر. فاذا قال: اغفر لي، أي غطني واسترني، فاني خرجت من

سترك، وبقيت عارياً بين يديك، تنظر إليّ ملائكتك وسماؤك وأرضك، ولم يكن أحد يسترني غيرك. وهو مضطر لا يجد أحداً يستره عليه، فستره الله تعالى وغفره. قال الله تعالى: ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء...** ﴾[1].

وقال: ﴿ **ومن يغفر الذنوب إلا الله...** ﴾[2].

فهذا عزم أهل اليقين وتوبتهم. فمن فهم ذلك فله حظه. ومن لم يفهم مر على الظاهر كما وجد، وقيل له: التوبة والاستغفار باللسان، والندم بالقلب، والإقلاع بالبدن، والاضمار على أن يعود.

---

(١) سورة النمل آية رقم ٦٢.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٣٥.

الأصل السابع والعشرون والمائة

في بيان أن الدعاء لم صار مخ العبادة؟

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « الدعاء مخ العبادة »[1].

إنما صار مخاً لها؛ لأنه تبرؤ من الحول والقوة واعتراف بأن الأشياء كلها له، وتسليم إليه إن كان رزقاً أو عافية، أو نوالاً أو دفع عقاب. فمنه إذا سأله فقد تبرأ من الاقتدار والتملك والحول والقوة. والدعاء سؤال حاجة وافتقار. فإنما يظهر على القلب ثم على اللسان. فما على القلب يسمى عبودة. وما على اللسان عبادة.

وعن كعب (رضي الله عنه) قال: قال الله تعالى لموسى: يا موسى: قل للمؤمنين لا يستعجلوني إذا دعوني، ولا يبخلوني، أليس يعلمون أني أبغض البخل، فكيف أكون بخيلاً، يا موسى: لا تخف من أن تسألني عظيماً، ولا تستحي أن تسألني صغيراً، اطلب اليّ العلف لشاتك، يا موسى: أما علمت أني خلقت الخردلة فما فوقها، وأني لم أخلق

(١) الحديث رواه الترمذي في الدعوات باب ١ ما جاء في فضل الدعاء ٣٣٧١ عن ابن لهيعة عن عبيدالله بن أبي جعفر عن أبان بن صالح عن أنس بن مالك ـــ عن النبي ﷺ قال: وذكره.

شيئاً إلا وقد علمت أن الخلق يحتاجون إليه. فمن سألني مسألة وهو يعلم أني قادر أعطي وأمنع، أعطيته مسألته مع المغفرة. فإن حمدني حين أعطيه وحين أمنعه، أسكنه دار الحامدين، وأيما عبد لا يسألني مسألة ثم أعطيه، كان أشد عليه عند الحساب، ثم إذا أعطيته ولم يشكرني، عذبته عند الحساب.

وقال عروة بن الزبير (رضي الله عنه): إني لأسأل الله تعالى حوائجي في صلاتي، حتى الملح لأهلي.

وكان محمد بن المنكدر (رضي الله عنه) يقول في دعائه: اللهم قو ذكري فان فيه منفعة لأهلي. سأل القوة في ذلك للخروج من حق الزوجة؛ لأن المرأة نهمتها في الرجال. فإذا لهي عن حاجتها، فهو مسئول عن ذلك. وما سأل لقضاء نهمة نفسه.

الأصل الثامن والعشرون والمائة

في تلاقي الأرواح في الدنيا

عن عبدالله بن عمرو (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ قال: « إن أرواح المؤمنين لتتلاقى على مسيرة يوم وما رأى صاحبه قط »[1].

الأرواح شأنها عجيب. وهي خفيفة سماوية. وإنما ثقلت إذا اشتملت النفس عليها بظلمة شهواتها. وإذا ريضت النفس، وتخلص الروح منها، وصفا من كدورتها، عادت إلى خفتها وطهارتها، وكان لها شأن لا يؤمن به إلا كل مؤمن قلبه بالله مطمئن. ومن ههنا قال عمر (رضي الله عنه) لأبي مسلم الخولاني حين ورد المدينة بعدما ألقي في النار، فلقيه عمر (رضي الله عنه) فقال: أنشدك بالله أنت عبدالله بن توسي الذي حرقه الكذاب صاحب صنعاء؟ قال: اللهم نعم. فاعتنقه عمر (رضي الله عنه).

ومثله ما يروى أن الحارث بن عميرة أتى باب سلمان (رضي

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٢ : ١٧٥ ثنا حسن ابن لهيعة ثنا دراج عن عيسى ابن هلال الصدفي عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ: وذكره.

الله عنه) فخرج إليه فقال: أما تعرفني يا أبا عبدالله؟ قال: نعم، عرف روحي روحك قبل أن أعرفك.

ومثله قول أويس لهرم حيث قال له: السلام عليك يا أويس. قال: وعليك السلام يا هرم بن حيان. قال: ومن أين علمت رحمك الله أني هرم بن حيان؟ قال: « عرف روحي روحك ». وإن الأرواح خلقت قبل الأجساد بألفي عام. فتشامت كما تشام الخيل. وهذا لأن بصر الروح متصل ببصر العقل في عين الإنسان. فالعين جارحة والبصر من الروح. وإدراك الألوان من بينهما. فإذا تفرغ العقل والروح من اشتغال النفس، أبصر الروح وأدرك العقل ما أبصر الروح، فعلم. وإنما عجزت العامة عن هذا لشغل الأرواح بالنفوس واشتباك الشهوات بها، فيشغل بصر الروح عن درك هذه الأشياء. ولهذا قال ﷺ: « يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة »[1] فاطلع جرير.

وقوله (عليه السلام): « إن أرواح المؤمنين لتتلاقى » أراد بذلك المؤمن المستكمل لحقائقه الذي قد شرح الله صدره للإسلام، فهو على نور من ربه، ليس الموحد الذي أقبل على شهواته، وتشاغل عن عبودته حتى خلط على نفسه الأمور، قلبه مأسور، وروحه مشغول، ونفسه مفتونة، فكيف يبصر أو يعقل؟.

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ١ : ١٦٩ ثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أبنائنا عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ أتى بقصعة فأكل منها ففضلت فضلة فقال رسول الله ﷺ: وذكره.

الأصل التاسع والعشرون والمائة

في أن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: « لكل أمة أمين. وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح »[1].

فالأمانة ترك الأشياء في مواضعها كما وضعت، وإنزالها حيث أنزلت. وقد جعل الله تعالى الدنيا ممراً، والآخرة مقراً، والروح عارية، والرزق بلغة، والمعاش حجة، والفضول بلوى ووديعة، والسعي جزاء، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. وخلق الخلق في ظهر آدم (عليه السلام) واستخرجهم ولهم بين يديه مقام قررهم بالعبودة، وقلدهم إياها، وأخذ عليهم العهد والميثاق، ثم نقلهم من الأصلاب إلى الأرحام، ومن الأرحام إلى الدنيا، ومن الدنيا إلى اللحود، ومن اللحود إلى النشور، ومن المنشر

---

(١) الحديث رواه الامام البخاري في كتاب فضائل الصحابة ٢١ باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح ــ رضي الله عنه ــ ٣٧٤٤ ــ حدثنا خالد عن أبي قلابة حدثني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

ورواه الترمذي في كتاب المناقب باب ٣٣ مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي عبيدة بن الجراح ٣٧٩١ بسنده عن أبي قلابة عن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ: وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ورواه ابن ماجة في المقدمة ١١ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ١٨، ١٣ : ١٢٥ (حلبي).

إلى المحشر، ومن المحشر إلى الصراط، ومن الصراط إلى مقام العرض. والسؤال من الوقت الذي بلغ الحلم إلى وقت فراقه من الدنيا. وخلق الليل والنهار ليركضا بالخلق إليه دءوباً. فالأمين استقرّت نفسه، فأبصر هذه الأشياء ببصيرة نفسه على هيئتها التي خلقت. وإنما تبصر إذا سكنت واستقرت واطمأنت إلى خالقها. فقد صارت أمينة لا تخون. وأما إذا كانت في العدو والالتفات إلى أحواله يمنة ويسرة وفيها شهوة ولها أخلاق رديئة دنيئة مفرطة لأمر الله عجولة في مهواها، تشبثت بمخاليبها في دنياها لما وجدت من اللذة وقضاء النهمة، عميت عن أنها دار ممر، وألهتها عن أن تذكر دار المقر، وشغفت بالحياة فنسيت عن أن تذكر الروح. وكونها عارية وطلبت المعاش حرصاً لتجمع الكثيرة عدة لنهماتها، وتناولت الرزق على قضاء شهواتها، ولهت عن السعي، ورفعت بالها عنها، ونسيت أنها تحتاج إلى سعي منها مع ركض الليل والنهار سعياً يصلح في ذلك الموقف العظيم في صفوف الملائكة والأنبياء والمرسلين وعباده الصالحين. وإنما جاءت هذه الفتنة من قبل النفس. فإذا كانت ساكنة الطبع، مطمئنة الفطرة، ميتة الشهوات، وجدتها كريمة حرة، ووجدت أخلاقها مستوية، فأبصر القلب الأشياء على هيئتها التي خلقت، وصار ذا أمانة إذ ليس هناك ما يظلم الصدر ويحجب النور عن إشراقه. ولهذا قال (عليه السلام): « ما من أحد من أصحابي إلا لو شئت عبت عليه في خلقه غير أبي عبيدة بن الجراح ».

الأصل المائة والثلاثون

في الاعتبار بكل شيء والاتعاظ بكل شيء

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « نعم البيت يدخله الرجل المسلم بيت الحمام؛ وذلك إذا دخله سأل الله تعالى الجنة واستعاذه من النار. وبئس البيت يدخله الرجل المسلم بيت العروس؛ وذلك لأنه يرغبه في الدنيا وينسيه الآخرة »[1].

وهذا لأهل الغفلة. فأما أهل اليقين قد صارت الآخرة نصب أعينهم. لا بيت الحمام يزعجه، ولا بيت العروس يستفزه. لقد دقت الدنيا بما فيها في جنب الآخرة حتى أن جميع الدنيا في أعينهم كنثارة الطعام من مائدة عظيمة، وجميع شدائدها في أعينهم كتفلة عوقب بها محرم استوجب القتل. فلم يحتاجوا إلى الاتعاظ والاعتبار بالحمام، وعمل على قلوبهم شأن كرمه وجوده ومجده وبره بعباده، فأنساهم كل نعيم وبؤس. فأما أهل الغفلة فيحتاجون إلى كل شيء من الدنيا أن يتعظوا

---

(١) هناك أحاديث كثيرة تذم الحمامات، وتنهى عن دخول الرجال والنساء فيها ثم بعد ذلك رخص الرسول ــ ﷺ للرجال. وروى ابن المنذر عن علي قال: « بئس البيت الحمام ينزع فيه الحياء، ولا يقرأ فيه آية من كتاب الله» وقد روى البخاري في كتاب الوضوء قال منصور عن ابراهيم: لا بأس بالقراءة في الحمام. والله أعلم

منها ويعتبروا بها. فإذا رأى بقعة حامية ذات بخار وماء حميم، ومرة هائجة تذكره الآخرة و عجائبها ودار العقاب وفنون عذابها. وإذا عاين بقعة مزينة بزينة الدنيا، منجدة بمتاع غرورها، مشرقة بحطامها، مغشوشة بأفراح خدعها، تمنيه نفسه وترغبه في ذلك، وأنسته الآخرة لعاجل ما يجد من اللذة والشهوة. ودخول الحمام الذي ذكره رسول الله ﷺ. فمن دخله متأدباً بأدب الله تعالى، مستتراً طالباً لخلوة أو غاضاً بصره، لا يرى عورة ولا يرى له.

وقد جاء عنه (عليه السلام) ما يحذر ذلك ويؤدب، وإن كان خالياً: اتقوا بيتاً يقال له الحمام. قيل: يا رسول الله: إنه يذهب الوسخ ويذكر النار. فقال: إن كنتم لا بد فاعلين فادخلوه مستترين[1].

وعن معاوية القشيري (رضي الله عنه)، قلت: يا رسول الله: عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: إحفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك. قلت: يا رسول الله: فإذا كان أحدنا خالياً. قال: فالله أحق أن يستحيي منه[1].

---

(١) الحديث رواه الحاكم في المستدرك كتاب الأدب ٢٨٨ ثنا عبد العزيز بن يحيى ثنا محمد ابن سلمة، عن محمد بن اسحاق عن ابن طاؤس، وعن أيوب السختياني عن طاؤس عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي عليه.

(٢) سبق الحديث عن هذا الخبر قريباً من هذا.

الأصل الحادي والثلاثون والمائة

في أن الهدية خلق من خلق الإنسان

عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: أتيت رسول الله ﷺ بقناع من رطب واجر زغب، فأعطاني ملء كفه حلياً أو ذهباً. فقال: تحلي بهذه يا بنية[1].

القناع الطبق. وكل شيء أقنع أي ارتفع من الأرض. وأجر واحدة جرو وهو القثاء أول ما يدرك، وهو الذي له زغب كهيئة زئبر الثوب. فالهدية خلق من خلق الإنسان، عليه دلت الرسل وإليه ندبت لائتلاف القلوب، ولنفي سخائم الصدور. فإن ابن آدم مقسوم على ثلاثة أجزاء: القلب بما فيه من الإيمان، والروح بما فيه من الطاعة، والنفس بما فيه من الشهوة. فالإيمان يدعو إلى الله، والروح تدعو إلى الطاعة، والنفس تدعو إلى البر واللطف والنوال. فكانت القلوب تأتلف بالإيمان، والأرواح بالطاعات، وحظ النفس باقية. فإذا تهادوا، تمت الألفة، ولم تبق هناك حزازة. وكان (عليه السلام) جواداً يقبل الهدية ويكافئ من وجده بأمثالها. والربيع كانت ممن قتل أبوها يوم بدر. وكان (عليه

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٦: ٣٥٩ ثنا وكيع عن شريك عن ابن عقيل عن الربيع بنت معوذ قالت: أتيت النبي ــ ﷺ ــ وذكره، وفيه زيادة [واكتسى بهذا]

السلام) يبرها ويكرم أحوالها، فوافقت هديته سعة الوجد منه. وكان قلبه واسعاً وأعطاها ملء الكف ذهباً؛ ليعلم من بلغه ذلك ومن عاينه أن لا قدر للدنيا عنده، ولأن للبر أثقالاً. فالكريم لا يكاد يتخلص من تلك الأثقال إلا بأضعاف ذلك البر. فإذا ضاعف في المكافأة، انحطت عنه أثقال بره وذهب عنه وجل نفسه.

وقوله (عليه السلام): « تحلي بها يا بنية » رخصة لها في الحلية، وأنها حق، وأنه يجوز أن يقال لولد غيره: يا بني. والمكافأة حق من الحقوق. وكل أحد يكافئ على قدره من خلقه وسعته. ولم يكن يخلو في ذلك الوقت بالمدينة من فقير وذي حاجة من أصحابه. ولكنه كان يعطي على نوائب الحق. فرأى هذا حقاً فأعطاه.

قال وهب (رضي الله عنه): ترك المكافأة من التطفيف.

ناول شاب الليث بن سعد (رضوان الله عليهم أجمعين) اترنج باكورة، فأمره أن يعطى ديناراً. وكان الأسخياء يفعلون مثل ذلك. وجاءت عجوز إلى الليث بن سعد (رضي الله عنه) فقالت: يا أبا الحارث، مر وكيلك أن يعطيني رطلاً من عسل، فإن ابني مريض يشتهيه. فقال لوكيله: أعطها مطراً من عسل. قيل له: إنما سألتك رطلاً. فقال: هي سألت على قدرها، ونحن نعطيها على قدرنا. والمطر وقر بعير مائتان وخمسون مناً.

وأتى قوم عبدالله بن أبي بكر (رضي الله عنهما) فقالوا: إن لنا مريضاً قد تشنجت أعضاؤه من الرياح، ووصف لنا أن نعالجه بلبن الجواميس فينفعه فيه، فنحب أن تعيرنا من جواميسك. فقال لوكيله: كم لنا يالطف من الجواميس؟ قال: خمسمائة. فقال: سقها إليهم. فقالوا: رحمك الله إنا سألناك عارية. قال: إنا لا نعير الجواميس. وأعطاها إياهم. وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ:

« الهدية رزق من الله طيب. فإذا أهدي إلى أحدكم فليَقْبَلْها وليعط خيراً منها »[1].

(١) هذا الحديث يؤيده ما رواه الترمذي في كتاب الولاء بسنده عن أبي هريرة ـــ عن النبي ـــ ﷺ ـــ قال: « تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر ».
وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

الأصل الثاني والثلاثون والمائة

في بيان صفات ولاة الأمور العادلين

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: « من ولي من أمر أمتي شيئاً فحسنت سريرته، رزق الهيبة من قلوبهم. وإذا بسط يده لهم بالمعروف، رزق المحبة منهم. وإذا وفر عليهم أموالهم، وفر الله عليه ماله. وإذا أنصف الضعيف من القوي، قوى الله سلطانه. وإذا عدل، مد الله في عمره ».

فحسن السريرة من هيبة الله تعالى. فإذا هاب عبد ربه ظاهراً وباطناً، سراً وعلناً، أهاب الله منه خلقه. وصنائع المعروف لا تكون إلا من حسن الخلق. ومن حسن الله خلقه، أحبه. ومن أحبه الله، ألقى محبته على قلوب عباده. قال تعالى لموسى (عليه السلام): ﴿ **وألقيت عليك محبة مني...** ﴾[1].

فكان لا يراه أحد إلا أحبه. حتى فرعون اللعين الذي كان يذبح بني إسرائيل لأجله، وهو يوسعه في صدره. ومن بسط اليد، سقط عن قلبه قدر الدنيا. فهي ومن فيها مقبلة عليه، خادمة له. وإنصاف

---

(١) سورة طه آية رقم ٣٩.

الضعيف فانما أعطي السلطان على أن يأخذ للضعيف من القوي. ولولا ذلك لم يحتج إلى سلطان. فإذا فعل ذلك، فقد تمسك بالذي أعطى على هيئة ما أعطي، فاديمت له قوة ذلك الذي أعطى. وإذا ضيع ذلك، فقد ضيع سلطانه، وذلله، فكيف يبقى معه قوة. « والسلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه كل مظلوم »[1] وإذا عدل، مد في عمره؛ لأن العدل صلاح الأرض، والجور فسادها. وبالعدل قامت السموات والأرض. فإذا جار، فالأرض تعج منه، والسماء تجأر، والبحار تئن، والجبال تشكو. فيقطع الله عمره. وإذا عدل، وصل الله عمره من كرمه، فمد له لأنه أقام عدله الذي ارتضاه لنفسه، عزت من نفس كريمة شريفة.

(١) رواه ابن النجار عن أبي هريرة، ورواه البيهقي والحاكم عن ابن عمر رفعه بلفظ السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباد الله الخ. وقد ورد الحديث بألفاظ أخرى: منها ما رواه ابن أبي شيبة عن أبي بكر الصديق بلفظ: السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض، يرفع له عمل سبعين صديقاً، قال النجم: وجمع السيوطي في ذلك جزءاً وكذلك السخاوي جمعها في جزء وسماه: رفع الشكوك في مفاخر الملوك .

الأصل الثالث والثلاثون والمائة

فيما يعلم به منزلة العبد عند الله تعالى

عن جابر (رضي الله عنه) قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: « أيها الناس من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله عنده. فإن الله (عزّ وجل) ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه. وإن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر، فاغدوا وروحوا في ذكر الله في الأرض. ألا فارتعوا في رياض الجنة. قالوا: وأين رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: مجالس الذكر. قال: فاغدوا وروحوا في ذكر الله، واذكروه بأنفسكم »[1].

فمنزلة الله عند العبد إنما هو على قلبه على قدر معرفته إياه وعلمه به وهيبته منه، وإجلاله وتعظيمه له، وخشيته وحيائه منه، والخوف من عقابه، والوجل عند ذكره، وإقامة الحرمة لأمره ونهيه، ورؤية تدبيره والوقوف عند أحكامه بطيب النفس، والتسليم له بدناً وقلباً وروحاً،

---

(١) روى الامام الترمذي في كتاب الدعوات حديثاً مختصراً بلفظ (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قال: وما رياض الجنة.. ؟ قال: حِلَقُ الذكر بسنده عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت عن أنس.

ومراقبة لتدبيره في أموره، ولزوم ذكره، والنهوض بأثقال نعمه وإحسانه، وترك مشيئاته لمشيئاته، وحسن الظن به في كل ما نابه. والناس في هذه الأشياء يتفاضلون. فمنازلهم عند ربهم على قدر حظوظهم منها. فأوفرهم حظاً من المعرفة أعلمهم به. وأعلمهم به أوفرهم حظاً من هذه الأشياء. وأوفرهم حظاً منها أعظمهم منزلة عنده، وأقربهم وسيلة، وأرفعهم درجة. وعلى قدر نقصانه من هذه الأشياء ينتقص حظه، وتنحط درجته وتبعد وسيلته، ويقل علمه، وتضعف معرفته. قال الله تعالى: ﴿ **ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض...** ﴾[1].

وإنما فضلوا على الخلق، وبعضهم على بعض بالمعرفة له والعلم به، لا بالأعمال الظاهرة. فبالمعرفة تطهر الأبدان، وتزكو الاعمال، وبها تقبل منهم. فإن اليهود والنصارى عملوا أعمال الشريعة، فصارت هباء منثوراً. فمن فضل بالمعرفة، فقد أوتي حظاً من العلم.

قال (عليه السلام) حين عرج به إلى السدرة: فإذا النور الأكبر قد تدلى فالتفت إلى جبرائيل فاذا هو ميت من الفرق، كالحلس الملقى من خشية الله. فعرفت فضل علمه بالله على علمي.

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فصنع شيئاً لم نره صنع في غيره، مديده ثم أخرها. فقلنا: يا رسول الله، لقد صنعت في صلاتك شيئاً لم نرك صنعت في غيرها. قال: إني رأيت الجنة، فرأيت فيها دالية قطوفها دانية، حبها كالدباء[2]، فأردت أن أتناول منها، فاوحي إليها أن استأخري. ثم رأيت النار فيما بيني وبينكم حتى رأيت ظلي وظلكم، فأومأت إليكم أن استأخروا.

---

(١) سورة الاسراء آية رقم ٥٥.

(٢) الدُّبى: الجرادُ قبل أن يطير، الواحدة (دَبَاةٌ). والدُّبَا بالضم والتشديد والمد القرع الواحدة: دُبّاءَةٌ.

فقيل لي: أقرهم فانك أسلمت وأسلموا وهاجرت وهاجروا وجاهدت وجاهدوا، فلم أر لي فضلاً عليكم إلا بالنبوة.

فبالنبوَّة أدرك رؤية ما وصف، فأدنيت الجنة منه ليعرف حاله ﷺ أنه بهذه المنزلة ليس بينه وبينها إلا قبض الروح. ولهذا لما مد يده ليتناولها، أوحى إليها أن تأخري. فإنه في بقية من أجله ﷺ في الدنيا. ولا ينال أحد الجنة إلا بعد مفارقة الروح. ثم أُري النار بينه وبين القوم (رضوان الله عليهم أجمعين) يعرفه أنك قد جزت النار بقلبك بما أعطيت من النبوة، وفرغت من أمر الصراط. ومن خلفك من الأمة لم يجوزوا بعد بقلوبهم، فهو باق عليهم إلى يوم القيامة.

قال (عليه السلام) فيما رواه أنس (رضي الله عنه): « إذا ضرب الصراط على النار، قيل: قرب أمتك. فاذا دنوت منها، قال لي جبرئيل: يا محمد خذ بحجزتي، فآخذ بحجزة جبرئيل، فيضعني من وراء النار، ويقال للأمة: جوزوا. فيجوزون بأبدانهم. فمنهم في السرعة في مثل اللحظة والبرقة، ومنهم في مثل الريح، ومنهم في مثل أجاويد الخيل، ومنهم ركضاً، ومنهم سعياً، ومنهم مشياً ومنهم زحفاً ».

فالنبي (عليه السلام) بفضل النبوة جاز النار بقلبه أيام الحياة. فلما وصل إليها، أجيز من غير تكلف ولا مباشرة، وأهل اليقين لهم حظ من النبوة.

قال (عليه السلام): الاقتصاد والهدي الصالح والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة[1].

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ٦٦ ما جاء في التأني والعجلة ٢٠١٠ عن عبد الله بن عمران، عن عاصم الأحول عن عبدالله بن سرجس المزني أن النبي ﷺ قال: وذكره ورواه الامام أحمد في المسند ١ : ٢٩٦ (حلبي) وصاحب الموطأ في الشعر ١٧ وأبو داود في الأدب ٢ وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

فيجوزونها بأبدانهم على قدر إيمانهم ويقينهم وحظهم من النبوة. قال تعالى: ﴿ **لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين** ﴾[1].

فأهل اليقين في الدنيا يرونها بعلم اليقين فيجوزونها بقلوبهم ثم يرونها عين اليقين غداً معاينة. فمعاينة القلب علم اليقين. ومعاينة الجسد بعينه التي ركبت فيه عين اليقين. فمن أعطي علم اليقين في الدنيا، طالع الصراط وأهوالها بقلبه، فذاق من الخوف، وركبته من الأهوال، فوضع عنه غداً، ومر عليها في مثل البرق. فان الله تعالى لا يجمع على عبد خوفين.

قال (عليه السلام): قال ربكم: وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين[2].

وكل من كان له ههنا حظ من اليقين، طالع بقلبه بقوة ذلك اليقين، فعاين منه ما ذاق من الخوف، فسقط عنه من الخوف على قدر ما ذاق ههنا. فكذلك تفاوت جوازهم.

وقوله (عليه السلام): « حتى رأيت ظلي وظلكم فيها »، فان النار سوداء مظلمة. والمؤمنون أهل نور وضياء، فوقع ضوءهم على ظلمة النار على مقادير نورهم وأجسادهم.

وقوله (عليه السلام): « أقرهم »، معناه أنهم قد ائتمروا بأمري، فاني أمرتهم بالإسلام والهجرة والجهاد، فليس للنار عليهم سبيل؛ لأن رحمتي قد نالتهم.

---

(١) سورة التكاثر آية رقم ٥ ــ ٧

(٢) سبق تخريج هذا الحديث في الجزء الأول.

قال الله تعالى: ﴿ **إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم** ﴾[1]. حقق رجاءهم، وأخبر أنهم صدقوا في الرجاء، ثم وعدهم المغفرة.

وقوله (عليه السلام): « ولم أر لي فضلاً عليكم إلا بالنبوة » كفى بها فضلاً، ولا ينال ما وصف إلا بالأعمال. والأعمال إنما تقوم ويعظم خطرها بالنيات. والنية بدؤها من الإيمان. يبدو لهم من إيمانهم ذكر الطاعة، فينهض قلوبهم إلى الله تعالى من مستقر نفوسهم. والنية النهوض. يقال: ناء ينوء إذا نهض. فنهوض القلب من معدن الشهوات إلى الله تعالى بأن يعمل طاعة هو نيّة. فأما أهل اليقين فقد جاوزوا هذه المنزلة فإنه زايلت قلوبهم نفوسهم، وصارت مع الله تعالى، وقد فرغوا من النية. فمن كان قلبه بين يدي الله تعالى، محال أن يقال له: نهض قلبه إلى الله في أمر. فإن قلبه ناهض إليه بمرة واحدة، واقف بين يديه نهوضاً، لا يرجع ولا ينصرف، إذ قد نقض الوطن وارتحل إلى الله تعالى، ويعملون وقلوبهم هناك واقفة بين يدي الله تعالى في جلال الله وعظمته، باهتين سكارى، وما هم بسكارى. فارتفع أعمال هؤلاء من الذين ينهضون بقلوبهم في ذلك العمل لله (عز وجل) ويريدونه به، وهم المقتصدون، فتفاوتت لذلك مدة جوازهم على الصراط.

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢١٨.

الأصل الرابع والثلاثون والمائة

في فضل الاستغاثة من النار بعفو الله تعالى

عن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً في جوف الليل وهو يقول: « واغوثاه من النار » يرددها ذلك ليلاً طويلاً. ثم غدا على رسول الله ﷺ فقال: أنت القائل الليلة: واغوثاه من النار؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: لقد أبكيت أعيان ملأ من الملائكة كثيرة.

النار حشوها غضب الله. وإنما اسودت من غضبه. يحل ذلك الغضب عذاباً بأجساد العداة العصاة، فتنتقم النار منهم لحق الله (عز وجل جلاله). والمستغيث منه على ثلاثة أضرب: مستغيث من نار الله بعفو الله. ومستغيث من غضب الله تعالى برحمة الله. ومستغيث بالله من الله تعالى.

وقد جمع ذلك رسول الله ﷺ فيما أتاه جبرئيل وأمره أن يكون

ذلك في السجود. فقال: أعوذ بعفوك من عقابك. ثم قال: وأعوذ برضاك من سخطك. ثم قال: وأعوذ بك منك[1].

(١) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الصلاة ٢٢٢ (٤٨٦) عن محمد بن يحيى بن حبان، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن عائشة ــ قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهو منصوبتان وهو يقول: وذكره. ورواه أبو داود في كتاب الصلاة ١٤٨ والوترة ورواه الترمذي في الدعوات ٧٥، ١١٢ والنسائي في الطهارة ١١٩ والتطبيق ٤٧ والسهو ٧١، ٨٩ قيام الليل ٥١ والاستعاذة ٦٢ وابن ماجة في الاقامة ١١٧ والدعاء ٣ وصاحب الموطأ في المس للقرآن ٣١ واحمد بن حنبل في المسند ١ : ٩٦، ١٨ (حلبي).

الأصل الخامس والثلاثون والمائة

في قوله ﷺ:
إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة

عن الأغر المزني (رضي الله عنه) قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ وهو رافع يديه وهو يقول: « يا أيها الناس استغفروا ربكم ثم توبوا إليه. فوالله إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة »[1].

وفي رواية: وإنه ليغان على قلبي. « وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة »[2].

المغفرة هي الغطاء والستر. ومنه سمي المغفر دبير الثوب وهو الذي يعلق الثوب الجديد. والعبد المؤمن بايع الله تعالى يوم الميثاق أن يطيعه ويكون بين يديه. فلما أذنب ذنباً، وترك مقامه، خرج من ستره، فتعرى،

(١) رواه الامام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ١٢ باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ٤٢ ـــ عن عمرو بن مرة عن أبي بردة قال: سمعت الأغر، وكان من أصحاب النبي ﷺ يحدث ابن عمر قال رسول الله ﷺ يقول: وذكره.

(٢) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٤١ (٢٧٠٢) عن حماد قال يحيى: أخبرنا حماد بن زيد بن ثابت، عن أبي بردة عن الأغر المزني وكانت له صحبة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

فقيل له: تب. أي ارجع إلى مقامك. فلما رأى نفسه عارياً، طلب الستر، ففزع إلى الله تعالى عن عريه، فستر، فقيل: ارجع إلى ربك إلى مقامك في البيعة مع الستر، فأنت في كنفه ما دمت واقفاً بمقام البيعة. فلذلك بدئ بالاستغفار ثم بالتوبة. قال تعالى: ﴿ **استغفروا ربكم ثم توبوا إليه...** ﴾[1].

وقال (عليه السلام): طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً. وعن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إن للقلوب صدءاً كصدأ الحديد وجلاؤه الاستغفار.

وقال (عليه السلام): إن العبد إدا أذنب، نكتت في قلبه نكتة سوداء. فإذا عاد، نكتت أخرى حتى يسود القلب. فإذا تاب ونزع، صقل قلبه[2]، ثم تلا: ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾[3].

واعلم أن للمغفرة درجات. فمغفرة الرسول ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر. ومغفرة من بعده بأعمال بر عملوها لا يخلو من ذلك. والستر أنواع: فمنهم من لا يستر عليه أيام الحياة. فإذا صار ممره إلى النار، يستر لئلا تصيبه النار. ومنهم من يستر في الموضعين ولم يستر عليه في العرض. ومنهم من يستر عليه في الموضعين والعرض عند الملائكة، وخلا به ربه في السؤال، فلقي شدة الحياء. ومنهم من يستر عليه في الحجب عن نفسه حتى لا يراها فيستحيي. ومنهم من يستر عليه ستراً لا يذكرها حتى يذهب عنه ذكرها. فذاك ستر

---

(١) سورة هود آية رقم ٣.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٢٩ باب ذكر الذنوب ٤٢٤٤ ـــ عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره ورواه الامام أحمد في المسند ١ : ٢٩٧ (حلبي).

(٣) سورة المطففين آية رقم ١٤.

بينه وبين العبد، يستره عن عمله، وحتى لا يخجل كما ستر أهل الجنان بالأنس به. إذا ذكروا ذنوبهم، لم يخجلوا ولم يثقل عليهم ذكرها. فكل من كان في الدنيا من الأنس به أوفر حظاً، فإن ستره من ذنوبه هناك أكشف، وأنسه بالله تعالى أكثر.

والأنس بالله تعالى من الاحتظاء من جماله. فإذا كان قلبه عنده في ملك الجمال، فالغالب عليه الأنس، وجزاء الأنس به اليوم الأمل غداً. ومن كان قلبه عنده في ملك الجلال، فالغالب عليه الهيبة، وجزاؤه منه الأمن غداً. ومن كان قلبه عنده في ملك ملكه وجاوز ملك الجمال والجلال إلى وحدانيته وانفرد به في فردانيته. وهم الذين وصفهم (عليه السلام): « سيروا فقد سبق المفردون ». قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: « الذين اهتروا بذكر الله تعالى. يضع الذكر أثقالهم ».[1] يأتون يومئذ خفافاً، فهم أمناؤه في أرضه. قلوبهم في ملك الملك في تلك الخلوة التي قد انقطع علم الصفات عندها. فلا يوصف ما في قلوبهم أيام الحياة. فجزاؤهم غداً الدلال. فصاحب الهيبة في عبودته ومعاملته من الفرق كالميت في كل أمر من أموره على هول عظيم، وخطر جسيم. وصاحب الأنس في عبودته ومعاملته قد خف عنه ذلك لما يأمل من عطفه ورأفته به ومحبته. وصاحب البهته أمينه، فهو كالمطمئن لأنه صار في قبضته، وهو يستعمله. فباستعماله أشرف على الأمور، فهو المدل في دنياه، المدل في آخرته، وهو الأمين الذي بسطه فانبسط. وهو المحدث. وهو أعلى من الصنفين الأولين صاحب الأنس وصاحب الهيبة. فإن صاحب الأنس بسطه الأنس بالملك. وهذا قد بسطه الملك. وشتان من بسطه الملك ومن بسطه الأنس بالملك.

(١) الحديث أخرجه الحاكم في كتاب الدعاء ثنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة قال سمعت أبا هريرة. رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ــ ﷺ وذكره وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الأصل السادس والثلاثون والمائة

في تأثير هيبة الرسول (عليه السلام) في حياته وتأثير وفاته في القلوب

عن أنس (رضي الله عنه) قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة، أضاء كل شيء منها. فلما كان اليوم الذي مات فيه، أظلم كل شيء منها. وما نفضنا الأيدي عن النبي ﷺ وانا لفي دفنه، حتى أنكرنا قلوبنا.

كان رسول الله ﷺ نوراً أضاء العالمين. قال تعالى: ﴿ **إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾[1].

فكان يستنير سراجه في العالمين. وإذا مشي في الطريق، فاح منه ريح الطيب حتى يوجد عرفه في ممره ﷺ فيعرف أنه مر بهذا المكان. وكان طاهراً طيباً. طهره الله تعالى بالحفظ في الأصلاب والأرحام وطفلاً وناشئاً وكهلاً، حتى قدسه بطهر النبوة، وشرفه بالقربة، وطيبه بروحه، وجلله ببهائه. فمن فتح الله قلبه بالنور الذي جعله في قلبه وأبصره، وما نحله الله تعالى وزينه به، كان رؤيته شفاء قلبه، ودواء سقمه.

---

(١) سورة الفتح آية رقم ٨.

ولا يخيب برؤيته عن أن يكون شفاء القلب إلا من ختم الله على قلبه وجعل على سمعه وبصره غشاوة. كما قال تعالى: ﴿ **وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون...** ﴾[1].

وكانت هيبته ووقاره وجلاله وطهارته سداً بين القلوب والنفوس. فكانت النفوس قد ألقت بأيديها منقادة مستسلمة هيبة له وإجلالاً وحياء منه ﷺ. وكان له طلاوة وحلاوة ومهابة. فأين ما حل ببقعة، أضاءت تلك البقعة بنوره وطلاوته، وحليت بحلاوته، وتهيأت شئونها بمهابته. فلما قبض (عليه السلام)، ذهب السراج وزال الضوء، وفاتت تلك الطلاوة والحلاوة والمهابة.

وقوله: « وما نفضنا الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا » أخبر عن قلبه وعن قلب أشباهه من القلوب التي لم تغلب عليها الهيبة من الله تعالى، وتأخذها هيبة المخلوقين. وكان (عليه السلام) آية من آيات الله العظمى. فمن عرفه وتمكنت معرفته من هذا الطريق، فإذا فقده، أنكر قلبه؛ لأن نفسه كانت في قهر ما أعطي الرسول (عليه السلام) من السلطان. فلما أحست النفس بذهابه، وجدت زمامها ساقطة بالأرض كالمخلاة عنها، فتحركت وتشوقت لمناها، وأصاخت أذناً لمطامعها. ومن غلب الهيبة من الله تعالى على قلبه وملكته، لم ينكر قلبه بقبضه، ولم يتغير شأنه بفقده، وهم الصديقون والأولياء (عليه السلام). فقد دخل قلوبهم من جلال الله تعالى وعظمته ما بهتهم فهابوه، ونفوسهم قد صارت كالميتة من الخشوع لله تعالى. فتلك هيبة إحتشت القلوب منهم من محبة الله تعالى، فغمرت ما كان للمخلوقين فيها من المحبة من غير أن تزول هيبة الرسول (عليه السلام) ومحبته من قلبه. فإن كل ما عظمت هيبة الله تعالى ومحبته في قلب عبد، فهو للهيبة من رسول

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٩٨.

الله ﷺ أشد، وحبه في قلبه أعظم وأصفى. ولكن محبته وهيبته غامرة لما سواها. فلا يستبين بمنزلة واد ينصب في بحر. فالوادي ينصب بهيبته. ولكن لا يستبين في جنب البحر. وبمنزلة قمر مضيء، فإذا أشرقت الشمس، غمر إشراقها ضوء القمر. فالقمر يضيء في مجراه، والشمس بإشراقها غالبة عليه. كذا حب الله تعالى وهيبته في حب الرسول (عليه السلام) وهيبته.

الأصل السابع والثلاثون والمائة

في فضل نظرة المشتاق

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: « نظر الرجل إلى أخيه على شوق خير من اعتكاف سنة في مسجدي هذا ».

الاعتكاف إقبال العبد على الله تعالى، والتخلي عن الدنيا وشهواتها، وكف النفس عن التردد في ساحات العيش، ومنعها عن الانبساط والتفسح. ومسجد رسول الله ﷺ وموضع مهاجره، ومبوء الاسلام يعدل الاعتكاف فيه سنة اعتكاف ألف سنة في سائر المساجد.

قال (عليه السلام): « صلاة في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة فيما سواه »[1].

---

(١) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الحج ٩٤ باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة ٥٠٥ (١٣٩٤) عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: وذكره بزيادة [إلا المسجد الحرام] ورواه البخاري في مسجد مكة ١ والنسائي في المناسك ١٢٤ والترمذي في المواقيت ١٢٦ والمناقب ٦٧ وابن ماجة في الاقامة ١٩٥، ١٩٨ وصاحب الموطأ في القبلة ٩ واحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٦، ٢٩، ٣٩، ٥٣، ٥٤، ٦٨، ١٠٢، ٢٣٩ (حلبي).

كذا حكم الاعتكاف. فقد جعل (عليه السلام) النظر إلى أخيه على شوق منه أكثر منه؛ لأنه المؤمن لما انتبه بقلبه وعرف ربه تبارك وتعالى واشتغل نور اليقين في قلبه، فانكشف له الغطاء عن جلاله وعظمته وجماله ومجده وبهائه، اشتاق إليه، فلم يزل يدوم له الشوق حتى قلق وبرم بالحياة، وضاق به ذرعاً، فهو عطشان من ظمأ الشوق، قد أسكرته محبته عن جميع الدنيا، وأذهلته آماله فيها عن جميع مناه فيها، وأقلقته بقية أنفاسه، ويتمنى أن ينقضي جميع أنفاسه في نفس واحد، حتى يطير بروحه إلى الله تعالى، فهو في محبسه يتردد آثار من قد اجتباه من بين خلقه، وسبى قلبه بنوره، وقد انقطع طمعه من أن يراه، وهو ينادي في خلال ذلك: ارحم من تراه ولا يراك؛ لأنه قد سبق إلى ذلك رأس المشتاقين كليم الله (صلوات الله عليه) لما منَّ عليه بالكلام، طمع في الرؤية، فآنسه وأعلمه سبب المنع، كالمعتذر فقال: ﴿ **لن تراني...** ﴾ أي لا تقدر. ﴿ **ولكن أنظر إلى الجبل فإن إستقر مكانه فسوف تراني...** ﴾[1]

وكذلك فعل الحبيب بالحبيب إذا سأله حاجة لا طاقة له بها، ولا يقوم لها وان الحاجة تضيع، لم يواجهه بالمنع، ولم يوحشه بالرد، ويقيم لنفسه عذراً. فالمؤمن من يطلب الآثار إليه شوقاً. ولله تعالى في أرضه أربعة من آثاره. بها يقطع المشتاقون أعمارهم. فاحدى الآثار كلامه. وعليه طلاق. فإذا نظر إلى القرآن، استروح؛ لأنه كلامه. والثاني كعبته. وهو بيته ومعلمه ومظهره، وعليه وقاره. فإذا نظر إليها استروح. والثالث السلطان، وهو ظله، وعلى ظله هيبته. فإذا نظر إليه، استروح. والرابع وليه المؤمن وهو خليفته في أرضه، وعليه نور جلاله. فإذا نظر إليه، استروح؛ لأنه حبيبه، وفيه بره، وسيماء نوره قد أشرق في وجهه.

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٤٣.

قال (عليه السلام): إن الله أعطى المؤمن ثلاثة: المقة والملاحة والمحبة في صدور المؤمنين. ثم تلا: ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً...** ﴾[1].

وقال (عليه السلام): « من نظر إلى أخيه نظر ود، غفر الله له ». لأن المشتاق آيس من أن ينظر إلى مولاه في الدنيا. فإذا نظر إلى هذا العبد، فانما يقضي المنية من ربه، ولا يشفيه ذلك، بل يذوب على قدميه، فكل لحظة بلحظة إلى هذا العبد، وقصد به التشفي من حرقات الشوق إلى الله تعالى. وقد حبسه الله تعالى بباقي أنفاسه، يستوجب بتلك النظرة التي من أجل الله تعالى كانت. ولم يصل إلى مراده. ومنيته الرضوان والمغفرة منه. وهؤلاء الأربعة الذين هم آثار الله تعالى في أرضه بهم تقوم الأرض. فإذا دنا قيام الساعة، رفع القرآن، وهدمت الكعبة، وذهب السلطان، وقبض الأولياء عن آخرهم. فالمتنبهون إنما يأخذون من القرآن لطائفه وطلاوته، ويلحظون من السلطان هيبة ظله دون أفعاله وسيره، ومن البيت وقاره دون الأحجار والبنيان. ومن الولي نور جلاله الذي قد أشرق في صدره دون جسده ولحمه ودمه.

---

(١) سورة مريم آية رقم ٩٦.

الأصل الثامن والثلاثون والمائة

في أدب التنزه في المأكول وتناوله

عن عبدالله بن بشير (رضي الله عنه) قال: دخل علينا رسول الله ﷺ فطعم. ثم أتي بسويق فشرب. ثم أعطي الذي عن يمينه. وكان إذا أكل التمر وضع النواة على ظهر اصبعه الوسطى والمشيرة ثم ألقاها.

لو أخذ النواة بباطن أصابعه ثم عاد إلى بقية التمر لكان لا يخلو أن تكون أصابعة مبتلة من ريق الفم عند أخذ النواة. فكره أن يعود إلى بقية التمر وفي يده بلة النواة؛ مراعاة للأكيل، وحرمة للصاحب ليتأدب به من بعده. فإنه قد يعاف الرجل صاحبه في فعله من ذلك ويكرهه. فكان يأخذ النواة بظاهر إصبعيه ويستعمل باطنهما في تناوله.

ومما يحقق ذلك ما روى أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ نهى أن يجمع بين التمر والنوى، وبين الرطب والنوى على الطبق[1].

وعن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ أتي بطبق من رطب فأكل منه شيئاً، ثم يلقي النوى من فمه بشماله، فمرت به داجنة فناولها إياه فأكلت[2].

---

(١) هذا الأثر لا يوجد في الصحاح ولا يوجد في السنن ولم نعثر عليه في مجمع الزوائد.

(٢) هذا الأثر كسابقة لا يوجد في الصحاح ولا في السنن ولم يشر اليه صاحب الزوائد.

الأصل التاسع والثلاثون والمائة

في أن ما يستصلح به الأقوات سيد الأدم

عن عيسى بن أبي عزة (رضي الله عنه) قال: سمعت أنس ابن مالك (رضي الله عنه) يقول: سمعت نبيكم ﷺ يقول: « سيد ادامكم الملح »[1].

فالملح به إصلاح الأطعمة وطيبها. فيكون مزاجاً للأشياء.

---

(١) رواه ابن ماجة، وأبو يعلى، والطبراني والقضاعي، عن أنس رفعه، وهو ضعيف لأن في سنده مبهماً أثبته بعضهم وحذفه آخرون ورواه بعضهم بلفظ سيد الأدام الملح، ورواه بعضهم بلفظ: عليكم بالملح، فإنه شفاء من سبعين داء منها الجنون والجذام والبرص، ولعله موضوع، وقال ابن الغرس، وأما حديث: عليكم بالملح فإن فيه شفاء من سبعين داء فقد نص ابن قيم الجوزية أنه موضوع، وما روي ان النبي ﷺ قال: إن الله أنزل أربع بركات من السماء الى الأرض الملح، والنار، والماء والحديد، وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شبعه إذا انقطع، ولا أعلم حاله، وقال النجم: وعند الطبراني، والبيهقي، وأبي نعيم في الطب عن بريدة سيد الأدام في الدنيا والآخرة اللحم، وسيد الشراب في الدنيا والآخرة الماء، وسيد الرياحين في الدنيا والآخرة الفاغية: [نَوْر الحناء] وعن البيهقي عن أنس خير الادم اللحم وهو سيد الأدام.

الأصل الأربعون والمائة

في أن المرء مع من أحب

عن علي (كرم الله وجهه) قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: متى الساعة؟ قال: وما أعددت لها؟ قال: حب الله ورسوله. قال: فأنت مع من أحببت[1].

الحب هيجه للسؤال عن قيام الساعة؛ لأنه علم أن لقاء العبد سيده بعد قيام الساعة، فقلق وضاق بالحياة ذرعاً، فسأل عن الساعة متى تقوم استرواحاً إليها. وإنما سأل رسول الله ﷺ: « ما أعددت لها؟ » تطلعاً لمن يحن ضميره، وتعرفاً للذي عجله عليه من السؤال إلى معدن هاجت هذه الكلمة. وهذا السائل من المشتاقين. ألا ترى أنه لم يذكر من عدته شيئاً من أعمال البر، وإنما ذكر الذي كان بين يدي قلبه، وما اعترض به في صدره. فاجابه على ما وجده عليه. فقال: أنت مع من أحببت. فالموحدون كلهم يحبون الله تعالى حب إيمان؛ لأن

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب الأدب ٩٥ باب ما جاء في قول الرجل ويلك ٦١٦٧ ــ حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا همام عن قتادة، عن أنس ــ رضي الله عنه ــ أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: وذكره، ورواه الدارمي في الرقاق ٧١، وأحمد بن حنبل في المسند ٥ : ١٥٦ (حلبي).

الغالب عليه نفسه وشهوته. وإنما يقلق لذلك ويجيش صدره إذا فاته شيء من شهواته ونهماته في الدنيا. فذاك إنما يعد للساعة أعمال بره، وجعل ذلك عدته، يرجو لها الثواب من الله تعالى، حتى إذا ورد القيامة، حصلت سرائره، وبلي خبره، واقتضي صدقه في الأعمال. فان وجد صادقاً في ذلك، أثيب وأكرم على قدره. وإن وجد كاذباً، رمي به في وجهه. وهو موقوف في الحرصة، يرجو بأعماله النجاة من النار ونوال الثواب، فتخلص حسناته وتصفي، ثم توزن بالسيئات. فإن فضل له شيء، أعطي بقدر ما فضل. وهذا السائل قد كانت الأشياء كلها تلاشت عن قلبه في جنب معبوده. فلحبه إياه غليان في صدره، فكان ذلك عدته، فلذلك قال: أنت مع من أحببت.

ولعله كان أشدهم اجتهاداً، وأصفاهم عملاً، وأخلصهم قلباً، وأطهرهم إيماناً، وأبعدهم عن كل ريبة وريب ودنس وعيب، وأخلقهم بمعالي الأخلاق، وأنزههم عن مدانيها؛ لأن حب الله تعالى لا ينال إلا محبوبه. قال تعالى: ﴿ **يحبهم ويحبونه...** ﴾[1].

بدأ بحبه إياهم ثم بحبهم له، ثم وصف أخلاقهم وشمائلهم فقال: ﴿ **أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين...** ﴾[2] الآية.

وإذا فتح الله قلب عبد وأشرق النور في صدره وانتبه من غفلته، فمحال أن لا يجيش صدره بحب مولاه. حتى ينسى في حبه حب كل مذكور ويلهو عن كل شيء سواه. كما قال الحسن (رضي الله عنه): حق على من عرفه أن ينكر كل شيء سواه.

وقال (عليه السلام): لا يبلغ أحدكم ذروة الإيمان حتى يكون

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٥٤.

(٢) سورة المائدة آية رقم ٥٤.

الناس عنده أمثال الاباعر في جنب الله تعالى. ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أحقر حاقر.

وقال (عليه السلام): حبك الشيء يعمي ويصم[1].

فالقلب واحد. فإذا أحب الدنيا، أعماه وأصمه عن الآخرة، فإن الحب حرارة تتوقد في القلب. فإذا ولج القلب حرارة الشهوة، تعميه وتصمه عن كل شيء سواه. وإذا أحب الآخرة، أعماه عن الدنيا وأصمه؛ لأنه صارت له الآخرة معاينة بالنور الوارد على قلبه، وهاجت شهوته لها، واستجر قلبه وتوقد، فأعماه وأصمه عن كل شيء سواها. وإذا أحب مولاه، أعماه وأصمه عن جميع ما خلق وعن كل ما سواه. لأنه إذا توقد نوره في قلبه، انكشف الغطاء عن جلاله وعظمته، وجماله وبهائه وكبريائه، فأعماه وأصمه عن كل شيء سواه. وهكذا ركب في طباع الآدميين أن يسمو قلبه إلى الأرفع فالأرفع. إذا رأى أهل النعيم والزينة يسمي قلبه أعظمهم قدراً وأوفرهم حظاً من ذلك. وإذا عاين الآخرة، رق هذه في جنبها. وإذا وقع على قلبه من جلال الله وعظمته، رق هذا كله في جنب ما عاين. ويحب الآدمي كلاً على قدره. وأهل المحبة قوم سبقت لهم من الله تعالى سعادة زائدة فاضلة على من دونهم من عمال الله تعالى، اجتباهم بمشيئته وهداهم بإنابتهم. وهم صنفان ذكرهما الله تعالى في تنزيله الكريم: ﴿ **الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب...** ﴾[2].

فالأول طريق الأنبياء (عليهم السلام) بمشيئته اجتباهم وجذب قلوبهم إليه جذبة بمشيئته من غير تردد وتكلف وطلب. والثاني طريق الأولياء المهذبين (سلام الله تعالى عليهم) أنابوا وساروا إليه بقلوبهم، وأوصلهم

---

(١) قال في المقاصد: رواه أبو داود، والعسكري عن أبي الدرداء مرفوعاً وموقوفاً.
(٢) سورة الشورى آية رقم ١٣.

إليه فأحبهم. وبحبه أوصلهم إلى حبه. وقال الله تعالى: ﴿ **أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين...** ﴾[1].

ولهذا تفسيران: تفسير المقتصدين أهل الاستقامة. وتفسير الأولياء أهل اليقين. فأما أهل الإستقامة فيذل عند حق المؤمن لحقه، ويرق له ويعطف عليه، ويحب له ما يحب لنفسه، ويعز على الكافر بالله تعالى على باطله فيقهره. ﴿ **يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم...** ﴾[2] فمن حبهم إياه دق شأن الخلف وذمهم ومدحهم في جنبه.

وأما تفسير أهل اليقين: ﴿ **أعزة على الكافرين...** ﴾ يذلون عند كل مشيئة لله تعالى، فيظهر من الغيب من احكامه عليهم فينقادون له تسليماً له بلا تلجلج، ويعزون على الباطل فيمتنعون منه حتى لا يجدوا سبيلاً، ولا تجد النفس إلى خدعها طريقاً، ويعزون على أهله، فلا يستقبلهم مضاد إلا انقمع لهم وسلس، ولا يخافون لومة لائم، قد سقط عن قلوبهم خوف سقوط المنزلة عند الخلق. وهذه عقبة عظيمة من جازها، فقد ولى الدنيا وراء ظهره، ورفع عن الناس بالاً. وهما عقبتان كئودتان. فطلاب الآخرة أعرضوا عن الدنيا تولياً عنها، وأقبلوا على الآخرة، الا أنهم بقوا في العقبة الثانية فهم حرصاء أن يكون جاههم وقدرهم باقياً عند الخلق، وأن لا يسقطوا من أعينهم، وهو الشهوة الخفية التي بكي رسول الله ﷺ، فقيل له في ذلك فقال: أخوف ما أخاف عليكم الشرك والشهوة الخفية[3].

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٥٤.

(٢) سورة المائدة آية رقم ٥٣.

(٣) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٤ : ١٢٤ عن شداد بن أوس أنه بكى فقيل له ما يبكيك قال: شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ يقوله فذكرته فأبكاني: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره وفيه زيادة [قال قلت يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك.. ؟ قال=

فحب الثناء وحب المحمدة هي الشهوة الخفية، وهي من أقوى الأشياء في الآدمي، يبقى ذلك في العمال والقراء والزهاد والورعين، فهم منه في جهد، وهذا الذي حملهم على الاختفاء والهرب من الخلق، وإخفاء العمل وكتمان الأشياء التي يكرمهم الله تعالى بها مخافة التزين والمباهاة في الأقوال. فمن أشرب حب الله قلبه شربة أسكرته عن الدارين وعن الخلق، فطارت هذه المحبات عنه، وزال عنه حب المحمدة والثناء، ورفع المنزلة عند الخلق، وذهب باله ونسي هذا كله، ولا يبقى على قلبه إلا عظمة الله تعالى وجلاله إذ أشرق الصدر بنوره، فامتلأ من عظمته، ولزمته هيبته، وهاجت هوائج المحبة له، والشوق إليه، وظهر الوله والحنين فيه. فحينئذٍ تموت هذه الأشياء منه، ويحيى قلبه به، ولا يخاف في الله لومة لائم. فإذا ترقى من هذه الدرجة إلى الدرجة العظمى فانفرد بوحدانيته، وبهت في جماله وجلاله واستولت على قلبه هيبته، افتقد ذكر هذا كله من نفسه، فيصير في قبضته، مستعمله في أموره، معتزاً به، به يقوم وبه يقعد، وبه يتصرف في الأحوال.

وهذا السائل الذي سأله (عليه السلام) عن الساعة من جملتهم. ولهذا روى أنس بن مالك (رضي الله عنه) في آخر الحديث: كم من بدوي من رجال الله وخاصته لا يعرف ولا يؤبه به.

وقال ثابت البناني (رضي الله عنه) : لا تسخروا من أحد ولا تستهزءوا من أحد، فإن أنس بن مالك (رضي الله عنه) حدثنا أن رسول الله ﷺ كان بالبقيع، فإذا هو باعرابي أعمش العينين، خمش الذراعين، دقيق الساقين، عليه شملتان، ومعه عكة من سمن يبيعها، فجاء جبرئيل (عليه السلام) إلى رسول الله ﷺ فقال: « يا رسول الله هذا زاهر،

= نعم. أما أنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً ولكن يراءون بأعمالهم. والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه].

هذا يحب الله والله يحبه ». فدنا منه رسول الله ﷺ فقال: يا زاهر. قال: لبيك يا رسول الله. قال: من يشتري مني زاهراً؟ فقال: يا رسول الله إذا تجدني كاسداً ؟ فقال : « يا زاهر إن تكن عند الناس كاسداً، فانك لست عند الله كاسداً. إذا قدمت المدينة فانزل عليّ، وإذا أنا بدوت نزلت عليك ».

الأصل الحادي والأربعون والمائة

في أي النساء خير

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قيل: يا رسول الله أي النساء خير؟ قال: التي تسره إذا نظر، ولا تعصيه إذا أمر، ولا تخالفه لما يكره في نفسها ومالها[1].

تسره إذا نظر لعفتها وجمالها. فإن المرأة إذا كان لها جمال، كان ذلك عوناً على عفة الرجل ودينه. فلا يلحظ إلى إمرأة إلا كان في غنى عنها بما عندها من جمالها.

روي أن جماعة قصدوا دار زكريا (عليه السلام) فإذا فتاة جميلة رائعة قد أشرق البيت لها حسناً. قالوا: من أنت؟ قالت: أنا امرأة زكريا (عليه السلام). قالوا بينهم: كنا نرى نبي الله زكريا لا يريد الدنيا، فإذا هو اتخذ امرأة جميلة رائعة. فقال (عليه السلام): إني إنما تزوجت إمرأة جميلة رائعة لأكف بها بصري وأحفظ بها فرجي.

---

(١) حديث أبي هريرة رواه النسائي، وله شاهد من حديث عبدالله ابن عمر، ورواه ابن ماجة في كتاب النكاح ٥ باب أفضل النساء ١٨٥٧ بسنده عن أبي امامة عن النبي ﷺ أنه كان يقول وذكره. وفي الزوائد: في اسناده علي بن يزيد قال البخاري منكر الحديث، وعثمان ابن أبي العاتكة مختلف فيه. ورواه أبو داود في الزكاة ٣٢.

وقال (عليه السلام): مثل عائشة في النساء كالثريد في الطعام[1]. فهذا تمثيل منه. وذلك أن الثريد مشبع يجزي عن سائر الطعام، يستغني به صاحبه عما سواه، ولا يقوم مقامه شيء من الطعام. ولأن الله تعالى قد أخذ على الأزواج ميثاقهم في شأن نسائهم، وأمرهم بالإحسان إليهن والمعروف لهن. قال تعالى: ﴿ **فإمساك بمعروف أو تسريح باحسان...** ﴾[2]

وقال ﷺ: « النساء عندكم عوان اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله فيهن »[3]. أي في حسن عشرتهن والخروج إليهن من حقوقهن. فمن رزق امرأة على وفاق نفسه، كان ذلك عوناً له على حسن العشرة وإقامة الحقوق. فإن النفس إذا هويت شيئاً، مالت إليه، فصار أمرهما على اتفاق. فلم يبق للنفس تردد ولا تلكؤ. فهذا قوله (عليه السلام): « تسره إذا نظر ».

وقوله: « ولا تعصيه إذا أمر » فإنما عظم أمر الأزواج الذي يلزمهن

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الأطعمة ١٤ باب فضل الثريد على الطعام ٣٢٨٠ ــ عن عمرو بن مرة عن مرة الهمذاني عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: وذكره، ورواه أيضاً بسنده عن أنس بن مالك. ورواه البخاري في كتاب الأطعمة ٢٥، ٣٠ وفي فضائل الصحابة ٣٠ ورواه الامام مسلم في كتاب فضائل الصحابة ٧٠، ٨٩ والترمذي في الأطعمة ٣١ والمناقب ٦٢ والنسائي في النساء ٣ والدارمي في الأطعمة ٢٩، وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ١٥٦، ٢٦٤ ٤ : ٣٩٤، ٤٠٩، ٦ : ١٥٩ (حلبي).

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٢٩.

(٣) هذا جزء من حديث طويل رواه الامام مسلم في كتاب الحج ١٤٧ (١٢١٨) عن جعفر ابن محمد، عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله فسأل عن القوم حتى انتهى اليَّ فقلت: أنا محمد بن علي بن حسين، فأهوى بيده الى رأسي فنزع زري الأعلى ثم نزع زري الأسفل ثم وضع كفه بين ثديي وأنا يومئذ غلام شاب، فقال مرحباً بك يا ابن أخي سل عما شئت فسألته وهو أعمى وحضر وقت الصلاة ثم ذكره. ورواه ابن ماجة في كتاب المناسك ٨٤ باب حجة رسول الله ﷺ ٣٠٧٤ بالسند السابق، ورواه أبو داود في المناسك ٥٦ والدارمي في المناسك ٣٤ وأحمد بن حنبل ٥ : ٧٣ (حلبي).

أن لا تخرج من بيته إلا بإذنه، ولا تكلم غير ذي محرم من الرجال، ولا تمنع نفسها في حال حاجته إليها، هويت أو لم تهو، خف ذلك عليها أو ثقل.

قال (عليه السلام): لا تمنع المرأة نفسها من الزوج، وإن كانت على رأس تنور[1].

وفي حديث آخر: « وإن كانت على قتب »[2]. أي في حال ولادتها. فإن القوابل كانت يعز وجودها في تلك البوادي، فيحملون نسائهم على القتب عند ولادها. وقد هيئ القتب بالأرض حتى يتمكن من القعود عليها فتلد، ويقبلون ولدها من تحت القتب.

وعن أبي كبشة (رضي الله عنه) صاحب رسول الله ﷺ قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ مرت بنا امرأة، فقام رسول الله ﷺ فدخل منزله ثم خرج إلينا قد اغتسل. فقلنا: نرى أن قد كان شيء يا رسول الله! قال: مرت بي فلانة فوقعت في نفسي شهوة النساء، فقمت إلى بعض أهلي فوضعت شهوتي فيها، وكذلك فافعلوا، فانه من أماثل أعمالكم[3].

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الرضاع ١٠ باب ما جاء في حق الزوج على المرأة ١١٦٠ ــ عن قيس بن طلعة، عن أبيه طلعة بن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ورواه الامام أحمد في المسند ٤ : ٢٣ (حلبي).

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب النكاح ١٨٥٣ عن القاسم الشيباني عن عبدالله بن أبي أوفى قال: وذكره. في الزوائد: رواه ابن حبان في صحيحه قال السندي: كأنه يريد أنه صحيح الاسناد.

(٣) هذا قريب من الحديث الذي رواه أبو داود في كتاب النكاح باب ما يؤمر به من غض البصر ٢١٥١ بسنده عن جابر أن النبي عليه السلام رأى امرأة فدخل على زينب بنت جحش فقضى حاجته منها ثم خرج الى أصحابه فقال « إن المرأة تقبل في صورة شيطان، فمن وجد من ذلك شيئاً فليأت أهله فإنه يضمر ما في نفسه ».

وقوله: « ولا تخالفه لما يكره في نفسها ومالها » هو أن تساعده على أموره ما لم يكن فيها معصية. فإن حسن الصحبة في المساعدة، وحسن العشرة ترك هواها لهواه.

روى أنس (رضي الله عنه) أن رجلاً انطلق غازياً فأوصى امرأته أن لا تنزل من فوق البيت، وكان والدها في أسفل البيت، فاشتكى أبوها فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تخبره وتستأمره، فأرسل إليها: اتق الله وأطيعي زوجك. ثم إن والدها توفي فأرسلت إليه ﷺ تستأمره، فأرسل إليها مثل ذلك. وخرج رسول الله ﷺ وأرسل إليها أن الله قد غفر لك بطواعيتك لزوجك.

وقال (عليه السلام): الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة[1]. وقال (عليه السلام): خير ما أعطي العبد من الدنيا زوجة مؤمنة تعينه على إيمانه.

وقال لقمان (عليه السلام): مثل المرأة الصالحة مثل التاج على رأس الملك. ومثل المرأة السوء كمثل الحمل الثقيل على ظهر الشيخ الكبير.

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب النكاح ٥ باب ١ فضل النساء ١٨٥٥ ــ عن عبدالله ابن يزيد، عن عبدالله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. ورواه الامام أحمد في المسند ٢ : ١٦٦ (حلبي).

الأصل الثاني والأربعون والمائة

في المعمرين في الإسلام

عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله (عز وجل): إذا بلغ عبدي أربعين سنة عافيته من البلايا الثلاث، من الجنون، والبرص، والجذام. فإذا بلغ خمسين سنة، حاسبته حساباً يسيراً. وإذا بلغ ستين سنة، حببت إليه الإنابة. وإذا بلغ سبعين سنة، أحبته الملائكة. وإذا بلغ ثمانين سنة، كتبت حسناته وألقيت سيئاته. وإذا بلغ تسعين سنة، قالت الملائكة: أسير الله في أرضه. فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وشفع في أهله.

يروى هذا الحديث بروايات أخر عن رسول الله ﷺ، وليس فيها حكاية عن الله تعالى.

في رواية أنس (رضي الله عنه): ما من معمر يعمر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله تعالى عنه ثلاثة أنواع من البلاء. وقال: في الخمسين لين الله حسابه.

وفي رواية أخرى عن أنس (رضي الله عنه) قال: المولود قبل أن يبلغ الحنث ما يعمل من حسنة، كتبت لوالديه. وإن عمل سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه. فاذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم،

أمر الملكان اللذان معه أن يحفظا ويسددا. فإذا بلغ أربعين سنة...، وسرد الحديث إلى أن قال بعد التسعين: فاذا بلغ أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً، كتب الله له بمثل ما كان يعمل في صحته من الخير. وإن عمل سيئة لم تكتب عليه.

وفي رواية أبي هريرة (رضي الله عنه): فإذا بلغ مائة سنة، سمي حبيس الله في الأرض. حق على الله أن لا يعذب حبيسه في الأرض.

هذا الحديث يخبر عن حرمة الإسلام وما يوجب الله تعالى لِمَن قطع عمره مسلماً من الكرامات، وما يقصد في ذلك بيان الأعمال والدرجات واكتساب الطاعات. فذاك ثوابه على قدر ما سعى واكتسب. ومثل هذا موجود في حق الخلق. ترى الرجل يشتري عبداً، فإذا أتت عليه ستون يقال: عتق عندنا وطالت صحبته معنا فترتفع عنه بعض العبودة، ويخفف عليه في الضريبة. فإذا زادت مدة صحبته، زيدت رفقاً وعطفاً. وإذا وجد منه تخليط وإساءة عمل، فلطول صحبته لا يمنع رفده ورفقه لإساءته، فإذا شاخ وكبر، أعتقه احتشاماً من بيعه والإساءة إليه.

ولهذا قال (عليه السلام): إن الله تعالى يستحي من عبده وأمته أن يشيبا في الإسلام فيعذبهما[1].

---

(١) رواه السيوطي في الجامع الكبير عن ابن النجار بسند ضعيف بلفظين آخرين: أحدهما: هذا والثاني: إن الله عز وجل يستحي من ذي الشيبة إذا كان مسدداً كروماً للسنة أن يسأله فلا يعطيه. انتهى وذكره الغزالي في الدرة الفاخرة وقال: روى عن يحيى بن أكتم القاضي أنه رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك.. ؟ فقال: أوقفني بين يديه الكريمتين ثم قال يا شيخ السوء فعلت وفعلت كذا وفعلت وفعلت فقلت يا رب ما بهذا حدثت عنك فقال بم حدثت عني يا يحيى ؟ فقلت: حدثني معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة عن نبيك ﷺ عن جبريل عنك يا ذا الجلال والاكرام إنك قلت: إني استحي أن أعذب ذا شيبة في الاسلام ». =

ففي بلوغ العمر أربعين سنة استكمال الشباب واستجماع القوة، وهو عمر تام. ولا يزال بعده في نقصان وإدبار. فإذا عاش في الإسلام عمراً تاماً، وجب له من الحرمة ما يدفع عنه الآفات الثلاث التي لا تقبل الدواء منه من الداء العضال، ووجود العدو إليه سبيلاً في أخذ قلبه. فإذا بلغ خمسين سنة وهو نصف المائة التي هي أرذل العمر الذي يرفع عنه الحساب، فهو على النصف من ذلك، فخفف عنه حسابه ولين، وحوسب حساباً يسيراً. وخفة الحساب في الدنيا أن لا يؤاخذه فيها، ولا ينزع منه البركة، ولا يحرمه ألطافه، ولا يقصيه ولا يخذله. ومن قبل الخمسين لم يستوجب هذه الحرمة. فإذا بلغ ستين سنة، وهو عمر التذكر والتوقف، قال عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نودي: أبناء الستين: ﴿ **أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر** ﴾[1].

فإذا عمر ستين سنة، فقد جاء أوان التذكر؛ لأن الأربعين منتهى استتمام القوة. فإذا جاوز إلى ستين، فقد أتى عليه عشرون سنة في النقصان، وهو نصف الأربعين الذي هو منتهى القوة، فقد افتقد من نفسه نصف القوة. فلذلك صار حجة عليه، فأوجب له حرمة بأن رزقه الإنابة إليه فيما يحب وهو التذكر. فإنه إذا تذكر، رزقه الإنابة إليه في الطاعات، ولم يخذله حتى يصير عمره وبالاً وحجة عليه، فيعير به كما يعير أهل النار قال الله تعالى: ﴿ **أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير** ﴾[1].

وإذا بلغ سبعين سنة، فقد عمر حقباً من الدهر وهو سبعون سنة، وهو غاية وقد ينتهي إليه في الطول، وهو منتهى أعمار هذه الأمة.

= فقال: يا يحيى صدقت، وصدق الزهري، وصدق معمر، وصدق عروة وصدقت عائشة، وصدق نبي وصدق جبريل، وصدقت: اذهب فقد غفرت لك.

(١) سورة فاطر آية رقم ٣٧.

قال (عليه السلام): « أقل أمتي أبناء السبعين »[1]. وقال (عليه السلام): « معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين »[2].

فإذا عمر في الإسلام سبعين سنة، قال: هذا عبد قد كان في عبودة مولاه حقباً لم يأبق منه ولم يتول حتى مات في عبودته، وذهب شبابه وقوته في طاعته، فأوجب له محبته، وأحبه أهل السماء. فإنه يشهر حبه فيهم. وتحقيق ما ذكرنا ما روى وهب قال: مكتوب في التوراة: أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده. أبناء الخمسين: هلموا إلى الحساب لا عذر لكم. أبناء الستين: ماذا قدمتم وماذا أخرتم. أبناء السبعين: ماذا تنتظرون؟ ألا ليت الخلق لم يخلقوا. فإذا خلقوا علموا لماذا خلقوا. ألا أتتكم الساعة فخذوا حذركم.

فإذا بلغ ثمانين سنة، قبلت حسناته، وتجاوز الله تعالى عن سيئاته فإنه عمر ضعف العمر. فإن العمر التام أربعون. ثم عمر أربعين أخر في نقصان وإدبار في الإسلام، فاستوجب أن قبلت حسناته وتجاوز عن سيئاته. فإن الله تعالى قال في الاستقامة: ﴿ **حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني...** ﴾[3] إلى آخر الآية. وقال الله تعالى: ﴿ **أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا...** ﴾[4] إلى قوله: ﴿ **يوعدون** ﴾ فهذا لمن بلغ أربعين سنة في الاستقامة.

---

(١) الحديث رواه ابن عساكر، عن أبي هريرة رفعه بهذا اللفظ ورواه الترمذي والطبراني عن ابن عمر وأنس ولفظ ابن عمر: أقل أمتي من يبلغ السبعين، وفي لفظ الذين يبلغون السبعين.

(٢) الحديث رواه أحمد والترمذي وابن ماجة وأبي يعلى والعسكري والقضاعي والرامهزمزي وغيرهم. ولفظه عند ابن ماجة (أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك) في كتاب الزهد ٤٢٣٦.

(٣) سورة الاحقاف آية رقم ١٥.

(٤) سورة الأحقاف آية رقم ١٦.

فإذا كان مخلطاً فعمر في الإسلام ضعف أربعين، أوجب له بحرمة ذلك العمر ما يوجب للمستقيم في وقت الأربعين.

روى أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إذا بلغ الرجل من أمتي ثمانين سنة، حرم الله جلده على النار. وإذا بلغ تسعين سنة، فقد أفند وفقد عقله وكان العقل حجة الله عليه، فغفر له ما تقدم من ذنبه بقطع هذا العمر مسلماً، وما تأخر بفقد عقله. لأنه في أول ما اجتباه ألقى في قلبه نور المعرفة، فسبى قلبه عليه، فما زال يستغله فيغل غلته، ويؤدي خراجه. حتى إذا شاخ وكبر وعجز عن العلة، وذهبت القوة، وفقد العقل، رفع عنه الضريبة والخراج وتبعة الذنب فيما بقي وسمي: أسير الله في الأرض، لأنه في ربقة الايمان كأسير في وثاق لا يقدر براحاً، قد عجز عن أعمال البر، وهو في ربقة الاسلام. فإذا بلغ مائة سنة، فقد رد إلى أرذل العمر، فصار كالصبي، فبلغ من حرمته أن يجري له حسناته، ولم يكتب عليه سيئآته، لأنه قد بلي فوجد صادقاً في التوحيد، لم يتردد فيه، ودام عليه ناشئاً فتياً، وشاباً طرياً، وكهلاً سوياً، وبجالاً[1] بهياً، وشيخاً رضياً. فلما صار إلى أرذل عمره، عاد إلى أحكامه طفلاً وصبياً، فأجرى له ما كان يعمل من الحسنات في سالف أيامه، ورفع عنه سيِّئ ما يجيء منه.

قال الله تعالى: ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددنا أسفل سافلين...** ﴾[2] ثم استثنى فقال: ﴿ ... **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون** ﴾[3] أي غير مقطوع.

وقال (عليه السلام): « غير ممنون » ما يكتب لهم صاحب اليمين. فإن عمل خيراً، كتب صاحب اليمين. وإن ضعف عن ذلك، كتب له صاحب اليمين وأمسك صاحب الشمال فلم يكتب سيئة.

---

(١) البجال من التبجيل: وهو التعظيم.

(٢) سورة التين آية رقم ٤، ٥.

(٣) سورة التين آية رقم ٦.

الأصل الثالث والأربعون والمائة

في فضل ذاكر الله في أهل الغفلة

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: من دخل سوقاً من أسواق المسلمين فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، وحطت عنه ألف ألف خطيئة، ورفعت له ألف ألف درجة[1].

هذه كلمات يخرج بها العبد من حال الغفلة. وإنما خص بها الأسواق لأن الغفلة مستولية على أهلها. وذلك لأن الله تعالى هو المعطي والمانع والقابض والباسط، والرازق بيده خزائن الأشياء، ومفاتيح الغيب. فمن قدر على شيء فبقدرته إياه قدر، ووضع الأشياء في الأسباب، وجعل الأسباب من أبواب المكاسب، ووجوه الأرزاق نصب أعين الآدميين.

---

(١) الحديث رواه الحاكم في المستدرك في كتاب الدعاء ١ : ٥٣٨ ثنا يزيد بن هارون أنبأ أزهر بن سنان القرشي ثنا محمد بن واسع قال: قدمت المدينة فلقيت بها سالم بن عبدالله ابن عمر فحدثني عن أبيه عن جده عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. وفيه زيادة [وبنى له بيتاً في الجنة] وهكذا رواه عبدالله بن وهب ورواه اسماعيل بن عياش عن عمر بن محمد بن زيد عن سالم.

فأهل اليقين بنور بصائرهم نفذوا من الأسباب إلى وليها بحيث لا تقدر الأسباب أن تصير فتنة عليهم. فهم يعملون في الأسباب مع وليها. يزرعون وينتظرون رحمتن. فإذا أزكى، قالوا: هذا من فضلك ورحمتك. ويتجرون يبتغون الأرباح من فضل الله تعالى. فإذا تعذر عليهم شيء، سألوه كما قال تعالى: ﴿ **وابتغوا من فضل الله...** ﴾[1] ﴿ **واسألوا الله من فضله...** ﴾[2].

وأهل الغفلة تعلقت قلوبهم بالزراعات، والحرف، والتجارات، وما وضع لهم فيه من التدبيرات. فاليه ينظرون، وإياه يطلبون، وبه يفتنون، ومن أجله يعصون. فالأسواق معدن النوال ومظان الأرزاق، وهي مملكة وضعها الله تعالى لأهل الدنيا يتداولون ملك الأشياء فيما بينهم. فترى الشيء الواحد يدور ملكه في اليوم الواحد على أيدي المالكين مرات، والتدبير على المملكة الأعلى وهي العرش. فملكة التداول في الأسواق، ومملكة تدبير التداول هي العرش. والسوق رحمة من الله تعالى لعباده. دبره معاشاً لخلقه، يدر عليهم منها حوائجهم ليلاً ونهاراً وشتاءً وصيفاً ونقلاً من بلد إلى بلد؛ لتكون الأشياء كلها موجودة في الأيدي عند الحاجة إليها. قال تعالى: ﴿ **وقدر فيها أقواتها...** ﴾[3]

وجعل الذهب والفضة أثمان كل شيء، وما سواها عرضاً، وصرف أرزاقهم إلى مثل هذه الأرباح، وصرف بوجوههم للطلب إلى مطالب الكسب لتكون الأسواق قائمة، والتدبير جارياً، والمعاش نظاماً. وجعل الحرف والصنائع بعضها متعلقة بالبعض ينتفع هذا بصنعة ذاك، وذاك بصنعة هذا. ولو لم يكن هكذا، لكان الواحد يحتاج إلى آلة جميع الحرف، وإلى تعلم كل حرفة في الأرض. فيصيرون عجزة، وأسواقهم

---

(١) سورة الجمعة آية رقم ١٠.

(٢) سورة النساء آية رقم ٣٢.

(٣) سورة فصلت آية رقم ١٠.

بصنوف ما يحتاجون إليه مشحونة، ثم صيرهم يبتغون من فضل الله تعالى في هذه الأشياء بتغيير الأسعار. فإن الله تعالى هو المسعر، وهو القابض والباسط. فبتغيير الأسعار يتناولون الأرباح، ويدر عليهم الشيء بعد الشيء، ويكون ذلك معاشاً لهم تفضل الله تعالى عليهم به. فأهل الغفلة صيروا هذه الرحمة وبالاً على أنفسهم بتعلق قلوبهم بالأسباب، وغفلتهم عن المدبر لها، والسائق أرزاقهم إليهم من فضله. فالناطق بهذه الكلمات بين أولئك الغفلة في هذا الحظ من ربه، فتكتب له الحسنات، وتمحى عنه السيئآت، وترفع له الدرجات.

قال (عليه السلام): ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في السنة الحمراء.

وهذا لأن العدو قد انتهز الفرصة من أهل الأسواق لما رأى من أحوالهم من حرصهم، وشحهم، ورغبتهم في الدنيا، وصيرها عدة وسلاحاً لفتنته. فدخلوا أسواقهم وهم طالبون للمعاش، والرغبة فيهم حاصلة، والحرص كامن. فنصب كرسيه في وسط أسواقهم، وركز رايته، وبث جنوده، وقال: دونكم من رجال مات أبوهم وأبوكم حي. فمن بين مطفف في كيل، وطائش في ميزان، ومنفق سلعة بالحلف الكاذب. وحمل عليهم بجنوده حملة فهزمهم عن مقاومهم إلى المكاسب الرديئة، وإضاعة الصلوات، ومنع الحقوق. فما داموا في هذه الغفلة على مثل هذه الأحوال فهم على خطر من ربهم من نزول العذاب وتغير الأمور وكون الأحداث. فالذاكر فيما بينهم يرد سخط الله تعالى ويطفئ ثائر غضبه لأن في كلماته هذه نسخاً لتلك الأعمال. قال تعالى: ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض...** ﴾[1]

فيدفع عن أهل الغفلة بالذاكرين، وعن غير المصلي بالمصلين. وفي

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥١.

هذه الكلمات التي ذكرها (عليه السلام) نسخ لأفعال أهل السوق؛ لأن قلوبهم قد وله بعضها إلى بعض في النفع والضر. فإذا قال: « لا إله إلا الله »، كان نسخاً لوله قلوبهم. وإذا قال: « وحده لا شريك له »، يكون نسخاً لما تعلقت قلوبهم بعضها ببعض في نوال أو معروف، أو رجاء نفع أو خوف ضر. وقوله: له الملك وله الحمد، نسخ لما يرون من صنع أيديهم وتصرفهم في الأمور بتحمل بعضهم بذلك إلى بعض. وقوله: « يحيي ويميت » نسخ لحركاتهم وما يرجون في أسواقهم للتبايع، أحياهم حتى انتشرت الحركات، ويميتهم فلا يبقى متحرك. وقوله: « وهو حي لا يموت » نفى عنه ما ينسب إلى المخلوقين من الموت. وقوله: « بيده الخير » أي هذه الأشياء التي تطلبونها من الخير في الأسواق. وهو على كل شيء قدير.

ومثل أهل التخليط والغفلة في الأسواق كمثل الذبان والهمج يجتمعن على مزبلة، يتطايرن فيها على ألوان القاذورات، فيقعن على ضروب ما هناك، فعمد رجل إلى مكنسة ذات شعوب وقوة فكنس هذه المزبلة، فجرفها في الوادي، فإذا البقعة نظيفة وصاحبها معجب بها. فالناطق بهذه الكلمات وجد أسواقاً مشحونة بالكذب، والفحش، والخيانة، والظلم، والعدوان، والأيمان الكاذبة، والمكاسب الرديئة، قد هزمهم العدو وهم على شرف حريق، ونزول عذاب، فنطق بهذه الكلمات، ورمى بالمزابل في وجه العدو، وطهر الأسواق منهم، وأطفأ نائرة[1] سخط الله تعالى، وستر مساوئ أهل السوق، ونفى ظلمتهم، وطهر أرجاسهم، فاستوجب من الله تعالى من الثواب ما أشار إليه (صلوات الله وسلامه عليه).

---

(١) النائرة: العدواة والشحناء.

الأصل الرابع والأربعون والمائة

في أن الموحد والصديق في الناس قليل

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: « تجدون الناس كالإبل المائة ليس فيها راحلة. أو ليس فيها إلا راحلة »[1].

فالراحلة هي التي قد ريضت وأُدبت فسمحت بالطاعة، وتركت شرتها، وسارت بزمامها، وذلت لصاحبها، وأعطت سيرها، وجادت بنفسها، وأعطت من نفسها السير في وجهها. فما زال ذلك عادتها في الرجل ودأبها في الانقياد، وصاحبها يرعاها ويلي تأديبها، ويتفقد أحوالها، حتى تمكنت عنده منزلة وحظاً، حتى صيرها نجيبة من نجائبه، وكريمة من كرائم إبله، سمحة لا تحرن، وكريمة لا تجمح، وجريئة لا تنفر، ووادعة لا تشمس، وساكنة لا تضطرب، إذا حملت حملت،

(١) الحديث رواه الامام البخاري في كتاب الرقاق ٣٥ باب رفع الأمانة ٦٤٩٨ عن الزهري قال أخبرني سالم بن عبدالله أن عبدالله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره. ورواه الامام مسلم في فضائل الصحابة ٢٣٢ والترمذي في كتاب الأدب ٨٢ وابن ماجة في الفتن ١٦ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٧، ٤٤ (حلبي) قال الأزهر: الراحلة عند العرب الذكر النجيب والأنثى النجيبة المختارة من الابل للركوب قال القرطبي: والذي يناسب التمثيل أن الرجل الجواد الذي يحمل أثقال الناس والحمالات عنهم ويكشف كربهم عزيز الوجود كالراحلة في الابل الكثيرة.

وإذا سارت استمرت، وإذا حركت أعنقت، فصاحبها بأحوالها معجب وبها ضنين لا يملكه أحداً، ولا يطلق لغيره عليه يداً، حتى يتحمل أثقال صاحبه، فيكون من نجائبه، فكانت كإحدى الإبل المائة سائمة ترعي في مظانها، وتذهب في مهواها يميناً وشمالاً، لا ينتفع بها برسل ولا حمولة. فالواحد منها ركوبه، وسائرها للأكل. قال الله تعالى: ﴿ **وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون...** ﴾[1] فالذي ذلّل للركوب صارت راحلة، وسائرها لحم.

فكذلك الناس انتشروا على بسيط الأرض، فربتهم نعم الخالق، وأظلتهم سحائب رحمته، واكتنفتهم رأفته، وتولتهم نعمته ومنته. فإذا ألجمت أحدهم بلجام الحق أو زممته بزمام الصبر، هز رأسه ولوى عنقه، فرمى باللجام وجاذب بالزمام فمر شارداً ورمى بحمولته. فمن المائة لا تجد فيها راحلة واحدة، عز أن تجد نفساً سمحة سخية منقادة مطيعة لربها، قد ألقت بيدها سلماً وانخشعت لعظمة ربها، ووطنت نفسها على العبودة. فلا يزال في عطف الله تعالى ورحمته وتأييده ونصرته حتى يصير ذا حظ من ربه. فبحظه منه تنجب وتزكو نفسه، وتطيب أخلاقه، وينشرح صدره، وتلين عروقه، ويرطب قلبه، ويألف ربه. فإن رحله، انقاد. وإن سيره، سار. وإن عطفه، انعطف. وإن كبح به، وقف. وإن بعثه، انبعث. وإن حركه، هملج[2] أو جمز[3]. وإن أوقره، استمر. وان أنصبه، احتمل. وإن خلى زمامه تفويضاً إليه، استقام. فهو لربه أليف، وربه به ضنين.

---

(١) سورة يس آية رقم ٧٢.

(٢) الهملاج بالكسر من البراذين المُهمْلجُ والهملجة: فارسي معرب وشاة هملاج لا مخ فيها لهزالها، وأمر مذلل فتعاد.
راجع ترتيب القاموس

(٣) حجز الانسان والبعير وغيره يحجز حجزاً وحجزي وهو عَدْو دون الحضر وفوق العنق وبعير جماز وناقة جمازة وحمار جماز وثاب.

قال (عليه السلام): الله أضن بدم عبده المؤمن من أحدكم بكريمة ماله حتى يقبضه على فراشه.

وقال (عليه السلام): إن لله تعالى عباداً يضن بهم عن الأمراض والأسقام يحييهم في عافية. ويميتهم في عافية. ويدخلهم الجنة في عافية .

فالراحلة في الإبل قليلة. والنجيبة في الرواحل قليلة. فالموحدون في الناس قليل. والمستقيمون بلجام الله في سيرهم قليل في الموحدين. والصديقون في المستقيمين قليل. قال الله تعالى: ﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾[1].

فالسابقون أهل الشكر والوفاء، والمؤيدون بالمن والعطاء، والممتلئة قلوبهم من الجلال والبهاء والعظمة والآلاء.

قال (عليه السلام): « طوبى للسابقين إلى ظل الله تعالى » . قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: « الذين إذا أعطوا الحق، قبلوه. وإذا سئلوا، بذلوه. والذين يحكمون للناس بحكمهم لأنفسهم ».

وهذه صفة أهل القناعة فإنهم استغنوا بالله تعالى حتى قنعوا بما أُعطوا، ولله انقادوا، وألقوا بأيديهم حتى بذلوا الحق إذ سئلوا، وإلى الله تعالى أقبلوا حتى عدل قلوبهم، فصاروا أُمناءه وحكامه في أرضه يحكمون للناس بحكمهم لأنفسهم. قال تعالى: ﴿ **فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾[2].

وفي مناجاة موسى (عليه السلام): يا رب كيف أصل رحمي وقد تباعدوا عني في مشارق الأرض ومغاربها؟ قال: « يا موسى أحب

---

(١) سورة سبأ آية رقم ١٣.

(٢) سورة النحل آية رقم ٩٧.

لهم ما تحب لنفسك ». ولا يقوي على ذلك إلا عبد سقط عن قلبه منزلة نفسه ومنزل دنياه ولها عنهما، وشغف بمولاه فنبه من رقدة الغافلين فانتبه. وأشرق في صدره النور فوقف بقلبه على جلال الله تعالى وعظمته، وعلى جماله وبهائه، وعلى كبريائه وسلطانه، فصارت دنياه عنده أقل من جناح بعوضة، وصارت نفسه عنده قبضة من تراب، وردت على قلبه من محبة الله تعالى والحلاوة التي وجد لها ما أسكرته وألهته عن محبة نفسه ودنياه، وما يؤمن بها إلا كل مؤمن قد إمتحن الله قلبه للإيمان، وقليل ما هم.

قال (عليه السلام): يقول الله تعالى: ﴿ **يا جبرئيل انسخ من قلب عبدي المؤمن الحلاوة التي كان يجدها لي** ﴾. قال: فيصير العبد المؤمن والهاً طالباً للذي كان تعاهد من نفسه، ونزلت به مصيبة لم ينزل به مثلها قط. فإذا نظر الله تعالى إليه على تلك الحال، قال: يا جبرئيل: ﴿ **رد إلى قلب عبدي ما نسخت منه فقد إبتليته فوجدته صادقاً وسأمده من قبلي بزيادة** ﴾.

فهذه حلاوة المحبة من نالها، فقد غلب على عقله وصارت جميع الأشياء خولاً[1] لها. كمن وجد درهماً فأحبه على قدره، ثم وجد ديناراً فأحبه على قدره، ثم وجد جوهراً لا يدري ما قيمته! قد رق في عينه الدرهم والدينار لاستغنائه به وانتفاعه بذلك أكثر من الاستغناء والانتفاع بهما. وإذا فتح الله قلب المؤمن، ونور صدره، وعرفه من صفاته، ما جهله قبل ذلك، علم أن الخير كله بيد الله تعالى والنفع منه، كان غناه بالله تعالى أكثر، ورجاؤه منه أعظم من الدينار والدرهم. فإن أحبه حباً يلهيه عن حب الدرهم والدينار، فليس بعجيب، بل هو

---

(١) خوله الله الشيء تخويلاً ملكه إياه، والتخول التعهد، وفي الحديث: كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة الساعة، وكان الأصمعي يقول: يتخوننا بالنون أي يتعهدنا.

المتمكن في العقول. فإن من له بيت مملوء من دنانير، فلو سقط منه عشرة مثلاً، لم يجد على قلبه حزناً عليها. ولو أهدي إليه هذا القدر لم يفرح بها لاستغنائه بتلك الدنانير. فإذا كانت هذه الدنانير قد أغنته وفرحته فرحاً لا يجده لحصول هذه الدراهم القليلة فرحاً، ولا لفواتها حزناً، فما ظنك بمن عرف الله تعالى في جلاله وعظمته وملكه، وعرف إحسانه إليه، ألا يكون غناه به وفرحه فرحاً لا يجد لشيء من عروض دنياه فرحاً ولا يجد على فواتها حزناً؟

روى أنس (رضي الله عنه) قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ فقال: « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة »[1]، فأطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من ماء وضوئه، معلق نعله في يده الشمال. فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فأطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى. فلما كان من الغد، قال (عليه السلام) مثل ذلك، فأطلع الرجل. فلما قام اتبعه عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) فقال: « إني لاحيت لأبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً. فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى يحل يميني فعلت » قال: « نعم ». فإذا له خيمة ونخل وشاة. فلما أمسى خرج من خيمته فاحتلب العنز واجتنى لي رطبة، ثم وضعه فأكلت. فبات نائماً وبت قائماً، وأصبح مفطراً وأصبحت صائماً. ففعل ذلك ثلاث ليال. غير أنه كان إذا انقلب على فراشه، ذكر الله تعالى وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر فيسبغ الوضوء. غير أني لا أسمعه يقول إلا خيراً. فلما مضت الليالي وكدت أحتقر عمله، قلت: يا عبدالله إنه لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات في ثلاث مجالس:

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٣ : ١٦٦ ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري قال: أخبرني أنس بن مالك قال: وذكره مع تغاير في بعض الألفاظ.

« يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلعت أنت تلك المرات الثلاث. فأردت أن آوي إليك فأنظر ما عملك، فأخبرني ما عملك؟ قال: فَأْتِ الذي أخبرك حتى يخبرك بعملي. فأتيت رسول الله ﷺ فقال: ائته فمره فليخبرك. فقلت: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تخبرني. قال: أما الآن فنعم. لو كانت الدنيا لي فأُخذت مني، لم أحزن عليها. ولو أُعطيتها، لم أفرح بها، وأبيت. وليس على أحد في قلبي غل، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه.

قال عبدالله: لكني والله أقوم الليل، وأصوم النهار، ولو وهبت لي شاة، لفرحت بها. ولو ذهبت لحزنت عليها. والله لقد فضلك الله علينا فضلاً بيناً. وجماع الأمر في هاتين الخصلتين: سقوط منزلة دنياك من قبلك، وسقوط منزلة نفسك عن قلبك. فإذا لم يكن لدنياك عندك قدر، لم تفرح به ولم تحزن عليه. وإذا لم يكن لنفسك عندك قدر، لم تغل ولم تحقد على من آذاك.

وقال (عليه السلام) حين سُئل: أي المؤمنين أفضل؟ قال: « مخموم القلب، صدوق اللسان ». قالوا: يا رسول الله: ما مخموم القلب؟ قال: « التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد ». قالوا: ما نعرف هذا فينا يا رسول الله. فمن يليه؟ قال: « الذين شنئوا الدنيا وأحبوا الآخرة ». قالوا: ما نعرف هذا فينا إلا رافع مولي رسول الله ﷺ فمن يليه؟ قال: « مؤمن في خلق حسن ».

فالمخموم مؤمن ولج النور قلبه، فأخرج ما فيه من شهوة النفس. والخمامة قماش البيت وما يكنس عن وجه الأرض. فعز وجود هذا في وقتهم على عهد رسول الله ﷺ. وأبى الله أن يكون ذاك إلا في خاص من الناس قليل في كل وقت. قال تعالى في التنزيل في

بيان المقربين السابقين: ﴿ **ثلة من الأولين وقليل من الآخرين** ﴾[1].

وقال (عليه السلام): في كل قرن من أمتي السابقون.

وقوله (عليه السلام): « الناس كالإبل المائة » تمثيل. لأن الإبل المائة هي سائمة ترعى مرعاها بهواها، ليس على ظهورها حمولة ولا في أنفها أزمة ولا خطم[2]، فهي في استبدادها تعمل ما هويت. فإن لم يكن لها راع، فكم من مترديه في جرف هار، وكم من فريسة بين أنياب السباع، وكم من آكلة دفلى[3] تموت آكلته، وآخر تموت عطشاً، وآخر تموت جرباً. فالراعي يرعاهم المرعى، ويجنبهم الدفلى، ويذود عنهم السباع، ويعدل بهم عن الجرف، ويوردهم المياه العذبة. وكذلك الناس هم بهذه الصفة. فالراحلة هو الذي رحل نفسه وراضها وجنبها سموم الدنيا وآفاتها، وقوم أخلاقها حتى استقامت لله تعالى. فصارت راحلة تركبها حقوق الله تعالى فتنقاد لها، وتحمل أثقال الحقوق فتسير بها إلى الله تعالى. فإذا رحل نفسه وارتحل إلى الله تعالى، ثم صار راعياً يرعى عباده فيصلح للرعاية يجنبهم الآفات، ويهديهم للهدايات، ويوردهم المياه العذبة وهو العلم الصافي بلا تخليط ولا كدورة، ويعرفهم خداع العدو ومراصده ومكامن النفس، وهو في ذلك يحب أن تكون أمورهم على وفاق ما بين الله تعالى لهم، وعلى محاب الله تعالى، ولا يكون كذلك. فربما انتشرت الإبل عليه فيضطرب في ذلك، ويتلوى ويقبل ويدبر احتيالاً وتكلفاً، ويضيق صدره بأمورهم، فهو في جهد من ذلك لما يحب أن تستوي أمورهم، وتستقيم سيرتهم. ويأبى الله إلا أن يكون كما قدر. حتى إذا فتح عليه باب النجباء الكرام فأبصر

---

(١) سورة الواقعة آية رقم ١٣ ــ ١٤

(٢) الخطام: الزمام والخطمي بالكسر الذي يغسل به الرأس.

(٣) الدفلى: نبات مر يكون واحداً وجمعاً ينون ولا ينون، فمن جعل ألفه للالحاق نونه في النكرة، ومن جعلها للتأنيث لم ينونه.

بذلك النور أن هذا تدبيره لهم، ومشيئته فيهم، وأنه أعلم بما يراد لهم، فإنما خلقهم من وجه الأرض تربتها مختلفة، وأن القلوب أوعية في أرضه، يضع فيها ما أحب، وأن العقول مقسومة بين العبيد، وأن الأخلاق لهم من الخزائن ممنوحة، وأن الأنوار على ما اختصه برحمته من بينهم ممنونة، وأن له من خلقه صفوة ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة...** ﴾[1] وأن العبيد فقراء حتى يغنيهم الله من فضله غنى القلب، وأن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء، وأن الهداية منه، ﴿ **يهدي الله لنوره من يشاء...** ﴾[2] وأن الرسول (عليه السلام) عوتب في ذلك حتى قيل له: ﴿ **وإن كان كبر عليك إعراضهم...** ﴾[3] الآية. وقوله تعالى: ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء...** ﴾[4].

وكان ذلك بعد مضي السنين من النبوة. ثم أدبه ﷺ وقومه فألقى بيده سلماً، وذل لمولاه، وترك مشيئته لمشيئته، وراقب تدبيره فيهم، فصار نجيبة من نجائبه، يصونه مولاه عن المكاره والآفات والبلايا والعاهات، وأثنى عليه فقال: ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[5].

قالت عائشة (رضي الله عنها): كان ﷺ يرضى برضاه، ويسخط بسخطه.

---

(١) سورة القصص آية رقم ٦٨.

(٢) سورة النور آية رقم ٣٥.

(٣) سورة الأنعام آية رقم ٣٥.

(٤) سورة القصص آية رقم ٥٦.

(٥) سورة القلم آية رقم ٤.

الأصل الخامس والأربعون والمائة

في حقيقة الخشوع

عن أم رومان والدة عائشة (رضي الله عنهما) قالت: رآني أبو بكر أتميل في صلاتي فزجرني زجرة كدت أنصرف من صلاتي. ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليسكن أطرافه، لا يتميل تميل اليهود، فإن سكون الأطراف من تمام الصلاة »[1].

فالوقوف في الصلاة ينبغي أن يكون وقوف تذلل وتخشع. والخشوع البالغ خشوع القلب. قال الله تعالى: ﴿ **الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾[2]

وقد يتخشع الرجل بأركانه وليس بخاشع. فإن أراد بخشوعه ابتغاء

---

(١) الحديث رواه أبو نعيم في الحلية ٦ : ٣٠٤ حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر ثنا علي بن جعفر بن سعيد ثنا الهيثم بن خالد، ثنا محمد بن المبارك الصوري ثنا يحيى عن الحكم بن عبدالله عن القاسم بن محمد عن أسماء بنت أبي بكر عن أم رومان قالت: وذكره.
وحدثنا أبو بكر بن خلاد ثنا أبو الربيع الحسين بن الهيثم المهري ثنا هشام بن عمارة ثنا معاوية بن يحيى الطرابلسي ثنا الحكم بن عبدالله مثله.

(٢) سورة المؤمنون آية رقم ٢.

وجه الله تعالى، فهو محمود وعلى ذلك مأجور. وإن كان لغير الله تعالى، فهو تماوت وعليه ممقوت.

قال (عليه السلام): تعوذوا بالله من خشوع النفاق. قالوا: يا رسول الله: وما خشوع النفاق. قال: خشوع البدن ونفاق القلب .

ومعنى ذلك أن يتماوت ويرمي ببصره إلى الأرض تقرباً وترائياً. وقال (عليه السلام) حين رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته: لو خشع قلبه لخشع جوارحه[1].

فالخشعة للقلب الذي قد ماتت شهوات نفسه، فاطمأن لفراغه من النفس وفراغه من تكلفها. وأما تميل اليهود فأصله أن موسى (عليه السلام) كان إذا قرأ التوراة على بني إسرائيل، تلذذ بما فيه وهاجت منه اللذة، فكان يتمايل على قراءته كالذي يضطرب على الشيء يقرأه، فخلت قلوب ما بعده مما كان يجده (عليه السلام) فاستعملوها من بعده على خراب القلوب وخلاء الباطن من ذلك.

قال موسى (عليه السلام) يوم الوفادة: « إن هدنا إليك »[2]. أي ملنا إليك، وهو التوبة. فأخذوا هذا من قوله، وجعلوا يتهادون في صلاتهم. وكان موسى (عليه السلام) هبط الوادي حين أنس النار وكان نعلاه من جلد حمار غير مزكى فقيل له: اخلع نعليك إنك بالوادي المقدس. فأخذوا هذا من فعله. وإذا صلوا خلعوا نعالهم. فأمر رسول الله ﷺ باهدار هذه الأفعال وقال: « سكنوا أطرافكم في الصلاة ». وقال في حديث آخر: « صلوا في نعالكم ولا تشبهوا باليهود »[3].

(١) الحديث ذكره القرطبي عند تفسير قوله تعالى ﴿ **الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾. راجع تفسير القرطبي ٦: ١٠٣ ورواه السيوطي في الجامع الصغير واشار عليه بالضعف.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٥٦

(٣) الحديث رواه أبو داود في كتاب الصلاة ٦٥٢ ـــ عن هلال بن ميمون الرملي، عن يعلى ابن شداد بن أوس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

وكان موسى (عليه السلام) يعامل بني إسرائيل على ظاهر الأمور لقلة ما في باطنهم. فكان يهيب الأمور ويعظمها في الظاهر لهم ويكتفي لنفسه بما في باطنه (عليه السلام)، حتى أن بني إسرائيل لا تعظم التوراة. فأوحى إليه أن هذه التوراة صارت في حجور بني إسرائيل، ولا تكاد تعظمها فحلها بذهب لم تمسه يد الآدميين، فأنزلت عليه الكيمياء فعلمه فعمد إلى اسماء تلك الأدوية والعقاقير ففرقها ثلاثة أجزاء، فأعطى جزءاً منها هارون (عليه السلام)، وجزءاً منها يوشع (عليه السلام)، وجزءاً منها قارون ليأتوا بها من الجبال كي لا يجتمع عند أحدهم علمها فيعمل بها. فذهب قارون فقعد على طريق هارون ويوشع (عليهما السلام) حين رجعا من الجبال فاستدرجهما مختدعاً لهما، فقال لكل واحد منهما: بم أمرك موسى؟ فأخبره كل واحد منهما بالذي أمره. فأثبتهما عنده، فضم على الجزئين إلى الجزء الذي عنده، ثم عمد إلى الصفر فأذابه وألقى عليه. فأخذ يعمل ذلك شهره ودهره، حتى اجتمع له أموال كانت تحمل مفاتيح كنوزه سبعون بغلاً. قال الله تعالى: ﴿ **وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة...** ﴾[1].

ونافق فوعظ فقيل له: ﴿ **أحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض** ﴾[2] قال: ﴿ **إنما أوتيته على علم عندي** ﴾[3]. فخسف الله به وبداره الأرض.

وكان موسى (عليه السلام) عمل هذا الذهب وحلّى التوراة به. ثم تركه وكان يعامل أمته بظاهر الأمور، فحلى باطنهم بتعظيم الله تعالى وتعظيم كلامه. فأمرت هذه الأمة بتسكين الأطراف والخشوع

---

(١) سورة القصص آية رقم ٧٦.

(٢) سورة القصص آية رقم ٧٧.

(٣) سورة القصص آية رقم ٧٨.

لربها في الظاهر للعامة، وفي الباطن للخاصة. قال الله تعالى: ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾[1].

فأهل الظاهر يحفظون لحظات العيون عن الالتفات يمنة ويسرة، وجوارحهم عن الحركات في غير ما أمروا به. وأهل الباطن قد جاوزوا ذلك، وحفظوا لحظات القلوب لئلا تلحظ أحداً سواه. فتكون قلوبهم منتصبة بين يدي الله تعالى، كما انتصبت جوارحهم في الظاهر. وذلك بما ولج قلوبهم من عظمة الله تعالى وجلاله، فهابت واستقرت في تلك الهيبة لله تعالى، فانتفى عنهم وساوس نفوسهم. ومن ههنا ما أنب رسول الله ﷺ على أهل الوسوسة فقال: هكذا أخرجت عظمة الله تعالى من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم. لا يقبل الله صلاة آمرئٍ لا يشهد فيها قلبه ما يشهد بدنه. وإن الرجل ليصلي الصلاة وما يكتب له عشرها.

---

(١) سورة المؤمنون آية رقم ١ ــ ٢.

الأصل السادس والأربعون والمائة

في سر التحية بالسلام

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: لا تبدأوا بالكلام قبل السلام. ومن بدأكم بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه[1].

شرط الله تعالى مع هذه الأمة في دينهم أن يأمن بعضهم بعضاً، ويسلم بعضهم من بعض. ولذلك سماهم: مؤمنين مسلمين. والأسماء سمات الشيء. فكل اسم دليل على صاحبه، ومشتق من معناه. والأسماء الأصلية هي التي جاءت من عند الله تعالى، مثل يحيى. قال الله تعالى: ﴿ **إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا** ﴾[2] أي لم نجعل أحداً لا يذنب سواه. لأن يحيى من الحياة، وقد أحيى الله تعالى قلبه به. فلم يذنب ولم يهم به.

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الأوسط. قال صاحب مجمع الزوائد وفيه هارون بن محمد أبو الطيب. وهو كذاب

(٢) سورة مريم آية رقم ٧.

قال (عليه السلام) : ما من آدمي إلا قد أخطأ أو هَمَّ بخطيئة غير يحيى بن زكريا[1].

ومثل أحمد. قال الله تعالى: ﴿ **ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾[2].

قال (عليه السلام): أعطيت ما لم يعط أحد، سميت أحمد، ونصرت بالرعب[3].

فكذلك شأن هذه الأمة والأمم. فإن كل أمة تسمت باسم من تلقاء نفسها مثل اليهود والنصارى والمجوس. فولي الله تعالى تسمية هذه الأمة، فقال (عز من قائل): ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل** ﴾[4].

وقال (عليه السلام): إن الله سمى أمتي فاشتق لها اسمين من اسمه، وهو السلام والمؤمن. وسماهم مسلمين ومؤمنين.

فاسم هذه الأمة على الحقيقة الأصلية التي علم آدم (عليه السلام). فاقتضي منها وفاء هذا الاسم أن يأمن بعضهم من بعض، ويسلم بعضهم

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ١ : ٢٥٤ حدثنا حماد بن سلمة قال أنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ عن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

(٢) سورة الصف آية رقم ٦.

(٣) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب المساجد ٨ ــ حدثنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها ــ وقال رسول الله ﷺ نصرت بالرعب، وأوتيت جوامع الكلم ــ وليس فيه: سميت أحمد، والترمذي في السير ٥ والنسائي في الجهاد ١ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٢٠١ (حلبي).

(٤) سورة الحجر آية رقم ٧٨.

من بعض. قال تعالى: ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾[1] وقال: ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** ﴾[2]. وقال (عليه السلام): « المؤمنون كرجل واحد »[3].

فوضعت هذه التحية فيما بينهم كرامة لهم فأكرم الله تعالى هذه الأمة بأن جعل تحيتهم على ألسنتهم أشرف القول وأطيبها من قوله: السلام عليكم. وكان في بني إسرائيل إذا لقي بعضهم بعضاً ينحني له ويومئ برأسه كهيئة السجود، فتلك تحيتهم.

روى أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: أعطي أمتي ثلاثاً لم يعط أحد قبلهن. السلام وهي تحية أهل الجنة، وصفوف الملائكة، وآمين. إلا ما كان من موسى وهارون[4].

وإنما جعل السلام وهو اسم من أسمائه موضوعاً بينهم ليكون أماناً للعباد في الدم والعرض والمال.

قال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): السلام أمان للعباد فيما بينهم.

وقال (عليه السلام): « من بدأ بالسلام فهو أولى بالله وبرسوله ». فلما كان هذا السلام مأمن العباد فيما بينهم، كان من بدأ بالكلام فقد ترك الحق والحرمة، فحقيق أن لا يجاب.

---

(١) سورة الحجرات آية رقم ١٠.

(٢) سورة التوبة آية رقم ٧١.

(٣) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ٦٧ عن الأعمش عن الشعبي، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

(٤) يراجع مسلم في كتاب المساجد ٤ بسنده عن حذيفة قال رسول الله ﷺ: فضلنا على الناس بثلاث فذكر منها صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعل الأرض مسجداً وطهوراً، وذكر خصلة أخرى.

الأصل السابع والأربعون والمائة

في هم الأنبياء الثلاث وتنزههم عما لا يليق

عن أنس (رضي الله عنه) يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن داود (عليه السلام) حين نظر إلى المرأة فهم بها قطع على بني إسرائيل بعثاً، وأوصى صاحب البعث فقال: إذا حضر العدو فقرب فلاناً بين يدي التابوت، فكان ذلك التابوت في ذلك الزمان يستنصر به، فمن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش الذي يقابله. فقدم فقتل زوج المرأة ونزل الملكان على داود (عليه السلام) فقصا عليه القصة، ففزع منهم، ففطن داود (عليه السلام) فسجد فمكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، وأكلت الأرض جبينه، يقول في سجوده: رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب، رب إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه، جعلت ذنبه حديثاً في الخلوق من بعده. قال: فجاءه جبريل (عليه السلام) بعد أربعين ليلة فقال: يا داود إن الله قد غفر لك الهم الذي هممت به. فقال له داود: وقد علمت أن الله تعالى قادر على أن يغفر لي الذي هممت، وقد عرفت أن الله تعالى عدل لا يميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال: يا رب دمي الذي عند داود؟ فقال له جبرئيل (عليه السلام): ما سألت ربك ذلك، ولئن

شئت لأفعلن. قال: نعم. فعرج جبرئيل (عليه السلام) إلى السماء وسجد داود (عليه السلام) فمكث ما شاء الله ونزل فقال: سألت يا داود عن الذي أرسلتني إليه. فقال: قل لداود إن الله يجمعكما يوم القيامة ثم يقول له: هب لي دمك الذي عند داود. فقال: هو لك يا رب. فنقول له: فإن لك الجنة. فالهم من الأولياء والرسل (عليهم السلام) عظيم شأنه لأنه ميل عن الله تعالى. فنسأله العصمة في الحركات والسكنات، إنه قريب مجيب.

وروي أن قاضياً في بني إسرائيل بلغ اجتهاده أن طلب إلى ربه أن يجعل بينه وبينه علماً. إذا هو قضى بالحق، عرف ذلك. وإذا قصر عن الحق، عرف ذلك. فقيل له: ادخل منزلك ثم مد يدك في جدارك، ثم أنظر كيف تبلغ أصابعك من الجدار، فاخطط عندها خطاً، وكلما قمت من مجلس القضاء فامدد يدك إليه. فإنك متى كنت على الحق ستبلغه. وإن قصرت عن الحق قصر بك. وكان يجتهد ولا يقضي إلا بالحق. وإذا قام من مجلسه يأتي ذلك الخط. فإذا بلغه، حمد الله وأفضى إلى كل ما أحل الله له من أهل ومطعم ومشرب. فلما كان ذات يوم وهو في مجلس القضاء أقبل إليه رجلان يريدان أن يختصما إليه. وكان أحدهما له صديق، فتحرك قلبه عليه محبة أن يكون الحق له، فيقضي له به. فلما أن تكلما دار الحق على صاحبه فقضى عليه، فقام من مجلسه وذهب إلى خطّه ومدَّ يده إليه فإذا الخط قد شمر إلى السقف، وإذا هو لا يبلغه، فخر ساجداً وهو يقول: يا رب شيئاً لم أتعمده ولم أرده فبينه لي. فقيل له: أتحسب أن الله تعالى لم يطلع على جور قلبك حيث أحببت أن يكون الحق لصديقك فتقضي له. قد أردته وأحببته. ولكن الله قد رد الحق إلى أهله وأنت لذلك كاره.

وعن ليث (رضي الله عنه) قال: تقدم إلى عمر (رضي الله عنه)

خصمان فأقامهما. ثم عادا ففصل بينهما. فقيل له في ذلك، فقال: تقدما إليَّ فوجدت لأحدهما ما لم أجد لصاحبه، فكرهت أن أفصل بينهما على ذلك، ثم عادا وقد ذهب ذلك ففصلت.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: اختصم إلى سليمان (عليه السلام) فريقان أحدهما من أهل امرأته جرادة، وكان يحبها، فهوى أن يقع القضاء له. ثم قضى بينهما بالحق فأصابه الذي أصابه عقوبة لذلك الهوى.

وعن سالم (مولى أبي جعفر المنصور) قال: خرجنا مع أبي جعفر إلى بيت المقدس، فلما دخل دمشق، بعث إلى الأوزاعي، فأتاه فقال: يا أمير المؤمنين حدثني حسان بن عطية عن جدك ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض** ﴾[1] ان ارتفع إليك خصمان فكان لك في أحدهما هوى فلا تشته في نفسك الحق له فيفلج على صاحبه فأمحو اسمك من نبوتي، ثم لا تكون خليفتي.

يا أمير المؤمنين حدثني حسان عن جدك قال: من كره الحق فقد كره الله؛ لأن الله تعالى هو الحق.

يا أمير المؤمنين حدثني حسان عن جدك في قوله تعالى: ﴿ **لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها...** ﴾[2] قال: الصغيرة التبسم، والكبيرة الضحك، فكيف بما جنته الأيدي؟.

فالهم بما عدل عن الحق هو ميل عن الله تعالى وإعراض. وقلوب الأنبياء (عليه السلام) معيار التوحيد، وموازين الأعمال، وحجج الله تعالى على الخواص. والهم همان: هم عارض لا قرار له ينفيه القلب

---

(١) سورة طه آية رقم ٢٦.

(٢) سورة الكهف آية رقم ٤٩.

بيقظته ونباهته وطيبه ونزاهته ونسيم روحه وفسيح ساحته. وذاك يعتري الأنبياء والأولياء (عليهم السلام). وذاك مرفوع عنهم لأنه عارض لا يملكه ولا يتكلفه، ولم يكن فيه حركة في ظاهر ولا في باطن. وإنما أيد من الروح والسكينة واليقين. وهم آخر، وهو هم عارض لله تعالى معه مشيئة وتدبير في أموره. والأنبياء والأولياء (عليهم السلام) بمعزل عنه، وفي انحطاط منه. وإنما يعتريه العامة. فان ربوبيته قاهرة لجميع ما عند هذا العبد من القوة والتأييد. فإذا هو مخذول فصار همه عزماً. وهو عقد القلب. وصار بذلك في ميل عن الله تعالى. وإذا استعملوا هذا العزم فأخرجوه إلى الأركان فعملت به جوارحهم، وقد بلي بالهم الأول ثلاثة أعلام في الأرض من الرسل: محمد، وداود، ويوسف (صلوات الله عليهم أجمعين).

أما يوسف (عليه السلام) فهم بها. حتى روى ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قعد منها مقعد الرجال، فانفرج السقف وتراءى له جبرئيل (عليه السلام) في صورة يعقوب عاضاً على إصبعه، ونودي: يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء؟ فولى هارباً، ثم أوصلها تزويجاً بعدما نالته العقوبة بالهم من طول اللبث في السجن[1].

عن وهب (رضي الله عنه) قال: أصابت امرأة العزيز حاجة فقيل لها: لو أتيت يوسف فسألته فاستشارت الناس في ذلك. فقالوا: لا تفعلي، فانا نخاف عليك. قالت: كلا إني لا أخاف ممن يخاف الله تعالى. قال: فدخلت عليه فرأته في ملكه. فقالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته، وجعل الملوك عبيداً بمعصيته. قال: فقضى

---

(١) الحديث أخرجه ابن جرير في التفسير ١٩٠٧٥ حدثني المثنى قال: حدثنا عمرو بن عون قال: « أجزنا هشيم عن منصور ويونس عن الحسن في قوله تعالى: ﴿ **لولا أن رأى برهان ربه** ﴾ وذكره.

جميع حوائجها، ثم تزوجها فوجدها بكراً. فقال لها: أليس هذا أجمل مما أردت؟ قالت: يا نبي الله، إني ابتليت فيك بأربع: كنت أجمل الناس كلهم وكنت أنا أجمل أهل زماني، وكنت بكراً وكان زوجي عنيناً[1].

وأما داود (عليه السلام) ففتح من المحراب باب الكوة، واطلع على تلك المرأة فوقع في نفسه شأنها وفتنتها، فلم يملك نفسه حتى وجه إليها من يومه ليضمها إلى نسائه كي يسكن الهائج من نفسه انتظاراً لما يكون، فأبت المرأة. فمشى إلى بابها. فمر بملكين يناجي أحدهما صاحبه وهو يقول: لقد أكرم الله إبراهيم وإسحاق عن مثل هذا الممشى، ومضى فلم يعتصم حتى وقف ببابها فاستفتح فقالت: من ذا؟ فأخبرها فقالت: أعاذ الله داود من أن يمشي هذا الممشى، فانصرف. فكتب إلى صاحب بعث كان زوجها فيه وأمره أن يقدم زوجها في مائتي رجل من بني إسرائيل مع تابوت السكينة. وكان من قدم معها لم يرجع حتى يفتح عليه أو يقتل. فتقدم فقتل. فلما انقضت عدتها، خطبها فتزوجها فلبث بذلك ما شاء الله، فلم يرعه إلا وقد تسور الخصمان عليه المحراب، ففزع فقصا القصة وعرجا فانكشف الغطاء عن داود (عليه السلام) وخر لله ساجداً أربعين صباحاً حتى نبت المرعى حول وجهه وغمر رأسه، ثم نودي: أجائع فتطعم؟ أو عارٍ فتكسى ؟ فنحب نحبة هاج المرعى من حرٍّ جَوْفه فغفر له، وبشر بها فقال : يا رب، هذا ذنبي فيما بيني وبينك قد غفرته، فكيف بفلان وكذا رجلاً من بني إسرائيل تركت أولادهم أيتاماً، ونساءهم أرامل؟ قال: يا داود لا يجاوزني يوم القيامة ظلم أمكنه منك. ثم أستوهبك منه بثواب الجنة. قال: يا رب هكذا تكون المغفرة الهنيئة. ثم قيل: يا

---

(١) الأثر رواه القرطبي مطولاً عند شرحه قوله تعالى: ﴿ **قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم** ﴾ عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ٩: ٣١٣ ــ ٣١٤.

داود ارفع رأسك فذهب ليرفع رأسه فإذا به قد نشب في الأرض، فأتاه جبرائيل (عليه السلام) فاقتلعه عن وجه الأرض كما تقتلع عن الشجرة صمغتها، حتى سأل ربه تعالى أن ينقش خطيئة في كفه. فكان لا يبسط كفه لطعام ولا شراب إلا رآها فابكته.

قال (عليه السلام) إنما مثل عيني داود مثل القربتين تنطفان الماء. لقد خدد الدموع في وجه داود خديد الماء في وجه الأرض. وكان من دعاء داود: رب اغفر للخطائين لكي تغفر لداود معهم. سبحان خالق النور. إلهي: خرجت أسأل أطباء عبادك أن يداووا لي خطيئتي. فكلهم يدل عليك. إلهي: أخطأت خطيئة قد خفت أن يجعل حصادها عذابك يوم القيامة إن لم تغفرها. سبحان خالق النور. إلهي: إذا ذكرت خطيئتي، ضاقت الأرض برحبها عليَّ. وإذا ذكرت رحمتك، إرتد إليَّ روحي.

وروي أنه كان إذا ذكرها، انحلَّت مفاصله، ثم يذكر رحمة الله تعالى فيرجع بأوصالها إلى مكانها.

وأما محمد رسول الله ﷺ فإنه لما عاين زينب فوقع في نفسه شأنها. وذلك أنه أبصرها قائمة في صحن الدار في درع وخمار أسود. فلما وقعت في نفسه، فزع إلى الله تعالى ووضع يده على وجهه وقال: « سبحان مقلب القلوب »[1]، فنزهه تعوذاً بالتنزيه وتغوثاً بالاسم الذي منه حدث على قلبه التقليب عن أن يقلبه بمشيئة تورثه غداً الحياء والعويل واضطراب الصوت في الملكوت. كما أورث من قبله من إخوانه (عليهم الصلاة والسلام)، وصيره ملجأ ومفزعاً، واستعمل التدبير الموضوع بين العباد أن غض بصره ومال بيده على وجهه ليكون له

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٢ : ١٧٢ والبخاري في كتاب التوحيد ١١ والترمذي في القدر ٧.

في ذلك تمسكن وتضرع وانقياد؛ ليرحمه ويصرف عنه الفتنة التي أحس بها. فشكره على ذلك مولاه حيث فزع إليه، ولم يفزع إلى نهمة النفس، ولم يتدبر بالحيل التي توصله إليها.

روي في الخبر أنه أمسى زيد فآوى إلى فراشه. قالت زينب (رضي الله عنها): لم يستطعني زيد وما امتنع عنه غير ما منعه الله مني فلا يقدر عليّ.

وفي بعض الروايات أن زيداً تورم ذلك منه حين أراد أن يقربها، فعلم زيد بما أخبرته زينب من فعل رسول الله ﷺ وقوله حين أبصرها، وصار إلى رسول الله ﷺ، وقال: إن زينب تؤذيني ولا تأتي ما أحب، ولا تبر قسمي، ولا تطيعني، وتفعل وتفعل، وإني أريد أن أطلقها.

فقال له : ﴿ **أمسك عليك زوجك واتق الله** ﴾[1]. فلم يزل زيد على عزمه الذي عزم الله على قلبه. فكما قلب قلب رسوله ﷺ بهواها، قلب قلب زيد حتى يطلقها. فلما انقضت عدتها، نزل القرآن بتزويجها منه. وولي الله تعالى تزويجها منه على لسان الروح الأمين، فقام رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن. وكان قبل نزول الآية قدم رسول الله ﷺ الخطبة إليها. ووجه زيد بن حارثة يعلمها ذلك. فدخل عليها وهي في مسجدها. فذكر لها حاجة رسول الله ﷺ فقالت: حتى أؤامر ربي (عز وجل) فنزلت قوله تعالى: ﴿ **زوجناكها** ﴾[1] فهي بعد في مؤامرتها وزيد عندها، إذ دخل رسول الله ﷺ بغير إذن فقعد عندها وتلا الآية فخرت ساجدة، وكانت تفخر بذلك على نساء رسول الله ﷺ وتقول: إن الله أنكحني من العرش وهو وليي من دون الخلق، والسفير في ذلك جبرائيل.

وكانت تسامي عائشة (رضي الله عنها) في الوسامة والحظ من

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٣٧.

رسول الله ﷺ فقالت: أنا الذي نزل تزويجي من السماء. فقالت عائشة (رضي الله عنها): أنا الذي نزل عذري من السماء في كتابه حين حملني ابن المعطل على الراحلة. قال الله تعالى: ﴿ **وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه...** ﴾[1] أي زيد بالعتق ﴿ **أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه...** ﴾[2] الآية.

فعوتب رسول الله ﷺ والحبيب يحب عتاب الحبيب حتى يدوم الصفاء، ويكون العتاب بدل الوجد.

قالت عائشة (رضي الله عنها): لو أن محمداً قدر على أن يكتم شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية[3].

وسبب العتاب على وجهين:

أحدهما ــ قول ابن عباس (رضي الله عنهما): وتخفي في نفسك الحب لها، وطلاقه إياها وتزويجك بها. وكان عليه السلام يهوى أن يخلي سبيلها. وخشي قالة الناس. وذلك أنه تبنى زيد بن حارثة. فقال المنافقون: ينهانا عن نساء أبنائنا ويتزوج امرأة ابنه. فخشي هذه القالة. وقالوها من بعد تزويجه إياها. فنزلت قوله تعالى: ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم...** ﴾[4] ونزلت: ﴿ **إدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله...** ﴾[5].

---

(١) (٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣٧.

(٣) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الايمان ٢٨٨ ــ حدثنا عبد الوهاب حدثنا داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت وذكره. ورواه البخاري في كتاب التوحيد ٢٢ والترمذي في التفسير سورة ٣٣، ٩، ١٠، ١١ واحمد بن حنبل في المسند ٦ : ٢٤١، ٢٦٦ (حلبي).

(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٤١.

(٥) سورة الأحزاب آية رقم ٥.

إنما جاءت المعاتبة من قبل أنه قال: ﴿ **أمسك عليك زوجك** ﴾[1]، وهو يحبها، ويود في نفسه أن يطلقها. وقد كان في الغيب أن سيطلقها ويبدي الله تعالى ما في نفس محمد ﷺ إذ يزوجها.

الوجه الثاني: ما ذكره علي بن الحسين (رضي الله عنهما) وهو جوهر من الجواهر. إنما عتب الله تعالى عليه فإنه قد أعلمه أن ستكون هذه الأمة من أزواجك. فكيف قلت بعد هذا لزيد: « أمسك عليك زوجك » وأخذتك خشية الناس أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه. والله أحق أن تخشاه فتراقب أمره وتدبيره فيك وفيها فتكون ممن أطلق ذلك كي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً. ثم قال: ﴿ **ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له، سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً** ﴾[2].

فرض الله ما أعلمه أن تكون زينب من أزواجه، وذلك سنة الله تعالى في داود (عليه السلام) حتى جمع بينه وبين تلك المرأة. وكان ذلك قدراً مقدوراً على داود (عليه السلام) أن يكون الجمع بينهما على تلك الجهة ويغفر له ويضمن عنه تبعته لخصمه.

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٣٧.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣٨.

الأصل الثامن والأربعون والمائة

في الثلاثة التي تحت العرش

عن الحسين بن عبد الرحمن، عن أبيه (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة تحت العرش ــ القرآن له ظهر وبطن يحاج العباد. والرحم تنادي: صل من وصلني، واقطع من قطعني. والأمانة ظهر وبطن، فالظهر يحاج العامة، والبطن يحاج الخاصة.

وهذا لأن الأمة على صنفين ــ أهل يقين. وأهل علم[1]. فأهل العلم صنفان ــ مخلط. وهو الظالم. ظلم نفسه والحق (عز وجل) وملائكته والأنبياء (عليهم السلام). فإن الله تعالى بعث بالحق على أيدي الملائكة على ألسنة الرسل (عليهم السلام). فإذا أخل بذلك، سمي ظالماً. ومستقيم، وهو المقتصد.

وأما أهل اليقين وهم السابقون الأولياء المقربون، فظاهر القرآن يحاج المقتصد في تفسيره، والظالم في تخليطه. وباطن القرآن يحاج السابقين

---

(١) يؤيد هذا الحديث ما رواه الامام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ٦ باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها والحديث الذي رواه بسنده عن عائشة ــ رضي الله عنها: ان الرحم معلقة بالعرش تقول: ومن وصلني وصله الله ــ ومن قطعني قطعه الله.

المقربين في تقصيرهم وخطراتهم وزلاتهم. قال الله تعالى: ﴿ **اتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور** ﴾[1].

فالظالم يتقي تخليطه، حتى لا يدخل في عمله شيء نهى الله عنه. والمقتصد قد فزع من التخليط، فهو يتقي أن يشوبه عجب أو رياء أو فساد أو خطأ. والسابق قد فرغ من هذا، فهو يتقي الأسباب والعلائق والاعتماد على شيء دونه، ويتقي الخطرات. وهذا كله هو التقوى. ولكنه يتقي كل صنف مما بقي عليه من التقوى. فإن لم يفعل، حاجه القرآن بما بقي عليه.

وأما قوله: « الرحم تنادي: صل من وصلني واقطع من قطعني » فالرحم لها شأن عظيم. قال (عليه السلام): « إن الله تعالى خلق الخلق. حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقوي الرحمن فقال: مه. قالت: هذا مقام العائذ من القطيعة. قال: نعم، ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذلك لك[2]. ثم قال رسول الله ﷺ: إقرؤا إن شئتم: ﴿ **فهل عسيتم إن توليتم...** ﴾[3] الآية ».

وقال (عليه السلام) فيما رواه ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال الله تعالى للرحم: خلقتك بيدي وشققت لك اسماً من اسمي،

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٧.

(٢) الحديث رواه الامام البخاري في كتاب التوحيد ٣٥ باب قول الله تعالى: ﴿ **يريدون أن يبدلوا كلام الله** ﴾ ٧٥٠٢ ــ عن معاوية بن أبي مزرِّد عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. ورواه الامام مسلم في كتاب البر ١٦ (٢٥٥٤) بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

(٣) سورة محمد آية رقم ٢٢.

وقربت مكانك مني، وعزتي وجلالي لأصلن من وصلك، ولأقطعن من قطعك، ولا أرضي حتى ترضين[1].

فخلق الله تعالى الرأفة والرحمة، يرؤف بها عباده، ويرحم بها عباده. والرأفة غالبة على الرحمة ولها سلطان إذا تحرك علا كل شيء وغلب. وبدء الرأفة من رأفة الله تعالى، ورأفته من فضله، والفضل من جماله. فهذه الرأفة التي خلقها يتراءفون ويتعاطفون، وبها يتراحمون ويتعاطفون. فقامت تناشد ربها فقربها من رأفته، وبيّن بدو مكانها من أين بدا، ثم جعلها كالشجنة قد برزت إلى ما دون العرش. فلما قربها جعل لها السبيل إلى الحقو في القربة فشق لها اسماً من اسمه وهو الرحمن. ثم جعل لها سلطاناً ممدوداً من الحقو كالشجنة[2] إلى ما تحت العرش فاستعاذت هناك من القطيعة، حيث أشارت من مقامها. فقال الله تعالى: لأصلن من وصلك. أي أصل واصلك بهذه الرأفة مني، وأقطع من هذه الرأفة من قطعك. فيكون صاحب القطيعة مقطوعاً من رأفته. قال (عليه السلام): « الرحم معلقة بالعرش »[3].

وقال في رواية ابن عمرو (رضي الله عنهما): يقول الله (عز وجل): أنا الرحمن وهي الرحم، جعلت لها شجنة. من وصلها وصلته. ومن قطعها بنته لها يوم القيامة. لسان طلق تقوم فيما شاءت. فقد

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ٩ ما جاء في قطيعة الرحم ١٩٠٧ عن الزهري عن أبي سلمة قال: اشتكى أبو الرواء الليثي فعاده عبد الرحمن بن عوف فقال: خيرهم وأوصلهم ما علمت أبا محمد. فقال عبد الرحمن: سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله: وذكره. ورواه أبو داود في الزكاة باب صلة الرحم.

(٢) الشُّجْنة: بكسر الشين وضمها عروق الشجر المشتبكة، ويقال بيني وبينه شجنة رحم أي قرابة مشتبكة وفي الحديث: الرحم شِجنة من الله تعالى.

(٣) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ٦ باب صلة الرحم، وتحريم قطيعتها، ١٧ ــ (٢٥٥٥) عن يزيد بن رومان، عن عروة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: وذكره. ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٨٩، ٢٠٩ (حلبي).

بين أنها الرأفة التي خلقها ثم قامت مقام العائذ إلى الحقو من القطيعة، فتلك شجنة ناتئة من العرش معلقة منه، بها يتواصلون ويتقاطعون، وحرقتها في الأجواف، والرحمة هناك، ثم هي مقسومة بين الخلق، فيها يتراءفون وبها يتعاطفون. فإذا قطعها، فقد انقطع من رأفة الله تعالى. فلذلك يجعل عقوبته في الدنيا. ولذلك قيل: أعجل البر ثواباً صلة الرحم، فأسرع الشيء عقاباً البغي وقطيعة الرحم. وهذا لأن الله تعالى خلق الإنسان فجعل الرأفة منه في الطحال. وهو في موضع الحقو، يجد الآدمي منه حرقة تصل إلى الفؤاد فيعلمه. وهو الذي يسمى بالعجمية مهر. وجعلها دماً في الطحال له حرارة، ثم جعل لها في العروق مجرى منها، فصيرها في الأرحام جارية ليصلوها. قال (عليه السلام): إذا أراد الله تعالى أن يخلق النسمة فغشى الرجل والمرأة، أحضر كل رحم له، ثم قرأ: ﴿ **في أي صورة ما شاء ركبك...** ﴾[1].

وقال في رواية ابن بريدة إن رجلاً من الأنصار ولدت له امرأته غلاماً حبشياً أسود، فأخذ بيد امرأته فأتى بها رسول الله ﷺ فقالت: والذي بعثك بالحق لقد تزوجني بكراً، وما أقعدت مقعده أحداً. فقال (عليه السلام): صدقت، إن لك تسعة وتسعين عرقاً وله مثل ذلك.

فإذا كان حين الولد اضطربت العروق كلها، ليس منها عرق الا يسأل الله تعالى أن يجعل ذلك الشبه به. فهذه عروق فيها دماء. والرحم خلقتها من المرأة كالكيس. وهي عضلة وعصب وعروق، ورأس عصبها في الدماغ، ولها فم بحذاء قبلها، ولها قرنان شبه الجناحين تجذب بهما النطفة لقبولها. ومن داخل فمها أربعة أفواه إلى الرحم. فإن دخل النطفة من باب فولد. وإن دخل من بابين فولدان، وعلى هذا. وهذه الدماء جارية من الأرحام إلى الأرحام، منتقلة بعضها إلى بعض إلى

---

(١) سورة الانفطار آية رقم ٨.

هذه العروق. فأُمروا بالصلة لهذه الدماء لئلا تنقطع.

قال (عليه السلام) : « بلوا أرحامكم ولو بالسلام »[1] فإن الدم إذا يبست تقطعت، فتبل حتى لا تنقطع. وبللها من السلام والزيارة والعطية.

وقوله (عليه السلام): « الأمانة تحت العرش » فالأمانة معلقة بالإيمان.

قال (عليه السلام): « لا إيمان لمن لا أمانة له »[2].

وإنما آمن ليأمن الخلق جوره. فإن الله تعالى عدل لا يجور، وبدؤه من عدله فهو معلق تحت العرش. فهذه الثلاث تحت العرش ــ القرآن وهو كلامه. والرحم وهي رأفته. والأمانة وهي أمانته.

---

(١) هناك حديث رواه الامام مسلم في كتاب الايمان ٨٩ باب في قوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين ٣٤٨ (٢٠٤) بسنده عن أبي هريرة وفيه: « غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها » شبهت قطيعته الرحم بالحرارة ووصلها باطفاء الحرارة ببرودة ومعنى بلو أرحامكم أي صلوها.

(٢) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٣ : ١٣٥ ثنا أبو هلال ثنا قتادة عن أنس بن مالك قال ما خطبنا نبي الله ﷺ إلا قال وذكره وفيه زيادة [ولا دين لمن لا عهد له].

الأصل التاسع والأربعون والمائة

في أن الكلام عليك لا لك وضروبه

عن أم حبيبة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ: كلام ابن آدم كله عليه لا له. إلا أمراً بالمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكراً لله تعالى[1].

فاللسان ترجمان القلب يعبر عما في القلب من العلم، فيرمي به إلى الأسماع، فيولج القلب. إن خيراً، فخير. وإن شراً، فشر. قال ﷺ: « الأذنان قمع »[2].

قال كعب لعائشة (رضي الله عنها) في نعت الإنسان، قال: عيناه هاد، وأذناه قمع، ولسانه ترجمان، ورجلاه بريد، وكبده رحمة، ورئتاه نفس، وطحاله ضحك، وكلوتاه مكر، والقلب ملك. فإذا طاب الملك،

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الفتن ١٢ باب كف اللسان ٣٩٧٤ صفية بنت شيبة عن أم حبيبة ــ زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: وذكره.

(٢) الحديث رواه الامام أحمد في كتاب المسند ٥ : ١٤٧ ــ عن خالد بن معدان قال: قال أبو ذر أن رسول الله ﷺ قال: قد أفلح من أخلص قلبه للايمان، وجعل قلبه سليماً ولسانه صادقاً ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة، وجعل أذنه مستمعة، وعينه ناظرة وذكره.

طابت جنوده. وإذا فسد الملك، فسدت جنوده. قالت: هكذا سمعت رسول الله ﷺ ينعت.

والكلام على ضروب. منها ما يخلص للآخرة ويصفو. فذاك مندوب إليه، موعود عليه خير. ومنها ما يخلص للدنيا ولا نصيب للآخرة فيه. فذلك مزجور عنه، موعود عليه الوبال والعقوبة. ومنها ما يتجارى الناس فيما بينهم في أمر معاشهم مما لا بد منه في الأخذ والإعطاء في تصرفهم وأحوالهم. فذاك مأذون له فيه، والحساب من ورائه. والناس في أمر دينهم على ضربين: فضرب منهم يعاملون الله تعالى على الوظائف كعبيد الغلة، يؤدون الغلة، وما بقي فهو لهم. فقد خلى بينهم وبين ذلك. ثم هم في تصرفهم وأحوالهم يدبرون لأنفسهم ويهتمون لها، ويكدون ويسعون لنوائبهم، وينفقون على أنفسهم وعيالهم، مشاغيل القلوب والأبدان، متعبون بذلك. فهم على تدبير أنفسهم يمضون، وباختيارهم الأمور يعملون، وغموم ذلك متراكم على قلوبهم، يحتاجون إلى توفير الغلة على المولى وتدبير معاشهم ومرمة أمور عيالهم. فهكذا من يعامل الله تعالى على هذا السبيل، عهد إليه ربه (عز وجل) من اداء فرائضه واجتناب محارمه في الجوراح السبع من جسده، وفي ماله ووعده على ذلك الجنة. وعلى تضييعه أوعد النار. قال الله تعالى: ﴿ **أوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون** ﴾[1].

فهو يقطع عمره بهذا، ويقتضي منه الثواب غداً. فإذا قدم على ربه (عز وجل) حاسبه وحصل أموره، وبلا سرائره. فإذا وجده قد وفر حقوقه فيما عهد إليه، أعتقه من رق العبودية، ومكن له في جواره ما يكون له جزاء لسعيه ووفاء لكده. فهؤلاء إن نطقوا، بإذنه ينطقون. فما صفا للآخرة فلرجاء ثوابه الذي وعد. وما كان للمعاش ومتصرف

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٤٠.

الأمور فيما أذن لهم فيه وقفوا للحساب. فذاك عليه، لا له حتى يتخلص منه. فإن تخلص منه، لا له ولا عليه، فنعم ما يتخلص مع أنه لا ينفك مع الخلاص من حسرة موجعة للقلب، مفجعة للنفس، إذ يرى أكثر عمره قد أهدره وأبطله. فإن أهل الغفلة حظهم من أعمارهم يوم القيامة الساعات التي كانوا في أمور آخرتهم من أعمال البر، وسائر ذلك هدر. وإنما يثابون على أعمال البر لأنهم عملوها على ذكر الآخرة. فأما ما عملوها على العادة والشهوة وحظ النفس، فلا نية لهم ولا حسبة، فهو بطال غافل، ينكشف له الغطاء يوم الحسرة والندامة. قال تعالى: ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة...** ﴾[1].

فهؤلاء إن نطقوا، فعن علومهم وعقولهم ينطقون. وإن صمتوا ففي أحوالهم يتفكرون، وإياهم يذكرون، وبدنياهم يشتغلون، وفي منامهم وشهواتهم يرتاحون. وهذا صفة هؤلاء المستورين المعروفين عند العامة بأعمال البر وبالعدالة والصلاح والرئاسة والعلم. فإنهم قد رضوا من حظهم بما نالوا من مرفق النفس والوصول إلى النهمة، ورضوا من دينهم بهذه الأعمال التي تستروا بها ليحمدوا عند الخلق بذلك. ولا تلحظ قلوبهم إلى مالك الملك الذي يراهم على هذه الصفة حتى يستحيوا منه.

وأما الضرب الآخر فهم يعاملون الله تعالى على العبودة، كعبيد الخدمة، انتبهوا من رقدة الغافلين فدبروا لأنفسهم أمراً علموا أنه قد مضى التدبير من قبل خلق السموات والأرض وأثبته في اللوح المحفوظ، فائتمنوه على أنفسهم، وألقوا بأيديهم سلماً، وفوضوا أمورهم إليه، وشغلهم جلاله وجماله وعظمته ومجده عن أن يتفرغوا لأنفسهم، فيفكروا ويدبروا لها،

---

(١) سورة مريم آية رقم ٣٩.

أو يهتموا لرزق، أو يهربوا من حكم، أو يتخيروا عليه في شيء من الأحوال عزاً وذلاً، وفقراً وغنى، وصحة وسقماً، ومحبوباً ومكروهاً. وقد وقفوا بقلوبهم بين يديه ناظرين إلى جلاله، مبهوتين في جماله، منفردين بوحدانيته، متعلقين بكرمه، ينتظرون رزقه، ويراقبون تدبيره، ويتوخون من الأمور محابه، وآذانهم مصيخة إلى دعوته متى يدعون فيجيبون. فكلام هؤلاء في المندوب إليه مما صفا للآخرة، وفي المأذون لهم مما يجارى بين أهل المعاش في أحوالهم، قد صاروا شيئاً واحداً؛ لأنهم له، وفي خدمته وأموره. فإن نطقوا، فعنه ينطقون. وإن صمتوا، فإياه يذكرون وبه يشتغلون، وفي نجواه يرتاحون.

وقوله ﷺ: « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا هذه الخصال » أراد بذلك الضرب الأول. وأما الضرب الثاني فهم أولياء الله تعالى وخاصة عبيده. فهم أمناء الله تعالى وخدمه. فأعمالهم ومتقلبهم كلها له. فلا تبعة عليهم في ذلك.

وقال (عليه السلام) حكاية عن الله تعالى: إذا أحببت عبدي كنت سمعه وبصره ولسانه. فبي يسمع، وبي يبصر، وبي ينطق، وبي يعقل[1].

فإذا كان ممن به ينطق إذا نطق، فكيف يكون عليه في ذلك تبعة.

---

(١) الحديث رواه الامام البخاري في كتاب الرقاق ٣٨ ــ باب التواضع ٦٥٠٢ ــ عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره، وقال الحافظ: هذا الحديث من طريق محمد بن مخلد عن محمد بن عثمان بن كرامة شيخ البخاري فيه وقال: هذا حديث غريب جداً ولولا هيبة الصحيح لعدوه في منكرات خالد بن مخلد، فإن هذا المتن لم يرو إلا بهذا الاسناد ولا خرجه من عدا البخاري ولا أظنه في مسند أحمد. ومع ذلك فشريك شيخ خالد فيه مقال أيضاً، وهو راوي حديث المعراج الذي زاد فيه، ونقص، وقدم وأخر، وتفرد فيه بأشياء لم يتابع عليها. راجع فتح الباري ١١ : ٣٤١.

الأصل المائة والخمسون

في أن من غير الحق من العلماء يمسخ وسر ما يمسخون به

عن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: تكون في أمتي فزعة، فيصير الناس إلى علمائهم فإذا هم قردة وخنازير.

فالمسخ تغيير الخلقة. وإنما حل بهم المسخ لأنهم غيروا الحق عن جهته، وحرفوا الكلام عن موضعه، فمسخوا قلوب الخلق وأعينهم عن رؤية الحق، فمسخ الله تعالى صورهم، وبدل خلقتهم كما بدلوا الحق باطلاً. فعلماء السوء على ضربين : منهم مكب على حطام الدنيا لا يمل من جمعه، فتراه شهره ودهره يتقلب في ذلك كالخنزير على المزابل، يصير من عذرة إلى عذرة، قد أخذ بقلبه دنياه، وألزمه خوف الفقر وألهجه باتخاذه عدة للنوائب، لا يتفكر عليه تقلب أحوالها، ولا يتأذى بسوء رائحتها، قد احتشت من الحرام، ووسخت حلالها من تراكم الشهوات. فأفعال هذا الضرب واكبابه على هذه المزابل كإكباب الخنازير. فإذا حلت السخطة، مسخوا هؤلاء في صورة الخنازير، إن جوز المسخ في هذه الأمة. وإن لم يجوز ذلك، فيحمل على أن معناه معنى الخنازير. والضرب الثاني هم أهل تصنع وتراءٍ ومخادعة وتزين

للمخلوقين شحاً على رئاستهم، يتبعون الشهوات، ويلتقطون الرفض، ويخلون بسوء السريرة، ويخادعون الله بالحيل في أمورهم، دينهم المداهنة، وساكن قلوبهم المنى، وطمأنينتهم إلى الدنيا، وركونهم إلى أسبابها، رضوا من هذا كله بالقول دون الفعل. فلما حلت السخطة، مسخوا قردة. فإن من شأن القردة المداهنة واللعب والبطالة، ومن شأن الخنزير الإكباب على المزابل والعذرات.

الأصل الحادي والخمسون والمائة

في ضروب البكاء. وهي عشرة

عن جرير بن عبدالله (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « إني قارئ عليكم سورة الهاكم فمن بكى، فله الجنة ». فقرأ فمنا من بكي، ومنا من لم يبك. فقال الذين لم يبكوا: قد جهدنا يا رسول الله أن نبكي فلم نقدر عليه. فقال: إني قارئها عليكم الثانية. فمن بكى، فله الجنة. ومن لم يقدر أن يبكي، فليتباك[1].

البكاء على ضروب. وينشأ من أسباب مختلفة:

بكاء من فجعة النفس، وهو بكاء مصائب النفس. يهان ويضرب ويظلم في نفسه وماله. فيبكي ويتولد منه صداع الرأس، وضعف البصر.

وبكاء الخدعة، وهو بكاء اللصوص، يبكون والسرقة في أحضانهم لا يفارقونها. وتورث منه القسوة والمقت.

وبكاء المباعدة. وهو بكاء النساء. وهو يورث الفترة.

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الايمان وضعفه عن جرير بن عبد الله وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٦: ٣٨٧ وقال أخرجه الحكيم الترمذى في نوادر الاصول والبيهقي في شعب الايمان.

وبكاء خوف الوعيد. وهو بكاء من آمن بوعيد الله تعالى، فرق قلبه بفجعة النفس، وهو يوجب الجنة ونزول الرحمة.

وبكاء الحزن. وهو من المراقبة. وهو أن يعلم أنه لا يكون إلا ما شاء الله تعالى. وقد شخصت آماله نحوه. ولا يصل إلى ذلك. فلفقد ما يأمل تأخذه الأحزان. وهذا البكاء يورث نوراً في القلب.

وبكاء الفرح. وهو لوجدان ما يأمل. ويورث الطمأنينة والثقة وحسن الظن به.

وبكاء الخشية. فمن العلم بالله (عز وجل) ووجود السبيل إلى القربة، رق قلبه من الرحمة التي قرب قلبه منها، ويورث الخشوع.

وبكاء الشوق. وهو يورث القربة.

وبكاء الحنين. إذا تحنن الله تعالى على عبد، وقسم له الحظ من اسمه الحنان. فرأفته مظلة عليه. تكتنفه وتحوطه، فتثير البكاء منه من سابغ الرأفة. وهذا البكاء يورث الدنو والعطف والشفقة.

وبكاء القبضة. وهو الذي يقال له: الدنو. فهو الذي أبكاه. قال الله تعالى: ﴿ **وانه هو أضحك وأبكى...** ﴾[1].

ورأى ابن عباس (رضي الله عنهما) رجلاً يضحك في جنازة، فقال: هو أضحك وأبكى.

قال (عليه السلام) فيما يذكر عن ربه تعالى أنه قال لموسى (عليه السلام): أما البكاءون من خشيتي فلهم الرفيق الأعلى، لا يشركهم فيه أحد.

وقال خالد بن معدان (رضي الله عنه): ما بكى عبد من خشية

---

(١) سورة النجم آية رقم ٤٣.

الله تعالى، إلا خشعت لذلك جوارحه وكان مكتوباً في الملأ الأعلى باسمه فلان بن فلان منور قلبه بذكر الله تعالى.

وعن مالك بن دينار (رحمه الله تعالى) يقول: الباكي من خشية الله تعالى تهتز له البقاع التي يبكي عندها، وتغمره الرحمة ما دام باكياً.

وقال عمر بن ذر (رحمه الله تعالى): إن البكاء من خشية الله يبدل بكل قطرة أو دمعة تخرج من عينيه أمثال الجبال من النور في قلبه، ويزاد في قوته من العمل، ويطفئ بتلك المدامع بحوراً من النار.

وعن مفضل بن مهلل قال: بلغني أن العبد إذا بكي من خشية الله تعالى، ملئت جوارحه نوراً، وإستبشرت ببكائه وتداعت بعضها بعضاً من هذا النور. فيقال: هذا غشيكم من نور البكاء.

وقال فرقد السبخي[1] (رحمه الله تعالى): قرأت في بعض الكتب أن العبد إذا بكى من خشية الله تعالى، تحاتت عنه ذنوبه كيوم ولدته أمه. ولو أن عبداً جاء بجبال الأرض ذنوباً وآثاماً لوسعته الرحمة إذا بكى. وإذا بكى على الجنة تشفع له الجنة، تقول: يا رب أدخله عليَّ كما بكى عليَّ. وإذا بكى خوفاً من النار، فالنار تستجير له من ربه، تقول: يا رب أجره مني، وبكي خوفاً من دخولي.

وعن كعب (رضي الله عنه) قال: من بكى خوفاً لله تعالى من ذنب، غفر له ذلك الذنب. ومن بكى اشتياقاً إلى الله تعالى، أباحه الله تعالى النظر إليه متى شاء.

---

(١) هو فرقد بن يعقوب السبخي أبو يعقوب البصري من سبخة البصرة روى عن أنس وسعيد ابن جبير وأبي العلاء بن عبد الله بن الشخير وغيرهم، وعنه همام ومغيرة بن مسلم وأبو سلمة الكندي وغيرهم قال سليمان بن حرب عن حماد بن يزيد سألت أيوب عنه فقال: ليس بشيء وفي رواية لم يكن صاحب حديث وقال الجوزجاني: يروي عن مرة منكرات

وقال الله تعالى في بكاء الحزن: ﴿ **تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون...** ﴾[1].

وقال في بكاء الفرح: ﴿ **وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق...** ﴾[2].

وبكي (عليه السلام) على ابنه إبراهيم فقيل: أتبكي يا رسول الله؟ قال: إنما هذه رحمة. ومن لا يرحم لا يرحم.

وأما حديث جرير (رضي الله عنه) فقد خاطب (عليه السلام) العامة والمياسير وقرأ عليهم التكاثر والسؤال عن النعيم وفيه وعيد على أثر وعيد، فخوف الوعيد أبكاهم فقال: « من بكى فله الجنة ». قال تعالى: ﴿ **ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ﴾[3].

وقوله (عليه السلام): « فليتباك » أي يتمثل لربه في صورة البكاء حتى يلحقه بهم في الثواب.

وأما بكاء السابقين. وبكاؤهم بكاء أهل الخشية والمشتاقين والمحزونين. وبكاء من أبكى الله تعالى وأضحكه. وهو إذا نظر إلى جلاله أبكاه. وإذا نظر إلى جماله، أضحكه. ومن وراء هذه منزلة أخرى أشرف من هذه وهو بكاء الدنو. فتلك غمرات القلب. صاحب هذا قلبه منفرد في وحدانيته. فإذا أدناه، أبكاه للرقة التي تحل به. فإذا رجع إلى مرتبته، هابه فقلص دمعه وانتشفت الهيبة رقته، فيبس. فإذا أدناه، رق فبكى. فالدنو منه بر لعبده. فالبر يرقه ويبكيه. قال هارون

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٩٢.

(٢) سورة المائدة آية رقم ٨٣.

(٣) سورة ابراهيم آية رقم ١٤.

ابن أبي زياد[1] (رحمه الله): إن البكاء مثاقيل لو وزن بالمثقال الواحد مثل الجبال، لرجح به البكاء. وإن الدمعة لتخدر فتطفئ البحور من النار. وما بكي عبد لله مخلصاً في ملأ من الملأ، إلا غفر لهم جميعاً ببركة بكائه.

وقال رسول الله ﷺ: لو أن عبداً بكى في أمة من الأمم لأنجى الله تلك الأمة من النار ببكاء ذلك العبد. وما من عمل إلا له وزن وثواب إلا الدمعة، فإنها تطفئ بحوراً من النار. وما اغرورقت عين بمائها من خشية الله، إلا وحرم الله جسدها على النار. وإن فاضت على خده لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة.

---

(١) ترجم له البخاري في الكبير ٢٧٨٠ ــ هارون بن أبي زياد التميمي عن ابن عمر روى عنه عبد الملك، وهكذا في وصف كتاب ابن أبي حاتم والثقات

الأصل الثاني والخمسون والمائة

في أن الشكر اعتراف والصبر بالتسليم

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: ما من نعمة وإن تقادم عهدها فيجددها العبد بالحمد، إلا جدد الله تعالى له ثواباً. وما من مصيبة وإن تقادم عهدها فيجدد لها العبد الاسترجاع، إلا جدد الله له ثوابها وأجرها. والشكر على النعمة يخفف أثقالها، والصبر على الشدة يحرز لك ثمرتها[1].

والشكر معرفتك بأن هذا منه. فاداء فرائضه، وحفظ الجوارح عن مساخطه، والتكلم بالحمد لله إتمام الشكر. فإنه اعتراف بأن هذه النعمة منه. والصبر على المصيبة والثبات على حفظ الجوارح لئلا تعصى، والتكلم بالاسترجاع اعتراف بالتسليم له. وكما أن الإيمان هو المعرفة لله تعالى بوحدانيته، والطمأنينة به، والتسليم له قلباً، والتكلم بلا إله إلا الله إعتراف بذلك وبحقيقة العمل به. ثم العبد مأمور بتجديد الإيمان بهذه الكلمة.

---

(١) هذا الأثر من الأشياء التي تفرد بها صاحب النوادر وإن كان يوجد في كتب الصحاح والسنن ما يؤيد ما جاء في هذا الحديث.

قال (عليه السلام): جددوا إيمانكم بلا إله إلا الله[1].

فإذا كان إيمانه يتجدد بهذه الكلمة، فكذلك حمده واسترجاعه يتجدد. وهذا لأن العبد يتكلم بلا إله إلا الله، ثم يدنسها ويكدرها بسوء أفعاله. لأن من شرط المؤمنين في هذه الكلمة أن لا يكون لقلوبهم وله في شيء إلا إلى الله، أنه لا إله غيره.

فإذا نابتهم النوائب، وظهرت الحوائج، ولهت قلوبهم إلى المخلوقين. فقد دنسوا هذه الكلمة وأخلقوها، فأمروا بالتجديد والاستقبال بالتكلم بها. وكان من شأن الصديق (رضي الله عنه) أن يقول: كان كذا ولا إله إلا الله، وفعلت كذا ولا إله إلا الله.

وهذا تفسير قول معاذ (رضي الله عنه): « تعال نؤمن ساعة »[2]. أي نذكره ذكراً يجمع قلوبنا عنده، ويكون الوله إليه. فكذلك الحمد والاسترجاع يدنسان ويخلقان بضدهما من الأفعال التي تظهر من العبد فيجددان ذلك، فيكتب له ثوابهما يومئذ لأنه جددها بالقول. قال (عليه السلام): الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده .

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣٥٩ ثنا محمد بن واسع عن شتير ابن نهار عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: قال ربكم عز وجل: لو أن عبادي أطاعوني لاسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولما اسمعتهم صوت الرعد وقال أيضاً: ان حسن الظن بالله عز وجل من حسن عبادة الله وقال: وذكره.

(٢) الحديث رواه الامام البخاري في كتاب الايمان ١ باب قول النبي ﷺ بُني الاسلام على خمس، وقال ابن حجر والتعليق المذكور وصله أحمد وأبو بكر أيضاً بسند صحيح الى الأسود ابن هلالي قال: قال لي معاذ بن جبل « اجلس بنا نؤمن ساعة »

الأصل الثالث والخمسون والمائة

في حقيقة الاستغفار

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « إن استطعتم أن تستكثروا من الاستغفار، فافعلوا. فإنه ليس شيء أنجح عند الله تعالى ولا أحب إليه منه »[1].

والاستغفار سؤال العبد من الله تعالى الستر. والغفر الغطاء. وهذا لأن الله تعالى اجتبى عبده واختاره للإيمان وجعل نوره في قلبه، فهداه لنوره وأحياه به. وجعل للنور الأعظم الذي في قلبه ستراً من نور، وقاية ولباساً له، وحجب ذلك عن أعين الثقلين. فهذا النور الظاهر هو كسوة النور الباطن. قال تعالى: ﴿ **يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير** ﴾[2].

والمؤمن في بهاء هذا الستر يمشي على أرضه، والخليقة ينظرون إليه بعين الجلال والشرف. فإذا همَّ بالمعصية وعزم عليها، تجافى عنه

---

(١) روى الطبراني في الأوسط عن الزبير أن رسول الله ـ ﷺ قال: « من أحب ان تسرّه صحيفته فليكثر من الاستغفار ». قال صاحب مجمع الزوائد: رجاله ثقات.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ٢٦.

الستر. فإذا عملها، تباعد عنه، وبقي العبد عارياً من البهاء والجلال والشرف. فإن أصر، لم يزدد إلا ضعة ودنساً، ولم يزدد الستر إلا بعداً ونزاهة عنه. فإذا ندم، رجع إليه بقلبه، فمدن هناك. أي أقام. واقامة عزمه أن لا يبرح عن مقام الطاعة. فإذا سأل المغفرة، قال: أستغفرك. أي أسألك أن ترد عليّ الستر، فيصير في ذلك النور مستوراً. وبدو ذلك من آدم (عليه السلام) كان لباسه ستره. وهو النور. فلما عصي انكشف النور وعري. فذلك قوله تعالى: ﴿ **ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما** ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ **فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما** ﴾[2].

قال: جعل على عورة كل واحد منهما نور، فلا يرى واحد منهما عورة الآخر. وقد جعل الله تعالى لهذه الجارحة من الآدمي شأناً عجيباً؛ لأنه أداة الذرية في صلبه إلى يوم القيامة. والصلب باب الذرية، والفرج أداة الشهوة. ولهذا سأل داود سليمان (عليهما السلام) عن كلمات أن من اخبره بها ورثه العلم والنبوة. فمن جملته قال له: أين باب الشهوة منك؟ قال: الفرج. فقال: أي باب الذرية منك؟ قال: الصلب.

وعن عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: أول ما خلق الله تعالى من الإنسان فرجه، فقال: هذا أمانة خبأتها عندك،فلا تبسل منها شيئاً إلا بحقها.

وقد خلق الله تعالى آدم ليذرأ من صلبه هذا الخلق. فجعل مبتدأ خلقه من الموضع الذي يذرأ منه الخلق، ثم جعل الحياة في القلب، وجعل هذه الاداة ركناً من أركان القلب. ومنه ينشئ الريح فيقويه ليقدر على استعماله. فبروح الشهوة يقوى ويقدر على الاستعمال. وخبأها

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ٢٧.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ٢٠.

عنده وجعلها أمانة لئلا يستعملها إلا فيما خلقت له. ثم خلقت منه حواء، وستر عليها ذلك منها، فلم ينكشف الستر عنهما حتى عصيا فعريا.

قال وهب (رضي الله عنه): الإيمان عريان فلباسه التقوى، وزينته الحياء، وماله الفقه. فالمؤمن بين الخلق في ذلك اللباس يوقر ويعظم ويبجل ويهاب، وليس يرى من تقواه، إنما يرى عليه طلاوة اللباس وزهرته، ولبق حركاته وتصرفه في الأمور، وعليه مهابة ذلك اللباس.

وعن جبير بن نفير (رضي الله عنه) قال: صلى رسول الله ﷺ يوماً بالناس صلاة الصبح. فلما فرغ أقبل بوجهه على الناس رافعاً صوته حتى كاد يسمع من في الخدور وهو يقول: « يا معشر الذين أسلموا بألسنتهم ولم يدخل الإيمان في قلوبهم لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عثراتهم. فإنه من يتبع عثرة أخيه المسلم، يتبع الله عثرته. ومن يتبع الله عثرته، يفضحه وهو في قعر بيته »[1].

فقال قائل: يا رسول الله، وهل على المؤمن من ستر؟

فقال: ستور الله تعالى أكثر من أن تحصى. إن المؤمن ليعمل بالذنوب، فيهتك عنه ستراً ستراً حتى لا يبقى منه شيء. فيقول الله تعالى لملائكته: استروا على عبدي من الناس، فإن الناس يعيرون ولا يغيرون. فتحف به الملائكة بأجنحتها يسترونه من الناس. قال: فإن تاب، قبل الله منه، ورد عليه ستوره، ومع كل ستر تسعة أستار. فإن تتابع في الذنوب، قالت الملائكة: ربنا قد غلبنا وأقذرنا. فيقول الله (عز وجل) للملائكة: إستروا على عبدي من الناس، فإن الناس يعيرون ولا يغيرون. فتحف به الملائكة بأجنحتها يسترونه من الناس. فإن تاب، قبل الله تعالى منه. فإن عاد، قالت الملائكة: ربنا إنه قد غلبنا وأقذرنا. فيقول الله

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الأدب ٤٨٨ ثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله بن جريح عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ ــ وذكره

تعالى للملائكة: تخلوا عنه. فلو عمل ذنباً في بيت مظلم في ليلة مظلمة في حجر، أبدى الله عنه وعن عورته.

وقال سلمان الفارسي (رضي الله عنه): إن المؤمن في سبعين حجاباً من نور. فإذا عمل خطيئة بعد الكبائر ثم تناساها حتى يعمل أخرى، يهتك منها حجاب من تلك الحجب، ولا يزال كذلك. فإذا عمل كبيرة من الكبائر، تهتك عنه تلك الحجب كلها إلا حجاب الحياء وهو أعظمها حجاباً. فإن تاب، تاب الله عليه، ورد تلك الحجب كلها. فإن عمل خطيئة بعد الكبائر ثم تناساها حتى يعمل أخرى قبل أن يتوب، يهتك عنه حجاب الحياء. فالعبد لا يزال في عيب يحدثه وستر يزول عنه، والستر الأعظم قائم. فإذا أذنب كبيرة، عري.

فقوله (عليه السلام): « ليس شيء عند الله أنجح من الاستغفار » لأنه ستر نوره. ولهذا قال (عليه السلام): لله أفرح بتوبة العبد من رجل وجد ضالته في مفازة مهلكة عليها طعامه وشرابه[1]. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: دخلت على رسول الله ﷺ فرآني حزيناً، فقال: ما لي أراك حزيناً يا أبا هريرة! فقلت: كان بيني وبين أهل بيتي شيء، فعجلت إليهم. فقال: أين أنت ثكلتك أمك عن الاستغفار، فوالذي بعثني بالحق إني لأستغفر في اليوم والليلة مائتي مرة فأكثر من الاستغفار. فان في الأرض أمانين يوشك أن تفقدوا أحدهما عن قريب وهو موت نبيكم. قال الله تعالى: ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون...** ﴾[2].

---

(١) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب التوبة ١ ــ (٢٦٧٥) حدثني زيد بن مسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: وذكره. ورواه البخاري في كتاب الدعوات ٤ وابن ماجة في كتاب الزهد ٣٠ والترمذي في القيامة ٤٩ والدعوات ٩٨ والدارمي في الرقاق ١٩ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٣٨٣، ٢ : ٣١٦، ٥٠٠، ٥٢٤ (حلبي).

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٣٣.

فإنه يجيء يوم القيامة محدقاً بأعمال الخلائق، له زئير حول العرش يقول: إلهي حقي حقي. فيجيبه الجبار (جل جلاله) فيقول: خذ حقك. فما يترك من سيئآت بني آدم إلا اجتحفها بالجملة.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال (عليه السلام): « من أدمن الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب »[1].

أشار إلى الإدمان إلى الاستغفار؛ لأن الآدمي لا يخلو من ذنب أو عيب ساعة فساعة.

ولذلك قال (عليه السلام): « خياركم كل مفتن تواب »[2].

فإن أدمن على الاستغفار، خرج من العيوب والذنوب، ودخل في الستر الأعظم، وعادت عليه الستور. فالإدمان عليه يحط الذنوب. قال الله تعالى: ﴿ **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** ﴾[3].

فإذا كان العبد متيقظاً، مشرفاً على أموره، فكلما أعيب وأذنب، أتبعهما استغفاراً لم يبق في وبالهما وعذابهما.

وإذا كانت منه العيوب والذنوب ولها عن الاستغفار، تراكمت الذنوب والعيوب، فجاءت الهموم، والضيق، والعسر، والكد، والنصب، في الدنيا

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الأدب ٥٧ باب الاستغفار ٣٨١٩ عن محمد بن علي ابن عبدالله بن عباس ــ أنه حدثه عن عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره، ولفظ ابن ماجة: لزم بدلاً من (أدمن).

(٢) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ١ : ٨٠ ثنا داود بن عبد الرحمن ثنا أبو عبدالله مسلمة الرازي عن أبي عمرو البجلي عن عبد الملك بن سفيان الثقفي عن أبي جعفر محمد بن علي عن محمد بن الحنفية عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره ولفظه: « إن رسول الله يحب العبد المفتن التواب ».

(٣) سورة الأنفال آية رقم ٣٣.

وفي الآخرة عذاب. وإذا استغفر، خرج من العيب والذنب، فصار له من الهموم فرجاً، ومن الضيق مخرجاً، وأُسبغ عليه الرزق، وهو قوله تعالى: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾[1].

والتقوى اجتناب العيب والذنب. فإذا وقع فيه لا يستقر حتى يتوب.

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال (عليه السلام): « ما من رجلين مسلمين إلا بينهما ستر. فإذا قال أحدهما لصاحبه هجراً، هتك ستر الله تعالى »[2].

قوله: « لا شيء أنجح عند الله ولا أحب إليه من الاستغفار » فأقرب الأشياء من الشيء كسوته ووقايته، ولعظم قدر الشيء يجعل له وقاية وكسوة وستراً. وكل شيء له نفاسة وخطر جعل في ستر. فهو محظور وعن الجميع مستور. فإذا أذنب العبد، تباعد عنه الستر لنفاسته ونزاهته. فإذا ندم، فالندم والتوبة بدؤهما من النور الذي في قلبه، هو الذي يندمه ويقتضيه الرجوع إلى الله تعالى، ويهديه لذلك. فلما أتي به وسأل الستر، فإنما يسأل بالنور الذي في قلبه، فيحبه لحرمة ذلك النور. قال تعالى: ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾[3].

فالتوابون هم الذي رجعوا إلى الله تعالى، وتطهروا بقربه من نجاسة الذنوب ورجاسة العيوب.

قال (عليه السلام): إذا تاب العبد فقبل الله توبته أنسى الحفظة ما كان يعمل، وقيل للأرض ولجوارحه: اكتمي عليه فلا تظهري مساوئه أبداً.

---

(١) سورة الطلاق آية رقم ٣.

(٢) لم نعثر على هذا الأثر على كثرة البحث والتقصي.

(٣) سورة البقر آية رقم ٢٢٢.

وهكذا من شأن الخلق إذا أحب أحدهم آخر واستقبله في طريق وهو سكران، التفت يمنة ويسرة هل رآه أحد على تلك الحالة، ثم ستره وأدخله منزلاً وأنامه إشقافاً عليه وكراهة أن يراه على تلك الحالة أحد. وإذا استغفر العبد، غفر الله له. قال تعالى: ﴿ **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً...** ﴾[1].

وقال (عليه السلام): أربع من أعطيهن، لم يمنع من الله من أربع. من أُعطي الدعاء، لم يمنع الإجابة. قال الله تعالى: ﴿ **ادعوني أستجب لكم...** ﴾[2].

ومن أُعطي الاستغفار، لم يمنع المغفرة. قال اللهِ تعالى: ﴿ **استغفروا ربكم إنه كان غفاراً...** ﴾.

ومن أُعطي الشكر، لم يمنع الزيادة. قال الله تعالى: ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم...** ﴾[3]

ومن أُعطي التوبة، لم يمنع القبول. فإنه قال: ﴿ **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئآت...** ﴾[4].

وهذه كلها على الحقائق لا على التجويز. فحقيقة الاستغفار أن يرى العبد عند الذنب خروجه من ستر ربه وتعريه، فيأخذه الحياء، كما يستحي إذا سلب عنه ثوبه في ملأ عظيم فيعري في ذلك الملأ، فينقبض من الحياء.

وحقيقة الشكر أن يرى النعمة منه رؤية القلب خلقه وتربيته وسياقته

---

(١) سورة نوح آية رقم ١٠.
(٢) سورة غافر آية رقم ٦٠.
(٣) سورة ابراهيم آية رقم ٧.
(٤) سورة الشورى آية رقم ٢٥.

وإيصاله إليه، فيأخذه من أثقال ذلك من الخجل ما يأخذه ممن أهدي إليه نعماً كثيرة كرات ومرات ودفعات.

وحقيقة التوبة أن يرى إباقه[1] من مولاه، فيرجع إليه بندم واعتذار ووجل وحياء، فيعزم على التوطن عنده بين يديه أشد من عزم من أبق من الآدمي، وقد أحسن إليه كل الإحسان، ومناه العتق، والبر، واللطف. فلما عاد إليه، تأسف على نفسه تلظياً من فعله وثقل عليه أن يتراءى له من شدة ما يعلوه من الحياء، فهو يتستر منه بكل شيء ويتوطن أن لا يفارقه إلى الممات.

وحقيقة الدعاء أن يسأله سؤال من أحضر قلبه كما أحضر بدنه بتضرع وسؤال مضطر فقير وجد إذن دخول على ملك عطوف رحيم.

فإذا عامل العبد مع الله في هذه الخصال الأربع على غير ما وصفنا فيشبه ذلك فعل السكران والنائم.

وقولهما: ولا يعبأ عند العقلاء بفعلهما ولا قولهما. فالمخلط سكران، والمستقيم وهو الورع نائم. وإنما يفوز بهذه الخطة العظيمة المتنبهون عن الله تعالى. مزق شعل أنوار الله حجب قلوبهم، ثم أحرقها فانحسر القلب لأمر عظيم، فصارت هذه الأربع كلها عطاياه. فاعطي الاستغفار والتوبة والشكر والدعاء.

فاما من دون هؤلاء أُمروا أن يتطهروا من الأوساخ والأدران التي على قلوبهم حتى يعطوا النور فتكون هذه الأربع لهم عطاء على الحقيقة، فيجابوا إلى ما وعدوا لأن الله تعالى لم يعد إلا على الحقيقة. والحقيقة هي بلوغ الصفة التي رسم الله تعالى لعباده فيما بينهم. فمن دعا حقاً واستغفر حقاً وشكر حقاً وتاب حقاً، يجاب.

---

(١) أبق العبد يأبق ويأبق بكسر الباء وضمها أي هرب قال الله تعالى: ﴿ **إذا أبق الى الفلك المشحون** ﴾ سورة الصافات آية رقم ١٤٠.

قال (عليه السلام): إذا فتح الله على عبد الدعاء، فليدع فإن الله يستجيب له[1].

وقال أبو حازم (رحمه الله): لَأَنا مِنْ أن أُمنع الدعاء أخوف مني من أن أُمنع الإجابة.

فالدعاء هو العدو إلى الله تعالى بالقلب. فإذا كان القلب في حبس النفس، لا يستطيع العدو إليه. والتوبة الرجوع إلى الله تعالى بالقلب. فإذا كان القلب في حبس النفس، لم يقدر. والاستغفار سؤال الغطاء من الذنب للعري. فإذا كان النفس حجاب القلب، لا يقدر أن يرى عريه حتى يسبل الستر. والشكر رؤية النعمة. فإذا كان النفس حجاب القلب، لا يقدر أن يرى نعمه. فإذا أتى بهذه الأشياء، فلم يأت به على الحقيقة. فأما إذا أُعطي النور وعدا القلب إليه عند الحاجة فسأل، أُجيب وأُسعف به. وإذا أُعطي النور فرأى الاباق منه، رجع إليه مع النور فتاب، قبل منه. وإذا رأى العري فسأل الستر، أعطي المغفرة. وإذا رأى النعمة فشكر، قبل منه، فأُعطي الزيادة؛ لأن الله تعالى يستأدي[2] من الخلق الحقائق دون المجاز.

---

(١) يؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿ **واذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون** ﴾. سورة البقرة آية رقم ١٨٦ والحديث رواه الترمذي والحاكم عن أنس ــ رضي الله عنه وأخرجه صاحب جامع الشمل في كتاب الدعاء.

(٢) يقال: أدى دينه (تأدية) قضاه، والاسم (الاداء) وهو آدي للامانة من فلان بالمد، وتأدى اليه الخبر أي انتهى والاداوة المطهرة والجمع الاداوى بوزن المطايا.

الأصل الرابع والخمسون والمائة

في أن الغنى في النفس والتقي في القلب

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا أراد الله بعبد خيراً، جعل غناه في نفسه، وتقاه في قلبه » .

الحاجة في النفس لأنها معدن الشهوات، وشهواتها لا تنقطع. فهي أبداً فقيرة لتراكم الشهوات عليها واقتضائها وخوف فوتها، قد برح بها وضيق عليها، فهي مغبونة وخلصت فتنتها إلى القلب، فصار مفتوناً فأصمته[1] عن الله تعالى، وأعمته. فإذا أراد الله بعبد خيراً، قذف في قلبه النور، فامتزق الحجاب وانحسر النور الأصلي، وأشرق هذا النور الوارد في القلب والصدر. فذاك تقواه به، يتقي مساخط الله تعالى، وبه يحفظ حدوده، وبه يؤدي فرائضه، وبه يخشى الله تعالى، ويصير ذلك النور وقايته يوم الجواز على الصراط فيه يتقي النار حتى يجوزها إلى دار الله تعالى. فهذا تقواه في قلبه. وأما غناه في نفسه، فإنه إذا أشرق الصدر بذلك النور، تأدى إلى النفس فأضاء، ووجدت النفس لها حلاوة وروحاً ولذة تلهيه عن لذات الدنيا وشهواتها، وتذهب مخاوفها

---

(١) أصميت الصيد إذا رميته فقتله وأنت تراه وفي الحديث: « كل ما أصميت ودع ما أنميت ».

وعجلتها وحرقتها وبلاهتها، تحيى بحياة القلب، وتستضيء بنور القلب، فتطمئن لأن القلب صار غنياً بانتباهه عن الله تعالى، والنفس جاره وشريكه. ففي غنى الجار غنى، وفي غنى الشريك غنى. والتقوى[1] في القلب، وهو النور. والغنى في النفس، وهو الطمأنينة.

(١) التقوى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه، والمقتضى بمقتضاه، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات لما روي: الحلال بين والحرام بين، ومن رتع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه. قال تعالى: ﴿ **فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾

الأصل الخامس والخمسون والمائة

في تفسير قوله تعالى:
﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني... ﴾[1]

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني** ﴾ على البر والتقوى والتواضع وذلة النفس.

البر ما افترض الله تعالى على العبد، والتوقي والكف عما نهى الله تعالى عنه، والتواضع أن يضع مشيئته في أموره لمشيئة مولاه، وذلة النفس ترك المنى في عطاياه في الدرجات. وفي إقامة هذه الأربع صفو العبادة.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قدم وفد اليمن على رسول الله ﷺ فقالوا: أبيت اللعن. فقال (عليه السلام): سبحان الله إنما يقال هذا لملكٍ ولست ملكاً، أنا محمد بن عبدالله.

قالوا: إنا لا ندعوك باسمك.

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٣١.

قال: فأنا أبو القاسم.

قالوا: يا أبا القاسم إنا قد خبأنا لك خبيئاً.

فقال: سبحان الله إنما يفعل هذا بالكاهن. والكاهن والمتكهن والكهانة في النار.

فقال له أحدهم: فمن يشهد لك أنك رسول الله؟

قال: فضرب بيده إلى حفنة حصباء فأخذها فقال: هذا يشهد أني رسول الله.

قال: فسجن في يده. وقلن: نشهد أنك رسول الله.

فقالوا: أسمعنا بعض ما أنزل عليك. فقرأ: ﴿ **والصافات صفاً...** ﴾[1] حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿ **فأتبعه شهاب ثاقب...** ﴾[2] وإنه لساكن ما ينبض منه عرق، وان دموعه لتسبقه إلى لحيته.

قالوا له: إنا نراك تبكي، أمن خوف الذي بعثك تبكي؟

قال: من خوف الذي بعثني أبكي. إنه بعثني على طريق مثل حد السيف، إن رغبت عنه هلكت. ثم قرأ: ﴿ **ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك** ﴾[3].

إنما صار في مثل حد السيف؛ لأن طريق الأعمال على النفس، ومبتدأه من القلب، وطريقها على النفس. فإذا مرت فلم يلتفت إلى النفس، فقد صفا العمل وصفت العبودة. فهذه منزلتان إحداهما أشرف من الأخرى. فالأولى أن يبتدئ العمل من القلب، فيخرج إلى الأركان ونفسه حية تحب أن تشركه في ذلك. والثانية أن تموت النفس، ويقوم

---

(١) سورة الصافات آية رقم ١.

(٢) سورة الصافات آية رقم ١٠.

(٣) سورة الإسراء آية رقم ٨٦.

القلب في مقام الهيبة، فيخرج العمل إلى الأركان، فلا يلتفت إلى النفس، ولا بالنفس حراك فتشخص إليه طرفاً. فهذا صفو العبودة يعمل ما يؤمر، ولا يتكلف من تلقاء نفسه، ولا يدبر لنفسه. بل فوض ذلك إلى مولاه؛ لأن من شأن المحب أن لا تكون له نهمة[1] دون لقاء الحبيب. فإذا لم يهتد إليه ووجد دليلاً يؤديه إليه أن يقفو أثر الدليل حتى يؤديه إليه. قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ **فاستقم كما أمرت...** ﴾[2]

فالاستقامة في السير أن لا يلتفت يميناً وشمالاً، ولا يعرج على شيء فيشتغل به دونه.

واجتمع نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فأفاضوا في الذكر فرقوا فطربت نفوسهم وقالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله تعالى فنعمله، فجاءت المحبة من الله تعالى، فأنزل الله تعالى: ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص...** ﴾[3].

ليظهر صدق ما نطقوا به، فخرجوا إلى القتال. فلم يكن من بعضهم الذي قالوا، فأنزل الله تعالى: ﴿ **يايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون...** ﴾[4]

ثم قالوا: إنا لنحب ربنا فامتحنوا فأنزل الله تعالى: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله...** ﴾[5]

---

(١) النهمة: بلوغ الهمة في الشيء وقد نُهم بكذا (نَهْمة) فهو منهوم أي مولع به وفي الحديث منهومان لا يشبعان بالمال ومنهوم بالعلم. والنَّهم بفتحتين إفراط الشهوة في الطعام وقد نِهَمَ من باب طرب. ونَهَمَ الإبل زجرها وصاح بها لتجد في سيرها. وبابه قطع.

(٢) سورة هود آية رقم ١١٢.

(٣) سورة الصف آية رقم ٤.

(٤) سورة الصف آية رقم ٢.

(٥) سورة آل عمران آية رقم ٣١.

فإن من شأن الكريم أن يحب من أحبه، ولم ينل حبه أحد إلا من بعد حبه له. كما قال الله تعالى: ﴿ **يحبهم ويحبونه...** ﴾[1]

والاتباع في سيرته علامة المحقين، وسيرته العبودة في هذه الخصال الأربع على ما ذكرنا.

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٥٤.

الأصل السادس والخمسون والمائة

في سر الحياء والتُّقى والصبر بالتمثيل

عن جابر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « الحياء زينة، والتقى كرم، وخير المراكب الصبر، وانتظار الفرج من الله تعالى عبادة »[1].

الحياء من فعل الروح، والروح سماوي. وعمل أهل السماء يشبه بعضه بعضاً في العبودة. والنفس أرضي شهواني ميال إلى شهوة عقيب شهوة، ومنية على اثر منية، لا تهدأ ولا تستقر، فاعمالها مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً، مرة عبودة، ومرة ربوبة، ومرة استسلام، ومرة تملك، ومرة عجز، ومرة اقتدار. فإذا ريضت النفس وذلت وأدبت، انقادت وكان السلطان والغلبة للروح. جاء الحياء، والحياء خجل الروح عن كل أمر لا يصلح في السماء، فهو يكاع[2] ويزين الجوارح والأمور. وهو زينة العبد، فمنه العفة والوقار والحلم.

(١) هناك أحاديث في الصحاح والسنن تؤيد هذا الحديث ومنه ما رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٤١٨٥ بسنده عن أنس عن رسول الله ــ ﷺ (ولا كان الحياء في شيء قط الا زانه).

(٢) كاع عن الشيء من باب باع ويكاع أيضاً لغة في (كَعَّ) عنه يكِعُّ بالكسر إذا هابه وجَبُنَ عنه.

وقوله: « والتقى كرم » فالكرم ما انقاد وذل. ولذلك سمى شجرة العنب كرماً؛ لأنه حيث ما مددتها امتدت وذلت لك.

قال (عليه السلام): « لا تقولوا للعنب كرماً، إنما الكرم قلب المؤمن »[1].

فإذا ولج النور القلب، رطب ولان. وبرطوبته ولينه ترطب النفس وتلين وتذهب كزازتها ويبسها وطفئت حرارة الشهوات بالنور الوارد على القلب؛ لأنه من الرحمة. والرحمة باردة، فانقاد القلب فاتقى.

وقوله: « وخير المراكب الصبر » فالصبر ثبات العبد بين يدي ربه في مقامه لأموره وأحكامه خف أو ثقل، أحب أو كره، يسراً وعسراً. فهو خير مركب ركب به إلى الله تعالى، وهو مركب الوفاء بالعهد. فإن الله تعالى خلق الدنيا ممراً لعبيده إلى دار السلام. فالقوم المختارون يأخذون الزاد ويمرون. ومن الوفاء أن لا يلتفت إلى شيء سوى الزاد. قال الله تعالى: ﴿ **أوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون** ﴾[2] أي فارهبوا من نفوسكم إليّ. والهرب والرهب بمعنى واحد.

وقوله: « انتظار الفرج من الله عبادة » لأن في انتظار الفرج قطع العلائق والأسباب إلى الله تعالى، وتعلق القلب به، وشخوص الأمل إليه، والتبري من الحول والقوة، فهذا خالص الإيمان.

---

(١) الحديث رواه الامام البخاري في كتاب الأدب ١٠١ باب لا تسبوا الدهر ٦١٨٢ حدثنا معمر عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: وذكره، ورواه الامام في الألفاظ ٦، ١٠، ١٢ وأبو داود في كتاب الأدب ٧٤ والدارمي في الأشربة ١٦ واحمد بن حنبل في المسند ٦ : ٢٣٩، ٢٥٩، ٢٧٢، ٣١٦، ٤٦٤، ٤٧٦، ٥٠٩ (حلبي).

(٢) سورة البقرة آية رقم ٤٠.

الأصل السابع والخمسون والمائة

في فضل ماء زمزم

عن جابر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « زمزم لما شربت له »[1].

فزمزم سقيا الله وغياثه لولد خليله إسماعيل (عليهما السلام). فبقي غياثاً لمن بعده في كل نائبة. إن شربت لمرض، شفيت. وإن شربت لغم، فرج عنك. وإن شربت لحاجة، استعنت. وإن شربت لنائبة، صلحت؛ لأن أصله من الرحمة بدا غياثاً، فلأي شيء شربه المؤمن وجد غوث ذلك الأمر.

---

(١) رواه ابن ماجة بسند جيد، وكذا ابن أبي شيبة، والبيهقي عن جابر رفعه، ورواه أحمد لما شرب منه، وأخرجه الفاكهي في أخبار مكة من هذا الوجه باللفظين وسنده ضعيف، لكن له شاهد أخرجه الدارقطني عن ابن اسماعيل ــ رضي الله عنهما رفعه بزيادة (إن شربته لتشفى شفاك الله وإن شربت لشبعك شبعك الله وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله وهي هزمة جبريل وسُقيا إسماعيل)ورواه الحاكم من هذا الوجه وقال: صحيح الاسناد إن سلم من الجارود قال في المقاصد: هو صدوق إلا إنه تفرد عن ابن عيينة بوصله، ومثله إذا انفرد لا يحتج به، فكيف إذا خالف.. ؟

الأصل الثامن والخمسون والمائة

في أن عمل الأنبياء والأولياء في الدارين خدمة وعبودة

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل البيت كأحدكم يخيط ثوبه ويعمل كأحدكم[1].

هكذا شأن الأنبياء والأولياء (عليهم السلام)؛ لأنهم عبيد الله تعالى، على العبودة وقفوا بين يديه، ورأوا أن هذه الأعمال التي للدنيا والآخرة كلها تدبير الله تعالى في أرضه، وأنها كلها معلقة بعضها ببعض، وأنها لله تعالى. فما استقبلهم من أمر لم يؤثروا عليه شيئاً، ولا اختاروا من تلقاء أنفسهم أمراً فلزموه ورفضوا لما سواه؛ لأنهم يحبون أن يكونوا كالعبيد، ما وضع بين أيديهم عملوه عبودة، حتى يلقوا الله تعالى بها، فيضع عنهم رق العبودة، ويرضي عنهم. هذا بغيتهم.

وأما الآخرون فقد اختاروا من الأعمال، وآثروا هذا على ذلك، وذاك على هذا طلباً للأفضل؛ لينالوا من نعيم الجنان، ورفضوا كثيراً من الأعمال،

---

(١) الحديث أخرجه الامام أحمد في المسند ٦: ١٢١ ثنا عفان قال ثنا مهدي ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة انها سئلت ما كان رسول الله يعمل في بيته فقالت: وذكره

ضيعوا به حقوقاً، واعتبر هذا بحديث جريج الراهب حين نادته أمه وهو في الصلاة: يا جريج أرني وجهك من الصومعة. فقال: صلاتاه. فآثرها على أمه. فقال رسول الله ﷺ: لو كان جريج الراهب فقيهاً عالماً، لعلم أن إجابة أمه من عبادة ربه.

فمن فقه عن الله تعالى أمره ورأى تدبيره، لم يجد بداً من رفض الاختيار، فلا يؤثر أمراً على أمر، ولا حالاً على حال. وكان (عليه السلام) لما بعث أصحابه إلى تبوك أمَّر عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن قتل زيد، فجعفر أمير عليكم. فقال جعفر (رضي الله عنه): يا رسول الله أتؤمر علينا زيداً؟ قال: إنك لا تدري في أي ذلك خير[1].

وروي أن موسى (عليه السلام) قال: يا رب، أي عبادك أكبر ذنباً؟ قال: الذي يتهمني. قال: ومن يتهمك يا رب. قال: الذي يستخيرني فإذا خرت له، لم يرض بذلك.

فمن جعل أمور الآخرة وأمور الدنيا كلها لله تعالى وأراد بذلك إقامة العبودة، فقد سقطت عنه مؤنة الاختيار، ولا تملكه الأحوال ولا الأعمال.

---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه الامام أحمد في المسند بسنده عن ابي قتادة الانصاري فارس رسول الله ــ ﷺ ــ قال صاحب مجمع الزوائد: ورجاله رجال الصحيح غير خالد بن سمير وهو ثقه.

الأصل التاسع والخمسون والمائة

في المقة[1] والصيت وعلامة أهلهما

عن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: المقة من الله في الأرض والصيت في السماء. فإذا أحب الله تعالى عبداً، نادى جبرئيل في السماء أن الله تعالى يحب فلاناً فأحبوه. فتنزل المقة في الأرض[2].

أراد بالصيت اضطراب الصوت والنداء. وقوله تعالى: ﴿ **وألقيت عليك محبة مني...** ﴾[3] قال: ملاحة وحلاوة.

---

(١) المقة: بكسر الميم وتخفيف القاف هي المحبة، وقد ومق يمق والأصل الومق والهاء فيه عوض عن الواو، كعدة ووعد: وكلمة (المقة من الله والصيت من السماء) أخرجه أحمد، والطبراني وابن أبي شيبة من طريق محمد بن سعد الأنصاري عن أبي ظبية عن أبي أمامة مرفوعاً.

(٢) الحديث رواه الامام البخاري في كتاب الأدب ٤١ باب المقة من الله تعالى ٦٠٤٠ عن ابن جريج قال: أخبرني موسى بن عقبة عن نافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وذكره، وقد رواه عن النبي ﷺ ثوبان عند أحمد والطبراني في الأوسط، وأبو امامة عند أحمد، ورواه عن أبي هريرة أبو صالح عند المصنف في التوحيد وأخرجه مسلم والبزار، ورواه الترمذي في التفسير سورة ١٩، ٧ والموطأ في الشعر ١٥.

(٣) سورة طه آية رقم ٣٩

وقوله تعالى: ﴿ **وحناناً من لدنا...** ﴾[1] قال معبد الجهني[2] (رضي الله عنه): الحنان المحبب.

وقال علي (كرم الله وجهه): سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ **سيجعل لهم الرحمن وداً...** ﴾[3] ما هو يا رسول الله؟ قال: المحبة يا علي في صدور المؤمنين والملائكة المقربين. يا علي، إن الله تعالى أعطي المؤمن ثلاثاً: المقة والمحبة والملاحة والمهابة في صدور الصالحين. فمن اصطنعه لنفسه قبل نفسه فوجد له حلاوة وملاحة، ومن دعاه فأجابه وصدقه في الإجابة، قربه فقبل قلبه فوجد له في القلوب وده، وهو المحبة. قال الله تعالى: ﴿ **واصطنعتك لنفسي...** ﴾[4].

فكان لا يراه أحد إلا أحبه. حتى فرعون الذي كان يذبح أولاد بني إسرائيل من أجله كان يرشفه في حجره.

فمن كان من بعده على مثل سبيله وطريقه إليه فله الحلاوة والملاحة. ومن سار إليه حتى وصل فنال القربة فله الود في القلوب.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: لكل عبد صيت. فان كان صالحاً، وضع في السماء. وإن كان سيئاً، وضع في الأرض[5].

---

(١) سورة مريم آية رقم ١٣

(٢) هو معبد بن خالد الجهني أبو زرعة صحابي من القادة أسلم قديماً، وكان أحد الأربعة الذين حملوا الوية «جهينة» يوم فتح مآسة، وكان يلزم البادية عاش بضعاً وثمانين سنة ومات سنة ٧٢ هـ راجع الاصابة ت ٨٠٥

(٣) سورة مريم آية رقم ٩٦.

(٤) سورة طه آية رقم ٤١.

(٥) الحديث رواه البزار من طريق أبي وكيع الجراح بن مليح عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه ». والصيت: بكسر الصاد المهملة وسكون التحتانية بعدها مثناة أصله الصوت كالريح من الروح، والمراد به الذكر الجميل.

الأصل المائة والستون

في الاستعاذة من النفاق وثمراته

عن أم معبد (رضي الله عنها) قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اللهم طهر قلبي من النفاق، وعملي من الرياء، ولساني من الكذب، وعيني من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور »[1].

وعن حنظلة قال: قال رسول الله ﷺ: ما جاءني جبرئيل إلا أمرني بهاتين، قال: تقول: اللهم ارزقني طيباً، واستعملني صالحاً[2].

والنفاق ما كان ذا لونين. يقين وشك، وإخلاص ورياء. وغير ذلك. وإنما سمي نفاقاً لأنه يدخل عليه الأمر من بابين: من باب الله تعالى، فيقبل عنه من طريق الإيمان. ومن باب النفس، فيقبل عنها من طريق الشهوة. وكذلك نافقاء اليربوع، يدخل من هذا الباب ويخرج من الباب الآخر.

---

(١) الحديث رواه الخطيب في التاريخ عن أم معبد الخزاعية، وقال السيوطي رواه الحكيم وأشار عليه بالضعف

(٢) قال السيوطي لم يروه غير الحكيم عن حنظلة وأشار عليه بالصحة.

وكذلك النفقة تأخذ باليد وتنفق بالأخرى. فسأل (عليه السلام) ربه (عز وجل) أن يطهر قلبه من آفات النفس، فأجملها فقال: طهر قلبي من النفاق، وعملي من الرياء.

روي أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: كنا نوب رسول الله ﷺ يطرقه أمراً ويأمر بشيء. قال: فكثر أهل النوب والمحتسبون ليلة، حتى كنا نتحدث، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: ما هذه النجوى، ألم تنهوا عن النجوى؟ فقلنا: تبنا إلى الله يا رسول الله. إنا كنا في ذكر المسيح نتخوف منه. فقال: ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي. رجل يعمل لمكان رجل.

وقوله (عليه السلام): « ولساني من الكذب ». فإن اللسان يعبر به عن مكنون القلب. وإذا قال بلسانه ما لم يكن، كذبه الله تعالى، وكذبه إيمانه؛ لأنه إذا قال لشيء لم يكن انه قد كان، فقد زعم أن الله تعالى خلقه. وإذا أخبر أنه قد كان ولم يكن الله تعالى كونه، فقد افترى على الله تعالى.

ولذلك قال أبو بكر (رضي الله عنه): « الكذب مجانب للإيمان ». فإيمانه في قلبه يكذبه. فسأل أن يطهر لسانه من ذلك.

وقوله (عليه السلام): « وعيني من الخيانة » فخيانة العين المسارقة كأنه يريد أن يسرق ممن لا يسرق منه، ويستخفي ممن لا تخفي عليه لمحة. فإنه لا ينظر ولكنه يلحظ سرقة واختلاساً لمكان المخلوقين، وقد غفل قلبه عن أن يراه أبصر الناظرين. قال الله تعالى: ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور...** ﴾[1].

---

(١) سورة غافر آية رقم ١٩.

وقوله في الحديث الآخر: « ارزقني طيباً واستعملني صالحاً » سأله عيش أهل الجنان. رزقهم طيب، وأفعالهم صالحة كلها، ليس فيها فساد. فإن العباد على ضربين : منهم من وضع بين يديه فقيل له: اعمل هذا ودع هذا، وأقبل على هذا وجانب هذا. بين له الشريعة، ثم قيل له: سر فيها مستقيماً، وخذ الحق واجتنب الباطل. وكثيراً ما يقع في التخليط والأغاليط ويشوبه ما ليس منه. ومنهم من جازوا هذه الخطة وعافوا لمنتهي، ونسوه. طهرت قلوبهم وأركانهم فاستعملهم ربهم في الشريعة لمحابه، وبما قد علم أن صلاحهم في ذلك. فسأل (عليه السلام) الاستعمال صالحاً.

الأصل الحادي والستون والمائة

في دعائه ﷺ للأُمة عشية عرفة وغداة المزدلفة

عن عباس بن مرداس (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة والرحمة، فأكثر الدعاء، فأجابه: أني فعلت إلا ظلم بعضهم بعضاً، فأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها. قال: يا رب إنك قادر أن تثيب هذا المظلوم خيراً من مظلمته، وتغفر لهذا الظالم. فلم يجبه تلك العشية. فلما كان الغداة غداة المزدلفة، اجتهد في الدعاء. فأجابه: أني قد غفرت لهم. فتبسم رسول الله ﷺ فقيل: تبسمت في ساعة لم تكن تتبسم فيها! فقال: تبسمت من عدو الله إبليس، انه لما علم أن الله قد استجاب لي في أمتي، أهوى يدعو بالويل والثبور ويحثي على وجهه ويفر . قد نالتهم المغفرة عشية عرفة، وستروا من الذنوب. والحق تعالى يناشدهم، ويقتضي تبعات الخلق، ولا مرد له ولا معارض. فلو تركهم والحق سبحانه وتعالى لأخرجهم من الستر حتى يعودوا إلى الحالة الأولى عراة، فعطف الله تعالى عليهم، ولم يخيب أضيافه وزائريه والمنيخين بفنائه يستعطفونه ويسألونه سؤال المساكين، فيضمن عنهم التبعات، ويرضي أهلها عنهم، فغفرها. فبقوا في ستره، ورضي الحق (جل جلاله) ضمان الكريم الوفي، وخلا

عنهم فصاروا إلى تطواف بيته المحرم لائذين به، بعد أن أرضوا الحق تعالى، وتطهروا من الأدناس، فحباهم وخلع على قلوبهم من النور. وتلك عرائس الضيافة.

الأصل الثاني والستون والمائة

في صفة الأولياء.
وحقيقة الولاية أو التحذير من إهانتهم

عن أنس (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ، عن جبرئيل، عن الله تعالى أنه قال: « من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة. وإني لأسرع شيء إلى نصرة أوليائي لأني لأغضب لهم كما يغضب الليث الحرب. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض روح المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه. وما تعبد لي عبدي المؤمن بمثل الزهد في الدنيا. ولا تقرب إليَّ عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه. فاذا أحببته، كنت سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً. إن سألني أعطيته. وإن دعاني استجبت له. وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الغني. ولو أفقرته لأفسده ذلك. وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر. ولو أغنيته لأفسده ذلك. وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الصحة. ولو أسقمته لأفسده ذلك. وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا السقم. ولو صححته لأفسده ذلك. إني أدبر عبادي بعلمي بقلوبهم. إني عليم خبير » .

وفي رواية عائشة (رضي الله عنها): « فإذا أحببته كنت بصره الذي به يبصر، ولسانه الذي به ينطق، وأذنه الذي بها يسمع، وفؤاده الذي به يعقل، ويده الذي بها يبطش، ورجله الذي بها يمشي »[1].

قوله: « من أهان لي ولياً » فالولي من ولي الله هدايته ونصره وأخذه من نفسه، ورفعه بمحل علي، جاهد فصدق الله في جهده. حتى إذا استفرغ وسعه في ذلك، ألقى نفسه بين يديه ضرعاً مستكيناً مستغيثاً به، صارخاً إليه مضطراً، وقال تعالى: ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض...** ﴾[2].

فأجابه الله تعالى ورحمه وأخذه من نفسه بنور فتح لقلبه من الغيب، فاشتعل ناراً أحرقت شهوات نفسه، وأشرق الصدر بنوره، فكشف السوء، وجعله من خلفائه، إماماً من أئمة الهدى، وجعله ربيعاً يشم أزهاره، وخريفاً يجتني أثماره، وولي إقامته على طريقته حتى رتب له ما عنده. وهو قوله تعالى: ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع**

---

(١) رواية أنس أخرجها أبو علي والبزار والطبراني وفي سنده ضعف وعن حذيفة: أخرجه الطبراني مختصرا وسنده حسن غريب وعن معاذ بن جبل أخرجه ابن ماجة وأبو نعيم في الحلية مختصراً وسنده ضعيف ايضاً وعن وهب بن منبه مقطوعا أخرجه أحمد في الزهد وابو نعيم في الحلية وفيه تعقب على ابن حبان قال بعد اخراج حديث أبي هريرة: لا يعرف لهذا الحديث الا طريقان يعني غير حديث الباب وهما هشام الكناني عن أنس، وعبد الواحد بن ميمون عن عروة عن عائشة وكلاهما لا يصح. (راجع فتح الباري ١١: ٣٤١ ــ ٣٤٢ــ) وقال: وهذا حديث غريب جداً لولا هيبة الصحيح لعدوه في منكرات خالد بن مخلد، ثم قال: ولكن للحديث طرق أخرى يدل مجموعها على أن له أصلا منها عن عائشة أخرجه أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد من طريق عبد الواحد بن ميمون عن عروة عنها.

وذكر ابن حبان وابن عدي انه تفرد به وقد قال البخاري انه منكر الحديث لكن أخرجه الطبراني من طريق يعقوب بن مجاهد عن عروة.

(٢) سورة النمل آية رقم ٦٢.

المحسنين... ﴾[1] وقال (عليه السلام): « المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله تعالى، وذلك أفضل الجهاد »[2].

فمن أهان هذا الولي فقد خرج إلى مبارزة الله تعالى، يريد أن يسلبه ما أخذ، ويأخذ منه ما قد رفع فيضعه.

وقوله: « وإني لأسرع شيء إلى نصرة أوليائي »، فإن من تدبير الله تعالى أن الحق (عز وجل) والرحمة مقتضيان في شأن الخلق. فالحق تعالى يقتضي عبودته. فمن لم يقبلها، فهو ذرأ النار. قال تعالى: ﴿ **لأملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾[3].

ومن قبلها فوفي بها، فلا حساب ولا عذاب، ويدخل الجنة بسلام. ومن قبلها فوفى ببعض وضيع بعضاً، اقتضى الحق تعالى ذلك، والنار منتقمة تأخذ من جسده وتدع، كما وفى ببعض وترك بعضاً. فإذا قال : جاءت المشيئة جاءت الرحمة فأخذته من الحق تعالى فأنقذته من العذاب. فإن الحق تعالى يقتضي الغضب والنار، وتجيء الرحمة لمن سبقت له رحمته غضبه، فأخذته من الحق. قال تعالى: ﴿ **سبقت رحمتي غضبي** ﴾[4].

وهذا لعامة الموحدين. فأما الأولياء فإنما نالوا الولاية بالرحمة العظمى.

---

(١) سورة العنكبوت آية رقم ٦٩.

(٢) الحديث رواه الترمذي في فضائل الجهاد ١٦٢١ بسنده عن فضالة بن عبيد يحدث عن رسول الله ــ ﷺ ــ قال: وذكره قال الترمذي: وفي الباب عن عقبة بن عامر وجابر وحديث فضالة: حديث حسن صحيح.

(٣) سورة السجدة آية رقم ١٣.

(٤) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب التوبة ٤ باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه ١٥ ــ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال الله عز وجل: وذكره. ورواه البخاري في كتاب التوحيد ٥٥، ١٥، ٢٢، ٢٨ وكتاب بدء الخلق ١ وابن ماجة في الزهد ٣٥ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٤٢، ٢٥٨ (حلبي).

فمن نازعه أو آذاه أو ظلمه فالرحمة خصمه. والحق (عز وجل) خصم الجميع. فقد اجتمع الحق والرحمة في طلب ثأره من ظالمه. فلذلك كان أسرع شيء إلى نصرة أوليائه (عليهم السلام). والرحمة من المشيئة، والحق من القدرة.

ومما يؤيد ذلك ما روي ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم أهل الله. فيقوم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم). فيقال لأبي بكر (رضي الله عنه): قم على باب الجنة فأدخل فيها من شئت برحمة الله تعالى، ورد منها من شئت بقدرة الله تعالى. ويقال لعمر (رضي الله عنه): قم عند الميزان، فثقل ميزان من شئت برحمة الله، وأخف ميزان من شئت بقدرة الله. ويقال لعثمان (رضي الله عنه): خذ هذه العصا فذد بها للناس عن الحوض. ويقال لعلي (رضي الله عنه): البس هذه الحلة فإني قد خبأتها لك منذ خلقت السموات والأرض إلى اليوم.

فقد بين (عليه السلام) منازل القوم أنهم أهل الله (عز وجل) وخاصته، وأنه ينكشف ذلك لأهل الموقف غداً، يظهره عليهم عند خلقه، وقد صاروا أمناء الله تعالى، ووقفت قلوبهم بين يديه رافضين لمشيئتهم، ولذلك سماهم أهل الله. والأهل والآل بمعنى يئولون إليه في كل شيء، فيبرز لأهل الموقف مقاومهم بقلوبهم وضمائرهم، التي كانت فيما بينهم وبين الله تعالى كرامة لهم وتنويهاً بأسمائهم في ذلك الجمع. فكان الغالب علي أبي بكر (رضي الله عنه) الرحمة في أيام الحياة. والغالب على عمر (رضي الله عنه) القيام بالحق وتعزيزه. وكأنهما كانا ممن هو في قبضته يستعمله. فاستعمل هذا بالرحمة، وهذا بالحق. فهذا وقف عند باب الجنة يطلب أهل الموقف بالرحمة ليوردهم الجنة. وذا يقف عند الميزان، ويطالب أهل الموقف بالعدل.

وهو قوله (عليه السلام): بي يسمع وبي يبصر وبي ينطق.

ومنه قول عمر (رضي الله عنه) حيث أتاه رجل والدم يسيل على وجهه من شجته فقال ويحك من فعل بك؟ قال: علي. فقال علي (رضي الله عنه): رأيته مقاوماً إمرأة، فأصغيت إليهما، فساءني ما سمعت فشججته. فقال عمر (رضي الله عنه): أصابتك عين من عيون الله تعالى وإن لله تعالى في الأرض عيوناً. فهذا قوله (عليه السلام): بي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش.

وأما عثمان (رضي الله عنه) فكان الغالب عليه إغاثة رسول الله ﷺ في نوائبه بالمال. فحكمه في شأن الحوض ليذود من لم يستحق من الحوض شراباً. فإن الحوض غياث الخلق يومئذ.

وأما علي (كرم الله وجهه) فالغالب عليه النفاذ في علم التوحيد. وبه كان يبرز على عامة أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم. ويدل على ذلك خطبه. فإنه بالغ في التوحيد والثناء على ربه تعالى وبرز على غيره. والحلة التي خبأها له هي حلة التوحيد. فهذا قسم الله لهم وحظوظهم منه، فيظهرها الله تعالى يوم القيامة على أحوالهم.

قال (عليه السلام): « أرحم أمتي بأمتي أبو بكر. وأقواهم في دين الله عمر. وأصدقهم حياء عثمان »[1].

---

(١) الحديث الامام الترمذي في كتاب المناقب باب ٣٣، ٣٧٩٠ عن داود العطار عن معمر، عن قتادة عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره وفيه زيادة [واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح].

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث قتادة إلا من هذا الوجه، وقد رواه أبو قلابة عن أنس عن النبي ﷺ. ورواه ابن ماجة في المقدمة ١١ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ١٨٤، ٢٨١ (حلبي).

وقوله: « ما ترددت في شيء ترددي عن قبض روح عبدي »، فإن الموت خلق فظيع منكر، لا بد للأحباب أن يذوقوه، وأمر ثقيل مر لا يخلو من أن يكرهوه. وقد علم الله تعالى أنه يشتد عليهم ويتأذون به، فتردد في فعله لكراهة مساءتهم. وقد قضى الله تعالى على نفسه حتماً أنه يفعله. فمشيئته لموتهم تردد بين الحق والرحمة. فالحق تعالى ينفذ الموت، والرحمة تدفعه، والمشيئة مترددة بينهما، مرة إلى الرحمة ومرة إلى الحق. فمن كان أيام الحياة اهتش إلى ذكر الله شوقاً إليه، فغليان الشوق في قلبه مراجل. وهذا الشوق في القلب بالرحمة. فتلك الرحمة تتحرك له عند كل نائبة، وأعظم نوائبه الموت يريد خلاصه. والحق من ناحيته يقتضيه أن ينفذ الموت عليه. والمشيئة من الله تعالى مترددة فيما بينهما مرة إلى هذا ومرة إلى ذلك، ولا بد من الموت. فأما غير هؤلاء فليس لهم هذا الحال. فإذا جاءت المشيئة مع الحق، نفذ أمره. قال تعالى: ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾[1].

فالحائد من الموت أيام الحياة يأخذه الحق بتنفيذ الموت، وليس للرحمة حركة في الدفع عنه؛ لأن المشيئة لم تتردّد بينهما فنفذ.

وقوله: « إني لأغضب لهم كما يغضب الليث الحرب » فالليث كريم لا يؤذي حتى يجترأ عليه. فاذا اجترئ عليه، اصطفه حرب فكسر ودمر على من ظفر به. فمن آذي ولي الله تعالى فانما يجترئ على الله تعالى، يريد أن يحاربه، فيأخذ منه ما إصطفاه لنفسه فيفسد شأنه، ويهدم تربيته وبنيانه. فإن الولي إذا بلغ غاية الصدق في السير إلى الله تعالى ومجاهدة النفس، وفطم نفسه عن سيِّئ الأخلاق، وقد انقطعت حيلته، وبقي بين يديه ينتظر رحمته، انتخبه الله تعالى للولاية، ووكل

---

(١) سورة ق آية رقم ١٩.

الحق به يهديه ويطهره، ويسير به إليه، وترد إليه الأنوار من قربه، وتطهر نفسه، وتميت منه الأخلاق الرديئة. فذاك تربية الله تعالى له. فإذا تم البنيان والتربية، كشف الغطاء، وأشرق على صدره نوره، وجعل لقلبه إليه طريقاً لا يحجبه عنه شيء. فهو ولي الله يتولاه في أموره، وهو يكلؤه ويستعمله. فمن يتعرض له ويظلمه، فقد اجترأ على الله تعالى، يريد أن يهدم بنيانه، ويفسد تربيته فغضب الله له.

وهذا مثل قوله (عليه السلام): « إياك ونار المؤمن لا تحرقك وإن عثر كل يوم سبع مرات، فإن يمينه بيد الله تعالى، إذا شاء أن ينعشه نعشه »[1].

وأراد بالمؤمن ههنا المؤمن البالغ، وهو الولي لله تعالى الذي احتظى من النور والقربة، وقد تولاه الله تعالى. فإذا تعرضت له بمكروه، فنار نوره تحرقك. فأما العامة من المؤمنين فمعه نور التوحيد، ولا حظَّ له من نوره، فليس له نار تحرق. ولهذا حذرك (عليه السلام) أن يشتبه عليك أمره. فإذا رأيته عثر أو وقع في زلة أن تنظر إليه بعين الازراء كسائر العامة، فإن يمينه بيد الله تعالى؛ لأنه صار في قبضته، وقد أخذه من نفسه، فهو يمسكه وهو يحفظه. فإذا عثر فتلك العثرة كانت في تدبير الله تعالى له ليجدد عليه أمر، أو ليرفعه إلى ما هو أعظم شأناً. وليست تلك عثرة رفض، إنما هي عثرة تدبير. كذا دبر له كما دبر لداود (عليه السلام) تلك الخطيئة. ثم انظر أي شيء كان له بعد الخطيئة من الكرامة والقربة، وظهر له من الله تعالى الزلفة والعطف عليه. فيكون للأولياء عثرات يجدد الله تعالى لهم بها كرامات، ويبرز لهم ما كان مغيباً عنهم من حبه إياهم، وعطفه عليهم فينعشهم. فهو مع ذلك الذنب يمينه بيد الله، لم يكله إلى نفسه ولا تخلى عنه.

---

(١) لم نعثر على هذا الحديث على كثرة البحث والتقصّي.

وإنما يجري عليه الذنب، ثم ينعشه، فيدخله الله الجنة، ويدخل الذي يعير به النار.

وقوله: « وما تقرب إليَّ عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضته ». فإنما فرض الله تعالى الفرائض من الصلاة والصوم والزكاة والحج ليحط بها عنه الخطايا، وليتطهر بها العبد. قال تعالى: ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار...** ﴾[1] إلى قوله: ﴿ ... **إن الحسنات يذهبن السيئآت...** ﴾[2] فإن العبد قد يلهو عن العبودة ويطيع الهوى ويركب الخطايا والذنوب.

فهذه سيئآت قد قبحته وشانته. فإذا صلي فالقيام تذلل وتسليم. والركوع خشوع. والسجود خضوع. والجلوس رغبة وضرع. فهذه حسنات تذهب السيئآت، وتظهر الزين وتستر الشين. وأما الزكاة فقال تعالى: ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها...** ﴾[3].

وأما الحج فإن الله تعالى أمر بالوقوف، ثم قال في آخره: ﴿ **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه...** ﴾[4] أي يرجعون مغفورين، قد حطت عنهم الآثام.

فهذه الفرائض فرضها عليهم لتكون دواء للداء الذي اكتسبوه. فإذا أقامها فقد تطهر، فصلح للقربة. فإذا تنفل بعد ذلك، استوجب المحبة. فإن النفل في المغازي كالعطف من الأمير على الواحد من أهل العسكر يخصه به. والنفل زيادة على القسمة، خارج منها، يبره الأمير على قدر عنائه في الحرب وبلائه. فإذا تنفل العبد بزيادة على الفرض ينفل القربة والمحبة. فإذا أحبه، أحياه واختاره وأوصله إلى حبة القربى. ولكل

---

(١) سورة هود آية رقم ١١٤.

(٢) سورة هود آية رقم ١١٤.

(٣) سورة التوبة آية رقم ١٠٣.

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٠٣.

شيء حبة. وحبة كل شيء وسطه وجوفه ولبابه. فنال القربة بأداء الفرائض، ونفل بالمحبة بالتطوع، فاوصل إلى أقرب القربة وحبته. فهناك يحيي قلبه بالحي الذي لا يموت. فإذا أحياه به، كان سمعه وبصره وفؤاده ولسانه.

وقوله: « وما تعبد لي عبدي بمثل الزهد في الدنيا »، هكذا شأن العبد يزهد في كل شيء لم يقدر له في اللوح. فما أعطي علم أنه كان قدر له فقبله. وما منع علم أنه لم يكن قدر له، فرفع عنه باله. فإذا فعل ذلك فقد أبرز صدق العبادة، وتهاون بالدنيا فلم يلحظ إليها. فهذا منه تصديق إيمان وتحقيق. لأنه لما أيقن بالآخرة ونظر إليها بنور اليقين، تلاشت الدنيا في عينه في جنب ما أعد الله له في الآخرة فصغرت عنده وزهدت. وإذا قل الشيء في عين المرء، تهاون به. فإنما أبصروا قلة الدنيا بنور الإيمان الذي أبصروا به كثرة الآخرة وعظمها، فنيلوا بذلك وشرفوا وأعرضوا عن جميعها إلا ما قدر لهم في اللوح، فعظموا ذلك القدر الذي أوصل إليهم؛ لأنهم علموا أن هذا وصل إليهم بتدبير الله تعالى وصنعه وعطفه ورحمته، فعظم شأن ذلك عندهم، ففرحوا واستبشروا وحمدوا ربهم وتوسعوا في ذلك. فمن بلغك عن أحد من أئمة السلف (رحمهم الله) أنه فرح بشيء مما أوتي أو عظمه، فإنما عظمه أو فرح به لا من طريق قدر الشيء، بل فرحه بتدبير الله تعالى وصنعه له، كيف دبر له ما قسم له في اللوح، ولها عما سوى ذلك، فأنعم فيه النظر كي لا تغلط وتظن بهم ظن السوء. فالزاهدون متعبدة فعبدوه بالزهد حتى تقربوا إليه وأعرضوا عن الدنيا. والأولياء عبيد تعبدوه بالعبودة، وتقربوا إليه حتى أعرضوا عن النفس. فمن أعرض عن الدنيا أقام الزهد. ومن أعرض عن النفس أقام العبودة.

وعن الحسن (رضي الله عنه): بني الإسلام على عشرة أركان: **أحدها** ــ الإخلاص بالله تعالى وهي الفطرة. ومعنى ذلك أن الخلق

فطروا على المعرفة. فليس أحد يقدر أن ينكره. فهم يقرون به، ويعرفونه معرفة الفطرة، وقد استوى فيه الخلق. قال تعالى: ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها...** ﴾[1].

قوله: « الإخلاص بالله »، أي المؤمن لما أدركته الهداية، وجعل الله تعالى له نوراً فأحياه، خلص الله تعالى أمره.

الثاني ــ الصلاة. وهي الملة. ومعنى ذلك أنها تشتمل على أفعال مضمومة بعضها إلى بعض، فصيرت فعلاً واحداً. وكذلك يجتمع الخلق بأجسادهم على هذا الأمر الواحد، فتكون صلاتهم مضمومة بعضها إلى بعض، فتكون صلاة واحدة. والملة ما ضمت. ولذلك سميت الخبزة المضمومة إلى الحفرة ملة.

الثالث ــ الزكاة. وهي الطهرة. ومعناه أن الزكاة طهرة لهم من أدناسهم. قال تعالى: ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها...** ﴾[2].

فإن الله تعالى جعل المال سبباً لقوام معاشهم، وخلقهم محتاجين مضطرين. والمضطر مفزعه إلى من اضطر إلى نفسه، فترك مفزعه وجعل الباب الذي صير سبباً مفزعاً لحاجته فمال بقلبه عن الله تعالى. ولهذا سمي مالاً لميل القلوب عن الله تعالى إليها. فقد دنس بذلك. فقيل: تصدقوا. أي أعطوا من هذا المال ما يظهر صدق أقوالكم. انا لله وان الأموال منه في أيدينا. وسميت صدقة لأنه يظهر بالإعطاء صدق أقوالهم، فتصير صدقاتهم طهرة لهم من أدناسهم. إذا أصابه من الحلال يصير دنساً لميل قلبه عن الله تعالى. فكيف بالحرام والشبهة. فالحرام لا

---

(١) سورة الروم آية رقم ٣٠.

(٢) سورة التوبة آية رقم ١٠٣.

يطهرها شيء. والشبهة موقوفة. والحلال متقبل. وقد أمر الله تعالى بالصدقة من مكاسب الحلال والغنائم.

الرابع ــ الصيام. وهي الجنة قال (عليه السلام): « حفت الجنة بالمكاره، والنار بالشهوات »[1] وفي الصيام ترك الشهوات. فإذا تركها، فقد ترك حفاف النار، فصار جنة له من النار.

الخامس ــ الحج. وهي الشريعة. فإن الله تعالى دعاهم إلى أن يؤمنوا به ويسلموا إليه وجهاً، وجعل البيت معلمه. فهناك آثاره وآياته. وقد كان من قبل خلق الأرض زبدة بيضاء، فاقتضاهم الإجابة له بإتيانهم المظهر الأعلى وهو العرش قلباً. وبإتيانهم المعلم الذي على الأرض بدناً. وهما طريقان لهم إليه.

السادس ــ الجهاد. وهي العزة. ومعنى ذلك أن الله تعالى دعا العباد إلى أن يوحدوه، فأجابته طائفة وامتنعت طائفة، وتعززوا بالكبر الذي في صدورهم، والقوة التي في أبدانهم، والنعمة التي أسبغها عليهم. فقال للطائفة المجيبة: أنتم أنصاري وأوليائي. ﴿ **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب...** ﴾[2] فثارت هذه الطائفة حمية لله تعالى ونصرته وولايته فقتلوهم وأخذوهم وأسروهم. قال الله تعالى: ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين...** ﴾[3] فالجهاد هو العزة.

السابع ــ الأمر بالمعروف. وهو الحجة لأن المرسلين بعثوا لذلك.

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة، لكن للبخاري حجبت بدل حفت في الموضعين، وعزاه في الدرر للشيخين عن أنس ــ رضي الله عنه ــ والموجود فيهما عزوه لأبي هريرة بلفظ حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره، وحجبت بمعنى حفت الواقع في رواية مسلم عن أنس، كما قاله النووي، وذكر أن المعنى بينه وبينها هذا الحجاب.

(٢) سورة محمد آية رقم ٤.

(٣) سورة المنافقون آية رقم ٨.

فمن فعله من بعدهم، فهو من خلفائهم، يقيم حجة الله على خلقه.

الثامن ــ النهي عن المنكر. وهو الواقية. قال الله تعالى: ﴿ **كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه...** ﴾[1].

وقال (عليه السلام): « إن الظالم إذا لم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعذاب »[2].

وروى النعمان بن بشير (رضي الله عنه) يقول: سمعت رسول الله ﷺ على منبرنا هذا يقول: « مثل القائم على حدود الله والمداهن في حدود الله والساكت عنه والراكب حدود الله كمثل قوم ركبوا سفينة فاقترعوا منازلها، فأخذ أحدهم القدوم فنقر السفينة، فقال أحدهم لآخر: يخرق السفينة ويريد أن يغرقنا. فقال له الآخر: دعه فإنما يخرق مكانه. فإن تركوه، هلك وهلكوا. وإن أخذوا على يديه، نجا ونجوا »[3] فإذا غيروا ونهوا كان ذلك واقية للعذاب.

والتاسع ــ الطاعة. وهي العصمة. فإن طاعة الأئمة منوط بطاعة الله تعالى. وهي عصمة بهم يعصمهم الله تعالى، ويسكن الفتنة، ويقمع أهل الريب، ويقوم الحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٧٩.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب الفتن باب ٨ ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر. ٢١٦٨ عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق أنه قال: أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره. قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

ورواه أبو داود في الملاحم ١٧ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٧ (حلبي).

(٣) الحديث رواه البخاري في كتاب الشركة ٦ باب هل يقرع في القسمة.. ؟ ٢٤٩٣ ــ سمعت النعمان بن بشير ــ رضي الله عنهما ــ عن النبي ﷺ يقول: وذكره، ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٢٦٩، ٢٧٠ (حلبي).

فالسلطان شأنه عظيم، وهو رحمة من الله تعالى. فطاعتهم عصمة.

والعاشر ــ الجماعة. وهي الأُلفة. فإن الله تعالى جمع المؤمنين على معرفة واحدة وشريعة واحدة ليألف بعضها بعضاً بالله تعالى وفي الله، فيكونون كرجل واحد. قال الله تعالى: ﴿ **إنما المؤمنون إخوة...** ﴾[1].

فإذا لم يخرج إلى حدث ولا إلى بدعة، فهو في الأُلفة معهم. والله أعلم وأحكم.

---

(١) سورة الحجرات آية رقم ١٠.

الأصل الثالث والستون والمائة

في مذاهب أهل الأهواء

عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ قال: إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً... من هم؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: هم أصحاب الأهواء وأصحاب البدع وأصحاب الضلال من هذه الأمة. يا عائشة، إن لكل ذنب توبة، ما خلا أصحاب الأهواء والبدع ليس لهم توبة. أنا منهم بريء، وهم مني براء[1].

أهل الأهواء قوم استعملوا أهواءهم. والأهواء ميالة عن الله تعالى. فحيث ما مالت اتبعها قلوبهم؛ لأنه لم يكن في قلوبهم من النور ما يصدهم عن إتباعها. قال الله تعالى: ﴿ **فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله** ﴾[2].

وسميت زيغاً لأنها زائغة بالقلب عن الله تعالى. وأهل الأهواء كلما استحلوا شيئاً ركبوه واتخذوه ديناً، حتى ضربوا القرآن بعضه ببعض وحرفوه. فمنهم من يرفض حتى جحد نبوة محمد ﷺ، ونسبوا الرسالة

---

(١) هذا الأثر من الآثار التي تفرد بها صاحب نوادر الاصول

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٧.

إلى علي (كرم الله وجهه). ومنهم من اتخذه رباً فدخل عليه فقال: أنت ربي. فقام علي فوطئه بقدمه حتى قتله وأحرقه بالنار.

ومنهم من أبدعوا من تلقاء أنفسهم بدعاً. فازالت بهم تلك البدع حتى أدتهم إلى الخروج على علي (رضي الله عنه) وإلى حربه وهم الخوارج وأهل حروراء[1].

وقوم قد تزهدوا بغير علم فأداهم الجهل إلى أن أبدعوا من تلقاء أنفسهم بدعاً، وحسبوا أن الزهد في الدنيا تجنب الأشياء فعلا والعزلة من أهل الدنيا. فضيعوا الحقوق وقطعوا الأرحام وجفوا الخلق، واكفهروا في وجوه الأغنياء وفي قلوبهم من شهوة الغني أمثال الجبال الشامخات. ولم يعلموا أن أصل الزهد موت الشهوات من القلب. فلما اعتزلوها بالجوارح، اكتفوا به وحسبوا أنهم استكملوا الزهد. حتى تأدى بهم الجهل إلى أن طعنوا في الأئمة الذين عرفوا بسعة المعاش وكثرة المال. حتى عابوا الأنبياء وطعنوا على سليمان (عليهم السلام).

وقوم زعموا أنهم توكلوا على ربهم، وأن الطلب شك، وأن الرزق يأتي في وقته، فقعدوا رفضاً للطلب والمكسب، فضيعوا الأهلين والأولاد في خلال ذلك، يتدنسون في أبواب المطامع، ويخادعون الله تعالى في معاملته.

وقوم اتخذوا العلم الذي هو حجة الله تعالى على عباده حرفة، وصيروها مأكلة، فأكدوا بها رياستهم، واحتظوا به من القلوب، وصحبوا بها الملوك ختلاً لما في أيديهم من الحطام، فلينوا لهم في القول طمعاً لما في أيديهم، وداهنوهم لما يرجون من نوالهم، وساعدوهم على تجبرهم وجورهم.

---

(١) راجع ما كتبناه عن أهل حرواء والخوارج في الجزء الأول.

وقوم مفتونون نسبوا إلى الدين والتقطوا الرخص وزلات العلماء فاتخذوها ديناً، وتذرعوا بذلك إلى شهواتهم، وزينوا للخلق بذلك تستراً على أحوالهم السيئة من تعاطي الأشربة المحرمة، والمكسبة الرديئة، وأشباه ذلك.

وقوم هم أهل الضلالة كالمشبهة والقدرية[1] والجبرية والجهمية[2] وأشباههم، مالت قلوبهم، وأبدعوا وضلوا عن الله تعالى. فإن الله تعالى اقتضى للعباد الإسلام ديناً. والإسلام تسليم النفس. والدين الخضوع لله تعالى بتسليم النفس إليه. قال الله تعالى: ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه** ﴾[3].

فجعل الدين في تسليم النفس إليه، فدانوا بأن سلموا نفوسهم إليه قبولاً لأمره وطاعته، فأنزل كلاماً فرقاناً يفرق بين الحق والباطل، وأمر بالاعتصام به. وأشار إلى دار السلام أن هذا مصيركم وإليها أدعوكم، فقال: ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا...** ﴾[4] وهو عهده

(١) يطلق اسم القدرية على القائلين بقدرة العبد على خلق أفعاله ومن هنا كانت تسميتهم بهذا الاسم، وقيل لأنهم في رأيهم ذاك منكرون للقدر، وقيل لأنهم اتخذوا من القدر موضوعاً لبحثهم ودراستهم ويذكر الملطي عدة أصناف للقدرية فصنف منهم يزعمون أن الحسنات والخير من الله والشر والسيئات من أنفسهم، وصنف يقال لهم المفوضة زعموا أنهم موكلون الى أنفسهم أنهم يقدرون على الخير كله بالتفويض الذي يذكرون دون توفيق الله وهداه. راجع الابانة عن أصول الديانة ٧٣ ــ ٧٤.

(٢) الجهمية أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالاجبار والاضطرار الى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلها وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وزعم أيضاً أن الايمان هو المعرفة بالله تعالى فقط وأن الكفر هو الجهل به فقط، وقال: لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال الى المخلوقية على المجاز.
راجع في شأن هذه الفرقة التبصير ص ٦٢ والملل والنحل ١ : ٨٦ والفرق بين الفرق ٢١١ ــ ٢١٢.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ٨٥.

(٤) سورة آل عمران آية رقم ١٠٣.

الذي أنزل قال: ﴿ **والله يدعو إلى دار السلام...** ﴾[1].

ودل على الطريق المستقيم إليها من غير تعريج ولا تلوية. ودبر في هذا الطريق فرائض معلومة وسنناً، وأخذ زينة ليوم العرض عليه.

فالزائغون تركوا الخضوع لله تعالى وتسليم النفس إليه، ففارقوا دينهم، فصاروا شيعاً وأحزاباً، وزين لهم سوء أعمالهم، وسد عليهم باب القدر فاستبدُّوا وتعمقوا في طلبه حتى هلكوا. وأداهم ذلك إلى أن برَّءوا الله من قدرته، وشاركوه في مشيئته إفكاً وافتراء، وسد عليهم باب درك الكيفية، فاستبدوا يطلبون الكنه والكيفية حتى عدلوه بخلقه، وسد عليهم باب التعمق فما زالوا ينزهونه حتى تاهوا في الإلحاد عنه، فنفوا عنه ما لم ينف عن نفسه الكريمة.

وقال (عليه السلام): قد افترقت بنو إسرائيل اليهود منهم على إحدى وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. قيل: يا رسول الله من هذه الواحدة. قال: السواد الأعظم[2].

وعن عمر (رضي الله عنه) قال: أتاني رسول الله ﷺ وأنا أعرف الحزن في وجهه، فأخذ بلحيته فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) سورة يونس اية رقم ٢٥.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الفتن ٣٩٩٢ ــ ثنا عباد بن يوسف ثنا صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.
ورواه الترمذي في الايمان ١٨ وأبو داود في السنة ١ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٣٢ (حلبي) في الزوائد: إسناد حديث عوف عن مالك فيه مقال. وراشد بن سعد قال فيه أبو حاتم صدوق، وعباد بن يوسف لم يخرج له أحد سوى ابن ماجة، وليس له عنده سوى هذا الحديث قال ابن عدي ــ روى أحاديث تفرد بها، وذكره ابن حبان في الثقات وباقي رجال الاسناد ثقات.

قال: وأتاني جبرئيل فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.
قلت: أجل. فانا لله وإنا إليه راجعون، فمم ذاك يا جبرئيل؟
قال: إن أمتك مفتتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير.
فقلت: فتنة كفر أو فتنة ضلالة ؟
قال: كل ذلك سيكون.
قلت: ومن أين ذاك وأنا تارك فيهم كتاب الله تعالى.
قال: بكتاب الله يضلون. وأول ذلك من قبل قرائهم وأمرائهم، يمنع الأمراء الناس حقوقهم، فلا يعطونها فيقتتلوا، ويتبع القراء أهواء الأمراء، فيمدونهم في الغيِّ ثم لا يقصرون.

قلت: يا جبرئيل فبم يسلم من يسلم منهم؟
قال: بالكف والصبر. إن أعطوا الذي لهم، أخذوه. وإن منعوا تركوه .

وعن أفلح ــ مولى رسول الله (عليه السلام) ــ قال: قال رسول الله ﷺ: أخوف ما أخاف على أمتي ثلاث: ضلالة الأهواء، واتباع الشهوات في البطن والفرج، والعجب[1].

وإنما صار هؤلاء فرقاً لأنهم فارقوا دينهم. فبمفارقة الدين تشتَّتْ أهواؤهم فافترقوا. فأما أصحاب رسول الله ﷺ بعده فقد اختلفوا في أحكام الدين، فلم يفترقوا، لأنهم لم يفارقوا الدين. وإنما اختلفوا فيما أذن لهم النظر فيه، والقول باجتهاد الرأي. واختلفت آراؤهم فاختلفت أقوالهم، وقد أمروا بذلك فصاروا باختلافهم محمودين؛ لأنه أدى كل واحد منهم على حياله ما أمر من جهد الرأي والنظر فيه.

وكان ذلك الاختلاف رحمة من الله تعالى على هذه الأمة حيث

---

(١) راجع تفسير قول الله تعالى: ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات** ﴾ ٥٩ سورة مريم في تفسير القرطبي ٦: ١٢٥.

أيدهم باليقين، ثم وسع على العلماء منهم النظر فيما لا يجدون ذكره في التنزيل، ولا في سنة الرسول (عليه السلام) حتى يلحقوه ببعض، وكانوا أهل مودة وعطف متناصحين، أُخوَّةُ الإسلام فيما بينهم قائمة. فكل مسألة حدثت في الإسلام فخاض فيها الناس واختلفوا فلم يورث ذلك الاختلاف عداوة بينهم ولا بغضاً ولا فرقة، علم أن ذلك من مسائل الإسلام يتناظر فيه، ويأخذ كل فريق بقول من تلك الأقوال، ثم لا يكونون على أحوالهم من الشفقة والرحمة والألفة والمودة والنصيحة، كما فعل الصحابة والتابعون (رضوان الله عليهم). وكل مسألة حدثت فاختلفوا فيها فردهم اختلافهم في ذلك إلى التولي والإعراض والرمي بالكفر، علم أن ذلك ليس من أمر الدين في شيء، بل حدثت من الأهواء المردية الداعية صاحبها إلى النار، وتورث العداوة والتباين والفرقة؛ لأنها من التي ابتدعها الشيطان، فالقاها على أفواه أوليائه ليختلفوا، ويرمي بعضهم بعضاً بالكفر؛ لأنه ما خلت قلوبهم من خشية الله تعالى وخوف عقابه بما قدمت أيديهم من ذكر الموت والأهوال التي أمامهم، والاهتمام بصحة الأمور، وطلب الخلاص فيما بينهم، والانتباه لحسن صنيعه بهم، وطلب النجاة من رق النفوس إلى حرية العبودة لربهم (عز وجل)، فلما خلت من هذه الأشياء قلوبهم، وجد العدو فرصة فألقى إليهم مثل هذه الأشياء، التي يعلم المستنيرة قلوبهم أن هذا تكلف وخوض فيما لا يعنيه، مثل قولهم في الجبر والقدر، والاستطاعة قبل الفعل ومعه، وطلب كيفية صفات الله تعالى، وفي الإيمان مخلوق هو أم لا؟، وفي القرآن ما هو؟، وفي الإمامة من استحقها بعد الرسول ﷺ؟، حتى أداهم ذلك إلى أن رفضوا الصحابة (رضوان الله عليهم) وأظهروا شتمهم. فلولا خذلانهم ونكوس قلوبهم لكانوا لا يشتغلون بمثل هذا وهم قوم قد مضوا إلى الله تعالى بأعمالهم. وهو يقسم لهم المنازل بهواه، ويحمل بعضاً على بعض. قال الله تعالى: ﴿ **تلك أمة قد**

خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾[1].

وقد بعث رسول الله ﷺ مبلغاً ومعلماً وهادياً. فخرج من الدنيا وقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وعلم وهدى، وأبلغ في النصيحة. فأين القول منه للأمة في هذه الأشياء؟ وأين هدايته وتعليمه لهم؟ ولم يوجد من الرسول ﷺ خبر واحد في ذلك. فإن كان بعث مبلغاً وقد بلغ ولم يكتم شيئاً من الوحي، فأين هذا في الوحي وفي السنن التي جاءت عنه؟ وقد أدت عنه أئمة الدين آداب الإسلام في طعامهم، وشرابهم، ونومهم، وخلائهم، ووضوئهم، ولباسهم، ومشيهم، وزيهم، وتركوا هذه الأشياء التي أدى اختلاف القائلين عنه إلى اكفار بعضهم بعضاً. ليعلم أن هذه من مسائل الفتنة، وأنها تؤدي إلى الحيرة وأن الكلام في ذلك مما لم يؤذن فيه.

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٣٤.

الأصل الرابع والستون والمائة

في أن أحب الأصوات إلى الله تعالى صوت عبد لهفان

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: ما من صوت أحب إلى الله تعالى من صوت عبد لهفان. قالوا: يا رسول الله وما اللهفان؟ قال (عليه السلام): عبد أصاب ذنباً. فكلما ذكر بذنبه امتلأ قلبه فرقاً من الله تعالى فقال: يا رباه .

اللهفان على مخرج فعلان. إذا كان الشيء بالغاً غايته، فهو غاية التلهف على ما فاته بالتوجع. والفرق نفار القلب. والعبد إذا اشتد هيبته وهو الغالب على قلبه وذكر ذنبه، نفر قلبه بما يلاحظه. فذاك الفرق. فإذا امتلأ قلبه من ذلك، فرق فنادى نداء من ينحط من مهوى لا يدري ما قعره. فهو في الانحطاط ينادي نداء مستغيث يتلهف على ما فاته من مكان القربة بغاية التلهف: يا رباه. نداء ندبة الثكلى. نداء توجع وحرقة. وللفرق شأن عظيم؛ لأنه عاين القلب سلطاناً عظيماً. وهو في محل ملك الملك، فلم يتمالك القلب أن لا يفرق؛ لانه فتح له من ملك الهيبة ما فرقه.

وروي أن النبي ﷺ قرأ القرآن وبين يديه رجل فسقط فمات. فقال (عليه السلام): إن الفرق فلذ كبده . أي قطعه. لأن الكبد متصل بالقلب من شقه الأيمن. فحرارته أحرقت الكبد.

الأصل الخامس والستون والمائة

في سنن المرسلين

عن مليح بن عبدالله الخطمي، عن أبيه، عن جده (رضوان الله عليهم) قال: قال رسول الله ﷺ: خمس من سنن المرسلين: الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر[1].

وفي رواية أبي أيوب: أربع من سنن المرسلين: التعطر والحياء والنكاح والسواك.

معناه هذه الخمسة من شأنهم. أما الحياء فإن النور إذا دخل القلب، تخلص الروح من أسر النفس فصار إلى طبعه السماوي. فالحياء خجالة الروح وتلكيه عن كل عمل لا يحسن في أهل السماء. فصار الحياء من شأنهم لطهارة الروح من أسباب النفس.

وأما الحلم فهو سعة الصدر وانشراحه لورود النور.

---

(١) الحديث أخرجه الامام البخاري في التاريخ، والبزار والبغوي في الطب، وابو نعيم في المعرفة والطبراني في الكبير عن حصين الخطمي قال السيوطي في الجامع الصغير (ضعيف)

ورواه الطبراني مرة أخرى عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما.

وأما الحجامة فلأجل أن للدم حرارة وقوة وللنور حرارة. فإذا لم ينقص من حرارة الدم أضربه وتبيغ الدم فقتل. لأن النور غالب على صدورهم وقلوبهم فتغلي من ذلك دماؤهم. فإذا لم يأخذوها، فارت وأضرت. وكان (عليه السلام) يلقى من الصداع من نور الوحي فيغلف رأسه بالحناء، ليخفف عن رأسه بالحناء سلطان تلك الحرارة.

ومما يحقق ذلك ما روي عنه (عليه السلام) أنه قال: ما مررت بملأ من الملائكة ليلة أسري بي إلا قالوا: يا محمد مرأمتك بالحجامة[1].

وإنما خصت هذه الأمة من أجل زيادة النور. قال (عليه السلام): « ما أعطيت أمة ما أعطيت أمتي من اليقين »[2].

وأما السواك فلأنه طريق التنزيل والوحي الوارد وموضع نجوى الملائكة. فكانوا يقصدون تطييبها وتطهيرها لئلا يؤذي الملك وتضيع حرمة الوحي.

وأما النكاح فإن الأنبياء (عليهم السلام) زيدوا في النكاح بفضل نبوتهم. فإنه إذا امتلأ الصدر بالنور وفاض في العروق، التذت النفس والعروق فأثارت الشهوة وقواها. وريح الشهوة إذا قويت فإنما تقوي من القلب والنفس. فعندها تجد القوة.

قال (عليه السلام): أعطيت قوة أربعين رجلاً من البطش والنكاح. وأعطي المؤمن قوة عشرة .

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الطب ٢٠ باب الحجامة ٣٤٧٧ عن عكرمة عن أبي عباس أن رسول الله ﷺ قال: وذكره، ورواه الترمذي في كتاب الطب ١٢ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٣٥٤.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث في الجزء الاول وقد رواه السيوطي في الجامع مع الصغير وقال: رواه الحكيم الترمذي عن سعيد بن مسعود الكندي واشار على الحديث بالضعف

قال ابن عمر (رضي الله عنهما): ما أعطي أحد من الجماع بعد رسول الله ﷺ ما أعطيت أنا.

وأما التعطر فإن الطيب يذكي الفؤاد. وأصله من الجنة، حين تستر آدم (عليه السلام) بورقة منها فرحم وتركت عليه، فمن ذلك أصل الطيب. ففي تذكية الفؤاد قوة القلب والجوارح. لأن حسن القلب بالفؤاد. لأن الأذن عليه، والبصر له، والنور بين القلب والفؤاد، والرؤية للفؤاد. قال الله تعالى: ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾[1].

والفؤاد اللحمة الظاهرة، والقلب اللحمة الباطنة، وإنما هي بضعة واحدة بعضها مشتمل على بعض، فأظهر فهو فؤاد. فاذا كان الفؤاد منحرفاً لم يع شيئاً من النور. قال الله تعالى: ﴿ **وأفئدتهم هواء** ﴾[2]. أي منحرفة لا تعي شيئاً ولا تعقل. وهو قوله (عليه السلام): « أتاك أهل اليمن ألين قلوباً وأرق أفئدة »[3].

---

(١) سورة النجم آية رقم ١١.

(٢) سورة ابراهيم آية رقم ٤٣.

(٣) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الايمان ٢١ باب تفاضل أهل الايمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه ٨٢ (٥٢) حدثنا أيوب، حدثنا محمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره ورواه الامام البخاري في المغازي ٧٤.

الأصل السادس والستون والمائة

في ذكر الفاجر بما فيه للتحذير منه

عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده (رضوان الله عليهم) قال: قال رسول الله ﷺ: « أترعون عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس. إذكروه بما فيه يحذره الناس »[1].

الفاجر هو الذي يفجر الحدود. فإن الإسلام كحظيرة حظرها الله تعالى على أهله، فلا يتعدون حدود الحظائر. فإذا ثلم أحدهم الحظيرة بالخروج منها متخطياً إلى ما ورائها، فقد فجرها. ونعني بالفاجر الفاجر الموحد دون الكافر. فإن المشرك لا حرمة له، ولا يتوقى لذكره. وقد تورعوا عن ذكر المسلم لحرمة التوحيد، ولأنه (عليه السلام) كان يحث على الستر، وهو يقول: « من ستر المسلم ستره الله تعالى. ومن هتك ستراً لأخيه، هتك الله تعالى ستره » . فهابوا هذا الأمر

---

(١) الحديث رواه الخطيب في رواة مالك عن أبي هريرة قال الذهبي: موضوع وتعقب بأن له عاضداً وهو ما رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والحكيم في نوادر الأصول والحاكم في الكنى والشيرازي في الألقاب، وابن عدي، والطبراني في الكبير والبيهقي في سننه، والخطيب عن بهز عن حكيم عن أبيه عن جده عن رسول الله ـــ ﷺ: أترعون عن ذكر الفاجر متى يعرفه الناس ؟ اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس..

وكفوا. فقال لهم (عليه السلام): « أترعون عن ذكر الفاجر؟ »

معناه إذا غلب عليه الفجور وقد أعلن به وهتك ستره. فإذا لم يبق له ستراً، استحال أن يستر أو يكتم أمره. وفي كتمان أمره خيانة. ولهذا قال (عليه السلام): « حتى يعرفه الناس » ثم بين نفع الذكر فقال: « يحذره الناس ». وإنما هذا الذكر لمن احتسب به النصيحة للعامة لئلا يعثر مسلم به. فأما من ذكر تشفياً لغيظه أو تنقماً لنفسه، فهو خارج عن هذا الحديث حتى يذكره على تلك النية.

الأصل السابع والستون والمائة

في أن لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى وعرض الاعمال

عن النعمان بن بشير (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور في جوها. فالله الله في إخوانكم من أهل القبور فان أعمالكم تعرض عليهم » .

الأرواح أنواع: أرواح تجول في البرزخ فتبصر أحوال الدنيا، والملائكة تتحدث في السماء عن أحوال الآدميين. وأرواح تحت العرش. وأرواح طيارة في الجنان على قدر أقدارهم من السعي أيام الحياة إلى الله تعالى والعبودة له في محلهم.

قال سلمان (رضي الله عنه): أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت من السماء والأرض، حتى يردها الله تعالى إلى جسدها. فإذا تردت الأرواح هكذا، علمت أحوال الأحياء. وإذا ورد عليهم ميت، التقوا به فتحدثوا وتسائلوا عن الأخبار، وخرج من تدبير الله تعالى أن وكل بهم أيضاً ملائكة تعرض أعمال الأحياء عليهم؛ كي إذا عرضوا عليهم ما يعاقبون به في الدنيا، ويصابون به من أنواع

المصائب من أجل الذنوب، كان عذر الله تعالى ظاهراً مكشوفاً عند الأموات بأنه لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى.

قال (عليه السلام) فيما رواه أنس (رضي الله عنه): إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى. فإن كان خيراً، استبشروا به. وإن كان غير ذلك، قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم إلى ما هديتنا .

وقال (عليه السلام): « تعرض الأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله تعالى. وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة، فيفرحون بحسناتهم ويزدادون وجوههم بيضاً ونزهة، فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم »[1].

وروى أبو هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله تعالى يعتذر إلى آدم يوم القيامة بثلاثة معاذير. يقول الله تعالى: يا آدم لولا أني لعنت الكذابين وأبغض الكذب والحلف وأعذب عليه، لرحمت اليوم ذريتك أجمعين من شدة ما أعددت لهم من العذاب. ولكن حق القول مني لمن كذب رسلي وعصى أمري لأملئن جهنم منهم أجمعين. ويقول الله تعالى: يا آدم إني لا أدخل أحداً من ذريتك النار، ولا أعذب أحداً منهم بالنار إلا من قد علمت في سابق علمي أني لو رددته إلى الدنيا، لعاد إلى شر مما كان فيه لم يراجع ولم يعتب. ويقول له: يا آدم قد جعلتك اليوم حكماً بيني وبين ذريتك، قم عند الميزان فانظر ما يرفع إليك من أعمالهم. فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة، فله الجنة. حتى تعلم أني لا أدخل النار منهم إلا ظالماً » . فإذا ستر الله على عبد في دنياه عند

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في مسنده، ورواه الامام البخاري في الادب عن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه وقال السيوطي في الجامع الصغير: صحيح.

الأحياء، ستر عليه عند الأموات، وذلك لمن ولي الله تدبيره ستره لئلا يرى الخلق من الأحياء والأموات معايبه.

روي أن أبا أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) خرج غازياً في أرض الروم، فقص عليه قاص، فقال: ليس أحد من بني آدم يعمل عملاً أول النهار إلا عرض على معارفه من أهل الآخرة في آخر النهار، ولا عمل عملاً في آخر النهار إلا عرض على معارفه من أول الغد. فقال أبو أيوب: إن ذاك لكذاك، اللهم لا تفضحني عند سعد بن عبادة، ولا عند عبادة بن الصامت، مما عملت بعدهما. فقال القاص: والله الذي لا إله غيره ما كتب الله لعبد ولايته إلا ستر عورته وأثنى عليه بأحسن عمله.

ومعنى ولاية التدبير أن الله تعالى شرع السبيل، وهدى القلوب، ورزق العقول، وأكد الحجّة بالرسل وبما جاءوا به من البيان، وأيد بالملائكة يهدون ويسددون، وقيل لهم: سيروا إلى الله تعالى سيراً مستقيماً في هذا الصراط. فإن عارضتم نفوسكم بخلاف ما أمر الله تعالى، فجاهدوها وسلوا الله المعونة.

فهذا تدبيره الذي وضعه للجميع. فمن صدق الله تعالى في مجاهدة النفس حتى بلغ أقصاها، لم يقدر على أكثر من أن يمنع قلبه من الكفر كما يمنع جوارحه من العمل. فهذا غاية جهاد النفس، وتصحيح الباطن والظاهر ونهاية الصدق. فقد أتى بالوسع وحال الطبع باق على تركيبه من الشهوة واللذة والغضب والرغبة والرهبة. ومن هذه الأشياء حدثت المعاصي إلى القلوب ومنه إلى الأركان، فيجأر إلى الله تعالى لكدورة الأخلاق. فإنها تكدر عليه إيمانه فلا يصفو. فعندها يرحمه الله تعالى عند انقطاع أسبابه وتغوثه بها صارخاً مضطراً، فيأخذه من تدبيره الذي وضعه لعباده، ومن مجاهدة النفس إلى تدبيره الذي وضعه لعباده، ومن مجاهدة النفس إلى تدبير نفسه. فهو القادر على ذلك.

فيوكل به الحق تبارك وتعالى حتى يسير به إلى منازل القربة. فلما سار في القربة زيد مركباً من النور ليسير به إلى محله من القربة. فكل نور يزاد يموت من طبعه بقدر ذاك؛ لأنه يزاد بكل نور قربة. وتخطي إلى محله فيزداد بالله تعالى علماً منه وخشية. فالحق تبارك وتعالى يربيه بهذه الأنوار. حتى إذا انتهت التربية وتغير الطبع عن النفسية إلى خلق الإيمان، جذب جذبة إلى محل القربة وانكشف له الغطاء عن جلال الله تعالى وعظمته فانتهبت فيه. وإذا الهوى قد طاوعته، والنفس قد ماتت فحيي قلبه بالله تعالى فهو الصدق. فهذا وإن كان صديقاً فلم يخل من ذنب كان في سابق علم الله تعالى، وجرى بذلك القلم في اللوح المحفوظ، فهو يعمله لا محالة. لكنه في ستر عند الأحياء، وفي ستر عند الأموات. والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم وأحكم.

الأصل الثامن والستون والمائة

في أن المرض للمؤمن تمحيص للذنوب،

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « مثل المريض إذا برئ من مرضه وصح كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها »[1].

المؤمن يتلوث في شهواته فتدنس الأفعال، وتوسخ الأركان، وتكدر الطلاوة. فإذا رحمه وأراد به خيراً، أسقمه حتى يطهره ويصفيه. فالمرض للمؤمن تمحيص من الآثام. كالفضة تلقى في كيرة ينفخ عليه يزول خبثه، وتصفو فضته فتصلح للضرب والسكة، والتشرف باسم الملك على وجهه. فشبهه بعد البرء بالبردة صفاء وطيباً وطهارة ونظافة.

---

(١) البَرد: النوم قال تعالى: ﴿ **لا يذوقون فيها برداً** ﴾ وبالتحريك حب الغمام والبُرْد: ثوب مخطط جمعه أبراد وأبرد، وبرود والبراده: إناء يبرد فيه الماء، وعيش بارد: هنيء، وبرد: مات.

الأصل التاسع والستون والمائة

في حسن المجاورة لنعم الله تعالى

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ فرأي كسيرة ملقاة، فمشى إليها فمسحها، فقال: « يا عائشة أحسني جوار نعم الله تعالى. فإنها قل ما نفرت عن أهل بيت فكادت ترجع إليهم »[1].

حسن المجاورة لنعم الله من تعظيمها. وتعظيمها شكرها. والرمي بها من الاستخفاف بها. وذلك من الكفران. والكفور ممقوت مسلوب. فارتباط النعم في شكرها. وزوالها في كفرانها. ومن عظمها فقد ابتدأ في شكرها. ومن صغرها أو استخف بها فقد تعرض لزوالها. وفيها رأى رسول الله ﷺ خصالاً غير واحدة. منها: الاستخفاف بالنعمة، والفساد، والاسراف.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الأطعمة ٥٢ باب النهي عن القاء الطعام ٣٣٥٣ ــ ثنا الزهري عن عروة، عن عائشة، قالت دخل النبي ﷺ البيت: وذكره.

في الزوائد: في إسناده الوليد بن محمد، وهو ضعيف. قال السندي قلت أشار الدميري الى أنه متهم بالوضع.

﴿ والله لا يحب الفساد ﴾[1].
﴿ لا يصلح عمل المفسدين ﴾[2].
﴿ لا يحب المسرفين ﴾[3].
﴿ لا يحب كل خوان كفور ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٠٥.
(٢) سورة يونس آية رقم ٨١.
(٣) سورة الأنعام آية رقم ١٤١ والأعراف آية رقم ٣١.
(٤) سورة الحج آية رقم ٣٨.

الأصل المائة والسبعون

في تفسير المروي للآية:
﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾

عن أنس (رضي الله عنه) قال: تلا رسول الله ﷺ ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾[1] ثم قال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال:

إن ربكم يقول: هل جزاء من أحسنت إليه بأن هديته للتوحيد إلا أن أسكنه داري في جواري؟ وهل جزاء من قربته بالمعرفة قلباً حتى يعرفني إلا أن أقربه في المسكن نفساً حتى ينظر إليَّ؟ وهل جزاء من أكرمته بمعرفتي إلا أن أغفر له ذنوبه وأتجاوز عن سيئآته وأصفح عنه تكرماً، كما تكرمت وجدت عليه بتوحيدي؟ هل جزاء من ابتدأته بهذه النعم العظيمة فمننت عليه بها إلا أن أحفظها عليه حتى أختم له بها وأتمم عليه وله كرامتي؟

---

(١) سورة الرحمن آية رقم ٦٠.

الأصل الحادي والسبعون والمائة

في أن الكلمة من الباقيات خير من الدنيا بحذافيرها

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « لو أن الدنيا كلها بحذافيرها في يد رجل من أمتي ثم قال: الحمد لله، لكان الحمد لله أفضل من ذلك »[1].

معناه من أعطي الدنيا ثم أعطي على أثرها هذه الكلمة حتى نطق بها لكانت هذه الكلمة أفضل من الدنيا كلها؛ لأن الدنيا فانية، والكلمة باقية. قال تعالى: ﴿ **والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً** ﴾[2].

وفي رواية: « لكان ما أعطي أفضل مما أخذ ».

---

(١) هناك أحاديث كثيرة تؤيد هذا الأثر ولكنها لم ترد في الصحاح ولا في السنن بهذا اللفظ.

(٢) سورة الكهف آية رقم ٤٦.

الأصل الثاني والسبعون والمائة

في ذكر جملة من مكارم الأخلاق

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « ما محق الاسلام محق البخل شيء قط. ومن كف غضبه كف الله عنه عذابه. ومن حفظ لسانه، ستر الله عورته. ومن اعتذر إلى الله في الدنيا، قبل الله تعالى معذرته » .

بني أس الإسلام على السماحة والجود لأنه هو تسليم النفس والمال لحقوق الله تعالى. فإذا جاء البخل فقد ذهب بذل المال. ومن بخل بالمال كان بالنفس أبخل. ومن جاد بالنفس كان بالمال أجود. فالبخل يمحق الإسلام ويبطله، ويدرس الإيمان. وفيه سوء الظن بالله تعالى، ومنع حقوقه، والاعتماد على المال دون الله تعالى.

وقوله: « من حفظ لسانه ستر الله عورته » إنما يحفظ عن أعراض المسلمين كيلا يهتك أستارهم. فعاجل الله تعالى ثوابه بأن ستر عورته.

وقوله: « من كف غضبه كف الله عنه عذابه » فعذابه النار، وحشوها غضبه. وإنما تلظت وتسعرت بغضب الله تعالى. فإذا كف غضبه فقد

تواضع لله تعالى فكف عنه غضبه. وإذا كف غضبه فمن ورائه الرضى عن الله تعالى.

وقوله: « من اعتذر إلى الله في الدنيا قبل الله معذرته » فالكريم يقبل العذر إذا إعتذر إليه صادقاً كان أو كاذباً؛ لأن اعتذاره ندم وتوبة وإقبال إليه. فيأبى الكريم أن يخيبه من معذرته.

قال (عليه السلام): ما من أحد يعتذر إلى أخيه فلم يقبل عذره إلا كان عليه كخطيئة صاحب مكس وهو العشار[1].

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الأدب ٢٣ باب المعاذير ٣٧١٨ ــ عن ابن جريج عن ابن مينا عن جوذان قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

الأصل الثالث والسبعون والمائة

في قدر تعظيم الدنيا والمداهنة ووزر السيئآت

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا عظمت أمتي الدنيا، نزعت منها هيبة الإسلام. وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حرمت بركة الوحي. وإذا تسابت أمتي، سقطت من عين الله تعالى »[1].

شرط الإسلام تسليم النفس وبذلها لله تعالى عبودة. فإذا عظم ما صغر الله تعالى وحقرها، وقد أخذت بقلبه فسبته، ذهبت العبودة، ولم يقدر على بذل النفس لله تعالى. فكان إسلامه مدخولاً. وإذا فسد الباطن، ذهبت الهيبة لأنه لو هابه لم يستقر قراراً حتى يصلح باطنه. وإنما يهابه من صلحت سريرته.

قال (عليه السلام): « تمام البر أن تعمل في السر عمل العلانية »[2]. وإذا عظمت النفس الدنيا، آثرها على حقوق الله تعالى.

---

(١) قال السيوطي في الجامع الصغير: رواه الحكيم عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ وهو ضعيف

(٢) رواه النسائي في قيام الليل ٢٤ الترجمة (فضل السر على الجهر).

ولا يجتمع تعظيم الحقوق وتعظيم الدنيا في قلب. فأما إذا أسلم نفسه ووجهه إلى الله تعالى وبذل نفسه لله تعالى عبودة، صار من رجال الله تعالى وعبيده وخاصته، فتعلوه مهابة كما إذا صار عبداً للملك ظهر عليه من بهجة ملكه وغناه، ووجدت له هيبة. فعبيد الله صدقاً عليهم من الله تعالى طلاوة وحلاوة وملاحة ومهابة. فإذا غيروا وبدلوا فعظموا الدنيا بخراب قلوبهم، فقد ارتجعوا في نفوسهم، فذهبت الهيبة لأنه الآن ليس من عبيد الملك، إنما هو عبد نفسه وهواه ودنياه وشهواته وسلطانه.

وقوله: « وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حرمت بركة الوحي »، فإن في ترك ذلك خذلاناً للحق تعالى وجفوة للدين. وفي ذلك ذهاب البصيرة وفقد النور، فيصير القلب محجوباً فيحرم بركة الوحي فيقرأه ولا تعي اذنه منه شيئاً. قد حرم فهمه، وهو من أعلم الناس باللغة وأبصرهم بتفسيره. وقد عمي عن لطائفه ومعانيه ووعده ووعيده وأمثاله؛ لأنه إذا وقع من لسانه في أذنه، صار إلى قلب صدره مظلماً فكأنه قد غرق في لجة. إنما هو كلام يدخل سمعه. فإذا صار إلى الصدر صار في عمى. والذي أشرق صدره بالنور فعلى قلبه ينابيع الفهم يلتذ باللطائف أحلي من القطائف، ويفرح بالوعد ويحذر الوعيد، ويرغب ويرهب، ويعتبر ويتعظ، فهذا بركة الوحي.

وقوله: « وإذا تسابت أمتي، سقطت من عين الله تعالى » لأن بدوه الكبر والإستحقار للمسلمين والحسد والبغي والتنافس في أحوال الدنيا. فبهذا سقط من عين الله. والساقط من عينه قد خرج من كلاءته وحفظه ورعايته، فليستعد للخذلان في نوائب الدين والدنيا. فإنه إذا زالت عنه رعايته، ذهبت عصمته، وله في كل نائبة ورطة، حتى تؤديه إلى الورطة الكبرى سلب الدين والانتكاص على العقبين. ومن سقط عن عينه، لم يبال في أي واد هلك. والعياذ بالله تعالى منه.

الأصل الرابع والسبعون والمائة

في إيداع العهد بالدعاء بعد الصلاة

عن أبي بكر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « من قال في دبر الصلاة بعد ما يسلم هؤلاء الكلمات، كتبه ملك في رق فختم بخاتم، ثم رفعها إلى يوم القيامة. فإذا بعث الله العبد من قبره، جاءه الملك ومعه الكتاب ينادي: أين أهل العهود حتى يدفع إليه. والكلمات أن تقول:

اللهم فاطر السموات والأرض. عالم الغيب والشهادة. الرحمن الرحيم إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك أنت الله لا إله إلا أنت. وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك. فلا تكلني إلى نفسي. فإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاجعل رحمتك لي عهداً عندك تؤديه إليّ يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد »[1].

صاحب هذا العهد يتحلى بهذا العهد الذي عهد إلى ربه من الأسباب، ويكون متعلقه رحمته، ولا يثق إلا بها، ولا يلحظ النجاة إلا بها،

---

(١) لم نعثر على هذا الأثر ولعله من النوادر التي تفرد بها الحكيم الترمذي. والله أعلم

ويجعل هذا العهد في الدنيا كالوديعة عند ربه. وانه أمله ورجاؤه. فمن كرم ربنا أن لا يقطع رجاءه ولا يخيب أمله. قال الله تعالى: ﴿ **لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً...** ﴾[1].

واتخاذ العهد من صدق لا إله إلا الله، والوفاء بها، وهو أن لا يعتمد قلبك شيئاً سواه في أمر آخرة ولا دنيا، فيكون هو كافيك وحسبك من الدارين.

---

(١) سورة مريم آية رقم ٨٧.

الأصل الخامس والسبعون والمائة

في سر الكلمات العشر بعد الصلاة

عن بريدة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « من قال عشر كلمات عند دبر كل صلاة، وجد الله عندهن مكفياً مجزياً خمس للدنيا وخمس للآخرة: حسبي الله لديني. حسبي الله لدنياي. حسبي الله لما أهمني. حسبي الله لمن بغى عليّ. حسبي الله لمن حسدني. حسبي الله لمن كادني بسوء. حسبي الله عند الموت. حسبي الله عند المساءلة في القبر. حسبي الله عند الميزان. حسبي الله عند الصراط. حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب »[1].

هذه مواطن نوائب العبد في دنياه وآخرته. وقد جعل له في كل موطن سبباً وعدة يقطع به تلك النائبة. فاذا أعرض عن العدة والسبب وضرب عنه صفحاً واغتنى بالله تعالى كافياً وحسيباً، كفاه الله تعالى، وكان عند ظنه به. فعدته في دينه العهد الذي أنزل. وهو الحبل الذي أمر بالاعتصام به. وعدته في دنياه التوكل والكسب من الطيب. وعدته

(١) الحديث لم يرد في الصحاح ولعله لم يرد في السنن ولم يذكره صاحب مجمع الزوائد، ولم يشر اليه السيوطي في الجامع الصغير ولعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر ورواه السيوطي في الدر المنثور نقلًا عن نوادر الأصول ولم ينسبه الى غيره

فيما أهمه الحيل التي وضعت لكل هم وحيلة. وعدته في البغي الاحتراز والتجافي والأخذ بالحزم. وعدته في الحسد التواضع والمقاربة للحاسد. وعدته في المكابدة بالسوء سد الأبواب التي منها يجد الكائد السبيل عليه. وعدته في الموت العمل الصالح. وعدته في المساءلة في القبر تصحيح الأمر للجواب. وعدته عند الميزان كثرة الأعمال لثقل الوزن. وعدته عند الصراط النور للجواز. فإذا لها عن هذه العدد وكان الله تعالى شرح بها صدره ولم يشخص أمله إلى شيء سواه، ولا لحظ إلى خلق ولا إلى فعل وقال: « حسبي الله ». عند كل موطن فقد تعلق بربه تعالى. ومن تعلق به لم يخيبه، وكان له في تلك المواطن كظنه به.

قال (عليه السلام) فيما يروي عن ربه تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني[1].

وكان إبراهيم (عليه السلام) لما وضع في المنجنيق ليرمي به في النار جأرت السموات والأرضون والملائكة والخلق والخليقة بكاء وعويلاً، قالت: يا رب عبدك يحرق بالنار. فأذن الله لهم في نصرته ان استغاث بهم ودعاهم إلى نصرته. ورمي في الهواء إذ عارضه جبرئيل (عليه السلام) بلوى من الله تعالى فقال: يا إبراهيم هل من حاجة؟

---

(١) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب التوبة ١ باب في الحض على التوبة والفرح بها ١ ــ (٢٦٧٥) حدثني زيد بن أسلم عن أبي صالح، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: قال الله عز وجل وذكره. وفيه زيادة [والله، لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب الي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإذا أقبل إليَّ يمشي أقبلت إليه أهرول]. ورواه البخاري في التوحيد ١٥، ٣٥ والترمذي في الزهد ٥١ والدعوات ١٣١ وابن ماجة في الأدب ٥٨ والدارمي في الرقاق ٢٢، وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٥١ (حلبي).

فقال: أما إليك فلا، حسبي الله. قال الله تعالى: ﴿ **يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم** ﴾[1].

فولي الله تعالى نصرته إذ لم يفزع إلى أحد سواه. فلم يكله إلى أحد من خلقه. فهذا صدق قوله: حسبي الله. فإذا لم يكن العبد في قلبه من الحقيقة ما كان لإبراهيم (عليه السلام)، فإن لكل مقال حرمة. والله تعالى لا يضيع حرمته. فإذا ردد هذه الكلمات، نفعته في هذه المواطن بأن كن شفعاء إلى الله تعالى. وإذا تكلم بها على يقظة وانشراح صدر، وجد الله تعالى في هذه المواطن قد كفاه.

قال (عليه السلام): إذا قال العبد: « حسبي الله » سبع مرات، قال الله تعالى: صدق عبدي، لأكفينه صادقاً أو كاذباً .

---

(١) سورة الانبياء آية رقم ٦٩

الأصل السادس والسبعون والمائة

في أن حسن الجواب في خلال الخطاب من لطافة الفهم من قراءة الرحمن من الوحي

عن جابر (رضي الله عنه) قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها. ثم قال: ما لي أراكم سكوتاً. للجن كانوا أحسن رداً منكم. ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾[1]، إلا قالوا: ولا بشيء من نعم ربنا نكذب، فلك الحمد.

حسن الرد في الجواب من لطائف الفهم. وأجساد الجن من نار. ولم يشغلهم شغل الآدميين. فجوهرهم أرق، وجوهر الآدمي أغلظ؛ لأنهم من تراب. وهذه السورة قد عدد الله تعالى فيها النعم، وخاطب بتعديده الثقلين، وقال في ذكر كل نعمة: ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾[2].

فكل هذا القول سؤال يحتاج إلى رد الجواب فيه. وأثني (عليه السلام) على مؤمن الجن بحسن ردهم الجواب. ومن رتبة الخطاب

---

(١) سورة الرحمن آية رقم ١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠ الى ٧٧.

(٢) سورة الرحمن آية رقم ١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣.

أن لا يترك الخطاب الذي له جواب مهملاً ليكون المستمع كالغافل. وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا أتوا على هذه الآية: ﴿ **أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى....** ﴾[1]

قالوا: اللهم بلى.

وإذا مروا بذكر النار، استعاذوا بالله. فاقتضاهم (عليه السلام) في وقت قراءته عليهم ما وجده من الجن واستحسنه منهم. وكان من أصحابه (عليه السلام) من يشغله ذرو كلامه عن النظر في معناه إجلالاً لكلام الله تعالى ودهشاً في ذكره. ومنهم من يتعلق قلبه بأول الآية فيشغله أولها عن ذكر ما بعدها. كما صلى علي بن فضيل بن عياض (رضي الله عنه) خلف إمام قرأ سورة الرحمن، فلما انفتل قيل له: يا علي ألم تسمع إلى ما أعد الله للمؤمنين من نعيم الجنان؟ فقال: شغلني ما قبلها عن ذكر الجنان. يعني ذكر النار. وسلطان كلام الله تعالى على القلوب على قدر ما فيها من العلم بالله تعالى والخشية له والحظ من القربة. وإنما ينزل من القلب كلام كل واحد منهم على قدر منزلته عنده.

قال (عليه السلام): من أحب أن يعلم ما منزلته عند الله فلينظر ما لله عنده من المنزلة. فإن الله تعالى ينزل من العبد حيث أنزله العبد من نفسه[2].

---

(١) سورة القيامة آية رقم ٤٠.

(٢) هذا جزء من حديث طويل رواه الحاكم في كتاب الدعاء بسنده عن جابر بن عبد الله. قال: خرج علينا النبي ــ ﷺ فقال: يا أيها الناس ان لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض فارتعوا في رياح الجنة قالوا: واين رياح الجنة قال مجالس الذكر ثم قال: من كان يحب ان يعلم منزلته عند الله وذكره

الأصل السابع والسبعون والمائة

في كلمات الفرج والمغفرة والتلقين

عن عبدالله بن جعفر (رضي الله عنهما) قال: كان رسول الله ﷺ يقول: لقنوا موتاكم لا إله إلا الله الحليم الكريم. سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم. الحمد لله رب العالمين[1]. قالوا: يا رسول الله فكيف هي للحي؟ قال: أجود وأجود.

وتسمى هذه الكلمات عند أهل البيت كلمات الفرج. يدعون بها في النوائب والشدائد.

وذلك ما روى علي (كرم الله وجهه) قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن، غفرت لك ذنوبك ــ مع أنه مغفور لك ــ لا إله إلا الله العلي العظيم. لا إله إلا الله الحليم الكريم. سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم. الحمد لله رب العالمين[2].

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٣: ٣ بسنده عن يحيى بن عمارة قال سمعت أبا سعيد يقول: قال رسول الله ﷺ ــ وذكره

(٢) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الذكر ٨٣ (٢٧٣٠) بسنده عن ابن عباس ان نبي الله ــ ﷺ كان يقول عند الكرب وذكره ورواه الترمذي في الدعاء ٨٢ وابن ماجة في الاقامة ١٨٩ والجنائز ٣ والدعاء ١٠ ــ ١٧ واحمد حنبل في المسند ١: ٩١، ٩٢، ١٩٤، ١٥٨ (حلبي)

الأصل الثامن والسبعون والمائة

في حكمة الصدقة
لِمَ صارت بعشر والقرض بثمانية عشر

عن أبي امامة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « رأيت على باب الجنة مكتوباً القرض بثمانية عشر والصدقة بعشر. فقلت: يا جبرئيل ما بال القرض بثمانية عشر والصدقة بعشر؟ قال: لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا وهو محتاج، وربما وضعت الصدقة في غني »[1].

المتصدق حسب له الدرهم بعشرة. فدرهم صدقته وتسعة زائدة. فصارت له عشرة. والقرض على ضعف الصدقة. فدرهم قرضه يرجع إليه فلا يحسب. بقي تسعة فتضاعف فيكون ثمانية عشر. والله أعلم وأحكم.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة عن أنس ــ رضي الله عنه وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وأشار عليه بالصحة.

الأصل التاسع والسبعون والمائة

في بيان أفضل ما أعطي الناس

عن أبي بكر (رضي الله عنه) وكان يخطب وقال: قام فينا رسول الله ﷺ كقيامي فيكم، ثم بكى، ثم أعادها، ثم بكى، ثم أعادها، ثم بكى. فقال: إن الناس لم يعطوا شيئاً أفضل من العفو والعافية فاسألوهما الله سبحانه وتعالى[1].

العفو والعافية مشتق أحدهما من الآخر. ألا إن العفو يستعمل في نوائب الآخرة. والعافية تستعمل في نوائب الدنيا. وأصل ذلك التفضل عليه أن يتفضل على عبده فلا يعاقبه ولا يبتليه. والعفو الدرس. ومعناه أن يدرس عنه آثار الذنوب والبلاء عن جوارحه. فإن لكل نعمة تبعة ولكل ذنب نقمة في الدنيا أو في الآخرة. فإذا درست عنه التبعات والنقمات، تخلص بهذا في العفو. والله أعلم.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الدعاء ٥ باب الدعاء بالعفو والعافية ٣٨٥١ ــ عن قتادة عن العلاء بن زياد العدوي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. في الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات، والعلاء بن زياد ذكره ابن حبان في الثقات، ولم أر من تكلم فيه، وباقي رجال الإسناد لا يسأل عن حالهم لشهرتهم.

الأصل الثمانون والمائة

في الإلحاح في الدعاء وسر كونه محبوباً

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله يحب الملحين في الدعاء »[1].

الإلحاح ملق. والمؤمن حبيب الله. وكلما كثر سؤال الحبيب فهو أحب إلى مُحبه، والله تعالى يحب صوته.

قال (عليه السلام): يقول الله تعالى لجبرئيل (عليه السلام): « يا جبرئيل قد قضيت حاجة فلان وأجبت دعوته ولكن احبسها عنه فاني أحب صوته » .

وعن وهب (رضي الله عنه) قال: إن الله تعالى يقول: أنزل البلاء استخرج منه الدعوة.

وإنما صار الملح محبوباً لأنه لا ينقطع رجاؤه. فهو يسأل فلا يرى إجابة، فلا يزال يلح، ولا ينقطع رجاؤه، ولا يدخله اليأس. فذلك لعلمه بالله تعالى، وصحة قلبه وصدق عبودته، واستقامة وجهته. فمن صدق

(١) الحديث رواه ابن عدي في الكامل، والبيهقي في شعب الايمان ورواه السيوطي في الجامع الصغير، وأشار إليه بالضعف

الله في دعوته، استعمل اللسان، وانتظر بالقلب مشيئته، فلا يضيق ولا ييأس لأن قلبه صار معلقاً بمشيئته. فانتظاره المشيئة من أفضل ما يقدم به على ربه، وهو صفو العبودة. واستعماله اللسان عبادة؛ لأن في السؤال اعترافاً بأنها له. وإنتظار مشيئته لقضائه عبادة. فهو بين عبادتين وجهتين. وأفضل الدعاء من داوم عليه.

قال (عليه السلام): ليدع أحدكم ولا يقولن قد سألت ولم يستجب لي. قال (عليه السلام): إن العبد المؤمن يستجاب له. فإذا قال العبد: « يا رب »، قال الله تعالى: « لبيك ». فإذا سأله حاجة فإما أن يعجل له حاجته، وإما أن يصرف عنه شراً بدل حاجته، وإما أن يدخر له في آخرته ما هو خير له مما سأل، فلم تسقط دعوته على كل حال[1].

وأما أهل اليقين فإنهم يدعون ويلحون. فإن أجاب، قبلوا. وإن تأخر، صبروا. وإن منع رضوا وأحسنوا الظن. وهم في الأحوال ساكنون مطمئنون ينتظرون مشيئته.

قال سفيان[2] الثوري (رحمه الله): أتيت أبا حبيب العدوي أسلم عليه، وما كنت رأيته قط. قال لي: أنت سفيان الثوري الذي يقال. قلت: نعم، نسأل الله تعالى بركة ما يقال. ثم قال: يا سفيان، ما

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٣: ١٨ ثنا أبو عامر ثنا على عن أبي المتوكل عن أبي سعيد أن النبي ــ ﷺ قال: وذكره مع اختلاف في بعض الألفاظ

(٢) هو سفيان الثوري من بني ثور أبو عبد الله أمير المؤمنين في الحديث كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ولد عام ٩٧ هـ في الكوفة وراوده المنصور العباس على ان يلي الحكم فأبى وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة ثم طلبه المهدي فتوارى وانتقل الى البصرة فمات بها مستخفيا عام ١٦١ هـ له من الكتب الجامع الصغير، والجامع الكبير كلاهما في الحديث.

راجع دول الاسلام ١: ٨٤ وابن النديم ١: ٢٢٥

رأينا خيراً قط إلا من ربنا. قلت: أجل. قال: فما لنا نكره لقاء من لم نر خيراً قط إلا منه. ثم قال لي: يا سفيان، منع الله إياك عطاء منه لك، وذاك أنه لم يمنعك من بخل ولا عدم، وإنما منعه نظراً واختياراً. يا سفيان، ان فيك لأُنساً ومعك شغلاً، سلام عليك. ثم أقبل على غنيمته وتركني.

فالإعطاء أحب إلى أهل الجود من الأخذ للسؤال. وهم يلتذون بالجود والإعطاء أكثر مما يلتذ الآخذ بالنوال. لأن الأخذ خلق الفقراء، والإعطاء خلق الأغنياء، وهو خلق أهل الجنان، وهو خلق الله الأعظم. وكان من دعاء سفيان (رحمه الله): « يا من يحب أن يُسأل، ويغضب على من لا يسأل، ويا من أحب عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله، وليس أحد غيرك كذلك يا كريم، ويا من أبغض عباده إليه من لا يسأله ولم يطلب إليه، وليس أحد غيرك كذلك يا كريم، ويا من أحب عباده إليه من سأله العظيم ولم يعظم عليك وعزتك عظيم يا عظيم ».

وقال الله تعالى لموسى (عليه السلام): « اطلب اليَّ العلف لشاتك ولا تستحي أن تسألني صغيراً، ولا تخف مني بخلاً أن تسألني ». والله أعلم.

الأصل الحادي والثمانون والمائة

في قراءة القرآن في أربعين ليلة

عن عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ أمره أن يقرأ القرآن في أربعين ليلة، فاستزاده حتى رجع إلى سبع[1].

فالأربعون مدة الضعفاء وأولي الأشغال. ويكون ختمه في السنة تسع مرات. ومدة الأربعين مرددة في الأشياء كثيرة. وأما توقيت السبع فإنه للأقوياء الذين يقوون على سهر الليالي، واحترفوا العبادة، وتفرغوا من أشغال النفس والدنيا.

قال رجل: يا رسول الله، من قرأ القرآن في سبع. قال: ذاك عمل المقربين. قالوا: يا رسول الله، فمن قرأه في خمس. قال: ذاك عمل الصديقين. قالوا: يا رسول الله، فمن قرأه في ثلاث. قال: ذاك عمل النبيين. وذاك الجهد لا أراكم تطيقونه إلا أن تصبروا على مكابدة الليل، أو يبدأ أحدكم بالسورة وهمه في آخرها. قالوا: يا رسول الله، وفي

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب القراءات باب ١٣ (٢٩٤٦) بسنده عن عبد الله بن عمر وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح قريب من هذا الوجه يستغرب من حديث ابي بردة عن عبد الله بن عمر. وذكره. قال اسحق بن ابراهيم ولا يُحب للرجل أن يأتي عليه أكثر من أربعين يوماً ولم يقرأ القرآن لهذا الحديث.

أقل من ثلاث. قال: لا ومن وجد منكم نشاطاً فليجعله في حسن تلاوتها.

أراد (عليه السلام) بذلك المداومة عليه، وأن يصيرها عادة. ولو قرأ في يوم وليلة لكان عظيم القدر. وكان عثمان (رضي الله عنه) ختم في ركعة واحدة. وكان رسول الله ﷺ مما يقرأه في سبع تيسيراً على الأمة.

عن أوس (رضي الله عنه) قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ ليلة فقلنا له. فقال: إنه طرأ على حزب من القرآن، فأحببت أن لا أخرج من المسجد حتى أقضيه. فقلنا لأصحاب رسول الله ﷺ: كيف تحزبون؟ قالوا: ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل ما بين قاف فأسفل.

ودلهم رسول الله ﷺ في الحديث الأول على حسن التلاوة. فإن القرآن موعظة. والله تعالى يحب أن تعقل مواعظه ونصائحه ولطائفه. فإذا خاطب عبده بشيء يريد إظهار ما لهم عنده من الأثرة والمحبة، ويحب أن يعجل أوائل بره في عاجل محياهم ليتلذذوا به ويفرحوا. فإذا مر عليه التالي يهذه هذاً وقلبه في عماء من ذلك، مقته. كما أن واحداً منا إذا كلم آخر بشيء يريد به بره والطافه فاستمع إلى كلامه باذنه لاهياً عن ذلك بقلبه، سقط عن عينيه. فكيف برب العالمين! وقد أدب الله تعالى عباده ودلهم على الترتيل فقال تعالى: ﴿ **ورتل القرآن ترتيلاً...** ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ **وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث...** ﴾[2]

---

(١) سورة المزمل آية رقم ٤.

(٢) سورة الإسراء آية رقم ١٠٦.

وقال تعالى: ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب** ﴾[1].

دلهم على الترتيل والتؤدة والتدبر؛ ليصل إليهم نفع ذلك. فأفضلهم قراءة أعقلهم عنه. فمن أسرع القراءة وعقل عنه، كان في نور عظيم ومنزلة علية لفضل نوره. ومن قصر ذلك، فالتفكر والتدبر خير له وأنفع.

---

(١) سورة صٓ آية رقم ٢٩.

الأصل الثاني والثمانون والمائة

في أن النفس لا تموت حتى تستكمل رزقها

عن حذيفة (رضي الله عنه) قال: قام رسول الله ﷺ على المنبر فدعا الناس بيده هكذا. فقال: اجلسوا. وأقبل الناس فقال بيده هكذا اجلسوا. ثم قال: إني رأيتكم تطلبون معايشكم، هذا رسول رب العالمين جبرئيل نفث في روعي أن لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها وإن أبطأ عليها، فاتقوا الله أيها الناس، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تأخذوه بمعصية، فإن الله لا يدرك ما عنده إلا بطاعته[1].

الروع القلب. والنفث هو من الروح. ويشير في قوله: « هذا رسول رب العالمين » أن جبرئيل (عليه السلام) شاهده في ذلك الوقت

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب التجارات عن ابن جريج عن أبي الزبير، عن جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ وذكره، ولفظه: « أيها الناس اتقوا الله واجملوا في الطلب، فإنه نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب: خذوا ما حَلَّ ودعوا ما حرم ». وفي الزوائد: إسناده ضعيف لأن فيه الوليد بن مسلم وابن جريج وكل منهما كان يدلس، وكذلك أبو الزبير وقد عنفوه لكن لم ينفرد به المصنف من حديث أبي الزبير عن جابر فقد رواه ابن حبان في صحيحه باسنادين عن جابر.

والأرزاق معلومة، وقسط كل نفس واصل إليها وإن هربت منه. ولا تموت حتى تستوفي ما قسم لها. فحذرهم (عليه السلام) عن الغفلة، ودلهم على إجمال الطلب. وهو أن يحسن نيته في طلبه، ويطلبه للعفة ولقوام الدين، والقيام بما أمر الله تعالى في ذلك، ويحفظ فيه الجوارح، ويبذل النصيحة، ويراعي الأمانة، ويتجنب الخيانة والحلف والكذب والغش، ويطلبه مع ذكر آخرته. كما قال تعالى: ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ﴾[1].

طهر قلوبهم خوف ذلك اليوم، وأذهل نفوسهم عن شهوة تستخفهم أو فتنة في طلبها تستفزهم، وأمات خوف العقاب منهم كل حرص، وأكسلهم ثقل الحساب عن طلبه، فتخلصوا بذلك من فتنته.

---

(١) سورة النور آية رقم ٢٧.

الأصل الثالث والثمانون والمائة

في أجر الصبر الجميل عند المصيبة

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « قال الله تعالى: إذا وجهت إلى عبد من عبادي مصيبة في بدنه أو في ولده أو في ماله فاستقبله بصبر جميل، استحييت يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً »[1].

الصبر ثلاث: **الأول** صبر الموحدين. وهو أن لا يسخطوا على ربهم ولا يجوروه. فلموجب إيمانهم صبروا، واعترفوا أنه عدل في ذلك، ثم أهملوا جوارحهم في المعاصي لحرقة تلك المصيبة، فهو صبر الظالمين.

والثاني صبر المقتصدين. فإنهم صبروا بالقلب والجوارح، فرضوا بالقلب عن ربهم، وحفظوا جوارحهم عن المعصية بسبب ما نزل بهم. لكن في النفس شدة كزة ومرارة وعسر. ولم يملكوا أكثر من ذلك. فهذا صبر قد أذهبت النفس بشؤمها جماله.

والثالث صبر المقربين. فهو الرضاء. لم تجد لوعة المصيبة مساغاً

---

(١) لم نعثر على هذا الأثر على كثرة البحث والتقصي

في قلوبهم لما فيها من الحلاوة واللذاذة بقرب الله تعالى. لأن النور لما اشتعل في صدورهم بعد امتلاء القلب منه، وأحرقت شهوات النفس ومناها، وصار الصدر مستنيراً من نور القلب وشرح الله صدره بالإسلام، لم يبق في النفس غل ولا كزة ولا مرارة ولا عسر، انتبهت النفس عن نومتها، وخرجت من مشيئتها، وأفاقت عن سكرتها. فصارت مشيئة الله تعالى عندها أحلى من مشيئته، وصار بدل المرارة حلاوة، وعوض العسر غني. فأين ما برزت مشيئته في شيء من حجب غيبه وقفت قلوبهم عند مشيئته وهم الصادقون في قولهم: ما شاء الله كان.

فصبر المخلطين صبر إيمان محشو بالجزع. وصبر المقتصدين رضاء مع كزة النفس. وصبر المقربين رضاء القلب ورضاء النفس؛ لانه قد انكشف لهم أنه قد أوصلهم إلى أشرف الأشياء لعطفه ورأفته، وهو معرفته، فلم يتهموه بعد ذلك في حال من أحوال نفوسهم، فكيف ما دبر لهم من محبوب أو مكروه، وقع ذلك منهم موقع بر ورحمة وعطف ورأفة. كما قال معاذ (رضي الله عنه) حين إشتد به النزع في الطاعون، فيغشى عليه ثم يفيق فيقول: « اخنقني خنقك رب، فوعزتك لا تزداد بذلك عندي إلا حباً ».

وكان الربيع بن خيثم[1] (رضي الله عنه) ربما خرج إلى صلاته في مرضه فغشي عليه، فيجده إخوانه صريعاً في الطريق، فيرشون عليه الماء حتى يفيق، فيقول: « يا رب غط ما شئت، أن تغط فوعزتك لا تزداد بذلك عندي إلا حباً ». فيقال له: إنك لفي سعة أن لا تكلف نفسك هذا. فيقول : فكيف بهذا الذي ينادي: « حي على الصلاة »! لا أقدر أن لا أجيبه.

---

(١) راجع ما كتبه ابن سعد في طبقاته ص ١٠ و ٩٦ وفيه سئل شفيق بن سلمة عن ربيع بن خثيم قال: أنا اكبر منه سناً وهو اكبر مني عقلًا وأيضاً ص ١٢٨
الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ، وذكره. قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

وروى أبو موسى (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الصبر رضاء »[1].

قوله: « فاستقبله بصبر جميل استحييت أن أنصب له ميزاناً » لأن العبد إذا صار يتلقى أحكامه بالرضا وهو جمال الصبر، صار من أوليائه وخاصته. والخاصة لا يحاسبون، ولا يفتشون، ولا يقابلون في الثواب بالأعمال، بل يرفعون إلى معالي الدرجات بالحظوظ التي كانت في قلوبهم من ربهم، ويسامحون بالنوال في الدرجات، كما سامحوا بنفوسهم ولم يكن لهم شيء أعظم منها فألقوها بين يديه عبيداً كما خلقهم، فثوابهم بغير حساب، ونوالهم بغير مقدار، وقربتهم بغير حد ولا ضبط.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة ٥ باب الوضوء شطر الايمان ٢٨٠ عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

ورواه الترمذي في كتاب الدعوات ٣٥١٧ بسنده عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

الأصل الرابع والثمانون والمائة

في طلب الخير والتعرض لنفحات رحمة الله

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « اطلبوا الخير دهركم وتعرضوا لنفحات رحمه الله. فإن لله تعالى نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده. وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم »[1].

فالنفحة الدفعة من العطية. فيعطي في دفعة واحدة ما يأتي على كثير من النعم. والنفحات من فتحات باب خزائن المنن. فإن خزائن الثواب بمقدار، وعلى طريق الجزاء. وخزائن المنن تغرق الواحدة منها لأنها منه، يمن جوداً وعطفاً. ووقت الفتحة غير معلوم. وإنما غيب علمه عنهم ليداوموا على طلبها بالسؤال المتدارك، ويكونوا متعرضين له في كل وقت وكل حال. فإنه إذا داوم على ذلك، كان وشيكاً أن يوافق دعوته الوقت الذي يفتح، فيكون قد ظفر بالغنى الأكبر، وسعد سعادة الأبد. كملك قدر الأرزاق على عبيده وجنده شهراً شهراً. ثم له في خلال ذلك عطية من سماحة وجود، فيفتح باب الخزانة فيعطي

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الفرج والبيهقي في شعب الإيمان، وأبو نعيم في الحلية عن أنس، ورواه البيهقي أيضاً عن أنس والسيوطي في الجامع الصغير. وقال السيوطي: ضعيف

منها ما يعم، ويستغرق جميع الأرزاق الدارة التي أخذوها مدة سنين. فمن وافق ذلك من الملك، استغنى آخر الأبد، ولا يدري أي وقت يسمح ويعطف. فينبغي أن يديم الاختلاف إليه في اليوم مراراً رجاء أن يوافق تلك الساعة.

قال لقمان (عليه السلام) لابنه: يا بني: عود لسانك أن تقول: « اللهم اغفر لي » فإن لله ساعات لا ترد.

وقال الحسن: أكثروا الاستغفار على أحوالكم. فإنكم لا تدرون أي حين تنزل المغفرة.

الأصل الخامس والثمانون والمائة

في عثرة الحليم وتجربة الكريم الحكيم

عن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « لا حليم إلا ذو عثرة. ولا حكيم إلا ذو تجربة »[1].

الحليم المنشرح صدره الذي يتسع صدره لمساوئ الخلق وسوء سيرتهم. وكان رسول الله ﷺ من أصبر الناس على أقذار الخلق.

وقال الحسن (رضي الله عنه): ما سمعت الله تعالى نحل عباده شيئاً أقل من الحلم. قال تعالى: ﴿ **إن إبراهيم لحليم...** ﴾[2] وقال: ﴿ **فبشرناه بغلام حليم...** ﴾[3].

إنما عظم حلمهما بما أتسع صدرهما للأمر العظيم الذي حل بهما

---

(١) الحديث رواه الحاكم في كتاب الأدب ٤ : ٢٩٣ ــ ثنا عثمان بن سعيد الدارمي ثنا يزيد ابن خالد الرملي ثنا عبدالله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ. وذكره. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي عليه وقال: صحيح.

(٢) سورة هود آية رقم ٧٥ وتكملة الآية (أواه منيب).

(٣) سورة الصافات آية رقم ١٠١ وقد جاءت الآية في المطبوعة محرفة.

من الذبح، فاتسع صدر إبراهيم (عليه السلام) لذبح ولده، وصدر الغلام (عليه السلام) لتسليم نفسه لله تعالى.

فالحليم من يسلم النفس لربه (عز وجل) عبودة في جميع ما يأمر وفيما يحكم عليه في الأحوال. والحلم والملح واحد. كما لا تطيب الأطعمة إلا بالملح لا تطيب النفس إلا بالحلم.

قال علي (كرم الله وجهه): « الحلم كظم الغيظ وملاك النفس ». وفي الخبر أن أيوب (عليه السلام) كان أحلم الناس، وأصبره وأكظمه لغيظه.

قوله: « لا حليم إلا ذو عثرة » أي لا يتسع الرجل لما يرى من الخلق إلا بعد ما يعثر. فإذا رأى عثرته، رحم الخلق واتسع لهم، واتقى أن يلوم أحداً بعيب، أو يعيره بذنب.

وكان داود (عليه السلام) يشدد على الخطائين ولا يجالسهم، وقال: « يا رب لا تغفر للخطائين » لشدة الغيرة لله تعالى وكثرة الحنق عليهم. فلما عثر، كان ينظر إلى أغمص مجلس في بني اسرائيل ويقعد معهم. ويقول: « مسكين بين ظهراني مساكين، رب اغفر للخطائين كي تغفر لداود معهم ».

وقوله: « لا حكيم إلا ذو تجربة » فالعقل يدل على الرشد. والحكمة نور يكشف عن مكنون الأمور. ولا تستكمل الحكمة مع كشف الغطاء وإطلاعه بالقلب حتى يطالع الأمور بمباشرة النفس. فإن كل شيء تجده القلوب فمباشرة النفس مع القلوب أثبت وآكد. فالحكيم قد انكشف له الغطاء فيرى عواقب الأمور وزينها وشينها. فإذا رأى ذلك بالجوارح، كان ذلك عياناً لا يرفع ولا ينسى. فبعد التجارب تستكمل الحكمة؛ لأنها كانت قبل التجربة معاينة القلب، فصارت معاينة العين، وكان ذلك علم اليقين، فصار الآن عين اليقين. ولهذا قيل: إن العقل بالتجارب.

الأصل السادس والثمانون والمائة

في أن فزع وعد القرآن يورث الشيب وسر اللحظات

عن أبي جحيفة (رضي الله عنه) قال: قالوا يا رسول الله: نراك قد شبت. قال: شيبتني هود وأخواتها[1].

الفزع يذهل النفس فينشف رطوبة الجسد. وتحت كل شعرة منبع، ومنه يعرق. فإذا إنتشف الفزع رطوبته، يبست المنابع فيبس الشعر فابيض لذهاب رطوبته، ويبس جلده كالزرع إذا ذهب سقياه يبس وابيض. ولهذا يسرع الشيب إلى المحرور لانتشاف الماء؛ لأن المرة يابسة فتأدت إلى المنابع فيبست وإبيض الشعر. فالنفس تذهل لوعيد الله تعالى فتذبل وينشف ماءها ذلك الوعيد والهول الذي حل بها. فمنه تشيب. قال

---

(١) الحديث أخرجه الامام الترمذي في التفسير سورة الواقعة ٣٣٥١ عن شيبان عن أبي اسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال أبو بكر يا رسول الله قد شبت قال: وذكره.
قال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، وروى علي بن صالح هذا الحديث عن أبي اسحاق عن أبي جحيفة نحو هذا. وقد روي عن أبي اسحاق عن أبي ميسرة من هذا مرسلاً.

الله تعالى: ﴿ **يوماً يجعل الولدان شيباً...** ﴾[1].

وسورة هود وأخواتها مثل الحاقة، وسأل سائل، وإذا الشمس كورت، والقارعة ففيها ذكر الأمم وما حل بهم من عاجل بأس الله تعالى. ففي تلاوتها ينكشف لقلوب العارفين سلطان الله تعالى وبطشه فتذهل منه النفوس وتشيب منه الرؤوس. ولو ماتوا من الفزع لحق لهم ولكن الله تعالى يلطف بهم في تلك الأحايين حتى يعوا وحيه وتنزيله. قال تعالى: ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله...** ﴾[2].

وروي أنه (عليه السلام) تلا أية وعنده شاب فخر ميتاً فقال (عليه السلام): « إن الفرق فلذ كبده » أي قطعه.

فأهل اليقين بارز على قلوبهم لحظات الله تعالى. والعفو جنايب. لولا ذلك ما استقر لهم قرار من هول أخذه. واللحظة قد شملت القدرة والحلم. إلا أن أهل اليقين قد اطمأنت قلوبهم فارتفعت في سعة عفوه.

قال محمد بن الحنفية[3] (رضي الله عنه): إن لله ثلثمائة وستين لحظة يلحظ بها إلى كل عبد من عبيده في كل صباح. فإن أخذ، أخذ بقدر. وإن عفا عفا بحلم. وكتب علي بن الحسين (رضي الله عنهما) إلى الحجاج جواب كتابه الذي كان يوعده فيه: بلغني أن

---

(١) سورة المزمل آية رقم ١٧.

(٢) سورة الحشر آية رقم ٢١

(٣) هو محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي أبو القاسم المعروف بابن الحنفية أحد الأبطال الاشداء في صدر الاسلام وهو اخو الحسن والحسين، كان واسع العلم ورعاً أسود اللون ولد عام ٢١ بالمدينة وتوفي بها عام ٨١ هـ
راجع طبقات ابن سعد ٥: ٦٦ والوفيات ١: ٤٤٩

رسول الله ﷺ قال: « إن لله (عز وجل) في كل يوم ثلثمائة وستين لحظة يلحظ بها إلى أهل الأرض. فمن أدركه تلك اللحظة، صرف الله عنه شر الدنيا والآخرة، وأعطاه خير الدنيا والآخرة ». وأرجو من الله أن يدركني بعض لحظاته، فيصرف عني شرك، ويرزقني ما وعدني رسول الله ﷺ. فبلغ هذا الكلام هرقل فقال: لا يخرج هذا إلا من أهل بيت نبوة.

الأصل السابع والثمانون والمائة

في النهي عن الاعتزاز بالعبيد

عن عمر (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من اعتز بالعبيد، أذله الله تعالى »[1].

الاعتزاز الامتناع من الأشياء التي تنوبه. فإن امتنع بمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فذاك من العزة. والاعتزاز بالعبيد من الجهل بالله. وجهله به سبب لضعفه في كل الأمور. وقد دلهم الله تعالى على ما فيه رشدهم فقال: ﴿ **واعتصموا بالله هو مولاكم...** ﴾[2].

والاعتصام به والاعتزاز من ذرى الايمان. ومن اعتصم بالمخلوقين، واعتز لعرض الدنيا، فهو المخذول في دينه، الساقط عن عين الله تعالى. وأوحى الله تعالى إلى داود (عليه السلام): « ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والأرض، إلا جعلت له من ذلك مخرجاً.

---

(١) رواه أبو نعيم والقضاعي عن عمر مرفوعاً، وفي لفظ من استعز بقوم أورثه الله ذلهم، وبلفظ الترجمة عند العقيلي في ترجمة عبدالله بن عبدالله الأموي، وهو من الضعفاء، وقال لا يتابع على حديثه، ولكن ذكره ابن حيان في الثقات، وترجمه في اللآلئ أيضاً بلفظ « من عز بغير الله ذل ».

(٢) سورة الحج آية رقم ٧٨.

وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني، إلا قطعت أسباب السماء من بين يديه، وأسخطت الأرض من تحت قدميه ».

وقال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : « إني والجن والإنس في نبأ عظيم. أخلق ويعبد غيري. وأرزق ويشكر غيري ».

الأصل الثامن والثمانون والمائة

في خصال طعم يحصل بها طعم الإيمان

عن عبدالله بن معاوية العامري (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاث من فعلهن طعم طعم الإيمان. من عبد الله وحده انه لا إله إلا هو. وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه، ولم يعط الهرمة ولا الذرية ولا المريضة، ولكن من أوسط أموالكم، فإن الله يأمركم بخيره ولم يأمركم بشره. وزكى نفسه » فقال رجل: وما تزكية نفسه؟ قال: أن يعلم أن الله معه حيثما كان.

فالزكاة ثلاثة: زكاة القلب لا إله إلا الله. وزكاة المال إخراج ما افترض الله فيه منه. وزكاة النفس علمها بأن الله تعالى معه حيثما كان. فإذا علم ذلك، استوت سريرته وعلانيته وهابه واستحيى منه [كل الخلق] في كل وقت ومكان. والهيبة والحياء وثاقان لنفس العبد من جميع ما كره الله سراً وجهراً، وظاهراً وباطناً. والنفس في هذه الأحوال تخشع لهيبته وتذل، وتخمد شهواته، وتذبل حركاته وانبعاثه، وتخجل وتنقبض للحياء منه. فإذا كان من الله تعالى لعبده تأييد بهذين فاكتنفاه، فقد استقام.

وأردنا بالعلم علم القلب، لا علم اللسان. فإن علم اللسان أصله من

القلب، ولا قرار له لأنه شرارة من شرر الإيمان. وهي حجة الله تعالى على ابن آدم. وعلم القلب علم اليقين.

قال ﷺ: العلم علمان: علم بالقلب، فذاك العلم النافع. وعلم على اللسان. فذاك حجة الله على ابن آدم[1].

فالزكاة هي الطهرة والنماء. فإذا قال العبد صادقاً من قلبه هذه الكلمة، فإنما قوله من النور الذي أحيي الله تعالى به قلبه. فذلك النور طهر جميع جسده. ولصدق هذه الكلمة ثلاث منازل: أولها الظالمون. وأوسطها المقتصدون. وآخرها المقربون. فالظالمون زكوا قلوبهم وجوارحهم بهذا القول، ثم دنسوها بالمعاصي. فهو مع ظلمه شريف المنزلة، رفيع القدر، لم يخرج بظلمه نفسه من ولاية الله تعالى ومن رحمته، ولا زالت عنه حرمته. وإن تابعوا زالت الأدناس وصاروا من أهل نور الطاعات.

والمقتصدون زكوا قلوبهم بهذه الكلمة، وزكوا أموالهم وأجسادهم بالائتمار بأمر الله والتناهي عن نهيه. ثم ثبتوا على تزكية الأموال والأجساد، ودنسوا قلوبهم بالرغبة والرهبة والشهوة والغفلة والحرص والعجلة، ومحبة النفس وهواها، ومحبة الدنيا وأحوالها.

والمقربون زكوا بما زكى به المقتصدون، وأقبلوا على قلوبهم فرعوها عن أن تتدنس بشيء مما ذكرنا، فكان مرعى قلوبهم بين يديه، لم يكن للدنيا ولا للنفس هناك دنو ولا لحاظ. فتزكية قلوب الظالمين بنور التوحيد. وجاءت الشهوات بظلمتها وأحاطت بالقلب، ولم يكن لنوره الذي أُعطي ما يحرق هذه الشهوات.

---

(١) الحديث رواه ابن أبي شيبة، والحكم عن الحسن مرسلًا والخطيب عن جابر — رضي الله عنه

وتزكية قلوب المقتصدين بنور الإنابة. فإنه إذا أناب العبد، استنار قلبه بنوره، فأخرجه من سكر الظالمين فأفاق فخاف العقاب، ورجا الثواب، وأبصر الآخرة حتى صارت نصب عينيه.

وتزكية قلوب المقربين نور القربة فأحرق الشهوات، وامتلأ القلب من نور التوحيد، وأشرق الصدر بنوره، فأيقظه من نومة الغافلين فانتبه. وفي المقربين قوم مصطفون مجتبون هم خاصة المقربين، وهم المحدثون. فتزكية قلوبهم نور وجهه الكريم، فهم في قبضته يتصرفون.

فالظالمون علانيتهم أكبر من سريرتهم، وهو الجور.
والمقتصدون استوت سريرتهم وعلانيتهم، وهو العدل.
والمقربون فضلت سريرتهم علانيتهم. فللحظة من سرائرهم أعظم من أعمال الثقلين عمر نوح (عليه السلام).

قال إبن مسعود (رضي الله عنه): إن الرجل من هذه الأمة يبلغ عمله يوماً واحداً ما يكون أثقل من سبع سموات وسبع أرضين في الوزن.

ونظر رسول الله ﷺ إلى جبل أحد فقال: « رب رجل من أمتي يعدل الحرف الواحد من تسبيحة هذا الجبل ».

وقوله: « أن يعلم أن الله معه حيث ما كان » فهذه تزكية النفوس. وهذا العلم علم الإنابة. فإنه إذا أناب، استنار، فبقي خوفه معه فقيَّده عن المعاصي سراً وجهراً. وهو علم القلب الذي قال (عليه السلام): « فذاك العلم النافع ». والظالم إنما يعلم علم إيمان أن الله تعالى معه، ثم لا تأخذه مخافة هذا العلم حتى يقيده عن المعاصي سراً وجهراً. فذاك هو العلم الذي قال (عليه السلام): « هو علم اللسان ». وأما المقرب فعلمه علم يقارب المعاينة. قال (عليه السلام): « أن تعبد الله كأنك تراه »[1].

(١) سبق تخريج هذا الحديث في الجزء الأول.

وكلم عروة بن الزبير عبدالله بن عمر (رضي الله عنهم) في الطواف بشيء من خطبة ابنته فلم يجبه. فلما لقيه بعد ذلك، قال: إنا كنا نتراءى الله سبحانه وتعالى في الطواف بين أعيننا، فذاك الذي منعني من جوابك.

وقال ﷺ: « إن أفضل إيمان العبد أن يعلم أن الله معه حيث ما كان »[1].

وهذا علم اليقين لا علم القلب ولا اللسان. فالموحدون علموا أن الله تعالى معهم، وقررهم إيمانهم به، ثم لم يعملوا في قلوبهم وراء ذلك شيئاً. والمقتصدون أعطوا علم الإنابة وهو النور الذي إذا أناب أعطي، فوجد المخافة فقيده ذلك النور الذي ورد على قلبه عما كره الله تعالى، ووقف به على سبيل الاستقامة. والمقربون من أعطي اليقين وانكشف الغطاء عن قلبه بنوره، وهو نور الأنوار، فنظر إلى جلال الله تعالى وعظمته، فاندست أعضاؤه بعضها في بعض، وصارت نفسه الشهوانية كشجرة أصابها الحريق فيبست حتى صارت جذعاً، وصارت أركانه كوعاء فيه حبوب عذراً وضعفاً وعجزاً، ثم أحله مرتبة من مراتبه بين يديه، فأحيا قلبه فقوي بالله تعالى وخبت شهواته، ورطب جسده، وانبسطت جوارحه، وانفتقت أعضاؤه، وعاش في غذائه ونجواه وبشراه بقية محياه مراقباً لأموره كأنه يراه. فحياؤه منه أكثر من حياء ملاء عظيم ضمهم اشراف المسلمين. وهيبته له أكثر من هيبته من ملك من ملوك الدنيا، بل يدق حياؤهم في جنب حيائه منه، وهيبته لذلك الملك في جنب هيبته له. وهو الذي قد علم حق الحق أن الله تعالى معه. فلولا أن الله تعالى يلطف له حتى ينبسط منه ويؤنسه ويقويه لاحتمال ذلك لما قدر عليه، ولا صلح للمعاش والعشرة.

---

(١) وتصديق ذلك قوله تعالى:﴿ **وهو مقام أينما كنتم** ﴾.

الأصل التاسع والثمانون والمائة

في أن الأرض تنادي ابن آدم كل يوم سبعين مرة

عن ثوبان (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: « إن الأرض لتنادي كل يوم سبعين مرة: يا بني آدم كلوا ما شئتم واشتهيتم، فوالله لآكلن لحومكم وجلودكم »[1].

هذا نداء متسخط فيه وعيد يقع على من أكل بشهوة ونهمة وغفلة. فإن الله تعالى سخر لنا لنشكر لا لنكفر. والشكر ذكره عند كل نعمة وقبولها والحمد عليها. فإذا غفل عن هذا كله، فقد أكل منها بغير حق، فسلطت الأرض عليه لتأكله كما أكل منها بغير حق. فأما الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) فلا تسخط الأرض عليهم، بل تفرح بكونهم على ظهرها، وتفخر بقاعها بمنقلبهم عليها. فإذا وجدتهم في بطنها، ضمتهم ضمة الوالدة الوالهة الواجدة بولدها. ولأنهم أكلوا بالله ولله وفي ذات الله تعالى. ومن كان كذلك فالأرض أذل وأقل من أن تجترئ عليه؛ لأن الأرض دون النار. وقد روي عن رسول الله ﷺ أن النار تنادي: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي.

---

(١) هذا من الآثار التي تفرد بها صاحب نوادر الأصول ويؤيده حديث الرسول ــ ﷺ ــ كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب ».

وقال (عليه السلام): إن النار تنزوي وتنقبض عند ورود المؤمن. وقال (عليه السلام): يجعل الله النار على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم.

فإذا كانت النار تخمد لممر عبد، فكيف تجترئ الأرض على أكله؟. وروي في الخبر أن الشهداء لا تأكلهم الأرض. وروي أن من أذن سبع سنين، لم يدود في قبره.

فإذا كان الشهيد والمؤذن قد امتنعا من الأرض بحالتيهما، فحالة الأنبياء والصديقين والأولياء (عليهم السلام) أرفع من هذا وأجل، فانهم هم الشهداء أيام الحياة والدعاة إلى الله تعالى على بصيرة.

وروى جابر (رضي الله عنه) قال: لما أراد معاوية (رضي الله عنه) أن يجري العين إلى جنب أحد عند قبور الشهداء، أمر منادياً فنادي فيهم: من كان له قتيل فليخرج إليه. قال جابر: فخرجنا إليهم فوجدناهم رطاباً، فرأيتهم ينثنون على رقاب الرجال كأنهم رجال نوم، فأصابت المسحاة قدم حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) فثارت إصبعه فانبعث دماً.

ثم الأولياء على ثلاث مراتب: منهم من أكل بالله تعالى، وهو الأرفع، وهو من كان في قبضته قد انفرد به، وخلص قلبه إلى وحدانيته، فبه يقوم، وبه يقعد، وبه ينطق على ما أشار إليه (صلوات الله وسلامه عليه): فإذا أحببت عبدي فكنت سمعه وبصره... الحديث.

ومنهم من أكل لله تعالى. ومقامه دون مقام الأول. وهو عبد ألقى نفسه بين يديه سلماً يراقب أموره. فهو يمضي فيها كالعبيد، لا يؤثر أمراً على أمر، ولا يدبر لنفسه تدبيراً، بل يراقب تدبيره، ويعمل له.

ومنهم من أكل في ذات الله سبحانه وتعالى. وهو دون الثاني بدرجة.

وذاك عبد قد شغف بحب الله تعالى وذكر آلائه، يبتغي في جميع متقلبه رضاه. فهم كلهم أهل ولاية الله تعالى، وحرام على الأرض لحومهم ودماؤهم؛ لأنهم عبيد الله تعالى وخاصته. والأرض سخرة لهم. فالأرض تمضي في سخرتها، والعبيد يمضون في حقوق الله تعالى. فإن الله تعالى جعل الأرض ممراً للآدميين؛ ليأخذوا منها الزاد، ليقطعوا هذه السفرة، فهي بلغتهم قل أو كثر، ضاق أو اتسع. فالمنتبه اطلع على هذا المطلع فأخذها تزوداً، ووجهه إلى الله تعالى، وقلبه مع الله تعالى، يسير إليه ركضاً، يقطع الليل والنهار، كلما ذكر الموت ارتاح؛ لعلمه بأن الموت يذهب به إليه، ويقدم به عليه. إذ ليس لأحد أن يقدم على مولاه الذي هو عطشان إلى لقائه إلا بعد ورود الموت الذي وكله به، والرسول الذي جعله بين يديه. فإذا صار إلى ملحده، لم يكن بينه وبين الأرض إلا كل جميل.

قال (عليه السلام): إنها تستأذن ربها في أن تدخل عليه في لحده في صورتها التي خلقت فيها، فإن لكل شيء صورة، فيؤذن لها فتدخل عليه في تلك الصورة وتؤنسه، وتبشر به وتقول: « طال ما كنت تمشي على ظهري، وأنا إليك مشتاقة » . ويبكي ظهر الأرض عليه أربعين صباحاً. وتقول في بكائها: « يا رب عبدك كان يذكرك في فجاجي وبقاعي » أسفاً على ما فاتها وافتقدت من ذلك. والسماء تبكي عليه فتقول: « يا رب عبدك كان ينزل عليه رزقه مني ويصعد عمله إليَّ » فلا يزال ذلك دأبهما من البكاء. وهذا لأن الله تعالى جعل هذه الأرض سخرة للآدمي لتكون له قواماً قطعاً لعذره. وخلق الآدمي لعبودته وإقامة حقوقه. فإذا اشتغل العبد في إقامة حقوقه ونهمته وهمته وهواه ذلك فالسخرة له سليمة طيبة بلا وبال. وإذا أحدث في السخرة حدثاً لم يكن له بأن إشتغل عن إقامة حقه بها بما سخر له، عادت عليه وبالاً، وصارت عليه فتنة. وقد تحولت العبودة عن الواحد إلى الأعداد. قال

الله تعالى: ﴿ **ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً...** ﴾[1].

فهذه الآية لها ظهر وبطن. فأما ظاهره فهو المشرك والموحد. وباطنه رجل فيه شركاء متشاكسون. أي قلب فيه شركاء قد سبوه وادعوه كل على ناحيته يدعيه. فكل همة لها شقص من قلبه. فقد صار فيه شركاء أحزاباً. ففي قلبه أفراح شهوات الدنيا وأحوالها اللذيذة، وسلطان الكل قائم على قلبه يزاحم صاحبها. فهم متشاكسون أي متشاقصون فيما بينهم. وهو مفتون بكل شهوة قد سبت شعبة من قلبه.

روي عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه باع حماراً له فقال: كان لنا موافقاً ولكنه أذهب شعبة من قلبي فبعته.

وقال (عليه السلام): من تشعبت به همومه في دنياه لم يبال الله في أي واد هلك[2].

وباع عمر (رضي الله عنه) حماراً له فقال: « قد كان موافقاً لنا ولكنه أذهب شعبة من قلبي فبعته ».

فهذا قلب فيه فتنة المال والأهل والولد والعز وحب الرياسة والثناء والمحمدة وفتنة العلم. ورجلاً سالماً لرجل أي قلباً سلماً للواحد الفرد.

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٢٩.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة ٢٣ باب الانتفاع بالعلم والعمل به ٢٥٧ عن معاوية النصري، عن نهشل عن الضحاك عن الأسود بن يزيد، عن عبدالله بن مسعود: قال: لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا عليهم: سمعت نبيكم ﷺ يقول: من جعل الهموم هماً واحداً همَّ آخرته كفاه الله هم دنياه: وذكره.

في الزوائد: إسناده ضعيف، فيه نهشل بن سعيد، قيل: إنه يروي المناكير وقيل: بل الموضوعات.

فالمخذول من عبيده من قلبه بين هذه الشركاء، فكلهم يدعيه ويستعبده، وكلهم ساخط عليه. إذ لا ينال غاية نهمته. والمؤيد من أخذ الله تعالى بقلبه فجذبه إليه جذبة فأقامه في فرديته.

وقد قال (عليه السلام): «إن هذه الدنيا خضرة حلوة فاتقوها»[1]. وقال ﷺ: «إن هذا المال خضر حلو. فمن أخذه بحقه، بورك له فيه، ونعم المعونة هو. ومن أخذه بغير حقه، لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع»[2].

فالأخذ بحقه أن يأخذه بحاجة إليه للتزود. والأخذ بغير حقه أن يأخذه بشهوة التمتع.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في الفتن ١٩ باب فتنة النساء ٤٠٠٠ ـــ عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قام خطيباً فكان فيما قال: وذكره وفيه زيادة [وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون الا فاتقوا الله واتقوا النساء].

ورواه الترمذي في كتاب الفتن ٢١٩١ في حديث طويل عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: صلى بنا رسول الله ﷺ وذكره. والدارمي في الرقاق ٣٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ٧، ١٩، ٢٢، ٤٦، ٦١، ٧٤ (حلبي).

(٢) الحديث رواه الامام البخاري في الجهاد ٣٧ والزكاة ٤٧، ٥٠ والخمس ١٩ والرقاق ٧، ١١ ورواه الامام مسلم في الزكاة ٩٦، ١١٢ والترمذي في القيامة ٢٩، ٢٤٦٣ بسنده عن حكيم بن حزام ـــ قال: سألت رسول الله ﷺ وذكره.

الأصل التسعون والمائة

في سر مكارم الأخلاق

عن عائشة (رضي الله عنها) تقول: كان رسول الله ﷺ يقول: « مكارم الأخلاق عشرة. تكون في الرجل ولا تكون في ابنه. وتكون في الابن ولا تكون في أبيه. وتكون في العبد ولا تكون في سيده. يقسمها الله تعالى لمن أراد به السعادة. صدق الحديث. وصدق البأس. وإعطاء السائل. والمكافأة بالصنايع. وحفظ الأمانة. وصلة الرحم. والتذمم للجار. والتذمم للصاحب. واقراء الضيف. ورأسهن الحياء. وكل خلق من هذه الأخلاق مكرمة لمن منحها »[1].

قال (عليه السلام): « إن الأخلاق مخزونة عند الله. فإذا أراد الله بعبد خيراً منحه منها خلقاً ».

والأخلاق الطبيعية كالأكل والشرب وغير ذلك. والأخلاق التي ركب عليها الآدمي تلك أخلاق الطبيعة. وقد عم الجميع. ثم لله تعالى منائح من فضله لعبد من عبيده، يختصهم بمشيئته مناً منه عليهم من المخزونات عنده.

(١) الحديث رواه البيهقي في شعب الايمان عن عائشة، ورواه السيوطي في الجامع الصغير، وقال: رواه الحكيم، وأشار الى الحديث بالضعف.

قال (عليه السلام): « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[1]. فهذا يدل على أن الأنبياء (عليهم السلام) قبله ﷺ كانت معهم هذه الأخلاق وبقيت منها بقية بعث هو ليتممها.

وقال (عليه السلام): « إن لله مائة وسبعة عشر خلقاً. فمن أتى بواحدة منها، دخل الجنة ».

وقال (عليه السلام): « إن الله تعالى يحب معالي الأخلاق. فإذا جعل من محابه في عبد من عبيده، أنجاه محبوبه » .

وقال (عليه السلام): « إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم » .

فالله تعالى يحب العبد على أخلاقه إذا تخلق بها له. فإذا تخلق بها لدنيا، كان من حرمة تلك المكرمة التي أعطيها أن يعقبه منها معروفاً. فإن كان ظالماً يتب عليه ورزق الإنابة. وإن مات على غير توبة، غفر له بحرمة ذلك الخلق. وإن كان كافراً، خفف عنه العذاب.

قال (عليه السلام) لأم حبيبة (رضي الله عنها): « ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » .

وقال: « إنه لينال بحسن الخلق درجة الصائم القائم »[2].

وقال (عليه السلام): رأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين لله حجاب، فجاءه حسن خلقه فأدخله على الله تعالى .

---

(١) الحديث رواه صاحب الموطأ في كتاب حسن الخلق ٨ ــ وحدثني عن مالك: أنه قد بلغه أن رسول الله ﷺ قال: وذكره وفيه (حسن) بدلاً من (مكارم) وقال ابن عبد البر: هو حديث صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره. ورواه الامام أحمد في المسند ٢ : ٣٨١ (حلبي).

(٢) رواه الطبراني عن ابي أمامة وذكره صاحب جامع الشمل في كتاب الخلق والتخلق

وعن علي (رضي الله عنه) قال: سبحان الله ما أزهد الناس في الخير. عجبت لرجل يجيئه أخوه المسلم في حاجته لا يرى نفسه للخير أهلاً. فلو كنا لا نرجو جنة، ولا نخشى ناراً ولا ثواباً ولا عقاباً، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق. فانها مما تدل على سبيل النجاح.

فقام رجل فقال: فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين، سمعته من رسول الله ﷺ؟

قال: نعم. وما هو خير منه لما أتانا سبايا طيئ وقعت لي جارية حماء[1] حواء لعساء لمياء عيطاء، مسنونة الخدين، صلتة الجبين، مقرونة الحاجبين، صغيرة الأذنين، شماء الأنف، مقبوضة الهامة، درماء الكعبين، خدلة الساقين، لفاء الفخذين، خميصة[2] الخصرين، ممكورة الكشحين[3]، مسقولة المتنين. فلما رأيتها أعجبت بها، وقلت: لاطلبن إلى رسول الله ﷺ أن يجعلها في فيئي. فلما تكلمت، نسيت جمالها لما رأيت من فصاحتها، فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني، ولا تشمت بي أحياء العرب، فإني ابنة سرة قومي، كان أبي يفك العاني، ويحمي الذمار، ويقري الضيف، ويشبع الجائع، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، وأنا ابنة حاتم طيِّئ. فقال: يا جارية هذه صفة المؤمن حقاً لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه. خلوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله تعالى يحب مكارم الأخلاق. فقام أبو بردة (رضي الله عنه) فقال: يا رسول الله، الله يحب مكارم الأخلاق ؟ فقال: يا أبا بردة لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق[4].

فأما ما عده رسول الله ﷺ عشراً منها صدق الحديث وهو من الإيمان؛ لأن الكذب مجانب للإيمان؛ لأنه إذا كذب فقال: « كان كذا »، ولم يكن، فقد افترى على الله تعالى؛ لأنه زعم أن الله تعالى قد كونه. وإن كان ذلك فزعم أنه لم يكن، فقد افترى على الله تعالى.

قال أبو بكر (رضي الله عنه): الكذب مجانب للإيمان.

---

(١) الحمأ: الطين الأسود والحماء الحميمة وهي لعطوفة

(٢) الأخمص: ما دخل من باطن القدم فلم يصب الآرحم.

(٣) الاكاشح: ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف، والكاشح الذي يضمر العداوة.

(٤) هذا الأثر له ما يؤيده في كتب الصحاح والسنن وبهذا اللفظ من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر

وقوله: « صدق البأس » لأنه من الثقة بالله تعالى شجاعة وسماحة. وإعطاء السائل من الرحمة. والمكافأة بالصنايع من الشكر. وحفظ الأمانة من الوفاء. وصلة الرحم من العطف. والتذمم للجار من نزاهة النفس. وكذلك التذمم للصاحب. وإقراء الضيف من سخاوة النفس. والحياء من عفة الروح. وكل خلق من هذه الأخلاق مكرمة عظيمة، يسعد بالواحد منها صاحبه. فكيف لمن جمعت له المكارم! والأخلاق الحسنة كثيرة، وكلها تقرب إلى الله تعالى، ولكن هذه مكارم تلك الأخلاق. فكل مكرمة منها تمنح العبد فهي له شرف وفضيلة في الدنيا، ورفعة ووسيلة في الآخرة.

الأصل الحادي والتسعون والمائة

في الخصال الأربع التي تطهر الجسد والقلب

عن عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما) يقول: قال رسول الله ﷺ: « أربع خصال إذا أعطي العبد، فلا يضره ما عزل عنه من الدنيا: حسن خلقه، وعفاف طعمه، وصدق حديث، وحفظ أمانة »[1].

هذه خصال كلها تطهر الجسد والقلب. فأما حسن خلقه فأن يكون حسن العشرة مع الخَلق، حسن الخلق مع أمر الله تعالى ونهيه، حسن العشرة والخلق مع تدبير الله تعالى وأحكامه.

وعفاف طعمه بأن يطعم ما لا يشوبه الحرام ولا الشهوة ولا المطامع. وصدق الحديث فأن يعف لسانه. وحفظ أمانة بأن يحفظ جوارحه وما ائتمن عليه.

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند، والطبراني فيه عن ابي عمر، وابن عدي، وابن عساكر عن ابن عباس ــ رضي الله ــ عنهما.

الأصل الثاني والتسعون والمائة

في فضل صلاة الفجر يوم الجمعة

عن أبي عبيدة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ليس من الصلوات أفضل من صلاة الغدوة يوم الجمعة في جماعة وما أحسبه شهدها أحد منكم إلا مغفوراً له »[1].

يوم الجمعة اصطفاه الله تعالى، واستأثر به على الأيام، وختم فيه آخر الخلق وهو آدم (عليه السلام)، وفيه قبضه، وجعله يوم الجزاء، وفيه تقوم الساعة، وفيه فصل القضاء، وفيه زيارة الأحباب إلى الله تعالى في الفراديس. وصلاة الغدوة فإن الله تعالى يشهدها وملائكته (عليهم السلام). كما قال (عليه السلام) ثم قرأ: ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً** ﴾[2].

ولذلك قال (عليه السلام): من صلى الصبح في جماعة، فهو في

---

(١) الحديث رواه الدارمي في كتاب الصلاة ١٣٥

(٢) سورة الإسراء آية رقم ٧٨.

ذمة الله تعالى[1]. فإذا وافق العبد شهوده في يومه، دخل في ستره وذمته.

فالستر المغفرة. والذمة الجوار والحصن من العدو.

(١) الحديث رواه الامام مسلم في صحيحه ٢٦١ ــ (٦٥٧) عن خالد عن أنس بن سيرين قال: سمعت جندب بن عبدالله يقول: قال رسول الله ﷺ: وذكره ورواه الترمذي في الصلاة ٥١ ما جاء في فضل صلاة العشاء والفجر في الجماعة ٢٢٢ بسنده عن جندب ابن سفيان عن النبي ﷺ وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الطيالسي رقم ٩٣٨ ورواه الامام أحمد في المسند ٤ : ٣١٢، ٣١٣ (حلبي) عن الحسن عن جندب مرفوعاً.

الأصل الثالث والتسعون والمائة

في تمثيل بلال (رضي الله عنه) بالنحلة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ مر ببلال (رضي الله عنه) وهو يقرأ من هذه السورة وهذه السورة وقال: أخلط الطيب بالطيب. فقال (عليه السلام): إقرأ السورة على نحوها. ثم قال: مثل بلال كمثل نحلة غدت تأكل من الحلو والمر ثم يمسي حلواً كله[1].

النحلة مأمورة بذلك. وجعل الحلو والمر رزقاً لها. فإن في الحلو شفاء وداء، وفي المر شفاء وداء، فأمرت بالجمع بين ذلك؛ ليكون الداء بالشفاء والشفاء بالداء فيعتدل فلا يضره ويكون شفاء. قال الله تعالى: ﴿ **وأوحى ربك إلى النحل...** ﴾[2].

فذللت لله تعالى مطيعة، فاتخذت بيوتاً من الأماكن التي تسير إليها، واتبعت رزقها من حيث ذكر لها. فالمر من الثمار كريه على كل دابة ونفس. لكن النحلة كما سخرت للآدمي فذلت وإنقادت، كذلك

(١) الحديث رواه الطبراني في الأوسط بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ــ وقال صاحب مجمع الزوائد: اسناده حسن

(٢) سورة النحل آية رقم ٦٨.

فيما صرفت إليها من الرزق سخرت لأكلها، حلواً كان أو مراً. وقد نجد الدواب في مرعاهن يتقين كثيراً من الكلاء ونبات الأرض فلا يقربن. وذوات الأجنحة يتقين كثيراً من الثمار فلا يقربنه. وسخرت النحلة لأكل كل الثمرات حلوها ومرها، ومحبوبها ومكروهها. واتخذت النحل بيوتاً بما أوحي إليها لتكون أوعية لما يجعل الله تعالى في مأكولها من الشفاء للآدميين. ولولا تلك البيوت لكان الذي يخرج منها يذهب فساداً. فهذه البيوت وإن كانت مساكنها، فهي للعسل ولأمر الله تعالى. وسائر الهوام والدواب والطيور تتخذ المأوى والأوكار لقرارها. ثم أمرها الله تعالى أن تأكل من كل الثمرات، فإن لكل ثمرة نفعاً. فإذا أكلت من الكل، فقد جمعت النفع كله في أكلها. وإذا تركت شهوتها، استوى عندها محبوب الثمار ومكروهها لما ذلت لأمر الله تعالى. وصار هذا الأكل لله تعالى لا لنفسها. إذ لو آثرت المحبوب على المكروه، لكان أكلها لنفسها. فلما ذللت له (عز وجل) في أكل الثمرات فيما وافقته وفيما لم توافقه، صار ذلك شفاء بمنزلة الأدوية، يخلط من كل نوع. فإذا ذلت النفس، ذهبت الكراهة، وانتظمت الطاعة في أكلها لله تعالى، لا لنفسها، وحسب شهوتها ونهمتها، صار ما في جوفها من المأكول حلواً، وصار شفاء لأسقام الآدميين. ألا ترى أن البقرة صار لبنها شفاء ولحمها داء لأنها تأكل من كل الشجر!

قال (عليه السلام): « عليكم بألبان البقر فإنها ترم »[1]. أي تأكل من كل الشجر.

وقال (عليه السلام): « لبنها دواء وسمنها شفاء ولحمها داء »[2]

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٤ : ٣١٥ ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا سفيان عن يزيد أبي خالد عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن النبي ﷺ قال: إن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء: وذكره.

(٢) الحديث رواه الحاكم عن أبي مسعود مرفوعاً قال في الأصل، وكتبت فيه جزءاً قال في

إنما صار لبنها دواء لأنها تأكل من كل شجر. وصار لحمها داء لأنها تأكل بالنهمة لأنها جعمة. ولهذا ترعى من كل الشجر حلوه ومره لجعامتها؛ لأنها ذللت لله تعالى بأمر ربها كالنحل. فإنها لم يلق إليها ما ألقي إلى النحل إلهاماً من الله تعالى. ولهذا ترعى من المزابل وترتع من القاذورات لجعامتها. فصارت لحمها داء. واللبن الذي حدث عن أخلاط الشجر دواء للنهمة عليها صارت لحمانها منزوعة البركة. وكل شيء لا يبارك فيه فهو داء في الدنيا والآخرة. فأما النحلة ذلت بالهام الله تعالى، وأكلت من الحلو والمر لله تعالى، فصار ما في جوفها شفاء. ولهذا نهى (عليه السلام) عن قتل النحلة لأن في خلقها جوهراً يتقدم الجواهر، وقد شرحناه فيما قبله. وثمرة هذه الآية لمن صفا فكره فيها أن الله يعلمك أن النحلة التي سخرتها لك ذلت لي فاستوى عندها في المطعم محبوبها ومكروهها، وتركت نهمتها وشهوتها، فجعلت ما في بطنها حلوها ومرها حلواً كله، وجعلته شفاء من الأسقام. فكيف بالآدمي المسخر له إذا ذلت نفسه لي فتركت نهمتها وشهوتها رياضة لها، حتى إستوي عندها المكروه والمحبوب من أحوالها، ويصير ذلك المكروه كله عنده حلواً محبوباً، يكون كلامه شفاء للمذنبين، وأفعاله شفاء للناظرين إليه من المعاصي، ورؤيته حياة قلوبهم.

وأما تمثيل فعل بلال (رضي الله عنه) بالنحلة، أنه إذا قرأ قصد آيات الرحمة وصفات الجنة فيتلوها نظاماً. وإنما يتصد من القرآن ما طيب نفسه. فأمره (عليه السلام) أن يقرأ السورة على نحوها كما

= التمييز: وتساهل الحاكم في تصحيحه، وقد ضحى النبي ﷺ عن نسائه بالبقر، وكأنه لعدم تيسر غيره أو لبيان الجواز، وإلا فهو لا يتقرب الى الله بالداء، وقيل إنما خصص ذلك بالبقر في الحجار ليبسه وييوسة لحم البقر ورطوبة ألبانها وسمنها واستحسن هذا. ورواه أبو نعيم وابن السنى عن صهيب بلفظ: عليكم بألبان البقر فإنها شفاء وسمنها دواء. ولحمها داء.

جاءت ممزوجة. والله تعالى أعلم بدواء العباد وحاجتهم، إذ لو شاء لصنفها أصنافاً، كل صنف على حدة. لكنه مزجها ليعمل على القلوب على المزاج، ولا يفهم نظامه إلا الأنبياء والأولياء (عليهم السلام). وحرام على قلوب التفتت إلى أحوال النفس، أو حجبت عقولها عنه لشهوة أن تفهم نظامه. فنظامه في جميع كلامه نظام يعجز عنه الواصف والمفكر. ومن هذا النظام تخرج اللطائف. وكان بلال (رضي الله عنه) عجز عن إدراكه، فقصد ما تطيب به النفوس من آيات الرحمة، فأمره النبي (عليه السلام) أن يقرأ على نظام رب العزة. وهو أعلم بالشفاء، فانه سماه شفاء لما في الصدور. فإن في الصدور داء النفوس، وهي الشهوات. وإذا جاءت مواعظ الله تعالى، جاءت بالشفاء معها فذهب الداء. ثم مثل شأن بلال (رضي الله عنه) بالنحلة تغدو فتأكل حلواً ومراً، ثم يمسي كلها حلواً، فكذلك المؤمن يتلو آية الوعد فيسر قلبه، ثم يتلو آية الوعيد فينكسر قلبه، فهو بين خوف ورجاء، فهذا حلو وذاك مر. ثم يطمئن إلى رحمة الله تعالى وإلى معرفته بربه فيصير حلواً كله. قال الله تعالى: ﴿ **تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله...** ﴾[1].

اقشعرت الجلود من هول الوعيد الذي حل بقلوبهم، فهذه مرارة. ثم اطمأنت جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله تعالى بما عرفوه كريماً رحيماً سمحاً جواداً ودوداً رؤوفاً فطابت نفوسهم ولانت جلودهم. فإذا تلا وعده، رجا. وإذا تلا وعيده، خاف. ثم التوحيد لا يدعه حتى يجذب قلبه إلى ربه تعالى، فيطمئن إلى عطفه. فشبهه بالنحلة تأكل حلواً ومراً، ثم أمسى فعاد كله حلواً.

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٢٣.

الأصل الرابع والتسعون والمائة

في سر دعوات نبوية

عن أبي بكر (رضي الله عنه) قال: قلت: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به. قال: قل: « اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم »[1].

قد اعترف بالظلم، ثم إلتجأ إليه التجاء مضطر لا يجد لذنبه ساتراً غيره. ثم سأله المغفرة من عنده، وإن كان الأشياء كلها من عند الله تعالى، إلا أن لله تعالى رحمة قد عمت الخلق في أرزاقهم ومعاشهم وأحوالهم. ثم له رحمة الإيمان خص بها المؤمنين، وله رحمة الطاعة قد خص بها المتقين، وله رحمة قد خص بها الأولياء، فبها نالوا الولاية. قال الله تعالى: ﴿ **والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند**

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ٩٧، ٣٥٣١ عن أبي الخير عن عبدالله بن عمرو عن أبي بكر الصديق أنه قال لرسول الله ﷺ علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: قل: وذكره. ورواه البخاري في الآذان ١٤٩ والتوحيد ٩ والدعوات ١٦ ومسلم في الذكر ٤٧، ٤٨ والحدود ٢٣ وابن ماجة في الدعاء، والنسائي في السهو ٥٩.

ربنا... ﴾[1] إلى أن قال: ﴿ ... **وهب لنا من لدنك رحمة...** ﴾[2].

وله رحمة قد خص بها الأنبياء (عليهم السلام). فبها نالوا النبوة. قال الله تعالى: ﴿ **ووهبنا لهم من رحمتنا...** ﴾[3] سألوه رحمة من عنده.

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٧.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٨.

(٣) سورة مريم آية رقم ٥٠ وتكملة الآية﴿ **وجعلنا لهم لسان صدق عليا** ﴾.

الأصل الخامس والتسعون والمائة

في سر قوله تعالى:
﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾[1]

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قرأ رسول الله ﷺ **﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾**.

فقال (عليه السلام): قال ربكم (جل وعز): أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي اله. فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً، كان أهلاً أن أغفر له[2]. وفي رواية أخرى: أنا أهل أن أغفر له.

فالعبد إذا اتقى أن يجعل معه إلهاً آخر، فربنا أهل لذلك؛ لأنه لا إله غيره. فهو أهل أن يتقي دعوى الشرك لأحد في ربوبيته وإلهيته. ولو أشرك به لفعل محالاً لا يكون وليس بكائن. فمن اتقى، كان أهلاً أن يستر عليه ذنوبه وعيوبه ويقيه ظلمة النار وحرها. قال تعالى:

---

(١) سورة المدثر آية رقم ٥٦.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٤٢٩٩ ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قرأ أو تلا هذا الآية وذكره ورواه أيضاً عن ثابت عن أنس بالرواية الأخرى.

﴿ **وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾[1].

وفي الرواية الأخرى: « فأنا أهل أن أغفر له ». ومعناه أغفر لمن وحدني واتقى أن يجعل معي إلهاً. وهذا رد على من قال: إن أهل التوحيد يبقى في النار أبداً، وما أتى من لفظ الخلد أراد به طول المكث. قال الله تعالى: ﴿ **أخلد إلى الأرض** ﴾[2]. أي أبطأ عن الآخرة إليها.

وقال (عليه السلام): « خيرني ربي بين لقائه وبين الخلد في الدنيا فاخترت لقاء ربي » . ولا شك أن الخلد في الدنيا لا يكون أبداً.

قال رسول الله ﷺ: قال الله (عز وجل):
إني لأجدني أستحيي من عبدي يرفع يديه ثم أردهما.
قالت الملائكة: إلهنا ليس لذلك بأهل.
قال الله تعالى: « لكني أهل التقوى وأهل المغفرة. أشهدكم أني غفرت له »[3].

---

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٦.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٧٦.

(٣) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الدعاء ومختصراً بسنده عن سلمان عن النبي ــ ﷺ ورواه أبو داود في الوتر ٢٣ والترمذي في الدعوات ١٠٤ واحمد بن حنبل في المسند ٥: ٤٣٨ (حلبي) ٦: ٣١٤ (حلبي)

الأصل السادس والتسعون والمائة

في ديدان القراء. والتمسك بالسنة

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « يكون في آخر الزمان ديدان القراء. فمن أدرك ذلك فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومنهم. وهو الأنتنون. ثم تظهر قلانس البرود، فلا يستحيي يومئذ من الرياء. والمتمسك يومئذ بدينه كالقابض على جمرة. والمتمسك بدينه أجره كأجر خمسين »[1]. قالوا: أمنا أو منهم؟ قال: بل منكم.

وفي رواية ابن مسعود (رضي الله عنه): قال (عليه السلام): « يأتي على الناس زمان المتمسك فيه بسنتي عند اختلاف أمتي كالقابض على الجمر »[2].

---

(١) لم يذكر هذا الحديث بهذا اللفظ في الصحاح ولا في السنن ولم يشر اليه صاحب مجمع الزوائد، ولا صاحب الجامع الصغير.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب الفتن باب ٧٣، ٢٢٦٠ عن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وعمر بن شاكر شيخ بصري قد روي عنه غير واحد من أهل العلم. ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٩٠ حدثنا يحيى ابن اسحاق ثنا ابن لهيعة عن أبي يونس عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. =

القراء على ثلاثة أنواع: ديدان القراء، والصادقون، والصديقون. فأما ديدان القراء فهم الذين تنسّكوا في ظاهر الأحوال تصنّعاً ليأكلوا به الدنيا، قد رموا أبصارهم إلى الأرض، ومدوا بأعناقهم تيهاً، وتكبروا إعجاباً بظاهر أحوالهم. يقصرون الخطأ ويتماوتون، وينظرون إلى أهل الذنوب بعين الإزدراء حقارة لهم وعجباً بأنفسهم. أعطوا القوة على لبس الخشن، والصبر على ترك ملاذ الدنيا وشهواتها، وسخت نفوسهم بترك جميع اللذات في جنب لذة ثناء الخلق عليهم، والتعظيم لهم، والنظر إليهم بعين الإجلال. وسولت لهم نفوسهم أنه إنما تنال الرفعة العظمى عند الخلق بترك ظاهر الدنيا ولذاتها، حتى تنال ملكاً بلا سلاح، وجنداً بلا إرتزاق، وغنى بلا خزانة، وعبيد بلا ملك. فسبت قلوبهم بما مناهم، فأقبلوا على ترك الدنيا وذمها وذم من تناولها، والطعن على من وسم بالغنى من أئمة أصحاب رسول الله ﷺ. حتى أداهم جهلهم إلى أن خرجوا على من وسع عليه هذه الدنيا من الرسل (عليهم السلام) طعناً ورمياً. فمرقوا من الدين، وعظم شأن هؤلاء في أعين الخلق حين تركوا هذا الحطام، وكبر في صدورهم ذلك، وحسبوا أنه لم يبق وراء هذا شيء. وإن هذا عبد قد بلغ الغاية، ولا يعلمون أنه ترك شيئاً قليلاً مما لا يزن جميع ذلك عند الله تعالى جناح بعوضة. قد تركوا الدنيا من حيث يظهر للخلق، وأخذوها من حيث يخفى عليهم. اتخذوها بتركها في الظاهر، واكتسبوا عند الخلق منزلة. نالوا في الباطن بتلك المنزلة أوفر مما تركوها، وأسهل مما تناولوها، يزرون على أهل الغنى، ويجفون أهل الذنب، ويشمئزون عن مخالطة العامة، العبوس في وجوههم، والتماوت في أركانهم، وعجب النفس في صدورهم، وسوء الخلق في أفعالهم، وضيق الصدر في عشرتهم، الواحد منهم في نفسه أعظم من

= وفيه زيادة [ويل للعرب من شر قد اقترب فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ببيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل] وذكره.

ملء بلدته رجالاً، يهابهم الناس هيبة سوء الخلق لا هيبة الحق والخشية. هم الأنتنون لأنهم في نتن من الأمور، ودناءة. وصدورهم أنتن من أمورهم؛ لأنهم يموتون على الدنيا عشقاً. همتهم هواهم، ودينهم مناهم، وتبعهم غواة. وهم من الصدق عراة. قد ملكوا القلوب بتصنعهم وريائهم. وهجروا الخلق من أجل دنياهم. كأنهم يقولون: ضعوها حتى نرفعها، وتخلوا عنها حتى نملكها.

روي في الخبر أن الله تعالى يقول لتارك الدنيا: زهدت في الدنيا راحة تعجلتها. ويقول للعابد: عبدتني فحملك العباد فوق رؤوسهم، هل فيّ ولياً، أو عاديت فيّ عدواً، وعزتي لا ينال رحمتي من لم يوال فيّ ولم يعاد فيّ.

وصنف آخر تصنعوا للخلق بزي أهل المسكنة والفقر من حسن اللابس، وطول القلانس، وطرة اللحى وصف الشوارب ليتمكنوا في صدور المجالس، وليستدروا الحطام من الشياطين والأبالس.

فالمتمسك بسنة رسول الله ﷺ عند ظهور هذا كالقابض على الجمر؛ لأن هذين الصنفين قد تمكنوا من صدور الخلق لغلبة الجهل. فهم المقتدي بهم، والمنظور إليهم. فهم عند الخلق علماء، وفي الملكوت جهال.

قال (عليه السلام): إن الله لا يقبض العلم ينتزعه إنتزاعاً من قلوب الناس. ولكن يقبض العلماء. فإذا ماتوا، إتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا[1].

(١) الحديث رواه الامام البخاري في كتاب العلم ٣٤ باب كيف يقبض العلم ١٠٠ ــ عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره. وفيه زيادة، ورواه الامام مسلم في كتاب العلم ١٣ والترمذي في العلم ٥ وابن ماجة في المقدمة ٨، والدارمي في المقدمة ٢٦ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٦٢، ١٩٠ (حلبي).

فمن تمسك بالسنة بين ظهرانيهم ــ بعد تمكنهم من الرياسة ونفاذ القول فيهم ــ فقد هتك سترهم، وكشف عورتهم، وأبان كذبهم، وحط رياستهم، وقطع مآكلهم. وقد بارزهم بالمحاربة وهم يستعدون لمحاربته، ينتقصونه ويطلبون الغوايل منه. فصارت مؤنتهم عليه أعظم من مؤنة محاربة الكافرين؛ لأن الكافر لا حرمة له. والقلب والأركان قد تعاونوا عليه في إهلاكه. وهذا معه حرمة الإيمان، فاحتجت إلى أن تداريه وتداهنه وتلاطفه وترفق به، وتراقب الله تعالى في شأنه، وتحتمل أذاه، وتحفظ جوارحك حتى لا تعتدي، وقلبك حتى لا يجور، وهمك فيه حتى لا يغش، وتنتظر الفرج من خالقك، وترى تدبيره فيه وفيك. فلذلك شبهه بالقابض على الجمر؛ لأن الجمر يحرق اليد، وهذا يحرق القلب والكبد من تغييره الحق عن جهته، واغترار الخلق به، وتحتاج أن تعاشره معاشرة يسلم إيمانك وإيمانه، وتذب عن الحق الذي به ألف الله تعالى العباد وجمعهم عليه ذباً لا يدخل عليه من ناحية أخرى بما يؤذيه ويثلمه، وتحفظ قلبك مع الله تعالى في هذه الأحوال؛ لأن هذا المسكين قد غلب عليه سكرتان: سكرة الجهل، وسكرة حب الدنيا. وخطاب السكارى على سبيل العدل والإنصاف أمر من الصبر وأشد من القبض على الجمر.

قال رسول الله ﷺ لأصحابه: « أنتم اليوم على بينة من ربكم، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتجاهدون في سبيل الله، ثم تظهر فيكم سكرتان: سكرة العيش، وسكرة الجهل. وستحولون إلى غير ذلك. يفشو فيكم حب الدنيا. فإذا كنتم كذلك لم تأمروا بمعروف، ولم تنهوا عن منكر، ولم تجاهدوا في سبيل الله. والقائمون يومئذ بالكتاب والسنة في السر والعلانية السابقون الأولون »[1].

---

(١) هذا الحديث له ما يؤيده في كتب الصحاح والسنن ولعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر.

هذا شأن ديدان القراء.

وأما الصادقون فهم قوم تابوا صدقاً فتاب الله عليهم فأعطاهم نوراً، قذفه في قلوبهم، فشرح صدورهم من الذي أشرق في قلوبهم، وبرد وهج حر نفوسهم، وسكن غليان شهواتهم فأقبلوا على تصحيح أمورهم فيما بينهم وبين الله تعالى، وعن التخلي عن كل ما نهي الله عنه، دق أو جل، وجاهدوا أنفسهم في ذات الله تعالى حق جهاده. فلم يزل هذا دأب أحدهم، يجاهد نفسه في شأن الاستقامة لله تعالى على سبيل الطاعة، ويأتيه المدد من الله تعالى نوراً على نور حتى قوي على ترك كثير من الحلال تحصناً مما نهي الله تعالى عنه، حتى دق نظره في الأشياء. وورعه عن دقيق الأمور التي يخاف منها غداً، فثبت على ذلك يرجو الثواب ويخاف العقاب، ويطلب الخلاص في الإتيان بما أمر والتناهي عن كل ما نهي، ويعلم أنه لا يثاب غداً إلا على الصدق، مشغول بنفسه لا يتفرغ لغيره، فيعيبه أو يزري عليه في ريبه، قد أوثقه خوفه من الله تعالى وثاقاً شغله عن جميع الخلق برعاية هذه الجوارح السبع التي وكل برعايتهن، وأخذ عليه العهد والميثاق فيهن، يطلب إلى الله تعالى فكاكهن مما انفلق به من الأعمال السيئة والعون على رعايته إياهن فيما بقي من عمره، المأتم نهاره، والنوح ليله، والصلاة نحلته، والصوم عادته. وكل ما شغله عن أمره فالهرب منه عزيمة قد تحصن من الخلق بعزلته، وباينهم بهمته، مبتهلاً إلى الله تعالى في طلب المغفرة لجماعته وأهل ملته. وهو على مثل هذا الحال يطلب معيشته، ويقوت عياله، ويحسن إليهم، ويعطف عليهم. فإن كان عنده سعة، أنفق من سعته. وألا يجري من وجوه المكاسب أسلمها وأحمدها عقبي، وجد فيه واجتهد حفظاً للجوارح في طلبها، وأداء الأمانة، وإنصاف الخلق في تناولها، واجتزاء باليسير لنفسه، وسعة على عياله، وعفة عن المطامع الخبيثة، ونزاهة عن شبهات الدنيا والمكاسب الرديئة، وصيانة لوجهه ودينه عن المعايش الشائنة لدينه. وكان في طلبها كالمضطر

الذي لا يجد عنه مندوحة ليطلبها على خطر وحذر مخافة أن تدعوه نفسه إلى فتنة وبلية. ويقصد بذلك أن تطمئن نفسه. كما قال سلمان (رضي الله عنه): النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت. يطلبها على أحسن هيئة وأجمل طلب مع قلب واثق بالله تعالى في رزقه، ونفس قنعة لم يفتنها حرصها حتى يدعوها إلى تناول شبهة أو طلب رخصة. قال الله تعالى: ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله...** ﴾[1].

فهؤلاء هم المقتصدون أهل الاستقامة. أعينهم مادة إلى الثواب، والتفاتهم إلى أعمالهم، عليها يعتمدون، وبها يدلون، وفيها يفكرون، وعليها ينطقون، وإياها يطلبون. حتى إذا وردوا عرصة القيامة وانكشف الغطاء، صارت رؤوسهم بين أرجلهم من الحياء. فلولا رحمة الله تعالى التي قد شملتهم من الدنيا إلى ذلك الموقف، لكانوا من الهالكين.

وأما الصديقون. فقَوْمٌ فتح لهم الطريق إلى الله تعالى، فمروا إليه لا يعرجون على شيء، ولا يلتفتون إلى جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب. حتى وصلوا إلى الباب، فما زالوا إلى بابه يرفعون إليه شكواهم، حتى فتح لهم، وأشرق على قلوبهم بنور جلاله، فشغفوا به، وشغلوا عن كل شيء سواه، فوقفوا بين يديه للعبودة صدقاً، وفوضوا إليه أمورهم، وائتمنوا على نفوسهم، وآثروا مختاره كيف ما دبر لهم واختار. رضوا عن الله تعالى في الأحوال، ورضي الله عنهم (عز وجل) في الأمور، يقبلون النعمة منه، ويتلقون أوامره ونواهيه بالبشاشة والسماحة، يراقبون أمره، ويقفون عند حكمه، وهم مع الله تعالى في كل أمر وحال. فسلطان الله على قلوبهم قد أمات من نفوسهم الشهوات، فلا يخافون من خيانة النفس وخروجها عليهم من مكامنها. كما قال (عليه السلام):

---

(١) سورة النور آية رقم ٣٧.

« ما لقي الشيطان عمر إلا خر لوجهه. وما سمع حسه إلا فر »[1].

فهؤلاء أهل اليقين. وهم السابقون المقربون. ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. والله ذو الفضل العظيم** ﴾[2].

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير في ترجمة سديسة من طريق الأوزاعي عنها ولا نعلم الأوزاعي سمع أحداً من الصحابة، ورواه في الأوسط عن الأوزاعي عن سالم عن سديسة.
قال صاحب الزوائد: وهو الصواب، واسناده حسن إلا أن عبد الرحمن بن الفضل بن موفق لم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.

(٢) سورة الحديد آية رقم ٢١ وقد جاءت الآية في المطبوعة محرفة.

الأصل السابع والتسعون والمائة

في شرف الخبز وقوام الروح

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ فرأى كسيرة ملقاة، فمشى إليها فمسحها وقال: يا عائشة: أحسني جوار نعم الله. فإنها قل ما نفرت عن أهل بيت فكادت ترجع إليهم[1].

الخبز غذاء الجسد. والغذاء قوام الروح. وقد جعل الله تعالى الخبز أشرف الأرزاق.

قال (عليه السلام): « أكرموا الخبز فإن الله (عز وجل) أنزله من بركات السماء، وأخرج له من بركات الأرض »[2].

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الأطعمة ٥٢ باب النهي عن القاء الطعام ٣٣٥٣ ــ ثنا الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: وذكره في الزوائد: في اسناده الوليد بن محمد، وهو ضعيف.

قال السندي: قلت أشار الدميري إلى أنه متهم بالوضع.

(٢) قال في الأصل: رواه البغوي في معجم الصحابة وعنه المخلص من حديث عبدالله بن زيد عن أبيه مرفوعاً بزيادة كما هو في المترجم، وكذا هو عند أبي نعيم عن عبدالله بن أم حرام الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ. وذكره، ورواه البزار والطبراني وغيرهما من حديث أبي سكينة بزيادة: ومن يتبع ما يسقط من السفر غفر له، وعزاه في الجامع الكبير =

فاكرامه أن لا يوطأ ولا يطرح. فإذا رمي به أو طرحه مطرح الرفض والهوان، كان قد كفر النعمة وجفاها. وفي سعة الرزق قوة عظيمة على الدين. فإذا جفاها صيرت للنعمة العظمى نفرة. وإذا نفرت، لم تكد ترجع لأنها قد وسمتهم بالجفاء.

وقال بعض التابعين: الدنيا ظئر والآخرة أم. ولكل يتبعها بنوها. فإذا جفوت الظئر، نفرت وأعرضت. وإذا جفوت الأم، عطفت. لأن الظئر ليس لها عطف الأمهات. وهذه النعمة تخرج من هذه الأرض المسخرة هي بمنزلة الظئر تربيك.

= للطبراني عن عبدالله بن أم حرام بلفظ (أكرموا الخبز فإنه من بركات السماء والأرض). قال في الأصل: وكل هذه الطرق ضعيفة مضطربة وبعضها أشد ضعفاً من بعضه، وله طرق أيضاً كذلك منها ما رواه ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب من طريق ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: ولا أعرفه إلا رفعه بلفظ « اكرموا الخبز ».

الأصل الثامن والتسعون والمائة

في أن المؤمن يبلى ويصفى

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « مَثَلُ المَرِيضِ إِذَا بَرِئَ وَصَحَّ مِنْ مَرَضِه كَمَثَلِ البَرْدَةِ تَقَعُ مِنَ السَّماءِ فِي صَفَائِهَا وَلَوْنِهَا »[1].

يقدم الله تعالى إلى العباد أن يحفظوا جوارحهم من أن يتدنسوا ليصلحوا لدار القدس في جوار القدوس، فتركوا الرعاية وضيعوا الحفظ، فتدنسوا وتوسخوا. فدلهم على أن يتطهروا بالتوبة. فلم يفعلوا لأنهم تابوا من البعض، وأصروا على البعض على الجهد من نفوسهم الشهوانية. ثم دعاهم إلى هذه الفرائض. مثل الصلاة والزكاة والحج وصوم رمضان؛ ليتطهروا بها. قال تعالى في شأن الصلاة: ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات...** ﴾[2].

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الطب باب ٣٤ التداوي بالرماد ٢٠٨٦ أخبرنا الوليد بن محمد الموقري عن الزهري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. مع تغيير في بعض الألفاظ.

(٢) سورة هود آية رقم ١١٤ وقد جاءت هذه الآية محرفة في المطبوعة.

وقال في الزكاة: ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها...** ﴾[1].

وقال في الحج: ﴿ **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه. ومن تأخر فلا إثم عليه...** ﴾[2] أي مغفوراً له.

وقال (عليه السلام): « الصَّوْمُ جُنَّةٌ »[3].

فدلهم على هذه الفرائض ليتطهروا بها. خلطوها وغشوها، وأدوها مع النقصان والوسوسة والمكاسب الرديئة.

فلم يك هذا مما يطهرهم. إذ لا تطهر النجاسة بالنجاسة. ولا ينفى الوسخ بالوسخ. فلما رأى الله تعالى حالهم هذه وأنهم قد توسخوا وتدنسوا وكدرت طينتهم، فأبى أن يضيعهم، وقد اكتنفتهم رحمته فداواهم بهذه الأسقام، ليمحصهم ويطهرهم، ثم يداويهم ويشفيهم. كما تداوي الشفيقة من الأمهات لولدها بمر الأدوية البشعة لما تأمل من شفائه عن سقمه. فسلط الله تعالى عليهم الأسقام حتى إذا تمت مدة

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١٠٣.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٠٣.

(٣) هذا جزء من حديث طويل رواه الترمذي في كتاب الايمان باب ٨ ما جاء في حرمة الصلاة ٢٦١٦ ــ عن معمر عن عاصم بن أبي الجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال: لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير: وذكره.

ورواه البخاري في كتاب الصوم ٢ وكتاب التوحيد ٣٥ ومسلم في كتاب الصيام ١٦٢، ١٦٣ وأبو داود في الصوم ٢٥ والنسائي في الصيام ٤٢، ٤٣ وابن ماجة في الصيام ١ والزهد ٢٢ والفتن ١٢ والدارمي في الصوم ٢٧، ٥٠ وصاحب الموطأ ٥٧ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ١٩٥، ١٩٦، ٢ : ٢٥٧، ٢٧٣، ٣٠٦ (حلبي).

التمحيص خرج منها كالبردة في الصفاء في القلب واللون في الوجه طلاوة وحلاوة.

قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: ابتلي عبدي المؤمن. فإن لم يشكني إلى عواده، أطلقته من أساري، ثم أبدلته لحماً هو خير من لحمه، ودماً هو خير من دمه. ثم ليأتنف العمل[1].

وشتان بين ما داويت بالفرائض جوارحك، وبين ما داواك ربك. فدواؤك قل ما يخلو من العجب والرياء والتخليط والشبه. وما داواك لا رياء فيه، ولا عجب، ولا صلف، ولا تخليط. وإنما هي أسقام حل بلحمك ودمك ومخك وقواك ليأخذها ويبدلك خيراً منها. أو يقبضك إليه طاهراً. حتى إذا وصلت إلى العرصة، واضطررت إلى الجواز على الصراط إلى دار الله، وجدتك النار قد تطهرت إما بالتوبة، أو بالفرائض، أو بالأسقام والمصائب التي احتسبتها وصبرت عليها، فطهرك وأعطاك ثواب الصابرين. وإن حمدته، كتبك من الحامدين، وقدم عليه بغير تمحيص مع دنس المعاصي وأوساخها. فالنار بالمرصاد قد أعدت منتقمة من الأعداء، ومطهرة للموحدين. فإذا مر عليها، أخذت في الممر من جوارحه تلك الأدناس، فتأكل من لحمه ودمه، ثم يبدل لحماً طرياً وجسداً يصلح لدار السلام.

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أنه وضع يده على رسول الله ﷺ وبه حمى فوجدها من فوق اللحاف. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ!

---

(١) الحديث رواه صاحب الموطأ في كتاب العين ٣ ما جاء في أجر المريض حدثني عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء ين يسار أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

فقال (عليه السلام): إنا كَذَلِكَ. يَشْتَدُّ عَلَيْنَا البَلاَءُ وَيُضَاعَفُ لَنَا الأَجْرُ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟

قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ.

قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: الصَّالِحونَ. إِنْ كَانَ الرَّجلُ لَيُبْتَلَى بِالْفِقْر حَتَّى مَا يَجدُ إِلاَّ العَبَاءَة يُحَوِّهَا. وإن كان الرجل ليبتلى بالقملة حتى تقتله. وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُم لَيَفْرَحُ بِالْبَلاءِ كَمَا يَفْرحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ[1].

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الفتن ٢٣ باب الصبر على البلاء ٢٠٢٤ ــ عن عطاء ابن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك ــ فوجدت حره بين يدي وذكره.

في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

الأصل التاسع والتسعون والمائة

في تخير المغبون

عن علي (كرم الله وجهه) قال: قال رسول الله ﷺ: المغبون لا محمود ولا مأجور. إذا استرسل في وقت المبالغة فاشترى فغبن، لم يقع عند البائع موقع المعروف فيحمد، ولا يحتسب بما زاد على قيمته ليسر فيؤجر[1].

فالكيس يماكس مستقصياً، ولا يخرج ماله الذي ائتمن عليه وجعل قواماً له باطلاً بلا حمد ولا أجر. وفي المكاس شرائط. وهو أن يحفظ لسانه وأمانته وعهده. يماكس لا لحرص على الدنيا ولا رغبة فيها. وهو مع ذلك حافظ لدينه ودين صاحبه، لئلا يأثم أو يؤثم.

روي أن رسول الله ﷺ مر برجلين يتبايعان، وأحدهما يقول للآخر: لا أعطيك. وقال الآخر: لا أزيدك. فمر الرجل بالسلعة قد اشتراها.

---

(١) الحديث رواه الخطيب في التاريخ عن علي ــ كرم الله وجهه ورواه الطبراني عن ابي عمر ــ رضي الله عنهما، ورواه أبو يعلى في مسنده عن الحسين والسيوطي في الجامع الصغير وأشار الى الحديث بالضعف

فقال (عليه السلام): قد وجب إثم أحدهما. وساوم معاذ (رضي الله عنه) رجلاً سلعة، فقال: لا أعطيك. فانصرف معاذ. ثم دعاه فقال: هل لك فيه؟ قال: لا، إني أكره أن أعينك على إثم.

الأصل المائتان

فيما يقال عند إهلال الهلال

عن طلحة بن عبدالله (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال: اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله.

وفي رواية أخرى: قال: إلهي وإلهك وربي وربك الله، الحمد لله الذي سخرك لنا[1].

اليمن السعادة. والإيمان الطمأنينة بالله تعالى. كأنه سأله دوامها. والسلامة والإسلام أن يدوم له الإسلام، ويسلم له شهره.

وقوله: « ربي وربك الله »، فإن من الناس من كان يسجد للشمس والقمر دون الله تعالى. فقال تعالى: ﴿ **لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن...** ﴾[2].

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ٥١ ما يقول عند رؤية الهلال ٣٤٥١ ــ حدثنا سليمان بن سفيان المديني، حدثني بلال بن يحيى بن طلحة بن عبيدالله عن أبيه عن جده طلحة بن عبيدالله أن النبي ﷺ قال: وذكره. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) سورة فصلت آية رقم ٣٧.

وقوله: « الحمد لله الذي سخرك لنا » فخاطبه أن الإله إليه الربوبية، وهو الملك له، وأنت مسخر لنا. يحمده على تسخيره إياه شكراً له. فقد سخره ليضيء لأهل الأرض. وقدره منازل ليعلم عدد السنين والحساب. ويكون معلم مواقيت حجنا وديوننا وعدد نسائنا. وعند مستهل كل شهر حكم وأمر معلوم. والله تعالى أعلم بالصواب.

الأصل الحادي والمائتان

في الحسنة الحديثة والذنب القديم

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: لم أر شيئاً أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم. إن الحسنات يذهبن السيئات. ذلك ذكرى للذاكرين[1].

الحسنة نور، والسيئة ظلمة. فإدراك النور الظلمة سريع. لأن الحسنة نور مبتدأة من نور الإيمان. والإيمان هدى الله. فبنور الإيمان يحسن طلبه. وبقوة هدى الله تعالى يسرع إدراكه.

فلما كان في الحسنة نور ربه، كان هادي الحسنة حتى يلحق السيئة بسرعة ومركب الحسنة، فإن مركب الحسنة نيته. والنية من نور التوحيد. فمن كان مركبه نور التوحيد، فلحاقه بمن يطلب سريع في أسرع من الطرف. فطلبه أحسن طلب؛ لأن معه هداه. ومن ولى الله هداه، فهداه في لحظة أو أسرع. ومن ولي الله إبلاغه، فدركه في أسرع من الطرفة. والقديم والحديث عند الله بمنزلة. وإنما يتفاوت هذا عند الآدمي، وسائر المخلوقين. ولأن السيئة قد تقدمت في الصحيفة موضع

---

(١) سورة هود آية رقم ١١٤.

تخليطها منذ أعوام كثيرة. والحسنة الحديثة لذلك الذنب هي التوبة. وهي طالبة لموضعها من الصحيفة أحسن طلب وأسرع إدراك، حتى تصير مكتوبة تحت السيئة أنه تاب. ثم تضيء تلك الحسنة في مكانها، حتى تعلو الظلمة التي على السيئة.

وفي الخبر أنه إذا تناول العبد الصحيفة يوم القيامة، أعطي منها ما يلي السيئات. فيجد تحت كل سيئة مكتوبة تاب، وتلك حسنة تضيء بمكانها فتستر على السيئة، فيقرأها العبد. فربما أتى العبد على عظيمة يشتد عليه النظر إليها، فتدركه رحمة من ربه في ذلك المكان فتستر عليه تلك العظيمة. ويقال له: جاوزها. لأنه قد كان دعاه أيام الحياة بأحسن التجاوز. فاذا انتهي إلى آخرها، غفر له ما فيها. فيصير جميع ما فيها بياضاً؛ لأن التوبة قد علت السيئة بضوئها. ثم يقلب الصحيفة فيقرأ الحسنات. والخلق ينظرون إلى صحيفته حسنات. فإذا قلبها، نظروا إلى الوجه الآخر فرأوها قد علت بضوئها، فيقولون: طوبى لهذا العبد، لم يذنب ذنباً قط، فقبل حسناته، فعند ذلك ينادى: ﴿ **هاؤم إقرءوا كتابيه**... ﴾[1] الآية.

---

(١) سورة الجاثية آية رقم ١٩.

الأصل الثاني والمائتان

في أن عرامة الصبي من ذكاة فؤاده

عن عمرو بن معد يكرب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « عرامة الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره »[1].

العرم المنكر. وصار ذلك من ذكاوة فؤاده وحرارة رأسه. والناس يتفاضلون في أصل البنية في الفطنة والكياسة والحظ من العقل.

والعقل على ضربين: ضرب منه يبصر أمر دنياه، وهو من نور الروح، وهو موجود في عامة ولد آدم (عليه السلام) إلا من كان فيه خلل أو علة. وبينهم في ذلك العقل تفاوت عظيم.

وضرب منه يبصر أمر آخرته، وهو من نور الهداية والقربة، وذاك موجود في الموحدين، مفقود في المشركين. وبين الموحدين في ذلك العقل تفاوت عظيم. وسمي عقلاً لأن الجهل ظلمة، وعمله على القلب. فإذا غلب النور وبصره في تلك الظلمة، زالت الظلمة وأبصر. فصار عقالاً للجهل.

---

(١) الحديث رواه أبو موسى المديني في اماليه عن أنس ــ رضي الله عنه والسيوطي في الجامع الصغير، وأشار الى رواية الحكيم الترمذي وأشار الى الحديث بالصحة

فالصبي إذا رؤي منه زيادة بصيرة في الأمور وذكاوة فهم، قيل عارم. والعرم بلغة أهل العرب المسناة وهي السد. وهي عربية يمانية. فالصبي يسد أبواب البلاهة بزيادة ذلك النور، فيكايس في الأعمال، ويهتدي للطائف الأمور ومحاسنه بالنور الزائد المتقد في دماغه. فإذا أدرك مدرك الرجال وجاءه نور الهداية من الله تعالى فأمن، كان الذي ركب في صغره عوناً له في جميع أموره. فصار بذلك زيادة في عقله. ومن لم يكن له ذلك في صغره، فيكون فيه نقص العقول الديناوية من البلة والحمق، فإذا جاءه العقل الثاني، إفتقد العون، ولم يكن له في النوائب هداية الطبع، وإنما له هداية الإيمان فحسب. وقد إجتمع للعارم هداية الطبع وهداية الإيمان. والله أعلم.

الأصل الثالث والمائتان

في حق الولد على الوالد

عن أبي رافع (رضي الله عنه) قال: قلت: يا رسول الله للولد علينا حق كحقنا عليهم؟ قال: نعم. حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وأن لا يرزقه إلا طيباً[1].

الكتابة عون له على الدين والدنيا. والسباحة منجاة من الهلاك. والرماية دفع عن مهجته وحريمه، وشرف له عند لقائه العدو. ولا يرزقه إلا طيباً لئلا ينبت لحمه على سحت[2]، فتنزع منه البركة. وهذه الخصال رؤوس الآداب.

---

(١) الحديث رواه أبو الشيخ في الثواب، والبيقهي في شعب الايمان عن أبي رافع، ورواه السيوطي في الجامع الصغير وذكر رواية الحكيم الترمذي وأشار الى الحديث بالضعف.

(٢) لقوله ﷺ: يا كعب بن عجرة: « إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به ».

رواه الترمذي في أبواب الصلاة وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث عبيدالله بن موسى.

الأصل الرابع والمائتان

في حال التائب وإتباع الذنب بالحسنة

عن أبي سعيد الأنصاري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « التائب من الذنب كمن لا ذنب له »[1]. « والندم توبة »[2] التائب حبيب الله تعالى. إن الله يحب التوابين.

والحبيب يستر الحبيب. ويحب زينه. فإن بدا شين ستره. فإذا أحب الله عبداً فأذنب، ستره. فصار كمن لا ذنب له. فان الذنب يدنس العبد. والرجوع إلى الله تعالى بالتوبة يطهره. لأن بالرجعة يصير في محل القربة منه. ومحل القربة ينوره ويذهب دنسه.

---

(١) قال السندي: الحديث ذكره صاحب الزوائد في زوائده وقال اسناده صحيح، ورجاله ثقات ثم ضرب على ما قال، وأبقى الحديث على الحال وفي المقاصد الحسنة. رواه ابن ماجة والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من طريق أبي عبيدالله بن عبدالله بن مسعود عن أبيه. رفعه ورجاله ثقات، بل حسنه شيخنا يعني لشواهده وإلا فأبو عبيدة جزم غير واحد بأنه لم يسمع من أبيه. ورواية ابن ماجة في كتاب الزهد ٤٢٥٠.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٤٢٥٢ عن زياد بن أبي مريم عن ابن معقل قال: دخلت مع أبي على عبدالله فسمعته يقول: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

في الزوائد: قلت: وقع عبد ابن ماجة عبدالله بن عمر بن الخطاب قال المنذري وقال بعد ذلك: أي كما رواه الترمذي، وابن ماجة في صحيحه، والحاكم في المستدرك.

قال (عليه السلام): إذا أذنب العبد، نكتت في قلبه نكتة سوداء. فإذا عاد، نكتت أخرى. فإذا تاب، صقل قلبه. فذهبت النكتة وصارت كالمرآة تتلألأ[1]. ومن ههنا قال الشعبي (رضي الله عنه): إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنبه. حدثنا بذلك عبدالله بن الوضاح النخعي. قال: حدثنا ابن يمان، عن سفيان، عن عاصم الأحول، عن الشعبي. واعتبر بهذه الرأفة والرحمة التي وضعها في الآباء والأمهات. ثم تراهم كيف محل أولادهم منهم في محل البطالة والفساد من الرحمة عليهم والشفقة والرفق بهم، والتأني والانتظار والاحتراق عليهم مما يخافون عليهم من الوبال، وفرحهم بالتوبة إذا هم تابوا إلى الله تعالى، فاعتبر بهذه الرأفة التي في جميع الأمهات والآباء. لو جمعها فوضعها في أم واحدة أو أب واحد لولد واحد لكان لا يتراءى له فساد هذا الولد وسيئ عمله من عظيم الشفقة عليه والمحبة له. وكان ذلك ساتراً له. فكيف بالخالق الباري الماجد الكريم البر الرحيم، الذي يدق جميع رأفة أهل الدنيا ورحمتهم جنب رحمة من المائة المخلوقة؟ ثم ماذا تكون تلك في جنب الرحمة العظمى التي شملت كل خير للعبيد؟ فهذا العبد المؤمن له كل هذا الحظ. فإذا تاب، صار في كنفه، وهو في الأصل حبيبه، فيدق ذنوبه في جنب ما له عنده من الرأفة والرحمة. وإن الله تبارك وتعالى اسمه، لما وقعت خيرته وجبايته على عبد من عبيده ثم أخرجه امه إلى الدنيا فادركته الهداية بما سبقت له من الجباية، وكتب عليه هذا الذنب أنه سيصيبه لا محالة، فلما أصابه لم يتركه حيران، فلم يغلق عنه باب التوبة، وتكرم على أن يرجع إليه عبده صدق الرجوع أن لا يقبله. وإذا قبله، صار كمن لا ذنب له في معنى القبول.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٤٢٤٤ عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. وفيه زيادة [فإن زاد زادت فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه [٨٣ /١٤] ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾

الأصل الخامس والمائتان

في أن الالتفاع لبسة أهل الإيمان

عن ابن عمر (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ أنه قال: « الالتفاع لبسة أهل الإيمان. والتردي لبسة العرب »[1].

الإلتفاع الالتحاف بالثوب متقنعاً. وهو أستر. وكان (عليه السلام) يكثر التقنع وذلك للحياء من الله تعالى. لأن الحياء في العين والفم. وهو من عمل الروح. وسلطانه في الرأس. ثم هو متفشٍ في جميع الجسد.

وروي أن من أخلاق النبيين التقنع. وهذا من آداب الأنبياء والأولياء (عليهم السلام)؛ لأنهم أبصروا بقلوبهم أن الله تعالى يراهم. فصارت الأمور كلها لهم معاينة يعبدونه كأن هم يرونه. ففي الأعمال التي فيها حشمة يعلوهم الحياء. والحياء من الإيمان. فلذلك قال: « لبسة أهل الإيمان ».

قال أبو بكر (رضي الله عنه): إني لأدخل الخلاء، فأقنع رأسي حياء من الله تعالى.

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير وقال صاحب مجمع الزوائد فيه من لم يسم.

والتردي لبسة العرب. توارثوه في الجاهلية من آبائها. كانوا في إزار ورداء. والالتفاع ورثه بنو إسرائيل على أنبيائهم (عليهم السلام)؛ لأنهم قطعوا أعمارهم بالعبادة وكانوا أصحاب لفاع.

الأصل السادس والمائتان

في أن الاعتبار في الاجتهاد بعقد العقل

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن رجل شدة عبادة، سأل: كيف عقله؟ فإن قالوا غير ذلك، قال: لن يبلغ.

وذكر له عن رجل من أصحابه (رضي الله عنهم) شدة عبادة واجتهاد فقال: كيف عقله؟ قالوا: ليس بشيء. قال: لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون .

العقل نور. خلقه الله تعالى وقسمه بين عباده على مشيئته فيهم وعلمه بهم. فروي أن النبي (عليه السلام) قال: لما خلق الله العقل، قال له: « أقبل ». فأقبل. ثم قال له: « أدبر ». فأدبر. ثم قال له: « أقعد ». فقعد. ثم قال له: « انطق ». فنطق. ثم قال له: « اصمت ». فصمت. فقال: وعزتي وجلالي وكبريائي وسلطاني وجبروتي ما خلقت خلقاً أحب اليّ منك، ولا أكرم عليّ منك، بك أُعرف، وبك أُحمد، وبك أُطاع، وبك آخذ، وبك أعطي، وإياك أعاتب، ولك الثواب، وعليك العقاب، وما أكرمتك بشيء أفضل من الصبر[1].

---

(١) قال الزركشي: كذب موضوع باتفاق انتهى. لكن قال السيوطي في الدرر تابع الزركشي في =

وقال (عليه السلام): إن أول شيء خلق الله تعالى القلم، ثم خلق النون. وهي الدواة. ثم قال له: أكتب. قال: وما أكتب؟ قال: ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل أو أثر أو رزق أو أجل. فكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة. وذلك قوله تعالى: ﴿ **ن والقلم...** ﴾[1].

ثم ختم على في القلم فلم ينطق، ولا ينطق إلى يوم القيامة. ثم خلق العقل، فقال: وعزتي لأكملنك فيمن أحببت، ولأنقصنك فيمن أبغضت.

قسم الله تعالى العقل بين خلقه على علمه بهم، ثم قسم بين الموحدين عقل الهداية على علمه بهم. فتفاوت القسم. فكل ما استقر في عبد كان دليله على مقاديره الذي كان فيه يومئذ. فكل فعل فعله يلهم العقل صاحبه في كل ما أذن له وما خطر عليه. فكل من كان حظه من العقل أوفر، فسلطان الدلالة فيه أعظم وأنور.

ومن شأن العقل الدلالة على الرشد والنهي عن الغي. فكان (عليه السلام) إذا ذكر له عن رجل شدة اجتهاد وعبادة، سأل عن عقله لما قد علم أن العقل هو الذي يكشف عن مقادير العبودة ومحبوب الله تعالى ومكروهه. لأن العبادة الظاهرة قد تكون من العادة. وقد تكون من المساعدة. فإن كان العقل يدله على العبادة الظاهرة، كان علامته أن يتورّع عن مساخط الله تعالى. فكان العقل مما عقل عن

= ذلك ابن تيمية، قال: وقد وجدت له أصلاً صالحاً أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند عن الحسن يرفعه. قال لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، قال ما خلقت خلقاً أحب اليَّ منك، فبك آخذ وبك أعطي، وهذا مرسل جيد الاسناد وهو موصول، وفي معجم الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة باسنادين ضعيفين. انتهى.

(١) سورة القلم آية رقم ١ وتكملة الآية ﴿ **وما يسطرون** ﴾.

الله تعالى ما أمره ونهاه. فائتمر بما أمره، وانزجر عما نهاه. فتلك علامة العقل. فإذا تعبد عن عقل، تعبد عن بصيرة. وإذا تعبد عن عادة ومساعدة فلم يحسن الظن به.

ولذلك قال ﷺ: لا يعجبنكم إسلام رجل حتى تعلموا ما عقده عقله .

معناه لا يعجبنكم ظاهر ما ترون حتى تعلموا بأي شيء عقد عقله به. فإن كان عقله عقيد هواه، لا يتورع ولا يتقي. قال: لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون.

قال (عليه السلام): الورع سيد العمل. ومن لم يكن له ورع يرده عن معصية الله تعالى إذا خلا بها لم يعبأ الله سائر عمله شيئاً.

فذلك مخافة الله تعالى في السر والعلانية، والاقتصاد في الفقر والغنى، والصدق عند الرضاء والسخط. الا وان المؤمن حاكم على نفسه، يرضي للناس ما يرضى لنفسه. والمؤمن حسن الخلق، وأحب الخلق إلى الله تعالى أحسنهم خلقاً. ينال بحسن الخلق درجة الصائم القائم وهو راقد على فراشه .

قال أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه): إنكم لتعملون أعمالاً لهي أدق عندكم من الشعر. كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات.

وقال (عليه السلام): يا عائشة إياك والمحقرات فإن لها من الله تعالى طالباً[1].

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٢٩ باب ذكر الذنوب ٤٢٤٣ ــ حدثني سعيد ابن مسلم بن بانك قال: سمعت عامر بن عبدالله بن الزبير يقول: حدثني عوف بن الحرث عن عائشة ــ رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: وذكره في الزوائد إسناده =

وقال (عليه السلام): إن الله ناجي موسى فكان فيما قال: يا موسى إنه لن يتقرب إليّ المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم. فإنه ليس من عبد يلقاني يوم القيامة إلا ناقشته الحساب، وفتشته عما كان في يديه، إلا ما كان من الورعين فإني أجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب.

وقال (عليه السلام): ثلاث من لم يأت بهن يوم القيامة، فلا شيء له: ورع يحجره عن محارم الله تعالى. وخلق يداري به الناس. وحلم يرد به جهل السفيه .

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قلت: يا رسول الله: بأي شيء يتفاضل الناس؟. قال: بالعقل في الدنيا والآخرة.

قلت: أليس يجزى الناس بأعمالهم؟ قال: يا عائشة، وهل يعمل بطاعة الله تعالى إلا من عقل. فبقدر عقولهم يعملون، وعلى قدر ما يعملون يجزون .

وقال (عليه السلام): إن الرجل لينطلق إلى المسجد فيصلي فصلاته لا تعدل جناح بعوضة. وإن الرجل ليأتي المسجد فيصلي فصلاته تعدل جبل أُحد إذا كان أحسنهما عقلاً. قيل: وكيف يكون أحسنهما عقلاً؟ فقال: أورعهما عن محارم الله تعالى، وأحرصهما على أسباب الخير، وإن كان دونه في العمل والتطوع .

وعن طاووس، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قضى رسول الله ﷺ بين مهاجري وأنصاري، فقال المهاجري: يا رسول الله حقي ثابت وما قضى لي شيئاً. قال الأنصاري: صدق يا رسول الله، إن

= صحيح ورجاله ثقات، ورواه البخاري في الرقاق ٣٢ والدارمي في الرقاق ١٧ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ١٠٢، ٥ : ٢٠، ٦ : ٧٠، ١٥١ (حلبي).

حقه ثابت وما قضيته شيئاً. فقال (عليه السلام): فأد إليه. فقال: أما دعواه فقد أديت إليه. وأما حق ثواب معروفه فإنه عليّ أكافئه. فقال المهاجري: صدق يا رسول الله. فقال (عليه السلام): تبارك الذي قسم العقل بين عباده أشتاتاً. ان الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما، لكنهما يتفاوتان في العقل، كالذرة في جنب أحد. وما قسم الله تعالى لخلقه حظاً هو أفضل من العقل واليقين[1].

قال وهب (رضي الله عنه): أجد في سبعين كتاباً أن جميع ما أعطي الناس من بدو الدنيا إلى انقطاعها من العقل في جنب عقل محمد ﷺ إلا كحبة رمل رفعت من بين جميع رمال الدنيا.

وقال: إن الشيطان لم يكن يكابد شيئاً أشد عليه من المؤمن العاقل. إنه ليكابد مائة ألف جاهل فيسخرهم، ويكابد المؤمن العاقل فيضعف عنه. وما من شيء أحب إليه من فتنة العاقل. وفتنة عاقل أحب إليه من غواية الف جاهل.

وقال (عليه السلام): إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر. وإنما يقرب الناس الزلف على قدر عقولهم.

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: قيل يا رسول الله: رجل يكون قليل العمل، كثير الذنوب. قال: كل آدمي خطاء، فمن كانت له سجية عقل وغريزة يقين، لم يضره ذنوبه شيئاً. قيل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: كلما أخطأ لم يلبث أن يتوب فيمحي ذنوبه ويبقى فضل يدخله الجنة .

قال ابن مسعود (رضي الله عنه): ومن أعقل ممن خاف ذنوبه واستحقر عمله.

وقال أبو الدرداء (رضي الله عنه): قال رسول الله ﷺ: يا عويمر[1] إزدد عقلاً تزدد من ربك قرباً. قلت: يا رسول الله: كيف؟ قال: اجتنب مساخط الله، وأد فرائض الله تكن عاقلاً، ثم تنفَّل بالصالحات من الأعمال تزدد في الدنيا عقلاً، ومن ربك قرباً وعليه عزاً .

عن كعب (رضي الله عنه) قال: تجد الرجل يستكثر من أنواع البر، ويحتاط في صنائع المعروف، ويكابد سهر الليل، وشدة ظماء الهواجر، وهو في ذلك لا يساوي عند الله جيفة حمار. قالوا: وكيف؟ قال : ذاك من قلة عقله، وسوء رعايته. ولعلك تجد الرجل العاقل نائماً بالليل، مفطراً بالنهار، لا يظهر لك بره ولا ينسب إلى صنائع المعروف، وبينهما كما بين المشرق والمغرب. قيل: وكيف ذاك؟ قال: لأن ربنا افترض على عباده أن يعرفوه ويطيعوه ويعبدوه. وإنما يطيعه ويعرفه ويعبده من يعقل. فأما الجاهل فإنه لا يعرفه ولا يطيعه ولا يعبده.

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله (عز وجل) خلق العقل أكثر من عدد الرمل، فمن الناس من أُعطي حبة من ذلك، ومنهم من أعطي حبتين، ومنهم من أعطي مداً، ومنهم من أعطي صاعاً، ومنهم من أعطي فرقاً، وبعضهم وسقاً. فقال ابن سلام: من هم يا رسول الله؟ قال: العمال بطاعة الله على قدر عقولهم ويقينهم وجدهم والنور الذي في قلوبهم .

---

(١) عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي أبو الدرداء صحابي من الحكماء الفرسان القضاة كان قبل البعثة تاجرا في المدينة ثم انقطع للعبادة، ولما ظهر الاسلام اشتهر بالشجاعة والنسك وفي الحديث (عويمر حكيم امتي) ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ وهو أول قاضٍ لها قال ابن الجوزي: كان من العلماء الحكماء توفي عام ٣٢هـ
راجع الاصابة ت ٦١١٩ وحلية الأولياء ١: ٢٠٨

عن مهدي قال: شهدت عمر وعنده ابن مسعود وأبو موسى (رضي الله عنهم) فقال أبو موسى: سمعت رسول الله ﷺ يقول: رب رجل يعمل بطاعة الله، فلعل الحرف الواحد من تسبيحه وتحميده وبره أثقل من أُحد. ثم على قدر ذلك يتفاضل عمله.

قال ابن مسعود (رضي الله عنه): إن من المؤمنين من يكون عمله يوماً واحداً أثقل من السموات والأرض.

قال عمر (رضي الله عنه): فكيف ذاك؟ قال: إن الله قسم الأشياء بين عباده على قدر ما أحب أن يقسمه، ولما خلق الخلق، أقسم بعزته أنه أحب خلقه إليه وأعزهم عليه وأفضلهم عنده، وأرجح عباده أحسنهم عقلاً، وأحسنهم من كان فيه ثلاث خصال: صدق الورع، وصدق اليقين، وصدق الحرص على البر والتقوى. فبكي عمر (رضي الله عنه) بكاء نشج منه.

وقال (عليه السلام): قسم الله العقل ثلاثة أجزاء. فمن كان فيه فهو العاقل حسن المعرفة بالله تعالى، وحسن الطاعة لله، وحسن الصبر لله تعالى. فحسن المعرفة الثقة بالله في كل أمرك والتفويض إليه والائتمار على نفسك وأحوالك في الوقوف عند مشيئته لك في كل أمره ديناً ودنيا. وحسن الطاعة أن تطيعه في كل أمر، ثم لا تلتفت إلى نوال. فتتخذه عدة دون الله تعالى.

وحسن الصبر أن تصبر في النوائب صبراً لا يرى عليك أثر النائبة من الاستكانة، وأن تتلقي حكمه بالرضاء كما تتلقى ما وافق نفسك، فيستوي عندك المحبوب والمكروه.

الأصل السابع والمائتان

في تفسير المغربين

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ: إن فيكم مغربون. قلت: يا رسول الله: ما المغربون. قال: الذين يشترك فيهم الجن[1].

فالجن والإنس ابتليا بالعبادة. ولهما الثواب. وعليهما العقاب. وأمر الرسول ﷺ بالنذارة إلى الجن والرسالة إلى الآدميين، فأنذرهم وعلمهم القرآن. فللجن مساواة بابن آدم في الأمور، والاختلاط. فمنهم من يتزوج فيهم. وكانت بلقيس ملكة سبأ أحد أبويها من الجن. وربما غلب الجن الآدمي على أهله، فيأخذ بقلبها ويعذبها. والامتناع منهم باسم الله تعالى. فإذا أحب الآدمي أن يطرده من مشاركته، طرده بسم الله

قال (عليه السلام): ستر بين عورات بني آدم وبين أعين الجن إذا وضع الرجل ثوبه أن يقول بسم الله[2]. قال مجاهد (رضي الله

(١) لم نعثر على هذا الحديث في كتاب الصحاح والسنن ولعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر

(٢) الحديث رواه ابن جرير عن مجاهد، ورواه السيوطي في الدر المنثور، وقال رواه الحكيم الترمذي وابن جرير عن مجاهد

عنه): إذا جامع الرجل ولم يسم، انطوى الجان على إحليله فجامع معه.

قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾[1].

(١) سورة الرحمن آية رقم ٥٦.

الفهارس العامة للجزء الثاني
من كتاب نوادر الأصول

١ ــ فهرس الآيات القرآنية
٢ ــ فهرس الأحاديث النبوية
٣ ــ فهرس الأعلام
٤ ــ مراجع التحقيق
٥ ــ فهرس الموضوعات

١ ــ فهرس الآيات القرآنية

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١	قال الله تعالى: « وتستخرجون منه حلية تلبسونها »	النحل	١٤
٢	قال الله تعالى: « أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين »	السجدة	٧
٣	قال الله تعالى: « اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور. »	سبأ	١٣
٤	قال الله تعالى: « خلق لكم ما في الأرض بالحق ». وقال: « خلق لكم ما في الأرض جميعاً. »	البقرة	٢٩
٥	قال الله تعالى: « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات. »	الاسراء	٧٠

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٦	قال الله تعالى: « لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها. »	النمل	١٨
٧	قال الله تعالى: « من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً. »	النساء	١٢٣
٨	قال الله تعالى: « وجعل بينكم مودة ورحمة. »	الروم	٢١
٩	قال الله تعالى: « فالق الحب والنوى. »	الانعام	٩٥
١٠	قال الله تعالى: « يقاتلون في سبيل الله فَيَقْتلون وَيقْتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل ».	التوبة	١١١
١١	قال الله تعالى: « وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. »	الانبياء	٨٧
١٢	قال الله تعالى: « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ويعفو عن كثير. »	الشورى	٣٠
١٣	قال الله تعالى: « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. »	الذاريات	٥٦

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٤	قال الله تعالى: « إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة. »	الهمزة	
١٥	قال الله تعالى: « ولقّاهم نضرة وسروراً. »	الانسان	١١
١٦	قال الله تعالى: « قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني. »	يوسف	١٠٨
١٧	قال الله تعالى: « قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني. »	الاعراف	١٤٣
١٨	قال الله تعالى: « أرنا الله جهرة. »	النساء	١٥٢
١٩	قال الله تعالى: « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات. »	التوبة	١٠٤
٢٠	قال الله تعالى: « يمحق الله الربا ويربي الصدقات. »		
٢١	قال الله تعالى: « إن قرآن الفجر كان مشهوداً. »	الاسراء	٧٨
٢٢	قال الله تعالى: « ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم. »	الأعراف	٢٧

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٣	قال الله تعالى: « والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. »	المؤمنون	٥
٢٤	قال الله تعالى: « ومن عفا وأصلح فأجره على الله. إنه لا يحب الظالمين. »	الشورى	٤٠
٢٥	قال الله تعالى: « ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور. »	الشورى	٤٣
٢٦	قال الله تعالى: « يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وأناثاً ويجعل من يشاء عقيماً. »	الشورى	٤٩
٢٧	قال الله تعالى: « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً. »	البقرة	٢٤٥
٢٨	قال الله تعالى: « ما كذب الفؤاد ما رأى، ولقد رآه نزلة أخرى. »	النجم	١١ ــ ١٢
٢٩	قال الله تعالى: « وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون. »	البقرة	٢٧٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٣٠	قال الله تعالى: « ومثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء. »	البقرة	٢٦١
٣١	قال الله تعالى: « فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسروراً. »	الانسان	١١
٣٢	قال الله تعالى: « إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم. »	التغابن	١٧
٣٣	قال الله تعالى: « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة. »	البقرة	٢٤٥
٣٤	قال الله تعالى: « خلق لكم ما في الأرض جميعاً وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض. »	الجاثية	١٣
٣٥	قال الله تعالى: « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً. »	الاسراء	٧٠
٣٦	قال الله تعالى: « فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان. »	الأنفال	١٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٣٧	قال الله تعالى: « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه. »	الطلاق	٣
٣٨	قال الله تعالى: « كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع وأوعى. »	المعارج	١٥ ــ ١٨
٣٩	قال الله تعالى: « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي. »	الفجر	٢٧ ــ ٣٠
٤٠	قال الله تعالى: « وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع. »	الرعد	٢٦
٤١	قال الله تعالى: « لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين. »	القصص	٧٦
٤٢	قال الله تعالى: « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون. »	يونس	٥٨
٤٣	قال الله تعالى: « إن المتّقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر. »	القمر	٥٥

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٤٤	قال الله تعالى: « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر. »	آل عمران	١١٠
٤٥	قال الله تعالى: « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً. »	البقرة	١٤٣
٤٦	قال الله تعالى: « ولقد فضلنا بعضن النبيين على بعض وآتينا داود زبورا. »	الاسراء	٥٥
٤٧	قال الله تعالى: « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله. »	المجادلة	١١
٤٨	قال الله تعالى: « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا. »	الاسراء	٥٥
٤٩	قال الله تعالى: « والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سبلنا. »	العنكبوت	٦٩
٥٠	قال الله تعالى: « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله. »	يونس	٦٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٥١	قال الله تعالى: « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. »	الزمر	١٨
٥٢	قال الله تعالى: « فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً. »	طه	١٢٤
٥٣	قال الله تعالى: « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين. »	التوبة	١٠٨
٥٤	قال الله تعالى: « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون. »	المؤمنون	١١٥
٥٥	قال الله تعالى: « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء. »	النمل	٦٢
٥٦	قال الله تعالى: « ومن يغفر الذنوب إلا الله. »	آل عمران	١٣٥
٥٧	قال الله تعالى: « وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كي تقر عينها ولا تحزن. »	طه	٣٩ــ٤٠

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٥٨	قال الله تعالى: « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا. »	الاسراء	٥٥
٥٩	قال الله تعالى: « لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين. »	التكاثر	٥ ــ ٧
٦٠	قال الله تعالى: « إن الذين آمنوا وهاجروا أو جاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم. »	البقرة	٢١٨
٦١	قال الله تعالى: « استغفروا ربكم ثم توبوا إليه. »	هود	٣
٦٢	قال الله تعالى: « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون. »	المطففين	١٤
٦٣	قال الله تعالى: « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً. »	الفتح	٨
٦٤	قال الله تعالى: « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون. »	الاعراف	١٩٨
٦٥	قال الله تعالى: « لن تراني، ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً. »	الاعراف	١٤٣

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٦٦	قال الله تعالى: « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً. »	مريم	٩٦
٩٧	قال الله تعالى: « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذله على المؤمنين أعزة على الكافرين. »	المائدة	٥٤
٩٨	قال الله تعالى: « الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب. »	الشورى	١٣
٩٩	قال الله تعالى: « أذله على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. »	المائدة	٥٤
١٠٠	قال الله تعالى: « فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله. »	البقرة	٢٢٩
١٠١	قال الله تعالى: « أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر. »	فاطر	٣٧
١٠٢	قال الله تعالى: « حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ. »	الاحقاف	١٥

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٠٣	قال الله تعالى: « أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون. »	الاحقاف	١٦
١٠٤	قال الله تعالى: « وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون. »	الجمعة	١٠
١٠٥	قال الله تعالى: « واسألوا الله من فضله إن الله بكل شيء عليم. »	النساء	٣٢
١٠٦	قال الله تعالى: « وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين. »	فصلت	١٠
١٠٧	قال الله تعالى: « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض. »	البقرة	٢٥١
١٠٨	قال الله تعالى: « وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون. »	يس	٧٢
١٠٩	قال الله تعالى: « فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون. »	النحل	٩٧

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١١٠	قال الله تعالى: « اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور. »	سبأ	١٣
١١١	قال الله تعالى: « شلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين. »	الواقعة	١٣ـ١٦
١١٢	قال الله تعالى: « وربك يخلق ما يشاء ويختار. »	القصص	٦٨
١١٣	قال الله تعالى: « يهدي الله لنوره من يشاء. »	النور	٣٥
١١٤	قال الله تعالى: « وإن كان كبر عليك اعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء. »	الأنعام	٣٥
١١٥	قال الله تعالى: « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء. »	القصص	٥٦
١١٦	قال الله تعالى: « وإنك لعلى خلق عظيم. »	القلم	٤
١١٧	قال الله تعالى: « الذين هم في صلاتهم خاشعون. »	المؤمنون	٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١١٨	قال الله تعالى: « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير. »	الأعراف	٢٦
١١٩	قال الله تعالى: « ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما. »	الأعراف	٢٧
١٢٠	قال الله تعالى: « فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ورى عنهما من سوآتهما. »	الأعراف	٢٠
١٢١	قال الله تعالى: « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون. »	الأنفال	٣٣
١٢٢	قال الله تعالى: « ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب. »	الطلاق	٣
١٢٣	قال الله تعالى: « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. »	البقرة	٢٢٢
١٢٤	قال الله تعالى: « فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً. »	نوح	١٠
١٢٥	قال الله تعالى: « لئن شكرتم لأزيدنكم. »	ابراهيم	٧
١٢٦	قال الله تعالى: « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. »	الشورى	٢٥

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٢٧	قال الله تعالى: « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني فليستجيبوا الي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون. »	البقرة	١٨٦
١٢٨	قال الله تعالى: « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله. »	آل عمران	٣١
١٢٩	قال الله تعالى: « والصافات صفاً فالزاجرات زجراً. »	الصافات	١ ــ ٢
١٣٠	قال الله تعالى: « فأتبعه شهاب ثاقب. »	الصافات	١٠
١٣١	قال الله تعالى: « ولئن شئنا لنذهب بالذي أوحينا اليك. »	الاسراء	٨٦
١٣٢	قال الله تعالى: « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك. »	هود	١١٢
١٣٣	قال الله تعالى: « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص. »	الصف	٤
١٣٤	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. »	الصف	٢
١٣٥	قال الله تعالى: « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه. »	المائدة	٥٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٣٦	قال الله تعالى: « أوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون. »	البقرة	٤٠
١٣٧	قال الله تعالى: « وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني. »	طه	٣٩
١٣٨	قال الله تعالى: « وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقياً. »	مريم	١٣
١٣٩	قال الله تعالى: « سيجعل لهم الرحمن وداً. »	مريم	٩٦
١٤٠	قال الله تعالى: « واصطنعتك لنفسي. »	طه	٤١
١٤١	قال الله تعالى: « يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. »	غافر	١٩
١٤٢	قال الله تعالى: « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض. »	النمل	٦٢
١٤٣	قال الله تعالى: « والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين. »	العنكبوت	٦٩
١٤٤	قال الله تعالى: « لأملأنَّ جهنم من الجنة والناس أجمعين. »	السجدة	١٣

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٤٥	قال الله تعالى: « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد. »	ق	١٩
١٤٦	قال الله تعالى: « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل. »	هود	١١٤
١٤٧	قال الله تعالى: « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم. »	التوبة	١٠٣
١٤٨	قال الله تعالى: « فطرة الله التي فطر الناس عليها. »	الروم	٣٠
١٤٩	قال الله تعالى: « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها. »	التوبة	١٠٣
١٥٠	قال الله تعالى: فإذا القيتم الذين كفروا فضرب الرقاب. »	محمد	٤
١٥١	قال الله تعالى: « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين. »	المنافقون	٨
١٥٢	قال الله تعالى: « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه. »	المائدة	٧٩
١٥٣	قال الله تعالى: « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله. »	آل عمران	٧

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٥٤	قال الله تعالى: « ومن يتّبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه. »	آل عمران	٨٥
١٥٥	قال الله تعالى: « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا. »	آل عمران	١٠٣
١٥٦	قال الله تعالى: « والله يدعو الى دار السلام. »	يونس	٢٥
١٥٧	قال الله تعالى: « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً. »	مريم	٥٩
١٥٨	قال الله تعالى: « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون. »	البقرة	١٣٤
١٥٩	قال الله تعالى: « ما كذب الفؤاد ما رأى. »	النجم	١١
١٦٠	قال الله تعالى: « وافئدتهم هواء. »	ابراهيم	٤٣
١٦١	قال الله تعالى: « والله لا يحب الفساد. »	البقرة	٢٠٥
١٦٢	قال الله تعالى: « لا يصلح عمل المفسدين. »	يونس	٨١

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٦٣	قال الله تعالى: « لا يحب المسرفين. »	الأنعام	١٤١
١٦٤	قال الله تعالى: « لا يحب كل خوان كفور. »	الحج	٣٨
١٦٥	قال الله تعالى: « هل جزاء الإحسان الا الإحسان. »	الرحمن	٦٠
١٦٦	قال الله تعالى: « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً. »	الكهف	٤٦
١٦٧	قال الله تعالى: « لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً. »	مريم	٨٧
١٦٨	قال الله تعالى: « قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم. »	الأنبياء	٦٩
١٦٩	قال الله تعالى: « فبأي آلاء ربكما تكذبان. »	الرحمن	١٣ ـ ١٦ ١٨ ـ ٢١ ٢٣ ـ ٢٥
١٧٠	قال الله تعالى: « أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى. »	القيامة	٢٣، ٢٥،٤٠
١٧١	قال الله تعالى: « ورتل القرآن ترتيلاً. »	المزمل	٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٧٢	قال الله تعالى: « وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ورتلناه ترتيلاً. »	الاسراء	١٠٦
١٧٣	قال الله تعالى: « كتاب أنزلناه مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب. »	ص	٢٩
١٧٤	قال الله تعالى: « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. »	النور	٢٧
١٧٥	قال الله تعالى: « إن إبراهيم لحليم. »	هود	٧٥
١٧٦	قال الله تعالى: « فبشرناه بغلام حليم. »	الصافات	١٠١
١٧٧	قال الله تعالى: « يوماً يجعل الوِلْدَانَ شيباً. »	المزمل	١٧
١٧٨	قال الله تعالى: « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله. »	الحشر	٢١
١٧٩	قال الله تعالى: « واعتصموا بالله هو مولاكم. »	الحج	٧٨
١٨٠	قال الله تعالى: « ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء	الزمر	٢٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
	متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً. »		
١٨١	قال الله تعالى: « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً. »	الاسراء	٧٨
١٨٢	قال الله تعالى: « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر. »	النحل	٦٨
١٨٣	قال الله تعالى: « تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله. »	الزمر	٢٣
١٨٤	قال الله تعالى: « والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يتذكر إلا أولوا الألباب. »	آل عمران	٧
١٨٥	قال الله تعالى: « هل أهل التقوى وأهل المغفرة. »	المدثر	٥٦
١٨٦	قال الله تعالى: « وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها. »	الفتح	٢٦
١٨٧	قال الله تعالى: « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. »	النور	٣٧

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٨٨	قال الله تعالى:		
	« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. »	الحديد	٢١
١٨٩	قال الله تعالى:		
	« وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات. »	هود	١١٤
١٩٠	قال الله تعالى:		
	« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها. »	التوبة	١٠٣
١٩١	قال الله تعالى:		
	« فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه. »	البقرة	٢٠٣
١٩٢	قال الله تعالى:		
	« لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن. »	فصلت	٣٧
١٩٣	قال الله تعالى:		
	« هاؤم اقرءوا كتابيه. »	الجاثية	١٩
١٩٤	قال الله تعالى:		
	« ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون، وإن لك لأجراً غير ممنون. »	القلم	١ ــ ٣
١٩٥	قال الله تعالى:		
	« لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان. »	الرحمن	٥٦

٢ ــ فهرس الأحاديث النبوية

عدد مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١	قال الرسول ــ ﷺ: « لابنة ابنته إمامة ابنة أبي العاص: تحلي بهذا يا بنية. »	٥
٢	قال الرسول ــ ﷺ: « ثلاث من أوتيهن فقد أوتي مثل ما أوتي داود فقيل له: ما هي يا رسول الله.. ؟ قال: العدل في الرضى والغضب، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية. »	٧
٣	قال ﷺ: « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه. »	٩
٣	قال ﷺ: « أعيذك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد من شر ما تجد. » فرددها سبعاً.	١١
٤	عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما قال: « نهى رسول الله ــ ﷺ عن قتل النملة والنحلة والهدهد والصرد. »	١٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٥	قال ﷺ: « إن الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وإن أول هلاك هذه الأمة الجراد، فإذا هلكت الجراد تتابعه الأمم مثل نظام السلك إذا انقطع. »	١٣
٦	قال ﷺ: « من قتل وزغة فكأنما قتل كافراً. »	١٣
٧	قال ﷺ: « لا تسبوا الديك فإنه يدعو الى الصلاة. »	١٥
٨	قال ﷺ: « يوم فتح مكة ــ لا تحل لأحد بعدي، وإنما احلت لي ساعة من نهار. وأنها حرمت يوم خلق السموات والأرض. »	١٧
٩	قال ﷺ: « ما من شيء يصيب المؤمن من حزن ولا نصب ولا وصب حتى الهم يهمه إلا أن الله تعالى يكفر عنه سيئاته. »	١٨
١٠	قال ﷺ: « ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء فإذا كانت عقوبة فلا دواء له حتى تنقضي مدة العقوبة وينزل العفو إن شاء الله تعالى. »	١٨
١١	قال ﷺ: « اللهم كما بلغتنا أولها فبلغنا آخرها ثم يعطيها أصغر الولدان. »	١٩

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٢	قال ﷺ: « إنكم لتبخلون أو تجهلون وتجبنون وأنتم لمن ريحان الجنة. »	٢٠
١٣	قال ﷺ: « لكل أمة رهبانية ورهبانية آمتي الجهاد في سبيل الله »	٢٢
١٤	قال ﷺ: « دعوة ذي النون في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. ما دعا بها مسلم إلا استجيب له. »	٢٤
١٥	قال ﷺ: « لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس. »	٢٥
١٦	قال ﷺ: « من أفضل ما أعطي العبد في الدنيا العافية، ومن أفضل ما أعطي في الآخرة المغفرة، ومن أفضل ما أعطي العبد من نفسه موعظة حسنة صدر بها قوم عن خير. »	٢٦
١٧	قال ﷺ: « قال الله عز وجل: أحب ما تعبدني به عبدي النصح لي. »	٢٧
١٨	قال ﷺ: « لمن قال له لقد سجدت سجدة ما كنت تسجدها أفشيء أمرت به أم كان يوحي إليك.. ؟ قال: كلا لم يكن ولكني ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته. »	٢٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٩	قال ﷺ: « إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه »، وفي رواية « الحق بعدي مع عمر وقلبه. وقال: الحق بعدي مع عمر حيث كان. »	٣١
٢٠	قال ﷺ: عندما قالت له عائشة: يا رسول الله كان حلالاً فلما دخل عمر صار حراماً فقال: « يا عائشة، ليس كل الناس مرخياً عليه. »	٣٢
٢١	قال ﷺ: « من أصاب في الدنيا ذنباً فعوقب به فالله أعدل من أن يثني عليه عقوبته، ومن أذنب في الدنيا ذنباً فستره الله وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود في شيء وقد عفا عنه. »	٣٣
٢٢	قال ﷺ: « يدخل قوم النار حتى إذا صاروا فحماً أخرجوا فأدخلوا الجنة فيقول أهل الجنة: من هؤلاء ؟ فيقال: الجهنميون. »	٣٥
٣٣	قال ﷺ: « إن المتحابين في الله لعلى عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يضيء حسنهم أهل الجنة كما تضيء الشمس أهل الدنيا يقول لبعضهم البعض انطلقوا بنا ننظر الى المتحابين في الله. »	٣٨
٣٤	قال ﷺ: عندما سأله ابن عباس عن أولياء الله ؟ فقال: « الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله. »	٣٩

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٣٥	قال ﷺ: « خياركم من ذكركم بالله رؤيته وزاد في عملكم منطقه ورغبكم في الآخرة عمله. »	٣٩
٣٦	قال ﷺ: « عندما قيل له: يا رسول الله أينا أفضل كي نتخذه جليساً معلماً.. ؟ قال: الذين إذا رأوا ذكر الله لرؤيتهم. »	٤١
٣٧	قال ﷺ: « أرأيت لو كان لك عبدان أحدهما يخونك ويكذبك والآخر يصدقك ولا يخونك أيهما أحب إليك قال: الذي يصدقني ولا يخونني قال: فكذلك أنتم عند ربكم. »	٤٣
٣٨	قال ﷺ: « عندما رأى المطر يتساقط فحسر الثوب عن رأسه حتى أصابه من المطر فقال له أنس بن مالك: يا رسول الله لم صنعت هذا.. ؟ قال: لأنه قريب عهد بربه سبحانه. »	٤٤
٣٩	قال ﷺ: « قال الله تعالى: يا موسى لن تراني إنه لا يراني حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده، ولا رطب إلا تفرق، إنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم. »	٤٥
٤٠	قال ﷺ: « إجعل في دعائك: ارزقني لذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك. »	٤٥

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٤١	قال ﷺ: « والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقه حسنة طيبة فيصنعها في حق إلا كانت تقع في يد الرحمن يربيها كما يربي أحدكم فصيلة أو فلوه حتى أن الثمرة واللقمة لتصير مثل الجبل العظيم. »	٤٧
٤٢	قال ﷺ: « إن الصدقة لو جرت على يد سبعين نفساً لكان أجر أحدهم مثل أجر آخرهم. »	٤٧
٤٣	قال ﷺ: « مناولة المسكين تقي ميتة السوء. » وقال: « من صلى الغداة فهو في ذمة الله لأنه شهد الله عز وجل وملائكته. »	٤٨
٤٤	قال ﷺ: « ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال ولكن الزهادة أن لا يكون شيء مما في يديك أوثق منك مما في يدي الله تعالى، وأن يكون ثواب المصيبة أحب إليه من أن لو نفيت المصيبة عنه، ولكل حق حقيقة، ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولكل حق حقيقة، ولا يبلغ العبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يحمد في كل شيء يعمله لله تعالى. »	٤٩
٤٥	قال ﷺ: « عن بهز بن حكيم عن جده عن أبيه ـــ رضي الله عنه	٥٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	قال: قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر.. ؟ قال: احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك. قلت: أرأيت إذا كان القوم بعضهم في بعض.. ؟ قال: فإن استطعت أن لا يراها أحد فلا يرينها. قلت: أفرأيت إذا كان أحدنا خالياً.. ؟ قال: ﷺ ــ فالله سبحانه وتعالى أحق أن يستحي منه. »	
٤٦	قال ﷺ: « من أحسن الى يتيم أو يتيمة كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه. وفي رواية: أنا وكافل اليتيم ــ له ولغيره إذا اتقى الله ــ في الجنة كهاتين. »	٥٤
٤٧	قال ﷺ: « إن لي حوضاً ما بين عدن إلى عمان آنيته عدد نجوم السماء وله ميزانان أحدهما من ورق والآخر من ذهب يمدانه من الجنة لا يرد عليه من كذبه. »	٥٧
٤٨	قال ﷺ: « أول من يدعى يوم القيامة أنا فأقوم وألبي ثم يؤذن لي بالسجود فأسجد له سجدة يرضى بها عني ثم يؤذن لي فأرفع وأدعو بدعاء يرضاه عني. فقلنا: يا رسول الله وكيف تعرف أمتك يوم القيامة.. ؟. » قال: يقومون غراً محجلين من آثار الطهور ويردون الى الحوض ما بين بصرى الى صنعاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج. »	٥٧

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٤٩	قال ﷺ: « لا تدرجوه في أكفانه حتى أنظر إليه فأتاه وانكب عليه وبكى. » وذلك عند ما قبض ابراهيم.	٥٩
٥٠	قال ﷺ: « أتاكم أهل اليمن ألين قلوباً وأرق أفئدة. »	٦٢
٥١	قال ﷺ: « حبك الشيء يعمي ويصم. »	٦٢
٥٢	قال ﷺ: « ما تركت لأولادك يا أبا بكر.. ؟ فقال أبو بكر: تركت لهم الله ورسوله. »	٦٥
٥٣	قال ﷺ: « من زار قبري وجبت له شفاعتي »	٦٧
٥٤	قال ﷺ: « إن ابراهيم عليه السلام ليرغب اليَّ يوم القيامة وفي حديث آخر: يحتاج اليَّ. »	٦٨
٥٥	قال ﷺ: لابي ذر« صل الصلاة لوقتها فإن أتيت الناس وقد صلوا كنت قد احرزت وإن لم يكونوا صلوا كانت لك نافلة. »	٦٩
٥٦	قال ﷺ: « سيكون بعدي امراء يميتون الصلاة فيصلونها لغير وقتها فصلوها لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم سبحة. »	٦٩
٥٧	قال ﷺ: « إذا أدهن أحدكم فليبدأ بحاجبه فإنه يذهب بالصداع. »	٧١

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٥٨	قال ﷺ: « ليس منا من لم يوقر كبيرنا. وقال: ابدءوا بالأكابر فإن البركة مع أكابرهم. »	٧٢
٥٩	قال ﷺ: « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور. »	٧٣
٦٠	قال ﷺ: قال الله تعالى: « سبقت رحمتي غضبي يا ابن آدم أنفق أنفق عليك، يمين الله ملأى سحّاء لا يغيضها شيء بالليل والنهار. »	٧٦
٦١	قال ﷺ: « أما تخشى يا بلال أن يخسف الله به نار جهنم: أنفق بلال ولا تَخْشَ من ذي العرش إقلالاً. »	٧٦
٦٢	قال ﷺ: « يا زبير إني رسول الله إليك خاصة والى الناس عامة أتدري ماذا قال ربكم.. ؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: قال ربكم حين استوى على عرشه ونظر الى خلقه: « عبادي أنتم خلقي وأنا ربكم أرزاقكم بيدي فلا تتعبوا فيما تكفلت لكم واطلبوا مني ارزاقكم واليَّ فارفعوا حوائجكم انصبوا إليَّ أنفسكم أصب عليكم أرزاقكم. » ثم قال: أتدري ماذا قال ربكم.. ؟ قال الله تعالى: عبدي أنفق أنفق عليك وأوسع أوسع عليك ولا تضيق فاضيق عليك ولا تضر فأضر عليك، ولا تخزن فأخزن عليك. »	٧٧ ٧٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٦٣	قال ﷺ: « يا زبير عظم الاخوان، وجلل الابرار، ووقر الأخيار وصل الجار ولا تماشِ الفجار وادخل الجنة بلا حساب ولا عذاب هذه وصية الله إليَّ ووصيتي إليك يا زبير. »	٧٨
٦٤	قال ﷺ: « يبعث الله يوم القيامة عبداً لا ذنب له فيقول بأي الأمرين أحب إليك أجزيك بعملك أم بنعمتي عليك.. ؟ قال: يا رب تعلم أني لم أعصك قال: خذوا عبدي بنعمة من نعمي فلا تبقى له حسنة إلا استفرغتها تلك النعمة فيقول: يا رب بنعمتك ورحمتك قال: فيقول بنعمتي ورحمتي. » ويؤتى بعبد محسن في نفسه لا يرى أن له سيئة فيقال له: هل كنت توالي أوليائي ؟ قال: يا رب لم أكن أحب أن يكون بيني وبين أحد شيء. قال: يقول الله عز وجل وعزتي لا ينال رحمتي من لم يوال أوليائي ولم يعاد أعدائي. »	٧٨
٦٥	قال ﷺ: لعمر بن الخطاب: « قل: اللهم اجعل علانيتي صالحة واجعل سريرتي خيراً من علانيتي، اللهم إني أسألك من خير ما يؤتى الناس من المال والولد غير الضال والمضل. »	
٦٧	قال ﷺ: « من بادر العاطس بالحمد لم يضره شيء من داء البطن. »	٨١

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٦٨	قال ﷺ: « أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا واذا ائتمنوا لم يخونوا وإذا وعدوا لم يخلفوا وإذا اشتروا لم يذموا وإذا باعوا لم يضروا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، وإذا كان لهم لم يعسروا. »	
٦٩	قال ﷺ: « أفضل الأعمال أن لا تتهم الله تعالى في شيء قضى عليك. »	٨٤
٧٠	قال ﷺ: « التاجر الصدوق مع النبيين والصديقيين والشهداء. »	٨٥
٧١	قال ﷺ: « فلا تفعلي يا قيلة إذا أردت أن تبيعي شيئاً فاستامي بالذي تريدين أن تبيعيه به أعطيت أو منعت، وإذا أردت أن تشتري شيئاً فاشتري بالذي تريدين أن تشتري به أعطيت أو منعت. »	٨٦
٧٢	قال ﷺ: « من استمع الى صوت غناء لم يؤذن له أن يستمع الروحانيين في الجنة. »	٨٧
٧٣	قال ﷺ: « أهل القرآن عرفاء أهل الجنة وقراؤها فيلذذون أهل الجنة بما يعطون من الأصوات وحظ كل واحد منهم من الله على قدر درجته. »	٨٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٧٤	قال ﷺ: « سيروا فقد سبق المفردون قالوا: يا رسول الله ومن المفردون.. ؟ قال: الذين اهتروا في ذكر الله يأتون يوم القيامة خفافاً يضع الذكر عنهم أثقالهم. »	٩٠
٧٥	قال ﷺ: « خير أمتي أولها وآخرها وفي وسطها الكدر. وفي رواية: مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أو آخره. »	٩٢
٧٦	قال ﷺ: « على رسلك يا عبد الرحمن أخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل زيد حتى قتل رحم الله زيداً ثم أخذ اللواء جعفر فقاتل جعفر حتى قتل رحم الله جعفراً ثم أخذ اللواء عبدالله حتى قتل رحم الله عبدالله، ثم أخذ اللواء خالد ففتح الله لخالد، فخالد سيف من سيوف الله تعالى. »	٩٢
٧٧	قال ﷺ: « إن من أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاته أحسن عبادة ربه وكان غامضاً في الناس وكان رزقه كفافاً فصبر عليه فعجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه. »	٩٤
٧٨	قال ﷺ: « يا أبا الدرداء أما إنه أحد السبعة الذين بهم كانت تقوم الأرض وبهم كنتم تستسقون المطر بل هو خيرهم. »	٩٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٧٩	قال ﷺ:	
	« في حديث جبريل عليه السلام حيث سأله عن الإحسان فقال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فإذا فعلت ذلك فأنا محسن.. ؟ قال: نعم. قال: صدقت. »	٩٩
٨٠	قال ﷺ:	
	« يضغط المؤمن في هذا ضغطة يزول منها حمائله ويملأ على الكافر ناراً. »	١٠٠
٨١	قال ﷺ:	
	« إن المؤمن في قبره في روضة خضراء يرحب له قبره سبعين ذراعاً وينور له قبره مثل ليلة البدر. أتدرون فيم نزلت والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً أتدورن ما التنين.. ؟ تسعة وتسعون حية لكل حية منها تسعة رؤوس ينفخن في جسمه ويلسعنه ويخدشنه الى يوم يبعثون. »	١٠١
٨٢	قال ﷺ:	
	« لا إله إلا الله سبحان الله هذا العبد الصالح لقد ضيق عليه قبره حتى خشيت أن لا يوسع عليه ثم وسع عليه. »	١٠٢
٨٣	قال ﷺ:	
	« إتقوا البول فإنه من أول ما يحاسب به العبد في القبر. »	١٠٢
٨٤	قال ﷺ:	
	« لو أفلت أحد من فتنة القبر أو ضمه لنجا سعد ولقد ضم ضمة ثم أرخي عليه. »	١٠٣

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٨٥	قال ﷺ:	
	« من هاب الله تعالى أهاب الله منه كل شيء. »	١٠٣
٩٦	قال ﷺ:	
	« من إتقى الله أهاب الله (عز وجل) منه كل شيء ومن لم يتق الله أهابه الله من كل شيء. »	١٠٣
٩٧	قال ﷺ:	
	« لو عرفتم الله تعالى حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال. »	١٠٣
٩٨	قال ﷺ:	
	« يقول القبر للميت حين يوضع فيه: ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم أني بيت الظلمة، وبيت الفتنة، وبيت الوحدة وبيت الدود ؟ ما غرك بي إذ كنت تمر بي فداداً قال: فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب القبر فيقول: أرأيت إن كان ممن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فيقول: إني أعود إليه خضراً ويعود جسده عليه نوراً وتصعد روحه الى رب العالمين. »	١٠٥
٩٩	قال ﷺ:	
	« من سعادة ابن آدم استخارته ربه، ومن سعادة ابن آدم رضاه بقضاء الله تعالى. »	١٠٧
١٠٠	قال ﷺ:	
	« إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا	١٠٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	أعلم وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي ومعاشي ومعادي وعاقبة أمري ـــ أو قال ـــ عاجل أمري وآجله ـــ فاقدره لي ويسره لي وبارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي ومعاشي ومعادي وعاقبة أمري فاصرفه عنه واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان، ورضني به. » وتسمي حاجتك باسمها.	
١٠١	قال ﷺ:	
	« الندم توبة ». وقال: « التائب من الذنب كمن لا ذنب له. »	١١٠
١٠٢	قال ﷺ:	
	« الدعاء مخ العبادة. »	
١٠٣	وعن كعب ـــ رضي الله عنه ـــ قال: قال الله تعالى لموسى: يا موسى قل للمؤمنين لا يستعجلوني إذا دعوني ولا يبخلوني أليس يعلمون أني أبغض البخل فكيف أكون بخيلاً. يا موسى لا تخف من أن تسألني عظيماً ولا تستحي أن تسألني صغيراً. »	١١٣
١٠٤	قال ﷺ:	
	« إن أرواح المؤمنين لتتلاقى على مسيرة يوم وما رأى صاحبه قط. »	١١٥
١٠٥	قال ﷺ:	
	« يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة. » فاطلع جرير.	١١٦

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٠٦	قال ﷺ: « لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح. » رضي الله عنه.	١١٧
١٠٧	قال ﷺ: « نعم العبد يدخله الرجل المسلم بيت الحمام وذلك إذا دخله سأل الله تعالى الجنة واستعاذه من الناس. وبئس البيت يدخله الرجل المسلم بيت العروس وذلك لأنه يرغبه في الدنيا وينسيه الآخرة. »	١١٩
١٠٨	قال ﷺ: « اتقوا بيتاً يقال له الحمام. قيل: يا رسول الله إنه يذهب الوسخ ويذكر النار. فقال: إن كنتم لا بد فاعلين فادخلوه مستترين. »	
١٠٩	قال ﷺ: للربيع بنت معوذ بن عفراء: « تحلَّي بهذه يا بنية. » وأعطاها ملئ كفه حلياً أو ذهباً.	١٢١
١١٠	قال ﷺ: « الهدية رزق من الله طيب فإذا أهدي الى أحدكم فليقبلها وليعط خيراً منها. »	١٢٣
١١١	قال ﷺ: « من ولي من أمر أمتي شيئاً فحسنت سريرته رزق الهيبة من قلوبهم وإذا بسط يده لهم بالمعروف رزق المحبة منهم، وإذا وفر عليهم أموالهم وفر الله عليه ماله، وإذا	١٢٤

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	أنصف الضعيف من القوي قوى الله سلطانه، وإذا عدل، مد الله في عمره. »	
١١٢	قال ﷺ:	
	« أيها الناس من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله عز وجل ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه. وإن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر فاغدوا وروحوا في ذكر الله في الأرض. ألا فارتعوا في رياض الجنة. قالوا: وأين رياض الجنة يا رسول الله.. ؟ قال: مجالس الذكر.	١٢٦
١١٣	قال ﷺ:	
	« الاقتصاد والهدى الصالح والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة. »	١٢٨
١١٤	قال ﷺ:	
	« قال ربكم وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين. »	١٢٩
١١٥	قال ﷺ:	
	« أنت القائل الليلة واغوثاه من النار.. ؟ قال: نعم. يا رسول الله قال: لقد أبكيت أعيان ملأ من الملائكة كثيرة. »	١٣١
١١٦	قال ﷺ:	
	« أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك. »	١٣٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١١٧	قال ﷺ: « أيها الناس استغفروا ربكم ثم توبوا اليه فوالله إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة. » وفي رواية: وإنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة. »	١٣٣ ١٣٣
١١٨	قال ﷺ: « نظر الرجل الى أخيه على شوق خير من اعتكاف سنة في مسجدي هذا. »	١٣٩
١١٩	قال ﷺ: « صلاة في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة فيما سواه. »	١٣٩
١٢٠	قال ﷺ: « سيد ادامكم الملح. »	١٤٣
١٢١	قال ﷺ: « عن علي ــ كرم الله وجهه ــ قال: جاء رجل الى رسول الله ــ ﷺ ــ فقال: متى الساعة.. ؟ قال: وما أعددت لها.. ؟ قال: حب الله ورسوله. قال: فأنت مع من أحببت.	١٤٤
١٢٢	قال ﷺ: « لا يبلغ أحدكم ذروة الإيمان حتى يكون الناس عنده أمثال الأباعر في جنب الله تعالى ثم يرجع الى نفسه فيكون لها أحقر حاقر. »	١٤٦

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٢٣	قال ﷺ:	
	« حبك الشيء يعمي ويصم. »	١٤٦
١٢٤	قال ﷺ:	
	« يا زاهر قال: لبيك يا رسول الله. قال: من يشتري مني زاهر.. ؟ فقال: يا رسول الله إذاً تجدني كاسداً.. ؟ فقال: يا زاهر إن تكن عند الناس كاسداً فإنك لست عند الله كاسداً. إذا قدمت المدينة فانزل عليَّ وإذا أنا بدوت نزلت عليك. »	١٤٩
١٢٥	« قال رسول الله ــ ﷺ لأبي هريرة عندما سأله أي النساء خير.. ؟ قال: التي تسره إذا نظر ولا تعصيه إذا أمر، ولا تخالفه لما يكره في نفسها ومالها. »	١٥٠
١٢٦	قال ﷺ:	
	« النساء عندكم عوان أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله فيهن. »	١٥١
١٢٧	قال ﷺ:	
	« لا تمنع المرأة نفسها من الزوج وإن كانت على رأس تنور. » وفي رواية: « وإن كانت على قتب. »	١٥٢
١٢٨	قال ﷺ:	
	« الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة. وقال: خير ما أعطي العبد من الدنيا زوجة مؤمنة تعينه على إيمانه. »	
١٢٩	قال ﷺ:	
	« قال الله عز وجل: إذا بلغ عبدي أربعين سنة عافيته من البلايا الثلاث: من الجنون، والبرص، والجذام، فإذا بلغ	١٥٤

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	خمسين سنة حاسبته حساباً يسيراً، وإذا بلغ ستين سنة حببت إليه الانابة، وإذا بلغ سبعين سنة أحبته الملائكة، وإذا بلغ تسعين سنة قالت الملائكة: أسير الله في الأرض فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع في أهله. »	
١٣٠	قال ﷺ: « إن الله تعالى يستحي من عبده وأمته أن يشيبا في الإسلام فيعذبهما. »	١٥٥
١٣١	قال ﷺ: « أقل أمتي أبناء السبعين وقال: « معترك المنايا ما بين الستين الى السبعين. »	١٥٨
١٣٢	قال ﷺ: « إذا بلغ الرجل من أمتي ثمانين سنة حرم الله جلده على النار، وإذا بلغ تسعين سنة فقد أفند وفقد عقله، وكان العقل حجة الله عليه، فغفر له ما تقدم من ذنبه بقطع هذا العمر مسلماً. »	١٥٨
١٣٣	قال ﷺ: « من دخل السوق أو سوقاً من أسواق المسلمين فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة وحطت عنه ألف ألف خطيئة ورفعت إليه ألف ألف درجة. »	١٥٩

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٣٤	قال ﷺ: « ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في السنة الحمراء. »	١٦١
١٣٥	قال ﷺ: « تجدون الناس كالإبل المائة ليس فيها راحلة أو ليس فيها إلا راحلة. »	١٦٣
١٣٦	قال ﷺ: « لله أحن بدم عبده المؤمن من أحدكم بكريمة ماله حتى يقبضه على فراشه. »	١٦٥
١٣٧	قال ﷺ: « إن لله تعالى عباداً يضن بهم عن الأمراض والأسقام يحييهم في عافية، ويميتهم في عافية، ويدخلهم الجنة في عافية. »	١٦٥
١٣٨	قال ﷺ: « طوبى للسابقين الى ظل الله تعالى. قيل: ومن هم يا رسول الله.. ؟ قال: الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوا بذلوه، والذين يحكمون للناس بحكمهم لأنفسهم. »	
١٣٩	قال ﷺ: حين سأل أي المؤمنين أفضل.. ؟ « قال: مخموم القلب، صدوق اللسان، قالوا: يا رسول الله ما مخموم القلب ؟ قال: التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد. قالوا: ما نعرف هذا فينا يا رسول الله	١٦٠

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	فمن يليه.. ؟ قال: الذين شنئوا الدنيا وأحيوا الآخرة. قالوا: ما نعرف هذا فينا إلا رافع مولى رسول الله ـــ ﷺ فمن يليه.. ؟ قال: مؤمن في خلق حسن. »	
١٤٠	قال ﷺ: « في كل قرن من أمتي السابقون. » وقال: « الناس كالإبل المائة. »	١٦٩
١٤١	قال ﷺ: « إذا قام أحدكم الى الصلاة فليسكن أطرافه لا يتميل تميل اليهود فان سكون الأطراف من تمام الصلاة. »	١٧١
١٤٢	قال ﷺ: « تعوذوا بالله من خشوع النفاق قالوا: يا رسول الله وما خشوع النفاق.. ؟ قال: خشوع البدن ونفاق القلب. »	١٧٢
١٤٣	قال ﷺ: حين رأى رجلاً يعبث في لحيته في صلاته: « لو خشع قلبه لخشعت جوارحه. »	١٧٢
١٤٤	قال ﷺ: « سكنوا أطرفكم في الصلاة. » وقال: « صلوا في نعالكم ولا تشبهوا باليهود. »	١٧٢
١٤٥	قال ﷺ: « لا تبدأوا بالكلام قبل السلام ومن بدأكم بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه. »	١٧٥

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٤٦	قال ﷺ: « ما من آدمي إلا أخطأ أو همَّ بخطيئة غير يحيى بن زكريا. »	١٧٦
١٤٧	قال ﷺ: « أعطيت ما لم يعط أحد سميت أحمد ونصرت بالرعب	١٧٦
١٤٨	قال ﷺ: « إن الله مسمي أمتي فاشتق لها اسمين من اسمه وهو السلام والمؤمن وسماهم مسلمين ومؤمنين. »	١٧٦
١٤٩	قال ﷺ: « أعطي أمتي ثلاثاً لم يعط أحد قبلهن: السلام وهي تحية أهل الجنة، وصفوف الملائكة، وآمين إلا ما كان من موسى وهارون. »	١٧٧
١٥٠	قال ﷺ: « من بدأ بالسلام فهو أولى بالله ورسوله. »	١٧٧
١٥١	قال ﷺ: « سبحان مقلب القلوب. »	١٨٣
١٥٢	قال ﷺ: « ثلاثة تحت العرش، القرآن له ظهر وبطن يحاج العباد والرحم تنادي صل من وصلني واقطع من قطعني والامانة ظهر وبطن فالظهر يحاج العامة والبطن يحاج الخاصة. »	١٨٧
١٥٣	قال ﷺ: « إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقوي الرحمن فقال: مه. قالت: هذا مقام	١٨٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	العائذ من القطيعة قال: نعم ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت بلى. قال: فذلك لك. »	
١٥٤	قال ﷺ: « قال الله تعالى للرحم :خلقتك بيدي وشققت لك اسماً من اسمي، وقربت مكانك مني، وعزتي وجلالي لأصلن من وصلك، ولأقطعن من قطعك ولا أرضى حتى ترضين. »	١٨٩
١٥٥	قال ﷺ: « يقول الله عز وجل أنا الرحمن وهي الرحم لها شجنة من وصلها وصلته ومن قطعها بتته لها يوم القيامة. »	١٨٩
١٥٦	قال ﷺ: « بلوا أرحامكم ولو بالسلام. »	١٩١
١٥٧	قال ﷺ: « الأمانة تحت العرش. »	١٩١
١٥٨	قال ﷺ: « لا إيمان لمن لا أمانة له. »	١٩١
١٥٩	قال ﷺ: « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمراً بالمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكراً لله تعالى. »	١٩٢
١٦٠	قال ﷺ: « قال الله تعالى: إذا أحببت عبدي كنت سمعه وبصره ولسانه فبي يسمع وبي يبصر، وبي ينطق، وبي يعقل. »	١٩٥

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٦١	قال ﷺ: « تكون في أمتي فزعة فيصير الناس الى علمائهم فإذا هم قردة وخنازير. »	١٩٦
١٦٢	قال ﷺ: « إني قارئ عليكم سورة ألهاكم فمن بكى فله الجنة فقرأ فمنا من بكى ومن من لم يبك فقال الذين لم يبكوا: قد جهدنا يا رسول الله أن نبكي فلم نقدر عليه. فقال إني قارئها عليكم الثانية فمن بكى فله الجنة ومن لم يقدر أن يبكي فليتباك. »	١٩٨
١٦٣	قال ﷺ: « قال الله تعالى لموسى: أما البكاؤون من خشيتي فلهم الرفيق الأعلى لا يشركهم فيه أحد. »	١٩٩
١٦٤	بكى عليه السلام على ابنه ابراهيم فقيل: أتبكي يا رسول الله.. ؟ قال: « إنما هذه رحمة ومن لا يرحم لا يرحم. »	٢٠١
١٦٥	قال ﷺ: « ما من نعمة وإن تقادم عهدها فيجددها العبد بالحمد إلا جدد الله تعالى له ثواباً وما من معصية وإن تقادم عهدها فيجدد لها العبد الاسترجاع إلا جدد الله له ثوابها وأجرها. والشكر على النعمة يخفف أثقالها والصبر على الشدة يحرز لك ثمرتها. »	٢٠٣
١٦٦	قال ﷺ: « جددوا إيمانكم بلا إله إلا الله. »	٢٠٤

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٦٧	قال ﷺ: « إن استطعتم أن تستكثروا من الاستغفار فافعلوا، فإنه ليس شيء أنجح عند الله تعالى ولا أحب اليه منه. »	٢٠٥
١٦٨	قال ﷺ: « يا معشر الذين أسلموا بألسنتهم ولم يدخل الإيمان في قلوبهم لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عثراتهم فإنه من يتبع عثرة أخيه المسلم، يتبع الله عثرته ومن يتبع الله عثرته يفضحه وهو في قعر بيته. »	٢٠٧
١٦٩	قال ﷺ: « لله أفرح بتوبة العبد من رجل وجد ضالته في مفازة ٢٠٨ مهلكة عليها طعامه وشرابه. »	
١٧٠	قال ﷺ: « من أدمن الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب. »	٢٠٩
١٧١	قال ﷺ: « خياركم كل مفتن تواب. »	٢٠٩
١٧٢	قال ﷺ: « إذا تاب العبد فقبل الله توبته أنسى الحفظة ما كان يعمل وقيل للأرض ولجوارحه: اكتمي عليه ولا تظهري مساوئه أبداً. »	٢١٠
١٧٣	قال ﷺ: « أربع من أعطيهن لم يمنع من الله من أربع: من أعطي	٢١١

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	الدعاء لم يمنع الإجابة قال الله تعالى: ادعوني استجب لكم. »	
	ومن أُعطي الاستغفار لم يمنع المغفرة قال الله تعالى: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً. »	٢١١
	ومن أعطي الشكر لم يمنع الزيادة قال الله تعالى: لئن شكرتم لأزيدكم. »	
	ومن أُعطي التوبة: لم يمنع القبول فإنه قال: وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. »	
١٧٤	قال ﷺ:	
	« إذا أراد الله بعبد خيراً جعل غناه في نفسه وتقاه في قلبه. »	٢١٤
١٧٥	قال ﷺ:	
	« الحياء زينة والتقى كرم وخير المراكب الصبر وانتظار الفرج من الله تعالى عبادة. »	٢٢٠
١٧٦	قال ﷺ:	
	« لا تقولوا للعنب كرماً إنما الكرم قلب المؤمن. »	٢٢١
١٧٧	قال ﷺ:	
	« زمزم لما شربت له. » وقالت عائشة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا دخل البيت كأحدكم يخيط ثوبه ويعمل كأحدكم.	٢٢٣
١٧٨	قال ﷺ:	
	« المقة من الله في الأرض والصيت في السماء، فإذا أحب	٢٢٥

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	الله تعالى عبداً نادى جبرئيل في السماء أن الله تعالى يحب فلاناً فأحبوه فتنزل المقة في الأرض. »	
١٧٩	قال ﷺ: « لكل عبد صيت فإن كان صالحاً وضع في السماء وإن كان سيئاً وضع في الأرض. »	٢٢٦
١٨٠	قال ﷺ: « اللهم طهر قلبي من النفاق وعملي من الرياء ولساني من الكذب وعيني من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. »	٢٢٧
١٨١	قال ﷺ: « اللهم طهر قلبي من النفاق وعملي من الرياء ولساني من الكذب، وعيني من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. »	٢٢٧
١٨٢	قال ﷺ: « ما جاءني جبريل إلا أمرني بهاتين. قال: تقول: اللهم ارزقني طيباً واستعملني صالحاً. »	
١٨٣	قال ﷺ: « عن الله تعالى: من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة وإني لأسرع شيء الى نصرة أوليائي، لأني لأغضب لهم كما يغضب الليث الحرب، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض روح المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه، وما تعبد لي عبدي المؤمن بمثل الزهد في الدنيا ولا تقرب اليَّ عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت	٢٣٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	عليه ولا يزال عبدي يتقرب اليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً إن سألني أعطيته وإن دعاني استجبت له. »	
١٨٤	قال ﷺ: « المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله تعالى، وذلك أفضل الجهاد. »	٢٣٤
١٨٥	قال ﷺ: « أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان. »	٢٣٦
١٨٦	قال ﷺ: « إياك ونار المؤمن لا تحرقك وإن عثر كل يوم سبع مرات فإن يمينه بيد الله تعالى: إذا شاء أن ينعشه نعشه. »	٢٣٨
١٨٧	قال ﷺ: « إن الظالم إذا لم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعذاب. »	٢٤٣
١٨٨	قال ﷺ: « مثل القائم على حدود الله والمداهن في حدود الله والساكت عنه والراكب حدود الله الخ. »	٢٤٣
١٨٩	قال ﷺ: « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً من هم.. ؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: هم أصحاب الأهواء وأصحاب البدع وأصحاب الضلال من هذه الأمة يا عائشة إن لكل	٢٤٥

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	ذنب توبة ما خلا أصحاب الأهواء والبدع ليس لهم توبة أنا منهم بريء وهم مني براء. »	
١٩٠	قال ﷺ: « قد افترقت بنو إسرائيل اليهود منهم على احدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قيل يا رسول الله من هذه الواحدة قال: السواد الأعظم.	٢٤٨
١٩١	قال ﷺ: « أخوف ما أخاف على أمتي ثلاث: ضلالة الأهواء، واتباع الشهوات في البطن والفرج، والعجب. »	٢٤٩
١٩٢	قال ﷺ: « ما من صوت أحب الى الله تعالى من صوت عن لهفان قالوا: يا رسول الله وما اللهفان ؟ قال: عبد أصاب ذنباً فكلما ذكر بذنبه امتلأ قلبه فرقاً من الله تعالى: فقال: يا رباه.	٢٥٢
١٩٣	قال ﷺ: « خمس من سنن المرسلين الحياء، والحلم والحجامة والسواك والتعطر. »	٢٥٤
١٩٤	قال ﷺ: « أعطيت قوة أربعين رجلاً من البطش والنكاح وأعطي المؤمن قوة عشرة. »	٢٥٥

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٩٥	قال ﷺ: « أترعون عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس: إذكروه بما فيه يحذره الناس. »	٢٥٧
١٩٦	قال ﷺ: « لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور في جوها فالله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم. »	٢٥٩
١٩٧	قال ﷺ: « إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى فإن كان خيراً استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم الى ما هديتنا. »	٢٦٠
١٩٨	قال ﷺ: « مثل المريض إذا برئ من مرضه وصح كمثل البردة تقع من السماء في صفاتها ولونها. »	٢٦٣
١٩٩	قال ﷺ: « يا عائشة أحسني جوار نعم الله تعالى فإنها قل ما نفرت عن أهل بيت فكادت ترجع إليهم. »	٢٦٤
٢٠٠	قال ﷺ: « لو أن الدنيا كلها بحذافيرها في يد رجل من أمتي ثم قال: الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك. »	٢٦٧
٢٠١	قال ﷺ: « ما محق الإسلام محق البخل شيء قط، ومن كف غضبه	٢٦٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	كف الله عنه عذابه ومن حفظ لسانه ستر الله عورته ومن اعتذر الى الله في الدنيا قبل الله معذرته. »	
٢٠٢	قال ﷺ:	
	« ما من أحد يعتذر الى أخيه فلم يقبل عذره إلا كان عليه كخطيئة صاحب مكس وهو العشار. »	٢٦٩
٢٠٣	قال ﷺ:	
	« إذا عظمت أمتي الدنيا نزعت منها هيبة الإسلام وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وإذا تسابت أمتي سقطت من عين الله تعالى. »	٢٧٠
٢٠٤	قال ﷺ:	
	« تمام البر أن تعمل في السر عمل العلانية. »	٢٧٠
٢٠٥	قال ﷺ:	
	« من قال في دبر الصلاة بعدما يسلم هذه الكلمات كتبه ملك في رقه فختم بخاتم ثم رفعها الى يوم القيامة فإذا بعث الله العبد من قبره جاءه الملك ومعه الكتاب ينادي أين أهل العهود حتى يدفع إليه. »	
٢٠٦	قال ﷺ:	
	« من قال عشر كلمات: عند دبر كل صلاة وجد الله عندهن مكفياً مجزياً خمس للدنيا وخمس للآخرة: حسبي الله لديني، حسبي الله لدنياي، حسبي الله لما أهمني، حسبي الله لمن بغى عليَّ، حسبي الله لمن حسدني، حسبي الله لمن كادني بسوء، حسبي الله عند الموت، حسبي الله عند المساءلة في القبر، حسبي الله عند الميزان، حسبي	٢٧٤

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	الله عند الصراط، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب. »	
٢٠٧	قال ﷺ:	
	« إذا قال العبد: حسبي الله سبع مرات قال الله تعالى: صدق عبدي لأكفينَّه صادقاً أو كاذباً. »	٢٧٦
٢٠٨	قال ﷺ:	
	« لقنوا موتاكم لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم. الحمد لله رب العالمين قالوا يا رسول الله فكيف هي للحي: قال: أجود وأجود. »	٢٧٩
٢٠٩	قال ﷺ:	
	« رأيت مكتوباً على باب الجنة القرض بثمانية عشر والصدقة بعشر فقلت يا جبرئيل ما بال القرض بثمانية عشر والصدقة بعشر.. ؟ قال: لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا وهو محتاج وربما وضعت الصدقة في غني. »	٢٨٠
٢١٠	قال ﷺ:	
	« إن الناس لم يعطوا شيئاً أفضل من العفو والعافية فأسألوهما الله سبحانه. »	٢٨١
٢١١	قال ﷺ:	
	« إن الله يحب الملحين في الدعاء. »	٢٨٢
٢١٢	قال ﷺ:	
	« يقول الله تعالى لجبرئيل عليه السلام: يا جبرئيل قد قضيت حاجة فلان وأحببت دعوته ولكن احبسها عنه فإني أحب صوته. »	٢٨٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٢١٣	قال ﷺ: « ليدع أحدكم ولا يقولنّ قد سألت ولم يستجب لي. وقال: إن العبد المؤمن يستجاب له... إلى آخر الحديث. »	٣٨٢
٢١٤	قال ﷺ: « أمر رسول الله عبدالله بن عمرو أن يقرأ القرآن في أربعين ليلة. فاستزاده حتى رجع الى سبع... قال رجل: يا رسول الله من قرأه في سبع. قال: ذاك عمل المقربين... الى آخر الحديث. »	٢٨٥
٢١٥	قال ﷺ: « ... فاتقوا الله أيها الناس، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تأخذوه بمعصية، فان الله لا يدرك ما عنده إلا بطاعته. »	٢٨٨
٢١٦	قال ﷺ: « قال الله تعالى: إذا وجهت الى عبد من عبادي مصيبة في بدنه أو في ولده أو في ماله فاستقبله بصبر جميل، استحييت يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً. »	٢٩٠
٢١٧	قال ﷺ: « اطلبوا الخير دهركم وتعرضوا لنفحات رحمة الله. فإن لله تعالى نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده. وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم. »	٢٩٣

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٢١٨	قال ﷺ: « لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة. »	٢٩٥
٢١٩	قال ﷺ: عندما قيل له: نراك قد شبت: « شيبتني هود واخواتها. »	٢٩٧
٢٢٠	قال ﷺ: « من اعتز بالعبيد، أذلّه الله تعالى. »	
٢٢١	قال ﷺ: في خبر عن ربه تعالى: « قال الله تعالى: إني والجن والإنس في نبأ عظيم. أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر غيري. »	
٢٢٢	قال ﷺ: ثلاث من فعلهن طعمَ طَعْمَ الإيمان: « مَنْ عبد الله وحده أنه لا إله إلا هو، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه... » إلى آخر الحديث.	٣٠٢
٢٢٣	قال ﷺ: « أن تعبد الله كأنك تراه. »	
٢٢٤	قال ﷺ: « إن أفضل إيمان العبد أن يعلم أن الله معه حيث كان. »	٣٠٥
٢٢٥	قال ﷺ: « إن الأرض لتنادي كل يوم سبعين مرة: يا بني آدم كلوا ما شئتم واشتهيتم، فوالله لآكلن لحومكم وجلودكم. »	٣٠٦

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٢٢٦	قال ﷺ:	
	« من تشعبت به همومه في دنياه لم يبال الله في أي وادٍ هلك. »	٣٠٩
٢٢٧	قال ﷺ:	
	« مكارم الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه، تكون في الابن ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في سيده... » إلى آخر الحديث.	٣١١
٢٢٨	قال ﷺ:	
	« إن الأخلاق مخزونة عند الله. فإذا أراد الله بعبد خيراً منحه منها خلقاً. »	٣١١
٢٢٩	قال ﷺ:	
	« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ». وقال: « إن لله مائة وسبعة عشر خلقاً، فمن أتى بواحدة منها دخل الجنة ». وقال: « إن الله تعالى يحب معالي الأخلاق، فإذا جعل من محابه في عبد من عبيده، أنجاه محبوبه ». وقال: « إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ». وقال: « ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة ». وقال: « إنه لينال بحسن الخلق درجة الصائم القائم ». وقال: « رأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه فأدخله على الله تعالى. »	٣١٢
٢٣٠	قال ﷺ:	
	« يا أبا بردة، لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق. »	٣١٤

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٢٣١	قال ﷺ:	
	« أربع خصال إذا أعطي العبد فلا يضره ما عزل عنه من الدنيا: حسن خلقه، وعفاف طعمه، وصدق حديث، وحفظ أمانة. »	٣١٦
٢٣٢	قال ﷺ:	
	« ليس من الصلوات أفضل من صلاة الغدوة يوم الجمعة في جماعة، وما أحسبه شهدها أحد منكم إلا مغفوراً له. »	٣١٧
٢٣٣	قال ﷺ:	
	من صلى الصبح في جماعة، فهو في ذمة الله تعالى. »	٣١٧
٢٣٤	قال ﷺ:	
	« مثل بلال كمثل نحلة غدت تأكل من الحلو والمر ثم يمسي حلواً كله. »	٣١٩
٢٣٥	قال ﷺ:	
	« عليكم بألبان البقر فإنها ترم ». وقال: « لبنها دواء وسمنها شفاء، ولحمها داء. »	٣٢٠
٢٣٦	قال ﷺ لأبي بكر:	
	« قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم. »	٣٢٣
٢٣٧	قال ﷺ:	
	« قال ربكم عز وجل: أنا أهل أن أُتقى فلا يُجعل معي إله. فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً كان أهلاً أن أغفر له. » وفي رواية أخرى: « أنا أهل أن أغفر له. »	٣٢٥

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٢٣٨	قال ﷺ: « خيّرني ربي بين لقائه وبين الخلد في الدنيا، فاخترت لقاء ربي ». وقال: « قال الله عز وجل: إني لأجدني استحيي من عبدي يرفع يديه ثم أردهما... » الخ.	٢٣٦
٢٣٩	قال ﷺ: « يكون في آخر الزمان ديدان القراء. فمن أدرك ذلك فليتعوذ من الشيطان الرجيم... » الى آخر الحديث.	٢٣٧
٢٤٠	قال ﷺ في رواية: « يأتي على الناس زمان المتمسك فيه بسنتي عند اختلاف أمتي كالقابض على الجمر. »	٣٢٧
٢٤١	قال عليه السلام: « إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعاً من قلوب الناس. ولكن يقبض العلماء. فإذا ماتوا اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير فضل فضلّوا وأضلّوا. »	٣٢٩
٢٤٢	قال عليه السلام لأصحابه: « أنتم اليوم على بيّنة من ربكم، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتجاهدون في سبيل الله... » الى آخر الحديث.	٣٣٠
٢٤٣	قال عليه السلام: « ما لقي الشيطان عمر إلا خرّ لوجهه، وما سمع حسّه إلا فرّ. »	٣٣٣
٢٤٤	قال عليه السلام لعائشة رضي الله عنها: « يا عائشة، أحسني جوار نعم الله، فإنها قلّ ما	٣٣٤

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	نفرت عن أهل بيت فكادت ترجع إليهم ». وقال: « أكرموا الخبز فإن الله عز وجل أنزله من بركات السماء، وأخرج له من بركات الأرض. »	
٢٤٥	قال ﷺ: « مثل المريض إذا برئ وصحّ من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها. »	٣٣٦
٢٤٦	قال عليه السلام: « الصوم جُنَّة ».	٣٣٧
٢٤٧	قال عليه السلام: « يقول الله تعالى: ابتلى عبدي المؤمن. فإن لم يشكني الى عواده، أطلقته من أساري، ثم أبدلته لحماً هو خير من لحمه، ودماً هو خير من دمه، ثم ليأتنف العمل. »	٣٣٨
٢٤٨	قال عليه السلام لأبي سعيد الخدري عن شدة حمى أصابته: « إنا كذلك. يشتدّ علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر... » إلى آخر الحديث.	٢٢٩
٢٤٩	قال عليه السلام: « المغبون لا محمود ولا مأجور. إذا استرسل في وقت المبالغة فاشترى فغبن، لم يقع عند البائع موقع المعروف فيحمد، ولا يحتسب بما زاد على قيمته ليسر فيؤجر. »	٣٤٠
٢٥٠	كان رسول الله ﷺ يقول إذا رأى الهلال: « اللهم، أهلّه علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله ». وفي رواية: « إلهي وإلهك وربي وربك الله، الحمد لله الذي سخّرك لنا. »	٣٤٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٢٥١	قال ﷺ: « لم أر شيئاً أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم. إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين. »	٣٤٤
٢٥٢	قال ﷺ: « عرامة الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره. »	٣٤٦
٢٥٣	قال عليه السلام لأبي رافع رضي الله عنه: « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وأن لا يرزقه إلا طيباً. »	٣٤٨
٢٥٤	قال عليه السلام: « التائب من الذنب كمن لا ذنب له. » وقال: « والندم توبة. »	٢٤٩
٢٥٥	قال عليه السلام: « الالتفاع لبسة أهل الإيمان. والتردي لبسة العرب. »	٣٥١
٢٥٦	كان عليه السلام يسأل عن الرجل شديدة عبادته: « كيف عقله ؟ » فان قالوا غير ذلك، قال: لن يبلغ. »	٣٥٣
٢٥٧	قال عليه السلام: « إن أول شيء خلق الله تعالى القلم، ثم خلق النون، وهي الدواة ثم قال له: اكتب... » الى آخر الحديث.	٣٥٤
٢٥٨	قال عليه السلام: « لا يعجبنكم إسلام رجل حتى تعملوا عقدة عقله. » وقال: « الورع سيد العمل. ومن لم يكن له ورع يرده عن معصية الله تعالى إذا خلا بها لم يعبأ الله سائر عمله	٣٥٥

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	شيئاً ». وقال: « يا عائشة، إياك والمحقرات فإن لها من الله طالباً. »	
٢٥٩	قال عليه السلام لعائشة رضي الله عنها:	
	« إن فيكم مغربين. قلت: يا رسول الله، ما المغربون ؟	٣٦٠
	قال: الذين يشترك فيهم الجن. »	
٢٦٠	قال عليه السلام:	
	« ستر بين عورات بني آدم وبين أعين الجن إذا وضع	٣٦٠
	الرجل ثوبه أن يقول بسم الله. »	

٣ ــ فهرس الأعلام

حرف الألف

أبيّ بن كعب : ٥٧، ٥٨، ٨٠، ٨١، ٨٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠٦، ١٢٠، ١٣١، ١٣٨.

أحمد بن حنبل : ٩، ١٣، ١٧، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٢، ٣٩، ٤١، ٤٥، ٤٧، ٥٤، ٥٧، ٦٢، ٦٩، ٧٢، ٧٣، ٧٦، ٧٩، ٩٩، ١٠١، ١٠٣، ١٠٧، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢١، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٧، ١٥١، ١٥٢، ١٥٧، ١٦٣، ١٧٦، ١٨٥، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٥، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٣، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٧٩، ٢٨٣، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٥٦.

آدم عليه السلام : ١٢، ١٣، ٥٢، ٦١، ٧١، ٧٦، ٨٢، ١٠١، ١٠٥، ١٠٧، ١١٧، ١٢٨، ١٤٠، ١٤٦، ١٤٧، ١٧٦، ٢٠٦، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٦٠.

أسماء بنت أبي بكر : ٢٠، ٣١، ٤٥، ٥٧، ٧١، ٧٦، ٨٧، ٩٠، ١٠٥، ١٠٧، ١١٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٤، ١٥٥، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٧١، ١٧٤، ١٧٩، ١٨٨.

أسماء بنت يزيد : ٣٩، ٥٢، ٩٠، ٩٨، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٤، ١١٩، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٥.

الأسود بن يزيد : ١٠١، ١١٨، ١٢٠، ١٣٦، ١٤٢، ١٤٦، ١٧١، ١٧٤، ١٧٩، ١٨٢، ١٩٣، ٣٠٩.

الأشعري : ١٠٠، ١١٧، ١٢٠، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٦٠، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٦٧، ٢٩١.

الأوزاعي : ٩، ٤٠، ٥١، ٦٢، ٧٠، ٨١، ٩٢، ٩٧، ٩٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٣، ٣٣٢.
أويس القرنـــي : ٩٦، ١١٦، ١٢٦، ١٣٩، ١٤١، ١٤٦، ١٥٩، ١٦١، ١٦٥، ١٧٢، ١٨٨، ١٩٩.

حرف الباء

بريدة (الصحابي) : ٢٠، ١٠١، ١١٧، ١٤٨، ١٦٠، ١٧٦، ١٨٧، ١٩١، ٢٠٤، ٢١٩، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٥١، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٧.

بلال مؤذن الرسول : ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٨٨، ٩٥، ٩٩، ١٠١، ١١٨، ١٢١، ١٢٥، ١٢٨، ١٤٠، ١٤٦، ١٦١، ١٦٥.

بلال بن يحيى : ١٠١، ١٠٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢٦، ١٣١، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٩، ١٤١، ١٤٣، ١٤٦، ١٥٩، ١٦٧، ١٨١، ١٨٥، ١٨٩، ٣٤٢.

بهز بن يحيى : ٥٢، ٧٠، ٩٩، ١١٣، ١١٥، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٣١، ١٣٨، ١٤١، ١٤٣، ١٤٧، ١٥١، ١٦٧، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٣، ٢٣٠، ٢٤٣، ٢٥٧.

حرف التاء

ثابت البناني : ٩٢، ٩٣، ١٠٦، ١٠٩، ١١٣، ١٢١، ١٣١، ١٦٧، ١٧٦، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٠، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٥.
ثعلبة الخشني : ٧، ٢١، ٣٠، ٥٢، ٦١، ٦٣، ٦٧، ٦٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٣، ١٢٥، ١٧٨، ١٩٩.
ثوبان مولى رسول الله : ١٠٢، ١٣٠، ١٤١، ٢١٩، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٨٠، ٢٨٧، ٢٩٥، ٣٠٦.

حرف الحاء

الحارث بن عميرة : ١١٥، ١٢٠، ١٢٧، ١٣٩، ١٤١، ١٤٥، ١٦٧، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ٢٠٦، ٢١١.
الحجاج بن يوسف : ٧٠، ٨١، ٨٧، ٩١، ٩٧، ١٠٦، ١١٧، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٧، ١٤٠، ١٥٢.
حذيفة بن اليمان : ١٠١، ١٠٢، ١٣١، ١٣٥، ١٤٧، ١٥٢، ١٦٦، ١٧٧، ١٨١، ١٨٨، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٢٠، ٢٨٨.
الحسن البصري : ١١، ١١٦، ٢٢٨،

٢٤٠، ٢٤٥، ١٥٣، ١٥٨، ٢٠٠، ٢٥٤، ٢٦٥، ٢٩٤.
الحسن بن علي : ٢٨، ٥٢، ٥٦، ٧٩، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٩٧، ١١٠، ١١٣، ١١٧، ١٢١، ١٢٤، ١٣٢.
الحسين بن علي : ٢٨، ٨٧، ١٠٠، ١٢٩، ١٣١، ١٣٧، ١٣٩، ١٥٨، ١٦٧، ١٧٦، ١٨٧، ١٩٥، ٢٠٤، ٢١١.
حفصة بنت عمر : ٥، ٥٦، ١٠٢، ١٠٤، ١٢١، ١٣٧، ١٤٥، ١٤٧، ١٦٤، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٨، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٤.
حكيم بن حزام : ٥٥، ٦٨، ٨٢، ١٢٠، ١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٧، ١٥٢، ١٥٥، ١٦٣، ١٦٥، ١٧٨، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٨، ٣١٠.
حماد بن زيد بن ثابت : ١١٣، ١٥٧، ١٧٢، ١٧٥، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٣، ٢١٧، ٢٣١، ٢٤٢، ٢٤٥، ٣٠٠.
حماد بن سلمة : ٢٢، ٣١، ٩٧، ١١٩، ١٢١، ١٣٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٢٧، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٧، ١٦١، ١٦٣.

حرف الخاء

خالد بن سمير : ١٠٤، ١٢٢، ١٣٠، ١٣٧، ١٤٥، ١٥٠، ١٥٥، ١٦١، ١٦٣، ١٦٦، ١٧١، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٤، ١٩٨، ١٠٤.
خالد بن معدان : ١٩٩، ٢٠٣، ٢٢١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٥، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٧.
خولة بنت حكيم : ٥٩، ١٠١، ١٢٠، ١٢١، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٣، ١٥٢، ١٦٠، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٤، ٢٠٧، ٢١٧.

حرف الراء

رافع بن عمرو : ٥٨، ٩٠، ٩٧، ١٠١، ١١٤، ١٢٤، ١٢٧، ١٤١، ١٤٦، ١٥٥، ١٦٧، ١٧١، ١٧٥، ١٨٤.
الربيع بن خيثم : ١٦٥، ١٦٨، ١٧٧، ١٧٩، ١٨١، ١٩٢، ١٩٥، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٤.
الربيع بنت معوذ بن عفراء : ٣١، ٥٢، ٦٧، ٨١، ٨٢، ١٢١، ١٣٢، ١٣٨، ١٤١، ١٤٤، ١٤٩، ١٩٠، ٢٠٤، ٢٠٧ ٢٣١، ٢٤٣.

حرف الزاي

الزبير بن العوام : ٧٦، ٧٧، ١٢٢،

١٣١، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٤١، ١٤٣، ١٤٨، ١٦٠، ١٦٢.
الزهري : ٩، ١٢، ٥٧، ١٠١، ١٣٩، ١٥٥، ١٨٩، ٢٢١، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥.
زياد بن أبي مريم : ٣١، ١٠٢، ١١٩، ١٣١، ١٨٢، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٢١، ٢٣٣، ٢٤٤، ٢٥٧، ٣٤٩.
زيد بن أسلم : ٣١، ٤٧، ٥٣، ٥٧، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٧٦، ٨٧، ٩٨، ١٠٦، ١٢١، ١٣٣، ١٦٤، ١٧٦، ١٨٨، ٢٠٤، ٢٢٠، ٣٤٩.
زيد بن ثابت : ٤٥، ١٠٠، ١٠٦، ١١٩، ١٤١، ١٥٢، ١٦٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ٢٠٣، ٢٢٠، ٢٣١، ٢٣٣.
زيد بن حارثة : ٩٢، ٩٦، ٩٨، ١٠١، ٢٠٦، ٢١١، ٢١٧، ٢٤٠، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٧٥، ٢٨٨، ٢٩٧.
زيد بن خالد الجهني : ١٥، ٤١، ٤٦، ٧٢، ٨٧، ٩٨، ١٠٤، ١١٦، ١١٨، ١٢١، ١٣٦، ١٥٢، ١٥٤.
زيد بن رفيع : ٧١، ٨٢، ٩٧، ١١٧، ١٢٨، ١٤٢، ١٦٠، ١٨١، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٦، ٢١١.
زينب بنت أبي سفيان : ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ٢٠٠، ٢٠٧، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٥٢.
زينب بنت جحش : ١٥٢، ١٦٠، ١٦١، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٩، ١٨١، ١٩٠، ١٩٥، ٢٠٥.

حرف السين

سعد بن بي وقاص : ٢٤، ٤٥، ٦٧، ٨٨، ١٠٧، ١٣١، ١٥٠، ١٦٦، ١٧٥، ١٨٨، ١٩٧، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٤٠، ٢٥١.
سعد بن معاذ : ١٠٢، ١٠٣، ١٣١، ١٤٢، ١٤٥، ١٥٧، ١٨٦، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٥.
سعيد بن يسار : ١٨٨، ٢٠٠، ٢٠٩، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٤١، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٦٥.
سفيان الثوري : ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٤.
سليمان الفارسي : ٢٠٨، ٢٥٩، ٢٧١، ٢٧٧، ٢٩٠، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٩.
سهل بن سعد : ٢٥، ٣١، ٤٢، ٤٩، ٥١، ٥٧، ٦١، ٦٥، ٨٠، ٨٦، ٩٨، ١٠١، ١١٥، ١١٩، ١٢١، ٢٦١، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٧.
سهل بن عمر : ٣٤، ٩٠، ٩٧، ١٠١، ١٠٤، ١١٩، ١٢٢.

حرف الشين

شداد بن أوس : ١٤٧، ١٨٠، ١٨٦، ١٩٥، ٢٠٩، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٦٠، ٢٦١، ٣٠٣.

الشعبي : ١٠١، ١١٩، ١٢١، ١٢٧، ١٦٠، ١٦٦، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٨، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٥.

شقيق بن سلمة : ١٧٠، ١٨٧، ١٩٨، ٢٠٦، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٦١، ٢٩١، ٢٩٤.

حرف الصاد

صفوان بن أمية : ١٨٠، ١٨٦، ١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١١، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٦١، ٢٩٠، ٣٠٣.

صفوان بن سليم : ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٠٤.

صلاح الدين الأيوبي : ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧١، ٣٠٤.

حرف الضاد

الضحاك بن مزاحم : ٩٩، ١١٦، ١٢١، ١٢٥، ١٨٧، ١٩٥، ٢٠٤، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٨.

حرف الطاء

طارق بن شهاب : ١٤٧، ١٦٠، ١٧٦، ١٨٧، ٢٠٠.

طاووس : ٢٠٧، ٢٢٠، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦١.

طلحة بن عبدالله : ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٠.

طليق بن قيس : ٨٥، ٩٧، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١١٧، ١٢١، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٦، ١٥٢، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٩، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٤.

حرف العين

عائشة أم المؤمنين : ٥، ٢٠، ٣٤، ٧٥، ٧٦، ٩٥، ١٠٣، ١٣٢، ١٥١، ١٥٥، ١٥٦، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٩، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ٢٢٣، ٢٣٣، ٢٤٥، ٢٦٤، ٢٨٢، ٣١١، ٣٣٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٥، ٣٦٦.

عاصم بن أبي الجود : ٣٠٤، ٣٠٩،

٣١١، ٣١٧، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٧.
عاصم الأحول : ١٢٨، ١٣٩، ١٤١، ١٥٣، ١٥٨، ١٦١، ١٦٤، ١٧١، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٢، ١٩٤.
عامر بن الجراح : ٩٥، ١٠٧، ١١٢، ١١٦، ١٣١، ١٤٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٧.
عبد الرحمن بن أبي بكر : ٩٥، ١٠٦، ١٢١، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٦، ١٨٧، ١٩٨.
عبد الرحمن بن خالد بن يزيد : ٩٤، ٩٩، ١٠١، ١٠٦، ١٠٨، ١٢٢، ١٣٣، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٤.
عبد الرحمن بن سمرة : ٩٢، ٩٣، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٥، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢.
عبد الرحمن بن عوف : ١٨٩، ١٩٠، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٣.
عبد الرحمن بن غنم : ٢٢٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٥١، ٢٦٠، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٩٢.
عبدالله بن أبي بكر : ٣٠، ٥٢، ٦٧، ٧٥، ٨٦، ٩٩، ١٠٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٤١، ١٤٤، ١٤٦.
عبدالله بن أبي أوفى : ١٥٢، ١٥٦، ١٥٨، ١٧٢، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧.
عبدالله بن بشير : ١٤٢، ١٤٤، ١٤٩، ١٥١، ١٥٦، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٨، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤.
عبدالله بن جعفر : ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣٠١.
عبدالله بن رواحة : ٩٢، ٩٥، ٩٩، ١٠٢، ١٠٦، ١١٧، ١٢١، ١٤٠، ١٤٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٩١، ١٩٤، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢.
عبدالله بن الزبير : ١٦، ١٧، ٢١، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٧١، ٧٢، ٧٧، ٧٩، ٩٠، ٩٥، ١٠١.
عبدالله بن الصامت : ٦٩، ٧٥، ٧٧، ٧٩، ٨١، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٧، ١١٠، ١١١، ١١٢.
عبدالله بن كعب : ٧١، ٧٦، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ١٠٠، ١٠٦، ١١٩، ١٢١، ١٢٥، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٦، ١٥١، ١٥٧، ١٦١، ١٦٥، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٩.
عبدالله بن عباس : ١٣، ١٥، ٣٩، ٤٥، ٧٢، ١٠٤، ١٠٧، ١٢٤، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٠، ٢٠٩، ٢١٦، ٢١٨، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٩٧، ٣١٦، ٣٣٥، ٣٤٤، ٣٥٦.

عبدالله بن عمر : ١٦، ١٧، ٢٠، ٣١، ٦٧، ٧١، ٧٣، ٩٢، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٧، ١١٥، ١١٧، ١٢٢، ١٢٥، ١٣٣، ١٥٠، ١٥٩، ١٦٣، ٢٠٦، ٢٥٦، ٢٨٥، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٢٩، ٣٤٩، ٣٥١.

عبدالله بن عمرو بن العاص : ١١٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٦، ١٨٥، ١٨٦، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٥٢، ٣٢٩.

عبدالله بن عمران : ١٢٥، ١٤٣، ١٤٤، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٢، ٢٤٣.

عبدالله بن المبارك : ٨٥، ١٠٠ ١٢٠، ١٣١، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩، ١٥١، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٤، ١٨٤، ١٩٥، ١٩٩.

عبدالله بن مسعود : ٣٨، ٦١، ٧٥، ١٠٤، ١٠٧، ١١٠، ٢١٠، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣٢٠، ٣٢٧، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٤، ٣٦٥.

عبدالله بن معاوية العامري : ١١٩، ١٥٠، ١٨٦، ١٩٩، ٢٠٦، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٤١، ٣٠٢.

عبدالله بن نمير : ١٦، ١٧، ٦٨، ٨١، ٨٥، ١٢٠، ١٢١، ١٤٥، ١٦١، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٨، ٢٠٠.

عبدالله بن الوليد : ٣٩، ٤٣، ٥١، ٧٠، ٧٦، ٨٩، ٩٥، ١٢٣، ١٢٩، ١٥٠، ١٥٧، ١٦٣، ١٦٩.

عبد الواحد بن ميمون : ٢٣٣، ٢٥٥، ٢٦٧، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٤.

عثمان بن سعيد الدارمي : ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٢٠، ٣٣١، ٣٣٥.

عثمان بن عفان : ١١، ٢٢، ٣٠، ٤١، ٥٣، ٨٢، ٩٣، ١١٨، ١٣٠، ١٤٢، ١٥٤، ٢٣٦.

عروة بن الزبير : ١٢١، ١٧٠، ١٨٧، ٢١٤، ٢١٨، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٥١، ٣٠٥.

عطاء بن يسار : ١٨، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٦.

علي بن أبي طالب : ١٩، ٢٥، ٣٠، ٣٣، ٥٨، ٦٧، ٧٥، ٨٢، ٩٩، ١٠٦، ١١٧، ١٣١، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٤، ١٦٥، ١٦٩، ١٨٨، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٣٢، ٢٤٦، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣١٣.

العلاء بن زياد العدوي : ٢٨١، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣٠١، ٣٠٣.

عمر بن الخطاب : ١٢، ٢١، ٣٠، ٣٢، ٦٠، ٦٦، ٧٥، ٨٠، ٨٤، ٩٠، ٩٧، ١٠٤، ١١٥، ١٥٩، ٢٠٠، ٢٣٦، ٢٤٨، ٣٠٠، ٣٠٩، ٣٢١، ٣٣٦، ٣٤٩، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٩.

عمر بن عبد العزيز : ٥٩، ٧١، ٩٧، ١٢٢، ١٣٥، ١٤١، ١٥٢، ١٥٥، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٢، ١٩٧.

عمران بن حصين : ٣٥، ٤٧، ٥٦، ٦٨، ٨١، ١٠٢، ١٠٦.

عمرو بن الجموح : ٣٩، ٤١، ٦٦، ١٠١، ١١٩، ١٣١، ١٣٧، ٢١٨، ٢٧٠، ٢٩٥، ٣٠٤.

عمرو بن شعيب : ١٣٩، ١٥٠، ١٥٦، ١٦٣، ١٧٨، ١٨٧.

عمرو بن مرة : ١٥١، ١٦٦، ١٧٩، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٦.

عمرو بن معديكرب : ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٥.

عوف بن الحارث : ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٦.

عوف بن مالك : ٤٣، ٦٢، ٧٥، ٨٨، ١١٣، ١٤٠، ١٤٦، ١٥٥، ١٧٠، ١٨١، ١٩٥، ٢٠١، ٢٤٨، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٧٦، ٢٨٨، ٢٩٩، ٣٠١.

عويمر بن مالك : ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٨.

حرف الفاء

فرعون : ٥٠، ١٢٤، ١٦٩، ٢٠٤.

فرقد بن يعقوب السنجي : ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٣١.

فضاله بن عبيد القاسم : ٩٤، ١١٩، ١٣٦، ١٥٠، ٢٣٤.

حرف القاف

قارون : ١٧٣، ١٨٩، ٢٠١.

القاسم الشيباني : ١٥٣، ١٦٦، ١٧٩، ١٨٧.

القعقاع بن حكيم : ١٣٤، ١٤٩، ١٥٩، ٣٥٠.

قيس بن أبي حازم : ١٣٦، ١٥٢، ١٦٦، ١٧١.

قيس بن مسلم : ٢٣١، ٢٥٢، ٢٦٠، ٣٢٠.

حرف الكاف

كثير بن هشام : ٢٢٨، ٢٥١، ٢٧٠، ٢٨٠.

كعب بن مالك : ٣٠، ١٧٤، ١٩٢، ٢٠٠، ٢١٦.

كعب بن عجرة : ١٣١، ١٥٣، ١٦٦.

حرف اللام

لقمان الحكيم : ١٥٣، ٢٩٤، ٢٩٨، ٣٠٤.

الليث بن سعد : ١١٤، ١٢٢، ١٧٩، ١٩٧، ٢١٧.

حرف الميم

مالك بن أنس : ١٩، ٧٨، ١٠٠، ١١٩، ١٣١، ٣٠٦.

مالك بن دينار : ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٤١، ٢٥٠، ٢٦١.

مالك بن صفوان : ٥٤، ٧٥، ٨٧، ١٠٠، ١٢٥، ١٢٨، ١٦٠، ١٦٦، ١٧٢.

محمد بن الحنفية : ٢٠٩، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٤٨، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٩٨، ٣٠٣.

محمد بن سيرين : ١٤، ٢٠، ٩٧، ١٩١، ٢١٥، ٢٢٤، ٢٥١، ٢٦٣، ٢٧٠.

محمد بن المبارك : ١٧١، ١٩٧، ٢٢٠، ٢٥١، ٢٦٥، ٢٨١، ٢٨٨، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠١.

محمد بن المنكدر : ١١٤، ١٢٢، ١٥٨، ١٨٠، ١٨٦، ١٩٩.

مرة الهمداني : ١٥١، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٦، ١٨٨، ١٩١، ١٩٧.

معاذ بن جبل : ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٧٤.

معاوية بن أبي سفيان : ٧٩، ١٠٠، ١١٥، ١٢١، ١٤٠، ١٥٢، ١٥٩، ١٧٤، ١٨٣، ١٨٦، ١٩٩، ٢٠٤.

معاوية بن مزرد : ١٨٨، ١٩٦، ٢٠٦، ٢١٥، ٢١٧، ٢٣٢.

معاوية القشيري : ١٢٠، ١٤٧، ١٦١، ١٨٢، ٢٠١.

معيد بن خالد الجهني : ٢٢٦، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٨٩.

المغيرة بن شعبة : ٩٧، ٩٨، ١١٠، ١٢٢، ١٤١، ١٤٣.

مليح بن عبدالله الخطمي : ٢٥٤، ٢٦٣، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٩٤.

حرف النون

النجاشي ملك الحبشة : ٢٠٧، ٢٢٠، ٢٥٨، ٣٠٠.

نصير الدين الطوسي : ٢٠٧، ٢٦١، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٩٤.

النعمان بن بشير : ١٢، ١٧٧، ١٩٨، ٢٤٢، ٢٥٩.

حرف الهاء

هارون بن زياد : ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٢٠، ٢٦٠، ٢٦٨.
هارون بن محمد أبو الطيب : ١٧٥، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢١٧، ٢٢١.
هرم بن حيان : ١١٦، ٢٢٠، ٢٥١.
هشام بن عروة : ١٥٢، ١٦٧، ١٦٩، ٣٠٤.
هلال بن المغيرة بن شعبة : ٩٧، ٩٨، ١٣٠، ١٣٨، ٢٥٢.
هلال بن ميمون : ١٧٢، ١٩٥، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٤.
الهيثم بن خالد : ١٧١، ١٧٦، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٧.

حرف الواو

وكيع بن الجراح : ٢٢٧، ٢٤٠، ٢٥٥، ٢٦٤، ٢٨٠، ٣٠٤.
الوليد بن عبد الملك : ٧٠، ١١٩، ١٥١.
الوليد بن محمد : ٣٣٤، ٣٤٨، ٣٥٦، ٣٧١.
الوليد بن مسلم : ٢٨٨، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٥١، ٣٥٦.
وهب بن منبه : ١٢١، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٥٠، ٢٨٢.

حرف الياء

يحيى بن كثير : ١٣٥، ١٦٠، ١٦٦، ١٨٨.
يحيى بن شداد : ١٧٢، ١٩٨، ٢٠٤، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٣٩.
يوسف بن مهران : ١٧٦، ٢٠٤، ٢٢٣، ٢٥٢.
يوشع : ١٧٣، ١٧٤، ٢٠٤، ٢١٩، ٢٣١.

الكنى

أبو إدريس الخولاني : ٤٩، ١٠٠، ١٢١.
أبو أمامة : ٩٤، ٩٦، ٩٨، ١٠٢، ٢٢٤، ٢٥٧، ٢٨٠، ٢٩٥، ٣٠٤.
أبو أيوب الأنصاري : ١١، ٩٧، ٢٠٤، ٢٢٠، ٢٤١، ٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٤.
أبو بكر بن خلاد : ١٧١، ١٨٤، ١٨٩، ٢٠١، ٢٠٣.
أبو بكر الصديق : ١٦، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٥٣، ٦٥، ١٢٥، ١٧٧، ٢٤٣، ٢٧٢، ٢٨٠، ٣١٤، ٣٢٣، ٣٥١.
أبو برزة الأسلمي : ٢٠٧، ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٥٠، ٢٥٣.
أبو جحيفة : ٨٨، ٢٩٧، ٣٠٩، ٣٢٠، ٣٢٥.

أبو جعفر المنصور : ١٨٠، ١٩٧، ٢١٠، ٢١٧، ٢٢١.
أبو الحجاج الثمالي : ١٠٥، ١٢٢، ١٢٦.
أبو حنيفة النعمان : ٣٣، ٧٦، ٩٠، ٩٧، ١٢٩، ١٤٧، ١٦٧، ١٨٩، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٠٤.
أبو الدحداح : ٥٧، ٦١، ٦٢.
أبو الدرداء : ٦٢، ٩٢، ٩٧، ٩٨، ١٥١، ١٦٢، ١٧٠، ٢١٦، ٣٥٣، ٣٥٨.
أبو ذر الغفاري : ٤٩، ٦٩، ٨٦، ٩٥، ٢٠٩.
أبو رافع : ٣٤٨، ٣٦١، ٣٦٥.
أبو الرواء الليثي : ١٨٩، ٢٠٠، ٢٢٢، ٢٢٤.
أبو الزناد : ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٥١، ٢٥٣.
أبو سعيد الأنصاري : ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٦٩.
أبو سعيد الخدري : ١٠١، ٢٢٨، ٢٩٤، ٣٣٩، ٣٥٥.

أبو عبيدة بن الجراح : ٩٥، ١١٧، ١١٨، ٢٠٠، ٢١٥، ٢١٨، ٢٦١، ٢٨٦، ٢٨٨، ٣١٧.
أبو قتادة الأنصاري : ٢٢٤، ٢٤٩، ٢٩٠، ٢٩٥..
أبو قلابة : ٢٣٦، ٢٥٢، ٢٦٧، ٢٧٥، ٢٨٨.

أبو كبشة : ١٥٢، ١٥٨.
أبو مالك الأشعري : ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٨، ٣٠١.
أبو مسلم الخولاني : ١١٥، ١١٩، ١٥٢، ١٦٧، ٢٠٤.
أبو موسى الأشعري : ١٣، ٣١، ٤٣، ٤٥، ٦٦، ٨٧، ١٥١، ١٦٥، ١٦٩، ١٧١.
أبو موسى المديني : ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٧، ٣٦١.
أبو نضرة : ٣١٠، ٣٢٠، ٣٢٥.

أبو هريرة : ٧، ٩، ١٣، ١٤، ١٥، ١٩، ٢٦، ٣٤، ٣٦، ٤٧، ٥٩، ٦٢، ٧٦، ٩٠، ٩٩، ١٠١، ١٠٧، ١١٩، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٩، ١٥٠، ١٥٥، ١٥٧، ١٧٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٥، ٢٠٨، ٢١٤، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٧٥، ٢٨١، ٣١٢، ٣١٩، ٣٢٧، ٣٥٠، ٣٥٤.
أبو وائل : ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤٦، ٣٥١، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧.
أبو يعلى : ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٦٣.

٤ ــ مراجع التحقيق

١ ــ القرآن الكريم

٢ ــ فتح الباري ــ شرح صحيح البخاري.
دار المعرفة ــ بيروت

٣ ــ صحيح مسلم ــ للإمام مسلم بن الحجاج.
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار احياء التراث العربي ــ بيروت

٤ ــ الجامع الصحيح ــ وهو سنن الترمذي.
تحقيق ــ أحمد محمد شاكر ــ دار الحديث ــ القاهرة

٥ ــ سنن الحافظ أبي عبد الله بن يزيد ــ ابن ماجة.
تحقيق ــ محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار الحديث.

٦ ــ سنن النسائي ــ بشرح الحافظ السيوطي.
دار الحديث ــ القاهرة

٧ ــ المستدرك على الصحيحين ــ للامام الحاكم النيسابوري.
دار الكتاب العربي ــ بيروت

٨ ــ سنن أبي داود.
مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد
دار الكتب العلمية ــ بيروت

٩ ــ المسند ــ للامام أحمد بن حنبل.
المكتب الاسلامي ــ بيروت
١٠ ــ تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ــ للسيوطي.
احياء الكتب العربية ــ مصر
١١ ــ الادب المفرد ــ للامام البخاري.
عالم الكتب ــ بيروت
١٢ ــ الموطأ ــ للامام مالك بن أنس.
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار الحديث ــ مصر
١٣ ــ المعجم الكبير ــ للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني.
تحقيق حمدي عبد المجيد
١٤ ــ الجامع الصغير ــ للحافظ السيوطي ــ
مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ــ مصر
١٥ ــ ضعيف الجامع الصغير وزيادته ــ تأليف محمد ناصر الدين الألباني.
المكتب الاسلامي ــ بيروت
١٦ ــ كتاب الاسماء والصفات ــ للبيهقي
المركز الاسلامي للكتاب ــ بيروت
١٧ ــ جامع الشمل في أحاديث خاتم الرسل ــ محمد بن يوسف اطفيش.
دار احياء الكتب العربية ــ مصر
١٨ ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ــ للهيثمي ــ
مكتبة القدسي ــ مصر
١٩ ــ اللالىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ــ للسيوطي.
دار المعرفة ــ بيروت
٢٠ ــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ــ للسيوطي.
دار المعرفة ــ بيروت

٢١ ــ طبقات الشافعية الكبرى ــ للسبكي
دار احياء الكتب العربية ــ مصر
٢٢ ــ تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير
دار المعرفة ــ بيروت
٢٣ ــ الجامع لاحكام القرآن الكريم ــ القرطبي.
دار الكاتب العربي ــ بالقاهرة
٢٤ ــ تفسير الطبري ــ لابن جرير الطبري.
تحقيق محمود محمد شاكر ــ دار المعارف مصر
٢٥ ــ فهارس التاريخ الكبير ــ للامام البخاري.
دار الكتب العلمية ــ بيروت
٢٦ ــ زاد المسير في علم التفسير ــ لابن الجوزي.
المكتب الاسلامي ــ بيروت
٢٧ ــ كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.
حاجي خليفة ــ المثنى ببغداد
٢٨ ــ كتاب الأعلام ــ للزركلي ــ
طبعة ثالثة ــ بيروت
٢٩ ــ كتاب الضعفاء الكبير.
تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت
٣٠ ــ ميزان الاعتدال ــ للذهبي ــ
تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية ــ بيروت
٣١ ــ لسان الميزان ــ لابن حجر العسقلاني
حيدر أباد ١٣٢٥ هـ
٣٢ ــ تهذيب التهذيب ــ لان حجر العسقلاني
حيدر أباد ١٣٢٥ هـ

٣٣ ــ نصب الراية لاحاديث الهداية ــ للزيلعي ــ
دار الحديث ــ مصر
٣٤ ــ صفوة صحيح البخاري ــ
اختيار الشيخ عبد الجليل عيسى ــ جماعة الأزهر للنشر والتأليف
٣٥ ــ السيرة النبوية ــ لابن هشام ــ
ط مؤسسة علوم القرآن
٣٦ ــ الاستيعاب في معرفة الاصحاب.
تحقيق علي البجاوي ــ مكتبة نهضة مصر
٣٧ ــ الأذكار المنتخبة من كلام سيد الابرار ــ لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ــ
ط ــ الحلبي مصر
٣٨ ــ الاصابة في تمييز الصحابة ــ لابن حجر العسقلاني ــ
ط التجارية مصر
٣٩ ــ تذكرة الحفاظ ــ لابي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي
حيدر أباد ــ ١٩٥٥
٤٠ ــ الترغيب والترهيب للمنذري.
تحقيق ــ مصطفى عمارة ــ الحلبي ــ القاهرة
٤١ ــ التصوف الثورة الروحية في الاسلام ــ للدكتور أبي العلا عفيفي.
ط المعارف بالاسكندرية ــ مصر
٤٢ ــ التعرف لمذهب أهل التصوف ــ للكلاباذي ــ
عبد الحليم محمود عيسى الحلبي ــ مصر
٤٣ ــ جامع الأصول من أحاديث الرسول ــ لابي السعادات. مبارك بن محمد بن الأثير الجزري
تصحيح محمد حامد الفقي ط السنه المحمدية ــ القاهرة ١٩٤٩

٤٤ ــ دائرة المعارف الاسلامية ــ
اعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وزميليه ــ ط كتاب السنة.
٤٥ ــ الرسالة القشيرية ــ لابي القاسم عبد الكريم القشيري ــ
محمد صبيح القاهرة ــ ١٩٤٨ م
٤٦ ــ سنن الدارمي ــ لابي محمد عبد الله الدارمي
ط دمشق ١٣٤٩ هـ
٤٧ ــ شرح النووي على صحيح مسلم ــ للامام النووي ــ
المطبعة المصرية بالازهر القاهرة ــ ١٣٤٧ ــ ١٩٢٩ م
٤٨ ــ الطبقات الكبرى للشعراني ــ
ط ــ مصر بدون تاريخ
٤٩ ــ جامع الأحاديث ــ للجامع الصغير وزوائده ــ للامام السيوطي ــ
جمع وترتيب عباس أحمد صقر، واحمد عبد الجواد ــ ط مطبعة خطاب
٥٠ ــ الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية، للدكتور عبد الفتاح بركة ــ
ط مجمع البحوث الاسلامي
٥١ ــ كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي
تحقيق الدكتور عثمان اسماعيل يحيى ــ ط الكاثوليكية بيروت
٥٢ ــ كشف الخفاء ومزيل الالباس، لاسماعيل بن محمد العجلوني ــ
ط القدسي القاهرة ١٣٥١ هـ
٥٣ ــ كنز العمال ــ لعلي المنقى بن حسام الدين الهندي
ط ــ حيدر آباد

٥ ـ فهرس موضوعات الجزء الثاني من كتاب نوادر الأصول

الأصل التسعون : في الفرق بين حسن الأشياء عند أولي الألباب وبين حسنها عند السفهاء ٥

الأصل الحادي والتسعون : في الخصال المنظومة للشكر ٧

الأصل الثاني والتسعون : في الحث على ترك ما لا يعني ٩

الأصل الثالث والتسعون : في التعوذ بنسبة الحق تعالى ١١

الأصل الرابع والتسعون : في حكمة الله تعالى فيما نهى عن قتله وأمر بقتله ١٢

الأصل الخامس والتسعون : في سر قوله تعالى: ﴿ **من يعمل سوءًا...** ﴾ ١٦

الأصل السادس والتسعون : في القبلة وتقبيل الباكورة ١٩

الأصل السابع والتسعون : في أن رهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيله تعالى ٢٢

الأصل الثامن والتسعون : في دعوة المغموم ٢٤

الأصل التاسع والتسعون : في أن هدى الله تعالى على لسان الناطقين بالحق ٢٥

الأصل المائة : في حقيقة النصح لله تعالى وبيان سره ٢٧

الأصل الحادي والمائة : في أن العقوبة لا تثني في الآخرة ٣٣

الأصل الثاني والمائة : فيما كتب على جباه الجهنميين وجباه المتحابين في الله ٣٥
الأصل الثالث والمائة : في علامات أولياء الله تعالى ٣٩
الأصل الرابع والمائة : في أن التمطر من أمارات المشتاقين إلى الله تعالى ٤٤
الأصل الخامس والمائة : في أن مناولة المسكين تقي ميتة السوء ٤٦
الأصل السادس والمائة : في حقيقة الزهاد والإيمان والإخلاص ٤٩
الأصل السابع والمائة : في أن الله تعالى أحق أن يستحيي منه ٥٢
الأصل الثامن والمائة : في فضل الإحسان إلى اليتيم ٥٤
الأصل التاسع والمائة : في أن الحوض لا يرده من كذب به ٥٧
الأصل العاشر والمائة : في أن الولد من ريحان الله تعالى ٥٩
الأصل الحادي عشر والمائة : في أن إقراض الله تعالى سفاتج الآخرة وكره ٦١
الأصل الثاني عشر والمائة : في أن زيارة قبر النبي عليه السلام هجرة المضطرين ٦٧
الأصل الثالث عشر والمائة : في أن أفضل الصلاةِ الصلاةُ لوقتها ٦٩
الأصل الرابع عشر والمائة : في أن البداية في الخيرات بالأكابر ٧١
الأصل الخامس عشر والمائة : في المبادرة إلى الآخرة ٧٣
الأصل السادس عشر والمائة : في أن خوف الإقلال من سوء الظن بالله تعالى ٧٥
الأصل السابع عشر والمائة : في النعمة والرحمة وذكر بلوغ ذرى الإيمان ٧٨
الأصل الثامن عشر والمائة : في دعائه ﷺ ٨٠
الأصل التاسع عشر والمائة : في مبادرة العاطس بالحمد ٨١
الأصل المائة والعشرون : في أن أطيب الكسب كسب التجار ٨٣
الأصل الحادي والعشرون والمائة: في أن الروحانيين قراء أهل الجنة ٨٧

الأصل الثاني والعشرون والمائة : في أن خير هذه الأمة أولها وآخرها استقامة ٩٢
الأصل الثالث والعشرون والمائة : في شرائط الولاية ٩٤
الأصل الرابع والعشرون والمائة : في ضغطة القبر وعذابه ١٠٠
الأصل الخامس والعشرون والمائة: في أن سعادة ابن آدم الاستخارة والرضا بالقضاء ١٠٧
الأصل السادس والعشرون والمائة: في أن الندم التوبة ١١٠
الأصل السابع والعشرون والمائة : في بيان أن الدعاء لِمَ صار مخَّ العبادة ؟١١٣
الأصل الثامن والعشرون والمائة : في تلافي الأرواح في الدنيا ١١٥
الأصل التاسع والعشرون والمائة : في أن أمين هذه الأمة عبيدة بن الجراح١١٧
الأصل المائة والثلاثون : في الاعتبار والاتعاظ بكل شيء ١١٩
الأصل الحادي والثلاثون والمائة : في أن الهدية خلق من خلق الإنسان ١٢١
الأصل الثاني والثلاثون والمائة : في بيان صفات ولاة الأمور العادلين ١٢٤
الأصل الثالث والثلاثون والمائة : فيما يعلم به منزلة العبد عند الله تعالى١٢٦
الأصل الرابع والثلاثون والمائة : في فضل الاستغاثة من النار بعفو الله تعالى ١٣١
الأصل الخامس والثلاثون والمائة : في قوله ﷺ: إني لَأستغفر الله في اليوم مائة مرة ١٣٣
الأصل السادس والثلاثون والمائة : في تأثير هيبة الرسول عليه السلام في حياته وتأثير وفاته في القلوب ١٣٦
الأصل السابع والثلاثون والمائة : في فضل نظرة المشتاق ١٣٩
الأصل الثامن والثلاثون والمائة : في أدب التنزه في المأكول وتناوله ١٤٢
الأصل التاسع والثلاثون والمائة : في أن ما يستصلح به الأقوات سيد الأدام ١٤٣
الأصل الأربعون والمائة : في أن المرء مع من أحب ١٤٤

الأصل الحادي والأربعون والمائة: في أي النساء خير ١٥٠
الأصل الثاني والأربعون والمائة : في المعمرين في الإسلام ١٥٤
الأصل الثالث والأربعون والمائة : في فضل ذاكر الله في أهل الغفلة ١٥٩
الأصل الرابع والأربعون والمائة : في أن الموحد والصدّيق في الناس قليل١٦٣
الأصل الخامس والأربعون والمائة: في حقيقة الخشوع ١٧١
الأصل السادس والأربعون والمائة: في سر التحية بالسلام ١٧٥
الأصل السابع والأربعون والمائة : في هم الأنبياء الثلاث وتنزههم عما لا يليق ١٧٨
الأصل الثامن والأربعون والمائة : في الثلاثة التي تحت العرش ١٨٧
الأصل التاسع والأربعون والمائة : في أن الكلام عليك لا لك وضروبه ١٩٢
الأصل المائة والخمسون : في أن من غير الحق من العلماء يمسخ، وسر ما يمسخون به ١٩٦
الأصل الحادي والخمسون والمائة: في ضروب البكاء وهي عشرة ١٩٨
الأصل الثاني والخمسون والمائة : في أن الشكر اعتراف والصبر بالتسليم٢٠٣
الأصل الثالث والخمسون والمائة: في حقيقة الاستغفار ٢٠٥
الأصل الرابع والخمسون والمائة : في أن الغنى في النفس والتقي في القلب٢١٤
الأصل الخامس والخمسون والمائة : في تفسير قوله تعالى: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني...** ﴾ ٢١٦
الأصل السادس والخمسون والمائة : في سر الحياء والتقى والصبر بالتمثيل ٢٢٠
الأصل السابع والخمسون والمائة: في فضل ماء زمزم ٢٢٢
الأصل الثامن والخمسون والمائة : في أن عمل الأنبياء والأولياء في الدارين خدمة وعبودة ٢٢٣
الأصل التاسع والخمسون والمائة: في المقة والصيت وعلامة أهلهما ٢٢٥
الأصل المائة والتسعون : في الاستعاذة من النفاق وثمراته ٢٢٧

الأصل الحادي والستون والمائة : في دعائه ﷺ للأمة عشية عرفة وغداة المزدلفة ٢٣٠
الأصل الثاني والستون والمائة : في صفة الأولياء وحقيقة الولاية، والتحذير من إهانتهم ٢٣٢
الأصل الثالث والستون والمائة : في مذاهب أهل الأهواء ٢٤٥
الأصل الرابع والستون والمائة : في أن أحب الأصوات إلى الله تعالى صوت عبد لهفان ٢٥٢
الأصل الخامس والستون والمائة : في سنن المرسلين ٢٥٤
الأصل السادس والستون والمائة : في ذكر الفاجر بما فيه للتحذير منه ٢٥٧
الأصل السابع والستون والمائة : في أن لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى وعرض الأعمال ٢٥٩
الأصل الثامن والستون والمائة : في أن المرض للمؤمن تمحيص للذنوب ٢٦٣
الأصل التاسع والستون والمائة : في حسن المجاورة لنعم الله تعالى ٢٦٤
الأصل المائة والسبعون : في تفسير المروي للآية: ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ ٢٦٦
الأصل الحادي والسبعون والمائة : في أن الكلمة من الباقيات خير من الدنيا بحذافيرها ٢٦٧
الأصل الثاني والسبعون والمائة : في ذكر جملة من مكارم الأخلاق ٢٦٨
الأصل الثالث والسبعون والمائة : في قدر تعظيم الدنيا والمداهنة ووزر السيئات ٢٧٠
الأصل الرابع والسبعون والمائة : في إيداع العهد بالدعاء بعد الصلاة ٢٧٢
الأصل الخامس والسبعون والمائة: في سر الكلمات العشر بعد الصلاة ٢٧٤
الأصل السادس والسبعون والمائة: في أن حسن الجواب في خلال الخطاب من لطافة الفهم من قراءة الرحمن من الوحي ٢٧٧

الأصل السابع والسبعون والمائة : في كلمات الفرج والمغفرة والتلقين ٢٧٩
الأصل الثامن والسبعون والمائة : في حكمة الصدفة ٢٨٠
الأصل التاسع والسبعون والمائة : في بيان أفضل ما أعطي الناس ٢٨١
الأصل الثمانون والمائة : في الإلحاح في الدعاء وسر كونه محبوباً ٢٨٢
الأصل الحادي والثمانون والمائة : في قراءة القرآن في أربعين ليلة ٢٨٥
الأصل الثاني والثمانون والمائة : في أن النفس لا تموت حتى تستكمل رزقها ٢٨٨
الأصل الثالث والثمانون والمائة : في أجر الصبر الجميل عند المصيبة ٢٩٠
الأصل الرابع والثمانون والمائة : في طلب الخير والتعرض لنفخات رحمة الله ٢٩٣
الأصل الخامس والثمانون والمائة : في عثرة الحليم وتجربة الكريم الحكيم ٢٩٥
الأصل السادس والثمانون والمائة : في أن فزع وعد القرآن يورث الشيب وسر اللحظات ٢٩٧
الأصل السابع والثمانون والمائة : في النهي عن الاعتزاز بالعبيد ٣٠٠
الأصل الثامن والثمانون والمائة : في خصال طعم يحصل بها طعم الإيمان ٣٠٢
الأصل التاسع والثمانون والمائة : في أن الأرض تنادي ابن آدم في اليوم سبعين مرة ٣٠٦
الأصل التسعون والمائة : في سر مكارم الأخلاق ٣١١
الأصل الحادي والتسعون والمائة : في الخصال الأربع التي تطهر الجسد والقلب ٣١٦
الأصل الثاني والتسعون والمائة : في فضل صلاة الفجر يوم الجمعة ٣١٧
الأصل الثالث والتسعون والمائة : في تمثيل بلال، رضي الله عنه، بالنحلة ٣١٩
الأصل الرابع والتسعون والمائة : في سر دعوات نبوية ٣٢٣

الأصل الخامس والتسعون والمائة: في سر قوله تعالى: ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ ٣٢٥
الأصل السادس والتسعون والمائة: في ديدان القراء والتمسك بالسنة ٣٢٧
الأصل السابع والتسعون والمائة: في شره الخبز وقوام الروح ٣٣٤
الأصل الثامن والتسعون والمائة: في أن المؤمن يبلى ويصفى ٣٣٦
الأصل التاسع والتسعون والمائة: في تخيّر المغبون ٣٤٠
الأصل المائتان: في ما يقال عند إهلال الهلال ٣٤٢
الأصل الحادي والمائتان: في الحسنة الحديثة والذنب العظيم ٣٤٤
الأصل الثاني والمائتان: في أن عرامة الصبي من ذكاة فؤاده ٣٤٦
الأصل الثالث والمائتان: في حق الولد على الوالد ٣٤٨
الأصل الرابع والمائتان: في حال التائب وإتباع الذنب بالحسنة ٣٤٩
الأصل الخامس والمائتان: في أن الالتفاع لبسة أصل الإيمان ٣٥١
الأصل السادس والمائتان: في أن الاعتبار بالاجتهاد وبعقد العقل ٣٥٣
الأصل السابع والمائتان: في تفسير المغربين ٣٦٠

الفهارس العامة للجزء الثاني من كتاب ٣٦٣
نوادر الأصول .....
فهرس آيات القرآن الكريم ٣٦٥
فهرس الأحاديث النبوية ٣٨٧
فهرس الاعلام ٤٢١
مراجع التحقيق ٤٣٣
فهرس الموضوعات ٤٣٩

من مكتبة التراث

نوادر الأصول

في أحاديث الرسول

تأليف

محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم
الترمذي

المجلد الثالث

حقق أصوله وخرج أحاديثه
الدكتور عبد الرحمن عميره

دار الجيل
بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

نوادر الأصول

في أحاديث الرسول

الأصل الثامن والمائتان

في سر شهادة العطاس

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: من حدث بحديث فعطس عنده، فهو حق[1].

العطسة تنفس الروح وتحننه إلى الله تعالى؛ لأنها من الملكوت. فإذا تحرك ساطعاً عند حديث فهو شاهد يخبرك عن صدقه وحقه.

قال (عليه السلام): إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ[2]. فإذا

---

(١) الحديث رواه أبو يعلى عن أبي هريرة رفعه، وأخرجه الطبراني والدارقطني في الافراد بلفظ: من حدث بحديث فعُطس عنده، والبيهقي وقال منكر، وقال غيره باطل ولو كان سنده مثل الشمس، لكن قال النووي في فتاويه له أصل أصيل انتهى. وقال في الدرر تبعاً للزركشي حسنه النووي وأخطأ من قال: إن الحديث باطل انتهى. وقال في المقاصد وله شواهد عند الطبراني عن أنس مرفوعاً أصدق الحديث ما عطس عنه، وفي معرفة الصحابة وسند الديلمي عن أبي رهم مولى رسول الله ﷺ مرفوعاً: من سعادة المرء العطاس عند الدعاء والكلام عليه مستوفى في تخريج الأذكار.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب الأدب باب ٧ ما جاء إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ٢٧٤٧ عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ قال وذكره. ورواه البخاري في كتاب الأدب ١٢٥، ١٢٨ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٦٥، ٤٢٨، ٥١٧ (حلبي).

عطس أحدكم فحمد الله، فحق على كل مسلم سمعه يشمته. والتثاؤب من الشيطان. فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع. فإن أحدكم إذا قال: « هاه »، ضحك الشيطان منه.

وقال عمر (رضي الله عنه) : لعطسة واحدة عند حديث أحب إليّ من شاهد عدل.

وقال رسول الله ﷺ: الفال مرسل، والعاطس شاهد عدل[1].

قوله: « الفال مرسل » مثل ما يروى أنه ﷺ سمع رجلاً يقول في العسكر: يا حسن. فقال: أخذنا فالك من فيك[2]. واستقبله بريدة في طريق الهجرة فقال: ما اسمك؟ قال بريدة: فالتفت إلى أبي بكر (رضي الله عنه) فقال: برد أمرنا. قال: ممن؟ قال: من أسلم. قال سلمنا يا أبا بكر[2].

ومعناه أن هذه الأسماء مما يرسله الله تعالى حتى يستقبلك كالبشير لك. فإذا تفاءلت، فقد أحسنت به الظن. والله سبحانه وتعالى عند ظن عبده.

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: عطس عثمان بن عفان (رضي الله عنه) عند رسول الله ﷺ ثلاث عطسات متواليات، فقال له رسول الله ﷺ: يا عثمان ألا أبشرك هذا جبرائيل يخبرني عن الله تعالى أنه قال: « ما من مؤمن يعطس ثلاث عطسات متواليات، إلا كان الإيمان في قلبه ثابتاً ».

---

(١) أخرجه أبو نعيم عن أبي هريرة، وللطبراني في الأوسط عن أبي هريرة من حُدِّث بحديث فعطس عنده فهو حق.

(٢) الحديث رواه أبو داود في كتاب الطب باب في الطيرة ٣٩١٧ ــ ثنا وهيب، عن سهيل، عن رجل عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سمع كلمة فأعجبته فقال: وذكره.

الأصل التاسع والمائتان

في النهي عن الجلوس على القبور

عن أبي مرثد الغنوي (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها[1].

نهى أن يوطأ القبر أو يجلس عليه استهانه به، إقامة لحرمة المسلم بعد موته.

وعن معاذ (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ كان يكره أن توطأ القبور إعظاماً للمسلمين وإكراماً لهم، ويكره أن يتخذ القبور مسجداً وقبلة يصلى إليها. فإن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك.

وروى بشر بن الخصاصية أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يمشي في القبور في نعلين. فقال: يا صاحب السبتين اخلع.

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الجنائز ٢٣ النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه ٩٧ ــ (٩٧٢) حدثنا الوليد بن مسلم عن ابن جابر عن بسر بن عبيدالله عن واثلة، عن أبي مرثد الغنوي قال: قال رسول الله ﷺ وذكره، ورواه أبو داود في الجنائز ٧٣ والترمذي في الجنائز ٥٧ والنسائي في القبلة ١١ وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ١٣٥ (حلبي).

وفي رواية أخرى: ألق سبتيك لا تشغله.

هذا يدل على إقامة الحرمة وتعظيم شأن المسلم أن يمشي المرء على أعظم مدفونة قد اختبأها الرب (عز وجل) واختارها لمحبته ملكاً في الجنان في جواره.

وقال (عليه السلام) لمن رآه جالساً على قبر: انزل عن القبر لا تؤذ صاحبك ولا يؤذيك.

معناه أن الأرواح تعلم بترك إقامة الحرمة وبالاستهانة فتتأذى بذلك.

الأصل العاشر والمائتان

في أن أبا بكر (رضي الله عنه)
ويومه خير من مؤمن آل فرعون

عن عمر (رضي الله عنه) قال: ما نيل من رسول الله ﷺ ما نيل منه ذات يوم أنه كان يطوف بالبيت فدخلوا عليه، فقطعوا عليه الطواف، وأخذوا بتلابيبه وقالوا: أنت الذي تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا؟ قال: هو ذاك. وأبو بكر (رضي الله عنه) ملتزمه من خلفه، وهو يقول : أتقتلون رجلاً أن يقول : ربي الله ؟! وعيناه تهملان، فخلوا سبيله[1].

مرتبة أبي بكر (رضي الله عنه) من الدين، ومحله من الإسلام أن يذب عن رسول الله ﷺ وحده، ولم يهب شرقي الدنيا وغربيها.

---

(١) الحديث رواه ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن اسحاق الحمداني حدثنا عبدة عن هشام يعني ابن عروة عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سئل ما أشد ما رأيت قريشاً بلغوا من رسول الله قال: وذكره ورواه النسائي فجعله من حديث عبدة من مسند عمرو بن العاص ــ رضي الله عنه وذكره ابن كثير في التفسير ٤: ٧٧.

وقال الحسن (رضي الله عنه): عاتب الله تعالى جميع أهل الأرض غير أبي بكر، فقال: ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا...** ﴾[1].

وعن سالم بن عبيد قال: لما قبض النبي ﷺ قال رجل من الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. قال عمر (رضي الله عنه): سيفين في غمد لا يصطلحان. ثم أخذ بيد أبي بكر، فقال: من له هذه الثلاثة: ﴿ **ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** ﴾[2]. ثم بايعه فبايع الناس أحسن بيعة وأجملها.

وعن علي (رضي الله عنه) قال: اجتمعت قريش بعد وفاة أبي طالب بثلاث، فأرادوا قتل رسول الله ﷺ، فأقبل هذا يجاؤه وهذا يتلتله إلا أبو بكر وله ضفيرتان، فأقبل يجأ ذا[3] ويتلتل[4] ذا ويقول بأعلى صوته: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، والله إنه لرسول الله. فقطعت إحدى ضفيرتي أبي بكر يومئذ. فقال علي (رضي الله عنه): ليوم من أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون. إن ذلك رجل كتم إيمانه فأثنى الله تعالى عليه في كتابه. وهذا أبو بكر أظهر إيمانه وبذل ماله ودمه لله تعالى.

وعن أسماء[5] بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) أنهم قالوا لها:

---

(١) (٢) سورة التوبة آية رقم ٤٠.

(٣) وجأه يجؤه: مثل وضعه يضعه. وهو رضٌّ عروق البيضتين.

(٤) تلتله: زعزعه وأقلقه وزلزله، وتله للجبين: صرعه كما تقول: كبه لوجهه.

(٥) زوج الزبير بن العوام ــ روت عن النبي ــ ﷺ وعنها ابنها عبد الله وعروة ابنا الزبير وأحفادها، وعبد الله بن عباس ومسلم المعري وغيرهم ــ وكانت تسمى ذات النطاقين ــ وقد بلغت مائة سنة لم يسقط لها سن، ولم ينكر لها عقل ــ ماتت بمكة سنة ٧٣ هـ.

راجع تهذيب التهذيب ١٢: ٣٩٧

ما أشد شيء رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ؟ فقالت: كان المشركون قعوداً في المسجد الحرام يتذاكرون رسول الله ﷺ ما يقول في آلهتهم. فبينا هم كذلك، إذ دخل رسول الله ﷺ فقاموا إليه بأجمعهم، وكانوا إذا سألوه عن شيء صدقهم، فقالوا له: ألست تقول في آلهتنا كذا؟ قال: بلى. فتشبسوا به بأجمعهم، فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقيل له: أدرك صاحبك. فخرج من عندنا وإن له غدائر فدخل المسجد، وهو يقول: ويلكم، أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله. فلهوا[1] عن رسول الله ﷺ، وأقبلوا إلى أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا جاء معه وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام.

---

(١) الْهَ عن الشيء: أي الشيء أي اتركه، وفي الحديث في البلل بعد الوضوء « اله عنه » وكان ابن الزبير إذا سمع صوت الرعد (لهى) عن حديثه أي تركه وأعرض عنه.

الأصل الحادي عشر والمائتان

في المصافحة وسرها

عن عمر (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا التقى المسلمان كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشراً لصاحبه. فإذا تصافحا، أنزل الله تعالى عليهما مائة رحمة، تسعون منها للذي بدأ بالمصافحة وعشرة للذي صوفح[1].

المؤمن عليه سمة الإيمان ووقاره، وبهاء الإسلام وجماله. فأحسنهما بشراً أعقلهما عن الله تعالى، ما مَن الله (عز وجل) عليه، ويظهر بشره لعلمه بالله تعالى، ولمنة الله على عبده. ولأن المؤمن عطشان إلى لقاء ربه شوقاً إليه. فإذا رأى المؤمن، اهتش إلى ذلك روحه، وتنسم قلبه روح ما وجد من آثار مولاه، فيطمئن ويبشر بذلك، فيظهر بشره. وإنما صار أحب إلى الله تعالى بما له من الحظ من الله تعالى. ولأن الذي يظهر البشر لأخيه يسر أخاه المؤمن؛ لأن في ذلك إظهار المودة له.

---

(١) الحديث رواه أبو الشيخ عن عمر ــ رضي الله عنه ــ ورواه السيوطي في الجامع الصغير وقال أخرجه الحكيم وأبو الشيخ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ــ وأشار على الحديث بالصحة.

وروي أن يحيى بن زكريا (عليهما السلام) إذا لقى عيسى (عليه السلام) بدأ بالسلام، فسلم عليه. وكان لا يلقاه إلا باشاً متبسماً، ولا يلقى عيسى إلا محزوناً شبه الباكي. فقال له عيسى: إنك تبسم تبسم رجل يضحك كأنك آمن. فقال يحيى: إنك لتعبس تعبس رجل يبكي كأنك آيس. فأوحى الله تعالى إلى عيسى (عليه السلام) أن أحبكما إليّ أكثركما تبسماً.

وأما المصافحة هو الأخذ باليد، وهو كالبيعة. لأن من شرائط الإسلام الأخوة. قال الله تعالى: ﴿ **إنما المؤمنون إخوة...** ﴾[1] وقال: ﴿ **المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض...** ﴾[2].

شرط الله تعالى فيما بينهم الأخوة والولاية. فإذا لقيه فصافحه كأنه يبايعه على هاتين الخصلتين. ففي كل مرة يلقى يجدد بيعته، فيجدد الله تعالى لهما ثواباً، كما يجدد المصاب الاسترجاع فيجدد له ثواب المصيبة، ويجدد صاحب النعمة الحمد فيجدد له ثواب الشكر. فللسابق إلى تجديد له تسعون رحمة كتمسكه بالولاية، والأخوة، وإقامة الحرمة. وأول ما ظهرت البيعة يوم الميثاق.

ولذلك قال ابن عباس (رضي الله عنهما): الركن يمين الله يصافح به عباده يوم القيامة؛ لأنهم يوم الميثاق بايعوا الله فصافحوا الحجر، فلما أنزله من الفردوس، وضع في ركن البيت ودعى الناس إليها ليجددوا بيعتهم. فكلما تمسحوا فذلك منهم بيعة متجددة.

---

(١) سورة الحجرات آية رقم ١٠.

(٢) سورة التوبة آية رقم ٧١.

الأصل الثاني عشر والمائتان

في فضل يوم عاشوراء وسر التوسيع فيه

عن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: من وسع على أهله يوم عاشوراء، وسع الله تعالى عليه في سنته كلها[1].

الأصل في ذلك أن سفينة نوح (عليه السلام) استوت على الجودي يوم عاشوراء. فقيل له: ﴿ **اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك...** ﴾[2] أي الموحدين. ﴿ **وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم...** ﴾[3] وهم المشركون. وكانوا كلهم في صلبه. وهذا السلام والبركات إلى آخر الدهر.

وقيل له: اهبط لتبوء لأهلك وولدك متبواً صدق ومستقراً لمعاشك بهذا السلام وهذه البركات. فمن أراد أن يأخذ بحظه من تلك البركات، فوافى ذلك اليوم، كان في تلك الهيئة هيئة من يبوء لأهله وعياله مرمة

---

(١) الحديث رواه الطبراني في المتوسط، والبيهقي في شعب الايمان عن أبي سعيد ــ رضي الله عنه ــ وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وأشار عليه بالصحة.

(٢) (٣) سورة هود آية رقم ٤٨.

لمعاشهم، ويزيد في وظائفهم، ويهيئ لهم لينالهم حظه من ذلك السلام وتلك البركات. لأن الله تعالى استقبلهم بالدنيا بعد أن غرقها وخربها شرقاً وغرباً، فلم يبق في جميع الدنيا إلا سفينة نوح (عليه السلام) بمن فيها. فرد عليهم دنياهم يوم عاشوراء. وأُمروا بالهبوط للتبوئة والتهيؤ لأمر المعاش مع السلام والبركات عليهم وعلى الأمم الموحدين الذين في صلبه. فمن أتى عليه ذلك اليوم فكأنه في وقته يهبط من السفينة، ويهيئ لعياله معاشاً، وتناله السلامة والبركات لذلك.

وروي أن من اكتحل يوم عاشوراء بكحل أثمد، لم تتوجع عينه تلك السنة وعوفي من الرمد. وقال (عليه السلام): خير أكحالكم الأثمد، فإنه ينبت الشفر ويجلو البصر[1].

فالاكتحال مرمة العين. وفي الكحل قوة للبصر ومدد للروح لأنه ينبت الأشفار، وهو ستر الناظرين ويقوي البصر. فإنه يجليه ويذهب بالغشاوة وما يتحلب من الماقين من فضول الدموع والبلة الطبيعية، ينشفه الأثمد ولا يدعه يتلبث، فيصير غشاوة وغيماً على حدقتيه. وفيه مدد للروح لأن بصر الروح في الباطن متصل ببصر العين. فإذا ذهبت الغشاوة، وصل النفع إلى بصر الروح ووجد لذهابه راحة وخفة. فإذا كان منه في هذا اليوم مرمة النفس، نال البركة والسلامة، وعوفي من الضيق، ووسع عليه سائر سنته. وإن كانت مرمة الروح، عوفي من الرمد.

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الطب باب ٩ ما جاء في السعوط وغيره، ٢٠٤٨ ــ عن عكرمة عن ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ قال: قال النبي ﷺ وذكره: ورواه في اللباس ٢٢، ٢٣ والنسائي في الزينة ٢٨ وابن ماجه في الطب ٢٥ والدارمي في الصوم ٢٨ وأحمد ابن حنبل في المسند ١ : ٢٣١، ٢٤٧، ٢٧٤ (حلبي).

الأصل الثالث عشر والمائتان

في أن العبد يسأل عن صدق: « لا إله إلا الله ». والفرق بين أهل الكلمة وأهل القول بالكلمة

عن أنس (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين...** ﴾[1] قال: عن « لا إله إلا الله ».

معناه عن صدق « لا إله إلا الله » والوفاء بها.

قال الحسن (رضي الله عنه): ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال.

ولهذا قال رسول الله ﷺ من قال: « لا إله إلا الله » مخلصاً، دخل الجنة. قيل: يا رسول الله ما إخلاصها؟ قال: أن يحجره عن محارم الله تعالى[2].

---

(١) سورة الحجر آية رقم ٩٢.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ٣٥٩٠ حدثنا الوليد بن قاسم عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ وذكره وفيه اختلاف (إلا فتحت له ابواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه البخاري من كتاب العلم ٩٩ بسنده عن أبي هريرة.

قال (عليه السلام): إن الله تعالى عهد إليّ أن لا يأتيني أحد من أمتي بلا إله إلا الله، لم يخلط بها شيئاً إلا وجبت له الجنة. قالوا: يا رسول الله وما الذي يخلط بلا إله إلا الله؟ قال: حرصاً على الدنيا وجمعاً لها ومنعاً لها. يقولون قول الأنبياء ويعملون أعمال الجبابرة.

وثمرة هذه الكلمة لأهلها. وأهلها من رعاها حتى قام بوفائها وصدقها. ومن لم يرعها فليس من أهل « لا إله إلا الله ». إنما هم من أهل قول: « لا إله إلا الله ». فأهل قول « لا إله إلا الله » من كان مرجعه إلى القول به والعمل بهواه. وأهل « لا إله إلا الله » من كان مرجعه إلى إقامة هذا القول وفاء وصدقاً.

قال (عليه السلام) : « لا إله إلا الله » يمنع العباد من سخط الله تعالى ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم. فإذا آثروا صفقة دنياهم على دينهم. ثم قالوا: « لا إله إلا الله » ردت عليهم، وقال الله تعالى كذبتم.

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: لا يزال قول: « لا إله إلا الله » يرفع سخط الله عن العباد حتى إذا نزلوا بالمنزل الذي لا يبالون ما نقص من دينهم إذا سلمت دنياهم فقالوا عند ذلك، قال الله تعالى لهم: كذبتم كذبتم.

وصدق « لا إله إلا الله » أن يقف عند صنع الله تعالى وعند أمره كالعبيد. أما صنعه فهو أحكامه عليك وتدبيره فيك، مثل العز والذل، والصحة والسقم، والفقر والغنى. وكل حال محبوب ومكروه. فتقف هناك كالعبيد لا تعصي الله في جنب ما حكم عليك ودبر لك، ويحكم به عليك. وأما أمره فهو أداء الفرائض، واجتناب المحارم، فلا تعصيه في ترك فريضة، ولا انتهاك محرم. وهذا أدنى منزلة في صدق « لا إله إلا الله ». لأنه بعد في حفظ الجوارح. وأما المنزلة الأعلى أن

يكون مع هذين حافظاً لقلبه، قد راض نفسه وماتت شهواته. فما ورد عليه من أحكام الله تعالى رضي بها واهتشت نفسه إلى قبولها حباً له وإعظاماً. وما أعطي من الدنيا قنع بها. وكان كالخازن الذي يعطيه مولاه شيئاً يأتمنه عليه. فهو يمسكها بالأمانة، يرقب متى يومئ إليه حتى يبذلها من غير تلجلج. وما ورد عليه من أمره ونهيه، أنفذ من غير أن يلتفت إلى عوض عنها في عاجل أو ثواب في آجل.

فهؤلاء هم السابقون، راضوا أنفسهم وفطموها عن الشهوات. فلما جاءهم أمر الله وأحكامه انقادوا وذلت نفوسهم لأمره، إعظاماً لجلاله ذلة العبيد الذين قد استسلموا لسيدهم. وهم المبهوتون في طاعة الله تعالى. لا يفرقون بين أمور الدنيا والآخرة. قد استوت عندهم؛ لأنهم لله وبالله. لا يخطر على بالهم عند تصرفهم في الأمور اختيار الأمور والأحوال. فإن كان في مرمة نفس، أو إصلاح معاش، فهو لله. وإن كان في أمر الآخرة فهو لله تعالى. فأعمارهم غير معطلة. كلها عبادة لمليكهم. عبدوا الله بنومهم كما عبدوه بسهرهم، وبأكلهم كما عبدوه بجوعهم. وعبدوه بتناول الدنيا وأخذها كما عبدوه بتركها. إنما نظرهم إلى تدبيره لهم. فعلى أي حال سار بهم إليه ساروا، طيبة بذلك نفوسهم، حسنة أخلاقهم. فإنهم نظروا إلى المقتصدين الذين لم يرضوا أنفسهم ولا فطموها عن الشهوات، إلا أن خوف الوعيد حال بين نفوسهم وبين المعاصي، فحجرهم عن أعمال أهل الهلكى وحملهم على أعمال أهل النوال لما أطمعوا من الثواب. كفعل الدواب تتلكّأ وتبطئ في السير، حتى إذا أحست بالدنو من المنزل، استقلت الحمولة وجدت للسير تحنناً إلى الاواري، أو أحست بالسوط من راكبها فتهتاج في السير مجداً. فهؤلاء قد استحيوا من أن يكون شبيهاً بهم، وأن تكون عبادتهم طمعاً في الثواب، أو رهبة من العقاب. فإن هؤلاء انقادوا لله تعالى من أجل نفوسهم وليس هذا بخالص العبودة. إنما خالص

العبودة لقوم هامت قلوبهم في حب الله تعالى، وهامت في جلاله وعظمته، فانبعثوا لأعمال البر شغوفاً بهم؛ لعلمهم أنه يحب ذلك، وامتنعوا عن الآثام هيبة له وإجلالاً لمعرفتهم أنه مساخطه ومكروهه. فهذان الصنفان هم أهل « لا إله إلا الله ». إلا أن أحدهما أعلى من الآخر. ومن لم يكن فيه ذلك، فهو من أهل قول: « لا إله إلا الله ».

قال (عليه السلام): ليس على أهل « لا إله إلا الله » وحشة في القبور، ولا في النشور، كأني أنظر إليهم وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم وهم يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن[1].

والناس في الحزن على درجات. وكل يحمد الله على إذهاب حزنه. فالمتقون حزنهم قطع النار، وفوت الجنة، ومجاهدة النفس أيام الحياة. والصديقون حزنهم تقصير شكر ما لزمهم من العصمة والتوفيق بأن وفقهم للطاعات، وعصمهم من الآثام، فوجدوا أنفسهم مقصرين في شكره، ينتظرون العفو. والعارفون على صنفين، وحزنهم على وجهين: فصنف منهم حزنهم حزن العاقبة، وهو الغالب على قلبه. فإنه اشتاق إلى الله تعالى، فرقي به إلى درجة الجلال والجمال، فسكن شوقه لطعم لذة ما نال من القربة، فمر في العبودة بقوة حظه من الجلال، وعظم عمله لغد بقوة حظه من الجمال، فهو مطمئن ساكن.

ولهذا قيل لواحد منهم : أما تشتاق؟ فقال : إنما يشتاق الغائب. فاستعظموا هذا وصيروه غاية الأمر. ولا يعلمون أن وراء هذا درجة فيها تنافس الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) المجذوبين المحدثين وهو حزن القلق. فإنه يقلقل أحشاءهم إلى آخر رمق من الحياة حتى تخرج أرواحهم بغصة من الكمد؛ لأنهم خلصوا إلى فردانيته، وتعلقوا بوحدانيته،

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما وذكره السيوطي في الجامع الصغير، وأشار على الحديث بالضعف

فظمئت أكبادهم عطشاً إلى لقائه. وهذا هو الذي أقلق موسى (عليه السلام) حتى حمله على سؤال الرؤية، ثم عاش أيام الدنيا عطشان إلى لقائه. فمحال أن يستقر العارف حتى ينكشف له الغطاء يوم الزيادة، ويصل إلى ما سأل كليم الله (عليه السلام)؛ لأنه كلما ازداد العبد إليه قرباً، زاده مولاه دنواً، فازداد هيماناً وولهاً، حتى يقلق ويكمد ويحترق من نيران الشوق.

الأصل الرابع عشر والمائتان

في أن الأمثال من معدن الحكمة. وأن المرأة لِمَ مثلت بالسيف المصقول ؟

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: مر لقمان (عليه السلام) على جارية في الكتاب. فقال: لمن يصقل هذا السيف.

هذه كلمة تمثيل من معدن الحكمة. وعامة الحكمة في الأمثال. لأن الأمثال أنموذج الآخرة والملكوت. وبالخلق حاجة إلى معاينة الأجل. وإنما يعاينوه بالعاجل. ولهذا ما ضرب الله تعالى الأمثال[1] في تنزيله الكريم، وعجل لأهل الدنيا من نعيم الجنان أنموذجاً من الأنوار والطيب والذهب والفضة واللؤلؤ والزبرجد وسائر الجواهر؛ لأنهم لو لم يروا ذلك في الدنيا، لم يفهموا منه تلك الصفة. فوصف لهم ثلاث درجات. درجة فضة، ودرجة ذهب، ودرجة نور، وأمسك عن وصف سائر الدرجات. إذ ليس عندهم أنموذجاتها فيفهمون بها عنه ما يصفه فقال: ﴿ **لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين...** ﴾[1].

---

(١) سورة السجدة آية رقم ١٧.

والسيف أمره وجي، لا يكاد يلبث بصاحبه. فكذلك المرأة شهوتها من بين الشهوات كالسيف من بين الأسلحة.

روي أن إبليس لما خلقت المرأة قال: أنت نصف جندي، وأنت موضع سري، وأنت سهمي الذي أرمي بك فلا أُخطئ.

وذكر الله تعالى في تنزيله الكريم حب الشهوات، فبدأ بذكر النساء فقال عز من قائل: ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين...** ﴾[1] ليعلم أنها أقوى الشهوات، وقال: ﴿ **وخلق الإنسان ضعيفاً...** ﴾[2] أي في شأن النساء. وقال تعالى: ﴿ **لتسكنوا إليها...** ﴾[3] ولا يكون السكن إلا من الاضطراب والجولان.

وذكر الله تعالى في تنزيله الكريم شأن ثلاثة من أنبيائه وأعلام أرضه ابتلوا بهن. يوسف، وداود، ومحمد (عليهم السلام).

فأما يوسف فابتلي بامرأة العزيز. فلما تزينت له وراودته، ﴿ **قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي...** ﴾[4].

فلم تزل في مراودته ومخادعته حتى خلت به في بيتها وغلقت الأبواب.

فقالت له: يا يوسف ما أحسن صورة وجهك!
قال: في الرحم صوَّرني.
قالت: ما أحسن شعرك!
قال: هو أول شيء يبلى مني في قبري.

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٤.
(٢) سورة النساء آية رقم ٢٨.
(٣) سورة القصص آية رقم ٧٣.
(٤) سورة يوسف آية رقم ٢٣.

قالت: ما أحسن عينيك!
قال: بهما أنظر إلى ربي.
قالت: ارفع بصرك فانظر في وجهي.
قال: أخاف العمى في آخرتي.
قالت: أدنو منك وتتباعد عني؟
قال: أريد الاقتراب من ربي.
قالت: فادخل القيطون معي.
قال: القيطون لا يسترني من ربي.
قالت: فراش الحرير قد فرشته، قم فاقض حاجتي.
قال: إذن يذهب من الجنة نصيبي.
قالت: إنك لجريء على سخطي.
قال: أريد بذاك مرضاة ربي.
قالت: أنت عبدي اشتريتك بمالي فتعظم عليّ!
قال: بجرمي وخطيئتي اشتريتني.
قالت: ضع يدك على صدري.
قال: إنه لا صبر لي على احتراق جسدي إذا زرعت في أرض غيري.
قالت: يا يوسف، الجنينة قد عطشت قم فاسقها.
قال: الذي بيده مفاتيحها أحق بسقيها.
قالت: أعتقتك من الرق، وجعلتك بمنزلة زوجي، فبأي حول امتنعت مني؟

قال: بحول ربي الذي في السماء معمره، ومكان سيدي الذي في الأرض سلطانه أخافه على نفسي.

قالت: إني مسلمتك إلى المعذبين.
قال: ذاك فعل إخوتي.
قالت: النار قد التهبت قم فاطفئها.

قال: أخاف أن يحرقني بها ربي.

فلم تزل تخدعه وتراوده حتى هم بها. فلما حل سراويله ورد يده إلى جيب قميصه ليخلعه ويدخل معها في فراشها، ناداه مناد من السماء ثلاث مرات: مهلاً يا يوسف. فإنك إن واقعت الخطيئة، محي اسمك من ديوان النبوة.

فلم يكترث لذلك الصوت، وغلبه ما حدث فيه من الشهوة، فمثل الله تعالى له أباه في مثل صورته التي عهده فيها، فنظر إليه غضبان، عاضاً على أنملته المسبحة يوعده. فلما رأى ذلك يوسف (عليه السلام)، كف وهرب مولياً نحو الباب، واتبعته سيدته فتداركا عند الباب ينازعها ليخرج، وتجره من خلفه ليرجع، فانقد قميصه من دبر، وألفيا سيدها لدى الباب. ﴿ **قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم...** ﴾[1]

فلما رأى ذلك يوسف (عليه السلام) أفشاها فقال: ﴿ **هي راودتني عن نفسي...** ﴾[2] حتى آل الأمر إلى أن شاع أمرها في النساء، وقبح عليها الأمر، فجمعت النساء، وجعلت عيداً، واستعانت بهن عليه، وأوعدته وهددته إن لم يفعل ذلك ليسجنن أو عذاب أليم، وليكونن من الصاغرين. ﴿ **قال: رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه...** ﴾[3] فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن.

فلبث في السجن بضع سنين. أي عشر سنين. فلما انتهت مدة عقوبة الهم، وجاء أوان الخروج منه، قال لذلك الذي كان حبسه الملك

---

(١) سورة يوسف آية رقم ٢٥.

(٢) سورة يوسف آية رقم ٢٦.

(٣) سورة يوسف آية رقم ٣٣.

ثم أخرجه: ﴿ **اذكرني عند ربك** ﴾[1]. ﴿ **فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين** ﴾[2]. أي ثلاث سنين.

فلما انتهت مدة عقوبة قوله: ﴿ **اذكرني عند ربك...** ﴾، جاء جبريل (عليه السلام)، فقال له: إن الله تعالى يقول لك: أتحب أن يكلك الله في شيء من أمرك إلى فرعون عنده؟

قال يوسف (عليه السلام) : أعوذ من ذلك برأفة ربي ورحمته. فخرج من السجن، وآتاه الله تعالى ملك مصر، وخوله خزائن أرضها، حتى جمع بينه وبين يعقوب (عليهما السلام) وجمع شمله في إخوته وأهل بيته، وانتقلوا إلى مصر.

وروي أن امرأة العزيز أصابتها حاجة فقالوا لها: لو أتيت يوسف فسألته. فاستشارت الناس في ذلك. فقالوا لها: لا تفعلي ذلك، فإنا نخاف عليك. قالت: كلا، إني لا أخاف ممن يخاف الله تعالى. فدخلت عليه، فرأته في ملكه. فقالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته، وجعل الملوك عبيداً بمعصيته. فقضى لها جميع حوائجها، ثم تزوجها فوجدها بكراً. فقال لها: أليس هذا أجمل مما أردت؟

فقالت: يا نبي الله: إني ابتليت فيك بأربع: كنت أجمل الناس كلهم، وكنت أنا أجمل أهل زماني، وكنت بكراً، وكان زوجي عنيناً[3].

وأما داود (عليه السلام) فإنه قعد في المحراب، والزبور في حجره يقرأه، إذا طائر بين يديه عليه من الألوان أكثرها، وسليمان (عليه السلام) صغير يلعب عنده. فلما أهوى ليأخذه، طار من الكوة. وقيل: إنه كان إبليس. فظهر له في هيئة طائر ليفتنه. فأخرج داود (عليه السلام)

---

(١) و(٢) سورة يوسف آية رقم ٤٢.

(٣) سبق الحديث عن ذلك فيما مضى.

رأسه، فوقع بصره على امرأة حسناء تغتسل على رأس بركة في بستانها تحت محراب داود (عليه السلام)، فرأت ظله في البركة، وأنه قد اطلع عليها إنسان، فحركت شعرها، فجللت جميع جسدها بشعرها، فرجع داود (عليه السلام) من الكوة بجسده، وبقي القلب هناك، فخرج من المحراب، وقصد بيت المرأة لينقلها إلى نسائه؛ لتكون لنفسه في ذلك شفاء مما حدث، حتى يقدم زوجها أو ينتظر ما يكون. فوقف على مدرجته مَلكان يقول أحدهما لصاحبه: لقد أكرم الله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، عن مثل هذا الممشى. فلم ينتفع بما سمع حتى صار من أمره إلى أن كتب لصاحب البعث أن يقدم زوجها إلى التابوت[1]. وكان من قدم لذلك لا يرجع حتى تفتح المدينة أو يقتل. فقدم زوجها في نفر إلى التابوت، فقاتلوا حتى قتلوا.

واعتدت المرأة، فخطبها وتزوجها، واشتغل عنها بالتوبة، وأقبل على العبادة متداركاً لما سلف منه، حتى شغل عن أمور بني إسرائيل، وجعل يأكل قويهم ضعيفهم، فلا يجد الضعيف غياثاً، ويقيم شهراً ببابه فلا يصل إليه لشغله بما أحدث من الأمر، حتى طمع فيه سفهاء بني إسرائيل، وائتمروا في خلعه، فانطلقوا إلى إبن له أكبرهم سناً وأعزهم عليه، وهو يكرهه، فخدعوه ومنوه الملك، وقالوا: أنت أكبر ولد أبيك، وقد كبر أبوك وشغل وعجز عن السياسة، وضاعت حقوق الناس وأحكامهم، وأنت أحق من يدارك ذلك، ولا نراه يكره ذلك، فإن هو عاتبك في ذلك أخبرته أنك إنما فعلت ذلك نظراً له وشفقة عليه حين خشيت

---

(١) التابوت: كان من شأنه فيما ذكر أنه أنزله الله على آدم عليه السلام فكان عنده الى أن وصل الى يعقوب عليه السلام فكان في بني اسرائيل يغلبون به من قاتلهم حتى عصوا فغلبوا على التابوت غلبهم عليه العمالقة: جالوت وأصحابه في قول السدي.

راجع تفسير القرطبي ٢: ٢٤٧

الأمم وضياع الناس، وخشيت على ملكه الأعداء. فلم يزالوا يخدعونه حتى بايعهم. فلم يشعر داود (عليه السلام) حتى خلع. وأصبح ابنه يبايع الناس ويدعو إلى نفسه.

فلما بلغ ذلك داود (عليه السلام)، عرف أنه عقوبة لذنبه، فخاف الفتنة والبلاء، فهرب بنفسه ومعه أمير جنده وصاحب مشورته. حتى إذا كان ببعض الطريق وهو يريد جبلاً يتحصن فيه لقيه رجل من بني إسرائيل قد غلب القضاة والحكام قبل داود. فلما ولي داود (عليه السلام) أنصف منه الضعيف وأقام عليه الحدود. فلما نظر الرجل داود في مذلة البلاء، قال: الحمد لله الذي نزع ملكك وأهانك وأذلك وأفردك إلى نفسك وفرق عنك جموعك. فسل ابن أخت داود ــ الذي هو أمير جنوده ــ سيفه ليضربه. فقال له داود (عليه السلام): مهلاً، فإن هذا ليس هو الذي يسبني على لسانه، ولكن الله هو الذي يسبني على لساني بذنبي وخطيئتي. ومتى كان يطمع هذا أو يرومني حتى يأذن الله له فيّ فلم يظلمني ربي، وأنا الذي ظلمت نفسي فلما انطلقوا هاربين كمنوا في تلك الجبال لا يأمنون القتل.

وكان لداود (عليه السلام) صاحب شورى يقال له: نوفيل. فغضب عليه وعزله واستبدل به. فقال ابن داود (عليه السلام) لنوفيل: كيف الرأي في أمره؟ قال: أن تطأ فراشه حتى يستيقن الناس أنه ليست لداود بقية عندك.

قال: كيف الرأي في قتاله؟

قال: إن كنت تريد من يوم من الأيام فعجله اليوم ما دام مخذولاً مسخوطاً عليه. وإن أخرت أمره حتى يتوب الله عليه ويغفر له، لم تطقه، فهو الذي قتل جالوت وبز طالوت ملكه، وأذل رقاب الملوك.

ثم استشار ابن داود آخر، فقال له: سمعت بابن نبي قتل أباه،

أم هل سمعت بنبي أذنب فلم تقبل توبته، أم ماذا تقول لربك يوم القيامة وقد قتلت نبيه وأباك ووطئت فراشه، وما وجه من قتل أباً نبياً ونكح أمه؟ ما أعلم يقبل ممن فعل هذا صرف ولا عدل. فإن كان لا محالة أنت ضابط هذا الملك، وبما أجمعت عليه من عقوق أبيك وخلعه، فلا تطلبه ولا تقتله. فإن كان الله تعالى قد أذن بفنائه، فما أكثر معاريض البلاء التي تكفيك ذلك منه. وإن كانت له مدة وحياة يستكملها ألفيتك لم تأثم بربك، ولم تفرط بوالدك.

فقال: الرأي رأيك. وما أسمعك عرضت بغش، ولا ادخرت نصيحة. وأنا متابعك على ما في قلبك، وكاف عن داود ما كف عني. فإن قاتلني، حميت نفسي مخافة أن يظفر فيقتلني. فقال له الرجل: إن داود لن يقاتلك حتى يقبل الله توبته، ويأذن له لقتالك. وإن ظفر بك أحياك وأمنك. فإنه أعظم حلماً وأوسع عفواً من أن يقتل ولده.

ولبث داود (عليه السلام) من يوم خرج إلى أن رجع إلى ملكه سنتين، وانقطع الوحي. فلما رد الله تعالى إليه ملكه، سرح ابن أخته وهو أمير جنده، فأمره أن يدخل المدينة، ثم يدعو إلى داود (عليه السلام)، ويخبر بني إسرائيل أن الله تعالى قد قبل توبته، ورد إليه ملكه. فاتبعوه إلا قليل منهم، انحازوا إلى ابنه، وكرهوا أن ينظروا إلى وجه داود (عليه السلام) بعد الذي كان منهم. فاستقبلوا فقاتلوا قتالاً شديداً حتى قتلوا. وكف ابن داود (عليه السلام) فلم يقاتل حتى قتل أصحابه.

ثم إنه هرب حياء من أبيه، وأن لا يرى أبوه وجهه، فتبعه ابن أخت داود، وعهد إليه داود (عليه السلام) وحذره أن يقتله، وقال له: إياك أن تقتله، فإني قاتلك به إذا خالفت أمري، فإنه أعز ولدي عليّ، ابتلاني الله تعالى به ليذلني وينقمني بذنبي، ويهيننني بخطيئتي، وينزع ملكي، ثم تداركني عفوه ورحمته فعفا عني، وقبل مني وقبل

توبتي. فينبغي لي أن أعفو كما عفا، وأرجو له من التوبة ما رجوت لنفسي. فليس هو بأعظم جرماً مني. فالحذر على دمه.

فلحقه فوجده قد علقته شجرة دخل عود منها برنسه، فاقتلعه من السرج، وزلت الدابة من تحته حتى اقتلعه العود، فبقي معلقاً وذهبت الدابة. فطعنه ابن أخت داود بالرمح حتى اعتدل فيه. وترك وصية داود (عليه السلام). ثم انصرف وتركه حتى مات معلقاً. فغضب داود (عليه السلام)، وقال: إني قاتلك عاجلاً أو آجلاً، فوطن نفسك على ذلك. واستبقاه داود (عليه السلام) لأنه كان رجلاً منصوراً، بعيد الصوت والنكاية في العدو، فكره أن يعجل قتله. فلما حضرته الوفاة، أوصى سليمان (عليه السلام) بقتله فقتله ساعة رفع يده من قبره.

فلما تيب عليه التوبة الظاهرة ورد الله تعالى إليه ملكه واطمأن، نزل عليه الملكان، فتسورا المحراب على ما قص الله تعالى، وانكشف عنه الغطاء عن فعله فبرز صارخاً متململاً، وسجد سجدة العويل والنوح، دام في ذلك أربعين صباحاً، حتى نبت العشب حول رأسه من دموع عينيه. فأتاه جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا داود، ارفع رأسك، فقد غفر لك. فقال: يا جبرئيل كيف بالرجل؟ قال: إن الله تعالى قد أعاضه الجنة وقد غفر لك فارفع رأسك.

وأما محمد ﷺ فإنه وافى باب زيد بن حارثة، ووقع بصره على امرأته زينب بنت جحش (رضي الله عنها) وهي في خمار أسود. وكانت وسيمة وذات هيئة، وهي واقفة في صحن الدار. فوقعت في نفسه، فقال بكفيه على عينيه وتولى وقال: سبحان مقلب القلوب والأبصار. فرجع إلى منزله. فلما آوى زيد إلى فراشه، عجز عنها، وحيل بينه وبين إتيانها. فلما رأى ذلك أحس بأمر حادث من الله. فجاء إلى رسول الله ﷺ ليطلقها فاعتل بعلل تطييباً لقلب رسول الله ﷺ. فقال له: اتق الله يا زيد، وأمسك عليك زوجك. فلم يزل زيد

عن عزمه الذي عزم الله على قلبه. فكما قلب قلب محمد ﷺ فهويها. كذلك قلب قلب زيد حتى طلقها. وانقضت عدتها. فنزل القرآن الكريم بتزويجها منه على لسان جبرئيل. فلما نزل قوله تعالى: ﴿ **فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها** ﴾[1]. قام (عليه السلام) فدخل عليها بغير إذن، وهي لا تعلم شيئاً، فقعد عندها.

فأما يوسف (عليه السلام) حين البلاء، قال: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي. اعتصم بالله تعالى وأخذ العدة من التعوذ به، وذكر إحسان من ملكه وكفران نعمته أن يخون في أهله.

وأما داود (عليه السلام) حين شخص له البلاء، اعتصم بالحيل، ونقل تلك المرأة إلى نسائه لتطمئن النفس. وأما محمد ﷺ فزع إلى الله تعالى فرداً، حين شخص له البلاء، واعتصم بفردانيته فقال: سبحان مقلب القلوب. فذكر نزاهته ومشيئته، فتعلق بها وتضرع إليه أن لا يقلبها إلى ما لا يليق به ولا يحسن عنده. فكان عقبى نطق يوسف (عليه السلام) أن تركه حتى هم بها، وكاد الأمر أن يكون. ثم تداركه برحمته التي بها نال الاستخلاص، وصرف عنه بالبرهان، وهو جبرئيل في صورة يعقوب (عليه السلام). وهو سبب من الأسباب. وكان عقبى تعلق داود (عليه السلام) أن تركه حتى هم بما هم من شأن أوريا، حتى مضى الأمر إلى آخره، ثم نبهه بالملكين، وعاتبه وملأ المشرق والمغرب جزعاً على مأتمه للمصيبة التي حلت به، وللحرقات التي هاجت منه. وصارت إنابته وتوبته حديثاً في العالمين ليكون مدداً للنواحين أيام الدنيا.

وكان عقبى تعلق محمد ﷺ أن ولي خلاصه من ذلك بنفسه فرداً ومنع زيداً من إتيانها، وأخذ بقلبه عنها حتى طلقها، ثم ولي تزويجها

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٣٧.

منه فرداً وأنبأه من طريق الوحي أن قد زوجناكها. وأخرج ذلك من تدبير أهل الدنيا، حيث تزوجوا بولي، ورضاء، وشاهدان، ومهر. فهذه مرتبة رفيعة لمحمد ﷺ حين أخرج تزويجه زينب من تدبيره لعامة من خلقه، فزوج أمته من عبده، وولي ذلك بكرمه ورحمته، وأشهد الوحي على ذلك، وجعل مرتبته صداقاً لها منه، وأعلم الأمة محل هذه القلوب الثلاثة أين كانت منه، وبروز قلب محمد ﷺ على سائر القلوب[1]!

الأصل الخامس عشر والمائتان

في أن أبا موسى أوتي مزماراً من مزامير آل داود (عليه السلام)

عن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: لقد أوتي أبو موسى مزماراً من مزامير آل داود. فبلغ ذلك أبا موسى فقال: يا رسول الله: لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيراً[1].

الرمز والزمر بمعنى واحد. إلا أن الرمز بالشفتين، والزمر بالحنجرة. والرمز بتحريك الشفتين. فإذا كان بصوت، فهو كلام؛ لأنه يدخل السمع، فيكلم الصوت القلب أي يؤثر، فيصور معاني ذلك الصوت

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في إقامة الصلاة ١٧٦ باب في حسن الصوت بالقرآن ١٣٤١ عن أبي سلمة عن أبي هريرة: وذكره، ورواه الإمام مسلم في صلاة المسافرين ٣٤ باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ٢٣٦ بسنده عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره، وأخرجه أبو يعلى من طريق سعيد بن أبي بردة عن أبيه بزيادة فيه، ولابن سعد من حديث أنس بإسناد على شرط مسلم وللروياني من طريق مالك بن مغول عن عبدالله بن بريدة عن أبيه نحو سياق سعيد بن أبي بردة، وعند الدارمي من طريق الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن. وأيضاً في الحلية لابي نعيم وفي المسند ٢ : ٢٦٩، ٤٥٠ (حلبي).

الذي نطق به في الصدر. وإذا كان بغير صوت، فهو رمز؛ لأنه إشارة إلى حروف شفتيه، فيقوم مقام الصوت، فيفهم منه. وأما الرمز، فإذا خرج الصوت من جو الصدر إلى جو الرأس، حرك الحنجرة المركبة بعضها على بعض حتى يرد الصوت ويرجعه. فإذا تردد، صارت له صداء. وبذلك الصداء يتلون الصوت، فيصير ألواناً، فتلذذ به؛ لأن بين اللونين تدبيراً من تدبير الله تعالى ولطفاً من لطفه. ففصل بين اللونين حتى إذا سمعت الأول، ورد الثاني، ثم عاد الأول فورد على السمع طرياً، ثم عاد الثاني فورد طرياً، فتلك الطراوة على السماع وجود اللذة. ولهذا إذا دام اللون سمج وفقدت لذته. فأخبر (عليه السلام) أن هذه الأصوات الزائدة على أصوات العامة من عطاء ربنا وفضله. وإنما يؤتي من يشاء من رحمته. فلما بلغ ذلك أبا موسى (رضي الله عنه)، عظمت منَّة الله تعالى عليه أن ركب في جسمه وخلقته شيئاً له موقع عند رسول الله ﷺ من عطايا ربه، فقال: لو علمت أنك تسمع لقراءتي، لحبرته تحبيراً.

والتحبير تلوين الصوت. ومنه برد حبرة إذا كان ذا ألوان. وقال تعالى: ﴿ **في روضة يحبرون...** ﴾[1]

وخص أهل اليقين بهذا لأن النور يفتح سدد تلك الطرق التي هي مخارج الصوت فيصفو.

قال (عليه السلام): لم يبعث نبي إلا حسن الصوت، حسن الصورة[2].

وأبو موسى (رضي الله عنه) كان من أولياء الله تعالى المشتعلة

---

(١) سورة الروم آية رقم ١٥.

(٢) لعل الحديث من النوادر التي تفرد بها الحكيم الترمذي

قلوبهم بنوره (سلام الله عليهم)، الذين لا تملكهم نفوسهم. بل أوفرهم حظاً. فلم يكن تأخذه محمدة الخلق فتملكه. فلذلك أمكنه أن يقول: « لو علمت أنك تستمع لقراءتي، لحبرته تحبيراً » يبتغي بذلك سرور رسول الله ﷺ.

قال (عليه السلام): المخلص من لا يحب أن يحمده الناس في شيء من عمله.

وأحق من ينفق عليه صوته الممنون عليه بذلك هو الرسول (عليه السلام). لأن الصوت الحسن حلية القرآن.

قال (عليه السلام): لكل شيء حلية. وزينة وحلية القرآن الصوت الحسن[1].

والدليل أن أبا موسى (رضي الله عنه) كان من الأولياء أنه نزل قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه...** ﴾[2]

قال (عليه السلام): « نعم قوم هذا »[3]. وأشار إلى أبي موسى (رضي الله عنه). فما لبثوا إلا يسيراً حتى قدمت سفائن الأشعريين وقبائل اليمن من طريق البحر. وكان لهم بلاء في الإسلام في زمن

---

(١) الحديث أخرجه عبد الرزاق في الجامع، والضياء عن أنس، ورواه السيوطي في الجامع الصغير، وأشار على الحديث بالصحة، ورواه الدارمي في فضائل القرآن

(٢) سورة المائدة آية رقم ٥٤.

(٣) الأشعريون: ذكرهم الرسول ــ ﷺ ــ في اكثر من حديث ودعاهم عليه السلام الى تعليم جيرانهم ووعدوا رسول الله ــ ﷺ ــ أن يتم ذلك في خلال عام ولقد وفوا بما عاهدوا عليه رسول الله ــ ﷺ.

رسول الله ﷺ. وكانت عامة فتوح العراق على يدي قبائل اليمن في زمن عمر (رضي الله عنه).

وعن زيد بن أسلم (رضي الله عنه) أن الأشعريين أبا موسى وأبا مالك وأبا عامر في نفر منهم لما هاجروا، قدموا على رسول الله ﷺ في فلك وقد أرملوا من الزاد، فأرسلوا رجلاً منهم إلى رسول الله ﷺ يسأله، فلما انتهى إلى باب رسول الله ﷺ، سمعه يقرأ هذه الآية: ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها...** ﴾[1] فقال الرجل: « ما الأشعريون بأهون الدواب على الله ». فرجع ولم يدخل على رسول الله ﷺ. فقال لأصحابه: « أبشروا. أتاكم الغوث ». ولا يظنون إلا أنه قد كلم رسول الله ﷺ فوعده.

فبينا هم كذلك إذ أتاهم رجلان يحملان قصعة بينهما مملوءاً خبزاً ولحماً. فأكلوا منها ما شاءوا. ثم قال بعضهم لبعض : « لو انا رددنا هذا الطعام إلى رسول الله ﷺ ليقضي به حاجته ». فقالوا للرجلين : « اذهبا بهذا الطعام إلى رسول الله ﷺ وإنا قد قضينا منه حاجتنا ». ثم انهم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله: فما رأينا طعاماً أكثر ولا أطيب من طعام أرسلت به. فقال: « ما أرسلت إليكم شيئاً ». فأخبروه أنهم أرسلوا صاحبهم. فسأله رسول الله ﷺ، فأخبره ما صنع وما قال لهم. فقال ﷺ: ذلك شيء رزقكموه الله سبحانه.

وعن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: « يقدم عليكم قوم هم أرق أفئدة منكم »[2]. فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى

---

(١) سورة هود آية رقم ٦.

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب المغازي ٤٣٨٨ عن شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ: وذكره وفيه زيادة [وألين قلوباً الإيمان يمان والحكمة يمانية والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل

(رضي الله عنه). فجعلوا يرتجزون، ويقولون: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه.

وقوله: « من مزامير آل داود » فإن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كان داود (عليه السلام) يقرأ الزبور بسبعين صوتاً، يلون فيها. وكان يقرأ قراءة يطرب منها المحموم. وكان إذا أراد أن يبكي نفسه، لم تبق دابة في بر ولا بحر إلا سمعن لصوته.

وعن عبيد بن عمير (رضي الله عنه) قال: كان داود (عليه السلام) يأخذ المعزفة فيضرب بها، ثم يقرأ عليهم، يريد أن يبكي بذلك ويبكي. والمعزفة تهيج من معدن السرور ما فيه، لا من موضع الحزن فدل أن هذا بكاء الشوق، يبكي داود (عليه السلام) ويبكي المشتاقين. لأن المشتاق الهائم من طول الغيبة عمن اشتاق إليه يشتد حزنه. وفي باطن حزنه السرور؛ لأن الحب أصله. والسرور من الحب. والشوق من السرور. والحزن من أجل الشوق. فإذا لاقى قلبه أصوات السرور بكي.

= الغنم] ورواه الإمام مسلم في إيمان ٨٢، ٨٤، ٨٩، ٩٠ والترمذي في المناقب ٧١ والدارمي في المقدمة ١٤ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٣٥، ٢٥٣، ٢٥٨، ٢٦٧ (حلبي).

الأصل السادس عشر والمائتان

في بئس العبد من ثمانية أوجه. والتحذير منها

عن أسماء بنت عميس (رضي الله عنها) قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد سهي ولها ونسي المبدأ والمنتهي، بئس العبد عبد بغى وعتا ونسي المقابر والبلى، بئس العبد عبد يحتال بالدين والدنيا، بئس العبد عبد يختل الدنيا بالشبهات، بئس العبد عبد يذله الرعب عن الحق، بئس العبد عبد طمع يقوده، بئس العبد عبد هوى يضله[1].

قوله : « تجبر واعتدي » احتشى من الشهوات، وعمل بهواه، وجبر الخلق على هواه، وصار ذلك له عادة، واعتدى في جبريته، ونسي

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقاق والورع ٢٤٤٨ ــ حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا هاشم وهو ابن سعيد الكوفي حدثني زيد الخثعمي عن أسماء بنت عميس الخثعمية قالت سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يقول: وذكره قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وليس اسناده بالقوي، ورواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الايمان عن اسماء بنت عميس، والطبراني في الكبير والبيهقي أيضاً في شعب الايمان عن معاذ وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وأشار على الحديث بالضعف

الجبار الأعلى الذي له الجبر، وقد صغرت الدنيا بمن فيها والملكوت في ملك جبروته ودق.

وقوله: « سها ولها » سهوه بالأماني، ولهوه بالشهوات. ونسي المبدأ من أين خلق؟ ونسي المنتهى إلى أين يرد؟

وقوله: « بغي وعتا » أي طلب العلو. كلما رأى من الدنيا درجة، أحب أن ينال ذلك ويسلب غيره، ليتفرد بها دون نظرائه. « وعتا » يبس قلبه. فإن حرارة شهوته انتشفت رطوبة قلبه، وما ركب فيه من الرأفة والرحمة الخلقية، ونسي أن القبر متضمنه، ومحتوى على أركانه، ومبلي لحمه ودمه أكلاً.

وقوله: « يحتال الدنيا بالدين » فهو متصنع مداهن، همته فيما يعرض له في العاجل من النهمة، متى ينالها، لبعد قلبه عن الآخرة، مترصد للتوثب على الدنيا لينالها، وليظفر بها، منتهزاً لفرصتها، يتحلى بظاهر الإيمان ليطارد به الدنيا، وصير معالم الإيمان شبكة لحطامها وأوساخها، يظهر الخشوع بالتماوت ليحظى عند أهل الدنيا، فينال من عزها وجاهها، ويتحازن عند لقاء الخلق، ويتنفس الصعداء، يظهر الاهتمام لدينه والتحسر على إدبار أمره، وأسفه على ما يفوته من الدنيا، ويمتنع من قبول النزر اليسير من الدنيا؛ ليكون في هيئة الزاهدين، ولئلا ينكسر جاهه عند الخلق، ويصير عندهم في صورة الراغبين. ومع ذلك قد هيأ على كل باب من منالات الدنيا باباً من أبواب الدين ليختله من أيديهم، يظهر الزهادة ليمال عليهم الدنيا، ويظهر العبادة لتكفي مؤنه، ويظهر الورع ليؤتمن على الأموال، ويظهر الانقباض ليهاب، ويظهر الشره على أهل الريب ليشار إليه بالأصابع، ويطلب الرياسة ليحكم في الخلق في معاملته تحكم الملوك، ويطلب العز لنفاذ مشيآته فيهم.

قوله: « يختل الدنيا بالشبهات » فهو رجل فر من الحرام، ويغمص عند الشبهة، يخادع الله تعالى بذلك ويقول: أفر من الحرام.

وقوله: « يذله الرعب عن الحق » إذا استقبله حق من حقوق الله تعالى فأراد أن يقيمه، جاءت النفس بسوء ظنها فخوفته وجوه المهالك حتى ترعبه فتذله، قد علاه الرعب من سوء الظن، فانكسر قلبه، وانخلع جبناً.

قال (عليه السلام): شر ما في الإنسان حرص هالع، وجبن خالع[1].

وقوله: « طمع يقوده » هو أن يتمنى أمراً من شهوات الدنيا. فلا يزال يتمنى ويفكر حتى يجد طمعه في الفكر الذي جال في صدره. فإذا وجد القلب طمعه، قادته تلك الشهوة.

وقوله: « هوى يضله » هو ترك الحق في أموره وفي سيره إلى الله تعالى حتى يقع في الباطل والهوى والزيغ عن سواء السبيل.

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الجهاد ٢٥١١ ــ حدثنا عبدالله بن الجراح عن عبد الله ابن يزيد، عن موسى بن علي بن رباح عن أبيه، عن عبد العزيز بن مروان، قال : سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره، ورواه الإمام أحمد في المسند ٢ :٣٠٢، ٣٢٠ (حلبي).

الأصل السابع عشر والمائتان

(في سر دعوات أبي ذر (رضي الله عنه)

عن علي (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ أنه أتاه جبرئيل (عليه السلام)، فبينما هو عنده إذ أقبل أبو ذر[1] فنظر إليه جبرئيل فقال: هو أبو ذر. قلت: يا أمين الله، وتعرفون أنتم أبا ذر. فقال: نعم، والذي بعثك بالحق ان أبا ذر أعرف في أهل السماء منه في أهل الأرض، وإنما ذلك لدعاء يدعو به كل يوم مرتين، وقد تعجبت الملائكة منه، فادع به، فسل عن دعائه. فقال (عليه السلام): يا أبا ذر دعاء تدعو به كل يوم مرتين. قال: نعم، فداك أبي وأمي ما سمعته من بشر، وإنما هو عشرة أحرف ألهمني ربي إلهاماً، وأنا أدعو به كل يوم مرتين، أستقبل القبلة فأسبح الله ملياً، وأهلله ملياً، وأحمده ملياً، وأكبره ملياً، ثم أدعو بتلك العشر الكلمات:

اللهم إني أسألك إيماناً دائماً، وأسألك قلباً خاشعاً، وأسألك علماً نافعاً، وأسألك يقيناً صادقاً، وأسألك ديناً قيماً، وأسألك العافية من

---

(١) هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد توفي عام ٢ هـ.

راجع ترجمته في طبقات ابن سعد ٤: ١٦١ والاصابة ٧: ٦٠ وصفة الصفوة ١: ٢٣٨ وحلية الأولياء ١: ١٥٦

كل بلية، وأسألك تمام العافية، وأسألك دوام العافية، وأسألك الشكر على العافية، وأسألك الغنى عن الناس.

قال جبرئيل: يا محمد: والذي بعثك بالحق لا يدعو أحد من أمتك هذا الدعاء إلا غفرت له ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر وعدد تراب الأرض، ولا يلقاك أحد من أمتك وفي قلبه هذا الدعاء إلا اِشتاقت إليه الجنان، واستغفر له المكان، وفتحت له أبواب الجنة، ونادت الملائكة: يا ولي الله ادخل من أي باب شئت[1].

« إيماناً دائماً »، أن يدوم له توحيده حتى يختم له بذلك، فلا يسلبه، فيلقى ربه بإيمانه. وأن يكون له يقين يصير أموره معاينة، ولا ينقطع ذكر الله تعالى عن قلبه على كل حال، ويصير قلبه خالياً عن ذكر كل شيء، وينفرد للفرد الواحد، فيأنس به ويطمئن إلى حكمه، وإذا غلبته شهوة أو رغبة أو رهبة أو غضبة فملكته نفسه، صار إيمانه في قلبه كشمس قد انكسفت فذهب ضوؤها. فسأل إيماناً دائماً، أي يدوم له شمسه، فلا تنكسف حتى يكون صدره مستنيراً بنور اليقين في كل أمر.

ومنه قول أبي الدرداء (رضي الله عنه) حين بلغه أن فلاناً أعتق مائة رقبة: إيمان ملزوم بالليل والنهار، ولسانك رطب بذكر الله تعالى أفضل من ذلك.

وقال ابن رواحة (رضي الله عنه): إذا دام الإيمان على القلب، دام الذكر.

ومن ههنا قال معاذ (رضي الله عنه): تعال نؤمن ساعة.

---

(١) الحديث رواه البزار والديلمي في مسند الفردوس ورواه السيوطي في الجامع الكبير وأشار الى رواية الحكيم الترمذي وأشار عليه بالصحة.

وقال (عليه السلام): أشد الأعمال ذكر الله تعالى على كل حال[1].

« وقلباً خاشعاً »، ماتت شهواته، فذلت النفس لله تعالى، وخشع القلب مما طالع من جلال الله تعالى وعظمته.

« وعلماً نافعاً »، هو الذي تمكن في الصدر، وتصور بالنور الذي أشرق في الصدر، فتصور الأمور حسنها وسيئها، فيأتي حسنها، ويجتنب سيئها. فذلك العلم النافع من نور القلب. والعلم الذي تعلمه فذلك علم اللسان. إنما هو شيء قد استودع الحفظ، والشهوة غالبة عليه، قد أحاطت وأذهبت بظلمتها ضوءه.

« ويقيناً صادقاً »، ينفي الشك ولا يغلب الشهوة، وهو يقين التوحيد. ويقين آخر نور مشرق للصدر، غالب للشهوات، صارت له أمور الدنيا والآخرة وأمر الملكوت معاينة، قد ورث قلبه الخشية، والمحبة، والهيبة، والتعظيم لله (عز وجل).

« وديناً قيماً »، أي الخضوع لله تعالى بأمره ونهيه، بأن يكون مسيره إليه في الشريعة على سبيل الاستقامة، لا زيغ فيه ولا بدعة، فيحل ما أحله، ويحرم ما حرمه، ويؤدي فرائضه، ويجتنب مساخطه. قال الله تعالى: ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين...** ﴾[2] الآية. وأعلاه أن يدين لله تعالى حتى لا يلتفت إلى أحد سواه، فيكون هو ملجأه ومفزعه.

« والعافية من كل بلية »، بلية تعجيل عقوبة العبد، مثل ما نزل بيوسف

---

(١) الحديث لم يذكر في الصحاح ولا في السنن ولعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر

(٢) سورة البينة آية رقم ٥.

(عليه السلام) من لبثه في السجن بالهم. وبلية امتحان، مثل ما نزل بأيوب (عليه السلام). قال الله تعالى: ﴿ **إنا وجدناه صابراً...** ﴾[1].

وبلية كرامة، مثل ما نزل بيحيى بن زكريا، الذي لم يعمل خطيئة قط، ولم يهم بها، فذبح ذبحاً، وأهدي رأسه إلى بغي من بغايا بني إسرائيل. فسأل العافية من ذلك كله.

والعافية أن لا يكله إلى نفسه، ولا يخذله، بل يكلؤه ويرعاه في كل هذه الوجوه.

« ودوام العافية »، أن تدوم له فلا تنقطع. وتمام العافية، أن تكون عافية لا شوب فيها. والشكر على العافية، فإن به ترتبط النعمة ويجلب المزيد. والغنى عن الناس، بالاستغناء بالله تعالى، وفيه الخروج من الرق إلى الحرية.

---

(١) سورة ص آية رقم ٤٤.

الأصل الثامن عشر والمائتان

في أن العين حق

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: العين حق. ولو كان شيء سابقاً القدر، لسبقته العين. وإذا إستغسلتم فاغسلوا[1].

قال أبو عبدالله (رحمه الله): كان الله ولا شيء، ثم أبدا ملكه وربوبيته، ثم خلق الخلق لإظهار ملكه وربوبيته؛ ليدينوا له عبودة، ولا يشغلوا بالأشياء عن صانع الأشياء فيلهيهم عنه ويفتتنوا بهم. فإذا أعجب واحد بشيء من خلقه، غيَّر ذلك الحال ليفسد إعجابه. وكان هذا حق من فعله لأن شرطه حين خلق الخلق أن ينتظروا إلى صنعه ويرونه محموداً.

قوله: « لو كان شيء سابقاً القدر لسبقته العين »، فإن الله تعالى

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب السلام ١٦ باب الطب والمرض والرقي ٤٢ — (٢١٨٨) عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي ﷺ: وذكره، ورواه أبو داود في كتاب الطب ١٩ وصاحب الموطأ في العين ١ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٢٧٤، ٢٩١، ٢ : ٢٢٢، ٢٨٩، ٣١٩، ٤٢٠، ٤٢٩، ٤٨٧ (حلبي).

قدر المقادير قبل الخلق بخمسين الف سنة. فليس شيء من الخلق سبق القدر؛ لأنهم خلقوا بعد القدر. وإنما قدر الخلق ليخلق ويظهر ملكه وربوبيته فيحمدوه ويعبدوه ويضيفوا الأشياء إلى وليها وصانعها، كما روي أن الله تعالى قال: « ما خلقت الجن والإنس لحاجة كانت بي إليه، ولكن لأبين به قدرتي ولأعرف به الناظرين نفسي، ولينظروا في ملكي وتدبير حكمتي، وليدين الخلائق كلها لعزتي ويسبح الخلق بحمدي، ولتعنو الوجوه كلها لوجهي »[1].

فمن غفل عن الله تعالى ونظر إلى الأشياء بعين الغفلة فيعجب بها وتصير فتنة عليه. ومن شرط الله تعالى عليهم أن يعتبروا وعبروا عن الأشياء إلى خالقها، فإذا لم يعتبروا وبقوا مع الأشياء عجباً وفتنة، فسد ذلك الشيء عليهم كي ينبئهم ويعير عليهم عجبهم. وقد تقدم شرط القدر على الخلق. فلو كان شيء سابق القدر لسبقته العين لقربه وجواره له، ولا يسبقه لأن القدر قبل أن يخلق الخلق.

وقوله: « فإذا استغسلتم فاغسلوا » هكذا جرت السنة أن العاين يتوضأ أو يغتسل، ليغسل بتلك الغسالة هذا المعان فيخف ما به وينحل من ثقله، كما ينحل صاحب الأخذة من سحره.

فإن أخذه المعان من قبل الحق، فإن الحق (عز وجل) يقتضي أن ينسبوا الأشياء إلى وليها ومالكها، ولا يرضي أن تضاف إلى غير خالقها. فإذا أخذت الأشياء عن الأسباب في حالة الغفلة عن الله تعالى، والشرط النظر إلى صنع الله تعالى ولطفه في صنعه، وبره بالعبد، وعطفه عليه، فاقتضى الحق تعالى شكره لولي الخلق. فإذا نظروا إلى الأشياء فأعجبوا بها ناشد الحق وليها في إفساد ما به، أعجبوا لأن تلك النعمة

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير والديلمي في مسند الفردوس ومثله الحديث القدسي: كنت كنزاً مخفياً فخلقت الخلق فبي عرفوني.

حدثت من الملك من خزائن المنة على أيدي لطفه، فغيرها العباد بعمي النفوس عن جهتها، فغير الله تعالى ما بهم. قال الله تعالى: ﴿ **ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم...** ﴾[1] الآية.

فغير الله تعالى الحال وأفسد عليها إعجابها رحمة للناظر والمنظور إليه ليكون للناظر عبرة وللمنظور إليه خروجاً من أن يكون سبباً لما كره الله تعالى من فتنة العباد من دونه. فأمر هذا العاين أن يغتسل. فإن الغسالة مرفوضة تعافها النفس، وجعل الله الشفاء فيما رفضت نفسها وعافته. إذ ليس شيء في الأرض مما يلائم النفس إلا ولها فيه شهوة وإليها نزوع. فإذا استشفي هذا المعان بما قد رفضت نفس العاين وليست لها فيه شهوة ولا إرادة تخلصت من آفة النفس تقرباً إلى الله تعالى بخلافها والرد عليها تأميلاً للشفاء وحسن ظنه به. فحقق الله تعالى أمله ويفي بالظن فيعافيه. وصارت النفس مزجورة مذمومة بفعلها.

وعن جابر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: أكثر من يموت من أمتي بالنفس بعد كتابه وقضائه. يعني بالعين[2].

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: كان عند رسول الله ﷺ يتيم مريض، فسأل عنه يوماً. فقالوا: إنه لمثبت يا رسول الله. قال: أفلا استرقيتم، فإن ثلث منايا أمتي من العين. وإنما صار كذلك لأن هذه الأمة فضلت باليقين على سائر الأمم، فحجبوا يقينهم بالشهوات فعوقبوا

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٥٣.

(٢) الحديث رواه البخاري في التاريخ، والبزار والضياء عن جابر ــ رضي الله عنه ــ وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وقال رواه البخاري في التاريخ والحكيم والبزار والضياء عن جابر ــ وأشار الى الحديث بالصحة.

بآفة رحمة من الله لهم. فإنه لما فضلهم باليقين وهو التأييد الأعظم لم يرض منهم بأن ينظروا إلى الأشياء بعين الغفلة وتتعطل منة الله تعالى عليهم وتفضيله إياهم. والله أعلم.

الأصل التاسع عشر والمائتان

في الاستعاذة بالله تعالى

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فاعطوه، ومن استجاركم بالله فأجيروه، ومن أتي إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه[1].

الاستعاذة بالله تعالى دخول في مأمنه وحريمه. ومن التجأ إلى ملك في الدنيا هاب طالبه أن يتكلف عنه أذى، وكف عنه إعظاماً لمن التجأ إليه، ولم يرض الملك أن يتكلف الطالب منه بعد ذلك مكروهاً، وإن خذله عد ذلك منقصة، فكيف ممن دخل في عياذ الله وجواره.

وقوله: « من سألكم بالله فاعطوه »، فالسؤال بالله أن يسأل ربه أن يسأل هذه الحاجة له. فكأنه صير الرب (عز وجل) سائلاً بينه وبين صاحبه، إذا سأل بحق والله تعالى لا يرد، وإذا سأل بباطل فإنه لن يسأل بالله تعالى، وإنما يسأل بالشيطان.

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الأدب باب في الرجل يستعيذ من الرجل ٥١٠٩ ــ عن الأعمش عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره. وفي الزكاة ٣٨ ورواه النسائي في الزكاة ٧٢ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٦٨، ٩٦، ٩٩ (حلبي).

سأل رجل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) شيئاً فلم يعطه، فقال: أسألك بوجه الله تعالى، فقال له: كذبت، ليس بوجه الله سألتني، إنما وجه الله الحق، ولكن سألت بوجهك الخلق.

وقال ﷺ: من سألكم بالله فأعطوه، وإن شئتم فدعوه[1].

قال معاذ (رضي الله عنه): فإن سأل وهو مستحق فإن لم تعطوه فأنتم ظلمة. وإن عرفتم أنه غير مستحق أو اشتبه عليكم فلم تعرفوا أنه سأل بحق فيجوز أن لا تعطوه. وأما المعروف فإنه يكافئ. فإن لم يجد المكافأة فالدعاء أكبر من المكافأة بالشيء، لأن الذي أعطاه عوضاً من الدنيا، وهذا قد كافأه بالمسألة من الله تعالى نوالاً. ونوال العبد يدق في جنب نوال الله تعالى. والعبد إذا صنع إليه معروف فلم يجد ما يكافئ، اشتد عليه لكرم طبعه وكونه عارفاً بالصنائع شاكراً له، فأثقله معروفه، فأعوزته الحاجة من الخلائق من أثقال معروفه ففزع إلى الله تعالى وسأله أن يكافئه عنه، وهو يحب هذا الخلق من المؤمن، فإنه محض الشكر، فقمن أن يستجيب له.

---

(١) الحديث رواه أبو داود باب في الرجل يستعيذ من الرجل ٥١٠٨ ــ حدثنا نصر بن علي وعبيدالله بن عمر الجشمي قالا: ثنا خالد بن الحرث، ثنا سعيد قال: نصر: ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي نهيك، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال : وذكره.

الأصل العشرون والمائتان

في أن القلب ملك والأركان عبيد

عن النعمان بن بشير (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب[1].

القلب ملك والأركان عبيد. وإنما يعمل كل ركن في معمله بمشيئة القلب وأمره، والقلب عن مشيئة الله تعالى. شاء لم يكله إلى أحد سواه، ولم يطلع عليه أحداً، يضع فيه ما يشاء ويرفع منه ما شاء. والنور والتوحيد فيه، والطاعات منه، وفكر ذلك كله في الصدر، وعنه تصدر الأمور، ولذلك سمي صدراً، والقلب لتقلبه. والقلب معدن النور ومستقر التوحيد ومنظر الرب (سبحانه وتعالى). والصدر موضع التدبير والفكر. والنفس معدن الشهوات. فإذا وجدت النفس طريقاً إلى القلب، مرت بشهواتها إليه فدنست الإيمان.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الفتن ١٤ باب الوقوف عند الشبهات ٣٩٨٤ ــ عن الشعبي قال: سمعت النعمان بن بشير يقول على المنبر وذكره. ورواه الإمام البخاري في إيمان ٣٩ ورواه الإمام مسلم في المساقاة ١٠٧ والدارمي في البيوع ١.

قال (عليه السلام): الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل[1].

وقال أيضاً (عليه السلام): الإيمان حلو نزه فنزهوه. ونزاهته أن تفطم نفسك عن الشهوات حتى لا يصل إلى قلبك منه بمنزله ماء صاف جرى إليه ماء كدر فذهب بصفائه أو عسل ماذي وصل إليه الصبر فغيره عن حالته، لأنه إذا استقر في قلب المؤمن توحيد رب كريم ودود، ظهر له وداده وكرمه وبره، فقد وجد حلاوة التوحيد ونزاهته، فإذا جاءت شهوات النفس فوجدت سبيلاً إلى القلب فخالطته وكدرته ومازجت حلاوته فدنست وكدرت. فأي خسران أعظم من هذا. ومن خلع عليه ملك خير خلعه في خزانته فدنسها بقلة التوقي لها عن مواضع الدنس، أو لم يكن محقوقاً أن يسلب فيهان أم ليس على حياء من فعله في اليوم الذي دخل على الملك بتلك الخلعة فما ظنك بمن خلع الله (تعالى) عليه التوحيد فدنسه! فانظر ماذا حل به إذا دخل عليه. والقلب مثله مثل ملك له عبيد لهم هيئة وشارة ومراكب وزي الأغنياء والملك فقير معدم ليس له مادة ولا كنز. فإذا نظر إليه العاقل يقول: ليس لهذا الأمر نظام، ولا له دوام. فإنه معدم.

فهذه الهيئآت التي أراها لا تدوم وسيحتاج إلى مثلها وليس له مدد. وان برز له مناوئ يكون زوال ملكه وضياع هؤلاء العبيد و ر أحوالهم. وإن كان الملك ذا كنوز ومادة والعبيد في هيئة بذة يقول في نفسه: له بيوت أموال من الكنوز ففي ساعة واحدة يصيرهم فرساناً بجميع آلتهم، ويكسوهم من الكسوة، ويعطيهم من العدة ما يعرفهم لغناه. فكذلك من كان قلبه بين يدي الله تعالى في غناه وسلطانه، وقد احتظى

---

(١) لعل هذا الأثر من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر ولم يشر صاحب مجمع الزوائد إليه وكذلك السيوطي في جامعه

منه الحظ الأوفي من جلاله وعظمته وكبريائه ومجده، فهو في تلك الأنوار مشرق صدره بها.

فإذا رأى أركانه معطلة من أعمال البر لم يحيره ذلك لأن الملك غني، فعري الأرقام لا يضره، إذ لا يترك فرضاً وإنما يترك فضلاً، ولا تستبين الفضائل في جنب ما تفضل الله تعالى به عليه من معرفته التي برز بها على الخلق، وقد عرف الله تعالى معرفة وثق به في جميع أحواله، وفوض أموره إليه.

فانظر إلى تدبيره مراقباً له، قابلاً لأحكامه، قنعاً بالذي يؤتي من دنياه مؤتمراً بأمره، مطمئناً به، ليست له همة ولا نهمة ولا قرار إلا الخلاص من هذا السجن الذي أخذ بنفسه، قد ضاقت عليه الدنيا وصارت سجناً لطول احتباسه؛ لأنه ظمآن إلى لقاء مولاه.

وأي شيء ألذ من لقاء العبد سيده الذي كان أمله من الدنيا والآخرة! فأما الإباق من العبيد الذين جهلوا سيدهم لا يحب لقاء سيده. وهل شيء أثقل عليه من لقائه؟ لأنهم استطابوا الحرية وتعجلوها بتقلبهم في دنياهم وشهواتهم، وهربوا من العبودة. فهم وإن كانوا قد عرفوه ولم يشكوا فيه بعد أن أيقنوا وعلموه علم اللسان إلا أنهم جهال به، لم ينكروه لأنه لم يتراءَ على قلوبهم نور جلاله، ولا حل بقلوبهم عظمته، ولا تجلل عليها كبرياؤه، ولا طالعت مجده وسلطانه، ولا عاينت منته وإحسانه، ولا فهمت تدبيره ولطفه في الأمور، ولا انتبهت لربوبيته، ولا شربت بالكأس الأوفى من محبته، ولا ظمئت من الشوق إليه، ولا ولهت وله العكف ببابه، ولا تفسحت في ساحات توحيده متأنساً بجماله، ولا انفردت لأحديته، ولا حييت بحياته، ولا خلصت لوحدانيته، ولا طابت بنسيم قربه، ولا انشرحت صدورهم بذلك من قلوبهم، بل علموا علماً مجملاً اقتضاهم الإيمان الإقرار بذلك قولاً

والإعتقاد له قلباً، وصدورهم غير منشرحة بباطن علمه. فمن جهل هذا اكتفي بهيئة العبيد والملك فقير معدوم.

والعاقل ينظر إلى صلاته وصيامه وحجه وجهاده وأعمال بره وكأنه نظر إلى أركان وجوارح كهيئة العبيد، عليهم هيئة مرتفعة ومراكب سرية وأسلحة وافرة. وإذا نظر إلى باطن أحدهم وجد خوف الرزق على قلبه كالجبال، كاد يموت من همه، وخوف الخلق وسقوط منزلته عن قلوبهم، ووجد فيهم الفرح بمدح الخلق لهم والثناء عليهم وحب الرياسة وطلب العلو والتبصبص للأغنياء والاستحقار للفقراء، والأنفة منهم والاستكبار في موضع الحق، والحقد على أخيه المسلم والعداوة والبغضة، وترك الحق لمخافة ذل ينزل به، والقول بالهوى، والرغبة في الدنيا والحرص عليها، والشح والبخل وطول الأمل، والاشر والبطر والغل والغش، والمباهاة والرياء والسمعة، والاشتغال بعيوب الخلق، والمداهنة والإعجاب بالنفس، والتزين للمخلوقين، والصلف والتجبر، وغرة النفس والقسوة، والفظاظة وغلظ القلب والغفلة، وسوء الخلق وضيق الصدر، والفرح بالدنيا والحزن على فوتها، وترك القناعة، والمراء في الكلام، والجفاء والطيش والعجلة، والحدة وقلة الرحمة، وقلة الحياء، والاتكال على الطاعات، وفضول الكلام، والشهوة الخفية، وطلب العز، واتخاذ الأخوان في العلانية على عداوة في السر، والتماس المغالبة، والانتصار للنفس، والتعظيم للأغنياء من أجل غناهم، والاستهانة بالفقراء من أجل فقرهم، والغيبة والحسد والنميمة، والجور والعدوان.

فهذه كلها مزابل قد انضمت عليها طويات صدره، وظاهره العبادة وأنواع أعمال البر. فإذا انكشف الغطاء عن هذه الأشياء بين يدي الله تعالى، كان كمزبلة فيها أنواع الأقذار، غشيت بالديباج، فلما رفع عنه الغطاء أخذت بالأنف من نتنها، وأعرض الناظرون عن قبحها. فهذا المتصنع المرائي، عبد شهواته، لم يقدر أن يخلص من عمله ونفسه

متقدة بنار الشهوة، وقلبه مشحون بهوى نفسه. ولو اجتهد في إخلاص الصلاة والصوم، فهو محتاج إلى أن يخلص في مشيته وركوبه ونزوله وأكله وشربه ومنطقه وصمته وأخذه وإعطائه وجميع معاملاته. ولو أخلص هذا كله أليس هذه المزابل معه؟ فهذه كلها عيوب. والعبد إذا كثرت عيوبه انحطت قيمته.

والعاقل لا يغره ما رأى من ظاهر أحواله إذا اطلع على باطنه فوجده كما وصفنا. كمن رأى ملكاً له عبيد في زي وهيئة ومراكب. والملك بنفسه ليست له مادة من الأموال. وإذا رأى عبداً أركانه معطلة من أعمال البر وقلبه ملك من الملوك مملوءة خزائنه أموالاً وبيوته جواهر والأموال غناه بالله تعالى، وأي غني أغنى ممن استغنى بالله تعالى؟ إذ الغنى بالأموال منقطع، والغنى بالله تعالى دائم إذ هو حي لا يزول، وأما الجواهر فحكمة صفاته، وقد عجز عن دركها العامة، وإنما خص بها الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) أهل خدمة الله تعالى. فإنه قد إنفرد بالفرد الواحد، واحتظي من جلاله وعظمته وكبريائه ومجده وجماله، فتواضع له وخشعت جوارحه لخشوع قلبه، وعظم أمر الله، وحفظ حدوده، وراقب تدبيره إعظاماً لجلاله وهيبته، وتذللاً لربوبيته. فعنده الرأفة بالخلق، والرحمة لهم، واللين والرأفة، والحلم وسعة الصدر. وتعظيم أمر الله تعالى، والإخلاص له، وحراسة القلب، ودوام الفكر، والقناعة، والرضى، والانابة، والشوق إليه، والتبرم بالحياة، واليقظة في الأمور والمعاينة لها، والرزانة، والصيانة، والشفقة، والعطف، والتأني، والوقار، والسكون، والذكر الدائم، والرهبة والرغبة، والخوف والرجاء، والأنس بالله تعالى، والسرور به، والسخاء، والجود، والبشاشة، والنصيحة، وسلامة الصدر صار كمن رأى عبداً في هيئة رثة، والملك صاحب كنوز وجواهر، فعلم هذا العاقل أن هذه الهيئة لا تضر عبيده لأنه متى عرض لهم أمر، فتح لهم باباً من خزائنه فعرفهم. فكذا هذا القلب قد امتلأ خيراً

وإمتلأ جوارحه من هذا الخير. فلساعة من عمره بهذه الصفة أفضل من أعمال الثقلين دهراً. وإذا تعطلت أركانه عن كثير من أعمال البر، فهو في الخير كله دائم عليه بدوام قلبه على ذلك. وقليل من عمله أزكي من عمل ذلك المخلط سنين كثيرة.

يروى أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ، فلما رأى ما به من الضر، قال: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: بأبي أنت وأمي السقم والحاجة. قال له: أفلا أعلمك كلمات إذا أنت قلتهن، أذهب الله (عز وجل) عنك ما بك؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحب ان لي مما ترى بي وقعة بدر وأحد. فقال (عليه السلام): يا أخا الأنصار وأين تقع وقعة بدر وأحد من موضع الفقير القانع؟ وشهد رسول الله ﷺ رجلاً بالجنة فلم ير له صوم ولا صلاة، فقيل له في ذلك، فقال: إني أبِيت وليس لأحد في قلبي غل، ولو أعطيت الدنيا ما فرحت بها، ولو أخذت مني لم أحزن عليها[1].

وعن أبي بكر بن عبدالله المزني (رضي الله عنه) قال: إن أبا بكر (رضي الله عنه) لم يفضل الناس بكثرة صلاة ولا صوم، وإنما فضلهم بشيء كان في قلبه.

وعن الحسن (رضي الله عنه) قال: إن عمر لم يغلب الناس بالأعمال، إنما غلبهم بالصبر واليقين والزهد.

وقال عبدالله (رضي الله عنه): أنتم اليوم أكثر صلاة وصوماً وجهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيراً منكم. قالوا: مم ذاك؟ قال: كانوا أزهد في الدنيا، وأرغب في الآخرة.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

فيما يحكي عن ربه (عز وجل) أنه قال: يا موسى إنه لن يتصنع المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا، ولن يتقرب المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم، ولم يعبدني العابدون بمثل البكاء من خشيتي. فأما الزاهدون فابيحهم الجنة حتى يتبوؤا منها حيث شاءوا. وأما الورعون عما حرمت عليهم فانه ليس من عبد يلقاني يوم القيامة إلا ناقشته الحساب، وفتشته عما في يديه إلا ما كان من الورعين، فاني أجلهم وأكرمهم، وأدخلهم الجنة بغير حساب. وأما البكاءون من خشيتي فلهم الرفيق الأعلى لا يشركون فيه.

وقال (عليه السلام): الورع سيد العمل[1].

ومن لم يكن له ورع يرده عن معصية الله تعالى إذا خلا بها، لم يعبأ الله بسائر عمله شيئاً، فذلك مخافة الله في السر والعلانية، والاقتصاد في الفقر والغنى، والصدق عند الرضى والسخط. ألا وإن المؤمن حاكم لنفسه، يرضى للناس ما يرضى لنفسه. وهذه الخصال لا تكون إلا لأهل القلوب.

وقال أنس (رضي الله عنه): ما أعرف اليوم فيكم شيئاً كنت عهدته على عهد رسول الله ﷺ لبس قولكم لا إله إلا الله.

فصلاح القلب صلاح الجسد، وعمارته عمارة دينه.

قال (عليه السلام): من كان له قلب صالح تحنن الله عليه[2].

وقال (عليه السلام): بالقلوب الصالحة يعمر الله الأرض وبها يخرب الأرض إذا كانت على غير ذلك[3].

---

(١) لعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر وجعلها في نوادره. والله أعلم.

(٢) قال السيوطي في الجامع الصغير رواه الحكيم عن يزيد وأشار على الحديث بالضعف

(٣) لعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر

الأصل الحادي والعشرون والمائتان

في أن الوسوسة من برازخ الايمان

عن أنس (رضي الله عنه) أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ شكا إلى رسول الله ﷺ ما يجدون في صدورهم من الوسوسة، فقال: كيف أنتم في ربكم؟ قالوا: لا نشك في ربنا، ولان يقع أحدنا من السماء فيتقطع أحب إليه من أن يتكلم بما يجد في صدره. فقال (عليه السلام): الله أكبر ذاك محض الإيمان[1].

وكان ثابت يقول: اللهم أكثر لنا منه.

قال أبو عبدالله: أحكم الله تعالى الإيمان في قلوب من اجتباهم وهداهم، وأبرز أسماءهم بالسعادة في اللوح المحفوظ، وأخرجهم يوم الميثاق في أصحاب اليمين، وفزع الشيطان من أن يوسوس إليهم في توحيدهم ما يبطله عنهم، وكيف يجوز ذلك وقد أخذ الله بقلبه وناصيته، وفي قلبه نوره، فكيف يقوم العدو لنوره حتى يطفئه، إذ ليس أحد ينشرح صدره بالله تعالى وبالنطق بلا إله إلا الله إلا بمنة الله عليه،

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم مختصراً ٢١١ (١٣٣) عن سعير بن الخميس عن مغيرة عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال: وذكره. ورواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٢ :٤٥٦ ثنا شعبة عن عاصم بن بهدلة عن ذكوان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وذكره.

فلن يسلط عليه العدو حتى يبطله، والله (عز وجل) أكرم من أن يرتجع في منته ويسلط عليه العدو. ألا ترى إلى قوله للعدو: ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً** ﴾[1] أي مانعاً شيطانه من أن يدخل عليه في قلبه فيفسد توحيده؛ لأن التوحيد هو الإيمان، وذلك نور الله تعالى في قلبه. قال تعالى: ﴿ **حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم...** ﴾[2].

والقلب هو البضعة الباطنة. والبضعة الظاهرة يُقال لها : فؤاد. وفيها العينان والأذنان. والقلب يقلبه الله تعالى، ولم يكله إلى أحد، ولم يطلع عليها أحداً من خلقه، وإنما سلطان الشيطان في الصدر؛ لأنه بيت القلب، والنفس معدن الشهوات. قال تعالى: ﴿ **يوسوس في صدور الناس** ﴾[3]

فالشيطان يزين ويشير ويمني ويحدث في صدور الناس الشهوة التي في النفس حتى يضله ويفتنه. وليس يجد المؤمن في نفسه شهوة الكفر؛ لأن الله تعالى نزعها بايصال الإيمان إلى حبة قلبه، ثم بقي شهوة الأشياء في قلبه، ثم حرم وأحل ليبلغة بالمجاهدة في هذه الشهوات. فاذن المؤمن قد حلاه الله تعالى بالإيمان وطهره وطيبه وزين قلبه، وليس للكفر شهوة في النفس حتى يدخل الشيطان فيه بظلمته فيزين له الشرك حتى يفسد توحيده ولا له إليه سبيل. فإذا وسوس في صدره أنكر القلب بما فيه من النور، وإنكاره محض الإيمان، لأنه اهتاج فاستنار، وصار كجمرة قد علاها الرماد لخمودها، فلا تكاد تضيء مما علاها، فوصلت إليه نفخة فطار عنها رمادها فتوقدت وتلظت واستضاء البيت بتوقده، فازدادت تلك الجمرة فصارت محضة لما طار عنها الرماد.

---

(١) سورة الحجر آية رقم ٤٢.

(٢) سورة الحجرات آية رقم ٧.

(٣) سورة الناس آية رقم ٥.

فكذلك القلب فيه الإيمان، وقد سقم وعلاه رماد حريق الشهوات، فإذا جاءه الوسواس بكيده وحديثه يريد به نقض توحيده، كان ذلك كمن ينفخ في تلك الجمرة لتتقد ويطير عنه الغبار. وتلك النفخة هي أمر من الله تعالى خفي يلطف له من لطفه ليفي له بما توكل له من قوله: ﴿ **وكفى بربك وكيلاً** ﴾[1].

فلما صار إيمانه ذا غبار رحمه ولطف له من حيث خفي على العباد بالعصمة، فمنع كيده من أن يفسد عليه توحيده، واهتاج الإيمان منكراً لما جاء به، ونافراً عنه، فطار عنه رماد الشهوات ودخانه، واستوقدت جمرة الإيمان فأضاءت الصدر، فلذلك صار محض الإيمان؛ لأنه في ذلك بلا رماد ولا دخان.

ولهذا قال ثابت (رضي الله عنه): « اللهم زدنا منه ». سأل الزيادة من لطف الله تعالى لعبده.

وقال عبدالله (رضي الله عنه) ــ حيث سئل عن الوسوسة ــ فقال: « ذاك برازخ الإيمان ». والبرزخ الحاجز بين الشيئين.

ولهذا قال عليه السلام: مثل المؤمن مثل الفرس في آخيته يحول ويجول ثم يرجع إلى آخيته[2].

فيحق على المؤمن أن يقل عبؤه بوسوسته، فأخسأ ما يكون إذا استحقر له ولم يعبأ به. فمن اعتراه ضعف في قلبه حتى يخاف على نفسه، فذاك لضيق صدره وقلة انشراحه، وظلمة الشهوات والذنوب. فإن وسوس إليه في التشبيه، فالرد عليه أن يقول في نفسه: كل ما

---

(١) سورة الإسراء آية رقم ٦٥.

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٥٥ ثنا عبدالله بن الوليد عن أبي سليمان الليثي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: وذكره وفيه زيادة [وأن المؤمن يسهو ثم يرجع الى الإيمان، فأطعموا طعامكم الأتقياء وولوا معروفكم المؤمنين].

تصور في صدري فالرب سبحانه وتعالى بخلافه، فإنه لا يتصور في صدري إلا مخلوق له كيفيه ومثل، وربي لا يدري كيف هو، ولا مثل له، ولا كيفية، فما تمثل في صدري فهو غير ربي. ثم جاء عن رسول الله ﷺ: « الله الله ربي، لا أشرك به شيئاً »[1]. لتطيب بها نفسه بما ضاق منه صدره ليخرج من ضيقه بها إلى السعة.

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الدعاء ١٧ باب الدعاء عند الكرب ٣٨٨٢ ــ عن عمر ابن عبد العزيز عن عبدالله بن جعفر عن أمه أسماء ابنة عميس قالت علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن عند الكرب وذكره.

الأصل الثاني والعشرون والمائتان

في أن النجوم أمان لأهل السماء والعلماء الصدِّيقين أهل بيت النبوة أمان للأمة

عن سلمة بن الأكوع (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي[1].

فالنجوم هن الطوالع السوائر الغوارب عطارد، والمريخ، وزحل، والمشتري، والزهرة. وسميت نجوماً لأنها تنجم أي تطلع من مطالعها في أفلاكها.

قال تعالى: ﴿ **وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها...** ﴾[2] وما عدا ذلك كواكب.

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة ٢٠٧ (٢٥٣١) عن مجمع بن يحيى، عن سعيد بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبيه قال صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: ما زلتم ههنا، قلنا يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء: قال أحسنتم أو أصبتم قال : فرفع رأسه الى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه الى السماء فقال : وذكره. مع تغاير في الألفاظ وفي آخره [فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون].

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٩٧.

قال تعالى: ﴿ **إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب...** ﴾[1] فالكواكب معلقات من السماء كالقناديل. والنجوم لها مطالع ومغارب. فهن أمان لأهل السماء. فإذا ذهبت أتي أهل السماء ما يوعدون. وعلى هذا يأول قوله (عليه السلام): « مثل أصحابي مثل النجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »[2].

وليس المراد به من لقي رسول الله ﷺ أو بايعه أو رآه رؤية واحدة. وإنما أراد من لازمه غدوة وعشية. وكان يتلقى الوحي منه طرياً، ويأخذ عنه الشريعة التي جعلت منهجاً للأمة، وينظر منه إلى آداب الإسلام وشمائله، فصاروا من بعده أئمة أدلة، فبهم الاقتداء، وعلى سيرتهم الاحتذاء، فكانوا يمسون عنده، ويصبحون عنده، ولازموه في السفر والحضر، وتفقهوا في دين الله، وعرفوا الناسخ والمنسوخ والسنن، وهم الذين أثنى الله عليهم، وأمر نبيه (عليه السلام) بالصبر معهم فقال: ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي...** ﴾[3]

فهؤلاء هم النجوم الأدلة. وشبههم (عليه السلام) بالنجوم لأن بهم الاقتداء. وهم من الأصحاب قليل. عددهم كالنجوم؛ لأنهم أهل بصائر ويقين، وجاز لهم اجتهاد الرأي بفضل اليقين والبصائر. فلما اختلفوا في اجتهادهم جاز لكل أحد لم يكن من أهل النظر والتمييز أن يأخذ بقول من أقوالهم تقليداً له. ومن كان من أهل النظر فاختار قولاً من أقوالهم مجتهداً مستنبطاً كان له ذلك. وأما غير هؤلاء فهم مثال الكواكب يضئن لأنفسهم وليسوا بأدلة ولا أئمة.

---

(١) سورة الصافات آية رقم ٦ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال: وزيناها.

(٢) الحديث رواه البيهقي، وأسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ [أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم].

(٣) سورة الكهف آية رقم ٢٨.

وقوله: « أهل بيتي أمان لأمتي » فأهل بيته من خلفه من بعده على منهاجه وهم الصديقون. والأبدال الذين روى علي (كرم الله وجهه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« إن الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً، كلما مات منهم رجل، أبدل الله مكانه رجلاً، بهم يسقي الغيث، وينصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الأرض بهم البلاء »[1].

فهؤلاء أهل بيت رسول الله ﷺ، وأمان هذه الأمة. فإذا ماتوا، فسدت الأرض، وخربت الدنيا. قال الله تعالى: ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** ﴾[2]

وهذا لأن البيت من تبوئة الذكر. وكان رسول الله ﷺ بعث ليبوِّئ لذكره في الأرض فبدأ بمكة فطرد ونفى الذكر، ثم جعل الله تعالى له مهاجراً ومستقراً. فمن هاجروا إليه ولزموه فصاروا أهل الذكر فهم أهل بيته. ومن آووا إليه ولم يصيروا من أهل الذكر، فليسوا من أهل بيته، بل هم من أصحابه وأتباعه. قال تعالى: ﴿ **فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين** ﴾[3] وهم المهاجرون والأنصار، فتبوؤا الدار والإيمان، فصاروا أهل بيت رسول الله ﷺ لتبوئه الذكر.

---

(١) الحديث رواه الامام: أحمد في المسند ١: ١١٢ حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو المغيرة ثنا صفوان، حدثني شريح معين بن عبيد قال: ذكر أهل الشام عند علي بن ابي طالب رضي الله عنه ــ وهو بالعراق فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين قال: لا. لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥١.

(٣) سورة الأنعام آية رقم ٨٩.

وإنما يكون من أهل التبوئة من بوأ لذكره على طريقه صافياً غير مغشوش، صادر من إيمان غير مغشوش ولا سقيم. وسقمه أن يمازجه شهوة النفس حتى تميل به عن الله تعالى، وتثقله عن أمره، وتلهيه عن ذكره. قال تعالى: ﴿ **لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله** ﴾[1].

إذ الإيمان هو طمأنينة القلب إلى الله تعالى في كل أمر. فإذا آمن به على الجملة ثم مال يميناً وشمالاً ليطمئن إلى الخلق والأسباب فذلك غش الإيمان، إذ خلط به ما ليس منه. فأما الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) قد اطمأنوا إليه يراقبون ما يخرج من حجب الغيب من مشيئته وتدبيره فيقبلون منه اهتشاشاً وتسارعاً لمشيئآته وأحكامه، قد أخبتوا له، وانخشعت نفوسهم لأن شهواتهم قد ماتت من هيبة جلاله تعالى وتقدس. فالمستحقون للذكر هم أهل الذكر وهم الذي ذكرهم الله تعالى بحقيقة الذكر. وهو أن لا يبقى على قلبه مع ذكره في ذلك الوقت ذكر نفسه ولا ذكر مخلوق فذاك الذكر الصافي الذي لا غش فيه.

قال (عليه السلام): « يقول الله (عز وجل): من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين »[2]. هذا فيمن شغله ذكر الخالق، فكيف بمن شغله الخالق بأنسه؟ هذا فيمن شغله الخالق بأنسه، فكيف بمن شغله الخالق بجلاله وجماله؟ وكيف بمن شغله الخالق في فردانيته بنفسه في وحدانيته. وهم الذين أشار إليهم (عليه السلام) فقال: « سيروا فقد سبق المفردون ». قيل: يا رسول الله من المفردون؟

---

(١) سورة المنافقون آية رقم ٩.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب ٢٥، ٢٩٢٦ عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ وذكره بزيادة لفظ (القرآن) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب ورواه الدارمي في فضائل القرآن ٦.

قال: « الذين اهتروا في ذكر الله، يأتون يوم القيامة خفافاً يضع الذكر عنهم أثقالهم »[1].

فالمهتر إذا نطق يشبه كلامه كلام من لم يستعمله عقله. لأن العقل يخرج الكلام على اللسان بتدبير وتؤدة وتأني. وهذا المهتر إنما ينطق به. فكأنه الماء على لسانه يجري حتى يشبه الهذيان في بعض أحواله عند العامة، وهو في الباطن مع الله تعالى من أصفي الناطقين وأصدقهم. والمهتر في اللغة الشيخ الكبير الذي قد أفند عقله وهو يهتر في الكلام كالخرف. فهذا قد خمد نور عقله لنور وجهه الكريم، بمنزلة قمر طلع عليه شمس فخمد نور القمر بضوء الشمس. فلم يعمل عقله ذلك العمل. ومن خمد عقله للقرب والدنو فقد استوجب من الله تعالى كرامة أنطق لسانه وحفظ عليه شأنه وأيده وعصمه. فصار بيت رسول الله ﷺ لتبوئة الذكر على الوجه الذي بينا.

والأهل والآل بمنزلة واحدة. إذ الهاء والهمزة أختان تجزي أحديهما عن الآخرى. وإنما قيل أهل لأنه حيث ما ذهب به فهو راجع إلى ذلك المستقر. فكذا الآل حيث ما تفرق. والنسب يؤول إلى الأصل. فأهل البيت كل من رجع نسبه إلى ذلك الأصل. فكذا أهل بيت الرسول ﷺ فإن الله تعالى قد أخذ الرسول (عليه السلام) من خلقه، فاختصه لنفسه، واصطفاه لذكره، فكان في كل أمر قلبه راجعاً إلى الله تعالى، من عنده يصدر، ومعه يدور، وإليه يرجع. فكان هذا بيتاً أشرف وأعلى من البيت الذي هيأ له في أرضه، وهو النسب. فكان هذا البيت عالياً على ذلك البيت. ألا ترى أنه غلب على النسب نسبة ما أكرمه الله تعالى به من الأمانة. فكان يقال: محمد بن عبدالله. ثم يقال: محمد

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٣٢٣ ــ ثنا أبو عامر ثنا علي ــ يعني ابن المبارك عن يحيى يعني ابن أبي كثير عن ابن يعقوب قال سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ. القيامة. وذكره.

الأمين. لأنه أعلى منه. فلما جاءت الكرامة غلب على هذا الاسم، فقيل: نبي الله ورسوله.

فكذا كان له بيت النسبة وأهل بيت النسبة. فلما جاءه بيت الكرامة والنبوة فغلب على ذلك البيت كان كل من رجع قلبه إلى الله تعالى على طريقه من أهل ذلك البيت، وهم الأربعون الذي خلفوه من بعده حتى تقوم بهم الأرض، وبهم يمطرون ويرزقون. ولا يجوز أن يحمل على أهل بيت النسب لمعان: أحدها: أنه روي في الحديث « فإذا ذهب أهل بيتي أتى أمتي ما يوعدون »[1].

فكيف يتصور أن يذهب أهل بيته حتى لا يبقى منهم أحد وهم أكثر من أن يحصى، وبركة الله تعالى عليهم دائمة، ورحمته مظلة من فوقهم. وقد قال (عليه السلام): « كل سبب ينقطع إلا سببي ونسبي »[2].

والثاني: أن أهل بيته نسبة بنو هاشم وبنو عبد المطلب، ولم يكونوا أماناً لهذه الأمة حتى إذا ذهبوا ذهبت الدنيا.

والثالث: أنه قد يوجد منهم الفساد كما يوجد في غيرهم، ومنهم المحسن ومنهم المسيء.

فبأي شيء صاروا أماناً لأهل الأرض؟ فعلم أن المراد به من به

---

(١) سبق الحديث عن هذا الخبر.

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٤ : ٣٢٣ ــ ثنا عبدالله بن جعفر حدثتنا أم بكر بنت المسور بن مخرمة عن عبيدالله بن أبي رافع عن المسور أنه بعث إليه حسن بن حسن يخطب ابنته فقال له قل له فليأتني في العتمة قال: فلقيه فحمد المسور الله وأثنى عليه وقال: أما بعد، والله ما من نسب ولا سبب ولا صهر أحب إليَّ من سببكم وصهركم ولكن رسول الله ﷺ قال: فاطمة مضغة منى يقبضني ما قبضها ويبسطني ما بسطها وأن الانساب يوم القيامة: ذكره.

تقوم الدنيا، وهم أعلامه وأدلة الهدى في كل وقت. فإذا تفانوا لم يبق للأرض حرمة. فعمهم بالبلاء.

فإن قال قائل: بحرمة رسول الله ﷺ وقربهم منه صاروا أماناً لأهل الأرض. قيل: حرمة رسول الله ﷺ عظيمة جليلة، وفي الأرض ما هو أعظم من حرمة ذريته وهو كتاب الله. فلا نجد ذكره في الحديث. ثم الحرمة لأهل التقوى. لأنه إنما عظمت حرمة رسول الله ﷺ لفضل النبوة ما أكرمه الله تعالى به.

والدليل على ذلك ما روى أبو هريرة (رضي الله عنه) قال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة، وعندها صفية (عمة رسول الله ﷺ) فقال:

« يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد، يا صفية عمة رسول الله: اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم، واعلموا أن أولى الناس بي يوم القيامة المتقون. وان تكونوا أنتم مع قرابتكم فذلك لا يأتيني الناس بالأعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على أعناقكم، فتقولون: يا محمد! فأقول هكذا. ثم تقولون: يا محمد! فأقول هكذا. أعرض بوجهي عنكم. فتقولون: يا محمد، أنا فلان ابن فلان. فأقول: أما النسب فأعرف، وأما العمل فلا أعرف، نبذتم الكتاب فارجعوا إلى قرابة بيني وبينكم[1].

وروي أنه قال جهاراً غير سراً: ألا إن أوليائي منكم ليسوا بأبي فلان، لكن أوليائي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا.

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم مختصراً في كتاب الإيمان ٣٥١ (٢٠٦) عن ابن شهاب قال أخبرني ابن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ وذكره، ورواه الإمام البخاري في كتاب التفسير ٢٦ والمناقب ١٣ والنسائي في الوصايا ٦ والدارمي في الرقاق ٢٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣٥٠، ٣٩٩، ٤٤٩ (حلبي).

وما زالت الطبقة الزائفة المفتونة بحب أهل بيت رسول الله ﷺ نسباً ما زالت بهم فتنتهم حتى عمدوا إلى كل شيء من هذه الأشياء فنسبوه إليهم؛ وحرموا غيرهم ذلك إعجاباً بهم وفتنة، وان الله فضلهم بأن طيب عنصرهم، وطهر أخلاقهم، واختار قبيلتهم على القبائل، فلهم حرمة التفضيل والاثرة، وحرمة الاتصال برسول الله ﷺ، فيحق علينا أن نحبهم حباً لا يرجع علينا بوبال وظلمة. وهؤلاء الغلاة جاءوا بأحاديث مختلفة، وأكاذيب منكرة، حتى أداهم ذلك إلى أن طعنوا في الشيخين المهديين المرضيين الذين كان علي (كرم الله وجهه) ينكل من فضله عليهما فقال: لا أجد أحداً يفضلني عليهما الا جلدته حد المفترين.

وبلغ من إفراط هؤلاء أن رووا أحاديث مختلقة يريدون أن يقيموا لعلي (رضي الله عنه) فضلاً. وقد فضل الله علياً (رضي الله عنه) بأشياء كثيرة وفضائل جمة قد أغناه عن مثل ذلك، لكنهم تركوا لظلمة قلوبهم وشقاء جدهم تلك الأشياء، وأقبلوا على الكذب، وتأولوا قوله تعالى: ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...** ﴾[1] انما هم علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، (رضوان الله عليهم) وهي لهم خاصة. وكيف يجوز هذا ومبتدأ هذا الخطاب قوله (عز وجل): ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك...** ﴾ إلى قوله: ﴿ **... أجراً عظيماً** ﴾[2].

ثم قال: ﴿ **يا نساء النبي...** ﴾ إلى قوله: ﴿ **... إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...** ﴾[3].

ثم قال: ﴿ **واذكرن ما يتلى في بيوتكن...** ﴾[4].

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٢٣.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٢٨ ــ ٢٩.

(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٣٢ ــ ٣٣.

(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٣٤.

وهذا كلام منسوق بعضه على أثر بعض. فكيف صارت هذه المخاطبات كلها لنساء النبي (عليه السلام) قبلاً وبعداً، وينصرف ما في الوسط إلى غيرهن، وهو على نسق ونظام واحد، لأنه قال: ﴿ **ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...** ﴾ ثم قال على أثره: ﴿ ... **في بيوتكن...** ﴾[1].

فكيف صار الكاف الثاني خطاباً للنساء، والأول لعلي وفاطمة (رضي الله عنهما)؟ وأين ذكرهما في هذه الآيات؟ فإن قال: إن كان الخطاب لنسائه. فكيف قال: ﴿ **ليذهب عنكم** ﴾ ولم يقل: ﴿ **عنكن** ﴾؟

قلنا: إنما ذكره لينصرف إلى الأهل، والأهل مذكر، فسماهن باسم التذكير، وإن كن إناثاً.

وقد يروى عن رسول الله ﷺ أنه لما نزلت هذه الآية دخل عليه علي، وفاطمة، والحسن، والحسين (رضوان الله عليهم) فعمد النبي (عليه السلام) إلى كساء فلفها عليهم، ثم ألوى بيده إلى السماء فقال: « هؤلاء أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً »[2].

فهذه دعوة منه لهم بعد نزول الآية، أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج (رضوان الله عليهم أجمعين).

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٣٣ ــ ٣٤.

(٢) هذا جزء من حديث طويل رواه الترمذي في كتاب المناقب ٣٧٢٤ عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما يمنعك أن تسب أبا تراب.. ؟ قال: أما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليَّ من حمر النعم: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي وذكره، وعندما نزلت هذه الآية ﴿ **قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم** ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

الأصل الثالث والعشرون والمائتان

في أخلاق المسافرين

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا اجتمع القوم في سفر فليجمعوا نفقاتهم عند أحدهم فإنه أطيب لنفوسهم وأحسن لأخلاقهم »[1].

في النفوس ضيق وشح وللشيء عندهم قدر. وما أتى الشح والبخل وتعظيم الشيء إلا لضعف يقينهم وظلمة صدورهم. لأن اليقين نور في قلبك. فإذا تمكن صارت عين قلبك ذا بصيرة أبصر الغيب بذلك النور، فتريك ما في الملكوت فتصغر عندك الدنيا بما فيها، كما أن بصر عين الرأس يريك الأشياء في الدنيا. فإذا ضعف اليقين، يعجزك عن رؤية الآخرة، وعظيم ما في الملكوت، فتصغر عندك بما فيها، كما أن بصر عين الرأس يريك الأشياء في الدنيا. فإذا ضعف اليقين يعجزك عن رؤية الآخرة وعظيم ما في الملكوت. وبين اليقين تفاوت. فأوفرهم حظاً من اليقين أكثرهم معرفة، وأغزرهم علماً بما في الملكوت، وأخشاهم لله تعالى، وأعلمهم بتدبيره، وأغناهم بغناه. وهذا قليل في الناس.

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير والديلمي في مسند الفردوس

وقد عجزت العامة من هذا لما يرون الأشياء بالأسباب، وتعلقت بذلك قلوبهم، ومنها افتتنوا حتى عصوا الله في جنبه. فمحال أن لا يكون للشيء قدر عندهم، إلا أن الله تعالى عصم طائفة منهم لخوف العقاب عن تناول حرامها وأوساخها.

ثم هم مع ذلك لها يغضبون، ولها يرضون، وبها يفرحون، ومن أجلها يحزنون. وعظم قدر ما في أيديهم من الحطام حتى لا تسخوا نفس أحدهم أن يخرج من يده فلساً إلا على ذكر الخلف من الله تعالى في دنياه كما قال تعالى: ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه** ﴾[1]. أو على ذكر الثواب في الآخرة أن يعطيه قصوراً، وحوراً، وحبوراً، وسروراً. ولا تسخو نفوسهم على اتعاب جوارحهم وأعمالهم لله تعالى في شيء من أعمال البر إلا على نوال الثواب غداً، ولم ينتهوا عن محارم الله تعالى إلا على خوف العقاب ركضاً.

فهؤلاء عبيد عبدوا الله من أجل نفوسهم، لم تأخذهم هيبة عظمته وسلطان كبريائه، فيركض بهم في ميدان الطاعة ركضاً، وميدان الهرب عن مساخطه ركضاً إجلالاً لرؤية الله تعالى إياهم على الأحوال وتوخياً لمحابه، وتلذذاً لعبودته. فإذا اجتمعت هذه الطائفة التي للشيء عندهم قدر في السفر، وانفرد كل واحد منهم لطعامه كانت في ذلك وحشة، ونزعت البركة، وفيه ذهاب الألفة، وظهور الفرقة، والتصور بصورة أهل البخل والدناءة. وإذا أنفق أحدهم على الجماعة لم يقم بذلك وعجز عنه. فالسبيل في ذلك ما ندبهم (عليه السلام) إليه أن يجمعوا نفقاتهم إلى أحدهم حتى ينفقها عليهم، فيكون أطيب لنفوسهم، وأحسن لأخلاقهم. فكل واحد إنما خرج من يده مقدار كفايته، وهو طيب النفس بذلك، ولا يحتشم من الأكل. ولو أنفق واحد واحد يحتشم أحدهم من صاحبه ويستحيي ويثقل عليه حتى تجيء نوبته.

---

(١) سورة سبأ آية رقم ٣٩

وربما انقطع السفر وذهبت النوبة، ففيما دل (عليه السلام) تسكين النفوس من وجهي الحشمة والتثاقل. والنفوس ساكنة، والأيدي مجتمعة، والألفة باقية، والبركة نازلة، والبخل والشح زائل، وخلق الإسلام قائم. وسمي التناهد؛ لأن النفس تنهد، أي تسارع إليها.

وقد سبق ذكر النهد في التنزيل مما قص الله تعالى في شأن أهل الكهف من قوله: ﴿ **فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه...** ﴾[1].

وقد قال (عليه السلام): « إن أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي »[2].

وقال (عليه السلام): « ألا أنبئكم بشراركم؟ » قالوا: بلى يا رسول الله. قال: « من أكل وحده، ومنع رفده، وجلد عبده »[3]. وقال أبو أمامة (رضي الله عنه) في قوله (عز وجل): ﴿ **إن الإنسان لربه لكنود** ﴾[4]: وهو الذي يأكل وحده.

فأرشد (عليه السلام) العامة إلى النهد. فأما الكرام ملوك الدين فهم أرفع شأناً من أن يتناهدوا لأن قدر الشيء عن قلبهم ساقط، ومن طبيعتهم السخاء والجود، وقل ما يجري فيما بينهم إذا انفردوا عن العامة وزن أو عدد. ومجرى أمورهم على صدق الأخوة، يأخذ أحدهم من مال أخيه عند الحاجة، فطابت بذلك نفوسهم لأنه لا يأخذ لرغبة فيه أو شهوة أو قضاء نهمة، بل يتناوله لله تعالى، وعرف أخوه ذلك

---

(١) سورة الكهف آية رقم ١٩

(٢) هذا جزء من حديث طويل رواه ابن عساكر عن معاذ وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وأشار عليه بالضعف

(٣) سورة العاديات آية رقم ٦

(٤) سورة العاديات آية رقم ٦

منه، وأمنه على نفسه وماله، وشهد له قلبه بالشفقة والعطف والرحمة، فلا يتهمه على نفقه ولا على إمساك.

قال الحسن (رضي الله عنه): ان كان الرجل ليدخل يده في كيس أخيه فما يسأله: كم أخذت؟.

وقال أبو جعفر (رضي الله عنه): يدخل أحدكم يده في كيس أخيه؟ قلنا: لا. قال: لستم باخوة.

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: ليس لي ثوب أتوارى به. قال: فما لك جيران. قال: بلى. قال: فهل منكم أحد له ثوبان؟ قال: نعم. قال: فيعلم أن لا ثوب لك؟ قال: نعم. قال: فيعود عليك بأحد ثوبيه؟ قال: لا. قال: ما ذاك بأخ[1].

ودخل عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) على عمر (رضي الله عنه) وهو يصلي فعمد إلى مزوده، فأخذ منه سويقاً وتمراً فأكله. وفعل الحسن (رضي الله عنه) مثل ذلك.

ودخل أبو أيوب السختياني (رحمه الله) كرم صديق له، فأكل منه بغير إذن.

وإنما كف الناس عن ذلك بعد مضي السلف (رحمهم الله) لتغير القلوب. فلا يأمن بعضهم بعضاً، لفقد الرحمة والعطف، وذهاب الألفة، وظهور الحسد. فامتنعوا من أن يتناول أحدهم شيء صاحبه إلا بإذنه، ومن بعد الإذن تأنٍّ ونظر واحتياط وحذر، ولم يبق لأحد على غيره أمن وثقة، إلا أولئك الأربعون البدلاء، العارفون، الذين دقت الدنيا في أعينهم في جنب الآخرة، ودقت الآخرة في جنب ملك الله تعالى، وعظيم ما أبرز من غيبه. ودق ما أبرز من ملكه في جنب عظمته

---

(١) هذا الأثر من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر

وجلاله. فهم الذين لا قسمة بينهم ولا وزن ولا عدد. يتناول أحدهم ما شاء من مال أخيه من غير إذن. وكان (عليه السلام) يعمل في مال أبي بكر (رضي الله عنه) كما يعمل في مال نفسه، كما قد عرف منه. وهل كان يفعل في مال غيره مثل ذلك؟ فإن مخالطة المطبوع على السخاء أطيب، والتناول من ماله أشهى، والأكل من طعامه أطيب وأحلى؛ لأجل سقوط قدر ذلك عن قلبه.

ولهذا كان أبو بكر (رضي الله عنه) تصدق بماله كله. ولا يكاد أهل الانتباه واليقظة يدخلون بيوت البخلاء، ويتناولون من أطعمتهم إلا ويجدون ثقل ذلك على قلوبهم، ويفتقدون ذلك الطيب وتلك الحلاوة واللذة من طعامهم؛ لأنهم قد أحسوا بما في نفوسهم من قدر ذلك الشيء عندهم فيذهب طعمه وطيبه.

وروي أن رسول الله ﷺ لما أسري به نزل على القوم الذين ذكرهم الله تعالى في تنزيله: ﴿ **ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾[1]. وعلمهم الشريعة، ومستقرهم بأرض الصين من وراء نهر الرمل. فسألهم عن معاشهم فقالوا: نزرع ونحصد ونجمعه في برية من الأرض، فيخرج كل من احتاج إلى شيء فيأخذ منه، وسائره متروك هناك.

فهذا صدق الأخوة في أهل الهداية بالحق والعدالة. فصار العدل مقومهم، والحق (عز وجل) هاديهم. وقد كانت أوائل هذه الأمة على هذا السبيل. وقد أثنى الله تعالى في تنزيله الكريم عليهم فقال (عز من قائل): ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾[2]. ﴿ **ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا...** ﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٥٩

(٢)و (٣)سورة الحشر آية رقم ٩

وذلك لأن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر قسم الغنائم بين المهاجرين دون الأنصار، فلم يجدوا في صدورهم ضيقاً ولا حسداً ولا شكاً ولا وجداً على رسول الله ﷺ في فعله حين ضربوا بالسيوف حتى غنموا. ثم أعطى الغنيمة للمهاجرين دونهم، فأثنى الله تعالى عليهم، وشهد لهم بالصدق وسقوط قدر الشيء عن قلوبهم. وقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ **ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم...** ﴾ إلى قوله: ﴿ ... **أو صديقكم...** ﴾[1] إذن بالغ.

لكن الصديق له حقيقة. فما لم يعرف حقيقة صداقته لم يغرر المتقي المتورع بنفسه في ذلك. وأول حقيقة الصداقة في سقوط قدر الشيء من قلبه. فإذا لم يُعرف بهذا، وإن صادقه بكل قلبه، فهو مجتهد في صداقته، ولا يخلو من كراهية وثقل أن تناولت من ملكه شيئاً. وقد أذن الله تعالى في الأموال عن طيب النفس. قال (عز من قائل): ﴿ **فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً** ﴾[2]. ولم يقل: « قلباً » لأن القلب ربما طاب ورضي بما فيه من الإيمان، والنفس تكره بما فيها من الشهوة.

وقال (عليه السلام): « لا يحل لامرئ من عطاء أخيه إلا بطيب نفسه »[3]. فالإقدام في هذا اليوم على مثل هذا جرأة عظيمة. إذ لا تعلم هذه الخصلة إلا لأولئك الذين خلت قلوبهم من نفوسهم وتعلقت بالخالق الكريم، فلا يبالون ما أقبل وما أدبر، ومن أخذ ومن أعطى، يتناولون من الدنيا لله تعالى، ويمسكونها لله على نوائب الحق، ويعطونها لله تعالى. فإن تناولت من أموالهم، لم يرجع عليك وبال منهم، إذ أخذتها لله تعالى. فإن تناولته بغير حق، يثقل فعله عليهم.

---

(١) سورة النور آية رقم ٦١

(٢) سورة النساء آية رقم ٤

(٣) لم نعثر على هذا الحديث على كثرة البحث والتقصي

ألا ترى أن رسول الله ﷺ كان أسخى البشر، والدنيا ساقطة عن قلبه، فقال: « إنما أنا خازن الله تعالى، يعطي وأنا أقسم. فمن أخذ مني شيئاً بطيب النفس، بورك له فيه. ومن أخذ مني شيئاً وأنا له كاره، فإنما يتأبطها ناراً »[1].

وحاشا أن يظن برسول الله ﷺ أنه كره من أجل قدر ذلك الشيء. فإن ذلك بخل. ولكن إنما كان تطيب نفسه بالإعطاء لمن سأل بحق، وأخذ بحق. فأما من أحس به أنه يأخذه اشراً وبطراً وحرصاً وجمعاً، فكان يعطيه على كراهة نفس، ويخبرهم أنه لا يبارك لهم فيه.

وروي في الحديث أنه قيل: يا رسول الله، فلم تعطيه؟ قال: يأبى الله لي البخل.

وكان (عليه السلام) لا يزن ولا يحصي. وقال لعائشة (رضي الله عنها): « لا توكي فيوكى عليك، ولا تحصي فيحصى عليك »[2].

وكان لا يدخر شيئاً لغد ليرى الخلق عنده قلة قدره. وقال جابر (رضي الله عنه): ما سئل شيئاً قط فقال: لا.

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير عن معاوية ــ رضي الله عنه ــ وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وأشار اليه بالصحة

(٢) الحديث رواه أبو داود في سننه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بلفظ (أعطي ولا توكي فيوكا عليك) ورواه السيوطي في الجامع الصغير وأشار عليه بالصحة

الأصل الرابع والعشرون والمائتان

في قوة الإيمان ويسر العمل وهو التأييد والصبر والاستعفاف والاستغناء

عن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « من تصبر يصبره الله، ومن يستعف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، وما أعطي عبد عطاء هو خير وأوسع من الصبر »[1].

قال أبو عبدالله: أعطاهم الله تعالى العقول، ومَنَّ عليهم بالإيمان، والصبر، والعفة، والغنى إنما يخرج كله من الإيمان. فإذا أعطي الإيمان، فقد أعطي هذا كله. فبقوة الإيمان يصبر على طاعة الله، ويستعف عن محارمه، وتناول شبهات الدنيا، ويقوم في العبودة على سبيل الاستقامة، ثم لا يتم له ذلك إلا بعونٍ من الله تعالى؛ لأن النفس تقوم بهدم ذلك، وتدعو إلى خلافه، ووقع العبد في المجاهدة معها. فلولا عون الله تعالى العبد لمالت النفس. ولكن سبيل العبد أن لا يتخير.

---

(١) الحديث أخرجه الامام البخاري في كتاب الزكاة ٥٠ والامام مسلم في كتاب الزكاة ١٣٤ وأبو داود في الزكاة ٢٨ والنسائي في الزكاة ٨٥ وصاحب الموطا في الصدقة ٧ والدارمي في الزكاة ١٨

فإذا جاء موضع الصبر، تصبر وعزم عليه، فوشيكاً يجيئه العون من الله تعالى، فوجد اليسر في أمره، فذاك عون الله تعالى. فإنه قبل ذلك يدخل في الأمور مع الجهد، لأن النفس تأبى ذلك، فدخلت فيه بإكراه صاحبها لها على ذلك، فجاءه العون من الله تعالى فيسر عليها. وعلى ذلك دل عباده: ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾[1].

أمره بالعبادة وسؤال العون؛ لأنه أعطي القوة على القيام بما أمره. إلا أن النفس تدعو إلى خلاف ذلك. فجاءت شهواتها تريد أن تغلب القلب على ما أمر، فاحتاج عند مجاهدة النفس إلى عون من الله تعالى، وهو نور على القلب يستنير الإيمان، ويمتزج به فيقوى القلب، وتذل النفس، وتخمد شهواتها فتذل النفس.

فينبغي للعبد أن يقوم على كل أمر أُمر به، وأن ينتهي عن كل نهي نُهي عنه بما أعطي من العلم والعقل والإيمان، وذلك مع جهد شديد، ينتظر العون من الله تعالى، ولا يلقي بيده للتهلكة، فإذا العون من الله تعالى يجيء، وييسر عليه كل ذلك. فإن الله تعالى لم يأمرنا بأن نقول: ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾[2] ثم يحبس عنا العون. وقال الله تعالى : ﴿ **فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً** ﴾[3]

وقال (عليه السلام): « لن يغلب عسر يسرين »[4].

فاليسر الأول هو ما أعطي العبد من الآلة والمعرفة والعلم والقوة. فلولا النفس التي يحارب صاحبها بدفع ما تريد لكان الأمر قد تم.

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم ٥

(٢) سورة الفاتحة آية رقم ٥

(٣) سورة الشرح الآيتان ٥ و ٦.

(٤) الحديث رواه الحاكم في المستدرك عن الحسن مرسلًا وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وأشار عليه بالصحة

فإنه قد أعطي يسر به يقوم الأمر الذي أمر، ولكن جاءت النفس بشهوتها، فاحتاج العبد إلى يسر آخر، فوعده الله تعالى فقال: عسر عليك الأمر فأعطيتك مع العسر يسراً. وهو العقل الذي هو حجة الله تعالى على عباده. إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. ويسراً بعد الأمر حين تأخذه فيه. وهو العون. فإذا جاء العون، انهزمت النفس، وخمدت الشهوة، وهرب العدو، وبطل كيده. فهما يسران، لم يغلبهما هذا العسر الذي بينهما من مجاهدة النفس حتى يأتيك بحربه وجهاده ليصدك ويقهرك بشهواته. وهو قوله (عليه السلام): « لن يغلب عسر يسرين »[1]. فبشرهم أن العبد إذا استعمل ما أعطي من اليسر في وقت هذا العسر الذي عارضته النفس به، جاء اليسر الثاني. فلن يغلب هذا العسر هذين اليسرين. واليسر الثاني هو عونه، وهو عطف الله على العباد ورحمته. وإذا عطف على عبده، لم يبق للنفس عليه سبيل، ولا للعدو مطمع.

وقوله: من تصبر يصبره الله تعالى[2]. أي من استعمل ما أعطي من الصبر الذي يخرج له من الإيمان، صبره الله، أي جاءه المدد والعون حتى يتم له صبره في يسر. وهكذا قال الله تعالى: ﴿ **واصبر وما صبرك إلا بالله** ﴾[3] أي لا يتم ذلك إلا بعون الله تعالى وغياث منه.

وهكذا قوله: « من يستعف يعفه الله ». فأما قوله: « فمن يستغن يغنه الله » أي من التجأ إليه في الحوائج صدقاً، فهو أكرم من أن يردك ويلجئك إلى عبيده.

روى ثابت (رضي الله عنه) قال: حبس ابن أخ لصفوان بن محرز فلم يبق بالبصرة رجل له وجه عند الأمير إلا تحمل به عليه، فلم يزده إلا شدة، فبات ليلة فقيل له في منامه: يا صفوان اطلب الأمر

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا

(٢) سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا

(٣) سورة النحل آية رقم ١٢٧.

من وجهه، فقام وتوضأ وصلى ركعتين، وسأل ربه، ثم عاد إلى مضجعه، فنودي بالباب: يا صفوان هذا ابن أخيك قد جئنا به، فصار إلى الباب، فإذا ابن أخيه. فقال: نبه الأمير في جوف الليل، فبعث إلى السجن، فنودي: أين ابن أخي صفوان؟ فطلب حتى جيء به، فإذا هو ذا.

وخرج ابن عمر (رضي الله عنهما) في سفر له، فإذا بجماعة على طريق فقال: ما هذه الجماعة. فقالوا: أسد قطع الطريق، فنزل فمشى إليه حتى قفده بيده ونحاه عن الطريق. فقال: ما كذب عليك رسول الله ﷺ قال: « إنما يسلط على ابن آدم من خافه ابن آدم. ولو أن ابن آدم لم يخف غير الله، لم يسلط الله عليه غيره. وإنما وكل ابن آدم لمن رجا ابن آدم. فلو أن ابن آدم لم يرج إلا الله، لم يكله الله إلى غيره »[1].

وقوله: « وما أعطي عبد عطاء هو أوسع من الصبر »[2] لأن الصدر قد اتسع وانشرح للنور الوارد على قلبه. وإذا اتسع الصدر، يسرت عليه الأمور كلها. وإذا استقر النور في القلب، انفسح الصدر وانشرح، وألقى بيديه سلماً لمولاه في أمره ونهيه، وجميع أحكامه عليه، وتدبيره له، ولم يبق للقلب منازع لأن النفس تذل وتموت شهوتها، وتلقي بيديها حين يشرق الصدر، فيحل بها من ذلك الإشراق خوف الله

---

(١) الحديث أخرجه السيوطي في الجامع الصغير: وقال رواه الحكيم الترمذي عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما وأشار الى الحديث بالصحة.

(٢) الحديث أخرجه الامام مسلم في كتاب الزكاة ٤٢ باب التعفف والصبر ١٢٤ (١٠٥٣) عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليث عن أبي سعيد الخدري أن ناساً من الأنصار ــ سألوا رسول الله ــ ﷺ ــ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى إذا نفذ ما عنده قال: وذكره. ورواه البخاري في الزكاة ٦٠ وأبو داود في الزكاة ٢٨ والنسائي في الزكاة ٨٥ وصاحب الموطأ في الصدقة ٧ والدارمي في الزكاة ١٨

تعالى وخوف عقابه، فتحل به الرهبة. ثم يزداد النور فتدخله العظمة، فتحل بها الهيبة والخوف الخالص منه فتيبس، وتذهب شهوتها، وتخشع لله تعالى، فتصير تابعة للقلب. فحين بدأ أول النور وجد العبد متسعاً في صدره فقيل: صابر. ثم زيد، فهو صابر قانع. ثم زيد، فهو صابر راض مراقب واله. ثم زيد، فهو منفرد لربه، ولها عن الصبر والرضى والمراقبة والوله، وهذا كله له، والانفراد غالب عليه، فهو في قبضته يستعمله، وهو قوله (عليه السلام):

« كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه وفؤاده. فبي ينطق، وبي يعقل، وبي يمشي، وبي يبصر، وبي يبطش »[1].

وهو قول عمر (رضي الله عنه)، حين شج عليٌّ رجلاً، فقال لعمر (رضي الله عنه): مررت به، وأصغيت إليه سمعي، فإذا هو يكلم امرأة بكلام، فلم أملك حتى ضربته. فقال عمر (رضي الله عنه): أيها الرجل أصابتك عين من عيون الله، وإن لله في الأرض عيوناً.

والصبر ثبات النفس على حكم الله تعالى، وتدبيره، وأمره ونهيه، ورمي شهوته ومنيته. وإنما يبصر ذلك بالنور الوارد على القلب، فيطيب ويستقر ويوقن. وأي شيء أوسع منه! وبذلك يثقل ميزانه، ويملأ ميزانه وسعة كفته سعة السموات والأرض.

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث وراجع صحيح البخاري ٣٨ الرقاق واحمد بن حنبل في المسند ٦: ٣٥٦

الأصل الخامس والعشرون والمائتان

في النهي عن إسكان النساء الغرف وتعليمهن الكتابة

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة »[1].

حذرهم ذلك لأن في إسكانهن الغرف تطلعاً إلى الرجال، وليس في ذلك تحصين لهن ولا ستر. فإنهن لا يملكن أنفسهن حتى يشرفن على الرجال، فيحدث البلاء والفتنة. فحذرهم أن يجعلوا لها ذريعة إلى الفتنة.

وهو كما قال (عليه السلام): « ليس للنساء شيء خير لهن من أن لا يراهن الرجال ولا يرين الرجال » . لأنها خلقت من الرجال، فهمتها فيه، وخلق في الرجل الشهوة، فجعلت سكناً له. فغير مأمون كل واحد منهما في صاحبه. وكذلك تعليم الكتابة، ربما كانت سبباً

---

(١) الحديث رواه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير النهي عن تعليم الكتابة للنساء ثنا عبد الوهاب بن الضحاك ثنا شعيب بن اسحاق عن هشام بن عروة عن ابنه من عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ــ ﷺ وذكره. وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه قال الذهبي: موضوع وآفته عبد الوهاب قال أبو حاتم: كذاب

للفتنة، وكتبت إلى من تهوى. وفي الكتابة عين من العيون به يبصر الشاهد الغائب. وفي ذلك تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان. فهو أبلغ من اللسان. فأحب (عليه السلام) أن يقطع عنهن أسباب الفتنة تحصيناً لهن وطهارة لقلوبهن.

الأصل السادس والعشرون والمائتان

في أن رأس الحكمة لِمَ صار مخافة الله؟

عن عبدالله (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « رأس الحكمة مخافة الله تعالى »[1].

فمخافة الله تعالى هي التي ألهت عن الأسباب، حتى صارت رأس الحكم. وهي تعلق القلب بمشيئة الله تعالى. ولما صار إلى المشيئة

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل، والعسكري في الأمثال، والديلمي عن عقبة بن عامر، قال: خرجنا في غزوة تبوك، فذكر حديثاً طويلاً فيه قول النبي ﷺ أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، والخمر جماع الاثم، ورواه العسكري أيضاً فقط من حديث عمرو بن ثابت عن أبيه أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: إن أشرف الحديث كتاب الله فذكر حديثاً وفيه: رأس الحكمة مخافة الله، والخمر جوامع الاثم وأخرج ابن لال عن أبي مسعود مرفوعاً الجملة الأخيرة فقط، ورواه القضاعي في مسنده عن زيد بن خالد الجهني، تلقفت هذه الخطبة من في رسول الله ﷺ فذكره، وفي الخمر جماع الاثم ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل، ورواه البيهقي في شعبه عن ابن عباس موقوفاً وضعفه بلفظ : كان يقول من خطبته : خير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل، وللطبراني والقضاعي عن أنس رفعه خشية الله رأس كل حكمة، والورع سيد العمل وعند أحمد في الزهد عن خالد بن ثابت الزمعي قال: وجدت فاتحة زابور داود: أن رأس الحكمة خشية الله.

أبهـم عليه الأمور، فانه يعلم أنه شاء فخلقه، ولا يعلم أنه لماذا خلقه، فظهر له بعض المشيئة، وخفي عليه آخر شأنه من مشيئته، وأقلقه، وألهاه، وأذهله عن النفس وعن دنياه. فلما زايلته نفسه ودنياه، انشرح صدره واتسع في الحكمة. والله أحكم.

الأصل السابع والعشرون والمائتان

في حقيقة الفراسة ودواعيها

عن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله تعالى »[1].

الفراسة مشتقة من الفروسية. فركضه بالجوارح على الفرس فروسية، وركضه ببصر قلبه بنور الله تعالى هي فراسة. فبالفرس يقطع مسافة

---

(١) قال في الدرر رواه الطبراني، والترمذي من حديث أبي سعيد وقال في التمييز تبعاً للأصل رواه الترمذي، وقال: غريب، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الديلمي بعد أن عزاه للترمذي عن أبي سعيد قال: وزاد بعضهم: وينطق بتوفيق الله، قلت: لم أقف على الزيادة انتهى.

وقال في الأصل: ورواه الطبراني، وأبو نعيم والعسكري عن ثوبان رفعه بلفظ: احذروا دعوة المسلم وفراسته فإنه ينظر بنور الله وينظر بتوفيق الله، ورواه العسكري عن أبي الدرداء موقوفاً بلفظ اتقوا فراسة العلماء فإنهم ينظرون بنور الله، إنه شيء يقذفه الله في قلوبهم وعلى ألسنتهم، ورواه الديلمي عن أبي الدرداء بلفظ « اتقوا فراسة العلماء فوالله إنه لحق يقذفه الله في قلوبهم ويجعله على أبصارهم، وطرقه كلها ضعيفة. وحكم عليه الصنعاني بالوضع وقال النجم: ورواه البخاري في التاريخ والترمذي والعسكري والخطيب وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي سعيد، وزاد ثم قرأ ﴿ **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** ﴾ إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم » انتهى.

الدنيا، وبنور الله تعالى يقطع مسافة القلب. وذلك ان على الأشياء دلائل وسمات. وقد وسم الله تعالى خلقه بذلك. فبنوره تدرك تلك السمات، حتى يدرك ما لم يأت بعد. وكان عمر (رضي الله عنه) تفرس. روى عبدالله بن سلمة (رضي الله عنه) قال: دخلنا على عمر معاشر وفد مذحج، وكنت من أقربهم منه مجلساً. فجعل ينظر عمر إلى الأشتر[1] ويصوب بصره. فقال لي: أمنكم هذا؟ قلت: نعم. فلأي باله تسأله؟ قال: ما له قاتله الله. كفي الله أمة محمد (عليه السلام) شره. والله اني لأحسب أن للمسلمين منه يوماً عصيباً.

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: ما حذر عمر شيئاً قط فتكلم به إلا كان.

وقال النبي (عليه السلام): « إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم »[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿ **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** ﴾[3]: قال: للمتفرسين.

فالتوسم مأخوذ من السمة. وهو أن يعرف سمات الله تعالى وعلائمه

---

(١) هو الأشتر بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بالأشتر أمير من كبار الشجعان كان رئيس قومه، أدرك الجاهلية وأول ما عرف عنه أنه حضر خطبة عمر في الجابية وسكن الكوفة وكان له نسل فيها وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها وكان ممن ألب على عثمان وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع علي توفي عام ٣٧ هـ.
راجع الاصابة ت ٨٣٤٣ وتهذيب ١٠: ١١ والولاة والقضاة ٢٣ــ٢٦

(٢) الحديث رواه البزار عن أنس ــ رضي الله عنه ــ وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وقال: رواه الحكيم والبزار عن أنس وأشار الى الحديث بالصحة

(٣) سورة الحجر آية رقم ٧٥

في الأمور. والتفرس أن يركض قلبه فارساً بنور الله تعالى إلى أمر لم يكن بعد فيدركه مثل ما أدركه عمر (رضي الله عنه)، وما أدركه الحسن البصري (رضي الله عنه). فانه روي أنه قال لعمرو بن عبيد: هذا سيد فتيان أهل البصرة ان لم يحدث. وقال لأيوب: هذا سيد فتيان أهل البصرة. ولم يستثن.

وقال الشعبي (رحمه الله) لداود الأودي وهو يماريه: إنك لا تموت حتى تكوى في رأسك. فكان كما قال.

وإذا امتلأ القلب من نور الله تعالى، نظرت عينا قلبه بنوره فأبصر في صدره ما لا يحاط به وصفا. فالفراسة من الله تعالى لعبده كائنة.

الأصل الثامن والعشرون والمائتان

في تفسير الاستئناس

عن أبي أيوب (رضي الله عنه) قال: قلنا: يا رسول الله: هذا السلام، فما الاستئناس؟ قال: يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة، وأن ينحنح فيؤذن أهل البيت[1].

الاستئناس تنبيه. والاستئذان عهد. فندب إلى أن يبتدئ بالتنبيه، ثم بالعهد؛ ليكون أوكد للعهد، وأقوى للحجة. وأنه إذا فوجئ بالسلام والإنسان في غفلة، والعقل عازب عنه، كانت الحجة عليه أضعف. يقول: فوجئت بالسلام، وعوجلت به فلم أقبله بالتثبيت. ألا ترى أن الله تعالى خاطب الخلق فقدم على الدعوة تنبيهاً فقال: «يا» وهو كلمة تنبيه حروف ذات أصداء؛ لينبهك عما أنت به مشتغل؛ ليرجع إليك عقلك بصوته. كأنه يعني بهذا أن يقول: يا دعوة دعوة ثانية. ثم قال: «أي» وهي كلمة الفتش، مضمرة فيها «من»، كأنه قال: أيهم أريد بدعوتي. ثم قال: «ها» هو تنبيه آخر يشير إلى شيء معلوم عينه، معناه

---

(١) قصره السيوطي في الجامع الكبير على الحكيم الترمذي بسنده عن أبي أيوب الأنصاري ــ رضي الله عنه.

من أذكر اسمه أريد بدعوتي. ثم قال: «الناس». أو «الذين آمنوا». فهذه التنبيهات من إلقاء العذر وإتمام الحجة. قال الله تعالى: ﴿ **وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون** ﴾[1].

وقال (عليه السلام): لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى. ولذلك بعث الرسل (عليهم السلام)[2].

فقال تعالى: ﴿ **لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها** ﴾[3].

فالاستئناس التنبيه، ثم يكون بعده التسليم. وعندهم كان التسليم هو الاستئذان. فإذا ردوا، جاء الإذن بعد ذلك. وإن قيل: ارجعوا رجعوا. وأدنى الاستئذان النحنحة، لأن الحس حس المجيء. وقد يختلف. فإذا سمع لم يدر السامع أسبع أم بهيمة أم داهية من الدواهي؟ فإذا تنحنح، عرف أنه من جنسه فأنس به، لأن الآدمي يأنس بجنسه، ويستوحش من غير جنسه. وأعلا الاستئذان التسبيحة؛ ليعلم السامع أنه أخوه المسلم. وذلك أفضل لأن بالتنحنح لا يعرف السامع أمسلم هو أم كافر؟ ولي هو أم عدو؟ فتدخله روعة لمجيئه. فإذا ذكر الله كان أوفر للاستئناس.

وما رواه شعبة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (رضي الله عنهم) أن هذا خطأ من الكاتب، انما هو: «تستأذنوا وتسلموا

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١١٥.

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب التوحيد ٢٠ باب قول النبي ﷺ: لا شخص أغير من الله ٧٤١٦ ــ حدثنا أبو عوانة حدثنا عبد الملك عن وراد كاتب المغيرة عن المغيرة قال: سعد بن عبادة لو رأيت رجلاً مع إمرأتي لقربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: تعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن: وذكره، ورواه الإمام مسلم في التوبة ٣٥ واللعان ١٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٢٤٨ (حلبي).

(٣) سورة النور آية رقم ٢٧

على أهلها». فهذا كلام جاهل أو ملحد يكيد الدين. أو ليس فيما روى أبو أيوب (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ في تفسير الاستئناس ما يبطل هذا. وكان كتاب الله تعالى بين ظهراني أصحاب رسول الله ﷺ في مضيعة حتى كتب الكاتب فيها ما شاءوا أو زادوا أو نقصوا. وكان الصحابة أهملوا أمر دينهم حتى فوضوا عهد ربهم إلى كاتب يخطئ فيه، ثم يقرؤه أبو بكر وعمر وأبي (رضي الله عنهم) حيث جمعوه في خلافة أبي بكر (رضي الله عنه)، ثم من بعده مرة أخرى في زمن عثمان (رضي الله عنه) وهم على الخطأ. وشعبة وأبو بشر رواة لا يعرفون ما غور هذا؟ وإنما ينكر هذه الأشياء ويدفعها الرعاة الذين عقلوا عن الله تعالى، وعن تدبيره فهموا، وهم المقربون أهل اليقين الذين وصفهم رسول الله ﷺ في قوله: «كنت سمعه وبصره». فهو الذي ينفي هذه الأشياء ويدفعه. فإذا نفاه ودفعه فبه ينفي وبه يدفع؛ لأنه به يعقل، وبه ينطق، وهو حجة الله تعالى على خلقه، وراعي غنمه، وطبيب عباده. فمن عارضه هلك، وهو لا يشعر.

ولهذا حذر (عليه السلام) فقال عن ربه (عز وجل): «من آذى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة. وإني لأسرع شيء في نصرة أوليائي. أفيظن أن يفوتني. كيف وأنا الثائر لهم؟»[1].

(١) سبق الحديث عن هذا الأثر فيما سبق.

الأصل التاسع والعشرون والمائتان

في أن أهل الغرف في الجنة ومراتب الدرجات

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغائر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء، فلا يبلغها إلا هم. قال: بلى. والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين[1].

فأهل الغرف أهل العليين الذين قد ارتفعت درجاتهم إلى قرب العرش. والإغتراف الإرتفاع. وسميت الغرفة لارتفاعها. والجنة ثلاثة أثلاث: أعلاها للسابقين. وأوسطها للمقتصدين. وأدانيها وما فيها دني للمخلطين. وعدن مقصورة الرحمن. وجنات عدن محل الأنبياء (عليهم السلام). والفردوس محل الأولياء. وهي الغرف. وهي سرة الجنة بحيال باب

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ١٠ (٢٨٣٠) عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. وأيضاً ١١ (٢٨٣١) بسنده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: وذكره ورواه الإمام البخاري في كتاب بدء الخلق ٨ والرقاق ٥١ والإمام الترمذي في الجنة ١٩ والدارمي في الرقاق ١٠٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣٣٥، ٣٣٩، ٥ : ٣٤٠ (حلبي).

العرش. فتوهموا أن تلك منازل الأنبياء (عليهم السلام) لا يبلغها غيرهم. فأعلمهم أن ذلك ليست بمنازل الأنبياء (عليهم السلام). وإنما هو منازل الأولياء. والأنبياء فوقهم، لأن درجة النبوة أعلى. الأنبياء (عليهم السلام) فوق الغرف في جنات عدن. وعدن كالمدينة. وجنات عدن كالقرى حولها. والفردوس حول جنات عدن، مضموم إليها، منسوب منها، كعوالي القرى. وما دونها من الجنان كالخيام والمراعي حول عوالي القرى. فأعلم (عليه السلام) أن الغرف منازل رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين. أراد به إيمان الصديقين، لا إيمان المخلطين من الموحدين. لأن أهل الغرف أهل الدرجات العلى.

قال تعالى: ﴿ **ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى** ﴾[1]. ثم قال: ﴿ **وذلك جزاء من تزكى** ﴾[2]. أي تطهر من مساخط الله قلباً وقولاً وفعلاً.

وهذا شأن الصديقين لأن إيمانهم إيمان طمأنينة به وبجميع أحكامه. وتصديقهم المرسلين تصديق لله تعالى وسكون.

وقال (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿ **أولئك يجزون الغرفة بما صبروا** ﴾[3]. قال: الغرفة من ياقوتة حمراء، أو زبرجد خضراء، أو درة بيضاء، ليس فيها فصم ولا وصم. وان أهل الجنة ليتراءون الغرفة فيها كما يتراءون الكوكب الدري الشرقي أو الغربي في أفق السماء. وان أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) منهم وانعما.

وقال (عليه السلام): فيما رواه ابن مسعود (رضي الله عنه): إن المتحابين في الله لعلى عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود

---

(١) سورة طه آية رقم ٧٥.

(٢) سورة طه آية رقم ٧٦.

(٣) سورة الفرقان آية رقم ٧٥.

سبعون ألف غرفة، يضيء حسنهم أهل الجنة كما تضيء الشمس أهل الدنيا. يقول أهل الجنة بعضهم لبعض: إنطلقوا بنا حتى ننظر إلى المتحابين في الله. فإذا أشرفوا عليهم، أضاء حسنهم أهل الجنة كما تضيء الشمس أهل الدنيا. عليهم ثياب خضر من سندس، مكتوب على جباههم: هؤلاء المتحابون في الله .

فهؤلاء أهل الغرف، وهم أهل محبة الله في الله تعالى. وإنما تحابوا في الله لمحبة الله تعالى. وهو قوله تعالى: « حقت محبتي للمتحابين بجلالي ».

وقد وصف الله تعالى أهل الغرفة فقال: ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً...** ﴾ إلى قوله: ﴿ ... **واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾[1].

وصف مشيهم، وخطابهم، وإنتصابهم له، ودعاءهم، ونفقاتهم، ونزاهتهم، وإنتباههم، وصدقهم، ومحبتهم، ونصحهم ثم قال: ﴿ **أولئك يجزون الغرفة بما صبروا...** ﴾[2].

والصبر بذل النفس، والثبات له وقوفاً بين يديه بالقلوب عبادة. وقال تعالى: ﴿ **وما أموالكم ولا أولادكم...** ﴾ إلى قوله: ﴿ ... **وهم في الغرفات آمنون** ﴾[3].

ذكر أن القربة لا تنال بالأموال والأولاد، وإنما تنال بالعمل الصالح. يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة، وتعلق قلب به في كل ما نابه، وبجميع أموره وأحكامه، والعمل الصالح الذي لا يخلطه بضده.

---

(١) سورة الفرقان الآيتان رقم ٦٣ ــ ٧٤.

(٢) سورة الفرقان آية رقم ٧٥.

(٣) سورة سبأ آية رقم ٣٧.

فأما المخلط فغير مطمئن بأموره وأحكامه. بل هو تابع لهوى نفسه، يعمل على شهوته وقضاء منيته.

وهذان وإن كان إيمانهما برب واحد، إلا ان ذلك قد جثمت على قلبه شهوات نفسه فأظلمت صدره، وانكمن نوره، فلا يعمل شيئاً من الإشراق والإنارة. وهذا البالغ من الله تعالى بنوره وهتك هذه الحجب من الظلمات، وأمات منه الشهوات، وولج قلبه من عظمة الله تعالى وجلاله، فأذهل نفسه، واستقام القلب لله تعالى.

فعني رسول الله ﷺ بأهل الغرف هؤلاء. إذ لو جاز أن تنال الغرف بالإيمان والتصديق الذي للعامة، لكان جميع الموحدين في أعالي الدرجات.

الأصل الثلاثون والمائتان

في مراتب أهل الجنة

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: من ترك الكذب، وهو باطل، بني له في ربض الجنة. ومن ترك المراء وهو محق، بني له في وسطها. ومن حسن خلقه، بني له في أعلاها[1].

ترك الكذب هو ترك الشرك. ولا كذب بأعظم من الشرك. فمحل تاركه في ربض الجنة، وهو أدانيها. فهذا الصنف هو الظالم.

وترك المراء إذا اقتضاه الحق أمر الله من آداء فرائضه، واجتناب محارمه أن يخضع للحق ولا يماريه، فيذهب برقبته من حق الله تعالى في أمره ونهيه. فهذا مقتصد، فمحله في وسط الجنة.

وأما حسن الخلق، فان الله تعالى دبر لعبده قبل أن يخلقه شأنه من الرزق والأحوال والآثار. كل ذلك موقت مقدر، يبرز له في وقته،

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ٥٨ ما جاء في المراء ١٩٩٣ حدثني سلمة بن وردان الليثي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: وذكره، ورواه أبو داود في الأدب ٧ وابن ماجة في المقدمة باب ٧ اجتناب البدع والجدل ٥١ عن سلمة بن وردان عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

كما قدره ودبره مرة سقم ومرة صحة، ومرة غنى ومرة فقر، ومرة عز ومرة ذل، ومرة محبوب ومرة مكروه. فأحوال الدنيا تتداوله، لا ينفك من تدبيره وقضائه. والعبد يريد ما وافقه واشتهاه، وتدبير الله تعالى فيه غير ذلك. فإذا راض نفسه وقمعها وخشعت لله تعالى بما أريده من نور اليقين، حسن خلقه، واستقام قلبه، وترك جميع مشيئآته لمشيئته، ينتظر ما يبرز له من تدبيره في جميع أحواله، فيتلقاه بهشاشة قلب وطيب نفس. فهذا حسن الخلق. فمحله في أعالي الدرجات. وسوء الخلق حجاب بين العبد وبين ربه، لأنه من نفس شهوانية. والنفس ما لم تمت شهوتها لا تنقاد للحق، ولا يتخلص القلب من مخاليبها، ولا يبرأ الإيمان من سقمه.

قال (عليه السلام) في حديث الرؤيا: «رأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله تعالى حجاب. فجاءه حسن خلقه فأدخله على الله تعالى ».

وقال (عليه السلام): «أوحى الله إلى إبراهيم (عليه السلام): يا إبراهيم حَسِّنْ خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار. فان كلمتي سبقت لمن حَسَّنَ خلقه أن أظله في عرشي، وأن أسكنه في حظيرة قدسي، وأن أدنيه من جواري ».

وحسن الخلق على ثلاث منازل:
أولها: أن يحسن خلقه مع أمره ونهيه.
الثانية: أن يحسن خلقه مع جميع خلقه.
الثالثة: أن يحسن خلقه مع تدبير ربه. فلا يشاء إلا ما يشاء له ربه.

ومن أسوء خلقاً ممن دبر الله المطر من بركات السماء سقيا لعباده وبلاده، يجعل فيه أرزاقهم، ومعاشاً لهم، ويحيي بذلك أمة من الأمم، والعبد يكرهه ويأباه، لأجل انه يبتل ثيابه أو يتأخر عن سفر يريده،

فثقل عليه تدبير الله تعالى لهذه الأمة؛ لشهوته لذلك العمل الذي هو فيه. ومن كان ميت الشهوة فأعماله كلها عبودة لله تعالى. ومن كان يثقل عليه تدبيره وحسن خلقه في جميع أموره واحكامه. وان محاسن الأخلاق جاءت من الله تعالى. وقد خزنه الله تعالى عن خلقه. فلا يعطيه إلا من أحبه وسعد جده. فمن منحه خلقاً من تلك الأخلاق وتخلق بها، يرى بهجة ذلك في شمائله، وفي منطقه ومعاشرته، حتى في سيماء وجهه. والله أعلم.

الأصل الحادي والثلاثون والمائتان

في ظن العبد بربه
إن كان حسناً حقق له ذلك. وإن كان سيئاً وكله إليه

عن واثلة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: « أنا عند ظن عبدي بي. فليظن بي ما يشاء »[1].

فالظن ما تردد في الصدر. وإنما يحدث من الوهم. وهو هاجسة النفس. وأيد الله تعالى المؤمن بنور التوحيد في القلب، ونور في الصدر، ويطوف حول القلب حجاباً لذلك النور الأعظم. فإذا هجست النفس بعارض أمر ونور الصدر بمكانه يضيء، استقرت النفس، فاطمأن القلب وحسن الظن. لأن النور الذي في قلبه يؤدي إليه أن الله تعالى كافيه وحسبه في كل أموره. وأنه كريم رؤوف رحيم عطوف. وإذا كانت

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب التوحيد ٧٤٠٥ عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال رسول الله ﷺ وذكره. وفيه زيادة وليس فيه (فليظن بي ما شاء) ورواه الإمام مسلم في كتاب التوبة بلفظ البخاري عن أبي هريرة. ورواه الترمذي في كتاب الزهد ٥١ ما جاء في حسن الظن بالله ٢٣٨٨ عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره وقال: هذا حديث حسن صحيح.

النفس ذات شهوة غالبة، فارت بدخان شهوتها فأظلمت الصدر، فصار الصدر مظلماً، وجاءت النفس بهواجسها فاضطربت، فذلك سوء ظنها بالله تعالى. والظن ظنان: ظن عطاء. فذاك الذي تستقر عليه النفس، ويطمئن القلب، ويوفي له بذلك ولا يخيبه.

قال ابن مسعود (رضي الله عنه): «والله الذي لا إله غيره ما أعطي عبد عطاء خيراً من حسن الظن بالله».

والظن الآخر: ظن خالطه تهمة، فلم يطمئن القلب. فإن خيب فغير مستنكر.

وقوله: «أنا عند ظن عبدي بي» أي أن القلب بيدي، لم أكلها إلى أحد. فإذا ظن عبدي بي حسناً، حققت له ذلك، ولم أخيبه. وإذا ظن بي سيئاً، وكلته إلى سيِّئ ما ظن، وتخليت عنه. لأني أعطيته من النور في القلب ما يؤدي إلى الصدر، وفي الصدر ما يضيء، فيتصور له ما يؤدي القلب إليه، وضاع ذلك الضوء لقوة ما أتت به النفس من دخان شهواتها، وتقوية الشهوات من العبد، فعوقب عليه، ونسب إليه بتركه تعاهد القلب حتى استولت النفس عليه فألهته عن ذكر الله.

وقوله: «فليظن بي ما شاء» أي يجدني قريباً وفياً بما أمل ورجا. وإنما يحسن ظنه من انفرد له بين يديه وأعرض عن نفسه ورفع عنه بالها، فانكشف له الغطاء عن رأفته ورحمته فاستقر قلبه. ومن كان صاحب شهوات واشتغال بنفسه. فلو انكشف له الغطاء عن رأفته ورحمته، لأفسد أمره وضيع حدوده، وركب شهواته واجترأ. فستر عنه حتى يكون في مخافة وحذر. ولهذا كانت الأنبياء (عليهم السلام) لما سكنت شهواتهم وماتت نفوسهم، وحييت بالله تعالى قلوبهم، بشروا بالنجاة، فلم تضرهم البشرى، بل زادهم أَلَهاً أي شكراً.

---

(١) أله يأله: أي كثرت عبادته.

الأصل الثاني والثلاثون والمائتان

في حكمة دعاء الرمد

عن أنس (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله ﷺ إذا أصابه الرمد أو أحداً من أهله وأصحابه، دعا هؤلاء الدعوات: اللهم أمتعني ببصري، واجعله الوارث مني وأرني ثأري فيه، وانصرني على من ظلمني[1].

جعل الله للبصر في الجسد محلاً رفيعاً ومكاناً عالياً. وفي الخبر أن العبد يؤخذ يوم القيامة بنعمة البصر، فيوجد قد استفرغ جميع حسنات العبد، وبقي سائر النعم عليه مع التبعة.

ومن رفيع درجته على سائر الجوارح أنه ينظر به إلى الله تعالى يوم الزيادة، وبه يلذ تنعماً برؤيته، وبه ينظر إلى العبر في الدنيا. فالعين قالب البصر. والبصر من نور الروح. ولكل ذي جسم لطافة. فالروح مسكنه في الدماغ، ومعلقة في الوتين، وهو نياط القلب، ثم هو منفش

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ٦٧، ٣٤٨٠ عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: وذكره، ورواه أبو داود في الأدب ١٠١.

في سائر الجسد من الظفر إلى شعر الرأس. نفخ فيه الروح من طرف إبهامه في المبتدأ، ثم يخرج منه عند القبض من طرف لسانه، لأن الله تعالى رفع درجة اللسان على سائر الجوارح بالتوحيد، وبه يظهر ما في القلب.

قال (عليه السلام): «ما من شيء أحب إلى الله من بضعة لحم، وذلك لسان المؤمن. وما من شيء أبغض إلى الله من بضعة لحم، وذلك لسان الكافر»[1].

فجعل سبيل الروح عند خروجه من طرف لسانه ليكون آخر الجوارح موتاً. وتكون حركة لسانه عند خروج الروح منه بالتوحيد. والحياة مع الروح والعقل والمعرفة. فالروح نور، والعقل نور، والمعرفة نور. ولكل نور بصر. فبصر العقل متصل ببصر الروح ولطافة الروح. فما رَقَّ منها وصفا فهو في العين. وإذا أبصر الناظر إلى حدقة، رأى الرقة واللطافة في الحدقة في ذلك السواد. فتلك لطافة الروح كالماء. وبصر الروح في تلك الإنسانة في الحدقة. فذلك النور المشرق فيه هو بصر الروح. والضوء من خارج. وإدراك الألوان من بين هذا النور الذي في الإنسانة وبين الضوء الذي هو خارج. وحتى لا يجتمعان لا يدرك الناظر بعينه الألوان. فهذا لعامة الآدميين.

ثم خص الموحدين بأن أرواحهم من النور، وأرواح الكافرين من النار. وليس للكافر عقل. فخص الموحد بالعقل، فاجتمع نور التوحيد ونور العقل ونور المعرفة ونور الروح في تلك الإنسانة. فبها تبصر العين في الدنيا، وتتمثل له أمور الآخرة.

---

(١) الحديث لم نعثر عليه في كتب الصحاح والمسانيد ولم يشر اليه في مجمع الزوائد، ولم يذكره السيوطي في الجامع الصغير ولا الكبير والله أعلم.

ثم خص الأولياء منهم بنور القربة. ولذلك النور أيضاً بصر. فالنور في القلب، وبصره في بصر العين، فبقوة ذلك يتفرس. والفراسة أمر جليل من أمور الغيب خص بها الأولياء (عليهم السلام). ينظرون بنور الله تعالى إلى سمات القدرة على عبيد الله تعالى في الغيب. فتوسمهم نظرهم ببصر ذلك العين الذي اتصلت الأبصار فيها بعضها ببعض، وغشيها بصر القدرة فيدركون سمات القدرة والتدبير، فيخبرون بالعجائب. فهذا بصر الأولياء. ثم للأنبياء (عليهم السلام) زيادة نور في أبصارهم. وهو بصر النبوة. ثم للرسل (عليهم السلام) بصر الرسالة. ثم لرسولنا (عليه السلام) بصر سيادة الرسل (صلوات الله عليهم أجمعين). فاجتمعت هذه الأبصار كلها في إنسانة تلك الحدقة من عينه ﷺ.

وقال (عليه السلام): «رأيت ليلة أسري بي من العلي الذرة تدب على وجه الأرض من السدرة المنتهى» .

قوله: «أمتعني ببصري» والإمتاع بالبصر أن يرى هذه العجائب من تدبير الله تعالى من أمور الدنيا والآخرة، ويرى كل شيء كما خلقه الله تعالى بما ينظر إليه من العبر. قال تعالى: ﴿ **وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب** ﴾[1].

والمنيب الذي قد أناب بقلبه، فأقبل على الله تعالى، وفرغ قلبه له من حشو الدنيا، وطهره من أدناس المعاصي، وكدورة الأخلاق، وفضول الدنيا. فقربه ربه وأدناه، ونقى قلبه بنوره، واحتد بصره في خلقه وصنعه وتدبيره. فلو نظر إلى ورقة لحار عقله فيها من العجائب التي فيها من رطوبتها، ولونها، وطعمها، وريحها، ولينها، ومقدارها، وتقطيعها، وهيئتها، ونقوشها، وتخطيطها، واللطف الذي حواها على

---

(١) سورة ق آية رقم ٧.

هذه الصفة. ثم كل شجرة لها ورق لا يشبه الأخرى. فللمؤمن المنيب في هذا البصر بهجة.

فأما المكب على نفسه في خلو من لطائف الله تعالى فيه، التي هي عند العارف أحلى من القطايف، وبره وتدبيره ورحمته. وإنما به شغل نفسه ماذا ينال منها من عاجل النفع أكلاً وتمتعاً، واعتقاداً لما فضل منه حرصاً على الدنيا وجمعاً لها، قد اتخذه عدة لنوائبه دون الله تعالى، واعتمد عليه، فاستولت بهجة النفس عليهم لينالوا بها عزاً، ويتمتعوا لهواً وسهواً، فوقعوا في الخسران، وحرموا رؤية البهجة، وصار عاقبة أمرهم إلى الكفران قال الله تعالى: ﴿ **لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** ﴾[1].

فسأل (عليه السلام) أن يمتعه ببصره الذي ينال به هذه الأشياء، حتى يتوسم به آيات الله، وينظر به إلى سمات القدرة، ويكون ممن يعبد الله بكل نظرة. فانما أعطي العباد ليعبدوا الله تعالى بها، لا ليتمتعوا بها تمتع الكفار. قال تعالى: ﴿ **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم** ﴾[2].

فالمؤمن يتزود في جميع نظره وسعيه وعمله، ينظر بعين العبرة والفكرة في أمر الله تعالى، ويتقرب إلى الله تعالى به، ويتزود لآخرته. والكافر يتمتع. وإذا نظر المؤمن بعين الغفلة والشهوة، كان تمتعاً. فالمتنبه كلما نظر إلى شيء، ازداد علماً، وكان بصره رأس ماله، والمزيد من العلم ربحه. ولهذا جاءت به الأخبار أن النظر إلى البحر عبادة، وإلى العالم عبادة، وإلى وجه الأبوين عبادة؛ لأنه عبد الله بتلك النظرة.

---

(١) سورة المنافقون آية رقم ٩.

(٢) سورة محمد آية رقم ١٢.

وقوله: «واجعله الوارث مني» أي اجعل بصري آخر ما يخرج مني، فيكون قد ختمت لي بالنبوة والتوحيد والعقل. فيكون بصري هو الوارث لجوارحي. فإن هذه الأبصار قد اجتمعت في هذا البصر. فكان آخر ما يخرج مني لطافة الروح، وهو بصر العين فقط. فالسعيد من قبض روحه وكان آخر ما يخرج منه بصر توحيده وعقله. والشقي من سلب ذلك، ثم قبض روحه فكان آخر ما يخرج منه بصر روحه فقط.

قال (عليه السلام): إن الروح إذا فارق الجسد، تبعه البصر. ألا ترى إلى شخوص عينه[1].

فسأل (عليه السلام) الإمتاع ببصره أن يديم له ذلك إلى أن تفارقه روحه، وكان آخر ما يخرج عنه بصره، لأنه كان متصلاً ببصر العقل، والتوحيد، والولاية، والنبوة، والرسالة، والقيادة، والسيادة حتى يكون ذلك ختاماً لأمره.

وقوله: «وأرني ثأري» معناه أرني ببصري هذا ما يكون في أمتي إلى آخر الدهر من النصرة لما جئت به. فاستجيب له، فأُريَ ملك فارس والروم في أمته، ومنازل الحكماء والعلماء والأئمة الهادية بالحق، والقائمة بالعدل، والفتن التي هي كائنة في أمته والرحمة التي عمتهم.

وقوله: «وانصرني على من ظلمني» ظلم الرسول (عليه السلام) أن يُكَذَّبَ وتنفى عنه منة الله تعالى عليه في شأن النبوة. فسأل إظهار حقه الذي جاء به. فكانت تلك نصرة النبوة. فكان المستعدي عليه على أحد أمرين: إما أن يهديه الله تعالى، وإما أن يقتله.

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الجنائز ٥ باب في شخوص بصر الميت يتبع نفسه ٩ (٩٢١) عن العلاء بن يعقوب قال: أخبرني أبي أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ.

الأصل الثالث والثلاثون والمائتان

في حقيقة الخوف وحقيقة المعرفة

عن معاذ (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: لو خفتم الله تعالى حق خيفته، لعلمتم العلم الذي لا جهل معه. ولو عرفتم الله تعالى حق معرفته، لزالت بدعائكم الجبال[1].

حقيقة الخوف لمن وصل قلبه إلى فردانيته، فامتلأ من عظمة الفردية، باهت في جلاله، فأينما وقع بصره على شيء، وأينما دارت فكره واطلعت نفسه تلك المطالع، علم العلم الصافي الذي لا يمازجه شبهة ولا جهل. بمنزلة الشمس إذا أشرقت على أهل الدنيا. بضوئه يريك الأشياء كلها، حتى لا يخفى عليك منه شيء لعموم إشراقه على الأشياء كلها. فكذا شأن القلب إذا كمل علمه وأشرق نور الله تعالى في صدره، فذلك الضوء يريك أمر الملكوت، وأمور الدنيا والآخرة. وإنما ينال هذا العلم بنور الخوف. ونور الخوف ما أشرق في صدره من نور العظمة الفردية فخافه حق خيفته، وعلم العلم الذي لا جهل معه.

---

(١) الحديث أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وقال: رواه الحكيم الترمذي وأشار على الحديث بالضعف.

لأنه يريك ذلك النور باطن الأمور والأسرار التي في الغيوب التي خص الله تعالى بالكشف عنها الأنبياء والأولياء (عليهم السلام).

وقوله: «حق معرفته» أن تعرفه بصفاته العلى وأسمائه الحسنى معرفه يستنير قلبك بها. فإذا عرفته بذلك، كان دعاؤك عن معرفةً. وحسن الظن به. وقال (عز من قائل): أنا عند ظن عبدي بي. والكريم يستحيي أن يعرف بشيء ثم لا يكون له من ذلك الشيء منه نوال. فما ظنك بعبد يعرف ربه بالكرم، ثم يدعوه فيقول: يا كريم. هل يخيب العارف له بذلك؟ وقد عرفه بالكرم معرفة يقين.

وقد عرف الموحدون كلهم أنه كريم. ولكن تلك معرفة التوحيد، لا معرفة اليقين. ولهذا يعاملونه معاملة اللئام، ولا يأتمنونه على أحوالهم. إذ لو ائتمنه، لم يتخير الأحوال وألقى مفاتيح الأمور إليه حتى يكون هو الذي يختار له. وإذا إختار له ما تكره نفسه ويثقل عليها، راض نفسه وأدبها. حتى إذا إختار الله تعالى له ذلك، اهتش إلى المكروه كما يهتش إلى المحبوب ثقة به وتفويضاً إليه. فهؤلاء الراضون عن الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه. فهم أهل الخشية. والذين عرفوه بالكرم معرفة التوحيد يتخيرون له الأحوال فيهربون من الفقر والذل، ويحتالون لأنفسهم الأحوال المحبوبة، ويطلبونها، ويدبرون لأنفسهم أموراً. وإذا جاءهم المكروه من الأمور. وذلك له صنع من الله جميل، رأيت له نفساً دنية، وخلقاً شكساً. فلا يزال ذلك السوء يتردد في صدره حتى يتكدر عليه عيشه. فإن كان صاحب تقوى، اتقي الله بجوارحه، وصدره بهذه الصفة. وان خذل فترك تقواه، خرج ذلك من صدره إلى الجوارح فافتضح عند الملائكة وعقلاء خلقه في الأرض.

الأصل الرابع والثلاثون والمائتان

في أن الطاعم الشاكر لِمَ صار بمنزلة الصائم الصابر؟ وأن الصبر أفضل

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر»[1].

الصوم هو أن يعزم على أن يكف عن الطعام والشراب ومباشرة النساء طول النهار. والصائم كل ساعة تتردد فيه شهوة الطعام والشراب وغير ذلك مما هو ممنوع منه. فرد شهوته، وتجرعت نفسه مرارة الرد. فهو صابر يتجدد عليه الصبر ساعة بعد ساعة عند تحرك كل شهوة في نفسه ومنعه منها. فهو يردها ويثبت على الوفاء بنذره. فسمِّي

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الصيام ٥٥ باب فيمن قال الطاعم الشاكر كالصائم الصابر ١٧٦٥ ــ عن محمد بن عبدالله بن أبي حرة عن عمه عن حكيم بن أبي حرة عن سنان بن سنة الأسلمي صاحب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ وذكره: في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات وليس لسنان بن سنة عند ابن ماجة سوى هذا الحديث وليس له شيء في الكتب الخمسة الأصولية. ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٣٦٣ (حلبي).

الصائم الصابر. ولذلك قال الله تعالى: الصوم لي وأنا أجزي به[1]. إنما صار مختصاً من بين الأعمال بأن نسبه إلى نفسه الكريمة. وان كان الأعمال كلها لله تعالى. لأن الصوم ليس بعمل الأركان، ويقع سراً فيما بينه وبين ربه (سبحانه وتعالى) والحفظة لا تعلم ذلك ولا تطلع عليه، وخفي عليه جزاؤه ومقدار ثوابه. فولي الله تعالى ذلك لعبده؛ لأنه كلما ترددت شهوة، تجددت للعبد عزمة على الثبات. فله بكل عزمة ثواب جديد.

ولهذا قال (عليه السلام): «ما من نعمة وإن تقادم عهدها فذكرها العبد فحمد الله عليها إلا جدد الله تعالى له ثواب شكرها كيوم شكره. وما من مصيبة وإن تقادم عهدها فذكرها العبد فاسترجع إلا جدد الله له ثوابها كهيئته يوم أصيب»[2].

فللصائم بكل عزمة استئناف صبر. قال الله تعالى: ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾[3].فقد خرج هذا من عمل الحفظة وإدراكهم.

قال (عليه السلام): «الأعمال كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة، إلا الصوم فانه لا يعلم ثواب عامله إلا الله تعالى »[4].

وقال (عليه السلام): «الأعمال عند الله سبعة: عملان موجبان،

---

(١) متفق عليه

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد مختصراً في المسند ١ : ٢٠١ ثنا يزيد وعباد بن عباد قالا أنبأنا هشام بن هشام قال عباد بن زياد عن أمه عن فاطمة ابنة الحسين عن أبيها الحسين بن علي عن النبي ﷺ قال: وذكره.

(٣) سورة الزمر آية رقم ١٠.

(٤) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الأدب ٣٨٢٣ عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٨٨، ٢١٤، ٥ : ١٥٣ (حلبي) والنسائي في الصيام ٤٢، ٨٢.

وعملان بأمثالهما، وعمل بعشر أمثاله وعمل بسبعمائة ضعف، وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله تعالى. فأما الموجبان: فمن لقي الله يعبده مخلصاً لا يشرك به شيئاً، وجبت له الجنة، ومن لقي الله قد أشرك به، وجبت له النار. ومن عمل سيئة جزي بمثلها. ومن عمل حسنة جزي عشراً. ومن أنفق ماله في سبيل الله ضعفت بسبعمائة. والصيام الذي لا يعلم ثواب عامله إلا الله تعالى».

وقوله: «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر» فالإيمان منقسم على الشكر والصبر.

قال (عليه السلام): «الإيمان نصفان: نصف للشكر ونصف للصبر»[1].

لأن العبد في جميع عمره بين محبوب ومكروه. فالإيمان يقتضي الشكر عند المحبوب، والصبر عند المكروه. فإذا وفى لهما وفر إيمانه. فإذا طعم وهو محبوب النفس فشكر، فقد أتى بنصف وفاء الإيمان. وإذا جاع وهو مكروه النفس فصبر، فقد أتى بنصف وفاء الإيمان. وهكذا في جميع الأعمال. وهذا لأن العبد لما آمن بقلبه واعترف بلسانه، امتحن صدق ما في قلبه، وطمأنينة نفسه بالإيمان بالمحبوب والمكروه. فإن أبرز عند المحبوب شكراً، وعند المكروه صبراً، فقد أتى بوفاء الإيمان.

قال تعالى: ﴿ **الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾[2].

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الايمان عن أنس ــ رضي الله عنه ــ ورواه السيوطي في الجامع الصغير، وأشار على الحديث بالضعف.

(٢) سورة العنكبوت آية رقم ١ ــ ٣.

لأن الشهوة التي في ابن آدم من المحفوف بباب النار. فإذا أثارها محبوب من الأمور، فهي حرفة يقتضي عليها الشكر. وهو رؤيتها من خالقها والمقدر له. وإذا آثرها بمكروه فهي حرفة يقتضي عليها الصبر للمقدر الحاكم عليه بذلك، لتظهر صحة إيمانه فيباهي الله تعالى به يوم الموقف ملائكته (عليهم السلام) إذا أتى الله تعالى بالصبر والشكر.

الأصل الخامس والثلاثون والمائتان

في أدب شرب الماء. وفوائد كل شربة. وحكمة الشكر، والشفاء، والوترية.

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا شربتم فاشربوا بثلاثة أنفاس. فالأول شكر لشرابه. والثاني شفاء في جوفه. والثالث مطردة للشيطان. وإذا شربتم فمصوه مصاً، فإنه أجدر أن يجري مجراه، وأنه أهنا وأمرأ»[1].

النفس الأول صار شكراً للمنتهين لما خلص إليه عذوبة الماء ورطوبته وبرودته تراءى لقلبه لطف الله تعالى في ذلك الماء، كيف جرت ربوبيته فيه حتى رطبه وأعذبه وبرده. فكانت رؤيته لذلك شكراً. وإذا كان النفس الأول بهذه الهيئة، ذهب بالداء. وإذا ذهب الداء، جاءت نوبة الشفاء. فلما شكر هذا العبد في النفس الأول، استوجب من الله تعالى المزيد. قال تعالى: ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم...** ﴾[2].

---

(١) الحديث رواه ابن السنى وأبو نعيم في الطب، والبيهقي في شعب الايمان عن ابن أبي حسين مرسلًا مع اختلاف في بعض الألفاظ وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير، وأشار عليه بالضعف

(٢) سورة إبراهيم آية رقم ٧.

فاجتلب في النفس الثاني المزيد، فصار شفاء. لأن البركة قد اشتملت على المزيد.

وأما النفس الثالث، صار مطردة للشيطان للوترية التي فيه. فإن الله تعالى وتر يحب الوتر. فالنفس الأول رحمته. والنفس الثاني شكره لعبده وهو مزيده. والنفس الثالث محبوبه لسمة الوترية. فوتريته تعالى نفت كل خلط في الأعمال مما يريد الشيطان أن يزاوجه، لأنه مستعد لأن يزاوج بما يورد على القلوب في ملك الصدور. والموحد ينفي مزاوجته بحظه من وترية الله تعالى، حتى يبطل كيده ويصفو عمله لله تعالى الوتر. ولذلك كانت العلماء يتوخون الوتر في كل شيء. فكان رسول الله ﷺ يتوضأ وتراً. وإذا تكلم فأعاد الحديث، أعاد وتراً. وكان يتوخى الوترية في كل شيء. وكان أبو هريرة (رضي الله عنه) يتوخي الوترية في كل شيء، حتى أنه كان يقرأ في صلاته بأم القرآن بثلاثة أنفاس. وكان ابن سيرين (رضي الله عنه) يتفقد بطلب ذلك حتى يأمر الخادم أن يضع على مائدته من كل شيء وتراً. يتوخون بذلك محبوب الله تعالى، والتماس البركة وانطراد الشيطان ونفوره. وإذا انطرد الشيطان، بقي الشفاء على هيئته، وثبت الشكر لصاحبه. قال (عليه السلام): «إن الله ليرضى على العبد بالشربة الواحدة، والأكلة الواحدة، يشربها أو يأكلها، فيحمد الله عليها»[1].

وقال (عليه السلام): «ما أنعم الله على عبد من نعمة صغيرة ولا

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٤ باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب ٨٩ ــ (٢٧٣٤) عن زكريا بن أبي زائدة عن سعيد ابن أبي بردة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه الترمذي في كتاب الأطعمة ١٨ وقال: هذا حديث حسن ولا نعرفه إلا من حديث زكريا بن أبي زائدة، وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ١٠٠، ١١٧ (حلبي).

كبيرة فحمد الله عليها، إلا كان قد أعطى خيراً مما أخذ»[1].

فالنفس الأول للشكر. وإنما يثبت الشكر للوترية في النفس الثالث لانطراد الشيطان؛ لأنه إذا لم يكن مطروداً، دخل عليه بوسوسة ما يبطل شكره، بأن يوسوس إليه في عذوبته، أو في صفائه، أو في برده خللاً ينغص عليه النعمة، حتى يغيب عن قلبه لطف ربوبية الله تعالى في ذلك الماء في وقت الشرب.

وقد استوجب العبد رضاء الله تعالى في شربة واحدة لهذه الآداب التي دأب عليها مطيعاً لله تعالى، طالباً فيها حسن العمل. وهذه الشربة الواحدة إنما رضي الله بها عن العبد لأنه سمى في أولها، وتنفس حين قطع الشكر للمزيد ليجتلبه. فإن المزيد أكثر من الشكر. ثم تنفس فقطع ليجتلب الوترية، فينفي العدو الحاسد الذي قد أعد له في كل شيء حسداً. فيثبت له الشكر فيدوم. فإذا حمد الله فقد ختمه بكلمة الصدق فرضي عنه بتلك الكلمة الصادقة. وإذا حمد حمداً مع ترك الأدب، كانت كلمته مدخولة، فلا يستوجب الرضى. لأنه مع استيلاء الغفلة كحمد السكارى. وإذا رضي الله تعالى عن عبده، أثنى عليه وأحبه ملائكته.

قال (عليه السلام): «من شرب الماء بثلاثة أنفاس بدأ فسمى في كل مرة، وحمد كل مرة، سبح الماء في جوفه حتى يشرب ماء غيره»[2].

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الأدب ٣٨٠٥ ــ عن شبيب بن بشر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

(٢) الحديث أخره الديلمي في مسند الفردوس ــ عن علي ــ رضي الله عنه، ورواه السيوطي في الجامع الصغير بلفظ (اذا شربتم الماء فاشربوه معاً ولا تشربوه عباً فان العب يورث الكباد) وأشار السيوطي عليه بالضعف

وقوله : « إذا شربتم فمصوا »، لأن اللهاة تيبس من حرارة الجوف ولهبان الكبد، فتعطش اللهاة. فإذا مص الماء كان كثير البرودة على اللهاة، فيسكن العطش. فاستغنى عن كثرته، إذ كثرة الماء تتخم وتحدث داء كثيرة. فاذا مص أسرع إلى تسكين العطش، فاستغنى عن الازدياد، ولأنه أرفق لمجراه في العروق.

قال (عليه السلام): «لا تعبه عباً فإن الكباد من العب ».

فإنه إذا عب أضر بالكبد؛ لأنه مجمع العروق، ومنه تنقسم في العروق. فإذا عبه في دفعة واحدة، كان بمنزلة نهر فتحت مفتحه دفعة واحدة فدخل الماء جملة، لم يؤمن البثق والفساد. فكذا إذا شربه عباً لا مصاً لم تحتمل العروق وفاضت من المعدة إلى العروق. فربما كان على الطريق سدة في العروق فاحتبس الماء هناك، فدوي فصار خاماً، وقوي البلغم، فحدثت منه أدواء في النفس، وأورثت كسلاً عن عبادة الله تعالى وفتوراً. فمن لها عن تفقد ذلك يوشك أن يؤديه إلى ما هو أكبر منه. فكان عليه السلام شفيقاً على الأمة، رؤوفاً رحيماً، أن يؤديهم إلى الله تعالى مع زينة الإسلام، وبهاء الإيمان، فعلمهم تناول الطعام والشراب وكل شيء للنفس فيه حق. وقد طهره الله تعالى وأدبه، وأحيا قلبه ونفسه، فقبل أدبه، وصار مهذباً، وأمرنا بالاتساء به، فقال تعالى: ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾[1] وجعل الإتباع له علامة محبته في قلوب العباد فقال: ﴿ **إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾[2]. فأوجب محبته لمن اتبعه.

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٢١.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٣١.

الأصل السادس والثلاثون والمائتان

في أن النوم مع الطهر كالصوم مع القيام

عن عمرو بن حريث[1] (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «النائم الطاهر كالصائم القائم».

الصائم بترك الشهوات يطهر، وبقيامه بالليل يحيا. والنائم نوم العدة محتسباً إذا نام على طهارة بمنزلته فإن نفسه تعرج إلى الله تعالى. فإذا كان طاهراً، قرب فسجد تحت العرش.

قال عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما): تعرج الأرواح إلى الله تعالى في منامها، فما كان طاهراً سجد تحت العرش، وما كان غير طاهر سجد قاصياً. فلذلك يستحب أن لا ينام الرجل إلا وهو طاهر.

وقال أبو الدرداء (رضي الله عنه) إذا نام الإنسان عرج بنفسه

---

(١) هو عمر بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبدالله. له صحبة، روي عن النبي ﷺ، وعن أخيه سعيد بن حريث وأبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود، وسعيد بن زيد، وعنه ابنه جعفر وابن أخيه عمرو بن عبد الملك بن حريث ومولياه أصبغ وهارون. قال الواقدي: توفي النبي ﷺ وعمرو بن حريث ابن ثنتي عشرة سنة. وقال البخاري وغيره مات سنة خمس وثمانين، وقال ابن حبان في الصحابة ولد يوم بدر ومات سنة ٨٥.

حتى يؤتى بها إلى العرش. فإذا كان طاهراً، أذن لها في السجود. وإن كان جنباً، لم يؤذن لها في السجود.

وما قال أبو الدرداء (رضي الله عنه): «إن النفس تعرج» أصوب. فإنه يروى عن النبي ﷺ أنه قال: وكل بالنفوس شيطان يقال له الهوّ فهو يخيل إليها ويتراءى إلى أن ينتهي إذا عرج بها. فإذا انتهت إلى السماء فما رأت فهو الرؤيا التي تصدق. إلا أن عبدالله بن عمرو استجاز أن يسمي الروح باسم قرينها كالقلب والفؤاد، والنفس والروح قرينان. إلا ان الروح سماوي يدعو إلى الطاعة، ومسكنه في الرأس. والنفس أرضية تدعو إلى الشهوات. وقد وضع في كل واحد منهما شيء من الحياة، فيعمل بتلك الحياة. فبالنفس يأكل ويشرب، ويسمع ويبصر. وبالروح يعف ويستحيي، ويتكرم ويتلطف، ويعبد ربه ويطيع. والنفس هي الأمارة بالسوء، وهي حارة. والروح بارد. فإذا نام العبد، خرجت النفس بحرارتها، فعرج بها إلى الملكوت. والروح باق معلق بنياط القلب، يحرس القلب بما فيه من التوحيد. وأصل النفس باق، يتقيد بالروح وقد خرج شعاعها. قال الله تعالى: ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى** ﴾[1].

ولذلك تجد النائم استيقظ في أعضائه برداً في أيام الصيف؛ لخروج حرارة النفس.

والنفوس تشترك بين الآدمي والبهائم، وفضل الآدمي بالروح السماوي ليكون داعياً لنفسه إلى الطاعة. وإذا نام العبد، خرجت النفس، فلقيت من أمور الملكوت وأخبار الغيب ما يرجع إلى صاحبها بالعلم الشافي.

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٤٢.

قال (عليه السلام): رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة[1].

وقال أيضاً (عليه السلام): «لم يبق بعدي من النبوة شيء إلا المبشرات، رؤيا المؤمن»[2].

فإذا عرجت النفس، صارت إلى فناء العرش، فطهرت بقرب الله تعالى، وبالسجود الذي أذن لها، فرجعت إلى صاحبها طاهرة بالقرب، محبوة بكرامة السجود، فصارت بمنزلة الصائم الذي طهر بترك الشهوات وحيي بقيام الليل. فهذه منزلة الصادقين، استوى نومه على طهارة بصيامه وقيامه.

ولهذا قال معاذ (رضي الله عنه) لأبي موسى: إني أنام نصف الليل وأقوم نصفه فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي.

فأما منزلة الصديقين خاصة الله تعالى، فهي أرفع من هذا، فإن النوم

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب التعبير ٢ باب رؤيا الصالحين ٦٩٨٣ ــ عن مالك عن اسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

ورواه الإمام مسلم في الرؤيا ٦، ٧، ٨، ٩ وأبو داود في الأدب ٨٨ والترمذي في الرؤيا ١، ٢، ٦، ١٠ وابن ماجة في الرؤيا ١، ٣، ٦، ٩، والدارمي في الرؤيا ٢ وصاحب الموطأ في الرؤيا ١،٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٨، ٥٠، ٢١٩، ٢٣٢ (حلبي).

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب التعبير ٥ باب المبشرات ٦٩٩٠ عن الزهري حدثني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: سمعت رسول الله ﷺ وذكره، ورواه الإمام مسلم في الصلاة ٢٠٧، ٢٠٨ وأبو داود في الصلاة ١٤٣ والترمذي في الرؤيا ٢ والنسائي في التطبيق ٩، ٦٢ وابن ماجة في الرؤيا ١ وصاحب الموطأ في الرؤيا ٣ والدارمي في الرؤيا ٣ والصلاة ٧٧ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٢١٩، ٣ :٢٦٧ (حلبي).

عندهم أثر من القيام، لأن نفوسهم قد قلقت بين الأحشاء. فهي تطلب الانفلات إلى فسحة التوحيد إلى فحص العرش، وطلبت العقول الوصول إلى الله تعالى، فاغتنم ما تطلب النفس، فاقترنا فخرج العقل بحظه من القلب اشتياقاً إلى الله تعالى، وخرجت النفس اشتياقاً إلى فسحة العرش والروح الذي هناك. فإذا رجعا إلى البدن أوردا على الروح من الطهارات والكرامات ما لا يخطر على قلب بشر حتى يرتاح ويطهر. ولذلك كان رسول الله ﷺ يتوخى نوم السحر.

قالت عائشة (رضي الله عنها): ما ألقاه السحر عندي إلا نائماً.

فالسحر ساعة نزول الرب (سبحانه وتعالى) إلى السماء الدنيا واطلاعه على الخلق، والعطف عليهم، والنداء: ألا هل من داع فأستجيب له، ألا هل من تائب فأتوب عليه، ألا هل من سائل فأعطيه، ألا هل من مستغفر فأغفر له. وهو باسط يده لمسيء النهار أن يتوب بالليل. ثم يقول: من يقرض غير معدوم ولا مطول.

فكان (عليه السلام) يتوخى النوم في ذلك الوقت لعروج نفسه إلى الله تعالى فتلقاه في سمائه. وهذا أفضل عنده من قيامه. لأنه في حال القيام إنما يعرج إليه قلبه بعقله. وفي حالة النوم تعرج النفس والعقل والقلب. فاجتماع الثلاثة أفضل عنده. فخاصة الله تعالى نالوا هذا الحظ وتوخوا بنومهم ذلك، فصاروا أفضل من الصائمين القائمين. وأما الصادق فقد اعتدل نومه بصومه، ومكثه في نومه بقومته. وإليهم أشار ﷺ في الحديث. وهذا مثل قوله ﷺ: الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر.

فهذا شكر الصادقين، عدل شكره على طعامه بصبره في صيامه. فأما شكر الصديقين فقد فاق وبرز على صبر الصائمين. لأن الصبر ثبات العبد في مركزه عن الشهوات برد ما يهتاج منه من الشهوات

في وجه النفس. والشاكر من الصديقين يطعم ويفتتح طعامه ببسم الله الذي يملأ تسميته ما بين السماء والأرض، ويطفئ حرارة شهوته، ويرى لطف الله تعالى في ذلك الطعام، ورأفته به في سياقته إليه، ويحمد الله تعالى على ما يرى من صنعة الله تعالى في ذلك الطعام حمداً لا ينتهي، فقد بان تفاوت ما بين هذين الحالين.

وعند معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: أبطأ عنا رسول الله ﷺ بصلاة الفجر حتى كادت الشمس تدركنا، ثم خرج فصلى بنا، فخفف في صلاته، ثم إنصرف، فأقبل علينا بوجهه فقال: على مكانكم أخبركم بإبطائي عنكم اليوم في هذه الصلاة إني صليت في ليلتي هذه ما شاء الله تعالى، ثم ملكتني عيني فرأيت ربي في أحسن صورة وأجملها، فقال: يا محمد. قلت: لبيك يا رب. قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب. ثم قال: يا محمد. قلت: لبيك يا رب. قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب. قال: فوضع كفه بين كتفي، فوجدت برد أنامله بين ثديي، فعلمت من كل شيء وبصرته. ثم قال: يا محمد. قلت: لبيك يا رب. قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات. قال: وما هن؟ قلت: في المشي على الأقدام إلى الجماعات، وفي إسباغ الوضوء في السبرات، وفي القعود في المساجد بعد الصلوات. قال: ثم فيم؟ قال: قلت: وفي إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام. قال: سل. قلت: اللهم إني أسألك حب الحسنات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في خلقك فنجني إليك منها غير مفتون، اللهم وأسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك. ثم أقبل علينا فقال: تعلموهن وادرسوهن، فانهن حق[1].

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ١ : ٣٦٨ ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: وذكره. ورواه أيضاً في ٤ : ٦٦، ٥ : ٢٤٣، =

فانظر كم بين النومة والقومة. فهو قصد المشتاقين إلى الله تعالى في المنام، يتوخون بها تجدد أحوال النفوس، ويتوقعون من الله تعالى المنن. وكان أبو بكر (رضي الله عنه) يقول: لأن أسمع برؤيا صالحة أحب إلي من كذا وكذا.

= ٣٧٨ (حلبي) ورواه الدارمي في الرؤيا ١٢ ورواه الطبراني في الكبير وفيه عبدالله بن ابراهيم بن الحسين عن أبيه، ورواه أيضاً الطبراني في الأوسط والكبير وفيه أبو سعد البقال وهو مدلس وقد وثقه وكيع.

الأصل السابع والثلاثون والمائتان

في التعوذ بالله من الرغب

عن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «تعوذوا بالله من الرغب»[1]. قال: وكانت له ابنة رغيبة فدعا الله عليها فماتت.

الرغب كثرة الأكل والشبع مفقود حتى يحتاج صاحبه أن يثابر عليه في اليوم مرات، وذلك من غلبة الحرص ولهبان ناره، يهضم ذلك الطعام وينشف رطوبته حتى يسرع في يبسه، فيصير تفلاً يحتاج إلى أن ينفضه نفضاً.

وقال (عليه السلام): الرغب شؤم. لأن ذلك من جعامة النفس. وإذا كانت النفس جعمة، فصاحبها مفتون. وجعامة النفس من قلة حظه من الله تعالى، وبعد قلبه منه، وربة نفس مالت جعامتها إلى بطنه، فيكون مفتوناً ببطنه، ولذة حلقه، هالعاً لا يدع رطباً ولا يابساً. وربة نفس مالت جعامتها بها إلى فرجه، فكان منهوماً بذلك. وإذا عجز عنه فعلاً لكبر أو ضعف فقلبه منهوم، ولسانه رافث، وعينه طماحة

---

(١) قال السيوطي في الجامع الصغير: رواه الحكيم الترمذي من ابي سعيد ــ رضي الله عنه ــ وأشار على الحديث بالضعف

خائنة. قال (عليه السلام): أكثر ما يدخل الناس الجنة حسن الخلق، وأكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان، البطن والفرج.

وقال (عليه السلام): أشر ما في الإنسان شح هالع وجبن خالع[1].

والشح الهالع هو الحرص الذي له حريق في الجوف، وصاحبه لا يشبع. والجبن الخالع هو الذي إذا وقع الخوف في الرئة، انتفخ من الجبن وسوء الظن حتى يرحل القلب من مكانه، فيبقى معلقاً كالمتخلع. والرغب مشتق من الرغبة. والرغبة خلقت من أخلاق الكفر.

قال وهب (رضي الله عنه) : وجدت في الحكمة مكتوباً : بني الكفر على أربعة أركان: على الرغبة، والرهبة، والشهوة والغضب.

فالرغبة ربع الكفر. والمؤمن لا يرغب، بل يتناول على الحاجة، ولا يستمتع، بل يتزود لأنه مسافر، قد أيقن بالبعث، فهو في السير إلى ربه، فما أخذه من الدنيا أخذه تزوداً ليقطع مسافة أيام الدنيا إلى يوم مقدمه عليه بالموت الذي حل به. والكافر قد ركن إلى الدنيا ونعيمها، ولم يقر بالبعث، ولا اطمأن إلى أنه صائر إلى الله تعالى، وإلى ما يأمله المؤمن من الرجاء العظيم، والأمل الفسيح، فيأخذ من الدنيا أخذ متمتع، ويأكل أكل متشبع.

قال (عليه السلام): ما ملأ آدمي وعاء شراً له من بطن. بحسب

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الجهاد باب في الجرأة والجبن ٢٥١١ ــ حدثنا عبد الله عن الجراح عن عبد الله بن يزيد عن موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عبد العزيز بن مروان قال: سمعت رسول الله ﷺ ــ يقول: وذكره ورواه الامام أحمد في المسند ٢: ٣٠٢، ٣٢٠ (حلبي)

إبن آدم لقمات يقمن صلبه. فإن كان لا بد فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث نفس[1].

وقال (عليه السلام) لأبي جحيفة (رضي الله عنه) حيث تجشأ: يا أبا جحيفة أقصر من جشائك، فإن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا.

ويقال: الشبع أب الكفر، لأنه يحدث منه الأشر والبطر، ومنهما يتكبر ويتجبر.

وقال (عليه السلام): إن الله تعالى يحب القتير من أمتي. قيل: يا رسول الله وما القتير؟ قال: قليل الطعم.

وروي عن يحيى بن زكريا (عليهما الصلاة السلام) أنه قال لإبليس: هل وجدت مني شيئاً قط؟ قال: لا. إلا انك ربما شبعت فثقلت عن الصلاة. فعاهد الله تعالى أن لا يشبع حتى يخرج من الدنيا. فأمر (عليه السلام) بالتعوذ منه ليعافي من هذه الآفات إن شاء الله تعالى.

---

(١) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب الزهد باب ٤٧ ما جاء في كراهية كثرة الأكل ٢٣٨٠ حدثني أبو سلمة الحمصي وحبيب بن صالح عن يحيى بن جابر الطائي عن مقدام ابن معدي كرب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : وذكره. وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، ورواه الإمام أحمد في المسند ٤ : ١٣٢ (حلبي).

الأصل الثامن والثلاثون والمائتان

في سبب زيادة العمر

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بني أسبغ الوضوء يزد في عمرك»[1].

فزيادة العمر على وجهين: **أحدهما** أن العبد إذا عمر بالإيمان وبحياة القلب به فذاك كثير وإن قل مدته. لأن القصير من العمر إذا احتشى من الإيمان، أربى على الكثير. لأن المبتغي من العمر العبودة لله تعالى كي يصير عند الله تعالى وجيهاً. ألا ترى أن المعمرين من الرسل (عليهم السلام) كلهم عمروا ما بين المائتين إلى الألف، ومحمد ﷺ لبث في النبوة نيفاً وعشرين سنة، فأربى على الجميع وتقدمهم؛ لعظيم حشوه، ووفور حظه، ودنو قربه، حتى قال: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وان الله تعالى أعطاني خصالاً لم يعط أحداً قبلي، سميت

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة ٤٩ باب ما جاء في إسباغ الوضوء ٤٢٦ بسنده عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال: وذكره ورواه صاحب الموطأ عن عائشة ــ رضي الله عنها في كتاب الطهارة بزيادة [ويل للاعقاب من النار] وليس فيه [يزد في عمرك].

أحمد، ونصرت بالرعب، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لي الغنائم[1].

الوجه الثاني، أن الله تعالى قدر الآجال والأرزاق والحظوظ من أهلها، فجعل بعضها واجبة وبعضها هدية، ثم أثبت ذلك في الكتاب الذي عنده، لا يطلع عليه أحد، ومنه نسخ إلى اللوح، فيمحو من ذلك الأم ما شاء ويثبت ما شاء. وإنما يمحو من الهدايا بالأحداث التي تكون من أهلها في الأرض. فأما الواجبات فقد وجبت لأهلها. فإذا حافظ المؤمن على الوضوء وأسبغه، فإنما يدوم هذا الفعل لوفارة إيمانه واتساع صدره شرحاً للإسلام. فهداياه في أم الكتاب مثبتة. تربو بحفظه وصونه للهدايا. فإذا استخف بها، دخل التخليط في إيمانه، وذهبت الوفارة، وانتقص من كل شيء، بمنزلة الشمس التي ينكسف طرف منها. فبقدر ما انكسف ولو مقدار رأس إبرة، انتقص من شعاعها وإشراقها. فكذلك نور المعرفة بقدر ما ينكسف من شمسها ينتقص من جميع أعماله وأخلاقه وسيرته في الدين بين يدي الله تعالى، لأن القلب صار محجوباً. ومن حجب عن الله تعالى بمقدار رأس إبرة فزوال الدنيا بكليتها أهون من ذلك. فلا يزال العبد ينتقص ويدوم ويتراكم نقصانه وهو أبله لا ينتبه بذلك حتى يستوجب الحرمان، فتمحى الهدية ويبقى العبد خالياً. ولو قد عقل لما حل به وانتبه له، لم يزل صارخاً إلى الله تعالى حتى تثبت له الهدية ويزاد في العمر، فيؤخر أجله، ويزاد في رزقه وقوته في أعمال الدين والدنيا، ويزاد في البركة في كل شيء منه.

وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن الرجل ليبقى من أجله ثلاثة أيام فيصل رحمه، فيزيد الله تعالى في عمره ثلاثين سنة[2].

---

(١) سيأتي تخريج هذا الحديث قريباً من هذا.

(٢) لم نعثر على هذا الأثر على كثرة البحث والتقصي، ولعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر

وكيف لا يزاد في عمره وقد تعلق بقميص الرحمة. والأخبار مستفيضة في نسأ من أعمال البر أنه يزاد في عمره ثواباً لتلك الأعمال. فذلك عاجل الثواب، بشرى لما أعد له في الآخرة من الثواب.

وعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: تذاكرنا زيادة العمر عند رسول الله ﷺ فقال: لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها، زيادة العمر ذرية صالحة يرزقها الله تعالى العبد، يدعون له بعد موته، يلحقه دعاؤهم فذلك الزيادة في العمر.

وعن أنس (رضي الله عنه) قال رسول الله ﷺ: من كان يريد أن يبسط عليه في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه[1].

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ٢٠ (٢٥٥٧) عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره، ورواه البخاري في كتاب الأدب ١٢ والبيوع ١٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ١٥٦، ٢٤٧، ٢٦٦، ٥ : ٢٧٩ (حلبي).

الأصل التاسع والثلاثون والمائتان

في خصائص النبي الأمي. وفي سر قوله: أعطيت خمساً... إلخ

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت خمساً لم يعطهن نبي من قبلي، ولا أفخر. بعثت إلى الأسود والأحمر، وكان النبي قبلي يبعث إلى قومه. وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً. ونصرت بالرعب أمامي مسيرة شهر. وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي. وأعطيت الشفاعة فدخرتها لأمتي، فهي نائلة إن شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيئاً[1].

الرسول ﷺ مبعوث إلى الخلق بمنزلة الأمير المؤمر، يعطي الإمارة والولاية والرعاية. فهو بمنزلة الراعي يرعى غنمه في مراعي تسمن عليها، ويوردهم صفو الماء، ويرتاد لهم في الصيف مشتاهم، وفي الشتاء

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب التيمم ٣٣٥ بسنده عن جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ: قال: وذكره وهذا يختلف عن رواية مسلم: فضلت على الأنبياء بست فذكر أربعاً من هذه الخمس وزاد ثنتين. ورواه أيضاً في كتاب الصلاة ٥٦ والغسل ٢٦ والدارمي في السير ٢٨.

مصيفهم، ويعدُّ لهم لكل ليلة مأوى قبل هجومه، ويفر بها عن مراتع الهلكة، ويجنبها الأرضين الوبئة، ويحرسها من السباع، ويحوطها عن الشذوذ، ويلحق شذاذها، ويجبر كسيرها، ويداوي مريضها، ويجمع رسلها من الألبان والصوف لرب الغنم. فهذا راع ناصح لمولاه، وأجره موفور عليه يوم الجزاء ومتوقع من رب الغنم أفضل هدية على قدر ملكه.

فالرسول (عليه السلام) هو راعي الخلق. والخلق غنمه بعث ليرعاهم، فشرع لكل خارجة في واديها ماذا تباشر وماذا تجتنب. فأحل من كل خارجة بعضاً وحرم بعضاً، وأوردهم من المياه أصفاها، وهو العلم الصافي. وهيأ لهم المشتى والمصيف، وهو الاستعداد في الحياة وأيام الصحة والقوة قبل الهرم، والمرض قبل الموت. وأعد لهم المأوى، فبين لهم عند حدوث الفتن، كالليل المظلم إلى أين يأوون، وبمن يعتصمون، ويعزلهم عن مراتع الهلكة، وهي الشهوات الدنيوية المشوبة بالحرص، ويجنبهم الأرض الوبئة، وهي الأفراح التي تحل بالقلب منها فيوبأ، ويمرض منها القلب، ويحرسهم عن الشذوذ مخافة الذئاب، وهو العدو، ويجبر كسيرهم إذا وقعوا في المعاصي، ويدعوهم إلى التوبة ويعينهم عليها، حتى يجبر كسيرهم، ويداوي مريضهم، وهو أن يعظ مفتونهم حتى يخلصهم بالمواعظ من فتن النفوس، ويحمل بهماتهم، وهو أن يدعو لهم ويستغفر لهم، ويسأل الله تعالى قبول أعمالهم. فهذا راع.

وهو مع ذلك أمير يؤدبهم ويحملهم على المكاره ويسوقهم، ويسير بهم بسوط الأدب على مشارع الاستقامة، ليوافي بهم الموقف بين يدي الله (عز وجل). فكل راع إلا ومعه عصا يهش بها على الغنم ويؤدبهم بها. وقد ذكر سبحانه عصا موسى (عليه السلام) في تنزيله. فكل راع مؤنته على قدر غنمه، وكل أمير مؤنته على قدر رعيته. فالأمير المبعوث إلى كورة محتاج على قدر ولايته إلى آلة الولاية من

الخدم والدواب والمراكب والكنوز على قدر ولايته لينفق في إمارته. فمن أمر على مجارستان، فهو أقل حظاً من هذه الأشياء التي وصفنا. ومن أمر على خراسان، كانت حاجته إلى ما ذكرنا أكثر. ومن كان أمير المؤمنين، يحتاج إلى كنز عظيم. ومن ملك المشرق والمغرب احتاج إلى خزائن الأموال حتى يضبط بها ذلك الملك. فكذلك كل رسول بعث إلى قوم أعطي من كنز التوحيد وجواهر المعرفة على قدر ما حمل من الرسالة. فالمرسل إلى قومه في ناحية من الأرض إنما يعطى من النبوة والكنوز على قدر ما يقوم به في شأن نبوته ورعاية قومه. والمرسل إلى جميع أهل الأرض كافة إنسها وجنها (عليه السلام) أعطي من المعرفة بقدر ما يقوم بها في شأن النبوة إلى جميع أهل الأرض كافة. فحظنا من قوله (عليه السلام): بعثت إلى الأحمر والأسود. وقوله تعالى له: ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس** ﴾[1] كحظه من ولاية ملك يملك الدنيا وجواهر شرقها وغربها وما بينهما. ومن ملك الأرض كلها ملك جواهرها ومعادنها. ومن ملك ناحية من الأرض ليس له إلا معدن ناحيته وجوهر ذلك المعدن. فلذلك قال (عليه السلام): «اختصر لي الكلام وأوتيت جوامع الكلم»[2].

ولذلك صار كتابه مهيمناً على الكتب، وصار القرآن الكريم مشتملاً على التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وبقي المفصل نافلة لهذه الأمة خاصة، وأوحى إليه بالعربية التي برزت على سائر اللغات بالاتساع، وهي لسان أهل الجنة. ولما أُعطي الرسالة إلى الكافة أعطي من الكنوز

---

(١) سورة سبأ آية رقم ٢٨.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب المساجد ٥ (٥٢٣) عن العلاء عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره ورواه البخاري في كتاب التعبير ١١ باب رؤيا الليل ٦٩٩٨ عن محمد عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ وذكره ورواه الترمذي في السير ٥ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٧٢، ٢١٢، ٢٥٠، ٢٦٤ (حلبي).

مقدار الكفاية للجميع، وأوتي من الحكمة وجواهرها كلها، وأوتي ختم الرسالة والرعب. فبجواهر الرسالة قوي على علم مختصر الحديث وجوامع الكلم.

وكان التوراة يحملها سبعون جملاً موقرة، والزبور من بعدها، والإنجيل من بعده، فجمع له ذلك كله في القرآن الكريم، والفرقان في فاتحة الكتاب. ولذلك سمي أم الكتاب. قال تعالى: ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم** ﴾[1]. وهي سبع آيات، سميت مثاني لأن الله تعالى جمع الكتب كلها في اللوح المحفوظ، ثم أنزل منها على كل رسول ما علم أنه محتاج إليه هو وأمته، واستثنى فاتحة الكتاب من جميع ذلك، وخزنها لهذه الأمة. فجميع علم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان مستخرج من أم القرآن والقرآن مستخرج من أمه وسائر الكتب في القرآن.

قال (عليه السلام): «أوتيت السبع (يعني الطول) مكان التوراة، وأعطيت المثاني مكان الإنجيل، وأعطيت المتين مكان الزبور، وفضلت بالمفصل»[2].

فمن عمي قلبه عن الله، ولم يكن في قلبه نور الهداية، لم يبصر آثار النبوة على محمد ﷺ، وإنما يبصر منه شخصه وجثته. قال تعالى: ﴿ **وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون** ﴾[3].

ومن هداه الله تعالى لنوره فانفتح عين قلبه بذلك، واستقرت المعرفة

---

(١) سورة الحجر آية رقم ٨٧.

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٤ : ١٠٧ ــ ثنا سليمان بن داود أبو داود الطيالسي قال أنا عمران القطان عن قتادة عن أبي المليح الهذلي عن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: وذكره.

(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٩٨.

في قلبه، أبصر منه شخص النبوة بارزاً من الحياة، والذكاء، واليقظة، والانقياد، والسرعة، والبراز، والسبق، والسماحة، والكرم، والسعة، والجود، والحياء، والسكينة، والوقار، والحلم. ومن الأفعال السواك، والحجامة، والتعطر، والجماع، ويرى على شخص النبوة شخص الرسالة فائقاً من الجلال، والبهاء، والنزاهة، والحلاوة، والطلاوة، والملاحة، والمهابة، والسلطان. وأصل هذا كله من اليقين والحب والحياة. وإنما نال المؤمنون من معرفة محمد ﷺ على قدر معرفتهم بالله وعلمهم به. فمن صدق محمداً ﷺ في الصحبة، كان صدق صحبته على قدر معرفته إياه وعلمه به. وعلى حسب ذلك كان يتراآى لبصر عينه في الظاهر ما عددنا من الخلال. فأوفرهم حظاً من نور الله أوفرهم علماً به وقدره وجلاله، وخطير منزلته. وأوفرهم علماً به أسرعهم إجابةً لدعوته، وأبذلهم نفساً ومالاً.

ألا ترى أن أبا بكر (رضي الله عنه) لما أفشى إليه رسول الله ﷺ أنه مبعوث صدقه على المكان، ولم يتردد ولم يضطرب. وقال علي (كرم الله وجهه) حتى أسأل أبي، ثم رجع عن الطريق وصدقه. وصدقه عمر بعد مدة وبعدما أسلم تسع وثلاثون نفساً، فتم بإسلامه عدد الأربعين بعد دعوة رسول الله ﷺ ليلة أسلم من الغد: «اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام». (يعني أبا جهل)[1]. فجرت الدعوة من عدو الله عمرو إلى محق الله عمر

---

(١) الحديث رواه الترمذي في المناقب باب ١٨ في مناقب عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ ٣٦٨١ عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. ورواه ابن ماجة في المقدمة ١٠٥ عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ وذكره.

في الزوائد: حديث عائشة ضعيف، فيه عبد الملك بن الماجشون ضعفه بعض، وذكره ابن حبان في الثقات، وفيه مسلم بن خالد الزنجي. قال البخاري: منكر الحديث، وضعفه أبو حاتم والنسائي وغيرهم ووثقه ابن معين وابن حبان.

(رضي الله عنه)، فسعد عمر (رضي الله عنه) وشقي عمرو، ودل اسماهما على حظيهما من الله تعالى، ومقدار الكائن من أمريهما لأن عمر (رضي الله عنه) أول اسمه مضموم مثقل. والمضموم الذي قد آواه الله وضمه إلى باله. وعمرو أول اسمه مفتوح مخفف. والمفتوح هو الذي أهمله الله تعالى وأخرجه من باله. فضمة أول اسم عمر (رضي الله عنه) دليل على أنه كان مضموماً إلى بال الله تعالى، فأعز الله تعالى به الإسلام عزاً حتى صار بمحل أن جاء جبريل (عليه السلام) فقال: يا محمد أقرئ عمر السلام، وأخبره أن غضبه عز، ورضاه حكم.

وفتحة أول الاسم في عمرو تدل على أنه خرج من بال الله تعالى، وقد انكشف الغطاء عن شأنه، فكانت كنيته في قريش أبا الحكم، فجرت كنيته في أهل الإسلام بأبي جهل، وعلى حسب خروجه من بال الله تعالى عظمت آفته على رسول الله ﷺ وعلى الإسلام، حتى قتله الله تعالى أذل قتلة، وقد أكرم الله رسوله (عليه السلام) وأبرز فضيلته وكرامته بأن جعل لكل نبي وزيراً، وجعل لمحمد ﷺ أربعة من الوزراء. فأبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) وزيرا الرسالة، وعثمان وعلي (رضي الله عنهما) وزيرا النبوة. ثم نحلهم من الحظوظ من عنده، فحظ أبي بكر (رضي الله عنه) منه العصمة والحياء، وحظ عمر (رضي الله عنه) الحق والوكالة، وحظ عثمان (رضي الله عنه) النور والحياء، وحظ علي (رضي الله عنه) الحرمة والخلة. فتفاوت أعمالهم في صحبتهم الرسول (عليه السلام) أيام الحياة، وفي سيرتهم في الأمة بعده على قدر حظوظهم. فلما أحس رسول الله ﷺ بالإرتحال إلى الله تعالى من الدنيا، وابتدئ له في وجعه، وعجز عن الخروج إلى الصلاة بالأمة، أمر أبا بكر (رضي الله عنه) بالصلاة، فاتفقت الأمة على أنه هو الذي ولي الصلاة.

وكان من صنع الله تعالى للأمة أن خفف الله عنه يوم قبض، فخرج

والمسلمون في صلاة الغداة ورجلاه يخطان الأرض، حتى جلس إلى جنب أبي بكر (رضي الله عنه) فصلى؛ ليعلم الجميع أنه رضي بذلك من فعله؛ لئلا يبقى لمعاند أو طاعن مقال أنه لم يأمر بذلك، أو أمره وهو مغلوب على عقله لشدة علته. فأظهر الله ذلك بما خفف عنه حتى خرج وقعد إلى جنبه، فصلى من حيث انتهى أبو بكر (رضي الله عنه). ثم صار المتأولون لذلك على صنفين: منهم من يقول: أبو بكر هو الإمام، وصلى رسول الله ﷺ بصلاته. ومنهم من قال: بل رسول الله ﷺ الإمام وأبو بكر المقتدي.

قال أنس (رضي الله عنه): آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ خلف أبي بكر.

وقال أبو بكر (رضي الله عنه): آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ خلفي في ثوب واحد.

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه. جاءه بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. قلت: إن أبا بكر رجل أسيف، ومتى ما يقوم مقامك يبكي فلا يستطيع، فلو أمرت عمر يصلي بالناس. قال: مروا أبا بكر يصلي بالناس فانكن صواحبات يوسف[1]. قالت: فأرسلنا إلى أبي بكر، فخرج يصلي بالناس، فوجد النبي ﷺ من نفسه خفة فخرج وهو يهادي بين رجلين ورجلاه يخطان بالأرض، فلما أحس به أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه أن مكانك، فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب المناقب ٣٦٧٢ حدثنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ قال: وذكره، ورواه البخاري في كتاب الأنبياء ١٩ وصاحب الموطأ سفر ٨٣ والدارمي في المقدمة ١٤ وأحمد بن حنبل في المسند ٦ : ٩٦، ١٠٩، ٢٠٢، ٢١٠ (حلبي).

إلى جنبه، فكان أبو بكر يأتم بالنبي (عليه السلام) والناس يأتمون بأبي بكر.

وروى عبدالله بن زمعة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: مروا مَنْ يصلي بالناس، فخرجت فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائباً، فقلت: يا عمر صل بالناس، فقام، فلما كبر، سمع صوته رسول الله ﷺ وكان رجلاً مجهراً، فقال: هذا صوت ابن الخطاب، فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون. فقال عمر: ويحك يا ابن زمعة ماذا صنعت بي؟ ما ظننت إذ قلت لي إلا ان رسول الله ﷺ أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليت بالناس. فقال: والله ما أمرني، ولكن لم أر أبا بكر فرأيتك أحق من حضر بالصلاة[1].

وحديث عائشة (رضي الله عنها) حيث قالت: إن أبا بكر (رضي الله عنه) يصلي. فصلاة رسول الله ﷺ محسبة منها. هكذا حسبت وهي في البيت.

وحديث أنس (رضي الله عنه) أصح؛ لأنه خارج مع رسول الله ﷺ على رأي العين، ولأنه روى أن أبا بكر (رضي الله عنه) ذهب ليتأخر، ولو كان رسول الله ﷺ هو الإمام، لكان لا يحبسه عن التأخر، وكان يقوم مقام الأئمة، ولأن أبا بكر (رضي الله عنه) قال: آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ خلفي. وأبو بكر (رضي الله عنه) أعلم بهذه القصة من جميع الناس. فثبت أن أبا بكر (رضي الله عنه) هو الذي ولي الصلاة. والصلاة عماد الدين، وأول شيء فرضه الله تعالى يوم أوحى إليه. والصلاة إقبال الله تعالى على العبيد ليقبلوا إليه

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب السنة ٤٦٦٠ ــ عن محمد بن اسحاق قال: حدثني الزهري، حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام عن أبيه عن عبدالله بن زمعة قال: وذكره.

في صورة العبيد تذللاً بالوقوف، وتسلماً بالتكبير، وتبذلاً بالثناء والتلاوة، وتخضعاً بالركوع، وتخشعاً بالسجود، وترغبا بالجلوس، وتملقاً بالتشهد.

وقال (عليه السلام): الصلاة عماد الدين[1]. وقال (عليه السلام): الصلاة نور[2]. وقال (عليه السلام): إن الله تعالى جعل قرة عيني في الصلاة[3].

فأبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) لهما وزارة الرسالة، وحاجة الخلق إلى الرسالة أمسُّ. ولذلك قال رسول الله ﷺ: اقتدوا بالذين من بعدي أبو بكر وعمر[4].

فالحاجة إلى الاقتداء بالرسالة آكد. ولذلك أمر رسول الله ﷺ بما عليه مدار الدين أبا بكر (رضي الله عنه) أن يتقدم ليتبعه الأمة ويقتدي. فلما رأى أبو بكر (رضي الله عنه) قوة ما أعطي من تقلده لضمان الصلاة عن الله تعالى لعبيده وعن العبيد لله تعالى، ثم عن الله

---

(١) الحديث أخرجه الامام الترمذي في كتاب الايمان ٨ بلفظ (رأس الأمر كله الاسلام وعموده الصلاة) وأحمد بن حنبل في المسند ٥: ٢٣١، ٢٣٧ (حلبي)

(٢) الحديث أخرجه الامام مسلم بسنده في كتاب الطهارة ١ ــ ٢٢٣ ــ بسنده عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ــ ﷺ وذكره.
ورواه الترمذي في الدعوات ٨٥ والنسائي في الزكاة ١ وابن ماجة في الطهارة ٥ والزهد ٢٢ والدارمي في الوضوء ٢ واحمد بن حنبل في المسند ٥: ٣٤٢ ــ ٣٤٤ (حلبي).

(٣) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٣: ١٢٨ ــ ثنا أبو عبيدة عن سلام أبي المنذر عن ثابت عن أنس ان النبي ــ ﷺ قال: وذكره.

(٤) الحديث أخرجه الامام الترمذي في كتاب المناقب باب ١٦ حدثنا سفيان بن عيينه عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ وذكره قال الترمذي: هذا حديث حسن.
ورواه ابن ماجة.

تعالى للعبيد في مرض الرسول ﷺ أحس بالتأييد من الله تعالى بعد وفاته (عليه السلام) أن الله تعالى مؤيده فيما دون الصلاة من أمور الشريعة، وتقلد خلافة رسول الله ﷺ لأمته. ولذلك قالت المهاجرون والأنصار (رضي الله عنهم) في وقت المشورة: قدمك رسول الله ﷺ فمن يؤخرك؟ فبايعوه.

ومما يحقق أنهما وزيرا الرسالة ما روي أبو أمامة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إني رأيتني أدخلت الجنة، فلما خرجت منها أتيت بكفة فوضعت، ووضعت أمتي في الكفة الأخرى، فرجحت بأمتي، ثم رفعت، ثم جيء بأبي بكر فوضع في كفة الميزان، وجيء بأمتي فوضعت في الكفة الأخرى، فرجح بها. ثم رفع أبو بكر وجيء بعمر، فوضع في كفة الميزان، ثم جيء بأمتي فوضعت في الكفة الأخرى، فرجح بها، ثم رفع الميزان إلى السماء[1].

وفي رواية سفينة مولى أم سلمة (رضي الله عنهما): خلافة النبوة ثلاثون عاماً، ثم يكون ملكاً[2]. فقال سفينة: أمسك سنتي أبي بكر، وعشر عمر، وثنتي عشر عثمان، وست علي.

---

(١) الحديث أخرجه الامام أحمد في المسند: ثنا الهذيل بن ميمون الكوفي الجعفي كان يجلس في مسجد المدينة يعني مدينة أبي جعفر قال عبد الله هنا شيخ قديم كوفي عن مطرح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره في المقدمة ١١ وأحمد بن حنبل في المسند ٥: ٣٨٢ (حلبي)

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الفتن ٢٢٢٦ بسنده عن سعيد ابن جهمان قال: حدثني سفينة قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ وذكره. قال الترمذي: وهذا حديث حسن قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان ولا نعرفه إلا منه ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٤: ٢٧٣ وأبو داود في السنن ٨.

فمضى أبو بكر محموداً بنعمة الله تعالى عليه في الخلافة. ثم نظر بحظه من الله تعالى، وبما وجد من تأييد الله تعالى بعد الرسول (عليه السلام) نظراً شافياً لحق الله ثم لنفسه، فلم ير أحداً أحق بأن يخلف خلافة رسول الله ﷺ من عمر (رضي الله عنه). وقد كان المهاجرون والأنصار حوله، فاختار منهم عمر (رضي الله عنه)، ورأى الحق له حتى جادلوه، فقالوا له: استخلفت علينا فظاً غليظاً فماذا تقول لربك؟ قال: أتهددوني وتخوفوني بربي، أقول استخلفت عليهم يا رب خير أهلك فمضى بسبيله وولي الأمر عمر من بعده، فحقق فراسة أبي بكر (رضي الله عنه) وإلهامه، ووطأ الإسلام ومهده وزينه وأعزه.

وقال فيه النبي ﷺ: ما من أمة إلا ولها محدث، فإن يك في أمتي فعمر منهم[1]. وقال (عليه السلام): إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه[2].

وقال أيضاً (عليه السلام): الحق بعدي مع عمر حيث كان.

وقال (عليه السلام): لو كان بعدي نبي لكان عمر .

قد امتثل أبو بكر (رضي الله عنه) هذه الأشياء مع إلهامه وفراسته فاستخلفه، ففتح الله الفتوح على يده، ومصر الأمصار، ودرَّ الأرزاق، وبث السرايا وجنود الله في نواحي أقطار الأرض، حتى تمهد الإسلام

---

(١) الحديث أخرجه الامام مسلم في فضائل الصحابة ٢٣ (٢٣٩٨) عن ابراهيم بن سعد عن أبيه سعد بن ابراهيم عن أبي سلمة عن عائشة عن النبي ــ ﷺ ــ أنه كان يقول وذكره.
ورواه الامام البخاري في فضائل الصحابة ٦ وفي الأنبياء ٤٥ والترمذي في المناقب ١٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٦: ٥٥ (حلبي).

(٢) الحديث رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار رجال الصحيح غير الجهم بن أبي الجهم وهو ثقة ذكره صاحب مجمع الزوائد في باب: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه

في الوطن الذي منه بدا، ثم أكرمه الله تعالى بالشهادة، ففوض ذلك إلى ستة نفر أزكن فيهم الخير وأحسن بهم الظن، ولو وجد فيهم مساغاً للفراسة أو حظاً من الإلهام لنصه باسمه، ولكنه انسد عليه باب الفراسة وانقطع حظ الإلهام، فرأى التفويض إلى هؤلاء خيراً من إهمال أمر الأمة، فقبض إلى الله، وترك الأمر شورى بينهم، فاختاروا من بينهم واحداً بعد الاحتياط والتأني والتشاور، وافتقدت الأمة وزارة الرسالة، وحضرت نوبة وزارة النبوة، فاتفق أمر الستة على أحد وزيري النبوة، إذ لم يبق منهم من الأربعة إلا هذين عثمان وعلي (رضي الله عنهما)، فلم يزالوا يستخيرون الله تعالى حتى اتفقوا على عثمان (رضي الله عنه)، ثم أقبلت الدنيا وجاء كفران النعمة، وهاجت الفتنة، وعز اليقين، وأدبر الحق راجعاً إلى الله تعالى عند إقبال الدنيا، وذهبت حياة القلوب لكفران النعمة وتبديل الأمور وغلبة الهوى، حتى قتل عثمان (رضي الله عنه)، وجاءت نوبة علي (كرم الله وجهه)، والزمان بتلك الحال. فلم يبق لوزارة النبوة من القوة ما يقوم مقام أبي بكر ولا عمر (رضي الله عنهما). بايعوا أبا بكر (رضي الله عنه)، وسلوا على أهل الردة سيوفهم فلم يغمدوها، ولم يخذلوه، ولم ينكثوا البيعة، وبقي السيف مسلولاً إلى انقضاء وزارة الرسالة بموت عمر (رضي الله عنه)، وبايعوا علياً (كرم الله وجهه) في وقته، ثم نكثوا بيعته وسلوا السيوف عليه، وآخرون بايعوه وسلوا السيوف له، ثم خرجوا عليه مارقين، وآخرون بايعوه وسلوا السيوف له وهم أهل الكوفة، ثم خذلوه، وآخرون امتنعوا من بيعته وأبوا خلافته وحاربوه. ولو كانت له وزارة الرسالة لصارت القلوب كلها له كقلب واحد، وكانت الفئة القليلة المستضعفة يغلبون الفئة الكثيرة كما كان في زمن أبي بكر (رضي الله عنه). ومن لحظ إلى علي (رضي الله عنه) بالقرابة والختونة ومعاني ليس في هذا الأمر من شيء، إنما هذا أمر الرسالة، وإنما يقوم بها القائم، ويقوى بها بحظه من الله الذي ضمن حشو الرسالة.

وأما القرابة والميراث ومقالات جاءت عن رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[1]. فلعلي (رضي الله عنه) من الفضائل والمناقب ما يستحق أن يوالي من والاه، ويعادي من عاداه، وليس في ذلك ما يثبت له الخلافة ويقدم على أبي بكر (رضي الله عنه).

قال فضيل بن مرزوق: سألت عمران بن علي: هل فيكم إنسان مفترض طاعته تعرفون له ذلك، ومن لم يعرفه فمات مات ميتة جاهلية؟ قال: لا والله، ما هذا فينا، فهو كذاب. قلت له: إن ناساً يقولون: ان رسول الله ﷺ أوصى إلى علي (رضي الله عنه)، وان علياً (رضي الله عنه) أوصى إلى الحسن (رضي الله عنه)، وأن الحسن أوصى إلى الحسين (رضي الله عنهما)، وأن الحسين أوصى إلى علي ابن الحسين. فقال: والله لما مات أبي وما أوصى بحرفين، وان هؤلاء لمتأكلون بنا.

قال: وسمعت الحسن بن الحسين أخا عبدالله بن الحسين (رضي الله عنهم) وهو يقول لرجل ممن يغلوا فيهم: ويحكم أحبونا في الله. فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فابغضونا. فقال الرجل: إنكم لذو قرابة من رسول الله ﷺ. فقال: والله لو كان الله نافعاً بقرابة منه لنفع بذلك أقرب منه أباه وأمه، والله إني لأخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين كما يؤتي المحسن منا أجره مرتين.

ولو كان الأمر على ما يقولون أن رسول الله ﷺ أوصى إلى علي وأمره بالقيام بالأمر بعده ثم ترك على ما أمره رسول الله ﷺ، لكان علي في ذلك أعظم الناس خطيئة وجرماً، إذ ترك ما أمره رسول الله

---

(١) رواه الطبراني، وأحمد والضياء في المختارة عن زيد بن أرقم وعلي وثلاثين من الصحابة بلفظ: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه فالحديث متواتر أو مشهور.

ﷺ. فقال له الرافضي[1]: ألم يقل رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»؟ فقال: والله لوعنى به الامرة والسلطان لأفصح لهم كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة، فقال: هذا ولي أمركم من بعدي. فما كان وراء هذا فإن أنصح الناس للناس كان رسول الله ﷺ.

وعن زيد بن علي قال لبعضهم: ويلك من يخاف رسول الله ﷺ حتى تعرض بالخلافة.

فهؤلاء الغلاة قد تعلقوا بمثل هذه الأشياء حتى خرجوا إلى شتم وزيري رسول الله ﷺ ونسبوهما إلى الاغتصاب لحق الله تعالى.

قال ﷺ: «إن لي وزيرين من أهل السماء، ووزيرين من أهل الأرض. فوزيريَّ من أهل السماء جبرئيل وميكائيل (عليهما السلام)، ووزيريَّ من أهل الأرض أبو بكر وعمر»[2].

وخرج (عليه السلام) ويمينه على أبي بكر وشماله على عمر، فقال: هكذا نبعث يوم القيامة[3].

---

(١) الروافض الذين كانوا مع زيد بن علي ثم رفضوه لأنهم طلبوا اليه أن يتبرأ من الشيخين فقال: لقد كانا وزيري جدي فلا اتبرأ منهما فرفضوه وتفرقوا عنه. وقد يطلق اسم الرفض على كل من يتولى أهل البيت وعلى هذا قال الشاعر:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان اني رافض

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب المناقب ٣٦٨٠ عن أبي الجحاف عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ وذكره. قال الترمذي: هذا حديث غريب وأبو الجحاف اسمه داود بن أبي عوف.

(٣) الحديث رواه الترمذي في كتاب المناقب ٣٦٦٩ حدثنا سعيد بن مسلمة عن اسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله ــ ﷺ ــ خرج ذات يوم ودخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله. وذكره.

وقال (عليه السلام): أحشر أنا وأبو بكر وعمر ونحن مشرفون على الناس هكذا. وأشار بأصابعه الثلاث. وكان سبابته أطول من الوسطى[1].

وعن أسيد بن صفوان (رضي الله عنه) قال: لما قبض أبو بكر ارتجت المدينة بالبكاء كيوم قبض رسول الله ﷺ فسجوه، وجاء علي (رضي الله عنه) باكياً مسرعاً مسترجعاً، وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة. حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر مسجى فقال:

رحمك الله يا أبا بكر، كنت إلف رسول الله وأنيسه، وثقته وموضع سره ومشاورته، كنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم عناء في دين الله، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأجدّ بهم على الإسلام، وأيمنهم على أصحابه، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوالف، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هدياً وسمتاً ورحمة وفضلاً وخلقاً، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، وأوثقهم عنده، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ والمسلمين خيراً.

كنت عنده بمنزلة السمع والبصر، صدقت رسول الله حين كذبه الناس، فسماك الله في التنزيل صديقاً، فقال: ﴿ **والذي جاء بالصدق وصدق به..** ﴾[2] وآسيته حين بخلوا، وقمت معه عند المكاره حين قعدوا، وصحبته في الشدة أحسن الصحبة ثاني اثنين وصاحبه في الغار، والمنزل عليه السكينة، ورفيقه في الهجرة، خلفته في دين الله، وأمته أحسن الخلافة حين ارتد الناس.

وقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي، نهضت حين وهن أصحابك،

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

(٢) سورة الزمر آية رقم ٣٣.

وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسوله إذ وهنوا.

كنت خليفته حقاً، لم تنازع ولم تصدع برغم المنافقين، وكبت الكافرين، وكره الكارهين، وصغر الفاسقين، وغيظ الباغين.

قمت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تتعتعوا، مضيت بنور إذ وقفوا، فاتبعوك فهدوا.

كنت أخضعهم صوتاً، وأعلاهم فوقاً، أقلهم كلاماً وأصوبهم منطقاً، أطولهم صمتاً وأبلغهم قولاً، أكبرهم رأياً وأشجعهم نفساً، وأعرفهم بالأمور، وأشرفهم عملاً.

كنت والله في الدين يعسوباً[1] أولاً حين نفر الناس عنه وآخراً حين قفلوا، كنت للمؤمنين أباً رحيماً إذ صاروا عليك عيالاً، فحملت أثقال ما ضعفوا، ورعيت ما أهملوا، وحفظت ما أضاعوا، لعلمك ما جهلوا، فشمرت إذ خنعوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ جزعوا، فأدركت أوتار ما طلبوا، وراجعوا رشدهم برأيك، فظفروا ونالوا بك ما لم يحتسبوا.

كنت على الكافرين عذاباً صبيباً ونهباً، وللمؤمنين رحمة وإنساً وحصناً، فطرت والله بفنائها، وفزت بحبائها، وذهبت بفضائلها، وأدركت سوابقها، لم تغلل حجتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك، ولم يزغ قلبك ولم يخف.

كنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف، وكنت كما قال رسول الله ﷺ أأمنّ الناس عليه في صحبتك وذات يدك، وكما

---

(١) العسب: بوزن العَذْب كراء ضراب الفحل، وعسْب الفحل أيضاً ضرابه وقيل ماؤه، واليعسوب بوزن اليعقوب ملك النحل.

قال ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، جليلاً في أعين المؤمنين، كبيراً في أنفسهم، لم يكن لأحد فيك مغمز، ولا لقائل مهمز، ولا لأحد مطمع، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه، والقوي العزيز عندك ضعيف حتى تأخذ منه الحق، القريب والبعيد عندك في ذلك سواء، أقرب الناس إليك أطوعهم لله وأتقاهم له، شأنك الحق والرفق والصدق، قولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، فأقلعت وقد نهج السبيل، وسهل العسير، وأطفئت النيران، واعتدل بك الدين، وقوي الإيمان، وثبت الإسلام والمسلمون، وظهر أمر الله ولو كره الكافرون، فجليت عنهم فأبصروا، وسبقت والله سبقاً بعيداً، واتعبت من بعدك اتعاباً شديداً، وفزت بالخير فوزاً مبيناً، فجللت عن البكاء، وعظمت رزيتك في السماء، وهدت مصيبتك الأنام، فانا لله وإنا إليه راجعون.

رضينا بقضاء الله، وسلمنا له أمره، فوالله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبداً، كنت للدين عزاً وحرزاً وكهفاً، فالحقك الله بنبيه، وجمع بينه وبينك، ولا حرمنا الله أجرك، ولا أضلنا بعدك، فانا لله وإنا إليه راجعون.

قال: وسكت القوم حتى انقضى كلامه، فبكى أصحاب رسول الله ﷺ حتى علت أصواتهم، فقالوا: صدقت يا ختن رسول الله ﷺ.

قوله: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» وفر الله تعالى حظ الرسول (عليه السلام) وأمته على الرسل كلهم وعلى سائر الأمم. فحيث ما انتصبوا لله قياماً كان لهم من النور ما يتهيأ لهم الإقبال على الله، وأقبل الله عليهم، فطهرت لهم بقاع الأرضين.

وقوله: «وطهوراً» إذا لم يجدوا الماء الذي جعله الله طهوراً للخلق،

وتعذر عليهم وجوده أمرهم أن يتطهروا من أحداثهم بالصعيد الطيب، وهو التراب الذي يصعدونها ويمشون عليها، فجعل ما تحت أقدامهم طهوراً لهم إذا لم يجدوا ما فوق رؤوسهم من الماء، وهو ماء الحياة الراكد تحت العرش الذي خلقه الله حياة لكل شيء. قال تعالى: ﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حيّ** ﴾[1].

فمنه حياة القلوب والأرواح، ومنه يحيون في قبورهم يوم النشور، وإذا دخلوا الجنة يغتسلون به حتى يكون ذلك لهم طهوراً من الذنوب والأدران. ومن شرب منه زايلهم كل أذى في أجوافهم، وصفت ألوانهم، وجرت النضرة في أجسادهم ووجوههم، وأمنوا الموت لقوة الحياة التي في ذلك الماء. وقد جعل الله تعالى أرزاق الخلق من ذلك الماء يقدر في ليلة القدر، وهي ليلة يحكم أرزاق جميع المرتزقة من خلقه في تلك الليلة إلى مثلها من قابل. فاذا نفذ ذلك البحر نفخ في الصور، وذلك قوله تعالى: ﴿ **وفي السماء رزقكم وما توعدون** ﴾[2].

وأنزل الله تعالى هذا الماء وسماه طهوراً، فإن الشيطان بنجاسته ورجاسته قد وجد السبيل إلى الولوج في جوف ابن آدم، وبدء ذلك كان حين أكل آدم (عليه السلام) من الشجرة التي أشار العدو إليه بأكله، فجعل العدو السبيل إلى المعدة، فجعل له هناك موطناً، فلذلك نتن ما في جوفه حين أخرج من الجنة لرجاسة العدو ونجاسته، ثم ورث ذلك ولده، فأمر آدم وولده بالوضوء لذلك، وأعلمهم أن هذا الماء طهور لهم، يطهرهم من الآفات الظاهرة والباطنة. فالظاهرة ما يخرج من الآدمي من البول والغائط. فانه بلغ من عداوته أن جُعِلَ في ذلك الموطن الذي صير له منك معدناً وهو مجمع الطعام. فإذا انطبخ صار روثاً ودماً، والدم غذاؤه، وموضع الروث منك مجلسه.

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ٣٠.

(٢) سورة الذاريات آية رقم ٢٢.

وبلغ من عداوته أنه ينفخ عليك. فإذا خرج منك الصوت، هيج الضحك من الطحال. فإن الطحال بيته، ومنه يتسخط الآدمي في أموره، وفيه مجمع نفاية البدن من كدورة الدم وغيره. وذاك الضحك الذي يهيج منك وممن سمعه من الناس، وهو سخرية منه وشماته، يريد أن يعلمك أني ههنا ليصغرك عند نفسك، ويريك في باطنك ما يستر عنك ليفسد منن الله تعالى عليك في جسدك الذي خلقه لك. وقال تعالى: ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾[1].

فهذا العدو يحسدك في كل شيء، ويصيبك منه آفاته ساعة فساعة من همزه ونفخه ونفثه ونزغته. ولذلك أمر النبي ﷺ بالتعوذ منه فقال تعالى: ﴿ **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين**[2] **وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾.

وقال تعالى: ﴿ **فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ **قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس...** ﴾[4].

فهل أمر أن يتعوذ منه إلا من تتابع الآفات وتواليها، فجعل هذا الماء طهوراً من هذه الآفات التي تعتوره من هذا العدو الذي لا يفارقه. وذلك قوله (عليه السلام): «ما من أحد من الآدميين إلا وله قرين من الشيطان موكل به» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»[5].

---

(١) سورة التين آية رقم ٤.

(٢) سورة المؤمنون آية رقم ٩٧.

(٣) سورة الأعراف آية رقم ٢٠٠.

(٤) سورة الناس آية رقم ١ ــ ٥.

(٥) الحديث أخرجه الامام مسلم في كتاب صفات المنافقين ٦٩ــ(٢٨١٤) =

ووسواس هذا العدو ونزغاته وهمزاته ونفثاته تطمس وجه القلب وتذهب بحياته. وذهاب حياة القلب يوهن عقد الإيمان، ويرخي عراه، ويخمد توقده، فيجد العدو سبيلاً إلى إهاجة النفس شهواتها وخدايعها وأمانيها واغترارها. فإذا هاجت النفس، هاجت رياح الهوى فنسفت النفس والقلب والأركان فرمته في أبآر المعاصي إلا فيمن دخل في مأمن الله وحرزه ووكالته ومعاقله. فجعل الله تعالى هذا الماء طهوراً للمؤمنين من آفاته الظاهرة والباطنة. فأما في الظاهرة فليطهر جوارحه من تلك الأحداث التي جرت عليها، وفي الباطن يرد عليه ما ذهب من حياة القلب. قال تعالى: ﴿ **لنحيي به بلدة ميتا...** ﴾[1].

فالبلدة في الظاهر هي الأرض التي إذا وصل إليها ذلك الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. والبلدة في الباطن القلوب تخلص إليها آفات العدو فتموت عن الله فيحييها الله بذلك الوضوء.

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى: ﴿ **إعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها** ﴾[2] يلين القلوب من بعد قسوتها.

وقوله (عليه السلام): «لن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[3]،

= عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ وذكره. ورواه الامام أحمد في المسند ١: ٣٨٥ (حلبي)

(١) سورة الفرقان آية رقم ٤٩.

(٢) سورة الحديد آية رقم ١٧.

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب الطهارة ٤ باب المحافظة على الوضوء ٢٧٧ عن سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة وذكره.
في الزوائد: رجال اسناده ثقات اثبات إلا ان فيه انقطاعاً بين سالم وثوبان ولكن أخرجه الدارمي في الوضوء ٢ وابن حبان في صحيحة من طريق ثوبان متصلاً.

وقوله (عليه السلام) لأنس (رضي الله عنه): «يا بني إن استطعت أن لا تزال على وضوء فافعل. فانه من أتاه الموت وهو على وضوء أعطي الشهادة ».

والمؤمن البالغ إيمانه إذا أحدث لم يقدر أن يدوم على حدثه ولا يطمئن حتى يتوضأ، فيكون أبداً على الوضوء، لأن قلبه في وقت الحدث يفتقد نزاهة الإيمان وطيبه ووسواسه، يصير عامله على القلب، فانطفأ بعض توقد ناره. فإذا توضأ، عاد إلى الحالة الأولى. فإذا لم يجد الماء، صار الصعيد لهم طهوراً بدل الماء لهذه الأمة خاصة، لأن الأرض لما أحست بمولود محمد ﷺ وبظهوره من بطن أمه، انبسطت وتمددت وتطاولت، ولبست ثياب الدالة، وافتخرت على السموات وسائر الخلق بأنه مني خلق، وعلى ظهري تأتيه كرامات الله تعالى، وعلى متني يتقلب نبياً يعبد ربه، وعلى بقاعي تسجد جبهته، وفي خلال أوديتي يتنزل كلام الله ووحيه البارز على الكتب كلها، وفي بطني مدفنه، وأنا الذي أتضمن جسده، وعلى ظهري يكون خاصة الله من أمته وورثة ميراثه، فجرت الأرض رداء فخرها، فجعل ترابها طهوراً لأمته. فبالأرض يتطهرون، وينتصبون بها بين يدي الله تعالى. فحيثما ضربوا بأقدامهم بين يدي الله تعالى صارت الأرض من تحت أقدامهم مسجداً.

قالت عائشة (رضي الله عنها): يا رسول الله إنك إذا دخلت، صليت في مواضع من البيت، أفلا نهيِّئ لك موضعاً تصلي فيه؟ فقال: يا عائشة أما علمت أن المؤمن إذا وضع جبينه لله، طهرت تلك البقعة إلى سبع أرضين.

وإنما صار التيمم لهذه الأمة عوضاً عن الوضوء بالماء دون سائر الأمم، لأنه بمجيء محمد ﷺ طهرت الأرض. فلما جاء بالتيمم إلى الأمة قبلوه. فحيثما مدوا أيديهم إلى بقعة صار ذلك التراب طاهراً

بمد أيديهم، وزايلته أنجاس الشرك والمعاصي التي عليها. وإنما صارت طاهرة بمد أيديهم على ذلك القبول الذي قبلوه عن الله تعالى، قاصداً بالقلب التطهر، قابلاً لما جاء به الهدية وهو محمد (عليه السلام) من المهدي هذه العطية. والتيمم كالطرفة والتحفة يتحف بها الملك عبده، يريد به لطفه وبره، فيطهر ذلك التراب بمد اليد إليه وقبوله للهدية وهو محمد ﷺ صار يطهر ما جاء به تراب الأرض طهوراً كطهور الماء الذي أنزله الله من بحر الحياة. قال تعالى: ﴿ **وإن كنتم جنباً فاطهروا** ﴾[1]. ثم قال: ﴿ **فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** ﴾[2].

وقولنا: إن رسول الله ﷺ هو الهدية صحيح. فإنه قال (عليه السلام): «بعثت إليكم وإنما أنا رحمة مهداة»[3].

فهو من الله لنا هدية. والرسل قبله بعثوا على الأمم حجة وعطية. والهدية ليست كالعطية. فمن قبل العطية بورك له. ومن لم يقبل تأكدت الحجة عليه وعوجل بالعقوبة. ورسولنا ﷺ كان عطية وهدية. فمن قبل محمداً ﷺ عطية وهدية، سعد ورشد وصار سابقاً ومقرباً. ومن قبل عطية ولم يفطن للهدية، سعد ولم يصب ثمرة الرشد، ونجا بالسعادة. ومن أباه وكفر النعمة وجحدها كان حظه من السعادة النجاة من عقوبات الأمم التي عوجلوا بها في الدنيا، فسعدوا بهذا القدر وتأخر عنهم العذاب إلى يوم القيامة. والأولون عوجلوا بالعقوبة في الدنيا إلى أن ألحقوا بعذاب الآخرة. فمن قبل محمد عطية وهديه، إجتباه الله. ومن قبله

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٦.

(٢) سورة المائدة آية رقم ٦.

(٣) رواه البخاري في التاريخ عن أبي هريرة، وكذا في الأدب المفرد عنه بلفظ: إني لم أبعث لعان، وإنما بعثت رحمة.

عطية هداه الله إليه بالإنابة. وذلك قوله تعالى: ﴿ **الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب** ﴾[1].

والعطية من الرحمة، والهدية من المحبة. فمن رق لعبده ورحمه إذا رآه في بؤس أو ضعف، قواه وجبره بما يذهب ضعفه وبؤسه. فهذه عطية من الرحمة. ومن أحب عبده، أهدى إليه خلعاً وحملاناً يريد بذلك أن يختصه ويستميل قلبه، ولذلك سميت هدية لاستمالة القلب به. فالرسل إلى الخلق عطايا من ربنا سبحانه وتعالى، رحمهم فبعثهم إليهم ليهديهم، ويذهب عنهم بؤس فقر الكفر، ويجبر كسيرهم، وربنا (عز وجل) قد رحمنا فبعث إلينا محمداً ﷺ عطية وهدية، فجعل الإيمان والإسلام في العطية، وحكمة الإيمان والإسلام في الهدية. وذلك قوله تعالى: ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم...** ﴾[2] إلى أن قال: ﴿ **ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾[3].

فحكمة الإيمان والإسلام هدية لهذه الأمة بمبعث محمد ﷺ خاصة فضلاً على الأمم. والهدية كنوز المعرفة من خزائن السموات احتظى بها هذه الأمة حتى صاروا موصوفين في التوراة صفوة الرحمن، وفي الإنجيل حكماء علماء أبراراً أتقياء، كأنهم من الفقه أنبياء. وقال تعالى: ﴿ **قل إن الهدى هدى الله...** ﴾ الآية[4].

وقال ﷺ: «ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت أمتي»[5].

فإنما صير محمداً ﷺ لنا ليهدينا إلى أعالي درجات الدنيا عبودة،

---

(١) سورة الشورى آية رقم ١٣.

(٢)، (٣) سورة الجمعة آية رقم ٢.

(٤) سورة آل عمران آية رقم ٧٣.

(٥) سبق تخريج هذا الحديث في الجزء الثاني ورواه السيوطي في الجامع الصغير وأشار على الحديث بالضعف

لنكون غداً في أعالي درجات الجنة بالقرب من رسولنا، لتقر عينه ﷺ بنا.

وقوله: «نصرت بالرعب» أصله من فورة سلطان الله تعالى من باب النار. فإذا جعل نصرته من الرعب، فقد أعطي جنداً لا يقاومه أحد. ولم يعط أحد من الرسل ذلك. فكان أين ما ذكر من مسيرة شهر وقع ذلك الرعب في قلب عدوه فذل بمكانه.

وقوله: «أحلت لي الغنائم» كانت الغنائم نجسة لأنها أخذت من العدو، وملك العدو كله نجس. ألا يرى أن الله ذكر حلي آل فرعون فقال: ﴿ **أوزاراً من زينة القوم** ﴾[1].

فكانت لا تحل لهم لنجاستها، فكانوا يضعونها، فتجيء نار من السماء فتأكلها. وكان هارون (عليه السلام) أمرهم أن يقذفوا ما في أيديهم من تلك الحلى التي استعاروها من آل فرعون، وقال لهم: تطهروا. فرموا بها، فجمعها السامري، فاتخذها عجلاً، وقذف فيها التراب الذي كان رفعه من حافر فرس جبرئيل، فرس الحياة للفتنة التي كتب الله عليهم بلوى بها. فذلك قوله تعالى: ﴿ **ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم** ﴾[2] تسمى أوزاراً لنجاستها. وأحلت لي الغنائم لهذه الأمة. قال تعالى: ﴿ **فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً** ﴾[3] لمحمد وأمته لأنهم ضربوا السيوف بحرارة حمية حب الله وزايلها رجاسة الكفر وأهله، لأن حرارة الحب تقطع علائق النفس وتحرق أسبابها.

وعلائق النفس من أسباب الشرك. وسائر الأمم لم يعطوا هذا، فلم تطب لهم الغنائم، ولم تزل رجاسة أهل الكفر منها، فلم تحل لهم،

---

(١) سورة طه آية رقم ٨٧.

(٢) سورة طه آية رقم ٨٧.

(٣) سورة الأنفال آية رقم ٦٩.

لأن بني إسرائيل قاتلوا على الديار والأرضين التي كانت لآبائهم. قاتلوا عليها ليردوها إلى ملكهم. وأنبياؤهم بعثوا للدعوة إلى الله تعالى. ونبينا ﷺ بعث للتوبة والملحمة، يعني إن لم يتوبوا لحموا بالسيوف. قال ﷺ: «أنا نبي التوبة وأنا نبي الملحمة»[1].

ومعنى ذلك أني بعثت إلى الأمة بأن أدعو إلى لا إله إلا الله. فان أجابت وإلا أمهلهم حتى يتوبوا. وللتوبة انتظار ومدة. والعذاب مأمون فيهم يتقلبون في الشرك مع المدة. فإن تابوا، قبل الله ذلك منهم بأن جعلني نبي التوبة. ومن تمادى في ذلك، لحمت أجسادهم بالسيوف. فكما صارت الغنائم طيبة من رجاسة الكفر، فكذلك طابت الأرض من رجاسة الكفر والمعاصي بما جاء به محمد ﷺ من الأنوار القدسية فصارت لهم مسجداً وطهوراً، وطابت أيضاً بليلة القدر ومشاهدة الرب أهل الأرض بالقربة. وكانت المشاهدة للنبيين على أجسادهم، وأعطيت هذه الأمة على أرضها حتى يراها من سبقت له الحسنى من الله بعينه أشواق المشاهدة.

وقال (عليه السلام): «هذه ليلة كشف غطاؤها» .

وقال علي (رضي الله عنه): استأذنت ملائكة الروح في النزول إلى الأرض طمعاً أن ينالوا ما لم يكن عندهم في مقاومهم.

قال الله تعالى: ﴿ **تنزل الملائكة والروح...** ﴾[2]

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٤: ٣٩٥ ثنا وكيع عن المسعودي ويزيد قال أنبأنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن ابي عبيدة عن أبي موسى الأشعري قال: سمى لنا رسول الله ــ ﷺ ــ نفسه أسماء منها ما حفظنا فقال: وذكره وفيه زيادة [انا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبي الرحمة قال يزيد: ونبي التوبة ونبي الملحمة].

(٢) سورة القدر آية رقم ٤.

وقال ﷺ: «لا يرمي في تلك الليلة بنجم ولا يحدث فيها داء»[1] لأن الشياطين قد اختنست من أجل المشاهدة، والخلق في مأمن من مشاهدة السلام. فهذا كله لهذه الأمة.

وقوله: «أعطيت الشفاعة» فإن تلك دعوة كانت لكل نبي، فتعجلتها الأنبياء في الدنيا، وأخرها محمد ﷺ ذخراً لأمته، ونصيحة لله في عباده، فاستوجب بنصيحة الله وبرأفته على عبيده أن وضع دعوته في محل التربية حتى تربو وتتضاعف حتى تخرج له يوم القيامة تلك الدعوة بهيجة، يحتاج الخلق كلهم إليها، حتى إبراهيم خليل الله (عليه السلام).

قال ﷺ: لما أتاني جبرئيل بهذه الدعوة، قلت: إني ادخرتها لأمتي. فيحتاج الخلق كلهم إليّ في هذه. حتى إبراهيم خليل الله (عليه السلام).

---

(١) لعل الأثر من الآثار التي تفرد بها صاحب النوادر في نوادره

الأصل المائتان والأربعون

في فضل الأمانة

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له. ولا دين لمن لا عهد له»[1].

الإيمان عش الأمانة. والأمانة في جوفه كالفرخ الذي يتفقأ عن البيضة. ووكل العباد بتربيتها كما يربي الطير فرخه في عشه ويزقه ويغدو في طلب تربيته حتى ينقل إليه من أقطار الأرضين ويكتنفه، ويذب عنه ويقاتل من يرومه في عشه تحنناً عليه وشفقة وصيانة، حتى ينبت له جناح، ويطير معه. فكذا المؤمن موكل بحفظ الأمانة وقد قبلها مع قبول الإيمان، ولم يتم له الإيمان إلا بقبول الأمانة، وكانت مستورة فأحب الله أن يبرزها حتى يقبلها آدم (عليه السلام) ظاهراً، فمثلها له درة بيضاء، وجعلها مستورة في جوفه، فعرضت على السموات والأرض والجبال فهبنها وأشفقن منها لأنه انكشف الغطاء عن ذلك لهن، وستر عن آدم (عليه السلام) لطفاً من الله حتى قبلها لتحرك ما في قلبه من الإيمان، فلم يملك أن أسرع إلى القبول مقتدراً فابتلي باقتداره،

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٣: ١٣٥ ثنا بهز ثنا أبو هلال ثنا قتادة عن أنس بن مالك قال: خطبنا نبي الله ــ ﷺ ــ فقال: وذكره.

فسمي ظلوماً، لقبوله على الاقتدار، جهولاً بما في باطن تلك الدرة، فوضعها على العاتق، فألزمها عنقه كطوق العبيد، وذلت لله رقبته، فتكرر عليه الأمر للاقتدار. وإنما عمل فيه الاقتدار وانسد عليه باب التعلق بالله لما كان في ظهره من الأعداء، فابتلي بقبول الأمانة ليميز الخبيث من الطيب، فقبله على الاقتدار، فصار القبول حظ الأحباب، وصار الاقتدار حظ الإهداء. وذلك قوله تعالى: ﴿ **إنا عرضنا الأمانة...** ﴾[1] الآية.

ثم أعلم العباد لم فعل هذا فقال: ﴿ **ليعذب الله المنافقين والمنافقات...** ﴾[2] الآية.

ومعناه لأعذب الأعداء وأتوب على الأحباب فأغفر لهم سيئ ما عملوا وارحمهم في تقصيرهم حتى تؤديهم الرحمة إلى دار رحمتي. فتقلد حفظ هذه الأمانة فجرى قبولها من القلب إلى الجوارح السبع، فتجزأ حملها على هذه الجوارح. فللعين جزء، وللسمع جزء، ولليد جزء، وللرجل جزء، وللبطن جزء، وللفرج جزء، وللسان جزء. وجعل أمانة الفرج من بين الجوارح كلها مستورة، وسميت فاحشة إذا كشف عنها بغير حق. والاستعمال لها بغير حق هلكة، وتأديبه القتل بالحجارة والتنكيل، والناظر إليها عامداً ملعون، والكاشف عنها منزوع الحياء ممقوت.

وقال عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما): أول ما خلق الله من الإنسان فرجه، ثم قال: هذه أمانة خبأتها عندك فلا تبسل منها شيئاً إلا بحقها.

فالسمع أمانة، والبصر أمانة، والفرج أمانة، والبطن أمانة، واللسان

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٧٢.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٧٣.

أمانة، واليد أمانة، والرجل أمانة. فالذي يكشف لك عما خبأه الله اهمالا واستعمل بغير حق، إستوجب هذه العقوبات. والذي في الدنيا النكال والرجم. وأما الذي في الآخرة فإن أهل النار يتأذون من نتن فروج الزناة، ويزدادون بذلك عذاباً. ولذلك قال (عليه السلام): أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان البطن والفرج[1].

فقد قلد كل جارحة بقسطه من الأمانة. فمن استبدل بها خيانة، إنتقص من وزن إيمانه، ومن ضوئه ما دام حياً. وضوء الإيمان رأس مال الموحدين. به يستضيئون في السير إلى الله تعالى في الطاعات. فإذا غاب الضوء ضل القلب بمنزلة قمر وقع في كسوف. فكسوف ضوء الأمانة في ظلمة الخيانة. فكل فعل حرم الله على جارحة من الجوارح فهتك تلك الجارحة ذلك الستر وانهتكت تلك الحرمة برفع حجابها فقد خان الأمانة. فالمتقون فهموا هذه القصة فخرست ألسنتهم عن أن تنطق بما نهى الله عنه، والسمع إلى الاستماع إلى ما نهى الله عنه، وكل عضو كذلك. وحفظوا القلب وساحته وهي الصدر مع الله تعالى وفيما بينه وبين الخلق. فكلما زلت جارحة من جوارحك بفعلٍ حظرَ الله عليك، فقد ضيعت الأمانة بقدرها، وانكسف من ضوء قمرك بقدره، ونقص من وزن إيمانك غداً بقدره. فإذا حكمت شأن الجوارح السبع وجعلتها في وثاق الأمانة فقد نجوت. فإن كان ممن فتح له الطريق فسار إلى الله، صار حفظ الأمانة أصعب وأعظم خطراً وأوفر حظاً من ثمرته لأنه حتى الآن كان في كسب الجوارح عملاً ينال به أجراً، والآن قد وقع في كسب القلب سعياً إلى الله ينال

---

(١)الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٤٢٤٦ ثنا عبد الله بن ادريس عن أبيه وعمه عن جده عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ــ ﷺ: ما أكثر ما يدخل الجنة قال: التقوى وحسن الخلق وسئل ما أكثر ما يدخل النار.. وذكره ورواه الامام أحمد في المسند ٢: ٢٩١ ، ٣٩٢ (حلبي)

به القربة. فالحراسة ههنا للأمانة من الخواطر. فإن حرسها بحقها وصدقها، تحول الضوء الذي كان بدءاً شعاعاً يتوهج يخطف بصائر النفس. فضوء الإيمان للصادقين مع جهدهم، وشعاعه للصديقين مع تفويضهم. فإن الكفر كليل مظلم، والإيمان في الصدر كالقمر. فالموحدون يأخذ كل من ذلك القمر بقدره، وكل مطيع يأخذ بقدره من الضوء. فإذا كان صادقاً مطيعاً لله في كل جارحة. فالظاهر مستقيم والباطن فاسد مجهود صار كمن اقمر ليلة بدر أو صار ضوء إيمانه كالقمر ليلة البدر.

إلا أن الضوء ليس له شعاع ولا حريق. ومن فتح لقلبه الطريق إلى الله تعالى فصار على منهج الصدق وهو البذل لنفسه لله غير ملتفت إليها، تحول قمره شمساً. فإنما يبدو لقلبه من شعاع تلك الشمس بمقدار ما كان يبدو من القمر في مبتدأ أمره. فلا يزال يسير حافظاً للأمانة في العطايا حتى تزول عنه الخيانة، ويتبرأ من النفس وينسيها، وافتقد مشيئته بمشيئة مولاه، ونسي أحوال نفسه لما طالع من العظائم، وأشرقت شمسه بتمامها بجميع شعاعها. وذلك قوله لداود (عليه السلام): «يمشي تماماً ويقول صواباً». وقوله تعالى: ﴿ **ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن...** ﴾[1] وهو المؤمن المستكمل لوقارة الإيمان وبهائه.

قال أبو بكر (رضي الله عنه): وددت أني شعرة في صدر مؤمن.

وقال تعالى حين أثنى على إبراهيم (عليه السلام): ﴿ **إنه من عبادنا المؤمنين** ﴾[2].

وقال ﷺ: «ثلاثة تحت العرش: القرآن له ظهر وبطن، يحاج العباد.

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٥٤.

(٢) سورة الصافات آية رقم ٨١.

والرحم تنادي: صل من وصلني وإقطع من قطعني. والأمانة»[1].

وقال ﷺ: إنطلق ثلاثة نفر فدخلوا غاراً فأرسل الله عليهم صخرة. فانطبق الغار عليهم. فقال بعضهم لبعض: قد ترون ما نحن فيه، وما قد إبتلينا به، فلينظر كل رجل منكم أفضل عمل عمله فيما بينه وبين ربه، فليذكره، ثم يدعو الله تعالى لعل الله يفرج عنا ما نحن فيه، ويلقي عنا هذه الصخرة. فقال رجل منهم: اللهم إنك تعلم أنه كانت لي بنت عم، وكانت من أحب الناس إليّ، فطلبت منها نفسها، فأبت عليّ إلا أن أعطيها مائة دينار، فجمعتها من حسي ونسي، حتى جئتها بها، فدفعتها إليها. فلما قعدت منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت. فقالت: يا عبدالله اتق الله ولا تفتح هذا الخاتم إلا بحقه. فقمت عنها وتركت الدنانير لها من مخافتك. اللهم إن كنت تعلم أني إنما تركتها وتركت الدنانير لها من مخافتك، فافرج لنا من هذه الصخرة فرجة نرى منها السماء. ففرج الله عنهم منها فرجة، فنظروا إلى السماء. وقال الثاني: اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان، وكانت لي صبية صغار، فكنت أرعى على أبويّ وكنت أجيء بالحلاب فأبدأ بأبويّ فأسقيهما، ثم أجيء بفضلهما على الصبية فأسقيهم وإني جئت ذات ليلة بالحلاب فوجدت أبويّ نائمين، والصبية يتضاغون من الجوع، فلم أزل بهم حتى ناموا، ثم قمت بالحلاب على أبويّ ليلتي حتى قاما وشربا، ثم جئت بفضلهما إلى الصبية فأسقيتهم. اللهم إن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك من مخافتك، فأفرج عنا منها فرجة. ففرج الله عنهم منها فرجة. وقال الثالث: اللهم إنك تعلم أنه كان لي أجير يعمل عندي فأعطيته أجره فغمضه، وذهب وتركه، فعملت له بأجره حتى صار له بقر وغنم. ثم أتاني بعد حين يطلب أجره. فقلت له:

---

(١) لعل هذا الحديث من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر فلم يذكره صاحب الزوائد ولم يذكر في الجامع الصغير والكبير للسيوطي.

دونك هذا البقر والغنم وراعيها فخذها وهي لك. فانطلق فأخذها. اللهم إن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك من مخافتك، فألقها عنا. فألقى الله عنهم، فخرجوا يمشون[1].

وعن عطاء قال: كان رجل من بني إسرائيل له مكان من الملوك، ليس منهم ملك يموت فيخلفه ملك إلا أنزله منه بمنزلته من الملك الأول. فبعث على بني إسرائيل ملك صالح، دعا الناس إلى الحقوق والمظالم، فارتحلت الأحياء إليه حيّ حي، ليس منهم أحد إلا وهو ينظر في شأنه. ومن كانت له مظلمة يرد عليه مظلمته. ومن كان له حق أنصفه من حقه. ومن كانت له حاجة قضى له حاجته، حتى ارتحل حي الفتى، وارتحل هو فيهم، وهم يظنون أن الملك سينزله منه منزلته من الملوك قبله.

فدخل على الملك بعض قومه، فقضى حوائجهم، ورد عليهم مظالمهم، حتى دخل الفتى، فكلمه بمثل ما كان يكلم به الملوك قبله فيعجبهم ويقربونه. فقال له الملك: أَوَلا تتقي الله وتؤدي الأمانة؟ قال: أية أمانة؟ فأخذ رجل من حرسته بيده فأخرجه فانصرف إلى قومه، فقال: لعل بعضكم سبقني عند الملك. فحلفوا له فصدقهم، فانصرف إلى أهله.

فمات ذلك الملك، وبعث عليهم ملك صالح، فدعا الناس إلى ما دعاهم إليه الملك قبله، فارتحل الناس إليه، فارتحل الفتى مع حيه. فلما دخل عليه كلمة الفتى بالكلام الذي يكلم به الملوك قبله فيقربونه. فقال له الملك: أولا تتقي الله وتؤدي حق الأمانة؟ فقال: أية أمانة؟

---

(١) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ١٠٠ (٢٧٤٣) عن موسى بن عقبة عن نافع عن عبد الله ابن عمر عن رسول الله ــ ﷺ ــ انه قال: وذكره ورواه البخاري في كتاب الأدب ٥ وأحمد بن حنبل في كتاب المسند ٢: ١١٩ (حلبي)

فأخذ رجل من حرسته بيده فأخرج، فانصرف إلى قومه، فقال: لعل بعضكم سبقني عند الملك. فحلفوا له فصدقهم. فانصرفوا وانصرف الفتى إلى أهله. فقال: لا أحسب هذا إلا لما كنت أصبت مما لا يصلح لي، فوضع يده اليمنى على اليسرى، ثم قال: اللهم إني أبايعك على أن لا أسأل أحداً شيئاً أبداً، فمكث بذلك ثم قال: لا حاجة لي بقرب الناس ومخالطتهم.

فانطلق إلى برية فتعبد فيها، وتخرق عنه ثيابه، وصار كهيئة المسمار المحترق، وجعل يأكل من نبات الأرض. فبينا هو على ذلك إذ هو بشيخين بين أيديهما طعام يأكلانه، فتعرض لهما، فرفعها رؤوسهما ونظرا إليه. حتى إذا علما أنه قد علم أنهما قد نظرا إليه، أكبا على طعامهما، ثم رفعا رؤوسهما، فدعواه فأقبل. فإذا هما يأكلان خبز شعير، فنظرا إليه ثم قالا: اجلس. فجلس، ثم مد يده إلى كسرة فأمسكاها، فنظرا إليه، ثم أكبا على طعامهما، ثم قالا: كل. فكبر، فأمسكا بيده وقالا: لم كبرت على طعامنا؟ قال: إني كنت حلفت أن لا أسأل أحداً شيئاً، فلولا أنكما قلتما: كل، لم أتناول طعامكما. قالا: أو لا تتقي الله وتؤدي الأمانة؟ قال: وأية أمانة؟ فوالله ما أخرجني من الناس إلا هذه الكلمة، ولا لقيت ما تريان إلا لها. قالا: أشرف هذا الشرف، فانظر ما ترى وراءه، ثم ارجع إلينا.

فأشرف ثم رجع إليهما، فقال: رأيت خمسمائة ضائنة أو ستمائة لم أر مثلها حسناً جميعاً. قالا: أتأخذها بأمانة الله على أن تؤدها إلينا إذ نحن سألناكها صحاحاً شق الشعرة شطرين؟ قال: نعم. فدفعا إليه هذا الغنم وانطلقا. فنمت وبارك الله فيها. فنزل قرية من القرى وباع منها فاشترى منها رعاء، فجعلت ترعى جناب القرية وتأوي إليها، فكثرت ونمت، وبارك الله، وجعل لا يبيع منها فيتخذ صنفاً من أصناف الأموال إلا بارك الله فيها ونما. فتزوج النساء، واتخذ السراري، وكثر

له الولد، وكان في ذلك رجلاً صالحاً، يقري الضيف، وينول ابن السبيل، ويعطي السائل.

فبينا هم على ذلك وقد أتي على ذلك سنون، إذ هو بشيخين يقرعان عليه باب داره، فنادى غلامه فقال: أنظر من يقرع باب الدار. فخرج غلامه، فإذا هو بشيخين. قال: ما حاجتكما. قالا: حاجتنا إلى سيدك. فرجع إلى سيده فأخبره. قال: انطلق بهما ففرغ لهما بيتاً في ناحية الدار، ثم أفرشهما وأتحفهما وأطعمهما وأسقهما، فليبيتا بخير، ثم ليغدوا لحاجتهما. وهو يحسب أنه كان كمن يضيف. فرجع الغلام إليهما، فقال: إن سيدي أمرني أن أفرغ لكما بيتاً وأن أفرشكما وأتحفكما وأطعمكما وأسقيكما فتبيتا بخير، ثم تغدوا لحاجتكما. قالا: هذا مكاننا أو يأذن لنا عليه. قال: وهي ليلة قرة باردة، شديدة البرد. فرجع إلى سيده فأخبره. فقال: قل لهما: اني قد وضعت ثيابي، وخلوت بأهلي، فبيتا ثم أغدوا على حاجتكما. فرجع إليهما فأخبرهما. قالا: هذا مكاننا أو يأذن لنا. فغضب العبد فأغلق الباب دونهما، وانصرف الى مضجعه.

فلما أصبح دعا غلامه فقال: ويحك ما فعل ضيفاي. قال: عرضت عليهما ما أمرتني فأبيا، فأغلقت الباب وانصرفت. قال: ويحك تركت ضيفيَّ في سقيع بغير عشاء لا جرم لأفعلن بك ولأفعلن، ائذن لهما. فدخلا إليه فجعل يعتذر إليهما: أتيتماني في ساعة لا يدخل عليّ فيها، فأمرت الغلام بقراكما فغمضتما ذلك، فذكر لي أنه أغلق الباب دونكما لا جرم لأفعلن به ولأفعلن.

قالا: إن لنا حاجة فأخلنا لحاجتنا. فأمر من حوله فارتفع حتى إذا خلوا به قالا: هل تعرفنا؟ قال: لا. قالا: أتذكر شيخين أتيتهما ببرية كذا وكذا، وبين أيديهما خبز شعير يأكلانه، وأنت كالمسمار المحترق. قال: أذكر. قالا: فما فعلت الغنم؟ قال: فعلت خيراً، كثرت ونمت، واتخذت أصناف الأموال. قالا: ألست قد عرفت شرطنا عليك. قال:

بلى، صحاحاً بشطرين. قالا: فادع لنا بما لنا. قال: فدعا بدواوينه، وإذ الأموال أكثر من أن تحصى إلا بكتاب. فدعا بالغنم فقسمت شطرين، ثم دعا بالإبل والبقر وسائر الأموال فقسمت شطرين. فقال: قد فعلت ووفيت لكما بالشرط. قالا: ائتنا بأمهات أولادك. قال: وما لكما وأمهات أولادي، نساء قد ولدن وعتقن. قالا: إن أثمانهن من مالنا. قال: لا أفعل. قالا: اتق الله وأد الأمانة، تعلم أنا لسنا نأخذك بسلطان، وليس لنا عليك بينة، وإنك إن تجحد يصدقك الناس ويكذبوننا.

قال: فبات يتسلق على فراشه، ويقول: أيتها النفس اصبري واذكري الحال الذي كنت عليه صدقاً، لعمري إن أمهات أولادي والنفقة عليهن لمن مالهما. فلما أصبح قال: ادعوا بامهات أولادي. فدعا بهن فقسمهن شطرين. فجعل يبكي بعضهم إلى بعض. قال: قد فعلت. فقالا: ائتنا بنسائك. قال: وما شأن نسائي؟ بنات قوم أحرار، فأما أمهات أولادي فهن من مالكما. قالا: إن صدقاتهن والنفقة عليهن من مالنا. قال: لا أفعل. قالا: اتق الله وأد الأمانة، تعلم أنا لسنا نأخذك بسلطان، وليست لنا عليك بينة، وإنك إن تجحد يصدقك الناس ويكذبوننا.

قال: يا نفس اذكري الحال الذي أتيتهما عليه، صدقاتهن عليهن، والنفقة عليهن من مالهما، ائتوني بنسائي، فأُتي بهن، فقسمهن شطرين. قال: قد فعلت. قالا: ائتنا بولدك. قال: وما شأن ولدي، أما أمهات أولادي فالثمن والنفقة من مالكما، وأما النساء فالصدقات والنفقة من مالكما، وأما ولدي فخرجوا من صلبي، فلم أكن لأفعلن. قالا: اتق الله وأد الأمانة، تعلم أنا لسنا نأخذك بسلطان، وليست لنا عليك حجة، وإنك إن تجحد يصدقك الناس ويكذبوننا.

قال: أيتها النفس اصبري واذكري الحال الذي أتيتهما عليه. أرأيت كسوة الولد والنفقة عليهم، أليست من مالهما؟ ائتوني ببنيّ. فأتي بهم فقسموا شطرين، فإذا منهم غلام لا يعدل به أحد من الولد. قال:

قد قسمت، وهذا غلام، فان أحببتما أن تقوما قيمته ثم أرد عليكما الشطر فعلت. قالا: لا نريد أن تشتري منا شيئاً. قال: فهبا لي نصيبكما. قالا: ما نريد أن نعطي أحداً من حقنا شيئاً. قال: فأنا أهب لكما نصيبي. قالا: ما نريد أن تكون لك عندنا منة. قال: فماذا؟ قالا: قد عرفت شرطنا عليك صحاحاً كشق الشعرة. قال: أفأشقه؟ قالا: أنت أعلم. قال: والله لا أفعل هذا أبداً. قالا: اتق الله، وأد الأمانة، تعلم أنا لا نأخذك بسلطان، وليست لنا عليك بينة، وإنك إن تجحد يصدقك الناس ويكذبوننا.

قال: يا نفس اصبري، واذكري الحال الذي أتيتهما عليه، قربوا المنشار. فأتي بالمنشار. قال: خذا بناحيته وآخذ بناحيته. قالا: نعم، ذاك لك. قال: فأخذا بناحية المنشار وأخذ بناحيته، ثم أدركته رقة الوالد، فقال: ابدءا فاشعراه به. قالا: أنت أحق من بدأ. قال: إني لأجد له ما لا تجدان، فأشعراه لي. قالا: أنت أحق من بدا. فتقاعس في المنشار ليأشره ورفعاه. قالا: ان كنت لفاعلاً. قال: نعم، والله حتى أوفي لله بما جعلت له واؤدي الأمانة. قالا: إذهب فلك أهلك وولدك ومالك، وبارك الله لك، لسنا من البشر، كان هذا بلاء قضاه الله عليك، فبررت وأوفيت، ونحن منعنا ملكي بني إسرائيل أن يعطياك شيئاً لما قضاه الله عليك من البلاء، فاطمئن في مالك.

وعن عطاء قال: لما أعتق لقمان أعطاه مولاه مالاً فبارك الله للقمان في ذلك المال، فكثر ونما، وجعل لا يأتيه أحد يستقرضه قرضاً إلا أقرضه، لا يأخذ عليه حميلاً ولا رهناً، إلا أنه إذا أراد أن يدفع إليه المال قال: تأخذه بأمانة الله لتؤدينه إليّ عام قابل. فإذا قال: نعم دفعه إليه. فجعل الناس يأخذون منه ويؤدون. فذكر فعل لقمان لرجل يسكن ساحل البحر، تجارته في البحر، لص ملط فاجر. فقال: والله ان رأيت مالاً أضيع من هذا، ما يأخذ مني رهناً ولا حميلاً، والله لآتين هذا

الرجل ولأقتطعن من ماله مالاً عظيماً، فأقبل إليه فقال: يا لقمان ذكر لي معروفك، وأنا رجل أسكن كذا وكذا من ساحل البحر، وتجارتي فيه، فإن رأيت أن تقرضني قرضاً أصبت فيه، ثم أؤديه إليك، فعلت. قال: نعم، وكم تريد. فسمى له فأكثر. قال: نعم، أما أني لست أسألك جميلاً، ولا آخذ منك رهناً، أتأخذه بأمانة الله أن تؤديه إلى عام قابل في هذا اليوم؟ قال: نعم. فدفع إليه ما سمى، وكتب عنده اسمه واسم أبيه ومنزله الذي سمى.

فذهب بالمال، فوضع يده فيه، وخلطه بماله، وعزم أن لا يؤديه إليه، وأدرك ابن للقمان فقال: يا أبت إني أريد أرض كذا وكذا، وإن رأيت أن تأذن لي، فعلت. قال: نعم يا بني، إذهب فاحمل على دوابك، وشد عليك ثيابك، ثم ائتني أوصيك بوصيتي. ففعل ذلك ابنه ثم أتاه. فقال: قد فعلت يا أبت، قد حملت على ظهري، وشددت عليّ ثيابي فأوصني. قال: نعم، يا بني ان في طريقك مفازة[1] فابكر فيها الدلجة[2]، فإنه ستعرض لك شجرة واسعة الظل تحتها عين، فلا أعلمن ما قربت الشجرة ولا نزلت تحتها، يا بني إني أرجو أن يخرجك الله منها سالماً، فتأتي حي بني فلان، وهم لنا أصدقاء، قد أعلم أنهم سيكرمونك، يا بني وفيهم امرأة شابة كريمة الحسب، كثيرة المال، وقد أعلم أنهم سيعرضونها عليك، فلا أعلمن نكحتها، ولا ضمنت لشيء من أمرها، يا بني أرجو أن يسلمك الله منها، وإن رجلاً يسكن ساحل كذا وكذا، وقد أتاني منذ حين فاقتطع من مالي كذا وكذا، وهذا اسمه واسم أبيه ومنزله، فَأْتِهِ فاقبض ما عليه، ولا تبت عنده

---

(١) قال تعالى: ﴿ **بمفازة من العذاب** ﴾ أي بمنجاة والمفازة واحدة المفاوز قال ابن الأعرابي سميت بذلك لأنها مهلكة.

(٢) ادلج: سار من أول الليل والاسم (الدلج) والدلجة بوزن الجرعة والضربة وادلج سار من آخره والاسم أيضاً الدلجة.

ليلة، يا بني أنظر الذي أوصيك به فافعله. قال الفتى: نعم. قال: يا بني إن من أفضل ما أوصيك به إن صحبك في طريقك هذا رجل أكبر منك، فلا تعصه حتى ترجع إليّ. قال: أفعل.

فسار ابن لقمان حتى انتهى إلى المفازة بكر فيها الدلجة فإذا هو أبعد من ذلك واسحق. فقام قائم الظهيرة، واشتد الحر وهو في وسط منها. فبينا هو يسير إذ عرضت له الشجرة. فلما نظر إليها عرفها ينعت أبيه، فإذا تحتها شيخ جالس، فعدل إليها، فقال له الشيخ: ما الذي تريد يا فتى؟ قال: أريد أن أسير. قال: فلا تفعل، فقد قام قائم الظهيرة، وتوقد الحر، ولكن انزل فاستظل في ظل هذه الشجرة، وضع عن دوابك، واشرب من الماء. فإذا أبردت فارتحل. قال الفتى في نفسه: هذه الشجرة التي نهاني عنها أبي. ما أريد أن أفعل. قال: أقسمت عليك لتنزلن. قال: ووافق ذاك منه هواه، وذكر أن أباه قال: إن صحبك رجل هو أكبر منك فلا تعصه.

فنزل الفتى فوضع عن دوابه واستظل، وأكل وشرب ثم رقد، وأبى الشيخ أن ينام. فلما استلقى ابن لقمان، انحطت حية من رأس الشجرة، فلما نظر إليها الشيخ رماها فقتلها ثم قطع رأسها فجعله في قرابه وغيب لحمها، حتى إذا برد النهار وأيقظ ابن لقمان فقام فلم يستنكر من نفسه شيئاً، فحمل على دوابه، وقال له الشيخ: أين تريد؟ قال: أريد أرض كذا وكذا. قال: أنا أريدها، فهل لك في صحابتي؟ قال ابن لقمان: أحب صاحب. فلما نزلوا بالحي الذي سماهم له لقمان. قالوا: ابن لقمان. فأنزلوه وأكرموه.

فبينا هم يأكلون عنده ويشربون إذ قال له رجل منهم: يا ابن لقمان هل لك في امرأة شابة، كريمة الحسب، كثيرة المال تنكحها؟ قال ابن لقمان في نفسه: هذه التي منعنيها أبي. ما لي حاجة بالنكاح. قال الشيخ: ما تعرضون عليه؟ قالوا: نعرض عليه امرأة شابة جميلة، كبيرة

الحسب، كثيرة المال. قال الشيخ: أشباب وجمال ومال، ما يترك هذا أحداً نكحها؟ قال ابن لقمان: ما أريد النكاح يا عم، واني لعلي رحلي. قال: أقسمت عليك لتفعلن. فوافق ذلك منه هواه، وذكر الذي عوفي في الشجرة، وأن أباه قال: إن صحبت رجلاً هو أكبر منك فلا تعصه. فنكحها.

فلما ملك عصمتها، أتاه بعض صديق أبيه. قال: ما صنعت، هذه امرأة قد نكحت تسعة ليس منهم رجل إلا يصبح ميتاً على فراشها، وأنت العاشر. فدخل الشيخ على ابن لقمان، وهو مهموم حزين. قال: ما يحزنك؟ قال: المرأة التي أمرتني أن أنكحها نكحت قبلي تسعة ليس منهم رجل إلا يصبح ميتاً على فراشها، وأنا العاشر، وأنا أكره الموت. قال: انظر الذي آمرك به فافعله، فإذا أدخلت عليك فلا تقربها حتى تأتيني.

فأقبلوا بها إليه، حتى أدخلوها عليه. وكان من خلق أهلها وغلمانها أنها إذا أدخلوها على الزوج، حفوا بالبيت. فإذا صاح كانت علامة موته، دخلوا فاحتملوا صاحبتهم وما معها وتركوه. فحفوا بالبيت كما كانوا يصنعون. وقال ابن لقمان للمرأة: إن لي حاجة. فخرج إلى الشيخ، فقال: المرأة في البيت، وأنا عندك. قال: ائتني بمجمرة فيها جمر. فأتاه بها ابن لقمان. فعمد إلى رأس الحية التي قتل عند الشجرة فجعلها على المجمرة، ثم قال: انطلق بها فاجعلها تحت المرأة. فإذا برد فائتني بها. ففعل بها ابن لقمان. فقال: اجعلي هذا تحتك. ففعلت. فلما طفئ الجمرة، أخرجها. فذهب ابن لقمان بها إلى الشيخ. فإذا شبه الدودة محترقة في المجمرة. فقال: إذهب إلى أهلك، فلا بأس عليك، فإن هذه التي كانت تقتل الرجال. فانطلق إلى أهله، فأصبح قرير عين، وأصبحت فرحة، وتفرق الذين كانوا حفوا بالبيت. فلما أراد ابن لقمان أن يرتحل، قال له الشيخ: أين تريد؟ قال: غريماً لنا في ساحل بحر

كذا وكذا، أريد أن آتيه فأقبض حقنا قبله. قال: فهل لك في صحابتي؟ قال: أحب صاحب.

فانطلق معه حتى إذا قدما الساحل سألا عن غريمهما. فقال أهل البلد: ذاك لص ملط فاجر. وكان قد عمد إلى قصر فبناه على ساحل البحر، يمد البحر حين يمد فلا يترك حول القصر شيئاً إلا احتمله، لا يخلص إلى القصر ولا إلى من فيه. فأتاه ابن لقمان وقال له: حقنا عليك. فقال: مرحباً، بيتا الليلة ثم اغدوا على مالكما. فقال ابن لقمان في نفسه: هذا الذي منعني عنه أبي. ما أريد أن أبيت الليلة. قال الشيخ: ما تعرض عليه؟ قال: أعرض عليكما أن تبيتا الليلة، ثم تغدوا على مالكما. قال: افعل يا بني. قال: ما أريد ذاك. قال: أقسمت عليك لتفعلن، قد أنسأته أطول من ليلة فلا تنسئه ليلة! فوافق ابن لقمان هواه، وذكر الذي عوفي من الشجرة والمرأة، فباتا.

فلما فرغ من عشائهما عمد إلى وطاء تحت القصر ففرش لهما على سريرين، وقد علم أن الماء إذا جاء احتملهما، وعمد إلى ابن له فاضجعه على سرير فوقهما في مكان قد علم أن الماء لا يبلغه. فرقد ابن لقمان، وأبي الشيخ أن ينام.

فلما كان في جوف الليل، أقبل البحر. فلما رآه الشيخ أيقظ ابن لقمان فاحتملا سريرهما فجعلاه مكان سرير الغلام، وحملا سرير الغلام وهو نائم، فوضعاه موضع سريرهما. وأقبل البحر، فاحتمل الغلام بسريره فذهب به، ولم يخلص إليهما.

فلما أصبحا اطلع صاحب القصر ينظر ما فعل غريماه، فإذا هما نائمان، وإذا ابنه قد ذهب، فناداهما، فقال: مكرت بكما وحاق بي المكر، فاغدوا على مالكما. فغدوا على مالهما فانتقداه، ثم انصرفا إلى المرأة، فأمرها ابن لقمان بالرحيل فارتحلت، فإذا أكثر مال قومها لها

مما كانت تصيب من الأزواج، فارتحلت بمال عظيم من أصناف المال، وأقبل معه الشيخ حتى إذا شارفا منزل لقمان، قال الشيخ لابن لقمان: أي صاحب وجدتني في سفرك. قال: خير صاحب، كف الله بك ورزق. قال: أفما لي فيما أصبت نصيب؟ قال: بلى، نصفه لك، طيبة لك به نفسي. قال: فإما أن تقسم وتخيرني، وإما أن أقسم وأخيرك. قال ابن لقمان: لا. بل اقسم وخيرني. فعرف الشيخ هوى ابن لقمان في المرأة فعمد إليها وإلى شيء يسير من مالها فعزله، وعمد إلى عظيم المال فتركه.

ثم قال لابن لقمان: اختر. قال ابن لقمان: أما انك عدلت وأنصفت حين خيرت. فان كنت فعلت ما فعلت أختار المرأة وما معها. فارتحل ابن لقمان بالمرأة وما معها، وقام الشيخ في عظيم المال.

فلما سار ابن لقمان وكاد أن يتغيب عن الشيخ أدركه فقال: أعطيتني مالك، فبم ذاك؟ لعلك تخوفت مني شيئاً. قال ابن لقمان: وما عسيت أن أتخوف منك، ولكن لا يذكر صاحب من صاحب أفضل مما أذكر منك وسألتني. قال: أتعطيني ذاك طيبة به نفسك ؟ قال : نعم. قال : فاذهب فلك أهلك ومالك، بارك الله فيك، لست من البشر، أنا أمانة أبيك الذي كان يأتمن بها الناس، بعثني الله لأصحبك في طريقك، ثم أردك إلى أبيك صالحاً، فاطمئن في مالك، مباركاً لك فيه. فصاحب الأمانة المحافظ عليها في أمان الله حيث ما انقلب.

وقال ﷺ: «أول ما يرفع من الناس الأمانة»[1].

فالأمانة من الإيمان بمنزلة القلب من الجسد. فإذا مال القلب إلى

---

(١) قال السيوطي في الجامع الصغير رواه الحكيم الترمذي عن زيد بن ثابت وله تكملة [وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة، ورب مصلٍّ لا خلاق له عند الله تعالى] وأشار السيوطي على الحديث بالضعف

شيء مال الجسد إلى ما مال إليه القلب. فالإيمان يشدد عقد القلب، ويؤكد عزمه، ويقوي ضميره. والأمانة في الإيمان بمنزلة العماد. فإذا وهن العماد يتضع صاحبه بسقم الإيمان، وذهب بقوته. فإذا جاءت الخيانة، رفعت الأمانة لأنها ضدها ولن يجتمعا، وإذا رفعت الأمانة سقم الإيمان.

قال (عليه السلام): يا سليمان قل: اللهم إني أسألك صحة في إيمان، وإيماناً في حسن خلق، ونجاحاً يتبعه فلاح[1].

والإيمان عطية من المنة. والأمانة في الإيمان هدية من الجود. فإذا ضاعت الهدية، ذهب بهاء العطية افتقد صاحبه زينته وحلاوته ولذاذته، وذبلت النفس واستراحت. وإذا ذهب بها الشيء وثقلت عن المحافظة عليها، وذهب قوة القلب لذبول النفس وثقلها فحلت الخيانة محلها. والخيانة في اللغة كل شيء يعمل من وراء. وهي مكر النفس. فإنها لما لم تقدر على أن تستقبل القلب صبراً بالذي هويت من المعصية، أسرته من القلب، والتمست الغرة والغفلة من القلب، فأوجدته اللذة التي وجدت، فاستولت على القلب بسلطان اللذة في وقت غفلته عن الله تعالى وانقطاع المدد من رأفة الله تعالى وإقباله عليه بأسباب العصمة، فأمكنته أسره إياها، لأن القلب أضعف ما يكون في وقت الغفلة، فتوجده شراً ومكراً تخادعه بها، وتزين له وتموه عليه.

والأمانة قرينها اليقين، وإنما ضاعت من قبل النفس، وليس شيء أعز من اليقين ولا أقل منه. وإذا عز اليقين، وقل كثر الشك، وتذبذب القلب، وإرتحلت الأمانة إلى المبدأ، وحلت الخيانة محلها، فكيف ينتفع العبد بإيمان في جوفه الخيانة مكان الأمانة كما كان اليقين علاوته. فما ظنك

---

(١) لعل هذا الحديث من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر لأنه لا يوجد له أثر في كتب الصحاح ولم يذكره السيوطي في الصغير ولا الكبير.

بشيء ذهب علاوته، وبجسد قطع رأسه. أليس قد ذهبت حواسه؟ فلا يبصر ولا يسمع، ولا ينطق، ولا يجد الروائح. فكذا من إفتقد اليقين، لم يسمع عن الله ما خاطبه، ولا أبصر ما كشف له وأراه، ولا ينطق عن الله بحكمته، ولا وجد الريح الطيب الذي طيبه الله به. وبذهاب اليقين يموت القلب عن الله تعالى، ولم يمت عن توحيده، ولذلك تجده مخلطاً، يعمل عمل الموحدين، والمشركين، والموقنين، والشاكرين، والجادين، واللاعبين. يعمل عمل الجد بقوة اليقين الذي في التوحيد. فأما اليقين الذي هو عماد القلب، وهي الأمانة في جوف الإيمان فقد فاته. فلذلك صار مخلطاً.

قال ﷺ: «خير ما ألقي في القلب اليقين»[1].

وقال ﷺ: إن عيسى كان يمشي على الماء، ولو ازداد يقيناً لمشى في الهواء.

وكان ﷺ يقول: ما أعطي أحد من اليقين ما أعطيت أمتي[2].

قال: وكان عيسى (عليه السلام) يقول: ما أنزل في الأرض شيء أقل من اليقين.

وأُتي داود (عليه السلام) بصحيفة مختومة بالذهب من السماء فيها عشر مسائل، وأمر أن يسأل ولده منها. فمن أجابه بما فيها، فهو الخليفة. فدعا سليمان من بين أولاده فسأله: أي شيء أقل في الأرض؟

قال: اليقين.

قال: فأي شيء أكثر؟

---

(١) قال السيوطي في الجامع الكبير رواه الحكيم الترمذي ولم يشر الى غيره.

(٢) قال الامام السيوطي في الجامع الصغير رواه الحكيم الترمذي عن سعيد بن مسعود الكندي وأشار على الحديث بالضعف.

قال: الشك.
قال: فأي شيء آنس؟
قال: الروح في الجسد.
قال: فأي شيء أوحش؟
قال: الجسد إذا خرج منه الروح.
قال: فأي شيء أحسن؟
قال: الإيمان بعد الكفر.
قال: فأي شيء أقبح؟
قال: الكفر بعد الإيمان.
قال: فأي شيء أمر؟
قال: الفقر.
قال: فأي شيء أقرب؟
قال: الآخرة إذ هو آت.
قال: فأي شيء أبعد؟
قال: الدنيا إذا زالت عنك.
قال: فأي شيء أشر؟
قال: المرأة السوء.

ففك داود خاتم الصحيفة فنظر فإذا هو بتفسيرها في الكتاب، لم يغادر منه حرفاً فاستخلصه.

وقال ﷺ : « سلوا الله اليقين والعافية، فإن الناس لم يعطوا شيئاً خيراً من اليقين والعافية »[1].

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ١٠٦، ٣٥٥٨ ــ عن عبدالله بن عقيل أن معاذ بن رفاعة أخبره عن أبيه قال: قام أبو بكر الصديق على المنبر ثم بكى فقال: قام رسول الله ﷺ عام الأول على المنبر ثم بكى فقال: وذكره. قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه عن أبي بكر ــ رضي الله عنه.

ومر عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) بمصاب فقرأ عليه فبرأ، فقال رسول الله ﷺ: ما قرأت؟ قال: قرأت: ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً...** ﴾ الآية.[1] فقال (عليه السلام): لو قرأها موقن على جبل لزال .

فأوفر الناس حظاً من اليقين أوفرهم حظاً من الأمانة وأشدهم له حفظاً وحراسة.

قال ﷺ: «لا يؤمن العبد حتى يأمن الناس بوائقه»[2].

وقال (عليه السلام): «المؤمن الذي يأمنه الناس»[3].

وقال (عليه السلام): المؤمن في الدنيا على ثلاثة أجزاء: الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، ثم الذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، ثم الذي إذا أشرف على طمع تركه لله تعالى .

فهذه ثلاثة منازل للإيمان. المنزلة الأولى نزلها صنف آمنوا بالله

---

(١) سورة المؤمنون آية رقم ١١٥

(٢) الحديث أخرجه الامام مسلم في كتاب الايمان ١٨ باب بيان تحريم ايذاء الجار ٧٣ (٤٦) عن اسماعيل بن جعفر قال ابن ايوب حدثنا اسماعيل قال: أخبرني العلاء عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله ــ ﷺ قال وذكره ورواه البخاري في كتاب الادب ٢٦ والترمذي في القيامة ٦٠ وأحمد بن حنبل في المسند ١: ٣٨٧، ٢: ٢٨٨ (حلبي)

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن ٣٩٣٤ بسنده عن عمرو بن مالك الجهني أن فضالة بن عبيد حدثه أن النبي ﷺ قال: وذكره وفيه زيادة [على أموالهم وأنفسهم والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب].

في الزوائد: اسناده صحيح ورجاله ثقات. ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٣: ١٥٤

إيمان طمأنينة، لا ريب فيه، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله باداء الفرائض واجتناب المحارم، إلا ان الرغبة فيهم باقية. ومن كانت الرغبة فيهم باقية، فالخيانة فيهم كائنة. فان الله تعالى أعطى الخلق الأرواح بما فيها من الحياة عارية، وأعطاهم الدنيا عارية، ووضعها ممراً للعباد ومتزوداً. فمن اشتغل قلبه بالتمتع صيره كالمستقر. وإنما جعلها للزوال والانتقال عنها. فمن تشبث بالحياة ولا يريد مفارقتها وفر من الموت، فقد خان. لأن العارية إذا امتنع صاحبها من الخروج منها إلى مالكها، قهر وسلب، وسمي بامتناعه خائناً. فكذا الدنيا وضعت ممراً ومتزوداً. فمن صيرها مستقراً، سلب يوم الخروج منها وهو خائن، وهو مع هذه الخيانة يقوم باداء الفرائض بلا توقير، وباجتناب المحارم بلا تقوى وصيانة. إنما التقوى إذا خرجت شهوة تلك الأشياء من قلبه، وإنما اجتنب من خوف العقاب غداً من غير أن يلتفت إلى صيانة المعرفة التي في قلوبهم. فان قال له علام الغيوب غداً: «إن معرفتي كانت خلعتي على قلبك فاجتنبت محارمي شفقة على جلدك ولحمك، ولم تلتفت إلى خلعتي فتخاف عليها الدنس والغبار، وقد عظم عندك شأن جسدك وجل قدره، فباليت به واجتنبت المحارم توقياً عليه، لا على خلعتي التي بها طاب جسدك». فماذا يقول هذا العبد؟ فهذا من دناءة المنزلة.

المنزلة الثانية من الإيمان صنف زالت عنهم رغبتهم، فاشتاقوا إلى دار الله فاطمأنت نفوسهم، وطابت أرواحهم، فأمنهم الخلق على أموالهم وأنفسهم، ولم يأمنوا على أديانهم، فلا تقبل القلوب منهم مواعظهم وإشارتهم إلى الله. وإنما أمنهم الناس للأمانة التي في جوف إيمانهم، ولأن أرواحهم يتعارفون بما تضمنه من روح الإيمان. فإذا عاينوا الحق في فعل عامل به، إستنارت له قلوبهم، وعرفوا أنه الحق، فأمنت قلوب الخلق، واطمأنت نفوسهم إلى ما عندهم، قد أمنوا على النفوس والأموال، ولم يأمنوا منه على الدين.

والمنزلة الثالثة من الإيمان فهم قوم بلغوا ذروة الإيمان، وسماه (عليه السلام) ذروة لأنه شبه الإيمان بالجبل، والنفس كريشة طياشة تهب بها الريح. فكلما كان الجبل أثقل، كانت الريشة أسكن. حتى إذا بلغ العبد ذروة الإيمان كان كأنه على قلة جبل، والنفس تحته مضغوطة، لا يقدر على التحرك. فلا يزال كذلك تحت أثقال المعرفة حتى تصفو من عصارتها وتسيل منها تلك الفضول، وتيبس عن رطوبة الشهوات، كما يبس الكسب الذي قد عصر تحت الأثقال، حتى سال دهنه وبقي ثفله[1] يابساً. فعند ذلك تجدها قد ماتت شهواتها، وخمدت نيرانها خموداً إفتقد حرها.

فهذا الذي قال ﷺ: «إذا أشرف على طمع تركه لله». وإنما قدر على ذلك بقوة ما فيه من الغنى بالله. فالغنى بالله في ذروة الجبل، وهو أعلى الإيمان. أولئك الذين يأمنهم الخلق على دينهم فتقبل القلوب مواعظهم وإشارتهم إلى الله تعالى، لأنهم يسيرون إلى الله وقلوبهم بين يدي نور الإيمان ووقاره. فإذا نطق أحدهم استنارت القلوب لنور مقالته. وإذا شخصت أبصارهم إليه، توقرت النفوس لوقاره، وهدأت الأركان، وسكنت منهم الأصوات.

وقال (عليه السلام): لما صعدت إلى السماء السابعة إذ هو برجل أشمط، جالس على كرسي عند باب الجنة، وعنده قوم جلوس بيض الوجوه، أمثال القراطيس، وقوم في ألوانهم شيء. فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه فخرجوا، وقد خلص من ألوانهم شيء، ثم دخلوا نهراً آخر، فخرجوا وقد خلصت ألوانهم فصارت مثل ألوان أصحابهم. فقلت: يا جبرئيل، من هذا الأشمط؟ ومن هؤلاء؟ ومن هؤلاء؟ وما هذه الأنهار التي دخلوها. قال (عليه السلام): هذا

---

(١) الثفل: بالضم ما سفل من كل شيء

أبوك إبراهيم أول من شمط على الأرض. وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم. وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقد خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فتابوا فتاب الله عليهم. وأما الأنهار فأدناها رحمة الله، والثاني نعمة الله، والثالث وسقاهم ربهم شراباً طهوراً[1].

قوله : « ولا دين لمن لا عهد [2] له » فالدين اسم جامع منتظم لجميع الإسلام، إلا أن الإسلام هو تسليم النفس إلى الله عبودة، وترجمة الدين هو الخضوع، وأن تجعل نفسك دون أمره، ومن قبله فشرطه مع الله أن يكون كل أمره غالباً على قلبه ونفسه وشهواته وإرادته كلها. فمن وفى بها في جميع الأوقات، فهو صادق مطيع، قد وفى لله بما قبل منه. ومن وفى بعضاً وضيع بعضاً فدينه منقوص، وعلى حسب ذلك يقبض الجزاء من ديان يوم الدين، يوم ليس فيه لأحد أمر، ﴿ **يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله** ﴾[3].

وأما العهد فهو تذكرة الله الذي وضعه فيما بينه وبين العباد يوم أخذهم للعبودة قبل خلق السموات والأرض. فلما خرجوا إلى الدنيا، نسيه الأعداء وحفظه الموحدون. ثم غلب الموحدين غفلة على ذلك الحفظ فوهلوا. فأوفرهم حظاً من الحفظ أوفرهم حظاً من الذكر، فالأعداء في غفلة. ومن الغفلة النسيان. والأحباب في غفلة، ومن الغفلة الوهلة. ومن الوهلة الخطايا ونقض العهد ودروس ذكر العهد. فأوفرهم حظاً من العهد أوفرهم حظاً من الدين وأشدهم انقياداً. فالكافر ينسى،

---

(١) سورة الانسان آية رقم ٢١

(٢) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٣: ١٥٤ ثنا حسن، ثنا أبو هلال الراسبي عن قتادة عن أنس ــ رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ــ ﷺ قال: لا ايمان لمن لا أمان له وذكره.

(٣) سورة الإنفطار آية رقم ١٩.

والمؤمن يغفل. فالكافر ناس لربه ونفسه، من أين، وإلى أين؟ والمؤمن يتردد بين الغفلات والذكر. فالمؤمن أمين الله في أرضه، ائتمنه على معرفته، ووضعه في قلبه، وجعل قلبه خزانة له، وأمنه عليها بما فيها من كنوز المعرفة، ووكله بحراستها من النفس الأمارة بالسوء، ومن العدو الحاسد القائم في ظل النفس، يرمي بالشيء بعد الشيء إلى النفس، ينتظر متى يفترص النفس فرصتها من القلب، وليس أحد أعز على الملك ولا أصفي حباً له من أمينه الذي إئتمنه على جميع الأشياء. فإذا قام العبد بحفظ الأمانة، فهو أمين الله في أرضه. وإذا وفى بالقيام وصدق الله فيه، فعين الله ترعاه، وهو المستحق لاسم الإيمان.

قال تعالى: ﴿ **إن المتقين في مقام أمين** ﴾[1]. فهو واحد الله في أرضه في كل وقت. وإنما سمي جبرئيل أمين الله، قال تعالى: ﴿ **عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين** ﴾[2].

فقال أهل التفسير: حل من الأمانة محلاً أن يدخل سبعين ألف حجاب من نور بغير إذن، وائتمنه الله على وحيه، فبرز اسمه في السموات بأنه أمين، واستحق دخول الحجب بلا إذن، وفي كل حجاب سر. ولذلك تجد ملوك الدنيا لا يطلق الدخول لأحد بغير إذن متى شاء إلا لمن ائتمن على أسرار ما في وراء الحجاب.

---

(١) سورة الدخان آية رقم ٥١.

(٢) سورة التكوير آية رقم ٢٠، ٢١.

الأصل الحادي والأربعون والمائتان

في فضيلة غض البصر

عن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من نظر إلى محاسن امرأة فغض طرفه في أول نظرة، رزقه الله تعالى عبادة يجد حلاوتها في قلبه»[1].

فمحاسن المرأة مجالس الشيطان وموضع زينته التي قال تعالى: ﴿ **رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض** ﴾[2].

فتلك الزينة يلقيها على المحاسن. فان وجد العبد في النظرة على غفلة عملت الزينة التي بيده على عين الناظر عملاً ينفذ إلى القلب، فيأخذ القلب بمنزلة السهم المسموم إذا خلص إلى الجسد، فقد سمه من طرف السهم، فدب في جميع الجسد. فتلك الزينة التي بيد العدو لها سم. فاذا ألقاها على محاسن المرأة، فانما يلقيها ليهيج نفوس الآدميين

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٥ : ٢٦٤ ثنا إبراهيم بن إسحاق ثنا ابن مبارك وعتاب قال: ثنا عبدالله هو ابن المبارك أنا يحيى بن أيوب عن عبيدالله بن زحر عن علي ابن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : وذكره.

(٢) سورة الحجر آية رقم ٣٩.

التي هي ساكنة. فإذا نظرت العين، وحظها من الدنيا زينة الأشياء وألوانها، فاذا أخذت الزينة وألوانها على غفلة، وتخطى إلى ما لم يؤذن له في النظر إليها، أو فيما أذن له وهو غير ذاكر لله، خلصت تلك الزينة التي بيد العدو إلى النفس فهيجتها، فصارت بمنزلة السم، يدب في جميع الجسد. فإذا تأدت إلى القلب، خالطت حلاوة الإيمان وحرارته، فتكدر الإيمان وانكسفت المعرفة، فصارت بمنزلة شمس صارت في كسوف، فعلق القلب بتلك النظرة بالمنظور إليها، وصارت كجراحة مسمومة. والذي حل بداود (عليه السلام) إنما كان من نظرة واحدة. والعبد أعطى جفون الناظرين حجة عليه وقطعاً لعذره وإخراساً للسانه.

وفي الخبر أن الله تعالى يقول: «يا ابن آدم إن نازعتك عينك فأطبق، فقد جعلت لهما طبقاً. وإن نازعك لسانك فأطبق، فقد أعطيتك طبقاً. وإن نازعك فرجك فأطبق، فقد أعطيتك طبقاً» . (يريد به الفخذين). فهذا من الله تأييد لعبده. فإذا استقبل زينة الشيطان التي أعدها لغوايته بها بتأييده الذي أيده به، جاءت العصمة بعد التأييد، وسكنت النفس، وبطل كيد العدو، وأثابه الله في عاجل الدنيا ثواباً أن رزقه عبادة يجد حلاوتها مع ما يدخر له من ثواب الأجل.

وفي الخبر: ما ترك العبد شيئاً من الدنيا لله إلا آتاه الله خيراً منه وأفضل.

وقال تعالى في قصة سليمان (عليه السلام): ﴿ **نعم العبد إنه أواب** ﴾. إلى قوله: ﴿ **وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب** ﴾[1].

أخرجت له خيول من البحر منقوشة ذوات أجنحة، فشغلته عن صلاة العصر حتى غربت الشمس، فدخلت عليه حرقة الفوت، ووجد من

---

(١) سورة ص آية رقم ٤٠.

ذلك وجداً شديداً، فسخر له الريح ثواباً لعاجله، ثم أعد له ثواب الأجل فقال: ﴿ **وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب** ﴾.

فمن غض بصره، فقد رد حلاوة هاجت منه حين أحست نفسه بالنظرة الأولى التي كانت له، فرد تلك الحلاوة على النفس، فرجعت النفس قهقرى على عقبيها، وبقيت خزانة الله مصونة، فأعقبه الله تعالى في عاجل دنياه بما صان خزانته، فأهاج من الخزانة من شرارات المعرفة حلاوة عبادة طرية، وخلصه من وبال النظرة، وجعل تلك العبادة حصنه، وتلك العبادة زاد قلبه، يقطع بها مسافة العبودة أيام الحياة. وحلاوة العبادة تحفة من الله تعالى، وأصلها من هيجان المعرفة. فالعبادة كثيرة، وحلاوته عزيزة لا تنال إلا من طريق التحف، فهي زاد قلوب العابدين، وبالزاد يقطع الأسفار، أسفار الملكوت.

قال (عليه السلام): «أحب العيون إلى الله تعالى عينان: عين غضت عن محارم الله. وعين حرست في سبيل الله»[1]. وقال تعالى: ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم** ﴾[2].

فخرجت مخرج النصيحة والعطف والتأييد. وقال في سائر الأشياء افعلوا ولا تفعلوا، وبين الأمر والقول بون بعيد. فوجد السابق سبيلاً إلى صفاء الانتهاء، والمقتصد سبيلاً إلى الانتهاء مع التنازع. قال تعالى: ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** ﴾[3].

---

(١) الحديث رواه الترمذي في فضائل الجهاد باب ١٢ ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله ١٦٣٩ ــ حدثنا شعيب بن رزيق أبو شيبة، حدثنا عطاء الخراساني عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره.

قال الترمذي: وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة، وحديث ابن عباس: حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رزيق.

(٢) سورة النور آية رقم ٣٠.

(٣) سورة غافر آية رقم ١٩.

والمقتصد حظه منه ما يتخلص من خيانة العين، وما في الصدور باق.

وكانت أم سلمة وميمونة (رضي الله عنهما) عند رسول الله ﷺ فدخل عليه ابن أم مكتوم، فقال (عليه السلام): احتجبا منه. فقالتا: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال ﷺ: أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه[1].

وقال تعالى: ﴿ **وإذ سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب** ﴾. ثم قال: ﴿ **ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن** ﴾[2].

اعلم أن المبتغي منهم طهارة القلوب. وإنما تطهر القلوب بحفظ الحواس المؤدية الأخبار إلى الباطن. وقد حذر الله عباده شأن الزناة وعظمه وبيَّنَ عقوبته وبيَّنَ الرسول أن لكل جارحة منه حظاً.

قال (عليه السلام) : « العين تزني، واليد تزني، والرجل تزني، والسمع يزني، ويصدق ذلك كله ويكذبه الفرج »[3].

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الأدب باب ٢٩ ما جاء في احتجاب النساء عن الرجال ٢٧٧٨ ــ عن ابن شهاب عن نبهان مولى أم سلمة أنه حدثه أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة قالت: فبينا نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله ﷺ احتجبا عنه فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا.. ؟ فقال ﷺ وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ورواه أبو داود في اللباس ٣٤ وأحمد بن حنبل في المسند ٦ : ٢٩٦ (حلبي).

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٥٣.

(٣) الحديث أخرجه الامام مسلم في كتاب القدر ٢٠ (٢٦٥٧) بسنده عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما قال ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة ان النبي ــ ﷺ ــ قال: وذكره.
ورواه البخاري في الاستئذان ١٢ والقدر ٩ وأبو داود في النكاح ٤٣ وأحمد ابن حنبل في المسند ٢: ٢٧٦ (حلبي).

فتكذيب الفرج إياهن أن لا يوجب حداً. فأما الأدناس والآثام فقد أصابت الجوارح وحلت به.

قال خالد بن عمران : لا تتبعن البصر والنظر. فربما نظر العبد نظرة ينفل فيها قلبه كما ينفل الأديم في الدباغ فلا ينتفع به.

قال (عليه السلام) : « النظر الى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس مسموم. فمن صرف بصره عنها رزقه الله تعالى عبادة يجد حلاوتها ».

وقال عيسى (عليه السلام) : « إياك والزناء، فانه من غضب الرب، وإنما يثيره النظر والشهوة واتباعهما، ولا تكونن حديد النظر إلى ما ليس لك فإنه لن يزني فرجك ما حفظت عينك. وإن استطعت أن لا تنظر إلى ثوب المرأة التي لا تحل لك فافعل، ولا تستطيع ذلك إلا بالله ».

وعن علي (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : إن لك من الجنة كنزاً، وإنك ذو قرنيها، فلا تتبعن من النظرة النظرة، فان لك الأولى وليست لك الأخرى »[1].

فمعنى الكنز فاطمة، وقرنيها الحسن والحسين (رضي الله عنهم) صيرها بمنزلة الكنز، لأن الكنز موضوع مستور إليه الموبل وسائر المال ظاهر يذهب ويجيء. والكنز أصل المال. فشبه فاطمة (رضي الله عنها) من نعيم الجنة بالكنز من المال. ثم قال : وأنت ذو قرنيها، نسب

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الأدب باب ٢٨ ما جاء في نظرة المفاجأة ٢٧٧٧ ــ عن أبي ربيعة عن ابن بريدة عن أبيه رفعه قال: يا علي وذكره. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك. ورواه أبو داود في كتاب النكاح ٤٣ والدارمي في الرقاق ٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٥ : ٣٥١، ٣٥٣ (حلبي).

القرنين إلى فاطمة (رضي الله عنها)، ومعناه أن الحسن والحسين (رضي الله عنهما) قرناها. وإنك يا علي ذو القرنين. أي تجد الحسن والحسين وهما سيد أهل الجنة لك ولداً.

وقال ﷺ : « أربع نساء سيد نساء العالمين : مريم، وآسية، وخديجة، وفاطمة »[1].

وقال : « إنما فاطمة بضعة مني »[2]. وقال لها عند موته : « إنك أسرع الناس لحوقاً بي » فضحكت[3].

فبشر علياً (رضي الله عنه) بأنها لك في الجنة، ثم أوصاه على أثر البشرى وصية الرسل على التلطف، يحذره إتباع النظرة النظرة، لئلا يطمس وجه الكنز ولا يغير ما به من نعمة الله، فإنه يحتاج إلى التطهير في شأن الوصول إلى الكنز. وكان ﷺ إذا خص أحداً من أصحابه بموعظة وتحذير، فإنما يقصد قصد النكبة التي يخاف عليه منها. وكان الغالب على قلب علي (كرم الله وجهه) محبة الله، والمحبة تسير إلى الله في ميدان السعة والتشجع في الأمور. والمحبة لها حلاوة

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب المناقب ٣٨٧٨ عن قتادة عن أنس ــ رضي الله عنه ــ أن النبي ﷺ قال: وذكره وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب المناقب ٣٨٦٧ عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر وذكره. ورواه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة ١٥ باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام ٩٣ (٢٤٤٩) بالسند السابق ذكره.

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب مناقب الصحابة ٩٩ عن فراس عن مسروق عن عائشة قالت اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهم امرأة فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال: مرحباً يا بنتي فأجلسها عن يمينه وعن شماله: وذكره.
ورواه الترمذي في كتاب المناقب ٣٨٧٢ عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: وذكره.

وحرارة تهيج الشهوة، وتذيب ماء الصلب. فحذره (عليه السلام) ما كان يخاف عليه فبشره بالكنز والقرنين، ثم أتبعه الوصية، وحذره كي يشفق على ما بشره له في الجنة، ويكون عوناً على غض بصره ورد نفسه.

قال (عليه السلام) : « لأعطين رايتي غداً لرجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله »[1].

فشهد له الرسول بحب الله إياه وبحب الله. والمرء ينسب إلى ما يكون الغالب عليه من الأمور والأعمال. فكذلك من الحظوظ، إنما ينسب أصحاب القلوب كلٌّ إلى ما وفر له من الحظ من ذلك الشيء. فأبو بكر منسوب إلى الرحمة. وعمر منسوب الى الحق. وعثمان منسوب إلى الحياء. وعلي منسوب إلى المحبة. وإنما نسب كل واحد منهم إلى ما هو الغالب عليه. وكان علي (كرم الله وجهه) ظاهر الأمر من بين الأصحاب في شأن الثناء على الله تعالى وذكر الصفات. وهذا علم المحبين. وكان معروفاً بالانبساط والانطلاق والهشاشة إلى الخلق، والمزاح. حتى قال عمر (رضي الله عنه) في حقه : إنه رجل تلعابة. وقال مرة أخرى : به دعابة.

وهذا لمن الغالب على قلب محبة الله تعالى. لأن القلب ينبسط عند المحبة، وينقبض عند المخافة. فإذا غلبت المحبة على الخوف، انبسط. وإذا غلب الخوف على المحبة، انقبض. لأنه يلاحظ العظمة، وفي وقت الانبساط يلاحظ جوده وكرمه. فكان انبساط علي (رضي الله عنه) إلى الخلق ومعاملته إياهم حسب ذلك من السعة والبشر

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة ١١ والبخاري في الجهاد ١٠٢، ١٢١، ١٤٣ فضائل اصحاب النبي ٩ ومسلم في فضائل الصحابة ٣٢ــ٣٥ والترمذي في المناقب ٢٠ واحمد بن حنبل في المسند ١: ٩٩ (حلبي)

والهشاشة. وبتلك القوة أمكنته المحاربة وتشجع فيه. ومن كانت هذه صفته كانت شهوته هائجة، وكان قرماً في أمر النساء. وكان يقول : كنت رجلاً مذاء، فكنت أغتسل في اليوم مرات حتى شجئت، وكنت أستحيي أن أسأل رسول الله ﷺ من أجل ابنته، فأمرت المقداد أن يسأله، فسأله، فقال : يجزيك الوضوء.

وكان قد همَّ أن يتزوج علي فاطمة (رضي الله عنها) حتى خطب رسول الله ﷺ على المنبر فقال : إن بني المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم من علي، وإن فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها، ألا فإني لا آذن ثم لا آذن[1].

وكان علي (رضي الله عنه) يريد أن يخطب العوراء بنت أبي جهل، فقال ﷺ : وما كان لعلي أن يجمع بين ابنة نبي الله وابنة عدو الله، وإن فاطمة بضعة مني، يغضبني ما أغضبها.

ووقعت في سهمه يوم فتح مكة جارية من سبي هوازن، فذهب بها مستعجلاً إلى أخته أم هانئ لتزينها، فهم في ذلك إذ نادى منادي رسول الله ﷺ : خلوا عن السبايا. فبقي على قارعة الطريق، ودخلت أم أيمن على فاطمة (رضي الله عنها) فرأت في وجهها شيئاً أنكرته، فسألتها، فأبت أن تخبرها، فقالت : إن أباك كان لا يكتمني شيئاً، فقالت : جارية وهبها أبو بكر لعلي. فخرجت أم أيمن فنادت : أما لرسول الله حق أن يحفظ من أهله؟ فقال علي (رضي الله عنه) : ما هذا؟ فقالوا له : أم أيمن تقول كذا. فقال علي (رضي الله عنه) : الجارية لفاطمة (رضي الله عنها). ومات يوم مات عن سبع عشرة، من بين حرة وأم ولد، وكان هذا كله من غلبة ما ذكرنا على قلبه.

---

(١) الحديث رواه الترمذي باب ٦١ فضل فاطمة بنت محمد ﷺ ٣٨٦٧ عن ابن أبي مليكة وعن المسور بن مخرمة قال: سمعت النبي ﷺ وذكره.

وقد حذره (عليه السلام) النكبة التي عرفها فيه وعرفه خطرها ووبالها.

وكان من شأنه ﷺ إذا عرف من رجل شيئاً يخاف عليه منه وعظه من ذلك الباب. ولهذا أخذ بطرف عمامة الزبير، وقال : يا زبير إني رسول الله إليك خاصة، وإلى الناس عامة، يا زبير إن الله تعالى يقول : أنفق أنفق عليك، ولا تصر فأصر عليك.

هو إنما قصده بهذا لأن الزبير كان يزن ببخل. وبلغ من إمساكه أنه كان يوصي إليه أفاضل أصحاب رسول الله ﷺ في أموالهم لعلمهم بإمساكه.

الأصل الثاني والأربعون والمائتان

في فضيلة صوم شهر رمضان

عن عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال : إن شهر رمضان شهر فرض الله على المسلمين صيامه، وسننت لكم قيامه. فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً، خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه[1].

« صامه إيماناً » أي آمن بما افترض الله عليه، ثم صامه على تلك النية. والصوم والعزم عن الكف عن كل شيء يطعم ويشرب، وعن إتيان النساء. وهذا العزم بين العبد وبين ربه، لا يطلع عليه أحد، فهو في كل ساعة من يومه إذا اعترضت له شهوة، فإنما يمتنع منها لإيمانه بأن الله تعالى مطلع على سره وإضماره. فذاك منه إيمان في كل وقت

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين ١٧٥ (٧٦٠) حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. ورواه البخاري في كتاب الإيمان ٢٨ والصوم ٦ وليلة القدر ١ وأبو داود في رمضان ١ والترمذي في الصوم ١ (٦٨٣) عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

وساعة في رد كل شهوة مع طمأنينة نفسه بإن الله تعالى يعلم عزمه وضميره في هذا الكف، فيستقر لذلك قلبه ويعظم أمله، هذا أكله إيمان.

وقوله (عليه السلام) : « إيماناً واحتساباً » فكل عمل ابن آدم إنما يقوم بالنية والحسبة. والنية قربتان تجريان في الأعمال معاً. فإذا انقطعت النية، انقطعت الحسبة. والنية نهوض القلب إلى الله تعالى، وبدؤها الخاطرة، ثم المشيئة، ثم الإرادة، ثم النهوض، ثم اللحوق إلى الله تعالى بعقله وعلمه وذهنه وهمته وعزمه وإضماره. فههنا تتم النية. ومن ههنا يخرج إلى الأركان، فيظهر على الجوارح فعله. فمبدأ النية نهوض القلب ومنتهاه عزمه، ثم الارتحال. يقال : ناء ينوء، أي نهض، والعزم عقد القلب، ولا يكون نية إلا بالعقد. فإذا صح العزم خرج الرياء والفخر والخيلاء من جميع أعماله.

ثم الناس بعد ذلك على طبقات: فالعامة لا بد لهم من أن يأتوا بهذه الصفة في كل عمل يلتمسون ثوابه غداً، وذلك موجود في العامة من الموحدين في كل عمل أخلصوه لله تعالى. فهذه الخصال موجودة في ذلك العمل إلا أنه لا يحسن أن يميز هذا الاسم ويطالعه بقلبه في صدره. لأن الصدر مشحون بأفعال النفس وفتنها ووساوس شهواتها. فمن أين يبصر في صدره الخواطر والمشيئآت والإرادات والنهوض والإرتحال. إلا أن الله لما رحم الموحدين ومنّ عليهم بالتوحيد ضمن هذه الأشياء توحيدهم، وأودعها قلوبهم. فهم بتلك القوة يعملون أعمال البر. فربما أخلصوا، وربما خلطوا. وربما إطمأنوا، وربما نافقوا. ولذلك وقع الحساب في الموقف لتخلط الإيمان بالنفاق، والصدق بالكذب، والإخلاص بشرك الأسباب.

وإنما يستبين ما وصفنا لقلب أجرد أزهر، في صدر فسيح، قد شرحه الله للإسلام، فهو على نور من ربه، رطب بذكر الله، قد لان بلطفه،

ورطب برحمته، وصلبت بآلائه. وبذلك وصفه ﷺ فقال : « قلب المؤمن أجرد أزهر »[1].

فصدره كمفازة جرداء فيها شموس تزهر. ولهذا قال ﷺ : « ان لله في الأرض أواني، ألا وهي القلوب، فخيرها أصفاها وأرقها وأصلبها ».

فأصفاها من كدورة الأخلاق، وأرقها للإخوان، وأصلبها في ذات الله تعالى.

فأما الناس في النية على طبقات، فنية العامة ارتحالهم إلى الله بهذا العقل والعلم والذهن والهمة والإضمار والعزم، ومبلغ ارتحالهم الجو. إذ ليس لقلوبهم من القوة ما يرتحلون ويطيرون، لأنه لا ريش لقلوبهم، فيطيرون والجو مسدود، لأن القلوب لما مالت الى النفوس فأطاعتها، انسد طريقها إلى ربها، لأن القلوب إنما أعطيت معرفة التوحيد ومَنَّ عليها بذلك لتمد النفس بما فيها من الشهوات الى الله فتطيعه، فتمت حجة الله على القلب بما أعطى من القوة البالغة. فلما ضعف ولم يتشمر لأمر الله بما أعطي من الجنود، ولم يجاهد النفس حتى يغلبها ويأسرها بجميع ما فيها من الشهوات فيذلها. وقال تعالى : ﴿ **وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم** ﴾[2].

أي رفعكم من بين الأعداد جباية منه لكم ليتخذكم أحباباً، ووضع

---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه الإمام أحمد في المسند ٣ : ١٧ ثنا أبو النضر، ثنا أبو معاوية يعني شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة، عن أبي البحتري عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد وذكره.

(٢) سورة الحج آية رقم ٧٨ وقد جاءت هذه الآية محرفة في المطبوعة حيث قال (جاهدوا) بدلاً (وجاهدوا).

في قلوبكم التوحيد بحلاوته، كي إذا جاءت النفس بحلاوة شهواتها إلى القلب، ضربت بتلك الحلاوة وجهها، وردها بقوة هذه الحلاوة الممنون عليه. فإذا لم يجاهد وانخدع لنفسه وبما تأتي به، تحيرت الجوارح، وتعطلت الأعمال التي بها وكلوا.

فهناك تجده لا يلتذ بطاعة ولا يستروح إلى ذكر، إذ لا يجد رائحة الذكر، لأنه يخرج من صدر كالمزابل، محشو بالخبث والخيانة، والظلم والعدوان، والرغبة والتجبر، والتعزز والتكبر، والاستبداد والحقد، والغلو وحب الأشياء التي يضاهي الله بها وينازع رداءه، فيرجو صاحبه أن يلتذ بطاعة أو يستروح إلى ذكر، أو يجاوز قلبه في عمله. فإن اجتهد فأخلص في شيء وأخذ بحرمة ذلك التوحيد وقوته، فبجهد شديد، ولا يجاوز قلبه الجو. فهذا شأن العامة.

وأما الصادقون وهم العباد والزهاد والقراء فنياتهم صاعدة عن هذه الأشياء التي ذكرنا من العقل والعلم والفهم والهمة والعزم والإضمار. فإذا بلغ المحل الذي هناك، استقر القرار في بيت العزة في سماء الدنيا، وضعفوا عن تجاوز ذلك إلى ما فوقه، لأنه لا يقدر قلبه على الطيران إلى العلى، وعلى قدر علمه وعقله وذهنه واستعماله ذلك يمكنه أن يطير، فتحظى تلك النفوس من ذلك المحل ويأخذ قوتها، ويستمر في الطاعة.

وأما العارفون، وهم الصديقون فإن نياتهم قد صارت كلها نية واحدة، لأن القلب قد ارتحل إلى الله تعالى بمرة، ووجد الطريق، واشتغل بالنفس بما فيها من الشهوات لينة منقادة، قد تحولت من الخيانة إلى الأمانة، وانقادت للقلب. فالقلب أمير، والنفس أسير. فارتحال قلوبهم إلى المعسكر عند ذي العرش، ولهم مطاف، وأعمالهم معروضة على الله في كل معرج، وينظر إليها الرب ويتقبلها، ثم توضع بعد القبول في الخزائن الخاصة.

وأما العارفون، حكماء الله فهم الذين أطلعوا على بدو الربوبية ومحل القدرة. فهم خاصة الله من بحور الله، يعملون جميع الأعمال، والأعمال غائبة عن القلوب، لأن الله تعالى نصب أعينهم في مجلس الملك. فأجمل رسول الله ﷺ ذكر النية فقال: « الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى »[1]. يعلمك أن للنية درجات، كل على درجته ينال ثمرتها.

وقال ﷺ: « لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسبة له »[2].

والحسبة أن يحتسب على الله تعالى من العبودة التي قبل منه، لأن العبد في رق العبودية إلى يوم خروجه من الدنيا. لأنه خلقه ليعبده، ثم وعده أن يحرره يوم القيامة إذا أتاه بالعبودة، فيقعده ملكاً في دار السلام. قال الله تعالى: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾[3].

فنحن نسعى في هذا الرق الى يوم خروج الروح وقبض النفس عن الدنيا. فمن أراد الآخرة، وسعى لها سعيها وهو مؤمن، فأولئك كان سعيهم مشكوراً. شكر الله لهم بمغفرة الذنوب والرضاء عنهم،

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٢٦ باب النية ٤٢٢٧ ــ أنبأنا يحيى بن سعيد أن محمد بن إبراهيم التيمي أخبره أنه سمع علقمة بن وقاص أنه سمع عمر بن الخطاب ــ وهو يخطب الناس فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره. ورواه البخاري في بدء الوحي ١ والعتق ٦ ومناقب الأنصار ٤٥ والطلاق ١١، والحيل ١ ومسلم في الإمارة ١٥٥ وأبو داود في الطلاق ١١ والنسائي في الطهارة ٥٩ والطلاق ٢٤.

(٢) الحديث رواه الديلمي في مسنده عن أبي ذر ــ رضي الله عنه وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير بلفظ (لا أجر الا عن حسب ولا عمل الا بنية)

(٣) سورة الذاريات آية رقم ٥٦.

وتمليكهم الجنان، وقضاء المنى والشهوات على التأييد ورضوان من الله أكبر. وإذا آمن العبد بربه ألقى بيديه سلماً إليه، وقبل أمره وعبودته، قبله الله وأقبل عليه بالعون. قال تعالى: ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا** ﴾[1] أي من العون والنصرة.

وإذا أعرض مغتراً بخدائع النفس وأمانيها وأكاذيبها فأقبل على النفس، وقبل منها ما تأتي به، فقد أعرض عن الله تعالى ومال عنه، وأعرض الله عنه، وعذب قلبه، وانقطع المدد والعون. فإذا تاب إلى الله وفزع وأدركه رحمة الله وغوثه بأن فتح باب الرحمة نظراً منه لمنته وأياديه التي كانت له عند العبد، فوجد القلب خلاصاً، وعاد العون والمدد، فلم يزل العبد يترقى درجة درجة، وتفضل الله عليه بالكرم، وجاد بالإقبال فانتعش بعد النكس، وحيي بعد الموت، حتى توردت بساتين توحيده، وانفطر مكنون جواهره، كانفطار الينابيع وانغلاق الحبوب عن بذرها وازدهرت وأينعت. وذلك قوله تعالى: ﴿ **فالق الحب والنوى** ﴾[2]، و ﴿ **فالق الإصباح** ﴾[3]، و ﴿ **يخرج الحي من الميت** ﴾[4].

فأخذ العبد يسعى في الرق والعبودية. فكلما عمل براً من الأعمال احتسب به على الله في العبودة التي قبل منه كمن عليه دين في عنقه، فهو يفك رقبته بادائه شيئاً بعد شيء. وكل شيء يؤديه إلى صاحب الدين احتسب عليه في قضاء الدين الذي في عنقه. فهذا العبد يحتسب في نفسه وفي ذاته بهذا الفعل يحسبه على الله تعالى في قضاء دينه وهو العبودة التي لها خلق التي قبلها. فاذا نوى واحتسب فقد أخلص.

---

(١) سورة النحل آية رقم ١٢٨.
(٢) سورة الأنعام آية رقم ٩٥.
(٣) سورة الأنعام آية رقم ٩٦.
(٤) سورة الأنعام آية رقم ٩٥.

قال الله تعالى: ﴿ **ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾[1]. فيكتب له أجر العبودة. ولذلك قال (عليه السلام) : « لا أجر لمن لا حسبة له[2] ».

فرب رجل يعمل أعمال البر على العادة لا على يقظة العبودة فلا يكون له احتساب. ولهذا قال (عليه السلام) : « ومن غشيانك أهلك صدقة ». قالوا : يا رسول الله : نأتي شهواتنا ونؤجر؟ قال : أرأيت لو وضعتها في حرام أكنت توزر؟ قالوا : نعم. قال : فتحتسبون بالشر ولا تحتسبون بالخير؟[3].

معناه إذا زنى إنما قصد قضاء الشهوة فاحتسب على النفس باعطائها منيتها، وقضائها شهوتها. فإذا وضعها في حلال وأراد العفة عن الحرام، احتسب بها قضاء عن العبودة، فصار ذلك منه صدقة على أهله. ولذلك قال معاذ لأبي موسى : أنا أنام نصف الليل وأقوم نصفه، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي. فاذا نام العبد تلذذاً، وأتى أهله تلذذاً، لم يحتسبها قضاء على العبودة، بطل أجره وبقيت العبودة في عنقه، فلقي الله وقد خسر أجر العبودة في ذلك الوقت الذي عطله. وإذا مال بهذه الشهوة إلى الحرام، فانما يقضي عبودة النفس، وقد خلقه الله تعالى ليعبده فقبل منه، ثم ذهب فصبر نفسه عبداً لنفسه وشهواته، وذهب بعبودة الله إليها، ولهذا استوجب اللعنة من رسول الله ﷺ حيث قال :

---

(١) سورة البينة. آية رقم ٥.

(٢) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي ذر — رضي الله عنه والسيوطي في الجامع الصغير

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الزكاة ٥٣ (١٠٠٦) عن يحيى بن عقيل، عن يحيى بن معمر عن أبي الأسود الديلي عن أبي ذر أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ وذكره. ورواه أبو داود في كتاب الأدب ١٦٠ وأحمد بن حنبل في المسند ٥ : ١٥٤، ١٦٧، ١٦٨ (حلبي).

« لعن عبد الدينار، لعن عبد الدرهم، لعن عبد الخميصة، وشيك فلا انتقش، حبذا عبد الله وعبيد الله »[1].

وقال ﷺ: « لكل أمرئ ما احتسب وعليه ما اكتسب، والمرء مع من أحب، ومن مات على ذنابى طريق فهو من أهله »[2].

معناه ما ذكرنا أن ما احتسب قضاء عن العبودة فهو له، وما لم يحتسب ولكن اكتسب فهو عليه.

وقال تعالى : ﴿ **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** ﴾[3] لأن الكسب فعل الأركان، والاكتساب فعل الذات. يكتسب إتباع الهوى فيما تقضي النفس من مناها وشهواتها ولذاتها فذاك عليه. وإذا جاء الاحتساب من قوة القلب بذكر العبودة مع النية الصادقة، فتلك النية تحول العمل. فصار للنية لا للهوى، فيحتسب به على الله قضاء العبودة، لا قضاء الفهمة والشهوة. فاذا صام رمضان إيماناً بما كتبه الله عليه، وبأنه يطلع على عزمه في صومه ورد شهواته في ساعات يومه، فذاك كله إيمان يتجدد عليه كل ساعة، وهو سر بينه وبين ربه، لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل. ولذلك قال : « الصوم لي وأنا أجزي به »[4].

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٨ باب في المكثرين ٤١٣٦ ــ عن صفوان عن عبدالله بن دينار عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره. ورواه البخاري في كتاب الجهاد ٧٠ والرقاق ١٠.

(٢) الحديث رواه الترمذي عن أنس ــ رضي الله عنه وأشار السيوطي بالصحة

(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦.

(٤) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الصيام ٣٠ باب فضل الصيام ١٦٤ حدثنا الأعمش عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل: وذكره. ورواه الإمام البخاري في الصوم ٢ والتوحيد ٣٥، ٥٠ واللباس ٧٨ ورواه النسائي في الصيام ٤١، ٤٢ وابن =

لأنه في ما بينه وبينه ففي كل ردة من العبد لشهوة تعرض له جزاء من ربه، وهو لا تدركه الحفظة والكتبة.

= ماجة في الأدب ٥٨ وصاحب الموطأ ٥٨ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٤٤٦، ٢ : ٢٣٢، ٢٢٤، ٢٨١، ٨١٣ (حلبي).

الأصل الثالث والأربعون والمائتان

في فضيلة الأمور الثلاثة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : أوصاني حبيبي أبو القاسم ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وأن لا أنام إلا على وتر، وركعتي الضحى.

وقال أبو الدرداء (رضي الله عنه) قال رسول الله ﷺ : « يا عويمر حافظ على أن لا تبيت إلا على وتر، وركعتي الضحى مقيماً أو مسافراً، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، تستكمل الزمان كله »[1]. أو قال : تستكمل الدهر كله.

العبد محسوب عليه عمره، معدود له أنفاسه، مقتضى منه العبودة في كل نفس من عمره، فأمر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وقبول ما جاء به الرسول من عنده على صدق الاعتقاد من قلبه، ثم اقتضى ما قبل من الله تعالى مجملاً في جميع عمره. فمنه ما اقتضى من وقت دون وقت، وهو الفرائض، ومنه ما اقتضى

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب في الوتر قبل النوم ١٤٣٢ ــ عن قتادة عن أبي سعيد من أزد شنوءة عن أبي هريرة قال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث وذكره.

من الأوقات كلها، وهو العبودة في كل نفس، فأجمل الله تعالى بعطفه وكرمه للعباد أمراً أجمل به العبودة، كي إذا فعلوها، استكملوا الدهر كله عبودة فدلهم لعبودتهم في النهار على ركعتي الضحى بعد أداء الفرائض واجتناب المحارم. فإذا أدى المفروضة من صلاة الفجر، انتظر طلوع الشمس وتحليل الصلاة، فإذا أضحت صلى ركعتين على سبعة أجزاء بسبع جوارح، مقسومة هذه الأجزاء بما ضمنت وحشيت على ثلاثمائة وستين جزءاً ليخرج إلى الله من صدقة النفس.

وذلك قوله ﷺ: «إن على كل آدمي ثلاثمائة وستين سلامى على كل سلامى منها صدقة. وركعتي الضحى تجزيك من هذا كله»[1].

فهذا صلاة يومه للعبودة.

وأما صيام ثلاثة أيام من كل شهر فالحسنة بعشرة أمثالها. فصوم ثلاثة أيام من كل شهر يعدل ثلاثين يوماً. فقد صار العبد بهذا صائماً في جميع عمره، وبركعتي الضحى قائماً بهذا في نهاره كله.

فأما في ليله فالفوز بصلاة الوتر. فاذا كان صائماً قائماً في نهاره وبوتره فائزاً، فقد استكمل الزمان كله. فهذه دلالة الله لأهل السعادة على ما به يستكملون العبودة بعد أداء الفرائض واجتناب المحارم. فمن داوم على هذا كان اسمه في ديوان الصائمين القائمين الفائزين وهو طاعم وشارب ونائم، ليعلم يسر الله تعالى لهذه الأمة، ورفع الحرج عنهم في دينه وسماحته فيما اقتضاهم مما له خلقهم. فالوتر محبوب الله تعالى فيما خلق من الأشياء، وقد كتب عليهم الخمس المفروضات

---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه الإمام أحمد في المسند ٥ : ١٧٨ ثنا يزيد أنا هشام عن واصل عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: وذكره.

غياثاً لهم ليطفئوا بها حريقهم، وما من صلاة يدخل وقتها إلا قال أهل السماء : يا بني آدم قوموا إلى نيرانكم فأطفئوها. فصرن هذه الخمس مكتوبات والعهد في الكتاب. فإذا أوفوا بالعهود أوجب لهم الجنة، ثم كان من عطفه أن زادهم صلاة الوتر على لسان رسول الله ﷺ.

فالصلوات الخمس تكفير لسيئآتهم، وفي ذلك الموقف من الوتر نوال تملأ منه رغبتهم ومركز يجدون منها معاذاتهم. فالنوم بعد النوال أفضل من أن يؤخرها إلى آخر الليل. فإذا أوتر أول الليل، عرجت نفسه إلى الله في منامها مع الفوز بالنوال والمعاذ. فلذلك أوصاه (عليه السلام) : أن لا ينام إلا على وتر، فكان أبو بكر (رضي الله عنه) يوتر قبل أن ينام، فقال له رسول الله ﷺ : متى توتر يا أبا بكر؟ قال : في أول الليل. قال : أخذت بالحزم. وقال لعمر (رضي الله عنه) : متى توتر يا عمر؟ قال : آخر الليل. قال : أخذت بالقوة[1].

فالحزم احتياط وثقة. والقوة ملكة النفس. وأبو بكر لاحظ كنه الوتر، ولهذا قال : أحرزت نهى وابتغي النوافل. معناه أن في موقف الوتر نثار الله وغنمه فينتهبه ويبتغي فيما بقي من الليل نوافل الرب. وعمر لاحظ الساعة التي يؤدي فيها الوتر من ساعات الليل، وهي الساعة التي آثرها الله، فهبط إلى السماء الدنيا، واطلع على عباده وناداهم، وهي ساعة اهتز لها العرش، واشتغلت الملائكة في صفوفها، وانقطعت صلاتهم لما رأوا من هبوط الرب إلى سماء الدنيا، سماء العبيد، واطلع عليهم وناداهم. وقد جعل الله تعالى للعباد موقفين، موقف في كل سنة من تاسع ذي الحجة، وهو موقف الحج، وموقف في كل ليلة بعد صلاة العشاء في الركعة التي وسمها بالوترية. تلك ركعة عليها

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب في الوتر قبل النوم ١٤٣٤ ــ ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبدالله بن رباح عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال: وذكره.

سمة الله تعالى بأن فضلها على الأعمال. فموقف الحج نطق به الكتاب، وموقف الوتر نطق به لسان رسول الله ﷺ.

وللعباد في هذين الموقفين من الله نوال وقرات أعين لا يخطر على قلب بشر. فموقف الحج موقف المباهاة، موقف الإسلام. ألا ترى أنه يقال حجة الإسلام، وقف العبد ليسلم إليه رقبته عبودة ليتخذه عبداً، فباهى الله به في سمائه، وهبط إلى سمائه العبيد ليطلع إليهم، ويباهي بهم ملائكته. والمباهاة أن يريهم بهاء الإسلام الذي على عبيده في تسليمهم النفوس إليه معتذرين منعرضين ملقين بأيديهم إليه سلماً، رافعي أيديهم إليه طمعاً. فيقول للملائكة : انظروا إلى عبيدي. فتلك المباهاة وموقف الوتر موقف هدايا المعرفة للأولياء والأصفياء، وحرمة الإسلام للصادقين المجتهدين، والرحمة للعامة الموحدين، فيدخل من ذلك الموقف على الله بالتكبير، ويقف بين يديه في القنوت يرفع إليه رغباته، ويعتذر إليه من عمل نهاره، من تقصيره وتفريطه، ويفتقر إلى الله تعالى ويتباءس، ويتمسكن ويتخشع، ويتضع ويتعوذ من الأهوال والأخطار الذي هو عليها، ويخرج منه ثناؤه على ربه، ومحامده له، وذكر آلائه، وبث مننه، ونشر صنائعه، واعتراف بمساوئه، واعتذار وتوبة إليه، وقربة إليه، وتنصل بالاستغفار، وترضّ وملق وتضرع، واستعاذة بالمعاذ، وتختيم بالكلمة التي بها يستجاب ويخاف مما خص الله تعالى هذه الأمة.

قال (عليه السلام) : أمرني جبريل ولقاني عند فراغي من فاتحة الكتاب وعند الدعاء « آمين » وقال : « انه كالطابع على الكتاب »[1]

---

(١) روى أبو داود في كتاب الصلاة باب التأمين وراء الامام ٩٣٨ بسنده عن أبي مصبح المقرائي قال لنا نجلس الى أبي زهير النميري وكان من الصحابة فيتحدث أحسن الحديث فإذا دعا الرجل منا بدعاء قال: أختمه بآمين فإن آمين مثل الطابع على الصحيفة وذكره.

وإذا ختم العبد الدعاء بـ « آمين » صار الدعاء مطوياً بالكتاب، مصوناً عن الآفات، وعن تناوله، واطلاع ما فيه، وإنما ختم الكتاب لئلا ينشره أحد ولا يطلع عليه. فاذا ختم العبد الدعاء بـ « آمين »، صانه عن أن يطلع فيه، وصعد إلى الله بالختم، مطوياً، مصوناً عن الآفات، فيجيبه الله تعالى لأنه قد سبق منه القول بالخصوصية لأمة محمد ﷺ فقال تعالى : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾[1].

وفيهم ما فيهم من قلة الشكر والوفاء، وكثرة التخليط والاستخفاف بأمر الله، والإعراض عن حق الله، فلو لم يعطهم الختم حتى يختموا دعاءهم آمين فيصير الختم مانعاً لجميع الخلق بين العبد وبين الله من الهواء إلى العرش، فكان ممر دعائنا إلى العرش محل الدعاء ومعدن الإجابة والقضاء، لكان لا يخلو من أن يتعرض متعرض لافساد ذلك حمية لله تعالى، فان الخلق كلهم مطيعون، فإذا مرت عليهم دعوة العصاة، لم يؤمن أن يرموا فيها شيئاً يكون فيه فساداً.

قال ﷺ : ان على أبواب السماء حجاباً يردون أعمال أهل الكبر والحسد والغيبة .

وقال عليه السلام : إن العبد ليقول : يا رب اغفر لي. وقد أذنب، فتقول الملائكة : يا رب انه ليس لذلك بأهل. قال الله تعالى : ﴿ **لكني أهل أن أغفر له** ﴾[2].

فقد أعطى الله تعالى هذه الأمة كلمة الختم وهي : آمين. ليصعد دعوتهم إليه مختومة لا يطلع على ما فيها أحد، حتى لا يجدوا سبيلاً

---

(١) سورة غافر آية رقم ٦٠.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٤٢٩٩ بسنده عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه بلفظ (قال الله عز وجل أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي اله آخر فمن اتقى ان يجعل معي إلهاً آخر فانا أهل ان أغفر له..)

إلى الطعن فيها، ودعاء كل رجل يخرج على قدر ما عنده من قوة القلب في الدعاء. فرب دعاء داع يخرج من نور وافر بمنزلة شمس تطلع، ودعاء يخرج مع تقصير فنوره بمنزلة قمر يطلع، ودعاء يخرج مع تقصير كثير فنوره بمنزلة كوكب، وإنما تفاوت الدعاء لاختلاف مخارجها من المعادن.

قال عليه السلام : إن القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض، فاذا دعوتم الله تعالى فادعوه وأنتم موقنون بالاستجابة، فان الله تعالى لن يستجيب دعاء عن ظهر قلب غافل[1].

فظهر القلب دعاء قد تعلمه العبد، يدبر الكلمات بمضغة لسانه في حنكه ولهاثه، وليس عنده وراء ذلك شيء إلا تلك الإرادة التي من القلب، يبتغي خيراً من عند ربه، وهو لا يدري ذلك الخير، وهو عنده كالجزاف غير مفتقر إلى تلك الحاجة، فهو كصبي نطق من غير عقل، وليس لكلام الصبي قدر عند الخلق، إلا أن الكريم لما علم إرادة الخير من الداعي، أعطاه على ذلك أجراً إذا دعا على رجاء أن ينال منه معروفاً، فأما الاستجابة فهو بعيد منها، لأنه لم يخرج منه الدعاء على الجد والاجتهاد. ولو كان ذلك منه جداً لترك الإباق من ربه بالذنوب والمعاصي والبطالات، والإكباب على الدنيا، والاستخفاف بحق الله وبداره وبيوم الحساب، وبوعده ووعيده، ومواعظه وموته. فإن الآبق من مولاه في الدنيا إذا دعاه في حال اباقه ويراسله يستوجب بذلك المقت من مولاه، لأنه في صورة المستهزئ به، فمن أثقل ظهره من الخبائث فصار كسلان لحماً ودماً، ملقى على الأرض وخيماً جلفاً جافياً فتعلم الأدعية عن ألسنة الناس، ملتمساً بها نوالاً، لا عن فاقة وافتقار، خرجت من جوفه تلك الكلمات، ولا علم له

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ١٧٧ ثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا بكر بن عمرو، عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

بما سأل، وان كان أعلم الناس باللغة، فهو عالم بالكلمة من طريق اللغة، جاهل بغور الكلمة ومعدنها، ووقتها وموضعها فهو جاهل بالمعنى، أعمى عن حشوه، فصاحب لا يصيب في دعائه جداً ولا اجتهاداً، وإنما يدعو عن ظهر قلب، فهذا عبد يجاب ولا يستجاب. وإنما يجاب لأنه مؤمن، فالإجابة للمؤمنين، والاستجابة للجادين المجتهدين، المفتقرين المرتعنين، المتبائسين المتخشعين الموقنين، إلا أن الله هو الكريم الجواد أوسع لعبيده فجاد عليهم بالمعرفة التي هي أعظم الأشياء استحيى أن يترك هذا العبد خالياً صفر اليدين إذا مد يده إليه حتى يأجره على ذلك فيكون ذلك إجابة لا استجابة.

قال عبد الرحمن بن غنم: بينما نحن جلوس يوماً عند معاذ بن جبل (رضي الله عنه) إذ دعا بدعاء لم أسمع داعياً يدعو مثل دعائه، فقلت له : رحمك الله يا أبا عبد الرحمن لو علمتني بعض ما تدعو به فقال : لو كنت أعلم لك فيه خيراً كنت علمتك. فقلت : سبحان الله، لم لا تعلم لي فيه خيراً؟ قال : لأن رسول الله كان يدعو بالدعاء الكبير الحسن الجميل الذي لا يستطيع أحد أن يقول مثله. فقلت له يوماً : يا رسول الله، لو علمتني بعض ما تدعو به. فقال رسول الله ﷺ : لو كنت أعلم لك فيه خيراً لعلمتك. فقلت : سبحان الله، يا رسول الله لم لا تعلم لي فيه خيراً؟ قال : لأن أفضل الدعاء ما خرج من القلب بجد واجتهاد، فذاك الذي يسمع ويستجاب وإن قل.

فالجد أن يقف العبد بقلبه في محل الدعاء والاجتهاد مفتقر القلب إلى الله، متبائس النفس.

وقوله تعالى : ﴿ **أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾[1]، أراد إجابة تلبية على ما قاله ﷺ :

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٦.

إذا قال العبد : يا رب. قال الله تعالى : لبيك يا عبدي.

وأما الاستجابة، فقال تعالى : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾[1]. ثم بيّن في آية أخرى لمن الاستجابة، فقال : ﴿ **ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾[2].

وينبغي أن يكون الدعاء على هيئة وأدب. فإن لكل أدب ثمرة ولكل هيئة زينة يبدأ بمدائحه، ثم الثناء عليه والتنزيه له، ثم محامده وذكر آلائه، وبث مننه، ونشر صنائعه، والاعتراف بالمساوئ، والتوبه إليه، والاعتذار والتنصل والاستغفار والتضرع، والاستعاذة والاختتام بـ « آمين »، والله أعلم وأحكم.

---

(١) سورة غافر آية رقم ٦٠.

(٢) سورة الشورى آية رقم ٢٦.

الأصل الرابع والأربعون والمائتان

في بيان أقسام القرآن

عن علي (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : أنزل القرآن العظيم على عشرة بشيراً، ونذيراً، وناسخاً، ومنسوخاً، ومحكماً، ومتشابهاً، وعظة، ومثلاً، وحلالاً، وحراماً. فمن ابتشر ببشيره، وانتذر بنذيره، وعمل بناسخه، وآمن بمنسوخه، واقتصر على محكمه،، ورد علم متشابهه إلى عالمه، وإتعظ بعظته، واعتبر بمثله، وأحل حلاله، وحرم حرامه، فأولئك هم المؤمنون حقاً لهم الدرجات العلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. وهو وارثي ووارث الأنبياء من قبلي. ولولا قسم أنه لا نبي بعدي لكان نبياً من أنبياء الله تعالى ولا يزال في ضمان الله تعالى، وكيف وحيث ما تلا القرآن غشيته الرحمة، وتنزلت عليه السكينة، وكان بعين الله منوراً له قلبه إلى يوم القيامة، ويحشر يوم القيامة في زمرتي وتحت لوائي، ولوائي أبيض العود، أخضر الرقعة، أفيح الريح له لسانان، لسان يرى بالمشرق، ولسان يرى بالمغرب، يظل حملة القرآن، والمتحابين في الله. ومن ضيع واحدة منهن، فقد ضيع كلهن، ويلقى الله غداً ظمآن محول

القلب، نادم القلب، مرتعد الفؤاد، حاسر القدم، مستحيياً من الرب، مغفور له أو معذب[1].

قوله : « ابتشر ببشيره » البشرى خبر عن الغيب. فإن العبد في دار المحنة والبلوى متعرض للآفات، ممزوج بها، مسئول عن الشكر عليها، ومقتضى للصبر على مزاجها من الآفات، وهو فيما بيَّن ذلك لا يدري ما يظهر له من غيب الله غداً والخير كائنه. فأيد الله المؤمنين بخطاه، وبشرهم بخبر نفى حيرتهم حتى قويت القلوب واطمأنت النفوس، وتخلص القلب من وساوسها، وصار حراً مالكاً، قوي القلب، وانتشر السرور في الصدر، فنضرت الوجوه، وتلك النضرة تورث البشر. قال الله تعالى : ﴿ **ولقاهم نضرة وسروراً** ﴾[2] نضرة في الوجوه، وسروراً في القلب.

فالسرور يفيض القلب من الفرح الذي حل بالنفس. فالفرح في النفس، والسرور تولده في القلب، وانتشاره في الصدر، ثم يتأدى ذلك من مجمع العروق الذي على القلب إلى العروق التي في الوجوه، فتشرب جلدة الوجوه من ذلك بمنزلة شجرة شربت عروقها من الماء في أصلها فأدت عروقها إلى الأوراق فنضرت. فإذا كان كذلك، على أن في الباطن خبراً ساراً. فعمل ذلك الكلام في قلبه وصدره حتى اختلط بذاته، فاختلط بسمعه وشمه وبصره ومخه وجميع جوارحه. وهذا لمن استمع قلبه إلى خطابه بأُذنَيْ قلبه، فاستقر فيه علم ذلك، وورد العقل على قلبه بنهاء ذلك الخطاب والفهم بمكنون لطائفه، والفطنة بكشف الغطاء عن صور تلك اللطائف، فطابت النفس بذلك، وازدهرت، وأينعت عن الذبول والخمول. فمن كان بهذه الصفة، فقد ابتشر بالبشرى.

---

(١) رواه البخاري في التاريخ، والديلمي في مسند الفردوس وأبو نعيم في الحلية. عن مالك بن أنس ــ رض الله عنه

(٢) سورة الإنسان آية رقم ١١.

وقوله : « انتذر بنذيره » فإن العبد قد شرهت نفسه من الفرح بأحوالها وبسبب نمائها فقطرت، فإذا جاءها الوعيد من الله تعالى، ذبلت وسكن تلظي تلك الأفراح، فتنغصت عليه حلاوتها وتكدر عليه صفو النعم، فظهر في صدره من كدورة دخان الوعيد، ومرارة التنغص، فتأدى ذلك إلى الوجه فأورثه العبوس، فتجده مرة ذا بشر ونضرة، ومرة ذا عبوس وكسوف. إذا ورد عليه البشر، أقر وجهه بذلك النضرة، وظهر البشر، وزال عنه الكسوف. وإذا ورد عليه الوعيد، انكسف القمر الذي بوجهه وانعبس. فمن ابتشر ببشير الله، وانتذر بنذيره، فانما يفعل ذلك بقلب عامر، ومحال أن تجد أحدهما وتفقد الآخر، لأن ذلك فعل القلب.

قوله : « وعمل بناسخه وآمن بمنسوخه »، فالناسخ آية قد أمر الله بالعمل بها، وقد كان قبل ذلك أمر بغير ذلك في آية نزلت قبلها. والناسخ والمنسوخ بلوى من الله لعبده لينظر أيعبد الله ظاهراً وباطناً، أم يعبده في الظاهر ويعبد هواه في الباطن.

قال الله تعالى : ﴿ **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه** ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين** ﴾.

معناه : حتى نعلم من يجاهد نفسه في ذاتي، ويصبر عما حرمت عليه وعلى ما افترضت عليه وعلى ما حكمت عليه من الأحوال المكروهة، مثل الفقر والذل والبؤس والمرض.

ثم قال: ﴿ **ونبلوا أخباركم** ﴾[2] أي أنتم مني، مع هذه المجاهدة والصبر، أعلى طيب النفوس، أم على خبثها وترددها؟ فاذا آمن بالمنسوخ، وعمل بالناسخ، فهذا عبد منقاد لربه، قد ألقى بيديه سلماً.

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٤٣.

(٢) سورة محمد آية رقم ٣١.

قوله : « اقتصر على محكمه ورد علم متشابهه إلى عالمه » فالمحكم ما خرج إلى العباد من الحكمة البالغة مثل قوله تعالى : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾[1] وقوله : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه** ﴾[2] إلى قوله : ﴿ **ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة** ﴾[3].

فأعلم العباد أنه لم يأمر بشيء ولا نهى عن شيء جزافاً، أمرهم ونهاهم بالحكمة البالغة.

وقد قال قوم من العلماء : ليس لأمره ونهيه علة، وإنما هو تعبد. وليس كما زعم فانه تعبد لزم العباد العمل به، ولكن تيقن أن الله تعالى لم ينه عن شيء، ولا أمر بشيء إلا بالحكمة، تعالى الله عن الجزاف المهمل عن التدبير والتقدير، فتطلب تلك الحكمة في معادنها، فانها تبعثك على إقامة الأمر والنهي.

ونحن نذكر صورة نستدل بها، وهو أن الله تعالى افترض الصلاة على عباده، فرجل أداها تعبداً، وآخر طالع الحكمة ببصيرته، فوجد العبد موكلاً لحفظ الجوارح السبع، السمع، والبصر، واللسان، والبطن، والفرج، واليدان، والرجلان، بمنزلة عبد وكل بسبعة أغنام لكل شاة منها مرعى على حدة، فأمر بأن يرعاها في مراعيها، ومتى تردى واحد في جرف، تبادر باخراجه. فان عني بشأنهن ورعايتهن، نال الكرامة. وإن أهمل ما اكتسب بفعله إلا مقتاً وبعداً. فهذا المؤمن في غفلاته كالراعي في نفشائه، وإنما سمي مؤمناً لأنه إطمأن إلى الله عبودة له، واستقر قلبه، وسمِّي مسلماً لتسليم جوارحه إليه في أمره ونهيه، وعليه الوفاء بذلك إلى يوم لقائه. فمتى ما ضيع شيئاً من أمره ونهيه، دخل في وفاء تسليمه نقص بقدر ما ضيع.

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٥١.

(٢) سورة الإسراء آية رقم ٢٣.

(٣) سورة الاسراء آية رقم ٣٩.

وقد علم الله من العباد أنهم سيخلطون هذا التسليم بتضييع أموره، فافترض عليهم القيام بين يديه عبودة وتذللاً معتذرين مما ضيعوا فقد قام العبد مقاماً جمع جوارحه المنتشرة في مراعيها بين يديه، قد أزال سمعه عن الأمور والناس، وبصره عن النظر إليهم، ولسانه عن خطاب الخلق، ويده عن القبض والبسط، ورجله عن المشي، وبطنه عن الطعام، وفرجه عن الاعتمال. فهذا من العبد تسليم الى الله مستقبلاً معتذراً بالثناء والركوع والسجود، مترضياً له حتى يرجع من عنده على تجديد إسلامه، ومزيد من فضل الله ورحمته. فعبد أدى فرائضه على هذه الصفة من المطالعة والعلم واليقظة والانتباه، وآخر أداها تعبداً، وهذا كله مستور عنه، فمتى يلحق هذا ذاك!

ولهذا قال ﷺ : « إن الرجلين ليكونان في صلاة واحدة في سقف واحد وكما بين صلاتيهما أبعد ما بين السماء والأرض »[1].

فالحكمة موجودة في جميع الأعمال وعللها قائمة لا يعلمها إلا أهلها، وهم قوم تخلصت قلوبهم من ظلمة الشهوات وخرجوا إلى البرهان العظيم، وإلى النور الأعظم.

وأما المتشابه، فأسرار الله التي طواها عن العباد، وأسرار الرسل التي أفضاها إليهم، وطواها عن العباد، وأسرار الأولياء التي أفضاها إليهم، وطواها عن سائر الموحدين، فهذه أشياء قد اشتبه على الخلق لعجزهم عن احتمالها. فالمقتصر على محكمه لا يتعدى إلى ما شبه عليه، بل يقتصر عنه على المحكم، فإن الحاجة به إلى المحكم والمتشابه زينة المحكم طواها الله عن العباد لعجزهم عن احتمالها، حتى إذا انكشف

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في الرؤيا في حديث طويل ٣٩٢٥ عن طلحة بن عبيدالله أن رجلين من بَلِيٍّ قدما على رسول الله ﷺ وكان إسلامهما جميعاً فكان أحدهما أشد اجتهاداً من الآخر: وذكره.

الغطاء وتبحبحوا في دار الملك، وزال عنهم رق العبودة، وصار الأمر جهراً، وزاروا الله في داره، طرقهم النظر إليه واحتمال لذة كلامه، أفضى إليهم الأسرار التي طواها عنهم.

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ **قال رب أرني أنظر إليك**[1] ﴾ فقال :

« قال يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، ولا رطب إلا تفاق، إنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم ». فقد أعلمك سبب عدم الرؤية في دار الفناء، وألقى عذره إلى موسى حيث قال : ﴿ **ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني** ﴾[2].

فحل بموسى من الصعق ما حل بالجبل من الدك ما حل، يعلمه أنه لا يطيقه احتماله. ولذلك قال : « تبت إليك »، لأنه سأله ذلك من دار فانية قذرت بالشرك والمعاصي لشفوفه بربه، وزلة عقله، فلطف الله له إلى أن ألقى إليه عذره في ترك إجابته، وألجأه إلى التوبة، إذ تبين له حتى فزع إلى التنزيه له، وإلى التوبة.

وذهب قوم من الغلاة المعطلة إلى أن الله تعالى لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾[3]، وزعمت أن هذه صفة من صفاته، فلا تنسخ ولا تتغير صفته، فيكون في الدنيا بخلاف ما في الآخرة.

فلما قيل لهم : فمن عطل صفة من صفاته، أليس قد انقطع نظام توحيده، لأن العباد وحدوا رباً، بجميع صفاته، فإذا عطلت صفة فقد

---

(١) (٢) سورة الأعراف آية رقم ١٤٣.

(٣) سورة الأنعام آية رقم ١٠٣.

خرجت من توحيده، أفتزعمون أنه حين سأل الرؤية انقطع النظام وعطل صفة من صفاته؟

ففزعوا من هذا القول، والتجأوا إلى أن موسى (عليه السلام) لم يسأل رؤية العين، وإنما سأل مشاهدة القلب. فلما قيل لهم : ان موسى (عليه السلام) قال : ﴿ **رب أرني أنظر إليك** ﴾[1]، ولم يقل : قلبي ينظر إليك، وإن كان هذا السؤال للقلب، فلم تجلى للجبل؟ قالوا : إنما جعل في الجبل آية من آياته، فتجلت الآية للجبل. يقال له : يقول الله تعالى : ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل** ﴾[2] وأنت تقول : « آية من آياته »، كفى له بهذا خزياً.

---

(١) (٢) سورة الأعراف آية رقم ١٤٣.

الأصل الخامس والأربعون والمائتان

في التعوذ من النفاق

عن مالك بن أنس (رضي الله عنه) قال: خطبنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) فقال : قال رسول الله ﷺ : « تعوذوا بالله من خشوع النفاق » قيل : يا رسول الله : وما خشوع النفاق؟ قال : « خشوع البدن ونفاق القلب »[1].

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة. فقال: لو خشع قلبه لخشعت جوارحه[2].

قال أبو عبدالله : فخشوع القلب من المعرفة. فكلما كان أوفر حظاً من العلم بالله والمعرفة بآلائه، كان أخشع. فأثقال المعرفة حلت بالقلب، فأدت القلب إلى ثلاث : خشعة، وخضعة، وذلة. فالذلة الحذر، والخضعة اللين، والخشعة الانكسار والانحناء. فهذه صفة القلب.

وأما صفة النفس تحت أثقال القلب، فلها الخمود مكان ذلة القلب،

---

(١) رواه البخاري في التاريخ، والديلمي في مسند الفردوس، وأبو نعيم في الحلية، عن مالك ابن أنس، رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث

والإنثناء مكان الخضعة، والتهافت والتهاتر كالرمل مكان الخشعة، كما وصف الله تعالى في كتابه الجبال فقال : ﴿ **وكانت الجبال كثيباً مهيلاً** ﴾[1] أي رملاً ينهار ويتساقط.

فإذا صارت النفس هكذا، فصار القلب كما وصفنا بدءاً، فقد لزمه اسم الخشوع على الحقيقة، وذلك قوله تعالى : ﴿ **وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً** ﴾[2].

ذهب الصوت، وقوة ذرو الكلام. وقال تعالى : ﴿ **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة** ﴾[3] أي ساقطة هامدة.

فمن لم يكن في قلبه تراكم أثقال المعرفة فتخشع بأركانه، فذاك نفاق، لأنه تماوت وهو حي. فالتماوت مراءاة والرياء نفاق مرة يرائي الله تعالى فيبتغي عنده بذلك جاهاً ومدحاً، ومرة يرائي عبيده يبتغي عندهم جاهاً ومدحاً، فيتخشع وليس بخاشع. ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ :

إذا قام العبد بين يدي الله لا يتفرغ للعبث في الصلاة. وانه كما انتصب لله جسده في الظاهر فقد انتصب قلبه في الباطن، وكما رمى ببصره في الظاهر حيث يقع من الخلقة فكذلك رمى ببصر قلبه إلى المقام الذي رتب له إن كان من أهل المرتبة وإلا في متعبده إن لم يكن من أهل المرتبة.

قال له قائل : وأين المراتب؟

قال : الصديقون مراتبهم من العرش على أصنافهم عسكر دون العرش،

---

(١) سورة المزمل آية رقم ١٤.

(٢) سورة طه آية رقم ١٠٨.

(٣) سورة فصلت آية رقم ٣٩.

وعسكر على العرش، وعسكر في الملكوت، والخاصة في ملك الملك بين يديه، فأبصار قلوبهم هناك، وأبصار وجوههم في مواقع الخلقة.

قيل له : وما مواقع الخلقة؟

قال : إن العبد إذا أقام على الخلقة ثم رمى ببصره على الخلقة، فاما يقع من الأرض بمكان لو خر ساجداً لوقعت جبهته على تلك البقعة التي لو كان قائماً فرمى ببصره لم يتعد تلك البقعة، ولم يقصر عنها، وإذا ركع فرمى ببصره على الخلقة، فإنما يقع على موضع القدمين. وإذا سجد فرمى ببصره فإنما يقع على موضع الصدر منه. وإذا قعد للتشهد فرمى ببصره فإنما يقع على رأس ركبتيه وطرف فخذيه، فهذا كله رمى ببصره حيث وقع ليس فيه تكلف، ولا استعمال للبصر، وإنما الاستعمال في وقت النظر، فهذا رمي خرج من سلطان البصر، وليس بنظر، والقلب رام ببصره حيث وصفنا من العلى في مراتبهم مراتب الأولياء والصديقين. ومن لم يكن من أهل المراتب ففي متعبده بين العزة حيث استقر القرآن في وقت نزوله جملة في شهر رمضان في السماء الدنيا، فذاك محل المتعبد، فمنها قبلوا القرآن بما فيه من العبودة، علم العباد هذه الصفة أو لم يعلموا، فانهم داخلون في هذا الباب. كما تجد المسلمين كلهم قد دخلوا في الميثاق يوم استخرجهم من الأصلاب، علموا أو لم يعلموا، فإنما يجزون وتجزى أرواحهم، ويحقق لهم بذلك الأشياء من التقرب.

ووجدنا للصلاة ثلاث مراتب عليها رتب أهل الصلاة، وقد ذكرهم الله تعالى في تنزيله: فحافظون، ومداومون، وخاشعون.

قال تعالى : ﴿ **الذين هم على صلاتهم يحافظون** ﴾[1] ﴿ **الذين**

(١) سورة المؤمنون آية رقم ٩.

هم على صلاتهم دائمون ﴾[1] فوعدهم عليها الكرامة في الجنة، فقال تعالى : ﴿ **أولئك في جنات مكرمون ﴾**[2].

وقال : ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾**[3] فوعدهم على ذلك الفلاح.

والفلاح اسم ينتظم الكرامة والترقي في الدرجات، والأخذ من الجنة بغير حساب، والأثرة في ذات الله، والمحافظة على الوقت، والمداومة على استعمال الأركان بحدودها في الصلاة، وهو أن لا يلتفت في وقت الانتصاب، ولا يتمايل، ويسكن أطرافه، ولا يستعمل منها شيئاً إلا لضرورة وعلة مثل التراوح على إحدى القدمين، ومثل حل شيء من جسده لذباب يؤذي، أو بعوضة تشغله عن الصلاة، فتلك ضرورة، أو بزاق، أو مخاط، فهذه كلها علل يعذر فيها. وإذا ركع سوى ظهره لركوعه، فيكون مقدمه كمؤخره. وإذا سجد، خوى وجخى. التخوية اعطاء كل مفصل وعضو حظه من الانتكاس للسجود. والتجخية توقياً للانبساط، ليكون كهيئة الساجدين، لا كهيئة المنبطحين على الأرض ببطونهم وصدورهم، فإن تلك ضجعة أهل النار على وجوههم. فاذا جخى، توقى تلك الهيئة. وإذا خوى، أراد تركيب السجود بعضاً على بعض. وإنما سمِّي سجوداً لتركيب الأعضاء بعضها على بعض. وإذا رفع رأسه من الركوع، لم ينحط حتى يفصل الركوع من السجود بقيام كل عضو منه إلى مكانه وإذا سجد فرفع رأسه، لم يعد إلى السجدة الأخرى حتى يعود قاعداً كما كان ويرجع كل عضو منه إلى مكانه. فذاك إتمام الركوع والسجود. وإذا قعد جثا على ركبتيه

---

(١) سورة المعارج آية رقم ٢٣.

(٢) سورة المعارج آية رقم ٣٥.

(٣) سورة المؤمنون آية رقم ١ ــ ٢.

ونصب اليمنى منه، وافترش اليسرى، معتمداً بجلسته عليها. فالمداومة على الصلاة ما وصفنا.

وأما الخشوع فهو على القلب ومن عنده يبتغي. فاذا لم يكن هناك فليس بخشوع، إنما هو مداومة. فالمحافظة من الخشية، والمداومة من الخوف، والخشعة من التجلي. فإذا خشي القلب حافظ. وإذا خاف داوم. وإذا خشع فالأركان مستعملة في القبضة. ثم يتحول صفات الخشعة على اختلاف صور الأفعال فيها. فأولها خشعة في صورة الأسر، ثم من بعدها خشعة الخدمة، ثم من بعدها خشعة العبودة، ثم من بعدها خشعة الرق، ثم من بعدها خشعة الحمد، ثم من بعدها خشعة التعلق، ثم من بعدها خشعة التضرع والملق، من الأمل الفسيح في خشعته لأنه قد جعل إلى ذلك سبيلاً للأحباب، وقال تعالى في تنزيله : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾[1].

عن المطلب بن أبي وداعة، عن رسول الله ﷺ قال : « الصلاة مثنى مثنى وتشهد في كل ركعتين وتباؤس وتمسكن وتقع بيديك وتقول : اللهم اللهم. فمن لم يفعل ذلك فهو خداج »[2]. قوله : « تباؤس » مأخوذ من البؤس. وهو أن تفتقر إلى ربك افتقار من كان تراباً فخلق بشراً. والتباؤس والتخشع قريب أحدهما من الآخر. والله أعلم وأحكم.

---

(١) سورة غافر آية رقم ٦٠.

(٢) خدجت الناقة بخدج بالكسر خداجاً بالكسر فهي خادج والولد خديج بوزن قتيل اذا القته قبل تمام الأيام وان كان تام الخلق وفي الحديث: كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج « أي نقصان »

الأصل السادس والأربعون والمائتان

في ما يقال عند النوم

عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة (رضي الله عنها)، أن رسول الله ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما : قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس ويمسح بهما ما استطاع من جسده، ويبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده. ويفعل ذلك ثلاث مرات[1].

وروى مالك عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى قرأ على نفسه المعوذات

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ٢١ ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام ٣٤٠٢ ــ عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن النبي ﷺ كان وذكره ــ قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح. ورواه البخاري في فضائل القرآن باب فضل المعوذات، والطب: باب النفث في الرقية والدعوات باب التعوذ والقراءة عند المنام، ورواه أبو داود في الأدب : باب ما يقول عند النوم، والنسائي في الكبرى التفسير، وعمل اليوم والليلة ص ٢٣٤ باب نوع آخر وما يقول من يفزع في منامه، وابن ماجة في الدعاء باب ما يدعو به إذا آوى الى فراشه.

وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عليه بيده رجاء بركتها[1].

عن يونس، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : كان رسول الله ﷺ إذا آوى إلى فراشه نفث بكفيه بقل هو الله أحد والمعوذتين، ثم يمسح بهما وجهه وعضده وصدره حيث ما بلغت من جسده، فلما اشتكى أمرني أن أفعل ذلك به، فكنت أقول : أعطني كفيك أمسح بهما ببركتهما.

قال يونس : فكنت أرى إبن شهاب يفعل ذاك إذا آوى إلى فراشه.

عن زياد بن سعد، أن ابن شهاب حدثه عن عروة، عن عائشة (رضي الله عنه) قالت : كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات، فمسح بيديه. فلما اشتكى وجعه الذي قبض فيه، طفقت أنفث عليه بالمعوذات، وأمسح عليه بيديه.

قال أبو عبدالله : ففي حديث عقيل يخبر أنه بدأ فنفث فقرأ، كأنه دل على أن النفث كان قبل القراءة. وفي حديث مالك بدأ بذكر القراءة ثم النفث.

وفي حديث يونس بدأ بذكر النفث بالقراءة، لأنه قال : نفث بقل هو الله أحد. فلا يكون هذا النفث إلا بعد القراءة. وإذا فعل الشيء بالشيء كان ذلك الشيء مقدماً حتى يأتي الشيء الثاني، فقال في حديث يونس : نفث بقل هو الله أحد. دل على أن القراءة مقدمة، ثم نفث ببركتها، لأنه يبتغي من قراءة هذه السور أن يصل إلى الجسد

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري كتاب الطب ٣٩ باب النفث في الرقية ٥٧٤٨ ــ عن يونس، عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير، عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: كان رسول الله ﷺ وذكره.

نورها وبركتها. ولا يقدر على الإيصال إلا بمثل هذا. وذلك أن العبد إذا قرأ استنار صدره بنور ذلك الكلام الذي يتلوه كل قارئ على قدره. فإذا نفث فانما ينفث من الصدر. فالنفث من الروح، والنفخ من النفس.

وعلامة ذلك أن الروح بارد، والنفس حارة. وإذا قال : « بف »، خرجت الريح باردة، فذاك من برد الروح. وإذا قال : « هاه »، خرجت الريح حارة، فتلك من النفس. فالأولى نفثة، وهذه الثانية نفخة. وإنما صار هكذا لأن الروح مسكنها في الرأس ثم هي منفث في جميع الجسد. والنفس مسكنها في البطن ثم هي منفشة في جميع الجسد. وفي كل واحدة منهما حياة بها يستعمل الجسد بالحركات. فالروح سماوي، والنفس أرضية، والروح عادتها الطاعة، والنفس عادتها الشهوات. فإذا ضم شفتيه، اعتصرت الروح في مسكنها. فإذا قصد لإرسالها، خرجت على شفتيه مع البرد، فذاك النفث. وإذا فتح فاه فاعتصرت النفس، فإذا أرسلت، خرجت ريح حارة. وإنما جاء الخبر بالنفث لأن الروح أسرع نهوضاً إلى نور تلك الكلمات، وأوفر حظاً من النفس، والنفس ثقيلة بطيئة عاجزة. فأدى الروح إلى الكفين بذلك النفث ريحاً قد باشرت أنوار الصدر التي أنارتها تلك الكلمات، وأشعلتها بما جاء من المزيد، فإن في كل كلمة منها نوراً، وفي كل حرف من تلك الكلمة نوراً. فإذا صارت الريح إلى الكفين بالنفث، مسح بهما وجهه وما أقبل من جسده، ثم بعد ذلك حيث ما بلغ من جسده؛ لأن الحق للوجه؛ لأن الصورة فيه، ثم الحق من بعد ذلك لما أقبل من الجسد لأن قبالة المؤمن حيث ما كان فهو لقبالة الله، وكذلك قلبه في الباطن فالحق له في النفث أن يبدأ بالوجه، ثم بما أقبل من جسده، وتفاوت النفثات من أهلها على قدر نور قلوبهم وعلمهم بتلك الكلمات، فإذا فعل ذلك بجسده عند إيوائه إلى فراشه كان كمن اغتسل بأطهر ماء وأطيبه.

فما ظنك بمن يغتسل بأنوار كلمات الله تعالى وكان ذلك أيضاً كثوب نفض من غباره، وخلص من شوكه، وتباعد من الزهومات فعاد طرياً طيباً، فخرجت نفسه إلى الله في منامه. كذلك هذا سوى الاستغفار والتوبة والتسبيح والدعاء الذي أشار رسول الله ﷺ للأمة عند منامهم. وإنما اختار هذه القلات الثلاث لأن في إحداهن مدحة الله تعالى ونعته، فبه يطهر وينزه ويطيب، وبالمعوذتين يتخلص من الشرك. ولأن على ابن آدم عدوين عظيمي المؤنة : النفس والشيطان. يأتيان بالشك والشرك في اليقظة، ويأتيان بالعين الحاسدة التي تهدم أركان النعمة.

ولذلك قال رسول الله ﷺ : ﴿ **العين حق وأكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله بالنفس** ﴾[1] وإنما صار هكذا لأن هذه الأمة أيدت باليقين وفضلت به، وطريقهم إلى الله تعالى واسعة، فطولبوا بما فضلوا أن ينسبوا كل شيء يستحسنونه إلى خالقه، ويبركوا فيقولوا : تبارك الله. فإذا تركوا ذلك إعجاباً بذلك الشيء تهافت ذلك الشيء وذهب حسنه وهلك.

ولذلك قال (عليه السلام) حيث سبق ناقة الاعرابي ناقة رسول الله ﷺ حيث استبقا فقال : « حق على الله أن لا يرفع الناس أعينهم إلى شيء إلا وضعه الله ».

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الطب باب ١٩ ما جاء أن العين حق والغسل لها ٢٠٦١ حدثنا يحيى بن كثير أبو غسان العنبري ــ حدثنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير، حدثني حية بن حابس التميمي حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ وقال: وذكره وأخرجه البخاري في ٧٦ ــ كتاب الطب، ٣٦ باب العين حق ومسلم في: ٣٩ ــ كتاب السلام ١٦ باب الطب والمرض والرقى حديث ٤١ ــ ورواه صاحب الموطأ في كتاب العين ١ باب الوضوء من العين ورواه أحمد بن حنبل في المسند ١ : ٢٧٤، ٢٩٤، ٢ : ٢٢٢ (حلبي).

وإنما ذم رسول الله ﷺ تلك العيون الغافلة عن الله تعالى فسماها حاسدة. فقال : ﴿ **ومن شر حاسد إذا حسد** ﴾[1].

فإنما سمي حاسداً لأنه يحصد الأشياء حصداً، ويستأصلها بسوء نظرته العاجزة عن الله تعالى. والسين والصاد يعتقبان، يجزئ أحدها عن الآخر، كقولك : صراط وسراط.

فإن قال قائل : فإن كان هذا الناظر بغفلته هو الجاني، فما بال المنظور إليه لحقته العقوبة. قيل : ليس له ذا عقوبة، ولكن هذا تدبير الله تعالى في عباده. ألا يرى أن الساحر يسحر بأخذته فيخلص الضرر إلى من سحره حتى يعالج.

وكذلك فعل برسول الله ﷺ حتى أنزلت عليه المعوذتان، فكان جبرائيل (عليه السلام) يقرأ كل آية ويحل عقدة، وذلك قوله تعالى : ﴿ **ومن شر النفاثات في العقد** ﴾[2].

فالساحر يعقد وينفث، فيؤخذ بها أعضاء من يقصده بذلك، فكذلك هذا يخلص إليه ضرر نظرته المشوبة بالإعجاب، حتى يأخذه.

عدنا إلى حديث يونس عن الزهري قلنا : فمن اتخذ هذا الفعل عندما يأوي إلى فراشه عادة رأى النفع الظاهر في جسده وسائر أموره؛ لأن النفس تعرج إلى الله في منامها مع البركة والطهارة والنزاهة والتخلص من الشرك بقراءة هذه السورة، فتسجد تحت العرش، وهي بهذه الصفة قد اغتسلت بهذه الأشياء، فتنال من حباء الله وكرامته ما ترجع به إلى الجسد بالخير الكثير والمزيد الشافي، وإذا عرجت إلى الله تعالى بغير هذه الصفة، سجدت وهي خالية عن هذه الأشياء فينال من الحباء والكرامة على قدره.

---

(١) سورة الفلق آية رقم ٥.

(٢) سورة الفلق آية رقم ٤.

عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال : تعرج الأرواح إلى الله تعالى في منامها، فما كان طاهراً يسجد تحت العرش، وما لم يكن طاهراً يسجد قاصياً، فلذلك يستحب أن لا ينام الرجل إلا وهو طاهر.

قال أبو عبد الله : فإنما ذكر عبد الله بن عمرو في حديثه الأرواح وإنما هي النفوس. وقد يسمى الشيء باسم قرينه كما قيل : قلب وفؤاد. فالقلب ما بطن، والفؤاد ما ظهر. وفيه العينان والأذنان. والخروج من منامها للنفوس. وذلك قوله تعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجلٍ مسمى** ﴾[1].

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : إن النفوس تعرج إلى الله تعالى في منامها، فما كان طاهراً سجد تحت العرش، وما كان غير طاهر تباعد في سجوده، وما كان جنباً لم يؤذن لها في السجود.

قال أبو عبد الله : فإذا كان بطهارة الوضوء ينال القربة تحت العرش حتى يسجد هناك. فكيف إذا أتى بطهارة وتوضأ ونزه وطاب وطهر بأنوار كلام الله تعالى التي ترددت في صدره، ونفث منها على جسده، ان هذه لسجدة لها عند الله خطر عظيم.

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٤٢.

الأصل السابع والأربعون والمائتان

في حسن الخلق

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصوم والصلاة »[1].

فدرجة الصوم درجة الصابرين، ودرجة الصلاة درجة الشاكرين، فإذا وصل العبد إلى درجة الشاكرين والصابرين فقد جمع الإيمان كله. وذلك قول رسول الله ﷺ : « الإيمان نصفان : نصف للشكر، ونصف للصبر »[2].

وإذا جمع العبد الإيمان كله، انقطع بقوة هذا الإيمان إلى الله تعالى. وإذا انقطع إلى الله، نجا من شرور النفس وخدعها وأمانيها، وصار في معاذ الله من وساوسها.

---

(١) الحديث رواه الطبراني عن أبي أمامة، ونقله صاحب جامع الشمل في كتاب الخلق والتخلق

(٢) الحديث رواه البيهقي في شعب الايمان عن أنس، وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وأشار على الحديث بالضعف

روى عمران بن حصين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من انقطع إلى الله كفاه مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب ».

وبذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ فقال : ﴿ **واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً** ﴾[1].

فمن تمسك بهذه الآية عاش حراً كريماً ومات حراً كريماً، ولقي الله تعالى عبداً صافياً خالصاً.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال في حديث الرؤيا : « ورأيت رجلاً من أمتي بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه فأدخله على الله تعالى »[2].

فهذا يحقق ما قلنا بدءاً ان حسن الخلق يؤديه إلى الله انقطاعاً عن النفس وفتنتها. وحسن الخلق على ثلاث منازل : **أول منزلة** منها أن يحسن خلقه مع أمره ونهيه، ويأتمر بأمره، وينتهي عن مناهيه. فإذا أحكم هذا تخطى إلى **المنزلة الثانية**، وهو أن يحسن خلقه مع جميع خلقه على سبيل المساعدة والمقاربة والمساهلة واللين والرفق والمواتاة والموراة ومعاشرة الجميل. فإذا حكم هذا تخطى إلى **المنزلة الثالثة**، وهو أن يحسن خلقه مع تدبير الله تعالى في كل أموره، فلا يريد إلا ما يريد الله، ولا يشاء إلا ما يشاء الله.

فعينه مادة إلى ما يبرز له ساعة فساعة من حجاب الملكوت من تلك الغيوب من تدبيره فيتلقاه مهتشاً راضياً، وقد ائتمن الله على نفسه وأحوالها، فهذا رجل قد استكمل حسن الخلق، واستراح قلبه، واطمأنت نفسه، واستقامت جوارحه، وألقى إلى الله بيديه سلماً، ووجدته كافياً كريماً حسناً مولى وناصراً، فنعم المولى ونعم النصير.

---

(١) سورة المزمل آية رقم ٧، ٨.

(٢) هذا الأثر قصره السيوطي على الحكيم الترمذي في نوادر الأصول

وإذا قال حينئذ : « حسبي الله »، صدقه على عرشه. وإذا قال : « كفى بالله وكيلاً » كفاه الله. وإذا توكل على الله هيأه له. وإذا اتكل على كرمه، وفى له بما هو سأله ولو كان ذلك طي الأرض والمشي في الهواء. ولو سأله يوم القيامة أمة لشفعه فيهم، وكان مسكنه في أعلى الجنان يحقق ما قلناه قول رسول الله ﷺ : « من ترك الكذب وهو باطل بُنِيَ له في ربض الجنة. ومن ترك المراء وهو محق بُنِيَ له في وسطها. ومن حسن خلقه بُنِيَ له في أعلاها »[1].

فالذي قاله رسول الله ﷺ في حديث أبي الدرداء (رضي الله عنه) ان العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم وهو عندنا درجة المعاشرة مع خلقه مع الائتمار بأمره والتناهي عما نهى عنه. فهذا عبد نزل من حسن الخلق درجتين، فصار كمن صام نهاره وقام ليله، فهو صابر شاكر. وإنما بقيت الدرجة العليا. فتلك درجة المنفردين خاصة الله.

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ٥٨ ما جاء في المراد ١٩٩٣ ــ بسنده عن أنس بن مالك، قال رسول الله ﷺ وذكره. وقال الترمذي: هذا الحديث حديث حسن، ورواه أبو داود في الأدب ٧ والنسائي في الجهاد ١٩ وابن ماجة في المقدمة ٧.

الأصل الثامن والأربعون والمائتان

في الصبر عند المرض

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « من مرض ليلة فصبر ورضي بها عن الله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »[1].

قال أبو عبد الله : جاد العبد بنفسه على الله ليلة واحدة فجاد الله عليه بمغفرة طهرته من جميع الذنوب، فصار كمن لا ذنب له. فهكذا شأن الكريم مع المؤمنين. هذا فيمن جاد عليه بليلة، فكيف بمن جاد عليه في جميع عمره بماذا يجود عليه؟ يجود عليه غداً بوجهه الكريم حتى يصير بالصفة التي ذكرها في تنزيله عندما ذكر لظى نعوذ بالله منها : ﴿ **وسيجنبها الأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى...** ﴾[2] إلى قوله : ﴿ ... **ولسوف يرضى** ﴾[3]. أي ابتغى بهذا التقوى والصفاء

---

(١) الحديث أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وقال: رواه الحكيم الترمذي بسنده عن أبي هريرة وأشار على الحديث بالضعف

(٢) سورة الليل آية رقم ١٧.

(٣) سورة الليل آية رقم ٢١.

والإخلاص أن يلقى وجهه الكريم قلباً، ويلقاه غداً في الموقف رؤية، ويلقاه في الفردوس نظراً، وذلك منتهى المنى.

والنظر أكثر من الرؤية لأنه يراه في الموقف رؤية الديان عرضاً وقبولاً وجزاء. وفي الفردوس رؤية الحنان نظراً وبهجة وسروراً ولذة. ثم ختمه بقوله: ﴿ **ولسوف يرضى** ﴾ أي يعطى حتى يرضى. وإنما يعطى ما يعقل العبد ثم بين وراء ذلك ما لم يعقله.

عن جابر بن عبدالله، أظنه رفعه، قال: يقول الله تعالى: يا أهل الجنان بقي لكم شيء لم تنالوه. فيقولون: وما هو يا ربنا؟ فيقول: رضواني.

فالرضوان آخر ما ينال أهل الجنة، لا شيء أكبر منه. ذكر الله جنات عدن في تنزيله ثم قال: ﴿ **ورضوان من الله أكبر** ﴾[1].

فكل عبد من أهل الجنة حظه من الرضوان هناك فيها على قدر جوده بنفسه على الله في الدنيا. ألا ترى إلى أصحاب رسول الله ﷺ يوم الحديبية، حيث بايعوا رسول الله ﷺ على الموت وكانت البيعة تحت الشجرة في ذلك الوادي أنزل الله تعالى: ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً...** ﴾[2] الآية.

أوجب لهم الرضاء في بذلة واحدة، بذلوا نفوسهم لله تعالى مع رسول الله ﷺ، فكيف بمن بذل نفسه في جميع عمره لله؟ فمن أوجب الله له الرضاء عنه في الدنيا فحظه في الجنة الرضوان كله.

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٧٢.

(٢) سورة الفتح آية رقم ١٨.

الأصل التاسع والأربعون والمائتان

في مسألة التثبيت للميت عند الدفن

عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال : كان رسول الله ﷺ إذا دفن ميتاً وقف وسأل له التثبيت. وكان يقول : ما يستقبل المؤمن من هول الآخرة إلا والقبر أفظع منه[1].

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : فالوقوف على القبر وسؤال التثبيت للمؤمن في وقت دفنه مدد للميت بعد الصلاة؛ لأن الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك فيشفعون له. والوقوف على القبر لسؤال التثبيت مدد العسكر وتلك ساعة شغل المؤمن، لأنه يستقبله هول المطلع وسؤال وفتنة فتاني القبر (منكر ونكير). فانما سميا فتاني القبر لأن في سؤالهما انتهاراً وفي خلقهما صعوبة. ألا ترى أنهما سميا منكراً ونكيراً. فإنما سميا بذلك لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة، ولا خلق طير ولا خلق البهائم، ولا خلق

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الزهد باب ٥، ٢٣٠٨ بسنده عن عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ قال: وذكره مع اختلاف في بعض الألفاظ، وابن ماجة في كتاب الزهد ٣٢، وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٦٤ (حلبي).

الهوام. بل هما خلق بديع، وليس في خلقهما أنس للناظرين إليهما. خلقهما الله تعالى مكرمة للمؤمنين وتبصرة وهتكاً لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث حتى يحل عليه العذاب. وإنما صارت مكرمة للمؤمن لأن العدو لم ينقطع طمعه بعد، فهو يتخلل السبيل إلى أن يحيره في البرزخ.

ومما يحقق ذلك ما روى سعيد بن المسيب (رضي الله عنه) قال : حضرت عبد الله بن عمر في جنازة، فلما وضعه في اللحد قال : بسم الله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله. فلما أخذ في تسوية اللحد قال : اللهم أجره من الشيطان ومن عذاب القبر ومن عذاب النار. فلما سوى الكثيب عليه قام جانب القبر، ثم قال : اللهم جاف الأرض من كثيبها، وصعد روحه، ولقه منك رضواناً. فقلت لابن عمر : أشيئاً سمعته من رسول الله ﷺ أم شيئاً قلته من تلقاء نفسك؟ قال : إني إذاً لقادر على القول، بل سمعته من رسول الله ﷺ.

عن عمرو بن مرة قال : كانوا يستحبون إذا وضع الميت في اللحد أن يقال : اللهم أعذه من الشيطان الرجيم. فانما كانوا يتخوفون من فتنة الفتانين من قبل العدو وأنه يشبه على من كان في قلبه زيغ أيام الحياة. فروي عن سفيان الثورى أنه قال : إذا سئل الميت : من ربك؟ تراءى له الشيطان في صورة، فيشير إلى نفسه، أي أنا ربك. فهذه فتنة عظيمة جعلها الله مكرمة للمؤمن إذا ثبته ولقنه الجواب. فلذلك كان رسول الله ﷺ يدعو بالثبات، يقول : اللهم ثبت عند المسائل منطقه وافتح أبواب السماء لروحه.

فلو لم يكن للشيطان هناك سبيل ما كان ليدعو له رسول الله ﷺ بأن يجيره من الشيطان. وإنما سؤال الميت في هذه الأمة خاصة لأن الأمم قبلها كانت الرسل تأتيهم بالرسالة، فإذا أبوا كفت الرسل فاعتزلت

وعوجلوا بالعذاب. فلما بعث الله محمداً ﷺ بعثه بالرحمة وأماناً للخلق فقال : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[1].

فأمسك عنهم العذاب، وأعطى السيف حتى يدخل في الإسلام من دخل لمهابة السيف، ثم يرسخ في قلبه فأمهلوا. فمن ههنا ظهر أمر النفاق، فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الإيمان، فكانوا بين المسلمين في ستر، فلما ماتوا قيض لهم فتانا القبر ليستخرجا سرهم بالسؤال. فروي في الحديث أنه إذا سئل عن الرسول ﷺ قال : لا أدري. فيضرب بالمقامع. فيقال له : لا دريت. و ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾[2].

عن جابر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **هذه الأمة تبتلى في قبورها** ﴾[3].

وأما قوله : « ما يستقبل المؤمن من هول الآخرة إلا والقبر أفظع منه » فهذا للمؤمن خاصة. وأما الكافر فما يستقبله من شيء إلا وهو أفظع من ما مضى. لأن المؤمن كلما قرب من ربه تيسر عليه الأمر وكان أقرب إلى الرحمة. فإنما يحاسب المؤمن في القبر ليكون أهون عليه غداً إذا وقف بين يديه، لأن الله تعالى أنزل عبده المؤمن من نفسه أنه يستحيي منه وأنه أوجب له محبته ورحمته ورأفته. فإذا كانت

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٧.

(٢) سورة إبراهيم آية رقم ٢٧.

(٣) هذا الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ٦٧ (٢٨٦٧) عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت قال أبو سعيد ولم أشهده من النبي ﷺ ولكن حدثنيه زيد بن ثابت قال : بينما النبي في حائط لبني النجار على بغلة له، ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال مَن يعرف أصحاب هذه الأقبر فقال رجل أنا. قال: فمتى مات هؤلاء ؟ قال: ماتوا في الاشراك فقال: وذكره ورواه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٣، ٢٣٨ (حلبي).

هذه منزلته منه وكان من العبد جفاء، وانتهاك شيء حرمه الله، أو اغترار بقول العدو ويستوجب بذلك العقوبة ليرضى الحق أناله ذلك في القبر ليمحصه، فيخرج من القبر وقد اقتصَّ منه وأرضى الحق.

عن حذيفة (رضي الله عنه) قال : في القبر حساب، وفي الآخرة حساب، فمن حوسب في القبر نجا، ومن حوسب في القيامة عذب. ولذلك ما روي عن رسول الله ﷺ : أن أهل التوحيد الذين تأخذهم النار يميتهم الله إماتة حتى تحرق النار منهم ما تحرق ثم يحييهم فينجيهم.

عن أبي سعيد (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ بذلك فلا نعلم الاماتة سبباً أكشف عن المعنى من الذي ذكرنا أن الله تعالى بعدما أوجب لعبده محبته ورأفته ورحمته، وبذلك جعله أهلاً للكلمة العليا لا إله إلا الله، وكان ممن دخل اسمه في الآية في التنزيل حيث يقول : ﴿ **وألزمهم كلمة التقوى...** ﴾[1] ثم قال : ﴿ **وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾[2].

فمن دخل اسمه في هذا المديح وفي مثل هذه المرتبة، ثم حبسه في النار حقوق الله تعالى حتى يحترق منها ما يرضي الحق كان غير مدفوع ان الله (عز وجل) يستحيي من العبد فيميته في تلك النار حتى يقضي للحق ما وجب له ويرضيه، ثم إذا أحياه أنجاه.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : « إن الله يستحيي من عبده وأمته أن يشيبا في الإسلام شيبة فيعذبهما بالنار »[3]. وفي حديث

---

(١) (٢) سورة الفتح آية رقم ٢٦.

(٣) الحديث رواه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد ٩ باب ما جاء في فضل من شاب شيبه في سبيل الله ١٦٣٤ بسنده عن كعب بن مرة ــ حدثنا عن رسول الله ــ ﷺ.

ورواه النسائي عن أبي كعب بن مرة أيضاً، كما رواه الحاكم في الكنى عن ام سليم. قال الترمذي: وفي الباب عن فضالة بن عبيد وآخرين

آخر : « إن الله تعالى ليستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً »[1].

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ١٠٥، ٣٥٥٦ عن أبي عثمان النهدي عن سليمان الفارسي عن النبي ﷺ قال: وذكره. وقال: هذا حديث حسن غريب، ورواه ابن ماجة في الدعاء ١٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٥ : ٣٨ (حلبي).

الأصل المائتان والخمسون

في بر الوالدين

عن عبد الرحمن بن سمرة (رضي الله عنه) قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال : « إني رأيت البارحة عجباً، رأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فرده عنه »[1].

قال أبو عبد الله : فبر الوالدين شكر لأنه قال تعالى : ﴿ **أن أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير** ﴾[2]. فإذا برهما فقد شكرهما، وقد قال في تنزيله : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾[3].

فانما وجد العبد العمر من ربه في وقت إنفصاله من أمه. وقد كان في البطن حياة ولم يكن عمر، فلما خرج أعطى العمر بمقدار.

---

(١) لعل هذا الأثر من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر ويؤيد هذا الحديث قول الرسول ـ ﷺ « لا يزيد في العمر الا البر » وقوله: من أراد أن ينسأ في اجله فليصل رحمه.

(٢) سورة لقمان آية رقم ١٤.

(٣) سورة إبراهيم آية رقم ٧.

فاذا وصل والديه برٌّ كان قد وصل الرحم الذي منه خرج، والصلب الذي منه جرى، وكان في فعله ذلك شاكراً فزيد من ذلك العمر الذي شكر من أجله، فرد عنه ملك الموت يوهمك في هذا الحديث أن العباد إذا وصلوا أرحامهم زيد في أعمارهم، لأنهم بالصلة صاروا شاكرين فشكر الله لهم ووفى لهم بما وعد في تنزيله فقال : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾[1]. فزاد في أعمارهم.

عن ثوبان (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزيد في العمر إلا البر. ولا يرد القضاء إلا الدعاء. وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب الذي يصيبه »[2].

ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك.

قال أبو عبد الله : فعذاب القبر من البول والنجاسات.

كذلك روي عن رسول الله ﷺ أن عامة عذاب القبر من البول والنميمة[3].

وإنما صار كذلك لأن البول من معدن إبليس من جوف الآدمي، فإذا لم يتنزه العبد من ذلك دخل قبره بنجاسات العدو، فعذب في

---

(١) سورة إبراهيم آية رقم ٧.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة ١٠ باب في القدر ٩٠ ــ عن سفيان عن عبدالله بن عيسى، عن عبدالله بن أبي الجعد عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ وذكره: في الزوائد: سألت شيخنا أبا الفضل القرافي عن هذا الحديث. فقال: حسن.

(٣) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة ٢٦ باب التشديد في البول ٣٤٨ ــ ثنا أبو عوانة، عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. في الزوائد: إسناده صحيح وله شواهد. ورواه النسائي في كتاب السهو ٨٨ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣٢٦ (حلبي).

القبر، وعذاب المؤمنين في البرزخ، وعذاب الكفار في القيامة. جعل الله هذا الماء طهوراً يطهر نجاسات الدنيا وأدناس الذنوب. فإذا كان العبد مداوماً على الوضوء فهو أبداً في إزالة الأدناس ونفض الغبار عن دينه. وإذا كان يوم البرزخ وجاء العذاب عذاب الأدناس التي اكتسبها بالسيئات جاءه وضوءه فاستنقذه من العذاب.

عن ميمونة (رضي الله عنها) انها قالت : يا رسول الله أفتنا عن عذاب القبر. قال : من أثر البول. فمن أصابه منه شيء فليغسله بماء. فان لم يصبه أو يجده فليمسحه بتراب طيب[1].

قال أبو عبد الله (رحمه الله) فالغسل لما يعلمه. فاذا خفي عليه أن يكون أصابه شيء وخاف من حيث لا يدري وهابه ما جاء عن رسول الله ﷺ من شأن عذاب القبر دله على التيمم. وذلك أن الجهل به ضرورة، وفقد الماء ضرورة. وقد تفضل الله (عز وجل) على عبيده عند فقد الماء بالتيمم فصير طهوراً. فكذلك في حال الشك والتخوف.

عن جابر (رضي الله عنه) قال : لما توفي سعد بن معاذ (رضي الله عنه) ووضع في حفرته سبح رسول الله ﷺ وسبح القوم، ثم كبر وكبر القوم معه. فقالوا : يا رسول الله مم سبحت؟ قال : هذا العبد الصالح! لقد تضايق عليه قبره حتى فرجه الله عنه. فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : كان يقصر في بعض الطهور من البول.

---

(١) روى أصحاب السنن من حديث أبي هريرة: استنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه وذكر البخاري بسنده عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ حديث عذاب القبر من الغيبة والبول ١٣٧٨ كتاب الجنائز

ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم.

قال أبو عبدالله : فالشيطان وجنوده قد أعطوا السبيل إلى فتنة الآدمي، وتزيين ما في الأرض له طمعاً في غوايته، وقد قال : ﴿ **بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾[1].

فلو لم يجعل بيده شيء ما قدر على أن يزين، ولكن قد أُعطي سلطاناً بتلك الزينة التي أعطيها حتى يوصلها إلى النفوس، ويهيجها تهييجاً يزعزع أركان البدن، ويستفز القلب حتى يزعجه عن مستقره، فلا يعتصم الآدمي بشيء أوثق ولا أحصن من الذكر، لأنه إذا هاج الذكر من القلب، هاجت الأنوار، فاشتعل الصدر بنار الأنوار، وهيج العدو من نفسه نار الشهوات بنفثه ونفخه، ونار الأنوار تحرق نار الشهوات وتحرق العدو. فاذا رأى العدو هيج الذكر من القلب ولى هارباً ويترك النفخ والنفث، وخمدت نار الشهوة، وامتلأ الصدر نوراً فبطل كيده، وذلك قوله تعالى : ﴿ **وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً** ﴾[2].

وقال (جل اسمه) في التنزيل : ﴿ **إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد** ﴾[3]. وقال : ﴿ **إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب** ﴾[4].

فهذه قصة السماء حرسها بشهب الكواكب ثم جعل صدور المؤمنين

---

(١) سورة الحجر آية رقم ٣٩.

(٢) سورة الإسراء آية رقم ٤٦.

(٣) سورة الصافات آية رقم ٦.

(٤) سورة الصافات آية رقم ١٠.

كذلك، فجعل قلب المؤمن خزانة لكنوز معرفته، وجعل أعلام الكنوز في الصدر مرفوعة لعين الفؤاد حتى يؤم عين الفؤاد العلم الذي رفع له في كل وقت علم لأن الكنوز أنواع، ولكل نوع علم، فإنما يرفع العلم في الصدر لعين الفؤاد حتى يتبع العلم. فالأعلام زينة الصدر ومصابيحه. فهؤلاء حراس السماء يحرسون أخبار السماء حتى لا يسترق العدو سمع ما في السماء. فإذا دنوا للسمع، رموا بشهب الكواكب. وهؤلاء حراس الخزنة يحرسون كنوز المعرفة حتى لا يسترق العدو سمع ما في الصدر تراءى لعين الفؤاد وتدبير ذات الصدر. فإذا هاج الذكر فانما يهيج من هذه الأعلام التي في الصدر من تلك الكنوز التي في القلب، فاشتعل القلب نوراً، ولكل شعلة حريق. فإن تراءى العدو في ذلك الوقت أحرقته تلك الشعلة يرمي بشعاعها ويهرب العدو ويتخلص العبد فعلم العدو أن لله عباداً قد امتحنهم للتقوى واستخلصهم للكرامة واستثناهم، فقال: ﴿ **إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾[1].

فانما استخلصهم الله بالذكر فأصفاهم ذكراً وأطيبهم معدناً للذكر أقواهم على العدو، والعدو أشد نفاراً منهم.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: « إن الشيطان ليفر من حس عمر وما رأى الشيطان عمر إلا خر لوجهه »[2].

وقال تعالى في تنزيله: ﴿ **الوسواس الخناس** ﴾[3].

فانما سماه خناساً لأنه إذا جاء الذكر انخنس وذهبت قوته، وإن تعرض في ذلك الوقت احترق.

وروي عن رسول الله ﷺ أن يحيى بن زكريا (عليهما السلام)

---

(١) سورة الحجر آية رقم ٤.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث.

(٣) سورة الناس آية رقم ٤.

أمر بأن يأمر قومه بخمس خصال ويضرب لهم مثلاً فقال : رجل أتى العدو من ناحية فقاتله، فلما رأى أنهم أتوه من النواحي دخل الحصن وأغلق بابه فاستقر آمناً في الحصن وبقي العدو خارجاً.

فالعبد إذا قاتل الشيطان بنوع من أنواع البر جاءه من نوع آخر فإذا جاء الذكر هرب وتركه لأن للذكر نوراً يحرق وليس لأعمال البر تلك القوة التي يحترق منها العدو.

ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم.

قال : فالعذاب إنما يقصد العبيد الاباق الذين هربوا وذهبوا برقابهم من الله. وأهل الصلاة كلما أبقوا عادوا إلى الله في وقت كل صلاة، فوقفوا بين يديه تائبين نادمين معتذرين، مسلمين نفوسهم، مجددين لإسلامهم، يقرضونه بالتكبير والتسبيح والتحميد والتهليل، والركوع والسجود، والرغبة والضرع إلى الله في التشهد، فسقطت عنهم عيوب إباقهم وهربهم، وزالت عنهم العقوبات التي استوجبوها.

ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً، كلما ورد حوضاً منع، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه.

قال أبو عبد الله : فهذا عبد اتبع هواه وأمعن في شهواته حتى بعد من الرحمة. فإذا بعد القلب من الرحمة عطش، وإذا عطش يبس، وإذا يبس قسا. ولذلك قال : ﴿ **فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله** ﴾[1]. وقال : ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة** ﴾[2].

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٢٢.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٧٤.

فبالرحمة يرطب القلب ويروى، وببعده من الرحمة يعطش، فأورثه عطش القلب عطش القيامة، حتى رآه النبي ﷺ في منامه في القيامة في تلك الحالة. فإذا ترك العبد اتباع الهوى وامتنع من الشهوات، عادت الرحمة إليه فروي، لأن برد الرحمة يسكن حرارة الشهوة التي تؤدي إلى العطش. والصيام هو ترك الشهوات والمنى ورفض الهوى. وإنما جعل الحوض ـــ حوض الرسول ـــ غياثاً لأهل الموقف لأنهم يقومون عطاشاً من قبورهم لأنهم دخلوها مع الهوى والشهوات لم يفارقوها إلا بمفارقة الروح وخروج النفس، فخرجوا من الدنيا عطاشاً فاحتاجوا إلى الحوض. ومن خرج من الدنيا وفارق الهوى والشهوات سكن عطشه وروي برحمة الله من قرب الله، فدخل القبر ريان، وخرج منها إلى الله يوم القيامة ريان من كل ماء، عطشان إلى الله، فأولئك الذين يسقون قبل دخول الجنة حتى يرووا من حيث عطشوا.

روي عن مالك بن دينار أنه قال : ينادي مناد يوم القيامة : أين أهل العطش؟ فأول من يقوم داوود (عليه السلام) فيسقي على رؤوس الخلائق. فذلك قوله تعالى : ﴿ **وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب** ﴾[1].

وإنما خص داوود (عليه السلام) بذلك لأن الخطيئة عطشه، فهو وإن تاب وقبلت توبته، وغفر الله له، فذلك العطش باق إلى ذلك اليوم.

ورأيت رجلاً من أمتي والنبيون قعود حلقاً حلقاً، لما دنا إلى حلقة طرد، فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي.

قال أبو عبد الله : فالجنابة إنما سميت جنابة لأن الماء الذي جرى من صلبه قد كان جاور في الأصل مياه الأعداء في ظهر آدم (عليه

---

(١) سورة ص آية رقم ٤٠.

السلام) فاصابته زهومة تلك المياه بجواره وممره من الصلب إلى مستقر العدو في الجوف، ومستقره من المعدة إلى موضع الحدث هو كله معدنه. وإذا خرج من العبد في يقظته أوجب غسلاً، وإذا خرج في منامه حلماً أوجب غسلاً، وإذا أخرج منه عند خروج الروح منه يوم الموت أوجب غسلاً بعد الموت. ولذلك يغسل الميت، ولا يصلى عليه حتى يغسل، كما كان الحي لا يجزيه الصلاة إلا بعد الغسل. والغسل تطهير من أثر العدو. والجنب ممنوع من قراءة القرآن ومن أن يمسه بيده، ومن أن يتخذ المساجد مجلساً؛ لأن الطارة مفقودة، وآثار العدو موجودة. فإذا كان هكذا فهو ممنوع من حلق النبيين ومجالسهم في الموقف، لأن حلقهم في الموقف على مراتب. فالرسل مراتبهم معلومة، والأنبياء دونهم، والأولياء دونهم، كل صنف على مرتبته. فهذا الجنب لو لم يكن يغتسل في الدنيا لمنعه فقد طهارته عنهم. فلما اغتسل في الدنيا صارت منزلته بطهارته بحيث صلح، وجاز أن يقعد إلى سيد الرسل ﷺ. ولما كان أصل الجنابة من الفرج وجد المغتسل السبيل إلى أصل الفرج وهو محمد ﷺ.

ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور.

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : قد وعد الله تعالى في تنزيله في شأن الحج حط الآثام عنه، فقال : ﴿ **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه** ﴾[1].

أي يرجع مغفوراً له قد سقط عنه الآثام، فتلك الظلمات كانت آثام العبد. فإذا قضى حجه وفى الله له بما وعد.

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٠٣.

وأما العمرة فإن رسول الله ﷺ روي عنه أنه قال : « العمرة الحج الأصغر »[1].

ورأيت رجلاً من أمتي يكلم الناس ولا يكلمونه، فجاءته صلة الرحم، وقالت : يا معاشر المسلمين كلموه فكلموه.

قال أبو عبد الله : فالرحم أصل المؤمنين كلهم. فمن تمسك بصلته فقد أرضى المؤمنين كلهم، ما بينه وبين آدم (عليه السلام). ومن تهيأ له صلة الرحم تهيأ له إرضاء المؤمنين كلهم. ومن كان قاطعاً للرحم آيس المؤمنون من خيره. ولذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم ».

قال : وإنما صار هكذا لأن الرحمة منقطعة عنه، وهو في سخط الله، وإن الله خلق الرحم بيده وشق لها اسماً من اسمه فقال : « أنا الرحمن وأنت الرحم، خلقتك بيدي، وشققت لك اسماً من اسمي »[2].

ثم أرسل حواشي قميص الرحمة من العرش ليتعلق الخلق بها. فمن وصل الرحم فقد تعلق بحاشية القميص ومن قطعها قصرت يده عن حاشية القميص فانقطع عن رحمة الله ولم يبق له إلا رحمة التوحيد. فهذا الواصل للرحم كان رجلاً قد عمل السيئآت الكثيرة وضيع الحقوق، وحسن سيرته في هذه الخصلة الواحدة، فلما وصل الرحم نالت يده حواشي القميص فتعلق بها فنال الرحمة، فجاءته الصلة فأخبرت المؤمنين في القيامة كلموه، معناه أنه دخل في رحمة الله التي يرحم بها المؤمنين، وصاروا كلهم له بعد أن كانوا عليه.

---

(١) هذا الأثر لعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر والله أعلم.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث

ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت ستراً على وجهه وظلاً على رأسه.

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : فالصدقة إنما صارت ستراً للمؤمنين من النار لأنه إذا تصدق فإنما يفدي نفسه ويفل غرامة جنايته.

وروي عن رسول الله ﷺ أن يحيى بن زكريا (عليهما السلام) أمر قومه بالصدقة فضرب لها مثلاً، فقال كمثل رجل قتل قتيلاً ثم هرب، فسأله أولياؤه أن يجعلوا دية القتيل عليه نجوماً ففعلوا فأداها نجماً نجماً[1]، ففك رقبته وصار إلى أهله مطمئناً، فالنار إنما تطلب وجوه الجفاة في الموقف لتلفحها. فإذا أدى الجاني غرمه صار الأداء ستراً على الوجه وظلاً على الرأس. وهكذا شأن الفدية تأخذ بالحذاء ومن فوق فتقيك بنفسها من كل ناحية.

ورأيت رجلاً من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم، فأدخلاه مع ملائكة الرحمة.

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : فالزبانية شرط الملائكة، والشرط لمن جاهر بالمعاصي من أهل الريب يلتمسونهم في الطرق والمسالك ليأخذوهم. فمن استتر بستر الله، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر فهو وإن استعمل أعمال أهل الريب بعد أن يكون مستوراً لا ينتهك، فالشرط في الدنيا منتهون عن أخذه غير ملتمسين أشباه هؤلاء لحرمة ذلك الستر. فكذلك في الآخرة إذا طلبت الزبانية في عرصة القيامة أهل المجاهرة بالمعاصي فوقع هذا المستور في أيديهم نفعه ذلك النهي

---

(١) نجم الشيء ظهر وطلع، وبابه دخل يقال: نجم السنُّ والقرن والنبت إذا طلع. والنجم الوقت المضروب ومنه سمي المنجمَّ يقال نجَّم المال تنجيماً إذا أداه نجوماً، والنجم من النبات ما لم يكن له ساق قال الله تعالى: ﴿ **والنجم والشجر يسجدان** ﴾.

عن المنكر والأمر بالمعروف، وكل من عمل المعاصي في الدنيا سراً لا يجاهر به فكائن منه أن ينهى عن المنكر إذا لقيه. وإذا فعل ذلك كانت ملائكة الرحمة أحق به من ملائكة العذاب. ومن استحقته ملائكة الرحمة من الموقف فقد نجا.

ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله تعالى.

قال أبو عبد الله (رحمه الله) ينبئك في هذا القول أن العبد تحجبه ذنوبه عن الله في الدنيا قلباً، وفي الموقف غداً بدناً، وان حسن الخلق منيحة من الله لعبده؛ لأن الأخلاق في الخزائن فإذا أحب الله عبداً منحه خلقاً منها ليدر عليه ذلك الخلق كرائم الأفعال ومحاسن الأمور، فيظهر ذلك على جوارحه، فيزداد العبد بذلك محبة توصله إليه في الدنيا قلباً، وفي الآخرة بدناً، وحب الله عبده يمحق الذنوب محقاً، ويتركه من آثامه عطلاً، وإذا أحب الله عبداً أهدى إليه خلقاً من أخلاقه. وإذا رحم الله عبداً أذن له في عمل من أعمال البر. فهذه ثمرة الرحمة، وتلك ثمرة المحبة.

ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه.

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : فأعظم الأهوال في القيامة في ثلاثة مواطن، عند تطاير الصحف، وعند الميزان، وعند الصراط. وذلك قول رسول الله ﷺ فيما روي عنه أنه قال : « لا يذكر أحد أحداً في هذه المواطن. فإذا وقعت الصحيفة بيمينه أمن وبانت سعادته ». قال الله تعالى في تنزيله : ﴿ **فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً** ﴾[1].

---

(١) سورة الانشقاق آية رقم ٨.

عن الحسن (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ قال : قال ربكم تبارك وتعالى : لن أجمع على عبدي خوفين، ولن أجمع أمنين. من أخفته في الدنيا أمنته في الآخرة[1].

فمن قاسى خوفه في الدنيا أوجب له الأمن يوم القيامة. فإذا جاءه الهول عند تطاير الصحف جاءه ذلك الخوف فنفعه بأن جعل صحيفته في يمينه حتى يأمن.

ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه، فجاءته افراطه فثقلوا ميزانه.

قال أبو عبد الله : فالأفراط أولاده الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، فإنما ثقل ميزانه لأنهم أطفال موحد قدموا على ربهم بلا شرك ولا ذنب، فدبر الله خلقهم من صلب موحد. فبهم صار من أهل رحمة الله. وإنما يثقل الموازين بالرحمة.

وقال في حديث آخر : من مات له ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحلم أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم[2].

والموازين تثقل بالحسنات. ومن أحسن الحسنات ذرية يخرجها الله من صلب موحد، ثم يقبضهم لم يتدنسوا بمعصية.

ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم، فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى.

قال أبو عبد الله : الوجل هو في وقت انكشاف الغطاء لقلب المؤمن، وهو خشية العبد. وان جهنم حائلة بين العباد وبين الجنة حتى يضرب

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب الجنائز ١٦٠٥ عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: وذكره، ورواه النسائي في الجنائز ٢٥ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٤٥١، ٥ : ١٥١، ٢٨٠ (حلبي).

الجسور ويهيأ القناطر، فعندها يستبين الصراط، وهو الطريق لأهله. فالخلق كلهم على شفير جهنم وقوف هائبون لها، فوجل العباد يجعل لهم السبيل ليقطعوها، لأن الخشية ثوابها المغفرة. قال تعالى : ﴿ **إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة...** ﴾[1].

والمغفرة نورها ساطع وهو نور الرأفة. فإذا جاءت الرأفة وجل العبد قلباً وذهبت الحيرة وتشجعت النفس فمضت.

ورأيت رجلاً من أمتي قد هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار.

قال أبو عبد الله : هذا عبد استوجب النار بعمله فأدركته رحمة الله ببكائه من الخشية فأنفذته لأن دمعة الخشية تطفئ بحوراً من النيران.

ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله، فسكن رعدته ومضى.

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : حسن الظن من المعرفة بالله وعظم رجاء العبد وأمله لربه من المعرفة، فلم يضيع الله معرفة العبد، لأنه هو الذي مَنَّ عليه بها فلم يرتجع في مَنِّهِ، ووفى له بأن أعطاه حسن الظن في الدنيا من تلك المعرفة الممنون بها عليه، ثم حقق ظنه في ذلك الموقف، أي كما عرفتني ثم ظننت من معرفتك أني أنجيك، فلك النجاة والأمان، فسكن رعدته.

ورأيت رجلاً من أمتي يرجع أحياناً ويحبو أحياناً ويتعلق أحياناً، فجاءته صلاته عليَّ فأخذته فأقامته ومضى على الصراط.

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : الصلاة على الرسول من العبد بنوة

---

(١) سورة الملك آية رقم ١٢.

لأبيه، يريد أن يرى أباه مقام الولد للأب، ولذلك أمر الله العباد أن يصلوا عليه، فذاك حق للرسول يقضونها بمنزلة الأولاد يقضون حقوق آبائهم. وإذا كان الولد هكذا فمن شأن الوالد أن يأخذ بيد الولد في وقت عثراته فيقيمه، فصارت صلوات العباد للرسول (عليه السلام) بمنزلة ذلك.

ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة.

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : فهذه كلمة جعلت مفتاحاً لأبواب الجنة، وإنما غلقت دون هذا العبد كأنه جاء بمفتاح ليس له أسنان، وقد نجد في الدنيا أن يجيء الرجل بمفتاح الباب وقد ضاع بعض أسنانه، فلا يزال يردده ويحركه حتى يفتحه، وإذا لم يكن بيده مفتاح لم يفتح. فهذا عبد قد ضيع الأسنان فأغاثه الله بما جاء به.

وقد جاء عن رسول الله ﷺ ان المؤمنين يدعون من أبواب الجنة وأن أبوابها مقسومة على أعمال البر، فباب للصلاة، وباب للصيام، وباب للصدقة، وباب للحج، وباب للجهاد، وباب للأرحام، وباب لمظالم العباد وهو آخرها. فهذه سبعة أبواب مقسومة على أعمال العباد براً. وكذلك أبواب النيران مقسومة على أعمال أهلها، لكل باب منهم جزء مقسوم. وباب للجنة زائد لأهل الشهادة يسمى باب التوبة فأرى رسول الله ﷺ في منامه هذه الرؤيا ليعلم العباد قوة هذه الأفعال التي ذكرها من العبيد أيام الدنيا ماذا لكل نوع من هذه الأعمال من القوة هناك في الموقف، وفي أي موطن يغيثه ويؤيده، ليعلم العباد أجناس هذه الأفعال ليكثر منها كي إذا استقبله أهوال القيامة وتارات الموقف، نسأله عونها وقوتها.

الأصل الحادي والخمسون والمائتان

في وصف مشي الرسول عليه السلام

عن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) قال : كان رسول الله ﷺ إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب[1].

وعن هند بن أبي هالة الكندي قال : كان رسول الله ﷺ يخطو تكفئا إذا مشى كأنما يخط من صبب.

عن أنس (رضي الله عنه) قال : كان رسول الله ﷺ إذا مشى كأنما يتوكأ على شيء.

قال أبو عبد الله : فالمشي بالقلب، ومن القلب يتأدى قوة المشي إلى الساقين. ألا ترى أن القلب إذا فزع وارتاع وقع القائم وذهبت رجلاه، والسكران إذا غاب ذهنه وعقله عن قلبه استرخت رجلاه فاختلفتا وربما وقع، فاذا ثاب إليه عقله وذهنه قوي ذلك لتعلم أن قوة جميع

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب المناقب باب ٨ ما جاء في صفة النبي ﷺ ٣٦٣٧ — حدثنا المسعودي عن عثمان بن مسلم بن هرمز عن نافع بن جبير بن مطعم عن علي قال: وذكره. ورواه الإمام أحمد في المسند ١ : ٩٦، ١١٦، ١١٧، ١٢٧، ١٣٤، ١٥١ (حلبي).

الأركان بالقلب إذا كان الذهن والعقل معه. فكان قلب رسول الله ﷺ مشحوناً بكنوز المعرفة شحن السفينة إذا أثقلت حتى غابت في الماء إلى منطقتها، وكانت كنوزه على صنفين، عن اليمين أسرار الله، وعن اليسار سمات الله. فالرحمة مع الأسرار، والحق مع السمات، وحب الله أمامه جؤجؤ[1] السفينة، وشوق الله له شراع سفينته، وفرحه به رياح الأفراح. فكان إذا مشى مالت به الصنفات، فمرة أثقال أسرار الله تميل به، ومرة أثقال سمات الله تميل به. فإذا استقر قائماً على المنبر أو قاعداً في مجلس، استقرت به أثقال الحب. وإذا هبت رياح الأفراح وهاج الشوق قام إلى الصلاة ففرت عينه. فذلك قوله : حبب إلى الصلاة. وقيل لي خذ منها ما شئت وان الله جعل قرة عيني في الصلاة[2].

فأثقال الأسرار مطوية عن الخلق إلا عن أهل جذبت الله الذين أدرجهم بمحمد ﷺ وجعلهم قرة عينه، فسار بهم على طريقه، وجعل سقياهم من مشربه ومرعاهم من ملك الملك بين يديه على مائدته تلك ضيافة محمد ﷺ لقرة عينه في عرس الله، وهو بدء الربوبية وبدء التدبير، وتلك حكمة الله. وأثقال السمات حشو ما في الأمثال العليا والأسماء الحسنى، فتلك حكمة الخلق، والحق موكل بهذه، والرحمة العظمى منهضة بتلك، فصار هذا القلب كسفينة موقرة من كنوز المعرفة، مشحونة بعلم الله، محفوفة بآلاء الله، تجري في بحر غيب الله، وهو بحر الذكر، وهو ذلك البحر الذي من شرب منه شربة نسي نفسه ولم يلتفت إليها إلى يوم اللقاء، وهبوب رياح أفراح

---

(١) جؤجؤ الطائر والسفينة صدرهما والجمع (الجآجئ) قال الأموي جأجأت بالإبل إذا دعوتها لتشرب فقلت: جئ جئ والاسم (الجئ).

(٢) سبق تخريج هذا الحديث.

الله قد هبت في شوق الله إلى عبده، ورفعت السفينة بما فيها من الكنوز، وميلانها مرة هكذا ومرة هكذا، فالحق يمسكها عن الانقلاب من جانبه، والرحمة تمسكها عن الانقلاب من جانبها، والعدل على كوثل السفينة يستقيم بسيرها بمجدافها، ومجدافه مشيئة الله تعالى، فلولا المجداف لكان الشراع ورياحها تطير بها فتضرب بها صخرة حتى تنكسر وتغرق، أو تقذف بها إلى جزيرة يابسة فتلقيها على الأرض، لوحاً لوحاً، ولكن المجداف الموكل به على كوثلها يستقيم بصدرها. والحب غالب على الأشياء التي في قلب المؤمن، فلولا الثبات من الله تعالى بالمشيئة لطار الحب به كل مطير، ورمى به في واد قعير. ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات...** ﴾[1].

فانظر أي وعيد هذا! فانما هاج من رسول الله ﷺ ذلك الحب لله حتى حرصه على دخولهم في الإسلام، فأجابوه إلى الدخول في الإسلام على شريطة أن لا يركعوا في صلاتهم، وأن يتركهم حتى يتمتعوا باللات سنة، فكان رسول الله ﷺ يكاد يحترق من الحب لله فيحرص على دخولهم في الإسلام، فلما جاءوا بهذه الكلمة وهم ثقيف أهل الطائف وجد رسول الله ﷺ من هذه الكلمة وجداً شديداً، واشتعل ناراً ودعا بوضوئه كالمتبرد، حتى قال عمر (رضي الله عنه) : أحرقتم رسول الله ﷺ أحرق الله أكبادكم.

وإنما احترق رسول الله ﷺ من أجل أنهم طمعوا فيه أن يجيبهم إلى ذلك لما رأوا من رفقه وعطفه وسروره بمجيئهم بعد أن كان قد حاصرهم شهراً، فهال رسول الله ﷺ طمعهم فيه، وخاف أن

---

(١) سورة الإسراء آية رقم ٧٤.

يكون قد أفرط في تعظيم مجيئهم، وأنزل الله تعالى : ﴿ **وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم...** ﴾[1].

فلم ينسبه إلى أنه همَّ بالركون أو مال إليهم، بل أعلمه أن الثبات هو الذي عصمه. يعلمه أن حبه هذا يهيج حرصه حتى تجد النفس السبيل إلى القلب، فيشاركه في المحبة، لأن الحب في القلب، والحرص في النفس. فلولا التثبيت لأفتتن. فأعلمه المنة عليه بالعصمة، وان خطر الحب عظيم، وأنه يسبي القلب، فإذا لم يكن له ثبات ذهبت قوة القلب فطارت به لغلبة الفرح الذي في الحب، بمنزلة السفينة التي طارت فصدمت بها جبلاً فتكسرت قطعة قطعة، وتبددت كنوزه في بحر الغيب غرقاً، فلا حق بقي ولا رحمة.

---

(١) سورة الإسراء آية رقم ٧٣ ــ ٧٤.

الأصل الثاني والخمسون والمائتان

في أن الأشربة من خمس

عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : الأشربة من خمس : من الحنطة والشعير والتمر والزبيب والعسل، فما خمر فهو خمر »[1].

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : قوله : « الأشربة من خمس » أي هذه أشياء ينبذ عليها الماء فيستخرج بالماء ما فيهن من القوة.

قوله : « فما خمر فهو خمر » يعني إذا تركته نياً على هيئته التي خرج فلم تأخذ قوته بالنار فشربته خالطت القوة التي فيها قوة العدو التي أُعطي فانه موكل بما أُعطي من هذه الأشربة. فإذا تركتها بقوتها جاء العدو بما بيده فخلطه بها، ثم وجد السبيل إلى المعدة بنصيبه. فإذا دخل الجوف خمر القلب، أي غطاه وحال بين القلب والعقل؛ لأن العقل في الرأس، وشعاعه في الصدر، والتدبير للعقل مع القلب

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الأشربة باب في تحريم الخمر ٣٦٦٩ ــ عن ابن عمر، عن عمر، قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة أشياء وذكره وفيه العنب بدل الزبيب وفيه زيادة [وددت أن رسول الله ﷺ لم يفارقنا حتى يعهد إلينا فيهن عهداً ننتهي إليه: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا].

في الصدر لأن عين الفؤاد في الصدر، وشعاع العقل يشرق من الصدر، فبذلك الإشراق يهتدي القلب إلى ما حسن وقبح. وإنما نزل القرآن بتحريم الخمر، والخمر اسم لما خمر الفؤاد، أي يغطيه، ويحول بينه وبين شعاع العقل، وكل شراب كانت فيه هذه الصفة فقد لزمه اسم الخمر ولزمه التحريم.

ولذلك قال عمر (رضي الله عنه) : « الخمر ما خامر العقل ». أي غطاه ولذلك قال رسول الله ﷺ : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام »[1]. المسكر هو المفعل للسكر، والسكر سد العقل، ومنه يقال لسد النهر سكر. ومنه قوله تعالى : ﴿ **سكرت أبصارنا** ﴾[2]. أي سدت.

فالماء جار في النهر، فإذا ألقيت في بعض طريقه كيساً من التراب وغيره، بقي الماء إلى حيث انتهى، فصار ما سفل من الكيس في بطن النهر خالياً. فكذلك العقل قراره في الدماغ، ثم شعاعه جار إلى الصدر إلى عيني الفؤاد لتدبير الأمور، وتمييز الحسن والقبيح، والضر والنفع، فإذا شرب هذا الشراب ولم يكن أخذ قوته بالطبخ فالعدو منه بنصيبه يخلص إلى الصدر برجاسته ونجاسته، فإذا وقعت هذه النجاسة والظلمة في هذا الطريق بين عيني الفؤاد والرأس صار سداً، فيبقى الصدر مظلماً، وما وراء السد ما يلي الرأس مضيئاً مشرقاً، لا ينتفع بذلك عينا الفؤاد، فيبقى الصدر خالياً كما بقي النهر، ويبقى عينا الفؤاد في ظلمة ما جاء به العدو، فسمى ذلك في النهر سَكراً، بفتح السين،

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الأشربة ٣٣٩٠ عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة، عن ابن عمر، قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه الإمام مسلم في كتاب الأشربة ٧٣ وأبو داود في الأشربة ٥، والترمذي في الأشربة ١ وأحمد بن حنبل في الأشربة ٢ : ١٦، ٢٩، ٣١، ١٠٥، ١٣٤، ١٣٧ (حلبي).

(٢) سورة الحجر آية رقم ١٥.

وسمى هذا سُكراً، بضم السين، فمن أجاز طلاق السكران وفرق بينه وبين المعتوه والمجنون والصبي فلأن السكر سد، والعقل وراء السد قائم، وهو حجة الله تعالى على العبد لوجوب الأحكام عليه. والصبي لم يعط عقل الحجة، وهو تمام العقد الذي به يقوم حجة الله، وعلامته أنه إذا تم فحرارة ذلك النور تؤدي إلى الصلب فيخرج منه الماء الذي يوجب الغسل إما بحلم أو بجماع. فلذلك صيروا الحلم علامة الإدراك، وجرى الحكم عليه لأن العقل قد تم، وقبل ذلك كان صغيراً لا يحتمل دماغه ذلك العقل. وأما العتاهة فهو التحير، وهو أن يهيج من المرة ما يتأدَّى إلى الدماغ، فيفسد العقل ويخالطه. فليس هناك عقل يقدر أن يعمل شيئاً لأنه قد خالطه. وكذلك الجنون هو من المرة. فكل ما ستر العقل من داء، فذاك يخالط العقل ويفده. وما كان من شراب، فإن ذاك سد ظلمة من رجاسة العدو، والعقل من ورائه على هيئته، لم يخالطه شيء إلا أنه متمكن لانسداد الطريق وقد يكون هذا السد سداً رقيقاً وسداً كثيفاً، فربما عمل بعض عقله من خلال ذلك السد. ألا ترى أنه يعقل شيئاً ولا يعقل شيئاً؛ لأن العقل بمكانه لم يخالطه شيء، وفي حال الجنون خالط العقل ذلك الداء؛ لأنه خلص إلى الدماغ. وأما الصبي فانه لم يعط تماماً وهو يزاد قليلاً قليلاً باللطف، حتى يبلغ من السن ما يحتمل ذلك وجد العقل مكاناً ينفسخ. فالذي فرق بين طلاق السكران وطلاق المعتوه والمجنون والصبي إنما فرق لهذا. وأما اللذين لم يجيزوا طلاقه فإنما نظروا إلى افتقاد القلب العقل. فإذا افتقده لم يلزموه شيئاً من الأحكام، لأنه إنما تقوم الحجة بالعقل.

الأصل الثالث والخمسون والمائتان

في أن القرآن مثله كجراب فيه مسك

عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال : بعث رسول الله ﷺ بعثاً وأمر عليهم أميراً منهم هو أصغرهم. فلم يسيروا، فلقي النبي ﷺ رجلاً منهم، فقال : يا فلان ما لك أما انطلقتم ؟ قال : يا رسول الله أميرنا يشتكي رجله. فأتاه النبي ﷺ أو بعث إليه، فقال : « بسم الله وبالله وأعوذ بعزة الله وبقدرته من شر ما فيها » سبع مرات. فبدأ الرجل. فقالوا له : يا رسول الله أتؤمره علينا وهو أصغرنا؟ فذكر النبي ﷺ قراءته للقرآن. فقال : يا رسول الله لولا أني أخاف أن لا أقوم به. فقال رسول الله ﷺ إن القرآن مثله كجراب فيه مسك قد ربط فيه فان فتحته فاح ريح المسك، وإن تركته كان مسكاً موضوعاً. مثل القرآن إن قرأته وإلا فهو في صدرك[1].

---

(١) الحديث راه الإمام الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب ٢ ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ٢٨٧٦ حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن سعيد المقبري عن عطاء مولى أبي أحمد عن أبي هريرة قال : بعث رسول الله بعثاً وذكره وقال : هذا حديث حسن، ورواه ابن ماجة في المقدمة ١٦ باب فضل من تعلم القرآن ٢١٧ ــ عن عبد الحميد بن جعفر عن المقبري، عن عطاء مولى أبي أحمد، عن أبي هريرة ــ قال: قال رسول الله ﷺ وذكره مختصراً. =

عن أبي أمامة (رضي الله عنه) يبلغ به النبي ﷺ قال : « لا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة، إن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن »[٢].

عن عقبة بن عامر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « لو كان القرآن في إهاب ما مسه النار »[٣].

قال أبو عبدالله : من حرمة القرآن أن لا تمسه إلا طاهراً، وأن تقرأه وأنت على طهارة، وأن تستاك وأن تتخلل وتطيب فان هذا طريقه، وأن تستوي قاعداً إن كنت في غير صلاة، ولا تكون متكئاً، وأن تتلبس له كما تتلبس للدخول على الأمير لأنك مناج، وأن تستقبل القبلة بقراءته. كان أبو العالية إذا قرأ اعتم ولبس وارتدى واستقبل القبلة، وأن تتمضمض كلما تنخع.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه كان يكون بين يديه ثور إذا تنخع تمضمض وأخذ في الذكر، وأن يمسك عن القراءة إذا تثاوب، فإن التثاؤب من الشيطان، وأن يستعيذ بالله ويبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم، وإذا أخذ في سورة لم يشتغل بشيء حتى يفرغ منها إلا من ضرورة، وإذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة بساعة بشيء من كلام الآدميين من غير ضرورة، وأن يخلو بقراءته حتى لا يقطع عليه أحد بكلامه فيخلطه بجوابه، لأنه إذا فعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة في البدء، وأن يقرأه على تؤدة وترسل وترتيل وأن يشتغل به ذهنه وفهمه حتى يعقل ما به يخاطب، وأن يقف على آية الوعد فيرتغب إلى الله تعالى ويسأله من فضله، وأن يقف على آية الوعيد فيستجير

= قال الترمذي: وقد رواه الليث بن سعد عن سعيد المقبري، عن عطاء مولى أبي أحمد عن النبي ﷺ مرسلاً ولم يذكر فيه عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث

(٣) سبق تخريج هذا الحديث

بالله منه، وأن يقف على أمثاله فيمتثلها، وأن يلتمس أعرابه، وأن يؤدي لكل حرف حقه من الأداء حتى يبرز الكلام باللطف تماماً. فإن لكل حرف عشر حسنات وإذا انتهت قراءته أن يصدق ربه، ويشهد بالبلاغ للرسل (صلوات الله عليهم) ويشهد على ذلك أنه حق، فيقول : صدقت ربنا، وبلغت رسلك، ونحن على ذلك من الشاهدين. اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط. ثم يدعو بدعواته، وأن لا يلتقط الآي من كل سورة فيقرأها. فانه روي عن رسول الله ﷺ أنه مر ببلال وهو يقرأ من كل سورة شيئاً، فأمره أن يقرأ السور كلها، أو كما قال عليه السلام.

ومن حرمته إذا وضع الصحيفة أن لا يتركه منشوراً وأن لا يضع فوقه شيئاً من الكتب حتى يكون أبداً عالياً على سائر الكتب، وأن يضعه في حجره إذا قرأه أو على شيء بين يديه، ولا يضعه بالأرض، وأن لا يمحوه من اللوح بالبزاق، ولكن يغسله بالماء، وإذا غسله بالماء أن يتوقى النجاسات من المواضع والمواضع التي توطأ، فإن لتلك الغسالة حرمة وأن من كان قبلنا من السلف منهم من يستشفي بغسالته، وأن لا يتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب، فإن ذلك جفاء عظيم، ولكن يمحوها بالماء، وأن لا يخلي يوماً من أيامه من النظر في المصحف مرة، كان أبو موسى الأشعري يقول : إني لأستحي أن لا أنظر كل يوم في عهد ربي مرة، وأن يعطي عينه حظها منه، فإن العين تؤدي إلى النفس، وبين النفس والصدر حجاب، والقرآن في الصدر، فإذا قرأه عن ظهر قلب فانما يسمع أذنه فيؤدي إلى النفس، وإذا نظر في الحظ كانت العين والأذن قد اشتركا في الأداء، وذلك أوفر للأداء، وكان قد أخذت العين بحظها كالأذن.

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطوا أعينكم حظها من العبادة ». قالوا : يا رسول الله وما

حظها من العبادة؟ قال : «النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه ».

عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن »[1].

ومن حرمته أن لا يتأوله عندما يعرض له من أمر الدنيا. والتأول مثل قولك للرجل إذا جاءك : ﴿ **جئت على قدر يا موسى** ﴾[2] ومثل قولك : ﴿ **كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية** ﴾[3] عند حضور الطعام، وأشباه هذا. ومن حرمته أن لا يقال سورة كذا، كقولك : سورة البقرة، وسورة النساء، وسورة النحل. ولكن يقال : السورة التي يذكر فيها كذا. ومن حرمته أن لا يتلى منكوساً كفعل معلمي الصبيان يلتمس أحدهم بذلك أن يرى الحذق من نفسه والمهارة، فإن تلك مجانة منهم. ومن حرمته أن لا يقرأه بألحان الغناء كلحون أهل العشق، ولا بترجيع النصارى، ولا نوح الرهبانية، فإن ذلك كله زيغ.

عن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل العشق وأهل الكتابين، فإنه سيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم »[4].

ومن حرمته أن تجلل تخطيطه إذا خططته. عن أبي حليمة أنه كان

---

(١) الحديث عن ابن قانع عن أسيد بن جابر السجزي في الابانة عن أنس ــ رضي الله عنه. ورواه السيوطي في الجامع الصغير وأشار عليه بالضعف.

(٢) سورة طه آية رقم ٤٠.

(٣) سورة الحاقة آية رقم ٢٤.

(٤) الحديث رواه الطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب الايمان عن حذيفة ورواه السيوطي في الجامع الصغير، والدارمي في فضائل القرآن ٣٥

يكتب المصاحف بالكوفة، فمر علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فنظر إلى كتابه فقال له : أجلل قلمك. فأخذت القلم فقططت من طرفه قطاً، ثم كتبت، وعلي (رضي الله عنه) قائم ينظر إلى كتابتي فقال : هكذا نوره كما نوره الله تعالى.

ومن حرمته أن لا يجهر بعض على بعض في القراءة فيفسد عليه، حتى يبغض إليه ما يسمع ويكون كهيئة المغالبة. ومن حرمته أن لا يماري ولا يجادل فيه من القراءة، ولا يقول لصاحبه : « ليس كذا » فلعل تلك القراءة صحيحة بين القراء، فيكون قد جحد كتاب الله تعالى. ومن حرمته أن لا يقرأه في الأسواق ولا في مواطن اللغط واللغو ومجمع السفهاء. قال الله تعالى : ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كراماً** ﴾[1] هذا إذا مر بنفسه، فكيف إذا مر بالقرآن الكريم؟

ومن حرمته أن لا يتوسد المصحف، ولا يعتمد عليه، ولا يرمي به إلى صاحبه إذا أراد أن يناوله. ومن حرمته أن لا يصغر المصحف.

عن علي (رضي الله عنه) قال : لا تصغر المصحف.

ومن حرمته أن لا يخلط به ما ليس منه. ومن حرمته أن لا يحلى بالذهب ولا يكتب بالذهب، فيخلط به زينة الدنيا.

عن أبي عوانة، عن مغيرة، عن إبراهيم، أنه كان يكره أن يحلى المصحف، أو يكتب بالذهب، أو يعلم عند رؤوس الآي أو يصغر.

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « اذا زخرفتم مساجدكم، وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم »[2].

---

(١) سورة الفرقان آية ٧٢.

(٢) رواه السيوطي في الجامع الصغير وأشار الى رواية الحكيم الترمذي، وأشار على الحديث بالضعف.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه رأى مصحفاً قد زين بفضة، قال : تغرون به السارق، وزينته في جوفه.

ومن حرمته أن لا يكتب على الأرض، ولا على حائط، كما يفعل به في المساجد المحدثة.

عن عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) قال : مر رسول الله ﷺ بكتاب في أرض، فقال لشاب من هذيل : ما هذا؟ قال: من كتاب الله، كتبه يهودي. قال : لعن الله من فعل هذا، لا تضعوا كتاب الله إلا في مواضعه.

ورأى عمر بن عبد العزيز ابناً له يكتب القرآن على حائط، فضربه. ومن حرمته أنه إذا اغتسل بكتابته مستشفياً من سقم أن لا يصبه على كناسة أو في موضع نجاسة، ولا على موضع يوطأ، ولكن ناحية من الأرض في بقعة لا يطأها الناس، أو يحفر حفرة في موضع طاهر حتى ينصب من جسده في تلك الحفير، ثم يكبسها، أو في نهر يختلط بمائه فيجري.

ومن حرمته أن يفتتحه كلما ختمه حتى لا يكون كهيئة المهجور. ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا ختم يقرأ من أول القرآن قدر خمس آيات لئلا يكون في هيئة المهجور.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله أي العمل أفضل؟ فقال : عليك بالحال المرتحل. قال : وما الحال المرتحل؟ قال : صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره، ثم يضرب في أوله، كلما حل ارتحل.

ومن حرمته أن لا يكتب المعاذ منه تدخلها الخلاء إلا أن يكون في غلاف من آدم أو فضة أو غيرهما، فيكون كأنها في صدرك.

ومن حرمته إذا كتبه وشربه سمى الله على كل نفس وعظم النية فيه، فإن الله يؤتيه على قدر نيته.

عن محمد بن مروان عن أبي جعفر قال : من وجد في قلبه سوءة فليكتب يس في جام بزعفران ثم يشربه.

عن مجاهد قال : لا بأس أن يكتب القرآن ثم يغسله ويسقى المريض.

عن هلال بن الصلت، أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : سورة يس تدعى في التوراة المُعِمَّة. قيل : وما المعمة. قال : تعم صاحبها خير الدنيا، وتكابد عنه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهاويل الآخرة، وتدعى المدافعة القاضية، تدفع عن صاحبها كل شيء، وتقضي له كل حاجة، ومن قرأها عدلت له عشرين حجة، ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله، ومن كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء، وألف نور، وألف يقين وألف بركة وألف رحمة، ونزع من كل غل وداء.

عن أنس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : لكل شيء قلب، وقلب القرآن يس، ومن قرأها فكأنما قرأ القرآن عشر مرات[1].

فالقلب أمير على الجسد، وكذلك يس أمير على سائر السور مشتمل على جميع القرآن.

---

(١) الحديث رواه الترمذي باب ٧ ما جاء في فضل يس ٢٨٨٧ ــ حدثنا حميد بن الروابي عن الحسن بن صالح عن هارون أبي محمد عن مقاتل بن حبان عن قتادة عن أنس: قال النبي ﷺ: وذكره.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد بن عبد الرحمن، وبالبصرة لا يعرفون من حديث قتادة إلا من هذا الوجه، وهارون أبو محمد شيخ مجهول. وفي الباب عن أبي بكر الصديق ولا يصح من قبل إسناده، إسناده ضعيف. وقد نقله ابن كثير في التفسير ٣ : ٥٦٣.

عن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى : « من شغله ذكري وقراءة القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين »[1]. وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه.

فهذا فضل لا يحاط بكنهه إذ كان لا يحاط بفضل الله على جميع خلقه. وإنما صار هكذا لأنه كلامه، منه خرج.

عن عمرو بن دينار قال : أدركت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : الله الخالق وما سواه المخلوق غير الكلام، فإنه منه خرج وإليه يعود.

عن طاووس قال : قال رسول الله ﷺ : ما رد العباد إلى الله شيئاً أحب إليه من كلامه.

عن سفيان الثوري (رضي الله عنه) يقول : سمعت أن قراءة القرآن أفضل من الذكر، وجاد ما غاص قائل هذا القول، لأن الذكر هو شيء يبتدعه العبد من تلقاء قلبه من علمه بربه، والقرآن قد تكلم به الرب، فإذا تلاه العبد فانما يتكلم بشيء قد كان عند الرب، ولم يخلق ولا يتدنس، فهو على طراءته وطيبه، وأيضاً ليس تأليف العبد كتأليف الله تعالى، قال تعالى : ﴿ **لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾[2].

ألا ترى إلى قول الوليد بن المغيرة حيث استمع إلى القرآن وتحير فيه فقال : قد عرضته على رجز الشعر وهزجه وقريضه فلم يشبهه،

---

(١) الحديث رواه الترمذي في فضائل القرآن باب ٢٥، ٢٩٢٦ حدثنا شهاب بن عباد حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ يقول الرب عز وجل: وذكره.

(٢) سورة الإسراء آية رقم ٨٨.

وليس بسحر ولا كهانة، وإن عليه لطلاوة، وإن له لحلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر.

عن محمد بن علي (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : القرآن أفضل من كل شيء دون الله تعالى، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه. فمن وقر القرآن فقد وقر الله، ومن لم يوقر القرآن لم يوقر الله. وحرمة القرآن عند الله تعالى كحرمة الوالد على ولده. القرآن شافع مشفع. وماحل مصدق. فمن شفع له القرآن شفع، ومن محل به القرآن صدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار. حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله الملبسون نور الله المعلمون كلام الله ومن والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله. يقول الله تبارك اسمه : « يا حملة القرآن استجيبوا لربكم بتوقير كتابه يزدكم حباً، ويحببكم إلى عباده ». يرفع عن مستمع القرآن بلوى الدنيا، ويدفع عن تالي القرآن شر الآخرة. ومن استمع آية من كتاب الله كان له خيراً من صبر ذهبا. ومن قرأ آية من كتاب الله كان أفضل مما تحت العرش إلى التخوم. وإن في كتاب الله لسورة تدعى العزيزة يدعى صاحبها الشريف يوم القيامة، تشفع لصاحبها أكثر من ربيعة ومضر، وهي سورة يس.

الأصل الرابع والخمسون والمائتان

في سر كلمة التقوى

عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه، سمع رسول الله ﷺ يقول : « وألزمهم كلمة التقوى »[1] لا إله إلا الله[2].

قال أبو عبد الله : إنما سميت كلمة التقوى لأن العبد إذا نطق بها إنما ينطق عن نور التوحيد الذي في قلبه. فإذا انتهى إلى الصراط صار ذلك النور له وقاية من النار. وذلك النور برد يخمد لهب النار؛ لأن ذلك النور نور الرحمة، وتلك الرحمة هي حظ المؤمن من ربه. فإذا نال العبد تلك الرحمة أشرق القلب بنور التوحيد وأضاء الصدر من ذلك الإشراق، ونطق اللسان عن نور وضوء. فإذا انتهى إلى الصراط، صار ذلك النور والضوء وقاية. فالنور يخمد ما تحت قدميه، والضوء يضيء له أمامه وينفرج له الطريق عن تلك الظلمة التي على الصراط

---

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٦.

(٢) قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور وذكره وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن عباية بن ربعي عن علي ـــ رضي الله عنه ـــ وذكره، وكذا قال ابن عمر ـــ رضي الله عنهما ـــ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـــ في قوله تعالى وذكره.

من سواد النار، فلذلك قيل : كلمة التقوى. لأنه بها يتقي من النار. فكلمة « لا إله إلا الله » أولها نفي الشرك، وآخرها تعلق بالله، فلا يقدر العبد أن يتعلق بالله حتى يلزمه الله، وإنما يلزمه الله بعدما يجعل له إليه سبيلاً. فإذا رحم عبداً فتح له من قلبه الطريق إليه، حتى إذا صار القلب محل التوحيد، فهناك يلزمه الله نور الكلمة، فيصدر القلب عن الله بتوحيده إلى النفس حتى تطمئن النفس وتسكن إلى ذلك، وتستقر عن التردد والجولان في طلب معبود سواه، فيستقر القلب والنفس جميعاً للعبودة له لما يأمر وينهي، فصار تعلقها جميعاً به في العبودة. وهو قوله : ﴿ **فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها** ﴾[1].

فهذه عقدة القلب وطمأنينة النفس. ثم بعد ذلك تمضي النفس في شهواتها حلاً وحراماً، وهي مع ذلك بالله مطمئنة أنه معبوده على إضمار أنها تقضي شهواتها وتعود إلى مكانها ثانية. وأما القلب فهو منكر لذلك، مستمسك بعروته، مقهور في سلطان النفس، حتى إذا أقبل الله على العبد بالرحمة، وأعطاه سلطان التوبة، خمدت نار الشهوة، وخرج القلب من آثار النفس. فالعروة الوثقى هي ذلك النور الذي ألزم الله قلب العبد، فاستمسك به وقوي، لا انفصام لها، فإذا انتهى إلى الصراط صار ذلك النور وقاية له من تحت قدمه، وصار الضوء أمامه يطرق له في الظلمة حتى يجوزها.

وقد قلنا بدءاً أن كلمة « لا إله إلا الله » أولها نفي الشرك، وآخرها تعلق بالله. وإنما يتعلق بالله إذا استكمل التقوى. وذلك أن الشرك على ضربين : شرك عبودة وشرك الأسباب. وكلاهما علاقة. وهو مشتق من الشرك الذي ينصب، فيتعلق به الصيد، فانما ينصب الشرك ويلقى هناك حبوب ينخدع الطائر لحاجته إليها حتى يقع فيه فيتعلق، وكذلك

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٦.

السمك، إنما يقع في حبالته لشهوة بطنه. وكذلك الآدمي إنما يقع في حبالة العدو حتى يتولى دون الله إلهاً، ويتخذه معبوداً لشهوة نفسه، يشتهي أن يعاين معبوده، فيلتذ بالعبادة، فطلب معبوده، فلما لم يجده مده العدو إلى شيء وصوت له من جوفه، وزينه له، فالتذّ بصوته فعبده، فهو يعبد الشيطان، ولا يدري بحيث أنه يعبد ذلك الوثن، وذلك قوله تعالى لهم يوم القيامة : ﴿ **ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾[1]. وقال : ﴿ **واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب...** ﴾[2].

قال له قائل : ما ذلك الصوت؟ قال ذلك صوت أعطى العدو ليفتن به الآدميين، أي يهيج الحرقة التي في جوف الآدمي. قال القائل : وما تلك الحرقة؟ قال : تلك حرقة الفرح الذي خلق من النار، فوضع بباب النار، وحفت النار به وهو الشهوات، فمن سمعها من المخذولين فقد سباه، ومن سمعها من الموحدين لم يقدر أن يسبيه؛ لأن الله تعالى منَّ عليه بالرشد، ومن منَّ عليه بالرشد فقد كرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون فضلاً من الله ونعمة. وذلك قوله تعالى : ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل** ﴾[3].

فمن أوتي الرشد لم يتلذذ بذلك الصوت. ومن وجد قلبه خالياً عن ذلك سباه. ألا ترى أن الموحدين لما سمعوا صوته في المزامير والمعازف افتتنوا به. ولولا أنه يمازج بصوته ذلك الصوت من المعازف ما التذوا به. وقد كره الله الكفر إلى المؤمن ولم يكن إليه المعازف، وأمره بالمجاهدة. فإذا جاهد، فتح له في الغيب، فنال من الأنوار ما لا تجد له هذه المعازف إليه سبيلاً، لأن الذي في جوفه من الشهوة

---

(١) سورة يس آية رقم ٦٠.

(٢) سورة الاسراء آية رقم ٦٤.

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ٥١.

قد مات، فلم يجد العدو إليه سبيلاً، وقبل ذلك إنما كان يلتذ بصوت المعازف الممازج لصوت العدو والمهيج لما في جوفه. فلما وقع في منازل القربة ماتت شهوته، وخشع قلبه من جلال الله تعالى لم يجد العدو إليه سبيلا، فصارت لذة قلبه في حبه فدقت حلاوة جميع الأشياء عنده، وصارت جميع الأشياء مرفوضة.

وإنما يتعلق القلب بالله إذا نجا من تعلقه بالشهوات والمشيآت والإرادات. فهذه كلها شرك الأسباب. فإذا تخلص من هذا الشرك لم يبق له متعلق، فتعلق القلب بالله، فعندها صدق الله في مقالته : « لا إله إلا الله ». وتلك المقالة تملأ الكفة من الميزان حتى تستميل بالسموات والأرض ومن فيهما من الخلق.

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ قال : قال موسى (عليه السلام) : رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به. قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله. قال : كل عبادك يقول هكذا. قال : قل : لا إله إلا الله. قال : لا إله إلا الله. إنما أريد شيئاً تخصّني به. قال : يا موسى لو أن السموات السبع وعمارهن والأرضين السبع في كفة و « لا إله إلا الله » في كفة لمالت بهن « لا إله إلا الله »[1].

---

(١) الحديث رواه المستغفري في الدعوات عن أبي هريرة بنحوه وهو معروف من حديث أبي سعيد بلفظ لو ان السموات السبع وعامرهن والأرضين السبع في كفة مالت بهم لا اله الا الله، وأخرجه النسائي وابن حبان والحاكم وصححاه.

الأصل الخامس والخمسون والمائتان

في آية الكرسي وما يحرس به

عن أبيّ بن كعب (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : يا أبا المنذر أية آية معك من كتاب الله أعظم؟ قلت : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم...** ﴾ قال : فضرب في صدري، فقال : ليهن لك العلم أبا المنذر، فوالذي نفس محمد بيده إن لهذه الآية للساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش[1].

أنزل الله تعالى هذه الآية، وجعل ثوابها لقارئها عاجلاً وآجلاً. أما في العاجل فهي تحرس من قرأها من الآفات. فإن الله تعالى خلق آدم فأحسن خلقه، وقال في تنزيله : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾[2]. فمن ذا يقدر على صفة حسن تقديره. وقال : ﴿ **الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾[3].

---

(١) الحديث رواه الامام مسلم رقم ٨١٠ في صلاة المسافرين باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ورواه أبو داود رقم ١٤٦٠ في الصلاة باب ما جاء في آية الكرسي.

(٢) سورة التين آية رقم ٤.

(٣) سورة الانفطار آية رقم ٧.

فأخرج تقويمه وتسويته وتعديله من باب الرحمة، وأخرج تركيب الصورة من باب المشيئة، ثم فضله بالروح، وقرنه بالنفس، وجعل فيهما الحياة للحراك للعبودة، ثم جعل تلك البضعة الجوفاء خزانته وهي القلب، وجعل لها عينين تبصران الغيب، وأذنين يستمعان وحيه وكلامه، وجعل لها باباً إلى الصدر للسراج المتوقد شعاعه في الصدر، وجعل تلك البضعة معدناً لجواهر التوحيد من الحكم البالغة والعلوم العالية، ثم خلق الآفات في ذلك اليوم الذي خلقه، وهو يوم الجمعة ليقابل كل شيء من صنعه الجميل في آدم وولده في الظاهر منه والباطن آفة ذلك الشيء ليكون الآدمي حامداً له شاكراً، يرتبط الصنع الجميل بالحمد والشكر، ويحذر من الآفة.

ولما صار للعبد هفوات وغفلات من نزغات العدو ونفثاته ونفخاته من أجل الشهوة المركبة فيه والهوا الهفافة فيها لا هبوب تلك الشهوات، وهما سلاح العدو وسبيله إلى الآدمي، جعل كلمة الله العليا، وهي كلمة « لا إله إلا الله »، وهي كلمة التقوى، تقيه آفات الدنيا والآخرة. وإنما تدخل الآفات من التقصير في الشكر. قال تعالى : ﴿ **ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾[1].

وجاء في الخبر عن الله تعالى من قوله لبني إسرائيل : إني أبتدئ عبادي بنعمتي، فإن قبلوا أتممت، وإن شكروا زدت، وإن غيروا نقلت، وإن بدلوا غضبت.

قال نوف البكالي : آية الكرسي تدعى في التوراة ولية الله، وتدعى قارئها في ملكوت السموات عزيزاً. وكان عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) إذا دخل بيته قرأ آية الكرسي في زوايا بيته الأربع، كأنه

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٥٣.

يلتمس بذلك أن يكون لها حارساً من جوانبه الأربعة، وأن ينفي الشيطان من زوايا بيته.

وروي عن عمر (رضي الله عنه) أنه صارع جنياً، فصرعه عمر، فقال له الجني : خل عني أعلمك ما تمتنعون به منا. فقال : إنكم تمتنعون منا بآية الكرسي. وقال الله تعالى : « من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة أعطيته ثواب الأنبياء ».

معناه ثواب عمل الأنبياء. فأما ثواب النبوة فليس لأحد إلا للأنبياء (عليهم السلام).

وقال جبرائيل (عليه السلام) لموسى (عليه السلام) : إن ربك يقول : من قال في دبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة : اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض، وكل شيء هو من علمك كائن أو قد كان، أقدم إليك بين يدي ذلك كله الله لا إله إلا هو الحي القيوم... إلى آخرها، فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا يصعد إلي منه سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور وتشتغل الملائكة.

ولما عجز عن إحصاء هذه الأشياء التي أجمل ذكرها على الانفراد، وقال أقدم بين هذه الأشياء أنه الله لا إله إلا هو، كأنه يؤدي معناه إلى أنه قديم، لم يزل حي، حييت به الأشياء فتحركت، قيوم قامت به الأشياء فاستقرت الشفع، ضم الشيء إلى الشيء، يقال شفع إليه أي رفع إليه شخصه وحاجته، وكان في البدء وتراً، وكل الأشياء لا تكون إلا بإذنه، وإنما يخص الدعاء لأن الله تعالى أذن فيه فقال : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾[1]. وقال في سائر الأعمال : ﴿ **إنما يتقبل**

---

(١) سورة غافر آية رقم ٦٠.

الله من المتقين ﴾[1]. ﴿ **ما بين أيديهم ﴾** الآخرة. و ﴿ **ما خلفهم ﴾** الدنيا. وقيل بالعكس عن ذلك.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى : ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض ﴾**[2]. أي علمه. معناه وسع ذلك العلم الذي عند الكرسي السموات والأرض. وإنما وضع الله علمه بحركات الخلق هناك، ثم قرن الحفظ بذلك العلم فكما لا يؤوده علم الحركات لا يؤوده حفظهما.

أما قوله : « إن لها لساناً وشفتين » معناه أن قراءة القارئ بها يصعد إلى الرحمن، فتقدس مليكه عند ساق العرش. والتقديس سؤال الحراسة لقارئها؛ لأن القدوس به يتقدس الأشياء. فإذا تقدست بقيت على هيئتها وتحصنت من الآفات. فقراءة العبد الآية اعتراف بما تضمنت به من صفاته، وتجديد الإيمان به، فيقع لقراءته حرمة تنتهي إلى ساق العرش فتقدس، فجعل ثواب التقديس حراسة العبد لكل ما هيأ الله له من الحال المحمودة والموعود فيها. والله أعلم.

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٢٧.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥٥

الأصل السادس والخمسون والمائتان

في زمزم واشتقاقه وهي من الجنة

عن جابر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « زمزم لما شربت له »[1].

زمزم بئر إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام)، أنبطه الله له غياثاً في وقت الاضطرار والإشراف على الموت بعدما كان يتمايل عطشاً، فبعث الله تعالى جبرائيل (عليه السلام) فأدار بطرف جناحه على تلك البقعة، ثم دفعها بعقبه دفعة فانفتقت عن الماء من عين من الجنة، من قبل الركن الذي يستلمه الناس اليوم. وزمزم هزمة جبرائيل (عليه

---

(١) رواه ابن ماجة بسند جيد، وكذا ابن أبي شيبة، والبيهقي عن جابر رفعه، ورواه أحمد: لما شرب منه، وأخرجه الفاكهي في أخبار مكة من هذا الوجه باللفظين وسنده ضعيف، لكن له شاهد أخرجه الدارقطني عن ابن إسماعيل ــ رضي الله عنه ــ رفعه بزيادة أن شربته لتشفى شفاك الله، وإن شربته لشبعك شبعك الله، وهي هزمة جبريل وسقيا إسماعيل، ورواه الحاكم من هذا الوجه، وقال: صحيح الإسناد إن سلم من الجارود قال في المقاصد: هو صدوق إلا أنه تفرد عن ابن عيينة يوصله، ومثله إذا انفرد لا يحتج به فكيف إذا خالف، فقد رواه الحميدي وغيره من الحافظ، وأخرجه الديلمي بسند واهٍ عن صفية وابن عمرو مرفوعاً: « ماء زمزم شفاء من كل داء ».

السلام) بعقبه اشتقت من الهزمة. والهزمة الدفعة. ومنه الهزيمة. وقوله : ﴿ **فهزموهم بإذن الله** ﴾[1] أي دفعوهم وكسروهم.

عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال : بينما عبد المطلب نائم في الحجر، إذ أتى، فقيل له : احفر برة. قال : وما برة؟ ثم ذهب عنه حتى إذا كان الغد نام إلى مضجعه ذلك، فأتى فقيل له : أحفر مضنونة. قال : وما مضنونة؟ ثم ذهب عنه، حتى إذا كان الغد نام في مضجعه، فأتى فقيل له : احفر طيبة. ثم ذهب عنه. فلما كان الغد عاد لمضجعه، فنام فيه، فأتى فقيل له : أحفر زمزم. قال : وما زمزم؟ قال : لا تنزف ولا تذم. ثم نعت له موضعها. فقام فحفر حيث نعت له. فقالت له قريش : ما هذا يا عبد المطلب؟ قال : أمرت بحفر زمزم. فلما كشف عنه وأبصر الطوى، قالوا : يا عبد المطلب إن لنا حقاً فيها معك، إنها بئر أبينا إسماعيل. قال : ما هي لكم، لقد خصصت بها دونكم، فحفرها[2].

فهذه الأشياء التي ذكرت لعبد المطلب في منامه دليلة على ما فيها.

فأما قوله : « برة » فمعناه أنها تعطيك الصدق من نفسها، لأنها من الجنة. وكل شيء من الجنة، فان الأشياء المشتهات كائنة جميعها في الواحد منها. وذلك قوله : ﴿ **وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون** ﴾[3]. وقال: ﴿ **فيها ما تشتهي أنفسكم** ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٧.

(٢) الحديث أخرجه محمد بن اسحاق قال: حدثني يزيد عن أبي حبيب المصري عن مرثد بن عبد الله المزني عن عبد الله بن رزين الغافقي انه سمع علي بن أبي طالب يحدث حديث زمزم وذكره ورواه ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٤٤.

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٢.

(٤) سورة فصلت آية رقم ٣١.

وكل شيء من الجنة موجود في واحد منها جميع الشهوات. ألا ترى العينين النضاختين المذكورتين في القرآن، تنضخان بألوان الأشياء. إن اشتهى ولي الله من تلك العين طعاماً نضخت. وإن اشتهى شراباً نضخت. وإن اشتهى جواري نضخت. وإن اشتهى دواب نضخت مسرجة ملجمة. وبذلك جاء الخبر.

وروي في الخبر أيضاً أن السحابة تقف على رؤوسهم فينطق ماؤها، فتمطر عليهم ما يشتهون، وإن الأشجار تنطق، والأقداح تطير، فتغترف بمقدار شهوة الشارب. وذلك قوله تعالى : ﴿ **قدروها تقديراً** ﴾[1] أي لا يفضل عن الري، ولا ينقص منه.

وإن الرجل منهم ليمشي في بيوتاته، ويصعد إلى قصوره، وبيده قضيب، فيشير به إلى الماء، فيجري معه حيث ما دار في منازله على مستوى الأرض، في غير أخدود، ويصعد حيث ما صعد من أعلى قصوره. وذلك قوله تعالى : ﴿ **يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً** ﴾[2].

وإن الثوب الذي يلبسه ولي الله يتلون عليه في اليوم الواحد سبعين لوناً، كلما خطر بباله لون تغير لباسه، وتلون عليه بما اشتهت نفسه. وكذلك فيما يطعم ويشرب، كلما تمنى أو خطر بباله شيء، تغير ذلك الشيء الذي في فيه يمضغه إلى طعم ما خطر بباله.

فهذا كله وفاء ربنا لعبده حيث قال : ﴿ **وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون** ﴾[3] لأنهم ردوا شهوات نفوسهم في الدنيا، فشكر الله لهم في داره، فكلما تناولوا بشهوة من طعام أو شراب، أو لباس أو مركب،

---

(١) سورة الإنسان آية رقم ١٦.

(٢) سورة الإنسان آية رقم ٦.

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٢.

أو شيء من الأشياء، فخطر ببالهم في ذلك الشيء شهوة غيرها تحول ذلك الشيء إلى ما اشتهت أنفسهم لئلا يتنغص عليهم عيشهم، ولا يتكدر عليهم عطاء ربهم، لأن الله تعالى وعد في تنزيله أن الجنة عطاء غير مجذوذ. أي غير منقطع.

ولو كان إذا خطر بباله شيء احتج إلى مدة ومهلة حتى يناله لم يكن في ذلك وفاء بالوعد، فجعل الله الجنة ونعيمها له نهمة، كلما خطرت بباله شهوة في شيء، تحولت له تلك في أسرع من طرفة عين إلى الشهوة الأخرى، وفاء له بما وعد، ليكون عطاء غير مجذوذ دائماً أبداً. ألا يرى أنه يأتي زوجته وهي بكر، فإذا قضى منها شهوته عادت بكراً على حالها. فهكذا شأن الجنة. فإذا خرجت من الجنة إلى الدنيا تلك الأشياء تغيرت أحوالها لأن الجنة محرمة على الآدميين حتى يذوقوا الموت. ألا ترى أن الحجر الأسود في الركن كان يضيء كالشمس فاسود لأدناس الآدميين، وسترت زينته عنهم، فهو في الباطن كهيئته، ولكنه مستور، ولو دق فصار رضيضاً لم تجده إلا أسود في رأي العين، وهو في الباطن على هيئته.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، عن رسول الله ﷺ : لولا ما ضيع من الركن من أنجاس الجاهلية وأرجاسها وأيدي الظلمة والأثمة لاستشفى به من كل عاهة ولألفاه اليوم كهيئته يوم خلقه الله. وإنما غيره الله بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا إلى زينة الجنة، وإنها لياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة، وضعه الله لآدم حين أنزله في موضع الكعبة قبل أن تكون، والأرض يومئذ طاهرة لم يعمل عليها شيء من المعاصي، وليس لها أهل ينجسونها، ووضع لها صفاً من الملائكة على أطراف الحرم يحرسونه من جان الأرض وسكانها يومئذ الجن، وليس ينبغي لهم أن ينظروا إليه لأنه شيء من الجنة. ومن نظر إلى الجنة دخلها،

وهم على أطراف الحرم حيث أعلامه اليوم محدقون به من كل جانب، فلذلك حرم وسمي الحرم ».

عن وهب بن منبه قال : كان الركن كرسياً لآدم (عليه السلام) يجلس عليه. فالركن حجر من الفردوس بعثه الله يوم أخذ الميثاق فوضعه بينه وبين العباد ليبايعوه على ذلك الحجر، فيمسحونه بأيديهم بيعة لله، ولذلك أمر باستلامه.

عن أبي وليد القرشي قال : سمعت فاطمة بنت الحسين (رضي الله عنهما) تقول : لما أخذ الله ميثاق العباد جعله في الحجر، فمن الوفاء لله بالعهد استلام الحجر. فكذلك ماء زمزم هو بهيئته على ما في الجنة من حلاوته ولذته ولونه، إلا أنه ممتنع أن يوجد للشاربين تلك الهيئة التي فيه من الجنة لإغاثة ولد خليل الله (عليهما السلام)، لأن إبراهيم (صلوات الله عليه) لما ولى نادته هاجر : يا إبراهيم إلى من تكلنا؟ قال : إلى الله تعالى. فكان خليل الله صادقاً في قوله، فوفى الله له بصدقه، وأغاث ولده في وقت الاضطرار، وبقي ذلك الغياث لمن بعده.

وذلك قول رسول الله ﷺ : « زمزم لما شربت له »[1]. فالغياث أمر جامع ينعكس ويطرد من جميع الأمور. فإذا ناب العبد نائبة كائنة ما كانت، فنواه وقصده، وجد ذلك الغوث فيه موجوداً. وإنما يناله العبد على قدر نيته.

قال سفيان الثوري (رحمه الله) : إنما الرقي والدعاء بالنية. فالنية تبلغ العبد عناصر الأشياء. والنيات على قدر طهارة القلوب وسعيها إلى ربها في تلك المراتب. وتفسير النية النهوض. يقال ناء ينوء، أي نهض ينهض. فالنية نهوض القلب بعقله ومعرفته إلى الله. فعلى قدر

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

العقل والمعرفة يقدر القلب على السعي والطيران إلى الله. فالشارب لزمزم إن شرب لشبع أشبعه الله، وإن شربه لري أرواه الله، وإن شربه لشفاء شفاه الله، وإن شربه لسوء خلق حسنه الله، وإن شربه لضيق صدر شرحه الله، وإن شرب لانفلاق ظلمات الصدر فلقه الله، وإن شربه لغنى النفس أغناه الله، وإن شربه لحاجة قضاها الله، وإن شربه لأمر نابه كفاه الله، وإن شربه للكربة كشفها الله، وإن شربه لنصرة نصره الله. وبأية نية شربها من أبواب الخير والصلاح وفى الله له بذلك لأنه استغاث بما أظهره الله تعالى من جنته غياثاً.

فأما قوله : « مضنونة » فانما سميت لأنها قد ضن بها عمن قبله من الآدميين، فجاد الله بها على أب العرب إسماعيل (عليه السلام) لتبقى مكرمتها في ولده محمد ﷺ وفي أمته. وأما قوله : « طيبة » فانها طابت بذات الله، خلقها بيده، ثم طابت بجود الله وبعطفه على ولد خليله (صلوات الله عليهما).

الأصل السابع والخمسون والمائتان

في سر الدعاء عند المضجع

عن أبي رمثة الأنماري قال : كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه قال : اللهم اغفر لي ذنبي وأخسأ شيطاني وفك رهاني وثقل ميزاني واجعلني في النداء الأعلى[1].

أمر بالاستغفار فقال في تنزيله : ﴿ **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾[2].

فالمغفرة درجات بعضها أعلى من بعض. فمغفرة الرسل (عليهم السلام) أعلى من مغفرة من دونهم، ومغفرة محمد ﷺ أعلاها. ألا ترى أنه جاء عنه أنه قال : إن لي دعوة أخرتها إلى يوم القيامة، وإن إبراهيم (عليه السلام) ليرغب إليّ في ذلك اليوم.

وقال : إذا زفرت النار على أهل الموقف، قال الأنبياء والرسل (عليهم السلام) : نفسي، نفسي. وقال نبينا محمد ﷺ : أمتي أمتي.

---

(١) الحديث أخرجه السيوطي في الجامع الكبير ونسبه الى الحكيم الترمذي وأشار على الحديث بالصحة

(٢) سورة غافر آية رقم ٥٥.

فهذا لعلو درجته في المغفرة. أمر أن يستغفر، فلم يزل ذلك دأبه بعد ما بشره الله تعالى في سورة الفتح بقوله : ﴿ **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾[1]. فنزلت عليه في آخر أمره : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح...** ﴾[2] إلى آخر السورة.

وإنما نزلت هذه بعد فتح مكة، والبشرى بالمغفرة في سورة « إنا فتحنا ». قبل ذلك بنحو من سنتين، وذلك عند فتح خيبر، فلم يزل ذلك دأبه، ولم يفارق الاستغفار إلى أن قبضه الله إليه. ومن يحيط بالمغفرة إلا الله. فكلما استكثر العبد من سؤالها، كان منها أوفر حظاً.

وروي في الخبر المأثور أن الاستغفار يخرج يوم القيامة ينادي : يا رب حقي. فيقول : خذ حقك فيحتفل أهله ويجتحفهم.

وروي أن داود (عليه السلام) خرج يستسقي، فلما انتهى إلى البر إذ قال : اللهم اغفر لنا. ورجع فما تنام آخر الناس حتى رجع أولهم، فكأنهم استقلوا ذلك منه، فأوحى إليه أن قل لقومك : اني من أغفر له مغفرة واحدة أصلح له بها أمر دنياه وآخرته.

قوله : « أخسأ شيطاني » فانه روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الشيطان. قالوا : ولا أنت يا رسول الله . قال : ولا أنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم[3].

ثم تأول بعضهم هذه الكلمة فقال : أي أسلم من كيده ودواهيه، ونفر أن يحمل معناه على الإسلام، وليس ذلك بصحيح، لأن قوله « أسلم » مفتوح الميم، معناه انقاد وأعطى بيديه سلماً كقوله تعالى :

---

(١) سورة الفتح آية رقم ٢.

(٢) سورة النصر آية رقم ١.

(٣) سبق تخريج هذا الحديث.

﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا** ﴾[1]. أي أعطينا بأيدينا سلماً، كقوله تعالى : ﴿ **وألقوا إلى الله يومئذٍ السَلم** ﴾[2] أي أعطوا بأيديهم وألقوا إلى الله أنفسهم تسليماً.

فقوله : « أخسأ شيطاني » أي أنك إذا أخسأته خسئ، فلم يبق معه شر ولا كيد. والخسأ في لغة العرب الفرد والزكا الزوج، وكل شيء انضم إليه شيء فزاوجه فهو زكا، ومنه سميت الزكاة في المال زكاة، يقال زكى الزرع. وقوله : ﴿ **ذلك أزكى لكم** ﴾[3] وقوله : ﴿ **ما زكي منكم من أحد أبداً** ﴾[4]. ومنه قوله : ﴿ **وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة** ﴾[5] أي لا يؤتون كلمة « لا إله إلا الله » فيخسئون من نورها، فهم خسا أي فرد خال عن النور والخير، فيقول الله لهم في النار : ﴿ **إخسأوا فيها ولا تكلمون** ﴾[6] أي كونوا في خلاء مني ومن رحمتي وعطفي، فعندها ينقطع الكلام والنداء ويطبق عليهم فلا يبقى لهم من الرب شيء. فذلك الحال أخلى خلاء. فقوله : « أخسأ شيطاني » أي أخله من جميع الشر، حتى لا يكيدني بشيء.

قوله : « فك رهاني » فان النفوس حظها من الدنيا النعمة، نعمة البصر، ونعمة السمع، ونعمة اللسان، ونعمة سائر الجوارح، وسائر النعيم التي تربى بها الجوارح، وحظها من ربها الحياة. والعلم والذهن والمعرفة والعقل والحفظ والفطنة والقوة، فالنفوس مرتهنة بالنعم، وإنما يفكها الشكر، فعلم الرسول ﷺ أن العباد لا يبلغون كنه الشكر، ففزع إلى

---

(١) سورة الحجرات آية رقم ١٤.

(٢) سورة النحل آية رقم ٨٧.

(٣) سورة النور آية رقم ٣٠.

(٤) سورة النور آية رقم ٢١.

(٥) سورة فصلت آية رقم ٦، ٧ وقد جاءت هذه الآية محرفة في المطبوعة حيث قال فويل بدلاً من (وويل).

(٦) سورة المؤمنون آية رقم ١٠٨.

ربه أن يتولى فك رهانه بجوده وفضله. وقال في تنزيله : ﴿ **كل امرئ بما كسب رهين** ﴾[1]. وقال : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين** ﴾[2].

فأصحاب اليمين هم الموحدون. وحدوا الله بقلوبهم، ثم أبرزوا ذلك التوحيد على ألسنتهم، فنطقوا بلا إله إلا الله، فاقتضى الله عباده الوفاء بصدقها، وصدقها مستور عن الخلق، وعند الله ظاهر، فاقتضاهم حفظ الجوارح السبع عن المناهي، وأداء الفرائض ليبرز صدق الصادق وكذب الكاذب، وكل الموحدين قد أخذوا بسهم من سهام يمن اليمين، كل على قدر صدقه، فأول أصحاب اليمين الرسل (عليهم السلام)، وآخرهم من أتى الله بكلمة التوحيد نطقاً بها، ليس معه وراء ذلك شيء، وأصحاب الدرجات فيما بين ذلك. وكل من أتى الله مع هذه الكلمة بشيء من أعمال البر من حفظ جارحة، وأداء فريضة واحدة، فقد أتى بسهم من الشكر، وعلى قدر ذلك الشكر فك رهانه، وبقيت سائر السهام عليه غرماً. ولذلك قال تعالى : ﴿ **إن عذابها كان غراماً** ﴾[3].

فأوفرهم حظاً من حفظ الجوارح وأداء الفرائض، أوفرهم حظاً من الشكر، وهم الرسل (عليهم السلام)، وهم مع هذا مقصرون عن أنفسهم في الشكر. قال الله تعالى : ﴿ **كلا لما يقض ما أمره** ﴾[4] أي لن يبلغ أحد أن يقضي أمره على كنهه.

وكيف يقدر آدمي على أن يخرج من لحمه ودمه الذي أصله من التراب، ومعه شهوات نفسه ووساوسها ان يبلغ به كنه أمره الذي هو أهله! هيهات، فالآدميون عجزوا عن ذلك، فلذلك فزع إلى ربه فقال :

---

(١) سورة الطور آية رقم ٢١.

(٢) سورة المدثر آية رقم ٣٨ ــ ٣٩.

(٣) سورة الفرقان آية رقم ٦٥.

(٤) سورة عبس آية رقم ٢٣.

« فك رهاني » حتى يكون الذي عجز عنه الآدميون هو الذي يفكه بجوده، فينجو من رهائن الشكر. ألا ترى إلى قول موسى (عليه السلام) : « يا رب أسبغت عليّ النعم فشكرتك عليها، فكيف لي بشكر شكرك » قال : « يا موسى تعلمت العلم الذي لا يفوقه علم، بحسبك أن تعلم أن ذلك من عندي، فهذا موضع العجز ». فإذا بلغ العبد موضع العجز فزع إلى الله حتى يجود عليه بما بقي عليه من الشكر، ففكه من رهنه.

قوله : « ثقل ميزاني » فالرسل في ستر الله الأعظم. فإذا نصبت الموازين، امتلأت الكفتان من ورع أعمال النبوة وأفعال الرسالة. والصدق لسان موازينهم. فأهل الموقف في أشد الأهوال في ذلك الوقت لأن الرحمة لم تخرج بعد من الحجب إليهم، والرب غضبان أسفاً، محتجب عن خلقه لشرك المشركين، وعبادة الأوثان، وفرية المفترين. فإذا نصبت موازين الرسل، وطارت أنوار أعمالهم من الميزان إلى الله تعالى سكن الغضب، ورضي عنهم الرب، وخرجت الرحمة من الحجب إلى أهل التوحيد، فأحاطت بهم، فصار الموحدون في سرادقها، فعندها يوزن أفعال العباد. إنما قال : « ثقل ميزاني » أي وفر عليَّ أنوار النبوة والرسالة حتى أكون أعظمهم نوراً، وأشدهم صدقاً، حتى يكون عملي هو الذي يسكن غضبك على خلقك، ويخرج الرحمة إلى الموحدين.

قوله : « وإجعلني في النداء الأعلى » فإن الأنبياء (عليهم السلام) في الموقف لهم مراتب على نحو مقاماتهم بقلوبهم. فمن كان أقرب منزلة بقلبه في الدنيا، فهو أعلى مرتبة هناك. فأعلى البداء هم السابقون الذي يبدأ بهم. فكان هذا دعاؤه حتى بشر بالمقام المحمود.

قال مجاهد : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾[1] قال : يجلسه على عرشه.

---

(١) سورة الاسراء آية رقم ٧٩.

الفهارس العامة
للجزء الثالث من كتاب
نوادر الأصول

١ ــ فهرس الآيات القرآنية
٢ ــ فهرس الأحاديث النبوية
٣ ــ فهرس الأعلام
٤ ــ مراجع التحقيق
٥ ــ فهرس الموضوعات

١ ــ فهرس الآيات القرآنية

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١	قال الله تعالى: « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا. »	التوبة	٤٠
٢	قال الله تعالى: « إنما المؤمنون أخوة... »	الحجرات	١٠
٣	قال الله تعالى: « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض... »	التوبة	٧١
٤	قال الله تعالى: « اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم... »	هود	٤٨
٥	قال الله تعالى: « فوربك لنسألنهم أجمعين... »	الحجر	٩٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٦	قال الله تعالى: « لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين... »	السجدة	١٧
٧	قال الله تعالى: « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين... »	آل عمران	١٤
٨	قال الله تعالى: « وخلق الإنسان ضعيفاً... »	النساء	٢٨
٩	قال الله تعالى: « لتسكنوا إليها... »	القصص	٧٣
١٠	قال الله تعالى: « قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي...	يوسف	٢٣
١١	قال الله تعالى: « قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا إلا أن يسجن أو عذاب أليم... »	يوسف	٢٥
١٢	قال الله تعالى: « هي راودتني عن نفسي... »	يوسف	٢٦
١٣	قال الله تعالى: « قال رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه... »	يوسف	٣٣
١٤	قال الله تعالى: « اذكرني عند ربك »	يوسف	٤٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٥	قال الله تعالى: « فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين. »	يوسف	٤٢
١٦	قال الله تعالى: « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها. »	الأحزاب	٣٧
١٧	قال الله تعالى: « في روضة يحبرون... »	الروم	١٥
١٨	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه... »	المائدة	٥٤
١٩	قال الله تعالى: « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها... »	هود	٦
٢٠	قال الله تعالى: « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين... »	البينة	٥
٢١	قال الله تعالى: « إنا وجدناه صابراً... »	ص	٤٤
٢٢	قال الله تعالى: « ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم... »	الأنفال	٥٣

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٣	قال الله تعالى: « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا. »	الحجر	٤٢
٢٤	قال الله تعالى: « حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم. »	الحجرات	٧
٢٥	قال الله تعالى: « يوسوس في صدور الناس. »	الناس	٥
٢٦	قال الله تعالى: « وكفى بربك وكيلاً. »	الإسراء	٦٥
٢٧	قال الله تعالى: « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها... »	الأنعام	٩٧
٢٨	قال الله تعالى: « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب... »	الصافات	٦
٢٩	قال الله تعالى: « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي... »	الكهف	٢٨
٣٠	قال الله تعالى: « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض. »	البقرة	٢٥١
٣١	قال الله تعالى: « فإن يكفر هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها كافرين. »	الأنعام	٨٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٣٢	قال الله تعالى: « لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله. »	المنافقون	٩
٣٣	قال الله تعالى: « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت... »	الأحزاب	٢٣
٣٤	قال الله تعالى: « يا أيها النبي قل لأزواجك... » إلى قوله: « أجراً عظيماً. »	الأحزاب	٢٨، ٢٩
٣٥	قال الله تعالى: « يا نساء النبي... » إلى قوله: « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت... »	الأحزاب	٣٢، ٣٣
٣٦	قال الله تعالى: « واذكرن ما يتلى في بيوتكن... »	الأحزاب	٣٤
٣٧	قال الله تعالى: « ليذهب عنكم الرجس أهل البيت... »	الأحزاب	٣٣
٣٨	قال الله تعالى: « في بيوتكن... »	الأحزاب	٣٤
٣٩	قال الله تعالى: « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه. »	سبأ	٣٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٤٠	قال الله تعالى: « فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه... »	الكهف	١٩
٤١	قال الله تعالى: « إن الإنسان لربه لكنود. »	العاديات	٦
٤٢	قال الله تعالى: « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون. »	الأعراف	١٥٩
٤٣	قال الله تعالى: « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. »	الحشر	٩
٤٤	قال الله تعالى: « ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا... »	الحشر	٩
٤٥	قال الله تعالى: « ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم... » إلى قوله: « أو صديقكم. »	النور	٦١
٤٦	قال الله تعالى: « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً. »	النساء	٤
٤٧	قال الله تعالى: « إياك نعبد وإياك نستعين. »	الفاتحة	٥

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٤٨	قال الله تعالى: « فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً. »	الشرح	٥، ٦
٤٩	قال الله تعالى: « واصبر وما صبرك إلا بالله. »	النحل	١٢٧
٥٠	قال الله تعالى: « إن في ذلك لآيات للمتوسمين. »	الحجر	٧٥
٥١	قال الله تعالى: « وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون. »	التوبة	١١٥
٥٢	قال الله تعالى: « لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها. »	النور	٢٧
٥٣	قال الله تعالى: « ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى. »	طه	٧٥
٥٤	قال الله تعالى: « وذلك جزاء من تزكى. »	طه	٧٦
٥٥	قال الله تعالى: « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا. »	الفرقان	٧٥
٥٦	قال الله تعالى: « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً... » إلى قوله: « واجعلنا للمتقين إماما. »	الفرقان	٦٣ ــ ٧٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٥٧	قال الله تعالى: « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا... »	الفرقان	٧٥
٥٨	قال الله تعالى: « وما أموالكم ولا أولادكم... » إلى قوله: « وهم في الغرفات آمنون. »	سبأ	٣٧
٥٩	قال الله تعالى: « وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب. »	ق	٧
٦٠	قال الله تعالى: « لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون. »	المنافقون	٩
٦١	قال الله تعالى: « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم. »	محمد	١٢
٦٢	قال الله تعالى: « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب. »	الزمر	١٠
٦٣	قال الله تعالى: « ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين. »	العنكبوت	١ — ٣

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٦٤	قال الله تعالى: « لئن شكرتم لأزيدنكم... »	إبراهيم	٧
٦٥	قال الله تعالى: « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة. »	الأحزاب	٢١
٦٦	قال الله تعالى: « إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله. »	آل عمران	٣١
٦٧	قال الله تعالى: « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى. »	الزمر	٤٢
٦٨	قال الله تعالى: « وما أرسلناك إلا كافة للناس. »	سبأ	٢٨
٦٩	قال الله تعالى: « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم. »	الحجر	٨٧
٧٠	قال الله تعالى: « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون. »	الأعراف	١٩٨
٧١	قال الله تعالى: « والذي جاء بالصدق وصدق به... »	الزمر	٣٣
٧٢	قال الله تعالى: « وجعلنا من الماء كل شيء حي. »	الأنبياء	٣٠

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٧٣	قال الله تعالى: « وفي السماء رزقكم وما توعدون. »	الذاريات	٢٢
٧٤	قال الله تعالى: « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. »	التين	٤
٧٥	قال الله تعالى: « وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون. »	المؤمنون	٩٧ — ٩٨
٧٦	قال الله تعالى: « فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم. »	الأعراف	٢٠٠
٧٧	قال الله تعالى: « قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس... »	الناس	١ — ٥
٧٨	قال الله تعالى: « لنحيي به بلدة ميتا... »	الفرقان	٤٩
٧٩	قال الله تعالى: « اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها. »	الحديد	١٧
٨٠	قال الله تعالى: « وإن كنتم جنباً فاطهروا. »	المائدة	٦

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٨١	قال الله تعالى: « فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منها ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون. »	المائدة	٦
٨٢	قال الله تعالى: « الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب. »	الشورى	١٣
٨٣	قال الله تعالى: « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم... »	الجمعة	٢
٨٤	قال الله تعالى: « ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. »	الجمعة	٢
٨٥	قال الله تعالى: « قل إن الهدى هدى الله... »	آل عمران	٧٣
٨٦	قال الله تعالى: « أوزاراً من زينة القوم. »	طه	٨٧
٨٧	قال الله تعالى: « ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم. »	طه	٨٧
٨٨	قال الله تعالى: « فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً. »	الأنفال	٦٩
٨٩	قال الله تعالى: « تنزل الملائكة والروح... »	القدر	٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٩٠	قال الله تعالى: « إنا عرضنا الأمانة... »	الأحزاب	٧٢
٩١	قال الله تعالى: « ليعذب الله المنافقين والمنافقات... »	الأحزاب	٧٣
٩٢	قال الله تعالى: « ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن... »	الأنعام	١٥٤
٩٣	قال الله تعالى: « إنه من عبادنا المؤمنين... »	الصافات	٨١
٩٤	قال الله تعالى: « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً... »	المؤمنون	١١٥
٩٥	قال الله تعالى: « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله. »	الانفطار	١٩
٩٦	قال الله تعالى: « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً. »	الإنسان	٢١
٩٧	قال الله تعالى: « إن المتقين في مقام أمين. »	الدخان	٥١
٩٨	قال الله تعالى: « عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين. »	التكوير	٢٠ ــ ٢١
٩٩	قال الله تعالى: « رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض. »	الحجر	٣٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٠٠	قال الله تعالى: « نعم العبد إنه أواب... » إلى قوله: « وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب. »	ص	٤٠
١٠١	قال الله تعالى: « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم. »	النور	٣٠
١٠٢	قال الله تعالى: « يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. »	غافر	١٩
١٠٣	قال الله تعالى: « وإذ سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن. »	الأحزاب	٥٣
١٠٤	قال الله تعالى: « وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم. »	الحج	٧٨
١٠٥	قال الله تعالى: « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. »	الذاريات	٥٦
١٠٦	قال الله تعالى: « إن الله مع الذين اتقوا. »	النحل	١٢٨
١٠٧	قال الله تعالى: « فالق الحب والنوى. »	الأنعام	٩٥
١٠٨	قال الله تعالى: « فالق الإصباح. »	الأنعام	٩٦
١٠٩	قال الله تعالى: « يخرج الحي من الميت. »	الأنعام	٩٥

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١١٠	قال الله تعالى: « ليعبدوا الله مخلصين له الدين. »	البينة	٥
١١١	قال الله تعالى: « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت. »	البقرة	٢٨٦
١١٢	قال الله تعالى: « ادعوني أستجب لكم. »	غافر	٦٠
١١٣	قال الله تعالى: « أجيب دعوة الداع إذا دعان. »	البقرة	١٨٦
١١٤	قال الله تعالى: « ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات. »	الشورى	٢٦
١١٥	قال الله تعالى: « ولقاهم نضرة وسرورا. »	الإنسان	١١
١١٦	قال الله تعالى: « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه. »	البقرة	١٤٣
١١٧	قال الله تعالى: « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم. »	محمد	٣١
١١٨	قال الله تعالى: « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم. »	الأنعام	١٥١

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١١٩	قال الله تعالى: « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه... » إلى قوله: « ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة. »	الإسراء	٢٣ ــ ٣٩
١٢٠	قال الله تعالى: « قال رب أرني أنظر إليك. »	الأعراف	١٤٣
١٢١	قال الله تعالى: « ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني. »	الأعراف	١٤٣
١٢٢	قال الله تعالى: « لا تدركه الأبصار. »	الأنعام	١٠٣
١٢٣	قال الله تعالى: « فلما تجلى ربه للجبل. »	الأعراف	١٤٣
١٢٤	قال الله تعالى: « وكانت الجبال كثيباً مهيلاً. »	المزمل	١٤
١٢٥	قال الله تعالى: « وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً. »	طه	١٠٨
١٢٦	قال الله تعالى: « ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة. »	فصلت	٣٩
١٢٧	قال الله تعالى: « الذين هم على صلاتهم يحافظون. »	المؤمنون	٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٢٨	قال الله تعالى: « الذين هم على صلاتهم دائمون. »	المعارج	٢٣
١٢٩	قال الله تعالى: « أولئك في جنات مكرمون. »	المعارج	٣٥
١٣٠	قال الله تعالى: « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون. »	المؤمنون	١ — ٢
١٣١	قال الله تعالى: « ومن شر حاسد إذا حسد. »	الفلق	٥
١٣٢	قال الله تعالى: « ومن شر النفاثات في العقد. »	الفلق	٤
١٣٣	قال الله تعالى: « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى. »	الزمر	٤٢
١٣٤	قال الله تعالى: « واذكر ربك وتبتل إليه تبتيلاً رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً. »	المزمل	٧ — ٨
١٣٥	قال الله تعالى: « وسيجنبها الأتقى الذي يؤتى ما له يتزكى... » إلى قوله: « ولسوف يرضى »	الليل	١٧ — ٢١

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٣٦	قال الله تعالى: « ورضوان من الله أكبر. »	التوبة	٧٢
١٣٧	قال الله تعالى: « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً... »	الفتح	١٨
١٣٨	قال الله تعالى: « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين. »	الأنبياء	١٠٧
١٣٩	قال الله تعالى: « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. »	إبراهيم	٢٧
١٤٠	قال الله تعالى: « وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها. »	الفتح	٢٦
١٤١	قال الله تعالى: « أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير. »	لقمان	١٤
١٤٢	قال الله تعالى: « لئن شكرتم لأزيدنكم. »	إبراهيم	٧
١٤٣	قال الله تعالى: « بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين. »	الحجر	٣٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٤٤	قال الله تعالى: « وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً. »	الإسراء	٤٦
١٤٥	قال الله تعالى: « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد. »	الصافات	٦
١٤٦	قال الله تعالى: « إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب. »	الصافات	١٠
١٤٧	قال الله تعالى: « إلا عبادك منهم المخلصين. »	الحجر	٤
١٤٨	قال الله تعالى: « فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله. »	الزمر	٢٢
١٤٩	قال الله تعالى: « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة. »	البقرة	٧٤
١٥٠	قال الله تعالى: « وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب. »	ص	٤٠
١٥١	قال الله تعالى: « فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه. »	البقرة	٢٠٣

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٥٢	قال الله تعالى: « فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً. »	الانشقاق	٨
١٥٣	قال الله تعالى: « إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة... »	الملك	١٢
١٥٤	قال الله تعالى: « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات... »	الإسراء	٧٤
١٥٥	قال الله تعالى: « وإن كادوا ليفتنوك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم... »	الإسراء	٧٣ ــ ٧٤
١٥٦	قال الله تعالى: « سكرت أبصارنا. »	الحجر	١٥
١٥٧	قال الله تعالى: « جئت على قدر يا موسى. »	طه	٤٠
١٥٨	قال الله تعالى: « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية. »	الحاقة	٢٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٥٩	قال الله تعالى: « وإذا مروا باللغو مروا كراماً. »	الفرقان	٧٢
١٦٠	قال الله تعالى: « لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. »	الإسراء	٨٨
١٦١	قال الله تعالى: « وألزمهم كلمة التقوى. »	الفتح	٢٦
١٦٢	قال الله تعالى: « فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انقصام لها. »	البقرة	٢٥٦
١٦٣	قال الله تعالى: « ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. »	يس	٦٠
١٦٤	قال الله تعالى: « واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب... »	الإسراء	٦٤
١٦٥	قال الله تعالى: « ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل... »	الأنبياء	٥١
١٦٦	قال الله تعالى: « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. »	التين	٤
١٦٧	قال الله تعالى: « الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك. »	الانفطار	٧

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٦٨	قال الله تعالى: « ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. »	الأنفال	٥٣
١٦٩	قال الله تعالى: « إنما يتقبل الله من المتقين. »	المائدة	٢٧
١٧٠	قال الله تعالى: « وسع كرسيه السموات والأرض. »	البقرة	٢٥٥
١٧١	قال الله تعالى: « فهزموهم بإذن الله. »	البقرة	٢٥٧
١٧٢	قال الله تعالى: « وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون. »	الأنبياء	١٠٢
١٧٣	قال الله تعالى: « فيها ما تشتهي أنفسكم. »	فصلت	٣١
١٧٤	قال الله تعالى: « قدروها تقديراً. »	الإنسان	١٦
١٧٥	قال الله تعالى: « يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا. »	الإنسان	٦
١٧٦	قال الله تعالى: « وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون. »	الأنبياء	١٠٢
١٧٧	قال الله تعالى: « واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات. »	غافر	٥٥
١٧٨	قال الله تعالى: « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر. »	الفتح	٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٧٩	قال الله تعالى:		
	« إذا جاء نصر الله والفتح. »	النصر	١
١٨٠	قال الله تعالى:		
	« قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا. »	الحجرات	١٤
١٨١	قال الله تعالى:		
	« وألقوا إلى الله يومئذ السلم. »	النحل	٨٧
١٨٢	قال الله تعالى:		
	« ذلك أزكى لكم. »	النور	٣٠
١٨٣	قال الله تعالى:		
	« ما زكى منكم من أحد أبداً. »	النور	٢١
١٨٤	قال الله تعالى:		
	« وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة. »	فصلت	٦ ــ ٧
١٨٥	قال الله تعالى:		
	« اخسأوا فيها ولا تكلمون. »	المؤمنون	١٠٨
١٨٦	قال الله تعالى:		
	« كل امرئ بما كسب رهين. »	الطور	٢١
١٨٧	قال الله تعالى:		
	« كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين. »	المدثر	٣٨ ــ ٣٩
١٨٨	قال الله تعالى:		
	« إن عذابها كان غراماً. »	الفرقان	٦٥

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٨٩	قال الله تعالى:		
	« كلا لما يقض ما أمره. »	عبس	٢٣
١٩٠	قال الله تعالى:		
	« عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً. »	الإسراء	٧٩

٢ ــ فهرس الأحاديث النبوية

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١	قال ﷺ: « من حدث بحديث فعطس عنده، فهو حق. »	٥
٢	قال ﷺ: « إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب. »	٥
٣	قال ﷺ: « الفأل مرسل والعاطس شاهد عدل. »	٦
٤	قال ﷺ: « ما من مؤمن يعطس ثلاث عطسات متواليات إلا كان الإيمان في قلبه ثابتاً. »	٦
٥	قال ﷺ: « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها. »	٧
٦	قال ﷺ لمن رآه جالساً على قبر: « إنزل عن القبر لا تؤذ صاحبك ولا يؤذيك. »	٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٧	قال ﷺ:	
	« إذا التقى المسلمان كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشراً لصاحبه. فإذا تصافحا أنزل الله تعالى عليهما مائة رحمة، تسعون منها للذي بدأ بالمصافحة وعشرة للذي صوفح. »	١٢
٨	قال ﷺ:	
	« من وسع على أهله يوم عاشوراء، وسع الله تعالى عليه في سنته كلها. »	١٤
٩	قال ﷺ:	
	« خير أكحالكم الأثمد فإنه ينبت الشفر ويجلو البصر. »	١٥
١٠	قال ﷺ:	
	« في قوله تعالى: « فوربك لنسألهن أجمعين »، قال: عن: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة. قيل: يا رسول الله ما إخلاصها ؟ قال: أن يحجره عن محارم الله تعالى.	١٦
١١	قال ﷺ:	
	« ليس على أهل « لا إله إلا الله » وحشة في القبور، ولا في النشور، كأني أنظر إليهم وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم وهم يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن. »	١٩
١٢	قال ﷺ:	
	« لقد أوتي أبو موسى مزماراً من مزامير آل داود. »	٣٢
١٣	قال ﷺ:	
	« لم يبعث نبي إلا حسن الصوت، حسن الصورة. »	٣٣

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٤	قال ﷺ:	
	« لكل شيء حلية وزينة وحلية القرآن الصوت الحسن. »	٣٤
١٥	قال ﷺ:	
	« يقدم عليكم قوم هم أرق أفئدة منكم. »	٣٥
١٦	قال ﷺ:	
	« بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد سها ولها ونسي المبدأ والمنتهى، بئس العبد عبد بغى وعتا ونسي المقابر والبلى... الخ... »	٣٧
١٧	قال ﷺ:	
	« شر ما في الإنسان حرص هالع وجبن خالع. »	٣٩
١٨	قال ﷺ:	
	« عندما أتاه جبريل وأقبل أبو ذر، فنظر إليه جبريل فقال: هو أبو ذر، قال: يا أمين الله، وتعرفون أنتم أبا ذر ؟ فقال: نعم، والذي بعثك بالحق ان أبا ذر أعرف في أهل السماء منه في أهل الأرض وإنما ذلك لدعاء يدعو به كل يوم مرتين... الخ... »	٤٠
١٩	قال ﷺ:	
	« أشد الأعمال ذكر الله تعالى على كل حال. »	٤٢
٢٠	قال ﷺ:	
	« العين حق. ولو كان شيء سابقاً القدر، لسبقته العين. وإذا استغسلتم فاغسلوا. »	٤٤
٢١	قال ﷺ:	
	« أكثر من يموت من أمتي بالنفس بعد كتابه وقضائه. »	٤٦

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٢٢	قال ﷺ:	
	« من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن استجاركم بالله فأجيروه، ومن أتى إليكم معروفاً فكافئوه. فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه. »	٤٨
٢٣	قال ﷺ:	
	« من سألكم بالله فأعطوه، وإن شئتم فدعوه. »	٤٩
٢٤	قال رسول الله ﷺ:	
	« إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب. »	٥٠
٢٥	قال ﷺ:	
	« الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل. »	٥١
٢٦	قال ﷺ:	
	« عندما شكا إليه بعض أصحابه ما يجدون في صدورهم من الوسوسة، فقال: كيف أنتم في ربكم ؟ قالوا: لا نشك في ربنا، ولأن يقع أحدنا من السماء فيتقطع أحب إليه من أن يتكلم بما يجد في صدره. فقال عليه السلام: الله أكبر، ذاك محض الإيمان. »	٥٧
٢٧	قال ﷺ:	
	« مثل المؤمن مثل الفرس في آخيتة يجول ويجول ثم يرجع الى آخيتة. »	٥٩
٢٨	قال ﷺ:	
	« النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي. »	٦١

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٢٩	قال ﷺ:	
	« مثل أصحابي مثل النجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم. »	٦٢
٣٠	قال الله تعالى:	
	« إن الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلاً. كلما مات منهم رجل، أبدل الله مكانه رجلاً، بهم يسقي الغيث، وينصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الأرض بهم البلاء. »	٦٣
٣١	قال ﷺ:	
	« يقول الله عز وجل: « من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين. »	٦٤
٣٢	قال ﷺ:	
	« سيروا فقد سبق المفردون ». قيل: يا رسول الله من المفردون ؟ قال: الذين اهتروا في ذكر الله، يأتون يوم القيامة خفافاً يضع الذكر عنهم أثقالهم. »	٦٥
٣٣	قال ﷺ:	
	« كل سبب ينقطع إلا سببي ونسبي. »	٦٦
٣٤	قال ﷺ:	
	« يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد، يا صفية عمة رسول الله: اشتروا أنفسكم من الله، لا أُغني عنكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم. واعلموا أن أولى الناس بي يوم القيامة المتقون، وان تكونوا أنتم مع قرابتكم، فذلك لا يأتيني الناس بالأعمال، وتأتوني بالدنيا تحملونها على أعناقكم... الخ. »	٦٧

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٣٥	قال ﷺ:	
	« إذا اجتمع القوم في سفر، فليجمعوا نفقاتهم عند أحدهم، فإنه أطيب لنفوسهم وأحسن لأخلاقهم. »	٧٠
٣٦	قال ﷺ:	
	« إن أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي. »	٧٢
٣٧	قال ﷺ:	
	« ألا أنبئكم بشراركم ! قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من أكل وحده، ومنع رفده، وجلد عبده. »	٧٢
٣٨	قال ﷺ:	
	« لا يحل لامرئ من عطاء أخيه إلا بطيب نفس. »	٧٥
٣٩	قال ﷺ:	
	« لعائشة: لا توكي فيوكى عليك، ولا تحصي فيحصى عليك. »	٧٦
٤٠	قال ﷺ:	
	« من تصبر يصبره الله. ومن يستعف يعفه الله. ومن يستغن يغنه الله وما أعطي عبد عطاء هو خير وأوسع من الصبر. »	٧٧
٤١	قال ﷺ:	
	« لن يغلب عسر يسرين. »	٧٨
٤٢	قال ﷺ:	
	« إنما يسلط على ابن آدم من خافه ابن آدم. ولو أن ابن آدم لم يخف غير الله، لم يسلط الله عليه غيره. »	٨٠
٤٣	قال ﷺ:	
	« لا تسكنوا نساءكم الغرف. ولا تعلموهن الكتابة. »	٨٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٤٤	قال ﷺ: « ليس للنساء شيء خير لهن من أن لا يراهن الرجال ولا يرين الرجال. »	٨٢
٤٥	قال ﷺ: « رأس الحكمة مخافة الله تعالى. »	٨٤
٤٦	قال ﷺ: « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى. »	٨٦
٤٧	قال ﷺ: « إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم. »	٨٧
٤٨	قال ﷺ: « قال ﷺ عن أبي أيوب الأنصاري، قلنا: يا رسول الله هذا السلام، فما الاستئناس ؟ قال: يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة، وأن ينحنح فيؤذن أهل البيت. »	٨٩
٤٩	قال ﷺ: « لا أحد أحب إليه العذرة من الله تعالى، ولذلك بعث الرسل عليهم السلام. »	٩٠
٥٠	قال ﷺ: « قال ﷺ عن رب العزة: من آذى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وإني لأسرع شيء في نصرة أوليائي. »	٩١
٥١	قال ﷺ: « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغائر في الأفق. »	٩٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٥٢	قال ﷺ: « إن المتحابين في الله تعالى لعلى عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يضيء حسنهم أهل الجنة كما تضيء الشمس أهل الدنيا... الخ. »	٩٤
٥٣	قال ﷺ: « من ترك الكذب وهو باطل، بني له في ربض الجنة. ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسطها. ومن حسن خلقه بني له في أعلاها. »	٩٦
٥٤	قال ﷺ: « قال ﷺ في حديث الرؤيا: رأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله تعالى حجاب، فجاءه حسن خلقه فأدخله على الله تعالى. »	٩٧
٥٥	قال ﷺ: « أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما يشاء. »	٩٩
٥٦	قال ﷺ: « إذا أصابه الرمد، أو أحداً من أهله أو أصحابه: اللهم أمتعني ببصري، واجعله الوارث مني، وأرني ثأري فيه، وانصرني على من ظلمني. »	١٠١
٥٧	قال ﷺ: « ما من شيء أحب إلى الله من بضعة لحم، وذلك لسان المؤمن. وما من شيء أبغض إلى الله من بضعة لحم، وذلك لسان الكافر. »	١٠٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٥٨	قال ﷺ: « رأيت ليلة أسري بي من العلى الذرة تدب على الأرض من السدرة المنتهى. »	١٠٣
٥٩	قال ﷺ: « إن الروح إذا فارق الجسد تبعه البصر ألا ترى إلى شخوص عينيه. »	١٠٥
٦٠	قال ﷺ: « لو خفتم الله تعالى حق خيفته لعلمتم العلم الذي لا جهل معه. ولو عرفتم الله تعالى حق معرفته، لزالت بدعائكم الجبال. »	١٠٦
٦١	قال ﷺ: « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر. »	١٠٨
٦٢	قال ﷺ: « ما من نعمة وإن تقادم عهدها فذكرها العبد، فحمد الله عليها، إلا حدد الله تعالى له ثواب شكرها كيوم شكره. وما من مصيبة وإن تقادم عهدها فذكرها العبد فاسترجع إلا جدد الله له ثوابها كهيئته يوم أصيب. »	١٠٩
٦٣	قال ﷺ: « الأعمال كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة إلا الصوم، فإنه لا يعلم ثواب عامله إلا الله تعالى. »	١٠٩

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٦٤	قال ﷺ: « إذا شربتم فاشربوا بثلاثة أنفاس فالأول شكر لشرابه، والثاني شفاء في جوفه، والثالث مطردة للشيطان، وإذا شربتم فمصوه مصاً فإنه أجدر أن يجري مجراه وأنه أهنأ وأمرأ. »	١١٢
٦٥	قال ﷺ: « ما أنعم الله على عبد من نعمة صغيرة ولا كبيرة فحمد الله عليها إلا كان قد أعطي خيراً مما أخذ. »	١١٤
٦٦	قال ﷺ: « لا تعبه عباً فإن الكباد من العب. »	١١٥
٦٧	قال ﷺ: « النائم الطاهر كالصائم القائم. »	١١٨
٦٨	قال ﷺ: « رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة. »	١١٨
٦٩	قال ﷺ: « لم يبق بعدي من النبوة شيء إلا المبشرات رؤيا المؤمن. »	١١٨
٧٠	قال ﷺ: « تعوذوا بالله من الرغب. »	١٢٢
٧١	قال ﷺ: « اكثر ما يدخل الناس الجنة حسن الخلق، واكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان البطن والفرج. »	١٢٣
٧٢	قال ﷺ: « أشر ما في الإنسان شح هالع وجبن خالع. »	١٢٣

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٧٣	قال ﷺ: « ما ملأ آدمي وعاء شراً له من بطن بحسب ابن آدم لقمات يقمن صلبه فإن كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس. »	١٢٤
٧٤	قال ﷺ: « يا بني أسبغ الوضوء يزد في عمرك. »	١٢٥
٧٥	قال ﷺ: « لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها زيادة العمر ذرية صالحة يرزقها الله تعالى العبد يدعون له بعد موته يلحقه دعاؤهم فذلك الزيادة في العمر. »	١٢٦
٧٦	قال ﷺ: « من كان يريد أن يبسط عليه في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه. »	١٢٧
٧٧	قال ﷺ: « أعطيت خمساً لم يعطهن نبي من قبلي ولا فخر، بعثت إلى الأسود والأحمر، وكان النبي قبلي يبعث الى قومه وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب أمامي مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي. وأعطيت الشفاعة فدخرتها لأمتي منهن نائلة إن شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيئاً. »	١٢٨
٧٨	قال ﷺ: « أوتيت السبع (يعني الطوال) مكان التوراة وأعطيت المثاني مكان الإنجيل وأعطيت المئين مكان الزبور وفضلت بالمفصل. »	١٣١

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٧٩	قال ﷺ: « الصلاة نور، وقال عليه السلام: إن الله تعالى: جعل قرة عيني في الصلاة. »	١٣٦
٨٠	قال ﷺ: « اقتدوا بالذين من بعدي أبو بكر وعمر. »	١٣٦
٨١	قال ﷺ: « ما من أمة إلا ولها محدث فإن يك في أمتي فعمر منهم. وقال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه. »	١٣٨
٨٢	قال ﷺ: « الحق بعدي مع عمر حيث كان. وقال: لو كان بعدي نبي لكان عمر. »	١٣٨
٨٣	قال ﷺ: « إن لي وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض فوزيراي من أهل السماء جبرئيل وميكائيل عليهما السلام ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر. »	١٤١
٨٤	قال ﷺ: « أحشر أنا وأبو بكر وعمر ونحن مشرفون على الناس هكذا وأشار باصابعه الثلاث وكان سبابته أطول من الوسطى. »	١٤٢
٨٥	قال ﷺ: « قالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ يا رسول الله إنك إذا دخلت صليت في مواضع من البيت أفلا نهيئ لك موضعاً تصلي فيه ؟ فقال: يا عائشة: أما علمت أن المؤمن إذا وضع جبينه لله طهرت تلك البقعة إلى سبع أرضين. »	١٤٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٨٦	قال ﷺ:	
	« ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت أمتي. »	١٥٠
٨٧	قال ﷺ:	
	« ولا يرمي في تلك الليلة بنجم ولا يحدث فيها داء. »	١٥٣
٨٨	قال ﷺ:	
	« لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له. »	١٥٤
٨٩	قال ﷺ:	
	« ثلاثة تحت العرش: القرآن له ظهر وبطن، يحاج العباد والرحم تنادي: صل من وصلني وأقطع من قطعني والأمانة. »	١٥٧
٩٠	قال ﷺ:	
	« اتطلق ثلاثة نفر فدخلوا غاراً فأرسل الله عليهم صخرة فانطبق الغار عليهم فقال بعضهم لبعض قد ترون ما نحن فيه، وما قد ابتلينا به فلينظر كل رجل منكم أفضل عمل عمله فيما بينه وبين ربه فليذكره ثم يدعو الله تعالى لعل الله يفرج عنا ما نحن فيه ويلقي عنا هذه الصخرة فقال رجل منهم: اللهم إنك تعلم أنه كانت لي بنت عم وكانت من أحب الناس إليَّ فطلبت منها نفسها فأبت عليَّ إلا أن أعطيها مائة دينار فجمعتها حتى جئتها بها فدفعتها إليها فلما قعدت منها مقعد الرجل من امرأته ارعدت وبكت فقالت يا عبدالله اتق الله: الخ. »	١٥٨
٩١	قال ﷺ:	
	« أول ما يرفع من الناس الأمانة. »	

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٩٢	قال ﷺ: « يا سليمان قل: اللهم إني أسألك صحة في إيمان وإيماناً في حسن خلق، ونجاحاً يتبعه فلاح. »	١٦٩
٩٣	قال ﷺ: « خير ما ألقي في القلب اليقين. » وقال: إن عيسى كان يمشي على الماء ولو ازداد يقيناً لمشى على الهواء.	١٧١
٩٤	قال ﷺ: « ما أعطي أحد من اليقين ما أعطيت أمتي. »	١٧٠
٩٥	قال ﷺ: « سلوا الله اليقين والعافية فإن الناس لم يعطوا شيئاً خيراً من اليقين والعافية. »	١٧١
٩٦	قال ﷺ: « لا يؤمن العبد حتى يأمن الناس بوائقه، وقال: المؤمن الذي يأمنه الناس. »	١٧٢
٩٧	قال ﷺ: « المؤمن في الدنيا على ثلاثة أجزاء الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، ثم الذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، ثم الذي إذا أشرف على طمع تركه لله تعالى. »	١٧٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٩٨	قال ﷺ: « لما صعدت الى السماء السابعة إذ هو برجل أشمط جالس على كرسي عند باب الجنة، وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس وقوم في ألوانهم شيء فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء، ثم دخلوا نهراً آخر فخرجوا وقد خلصت ألوانهم فصارت مثل ألوان أصحابهم فقلت: يا جبرئيل من هذا الأشمط ؟ ومن هؤلاء ومن هؤلاء ؟ وما هذه الأنهار التي دخلوها ؟ قال عليه السلام: هذا أبوك إبراهيم أول من شمط على الأرض وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقد خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فتابوا فتاب الله عليهم، وأما الأنهار فأدناها رحمة الله والثاني: نعمة الله والثالث: وسقاهم ربهم شراباً طهوراً. »	١٧٥
٩٩	قال ﷺ: « من نظر الى محاسن امرأة فغض طرفه في أول نظرة رزقه الله تعالى عبادة يجد حلاوتها في قلبه. »	١٧٧
١٠٠	قال ﷺ: « ما ترك العبد شيئاً من الدنيا لله إلا آتاه الله خيراً منه وأفضل. »	١٧٨
١٠١	قال ﷺ: « أحب العيون الى الله تعالى عينان: عين غضت عن محارم الله، وعين حرست في سبيل الله. وقال الله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم. »	١٧٩

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٠٢	قال ﷺ: لام سلمة وميمونة: « احتجبا ». عندما دخل عليه ابن أم مكتوم فقالتا: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال: ﷺ: « أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه. »	١٨٠
١٠٣	قال ﷺ: « العين تزني، واليد تزني، والرجل تزني، والسمع يزني ويصدق ذلك كله ويكذبه الفرج. »	١٨٠
١٠٤	قال ﷺ: « النظر الى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس مسموم فمن صرف بصره عنها رزقه الله تعالى عبادة يجد حلاوتها. »	١٨١
١٠٥	قال ﷺ: « إن لك من الجنة كنزاً وإنك ذو قرينها فلا تتبعن النظرة النظرة فإن لك الأولى وعليك الأخرى. »	١٨١
١٠٦	قال ﷺ: « أربع نساء سيد نساء العالمين: مريم وآسية، وخديجة وفاطمة. »	١٨٢
١٠٧	قال ﷺ: « إنما فاطمة بضعة مني. وقال: إنك أسرع الناس لحوقاً بي » فضحكت. وبشر علياً: بأنها له زوجة في الجنة ثم أوصاه على أثر البشرى.	١٨٢
١٠٨	قال ﷺ: « لأعطين رايتي غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. »	١٨٣

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٠٩	قال ﷺ:	
	« إن بني المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا إبنتهم من علي وإن فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ألا فإني لا آذن ثم لا آذن. »	١٨٤
١١٠	قال ﷺ:	
	« إن شهر رمضان شهر فرض الله على المسلمين صيامه وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه. »	١٨٦
١١١	قال ﷺ:	
	« لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسبة له. »	
١١٢	قال ﷺ:	
	« لعن عبد الدينار لعن عبد الدرهم لعن عبد الخميصة وشيك فلا انتقش حبذا عبدالله وعبيدالله. »	١٩٣
١١٣	قال ﷺ:	
	« لا أجر لمن لا حسبة له. »	
١١٤	قال ﷺ:	
	« من غشيانك أهلك صدقة قالوا يا رسول الله نأتي شهوتنا ونؤجر.. ؟ قال: أرأيت لو وضعتها في حرام أكنت توزر ؟ قالوا: نعم. قال: فتحتسبون بالشر ولا تحتسبون بالخير. »	١٩٢
١١٥	قال ﷺ:	
	« لكل امرئ ما احتسب وعليه ما اكتسب، والمرء مع من أحب ومن مات على ذنابى طريق فهو من أهله. »	١٩٣

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١١٦	قال ﷺ: « يا عويمر حافظ على أن لا تبيت إلا على وتر وركعتي الضحى مقيماً أو مسافراً وصيام ثلاثة أيام من كل شهر تستكمل الزمان كله. »	١٩٥
١١٧	قال ﷺ: « عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: أوصاني حبيبي أبو القاسم ﷺ ــ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وأن لا أنام إلا على وتر، وركعتي الضحى. »	١٩٥
١١٨	قال ﷺ: « إن على كل آدمي ثلاثمائة وستين سلامى على كل سلامى منها صدقة، وركعتي الضحى تجزيك من هذا كله. »	١٩٦
١١٩	قال ﷺ: « أمرني جبريل ولقاني عند فراغي من فاتحة الكتاب وعند الدعاء (آمين) وقال: إنه كالطابع على الكتاب. »	١٩٨
١٢٠	قال ﷺ: « إن على أبواب السماء حجاباً يردون أعمال أهل الكبر والحسد والغيبة. »	١٩٩
١٢١	قال ﷺ: « إن العبد ليقول يا رب اغفر لي وقد أذنب فتقول الملائكة يا رب إنه ليس لذلك بأهل قال الله تعالى: لكني أهل أن أغفر له. »	١٩٩

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٢٢	قال ﷺ:	
	« إن القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فإذا دعوتم الله تعالى فادعوه وأنتم موقنون بالاستجابة فإن الله تعالى لن يستجيب دعاء عن ظهر قلب غافل. »	٢٠٠
١٢٣	قال رسول الله ــ ﷺ ــ لمعاذ بن جبل:	
	« لو كنت أعلم لك فيه خيراً لعلمتك فقلت: سبحان الله يا رسول الله لم لا تعلم لي فيه خيراً قال: لأن أفضل الدعاء ما خرج من القلب بجد، واجتهاد. فذاك الذي يسمع ويستجاب وإن قل. »	٢٠١
١٢٤	قال ﷺ:	
	« إذا قال العبد يا رب قال الله تعالى: لبيك يا عبدي. »	٢٠٢
١٢٥	قال ﷺ:	
	« أنزل القرآن العظيم على عشرة بشيراً ونذيراً وناسخاً ومنسوخاً ومحكماً ومتشابهاً وعظة ومثلاً وحلالاً وحراماً فمن ابتشر ببشيره وانتذر بنذيره وعمل بناسخه وآمن بمنسوخه واقتصر على محكمه ورد علم متشابهه الى عالمه واتعظ بعظته واعتبر بمثله وأحل حلاله وحرم حرامه فأولئك هم المؤمنون حقاً لهم الدرجات العلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وهو وارثي ووارث الأنبياء من قبلي. »	٢٠٣
١٢٦	قال ﷺ:	
	« إن الرجلين ليكونان في صلاة واحدة في سقف واحد وكما بين صلاتيهما أبعد ما بين السماء والأرض. »	٢٠٧

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٢٧	قال ﷺ: « تعوذوا بالله من خشوع النفاق قيل: يا رسول الله وما خشوع النفاق.. ؟ قال: خشوع البدن ونفاق القلب. »	٢١٠
١٢٨	قال ﷺ: عندما رأى رجلاً يعبث بلحيته ـــ « لو خشع قلبه لخشعت جوارحه. »	
١٢٩	قال ﷺ: « الصلاة مثنى مثنى وتشهد في كل ركعتين وتباؤس وتمسكن وتقع بيديك وتقول: اللهم اللهم فمن لن يفعل ذلك فهو خداج. »	٢١٤
١٣٠	قال ﷺ: « فيما روته عائشة رضي الله عنها ـــ أنها قالت: كان إذا آوى الى فراشه جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس ويمسح بهما ما استطاع من جسده ويبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ويفعل ذلك ثلاث مرات. »	٢١٥
١٣١	« وقالت عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ أن رسول الله ـــ ﷺ كان إذا اشتكى قرأ على نفسه المعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وامسح عليه بيده رجاء بركتها. »	٢١٦
١٣٢	قال ﷺ: « العين حق واكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله بالنفس. »	٢١٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٣٣	قال ﷺ: « حق على الله أن لا يرفع الناس أعينهم الى شيء إلا وضعه الله. »	٢١٨
١٣٤	قال ﷺ: « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصوم والصلاة. »	٢٢١
١٣٥	قال ﷺ: « الإيمان نصفان نصف للشكر ونصف للصبر. »	٢٢١
١٣٦	قال ﷺ: « من انقطع الى الله كفاه مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب. »	٢٢٢
١٣٧	قال ﷺ: « في حديث الرؤيا ــ ورأيت رجلاً من أمتي بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأدخله على الله تعالى. »	٢٢٢
١٣٨	قال ﷺ: « من ترك الكذب وهو باطل بني له في ربض الجنة ومن ترك المراد وهو محق بني له في وسطها ومن حسن خلقه بني له في أعلاها. »	٢٢٣
١٣٩	قال ﷺ: « من مرض ليلة فصبر ورضي بها عن الله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. »	٢٢٤
١٤٠	قال ﷺ: « يقول الله تعالى: يا أهل الجنان بقي لكم شيء لم تنالوه فيقولون: وما هو يا ربنا.. ؟ فيقول رضواني. »	٢٢٥

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٤١	قال ﷺ: « إذا دفن ميتاً وقف وسأل له التثبت وكان يقول: ما يستقبل المؤمن من هول الآخرة إلا والقبر أفظع منه. »	٢٢٦
١٤٢	قال ﷺ: « هذه الأمة تبتلي في قبورها. » وقال: ما يستقبل المؤمن من هول الآخرة إلا والقبر أفظع منه. »	٢٢٨
١٤٣	قال ﷺ: « إن أهل التوحيد الذين تأخذهم الناس يميتهم الله إماتة حتى تحرق النار منهم ما تحرق ثم يحييهم فينجيهم. »	٢٢٩
١٤٤	قال ﷺ: « إن الله يستحي من عبده وأمته أن يشيبا في الإسلام شيبة فيعذبهما بالنار. »	٢٢٩
١٤٥	قال ﷺ: « إن الله ليستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً. »	٢٣٠
١٤٦	قال ﷺ: « إني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرده عنه. »	٢٣١
١٤٧	قال ﷺ: « لا يزيد في العمر إلا البر ولا يرد القضاء إلا الدعاء وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب الذي يصيبه. »	٢٣٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٤٨	قال ﷺ: « عندما سألته ميمونة عن عذاب القبر ـــ قال: من أثر البول فمن أصابه منه شيء فليغسله بماء فإن لم يصبه أو يجده فليمسحه بتراب طيب. »	٢٣٣
١٤٩	قال ﷺ: « إن الشيطان ليفر من حس عمر بن الخطاب وما رأى الشيطان عمر إلا خر لوجهه. »	٢٣٥
١٥٠	قال ﷺ: « رأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور. »	٢٣٨
١٥١	قال ﷺ: « العمرة الحج الأصغر. »	٢٣٩
١٥٢	قال ﷺ: « إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم. »	٢٣٩
١٥٣	قال ﷺ: « رأيت رجلاً من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم فأدخلاه مع ملائكة الرحمة. »	٢٤٠
١٥٤	قال ﷺ: « رأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه. »	٢٤١

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٥٥	قال ﷺ: « قال الله تعالى: لن أجمع على عبدي خوفين ولن أجمع أمنين من أخفته في الدنيا أمنته في الآخرة. »	٢٤٢
١٥٦	قال ﷺ: « من مات له ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحلم أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم. »	٢٤٢
١٥٧	قال ﷺ: « رأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى. »	٢٤٢
١٥٨	قال ﷺ: « رأيت رجلاً من أمتي قد هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار. »	٢٤٣
١٥٩	قال ﷺ: « رأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى. »	٢٤٣
١٦٠	قال ﷺ: « رأيت رجلاً من أمتي انتهى الى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة. »	٢٤٤
١٦١	قال ﷺ: « الأشربة من خمس من الحنطة والشعير والتمر والزبيب والعسل فما خمر فهو خمر. »	٢٤٩
١٦٢	قال ﷺ: « كل مسكر خمر وكل خمر حرام. »	

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٦٣	قال ﷺ: « بسم الله وبالله أعوذ بعزة الله وبقدرته من شر ما فيها سبع مرات فبدأ الرجل فقالوا له: يا رسول الله أتؤمره علينا وهو أصغرنا.. ؟ فذكر النبي ـــ ﷺ قراءته للقرآن فقال: يا رسول الله لولا أني أخاف أن لا أقوم به. ؟؟ فقال ﷺ: إن القرآن مثله كجراب فيه مسك قد ربط فيه فإن فتحته فاح ريح المسك وإن تركته كان مسكاً موضوعاً مثل القرآن إن قرأته وإلا فهو في صدرك. »	٢٥٢
١٦٤	قال ﷺ: « لو كان القرآن في إهاب ما مسه النار. »	٢٥٣
١٦٥	قال ﷺ: « اعطوا أعينكم حظها من العبادة. قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة.. ؟ قال: النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه. »	٢٥٥
١٦٦	قال ﷺ: « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل العشق وأهل الكتابين، فإنه سيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم. »	٢٥٥
١٦٧	قال ﷺ: « إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم. »	٢٥٦

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٦٨	قال ﷺ: « عليك بالحال المرتحل. قال: وما الحال المرتحل ؟ قال: صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره ثم يضرب في أوله كلما حل ارتحل. »	٢٥٧
١٦٩	قال ﷺ: « سورة يس تدعى في التوراة المعمة. قيل: وما المعمة.. ؟ قال: تعم صاحبها خير الدنيا وتكابد عنه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهاويل الآخرة، وتدعى المدافعة والقاضية: تدفع عن صاحبها كل شيء وتقضي له كل حاجة ومن قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله، ومن كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف نور، وألف يقين وألف بركة، وألف رحمة ونزع من كل غل وداء. »	٢٥٨
١٧٠	قال ﷺ: « لكل شيء قلب وقلب القرآن يس ومن قرأها فكأنما قرأ القرآن عشر مرات. »	٢٥٨
١٧١	قال ﷺ: « من شغله ذكري وقراءة القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين. » وقال: وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه. »	٢٥٩
١٧٢	قال ﷺ: « ما رد العباد الى الله تعالى شيئاً أحب إليه من كلامه. »	٢٥٩

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٧٣	قال ﷺ: « قال موسى عليه السلام: رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله قال: كل عبادك يقول هكذا قال: قل لا إله إلا الله قال: لا إله إلا الله إنما أريد شيئاً تخصني به قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعمارهن والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهم لا إله إلا الله. »	٢٦٤
١٧٤	قال ﷺ: « يا أبا المنذر أية آية معك من كتاب الله أعظم قلت: الله لا إله إلا الله هو الحي القيوم. قال: فضرب في صدري فقال: ليهن لك العلم أبا المنذر فوالذي نفس محمد بيده إن لهذه الآية للساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش. »	٢٦٥
١٧٥	قال ﷺ: « زمزم لما شربت له. »	
١٧٦	قال ﷺ: « لولا ما ضيع من الركن من أنجاس الجاهلية وأرجاسها وأيدي الظلمة والأثمة لاستشفى به من كل عاهة ولألفاه اليوم كهيئته يوم خلقه الله، وإنما غيره الله بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا الى زينة الجنة. »	٢٧٢
١٧٧	قال ﷺ: « اللهم اغفر لي ذنبي وأخسأ شيطاني وفك رهاني وثقل ميزاني واجعلني في النداء الأعلى. »	٢٧٥

٣ ــ فهرس الأعلام

حرف الألف

إبراهيم بن اسحاق: ١٧٧، ١٩١، ١٩٦، ٢٠٠.

أبي بن كعب: ٢٢٩، ٢٤١، ٢٥٦، ٢٦٥، ٢٧٧.

أحمد بن حنبل: ٥، ١٠، ١٥، ١٧، ٣٦، ٤٤، ٥٧، ٥٩، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٨١، ٨٤، ٩٠، ٩٢، ١٠٨، ١٠٩، ١١٣، ١١٨، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤،، ١٢٧، ١٣٠، ١٣١، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٩، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٠، ١٨١، ١٨١، ١٨٨، ١٩٢، ١٩٤، ٢٠٠، ٢١٨، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٦٩.

آدم عليه السلام: ١١١، ١٢٣، ١٢٤، ١٥٤، ١٩٣، ١٩٦، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٧١.

أسماء بنت أبي بكر: ١٠، ١٢، ١٣، ٧٦، ٨٣، ٩١، ١٠٥، ١١٦، ١١٨، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٣١.

اسماء بنت عميص: ٣٦، ٣٧، ٦١، ٦٤، ٧٢، ٨٤، ٩٦، ٩٧، ١٠٠، ١٠٦.

أسيد بن صفوان: ٢٤٢، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٣.

حرف الباء

بريدة (الصحابي): ٢٨، ٦٣، ٧٦، ٩١، ١٠٥، ١٠٦.

بشر بن الخصاصية: ٧، ١٦، ٢٤، ٢٩، ٦٢.

بلال مؤذن الرسول: ٧٠، ٧١، ٧٢، ٨٤، ٨٦، ٩٣.

بلال بن يحيى: ٩٢، ٩٨، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٣٧، ١٤٨، ٣٣٨.

بهز بن حكيم : ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٢، ٥٦، ٥٩، ٦٤، ٦٧، ٧٩، ٢٥٣.

حرف الثاء

ثابت البناني : ٦٦، ٧٢، ٨٨، ١٤٣، ٣٢٤.
ثعلبة الخشني: ٥، ١٦، ١٨، ٧٣، ٨٤.
ثوبان مولى الرسول : ٢١٠، ٢٣٣، ٢٤٧، ٢٥٦، ٣٠٢، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٤٠.

حرف الجيم

جابر بن عبدالله : ٤٦، ١٢٨، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٦٩.
جندب بن جنادة : ٤٠، ٦٥، ٩٢، ١١١، ١٢٦، ١٣١.

حرف الحاء

حبيب بن أبي ثابت : ١٠١، ١١٦، ١٢٦، ١٣١، ١٣٩، ١٤٦، ٢٤٨، ٢٥١.
حذيفة بن اليمان : ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٧.

الحسن البصري : ١٠، ٢١، ٣٥، ٥٥، ٣٤٢.
الحسن بن صالح : ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٨.
الحسن بن علي : ٦٩، ١٠٩، ١١٢، ١٣٥، ١٤٠، ١٨١، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٧.
الحسين بن علي : ٦٩، ١٠٩، ١١٧، ١١٩، ١٤٤، ١٨٢، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٧.
حكيم بن أبي حرة : ١٠٨، ١١٦، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٧.
حماد بن سلمة : ١٩٧، ١٩٩، ٢١٧، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٣.

حرف الخاء

خالد بن ثابت : ٨٤، ٩٦، ١١٥، ١٢١، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٣، ١٤٧، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٥، ١٩٩، ٢٠٠.
خالد بن الحرث : ٨٤، ٨٦، ١١٧، ١٢٤، ١٣٩، ١٤٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٦١، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٦.

حرف الزاي

الزبير بن العوام : ١٠، ١٨٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٠، ٢١١، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧.
زكريا بن أبي زائدة : ١١٣، ١٩٧، ٢١٦، ٢٤٧، ٢٦٨، ٢٧٧، ٢٨١.

الزهري : ٣٢، ١١٨، ١٣٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧.
زياد بن سعد : ٢١٦، ٢١٨، ٢٣٠، ٢٤١، ٢٥٦.
زيد بن أرقم : ١٤١، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٢، ١٧٤.
زيد بن أسلم : ٣٥، ٨٦، ٩٤، ١٢٦.
زيد بن ثابت : ٢٢٨، ٢٤١، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٦٨.
زيد الخثعمي: ٣٧، ٣٨، ٨٦، ٩٢، ٩٩، ١١٣، ١٢٤، ١٤٧، ١٧٧، ١٩٢.
زيد بن علي : ١٤٠، ١٤١، ١٥٥، ١٦٧، ١٧٢، ١٨٣، ٢٠٦، ٢٢٧.

حرف السين

سالم بن عبدالله : ١٠، ١٣، ١٦، ٩٧، ١٠٢، ١٠٧، ١٢٢، ١٢٤، ١٣١، ١٣٦، ١٩٤، ٢٠٠.
سعد بن أبي وقاص : ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٥، ٨٦، ١١٢، ١١٨، ١٣١، ١٤٧، ١٥١.
سعد بن معاذ : ٢٣٣، ٢٤٦، ٢٥٦، ٢٦١.
سعيد بن أبي زائدة : ١١٣، ١٦٣، ١٧٦، ١٨٢، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٢٩.
سعيد بن جبير : ٩٠، ٩١، ١٠٧، ١٠٩، ١١٣، ١٧٢، ١٨١، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٤.
سعيد بن خميس : ٥٧، ٦٢، ٦٤، ٧٧، ٨٧، ١١٦، ١٢٥، ١٢٧، ١٨٣، ٢٠١.
سعيد بن المسيب : ١٢٧، ١٦٣، ١٩٤، ١١٢، ١١٧، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٤٦.
سفيان بن عيينة : ١٣٦، ١٣٨، ١٤٠، ١٦٧، ١٩٢، ٢٠٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٥٦.
سلمة بن الأكوع : ٦٠، ٦١، ٦٥، ١١٦، ١٥٧، ١٦٩، ١٧١، ١٧٣، ١٨٤، ١٩٣، ١٩٧.
سلمة بن كهيل : ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٧١.
سليمان بن الفارس : ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦٢.

حرف الشين

شبيب بن بشر : ١١٤، ١٣٦، ١٧٧، ١٩٦، ٢٠٢.
الشعبي : ٩٧، ١١٢، ١٦٣، ١٥٤.
شقيق بن سلمة : ١٦٦، ١٧٨، ١٩٦، ٢٠٨، ٢٠٩.

حرف الصاد

صفوان بن أمية : ١٧٦، ١٨٢، ١٩٦، ٢٠٦، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٦، ٢٤٢.

صفوان بن سليم : ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٥.

صلاح الدين الأيوبي : ٢١٤، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٧.

حرف الطاء

طاووس : ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٥.

الطفيل بن أبي بن كعب : ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٧.

طلحة بن عبيد الله : ٢٠٧، ٢١٦، ٢٣٢، ٢٤٥.

حرف العين

عائشة أم المؤمنين : ٨٢، ٨٣، ١٠١، ١١٢، ١٢٥، ١٣١، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٨، ١٤٨، ١٨٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٦.

عائشة بنت طلحة : ١٨٢، ١٨٦، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١٧، ٢١٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٨.

عبادة بن الصامت : ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٥.

عبد الرحمن بن سمرة : ٢٣١، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٠.

عبد الرحمن بن عوف : ٧٣، ٧٦، ١٨٦، ١٩٠، ٢٦٦.

عبد الرحمن بن غنم : ٢٠١، ٢٠٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٥.

عبدالله بن ادريس : ١٥٦، ١٨٢، ١٩٠، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢٠٧.

عبدالله بن الجراح : ٣٩، ٤٢، ٥٦، ٨٢.

عبدالله بن جعفر : ٦٠، ٧٢، ٨٦، ٩٦، ١٠٢، ١١٧، ١٣٢، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٠.

عبدالله بن رواحة : ٤١، ٥٦، ٦٨، ٨٨، ٩٢.

عبدالله بن زمعة : ١٣٥، ١٤٨، ١٥١، ١٥٦، ١٦٠.

عبدالله بن سلمة : ٨٧، ٩٦، ١١٣، ١١٧، ١١٩، ١٢٠.

عبدالله بن عباس : ١٠، ١٣، ١٥، ١٨، ٣٦، ٤٤، ٤٥، ٤٩، ٥٥، ٦٢، ٩٠، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٨، ١٤٧، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠٨، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٨، ٢٧٢.

عبدالله بن عمر : ١٩، ٢٤، ٤٨، ٨٠، ١١٦، ١٣٢، ١٥٩، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٦٤.

عبدالله بن عمرو : ١٥٥، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠.

عبدالله بن مسعود : ٢١، ٢٥، ٥٥، ٨٢، ٨٤، ٩٣، ١١٦، ١٤٧، ١٧٢، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٣.
عبدالله بن الوليد : ٥٩، ٦٣، ٦٧، ٧١، ٧٢، ٨٨، ٩٦.
عبدالله بن يزيد : ٣٩، ٤٢، ٩٦، ١١٢، ١٤٧، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٧، ٢١٩، ٢٣١.
عبد العزيز بن رباح : ١٢٣، ١٣٥، ١٤٨، ١٩٦.
عبد العزيز بن صهيب : ٢٤٢، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٦٤.
عبد الملك بن عمير : ١٣٧، ١٨٢، ١٩٣، ٢٠٦.
عبد الملك بن الماجشون : ١٣٢، ١٣٥، ١٤٨، ١٥١، ١٧٢.
عثمان بن عفان : ٦، ١٨، ٢٢، ٣٣، ٩١، ١٣٧، ٢٢٦، ٢٥٢، ٢٦٣.
عروة بن الزبير : ٢١٦، ٢١٧، ٢٢١، ٢٣٦، ٢٤٨.
عطاء بن أبي رباح : ١٧٩، ١٨٠، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٧.
عطاء الخراساني : ١٧٩، ١٧٤، ١٨٦، ١٩٢، ١٩٥.
عطاء بن يزيد : ٨١، ٨٢، ٩٦، ١١٢، ١١٥، ١١٧، ١٧٠، ١٨٤، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠٤.
عقبة بن عامر : ٨٤، ٨٥، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٠.
علي بن أبي طالب : ١٠، ١٣، ٤٠، ٤١، ٤٩، ٦٣، ٦٨، ١١٥، ١١٦، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٩، ١٥٢، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ٢٠٣، ٢٤٥، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٧٠.
العلاء بن يعقوب : ١٠٥، ١١٦، ١١٨، ١٣٢، ١٤٥، ١٧٢، ١٨١، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٦.
عمر بن الخطاب : ٩، ١٢، ٨١، ٨٧، ٨٨، ٩١، ١١٦، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٨١، ١٩٠، ١٩٧، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٧.
عمر بن عبد العزيز : ٦٠، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤.
عمر بن هشام : ١٣٢، ١٨٦، ١٩١، ٢٠٥، ٢٠٧.
عمران بن حصين : ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٣.
عمرو بن حريث: ١١٦، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٧، ١٤٨.
عمرو بن شعيب : ٧١، ٧٥، ٨٦، ٩٢، ١١٧، ٢٢٨.
عمرو بن العاص : ٩، ١١، ١٦، ٢٧، ٧٢، ٨٤.
عمرو بن قيس : ٦٥، ٧٠، ٩٣، ١١٢، ١٢٧، ١٦٣، ١٧٢، ١٩٧، ٢٠٧، ٢١٦.

عمرو بن مالك : ١٧٢، ١٨٣، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٦٤، ٢٦٦.
عمرو بن مرة : ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥١.

حرف الفاء

فاطمة بنت الحسين : ١٠، ١١٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣١، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٢، ١٢٥، ١٣٠.
فاطمة الزهراء : ٦٦، ٦٧، ٦٩، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦.
فضالة بن عبيد : ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٤٤، ٢٤٧.

حرف الكاف

كثير بن هشام : ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٥٤.
كعب بن مالك : ١٧٠، ٢١٢، ٢١٧، ٢٢١.
كعب بن مرة : ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٧.

حرف اللام

الليث بن سعد : ١١١، ١٧٥، ٢٠٦، ٢٢٧.

حرف الميم

مالك بن أنس : ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٦١.
مالك بن دينار : ٢٣٧، ٢٤٦، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٩.
مالك بن فعلول : ٣٢، ٤٣، ٨٦، ٩٧، ١١٣، ١١٤.
مجمع بن يحيى : ٦١، ٧٨، ٩٣.
المطلب بن وداعة : ٢١٤، ٢٣٧، ٢٤٥، ٢٥٦.
معاذ بن جبل : ٧، ١٩، ٤١، ٤٢، ٤٩، ٥١، ٧٢، ١٠٦، ١١٨، ١٢٦، ١٤١، ١٤٩، ١٦٣.
معاوية بن أبي سفيان : ٦٩، ٨٢، ١١٥، ١٢٣، ١٢٨، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٤٧.
موسى بن علي : ٣٩، ٤٢، ٤٧، ٨٨، ٩١، ٩٧، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٦.

حرف النون

النعمان بن بشير : ٥٠، ٧٢، ٩٤، ١١٧، ١٢١، ١٥٤، ١٦٧، ١٩٢، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٢٨.
نوف البكالي : ٢٠٠، ٢٠٧، ٢١٣، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٣٥، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٦.

حرف الهاء

هارون أبي محمد : ١٩، ٢٦، ٣٨، ١١٨، ١٤٧، ٢١٦.
هشام بن عروة : ٩، ٨٢، ١١٣، ١١٨، ١٢٤، ١٤٨.
هشام بن هشام : ١٠٩، ١٢٨، ١٤٧، ١٦٣، ٢١٩، ٢٢٧، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٦٢، ٢٧٤.
هلال بن الصلت : ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٧٠.
هند بن أبي هالة الكندي : ٢٢١، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٤٥.

حرف الواو

واثلة بن الأسقع : ٩٩، ١٣١، ١٧٥، ١٨٨، ٢٠١.
وهب بن منبه : ٢١٤، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٦٢، ٢٧٣.

حرف الياء

يحيى بن أبي كثير : ٦٥، ٧٥، ٨١، ٩٦، ٢١٨، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٥٧.
يحيى بن أيوب : ١٧٧، ١٧٨، ١٩٣، ٢١١، ٢٢٧.
يحيى بن زكريا : ١٢٤، ١٢٥، ٢٣٥، ٢٤٧، ٢٤٩.
يحيى بن سعيد : ١٩٠، ١٩٤، ٢١١، ٢١٧.
يحيى بن عقيل : ١٩٢، ١٩٦، ٢٢٥، ٢٤٨، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٦.
يحيى بن يعمر : ١٩٢، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣.

الكنى

أبو امامة : ٨٦، ١٧٧، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٦، ٢٦٨.
أبو أيوب الأنصاري : ٨٩، ٩٠، ٩٥، ٩٥، ١٠٧، ١١٣.
أبو أيوب السختياني : ٧٣، ٨٤، ٩٦، ١٠٥، ١١١، ١٢٧.
أبو بردة : ٣٢، ٣٦، ١٢٧، ١٣٩، ١٤٢، ١٦١، ١٦٣.
أبو بكر الصديق : ٦، ٩، ١٠، ١١، ٥٥، ٧٤، ٩١، ١١٦، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٥٧، ١٧١، ١٨١، ٢١٠، ٢٥٨.
أبو الدرداء : ١١٦، ١١٧، ١٢٧، ١٩٥، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٥٦.

أبو ذر الغفاري : ٤٠، ٤١، ٥٤، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٦، ٢٠٢، ٢١١، ٢١٤، ٢١٧.
أبو سعيد الخدري : ١٤، ٢٤، ٥٩، ٦٢، ٧٧، ٨٠، ٩٢، ١٢٢، ٢٢٨، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦٤.
أبو سلمة الحمصي: ١٢٥، ١٣٦، ١٤٢، ١٩٦، ٢٠٠، ٢١٥، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٣٤، ٢٤٨.
أبو سلمة بن عبد الرحمن : ٣٢، ٣٥، ٦٧، ٩٤، ١١٣، ١٢٧، ١٦٤، ١٧٢، ١٧٩، ١٨٦.
أبو سليمان النهدي: ٢٣٠، ٢٤٦، ٢٦٣.
أبو موسى الأشعري : ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٢، ١١٨، ١٣٦، ١٥٢، ١٧١، ١٨٥، ١٩٥.
أبو هريرة : ٥، ٦، ١٦، ٣٢، ٣٥، ٤٤، ٦٥، ٦٧، ٩٩، ١٠٩، ١١٨، ١٣٠، ١٤٩، ١٥٦، ١٧٢، ١٨٠، ١٨٦، ١٩٣، ١٩٥، ٢١٠، ٢٢٤، ٢٣٢، ٢٥٢، ٢٦٤.
أبو هلال الراسبي : ١٧٥، ١٨٨، ١٩٣، ٢٠٢، ٢١٦، ٢٢٨، ٢٣٧، ٢٤٥، ٢٥٠.
أبو وليد القرشي : ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٧٣.

٤ ــ مراجع التحقيق

١ ــ القرآن الكريم

٢ ــ فتح الباري ــ شرح صحيح البخاري.
دار المعرفة ــ بيروت

٣ ــ صحيح مسلم ــ للإمام مسلم بن الحجاج.
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار احياء التراث العربي ــ بيروت

٤ ــ الجامع الصحيح ــ وهو سنن الترمذي.
تحقيق ــ أحمد محمد شاكر ــ دار الحديث ــ القاهرة

٥ ــ سنن الحافظ أبي عبد الله بن يزيد ــ ابن ماجة.
تحقيق ــ محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار الحديث.

٦ ــ سنن النسائي ــ بشرح الحافظ السيوطي.
دار الحديث ــ القاهرة

٧ ــ المستدرك على الصحيحين ــ للامام الحاكم النيسابوري.
دار الكتاب العربي ــ بيروت

٨ ــ سنن أبي داود.
مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد
دار الكتب العلمية ــ بيروت

٩ ــ المسند ــ للامام أحمد بن حنبل.
المكتب الاسلامي ــ بيروت
١٠ ــ تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ــ للسيوطي.
احياء الكتب العربية ــ مصر
١١ ــ الادب المفرد ــ للامام البخاري.
عالم الكتب ــ بيروت
١٢ ــ الموطأ ــ للامام مالك بن أنس.
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار الحديث ــ مصر
١٣ ــ المعجم الكبير ــ للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني.
تحقيق حمدي عبد المجيد
١٤ ــ الجامع الصغير ــ للحافظ السيوطي ــ
مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ــ مصر
١٥ ــ ضعيف الجامع الصغير وزيادته ــ تأليف محمد ناصر الدين الألباني.
المكتب الاسلامي ــ بيروت
١٦ ــ كتاب الاسماء والصفات ــ للبيهقي
المركز الاسلامي للكتاب ــ بيروت
١٧ ــ جامع الشمل في أحاديث خاتم الرسل ــ محمد بن يوسف اطفيش.
دار احياء الكتب العربية ــ مصر
١٨ ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ــ للهيثمي ــ
مكتبة القدسي ــ مصر
١٩ ــ اللالىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ــ للسيوطي.
دار المعرفة ــ بيروت
٢٠ ــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ــ للسيوطي.
دار المعرفة ــ بيروت

٢١ ــ طبقات الشافعية الكبرى ــ للسبكي
دار احياء الكتب العربية ــ مصر
٢٢ ــ تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير
دار المعرفة ــ بيروت
٢٣ ــ الجامع لاحكام القرآن الكريم ــ القرطبي.
دار الكاتب العربي ــ بالقاهرة
٢٤ ــ تفسير الطبري ــ لابن جرير الطبري.
تحقيق محمود محمد شاكر ــ دار المعارف مصر
٢٥ ــ فهارس التاريخ الكبير ــ للامام البخاري.
دار الكتب العلمية ــ بيروت
٢٦ ــ زاد المسير في علم التفسير ــ لابن الجوزي.
المكتب الاسلامي ــ بيروت
٢٧ ــ كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.
حاجي خليفة ــ المثنى ببغداد
٢٨ ــ كتاب الأعلام ــ للزركلي ــ
طبعة ثالثة ــ بيروت
٢٩ ــ كتاب الضعفاء الكبير.
تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت
٣٠ ــ ميزان الاعتدال ــ للذهبي ــ
تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية ــ بيروت
٣١ ــ لسان الميزان ــ لابن حجر العسقلاني
حيدر أباد ١٣٢٥ هـ
٣٢ ــ تهذيب التهذيب ــ لان حجر العسقلاني
حيدر أباد ١٣٢٥ هـ

٣٣ ــ نصب الراية لاحاديث الهداية ــ للزيلعي ــ
دار الحديث ــ مصر

٣٤ ــ صفوة صحيح البخاري ــ
اختيار الشيخ عبد الجليل عيسى ــ جماعة الأزهر للنشر والتأليف

٣٥ ــ السيرة النبوية ــ لابن هشام ــ
ط مؤسسة علوم القرآن

٣٦ ــ الاستيعاب في معرفة الاصحاب.
تحقيق علي البجاوي ــ مكتبة نهضة مصر

٣٧ ــ الأذكار المنتخبة من كلام سيد الابرار ــ لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ــ
ط ــ الحلبي مصر

٣٨ ــ الاصابة في تمييز الصحابة ــ لابن حجر العسقلاني ــ
ط التجارية مصر

٣٩ ــ تذكرة الحفاظ ــ لابي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي
حيدر أباد ــ ١٩٥٥

٤٠ ــ الترغيب والترهيب للمنذري.
تحقيق ــ مصطفى عمارة ــ الحلبي ــ القاهرة

٤١ ــ التصوف الثورة الروحية في الاسلام ــ للدكتور أبي العلا عفيفي.
ط المعارف بالاسكندرية ــ مصر

٤٢ ــ التعرف لمذهب أهل التصوف ــ للكلاباذي ــ
عبد الحليم محمود عيسى الحلبي ــ مصر

٤٣ ــ جامع الأصول من أحاديث الرسول ــ لابي السعادات. مبارك بن محمد بن الأثير الجزري
تصحيح محمد حامد الفقي ط السنه المحمدية ــ القاهرة ١٩٤٩

٤٤ ــ دائرة المعارف الاسلامية ــ
اعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وزميليه ــ ط كتاب السنة.
٤٥ ــ الرسالة القشيرية ــ لابي القاسم عبد الكريم القشيري ــ
محمد صبيح القاهرة ــ ١٩٤٨ م
٤٦ ــ سنن الدارمي ــ لابي محمد عبد الله الدارمي
ط دمشق ١٣٤٩ هـ
٤٧ ــ شرح النووي على صحيح مسلم ــ للامام النووي ــ
المطبعة المصرية بالازهر القاهرة ــ ١٣٤٧ ــ ١٩٢٩ م
٤٨ ــ الطبقات الكبرى للشعراني ــ
ط ــ مصر بدون تاريخ
٤٩ ــ جامع الأحاديث ــ للجامع الصغير وزوائده ــ للامام السيوطي ــ
جمع وترتيب عباس أحمد صقر، واحمد عبد الجواد ــ ط مطبعة خطاب
٥٠ ــ الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية، للدكتور عبد الفتاح بركة ــ
ط مجمع البحوث الاسلامي
٥١ ــ كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي
تحقيق الدكتور عثمان اسماعيل يحيى ــ ط الكاثوليكية بيروت
٥٢ ــ كشف الخفاء ومزيل الالباس، لاسماعيل بن محمد العجلوني ــ
ط القدسي القاهرة ١٣٥١ هـ
٥٣ ــ كنز العمال ــ لعلي المنقى بن حسام الدين الهندي
ط ــ حيدر آباد

٥ ــ فهرس موضوعات الجزء الثالث من كتاب نوادر الأصول

الأصل الثامن والمائتان : في سر شهادة العطاس ٥
الأصل التاسع والمائتان : في النهي عن الجلوس على القبور ٧
الأصل العاشر والمائتان : في أن أبا بكر ــ رضي الله عنه ــ ويومه خير من مؤمن آل فرعون ٩
الأصل الحادي عشر والمائتان : في المصافحة وسرها ١٢
الأصل الثاني عشر والمائتان : في فضل يوم عاشوراء وسر التوسيع فيه ١٤
الأصل الثالث عشر والمائتان : في أن العبد يسأل عن صدق « لا إله إلا الله »، والفرق بين أهل الكلمة وأهل القول بالكلمة ١٦
الأصل الرابع عشر والمائتان : في أن الأمثال من معدن الحكمة ٢١
الأصل الخامس عشر والمائتان : في أن أبا موسى أوتي مزماراً من مزامير آل داود ــ عليه السلام ــ ٣٢
الأصل السادس عشر والمائتان : في بئس العبد من ثمانية أوجه، والتحذير منها. ٣٧
الأصل السابع عشر والمائتان : في سر دعوات أبي ذر، رضي الله عنه، ٤٠
الأصل الثامن عشر والمائتان : في أن العين حق ٤٤
الأصل التاسع عشر والمائتان : في الاستعاذة بالله تعالى ٤٨

الأصل العشرون والمائتان : في أن القلب ملك والأركان عبيد ٥٠
الأصل الحادي والعشرون والمائتان: في أن الوسوسة من برازخ الإيمان ٥٧
الأصل الثاني والعشرون والمائتان : في أن النجوم أمان لأهل السماء، والعلماء أمان للأمة الصديقين أهل بيت النبوة ٦١
الأصل الثالث والعشرون والمائتان : في أخلاق المسافرين ٧٠
الأصل الرابع والعشرون والمائتان : في قوة الإيمان ويسر العمل وهو التأييد والصبر والاستعفاف والاستغناء ٧٧
الأصل الخامس والعشرون والمائتان: في النهي عن إسكان النساء الغرف وتعليمهن الكتابة ٨٢
الأصل السادس والعشرون والمائتان: في أن رأس الحكمة لِمَ صار مخافة الله ٨٤
الأصل السابع والعشرون والمائتان : في حقيقة الفراسة ودواعيها ٨٦
الأصل الثامن والعشرون والمائتان : في تفسير الاستئناس ٨٩
الأصل التاسع والعشرون والمائتان : في أن أهل الغرف في الجنة ومراتب الدرجات ٩٢
الأصل الثلاثون والمائتان : في مراتب أهل الجنة ٩٦
الأصل الحادي والثلاثون والمائتان: في ظن العبد بربه ٩٩
الأصل الثاني والثلاثون والمائتان : في حكمة دعاء الرمد ١٠١
الأصل الثالث والثلاثون والمائتان : في حقيقة الخوف وحقيقة المعرفة ١٠٦
الأصل الرابع والثلاثون والمائتان : في أن الطاعم الشاكر صار بمنزلة الصائم الصابر ١٠٨
الأصل الخامس والثلاثون والمائتان: في أدب شرب الماء. وفوائد كل شربة. وحكمة الشكر والشفاء والوترية ١١٢
الأصل السادس والثلاثون والمائتان: في أن النوم مع الطهر كالصوم مع القيام ١١٦
الأصل السابع والثلاثون والمائتان : في التعوذ بالله من الرغب ١٢٢
الأصل الثامن والثلاثون والمائتان : في سبب زيادة العمر ١٢٥

الأصل التاسع والثلاثون والمائتان :	في خصائص النبي الأمي، وفي سرِّ قوله ﷺ: أعطيت ممَّا...	١٢٨
الأصل الأربعون والمائتان :	في فضل الأمانة	١٥٤
الأصل الحادي والأربعون والمائتان:	في فضيلة غض البصر	١٧٧
الأصل الثاني والأربعون والمائتان :	في فضيلة صوم شهر رمضان	١٨٦
الأصل الثالث والأربعون والمائتان :	في فضيلة الأمور الثلاثة	١٩٥
الأصل الرابع والأربعون والمائتان :	في بيان أقسام القرآن	٢٠٣
الأصل الخامس والأربعون والمائتان:	في التعوذ من النفاق	٢١٠
الأصل السادس والأربعون والمائتان:	في ما يقال عند النوم	٢١٥
الأصل السابع والأربعون والمائتان :	في حسن الخلق	٢٢١
الأصل الثامن والأربعون والمائتان :	في الصبر عند المرض	٢٢٤
الأصل التاسع والأربعون والمائتان :	في مسألة التثبيت للميت عند الدفن	٢٢٦
الأصل المائتان والخمسون :	في بر الوالدين	٢٣١
الأصل الحادي والخمسون والمائتان:	في فضل مشي الرسول عليه السلام	٢٤٥
الأصل الثاني والخمسون والمائتان :	في أن الأشربة من خمس	٢٤٩
الأصل الثالث والخمسون والمائتان:	في أن القرآن مَثَلُهُ كجراب فيه مسك	٢٥٢
الأصل الرابع والخمسون والمائتان:	في سر كلمة التقوى	٢٦١
الأصل الخامس والخمسون والمائتان:	في آية الكرسي وما يحرس به	٢٦٥
الأصل السادس والخمسون والمائتان:	في زمزم واشتقاقه وهي من الجنة	٢٦٩
الأصل السابع والخمسون والمائتان:	في سر الدعاء عند المضجع	٢٧٥
الفهارس العامة		٢٨١
فهرس آيات القرآن الكريم		٢٨٣
فهرس الأحاديث النبوية		٣٠٧
فهرس الاعلام		٣٣٥
مراجع التحقيق		٣٤٣
فهرس الموضوعات		٣٤٩

الأصل الثامن والخمسون والمائتان

في أخلاق المعرفة

عن الحسن (رضي الله عنه) أنه قال: من لم يحفظ هذا الحديث كان نقصاً من مروءته وعقله. قلنا: وما ذاك يا أبا سعيد ؟ قال: فبكى، وأنشأ يحدثنا، فقال: لو أن رجلاً من المهاجرين الأولين اطلع من باب مسجدكم هذا ما أدرك شيئاً مما كانوا عليه، ما أنتم عليه إلا قبلتكم هذه. ثم قال: هلك الناس ثلاثاً: قول ولا فعل. ومعرفة ولا صبر. ونفس ولا صدق. ما لي أرى رجالاً ولا أرى عقولاً،[1] وأرى أجساداً ولا أرى قلوباً،[2] دخلوا في الدين ثم خرجوا، وحرموا ثم استحلوا، وعرفوا ثم أنكروا، وإنما دين أحدهم على لسانه، ولئن سألته: هل تؤمن بيوم الحساب ؟ قال: نعم. كذب ومالِكٍ يوم الدين. إن من أخلاق المؤمن قوة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وشفقة في معة، وحلماً في علم، وقصداً في غنى، وتحملاً في فاقه، وتخرجاً في طمع، وكسباً من حلال،

---

(١) أي أنهم ألغوا عقولهم وساروا خلف شهواتهم وأهوائهم فهم رجال بلا عقول لأنها عطلت فلم تميز بين الحق والباطل وبين النور والظلام.

(٢) قال تعالى: ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾.

وبراً في استقامة، ونشاطاً في هدى، ونهياً عن شهوة، ورحمة لمجهود. وإن المؤمن عياذاً لله، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، ولا يضيع ما استودع، ولا يحسد ولا يطعن، ولا يلعن، ويعترف بالحق، وإن لم يشهد عليه، ولا يتنابز بالألقاب[1] في الصلاة متخشعاً، إلى الزكاة مسرعاً، في الزلازل وقوراً، في الرخاء شكوراً، قانعاً بالذي له، لا يدعي ما ليس له، لا يجمع في القنط، ولا يغلبه الشح عن معروف يريده، يخالط الناس كي يعلم، ويناطق الناس كي يفهم، وإن ظلم أو بغى عليه صبر حتى يكون هو الذي ينتصر له. ثم قال الحسن : وعظني بهذا الحديث جندب بن عبدالله، وقال جندب وعظني بهذا الحديث رسول الله ﷺ. وقال: حق على كل مسلم حفظه وتعلمه.

هذه الخصال كلها من أخلاق المعرفة. فمن ترقى في درجات المعرفة احتظى في كل درجة بخلق من أخلاقها.

قوله: « قوة في دين » فالدين خضوع القلب، وذبول النفس. وكل شيء اتضع لشيء فقد دان له، ومنه سمي الدون. فقيل: هذا دون ذاك. أي تحته وأوضع منه. فانقياد القلب وتوضيع النفس للحق، وهو الدين. فقلب الآدمي كثيف غليظ، ونفسه صفيقة ممتنعة بما فيها من الكبر. فإذا جاءت المعرفة بأنوارها ذابت تلك الكثافة وانتشفت الصفاقة والفظاظة، لان القلب ورقّ الفؤاد. ولذلك قال (عليه السلام): « أتاكم أهل اليمن ألين قلوباً وأرقّ أفئدة ».[2]

---

(١) التنابز بالألقاب اعتبره الله إثماً، وعده فسوقاً قال تعالى: ﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاثم الفسوق بعد الإيمان** ﴾.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث وراجع البخاري في كتاب المغازي رقم ٧٤ والامام مسلم في كتاب الايمان ٨٢ ــ ٨٤ ــ ٩٠ والترمذي في كتاب المناقب ٧١.

وإنما تلين القلوب لرطوبة الرحمة التي جاءت مع المعرفة، لأن المعرفة لا ينالها العبد إلا برحمة الله. فإذا لان القلب برطوبة الرحمة ورق الفؤاد بحرارة النور، ضعف القلب وذبلت النفس، فاحتاج إلى صلابة، فكان من صنع الله تعالى للعبد أن أعطاه من هذه الأنوار الثلاثة حتى دان القلب لله وهو نور الرحمة، ونور الحياة، ونور العظمة. فبنور الرحمة يلين القلب، وينقاد بنور الحياة، ينصب لله عبودة، وبنور العظمة يتصلب ويثبت إذا جاءته أمواج الشهوات ليزيله عن مركزه ومقامه، لأن العبد دعي إلى العبودة، فمن أجاب ولان قلبه، فإنما لان وأجاب بنور الرحمة الذي ناله، والذي لم ينله ذلك قسا قلبه، أي يبس، بمنزلة غصن شجرة يابسة إذا مددته انكسر. فإذا كان القلب رطباً فمددته انقاد وانمال، ثم لما أمر هذا العبد أن يكون منتصباً بين يدي خالقه لعبودته أيد بالحياة في كبده، حتى يتكبد ويقوى للانتصاب. وذلك قوله تعالى: ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾[1].

قال منتصباً فقوة الحياة في الكبد. ومن تلك القوة ينتصب قلبه لله تعالى، ثم يحتاج إلى ثبات عند الزلازل، لأن الشهوات إذا هاجت بأمواجها وهبوب رياحها في عروق النفس وقعت الرجفة في النفس والزلزلة في القلب، بمنزلة سفينة في بحر قد علت أمواجه، فصارت السفينة تتكفأ بما فيها، فكذلك يصير القلب. وإذا صار هكذا وهن وذل، فيحتاج هذا القلب إلى ثبات. فإذا أيد بنور العظمة صلب وثبت.

ولذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ما رزق عبد شيئاً أفضل من إيمان صلب[2].

وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله في الأرض أواني،

---

(١) سورة البلد آية رقم ٤.

(٢) هنا الأثر من الأشياء التي تفرد بها صاحب النوادر

ألا وهي القلوب، وأحبها إلى الله أرقاها وأصفاها وأصلبها[1].

أرقاها للاخوان، وأصفاها من الذنوب، وأصلبها في ذات الله تعالى.

قوله: « وحزماً في لين » فإن اللين يظهر على الأركان. فإذا كان أصله من القلب كان من السكينة. وإذا كان أصله من النفس، كان من الكسل. فإذا كان من الكسل انتشرت أمور دينه ودنياه، وتبدَّدت وضاعت. وإذا كان من السكينة ثقل القلب بثقل السكينة فسكنت الجوارح. وإذا سكنت الجوارح من ثقل القلب ظهر الحزم في الأمور. والحزم هو اجتماع الأمور، فيرى أمر دينه ودنياه كلها محكمة قد جمعت حزمة حزمة.

قوله: « وإيماناً في يقين » فإن الموحدين مَنَّ الله عليهم بنور التوحيد، فوحدوه. ثم للنفس في الأسباب مرتع. فإذا تعلقت بسبب من الأسباب لم تنتقض عقدة التوحيد لأنها معقودة بالعقدة العظمى، وهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ولكن دخل النقص في نوره المشرق في صدر، فصار محجوباً عن الله، وبقي مع الأسباب. فتراه الدهر من خوف الرزق مضطرباً، ومن خشية الخلق ذاهلاً، ومن الطمع فيما لديهم أسيراً، ولا يعمل لله إلا كأجير السوء. فهذا موحد دني سفل، لا يقدر على الوفاء والتوفير لما نطق لسانه، يقول : « الحمد لله على نعمته »، ثم تراه كفوراً في الفعل. ويقول: « الله أكبر »، ثم يتكبر على حق الله. ويقول: « لا إله إلا الله »، ثم تولـه قلبه إلى الأسباب. فتراه عبير أهل الدنيا. ويقول: « لا حول ولا قوة إلا بالله »، ثم يقتدر في الأمور. ويقول: « صلى الله على محمد »، ثم يوهن عرى ما جاء به محمد ﷺ بالسيرة المذمومة والأفعال السيئة، ويقول: « يا رب » ثم ينازعه في تدبيره في ربوبيته،

---

(١) هذا الأثر لا يوجد في الصحاح والسنن ولم يشر له صاحب مجمع الزوائد، ولا السيوطي في الجامع الصغير والكبير ولعله من الأشياء التي تفرد بها صاحب النوادر.

ويقول: « توكلت على الله » ثم يتخذ من دونه أولياء، فيتعلق بهم لنوائبه وحوائجه. ويقول: « فوضت أمري إلى الله » ثم يعرض عن تدبيره ويشتغل بتدبير نفسه. ويقول: « اللهم خر لي » فإذا خار تسخط وتلوى. ويقول: « حسبي الله » ثم تراه يركن إلى كل ظلوم. قال الله تعالى: ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار** ﴾[1].

فهذا مع هذه العقارب قد يسمى باسم الايمان باعترافه وتوحيده وقبوله الإسلام، ولكن الحساب طويل، والعذاب أليم في القبر والقيامة، وعلى الجسر، فيحتاج مع هذا الإيمان إلى يقين. فإذا نال اليقين تخلص من هذه العقارب، وصار موحداً شاكراً لله، خالصاً متواضعاً، والهاً إليه في كل حاجة، مفوضاً، ملقياً نفسه بيديه سلماً، فيتولى الله ويتولاه الله. قد عزّ رسول الله ﷺ ووقره ونصره، واتبع النور الذي أنزل معه. أولئك هم المفلحون.

وقال الحسن البصري[2] (رضي الله عنه): ان عمر (رضي الله عنه) لم يغلب الناس بالصلاة والصوم، ولكن بالزهد واليقين.

وقال بكر بن عبدالله المزني: أن أبا بكر (رضي الله عنه) لم يفضل الناس بكثرة صوم ولا صلاة، وإنما فضلهم بشيء كان في قلبه.

وقال ﷺ: خير ما أُلقي في القلب اليقين.

وقال ﷺ: ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت أمتي[3].

وقال: صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، وفساد آخرها بالبخل

---

(١) سورة هود آية رقم ١١٣.

(٢) سبقت الترجمة له في الجزء الثاني والثالث فليرجع إليهما.

(٣) رواه الامام السيوطي في الجامع الصغير، وقال رواه الحكيم الترمذي عن سعيد بن مسعود الكندي وأشار السيوطي عليه بالضعف.

والأمل. ولا يظهر البخل والأمل إلا من فقد اليقين. ساء ظنهم بربهم فبخلوا وتلذذوا بشهوات الدنيا، فحدثوا أنفسهم بالأماني الكاذبة.

قوله: « حرصاً في علم » قد اتجه على وجهين: وجه منهما أن العلم بحر، فإذا دخله طالبه فتوسطه، فلم ير له ساحلاً ولا منتهى، وسأم فيحتاج إلى حرص يعينه على ذلك، ويذهب بملالته. والحرص إنما صار مذموماً في أمر الدنيا، لأن النفس كلما أعطيت درجة من الدنيا، نزعت إلى أعلى منها، وهو في طلب الدنيا مذموم. ولأنه لا يقنع بما قدر له في اللوح من الرزق الذي قد فرغ الله منه لكل نفس. والحرص في طلب العلم محمود، لأنه يترقى بعلمه بقلبه إلى علام الغيوب. فكلما نال درجة قربت منزلته عند ربه. قال تعالى: ﴿ **والذين أوتوا العلم درجات** ﴾[1].

وقال (عليه السلام): إن يوماً لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله تعالى، لا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم[2].

فالحرص في طلب العلم يرقى بصاحبه. والحرص في طلب الدنيا يحط بصاحبه.

والوجه الآخر من الحرص أنه يحرص على البر والتقوى، فيحتاج ذلك الحرص إلى العلم لئلا يتعدى به حرصه في بره وتقواه إلى السقوط في التهلكة فيبر بما يصير عقوقاً، ويتقي بما يصير وسوسة، ويعمل البر غير مصيب للحق، كما فعل جريج الراهب في بره، وكما فعلت بنو إسرائيل في تقواهم.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ أن جريج

---

(١) سورة المجادلة آية رقم ١١.

(٢) قال السيوطي في الجامع الصغير رواه الحكيم الترمذي وأشار على الحديث بالصحة.

الراهب كان متعبداً في صومعة زمن بني إسرائيل، وكانت له أم تأتيه فتناديه فتقول: « يا جريج »، فيقطع صلاته فيكلمها. فأتته يوماً فجعلت تناديه: « يا جريج »، فجعل لا يكلمها، ولا يقطع صلاته. ويقول: « يا رب أمي وصلاتك » فلا يكلمها. فلما رأت العجوز ذلك جزعت، وقالت: اللهم إن كان جريج يسمع كلامي ولا يكلمني فلا تمته حتى ينظر في أعين المومسات. وكانت راعية وراع يأويان إلى ديره، فوقع بها الراعي فحملت، وكانت أهل القرية يعظمون الزناء إعظاماً شديداً. فلما ولدت أخذوها، فقالوا: ممن ولدت. قالت: من جريج الراهب، نزل فوقع بي فحملت. فأتاه قومه، فنادوه: يا جريج. فجعل يقول: يا رب قومي وصلاتك. وجعل لا يكلمهم. فلما رأوا ذلك ضربوا صومعته بالفئوس، فلما رأى ذلك نزل إليهم فقال: ما لكم ؟ قالوا: ذكرت هذه أنها ولدت منك. فضحك، ثم صلى ركعتين، ثم وضع يده على رأس المولود، فقال: من أبوك ؟ فقال: الراعي الذي كان يأوي معها إلى ديرك. فلما رأى قومه ذلك جزعوا مما صنعوا به وقالوا: دعنا نبني لك صومعتك، ونعيدها لك من ذهب وفضة. فقال: لا، أعيدوها على ما كانت. فقال له قومه: لم ضحكت ونحن نريد ما نريد من القتل والشتم ؟ قال: ذكرت دعوة والدتي ألا أموت حتى أنظر في أعين المومسات. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لو دعت الله أن يخزيه لأخزاه. ولكنها دعت أن ينظر فنظر[1].

قال مجاهد: كان المولود أحد الثلاثة الذين تكلموا في المهد.

عن يزيد بن حوشب الفهري، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث وقد رواه البخاري في كتاب العمل في الصلاة ٧ (١٢٠٦) قال الليث حدثني جعفر عن عبد الرحمن بن هرمز قال: قال أبو هريرة ــ رضي الله عنه قال رسول الله ــ ﷺ ــ وذكره. ورواه الامام احمد في المسند ٢: ٢٠٨ بسنده عن ابي هريرة ايضا

يقول : لو كان جريج الراهب فقيهاً عالماً لعلم أن إجابة أمه من عبادة ربه[1].

عن سعيد بن المسيب قال: جاء عثمان بن مظعون إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، غلبني حديث النفس، فلم أحب أن أحدث شيئاً حتى أذكر ذلك لك، فقال له النبي ﷺ: وما تحدثك به نفسك يا عثمان ؟ قال : تحدثني نفسي أن أختصي. فقال :مهلاً يا عثمان فإن خصاء أمتي الصيام. قال: يا رسول الله فإن نفسي تحدثني بأن أترهب في رؤوس الجبال. قال: مهلاً يا عثمان، فإن ترهب أمتي الجلوس في المساجد انتظاراً للصلاة. قال: يا رسول الله، فإن نفسي تحدثني أن أسيح في الجبال. قال: مهلاً يا عثمان، فإن سياحة أمتي الغزو في سبيل الله والعمرة والحج.[2] قال: يا رسول الله، فإن نفسي تحدثني بأن أخرج من مالي كله. قال: مهلاً يا عثمان فإن صدقتك يوماً بيوم، وتكف نفسك وعيالك، وترحم المسكين واليتيم فتطعمه أفضل من ذلك. قال: يا رسول الله، فإن نفسي تحدثني بأن أطلق خولة امرأتي. قال: مهلاً يا عثمان، فإن الهجرة في أمتي من هجر ما حرم الله عليه، أو هاجر إليَّ في حياتي، أو زار قبري بعد موتي، أو مات له امرأتان وثلاث وأربع. قال: يا رسول الله، فإن نهيتني أن أطلقها فإن نفسي تحدثني بأن لا أغشاها. قال: مهلاً يا عثمان، فإن الرجل المسلم إذا غشي أهله أو ما ملكت يمينه، فلم يكن من وقعته تلك ولد كان له وصيف في الجنة، وإن كان من وقعته ولد فمات قبله كان له فرطاً وشفيعاً يوم القيامة، وإن مات بعده كان له نوراً يوم القيامة. قال: يا رسول الله، فإن نفسي تحدثني بأن لا آكل اللحم. قال: مهلاً يا عثمان، فإني

---

(١) الحديث رواه الحسن بن سفيان والحكيم وابن قانع ورواه البيهقي في شعب الايمان عن حوشب الفهري . ورواه السيوطي في الجامع الصغير وأشار عليه بالضعف.

(٢) هناك حديث رواه النسائي عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه:سياحة امتي الغزو في سبيل الله والعمرة والحج.

أحب اللحم ولآكله إذا وجدته، ولو سألت ربي أن يطعمنيه في كل يوم لأطعمنيه. قال: يا رسول الله فإن نفسي تحدثني بأن لا أمس الطيب. قال: مهلاً يا عثمان، فإن جبرائيل (عليه السلام) أتاني بالطيب غبا، وقال: يوم الجمعة لا مترك له. يا عثمان لا ترغب عن سنتي، ومن رغب عن سنتي فمات قبل أن يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة[1].

وأما تقوى بني إسرائيل فروي عن جامع بن شداد قال: أتيت أبا بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بمكة فقلت: يرحمك الله إذا خرجنا، فأكل بعضنا الخبز وتركه بعضنا كراهية له، فكيف ترى ؟ فقال: أيها الناس، لا تغلوا في دينكم مرتين، حدثني أبو هريرة (رضي الله عنه) أن عيسى بن مريم (عليه السلام) ندب قومه بخبز ولحم وشراب، ثم أرسل إليهم فدعاهم فأقبلوا يمسحون أيديهم بملاء الكتان، باغين، فقالوا: لا نأكل من هذا اللحم؛ لأن كبشه رضع من كلبة، ولا نأكل من هذا الخبز؛ لأن سنبله نبتت في مزبلة، ولا نشرب من هذا الشراب؛ لأن حبله نبتت في مقبرة. قال: فلم ترهم يا ابن أخي حبب إليهم اللحم حتى أنهم ليأكلون الخصي من حبهم اللحم، وإن الفويسقة تقع في إناء أحدهم فيخرجها ويشرب من حبه الشراب، وإنه لا يصلح له شيء إلا بمزبلة. ثم التفت إلى مولى له فقال: ولم يكن من أحب زادنا إلينا الخبز.

عن أبي قلابة قال: بلغ النبي (عليه السلام) أن أناساً من أصحابه احتموا النساء واللحم، فأوعد النبي ﷺ فيه وعداً شديداً حتى ذكر القتل فقال: لو تقدمت فيه لقتلت. ثم قال: إني لم أرسل بالرهبانية. إن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة. وإنما هلكت من قبلكم من أهل الكتاب بالتشديد، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار. اعبدوا الله ولا تشركوا به

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير مختصرا وقال صاحب مجمع الزوائد: وفيه عبد الملك بن قدامة الحجى وثقه ابن معين وغيره وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

شيئاً، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وحجوا واعتمروا، واستقيموا يستقم لكم.[1]

فمحتاج الحريص على البر والتقوى إلى العلم حتى يمسك حرصه عن التعدي، وذلك صدق الحرص الذي قال عبدالله بن مسعود لعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما): يا أمير المؤمنين إن في هذه الأمة من يبلغ عمله في الميزان ما يكون عمل يوم وليلة أثقل من سبع سموات. فقال: بم ذلك يا ابن أم عبد ؟ قال: بصدق اليقين وبصدق الورع، وبصدق الحرص على البر والتقوى.

قولة: « شفقة في معة » فالشفقة تحنن الرأفة، والإكباب على من يشفق عليه، والمعة هي الحاوية، مشتقة من المعاء، معاء البطن. فإذا كانت الشفقة بغير معة انتشرت وفسدت. وإذا كانت في معة كانت الشفقة في حصن، فلم ينتشر ولم يفسد لأن هناك شيئاً يحويها. قال له قائل: وما ذلك الشيء ؟ قال: تعظيم حق الله. فإذا أشفقت على حق الله تعالى كانت تلك الشفقة حاوية لهذه الشفقة فلا ينتشر ولا ينبثق، ولا يتعدى الى الفساد. الا يرى أن أصحاب رسول الله ﷺ جزعوا عند الحدود في مبتدأ أمرهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ **لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾[2].

وجلد عمر (رضي الله عنه) ابنه فقال: يا أبت قتلتني. فقال: إذا لقيت ربك فاخبره أنا نقيم الحدود.

وكُلم رسول الله ﷺ في فاطمة المخزومية حيث أراد قطعها في سرقة

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الأدب رقم ٤٤

(٢) سورة النور آية رقم ٢.

فغضب، فقال: والله لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعتها، ثم نزل من المنبر فقطعها[1].

قوله: « حلماً في علم » فالحلم سعة الخلق. وإذا توسع المرء في أخلاقه ولم يكن له علم، افتقد الهدى وضل؛ لأن توسعه يرمي به إلى نهمات النفس، فيحتاج إلى علم يقف به على الحدود. وإذا كان له علم ولم يكن هناك حلم، ساء خلقه وتكبر بعلمه لأن العلم له حلاوة، ولكل حلاوة شره، فيضيق أخلاقه، ويرمي به ضيق خلقه إلى شره النفس وحدتها، فيكون صاحب عنف وخرق في الأمور، فيضيع علمه.

قال الشعبي: ما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم.

وقيل: الحلم أرفع من العقل؛ لأن الله تعالى تسمى بالحلم، ولم يتسم بالعقل.

عن الحسن (رضي الله عنه): ما سمعت الله نحل عباده شيئاً أقل من الحلم، قال: ﴿ **إن إبراهيم لحليم** ﴾[2] وقال: ﴿ **فبشرناه بغلام حليم** ﴾[3].

فالحلم سعة الخلق، والعقل عقال عن التعدي في أخلاقه. والواسع في

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الحدود ٦ باب الشفاعة في الحدود ٢٥٤٧ ـــ عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ قالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه البخاري في كتاب الأنبياء ٥٤ والمغازي ٥٣ والحدود ١١ والإمام مسلم في الحدود ٩ وأبو داود في الحدود ٤ والترمذي في الحدود ٦ والنسائي في السارق ٦ والدارمي في الحدود ٥.

(٢) سورة هود آية رقم ٧٥.

(٣) سورة الصافات آية رقم ١٠١.

أخلاقه حر عن رق النفس. ولذلك قال عيسى (عليه السلام) لبني إسرائيل: لا عبيد أنقياء، ولا أحرار كرماء.

فالحليم كريم، أينما قدته انقاد. والحليم يحتمل أثقال الأمر والنهي بلا كبد ولا مجاهدة. فكان إبراهيم (عليه السلام) ممن احتمل الأثقال. ابتلي بالنار وابتلي بالهجرة والغربة وابتلي بسارة، وابتلي بالختان، وابتلي بذبح الولد، فجاد بنفسه وولده، فقال الله تعالى: ﴿ **إن إبراهيم لحليم أواه منيب** ﴾[1].

قوله: « قصداً في غنى » القصد القسط. إلا أن القصد في الأفعال والأعمال، والقسط في الأوزان. قال الله تعالى: ﴿ **واقصد في مشيك** ﴾[2]. أي المشي الوسط، لا الوهن الكسلان، ولا السريع العجلان.

وروي أن الرسول ﷺ جاءه ضيف فبينما هو قاعد عنده إذ جاءه الراعي على يده بهمّة قد ولدها فقال له: اذبح شاة، ثم قال للضيف: لا تحسبن أنا من أجلك ذبحنا، ولكن لنا شياه مائة، فإذا ولد الراعي بهمّة ذبحنا مكانها شاة. فهكذا القصد إن الله إذا رزقه اقتصد. قال الله تعالى: ﴿ **فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات** ﴾[3].

قال (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿ **اعملوا آل داود شكراً** ﴾[4]. من كان فيه ثلاث خصال فقد أوتي ما أوتي آل داود: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر، والعدل في الغضب والرضاء.

---

(١) سورة هود آية رقم ٧٥.

(٢) سورة لقمان آية رقم ١٩.

(٣) سورة فاطر آية رقم ٣٢.

(٤) سورة سبأ آية رقم ١٣.

قوله: « تجملاً في فاقة » رأى رسول الله ﷺ رجلاً ثائراً شعره، فقال: لم يشوه أحدكم نفسه ؟ ورأى آخر في ثياب وسخة، فقال: أما يملك هذا ما يغسل ثيابه ؟ وقال: إن الله نظيف يحب النظافة. وقال: نظفوا أفنيتكم فإن اليهود لا ينظفون[1].

فالفقير صاحب الفاقة إذا كان حي القلب صاحب تقوى وجدته في نظافة وهيئة، من نظر إليه لم يوحشه، ومن جالسه لم يثقل عليه ولم يتأذ به، يأخذ شعره ويقلم أظافره، ويغسل أدرانه ويبيض أثوابه، ويتطيب وينظف مجلسه ويكنس بيته. وليس لذلك كثير مؤنة، وإنما يهملها من يهملها لنذالة النفس ودناءتها، لا لأنه لا يجد. والقلب إذا مات لم يلتمس النظافات والطهارات.

وكان رسول الله ﷺ يربط الحجر على بطنه من الجوع، ولا يترك الطيب، ويعاهد أحوال نفسه.

وكان لا تفارقه المرآة والسواك والمقراض في السفر والحضر.

وكان إذا أراد أن يخرج إلى الناس نظر في ركوة فيها ماء فيسوي من لحيته وشعر رأسه، ويقول: إن الله جميل يحب الجمال.

عن مكحول، عن عائشة (رضي الله عنها): فمن أغفل ذلك ورفع البال عن نفسه ساء منظره ووحشت هيئته. فأدخل على إخوانه من المؤمنين الغم والهم من أجله. وكان ذلك كالشكوى إلى العباد من ربه. وإذا تجمل في فاقته كان كالكاتم مصيبته، الشاكر لربه، المتحمد إلى خلقه.

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الأدب باب ٤١ ما جاء في النظافة ٢٧٩٩ عن صالح بن أبي حسان قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وخالد بن إلياس ضعيف.

وروي عن عمران بن حصين (رضي الله عنه) أنه لبس الخز، فقيل له: تلبس الخز. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا أنعم الله على عبده أحب أن يرى أثر ذلك عليه[1].

وقد لبس رسول الله ﷺ ثوباً جديداً، فقال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس[2].

فهذا التجمل في الناس لا للناس، إنما هو لله شكراً له ونشراً للجميل عنه. وإذا أصابته مصيبة سترها وكتمها.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: من كتم مصيبته أربعين يوماً يخرج من الذنوب كيوم ولدته أمه.

وروي عن علي بن الحسين (رضي الله عنه) أنه لدغته عقرب فصبر في ذلك الوجع ليلته إلى الصباح كاتماً له لئلا يعلم به أحد، فلما أصبح أعتق رقبة شكراً لله أن أعطاه الصبر حتى قدر على كتمانه.

والعبد الحي القلب إذا أنعم الله تعالى عليه نعمة نشرها عند خلقه قولاً وفعلاً. وإذا نكب نكبة سترها وكتمها لئلا يرى العباد من أحوال نفسه ما يتحيّر العباد فيه من سوء الحال، لأن الله تعالى معروف بالمعروف. فإذا رأوا سوءًا

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب اللباس ١٤ والنسائي في الزينة ٥٤ وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ١٢٧.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات ٣٥٦٠ حدثنا الأصبغ بن زيد حدثنا أبو العلاء عن أبي أمامة قال: لبس عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ ثوباً جديداً فقال: وذكره. ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من لبس ثوباً جديداً فقال: وذكره ثم قال: « ثم عمد الى الثوب القديم الذي أخلق فتصدق به، كان في كنف الله وفي حفظ الله، وفي ستر الله حياً وميتاً ».

قال الترمذي: هذا حديث غريب ورواه أبو داود في اللباس ١ وابن ماجة في اللباس ٢ والدارمي في الاستئذان ٥٥ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٤٤.

تحيّروا حتى يرجعوا إلى إيمانهم به أنه عدل لا يظلم ولا يجور. ولذلك استرجع أهل المصيبة لأنهم عندما يصابون تأخذهم الحيرة في أول الصدمة، وإذا ذكروا ربهم استرجعوا معنى قولهم: ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾[1]. أي رجعنا إليك من حيرتنا وعلمنا أن ذلك لك، وأن فعلك هذا بنا خير كله.

قوله: « تحرجاً عن الطمع » فالطمع فيما في أيدي الخلق هو انقطاع عن الله. والمنقطع عن الله مخذول خائب لأنه عبد بطنه وفرجه وشهواته. والطمع والرجاء مقترنان إلا أن الرجاء صفة فعله أن يمد القلب عنقه إلى شيء. والطمع وجود القلب طعم ذلك الشيء الذي رجاه، فهذا فتنة.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: نعوذ بالله من طمع يهدي إلى طبع[2].

فالطمع إذا عمل في القلب وتمكن فيه طبع على قلبه، لأنه يوله قلبه إلى الخلق عن الله. فتراه يتملق لهذا ويمدح ذاك في وجهه، ويتبع هذا فيصير كالعبد له. فكم من حق يضيعه، وكم من أمر يسكت عن الحق فيه. فإذا نطق نطق بالهوى. فهذا قلب قد خرب. ولذلك قال الله تعالى: يا داود ما من عبد يعتصم بخلق دوني إلا أسخطت الأرض من تحت قدميه، وقطعت أسباب السماء من فوقه.

وقال الله تعالى لموسى (عليه السلام): من رجا غيري وكلته إليه. ومن وكلته إليه فليستعد للفتنة والبلاء.

قوله: « كسباً من حلال » كل نفس قد فرغ الله من رزقها وأثبته في

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٥٦.

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٥ : ٢٣٢ ثنا محمد بن بشر ثنا عبدالله بن عامر الأسلمي عن الوليد بن عبد الرحمن عن جبير بن نفير عن معاذ بن جبل قال: قال لنا رسول الله ﷺ وذكره. وفيه زيادة [ومن طمع يهدي الى غير مطمع، ومن طمع حيث لا طمع].

اللوح، ثم أنزل بذلك قرآناً فقال: ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها** ﴾[1].

فالمؤمن الموقن قد صار هذا الضمان له معاينة فاطمأن إلى ذلك، ولم يتعد إلى الحرام. والذي ضعف يقينه بغلبة شهواته على إيمانه فيفتتن ويتعدى إلى الحرام والشبهة.

قوله: « براً في استقامة » المؤمن إذا كان لين القلب، رقيق الفؤاد، عطف على الأهل والولد والناس كلهم. فإذا بر وكان بهذه الصفة لم يؤمن أن يزل عن الحق والصواب فيصير البر عقوقاً.

عن إبراهيم النخعي كان يستحب أن يسوي الرجل بين ولده حتى في القبلة.

عن النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ قال: اعدلوا بين أولادكم في النخب كما تحبون أن تعدلوا بينكم في البر واللطف[2].

وعن النعمان بن بشير أن أباه نحله غلاماً، فأتى النبي ﷺ يشهده، فقال: كل ولدك نحلته ؟ قال: لا. قال: فارددهُ[3].

فقوله: « براً في استقامة » شرط وثيق وهو أن لا يمازجه الهوى. والبر والملق قرينان مشتبهان.

قوله: « نشاطاً في هدى » فالنشاط هو انحلال النفس وانبساطها.

---

(١) سورة هود آية رقم ٦.

(٢) الحديث رواه الطبراني في الكبير عن النعمان بن بشير، ورواه السيوطي في الجامع الصغير وأشار عليه بالصحة.

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الهبات ٣ باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة ١٠ عن حميد بن عبد الرحمن ومحمد بن النعمان عن النعمان بن بشير، قال: أتى بي أبي الى رسول الله ﷺ فقال: وذكره.

والأنشوطة هو العقد إذا مددته انحل من غير أن تحله. فإذا عمل العبد عملاً كان من النفس فيه انقباض وكسل. فإذا قارنها الهوى والشهوة نشطت وانحلت فأمر صاحب هذا أن يتفقد حتى يكون نشاط نفسه وانحلالها في هدى، لا في ضلالة.

قال الله تعالى: ﴿ **ويحذركم الله نفسه** ﴾[1]. وقال: ﴿ **واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه** ﴾[2]. أي احذروا أن لا يتلظى عليكم شعاع من نور العظمة فتصير السموات والأرض جمرة واحدة.

فالنشاط يحتاج إلى الهدى كيلا يفوته الحذر، مثل الصبي إذا رأى معلمه انقبض وتطأطأ، فإذا افتقده انبسط وابتش. وكان السلف الصالح ينبسطون إلى أهاليهم وأولادهم وإخوانهم، ويظهرون النشاط في الأمور، ويتفقدون من أنفسهم الوقوف عند الحدود كي لا يرتطموا في النهي.

وقال إبراهيم النخعي: يعجبني أن يكون الرجل في أهله كالصبي، فإذا بغى منه وجد رجلاً. يعني إذا طولب بما لا يجوز في الحق وجد صلباً في دينه.

قوله: « نهياً عن شهوة » فإن النفس ذات شهوات. فإذا أطمعتها في واحدة، طمعت في أخرى، ثم لا يزال كذلك حتى تستمر فتشرد على صاحبها شراد البعير.

وروي عن رسول الله ﷺ: من السرف أن تأكل كل ما شئت.

معناه أن النفس إذا اعتادت هذا من صاحبها استمرت. فإذا منعتها لم تقدر على ذلك.

وعن عكرمة (رضي الله عنه) أن النفس إذا أطمعتها طمعت، وإن آيستها أيست، وإن فوضت إليها ضيعت.

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٢٨.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٣٥.

قوله: « رحمة للمجهود » فالمجهود أصناف: مجهود في المعاش، ومجهود في العبادة، ومجهود في البلاء. فمن شأنه أن يرحم كل هؤلاء.

قوله: « إن المؤمن عياذاً لله » عياذاً لله هو الذي يعيذ عباده من السوء. المؤمن البالغ في إيمانه يعيذ العباد بفضل إيمانه من جوره، فقد أمنه الخلق، وصاروا منه في معاذ، لا يحيف على من يبغض، أي بغضه إياه لا يحمله على أن يحيف عليه. وذلك قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط...** ﴾[1]. الآية.

قوله: « لا يأثم فيمن يحب » أي لا يحمله حبه إياه أن يأثم في جنبه. فإنه إذا كان على غير ذلك كان بغضه لغير الله وحبه لغير الله.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: لا يبلغ العبد ذروة الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله[2].

فمن كان حبه في الله وبغضه في الله لم يحمله البغض على أن يجور، ولا الحب على أن يأثم. ومن أحب وأبغض لهوى نفسه جار على المبغض وأثم في جنب المحبوب. قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم** ﴾[3]. وذلك أنهم لما أرادوا الهجرة امتنع منهم بعض أزواجهم وأولادهم فافتتن بعضهم بالأزواج والأولاد، فأقاموا وتركوا الهجرة. ومنهم من مضى وتركهم. فنزلت هذه الآية فيمن أثم في جنب محبوبه من الأهل والولد.

قوله: « ولا يضيع ما استودع » لأنه يشفق على ما يؤتمن عليه كشفقته على مال نفسه لعظيم قدر الأمانة عنده.

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٨.

(٢) الحديث رواه الطبراني في الأوسط والضياء في المختارة عن أنس رضي الله عنه ــ ورواه السيوطي في الجامع الصغير وأشار عليه بالصحة

(٣) سورة التغابن آية رقم ١٤.

قوله: « ولا يحسد » لأن من عرف الله عرف أنه هو قسم الدنيا بين أهلها بحكمة بالغة. وقال: ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ﴾[1]. ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها. وقال تعالى: ﴿ **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده** ﴾[2]. وقال: ﴿ **وإن يردك بخير فلا راد لفضله** ﴾[3].

فمن أيقن في إيمانه بهذه الكلمات لم يحسد الناس على فضل أوتوا، وقنع بما أوتي.

وروي عن وهب بن منبه (رضي الله عنه)، أن الله (تبارك وتعالى اسمه) كتب التوراة بيده، فيها عشر كلمات أمره بهن: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب الله تبارك وتعالى اسمه، كتبه لعبده موسى، سبِّحني وقدِّسني يا موسى، إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ولا تشرك بي شيئاً، فإني حق القول مني لتلفحن وجوه المشركين النار، وأشكر لي ولوالديك إليَّ المصير، أنسألك في عمرك، وأقيك المتالف، وأحييك حياة طيبة، وأقلبك إلى خير منها، ولا تقتل النفس التي حرمت إلا بالحق، فتضيق عليك الأرض برحبها، والسماء بأقطارها، وتبوأ بسخطي والنار، ولا تحلف باسمي كاذباً ولا آثماً، فإني لا أطهر ولا أذكى من لم ينزهني ويعظم أسمائي، ولا تشهد بما لم تع سمعك ولم يحفظ عقلك ولم يعمد عليك قلبك، فإني واقف أهل الشهادات يوم القيامة على شهاداتهم، ثم أسائلهم عنها سؤالاً خفياً، ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي، فإني أنا الجواد بالعطية، أعطي من شئت، وأمنع من أردت، ولا تنفس عليهم نعمي ورزقي، ولا تمدن عينيك، ولا تتبعه نفسك، فإن الحاسد عدو لنعمتي،

---

(١) سورة هود آية رقم ٦.

(٢) سورة فاطر آية رقم ٢.

(٣) سورة يونس آية رقم ١٠٧.

مضاد لقضائي، ساخط لقسيمي الذي أقسم بين عبادي، ومن يك كذلك فلست منه وليس مني، وأنا منه بريء ولا تزن، ولا تسرق فأحجب عنك وجهي، ويغلق دون صوتك أبواب السماء، ولا تغدر بحليلة جارك، فإنه كبر مقتاً عندي، وأحبب للناس ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ولا تذبح لغيري، فإنه ليس يصعد إليَّ قربان أهل الأرض إلا ما ذكر عليه اسمي، وتفرغ للسبت، وفرغ له آنيتك وأسقيتك وثورك وحمارك ودوابك وجميع أهل بيتك.

وذكر وهب (رضي الله عنه) أن هذه الكلمات العشر التي كتب الله لموسى (عليه السلام) في الألواح مكتوبات في القرآن. وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ **من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾[1].

وقال الله تعالى في الوالدين: ﴿ **أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير** ﴾[2].

وقال في القاتل: ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً** ﴾[3].

قال في الحلف: ﴿ **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم** ﴾[4].

وقال في الشهادة: ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً** ﴾[5].

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٧٢.
(٢) سورة لقمان آية رقم ١٤.
(٣) سورة النساء آية رقم ٩٣.
(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٢٤.
(٥) سورة الاسراء آية رقم ٣٦.

وقال في الحسد: ﴿ **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله** ﴾[1].

وقال في الزنا: ﴿ **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً** ﴾[2].

وقال في السرقة: ﴿ **والسارق والسارقة...** ﴾[3] الآية.

وقال في حليلة الجار: ﴿ **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم** ﴾[4].

وقال في التحاب بين الناس: ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾[5].

وقال: ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾[6].

وقال في الذبائح: ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق** ﴾[7].

وقال في السبت: ﴿ **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾[8].

فمن عادى نعمة الله بحسده، وسخط أمره، وضاد قضاءه، فمعرفته في

---

(١) سورة النساء آية رقم ٥٤.
(٢) سورة الأسراء آية رقم ٣٢.
(٣) سورة المائدة آية رقم ٣٨.
(٤) سورة النساء آية رقم ٢٤.
(٥) سورة الحجرات آية رقم ١٠.
(٦) سورة الفتح آية رقم ٢٩.
(٧) سورة الأنعام آية رقم ١٢١.
(٨) سورة البقرة آية رقم ٦٥.

سجن مظلم وسويداء قلبه لا أدري أتبقى معه حتى يختم له بها أم يسلب فيموت كافراً عدواً لله. وإن تفضل الله عليه بأن يتركها عليه وختم له بها، لا أدري متى ينجو من النار.

قوله: « لا يطعن »، فالطعن قد يكون من الحسد، وقد يكون من الغيرة. والغيرة من إبليس في صدر الآدمي كالعذرة من الآدمي، فحق على كل مؤمن أن يعاف من الغيرة. فإذا طعن فقد هتك الستر. وإنما يطعن في ستر الله. ولو أن رجلاً طعن في ستر ملك من عظماء ملوك الدنيا لخاطر بنفسه وأهلكها، فكيف بستر الله لأن المؤمن في سبعين ستراً من الله.

عن الحسن البصري، عن سلمان، قال: المؤمن في سبعين حجاباً من نور. فإذا عمل خطيئة ثم تناساها حتى يعمل أخرى هتك عنه حجاباً. فإذا عمل كبيرة هتك عنه الحجب كلها إلا حجاب الحياء وهو أعظمها حجاباً. فإن تاب تاب الله عليه، ورد تلك الحجب كلها. فإن عمل خطيئة بعد الكبائر ثم تناساها حتى يعمل أخرى قبل أن يتوب هتك عنه حجاب الحياء، فلم يلقه إلا مقيتاً ممقتاً. فإذا كان مقيتاً ممقتاً نزعت منه الأمانة. فإذا نزعت منه الأمانة، لم يلقه إلا خائناً مخوناً. فإذا كان خائناً مخوناً، نزعت منه الرحمة. فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا فظاً غليظاً. فإذا كان فظاً غليظاً نزعت منه ربقة الإيمان. فإذا نزعت منه ربقة الإيمان لم تلقه إلا لعيناً ملعناً شيطاناً رجيماً.

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: ما من رجلين مسلمين إلا بينهما من الله ستر. فإذا قال أحدهما لصاحبه هجراً هتك ستر الله.

قوله: « لا يلعن » اللعنة إذا خرجت من العبد استأذنت ربها. فإذا صارت إلى من رجمت إليه فلم تجد مساغاً، رجعت إلى ربها فقالت: رب إني لم أجد مساغاً، فأمرت بالرجوع إلى صاحبها.

قوله: « يعترف بالحق وإن لم يشهد عليه » فالمؤمن أسير الحق، يعلم أن الشاهد عليه علام الغيوب. وقد أيقن بما أنزل عليه من قوله: ﴿ **ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه** ﴾[1]. فقد اجتمع على قلبه أمران اثنان. العلم والشهادة. فأخذته هيبة العلم وحياء الشهادة. وقال تعالى: ﴿ **والله يعلم متقلبكم ومثواكم** ﴾[2]. وقال: ﴿ **ألم يعلم بأن الله يرى** ﴾[3] فلا يحوج الموقن بهذا إلى أن يشهدوا عليه، فهو معترف بالحق أبداً له أو عليه.

عن عائشة (رضي الله عنها) عن رسول الله ﷺ، قال: أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، وإذا سئلوا بذلوه، وحكموا الناس كحكمهم لأنفسهم[4].

قوله: « لا يتنابز بالألقاب » فالنبز من شأن البطالين الذين رفعوا عن أنفسهم البال، وشرهت نفوسهم إلى التلذذ بالبطالات، وفي ذلك حقارة للمؤمنين.

وروي عن أبي أمامة (رضي الله عنه) أنه قال له رجل: يا أصلع. فقال: لقد كنت غنياً عن لعنة الملائكة.

وبلغ من تعظيم حق المؤمن أن يكنى ويدعي بالكنية لأن الاسم قد نالته البذلة في صغره، فلما بلغ وحل محل الإجلال جعلت له دعوة طرية مرفوعة عن البذلة، فكنى عن الاسم بشيء آخر تعظيماً له.

---

(١) سورة يونس آية رقم ٦١.

(٢) سورة محمد آية رقم ١٩.

(٣) سورة العلق آية رقم ١٤.

(٤) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٦: ٦٧ ثنا حسن ويحيى بن اسحاق قالا: ثنا ابن لهيعة قال ثنا خالد بن ابي عمران عن القاسم ابن محمد عن عائشة ــ رضي الله عنها عن رسول الله ــ ﷺ ــ انه قال: وذكره، ورواه أيضاً في ٦: ٦٩ (حلبي) بالسند السابق.

وكانت الأعراب لجفائهم ينادون: يا محمد يا محمد يا محمد. فنزل: ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾[1]. فعلموا أن يقولوا يا نبي الله، وكانت كنيته أبا القاسم. ولو دعي بتلك الكنية لكان مدعواً بما قد ابتذل قبل النبوة.

قوله: « في الصلاة متخشعاً » الخشوع من فعل القلب فإذا علم القلب أين قام ولمن قام، تخشع. وإذا استقام القلب، ذلت النفس. وإذا ذلت النفس، هدأت الجوارح.

ولما رأى رسول الله ﷺ رجلاً يعبث بلحيته في صلاته، قال: لو خشع قلبه لخشعت جوارحه.[2]

قوله: « إلى الزكاة مسرعاً » فالسرعة هي من حياة القلب، يعلم ان المال ميال بالقلوب عن الله. فإذا مال القلب عن الله بشيء، نزعت البركة من ذلك الشيء فأمر بالتصدق منه ليظهر صدق إيمانه، بأني لما ملت إلى هذا المال وأحببته ملت عنه إلى الله تعالى بهذه العطية، وبأن أخرجته من ملكي فسميت صدقة، ثم سميت زكاة، لأن المال بسبب هذه العطية عادت إليه البركة فزكى وطهر العبد من الميل عن الله فزكى.

قوله: « في الزلازل وقوراً » الوقار يثقل قلب العبد. فإذا نالته زلزلة بين بلوى وشدة، لم تستفزه ولم يتكفأ يميناً وشمالاً. والوقار إكليل الإيمان.

قال زيد بن أسلم: ان على الحق نوراً، وعلى الإيمان وقاراً.

قال داود (عليه السلام): إلهي دلني على عمل إذا أنا عملته نلت به

---

(١) سورة النور آية رقم ٦٣.

(٢) الحديث رواه السيوطي في الجامع الصغير، وقال رواه الحكيم الترمذي عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه، وأشار على الحديث بالضعف

وقارك. فأوحى الله إليه: يا داود أحبب المؤمنين من أجلي، ولا يزال لسانك رطباً من ذكري، واعمل لي حتى كأنك تراني.

قوله: « في الرخاء شكوراً » لأن وقت الرخاء النفس ساكنة، والقلب مفتوح الباب، مشرق النور، منكشف الغطاء. فإذا تناول النعمة على نور من ربه كان شكوراً. ومن كان في الرخاء شكوراً كان في البلاء صبوراً.

قوله: « قانعاً بالذي له » القناعة ثواب الله العاجل للعبد بما أطاعه، وهي طيب النفس والحياة الطيبة.

قال الله تعالى: ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياة طيبة** ﴾[1] وهي أن يملأ قلبه غنى حتى يكون غنياً بالله أغناه الله.

وقال ﷺ: من استغنى بالله أغناه الله[2].

وقال ﷺ: ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس[3].

عن زيد بن رافع المدني، رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ أنه قال: إن الله أنزل في بعض ما أنزل من الكتب قسماً يقسمه، يقول: وعزتي وجلالي وجمالي وعلوي ودنوي وارتفاع مكاني لمن آثر هواي على هواه لأجمعن له شمله ولأكفينه ما أهمه، ولأجعلن غناه في نفسه، ولأضمنن السموات والأرض رزقه، ولأتجرَنَّ له من وراء تجارة كل تاجر، ولمن آثر هواه

---

(١) سورة النحل آية رقم ٩٧.

(٢) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد في المسند ٤ : ١٣٨ ــ ثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن رجل من مزينة أنه قالت له أمه لا تنطلق فتسأل رسول الله ﷺ كما يسأله الناس فانطلقت أسأله فوجدته قائماً يخطب وهو يقول: وذكره.

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الزكاة ٤٠ باب ليس الغنى عن ورواه الإمام البخاري في الرقاق ١٥ والترمذي في الزهد ٤٠ وابن ماجة في الزهد ٩ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٤٣، ٢٦١، ٣١٥، ٣٩٠، ٤٣٨، ٤٤٣، ٣٩٥، ٥٤٠ (حلبي).

على هواي لأشتتن عليه أمره، ولأجعلن فقره بين عينيه، ولأحضرنه همومه الحاضر منها والغائب والقديم منها والحديث، حتى لا يدري من أين يجيئه ومن أين يأخذه.

وكان حق هذه الكلمة في الاعراب أن يقال قنعاً بالذي له. ولكن الرواة ربما لحنوا في الأداء.

ولذلك قال الحسن البصري: أهلكتهم العجمة. وقيل للحسن: إنك لا تلحن. قال: إني سبقت اللحن، والقانع السائل يقال: قنع يقنع قنوعاً. أي سأل. وقنع يقنع قناعة، أي رضي.
قال الله تعالى: ﴿ **وأطعموا القانع والمعتر** ﴾[1].

وقال الشاعر:

لمال المرء يصلحه فيغني مفاقرة أعف من القنوع

أي من السؤال.

قوله: « لا يجمع في القنط » القنط حرارة الحرص. وإذا جمع كذلك لم يدعه الحرص أن يتورع في مكاسبه.

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « المؤمن كيس فطن حذر وقاف متثبت، لا يعجل، عالم ورع. والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب ليل، لا يبالي من أين كسب وفيم أنفق ».[2]

سئل ابن عباس (رضي الله عنهما) عن أبي بكر (رضي الله عنه) فقال: كان كالخير كله من رجل كان فيه حدة.

---

(١) سورة الحج آية رقم ٣٦.

(٢) سبق الحديث عن هذا الأثر.

وسئل عن عمر (رضي الله عنه) فقال: كان كالطير الحذر الذي يرى أن له في كل طريق شركاً يأخذه.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: من طلب الدنيا حلالاً واستعفافاً على المسألة، وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر. ومن طلب الدنيا حلالاً مفاخراً مكاثراً مرائياً لقي الله وهو عليه غضبان.[1]

قوله: « لا يغلبه الشح عن معروف يريده » الشح أقوى من البخل؛ لأن الشح يدعو إلى أن يأخذ مال غيره وما حرم عليه، ويمنع حقوق الله في ماله. والبخل يدعو إلى أن يمنع المعروف من ماله. والشح إنما هو من شح. والحاء منه مضاعفة. إنما هو شاح يشوح. أدغمت الألف في الحاء فشددت. وقوله: حاش يحوش، هو أن يطرد الصيد من النواحي إلى الصائد. وكذلك الحرص يجمع أسباب المنال إلى ملكه. فالحوش في فعل الظاهر، والشح في فعل الباطن، والبخل والخلب بمعنى، إلا أن الخلب أن يخادع الناس في معاملاته. والبخل أن يخادع ربه في معاملته على المعروف.

قوله: « يخالط الناس كي يعلم » يعني لا يخالطهم مخالطة استرواح إليهم وأنس بهم، ولكن مخالطة خبرة واعتبار وحذر وأخذ بالحزم.

روي عن رسول الله ﷺ أنه كان يسأل الناس عما في الناس. وكان سؤاله على هذه الجهة لا للتجسس.

قوله: « يناطقهم كي يفهم » أي يفهم أحوالهم وأمورهم، لأن الأسرار إنما تظهر بالمناطقة. ولذلك قيل: إنما المرء بأصغريه، وهما القلب واللسان. فإذا ناطقهم عرف كلاً على درجته، ولم يناطقهم لشهوة الكلام

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث

جزافاً، بل يناطق الحكماء ليزداد بالله علماً، والعامة ليفهم أحوالهم.

قوله: « وإن ظلم أو بغى عليه صبر حتى يكون الرحمن هو الذي ينتصر له » الصبر الحبس. ومنه المصبورة، وهو أن ينصب طائراً غرضاً ويرميه. والمؤمن يعرف أن الله عدل، يأخذ من الظالم. فإذا ظلم وجد الله ملياً في الانتصار. وأما في البغي فإن صبر فقد أخذ بباب السلامة. فإن انتصر فقد أثنى الله على المنتصر فقال: ﴿ **وإذا أصابهم البغي هم ينتصرون** ﴾[1]. المنتصر ينتصر لحق الله، لا لنفسه. فإن خاف أن تشركه النفس فيأخذ بحظها فالصبر أسلم.

---

(١) سورة الشورى آية رقم ٣٩.

الأصل التاسع والخمسون والمائتان

في دفع الوسوسة

عن أبي المليح، عن أبيه أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إني أدخل في صلاتي فما أدري على شفع أنفتل أم على وتر من وسوسة أجدها في صدري ؟ فقال رسول الله ﷺ: إذا وجدت ذلك فاطعن اصبعك هذا ـــ يعني السبابة ـــ في فخذك اليسرى، وقل: « بسم الله »، فإنها سكين الشيطان أو مدية الشيطان[1].

ومعناه أن الطعنة بالسبابة مدية الشيطان إذا كان مبتدأها « بسم الله ». والمدية السكين الذي له وجهان. كالخنجر في المقدار. إلا إنها ذات وجهين فبـ« اسم الله » تخلص تلك الطعنة بالسبابة إلى الشيطان، فينال منه فخذه وساقيه حتى يصير مقعداً زمناً. فذلك أن الوسواس جاء صفة في الحديث كيف هو من الآدمي.

عن عثمان بن أبي العاصي (رضي الله عنه) أنه شكا إلى رسول الله (ﷺ) من الوسواس. فقال : ذاك شيطان يُقال له : خنزب. فإذا

---

(١) الحديث رواه السيوطي في الجامع الصغير وقال رواه البزار والديلمي في مسند الفردوس.

أحسست بشيء منه فاتفل عن شمالك ثلاثاً، ثم تعوذ بالله منه[1].

عن أبي ثعلبة الخشني (رضي الله عنه) قال: سألت الله (عز وجل) أن يريني الشيطان ومكانه من ابن آدم، فرأيته يداه في يديه، ورجلاه في رجليه، متشاعب في جسده، غير أن له خطماً كخطم الكلب. فإذا ذكر الله خنس ونكص. وإذا سكت عن ذكر الله أخذ بقلبه[2].

فعلى نحو ما وصف أبو ثعلبة أنه متشاعب في الجسد، أن في كل عضو منه لشعبة منه.

عن عبد الرحمن بن الأسود أنه قال: « بعدما كبر سني وضعفت ما أمنت من الزنا وما يؤمنني أن يدخل الشيطان ذكري فيؤيده ». فهذا القول ينبئك أنه يتشعب في الجسد.

عن الأعمش، عن جثيمة، أنه كان يقول: يقول الشيطان: كيف ينجو مني ابن آدم وأنا في صدره. وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه.

إنما يطير إلى الرأس في وقت الغضب، لأن العقل في الرأس، وإشراقه من الرأس إلى الصدر، لينظر عين الفؤاد بنور العقل، فيميز بين الأمور ويدبر. فإذا رأى الشيطان الغضب قد هاج من الآدمي طار إلى رأسه، حتى يحجب العقل عن أن يشرق في الصدر.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم[3].

---

(١) سبق الحديث عن هذا الأثر

(٢) الحديث رواه السيوطي في الجامع الكبير ونسبه الى الديلمي في مسند الفردوس وابن عساكر

(٣) الحديث رواه الإمام البخاري في ٣٣ كتاب الاعتكاف ١١ باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه عن الزهري عن علي بن حسين: كان النبي ﷺ في المسجد وعنده أزواجه، =

فمجرى الدم هي العروق المشتملة على جميع الجسد، فدل هذه الأحاديث أن الشيطان متشاعب في الجسد، ثم سلطانه ومقعده في الصدر وقت الوسوسة.

عن يحيى بن أبي كثير قال: الوسواس له باب في صدر ابن آدم يوسوس إليه منه.

عن وهب بن منبه إن إبليس وضع ابناً له بين يدي حواء وقال: اكفليه. فجاء آدم (عليه السلام). فقال: ما هذا يا حواء. قالت: جاء عدونا إبليس بهذا وقال لي: اكفليه. فقال: ألم أقل لك: لا تطيعيه في شيء، هو الذي غرنا حتى وقعنا في المعصية، وعمد إلى الولد فقطعه أربعة أرباع، وعلق كل ربع على شجرة غيظاً له. فجاء إبليس فقال: يا حواء أين ابني ؟ فأخبرته بما صنع آدم (عليه السلام). فقال: يا خناس. فحيى، فأجابه، فجاء به إلى حواء وقال: اكفليه. فجاء آدم (عليه السلام)، فحرقه بالنار، وذر رماده في البحر. فجاء إبليس (عليه اللعنة) فقال: يا حواء أين ابني ؟ فأخبرته بفعل آدم به، فذهب إلى البحر، فقال: يا خناس، فحيى فأجابه، فجاء به إلى حواء الثالثة، وقال: اكفليه. فنظر إليه آدم فذبحه وشواه وأكلاه جميعاً، فجاء إبليس فسألها، فأخبرته حواء، فقال: يا خناس، فحيى فأجابه. فجاء به من جوف آدم وحواء. فقال إبليس هذا الذي أردت، وهذا مسكنك في صدر ولد آدم. وهو ملتقم قلب ابن آدم ما دام غافلاً يوسوس. فإذا ذكر الله لفظ قلبه وانخنس .

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: الشيطان ملتقم قلب ابن

= فرحن فقال لصفية بنت حيي لا تعجلي حتى أنصرف معك وكان بيتها في دار أسامة، فخرج النبي ﷺ معها فلقيه رجلان من الأنصار، فنظرا إلى النبي ﷺ ثم أجازا فقال لهما النبي ﷺ تعاليا، إنها صفية بنت حيي فقالا: سبحان الله يا رسول الله قال: وذكره، ورواه الدارمي في كتاب ٢٠ ب ٦٦.

آدم. فإذا ذكر الله خنس عنه. وإذا نسي الله التقم قلبه[1].

وأما التفل الذي أمر رسول الله ﷺ به أن يتفل عن يساره فإن التفلة واصلة إلى وجه الشيطان فيصير قروحاً، وكذلك رمي الجمار، إنما يرمى رأس الشيطان ومطلعه حيث طلع لآدم (عليه السلام). ثم لخليل الله (عليه السلام) فبقيت سنة، لأن تلك الطلعة منه كائنة لكل مسلم حاج. فإذا رمي الجمار شدخ رأسه وطلعته حتى يختسئ. وإنما أمر بسبع حصيات لأنه اطلع رأسه من سبع أرضين ونفسه موثقة في سجين، ولذلك سجنه تحت الأرض السابعة. فبكل حصاة يختسئ في الأرض حتى يبلغ خسئاته بالحصاة السابعة الأرض السابعة إلى مستقره. فكذلك التفلة مع تعوذك بالله يرد الذي جاء به من النزعة والوسوسة كالنار إلى وجهه، فيحرق فيصير قروحاً.

وروي عن الربيع بن خيثم أنه قصت عليه رؤيا منكرة وذلك أنه أتاه آت فقال: إني رأيت في المنام كأن قائلاً يقول: أخبر الربيع أنه من أهل النار. فتفل عن يساره ثلاثاً، وقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فرأى ذلك الرجل في منامه في الليلة الثانية كأن رجلاً جاء بكلب فأقامه بين يديه، وفي عنقه حبل، وعلى جبهته قروح، فقال: هذا ذلك الشيطان الذي أراك في منامك رؤيا الربيع. وهذه القروح تلك التفلات الثلاث التي كانت منه.

---

(١) الحديث رواه السيوطي في الجامع الكبير ونسبه الى الطبراني في الكبير والديلمي في مسند الفردوس.

الأصل المائتان والستون

في أن كمال المرء في سبع

عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام[1].

كمال المرء في العلم والحق والعدل والصواب والصدق والأدب واللبق. وذلك أنه إذا لم يعلم فهو جاهل بأمر الله. فإذا علم أمر الله احتاج أن يكون محقاً، فيعمل بذلك العلم. فإذا عمل بذلك العلم احتاج إلى إصابة الصواب في ذلك العمل، بأن لا يكون في غير وقته، كالصلاة عند

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الأنبياء ٣٢ باب قول الله تعالى [١١ التحريم] وضرب الله مثلاً للذين ضامنوا امرأة فرعون الى قوله تعالى: ﴿ **وكانت من القانتين** ﴾.
٣٤١١ ــ عن شعبة عن عمرو بن مرة الهمداني عن أبي موسى ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. وقد أخرجه الطبراني عن يوسف بن يعقوب القاضي عن عمرو بن مرزوق عن شعبة بالسند المذكور هنا، وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عمرو بن مرة أحد رواته عند الطبراني بهذا الإسناد، وأخرجه الثعلبي في تفسيره من طريق عمرو بن مرزوق به، وقد ورد من طريق صحيح ما يقتضي أفضيلته خديجة وفاطمة على غيرهما. رضي الله عنهما.

طلوع الشمس، وترك إجابة الأم في الصلاة، والغزو بغير إذن أبويه. وقبل ذلك احتاج إلى العدل بأن يكون يريد به وجه الله في ذلك العمل. فإذا عدل احتاج إلى الصدق أن لا يلتفت إلى نفسه، فيوجب لها ثواباً فتحتجب عنه المنة، فيصير معجباً. فإذا صدق العبودة احتاج إلى الأدب حتى يعمله كأن الله يراه بوقار وسكينة وهيبة ويقظة. فإن الأدب بساط العمل. وإذا قام الأدب احتاج إلى اللبق. وإنما يدرك اللبق بحياة القلب بالله. فهذا الكامل، لأنه يعمل على المشاهدة على بصيرة. قال الله تعالى: ﴿ **بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره** ﴾[1]. أي لا يقبل عذره لأنه أعطي البصيرة فأعماها بهوى النفس، والبصيرة للقلب من نور معرفة الفطرة. والعمى من دخان النفس وحريق الشهوات وظلمتها.

ثم مَنَّ الله على مختاريه من ولد آدم من كل الف واحد، فوضع فيه الخير حتى صار مختاراً، ثم منَّ عليه بنور التوحيد، وفي جوف ذلك النور نور المحبة. فلما وجدت النفس حلاوة نور المحبة رفضت حلاوة عبادة الأوثان، وقبح عنده الشرك، وقويت بصيرته، فهتكت كل حجاب بينه وبين ربه، وصدرت أعماله من صدره إلى الأركان على مشاهدة النفس ومعاينة القلب محل المقادير والقضاء من ملك الجبروت. وذلك قوله تعالى: ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾[2].

فلم يجعل الدعاء على بصيرة إلا لتابعي محمد ﷺ. وتابعوه من هاجر عما نهى الله عنه، ونصر الحق في كل موطن، وكان له السبق. فهذا عبد قد رضي الله عنه، وأعطاه حبه فأحبه، فاحتدت بصيرته حتى انتهت إلى المقام بين يدي الله، فباطن الأشياء له معاينة كظاهر الأشياء لأهل الغفلة.

---

(١) سورة القيامة آية رقم ١٤، ١٥.

(٢) سورة يوسف آية رقم ١٠٨.

قال رسول الله ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله[1].

وقال ﷺ في الحديث الذي يأثره عن جبرئيل (عليه السلام) عن الله تعالى إنه قال: « ما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء فرائضي، وإنه ليتقرب إليّ بعد ذلك بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر، ولسانه الذي به ينطق، ويده التي بها يبطش، ورجله التي بها يمشي، وفؤاده الذي به يعقل، فبي يستعمل هذه الأشياء »[2].

فإذا أدى الفرائض، وهو إقامة الأمر والنهي، فقد هاجر، وإذا تنفل بعد إقامة الأمر والنهي فقد نصر الحق. وإذا قطع العلائق نال السبق لأنه قد انفلت من المتعلقين فعاد إلى ربه، فهذا التابع بإحسان. قال الله تعالى: ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه..** ﴾[3].

فالسبق والأولية في كل أمر وعمل لهذه الطبقة التي هاجرت عن الآثام ونصرت الحق، فهم أهل الرضاء ومحبو الله؛ لأنهم اتبعوا رأس المحبين محمداً ﷺ، فنالوا من تلك المحبة التي أعطى محمد ﷺ وقال في

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب الرقاق ٣٨ باب التواضع ٦٥٠٢ حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي تمر عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله ــ ﷺ ــ وذكره قال ابن جحر هذا حديث غريب جداً لولا هيبة البخاري لعدوه في منكرات خالد فإن هذا المتن لم يرو إلا بهذا الاسناد ولا خرجه من عدا البخاري ولا أظنه في مسند احمد قلت: ليس هو في مسند أحمد جزماً. راجع فتح الباري ١١: ٣٤١ــ ٣٤٢

(٢) سبق تخريج هذا الحديث.

(٣) سورة التوبة آية رقم ١٠٠.

تنزيله: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم** ﴾[1]. فجعل اتباع محمد ﷺ علماً لمحبة الله. فمن اتبعه صدقاً نال حبه صدقاً.

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ، في قوله تعالى: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله...** ﴾[1]. قال: على البر والتقوى والتواضع وذلة النفس.

فالبر والتقوى هو الهجرة التي ذكرناها. والتواضع هو السبق، لأن من تواضع رفعه الله، وذلة النفس نصرة الحق.

قال له قائل: وكيف صار نصرة الحق في النوافل دون الفرائض ؟ قال: إن نصرة الحق منه في الفرائض منكمنة. لأنه إن ترك الفرائض فخوف الوعيد يحمله على القيام بها. فما دام يؤدي الفرائض فهو ناصر للحق، ولكن النصرة منكمنة، لأنه ربما أداها من خوف العقاب والوعيد. فإذا تنفل فقد انكشفت النصرة لأنه يعمل لا من خوف الوعيد، إنما يريد أن يتودد ويتقرب ويتحبب إلى ربه. ألا ترى أنه قال في حديثه: « وإنه ليتقرب إليّ بعد ذلك بالنوافل حتى أحبه ». فإنما أوجب له حبه بما تحبب إليه بالنوافل، فقد تقرب العبد بالفرائض وتحبب، ولكن كان ذلك منه منكمناً؛ لأن خوف الوعيد قد مازجه، فبالنوافل ظهر ما كان منكمناً، فأظهر له حبه، فأوجبه له.

عن جابر (رضي الله عنه) قال: جاء العباس إلى رسول الله ﷺ وعليه ثياب بيض، فتبسم رسول الله ﷺ في وجهه. فقال: يا رسول الله ما الجمال ؟ قال: صواب القول بالحق. قال: فما الكمال ؟ قال: حسن الفعال بالصدق[2].

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٣١.

(٢) هذا الأثر لعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر وليس له أثر في كتب الصحاح.

عن مجاهد، عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، عن النبي ﷺ بمثله، غير أنه زاد فيه: فرآه تبسم فقال: ما يضحكك يا رسول الله، أضحك الله سنك ؟ قال: يضحكني جمالك. قال: وما الجمال يا رسول الله ؟ فذكر بقية الحديث.

فهذا الكمال موجود في الرجال بفضل العقول وتفاوتها، لأن المعرفة مع القعل، والنساء منقوصات في العقل. ولذلك صارت شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل.

فأما مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم فإنهما برزتا على النساء بما أعطيتا فكملتا. قال له قائل: فماذا أعطيتا حتى كملتا ؟ قال: أعطيتا السبيل إلى الوصول إلى الله، ثم الاتصال به، وذلك ما ندب الله إليه عبادة المؤمنين فقال: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون** ﴾[1].

وفيما قص الله علينا من نبأهما دليل على كمالهما من قوله: ﴿ **ضرب الله مثلاً** ﴾[2]. أي صفة للذين آمنوا ليتمثلوه، فيطلبوا هذا المثال من أنفسهم، ﴿**امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة**﴾[3]. والعند في اللغة أقرب القرب بين يديه. فسألت ربها مستقراً بين يديه في داره في مكان القربة، فلم تسأل ذلك إلا وقد طالعت نور القربة، ثم قالت : ﴿**ونجني من فرعون وعمله** ﴾[4].

سألت أن يخلصها من سلطان فرعون، حتى لا يجتمعا في شأن البضاع على رائحة الشرك. ولذلك حرم الله على المؤمنين مشركات النساء حتى لا يجتمع رائحة التوحيد مع رائحة الشرك، وأباح نساء أهل

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٣٥.

(٢) سورة التحريم آية رقم ١٠، ١١.

(٣) (٤) سورة التحريم آية رقم ١١.

الكتاب لأنهن من الكفار غير مشركات. ثم قال: ﴿ **ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه** ﴾[1].

فالتصديق بالكلمة أعظم الأشياء، لأنها لم تعاين الملائكة، وإنما سمعت صوت البشرى: ﴿**إن الله يبشرك بكلمة منه**﴾[2]. فصدقت ولم تردد، فسماها الله « صديقة » في تنزيله فقال: ﴿ **وأمه صديقة** ﴾[3].

فبالاتصال بلغ العباد أعلى منازل الصديقين، فلا ينالهم في أمر الله حيرة. ألا ترى أن سارة لما بشرت بإسحق كيف اضطربت حتى أنكرت الملائكة من قولها : ﴿ **إن هذا لشيء عجيب. قالوا أتعجبين من أمر الله** ﴾[4]. فتبين ههنا منها نقص، وتبين الكمال من مريم، حيث بشرت بالكلمة من قوله : ﴿ **إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين** ﴾[5].

فعندها قالت : « **رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر** ﴾[6]. فإنما سألت من أين هذا الولد ؟ لأنه قد جاءها من أمر الله ما ليس في البشر مثله. والذي جاء من أمر سارة ليس بمستنكر، قد يكون مثله في البشر. ألا ترى أنه لما جاء الولد من إبراهيم وسارة، لم يفتتن الخلق به، ومجيء عيسى (عليه السلام) فتنة على المفتونين.

---

(١) سورة التحريم آية رقم ١٢.
(٢) سورة آل عمران آية رقم ٤٥.
(٣) سورة المائدة آية رقم ٧٥.
(٤) سورة هود آية رقم ٧٢، ٧٣.
(٥) سورة آل عمران آية رقم ٤٥.
(٦) سورة آل عمران آية رقم ٤٧.

الأصل الحادي والستون والمائتان

في أخلاق الله المائة والسبعة عشر

عن عبدالله بن راشد، قال: حدثني مولاي عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله مائة وسبعة عشر خلقاً. من أتى بواحدة منهن دخل الجنة[1].

وعن مروان، يقول: سمعت عثمان بن عفان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن لله تعالى مائة وسبعة عشر خلقاً، من جاء بخلق منها دخل الجنة بغير حساب. فقلنا: بينها لنا. قال: كظم الغيظ، والعفو عند المقدرة، والصلة عن القطيعة، والحلم عند السفه، والوقار عند الطيش، ووفاء الحق عند الجحود، والإطعام عند الجوع، والعطية عند المنع، والإصلاح عند الفساد، والتجاوز عن المسيء، والعطف على الظالم، وقبول المعذرة، والإبانة للحق، والتجافي عن دار الغرور، وترك التمادي في الباطل، الا وليس في أخلاق الله شيء أحب إليه من الجود والكرم. فإذا أراد الله بعبد خيراً وفقه لأخلاقه فتخلق بها، وإذا أراد الله بعبد شراً خلى

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث ورواه السيوطي في الجامع الكبير وقال رواه الحكيم الترمذي وأبو يعلى في مسنده، والبيهقي في شعب الايمان عن عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه.

بينه وبين أخلاق إبليس، وإن من أخلاق إبليس أن يغضب فلا يرضى، وأن يسمع فيحقد، وشراهية النفس وهنتها، وأخذ ما ليس لها، ونزقها إلى اللهو والباطل. إلا وإن إبليس ليس هو على أحد أشد منه على القراء الذين هم عند أنفسهم قراء لا يزال فيما بينهم يذهب ويجيء حتى يورث بينهم العداوة والبغضاء. فلو قلت حقاً ما أقل من يجتمع منهم غداً في الآخرة، إلا قوم عطف بعضهم على بعض، وتركوا الحقد والغضب، وألحوا في الطلبة إلى الله أن يقبلهم ويقبل معذرتهم.

قال أبو عبدالله: فالأخلاق موضوعة في الطبع، ومعقلها في الصدر. ومثل ذلك مثل ملك له خزانة وقواد ومملكة، فإن كانت الخزانة قليلة كنوزها وكورته صغيرة، ضاق بهؤلاء القواد، وقال بعضهم لبعض: هذا ملك له اسم الخزانة والكنوز، وليس لكنوزه مادة يجري علينا ويعيننا حتى نتخذ عدة للعدو الذي بمرصد منا ومن ملكنا هذا، وليست له مملكة فسيحة تنتشر فيها فيأخذ كل قائد منا ناحية من المملكة، فيدبر أمر الملك في أهل ناحيته، فتعالوا ننتقل عن هذا إلى ملك لمملكته فسحة ومنتشر فنتسع في نواحيها، فيقود الجيوش إلى أعمالنا، فإن العدو بمرصد، ولا نأمن أن ينتهز منا فرصة، فالملك هو القلب، وخزانته جوف القلب، فيه كنوز المعرفة وجواهر العلم بالله، والعقل وزيره، والصدر فسحته وساحته ومملكته، والأخلاق قواده، والأركان رعيته ونواحيه، وهي الجوارح السبع. فهؤلاء القواد هم الأخلاق في الصدر، قواد الملك، قيام بين عيني الفؤاد، والعقل شعاعه يشرق بين عيني الفؤاد، يدبر أمر القلب، والنفس في الجوف رابضة في مكانها، تطلب الملك، وترصد لإنتهاز الفرصة ليخرج على الملك لأن شهوة الإمرة فيها، والهوى بباب النفس يتلهف عطشاً، ويتلظى بين يدي بصيرة النفس، وذلك قوله تعالى: ﴿ **إن النفس لأمارة بالسوء** ﴾[1]. وهي أبداً في طلب الإمارة لتتملك وتتأمر على الجوارح.

---

(١) سورة يوسف آية رقم ٥٣.

فإذا خطرت الخاطرة في الصدر بين عيني الفؤاد، نظر العقل، فإن رآها حسنة وأمراً رشيداً قدر ودبر ماذا يُراد ؟ وكم يُراد ؟ ومتى يُراد ؟ وإلى متى يراد ؟. وإن رآها سيئة وغياً نفاها من الصدر. ففي هذا الوقت للنفس منازعة مع القلب، والهوى مع العقل في هذه الخاطرة، النفس تشتهي، والهوى يزعج النفس ويشجعها، والعدو يزين، ويمني، ويغر. فإذا جاء مدد الأخلاق بطل تزيين العدو وأمانيه، وانكشف غروره، وأدبر الهوى قهقرى، وجاء مدد كنوز المعرفة، ومد الملك يده إلى جواهر العلم بالله في الخزانة، فانمحقت المخاطرة وأسبابها، وجنودها، وأعوانها، فإن الخاطرة كانت طليعة النفس والهوى والعدو. هذا إن كانت خاطرة الغي. وإن كانت رشداً كانت طليعة الحق عز هذا الملك ومنعته، وقوام مملكته بهذه الكنوز، وهؤلاء القواد، وهي الأخلاق التي أحدقت بالقلب. فإذا دبر العقل وقدر ما رآه حسناً أمضاه القلب، لأن محاسن الأخلاق كائنة في الطبع، والنفس تتماسك في الأمر، وتنقاد للقلب بالطبع. فإذا كان الخلق بالطبع ظهر ذلك الخلق وسلطانه في الصدر حتى يقوى القلب به، فيخرج من الصدر إلى الأركان ذلك الخاطر الذي قدره العقل فعلاً حسناً مقدراً مدبراً في يسر بلا عسر، ولا تلجلج، ولا تردد، ولا تقديم ولا تأخير، ولا غلو، ولا تقصير، ولا التفات إلى رشوة النفس من طريق الثواب والعلائق، لأن الأخلاق تصيِّر النفس حرة سخية، وسخاوتها حريتها. والسخاء والخساء بمعنى واحد. إلا أن الخساء هو البعيد من الأشياء. والسخاء هو انفراد النفس من الشيء وعتقها من رقها، والخسا والزكا هما ضدان. والخسا الفرد، والزكا الزوج، وهما مقصوران غير ممدودين. فجميع محاسن الأخلاق تؤول إلى الجود والكرم والسخاء. فإذا سخت النفس تكرمت. وإذا تكرمت جادت.

فأخلاق الله تعالى أخرجها لعباده من باب القدرة، وخزنها للعباد في الخزائن، وقسّمها على أسمائه الحسنى، وأمثاله العليا. فإذا أراد

بعبد خيراً منحه منها خلقاً ليدر عليه من ذلك الخلق فعلاً حسناً جميلاً بهياً، فجبله في بطن أمه على ذلك الخلق. وإذا لم يكن مجبولاً بذلك الخلق في بطن أمه قدر له علم ذلك وحسنه وبهاءه، ليتخلق العبد بذلك. وتخلقه أن يحمل نفسه على فعل ذلك الخلق حتى تعتاد نفسه ذلك.

وروي عن وهب بن منبه أنه قال: « من داوم على خلق أربعين يوماً صار ذلك له خلقاً ». أي بقي معه ذلك. ولا يكون أصلياً لأن المجبول عليه منحة الله تعالى وهديته. وإذا أهدي له ثبت له ذلك، وكانت نفسه معجونة بذلك الخلق، والرب لا يرتجع في هديته.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: من أدرك التكبيرة الأولى في صلاة الجماعة أربعين يوماً كتب له عتق من النار[1].

عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: من صلى أربعين يوماً في جماعة لا تفوته الركعة الأولى كتب له عتق من النار[2].

---

(١) (٢) الحديث رواه الترمذي في أبواب الصلاة باب ٦٤ ما جاء في فضل التكبيرة الأولى ٢٤١ عن طعمة بن عمرو عن حبيب بن أبي ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

قال الترمذي: وقد روي هذا الحديث عن أنس موقوفاً ولا أعلم أحداً رفعه إلا ما روى سلم بن قتيبة عن طعمة بن عمرو عن حبيب بن أبي ثابت عن أنس، وإنما يروى هذا الحديث عن حبيب بن أبي حبيب الجبلي عن أنس بن مالك. وروى إسماعيل بن عياش هذا الحديث عن عمارة بن غزية عن أنس بن مالك عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ نحو هذا.

وقال الترمذي: وهذا حديث غير محفوظ، وهو حديث مرسل، وعمارة بن غزية لم يدرك أنس بن مالك.

قال محمد بن إسماعيل: (حبيب بن أبي حبيب يكنى « أبا الكشوتى » بفتح الكاف وضم الشين المعجمة ثم سكون الواو ثم تاء مثلثة مقصور) ويقال: أبو عميرة.

فهذا إذا صار المشي إلى جماعة أربعين يوماً خلقاً، فكذلك سائر الأخلاق. لأن الأخلاق احتمال أثقال المكاره. والمشي إلى الجماعة احتمال مكروه، لأنه لو شاء صلاها في بيته. فلما أمر بالمشي إلى الجماعة احتمل أثقال المكروه، فقدر له رسول الله ﷺ مقدار أربعين يوماً ليصير له خلقاً ويسقط عنه الأثقال، لأن سوء الخلق في طلب الراحة. وإن هذه الأخلاق تفضل الله بها على عبيده على قدر منازلهم عنده، فمنح أنبياءه منها، فمنهم من أعطاه منها خمساً، ومنهم من أعطاه منها عشراً أو عشرين وأكثر من ذلك وأقل. فمن زاد منها ظهر حسن معاملته ربه، وحسن معاملته خلقه على قدر تلك الأخلاق. ومن نقصه منها ظهر عليه ذلك. ولذلك ابتلي يونس (عليه السلام) بما ابتلي به حتى صار ذنباً وسجنه في بطن الحوت حتى طهره وجعل ما حل به موعظة للموحدين. وإنما سماه آبقاً في تنزيله : ﴿ **أبق إلى الفلك المشحون** ﴾[1]. لتضايق أخلاقه، وترك احتمال أثقال الخلق في ذات الله تعالى، فعتب الله عليه ثم اجتباه بعطفه ورحمته، وهذبه بكرمه.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق[2].

فأنبأنا في قوله هذا أن الرسل قد مضت ولم تتمِّم هذه الأخلاق، كأنه بقيت عليهم من هذا العدد بقية، فأمر أن يتممها، فأعلمنا في قوله هذا أن تلك الأخلاق التي كانت في الرسل فيه، ثم هو مبعوث لإتمام ما بقي منها، ليقدم على الله بجميع أخلاقه التي ذكرناها مائة وسبعة عشر خلقاً. فلا يجوز لنا أن نتوهم عليه أنه بعث لأمر فقدم على ربه وهو غير متمم

---

(١) سورة الصافات آية رقم ١٤٠.

(٢) الحديث رواه صاحب الموطأ في كتاب حسن الخلق ٨ ــ وحدثني عن مالك أنه قد بلغه أن رسول الله ﷺ قال: وذكره، وفيه « حسن » بدلاً من « مكارم ».

قال ابن عبد البر: هو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره.

له. ومن أشرق في صدره نور اسم من أسماء الله، كانت له تلك الأخلاق التي لذلك الاسم. هذا للمجبولين. ومن تخلق بذلك الخلق ولم يكن جبل عليه كان تخلّقه طهارة لصدره وقلبه من دنس الخلق السيِّئ الذي هو ضد هذا الخلق. فإذا تطهر من سيِّئ الأخلاق لتخلقه بمحاسن الأخلاق بجهد وكد شكر الله له ذلك، فوجد قلبه طريقاً إلى ذلك الاسم، وذلك قوله تعالى: ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾[1]. أحسن الله أخلاقه جهداً، فكان الله معه بالتأييد والنصرة والعون، حتى تمت المجاهدة، فشكر الله له ذلك، فهداه السبيل إليه بأن كشف عنه السوء حتىٰ أشرق في صدره نور ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض** ﴾[2].

وإذا كشف السوء صلح للخلافة في دينه، ووجب عليك طاعته، وذلك قوله تعالى: ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾[3].

فلذلك قيل في حكمة الحكماء المعروفة في صفاء الأخلاق وطهارة القلب. فإذا طهر القلب من الريب، وصفت الأخلاق من الدنس والكدورة، نال العبد المعرفة التي في القربة، والوصول إلى ربه. فإذا وصل القلب إلى ربه، دان له، فعندها أصاب الدين الذي يدين الله به.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: « الخلق وعاء الدين »[4]. رواه أنس بن مالك (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة العنكبوت آية رقم ٦٩.

(٢) سورة النمل آية رقم ٦٢.

(٣) سورة المائدة آية رقم ٩٢.

(٤) الحديث رواه الديلمي عن عدي بن أبي حاتم وذكره صاحب جامع الشمل في باب الخلق والتخلق.

فالدين هو خضوع القلب، مشتق من الدون الوضوع. فإذا تواضع القلب وخشعت النفس وألقت بيديها لله سلماً، فذلك دين العبد. فإذا أمره بأمر ائتمر. وإذا نهاه، انتهى. وإذا قسم له من الدنيا، قنع. وإذا حكم عليه بحال، رضي محبوباً كان أو مكروهاً. فهذه عبودة العبد. وإنما قدر العبد على إقامة العبودة في هذه الأشياء بخشعة النفس، وخضعة القلب وتواضعه. فذلك دينه. وإنما قال: « الخلق وعاء الدين » لأن ذلك الخلق إذا كان للعبد مثل الجود والسخاء والكرم، كانت النفس حرة من رق الهوى، والقلب حراً من رق النفس، فهان عليه التواضع والخضوع لله، والقناعة بما قسم، والرضاء بما حكم، والائتمار بأمره، والانتهاء عن نهيه. وإنما يسر عليه إقامة الدين من أجل ذلك الخلق. فإذا كان للعبد ذلك الخلق، كان وعاء لدينه من ذلك الخلق، يخرج له الدين، وهو الخضوع والخشوع، وبذل النفس لله، واحتمال أثقال المكروه. ولما كان هذا الإسلام أشرف الأديان أعطاه أقوى الأخلاق وأشرفها وهو الحياء.

عن الزهري، عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « إن لكل دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء »[1].

والحياء أصله من الحياة. فإذا حيى القلب بالله استحيى، وكلما ازداد حياة بالله ازداد حياء منه. ألا ترى أن المستحيي يعرق في وقت الحياء، فعرقه من حرارة الحياة التي هاجت من الروح، فمن هيجانه يفور الروح بتلك الحرارة فيعرق الجسد منه، ويعرق منه ما علا. لأن سلطان الحياء في الوجه والصدر.

---

(١) الحديث رواه صاحب الموطأ في كتاب حسن الخلق ٢ باب ما جاء في الحياء ٩ وحدثني عن مالك عن سلمة بن صفوان بن سلمة الزرقي عن زيد بن طلحة بن ركانة يرفعه الى النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه ابن ماجة في كتاب الزهد ١٧.

وقال ابن عبد البر: رواه جمهور الرواة عن مالك مرسلاً.

عن عروة، عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: إن جبرائيل (عليه السلام) نزل على النبي ﷺ وبين يديه شيء من حبوب يأكله متكئاً، فجلس يتصبب عرقاً، فقمت إليه، فجعلت أمسح العرق عن وجهه وأقول: بأمي وأبي يا رسول الله ما لك ؟ قال: إن جبرائيل (عليه السلام) أتاني وأنا آكل متكئاً فقال: « يسرك أن تكون ملكاً » فهالني قوله. قالت عائشة (رضي الله عنها): فما رأيت النبي (عليه السلام) أكل متكئاً بعد ذلك حتى فارق الدنيا[1].

وإنما تصبب عرقاً لفوران حرارة حياته بالله. فكلما كان حياة القلب بالله أعظم، كان تسليمه لله أكثر وأوفر، ونفسه أساس للانقياد، لأن الإسلام هو تسليم النفس لله، والدين خضوعها وانقيادها. فلذلك صار الحياء خلقاً للإسلام، ووعاء للدين، يستحيي فيتواضع، ويستحيي فيخضع، ويستحيي فيبذل نفسه لله، ولا يبخل بها عليه. ومن الحياء انكسار النفس وذهاب رجوليتها. ألا ترى أن المرأة لما فضلت على الرجل بتسعة وتسعين جزءاً من الحياء، كيف كسرت شهوتها التي فضلت بها على الرجل.

وروي عن رسول الله ﷺ: إن المرأة فضلت على الرجل بتسعة وتسعين جزءاً من الشهوة، وفضلت من الحياء بتسعة وتسعين جزءاً لتكسر تلك الشهوات ما فضلت به من أجزاء الحياء[2].

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة مختصراً ٢١ باب من كره أن يوطأ عقبا ٥، ٢٤٤ عن حماد بن سلمة عن ثابت عن شعيب بن عبدالله بن عمرو عن أبيه قال: وذكره ولفظه « ما رآني رسول الله ﷺ يأكل متكئاً قط ».

ورواه أبو داود في كتاب الأطعمة باب ما جاء في الأكل متكئاً ٣٧٦٩، ٣٧٧٠ الأول بسنده عن أبي حجيفة والثاني بسنده عن شعيب بن عبدالله بن عمرو عن أبيه.

(٢) لعل هذا الأثر من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر لم يذكر في الصحاح ولم يذكره السيوطي في الجامع مع الصغير ولا الكبير

فقد بان لك أن الحياء يكسر ويذهب بالقوة والجلادة والصلابة من النفس. وإذا كان ذلك يقوي القلب لأن الحياء من الحياة بالله، والحياة بالله من نفس المعرفة. فأما ما ذكرنا من شأن المجبول على خلق ومن شأن الممنوح المتخلق به، فروي عن العلاء بن كثير أن رسول الله ﷺ قال: إن محاسن الأخلاق مخزونة عند الله. فإذا أحب الله عبداً منحه منها خلقاً حسناً أو خلقاً صالحاً.

وعن هود العبدي القصري، عن جده قال: بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم إنه سيطلع عليكم من هذا الوجه ركب هم من خير أهل المشرق. فقام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فتوجه في ذلك الوجه، فلقي ثلاثة عشر راكباً، فرحب وقرب، وقال: من القوم ؟ قالوا: نفر من عبد القيس قال: فما أقدمكم هذه البلاد، التجارة ؟ قالوا: لا. قال: أفتبيعون سيوفكم هذه ؟ قالوا: لا. فلعلكم إنما قدمتم في طلب هذا الرجل قالوا: أجل. فمشى معهم يحدثهم حتى إذا نظر إلى النبي ﷺ، قال: هذا صاحبكم الذي تطلبونه. فرمى القوم بأنفسهم عن رحالهم، فمنهم من سعى، ومنهم من هرول، ومنهم من مشى حتى أتوا النبي ﷺ، فأخذوا بيده فقبلوها، وقعدوا إليه، وبقي الأشج، هو أصغر القوم، فأناخ الإبل وعقلها، وجمع متاع القوم، ثم أقبل يمشي على تؤدة، حتى أتى النبي (عليه السلام)، فأخذ بيده فقبلها، فقال له النبي ﷺ: فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله. قال: وما هما يا رسول الله ؟ قال: الأناءة والتؤدة. قال: يا نبي الله أجبلاً جبلت عليه أم تخلقاً مني ؟ قال: لا، بل جبلاً جبلت عليه. فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله[1].

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ١٨ باب الحلم ٤١٨٧ ـــ عن عمارة العبدي ثنا أبو سعيد الخدري قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال: وذكره.

في الزوائد: عمارة بن جوين أبو هرون العبدي كذبه ابن معين وعثمان بن أبي شيبة وابن علية وقال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه ضعيف الحديث.

وأقبل القوم قبل تمرات يأكلونها، فجعل النبي ﷺ يخبرهم بها، يسمي لهم هذا كذا، وهذا كذا. قالوا: أجل يا نبي الله، ما نحن بأعلم بأسمائها منك. قال: أجل. فقالوا لرجل: أطعمنا من بقية القوس الذي بقي من نوطك. والقوس قطعة تمر. فأتاهم بالبرني. فقال رسول الله ﷺ: هذا البرني إما أنه من خير تمركم لكم، إما أنه دواء لا داء فيه.

وروي عن رسول الله ﷺ قال: « قلة الحياء كفر »[1].

والكفر غطاء على القلب. فإذا حل الغطاء بالقلب، ذهب الحياء ومات القلب. وإذا انكشف الغطاء، فإنما ينكشف لحياته بالله. فإذا حيي استحيا. ولذلك قال سفيان بن عيينة: الحياء أخو التقوى. ولا يخاف العبد أبداً حتى يستحيي. وهل دخل أهل التقوى في التقوى وفي أمر الله إلا من الحياء ؟

وروي عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها[2].

وقال أبو بكر (رضي الله عنه): استحيوا من الله، فإني لأدخل الكنيف فأقنع رأسي حياء من الله تعالى.

رجعنا إلى مبتدأ ما وصفنا من شأن المثل المضروب، قلنا: فإذا أراد العبد أن يتخلق بخلق من هذه الأخلاق، احتاج إلى أن يمكن له في الصدر الذي هو ساحة القلب. فمن كان أوسع صدراً، كان بمنزلة من كان أوسع مملكة من المال حتى تجد قواد الملك منفسحاً، فيأخذ كل قائد ناحية،

---

(١) هناك أحاديث كثيرة في الحياء تؤدي معنى هذا الحديث منه ما رواه الامام أحمد: الحياء من الايمان والايمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار. وأيضاً ما رواه أبو يعلى « الحياء من الايمان ».

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتب الزهد ١٧ باب الحياء ٤١٨٠ عن قتادة عن عبدالله بن أبي عتبة مولى لأنس بن مالك عن أبي سعيد الخدري قال: وذكره.

فيتملك فيها على حشمه. فإذا اتسع صدره أخذ كل خلق من هذه الأخلاق ناحية من صدره، وتمكن فيه، ويسهل على القلب إنفاذ أمر الله (عز وجل). وإذ ضاق صدره، لم يستقر فيه خلق، بمنزلة أولئك القواد لما لم يجدوا فسحة انتقلوا إلى ملك آخر أوسع مملكة منه، وأوفر كنوزاً. ولذلك سأل موسى (عليه السلام) أول ما سأل حين بعثه إلى فرعون فقال: ﴿**رب إشرح لي صدري ويسّر لي أمري**﴾[1]. فبشرح الصدر قدر على احتمال أثقال المكروه حيث احتاج إلى أن يستقبل فرعون بالمكاره، قد هرب منه خوفاً من القتل.

ومبتدأ هذا الأمر أن يعمل في توسيع الصدر حتى تصير له هذه الأخلاق، وتوسعه أن يترك الشهوات والنهمات، ويجعل المكاره على النفس، حتى تصير مدبوغة، فعندها تطهر الأخلاق، ويشرق أنوار الأسماء في صدره، فعنده يغزر علمه بالله تعالى، فيعيش عبداً غنياً بالله ما عاش.

---

(١) سورة طه آية رقم ٢٥.

الأصل الثاني والستون والمائتان

في صورة النفس وإحيائها

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: أربع من كن فيه حرمه الله تعالى على النار، وحفظه من الشيطان: من ملك نفسه حين يرغب، وحين يرهب، وحين يغضب، وحين يشتهي. وأربع من كن فيه نشر الله عليه رحمته وأدخله في محبته: من آوى مسكيناً، ورحم ضعيفاً، ورفق بالملوك، وأنفق على الوالدين[1].

قال أبو عبدالله: فالنفس في هذا الجسد، ومعدنها في البطن، ثم هي متفشية في جميع الجسد، والروح معدنه في الرأس، ثم هو منفشٍ في جميع الجسد، والجسد قالب للروح والنفس كليهما، والحياة موضوعة في كليهما. وحياة الروح أقوى وأكثر وأخلص وأصفى من حياة النفس، والدليل على ذلك أن الروح يأمر بالطاعة، وذلك لأن حياته أكثر وأقوى، لأن أصله من روح الحيوان الذي ماء الحيوان منه، الذي إذا شرب منه

---

(١) قال السيوطي في الجامع الصغير: رواه الحكيم الترمذي عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه وأشار على الحديث بالصحة

أهل الجنة بباب الجنة لم يموتوا. وقال تعالى في تنزيله: ﴿ **وإن الدار الآخرة لهي الحيوان** ﴾[1]. فهنا حياة وفي الدار الآخرة حيوان.

فهذه الحياة التي في الروح قليلة. والماء الذي في الجنة، والنهر الذي بباب الجنة لاغتسال أهل الجنة يوم يدخلونها كله من ماء الحيوان. والماء الذي تحت العرش بحر راكد على مقدار أرزاق العباد، وهو من ماء الحيوان، وذلك قوله تعالى: ﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حي** ﴾[2].

فإذا أنزل الله (عز وجل) إلى الأرض منه أحيا به الأرض. وذلك قوله تعالى: ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد** ﴾[3].

ثم قال : ﴿ **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة** ﴾ أي ميتة لا تتحرك. ﴿ **فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت** ﴾[4] فاهتزازها وربوها وحركتها من الحياة التي دخلت فيها.

ثم قال: ﴿**إن الذي أحياها...**﴾ يعني الأرض ﴿**لمحيي الموتى**﴾[5] وقال تعالى: ﴿ **أحيينا به بلدة ميتاً** ﴾[6]. فإنما إحياء الأرض بماء الحيوان.

وينزل الله تعالى على أهل القبور قبل نفخة الصور من ماء الحيوان، حتى تنبت أجسادهم وتحياهم، ثم يبعث الأرواح وهم في قبورهم يتحركون. قال له قائل: وكيف يتحركون بلا روح ؟ قال: بالحياة التي نالتهم من ذلك الماء. ويتحركون كما تحركت الأرض بماء الحياة

---

(١) سورة العنكبوت آية رقم ٦٤.
(٢) سورة الأنبياء آية رقم ٣٠.
(٣) سورة ق آية رقم ٩.
(٤) (٥) سورة فصلت آية رقم ٣٩.
(٦) سورة ق. آية رقم ١١.

﴿ **اهتزت وربت** ﴾ وإهتزازها بالحياة التي نالت أغصان الأشجار حتى أورقت، وكل شيء يتحرك إنما يتحرك بالحياة.

فالروح أوفر الأشياء حظاً من هذه الحياة، لأنه خرج من روح الحياة الأصلي، ثم من بعد ذلك أوفر الأشياء حظاً من الحياة بعد الروح هذه النفس. فالنفوس لجميع الدواب والبهائم والطيور، وفضل الآدمي بالروح للخدمة، لأنه خادم ربه، وسائر الخلق سخرة للآدمي. فالروح بما فيه من الحياة يدعو القلب إلى الطاعة. والنفس بما فيها من الحياة تدعو إلى الشهوات والأفراح. والقلب أمير على الجوارح، وعن أمره يصدرن إلى الأعمال. فالأمير يأمر بقوة المعرفة والعلم بالله.

فقوله: « من ملك نفسه » فالملك للقلب على النفس. فمن كان قلبه مالكاً لنفسه في هذه الأحايين الأربع: حين الرغبة، وحين الرهبة، وحين الشهوة، وحين الغضب. فقد حرم على النار، واختسأ شيطانه، لأن الدنيا كلها في هذه الأربع. فإذا ملك القلب النفس بقوة المعرفة والعلم بالله، فإن للمعرفة والعلم سلطاناً عظيماً وجنوداً كثيفة، وكنوزاً جمة للجنود، فقد دقت دنياه في عينه وصغرت وتلاشت حتى صارت كالهباء. ومن ملكت نفسه قلبه بقوة الهوى وسلطان هذه الأربع وحدتها وغليانها، صارت دنياه في عينه كل شعبة منها كالجبال أو كالبحور، وعظم في عينه شأنها وشأن أحوال نفسه فيها، وصارت الآخرة في عينه كالحلم. فإن المحتلم يتعشق في منامه على جارية حسناء، ويثب إليها، ويلقي نفسه عليها من شدة الشبق، لأن شيطانه يريد ذلك، ويخدع نفسه البلهاء فيما مثل لها في منامه. فإذا إنتبه، وجد نفسه خالياً مما رأى. وإذا هو لم يزد على أن بال في فراشه، فهذا لم يزد على أن ضحك به الشيطان.

فهذه صفة من يتعشق على الجنات من شهوة نفسه لسماع الأذن، لا بحياة القلب، وإذا هو ميت على الدنيا من حبها، ويعظمها تعظيماً، لا ينام ولا ينيم حرصاً وأشراً وشرهاً وبطراً حتى يأخذها من الشبهات بتضييع

الأمانات، والتفريط في الفرائض، ونسيان الموت والمعاد والقبر والقيامة والحساب بين يدي الله تعالى، وقطع النار على الجسور، ويمنع الحقوق، ويعرض عن مواعظ الله (عز وجل) وإذا تلا القرآن فكأنما ينشد شعراً، أو يحكي كلام الناس، لا يتحرك قلبه لوعد ولا لنبأ من أنباء القرآن، ولا تدمع عينه، ولا يدري ما تلا، إنما همه أن يطيب نفسه بأني قرأت وتلوت، فهو في مثل هذا القلب الخرب ممتلئمن الغش والغل والحقد وطلب العلو، والتعزز والتجبر والتكبر، وإهمال الجوارح، وتضييع البركة على الجوارح السبع، وهي الميثاق، يتعشق على الحور، ويتلمظ على فواكه الجنة، ويتشمم برياحين الجنان من بعد لسماع الأذن، أبله من الأبالهة، زبوناً من زبون الشيطان، أحمق من حمقى أهل الغي، ليس من الحياة في قلبه أن إذا سمع بذكر الجنة، قال: الجنة دار الله، فغمض عينيه حياء من الله تعالى وقال: مثلي يصلح لدار الله، وأنا لا أصلح لدار أمير المؤمنين الذي هو عبده في الدنيا، ثم دمعت عيناه واحترق جوفه مخافة الفوت والبعد من الله تعالى لفوتها، وأخذته الحسرة والندامة حتى أداه ذلك إلى التضرع، والحزن الدائم، والتوقي، والتورع، وملك النفس.

فهذه النفس بفضلتها هي كالمحتلم الذي وصفنا أنه إذا انتبه استحيا من نفسه بما سخر به شيطانه، ووجد في نفسه حسرة حيث رأى نفسه خالية عما رأى في منامه، فهو بين حسرة وحياء.

كذلك هو المتعشق بفضلته إذا قدم على الله استحيا منه، حتى يتصبب عرقاً، وتحسرت نفسه إذا رأى ما فاته من موعود الله للمطيعين الأتقياء. فمن آتاه الله المعرفة إذا تذكر الجنة بكى حياء من الله، أن رأى جسداً توسخ وتدنس الوسخ من الآثام والدنس من العيوب، ورأى الجنة مقدسة بقدس الله، مطهرة بطهر الله، مسفرة تضحك إلى أولياء الله تعالى، فرجع إلى قلبه فرآه مع الأوساخ والأدناس، فاستحيى من الله، وبكى على أيامه التي عطلها على اكتساب رضوان الله، واكتسب بها معاصي الله. فهذا له

الرجاء كل الرجاء إذا قدم على الله. والنفس في هذه الأربعة صورتها عجيبة إذا اشتهت فصورتها كالريشة، تهب بها الريح. وشهوة الأشياء متفاوتة، وفرح النفس بكل شهوة على قدرها. والشهوة في الأول، واللذة في الآخر، وإنما قيل شهوة لهشاشة النفس والميل إلى ذلك الشيء، والمبادرة إليه لخوف الفوت. فتلك هشاشة. يقال: هش واهتش، وشهى واشتهى. فالشهوة مأخوذة من هناك. واللذة إذا نال الشيء فانتهى إلى آخره، فذل ذلك الهيج، وسكن سلطان الهشاشة. يقال: لذ وذل. والذل انكسار، وسكونها عن الاهتياج والاغتلام والغلي. فأول الشهوة كلظى النار ولهبها ودخانها، وآخره وهي اللذة كالجمرة التي بعد ما كانت تتلظى سكن ضرامها ولهبها، وصارت خامدة، علاها الرماد.

فصورة النفس في الشهوة كريشة هبت بها ريح نكباء، فهي تدير النفس دوران الرحى. وصورة النفس في الرغبة كعطشان يكاد يقطع عنقه من العطش، فإذا رأى الماء عبه عباً يكاد يلتهم التهاماً، أو كجائع غرثان وجد طعاماً فالتقمه، وبلعه بلعاً من غير مضغ. وصورة النفس في الرهبة كالعلق في الديدان، بينما هي منبسطة مقدار إصبع طويلة، إذ هي منقبضة مقدار فتر، وكالقنفذ من الهوام، بينما هي منبسطة ترى صورتها وخلقتها إذا هي منقبضة كالكرة قد اقشعرت، وشكست لضيق خلقها، وكالكلب اللهثان المخلوع الفؤاد من الجبن، وكاللبدة البالية الملقاة ذلاً وجبناً.

وصورة النفس في الغضب كالأسد الذي يفترس ويمزق ويقعد عليه، ومرة كالنمر يثب وثبة من لا يهاب ولا يبالي، فيمزق ويكسر ويبدد.

فإذا كان القلب أميراً، وللأمير كنوز وجنود، فقد ملك النفس، فذهب سلطان النفس وأفعالها، فحفظ القلب بعقله ومعرفته، وبعلمه بالله حدود الله في هذه الأحايين الأربعة. فإذا اهتاجت الشهوة من النفس أعطاها القلب بمقدار ما أذن الله لها فيه، وأحل لها، ومنعها ما حرم عليها، واستوثق منها حتى لا يتطاير شررها، ويشتعل نيرانها في العروق، حتى لا

يجاوز الحدود، لأن قوة النفس في العروق، وأعطاها من الرغبة ما أحل الله لها، وصيره لها غنى وقوة في دينها ودنياها، واستوثق في جنبيها حتى لا يفيض من مجاريها، وينطفح من الجانبين فينبثق من المجاري، ومن الرهبة بمقدار ما حذر الله أن يرهب وقواها في جنبها، وأمدها وشجعها بقوة العلم، وأيدها بالمعرفة بالله، وأعطاها من الغضب بمقدار ما أطلق الله لها من ذلك، فلا يحملها غضبها على أن يجاوز الحدود في الأمور، ولا يتعدى إلى الظلم، ويكون مع غضبها متمسكة بالعدل، ولا يتعداه إلى جور، فصاحب هذه الصفقة هو الذي قال رسول الله ﷺ: أربع من كن فيه حرمه الله على النار.

وإذا خلا القلب من هذه المعرفة والعلم، صار أسيراً للنفس بعد أن كان أميراً عليها، وذهب سلطانه، وصار مملوكاً للنفس، فبرزت الشهوة في وقتها فأحرقت، والرغبة في وقتها فأفسدت، والرهبة في وقتها فأضرمت، والغضب في وقته فتسلط، فجاء الخراب والضياع والفساد. فهذا ملك النفس للقلب، وذاك ملك القلب للنفس.

عن النعمان بن بشير (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب[1].

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الفتن ١٤ باب الوقوف عند الشبهات ٣٩٨٤ عن زكريا ابن زائدة عن الشعبي، قال : سمعت النعمان بن بشير يقول على المنبر، وأهوى باصبعيه إلى أذنيه سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحلال بين الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه وذكره.

ورواه الإمام البخاري في كتاب الإيمان ٣٩ والإمام مسلم في المساقاة ١٠٧ والدارمي في البيوع ١.

فالقلب ملك. بصلاحه يصلح الجسد، لأن التدبير إليه، والنفس تحب الملك وتشتهيه، وتباري القلب، فهي تطلب الفرصة، وإذا نالت تملكت على القلب فأفسدته، وبفساده يفسد الجسد. بمنزلة أمير وقع في الجيش وخارجي قد ملك على البلد، فضاعت الحدود والأحكام، وخربت الكورة، وظهر الظلم والعدوان والحريق والغارات. فالحريق المعاصي. والغارات غارات كنوز القلب، وصار الصدر كله معدن الجهل، والشره، والبطر، والشهوة، والكبر، والعلو، والحرص، والحسد، والحقد، وأخلاق الكفر. وقد أمر الله (عز وجل) بمجاهدة النفس فقال: ﴿ **وجاهدوا في الله حق جهاده** ﴾[1].

قال رسول الله ﷺ: الجهاد جهادان، وأفضلهما جهاد النفس[2].

وإذا التقى القلب والنفس للمحاربة هذا بجنود الله من العلم والعقل والمعرفة والفهم والفطنة، والحفظ والكياسة، وحسن التدبير والحراسة، فأشرقت هذه الأنوار، واشتعلت شعاعاتها في النفس بجنود العدو من الهوى، والشهوة، والغضب، والرغبة والكبر، والحرص، والمكر، والخديعة، والمدد من الزينة والأفراح فاضطربا وتحاربا، فذلك وقت يباهي الله تعالى بعبده ملائكته، والنصرة موضوعة في ملك المشيئة في حجاب القدرة. فإذا رأى الهوى النصرة ذل وانهزم العدو بجنوده، وأقبل بجمعه وجنوده على النفس حتى أسرها وحبسها في سجنه، وقعد أميراً، وجمع جنوده وقواده الذين ذكرنا في الأصل المتقدم وهي الأخلاق، وفتح باب بيوت الأموال والخزائن، ورزق الجنود من الأموال، وزادهم من الخزائن في الآلة والعدة. فهذا ملك القلب للنفس حين تغضب وحين ترغب، وحين ترهب، وحين تشتهي، قد خسأ شيطانها وحرمت جوارحها على النار، كما قال رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة الحج آية رقم ٧٨.

(٢) الحديث مما تفرد به صاحب النوادر في نوادره

وإذا التقى القلب والنفس للمحاربة، والتقى الجمعان، كانت صفته كجبرئيل مع محمد ﷺ يوم بدر. وإبليس مع الكفار يشجعهم ويقوي أمرهم، ويعدهم ويمنيهم. فلما رأى جبرئيل نكص على عقبيه هارباً وقال: ﴿**إني أرى ما لا ترون، إني أخاف الله**﴾[1]. وإنما خاف الأسر، أن يأسره جبرئيل فيفضحه ويريه الناس فهرب، وترك الجمع.

وكذلك الهوى لما رأى المعرفة بسلطانها قد أقبلت، والعقل على مقدمتها، والعلم بالله محيط بالعسكر والجنود، نكص الهوى على عقبيه، وتبرأ من الجنود، ثم من بعد هذا ملك آخر لأولياء الله. وهو أن يحصل القلب في سلطان قبضة الله ويملكه الله ويستعمله. فإذا تعدى في الظاهر، لم يفسد ولم يخرب، ولم يخبر أحد أن يستعمله بتغيير لأن ذلك حد الله في الباطن، وقد خفي على الخلق. والحد عندهم في الظاهر غير ذلك. فهذا قلب غلب عليه سلطان القبضة، فملكه واستعمله الله في قبضته، كما استعمل الخضر في خرق السفينة وقتل الغلام، وكان ذلك في الباطن حد الله، وفي الظاهر مخفياً عند الخلق. ولذلك أنكره موسى (عليه السلام). فهذه قلوب ملكها سلطان القبضة، وتلك قلوب ملكها سلطان الحق. والقلوب التي ذكرنا بدءاً ملكها سلطان النفس.

ومما يحقق ما قلنا ما روي عن علي (رضي الله عنه) أنه مر برجل وهو يقاوم امرأة، فأصغى إليه سمعه، فأنكر ما سمعه منه فشجه. فجاء الرجل إلى عمر (رضي الله عنه) والدماء تسيل فقال: ويحك من فعل بك ؟ قال: علي. فقال عمر: ما هذا يا أبا الحسن ؟ فقص عليه. فقال عمر: أصابتك عين من عيون الله. إن لله في الأرض عيوناً، وإن علياً من عيون الله.

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٤٨.

الأصل الثالث والستون والمائتان

في حقيقة الفقه وفضيلته

عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: أفضل العبادة الفقه، وأفضل الدين الورع[1].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال ﷺ: ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين. ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد. ولكل شيء عماد، وعماد هذا الدين الفقه[2].

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما)، عن رسول الله ﷺ أنه قال: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين[3].

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عمر ــ رضي الله عنه وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وأشار عليه بالصحة.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة مختصراً ١٧ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ٢٢٢ ــ عن مجاهد عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال: قال رسول الله ﷺ. ورواه الترمذي في كتاب العلم باب ١٩ ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٢٦٨١ بسنده عن ابن عباس أيضاً وقال الترمذي: هذا حديث غريب ولا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الوليد بن مسلم.

(٣) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة ١٧ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ٢٢٠ =

قال أبو عبدالله: الفقه مشتق من التفقؤ، وهو انكشاف الغطاء عن الشيء. يقال: تفقأت الثمرة عن أكمامها، وتفقأ الحب عما فيه، وفقأ عينه إذا انخرق الحجاب وانكشف عن الحدقة. فعلوم الأشياء في الصدر مجتمعة متراكمة بعضها على بعض. فاحساس القلب من ذلك العلم هو علم القلب أداه إلى الذهن وإلى الحفظ عند الحاجة كنبعان العين، ينفجر منه الشيء بعد الشيء. فما دام هكذا فهو ساكن خامد لا قوة له. فإذا تصور في الصدر لعين الفؤاد قوي القلب بذلك الذي تصور. فذلك علم مستتر، وفي القلب بقية من الضعف والخمود. فإذا انكشف الغطاء عن الصورة التي تصورت في الصدر، فذلك الفقه، لأنه حين تصور في الصدد أحس القلب بتلك الصورة علماً، ولم يرها لأن الغطاء بينه وبين العلم قائم، وهو ظلمة الهوى، فهو عالم بذلك الشيء، يترجمه بلسانه، ويتضمنه بحفظه، وتمثل صورته لعقله. وليست له قوة، ينتصب قلبه لذلك، ويتشمر لفعله، ويطمئن إليه حرارة العلم وقوته.

فإذا انكشف الغطاء عن تلك الصورة التي صورها عقله صار عياناً للفؤاد، فيقال لذلك العيان علم اليقين. قال الله تعالى: ﴿ **كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين** ﴾[1]. فعين اليقين يوم القيامة وعلم اليقين في الدنيا في الصدر، فسماه رؤية ليعلم أن هذه رؤية عين الفؤاد. وتلك في الآخرة رؤية عين الرأس.

= عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

في الزوائد: رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقال: حسن صحيح وفي الباب عن أبي هريرة، ومعاوية. وقال السندي: وإسناد أبي هريرة ظاهره الصحة ولكن اختلف فيه على الزهري، فرواه النسائي من حديث شعيب عن الزهري عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، وقال: الصواب رواية الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن معاوية كما في الصحيحين.

(١) سورة التكاثر آية رقم ٥ ــ ٧.

فهذا الذي انكشف له الغطاء، وانفقأ الحجاب عن مكنون العلم أبصر بعين الفؤاد صورة ذلك الشيء المعبأ، فسمى ذلك فقهاً، وإنما هو في الأصل فقئ الياء مهموزة، فأبدلت بالهمزة هاء، فقيل فقه. قال الله تعالى فيما يحكى عن قول شعيب (عليه السلام) حيث قال لقومه: يا قوم يا قوم: ﴿ **بقية الله خير لكم** ﴾[1]، ﴿ **ويا قوم استغفروا ربكم** ﴾[2]، ﴿ **ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي** ﴾[3].

وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر شعيباً (عليه السلام) يقول: ذاك خطيب الأنبياء لحسن دعائه قومه ومراجعته وتلطفه في الدعوة. فقال في آخر ذلك: ﴿ **قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول** ﴾[4].

فمن فقه قلبه ما يقال له، تبين عليه أثره. فهؤلاء الذين انتحلوا هذا الرأي وأكثروا فيه الخوض، سموا هذا فقهاً، وخيل إليهم أن هذا هو الذي ما عبد الله بمثله، وهو هذه المسائل التي عندهم فقط. ولا يعلمون أن أستاذيهم تكلموا بها ثم قالوا: وددنا أنا نجونا منها كفافاً لا لنا ولا علينا، مثل إبراهيم النخعي والشعبي والحسن وابن سيرين (رحمهم الله في زمانهم) وأبي حنيفة وسفيان والأوزاعي ومالك (رحمهم الله في زمانهم). فكل تمنى الخلاص منه، لا له ولا عليه. وهؤلاء أعرضوا عن سائر العلوم التي حاجة الناس إليها في كل وقت، وصار هذا النوع فتنة لهم. فتراه طول الدهر يقول: يجوز ولا يجوز، يدخل فيما بينه وبين عباده مع الحيرة في ذلك، ولا يدري أصواب هو أم خطأ؟ ثم تراه في خاصة أمره ودينه عوج كله، فاقباله على نفسه حتى يكف منها ما لا يجوز خير له من إهماله نفسه وإقباله على إصلاح الناس، ذلك ليعلم أنه مفتون. وكان

---

(١) سورة هود آية رقم ٨٦.

(٢) سورة هود آية رقم ٥٢.

(٣) سورة هود آية رقم ٨٩.

(٤) سورة هود آية رقم ٩١.

المتقدمون أولى بالشفقة على الأمة، والحرص على الدين، والنصيحة لله، فشغلهم إصلاح أنفسهم عن الخوض في هذه الأشياء حتى يلهيه عن عيوب نفسه، ويقال لهذا المعجب: إن كانت هذه الفضائل لمن تفقه في هذا النوع الواحد، وكيف إذا فقهت كلام رب العالمين الذي أدب به عبيده ووعظهم وعطف به عليهم، كي يجعلهم غداً ملوكاً في دار السلام؟!

فمن فقه عن الله (عز وجل) قوله: ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾[1]. أمسك عن الصغير والكبير، والدقيق والجليل من الشر، ولم يستحقر ما دق من الخير وصغر، ولم يستهن به، وأمات هذا الوعيد من نفسه البطالات كلها. ألا ترى إلى الاعرابي الذي سمع من رسول الله ﷺ هذه السورة، قام وركب راحلته، وقال: حسبي حسبي، ومر على وجهه. فقال رسول الله ﷺ: فقه الاعرابي[2]. فهكذا يكون الفقه.

ومن فقه ما في السورة من شأن الأرض وأخبارها عن السرائر وذكر الصدر من بين يدي الله. ﴿ **أشتاتاً ليروا أعمالهم** ﴾[3]. ثم وجد أعماله موزونة بمثاقيل الذر من الخير والشر، كيف لا يكون هذا حسبه فيما بينه وبين الله.

ومن فقه عن الله قوله (عز وجل): ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة** ﴾[4]. الآية. فكيف لا يكون هذا حسبه فيما بينه وبين العباد، حتى ينصف الخلق من نفسه، ويؤدي إلى كل ذي حق حقه من نفسه وماله.

ومن فقه عن الله قوله تعالى: ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله**

---

(١) سورة الزلزلة آية رقم ٧، ٨.

(٢) هذا الأثر: لعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر

(٣) سورة الزلزلة آية رقم ٦.

(٤) سورة الأنبياء آية رقم ٤٧.

رزقها... ﴾[1] الآية. كيف لا يكون هذا حسبه فيما بينه وبين معاشه، ولا يخرج هم الرزق من قلبه حتى يثق بربه ويطمئن إلى ضمانه.

ومن فقه عن الله قوله (عز وجل) : ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه** ﴾[2] كيف لا يكون هذا حسبه من الثقة بخلفه حتى لا يجد في وقت الإنفاق ضيقاً في صدره، ولا حرارة في نفسه.

ومن فقه عن الله قوله (عز وجل): ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء...** ﴾[3] الآية. كيف لا يكون هذا حسبه في نزوله على ما اختار له ربه حتى يلهو عن حب هذه الشهوات، ويتشمر في طلب الذي أعلمه الله أنه خير من ذلك.

ومن فقه عن الله (عز وجل) قوله: ﴿ **إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً** ﴾[4]، و ﴿ **إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً** ﴾[5]. ﴿ **إن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾[6]، كيف لا يكون هذا حسبه في معاملته ربه حتى ينكمش في الإحسان.

ومن فقه عن الله (عز وجل) قوله: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾[7] كيف لا يكون هذا حسبه حتى يعلم أنه خلق للعبودة، وأن عبودته في جميع حركاته كلها. فإن كانت حركاته مما حسنها الله في تنزيله وعلى ألسنة رسله فقد عبده. وإن كانت سيئة فقد ترك عبودته.

---

(١) سورة هود آية رقم ٦.
(٢) سورة سبأ آية رقم ٣٩.
(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٤.
(٤) سورة الكهف آية رقم ٧.
(٥) سورة الكهف آية رقم ٣٠.
(٦) سورة التوبة آية رقم ١٢٠.
(٧) سورة الذاريات آية رقم ٥٦.

ومن فقه عن الله تعالى قوله: ﴿ **ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾[1] كيف لا يكون هذا حسبه حتى تهون عليه المصائب. كأنه قال: إنما قاصصتك بهذه المصيبة بشيء يسير من ذنوبك حتى أنبهك من رقدتك.

ومن فقه عن الله قوله (عز وجل): ﴿ **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله** ﴾[2] كيف لا يكون هذا حسبه حتى ينقطع رجاؤه عن المخلوقين، ويصير حراً من رق نفسه، ومن تبصبص خلقه، وتخلص من تعيير الله، حيث عير المنافقين فقال: ﴿ **لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله، ذلك بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾[3] برئ من الفقه من كان رهبته من المخلوقين غالبة على رهبته من الله.

وقال (عز وجل) في المنافقين: ﴿ **هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون** ﴾[4]. فمن رأى حاجته ورزقه من الدنيا بيد الخلق دون الله حتى يضيع حقوقه ويداهنَ في دينه، فقد برأه القرآن من الفقه.

ومن فقه عن الله (عز وجل) قوله: ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾[5]، كيف لا يكون هذا حسبه، حتى يعلم أن الله (عز وجل) أكرمه بغاية الكرامة. فلو أن ملكاً كتب إلى عبد من عبيده: « ارفع إليّ حوائجك » لأمتلأ سروراً واتكل على هذا الكتاب مع أنه عبد مثله لا يقدر على شيء في الحقيقة.

---

(١) سورة الشورى آية رقم ٣٠.

(٢) سورة الأنعام آية رقم ١٧.

(٣) سورة الحشر آية رقم ١٣.

(٤) سورة المنافقون آية رقم ٧.

(٥) سورة غافر آية رقم ٦٠.

فهذا كتاب رب العالمين ينطق بأن الله تعالى قال هذا، ولم يخرجه مخرج الأمر، ولكن أبرزه في معرض القول فقال: ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم** ﴾[1]. فمن يعلم ما في حشو هذه الكلمة، اشتفى به، ثم إذا دعا دعا على يقين من الإجابة، ثم ينتظر الوقت كما قال الله لموسى وهارون (عليهما السلام): ﴿ **قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون** ﴾[2]. أي أن سبيل الذين لا يعلمون الاستعجال.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: « لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل ربه ». قيل: كيف يستعجل ربه يا رسول الله ؟ فقال: يقول: دعوت فلم تستجب لي[3].

فهل استعجاله إلا من قلة فقهه. لا يعي أن ربه قد خار له حين يأتي وقته فيعطيه أكثر مما سأل.

وروي في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: إذا دعا العبد، قال الله تعالى: يا جبرئيل احبس حاجة عبدي، فإني أحب صوته، وقد أجبته إلى ما سأل .

فإذا فقه هذا لم يستبطئ إجابته، ولم يستعجل ربه. فالفقه في هذا، لا في تلك المخاتلات والخدائع التي يجدهاالعبيد الاباق في سيرهم إلى الله

---

(١) سورة غافر آية رقم ٦٠.

(٢) سورة يونس آية رقم ٨٩.

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٩٢ ــ عن ربيعة ابن زيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : وذكره، ورواه الترمذي في كتاب الدعوات ١٢ ما جاء فيمن يستعجل في دعائه ٣٣٨٧ بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأبو عبيد اسمه سعد وهو مولى عبد الرحمن بن أزهر ويقال: مولى عبد الرحمن بن عوف، وعبد الرحمن بن أزهر هو ابن عم عبد الرحمن بن عوف. ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٣ : ١٩٣، ١٢٠ (حلبي).

في معايشهم، من نهب الدنيا حرصاً وجمعاً، وتضييعاً لدين الله. وربما يكون صاحب هذا ممن خدعته نفسه فيقول: أنا أشتغل بتسوية أمور الناس. فيهمل أمر نفسه، لمحبة أن ينزل الخلق كلهم على قوله، ويصدروا عن مشيئآته، فإذا هو جبار عات قد رمي بالعبودة، وتشبه بالأرباب في تسوية أمورهم على الاقتدار.

الأصل الرابع والستون والمائتان

في سر غفرانك بعد الفراغ

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: غفرانك[1].

قوله: « غفرانك » طلب المغفرة على قالب فعلان، وهو أعظم القوالب وأوفرها، كأنه طلب المغفرة الوافرة، لأنه نظر إلى أمر عظيم. وذلك أن آدم (عليه السلام) عجن الله طينته وخمرها، وصوره وخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: خلق الله آدم (عليه السلام) من تراب، وعجنه بماء من ماء الجنة، فلم يكن يصلح له مكان يليق به من هذه المكارم إلا داره، فتوجه وكلله وختمه بخاتم الملك، وكساه ونظفه، ووضعه على سرير هو وزوجته، وأمر ملائكته بحملهما إلى داره، ولم يزالا في داره طاهرين بالله، فرحين مسرورين

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة ١٠ باب ما يقول إذا خرج من الخلاء ٣٠٠ ثنا يحيى بن أبي بكير، ثنا إسرائيل، ثنا يوسف بن أبي بردة. سمعت أبي يقول: دخلت على عائشة فسمعتها تقول: كان رسول الله ﷺ وذكره.

مكرمين. حتى إذا جاء وقت الشقوة، وغلب القضاء والقدر على جميع ما أعطاهما وخلص العدو إليهما، فأكلا بأمر العدو، وصارت تلك الأكلة فرصة إبليس منهما، والمأكول حظه منهما، فصارا عاريين من جميع هذه الكرامات، وأخرجا مذمومين، وصار مستقر تلك الأكلة سلطان إبليس ومملكته، والشيء المأكول منتناً، وإنما أنتن لكينونة العدو ونجاسته، وكفره فيها. فكلما ظهر من ذلك الموضع بول أو غائط أو ريح أمر بالوضوء وغسل ذلك المكان. فالوضوء من توضئة الأعضاء التي هي جوانب الجسد حتى تصير وضيئة . فإنما لاحظ رسول الله ﷺ حين خرج من الخلاء ذلك الذي حل بأبيه فورثه عنه، فظهر ذلك عليه، فالتجأ إلى عظيم المغفرة، فقال: غفرانك. أي إنما القينا من تلك الخطيئة. فلو أن رجلاً وقف تحت ميزاب الكعبة حتى جرى من الميزاب، فتلقاه نغبة من الماء الذي نزل من السماء، ولم يمازجه شيء من الدنيا، فدخل جوفه، ثم خرج من هذه المخارج لأمر بالغسل والوضوء، وحكم له بحكم النجاسة، لأن هذا الماء صار إلى المعدة في مجاورة العدو الذي جعل له السبيل إلى الآدمي.

كما قال رسول الله ﷺ: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. قالوا: ومنك يا رسول الله ؟ قال: ومني. إلا أن الله أعانني عليه فأسلم[1].

فمستقره تحت المعدة على مطحن العلف، ثم يجري مع الدم، في العروق سلطانه. فالمتنبه إذا دخل الخلاء، وأحس حياة قلبه بما يخرج منه إستحيا، وعرف أن هذا ميراث تلك الخطيئة، وذكر بدو أمره، وأنه بسبب تلك الخطيئة ألقي إلى الدنيا، وقارف غيرها من الخطايا، فالتجأ إلى سؤال الغفران.

ولذلك كان رسول الله ﷺ يقنع رأسه.

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

عن حبيب بن صالح (رضي الله عنه)، أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل المرفق لبس حذاءه وغطى رأسه.

وروي عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أنه قال : إني لأدخل الكنيف فأقنع رأسي حياء من الله تعالى.

فهذه ملاحظة الرسل والأنبياء والأولياء (عليهم السلام). وأما العامة، فهم لا يرون هذا بقلوبهم، ولا يعرفونه، وإنما أدبوا بالحمد أن يقولوا: الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني. فردوا إلى حال النفس ونعمة الله عليهم.

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى الخلاء قال: اللهم أذهب عني الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم. فإذا خرج من الخلاء قال: الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني[1].

فهذا فعل رسول الله ﷺ فيما بينه وبين الأمة. فأما الكلمة الأولى ففيما بينه وبين الله تعالى.

وكذلك شأن الكبراء كلامهم في الباطن مع الله تعالى غير كلامهم في الظاهر.

قال له قائل: مثل ماذا ؟ قال: في الظاهر مع الخلق يقولون: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وفي الباطن معه يقولون: لا إله إلا الله فقط. وفي الظاهر

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة وسننها ٩ باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء ٢٩٩ــ ثنا ابن أبي مريم ثنا يحيى بن أيوب عن عبيدالله بن زحر عن علي بن يزيد، عن القاسم عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

وفي الزوائد: إسناده ضعيف. قال ابن حبان إذا اجتمع في إسناده خبر عبيدالله بن زخر وعلي بن يزيد والقاسم، فذاك مما عملته أيديهم.

يقولون: الحمد لله الذي أطعمني وسقاني وأشبعني وأرواني وكساني، ولو شاء أجاعني وأظمأني وأعراني. وفي الباطن يقول: الحمد لله فقط. وفي الظاهر يقولون: ما شاء الله كان، وما لا يشاء لا يكون. وفي الباطن يقولون: ما شاء الله. ينشرون مع الخلق عن الله تعالى ذكر ربوبيته والهيته وصنائعه ليكون ذلك منشوراً مشهوراً. وفي الباطن إذا قالوا: « لا إله إلا الله » بقيت قلوبهم في الوهيته، ولا يلتفتون إلى شرك الشركاء. فإن القلوب الوالهة يصعب عليها الالتفات إلى غيره، وكذلك في الحمد إذا رفعوا الحمد إليه بقلوبهم صعب عليهم أن يلتفتوا إلى النعمة، وكذا في المشيئة إذا وقعوا في بحرها ارتفع عنهم ذكر كان ويكون.

وعن ابن مقاتل (رضي الله عنه) قال: كان ابن سيرين (رحمه الله) إذا خرج من الكنيف فلم يره أحد خر ساجداً باكياً بما أنعم الله عليه أن سهل له خروج الأذى.

الأصل الخامس والستون والمائتان

في سر العمل وعلانيته

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رجل: يا رسول الله، إني كنت أصلي في بيتي فأسره، فاطلع عليّ رجل فأعجبني. فقال رسول الله ﷺ: لك أجران، أجر السر وأجر العلانية[1].

قال أبو عبدالله: هذا رجل ناصح الله في خلقه، أسر العمل لا عن ضعف يقين، ولكن خلا بربه يناجيه، فلما اطلع عليه أعجبه رؤيته إياه، كي ينتدب لمثله، ويقتدي به، ولم تعمل فيه رؤيته، فتتحرك من نفسه شهوة المدح لقوة يقينه.

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الزهد باب ٤٩ عمل السر ٢٣٨٤ عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رجل يا رسول الله وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقد روى الأعمش وغيره عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح عن النبي ﷺ مرسلاً وأصحاب الأعمش لم يذكروا فيه عن أبي هريرة وقال: وقد فسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقال: إذا طلع عليه فأعجبه فإنما معناه أن يعجبه ثناء الناس عليه بالخير لقول النبي ﷺ أنتم شهداء الله في الأرض فيعجبه ثناء الناس عليه لهذا لما يرجو بثناء الناس عليه فأما إذا أعجبه ليعلم الناس منه الخير ليكرم على ذلك ويعظم عليه فهذا رياء وقال: بعض أهل العلم إذا اطلع عليه فأعجبه رجاء أن يعمل بعمله فيكون له مثل أجورهم فهذا له مذهب أيضاً.

وروي معمر، عن زيد، رفعه إلى رسول الله ﷺ: خير أعمالكم التي تحبون أن يعلم بها. قال زيد: والذي يكتمها ليسلم. رفعه زيد إلى رسول الله ﷺ.

وقد أثنى الله (عز وجل) على قوم فسماهم: عباد الرحمن وبين أن مثواهم غرف الجنة، وعدد خصالهم التي أثنى بها عليهم، ثم حكى عن دعائهم قوله تعالى: ﴿ **هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾[1].

سألوه أن يجعلهم أئمة لمن يقتدي بهم، فلا يكون أمر هذا مكتوماً، وكيف يؤتم به إن أسر العمل، فهؤلاء نصحاء الله، والدعاء إلى الله، يدعون إلى الله بأقوالهم وبأفعالهم التي يظهرونها على أعين الخلق، يحدون الخلق على ذلك. وإنما قال رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة: لك أجران، أجر السر، وأجر العلانية. لأنه نوى بالسر أمراً وبالعلانية أمراً. ولو لم يكن هكذا لم يكتب له أجران. فإنه لا أجر لمن لا نية له. فهذا عبد نوى أن يسر بعمله ليخلو بربه كي لا يشكره عليه أحد غيره، ثم لما اطلع عليه نوى أن ينتفع به غيره بأن يقتدي به. فالسر مضاعف على العلانية بسبعين ضعفاً. وعلانية هذا مضاعفة على سره بسبعين ضعفاً. لأن سره خلوه بربه كيلا يشكره عليه أحد غير ربه. وإعلانه نصحه له في عباده، ليس له في وقت سره التفات إلى مدح الناس، فيهرب منه، ولا في علانيته المنزلة عند الناس.

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: السر أفضل من العلانية. والعلانية أفضل لمن أراد به الاقتداء[2].

---

(١) سورة الفرقان آية رقم ٧٤.

(٢) الحديث أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر ــ رضي الله عنه ورواه السيوطي في الجامع الصغير.

وإنما صار عمل السر مضاعفاً على العلانية بسبعين ضعفاً من جهات: فجهة منها ان الذي يسرها إنما أسرها ليصفو له لأنه إذا أحست نفسه بشعور الناس به، علمت أنه ينال بذلك عند الخلق رفعة وكرامة، وصارت له من القلب منزلة تقضي حوائجه، ويعظم، فرحت بذلك. فإذا هو يطلب الجزاء من الله تعالى، والثواب من الخلق. فهذا الذي في نفسه هذه الفتنة كائنة يجاهد نفسه في وقت العمل إذا أعلن به، حتى ينكر عليها ذلك، ولا يرضى، ولا يقبل منها هذه الوساوس. فإن أغفل المجاهدة طرفة عين، وجد نفسه في عين هذه الفتنة. فصاحب هذا ضعيف اليقين. وإذا هرب من الاعلان فأسره ضوعف له عمله بسبعين ضعفاً، لأنه يفرغ لله قلبه من أشغال النفس. فإذا أعلنها نصحاً لله تعالى في عباده، وحباً لأن يعبده الخلق، صار السبعون مضاعفاً الضعف الذي لا يحصيه إلا الله تعالى.

فإذا لم يكن من رجال الاعلان، ولم يبلغ قلبه من المنازل محلاً تموت فتنة نفسه ويفتقد منها حب المدح من الخلق، وفرح الرياسة والعلو، أمسك عن الإعلان وأسره، وصفا العمل لصاحبه بتلك النية الصادقة، وسلمت النية بما أسره. فهذا الوجه للمقتصدين.

ووجه آخر للسابقين المقربين. فإذا أسر العمل، إنما يسره ليخلو بربه في تلك الطاعة، فإن الله تعالى موجود بكل مكان، وفي كل طاعة. فإذا أسر العمل وخلا بربه برز له وجوده في صدره بين عيني فؤاده. فمن يقدر أن يصف ذلك البروز وتلك الحلاوة وذلك الطيب، ومن يقدر أن يصف تصور القلب في أحواله وهشاشة النفس في أحوالها. وهو قول رسول الله ﷺ حيث سأله جبرائيل (عليه السلام): « ما الإيمان ؟ وما الإسلام ؟ وما الإحسان ؟ فأجابه في كل مسألة، وقال في الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فإذا فعلت ذلك فأنا محسن. قال: نعم. قال: صدقت. قال: فعجبنا من تصديقه له ». لأنهم لم يعرفوا

أنه جبرائيل حتى أخبرهم رسول الله ﷺ بعد ذلك[1].

وروي عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه لحقه ابن الزبير في الطواف، فخطب إليه ابنته ولم يكلمه ابن عمر، فلما قدما المدينة ولقيه عروة، قال له ابن عمر: إنك كلمتني في الطواف بما كلمتني، وإنا كنا نتراءى الله بين أعيننا، فهل لك فيما سألت ؟ قال: نعم. فزوجه.

وعن أبي بن كعب (رضي الله عنه) قال: كنت جالساً في المسجد فدخل رجل، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم جاء آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فلما انصرفا دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك، فقال رسول الله ﷺ للرجل: إقرأ. فقرأ. ثم قال للآخر: إقرأ. فقرأ. فقال: أحسنتما. أو أصبتما. فلما رأيت رسول الله ﷺ قد حسن قراءتهما سقط في نفسي وودت أني كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله ﷺ ما غشيني ضرب بيده في صدري، ففضت عرقاً وكأني أنظر إلى الله فرقاً. فقال: يا أُبي إن ربي أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف. فرددت إليه: أي رب هون على أمتي. فرده إليّ الثانية أن إقرأ على حرفين. فقلت: يا رب هون على أمتي، فرده إليّ الثالثة إن إقرأه على سبعة أحرف. ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألينها. فقلت: « اللهم إغفر لأمتي » مرتين، وأخرت الثالثة إلى يوم يرغب إليّ فيه الخلق، حتى إبراهيم (عليه السلام)[2].

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب التفسير سورة ٣١ والإيمان ٣٧ ورواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٥٧ وأبو داود في كتاب السنة ١٦ والإمام الترمذي في الإيمان ٤ وابن ماجة في المقدمة ٩ باب في الإيمان ٦٣ عن كهمس بن الحسن، عن عبدالله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر، عن ابن عمر، عن عمر قال كنا جلوساً عند النبي ﷺ فجاء رجل شديد بياض الثياب شديد سواد شعر الرأس، لا يرى عليه أثر سفر ولا يعرفه منا أحد قال: فجلس الى النبي ﷺ وذكره.

(٢) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب صلاة المسافرين ٢٧٣ حدثنا أبي، حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن جده عن أبي بن كعب قال: وذكره =

وعن عبد العزيز بن أبي رواد (رضي الله عنه)، رفعه إلى رسول الله ﷺ في قصة حارثة حيث قال له: كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال: مؤمناً حقاً. قال: ما حقيقة إيمانك ؟ قال: كأني أنظر إلى الله فوق عرشه. هذا في رواية عبد العزيز.

وعن أنس (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ وقال في حديثه: كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً.

رجعنا إلى ذكر صفة السابقين المقربين. إنه إذا أسر العمل خلا بربه في العمل، فبرز له وجوده على القلب في الصدر. والأول المقتصد أسر العمل فخلا بطاعته وعبودته، لا بربه، فبرز له توحيده على قلبه في صدره.

فالمقتصد يتولى تربية عمله التوحيد. والسابق يتولى تربية عمله ربه الجواد الكريم. فإذا أسر السابق الذي هذه صفته عملاً من أعماله، فإنما يسره ليخلو بربه فيجده في العمل. وذلك قول عامر بن عبد قيس: ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله أقرب منه. وقول محمد بن واسع: ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله فيه. فقد تباين قولاهما مع رفعة قوليهما، وجلالة حظيهما في القولين. فإذا وجده السابق في العمل عمل على مشاهدة القلب فعظمه وحسنه، وبالغ فيه، ثم جعله من وراء ظهره، فلم يلتفت إليه لأنه إنما يسره من أجل شيئين: أحدهما، أنه يريد أي يطفئ نار شوقه إلى ربه بوجوده في العمل. لأنه إذا وجده فأول ما يلاقي قلبه برد الرحمة، وقرة العين. فإذا قرت عينه، وناله برد الرحمة، انطفت نار الشوق وسكنت. فهذا وجه.

= ورواه أيضاً عن ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن الحكيم عن مجاهد عن ابن ابي ليلى عن ابي بن كعب وذكره، ورواه النسائي في الافتتاح ٣٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٥: ٤١، ٥١ ١١٤، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩ (حلبي).

ووجه آخر أن عين قلبه مادة إلى جلاله وعظمته، يسأل بذلك نزاهة اليقين، فيزداد حياة بالله. ولم يسره يريد بذلك تصفيته مما يخالط من فتنة النفس، لأن نفس هذا قد ماتت وافتقدت وساوسها. قال له قائل: هذا لم لم يعلن العمل حتى يقتضي به الخلق ؟ قال: صاحب هذا قد لها عن الثواب ووله بالماجد الكريم.

ومن وجه آخر يسره يريد بذلك أن يغيبه عن أعين الخلق. فإنهم إذا رأوا صلاة وصوماً وصدقة رأوا زينة وبهاء وزهداً ونزاهة وسخاء، فأكرموه وعظموا منزلته. فإنما يسر أعماله لئلا يكتسب بها من الخلق هذه المنزلة غيرة لربه.

وإذا أسرها من هذا الوجه كان ممن يباهي الله به ملائكته. وقال: هذا عبدي حقاً، ولم يكن الله ليباهي به ويثني عليه ثم لا يفيده شيئاً. وأول ما يفيده أن ينشر ثناؤه الذي أثنى به عليه في ملائكته على قلوب أهل الأرض حتى ينظروا إليه بتلك العين، وتتناسم الأرواح برؤيته، وتتباشر القلوب بلقائه، وتلتذ العيون الشاخصة بالنظر إليه.

قال عيسى (عليه السلام): إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن شفتيه. وإذا تصدق فليخف يمينه عن شماله. وإذا صلى فليدل على بابه ستره، فإن الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق.

فهذه وجوه إسراره للعمل.

وإذا أعلنه فإنما يعلنه حباً. لأن يعبد الله في أرضه بمثل ما يعبده نصيحاً لله في ذاته وفي دينه، وفي كتابه ورسوله وخلقه.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: ألا إن الدين هو النصيحة. ثلاث مرات.

قيل: لمن ؟ قال: لله ولكتابه ولأمة المسلمين وعامتهم. رواه تميم الداري[1].

فنصيحته لله من ذاته أن تكون عينه مادة إلى عظمة الله، وفي دينه إلى حسن تدبيره، وفي كتابه إلى العمل بما فيه، وفي رسوله إلى إتباعه. وفي العامة إلى حملهم على ما فيه نجاتهم.

وقال رسول الله ﷺ: خيار عباد الله الذين يحببون الله إلى عباده، ويحببون العباد إلى الله، ويمشون لله في الأرض نصحاً.

قوله: يحببون الله إلى عباده أي يذكرونهم آلاء الله، ونعمه، وإحسانه. ويحببون العباد إلى الله أي يأمرونهم بالطاعة حتى يطيعوه فيحبهم. ويمشون لله في الأرض دعاة إلى الله وإلى دينه. فالدعاة إلى الله دأبهم في شهرهم ودهرهم أن يعلنوا الخير كي يقتدي الناس بهم. ولذلك أثنى الله تعالى على من سأله فقال: ﴿ **واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾[2].

وإذا أسروا فالوجه الذي وصفنا. فهم على مفرق الطريقين. وهم على كلا الطريقين مستقيمون وجيهون عند الله.

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ قال: لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقى عليها فاستقرت. فتعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالت: يا رب هل من خلقك شيء

---

(١) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الايمان ٩٥ (٥٥) عن القعقاع عن أبيه قال ورجوت أن يسقط عني رجلا فقال سمعته من الذي سمعه منه أبي كان صديقا له بالشام ثم حدثنا سفيان عن سهيل عن عطاء بن يزيد عن هيثم الداري ان النبي ﷺ قال: وذكره. ورواه الترمذي في كتاب البر ١٧ والنسائي في البيعة ٣١ وأحمد بن حنبل في المسند ١: ٣٥١ ٢: ٢٩٧، ٤: ١٠٢ (حلبي)

(٢) سورة الفرقان آية رقم ٧٤.

أشد من الجبال ؟ قال: نعم، الحديد. قالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال: نعم، النار. قالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال: نعم، الماء. قالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال: نعم، التراب. قالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من التراب ؟ قال: نعم، الريح. قالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال: نعم، الإنسان، يتصدق بيمينه يخفيه من شماله. هذه رواية أنس (رضي الله عنه).

وروى علي (رضي الله عنه) هذا الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال عندما بلغ ذكر خلق الإنسان في هذا الحديث: ثم خلق الإنسان يغلب الريح يتقيها بيده، ثم خلق النوم يغلب الإنسان، ثم خلق الهم يغلب النوم. فأشد خلق ربك الهم.

فحديث علي (رضي الله عنه) موافق لحديث أنس (رضي الله عنه) لأنه إذا صار يتصدق سراً، يخفي ذلك السر بيمينه من شماله، كان قوياً، وهذا تمثيل، فاليمين هي القلب، والشمال هي النفس. ألا ترى أن الطاعة تخرج من إيمان القلب، والمعاصي من شهوات النفس. فتأويل هذه الكلمة عندنا الذي قال يتصدق بيمينه يخفيها من شماله، أي يتصدق بقلبه، ويخفيها من نفسه. فالإيمان في القلب، والهوى في النفس. فإذا أخفاها من الهوى، فهذا الإنسان يغلب الريح يتقيها بيده كما وصفه علي (رضي الله عنه) لأن الهوى تنفس النار، فهو ريح يخرج منها، فتمر بباب النار فتحمل الشهوات إلى الآدمي إلى الموضع الذي قد ركب في الآدمي من تلك الشهوة حتى يثيرها فيشتغل في العروق، ويأخذ القلب. فمرجع الروايتين إلى شيء واحد، وهو أن يعمل عملاً مبتدأه من الإيمان من القلب، فيسره من الهوى. وإسراره أن لا يلتفت إليه حتى يعجب به، أو يرى لنفسه عملاً فيتكل عليه. وإذا تعلق بالأعمال نزع يده من التعلق بالرحمة، فوكله الله إلى نفسه وعمله. ومنها بدأ هلاكه. ولذلك قال الله

تعالى: يا داود بشر المذنبين وأنذر الصديقين. قال: وكيف ذاك يا رب ؟ قال: بشر المذنبين أن لا يتعاظمني ذنب أغفره، وأنذر الصديقين أنه ليس منهم أحد أنصبه للحساب وأقيمه على عدلي إلا هلك. فالملتفت إلى أعماله يريد أن ينجو من ربه بأعماله، وإذا هو هلك.

وهذا قول رسول الله ﷺ: ليس أحد منكم ينجيه عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته.[1].

والذي يغلب الريح هو الذي يغلب هواه في كل بر يعمل لله تعالى. وأثر الأمور عنده ما ثقل عليه لأنه يعلم أنه أصفى وأبرأ من هيئآت النفس وموردات الهوى. فهو يجتهد أن يخفيه من نفسه.

فأما المقربون فإنهم عملوا لله كأنهم يرونه. فلو أن أحدهم صار له عمل الأولين والآخرين لتلاشى في عينه إذا صار قبالة عظمة الله وجلاله.

وإنما قلنا إن حديث علي (رضي الله عنه) موافق لحديث أنس من أجل أن النوم في الظاهر يغلب الإنسان. وفي الباطن النوم هو الغفلة، لا غفلة القلب، ولكن غفلة النفس عن أحوالها في الدنيا. فإذا جاءت الغفلة، نام القلب عن شهوات النفس وأحوالها وأفراحها. فإذا جاء الهم طار النوم. فحيى القلب بالله، فذاك الهم في الظاهر هو أحوال النفس. وفي الباطن هم ربه. فلذلك قدر أن يتصدق بقلبه ويخفيها من نفسه، لأن صفته إن قطع همه بربه عنه نومة الغفلة، فرجع الكلام إلى ما قلنا إن المؤمن إذا صار

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٢٠ باب التوقي على العمل ٤٢٠١ ــ ثنا شريك ابن عبدالله عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ وذكره. وفي الزوائد: إسناده حسن، وشريك مختلف فيه.

ورواه البخاري في الرقاق ١٨ والمرض ١٩ ورواه الإمام مسلم في المنافقين ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٨ والدارمي في الرقاق ٢٤ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٣٥، ٢٥٩ (حلبي).

بهذه الصفة كان أشد وأقوى من الأرضين والجبال والحديد والنار والماء والريح. فهو أشد خلق ربه، لأن ذلك الهم هم النفس من أحوال الدنيا، يطرد النوم وينفيه. وهم القلب من أحواله في الملكوت يطرد عنه النوم، نوم القلب، ونوم العين. فالهم قد غلب هذه الأشياء.

فلذلك قال ابن مسعود لعمر (رضي الله عنهما): إنّا نجد أن عمل المؤمن في يوم واحد أثقل من سبع سموات وسبع أرضين.

وقال موسى (عليه السلام) فيما روي عنه: يا رب إني أجد صفة قوم في قلوبهم من النور أمثال الجبال الرواسي، تكاد البهائم تخر لهم سجداً إذا رأتهم من النور الذي في قلوبهم. قال: يا موسى تلك قلوب طوائف من أمة محمد، إنما بلغوا ذلك بإقبالهم على أنفسهم وذمهم لها، وإنما هلك من هلك من قومك بالعجب بأنفسهم.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن لله ملائكة موكلين بأرزاق بني آدم، ثم قال لهم: أيما عبد وجدتموه جعل الهم هماً واحداً فضمنوا رزقه السموات والأرضين والطير وبني آدم.

فأما قول عيسى (عليه السلام): إن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق، فإنما يقسم الثناء على القلوب، على أقدار محل العباد عنده. وإنما يحل العباد عنده حيث يحلون ربهم (عز وجل) من قلوبهم.

قال رسول الله ﷺ: من أحب أن يعلم ما منزلته عند الله، فلينظر ما منزلة ربه عنده، فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه.

فقلوب الخلق في قبضته، وبين اصبعين من أصابعه. فيرى القلوب محل العبد من صدق العبودة، حتى يحبه العبيد، وذلك قوله تعالى: ﴿ **إن الذين**

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث في الجزء الثاني

آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: من هاب الله أهاب الله منه كل شيء. ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء. ومن أحبه حببه الله إلى عباده وأثنى عليه[2]. وهو قوله تعالى لموسى (عليه السلام): ﴿ **وألقيت عليك محبة مني** ﴾[3]. وقوله تعالى عند ذكر أنبيائه: ﴿ **وتركنا عليه في الآخرين** ﴾[4]. فإنما ينزل الثناء على القلوب، ويظهر السمات على الشخص.

قيل: في قوله تعالى: ﴿ **وألقيت عليك محبة** ﴾ قال: الحلاوة والملاحة.

وعن الزهري قال: يعطى الصادق ثلثي الحلاة والمهابة والطلاوة.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ **سيجعل لهم الرحمن وداً** ﴾[5] قال: إن الله (عز وجل) أعطى المؤمن المحبة والمقة والمهابة في صدور الصالحين.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: أولياء الله الذين إذا رؤوا ذُكر الله[6].

---

(١) سورة مريم آية رقم ٩٦.

(٢) هذا الحديث رواه السيوطي في الجامع الكبير وقصره على الحكيم الترمذي عن واثلة وأشار عليه بالضعف ولفظه: من اتقى الله وهابه الخ

(٣) سورة طه آية رقم ٣٩.

(٤) سورة الصافات آية رقم ٧٨، ١٠٨، ١١٩، ١٢٩.

(٥) سورة مريم آية رقم ٩٦.

(٦) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٤١١٩ ــ ثنا يحيى بن سليم عن ابن خيثم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره.
في الزوائد: هذا إسناد حسن، وشهر بن حوشب، وسويد بن سعيد مختلف فيهما، وباقي رجال الإسناد ثقات.

وروي في حديث آخر: قال موسى: يا رب، من أولياؤك ؟ قال: الذين إذا ذكروا ذكرت وإذا ذكرت ذكروا.

وقيل: يا رسول الله، من نجالس ؟ قال: خياركم. قيل: ومن خيارنا يا رسول الله ؟ قال: من يذكركم بالله رؤيته، ويزيد في عملكم منطقه، ويزهدكم في الدنيا عمله[1].

فقسمة الرزق على التدبير في الباطن، وقسمة الثناء على منازل العباد في الباطن في كينونتهم له عبيداً، وتسليمهم إليه نفوساً، ولأمره انقياداً، ولأسمائه علماً، فيورثهم خشوعاً وطمأنينة وثقة. فإذا هبته هابك الخلق. وإذا عظمته عظمك الخلق، وإذا أحببته أحبك الخلق. وإذا وثقت به وثق بك الخلق واطمأنت نفوسهم إليك. وإذا أنست به أنس بك الخلق. وإذا نزهته نظر إليك الخلق بعين النزاهة والطهارة، يحكي لقلوب الخلق عن قلبك ما يراه من قلبك. فإن شئت فازدد، وإن شئت فانقص. فإنما تنقص من حظ نفسك. فمنتهى قسمة الثناء أن خلط ذكره بذكره، وجعل على شخصه طلاوة سماته. فإذا رأوه ذكروا الله. قال له قائل: وما تلك السمات ؟ قال سمات الحظوظ. قال: حظوظ من ماذا ؟ قال حتى تخرج من المهد وتنفطم عن الرضاع. فعندها تعرف السمات إن شاء الله تعالى. قال: وما المهد ؟ وما الفطام ؟ قال: الإنسان من حين يولد فهو راكب هواه، غير مفارق لشهواته ونهماته، فهو في مهد مناه، كالصبي في المهد يريد في كل أمر أن يبر ويلطف له ويعطف عليه ويعمل بهواه ويعلل كالصبي، ويداري ويوافق في مشيئآته. هذا حاله إلى أن يشيخ ويكبر ويدخل قبره، لم يدخل في عبودة الله تعالى قط، ولا تولى الله قط ولاية الحق. إنما تولاه ولاية التوحيد وحده بما مَنَّ عليه من عقد الإيمان، وقبل منه الإيمان والإسلام أن يكون مطمئن القلب في الله تعالى في كل حال، ساكناً عند أحكامه مسلماً إليه جميع جوارحه عند أمره ونهيه، ثم هو عبد

(١) سبق تخريج هذا الحديث في الجزء الثالث

آبق منخلع العذار، مستبد، حرون، جموح، إذا أمره تثاقل وحرن. وإذا نهاه جمح. وإذا قسم له بحسن تدبيره من الأحوال أرسل مشفريه كمشفري البعير، وعبس وجهه، وانقبض انقباض القنفذ. وإذا حكم عليه التوى، وذلل بقدميه الأرض. فهذا عبد دنياه، وعبد بطنه، وعبد فرجه وشهواته ومناه. فمتى يقدر هذا أن يعظم حقوق الله ويعظم أمره، ويتذلل له عبودة، ومتى يصير هذا عالماً بالله، عارفاً له وبمننه وإحسانه، شاكراً خاشعاً خائفاً لزوال النعمة مستحيياً منه، هيهات ما أبعد هذا، فهذا رضيع في المهد، فلينظر أين يكون من تلك العرصة العظيم شأنها، ومن تلك الصفوف كما يكون الصبي من محافل الدنيا مع مخاطه وأدناسه وأوساخه ولهوه ولعبه من وراء الباب، لا يعبأ به ولا يهيأ له مجلس. والذي فطم حتى تأدب وشب وأخذ الزينة والهيئة والبهاء واللباس والأدب أين يقعد. فلذلك من فطم نفسه عن الشهوات، وعن ارتضاع حلاوة الدنيا، ورمي بعلل نفسه، ورفع باله عن الخلق، ماذا يقال له ؟ وماذا يكون ؟ أعتقه الله من رق النفس بأنوار الهدى، وحشا صدره من أنوار الحظوظ، ووسمه بسماته. فالدنيا كلها تحت قدمه، والخلق من وراء ظهره، والله نصب عينه، يتخطى على أعناق الخلق في الموقف إلى الله يسبق الصفوف صفاً صفاً، ويقال له: ادنُ، حتى يغبطه الناظرون إليه من أهل القرية.

وهو ما رواه أبو مالك الأشعري (رضي الله عنه) قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: اعقلوا واعلموا أن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء لمكانهم وقربهم من الله. فقام إعرابي فقال: يا رسول الله من هم، حلهم لنا. فسر وجه رسول الله ﷺ لقول الإعرابي. فقال: هم قوم لم تصل منهم أرحام متقاربة، من أفناء الناس ونوازع القبائل، تحابوا في جلال الله (عز وجل)، وتصافوا فيه، وتزاوروا فيه، وتباذلوا فيه، يضع الله لهم منابر من نور فيجلسون عليها، وإن ثيابهم لنور، ووجوههم نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يفزعون إذا فزع الناس،

أولئك أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون[1].

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: إن الله تعالى إذا أحب عبداً أثنى عليه من الخير مثل عمله سبع مرات. وإذا أبغض عبداً أثنى عليه مثل عمله من الشر سبع مرات[2].

وعن أبي الهيثم قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله إذا أحب عبداً أثنى عليه بسبعة أضعاف من الخير لم يعمله. وإذا أبغض عبداً أثنى عليه بسبعة أضعاف من الشر لم يعمله.

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: هل تدرون من المؤمن ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: المؤمن من لا يموت حتى يملأ مسامعه مما يحب. ولو أن عبداً اتقى الله في بيت في جوف بيت إلى سبعين بيتاً، على كل بيت باب من حديد، ألبسه الله تعالى رداء عمله حتى يتحدث به الناس ويزيدون. والكلام مثل ذلك في فجوره. قيل: وكيف يزيدون يا رسول الله ؟ قال: إن التقى لو استطاع أن يزيد في بره لزاد. والفاجر لو يستطيع أن يزيد في فجوره لزاد.

وقال (عليه السلام): نية المؤمن أبلغ من عمله[3].

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الزهد باب ٥٣ ما جاء في الحب في الله ٢٣٩٠ حدثنا كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان، حدثنا حبيب بن أبي مرزوق عن عطاء بن أبي رباح عن أبي مسلم الخولاني، حدثني معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره.

وقد رواه مختصراً، وفي الباب عن أبي هريرة وعن أبي الدرداء وابن مسعود، وعبادة ابن الصامت، وأبي مالك الأشعري. وقال : هذا حديث حسن صحيح.

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٣٨ ثنا أبو عبد الرحمن ثنا حيوة، أخبرني سالم بن غيلان أنه سمع دراجاً أبا السمح يحدث عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: وذكره.

(٣) قال السخاوي أخرجه الطبراني قال: وكذلك هو عنده وعند العسكري من حديث النواس =

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: يقول الله (عز وجل) لعبده يوم القيامة: عبدي عبدتني أكرمك الناس، ووضعوك على رؤوسهم. زهدت في الدنيا راحة تعجلتها، هل واليت لي ولياً، أو عاديت لي عدواً ؟.

عن واثلة بن الأسقع (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ أنه قال: يؤتى يوم القيامة بعبد محسن في نفسه، لا يرى أن له سيئة، فيقال له: هل كنت توالي أوليائي ؟.
قال: يا رب كنت من الناس سلماً.
قال: فهل كنت تعادي أعدائي ؟
قال: يا رب إني لم أكن أحب أن يكون بيني وبين أحد شيء. فيقول: وعزتي لا ينال رحمتي من لم يوال أوليائي، ولم يعاد أعدائي.

فأما الذي يفعل ويحب أن يحمد فهو على وجهين، فإن كان حبه للحمد لأن يعلو بذلك منزلته عند الخلق، فهذا فتنة. وإن كان حبه للحمد من نزاهة نفسه وشرف قلبه في الدين، يطلب الجمال والهيئة، والله جميل يحب الجمال. فإن طلبه في أموره أن يحمد فهو محمود، لأنه لم يطلب بذلك الحمد دنيا، وإنما طلب به مسكة الدين والعصمة، لئلا يذل في خلقه فيذل دينه. ولذلك قال رسول الله ﷺ : « ليس المؤمن أن يذلّ نفسه »(١). وقال في خطبته : « طوبى لمَن تواضع في غير مذلّة »(٢).

قال بشر الثعلبي: كنت جالساً عند أبي الدرداء (رضي الله عنه)، فمر

= ابن سمعان قال وأخرجه الديلمي من حديث أبي موسى الأشعري. بزيادة [وعمل المنافق خير من نيته، وكل يعمل على نيته فإذا عمل المؤمن عملاً نار في قلبه نور].

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير ونسبه الى الحكيم الترمذي

(٢) رواه البخاري في تاريخه، والعسكري والبغوي والبارودي والطبراني وآخرون بسند ضعيف حتى قال ابن حبان لا يعتمد عليه، وإن قال ابن عبد البر إنه حديث حسن فيه آداب لاشتماله على فوائد جليلة، والظاهر أنه قصد الحسن اللغوي، ورواه العسكري عن ركب المصري والله أعلم.

بنا ابن الحنظلة، رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان رجلاً متوحداً، قل ما يجالس الناس. إنما هو صلاة. فإذا انصرف إنما هو تسبيح وتكبير وتهليل حتى يأتي أهله. فمر بنا فقال أبو الدرداء: كلمنا كلمة تنفعنا ولا تضرك. فقال: بعث رسول الله ﷺ سرية فقدمت، فقال رجل: لو رأيتنا حين لقينا العدو، فطعن فلان فلاناً، فقال: خذها وأنا الغلام الغفاري. ورجل إلى جنبه، فقال: كيف ترى ؟ قال: ما أراه إلا أبطل أجره. قال الآخر: لا أرى بذلك بأساً. فتنازعا في ذلك حتى سمع رسول الله ﷺ فقال: سبحان الله، لا بأس أن يؤجر ويحمد. فسر بذلك أبو الدرداء، فقال: أنت سمعت هذا ؟ فجعل يقول : نعم.

وعن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: قال رجل: يا رسول الله، إني حب أن أحمد. كأنه يخاف على نفسه. قال: وما يمنعك أن تعيش حميداً وتموت فقيراً، وإنما بعثت لأتمم محاسن الأخلاق.

وفي رواية أخرى أن هذا الرجل الذي سأل رسول الله ﷺ هو ثابت ابن قيس بن شماس.

فهذا يحب الحمد لشرف نفسه، وللتجمل هرباً من الذم، ونزاهة من دناءة النفس، لأن الحمد والذم ضدان. فإذا فقد الحمد ظهر الذم. وأما الذي يحب الحمد للمباهاة وطلب العلو فذلك مذموم. قال الله تعالى: ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض** ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ **ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا** ﴾[2].

وعن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة أن لا تكون بشيء مما في يدك أوثق منك بما في يد الله تعالى، وأن يكون ثواب

---

(١) سورة القصص آية رقم ٨٣.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٨٨.

المصيبة أحب إليك من أن لو نفيت عنك المصيبة. ولكل حق حقيقة، ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه. ولا يبلغ العبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شيء عمل لله (عز وجل).

فهذا فعل السابقين. ومنزلة أخرى في هذا الباب أشرف من هذا كله. وهو أن يحب أن يحمد، ومنبع حبه للحمد حب الله تعالى، فهذا يحب أبداً أن يكتسي حمده، فيرى عليه تلك الكسوة، وتنطلق الألسنة بذلك الحمد له، فتكون تلك الألسنة شهود الله له في أرضه، فهذا أشرف المنازل، وهو الذي سأل إبراهيم (عليه السلام) ربه فقال: ﴿ **واجعل لي لسان صدق في الآخرين** ﴾[1]. أي الثناء الحسن. فأجيب إلى ذلك فقال: ﴿ **وتركنا عليه في الآخرين** ﴾[2].

ومحمد ﷺ فوض ذلك إلى ربه فزاده فقال: ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾[3]. فقرن ذكره بذكر نفسه. ثم جعل لأمته من ذلك أوفر الحظ. فقال موسى (عليه السلام): يا رب من أولياؤك ؟ قال: الذين إذا ذكروا ذكرت، وإذا ذكرت ذكروا.

وقيل: يا رسول الله من أولياء الله ؟ قال: الذين إذا رؤوا ذكر الله.

عن أنس (رضي الله عنه) قال: بينا رسول الله ﷺ قائم إذ مرت به جنازة فسأل عنها وأثنوا عليها خيراً. فقال: وجبت. ثم مرت به أخرى، فأثنوا عليها شراً. فقال (عليه السلام): وجبت. فقلنا: يا رسول الله، قلت: « وجبت ». قال: إن المؤمنين شهود الله في الأرض. إذا شهدوا للعبد بخير أوجب الله له الجنة. وإذا شهدوا للعبد بشر أوجب الله له النار.

---

(١) سورة الشعراء آية رقم ٨٤.

(٢) سورة الصافات آية رقم ٧٨، ١٠٨، ١١٩، ١٢٩.

(٣) سورة الانشراح آية رقم ٤.

وما من عبد يشهد له أمة إلا قبل الله شهادتهم. والأمة الواحد إلى ما فوقه. قال الله تعالى:[1] ﴿ **إن إبراهيم كان أمة** ﴾[2] وقال: ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس** ﴾[3].

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: ما من مسلم يوضع في قبره فيثني عليه ثلاثة أهل بيت من جيرانه خيراً، إلا قال الله تعالى لملائكته: قد قبلت شهادة عبادي لعبدي فيما ظهر، وغفرت لهم ما لا يعلمون[4].

رجعنا إلى ذكر السر والعلانية.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى: ﴿ **إن تبدوا الصدقات فنعما هي** ﴾[5] قال:

جعل الله صدقة التطوع يفضل سرها علانيتها سبعين ضعفاً، وجعل صدقة الفريضة علانيتها تفضل سرها بخمسة وعشرين ضعفاً. وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها.

وإنما قال ابن عباس (رضي الله عنهما) فيما يرى ذلك من قول رسول الله ﷺ: إن عمل السر من التطوع يفضل العلانية بسبعين ضعفاً.

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الجنائز ٢٠ باب فيمن يثني عليه خيراً أو شر من الموتى ٦٠ (٩٤٩) وزهير بن حرب وعلي بن حجر السعدي كلهم عن ابن علية (واللفظ ليحيى) قال: حدثنا ابن علية أخبرنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال: وذكره. ورواه الإمام البخاري في كتاب الجنائز ٨٦ والشهادات ٦ وأبو داود في الجنائز ٧٦ والترمذي في الجنائز ٦٣ والنسائي في الجنائز ٥٠ وابن ماجة في الجنائز ٢٠ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٢٢، ٣٠، ٤٥، ٤٦، ٥٤ (حلبي).

(٢) سورة النحل آية رقم ١٢٠.

(٣) سورة البقرة آية رقم ١٤٣.

(٤) الحديث تفرد به الحكيم في نوادره

(٥) سورة البقرة آية رقم ٢٧١.

وقال في حديث آخر: صلاة الرجل في جماعة يعني الفريضة ــ تزيد على صلاته وحده بخمس وعشرين درجة.

وروي عن أبي جعفر محمد بن علي (رضي الله عنه) في قوله تعالى: ﴿ **إن تبدوا الصدقات فنعما هي** ﴾[1] قال: الفرائض. ﴿ **وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء...** ﴾[2] قال: التطوع. وجاد ما غاص أبو جعفر (رضي الله عنه) وحق لمعدن النبوة أن يكون هكذا.

وصف الله تعالى إبداء الصدقة بالنعمة فقال: ﴿ **فنعما هي** ﴾ وإنما هي نعم كقولك: فعل. وهو ضد بئس من البؤس. والنعمة والبؤس ضدان. وكل شيء جسم واحتشا ورطب فهو نعمة. وكل شيء هزل ويبس فهو بؤس. ثم نسب فعل نعم إلى « ما »، ولفظ « ما » باطن الأشياء، كأنه قال: إبداء الصدقة نعم باطنة. وإنما نعم الإبداء لأنه فريضة افترضها الله على عباده دواء لأسقام قلوب العباد لأن القلوب سقمت بحب المال. ولذلك سمي مالاً لأن القلوب تميل بحبها عن الله، فأمر بمفارقته على سبيل التصدق، وهو إظهار صدق الإيمان، لأن الله تعالى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.

فسمي زكاة. والزكاة عبارة عن النماء، لأن فيه نمو ما نقص من نور قلوبهم، وارتحل من بركاتهم عن القلوب، وتطهراً عن أدناس الميل إلى المال من الله تعالى، وتنزّهاً عن حب المال. وقد قال رسول الله ﷺ : الإيمان حلو نزه فنزهوه .

وسمي صدقة لأن فيه إظهار صدق الإيمان. وقد حلف رسول الله ﷺ فقال: والذي نفسي بيده ما نقصت صدقة مالاً قط[3].

---

(١) (٢) سورة البقرة آية رقم ٢٧١.

(٣) هذا جزء من حديث طويل رواه الترمذي في كتاب الزهد باب ١٧ ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر ٢٣٢٥ ــ حدثنا أبو نعيم حدثنا عبادة بن مسلم، حدثنا يونس بن خباب عن =

وقال (عليه السلام) حين تصدق من تمر قدر مد قبضة قبضة، والشيء مكانه على هيئته، فقيل: يا رسول الله نراك تعطي ولا ينقص، فقال رسول الله ﷺ: أما تقرأون: ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه** ﴾[1] ولكنكم لا ترون الخلف بقلة اليقين.

وقال (عليه السلام): لو أن أم إسماعيل (عليه السلام) لم تغرف من زمزم لكان زمزم عيناً معيناً[2].

وروي أن عامر بن عبد قيس كان يأخذ عطاءه في ثوبه ثم يعطيها قبضة قبضة، فإذا بلغ المنزل وزن فيوجد كما هو، وكان بنو أعمامه يفعلون مثل ذلك، فينقص. فقالوا له في ذلك، فقال: إنكم تجربون الله (عز وجل)، وأنا لا أجرب.

وسمي المال خيراً في التنزيل. والخير منه ما كان منزوع الحمة. وحمة المال وسمه حبك له. وما لم ينزع حمته فهو مال. لأنه مال بقلبه عن الله.

قال الله تعالى: ﴿ **فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً** ﴾[3] وقال: ﴿ **إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي** ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ **وإنه لحب الخير لشديد** ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ **كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً...** ﴾[6].

= سعيد الطائي أبي البحتري أنه قال: حدثني أبو كبشة الأنصاري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه: وذكره.

(١) سورة سبأ آية رقم ٣٩.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث

(٣) سورة النور آية رقم ٣٣.

(٤) سورة ص آية رقم ٣٢.

(٥) سورة العاديات آية رقم ٨.

(٦) سورة البقرة آية رقم ١٨٠.

سماه خيراً عند حضور الموت لأنه عند انطفاء نار الشهوات، وانطماس حب المال. وقال : ﴿ **فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً** ﴾[1] لأن ذلك وقت عطف ورحمة من السيد على عبده، يرغب في عتقه من الرق، وتأخذه الحاجة لأن المال قوام الدين.

فمن أحب المال لحب الدين فقد صدق الله في إيمانه، ولم يدخل عليه في حب إيمانه ممازجة ولا شوب، وعلامته أن يكون بما أعطي أشد فرحاً منه بما بقي في يده.

ولذلك قال الله تعالى لداود (عليه السلام): يا داود هل تدري أي المؤمنين أعظم منزلة عندي ؟ الذي هو بما أعطي أشد فرحاً بما حبس.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: ليست الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة أن لا تكون بشيء مما في يدك أوثق منك بما في يد الله تعالى. وأن يكون ثواب المصيبة أحب إليك من أن لو نفيت المصيبة عنك[2].

عن سعيد بن جبير (رضي الله عنه) أن ملك الموت أتى إبراهيم (عليه السلام)، فأخبره بأن لله خليلاً في الأرض. فقال: يا ملك الموت من هو حتى أكون له خادماً ؟ قال: فإنك أنت هو. قال: بماذا ؟ قال: إنك تحب أن تعطي ولا تحب أن تأخذ.

---

(١) سورة النور آية رقم ٣٣.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب الزهد باب ٢٩ ما جاء في الزهادة في الدنيا ٢٣٤٠ حدثنا عمرو بن واقد، حدثنا يونس بن حلبس عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: وذكره.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وأبو إدريس الخولاني إسمه عائذ الله بن عبدالله وعمرو بن واقد منكر الحديث.

قوله تعالى: ﴿ **إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي** ﴾[1] سماه خيراً لأن الله (عز وجل) أعطاه تلك الخيل المعروضة عليه بالعشي تلك الصافنات الجياد. فكانت تلك عطية الله تعالى لاحقة بما أعطي من الملك.

قال تعالى: ﴿ **هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب** ﴾[2]. قال له قائل: فما الذي حل به من حبه، « حتى طفق مسحاً بالسوق والأعناق » فضرب سوقها وأعناقها ؟ قال: لأنه شغله حبه إياها عن صلاة العصر، حتى فاتته، ولم يكن حبه حب فتنة لأنه أعطي الملك بلا حساب، فعصم من الفتنة، وما اعترض تلذذاً وتلعباً بالدنيا. إنما اعترض عطية الله التي أعطاها بلا تبعة ولا حساب تلذذاً بعطف الله ورأفته. ثم لما شغله عن حب ما هو أعظم منه، رمى به كالمعرض عنه، لأنه رأى في الصلاة إقبال الله تعالى على عبده، ولم ير في العطية ولا في اعتراضه للعطية إقبال الله تعالى. فلما رأى فوت الإقبال هاجت منه حرقة فوت الإقبال، فرمى بهذا وتخلى عنه، فشكر الله له تلك الحرقة، فأعطاه بدلاً من الخيل ما لم يعط أحداً من الآدميين، وهو الريح.

قال تعالى: ﴿ **فسخرنا له الريح تجري بأمره...** ﴾[3] الآية. وقوله تعالى: ﴿ **وإنه لحب الخير لشديد** ﴾[4].

المال في الأصل قوام العباد في أمر دينهم، به يصلون ويصومون ويزكون ويتصدقون. فالأبدان لا تقوم إلا بهذا المال وأعمال الأركان لا تقوم إلا بهذا المال. منه يطعم، ومنه يشرب، ومنه يكتسي، ومنه يسكن

---

(١) سورة ص آية رقم ٣٢.

(٢) سورة ص آية رقم ٣٩.

(٣) سورة ص آية رقم ٣٦.

(٤) سورة العاديات آية رقم ٨.

من الحر والبر، وبه يتوقى الأذى والمشقة ويدفع الشدائد من الأحوال.

قال الله تعالى: ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً** ﴾[1].

أعلمك أن هذا قيامك، أي قوامك في أمر دينك ودنياك. فالمؤمن دينه ودنياه جميعاً في دنياه، وإن عمل لآخرته فإنما يعمل في دنياه، وإن عمل لدنيا فإنما يعمل في دنياه. فهذا المال على ما وصفنا حقيق أن يسمى خيراً؛ لأن الخيرات به تقوم. فإذا أحبه فاشتد حبه له فغير معيب ولا ملوم، ثم يفترق حبه فيصير على ضربين: فإن كان حبه للمال من أجل حب الله، فهو محمود، وإن كان حبه له من أجل حب نفسه الدنية البالية غدا في التراب، فهو مذموم. لأن حبه له من هذا الوجه حب فتنة. والفتنة تهديه إلى النار. لأن ذلك الحب شهوة. والشهوة بباب النار.

وقال (عليه السلام): حفت النار بالشهوات[2].

وإن كان من حب الله أحبه، فذلك الحب نور على قلبه. قال له قائل: وكيف يكون حب المال من حب الله تعالى ؟ قال: علم العبد أن الله تعالى أمره بأمور، وجعل مرضاته في تلك الأمور، وأن تلك الأمور لا تقوم إلا بالمال. فمن أحب ربه أحب أمره وابتغاء مرضاته، ثم نظر فإذا تلك الأمور لا تقوم إلا بالمال. فليس من المحال أن يحب شيئاً من أجل حب ربه، ثم يعلم أن ذلك الشيء لا يقوم ولا يتهيأ له إلا بشيء آخر، ثم لا يحب هذا الشيء الثاني ! وكيف لا يحب العبد نعمة يلتذ بها، ويجد تلك النعمة

---

(١) سورة النساء آية رقم ٥.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ١ (٢٨٢٢) حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت وحميد، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه أبو داود في كتاب السنة ٢٢ والترمذي في الجنة ٢١ والنسائي في كتاب الإيمان ٣ والدارمي في الرقاق ١١٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٦٠ (حلبي).

لحمد ربه. فإذا خلصت إليه لذة ذلك الشيء، هيجت منه ذكر المنعم، فأثارت في صدره نوراً يجدد حمده، وينكشف له الغطاء عن عطف ربه ورحمته عليه، فيزداد بذلك خضوعاً وذلة وحياء منه، وتتراكم عليه أثقال الشكر. فالنعم على هذا الوجه محقوقة أن تحب.

ومن هذا القبيل ما أنعم به على سليمان (عليه السلام)، ومن توهم أنه سأل ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده لحب نفسه ولحب دنياه، مع أن الله تعالى أثنى عليه وقال: ﴿ **نعم العبد إنه أواب** ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ **وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب** ﴾[2] وقال: ﴿ **ومن ذريته داود وسليمان** ﴾[3] ثم قال في آخر الآية: ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾[4].

فسماه مهدياً وأواباً، وصاحب زلفة، وحسن مآب. فقد رد على الله فلم يؤمن عليه الكفر.

عن جابر بن عبدالله (رضي الله عنه) قال: لما قتل أبي يوم أحد دعاني النبي ﷺ فقال: أتحب الدراهم ؟ قلت: نعم. قال: لو جاءتني دراهم أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا وهكذا. فقبض النبي ﷺ قبل أن يعطيني، فلما استخلف أبو بكر أتاه مال من البحرين، فدعاني فقال: خذ كما قال لك رسول الله ﷺ، فأخذت بكفي جميعاً، وأخذت الثانية أقل منه، فقلت: عدوا هذا، فأعطوني مثله مرتين. فعد فوجد سبعمائة وخمسين، فأعطوني مثلها مرتين[5].

---

(١) سورة ص آية رقم ٣٠، ٤٠.

(٢) سورة ص آية رقم ٤٠.

(٣) سورة الأنعام آية رقم ٨٤.

(٤) سورة الأنعام آية رقم ٩٠.

(٥) الأثر لعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر

فلو كان حب جابر (رضي الله عنه) للدراهم حب النفس والدنيا لكان معيباً، وما كان رسول الله ﷺ يهديه، ولكنا نظن بجابر الأولى والأحق حيث ناطق بهذه الكلمة رسول الله ﷺ، ووعده على ذلك جزيلاً.

وقيل لابن عون: أتحب الدراهم ؟ قال: نعم. قيل: لم ذاك ؟ قال: لأنها تنفعنا.

وقال كعب (رضي الله عنه): أول من ضرب الدينار والدرهم آدم (عليه السلام).

وقال: لا تصلح المعيشة إلا بهما.

وعن وهب بن منبه: الدنانير والدراهم خواتيم رب العالمين، وضعها الله تعالى معايش لبني آدم. لا يؤكل ولا يشرب إلا بهما. من جاء بخاتم رب العالمين، قضيت حاجته.

الأصل السادس والستون والمائتان

في أن الله تعالى إنما ينظر إلى القلوب لأن كنوز المعرفة فيها والى الأعمال

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وأحسابكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.[1]

قال أبو عبدالله: إنما ينظر إلى القلوب لأنها أوعية الجواهر وكنوز المعرفة فيها. وينظر إلى أعمال الجوارح بأن مبتدأ الأعمال من القلوب. فإذا نظر إلى الجواهر ووجدها طرية سليمة كهيئتها، محروسة من آفات النفس، مكنونة عن تناول النفس، وتلمسها شكر لعبده فزاده في الجواهر، وبصره بأقدارها وأخطارها، حتى يزداد بها غنى. ومن استغنى بالله (عز

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ١٠ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ٣٣ عن أسامة (وهو ابن زيد) أنه سمع أبا سعيد مولى عبدالله بن عامر بن كريز يقول سمعت أبا هريرة يقول: قال: رسول الله ﷺ: وذكره. وأيضاً رواه بسنده عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٢٨٥، ٥٣٩ (حلبي).

وجل) فلا قوي أقوى منه، قد آيست النفس من إجابته إياها، وآيس العدو من غوايته.

وإنما ندب العبد إلى التقوى، وصار العبد لله ولياً بأن حرس ما في قلبه من المعرفة لله، وصيره في وقاية من آفات النفس، فلا يصل إليه آفاتها من أجل صون تلك الجواهر، فإن العدو يأتي بأضدادها يريد أن يضعها في تلك الأمكنة، وينفي عن قلبه ما وضعه الله تعالى. فإن لم يقدر على النفي، غطاه بما أورد عليه، فلبس عليه، بمنزلة رجل في يده جواهر ودنانير فأكب عليه خائن مخادع يصحبه ويخالطه في الأخذ والإعطاء. فإذا أخذ منه جوهراً لينظر إليه يأخذ ياقوتة حمراء، فلا يزال يقلبها في كفه ينتظر بلاهته، ويلتمس غرته، حتى يبدله بها خرزة حمراء صافية تشبهها، وصاحبه قليل البصر بالجواهر، إنما معرفته بها ما ينظر إليه من ظاهرها، ويأخذ منه لؤلؤة فيبدل بها عظماً صافياً يشبهها، ويأخذ منه فيروزجاً فيبدله بخزف ملون أزرق صقيل، ويأخذ منه زمردة، فيبدل بها فلقة من جوهر الزجاج، ويأخذ منه ديناراً فيبدل به فلساً أصفر مدوراً، فهو لا يعرف من الدينار إلا صفرته وتدويره وكتابته، ومن الزمرد إلا خضرته، ومن اللؤلؤة إلا بياضها، ومن الياقوتة إلا حمرتها. فإذا رأى مثلها من الهيئة لم ينكر ذلك.

فكذلك هذا الموحد أعطي المعرفة ليوحد ويتوجه إلى الواحد، ويقبل على الواحد، ويبذل نفسه له عبودة، ويأتمنه على نفسه، ويتخذه وكيلاً، ويفوض إليه أموره، ويترك التدبير عليه، ويثق به، ويركن إليه، ويتذلل لربوبيته، ويتواضع لعظمته، ويتزين لبهائه، ويتخذه عدة لكل نائبة من دنيا وآخرة.

فلما رأى العدو ذلك حسده، وشمر لاستلاب ما أعطي العبد، فلم يقدر أن يكابره ويستقبله بالقهر، كما قهر الكفار وكابرهم. ولكنه خادعه وأخفى خداعه في ظل النفس، فهو يوسوس إلى النفس، والنفس توسوس

إلى القلب. فإذا كان القلب أبله، ورفض الكياسة، وكان مستثقلاً في نوم البلاهة والغفلة، انخدع لما يورد العدو، فأورد على توحيده شرك الأسباب بدلاً. وبالتوجُّه إليه توجهاً إلى أولياء الأسباب، وبالإقبال إليه إقبالاً على أحوال النفس، وببذل النفس له عبودة، بذل النفس لمناه وشهواته، وبائتمانه على نفسه إئتمان ما جمع وحوى من الدنيا، وباتخاذه وكيلاً إتخاذ علمه وبصره وحذقه بالأمور وكيلاً، وبالتفويض إليه تفويضاً إلى تدبيره وقوته مقتدراً، وبالركون إليه ركوناً إلى خدمه، فلبس ما أعطي من الكنوز بهذه الأشياء فانقطعت قوته ومادة معرفته من الله تعالى.

فأي مغبون أعظم غبناً من هذا ؟ فبعداً له لأنه قد ترك نصيحة الله له. فإنه أنزل عليه نصيحته تنزيلاً فقال: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** ﴾[1].

فإنما يذكر الله تعالى من وحده في جميع أموره ديناً ودنيا، وتوجه إليه في جميع نوائبه وحوائجه، وأقبل عليه بكل همومه، وبذل له نفسه بذل من يعلم أنه مملوك مخلوق من تراب، ممنون عليه بخلقه وبعظائم المنن، وائتمنه على نفسه سكوناً إليه واتخذه وكيلاً، فاستراح من المخاوف، وفوض إليه، وقعد ببابه ينتظر خروج تدبيره إليه، وركن إليه ركون من استند إلى جبل شامخ، لا يقدر أن يؤتي من قبله، واطمأن. فمن ألهاه حب ماله وولده عن ذكر الله بهذه الأشياء فخسر، أنه أعظم من أن يوصف لأنه خدع، فأبدل بما أعطي من الجواهر الخرز، والخزف، والزجاج، والعظام، والفلوس. فليت شعري في أي واد بقي توحيده، وفي أي واد هو « أولئك ينادون من مكان بعيد ».

عن أبي معبد بن حبان، أو عن حبان بن حجر، قال: قال رسول الله

---

(١) سورة المنافقون آية رقم ٩.

ﷺ: يأتي على الناس زمان القرآن في واد وهم في واد غيره[1].

فإنما صار في واد لأن جواهرهم ودنانيرهم قد صارت خرزاً وخزفاً وفلوساً وعظاماً وزجاجاً. فالقرآن كلام رب العالمين جرى إليهم من أصل الجواهر ليعقلوا عنه كلامه بأنوار تلك الجواهر. فإذا خدعهم العدو بنفخة الكبر فيهم، ونفثة الشهوة وسلطان الهوى، صارت هذه الأشياء بدلاً. فلم يوجد للخرز والخزف والفلوس أنوار تشرق ليستنير الصدر لكلام رب العالمين أو يتراءى لعين الفؤاد في ظلمات الكبر تلك المعاني واللطائف، هيهات ما أبعد ما وقع القوم، انخدعوا للعدو بخيانة نفوسهم حتى أهلكهم. قال الله تعالى: ﴿ **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق** ﴾[2].

تلك قلوب عز ربي وجل عن أن ينظر إليها حتى يزين فيها الخرز والحصى والخزف بدل الفلوس وتلك الجواهر، وتلك قلوب صرفها الله عن آياته ودلائله فعميت، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، تلك قلوب أعرض الله عنها وشغلها بما كثر عليها من دنياها الخربة من زينتها ولهوها ولعبها ومتاع غرورها. تلك قلوب فرحت بنفسها ودنياها الدنية وشهواتها الردية، فطمسها الله عن الفرح به، والقلوب المطموسة معرض عنها خالقها. قال الله تعالى: ﴿ **من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها** ﴾[3].

وإذا أعرض الله عن قلب، صار الصدر كنهار غربت شمسه، وإذا أظلم الصدر، انقبض القلب وذبل وافتقر وصار أسير النفس. فالفرح بالله برد يطفئ حرارة النفس، وشعاع ينير الصدر، وحياة تهزم جميع الشهوات،

---

(١) هذا الأثر من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٤٦.

(٣) سورة النساء آية رقم ٤٧.

ولطافة تجري في جميع عروقك، حتى تتأدى إلى مخ أعظمك، وحلاوة تسكرك عن كل حلاوة دونها، ولذة تلهيك عن كل لذة دونها، وبشرى يغرق فيها جميع آمال قلبك، وهيمان في تلك البشرى يدق الدنيا والآخرة في جنبها. والفرح بأحوال النفس له حرارة تحرق وجه القلب وساحته، وهي الصدر حتى يصير للقلب حزونة كحزونة الأرض، فيصبح حزيناً على فوت الدنيا.

روي عن أبي جعفر، محمد بن علي (رضي الله عنه): من أصبح حزيناً على الدنيا، أصبح ساخطاً على ربه.

وعن فرقد السنجي قال: قرأت في التوراة: من أصبح حزيناً على الدنيا، أصبح ساخطاً على ربه. ومن تضعضع لغنى ذهب ثلثا دينه. ومن نزلت به مصيبة فشكاها إلى الناس فإنما يشكو ربه.

والفرح بأحوال النفس إذا اضطرم عليه نيران الحرص، امتلأ الجو من دخانها حتى يصير صدره كالليل الدامس، وتعمى بصيرته. والفرح بأحوال النفس له سلطان يميت القلب ويحيي النفس، وتهتز الشهوات بتلك الحرارة، فهو يستحيي من الخلق ولا يستحيي من خالقه. كما قال في تنزيله: ﴿ **يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضي من القول** ﴾[1].

وله حلاوة تسكر عن الله، وبرد كبرد السم يدب في العروق، ويحذر عن الإيمان بالله، ويصيرك كأنك خال عنه، ويشتمل على روحك حتى يتغير إلى طبع النفس وكدورتها، وله لذة تلهيك عن الله تعالى، وعن يوم الميثاق ويوم الميعاد لوفاء الميثاق، وله آمال كاذبة وأماني خادعة، يهيم فيها هيمان المحتلم، يثب على كل مفروح من الدنيا وثبان المحتلم على

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٠٨.

جارية قد عشقها، فإذا انتبه وجد نفسه عما وثب إليه خالياً، وفي فراشه بائلاً. كذلك الفرح بالدنيا إذا قبض روحه يجد نفسه خالياً من أفراح النفس ودنياها، يقدم على ربه جنباً قد بال في دينه وعبوديته، وراث فيها كروث الحمار الذي قد حمل عن الله أسفاراً على ظهره، من قبل أن يتطهر بماء الندم. والكيس نظر إلى هذا الحال فاقشعر منها ورجع إلى نفسه، فوجدها كريمة حرة تنقاد وتسلس بلا كزازة، فقام على الساق متشمراً في تصفية قلبه وتطهيره ليرق ويجلى. فإن المرآة إذا جليت فقابلها نور الشمس تولد من بينهما إشراق يضيء البيت منه. فكذلك القلب إذا جلى، ثم يلاحظ نور الملكوت أضاء الصدر وامتلأ من شعاعه، فأبصرت عينا الفؤاد باطن أمور الله في خلقه. فذاك قلب قد استكمل الزينة والبهاء بما سبق من الطهارة والصفاء، فصار قلبه موضع نظر الله من بين خلقه، فكلما نظر إلى قلبه زاده به فرحاً، وله حباً ومنه قرباً، واكتنفه بالرحمة.

عن سهل بن سعد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله تعالى في الأرض أواني، ألا وهي القلوب. فأحبها إلى الله أرقها، وأصفاها، وأصلبها. أرقها للإخوان وأصفاها من الذنوب، وأصلبها في ذات الله. فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه. وإنما يصلح إذا سكنت النفس بشهواتها، والهوى بجنوده، واطمأن القلب أميراً على الجوارح، نافذاً سلطانه، فعندها يحظى العبد من الله الحنان. فإذا تحنن عليه، وجد القلب ريح الرأفة، فيزداد طمأنينة إلى ربه، واهتاجت آماله، فيأخذ في السير إليه، فعنده تظهر الكنوز، وإذا استغنى القلب بالكنوز، وصل العبد إلى زينة الأعمال وإنفاق الكنوز لمحاسن الأخلاق، ومحمود الفعال. فعند ذلك ينظر الله إلى قلبه وإلى أعماله.

الأصل السابع والستون والمائتان

في فضل العلم بالله

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل ؟ قال: العلم بالله. ثم أتاه فسأله، فقال له مثل ذلك. قال: يا رسول الله، إنما أسألك عن العمل. قال: إن العلم ينفعك معه قليل العمل وكثيره. فإن الجهل لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره .

قال أبو عبدالله (رضي الله عنه): فالعلم ثلاثة أنواع: علم بالله، وعلم بتدبير الله وربوبيته، وعلم بأمر الله.

وروي عن عيسى (عليه السلام) أنه قال: العلماء ثلاثة: عالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله، وعالم بالله عالم بأمر الله.

كأن عيسى (عليه السلام) جعل العلم بتدبيره وربوبيته مع العلم بالله علماً واحداً. وإنما صيرناه ثلاثة أنواع لأنا أردنا أن يتميز عند من لا يعقله علم الله من علم التدبير، لأن علم التدبير للعباد، وهو داخل في باب العبودة. وعلم الله هو الثناء الذي يظهر على الألسنة من القلوب. فالعلم رأس كل أمر. وخلق الله الخلق أصنافاً، ثم أعطى كل شيء علمه الذي

ينبغي له. فبالعلم يعرف ربه وبالعلم يعبد ربه. وهو جواب موسى (عليه السلام) لفرعون حيث قال: ﴿ **فمن ربكما يا موسى** ﴾ ﴿ **قال ربنا الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى** ﴾[1] أي أعطاهم خلقهم ثم هداهم، من خلقهم، ومن كونهم، ومن يملكهم، وبمن قوامهم.

فالهدى هو العلم الذي أعطى كل شيء من خلقه، حتى هداهم إلى نفسه، فالعرش، فمن دونه، إلى الثرى، كلهم أعطاهم خلقهم، ثم عرفهم نفسه وهداهم، خلق كل شيء فوضع فيه الحياة، وأعطاهم العلم به، واقتضاهم القنوت له فقال تعالى: ﴿ **وله من في السموات والأرض كل له قانتون** ﴾[2] والقنوت الركود بين يديه في مقامه الذي أقامه.

ثم بدأ خلق آدم (عليه السلام) وذريته، فجعل الأشياء سخرة للآدميين، وضع فيها تلك الأشياء التي فيها منافع الآدميين، وقوام معايشهم، وأعطاها علم إخراج ذلك إلى الأميين بمقدار معلوم، ووزن معلوم، وفي وقت معلوم، وفي موضع معلوم. فالعرش مقصد القلوب، والسموات ظلال أبدانهم، وموضع أرزاقهم، وتدبير أمورهم بما فيها من الشمس والقمر والنجوم والرياح والحر والبرد والليل والنهار، وما في الأرض كلها سخرة لبني آدم، فهم كلهم إلى الثرى، مسخرون موكلون بإخراج ما وضع فيهم من المنافع إلى الآدميين، وأعطاهم العلم على قدر ذلك من الحاجة إلى إخراج السخرة إليهم، وخلق الآدميين للخدمة، ووضع فيهم أنواره ليخرج الخدمة لله من باطنه.

فالحاجة بالآدمي إلى العلم بالله تعالى حسب ما له خلق. فانظر كم بين السخرة والخدمة. فالسخرة لنا، والخدمة لله تعالى. فلو أن أحدنا أقيم لخدمة ملك من ملوك الدنيا لعظم شأنه، واحتاج إلى علم كثير، وأدب

---

(١) سورة طه آية رقم ٥٠.

(٢) سورة الروم آية رقم ٢٦.

عظيم، وكياسة وافرة حتى يصلح لخدمته، ولدوام القيام بين يديه، ماثلاً ليله ونهاره، حتى لا يضيع شيئاً من خدمته، فكيف بمالك الملوك، ورب العزة، واله العالمين ! فعلى حسب ذلك الذي خلقنا له أعطانا من العلم، وأوتينا من العلم ما عجزت الملائكة عنه وقالت: ﴿ **سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا** ﴾[1] فعند هذا ﴿ **قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم** ﴾[2] فنحن خلقنا لما لم يخلق هؤلاء.

فهؤلاء للسخرة لنا، وللوكالة لإخراج المنافع إلينا، لنقيم عبودته بأركاننا بقوة تلك المنافع، ولنتمثل بقلوبنا بين يديه على مثال الخدم، لا تبرح قلوبنا بين يديه. قال تعالى: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾[3].

فلو لم تصل هذه المنافع إلينا من قبل المسخرين الموكلين بنا، لشغلت النفوس منا بحوائجها وضروراتها قلوبها، فتزيلها عن مواضعها، فلا تكاد تثبت، فخلق لنا ما في الأرض جميعاً، وسخر لنا ما في السموات فقال: ﴿ **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً** ﴾[4] وقال: ﴿ **وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه** ﴾[5].

فإذا إنقضت العبودة، ذهبت السخرة، وأعيد من خلق من التراب إلى التراب، ومن خلق من النار والنور رجع إلى معادنهما، فعندها يستقبلك منافع لا تنقطع في دار السلام، أو مضار في دار الهوان لا تنقطع. إما ملكاً محبوراً، وإما عبداً آبقاً مدحوراً. فأوتي هؤلاء علم السخرة، وأوتينا علم

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٣٢.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٣٣.

(٣) سورة الذاريات آية رقم ٥٦.

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٩.

(٥) سورة الجاثية آية رقم ١٣.

الخدمة. قال الله تعالى: ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها...** ﴾[1] الآية.

فلما نال العلم بالله، والعلم بتدبير الله، يسرت عليه الخدمة، لأن هذين النوعين يهديانه للخدمة. قال له قائل: ما الخدمة ؟ وما علمها ؟ قال:

أما الخدمة فالقنوت بقلبك بين يديه ماثلاً منتصباً كالمتشمر في قراطق الخدمة، مخفاً، مبادراً، مسارعاً مركبك في جميع أمورك. وأما علم الخدمة فعلم البساطين. قال له قائل: وما البساطان ؟ قال: بساط القدرة، وبساط العبودة. فإذا طالعت بساط القدرة بعقل وافر، ثم طالعت بساط العبودة بكياسة وحذق، حتى أدركت تدبيره في العبودة، وباطن أمره ونهيه، وعلل التحليل والتحريم، لماذا أحل ؟ ولماذا حرم ؟ فبعلم بساط القدرة تملك نفسك، وبعلم بساط العبودة تملك جوارحك، وخواطر قلبك. فلم يقتض الله العباد شيئاً لم يعطهم. فالأشياء كلها من عند الله. كان الله ولا شيء معه، فبسط بساط الربوبية من باب القدرة، وبسط بساط العبودة من باب العظمة، ثم كان آخر خلقه الإنسان، ابتدأ خلقه من التراب، وجمع ترابه بالماء، فعجنه ثم صوره، وركب جسده، وجعله أجوف، ثم وضع فيه الروح، والنفس، والحياة، والقوة، والعلم، والمعرفة، والذهن، والفهم، والفطنة، والحفظ، والعقل، والكياسة، والصبر، والشهوة، والرحمة، والرأفة، واللطف، والحب، والفرح، والغضب، والسخط، ثم اقتضاه استعمال ذلك كله وإبرازه من باطنه إلى ظاهر جوارحه، فيكون اعمالاً عليها، يثاب ويعاقب، وفتح لعيني قلبه طريقاً إلى المظهر للمعاملة، لتفيض منه أرزاقه وعطاياه وما يدر عليه من رحمته ومن ربوبيته، وخلق العدو وأعطاه السبيل إلى أجوافنا، فيجري في عروقنا، ومسكنه في صدورنا، وجعل جنده، وعظم قوته في الهوى. والهوى مثير الشهوات، ودواعي الآدمي إلى مكابد العدو وغروره. فمن لم يعطه روحاً

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٣١.

أو قوة أو علماً أو ذهناً أو شيئاً من هذه الأشياء، لم يقتضه ما يخرج له من ذلك الشيء، كما أنه لو لم يعطك القائمة، لم يقتضك الصلاة قائماً. ولو لم يعطك القوة، لم يقتضك الصوم. ولو لم يعطك المال، لم يقتضك الزكاة ولا الحج. ولو لم يعطك الكسوة، أجزئ عنك الصلاة عرياناً. ولو لم يعطك الماء، أجزئ عنك التيمم.

فكذلك ما في الباطن، كل شيء لم يعطك، لم يقتضك استعماله وإبرازه عنك. وكل شيء أعطاكه ووضعه فيك، فإنما أعطاك لتبرزه. فيكون ربك محموداً على ما وضع فيك، ناشراً في خلقه جماله ومحاسن فعاله، وتكون عليه مثاباً مكرماً. فإذا منعته إبرازك إياه، فقد ظلمت نفسك وضيعتها، وضاعت عنك الأشياء التي وضعها فيك. فالقلب أمير على الجوارح، والروح معلق بالوتين، وهو عرق القلب، والحياة في الروح، وكلما زيد من الحياة حيي القلب، وزاد علمه ومعرفته، وانبسط ذلك العلم في الصدر، وتميزت الأشياء، وتدبر العقل في صدره، فميز الحسن من السيئ. فالعلم إلى الذهن، والتدبير والتمييز إلى العقل، فجعل للقلب عينين، وجعل لهما طريقاً إلى المظهر وهو العرش، ومد بصر قلبك إلى مظهر نور العلم بالله، والمعرفة لله، حتى يرجع بصره إلى صدرك بعلم عزيز، وأمور مستقرة، يعلم كنهها وكيفيتها، ووضع الشهوات في الجوف. ففوران الشهوات لها دخان وغيوم؛ لأنها من باب النار. وجالبها وناقلها الهوى. فإذا صارت إلى الصدر صار الصدر كيوم مغيم، قد حال بين نور الشمس وبين قلبك، فإلى أين تهتدي ؟ وأي طريق تسلك في ذلك الغيم ؟ وأي شيء تتوقى حتى لا تتردى فيه مع ذلك الدخان ؟ وأي أرض مشاكة تتجنبها حتى لا تقع فيها ؟ وأي مزبلة تحيد عنها حتى لا تتلوث في أقذارها ؟ فإذا سكنت الغيوم وذهب الفوران، وبرزت الشمس فأشرقت، اهتديت للطريق، وتتجنب الآفات، لأنها صارت رأي العين. فإذا ذهبت الغيوم ورميت ببصر العين الذي على الفؤاد، امتد البصر إلى ذلك الذي

جعل لك الطريق إليه، فجلت ببصر عينك في ملكوت العرش، فرجع إلى القلب بالعجائب من تلك المشاهد، ووقفت على تدبير عظيم من أمر الله تعالى في شأنك. فكل حركة ظهرت منك فإنما يظهرها الحياة. وكل حركة ظهرت منك بغير ذكر الله (عز وجل) فقد فاتك من الخدمة بقدرها وبقسطها يفقدك ذكر الله تعالى إياك.

ولذلك قال ﷺ: « ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت لم يذكروا الله فيها »[1]. روى ذلك معاذ بن جبل (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « سيروا سبق المفردون ». قالوا: يا رسول الله وما المفردون ؟ قال: « هم المتهترون بذكر الله، حط الذكر عنهم أوزارهم، فوردوا القيامة خفافاً »[2].

وعن أبي جعفر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: أشد الأعمال ثلاثة: ذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ من مالك، والإنصاف من مالك.

فأدوم الناس على الذكر أوفرهم للخدمة. لكنا لا نقدر على مداومة الذكر مع كل طرفة ومع كل نفس، إنما هذا للملائكة الذين عروا من الشهوات، ونحن لا نقدر على ما قدرت عليه، لأن آفات الجسد من الجوع والعطش والآلام تشغلنا وتذهلنا، فرضي منا (عز وجل) أن يكون

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الايمان عن معاذ بن جبل ــ رضي الله عنه. ورواه السيوطي في الجامع الصغير وأشار عليه بالصحة.

(٢) الحديث رواه الترمذي، في سننه والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه، ورواه الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء ــ رضي الله عنه. وأشار اليه السيوطي في الجامع الصغير بالصحة

ذكره مع استعمال كل جارحة، لا مع كل حركة، وذلك الجوارح السبع الكواسب للخير والشر، وهي السمع، والبصر، واللسان، واليد، والقدم، والبطن، والفرج. فإذا ذكرنا مع تحريك كل جارحة بخير فرضي به، ذكرناه بنعمة تلك الجارحة علينا. فهذا ذكر يترقى به العبد درجات، حتى يبلغ منازل المقربين الذين يدوم ذكرهم على كل حال لأن قلوبهم قد ملكتها عظمة الله (عز وجل)، وسبتها محبته. وأما من دونهم، فإذا حرك جارحة من هذه الجوارح السبع بتلك الحياة التي فيها، فإنما يحركها بالقلب، والقلب أمير، وذلك التحريك منه استعمال لها. فإذا قصد الخير فإنما يقصد ذكر الله، وإياه أراد. وإذا قصد الشر بما دعاه إليه للهوى والشهوة، فقد حاد عن الله تعالى، واستعمل إمارته في طريق الجور، فجار على جوارحه وظلم نفسه حيث أرادها، وأوجب لها النار، وحرمها ثواب الله.

والحركات التي ذكرنا أولاً التي خرجت من أركانه من غير استعمال لها بقلبه مع كل نفس ومع كل طرفة لا تبعة عليه فيها، لأنها حركات الحياة، ليس فيها أمر ولا نهي، مثل نظرة الفجأة، لأن عينيك مفتوحتان، فليس عليك تبعة في وقوع بصرك على الأشياء التي تراها بأول النظرة، حتى تستعمله بقلبك. وكذلك تقلبك في مقعدك، من قبض يد، وبسط، واتكاء، واحتباء، وأشباه ذلك، هذا مما لا يمتنع منه الآدمي من الحركات. فإن ظهرت منك في ساعات تمر بك، فإن كان قلبك غافلاً عن الله، كانت خدمة قد فاتتك، وثواب ضاع عنك. المنعم يجري عليك رزقه، ويذكرك بادرار نعمه عليك، وقد ضيعت في ذلك الوقت الخدمة، فهو في ذكرك وأنت عنه في غفلتك. فإن لم تتبع بالتبعات، لحقتك الحسرة التي قال رسول الله ﷺ. وإنما يتحسر أهل الجنة في الموقف لا في الجنة لما عرضت عليهم أيام الدنيا. وماذا خرج لهم من ذكر الله تعالى.

أما ثواب عمل الأركان من قصور الجنة ونعيمها، وثواب الذكر من فرح الله بالعبد وحبه له وتقريبه والبسط منه، ثم نظروا إلى الساعة الأخرى التي لم يذكروا الله فيها وقد حرموا ثوابها. والمسخرون قد عملوا أعمالهم، وأوصلوا منافع السخرة إلى هذا الآدمي، فضاعت الخدمة عن الآدمي بقدر ما غاب عن قلبه ذكره، ولو طرفة أو لحظة، وذلك موضوع عن الآدمي؛ لأنه خلق في غيب، والملائكة في جهر وكشف، وعروا عن الشهوات، والآدمي مبتلى بها، فهو نسَّاء خطاء عجول. فلما خلق الله تعالى خلقنا هكذا، رحمنا وعطف علينا، فأعطانا في القلوب من العلم به ما أنبأنا في كتابه أن الملائكة عجزت عن ذلك العلم، ﴿ **قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا** ﴾[1].

فالملائكة يطالعون بعيون أجسادهم ما تحت العرش، وقلوب الآدميين تطالع ما وراء الحجب من عظائم الأمور التي لا تدور الألسنة بذكرها. ثم الآدميون على ضربين: ضرب أهمل القلب حتى خرجت الحركات منه بغير ذكر ولا نية فيما أذن الله له من الأكل والنوم والشرب، فهو في ذلك الوقت مضيع للخدمة بطال، فتعظم حسرته. والضرب الآخر أهمل القلب حتى خرجت حركات في أمر لم يأذن به الله تعالى، فصار ذنباً ومعصية، فذهب العبد بالرقبة، أكل رزقه وأبق، فاجتمع عليه أمران: فوت ذهاب الخدمة، وعار الإباق. فهو أعظم حسرة وأشد عقوبة. فلما علم الله تعالى أن ذلك نازل بعبيده لم يؤيسهم من رحمته، بل ترك لهم بابين مفتوحين، باباً عن اليمين، وهو باب التوبة، وباباً تجاهه وهو باب الدعاء. وبسط يده فتركها مبسوطة لمن رجع إليه وبايعه على رد الرقبة وبذل النفس.

عن أبي موسى (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٣٢.

ينام، ولا ينبغي له أن ينام، باسط يده لمسيء النهار أن يتوب بالليل، ولمسيء الليل أن يتوب بالنهار، حجابه النار، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره[1].

فإذا تاب وأقام على سواء الطريق أشرق له نوران: نور الحق ونور العدل. فنور الحق يمنعك عن الباطل والمعصية، ونور العدل يمسكك عن الميل في الحق، وهو أن تكون في الطاعة مرائياً أو متصنعاً أو مداهناً، فتذهب عن الاستقامة، وهو قوله تعالى: ﴿ **ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾[2].

فإذا ظفرت بهذين النورين، وكانا لك فلزمتهما فأنت في كل أمر يحدث يخرج حركاتك إلى الجوارح من قلب محق عدل. فهذا قد أكل رزقه، وقبض منافعه من المسخرين، وأدى إلى الله تعالى خدمته. وفي خلال ذلك يستغفر للتقصير الذي يتخوف منه. فلم يبق للسموات والأرض، ولا للشمس والقمر والليل والنهار عليه تبعة ولا خصومة. ومن كان بخلاف ذلك، فهؤلاء كلهم خصماؤه. فويل له من أرضه التي يدفن فيها، ماذا تعمل به، وكيف تعصره عصراً، وكيف تضغطه ضغطاً؟ ومن سمائه التي يصعد بروحه إليها، ومن ملائكة الله حيث يمر بروحه عليهم، ومن جميع خلقه المسخرين له، يقولون: قد استرحنا من هذا العبد الآبق. ولذلك قال رسول الله ﷺ: « مستريح ومستراح منه » .

فالمستريح من غفر له، والمستراح منه من هؤلاء خصماؤه يقولون: أوصلنا إليك السخرة، فأين الخدمة ؟. فمن تاب وتطهر تولاه الله تعالى،

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم ٧٩ باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام ٢٩٣ (١٧٩) حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة، عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات: وذكره ورواه ابن ماجة في المقدمة ١٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٤٠١، ٤٠٥ (حلبي).

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٥٩.

واتخذه حبيباً كما قال تعالى: ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾[1] ثم أرضى عنه خصماءه.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ينادي مناد يوم القيامة: ألا من كان لله ولياً فليعتزل. ثم يقول: أنا ضامن لمن إدعى قبلهم حقاً .

فهؤلاء الذين ضمن لهم آدميون، ونادى جبرائيل (عليه السلام) بحب الله له فبرأه من تبعة أهل السخرة.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: إن صلاتكم عليّ معروضة يوم الجمعة، فأكثروا عليّ الصلاة. فقال قائل: كيف وقد رممت ؟ فقال: إنَّا معاشر الأنبياء حرم الله على الأرض أجسادنا أن تأكلها[2].

أخبر عن حال الأنبياء (عليهم السلام) أن الأرض تبرأت منهم، ولم تتبعهم مما أكلوا فيها لأنهم تناولوا ما تناولوا منها بالحق والعدل.

يحقق ما قلنا حديث جابر بن عبدالله أن شهداء أُحُد لما نقلوا عن قبورهم إلى موضع آخر في زمن معاوية، حيث أراد أن يجري الماء في ذلك الموضع، أخرجوا عن قبورهم بعد نحو من أربعين سنة رطاباً، حتى أصابت المسحاة قدم حمزة (رضي الله عنه) فانبعث دماً طرياً.

وقد حذر الله عن الميل عن الحق واتباع الهوى. قال تعالى: ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع**

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٢٢.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ١٠٨٥ عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث الصنعاني عن شداد ابن أوس قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

ورواه أبو داود في الوتر ٢٦ والنسائي في الجمعة ٥ والدارمي في الصلاة ٢٠٦ وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٨ (حلبي).

الهوى فيضلك عن سبيل الله. إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾[1].

أعلمنا أن نسيان يوم الحساب يجرئنا على استعمال الهوى، وترك الحذر من العلم بالهوى. وأعلمنا في آية أخرى أن في يوم الحساب إبلاء السرائر، واستخراج حاصل الصدور. فإن قال قائل: إن الله تعالى وضع فيّ علماً ومعرفة وقوة وذهناً، وغير ذلك من الأشياء، ولكن منعني الإذن فبقي هذه الأشياء في غير عاملة ولا مستعملة. فمن حجة الله تعالى أن يقول: إنما أعطيتك هذه الأشياء ووضعتها في وعائك ـــ والوعاء هو القلب والنفس ـــ فإذا ذهبت بقلبك ونفسك عني، وأقبلت على الشهوات واستعمال الهوى، فقد ذهبت بالنفس وبما فيها من هذه الأشياء الموضوعة فيك، وهي نعم مني فيك، فلما غيرت بأن ذهبت بنفسك، انقطع الإذن، وبقيت الأشياء غير عاملة. وقال في تنزيله: ﴿ **ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾**[2].

وإذا ذهبت بروحك، وحياتك، وقوتك، وعلمك، وذهنك، وفهمك، وفطنتك، وحلمك، وبصرك، وكياستك، فمازجتها بالهوى، والهوى دنس قد خرج من النار ومر بالشهوات فاحتملها إلى شهوتك الموضوعة في نفسك فأثارها، فأغبر عليك صدرك، وبقيت عينا الفؤاد في الصدر في ذلك الغبار تائهة، فغيرت النعم بأن قطعت الإذن عنك. فإن وقفت نفسك بين يدي بما فيها من الأشياء الموضوعة، فقد بذلت نفسك لي، وصرت أميناً من أمنائي، فأذنت للأشياء الموضوعة فيك إذناً عاماً لا يحتاج إلى أن تستأذنني في كل أمر، مثال هذا العبد المحجور الذي لم يوثق بأمانته، فإنه يحتاج في كل تصرف إلى إذن خاص، ولا يلزم السيد ضمان ما استدان

---

(١) سورة ص آية رقم ٢٦.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٥٣.

بغير إذنه، بل تعلق رقبته في يوم العتق. والعبد الذي يوثق بأمانته يكون مأذوناً مطلقاً تاجراً أميناً، فلا يحتاج في كل تصرف إلى إذن خاص. وكل ما يركبه من الديون يلزم السيد. كذلك عبدي المتهم الذي لا يبذل لي نفسه أحجر عليه لأضبطه، أما إذا بذل لي نفسه، وتخلى من الهوى والشهوة، اجتبيته وهديته، كما وصف خليله: ﴿ **شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه** ﴾[1].

فهو في قبضة الله يستعمله على مشيئته ومحبته. فإذا نطقوا فيه نطقوا. وإذا نظروا فبه نظروا. وإذا سمعوا فبه سمعوا. وإذا بطشوا فبه بطشوا. وإذا مشوا فبه مشوا. وإذا تدبروا فبه تعلقوا.

كذلك جاء عن عروة بن الزبير، عن عائشة (رضي الله عنها)، عن رسول الله ﷺ، عن جبرائيل (صلوات الله عليه)، عن الله تبارك وتعالى.

قال له قائل: وما بذل النفس لربه ؟ قال: أن يترك جميع مشيئآته لمشيئته. فإن الله تعالى خلقه لما شاء، لا لما شاء العبد، ودبر له من أمر دنياه ما علم أن صلاحه فيه. فإذا ترك العبد مشيئته، فصارت عينا قلبه شاخصتين إلى ما يبرز له من الغيب، فرضي به، وقد فوض إليه قبل ذلك أمور، فقد بذل له نفسه، وزالت عنه التهمة، وصار أميناً من أمنائه، فأذن لجميع ما وضع فيه أن يعملوا أعمالهم في الباطن، ويؤدوا إليه ثمراتهم، فصار عبداً مأذوناً، تدور رحى حركاته بالقطب، وهو الإذن. وعند ذلك صارت مشيئة ربه في مشيئته. فمتى ما شاء شيئاً أنفذه. وكأن ذلك الشيء الذي شاء العبد مشيئة ربه، فهو الذي يقسم على ربه.

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على ربه لأبره[2].

---

(١) سورة النحل آية رقم ١٢١.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٤ باب من لا يؤبه له ٤١١٥ عن زيد بن واقد=

فإن كان من حجة العبد أن يقول: وضعت فيّ العقل، والعلم، والقوة، والحياة، ولكن حبست عني الإذن، وهذه الأشياء كلها جنود القلب، والقلب أمير. فمن حجة الرب تعالى أن يقول: إني وضعت هذا فيك لتكون النفس لي، وقائمة بين يديّ، فخانت وزاغت، ولم تنظر إلى مشيئتي وتدبيري الذي سبق خلقها.

والخائن كالعبد المحجور، يطلق له الإذن في شيء، ولا يطلق في شيء، لأنه يفسد ولا يضبط. قال تعالى في تنزيله: ﴿ **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله** ﴾[1].

فالاذن للنفس بما وضع فيها. فإن قال العبد مخاصماً: فهل أقدر أن أبذل نفسي وأترك مشيئتي إلا بما تعطيني، فإنك وضعت فيّ الشهوات، وإنما زاغت بي حلاوة شهواتي، وقوة هواني. فمن حجة الرب تعالى أن يقول: أعطيتك حلاوة معرفتي، وقوة الحياة بي، وقائمة من عندي، وتعلقاً بحبلي، فهلا جررت حلاوة شهواتك إلى حلاوة معرفتي بقوة تلك الحياة، وبثبات تلك القائمة، ورسوخ قدمك في القائمة حتى تنغمر حلاوة شهواتك في حلاوة معرفتي وتعلقك بحبلي، حتى لا يقدر الهوى أن يمد بك، فههنا تنقطع الحجة، وتتحير العبيد. فالمؤمنون مَنَّ الله عليهم في السير بمشيئته، وليس لأحد في المشيئة منازعة أن يقول: لم شئت لفلان، ولم تشأ لي. وكذلك المحبة. فخلق الله الخلق في ظلمة، ثم رش عليهم من نوره، فلما أصاب من أصاب بمشيئته، وأخطأ من أخطأ بمشيئته، فقد علم من يصيبه ممن يخطئه. فلما أبرز السلطان النفر الذين لم ينالوا من ذلك الرش شيئاً فتباعدوا. فلما خرجوا من صلب آدم (عليه السلام)

= عن بسر بن عبيدالله عن أبي إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ وذكره، ورواه الترمذي في كتاب المناقب ٥٤ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ١٤٥، ٥ : ٤٠٧ (حلبي).

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٤٥.

خرجوا سوداً، عمياً عن الله فأقروا به كرهاً على وجه التقية. وذلك قوله تعالى: ﴿ **وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً** ﴾[1].

كذلك هؤلاء الموحدون أعطاهم كلهم آلات الطاعة في الباطن من العلم والذهن والعقل، ثم لم يعطهم ما به يبذلون أنفسهم له حتى لا يشاءون شيئاً إلا ما شاء الله من أجل الشهوات التي ركبت فيهم لأن للشهوات حلاوة. وإنما أعطي ذلك من يذل نفسه لله، وقطع عن نفسه حب الشهوات مجاهداً لنفسه، محارباً لهواه، ماداً بقلبه إلى ربه، ضرعاً باكياً، تجري دموعه على خديه، فمرة يجثو، ومرة ينتصب، ومرة يضع خده بالأرض، ومرة يدعو، ومرة يتملق، حتى رحمه ربه، واطلع على صدق بذله، فمنَّ عليه بذلك الحب الذي هو أصل الحب عنده، فأحياه بذلك، وأذاقه من حلاوته ما جرف كل حلاوة في نفسه، كالسيل الذي يجيء فيجري بالكناسات وما فيها وبالمزابل بما فيها من الأقذار والميتات، فصارت بقاعاً طاهرة. فكذلك صدر هذا العبد بما نال من هذا الحب فذهبت مشيئآته بحب خالقه، فصار مأذوناً بجميع ما فيه من الأشياء الموضوعة فيه، حتى أينعت ثمراتها، ونورت عمالاتها على الجوارح، ثم صيره في أحوال الدنيا مقسماً على ربه في ملكه. قال الله تعالى: ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا** ﴾[2].

فرتب لتارك المشيئة مرتبة القسمة، أن يتناول من ملكه حاجته من خزائن تلك الحاجة بقلبه، ثم يرفعه إلى ربه متمسكاً، ينتظر مشيئته، فيجعل الرب مشيئته في مشيئة عبده. فذلك قول رسول الله ﷺ: لو أقسم على الله لأبر قسمه.

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٨٣.

(٢) سورة الزخرف آية رقم ٣٢.

فاقسامه أن يأخذ العبد من القسمة بمشيئته، فيمضي أخذه وإقسامه. فهذا الحب بمشيئته، يعطي ويمن، ليس لأحد أن يقول: لم شئت له ولم تشأ لي، ولم أحببته ولم تحبني.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى إذا أحب عبداً قال: يا جبرائيل إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبرائيل (عليه السلام) فيوضع له القبول في الأرض[1].

فالعلم بالله يؤدبك في باطنك، والعلم بتدبير الله يؤدبك في ظاهرك. قال له قائل: كيف يؤدبه في الباطن ؟ قال: يجعل ذلك العلم مراقباً لله، فيقف به على حدود المراقبة في الأمور كلها ويورثه الحياء منه، ويقف به على مهابة أسرار الله، ويرضي نفسه رضاً في أثقال الأعمال، حتى يؤديه إلى التعلق به في كل الأحوال. قال: فكيف يؤدبه علم التدبير في ظاهره ؟ قال:

إذا علم التدبير تصور له صور الأعمال، فرأى مراتب الأعمال عند الله. فالصلاة إقبال العبد على الله. والزكاة فرار من شرك النفس. والصوم وثاق النفس ورباطها لله. والجهاد حمية وتعصب لله. والحج وفاء البيعة الأولى وتجديد بيعة أخرى. والجمعة قبول ضيافة الله وتناول جوائزه. والأعياد اعتراض العبيد على الله. ومجالس الذكر تملق العبيد لله ومرتع في رياض الله. ومؤآخاة المؤمنين ومعاطاتهم مرمة عسكر الله. والدعاء إلى الله نصيحة الله. والرغبة إلى الله افتقار العبد إلى الله. فانظر إلى ما نطق به التنزيل، وإلى ما جاءت به الأخبار عن الرسول (عليه السلام)، من ثواب

---

(١) الحديث رواه البخاري في بدء الخلق ٦، والأدب ٤١، والتوحيد ٣٣ ورواه الإمام مسلم في البر ٤٨ باب إذا أحب الله عبداً حببه الى عباده ١٥٧ ـــ (١٦٣٧) عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه الترمذي في التفسير سورة ١٩ : ٧ وصاحب الموطأ في الشعر ١٥ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٦٧، ٣٤١، ٤١٣ (حلبي).

هذه الأشياء وحسن الجزاء، هل يشبه بعضه بعضاً. فإذا نظرت إلى ذلك، علمت أن بينهن تفاوتاً، وإنما اختلفت مثوباتها لاختلاف صورها، ومن التدبير خرجت الصور. فمن عرف هذه الصور من الأعمال، فإنما يعرفها بالعلم بتدبير الله تعالى، فعلى حساب ذلك يقيم حرمتها، ويضعها مواضعها. ألا يرى أن رسول الله ﷺ كيف كان إذا صلى يعطي كل عضو منه حقه من الصلاة.

ولذلك قال عمر (رضي الله عنه): أعطوا مرافقكم حظها من السجود. معناه أن لا يبسط ذراعيها، فيبطل حظها من السجود.

وقال ابن مسعود (رضي الله عنه) : لأن يرضي إبهامي رضاً أحب إليَّ من أن أستقبل بهما غير القبلة إذا وضعت كفي بالأرض في حال السجود.

وكان رسول الله ﷺ إذا صلى الفريضة لم يصل في مكانه شيئاً من التطوع إقامة لحرمة الفريضة. وكان إذا تطوع تياسر، ويأمر بذلك ولا يتيامن إقامة لحرمة اليمين. وكان إذا صلى إلى عمود أو سارية أو عصى جعله على حاجبه الأيسر ولم يجعله نصب عينيه إقامة لحرمة القبالة، وكان علي (رضي الله عنه) إذا سلم خفض تسليمته الأخرى قليلاً من التسليمة الأولى لحرمة كاتب اليمين، وأشباه ذلك محفوظة عندهم.

الأصل الثامن والستون والمائتان

في سر رواية الحديث بالمعنى

عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه كما سمع منا. فإنه رب مُبَلِّغ هو أوعى له من سامع[1].

عن زيد بن ثابت (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه غيره. فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ورب حامل فقه غير فقيه[2].

عن جبير بن مطعم (رضي الله عنه) قال: قام رسول الله ﷺ بالحيف من منى فقال: نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها. فرب حامل فقه لا فقه له. ورب حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه.

---

(١)(٢) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة ١٨ باب من بلغ علماً ٢٣٠ ــ ثنا محمد بن فضيل ثنا ليث بن أبي سليم عن يحيى بن عباد أبي هبيرة الأنصاري عن أبيه عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. وأيضاً رقم ٢٣٢ عن سماك عن عبد الرحمن بن عبدالله عن أبيه أن النبي ﷺ قال: وذكره، ورواه أبو داود في كتاب العلم ١٠ والترمذي في العلم ٧ والدارمي في المقدمة ٢٤ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٤٣٧، ٣ : ٢٢٥، ٤ : ٨٠، ٨٢، ٥ : ١٨٣ (حلبي).

قال أبو عبدالله: اقتضى العلماء الأداء وتبليغ العلم. فلو كان اللازم لهم أن يؤدوا تلك الألفاظ التي بلغت أسماعهم باعيانها بلا زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير لكانوا يستودعونها الصحف كما فعل رسول الله ﷺ بالقرآن. فكان إذا انزل الوحي، دعا الكاتب فكتبه مع ما توكل الله له بجمعه وقرآنه. فقال: ﴿ **إن علينا جمعه وقرآنه** ﴾[1] وقال: ﴿ **وإنا له لحافظون** ﴾[2].

فكان الوحي محروساً مع الحرس يكتبه رسول الله ﷺ. ولو كانت هذه الأحاديث سبيلها هكذا لكتبها أصحاب رسول الله ﷺ. فهل جاءنا عن أحد منهم أنه فعل ذلك ؟

وجاء عن عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) أنه استأذن رسول الله ﷺ في صحيفة فأذن له.

وأما سائر الأخبار فانهم تلقنوها منه حفظاً، وأدوها حفظاً، فكانوا يقدمون ويؤخرون، وتختلف ألفاظ الرواية فيما لا يتغير معناه، فلا ينكر ذلك منهم، ولا يرون بذلك بأساً.

وروي أنه لما قال رسول الله ﷺ: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[3].

---

(١) سورة القيامة آية رقم ١٧.

(٢) سورة الحجر آية رقم ٩.

(٣) الحديث رواه الترمذي في كتاب الفتن باب ٧٠، ٢٢٥٧ عن سماك بن حرب، قال: سمعت عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود يحدث عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنكم منصورون ومصيبون ومفتوح لكم فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر وذكره. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ورواه ابن ماجة في المقدمة ٣٦ بسنده عن عبدالله بن الزبير و ٣٧ بسنده عن أبي سعيد. ورواه الإمام البخاري في كتاب العلم ٣٨ والجنائز ٣٣ والأنبياء ٥٠ والأدب ١٠٩ والإمام مسلم

أمسك أصحاب رسول الله ﷺ عن الرواية مخافة تغير الألفاظ، ثم سألوه عن ذلك، فهداهم السبيل وأوضح لهم الطريق.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يحدث بالحديث، فيقدم ويؤخر، ويزيد وينقص. قال: إذا أصاب المعنى فلا بأس.

عن عبدالله بن أكيمة (رضي الله عنه) قال: قلنا يا رسول الله إنا نسمع الحديث فلا نوديه كما سمعنا. قال: ما لم تحرموا حلالاً ولا تحللوا حراماً، وأصبتم المعنى فلا بأس.

عن مكحول قال: خرجنا إلى واثلة بن الأسقع فقلنا: يا أبا الأسقع، حدثنا بحديث غض، لا تقدم فيه ولا تؤخر، حتى كأنا نسمعه من رسول الله ﷺ. قال: فغضب الشيخ، وكان شيخاً كبيراً فقال: أجلسوني. فأُجلس. فقال: أما منكم أحد قام في ليلة بشيء من القرآن. قلنا: ما منا إلا من قام بما رزق الله تعالى. قال: فكأن أحدكم حالفاً بالله ما قدم حرفاً من كتاب الله ولا أخره. إنا كنا أمسكنا عن الحديث على عهد رسول الله ﷺ حتى سمعناه يقول: إنه لا بأس بالحديث قدمت فيه أو أخرت إذا أصبت معناه.

ثم لما تداولت هذه الأحاديث طبقات القرون، واشتبهت عليهم أصول العلم، وهي الحكمة، وافتقدوا غور الأمور، كثر التخليط بحال الزيادة والنقصان والتقديم والتأخير. فالحكماء ميزوا رواية الرواة صحيحها من سقيمها.

قال له قائل: مثل ماذا ؟ قال: مثل ما روي عن أبي هريرة (رضي الله

= في الزهد ٧٢ وأبو داود في العلم ٤ والدارمي في المقدمة ٢٥، ٤٦ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٤٧، ٨٣، ١٣٢، ١٥٠، ١٥٩، ١٧١، ٢٠٢ (حلبي).

عنه)، عن رسول الله ﷺ أنه قال : أتاكم أهل اليمن ألين قلوباً وأرق أفئدة[1].

فميّزت الحكماء بين اللفظين، وحكموا لكل واحد بالصواب. وذلك أن القلب هو البضعة الباطنة، والفؤاد البضعة الظاهرة التي فيها العينان والأذنان. والنور في القلب ويتأدى إلى الفؤاد. فالرؤية للفؤاد، والتقلب للقلب. ولذلك سمي قلباً. والله تعالى يقلبه. وفي الدعاء: يا مقلب القلوب ثبت قلبي[2]. وقال: ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم** ﴾[3] ولكن أصل التقليب للقلب. وإن نال الفؤاد منه حظاً. ولذلك لم يسم قلباً، وسمي فؤاداً.

ونسب الرؤية إلى الفؤاد فقال : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾[4] لأن العينين على الفؤاد. يقال: هذا خبز فئيد لخبز ملة، لأن له ظاهراً وباطناً. وظاهره مفشي عليه. فاللين للقلب، والرقة للفؤاد. لأنه إذا دخل النور القلب بالرحمة دخل فرطب القلب بالرحمة ولان، ثم لا يزال ذلك النور يعمل في ذلك القلب بحره وحريقه حتى يرقق هذه البضعة الطاهرة لذوب تلك اللحمة. فمن زيد في نور قلبه، كان أرق لفؤاده لذوب تلك البضعة من فؤاده، واللين من قلبه، لرطوبة الرحمة. فإنما وصف أهل اليمن بذلك، وأخبر بحظهم من الله. فمن لم يصل إلى معرفة هذا الذي وصفنا، وكانت روايته حفظاً، اشتبه عليه الأمر. فمرة يقول: « ألين قلوباً، أرق أفئدة »،

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة ١٣ باب فيما أنكرت الجهمية ١٩٩ حدثني النواس ابن سمعان الكلابي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامة وإن شاء أزاغه، وكان رسول الله ﷺ يقول: وذكره. في الزوائد: إسناده صحيح ورواه الترمذي في كتاب القدر ٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٤، ٨، ٣ : ١١٢، ٢٥٧، ٤ : ١٨٢، ٦ : ٢٥١ (حلبي).

(٣) سورة الأنعام آية رقم ١١٠.

(٤) سورة النجم آية رقم ١١.

ومرة يقول: « ألين أفئدة وأرق قلوباً ». فقلب المعنى واستحال الكلام ولم يكن عنده تمييز الحكماء.

ومثل قوله في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه): البكر تستأذن والثيب تستأمر[1].

فروى ابن المبارك (رضي الله عنه)، عن علي بن المبارك (رضي الله عنه) بهذا اللفظ. وروى وكيع، عن علي بن المبارك: البكر تستأمر والثيب تستأذن.

فالذي فقه هذا ميز الصواب من الخطأ فقال: البكر تستأذن. ألا ترى أنه قال : إذنها صماتها. والثيب تستأمر حتى تتكلم وتأمر، فإنها لا تستحيي. فمن روى أن البكر تستأمر فقد أحال؛ لأن الاستئمار لمن ينطق بالأمر. والاستئذان لمن سكوته إذن، فهو البكر. فمن أراد أن يؤدي إلى من بعده حديثاً قد سمعه، جاز له أن يغير لفظه ما لم يتغير المعنى، وجاز له أن يقول: أخبرني وحدثني. وكذلك إذا كتب إليه من بلدة أخرى، جاز أن يقول أخبرني وحدثني. فإن الخبر يكون شفاهاً، ويكون بكتاب. وذلك قوله تعالى في تنزيله: ﴿ **من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير** ﴾[2].

فإنما صار نبأ وخبراً بوصول علم ذلك إليه. وكذلك يجوز أن يقول: حدثني بأنه قد حدث إليه الخبر. فسواء حدث شفاهاً أو بكتاب. وكذلك إذا ناوله كتابه، فقال: هذا حديثي لك، وهذا خبري إياك، فحدث عني،

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب النكاح ١١ باب استئمار البكر والثيب ١٨٧١ ثنا الوليد ابن مسلم ثنا الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: وذكره. ورواه البخاري في الحيل ١١ وأبو داود في النكاح ٢٣ والترمذي في النكاح ١٨ والدارمي في النكاح ١٣، ١٤ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٢٩، ٢٥٠ (حلبي).

(٢) سورة التحريم آية رقم ٣.

وأخبر عني، جاز له أن يقول: حدثني وأخبرني. وكان صادقاً في قوله لأنه قد أحدث إليه وأخبره. فليس للمتنع أن يمتنع من هذا تورعاً، ويتفقد الألفاظ مستقصياً في تحري الصدق، يتوهم أن ترجمة قوله: « أخبرني وحدثني » لفظه بالشفتين، وليس هو كذلك. فاللفظ لفظ، والكلام كلام، والقول قول، والحديث حديث، والخبر خبر. فالقول ترجيع الصوت، والكلام كلم القلب بمعاني الحروف. والخبر إلقاء المعنى إليك. فسواء ألقاه إليك لفظاً أو كتاباً. وقد سمى الله القرآن في تنزيله حديثاً، حدث به العباد وخاطبهم به، وسمى الذي تحدث في المنام حديثاً فقال : ﴿ **ولنعلمه من تأويل الأحاديث** ﴾[1].

(١) سورة يوسف آية رقم ٢١.

الأصل التاسع والستون والمائتان

في فضل الفاتحة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله قال: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي. يقول العبد : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ يقول الله تعالى : حمدني عبدي. يقول العبد : ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾، يقول الله تعالى : أثنى عليَّ عبدي. يقول العبد : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾، يقول الله تعالى : مجدني عبدي. يقول العبد : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾، يقول الله تعالى : هذه بيني وبين عبدي. قال : يقول : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم...** ﴾ إلى آخر السورة، يقول الله تعالى : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل[1].

.قال أبو عبدالله: قوله: « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين » فالصلاة تصلية المرء بين يدي ربه، لينال من سبحات وجهه الكريم، لأن العبد إذا وقف بين يدي ربه مصلياً، أقبل على الله بوجهه الذي هو مكارم

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الصلاة ٣٨ (٣٩٥) أخبرنا سفيان بن عيينة عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: وذكره، ورواه أبو داود في الصلاة ١٣٢ والترمذي في التفسير ١، ١ والنسائي في الافتتاح ٢٣ وابن ماجة في كتاب الأدب ٥٢ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٤١، ٢٨٥، ٤٦٠ (حلبي).

بدنه، ثم وضع وجهه بمكارمه على الأرض تذللاً وتواضعاً لوجهه الكريم. ولذلك قال داود وغيره من الأنبياء (عليهم السلام): « سجد وجهي لوجهه الكريم ». وكان من جزاء الله له أن أقبل عليه بوجهه. فالمصلي هو كالمصطلي بنار. يقف على النار حتى يدفئ جسده من حر النار. فأمر العباد أن يقفوا بين يديه بالاقبال عليه قلباً وبدناً، فيقبل عليه بوجهه الكريم، فينالهم من سبحات وجهه ما يحيي قلوبهم من موت الشهوات، ويطهر جوارحهم من أدناس الذنوب. فسمى ذلك الوقوف صلاة، مشتقاً من الصلى.

فإذا وقف العبد فمن أدب الوقوف أن يترضى ربه بالثناء عليه، فيذكر مدائحه وصنائعه، ثم يسأل حاجته. وكانت لمحمد ﷺ ولأمته حظوظ مخزونة عند الله في سره وغيبه، ليست لأحد من ولد آدم (عليه السلام). ولو أبرزها لمدت الرسل والأمم عينها إلى تلك الحظوظ، وظهرت الخصومة، وكانوا يقولون في أنفسهم: نحن عبيدك، من طينة واحدة، فما هذه الحظوظ لهم دوننا. وتحيرت الملائكة في شأن هذه الأمة. فأسر هذه الحظوظ في غيبه، وألقاها إلى الدعاء ليخيل إلى الجميع أنهم إنما نالوها من الدعاء، وفتح لهم من باب الدعاء ما لم يفتح لأحد من الأمم، ونزل: ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم** ﴾[1].

وروي عن رسول الله ﷺ قال: أعطيت أمتي ما لم يعط إلا الأنبياء. كان الله تعالى إذا بعث نبياً، قال له: ما جعل عليك في الدين من حرج، وقال لهذه الأمة: ﴿ **وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾[2].

وكان الله إذا بعث نبياً، جعله شهيداً على قومه. وجعل هذه الأمة شهداء على الناس.

---

(١) سورة غافر آية رقم ٦٠.

(٢) سورة الحج آية رقم ٧٨.

وكان خالد الربعي يقول: عجبت لهذه الآية: ﴿ **إدعوني أستجب لكم** ﴾[1] أمرهم بالدعاء ووعدهم الإجابة، وليس بينهما شرط. قال له قائل: مثل ماذا ؟ قال: مثل قوله: ﴿ **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾[2] فههنا شرط. وقوله : ﴿ **بشر الذين آمنوا أنّ لهم قدم صدق عند ربهم** ﴾[3] ليس فيه شرط العمل. ومثل قوله: ﴿ **ادعوا الله مخلصين له الدين** ﴾[4] فههنا شرط. وقوله: ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾[5] ليس فيه شرط. وكانت الأمم تفزع إلى أنبيائها في حوائجهم حتى يسأل الأنبياء لهم ذلك.

وروي عن علي (رضي الله عنه) أنه قال: أوحى الله إلى عبده المسيح أن قل لبني إسرائيل: إني لا أستجيب لأحد منهم دعوة، ولأحد منهم قبله مظلمة.

وقال في حديث آخر: يا عيسى قل لبني إسرائيل أن لا يمدوا أيديهم بالرغبة إليّ حتى يبرأوا من أنجاس الذنوب.

وقال في حديث لموسى (عليه السلام): لو دعاني حتى تنقطع أوصاله ما استجبت له حتى تخرج الذنوب من بين أعضائه.

فإنما خص الله هذه الأمة من بين الأمم بما أطلق لهم من الدعاء، ورفع الشرط الذي كان منه على بني إسرائيل ليصل إليهم تلك الحظوظ التي سبقت لهم من الله الحسنى من قبل دعائهم، فأعطاهم من اليقين ما نفذ

---

(١) سورة غافر آية رقم ٦٠.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥.

(٣) سورة يونس آية رقم ٢.

(٤) سورة غافر آية رقم ١٤.

(٥) سورة غافر آية رقم ٦٠.

بقلوبهم إلى محل الإجابة. والإجابة هي جوبة الدعاء أن ينجاب لهم عن الحجاب، دعاؤهم بنور اليقين الذي فضلوا به.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: أعطيت أمتي من اليقين ما لم يعط أمة. وذلك قوله تعالى: ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** ﴾[1]. أي واسع لمن أعطي، عليم بمن هو أهل لذلك. ﴿ **يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾[2].

فالاستجابة والإجابة هو أن ينفذ دعاء العبد بقوة نور اليقين، حتى ينجاب الحجاب، فيجوز الدعوة إلى الله تعالى، فيقف بين يديه مقتضياً للحاجة. ولذلك قال تعالى: ﴿ **فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾[3]. أي أجعل لدعوته جوبة، وهو المستقر حتى تقتضيني الحظ الذي وضعت له بين يدي، فأقضي، أي أمضي له من بين يدي حتى يصل إليه، ولو لم يكن حظ، لم ينل شيئاً، ولم أترك دعوته مهملة، بل ذخرت له ذخيرة، إذا قدم عليها ودانه لم يستجب له لما يرى من فضل تلك الذخيرة على ما يسأل.

وقال رسول الله ﷺ: ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة[4].

أي معكم نور اليقين، حتى ينجاب لكم الحجاب، وتنفذ الدعوة إلى

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٥٤.

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٠٥.

(٣) سورة البقرة آية رقم ١٨٦.

(٤) الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ٦٥، ٣٤٧٩ حدثنا صالح المري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. سمعت عباساً العنبري يقول: اكتبوا عن عبدالله بن معاوية الجمحي فإنه ثقة. ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٧٧ (حلبي).

ربها. فلما كان شأن هذه الحظوظ على ما وصفنا، وأحب الله أن يوصلها إليهم من طريق دعائهم، هيأ لهم فاتحة الكتاب، فأنزلها على هذه الأمة، دون سائر الأمم، وخصهم بها كما خصهم بالدعاء، فجعل نصفها دعاء، ونصفها ثناء، ليثني العبد بقوله تعالى: ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين...** ﴾ إلى قوله: ﴿ **إياك نعبد** ﴾ ثم يرفع حاجته من قوله: ﴿ **وإياك نستعين...** ﴾ إلى آخرها. ثم أعطاهم « آمين ».

خصهم من بين سائر الأمم ليصير التأمين طابعاً على دعائهم فيختم به، فأنزل عليهم فاتحة الكتاب، وخزنها عن الأمم ليثنوا عليه بأبلغ الثناء، ويسألوه أوجز المسائل، ففي ذلك الثناء مجمع الثناء، وفي تلك المسألة مجمع الحاجات. وهذا لا يعقله إلا أهله. ثم وضعها في التنزيل، وسماها « القرآن العظيم » فقال: ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم** ﴾[1].

فروي عن أبي هريرة، عن أُبي بن كعب (رضي الله عنهما)، عن رسول الله ﷺ أنه قال: « والذي نفسي بيده إنها السبع المثاني، وإنها القرآن العظيم »[2] يعني فاتحة الكتاب.

فوفر الله حظ محمد ﷺ وحظوظ أمته في حظه، وبرز بذلك على الخلق، فجعل ذلك الحظ كله في:

---

(١) سورة الحجر آية رقم ٨٧.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب فضائل القرآن ٤٦ كتاب فضائل القرآن باب ١ ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ٢٨٧٥ عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ وذكره: وهو حديث طويل. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن أنس وفيه عن أبي سعيد بن المعلى، ورواه البخاري في التفسير سورة ١ : ١٥ وفضائل القرآن ٩ والنسائي في الافتتاح ٢٦ وصاحب الموطأ في النداء ٣٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٢١١، ٥ : ١١٤ (حلبي).

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * ما لك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾.

فختمها بـ « آمين ». فجعل مفتاحها « بسم الله الرحمن الرحيم » وختمها « آمين ». ووضعها في أم الكتاب الذي لم يطلع عليه أحد في الحجب مع الحكمة والرحمة بين يديه، ثم أصدرها مع سائر الكتب من أم الكتاب إلى اللوح المحفوظ، ثم أنزل الكتب إلى الرسل، إلى الأمم، واستثنى هذه الصورة منها، فخزنها عن الرسل والأمم، وادخرها لمحمد ﷺ وأمته، وصيرت هذه الصورة كلمات حروفها مؤلفة منتظمة تلك الحروف لجميع حروف القرآن. فسميت أم الكتاب، لأن الكتاب استخرج منها، وسميت مثاني لأنها استثنيت من الرسل (عليهم السلام) فقال تعالى: ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ﴾[1]. أي سبع آيات مما استثنيناه من الكتب، فإدخرناه لك ولأمتك.

وروي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: الآية السابعة « بسم الله الرحمن الرحيم ».

وروي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) بنحو من ذلك.

قال له قائل: فكيف إذا قرأها الإمام افتتحها بـ « الحمد لله » ولا يجهر بـ « بسم الله » ؟ قال: إن علة مثل هذا لا يدرك إلا بالخبر.

عن سعيد بن جبير (رضي الله عنه) قال: كان المشركون يحضرون المسجد. فإذا قرأ رسول الله ﷺ « بسم الله الرحمن الرحيم » قالوا: هذا محمد يذكر رحمن اليمامة. يعنون مسيلمة. فأمر أن يخافت « بسم الله

---

(١) سورة الحجر آية رقم ٨٧.

الرحمن الرحيم » ونزلت: ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾[1].

فبقي إلى يومنا هذا على ذلك الرسم. وإن زالت العلة كما بقي الرمل في الطواف، وإن زالت العلة وبقيت المخافتة في صلاة النهار، وإن زالت العلة. فجعل الله عظم الدعاء وجملته موضوعاً في هذه الصورة نصفها فيه مجمع الثناء، ونصفها فيه مجمع الحاجات. ثم قال في آية أخرى: ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾[2] فأنزل هذه السورة لنتلوها ولندعو بها.

فكما خزن هذه السورة عن سائر الأمم، كذلك خزن قوله: ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ عن سائر الأمم.

فكانت الأمم تفزع إلى أنبيائها في وقت الحاجة. وإنما كانت هذه للأنبياء (عليهم السلام)، فجعل لسانك مطلقاً بالدعاء، وكفيك مبسوطتين بالتناول. وجعل هذا الدعاء الذي في هذه السورة أفضل من الذي تدعو به، لأن هذا كلام قد تكلم به رب العالمين (جل وعز). فبينه وبين ما تدعو به من كلام نفسك بون بعيد. وإنما أطلق الله لهذه الأمة، وفتح لهم باب الدعاء لينيلهم الحظوظ التي جعل لهم في الغيب، كي إذا وصلت إليهم فظهرت عليهم تلك الأشياء، ظن الخلق أنهم نالوها من قبل الدعاء ولذلك قيل: ليس شيء أكرم على الله من الدعاء. وصار للدعاء من السلطان ما يرد القضاء.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: ان نفع حذر من قدر، فإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء[3].

---

(١) سورة الأسراء آية رقم ١١٠.

(٢) سورة غافر آية رقم ٦٠.

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٥ : ٢٣٤ وثناه الحكم بن موسى ثنا ابن عياش ثنا عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ عن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

عن ثوبان (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه »[1]. والله أعلم.

(١) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة باب ١٠، ٩٠ ثنا وكيع عن سفيان عن عبدالله بن عيسى عن عبدالله بن أبي الجعد، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. في الزوائد: سألت شيخنا أبا الفضل القرافي عن هذا الحديث فقال: حسن، ورواه الترمذي في كتاب القدر ٦ وأحمد بن حنبل في المسند ٥ : ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٢ (حلبي).

الأصل السبعون والمائتان

في أن من لا يَرحم لا يُرحم

عن جرير بن عبدالله (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: من لا يرحم الناس لا يرحمه الله[1].

قال أبو عبدالله: الرحمة موضوعة في الآدمي، فأوفرهم حظاً منها أرحمهم لنفسه ولخلقه. فإذا رحم نفسه جنبها المعاصي والمساخط، وطلب لها حسن عواقب الأمور ليحسن منزلته عند ربه، فينزله غداً داره الحسنى. وذلك جزاء المحسنين. فبالرحمة يتخطى إلى الإحسان إلى نفسه. ومنها يتخطى إلى الإحسان إليهم. وكل من رحمته، رق قلبك له، ودعتك الرقة إلى الإحسان إليه والعطف عليه بدوام الإحسان. ومن أنجس حظه من الرحمة، غلظ قلبه، وصار فظاً. فإذا غلظ قلبه، لم يرق لنفسه ولا لأحد من خلقه. قال الله تعالى: ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم. ولو**

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب التوحيد ٢ والإمام مسلم في كتاب الفضائل ٦٦ والترمذي في كتاب البر ١٦ والزهد ٤٨ باب ما جاء في الرياء والسمعة ٢٣٨١ عن فراس عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ من يرائي يرائي الله به، ومن يسمع يسمع الله به قال: وقال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٤٠، ٤ : ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦١ (حلبي).

كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم ﴾[1].

فالشديد يشدد على نفسه في الأحوال، ويعسر ويضيق، وكذلك على الخلق، فهو من نفسه في تعب، والخلق منه في أذى. واللين لان قلبه، ورطب بماء الرحمة، وانتشف ماء الرحمة يبوسة نفسه، وأذهب حزازتها وكزازتها، وأذهب قسوة قلبه. فمن لم يكن له وفارة حظ من الرحمة، وجدته حديد النفس، يابس الخلق، قاسي القلب، مكدود الروح، مظلم الصدر، عابس الوجه، منكر الطلعة، ذاهباً بنفسه تيهاً وعظمة، غليظ الرقبة، سمين الكلام، عظيم النفاق، قليل الذكر لله تعالى ولدار الآخرة، ولهادم اللذّات.

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: أتى رسول الله ﷺ بصبي فقبله، فقال رجل: أتقبل هذا ؟ ما قبلت صبياً قط. فقال رسول الله ﷺ: وما أملك إن كان الله نزع من قلبك الرحمة[2].

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال خليلي وصفيي أبو القاسم ﷺ: ما نزعت الرحمة إلا من شقي[3].

وعن عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٥٩.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر باب ١٢ ما جاء في رحمة الولد ١٩١١ حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: وذكره.
قال الترمذي: وفي الباب عن أنس وعائشة. وهذا حديث حسن صحيح.

(٣) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر باب ١٦ ما جاء في رحمة المسلمين ١٩٢٢ حدثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبي خالد، حدثنا قيس، حدثنا جرير بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ وذكره و ١٩٢٣ حدثنا أبو داود أخبرنا شعبة قال: كتب به الى منصور وقرأته عليه سمع أبا عثمان مولى المغيرة بن شعبة عن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء[1].

فالرحمة المكتوبة على نفسه مائة رحمة، والمقسومة منها واحدة بين خلقه. فيما روي عن رسول الله ﷺ. فالواحدة التي قسمها بين خلقه، احتظى منها الآدمي وسائر الأمم، حتى الطيور والوحوش والبهائم. فتلك رحمة العطف، فبها يتعاطفون، قد اشترك فيها البر والفاجر والولي والعدو. وأما هذه الرحمة التي وصفنا بدءاً، فهي رحمة الإيمان، مأخوذة من الرحمة العظمى التي منها بدت تلك المائة. فأوفرهم حظاً من المعرفة بالله والعلم به، أوفرهم حظاً من القربة، وأوفرهم حظاً من القربة، أوفرهم حظاً من الرحمة. فكلما كان القلب أقرب إلى الله، كان ألين، وفؤاده أرق. وكلما تباعد القلب من الله بمعصية يأتيها، كان قلبه أقسى وأبعد من الرحمة. ألا يرى إلى قوله تعالى: ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية** ﴾[2]

فإنما قست قلوبهم بالتباعد من الله من أجل نقض الميثاق. وذلك لما قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنة إلا رحيم. قالوا: يا رسول الله، كلنا يرحم. قال: ليس رحمة أحدكم خويصته ــ يعني أهله وولده ــ ولكن حتى يرحم العامة. فرحمتك الخويصة هي رحمة العطف من الرحمة المقسومة بين خلقه، ورحمتك العامة من رحمة المعرفة بالله تعالى.

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة ١٩٢٤ عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ قال: وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ورواه أبو داود في كتاب الأدب باب في الرحمة.

(٢) سورة النساء آية رقم ١٥٥.

الأصل الحادي والسبعون والمائتان

في جمع الهموم وتشعبها

عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: سمعت نبيكم ﷺ يقول: من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله هم آخرته. ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا، لم يبال الله في أي أوديتها وقع[1].

قال أبو عبدالله (رضي الله عنه): فالهم للقلب، وهو أمير الجسد، وهو وعاء كنوز المعرفة. ومنها يفرق على جنده. فالعقل، والحفظ، والذهن، والفهم، والفطنة، والروح هؤلاء كلهم مرتزقة من عند القلب، والقلب ينفق عليهم من كنزه الذي أعطي، وهو المعرفة بالله تعالى، والعلم به. فإذا جاءته هموم أحوال النفس، فقد تشعب قلبه شعباً، وشغل القلب بشعبها، فضيع الكنز، وفرق الجند، وبقي مأسوراً في يدي النفس وأحوالها، فلم يبال الله في أي أوديتها من تلك الشعوب هلك، لأن هموم

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة ٢٣ باب الانتفاع بالعلم والعمل به ٢٥٧ عن معاوية النصري، عن نهشل، عن الضحاك عن الأسود بن يزيد، عن عبدالله بن مسعود قال: لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم فهانوا عليهم سمعت نبيكم ﷺ يقول: وذكره ورواه أيضاً في الزهد باب ٢.

النفس ووساوس العدو تخوفك بالرزق وتخوفك بأحوال الدنيا وتقلبها، وترغبك في الجمع والمنع، وتحل في قلبك ما فيه مصرعك وهلاكك، وتزين لك أحوال الدنيا، فهذه كلها سموم قاتلة للقلب. فمن تخلى من هذه الهموم كلها حتى صارت همومه كلها هماً واحداً، كفاه الله الهموم من أمر الدنيا والآخرة. والهم دبيب القلب، وهو على وجهين: أحدهما، هم دبيب، وهو متجاوز عنه. والآخر، هم حلول.

فالقلب إذا بدت له خاطرة دب إليها، ثم يبقى في الطريق متحيراً عاجزاً قد انسد عليه الطريق. فهذا هم يتجاوز عنه. والهم الآخر يدب القلب بالخاطرة إلى الشيء الذي بدأ حتى ينتهي منتهاه، فيحل به. فحلوله عزم وإضمار. فإن كانت سيئة صار قد هم بسيئة، فهي وإن لم تكتب عليه قد انحط عن درجته لأنه قد عزم على معصية. فهذا هم حلول القلب. وإنما يصير همه هماً واحداً إذا نسي نفسه وأحوالها. وهو أن ينكشف له الغطاء عن المعرفة بالله تعالى، حتى يرى الله كافياً له في كل أمر من دنيا وآخرة. فعندها يرفع باله عن التدبير لنفسه، ويلقي ذلك كله إلى الله تعالى تفويضاً، ويراقب ماذا يخرج له من تدبيره ساعة فساعة.

فتدبير الله تعالى للمؤمن أعلى من تدبيره لنفسه. فإذا رفض العبد تدبيره وأقبل على محافظة تدبير الله في كل وقت ماذا يظهر له، فقد استراح. فإنما همه في كل ساعة التوخي لمحاب الله في كل أمر من متقلبه. فإنه إنما خلقه عبداً ليكون له عبداً عارفاً له، عالماً به، فينظر بعين المعرفة والعلم إلى عظمته، وجلاله، وبهائه، وكبريائه، وسلطانه، ورحمته، وإلى ملكه، وتدبيره، فيقر عينه، ويمتلئ قلبه فرحاً به، فعندها تظهر محبته على قلبه، ويشتاق إلى لقائه، ويتبرم بحياته، ويقلق بمكانه، ينتظر متى يدعى فيجيب. فهو مسجون برمق الحياة. ولذلك قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وسنته[1].

(١) الحديث رواه مالك، ومسلم والترمذي عن أبي هريرة، وقال الترمذي: حسن صحيح، وأما=

فالآدمي إذا أسنت، ضاقت عليه المعيشة، واشتد العيش، فهو ينتظر الخصب والسعة. والمسجون وإن أحاطت به نعم الدنيا في سجنه، فعينه شاخصة إلى باب السجن متى يخلى عنه، فيخرج عنه. فالمؤمن اشتاق إلى لقاء من عرفه بما ذكرنا، فضاق بالحياة في الدنيا، وانتظر الدعوة، فهمه في الدنيا هم واحد، وهو أن يلتمس محاب الله في كل أمر دق أو جل، فيكون ظاهر أمره حركات في طاعة الله، وباطن تلك الحركات حب الله تعالى، به يغلي قلبه، فهو الذي جعل همه هماً واحداً، وانقطع من الخلق إلى الله تعالى. فمن العباد يصعد إلى الله أعمال الجوارح. ومن هذا أنوار الحب مع كل نفس. فنور هذا متواتر صاعد إلى السماء، وأنوار العمال منقطعة. قال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿ **واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً** ﴾[1].

فاسم الرب هو الاسم الأعظم المكنون، الذي منه خرجت الأسماء. فمن وصل إلى ذلك الاسم المكنون، وانكشف له الغطا عنه، فقد تبتل إليه وانقطع عن الخلق واتخذه وكيلاً. فعندها بطلت وكالة النفس، وتعطلت الهموم، وانتصب ذلك الهم الواحد بين عيني فؤاده، فاستكمل الصدر نوراً فتتابعت أنوار حبه متواترة إلى العلى.

عن عمران بن حصين (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: من

= في الموضوعات للصنعاني من أنه موضوع فلا يعول عليه، وروى الطبراني، وأبو نعيم واللفظ له عن ابن عمر مرفوعاً يا أبا ذر الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه وفي لفظ بدله: والقبر حصنه، والجنة مصيره. وكذا أخرجه الطبراني باختصار، والبغوي في شرح السنة، وصححه الحاكم، وعند العسكري عن ابن المبارك قال: كان الحسن يقول: قال النبي ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فالمؤمن يتزود والكافر يتمتع، والله :إن أصبح فيها مؤمن إلا حزيناً وكيف لا يحزن من جاءه عن الله أنه وارد جهنم، ولم يأته أنه صادر عنها.

(١) سورة المزمل آية رقم ٨.

انقطع إلى الله، كفاه الله مؤنته، ورزقه من حيث لا يحتسب. ومن انقطع إلى الدنيا، وكله الله إليها .

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله ملائكة موكلين بأرزاق بني آدم، ثم قال لهم: أيما عبد وجدتموه جعل الهم هماً واحداً فضمنوا رزقه السموات والأرض والطير وبني آدم، وأيما عبد وجدتموه طلبه، فان تحرى العدل فطيبوا له، ويسروا. وإن تعدى إلى غير ذلك فخلوا بينه وبين ما يريد، ثم لا ينال فوق الدرجة التي كتبتها له .

الأصل الثاني والسبعون والمائتان

في الاعتزاز بالعبد

عن سعيد بن المسيب (رضي الله عنه) قال: سمعت عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من اعتز بالعبيد أذله الله[1].

الاعتزاز بالعبيد مفتاحه حب العز وطلبه. فإذا طلب العز للدنيا طلبه من العبيد، فترك العمل بالحق، والقول بالحق، لينال ذلك العز. فعاقبة أمره الذلة. فإن الله تعالى يمهل المخذول حتى ينتهي به خذلانه إلى أن يستحق لباس الذل. وإن الله تعالى أظهر عزه، وأخرج الى العباد إزار العز ليجعل لهم من ذلك حظاً. فإنما سماه « إزاراً » ليعقل العباد عنه أن هذه قوة أخرجها إلى العباد ليقووا به على الأعداء، وليقوى به المحق على المبطل. والأزر هو القوة. وذلك قوله تعالى: ﴿ **كزرع أخرج شطأه فآزره** ﴾[2] أي قواه.

والإرز موضعه من الآدميين من الوسط، يتزرون على أوساطهم ليقووا.

---

(١) الحديث رواه السيوطي في الجامع الصغير ونسبه الى الحكيم الترمذي وأشار عليه بالصحة

(٢) سورة الفتح آية رقم ٢٩.

ولذلك سمي « إزاراً » لأنه قوة المرء. فمن أسلم وجهه لله، أوجب له حظاً من ذلك العز. ومن أعرض عنه فأشرك به غيره في ملكه، حرمه عزه. ومن احتظى بذلك العز فقد تزكى. والزكاء النماء، والاحتشاء، والاكتناز. فالمؤمن زكي، محتش، مكتنز. والكافر خال، خاو، رخو، ضعيف.

فمن إزداد لله تسليماً، وإليه طمأنينة في الأحوال كلها، إزداد نمواً واحتشاء واكتنازاً. قال الله تعالى: ﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ **ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه** ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء** ﴾[3] فمن تزكى فبفضله ورحمته تزكى. وهو نور التوحيد.

ثم قواه حتى ربي ذلك النور بالشكر، واستوجب المزيد. وقال تعالى: ﴿ **ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى** ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾[5].

فقوى رسوله والمؤمنين بتلك العزة التي أخرجها من عزه، وسماه عزة. وسماه إزاراً. ليعلم العباد أنها قوة لهم، كل يحتظي منه على قدر بذل نفسه لله في الائتمار بما يأمره، ووضع له نفسه بالأرض ذلة وخشوعاً في الانتهاء عما نهوا عنه، وترك مشيئآته في أحواله كلها لمشيئته. فعلى قدر ذلك يستوجب الحظ من تلك العزة. فذلك قوله تعالى: ﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين** ﴾[6].

---

(١) سورة الأعلى آية رقم ١٤.

(٢) سورة فاطر آية رقم ١٨.

(٣) سورة النور آية رقم ٢١.

(٤) سورة طه آية رقم ٧٥.

(٥) سورة المنافقون آية رقم ٨.

(٦) سورة الصافات آية رقم ١٨٠ ــ ١٨٢.

الأصل الثالث والسبعون والمائتان

في من يقص، وتحقيق القصص

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: لا يقص إلا أمير، أو مأمور، أو مرائي[1].

القصص اسم جامع دخلت فيه الموعظة، والتذكرة، والدعوة إلى الله، والنشر عن الله مننه وإحسانه. ثم سمي ذلك قصصاً من أجل أن قلب هذا يقتص أثراً لكل شيء، ويشير بقلبه إلى شيء، ثم يعبر إشارات قلبه بلسانه للخلق، فهو قاص عليهم لتلك الأشياء أثراً أثراً. فهذه كلمات لزمت أشياء كثيرة مما تشابهت صورها بعضها ببعض. فيقال: قص أثره. وهو أن يتبع أثره. ويقال: قص خبره. وهو أن يتبع بقلبه صفة ذلك الشيء الذي يخبر به. فيتبع الصفة شيئاً بعد شيء. ويقال: قص شعره وظفره. وهو أن يتبع بما زاد من شعره وظفره خروجاً من جسده، فيتبع ذلك، فأزاله عنه.

فالدعاء إلى الله بالموعظة والتذكرة لمن وصل إلى الله قلباً، وكان

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند وابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما ـ وأشار السيوطي في الجامع الصغير له بالصحة

مركز قلبه الحق والعدل. وهو قوله تعالى: ﴿ **ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾[1].

فقوم موسى (عليه السلام) أعطوا ذلك في عزلة من الخلق، من ورائهم الرمل من ناحية المشرق، حيث لا يخلص إليهم أحد، ولقيهم رسول الله ﷺ ليلة أُسري به فعلمهم القرآن، وعرض عليهم الشريعة فقبلوها، فأعطيت هذه الأمة في الجماعة والعامة ما أعطي أولئك في العزلة، فساروا في الجماعة بما سار أولئك في العزلة بفضل يقينهم ووصول قلوبهم إلى الله. فمركب قلوبهم الحق، وطريقهم إلى الله على العدل في ذلك الحق، وهم أمراء الدين في كل وقت. وهو قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾[2].

فالقصص لهم، ولمن يرونه أهلاً لذلك المقام. والثالث مرائي، متكلف، مذموم، فهو دخيل لا يجب أن يسمع منه.

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٥٩.

(٢) سورة النساء آية رقم ٥٩.

الأصل الرابع والسبعون والمائتان

في محبة الأسباب ومعرفة الشرك والتوحيد فيها

عن إبن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: الشرك أخفى على أمتي من دبيب الذر على الصفا[1].

عن معقل بن يسار (رضي الله عنه) قال: قال أبو بكر (رضي الله عنه)، وشهد به على رسول الله ﷺ قال: ذكر الشرك فقال: هو أخفى فيكم من دبيب النمل. وسأدلك على شيء إذا فعلت أذهب عنك صغار الشرك وكباره. تقول: « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك فيما أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم ». تقولها ثلاث مرات.

عن ابن جريج قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل. فقال أبو بكر: هل الشرك إلا ما عبد من دون

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٤ : ٤٠٣ ــ ثنا عبد الملك يعني ابن أبي سليمان العزرمي عن أبي علي رجل من بني كاهل قال: خطبنا أبو موسى الأشعري فقال أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل فقام إليه عبدالله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا والله لتخرجن مما قلت أو لنأتين عمر مأذوناً لنا أو غير مأذون، قال : بل أخرج مما قلت خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : وذكره.

الله ؟ قال: يا أبا بكر الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل. إن من الشرك أن يقول الرجل: ما شاء الله وشئت. ومن الند أن يقول الرجل: لولا فلان لقتلني فلان. أفلا أدلك على ما يذهب الله عنك به صغار الشرك وكباره ؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: تقول كل يوم ثلاث مرات: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم[1].

عن حذيفة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: قد كنت أكره لكم أن تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد. ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد[2].

قال أبو عبدالله: الرب واحد. وجعل ربوبيته في الغيب، وخلق العباد في الغيب، وأوله قلوبهم إليه، فأقر كلهم بالعبودة له. وعلى ذلك فطرهم فكلهم يفزعون عند الحاجة إلى اسمه «الله» الذي جعل موله قلوبهم، فثبت فريق منهم على إخلاصه، وأشرك فريق. وذلك قوله تعالى: ﴿ **فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون** ﴾[3].

فجعل أمور العباد كلها يوصلها إليهم في الغيب. قد ستر أموره بالأسباب. فقال: أنا الرزاق. ثم جعل أرزاقهم في ماء الحيوان، تحت العرش، ثم وكل ملائكته بالقطر، ثم السحاب لقبوله، وسخر الرياح لتحمل كثيف السحاب ركاماً، ويبسط كيف يشاء. ثم أمر السحاب أن يدر القطر مطراً، ثم أمر الأرض أن تقبل ودائع القطر، ثم أمرها أن تنفجر

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث فيما قبله.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الكفارات ١٣ باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت ٢١١٨ عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان أن رجلاً من المسلمين: وذكره. ورواه الدارمي في الاستئذان ٦٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٥ : ٧٢، ٢٩٣.

(٣) سورة العنكبوت آية رقم ٦٥ و٦٦.

عن ذلك القطر في أصلب موضع منها من أجواف الصخور من الجبال. وذلك قوله تعالى: ﴿ **أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض** ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ **وفجرنا فيها من العيون** ﴾[2].

ثم على الآدميين أن يحرثوا الأرض، ثم أمر الأرض أن تنبت من كل زوج بهيج. وقال تعالى: ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾[3].

ثم أمر الشمس أن تسير بحرها على وجه الأرض لتربية هذه الثمار والنبات، ثم أمر الريح عند الحصاد أن تذروه، ثم على الآدميين طحنه وخبزه، وأنزل النار، وجعلها في الشجر الأخضر. وقال في تنزيله: ﴿ **هو الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً** ﴾[4].

فالنار موجودة في كل شجرة خشبة تحتك بالأخرى فتوري ناراً. وقال: ﴿ **أفرأيتم النار التي تورون ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون، نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين** ﴾[5].

ومن اللباس غزل قطنه ونسجه وغسله وخياطته، حتى يكتسوا. وكذلك سائر الأشياء التي أضطر إليها الآدمي. فهذه كلها أسباب. والآدمي يرى ما ظهر من هذه الأشياء التي ذكرنا، وفي باطنها ربوبيته، وهو الذي دبر هذا كله من القدرة. وأمضى التدبير بمشيئته، وأوصل إلى العباد قضيته في خفاء. والعباد إنما يرون المطر، والحر، والبرد، والرياح، والأرض، والماء، والزرع، والحصاد، والأيدي التي تتداوله، وربوبيته في

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٢١.

(٢) سورة القمر آية رقم ١٢.

(٣) سورة الواقعة الآيتان رقم ٦٣ و ٦٤.

(٤) سورة يس آية رقم ٨٠.

(٥) سورة الواقعة آية رقم ٧٣.

جميع الأشياء قائمة، لا يكون شيء إلا بإذنه، ولا يقوم إلا به، ولا يدوم إلا به. فقلوب الآدميين ونفوسهم معلقة بالأسباب التي يرونها. فإذا احتاجوا إلى شيء، طلبوا ذلك الشيء من مظانه الذي هناك عاينوه. فمَنَّ الله على الموحدين بمعرفتهم أن الرب واحد، والوله بالقلوب في الحوائج إلى الواحد الذي اسمه الله، الذي خرجت الأشياء من ذلك الاسم.

ولذلك أمروا أن يبدأوا في كل أمر بقول: بسم الله. كأنه يقول: هذا الشيء بهذا الاسم خرج. ومن حرم المنة بقي مع الأسباب، قلوبهم معلقة بها، مفتونة فيها. فاتخذوا دونه أولياء فعبدوه، ثم قالوا: ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾[1] وقالت الرسل لهم: ﴿ **أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً** ﴾[2] حتى قال إبراهيم (عليه السلام): ﴿ **أف لكم ولما تعبدون من دون الله** ﴾[3]. والأف كلمة للشتم والصنعة.

وأنزل على المؤمنين وحياً يثبت قلوبهم ويعلمهم الحجة فقال: ﴿ **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** ﴾[4]. فقال المشركون: أرنا آية. فأنزل الله تعالى: ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار...** ﴾ إلى قوله: ﴿ **...لآيات لقوم يعقلون** ﴾[5].

فأعلم أن العقل يدل عليه فيما أراهم من قدرته. وقال: ﴿ **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون** ﴾[6].

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٣.
(٢) سورة المائدة آية رقم ٧٦.
(٣) سورة الأنبياء آية رقم ٦٧.
(٤) سورة البقرة آية رقم ١٦٣.
(٥) سورة البقرة آية رقم ١٦٤.
(٦) سورة المؤمنون آية رقم ٩١.

وأهل اليقين طلبوا الأشياء من المظان نفساً وجسداً، ومن الله قلباً ويقيناً وإخلاصاً. فمن ضعف يقينه كان السبب بين عينيه. فإذا طلب شيئاً طلبه من السبب قلباً ونفساً. وإذا فاته منها شيء تلهف وأسف على الفوت ولام وذم وتردد في اضطراب، حتى يخرج دينه ويسقم إيمانه. وإذا صار إلى القول يقول: لا يكون إلا ما شاء الله، ولا يكون إلا ما قدر الله وإلا ما قضى الله. وإذا قضى فلا يقوم شيء ولا يدوم إلا بالله. فإذا علم أن الكون من الله والدوام بالله، كان هذا من علم التوحيد. وإنما هو كلحظة ثم يخفي في صدره هذا العلم، حتى لا يشرق نوره. وإنما كانت شررة أو كلمحة أو برقة، ثم ذهبت وبقي العبد مع شرك السبب، فكلما لحظ العبد إلى شيء من هذه الأسباب دونه فقد أتى بالشرك. فإذا رأى السحاب استبشر. وإذا أنبت الأرض ابتهج ثم فرح وأشر وبطر. لأن قلبه في غفلة عن الله (عز وجل). فهذا قلب الموحد. وقلب الكافر في غلفة. فقلب المؤمن المتعلق بالأسباب غافل. وقلب الكافر أغلف. فالغلفة غلاف القلب. والغفلة حجاب القلب. وهو هذه الأسباب التي ذكرنا. وقد انشق عنه الغلاف الذي كان في وقت الكفر، وبقيت الغفلة. فهذه الغفلة لا يذهبها إلا ذكر الله تعالى. فلا يزال الذكر الدائم يذيبها بحرارة الحياة التي يزاد القلب بالذكر حتى يهتك حجب الأسباب كلها، ويذهب الخفاء، ويصير الأمور كالمعاينة له، فهو يمضي في الأسباب ولا يغفل عن الله، فيقبلها من عنده. فإذا هاجت الريح استبشر بصنع الله، لأنه علم أنه هو الذي أرسلها بشراً بين يدي رحمته. وإذا رأى تراكم السحاب استبشر بصنع الله، ثم يرى المطر سقيا كما قال: ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه** ﴾[1]. إلى غير ذلك.

فأهل اليقين هتكوا هذه الحجب بقوة نور اليقين، حتى انكشف لهم الغطاء. وفضل الله هذه الأمة باليقين، حتى صار ما بقي منهم من الشرك

---

(١) سورة الحجر آية رقم ٢٢.

أخفى من دبيب النمل في القلة والرقة. فهذا مدح لهذه الأمة، لأن شرك الأسباب ذاب فيهم وتلاشى بفضل يقينهم حتى صار أخفى من دبيب النمل، لأن دبيب النمل لا يؤثر على الصفا. وكذلك ما بقي من الأسباب لا يؤثر على أهل اليقين، لأن قلوبهم صلبت باليقين، وصار كزير الحديد والصخر.

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ: الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء. وأدناه أن يحب على شيء من الجور، أو يبغض على شيء من العدل. وهل الدين إلا الحب في الله، والبغض في الله. قال الله تعالى: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾[1].

فأما قوله: « أن يحب على الجور، ويبغض على العدل » إنما يحب على الجور رجاء المنفعة منه، ويبغض على العدل خوف المضرة، ورجاء المنفعة.

عن وهب بن أبان، عن عبدالله بن عمر، قال: خرج عبدالله ابن عمر (رضي الله عنهما) في سفر له، فإذا بجماعة على طريق فقال: ما هذه الجماعة ؟ قالوا: أسد قطع الطريق فنزل فمشى إليه حتى قفده بيده ونحاه عن الطريق، ثم قال: « ما كذب رسول الله ﷺ » قال: إنما يسلط على ابن آدم من خافه ابن آدم. ولو أن ابن آدم لم يخف غير الله، لم يسلط الله عليه غيره. وإنما وكل ابن آدم إلى من رجاه ابن آدم. ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله، لم يكله الله إلى غيره[2].

وإنما هو شرك وشك. والشك هو ضيق الصدر. فإذا أحست النفس

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٣١.

(٢) رواه السيوطي في الجامع الصغير، وقال: رواه الحكيم الترمذي عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما

بمكروه في الأمر، انتفخت الرئة للجبن الذي حل بها، فضاق الصدر، حتى زحزح القلب عن مكانه. فإذا ضاق على القلب مكانه، ضاق موضع التدبير وهو الصدر، لأن عيني الفؤاد مفتوحتان في الصدر. وعند العينين تدبير الأمور. ثم يصدر إلى الجوارح. ولذلك سمي صدراً لأن الأمور تصدر من هناك.

وإنما سمي شكاً لأن ذلك النائب من الأمر يشك سعة الصدر، كما يشك الثوب المبسوط، فيجمع بعضه إلى بعض، ويشك بشوكة أو بإبرة أو يخيط فيقال: شك الثوب، وهو مشكوك. فإذا انتفخت الرئة بما خطر على بال القلب من الخواطر، وضاق على القلب مكانه، ترحل القلب عن مستقره وتذبذب. وكان كالدلو المعلق أو القنديل المعلق. فإذا تحرك القنديل اضطرب الإشراق، فصار بعضه ظلاً وبعضه إشراقاً، ففي الظل الضلالة، وفي الإشراق الهدى. فكلما تراكمت الأظلة انقبض الصدر فصار مشكوكاً كالثوب الذي شك وقبض بعضه إلى بعض، فصار متراكماً بعضه على بعض، وصارت له زوايا. كذلك الصدر إذا انقبض، حدثت له في زواياه أظلة. فمنها يضل عن الله ويفتقد الهدى. وأما الشرك فهو مأخوذ من الشرك. والشرك حبل فيه معاليق يعلق بها أرجل الطير أو أعناقها أو أجنحتها حتى تؤخذ صيداً. فكذلك الأسباب التي وضعت فيها حاجات الآدمي. فتلك الأسباب تأخذ بقلبه لأن شهوة تلك الأشياء في نفسه. فإذا اشتهاها له أحبها. فإذا وصل حبها إلى قلبه، ثم رأى القلب تلك الأشياء من تلك الأسباب، أحب تلك الأسباب من أجل تلك الأشياء وذلك قوله تعالى: ﴿ **زين للناس حب الشهوات** ﴾[1]. ثم عدد الشهوات فقال: ﴿ ... **من النساء والبنين** ﴾[2] الآية.

فالشك ضيق الصدر، والشرك تعلق القلب بالشيء. وإنما يوسع القلب

---

(١) (٢) سورة آل عمران آية رقم ١٤.

نور اليقين. فكلما كان الصدر باليقين أنور، كان أوسع وأكثر انشراحاً. فباليقين ينجو العبد من وبال الشك، وبالإخلاص ينجو من وبال الشرك. فعندها يتولاه الله. وذلك قوله تعالى لداود (عليه السلام): يا داود هل تدري متى أتولاهم ؟ إذا طهروا قلوبهم من الشرك، ونزعوا من قلوبهم الشك. فخلق الآدمي والأسباب مشتبكة به، لا يرى مسبباً إلا في غيب، وربوبية الرب قائمة في ذلك الغيب، وفي جميع الأسباب لا تكون إلا به. فالله مكونها، وبالله يدوم ما كون. والآدمي لم ير التكوين، ولا التدويم إلا رؤية الإيمان بالغيب، فاستقر قلبه إيماناً بذلك، ثم جاءت النفس بشكها وشركها، فأوردت. ولو رجعت على القلب حتى صار القلب ذا شك وشرك، فلا يزال صاحبها يضيع هذا الأمر ويهمله حتى يحل العقد، ومنه عقدة الإيمان فيكفر. والذي أغاثه الله وأيده لما رأى ضعف اليقين وانقياد القلب للنفس بما أوردت عليه، فزع إلى الله حتى قواه وأيده. فإذا رزق الله عبداً نور اليقين، ونور التوحيد، صار القلب موقناً مخلصاً، فبقوة هذين يمحو خواطر النفس في الصدر، تلك الخواطر التي تورد شكاً وشركاً، فاستقام القلب وصلب، واستقرت النفس منقادة للقلب. فإذا صار بهذا الحال خفي ذلك الشك والشرك، فلم يؤثر ما بقي من ذلك في قلوبهم كما لا يؤثر دبيب النمل على الصفا، لأن الذي خفي من البقية لا يقدر أن يزعزع النفس أو يشغل القلب عن الله.

ألا ترى أنه قال في حديث أبي بكر (رضي الله عنه): « أفلا أدلك يا أبا بكر على ما يذهب الله به صغار الشرك وكباره عنك ؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: تقول كل يوم ثلاث مرات: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم ».

فصغار الشرك مثل قول الرجل: ما شاء الله وشئت. ومن الند أن يقول: لولا فلان لكان كذا وكذا.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إياكم واللو، فإن اللو يفتح عمل الشيطان[1].

واللو مفتاح الحسرات. وإذا تحسر القلب، تعرى عن خلع الله.

عن عبدالله (رضي الله عنه) قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله، أي الذنب أعظم ؟ قال: أن تجعل له نداً وهو خلقك[2].

فالند هو شبيه بالضد، لأن الضد صورة إبطال من يضاده، والند من الندو، وهو التباعد والنفار. معناه أن تجعل من دونه دافعاً عنك،فلا يدفع عنك إلا من ولي خلقك.

وجاء في الحديث: ومن الند أن يقول: « لولا فلان لقتلني فلان ». وإنما صار أعظم الذنوب لأنه يضعف اليقين، ويعمل في حل العقدة وسائر الذنوب، يعمل في قضاء النهمة والتلذذ بالشهوات.

ومعنى قوله (عليه السلام): « الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا » أن هذه الأمة لما خصوا به من اليقين لا يؤثر فيهم ما بقي

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٤١٦٨ ــ عن ابن عجلان عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به الى النبي ﷺ قال: وذكره. وفيه زيادة [المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف] ، وفي كل خير أحرص على ما ينفعك ولا تعجز فإن غلبك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل: وذكره، ورواه في المقدمة ١٠ باب ٧٩ بسنده عن أبي هريرة، ورواه الإمام مسلم في كتاب القدر ٨ باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ٣٤ (٢٦٦٤) عن محمد بن يحيى بن حبان عن الأعرج عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ وذكره، ورواه أحمد بن حنبل ٢ : ٢٦٦، ٢٧٠ (حلبي).

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في التفسير سورة ٢ : ٣، ٢٥ : ٢ وفي كتاب الأدب ٢٠ والحدود ٢٠ والديات ١ والتوحيد ٤٠، ٤٦ ورواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ١٤١، ١٤٢ وأبو داود في الطلاق ٥٠ والترمذي في التفسير سورة ٢٥، ١، ٢ والنسائي في الإيمان ٦ والتحريم ٤ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٣٨٠، ٤٣١، ٤٣٤ (حلبي).

من الشرك إلا ما يخفى أثره. والخبر سيق في معرض مدحهم وإظهار فضلهم على سائر الأمم، وليس كما يتوهمه قوم أن المراد من الخبر أن الشرك يخفى عليهم لغمارتهم وجهلهم، لأنه ما جاء في الحديث أن الشرك أخفى في الآدميين، ولكنه قال: « أخفى في أمتي » ما بال هذه الأمة يخفى عليها من الشرك ما لا يخفى على بني إسرائيل، ويقين هذه الأمة أوفر ؟ قال (عليه السلام): ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت أمتي.

وإنما معنى الخبر أن هذه الأمة لليقين الذي نالوه من فضل الله ورحمته يذيب خواطر الشك والشرك في صدورهم فتدق وتخفى حتى لا ترى، وتضعف حتى لا يؤثر كونها على القلب كما لا يؤثر دبيب الذر على الصفا. وأما كبار الشرك فهو أن يعمل بطاعة الله يريد به غير الله رجاء اتخاذ المنزلة عنده. فهذا موحد قد غلب عليه الجهل، فأمل غيره. وإذا رجع إلى توحيده، علم أنه لا يملك أحد نفعاً ولا ضراً دون الله.

رئي شداد بن أوس في مصلاه وهو يبكي. قيل : ما أبكاك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ. قيل: وما هو ؟ قال: بينا أنا عند رسول الله ﷺ يوماً إذ رأيت بوجهه أمراً ساءني. قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما الذي أرى بوجهك ؟ قال: أمر أتخوفه على أمتي من بعدي. قلت: وما هو ؟ قال: الشرك والشهوة الخفية. قلت: يا رسول الله، وتشرك أمتك من بعدك ! قال: يا شداد، أما إنهما لا يعبدون شمساً ولا حجراً ولا وثناً، ولكنهم يراءون باعمالهم قلت: يا رسول الله، والرياء شرك هو قال: نعم. قلت: فما الشهوة الخفية ؟ قال: يصبح أحدهم صائماً، فتعرض له شهوة من شهوات الدنيا فيفطر[1].

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٤ : ١٢٤ ثنا زيد بن الحباب قال: حدثني عبد الواحد بن زيد، أخبرنا عبادة بن أنس عن شداد بن أوس أنه بكى فقيل له ما يبكيك قال =

وقال الحسن (رضي الله عنه): الرياء شرك.

قال الله تعالى: ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾[1].

وروي عن رسول الله ﷺ أنه خرج ذات يوم إلى أصحابه وهم يتناجون، فقال: ما هذا النجوى ؟ قالوا: يا رسول الله، كنا نتحدث عن فتنة المسيح الدجال، فقال (عليه السلام): ألا أخبركم بأعظم فتنة من الدجال ! رجل يعمل لمكان رجل .

= شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ يقوله فذكرته فأبكاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره.

(١) سورة الكهف آية رقم ١١٠.

الأصل الخامس والسبعون والمائتان

في غياث العباد في أربع السلطان، والقرآن، وأهل الإيمان، وأشرف المكان الكعبة

عن عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما)، أن رسول الله ﷺ قال: السلطان ظل الله، يأوي إليه كل مظلوم من عباده. فإذا عدل كان له الأجر، وعلى الرعية الشكر. وإذا جار كان عليه الإصر، وعلى الرعية الصبر. وإذا جارت الولاة قحطت السماء، وإذا منعت الزكاة هلكت المواشي، وإذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة، وإذا خفرت الذمة أديل الكفار[1].

قال أبو عبدالله (رضي الله عنه): إن الله تعالى أغاث عباده في أرضه

---

(١) رواه ابن النجار عن أبي هريرة، ورواه البيهقي والحاكم عن ابن عمر رفعه بلفظ: المصنف، وقد ورد الحديث بألفاظ أخر منها ما رواه ابن أبي شيبة عن أبي بكر الصديق بلفظ: السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض، يرفع له عمل سبعين صديقاً قال النجم: وجمع السيوطي في ذلك جزءاً وأقول: وكذلك السخاوي جمعها في جزء وسماه رفع الشكوك في مفاخر الملوك.

بأربع: بالقرآن وهو كلامه، كي يهتدوا به إلى الله تعالى. وبالسلطان وهو ظله، كي يتمانعوا به عما في أيديهم من المهجة والمال والأهل والولد. وبالإيمان وفيه نور، كي يهتدوا به إلى خالقهم. وبالكعبة، وهي أشرف البنيان كي يفوزوا بالرحمة، التي فيها إذا طافوا بها، فإذا قصدوا الله جعلوا نوره مرآة قلوبهم، فينظرون فيها إلى عجائب ما أبرز من ملكه، من لدن عرشه إلى الثرى، وإلى عجائب تدبيره فيهم وإلى قدرته عليهم، فأدَّاهم ذلك النظر بقوة ذلك النور إلى عظمته وجلاله، ونفاد قدرته، وإلى جوده وكرمه ولطفه وعطفه عليهم، وبره بهم، وعظيم مننه، فامتلأت صدورهم وقلوبهم به غنى، وقويت أركانهم للقيام بأموره، وانقادت نفوسهم، واستسلمت لله. وإذا قصدوا القرآن، جعلوا « بسم الله الرحمن الرحيم » علماً لعسكر القرآن. فإن القرآن بمنزلة جند وعسكر، فيه ألوان الأسلحة وآلات الحرب والعدة، فيه يحارب الهوى والنفس والعدو، ويبطل مكائدهم، قال تعالى: ﴿ **فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى** ﴾[1].

« وبسم الله الرحمن الرحيم » قسم من ربنا عند رأس كل سورة، يقسم لعباده أن هذا الذي وصفت لكم يا عبادي في هذه السورة حق، وأني أفي لكم بجميع ما ضمنت في هذه السورة من وعدي ولطفي وبري. ثم حض الشيء الذي به عظمت فتنة العباد، وهو الرزق فخصه بقسم آخر فقال: ﴿ **فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون** ﴾[2].

وإذا قصدوا الكعبة لاذوا بها، وجددوا بيعة الإسلام الذي دنسوه وأخلقوه باستلام الحجر الذي فيه بيعتهم حين استخرجهم من الأصلاب للميثاق.

---

(١) سورة طه آية رقم ١٣٣.

(٢) سورة الذاريات آية رقم ٢٣.

وإذا قصدوا السلطان، ارتبعوا في ظله، وسكنت نفوسهم في المستراح من ذلك الظل، فإن الظلم له وهج وحرارة تحرق الأجواف وتظمأ الأكباد. فإذا رأت الغنم الظل وأحست بالماء، اندفعت في السير وصيرته مفزعاً. فإذا صارت إلى الظل مع الظمأ والعطش الشديد، لم تجد الماء، فبقيت على اليبس، ووجدت الذئاب قد سبقن إلى الظل، وقعدن بمرصد للغنم. فما ظن العاقل بتلك الغنم ماذا يكون حالها ؟ وما ظنه برب الغنم ماذا يقول للراعي ؟ وعسى أن يقول له: ألم يكن معك أسلحة وحراس تطرد الذئاب عن هذا المستراح ؟ وكيف سددت مجرى العيون حتىَ عطشت الغنم ؟.

وأما قوله: « إذا جارت الولاة قحطت السماء » معناه انقطاع المطر من ماء الحيوان الذي ينزل من تحت العرش من بحر الأرزاق إلى السماء في الأبزن. والأبزن هو مستنقع الماء في السماء. فإذا أصاب السماء القحط، انقطع عن الأرض القطر. فإذا انقطع القطر ماتت الأرض، فلم تنبت. لأن الأرض إنما تنبت بحياتها. وحياتها من ماء الحيوان. فإذا جارت الولاة، ذهب العدل عن الأرض. وإذا ذهب العدل، منعت الحياة ماء الحيوان عن أن يقطر. فالوالي فاصل بين الحق والباطل. فإذا ذهب الفاصل انقطعت الرحمة.

وأما قوله: « إذا منعت الزكاة هلكت المواشي » فإن الزكاة نمو المال. والنمو من البركة. وإذا منعت الزكاة دنس المال، ولا بقاء للبركة مع الدنس. وإذا ارتحلت البركة عن شيء، هلك ذلك الشيء.

وأما قوله: « إذا ظهر الزنا ظهر الفقر » فمن أجل أن الغنى من فضل الله تعالى، والفضل لأهل الفرح بالله وبعطائه، والمناكحة بمحاب الله وبأمره وحبه، يلتقي الزوجان على الأفراح بالله، وعدهم الله بذلك في تنزيله الغني

من فضله فقال: ﴿ **وانكحوا الأيامي منكم والصالحين** ﴾[1] الآية. وبين في الآية من أين يغنيهم فقال: ﴿ **من فضله** ﴾[2]. والفضل قبل القسمة.

ولذلك قال عمر (رضي الله عنه) : ما وجدنا الطلب للغنى في مثل الباءة. وتلا هذه الآية.

فإذا زنى فقد آثر الفرح الذي هو من قبل العدو السابي لقلبه على الفرح الذي ندب الله (عز وجل) إليه عباده فقال: ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا** ﴾[3]. فذهب الفضل والغنى لأنه قد جاوره من يدنسه.

وأما قوله: «إذا أخفرت الذمّة أديل الكفار»، لأن المؤمن عاهد الله بالوفاء بذمته. فإذا أخفر، نقض العهد. وإذا نقض العهد، وهي عقدة المعرفة، لأن المعرفة مقرونة بالعهد، معقودة به، فبنقض العهد يخاف انحلال العقد. ومن قبل الانحلال تذهب هيبة الإسلام، ويقذف الوهن في القلوب.

عن ثوبان ــ مولى النبي عليه السلام ــ قال: سمعت النبي (عليه السلام) قال: ليتداعى عليكم الامم كما يتداعى الأكلة إلى قصعتها. قلت: يا رسول الله، ومن قلة بنا يومئذ ؟ قال: لا، بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من صدور عدوكم منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن. فقلت: يا رسول الله، وما الوهن ؟ قال: حب الدنيا وكراهة الموت[4].

---

(١) سورة النور آية رقم ٣٢.

(٢) سورة النور آية رقم ٣٢.

(٣) سورة يونس آية رقم ٥٨.

(٤) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٥ : ٢٧٨ ثنا أبو النضر ثنا ابن المبارك ثنا مرزوق أبو عبدالله الحمصي أنا أبو أسماء الرحبي عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: وذكره، ورواه أبو داود في كتاب الملاحم ٥.

الأصل السادس والسبعون والمائتان

في ما تراءى للحكيم في منازل القربة مجاوبات للآية التي فيها السجدة

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله ﷺ إذا سجد قال: سجد لك سوادي وخيالي، وآمن بك فؤادي، أبوء بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، هذا ما جنيت على نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنب العظيم إلا أنت[1].

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في سجود القرآن بالليل مراراً: سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته[2].

---

(١) الحديث أخرجه بن ماجة في كتاب الدعاء بسنده عن عبد الله بن بريدة عن ابيه مع اختلاف في بعض الالفاظ.

(٢) الحديث رواه أبو داود في كتاب السجود باب ما يقول إذا سجد ١٤١٤ ــ ثنا خالد الحذاء عن رجل عن أبي العالية، عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في سجوده وذكره. ورواه الإمام مسلم في حديث طويل ــ في كتاب صلاة المسافر ٢٠١ (٧٧١) عن عبد الرحمن الأعرج عن عبيدالله بن أبي رافع عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ وذكره. وفيه زيادة.

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في سجوده: اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقيقه وجليله، أوله وآخره، سره وعلانيته .

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في سجوده: « أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، جل وجهك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك يا عظيم » . فقلت: يا رسول الله لقد سمعتك تقول في سجودك شيئاً ما سمعتك تذكره. قال: وقد علمت ذلك ؟ قلت: نعم. قال: تعلميهن وعلميهن، فإن جبرائيل (عليه السلام) أمرني أن أكررهن في السجود.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، رأيتني هذه الليلة فيما يرى النائم كأني أصلي خلف شجرة، ورأيت كأني قرأت السجدة، فسجدت، فرأيت الشجرة مكانها سجدت لسجودي، وهي تقول: اللهم اكتب لي بها عندك أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، واقبلها مني كما قبلت من عبدك داود (عليه السلام)[1].

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) فقرأ رسول الله ﷺ السجدة ثم سجد، فسمعته يقول كما قال الرجل عن قول الشجرة.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة ٧٠ باب سجود القرآن ١٠٥٣ عن الحسن بن محمد بن عبيدالله بن أبي يزيد قال: قال لي ابن جريج: يا حسن أخبرني جدك عبيدالله بن أبي يزيد عن ابن عباس قال: وذكره.

الأصل السابع والسبعون والمائتان

في الحكمة في فتاني القبر

عن عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ ذكر يوماً فتاني القبر، فقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): أترد إلينا عقولنا يا رسول الله ؟ قال: نعم كهيئتكم اليوم. فقال عمر (رضي الله عنه): ففي فيه الحجر[1].

قال أبو عبدالله (رضي الله عنه): قد فسرنا هذا الحديث في الأصل السادس والعشرين. وبقيت علينا نكتة لم نأت على تفسيرها، وذلك أنّا سئلنا: ما سبب هذه الفتنة في القبر، وقد انقطعت العبودة عند خروج الروح إلى الله موحداً، وانكشف الغطاء ؟ والجواب في ذلك والله أعلم: أن الله تعالى منَّ على الموحدين المؤمنين بمعرفته وتوحيده، وذلك من فضله ورحمته، وخاب الآخرون عن فضله ورحمته، وكان يبعث الرسول بعد الرسول إلى الأمم، فكان الممنون عليه يؤمن به، ويتبع الرسول في شريعته، والخائب يكذب الرسول، ويتخذ من دون الله ولياً يعبده، فكان يمهلهم حتى يريهم الآيات، ثم إذا لم يؤمنوا، بعث عليهم عذاباً ودمرهم،

(١) الحديث رواه أحمد والطبراني في الكبير قال صاحب مجمع الزوائد: ورجال أحمد رجال الصحيح

ثم ينشئ قرناً آخر، فكان هذا سنة الله في الذين خلوا من قبل. وقال في تنزيله عندما قص نبأ نوح، وإبراهيم، وعاد، وثمود، وشعيب، وموسى، وفرعون ثم قال: ﴿ **فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا** ﴾[1]. ثم بعث الله محمداً ﷺ رسولاً فقال: ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[2].

وكان من رحمته أن أعطاه السيف بدل العذاب الذي كان يأتي الأمم بغتة فيهلكم، كي يخوفهم بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً، إذا مرنت نفوسهم الكارهة في الدين على شريعة الإسلام، انقادت وأطاعت وزايلهم الغش والنفاق. ومنهم من لم يزل النفاق فيهم إلى أن مات، فستر الله عليهم ذلك. فكان المنافقون يخالطون المسلمين في مناكحاتهم ومواريثهم ومغازيهم ومعاملاتهم. والنفاق في القلب ولم يكن قبل ذلك نفاق، إنما كان تصديق وتكذيب لأنه لم يكن هناك تخويف بالسيف. فكان المكذبون يجهرون بالتكذيب حتى يأتيهم عذاب الله بغتة. فلما جاءت هذه الأمة وخوفوا بالسيف، دخلوا في الدين طوعاً وكرهاً، فجاءهم الابتلاء في القبر ليظهر نصرة الله للمطيع في الحياة الدنيا الثابت في قبوله الإسلام، ويلقن الجواب عند السؤال ويضل الله الظالم الذي كان مع النفاق أيام الحياة.

يحقق ما قلنا ما روي عن جابر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: هذه الأمة تبتلي في قبورها[3].

---

(١) سورة العنكبوت آية رقم ٤٠.

(٢) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٧.

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في حديث طويل ٦٧ (٢٨٦٧) قال ابن أيوب، حدثنا ابن علية قال: وأخبرنا سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت قال أبو سعيد ولم أشهده من النبي ﷺ ولكن حدثنيه زيد بن ثابت قال: بينما النبي ﷺ =

أشار رسول الله ﷺ إلى هذه الأمة خصوصاً. وإنما ابتلوا ليميز الله الخبيث من الطيب. قال الله تعالى: ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** ﴾[1]. وقال: ﴿ **وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب...** ﴾[2] الآية. وقال: ﴿ **ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ **ويفعل الله ما يشاء** ﴾[4] تأويله والله أعلم أن من مشيئته أن يرفع مرتبة أقوام عن السؤال، وهم الصديقون والشهداء.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قيل له: ما بال الشهداء لا يفتنون في قبورهم ؟ فقال: كفى ببارقة السيوف عليهم فتنة[5].

معناه أنه أظهر صدق ما في ضميره حيث برز للحرب والقتل، فلماذا يعاد عليه السؤال في القبر فإذا كان الشهيد لا يفتن، فالصديق أحرى أن لا يفتن.

عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة، وقاه الله فتنة القبر[6].

= في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه: وذكره ورواه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٣، ٢٣٨ (حلبي).

(١) سورة ابراهيم آية رقم ٢٧.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٧٩.

(٣) سورة العنكبوت آية رقم ١ ــ ٣.

(٤) سورة ابراهيم آية رقم ٢٧.

(٥) الحديث رواه النسائي في كتاب الجنائز ١١٢

(٦) الحديث رواه الامام أحمد في المسند والترمذي عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ ورواه السيوطي في الجامع الصغير وأشار على الحديث بالصحة.

عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ: من مات مرابطاً في سبيل الله، أجير من فتنة القبر، وجزي على صالح عمله الذي كان يعمله إلى يوم القيامة[1].

فمن مات يوم الجمعة، انكشف الغطاء عما له عند الله تعالى، لأن يوم الجمعة لا يسجر جهنم، ويغلق أبوابها. فإذا قبض الله عبداً من عبيده يوم الجمعة، كان دليل سعادته وحسن ما به عند الله. فيوم الجمعة يوم الله الذي خلق فيه آدم وذريته، ويومه الذي تقوم فيه الساعة، فيميز بين الأحباب والأعداء، ويومه الذي يدعوهم إلى زيارته في جنات عدن، فلم يكن ليعطي بركة هذا اليوم إلا من كتب له السعادة عنده، فلذلك يقيه فتنة القبر، على أن سبب فتنة القبر إنما هو لتمييز المنافق من المؤمن في البرزخ من قبل أن يلقي الله، لأن كلا الصنفين صلى عليهما، وفعل بهما سنة الموتى من الغسل والتكفين. فامتحنا بالسؤال ليهتك المنافق من ستره بقوله: لا أدري. إذ ستر الله عليه نفاقه بحرمة ما أظهر من المنطق الجميل فقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وروي عن سفيان الثوري أنه جاء في الخبر أنه عندما يقال له: من ربك ؟ يدخل الشيطان عليه فيتمثل له ويشير إلى نفسه فيقول : أنا. فطلبنا تحقيق هذا فوجدنا في الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول عند دفن الميت: اللهم أجره من الشيطان[2].

عن سعيد بن المسيب قال: حضرت مع عبدالله بن عمر في جنازة، فلما وضعها في اللحد قال: « بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ». فلما أخذ في تسوية اللبن على اللحد قال: « اللهم أجرها من

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير عن أبي امامة ـــ رضي لله عنه وأشار السيوطي إليه في الجامع الصغير بالصحة

(٢) هذا الأثر جزء من حديث رواه ابن ماجة في كتاب الجنائز بسنده عن سعيد بن المسيب وسيأتي الحديث عنه قريبا من هذا.

الشيطان، ومن عذاب القبر، ومن عذاب النار ». فلما سوى الكثيب عليها قام جانب القبر فقال: « اللهم جاف الأرض عن جنبها وصعد روحها ولقها منك رضواناً » فقلت لابن عمر (رضي الله عنهما): أشيئاً سمعته من رسول الله ﷺ.

عن عبدالله بن محمد أن إبراهيم ابن النبي ﷺ توفي فخرج به، فخرج رسول الله ﷺ يمشي أمام سريره، ثم دخل قبره، فلما رآه قد وضع في اللحد، فاضت عيناه، فلما رأوا ذلك أصحابه بكوا حتى ارتفعت أصواتهم، ثم أقبل أبو بكر (رضي الله عنه) فقال: يا رسول الله تبكي وأنت تنهى عن البكاء. فقال: يا أبا بكر، تدمع العين، ويوجع القلب، ولا نقول ما يسخط الرب[1]. ثم دفن، فقال رسول الله ﷺ: أما من أحد يأتينا بماء نطهر به قبر إبراهيم، فأتى بماء، فأمر به، فرش على القبر، ثم وضع يده اليمنى عليه من عند رأسه فقال: ختمت عليك بالله من الشيطان الرجيم. والله أعلم.

---

(١) هذا الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب الجنائز ١٥٥٣ بسنده عن سعيد بن المسيب ــ رضي الله عنه ــ قال: وذكره وفيه زيادة [قلت يا ابن عمر، أشيء سمعته من رسول الله ــ ﷺ أم قلته برأيك. قال: إني إذا لقادر على القول بل شيء سمعته من رسول الله ــ ﷺ في الزوائد: في اسناده حماد بن عبد الرحمن ــ وهو متفق على تضعيفه.

الأصل الثامن والسبعون والمائتان

في استكمال العبودية

عن عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما)، قال: قال رسول الله ﷺ: لن يؤمن عبد حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به .

قال أبو عبدالله: الذي جاء به رسول الله ﷺ عن الله هو العبودة التي لها خلقوا. قال الله تعالى: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾[1]. وقال: ﴿ **ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه** ﴾[2].

فالعبودة في ترك الهوى، واتباع ما جاء به. فكل امرئ اجتمع فيه هذه الخصال الست فقد استكمل العبودة: الحق، والصواب، والعدل، والصدق، والأدب، والبهاء. فإذا رفع أمرك إلى الله وقد اجتمعت هذه الست فيه لبق. وإذا لبق قبل إذا عرض على الله، وإذا صلى الرجل فدعته أمه فلم يجبها، فالصلاة حق، وليس بصواب. فالحق كل أمر رضي الله به، والصواب كل أمر رضي الله به في ذلك الوقت. وأما العدل فأن يكون

---

(١) سورة الذاريات آية رقم ٥٦.

(٢) سورة الأنعام آية رقم ١٠٢.

قلبك في إصابة الحق والعمل به، لا يميل إلى النفس يريد به الرياء. وأما الصدق في العدل، فأن يرمي ببصر قلبه إلى موضع المشاهدة. وأما الأدب فأن تضع كل شيء من الحركات موضعه. وأما البهاء فوقاره وسكينته وزينته ولبقه.

الأصل التاسع والسبعون والمائتان

في فضل العقل

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه)، قال: كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن رجل شدة عبادة، سأل: كيف عقله ؟ فإن قالوا غير ذلك، قال: لن يبلغ[1].

وذكر النبي ﷺ عن رجل من أصحابه شدة عبادة واجتهاد، فقال: كيف عقله ؟ قالوا: ليس بشيء، قال: لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون.

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: لا يعجبنكم إسلام رجل حتى تعلموا ما عقدة عقله.

قال أبو عبدالله (رضي الله عنه): فالعقل خلق مخلوق من نور البهاء، مقسوم بين الموحدين من ولد آدم، موضوع في الدماغ، وإشراقه وشعاعه ومعتمله في الصدر، بين عيني الفؤاد، فهو مدبر لأمره، وآمر، وزاجر، ومميز، ودليل، وهاد، ومبصر، فبه عرف ربه، وبه علم ربوبيته، وبه نظر إلى تدبيره، وإلى ما أظهر لخلقه من ملكه وعجائب قدرته

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث في الجزء الثاني

وصنعه، وبه عرف جواهر الأمور من أمر الدين والدنيا، وبه نهض إلى ربه، وذلك النهوض اسمه على ألسنة الخلق. النية من قوله: ناء ينوء. أي نهض ينهض. وإنما ينهض بقصده، وإلقاء همته، لا أنه ينخلع عن مكانه فهمه وقصده نيته، وهي النهوض عن سكونه، فهم القلب يطير إلى الله بنور العقول التي لها كل على قدر حظه من العقل الذي قسم له ربه، وبين القسم تفاوت. وإنما تفاوتت الرسل والأنبياء (عليهم السلام)، ومن دونهم من الموحدين في منازل الدين وفي درجات الجنان غداً بتفاضل العقول، فالعبادة والاجتهاد فيها من ذات النفس ما هو وبال على صاحبه، لأن ذات النفس هو الهوى الذي حذرنا اتباعه في التنزيل فقال تعالى: ﴿ **ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** ﴾[1].

فإذا كانت العبادة والاجتهاد فيها مخرجها من تدبير العقل، استقام الأمر وصفت العبادة، وذهب الجهد من ضيق النفس وعسرتها، والهوى يضيق أمرها عليها. فإذا كان العقل ولي القلب غالباً للهوى، فالهوى مقضي مدحور، والقلب آمر مؤمر، عدل في إمارته، فلا يستعمل جارحة إلا بما يدبر له العقل. ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا سمع بعبادة رجل سأل عن عقله. فإذا كان العقل مغلوباً، كان القلب أسير الهوى والنفس. فهو وإن اجتهد في العبادة فعامة عبادته خطأ وجهل كما سبق في قصة جريج الراهب.

---

(١) سورة ص آية رقم ٢٦.

الأصل الثمانون والمائتان

في الثلاثة التي تحت العرش

عن عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة تحت العرش: القرآن له ظهر وبطن، يحاج العباد. والرحم تنادي: صل من وصلني، واقطع من قطعني. والأمانة[1].

قال أبو عبدالله (رضي الله عنه): فظهر القرآن يحاج الظالمين أهل التخليط، وبطن القرآن يحاج المقتصدين. لأن ظاهر القرآن لأهل الجنان، وباطن القرآن لأهل الغرف، وهم السابقون. وإنما يحاج المقتصدين لأنهم أقاموا ما أنزل إليهم من ربهم على مجاهدة منهم لأنفسهم. فأهل الجهد لا يقدرون على صفاء الأمر، وإنما يقيمونها مع كدورة النفس وعسرتها، وتردها ونكدها، فلا يبلغون حقائق الأمور على الصفاء، وإنما يبلغ حقائق الأمور صافية السابقون الذين عتقوا من رق النفس، فهم أحرار كرماء، وأولئك عبيد أتقياء، كما قال عيسى (عليه السلام) لبني إسرائيل: لا عبيد أتقياء، ولا أحرار كرماء.

---

(١) سبق الحديث عن هذا الأثر في الجزء الثالث

الأصل الحادي والثمانون والمائتان

في وصية نوح (عليه السلام) بنيه. وهي أربع كلمات

عن معاذ بن أنس (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ، أنه كان يقول: ألا أخبركم عن وصية نوح (عليه السلام) بنيه، حين حضره الموت قال: إني واهب لك أربع كلمات هن قيام السموات والأرض، وهن أول كلمات دخولاً على الله تعالى، وآخر كلمات خروجاً من عنده، ولو وزن بها أعمال بني آدم لوزنتهن، فاعمل بهن واستمسك حتى تلقاني أن تقول: « سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر »، والذي نفس نوح بيده لو أن السموات والأرضين وما فيهن وما تحتهن وزن بهؤلاء الكلمات لوزنتهن.

قال أبو عبدالله (رضي الله عنه): ونعمت المواهب، ونعم الموهوب له. هذا نوح رأس المرسلين (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين) أوصى ابنه عند وفاته وخروجه من الدنيا، ثم صير الوصية هبة ليكون تمليكاً، ولا يكون تمليك إلا من مالك، فدلت هذه الكلمة من قول نوح (عليه السلام) أني واهب لك أن هذه الكلمات وهبت لي، فأنا واهب لك من قبل أن يزول ملك الهبة مني بمزايلة الروح الجسد، لأن أولاد الرسل إنما

يورثون إرث النبوة بحكم الله. قال الله تعالى: ﴿ **وورث سليمان داود** ﴾[1]. وقال زكريا (عليه السلام): ﴿ **فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب** ﴾[2].

وهذا الولد هو سام بن نوح فيما روي في الخبر، وهو أب العرب والعجم المجاورين للعرب، وهم فارس والروم. وأما حام فهو أب الحبشة والهند والسند. وأما يافث فهو أب الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج. فكان هؤلاء الثلاثة ممن ركبوا السفينة معه، وامتنع كنعان (الابن الرابع) وحال بينهما الموج فكان من المغرقين. وإنما صارت هذه الكلمات الأربع قيام السموات والأرض وما فيهن بالحق، لأن الله تعالى خلق السموات والأرضين وما فيهن بالحق لتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون. وحقيقة القيام بالحق في الوفاء بمقالة: « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ». وإنما يطالب الله عباده بحقيقة القيام بهذه الكلمات الأربع، حتى يرضي الحق، فالسموات والأرض وما فيهن مسخرات للآدمي ليقوم هذا الآدمي بمقالة: « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » منطقاً وعملاً ووفاء لطهارة هذه الأربع ونزاهتهن وقدسهن.

فمن قام من الآدميين بهذه الأربعة بهذه الصفة التي وصفنا، كان ولي هذه الكلمات، وكان ولي الله، وبه تقوم السموات والأرض وما فيهن. وإنما صارت في الوزن أثقل من السموات والأرض وما فيهن، وأوزن من أعمال بني آدم؛ لأن هذه الكلمات عماد الأعمال. فبالتسبيح تطهر الأعمال، وبالتقديس تحط أثقال النعم، وبالتهليل تقبل الطاعات، وبالتكبير ترفع، وينال الثبات.

---

(١) سورة النمل آية رقم ١٦.

(٢) سورة مريم آية رقم ٥ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة يقول (وهب) بدلاً من (فهب).

وأما قوله: « أولهن دخولاً على الله، وآخرهن خروجاً من عند الله » فإن هذه الكلمات رؤوس الكلام وأمناؤه، ومهيمن على سائر الكلام. فالأمناء أولهن دخولاً على الملك يوم يقعد لعرض الأخبار وتدبير الملك، فيرفعون إليه أمور الرعية، ثم يأذن للرعية فيعترضهم. فإذا خرجوا من عنده، كان التدبير مع الأمناء، وقضاء حوائج الرعية على أيديهم، وقبول معاذيرهم، ونوال عطاياهم. فكذلك هذه الكلمات يدخلن على الله يوم تعرض الأعمال في كل إثنين وخميس، ثم تجيء الأعمال بعد ذلك على أثرهن، فتعرض على الله، فتزكية الأعمال وتوفيرها من هؤلاء الأمناء، يشهدون لها بالصدق. وإذا خرجت الأعمال، بقي هؤلاء عنده لتوفير التقصيرات، وتصحيح الأعمال، وسؤال القبول والثبات، وتربية الأعمال، وتقوية النفوس، ومدد القلوب، فهن المستأذنات للأعمال، والمسهلات لسبل الأعمال، والشفعاء والمزينات، لأن على طريق العرض سماطي الملك، ملك الرحمة، وملك العظمة، وملك السلطان، وملك البهجة، وملك الجمال، وملك الجلال، وملك البهاء. فهذه الكلمات تطرف الأعمال إلى مالك الملك، وتسهل السبيل، وتشفع وتزين، وبهن يقرع الباب. ومثل ذلك مثل ملك أصبح، فعرضت عليه أعمال الرعية، واجتمعت الرعية على باب الملك، فأول من يدخل عليه الوجوه وسراة الرعية، والمختصون بالوسائل. فإذا دخلوا عليه قربهم في المجلس، وأدناهم من نفسه، وأحلهم محل الأمناء والخاصة، فإياهم يأتمن، وعليهم يقبل، ومنهم وإياهم يسعف بالحوائج، ومن أجلهم يأذن لهم، وعلى قدر ما يثني كل واحد منهم على الرعية، وينشر عن طاعاتهم للملك وصدقهم ووفائهم ونصحهم يقبل الملك على هذه الرعية، ويقضي حوائجهم، ويجزل عطاياهم. فهؤلاء وفود الرعية. فهذا مثل هؤلاء الكلمات، ثم للقائلين بها درجات تتفاوت.

ومثل ذلك مثل هذا الملك يجتمع ببابه هؤلاء الوفود، فأول من يدخل

عليه أوجههم عند الملك، وأحسنهم هيئة، وأعقلهم وأعذبهم منطقاً، وأفصحهم لساناً، وأصبحهم وجهاً، وأطهرهم خلقاً، وأبهاهم زياً وسمناً، وأنقاهم ثياباً، وأقصدهم مشياً، وأفهمهم عنه إشارة، وأوعاهم علماً. فالحظ كل الحظ، والإسعاف كل الإسعاف بالحوائج لمن كانت هذه صفته من بين الوفد.

فكذلك هذه الكلمات، قد وعتها القلوب، ووعت معانيها الصدور، وزينتها العقول لأفئدة القلوب، وأشرقت أنوارها بين أودية الأفكار، وعلى بصائر النفوس، وأسماع هواجس الأحلام. فمن كان قلبه واعياً لنور الله الأعظم، وصدره مشرقاً بذلك النور، وعين فؤاده منكشفة الغطاء عن زينة العقل وبهائه، قد سد تراكم أنواره خلال الرويات، واجتذت لها أبصار النفوس، وأذنت أسماع الهواجس، واحتشت من نور الحياة، فإنما تخرج الكلمات إلى الله من بين هذه الأشياء، فهذا بحر الله، فيه جواهر الله. فإنما يصعد إلى الله جواهر قد غاص عليها قائلها من بحره، فولي البحر أعلم بأثمان تلك الجواهر، وقد عجز عن علم أثمانها جميع الخلق. قال له قائل: ما أثمانها ؟ قال: حب الله. فمن ذا يدرك حرارة الحب وفورانه وشعله، ويعلم كنهها إلا محبوبه الذي يثيره. قال قائل: وكيف يثيره ؟ قال: يثير الحب الذي وضعه في العبد بالحب الذي عنه للعبد. فمن خرجت منه هذه الكلمات من حبه، فدخلت هذه الكلمات منه على الله، كن أول من يدخل، ثم يعرض أعماله بعد دخولهن، وكل عمل إنما يقتضي ثوابه هذا الحب الذي إنما صار هذه الكلمات وجيهة عند الله بهذه الأشياء التي وصفنا. وإنما نال هذه الأشياء بلب هذه الأشياء، ولبه حب العبد لله، ولب ذلك حب الله لعبده. ومن كان قلبه خالياً من جميع ما وصفنا، إلا أنه مؤمن بهذه الكلمات، قد تضمن توحيده نفس هذه الكلمات، وعلماً بها ومعرفة لها، فهو مقربها، ناطق بها باستقرار القلب بذلك التوحيد والإيمان، قد خلا قلبه عن أنوارها وحشو ما فيها. فإنما

يصعد إلى الله إيمانه بتلك الكلمات، فيدخل من قائلها على هذه الهيئة، وتلك على تلك الهيئة، فإنما تكون كلمته من الله قرباً ودنواً ووسيلة، وجواز قول، ونوال عطية على قدر هيئته، أو تلك على قدر هيئتها.

فاعتبِرْ بهذا المثل الذي ضربنا لك بدءاً من شأن الملوك والسراة المقدمين في الإذن. قال الله تعالى: ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** ﴾[1]. ﴿ **وما يعقلها إلا العالمون** ﴾[2].

فالغائص في بحر الله على هذه الكلمات هو عبد قد طالع مقاسم الكلمات كيف انقسمت على أمور العباد في موضع المقسم على العرش، وطالع حكمة التأليف لحروف الكلمات في ملك الملك، وطالع ما في حشو كل حرف منها في المبدأ، فهو إذا نطق بها لاحظ المقسم، فوجه يلحظه كل كلمة من معدنها التي عزيت هذه الكلمة إلى المعدن منه جرى إلى العبد، وكل كلمة لها نوبة من الأمور والأفعال. فالتسبيح تنزيه من الهواجس، والحمد يكشف عن النعم والصنائع، والتهليل يبرأ عن العلائق، والتكبير يثبت القيومية له عن الزوال، فعين فؤاده يدور مع دوران لسانه حتى تقسم اللحظات الكلمات على الأمور فيلاحظ الهواجس، ويلاحظ النعم، ويلاحظ الشرك، ويلاحظ الزوال، فينتقل لحظاته كما ينتقل دوران لسانه من كلمة إلى كلمة.

---

(١) (٢) سورة العنكبوت آية رقم ٤٣.

الأصل الثاني والثمانون والمائتان

في رأس النعم وشكر المنعم

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ فرأى في البيت كسيرة ملقاة، فمشى إليها فرفعها ومسحها، وقال: يا عائشة أحسني مجاورة نعم الله، فقل ما نفرت عن قوم فكادت ترجع إليهم[1].

قال أبو عبدالله (رضي الله عنه): فرأس نعم الدين نور التوحيد، معرفة بالقلب، وشهادة باللسان أن لا إله إلا الله. ورأس نعم الدنيا هذا الجسد الذي هو قالب لهذه النعمة الفائقة للنعم. فإن الله تعالى أنعم عليك بنور التوحيد حتى عرفته، ثم وضع حول قلبك في صدرك بيدراً من الأنوار، يتربى فيها نور المعرفة، وأنعم عليك بهذا القالب المجسد، ووضع حوله بيدراً من نعم الدنيا، يتربى فيها هذا الجسد، وأمرت بحسن مجاورة نعم هذين. فحسن المجاورة مع نور المعرفة أن لا تذكر كل شيء سواه، وأن لا تؤثر عليه أحداً، وأن لا تقرن بمشيئآته مشيئآت النفس، وأن لا يلهيك الهوى عن الوله إلى الله تعالى في كل حالاتك. وحسن مجاورة الجسد أن لا تستعمل جارحة من جوارحك إلا له ولرضاه (عز وجل).

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

الأصل الثالث والثمانون والمائتان

في طنين الأذن

عن أبي رافع (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إذا طنت أذن أحدكم فليصل على النبي (عليه السلام)، ويقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، ذكر الله من ذكرنا[1].

وعن عبيدالله بن المغيرة (رضي الله عنه) أنه كان يقال: إذا ضرب أذن العبد، فإن الله يذكره، فليذكر الله، أو فليحسن ذكر الله.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن الأرواح لتتلاقى في الهوى، وأحدهما من صاحبه على مسيرة يوم وليلة. وإن الأرواح خلقت قبل الأجساد بألفي عام فتشامت كما تتشام الخيل، ثم هي جنود مجندة. فإذا التقوا فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف .

هذا كله عن رسول الله ﷺ.

---

(١) قال السيوطي في الجامع الصغير: رواه الحاكم، وابن السنى وذكره العقيلي في الضعفاء، والطبراني في الكبير، والامام مسلم وابن عدي في الكامل عن ابي رافع، وأشار السيوطي على الحديث بالضعف

وقال سلمان للحارث: كيف أنت يا حارث ؟ قال: ومن أين عرفتني ؟ قال: عرف روحي روحك. وكذلك قال أُوَيْس لهرم بن حيان (رحمهما الله). ولولا أن الروح مشغولة بالنفس وشهواتها لأوردت عجائب على صاحبها من درك الأشياء، لأن لها سطوعاً في الجو، تجول ثم تصعد إلى الله إلى مقامها الذي منه بدت، ولكنها تدنست بما لبست من أثواب اللذات، وتكدرت بما شربت من كأس حب الدنيا، وخالطت الهوى، ومالت نحوه. فمن صفاه وأخلصه ونزهه، فقد ظفر بنور اليقين وفاز بالحظ العظيم والكأس الأوفى.

وإن رسول الله ﷺ لما قبض قيل له: إلى أين يا رسول الله ؟ قال: إلى السدرة المنتهى[1].

فلكل رسول في السماء مستقر إذا قبض. فلآدم (عليه السلام) في الدنيا، وليحيى وعيسى (عليهما السلام) في السماء الثانية، وليوسف (عليه السلام) في السماء الثالثة، ولإدريس (عليه السلام) في السماء الرابعة، ولهارون (عليه السلام) في السماء الخامسة، ولموسى (عليه السلام) في السماء السادسة، ولإبراهيم (عليه السلام) في السماء السابعة، ولمحمد ﷺ في السدرة المنتهى بباب الله عند الحجاب، فهو متشمر هناك يسأل الله لأمته في كل يوم لكل صنف، فللمتهافتين التوبة، وللتائبين الثبات، وللمستقيمين الإخلاص، ولأهل الصدق الوفاء، وللصديقين وفارة الحظ.

وكذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: حياتي خير لكم، وموتي خير لكم[2].

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ألا إني لكم بمكان

---

(١) سبق الحديث عن هذا الأثر في الجزء الأول

(٢) لعل هذا الأثر من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر

صدق حياتي وإذا مت...، فقال عمر (رضي الله عنه): يا رسول الله: إذا مت ؟ قال: لا أزال أنادي في قبري: « رب أمتي أمتي... » حتى ينفخ في الصور النفخة الأولى، ثم لا تزال دعوتهم لي مجابة حتى ينفخ في الصور النفخة الثانية[1].

فطنين الأذن من قبل الروح أنه بحدة بصره وخفته وطهارته وحياته وسطوعه إلى المقام أدرك في وقت سؤال رسول الله ﷺ بباب الله له شيئاً، وذكر الله إياه بخير فرجع إلى أصله المتمكن في رأسه وقلبه بذلك الخير والبشرى، فطنت الأذن لصوته وما جاء به من الخير، فلذلك قال: فليصل على النبي ﷺ لأنه ذكره عند الله في ذلك الوقت، وطلب منه شيئاً، فاستوجب منه الصلاة، ليكون فيه أداء حقه. فهذا وما أشبهه مكرمات الموحدين من ولد آدم (عليه السلام)، وكذلك العطاس هو في ذلك الوقت ذكر من الله لذلك الروح بخير، فابتهج الروح، وسطع نوره، فذلك الصوت من سطوعه، ولذلك قيل: عطس وسطع، وهما كلمتان مستعملتان في نوعين، يقال: عطس وسطع. فلذلك أمر أن يحمد ربه، وأول من فعل ذلك آدم (عليه السلام) لما استقر فيه الروح وذكر بخير فازدهر وسطع نوره، كالمسرور.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: العطاس من الله[2].

---

(١) الحديث رواه البزار عن ابن عمر وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب الأدب باب ٧ ما جاء إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ٢٧٤٦ عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره وفيه زيادة [والتثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه، وإذا قال آه آه فإن الشيطان يضحك من جوفه].

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة ص ٨٥ باب ما يقول إذا عطس.

وقال ﷺ: من حدث بحديث فعطس عنده، فهو حق[1]. لأن ذلك وقت ذكر الله للأرواح، فلا يقول صاحبه إلا حقاً. ولذلك وجب للمسلم على المسلم حق التشميت، لأنه ظهر عليه أثر نعمة الله تعالى في ذلك الذكر.

وروي أنه قال الله: يا داود، إن سمعت عاطساً من وراء سبعة أبحر فاذكرني.

---

(١) الحديث أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وقال: رواه الحكيم الترمذي عن أبي هريرة ــ وأشار على الحديث بالصحة.

الأصل الرابع والثمانون والمائتان

في أن الدنيا ملعونة إلا عن ثلاثة

عن عبدالله بن حمزة، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا ملعونة، ملعون من فيها إلا من ذكر الله، أو معلم أو متعلم[1].

قال أبو عبدالله (رضي الله عنه): فالدنيا هذه الدار التي دورت أرضها تدويراً بجبل قاف، وأحيط عليها بالجبل. والآخرة هي الدار الآخرة، وهذه أولى. قال الله تعالى: ﴿ **وإن لنا للآخرة والأولى** ﴾[2].

وسميت هذه دنيا لأنها أدنى إليك، والآخرة تعقب هذه، إذا ذهبت هذه جاءت تلك. فتلك اسمها عاقبة. قال الله تعالى: ﴿ **والعاقبة للمتقين** ﴾[3].

---

(١) الحديث رواه الترمذي وحسنه عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود، ورواه أبو نعيم في الحلية والضياء عن جابر، والترمذي وحسنه عن أبي هريرة رفعه بلفظ: « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ما كان منها لله عز وجل ».

(٢) سورة الليل آية رقم ١٣.

(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٢٨.

وسميت هذه عاجلة لأنها عجلت، وتلك آجلة لأنها أجلت. ففي هذه الدار زينة وحياة، وفي تلك الدار زينة وحياة. وحياة هذه من الروح المركب في هذا القالب الذي هو من اللحم والدم والعظم والعصب والعروق والشهوة واللذة في هذا القالب. وأصل الشهوة من الفرح، وأصل اللذة من الذهن، وأصل القالب من التراب، والحياة مسكنها في الروح، والروح مسكنها في الدماغ، ثم هو منفش في جميع الجسد، وأصله معلق في الوتين عرق القلب مشدود هناك. وذلك العرق نياط القلب، والنفس مسكنها في الباطن، ثم هي منفشية في جميع الجسد، وأصلها مشدود بهذا العرق، والشهوات في النفس، واللذة منها، وعملها من الذهن، فهذه الزينة والحياة التي في النفس تستعمل هذا القالب. فما كان من عمل العين، خرج إلى العين، وما كان من عمل السمع، خرج إلى السمع، وما كان من عمل المنطق، خرج إلى اللسان، وما كان من عمل اليد، خرج إلى اليد. وما كان من عمل الرجل، خرج إلى الرجل، فمخرج أعمال الجوارح السبع من الفرح الذي في القلب، ومن الزينة والحياة التي في النفس. فإذا حزن القلب، ذبلت النفس، وانطفأت نار الشهوة، وتعطلت الجوارح عن العمل، وسكنت الحركات. وإذا فرح القلب، هاجت النفس، وصارت قوية طرية، وأثارت نيران الشهوات، واستعملت الجوارح. فالفرح رأس مال أعمال الجوارح. والعبد مبلو بهذا الفرح. فإذا حيى القلب بالله، ففرح بشيء من زينة الدنيا، تراءى ذلك النور الذي في قلبه، وتلك الحياة التي لقلبه صنع الله في تلك الزينة، وخلقه لها، ورحمته فيها، ورأفته على عبده بذلك، فقبلها من ربه، واستبشر بها، وصار ذلك الفرح لله، ونطق بالحمد لله، وأضمر على الطاعة شكراً لله وإظهاراً لعلمه أن هذا له من الله، حتى يأخذ الفرح من صدره في جميع جوارحه، فيذهب كسله، وتقوى عزيمته، وتتجدد نيته، وتطيب نفسه.

فهذا عبد حامد لله، شاكر له، قد صدق علمه بأنه من الله، يقول بلسانه: الحمد لله، ثم يصدقه بفعل جوارحه شكراً لله. وإذا هاج الفرح

بتلك الزينة من قلبه، وكان قلبه محجوباً عن الله، وصدره مظلماً بغيوم الهوى، ودخان الشهوات، ورين الذنوب، لم يتراءى لعيني فؤاده في صدره صنع الله تعالى في تلك الزينة، ولا خلقه لها، ولا رحمته فيها، ولا رأفته عليه، فجاء الهوى بكبره، والنفس بعلوها وتجبرها، فصار الفرح للنفس وبالدنيا وبمراءات الأشكال، ومباهاة الأضداد، فظهر الفساد من الجوارح، وخرجت السيئات من الجسد، كل سيئة من معدنها من قلة الرحمة وقلة المبالاة وترك النصيحة، وظهرت الفظاظة واليبوسة والغلظة والقسوة ورذائل الأخلاق، حتى صارت الجوارح إلى الغش والمكر والمخادعات، وإلى أفعال الجسد، وإلى سوء النيات والمقاصد، وخرج إلى الفرعنة والتجبر، كل على قدره، يتنعمون بنعم الله ويتلذذون بتلك الزينة وتلك اللذات فرحاً وأشراً وبطراً في هيئة أهل الكفر بالله والجحود له، فقد تبين أن أصل هذا الأمر كله الفرح.

فمن قدر أن يصرف هذا الفرح منه إلى الله في كل عمل وفي كل أمر من دنيا أو آخرة بنور قلبه، وإلا فقد وقع في الوبال. فإن كان فرحه في أمر الدنيا أشر وبطر. وإن كان في أمر الآخرة، أعجب وتكبر، وصار مرائياً. فمن صرف ذلك إلى الله، لم يزدد لربه إلا خشوعاً وحباً، فحمده ودعاه ذلك إلى شكره بجميع جوارحه. وذلك حفظ الجوارح السبع على أمر الله وإقامة فرائض الله، والقيام بحقوق الله. ومن لم يقدر على ذلك، سباه فرحه، فصار سبياً من سبي النفس.

وإذا نالت النفس الفرح، كان بمنزلة رجل متغلب وجد كنزاً وأموالاً جمة فاحتوى عليها وفرقها فيمن اجتمع إليه من الغوغاء حتى صاروا أعوانه وأتباعه، فخرج بتلك القوة على أمير البلد، وعمد إلى الأمير فسجنه، فالأمير في الوثاق في السجن، والخارجي يرؤس أهل البلد. فإن تداركه أمير المؤمنين بمدد وجيش وكنز، فقد نصره. وإن تركه مخذولاً، فقد ذهبت الامرة. فهذا شأن القلب مع النفس. وقد حذر الله تعالى عباده في

تنزيله في قصة قارون فقال: ﴿ **لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين** ﴾[1]. وقال: ﴿ **وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع** ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾[3].

فدلك على الفرح بفضله ليصرفك عن الفرح بالجمع. فإن فرح الجمع هلاك الدين والقلب. وفرح الفضل والرحمة يؤديك إلى الله لأن كل من فرح بشيء أقبل عليه وطلبه. فإذا رأى الله من عبد إقبالاً على هذه الدنيا الدنية وعلى هذه الشهوة الرديئة، أعرض عنه ووكله إليها حتى يكون همه دنياه، وهمته شهوات نفسه وطلبه العلو فيها حتى يضاد أقضية الله وتدبيره، فخسر الدنيا والآخرة. وإذا رأى إقباله على ربه، صنع له جميلاً، وهيأ له تدبيراً ينال به فوز العاجل والآجل وسعادة الدارين.

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم. فما أقبل عبد بقلبه على الله، إلا أقبل الله تعالى (عز وجل) بقلوب المؤمنين، تفد إليه بالود والرحمة، وكان الله بكل خير إليه أسرع[4].

فإذا نظر الله إلى عبد بالرحمة، وقلبه مأسور في إسار النفس، أمده من عنده بما إذا صار المدد إليه تاب. ومن رحمة الله تعالى على عبده إقباله. فإذا أقبل عليه تلظت جمرة الإيمان في القلب، فتوردت أشجار الخيرات وأينعت، كما يتورد بساتين الدنيا ويتورد أشجارها إذا وجد الحر. فإذا وجد القلب هذه القوة، أقبل على النفس بالزجر لها بسلطان قوي حتى

---

(١) سورة القصص آية رقم ٧٦.

(٢) سورة الرعد آية رقم ٢٦.

(٣) سورة يونس آية رقم ٥٨.

(٤) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء، وقال السيوطي في الجامع الصغير: ضعيف

يقمعها بمنزلة ما ضربنا له من المثل الخارجي، إذا سمع أن جيش أمير المؤمنين قد أقبل، هرب عن البلد، وخلى عنها، وخرج الأمير من السجن فقعد في إمرته، واحتوشته الجنود، وفرق الأموال والكنوز التي جاءته من أمير المؤمنين في جنده، وقصد الخارجي يحاربه، ويتباعد قليلاً قليلاً، والأمير خائف مع هذا الجند، لا يأمن بياته وافتراصه، فهو مشغول بحرس جنده ونفسه، ويسأل أمير المؤمنين زيادة في مدده، فلا يزال يمده، حتى إذا أمده بغاية المدد أخذه أسيراً، ويكون الخارجي قد نظر إلى كثرة المدد، فعلم أنه لا يقاوم أمير المؤمنين، فألقى بيده سلماً وأسلم، وتاب على يدي أمير المؤمنين. فهذه صفة التائب إذا تاب، احتاج إلى مجانبة النفس ومجاهدتها في كل أمر فلا يزال كذلك ويزداد مدداً، وهو لا يأمنها مع ذلك المدد، يخاف أن يثب وثبة من زوايا جوفه فيأخذه، لأن مكرها أعظم من أن يوصف. حتى إذا تجلى لقلبه شأن الملكوت، وأشرق في صدره أنوارها، فامتلأ صدر العبد من جلال الله وعظمته. فبسلطان الجلال يأسر النفس ويسبيها، وبالعظمة يولهها. فإما أن يأخذها بتلك القوة فيحبسها حتى تموت في سجن القلب غماً، وإما أن تلقي بيديها سلماً وتذعن للقلب وتنقاد له، فتصير في يدي القلب كالأسير، حتى إذا وجدت تلك اللذات التي وردت على القلب من تلك الملكوت من العطايا، اعتصمت بالقلب، فتركت لذاتها الفانية الدنية، فعندها وصل العبد إلى أوائل العبودة، ووضع في هذا القالب الحياة، والحياة في الروح والنفس، وهما ريحان، إحداهما أرضية، والأخرى سماوية. فالحياة ههنا في الروح والنفس، والجسد قالب. فإذا خرجا بقي القالب لحماً مواتاً، وحياة الآخرة في كل شيء منه، فكل شيء منه حي، من قرنه إلى قدمه، كل شعرة، وكل ظفر حي بحياته، وذلك إذا شربوا ماء الحياة بباب الجنة. قال الله تعالى: ﴿ **وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون** ﴾[1].

---

(١) سورة العنكبوت آية رقم ٦٤.

أخرجه على قالب فعلان لبلوغ الغاية في التكثير، كقولك: رحمن ورحيم، وعريان وعار، والذي يشرب ماء الحياة في الآخرة يجد اللذة والنعيم، كل شعرة منه على حدتها، ويقوى على نعيم الجنة بقوة تلك الحياة.

فجميع ما في هذه الدار التي سميت دنيا كله متاع هذه الحياة، والمتاع المنفعة والبلغة. قال الله تعالى: ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين...** ﴾[1]. إلى قوله: ﴿ **... ذلك متاع الحياة الدنيا** ﴾[2]. ثم قال: ﴿ **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة...** ﴾[3] الآية.

ثم ضرب المثل بالغيث ليريك عاقبتهما، وقال: ﴿ **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾[4]. ثم قال: ﴿ **إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها...** ﴾[5].

ثم أخبرك لأي شيء جعل هذا فقال: ﴿ **ليبلوكم أيكم أحسن عملا** ﴾[6]. ثم ضرب المثل فقال: ﴿ **إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء...** ﴾[7]، ثم قال في آخره: ﴿ **والله يدعو إلى دار السلام** ﴾[8].

ثم قال: ﴿ **ءأنبئكم بخير من ذلكم** ﴾[9]. وبين ذلك الخير ما هو

---

(١) (٢) سورة آل عمران آية رقم ١٤.
(٣) سورة الحديد آية رقم ٢٠.
(٤) سورة آل عمران آية رقم ١٨٥.
(٥) سورة الكهف آية رقم ٧.
(٦) سورة هود آية رقم ٧.
(٧) سورة يونس آية رقم ٢٤.
(٨) سورة يونس آية رقم ٢٥.
(٩) سورة آل عمران آية رقم ١٥.

فقال: ﴿ **جنات عدن تجري من تحتها الأنهار** ﴾[1]، ثم بين لمن هي فقال: ﴿ **الذين يقولون ربنا إننا آمنا...** ﴾[2]، إلى قوله: ﴿ **...بالأسحار** ﴾.

وإنما صارت الدنيا ملعونة مذمومة، من أجل أنها غرت النفوس بنعيمها وزهرتها ولذتها. والشهوة واللذة في النفوس. فإذا ذاقت النفوس طعم النعيم، اشتهت ولذت، فمالت عن العبودة إلى هوى النفس. وإنما جعلها زينة في نفوس العباد، وأعطى من تلك الزينة العدو ليوسوس بتلك الزينة، ويمازج بها تلك الزينة التي وضعها الله في العباد، وحبها وشهوتها ليبلوهم أيهم أحسن عملاً في هذه الزينة، ليتواضع لله فيما أعطاه من الزينة، ويشكره عليه أو يتكبر عليه ويكفره، كما قال سليمان (عليه السلام) حيث قال: ﴿ **أيكم يأتيني بعرشها** ﴾[3]. فقال ذلك الجني: ﴿ **أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك** ﴾[4]. فاستبطأه، فقال الذي عنده علم من الكتاب، وهو اسم الله الأعظم: ﴿ **أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك. فلما رآه مستقراً عنده...** ﴾[5] أعني السرير. ﴿ **قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر** ﴾[6]. أي أقدر هذا الإنسي على ما لم أقدر عليه وأعطى ما لم أعط، فابتلاني برؤية ما أعطي ليبلوني. ءأشكر، فأعدته بما أعطاه من نعمة علي لأنه حولي، أو أحسده فأكفر النعمة.

فهذه الأشياء إنما غرت المفتونين الذين لما تناولوها عميت عيونهم

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٦.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٦ ، ١٧

(٣) سورة النمل آية رقم ٣٨.

(٤) سورة النمل آية رقم ٣٩.

(٥) سورة النمل آية رقم ٤٠.

(٦) سورة النمل آية رقم ٤٠.

عن تدبير الله وتقديره وسياقته إليهم. ﴿ **ومن كان في هذه أعمى، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً** ﴾[1].

فوضع الله الدنيا مع زينتها وبهجتها، وخلقنا فيها، فحرم وأحل، وأمر ونهى، فمن انتهى عن المحرمات، وأدى الفرائض، وتناول من الدنيا فعبده بتناولها، لأنه أخذها على الحاجة، ومن السبيل التي أطلقت له، فقد خرج من الذم، وبرئ من الدنيا المذمومة. وإن تناول بشهوة ونهمة في غفلة عن الله تعالى، فقد أخذ الدنيا المذمومة، ولا يصل إلى هذه المرتبة التي تبرأ من عارها وذمها ووبالها إلا من وصل إلى الله، فعظمته على قلبه، وخشيته في صدره، وذكره دائم على لسانه. فليست هذه دنيا مذمومة. وإنما هو رزق ومعاش وتزود، يأخذ العبد من مولاه، ليقوم بخدمته، لأنه خلقه للخدمة، وجعل هذه الأشياء كلها سخرة له، فهو يأخذ من السخرة للخدمة، والآخر يأخذ من هذه السخرة لقضاء الشهوة والنهمة، ليفرح به أيام الحياة، ليلهيه ذلك الفرح عن الله تعالى، ويورثه الغفلة، حتى يهتاج منه الكبر، وينظر إلى نفسه وهيأته وما أعطي من الدنيا، فيعجب به، فيفاخر الناس، ويناطح أشكاله، فهو عبد فرجه، عبد بطنه، عبد هواه، قد دخل في لعنة رسول الله ﷺ حيث قال: « لعن عبد الدينار، لعن عبد الدرهم »[2] ثم قال: « بئس العبد عبد نسي المبتدأ والمنتهى. بئس العبد عبد سها ولها ونسي القبر والبلى. بئس العبد عبد تجبر واعتدى، ونسي الجبار الأعلى. بئس العبد عبد طمع يقوده. بئس العبد عبد هوى يضله. بئس العبد عبد يختل الدنيا بدينه »[3].

---

(١) سورة الأسراء آية رقم ٧٢.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٨ باب في المكثرين ٤١٣٦ عن عبدالله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره ولفظه: (تعس) بدلاً من (لعن).

(٣) هذا جزء من حديث طويل رواه الترمذي في كتاب صنعة القيامة باب ١٧، ٢٤٤٨ ـــ =

فهذا كله جاء عن رسول الله ﷺ في خطبته. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً** ﴾[1].

روي عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه قال: إن الرجل ليعجبه شراك نعله يريد به أن يكون أجود من صاحبه فيدخل في هذه الآية.

فاللعن واقع على ما يطلب به العلو، ويلهي عن ذكر الله، وعلى ما غرك من الدنيا، لا على النعيم واللذة. فإن النعيم واللذة قد تناولته الرسل والأنبياء والصديقون (عليهم السلام)، فردهم تناولهم إلى الله ذكراً وشكراً، ثم آووا منه إلى المأوى، وهو حفظ الحدود، والقيام بحقوق الله تعالى. محل الاستثناء. والله أعلم.

= حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا هشام وهو ابن سعيد الكوفي حدثني زيد الخثعمي عن أسماء بنت عميس الخثعمية قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره.

(١) سورة القصص آية رقم ٨٣.

الأصل الخامس والثمانون والمائتان

في أن القنوت وقوف العبد وإقباله وركود وخشوع

عن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: كل حرف ذكره الله في القرآن عن القنوت فهي الطاعة[1].

قال أبو عبدالله (رضي الله عنه): إنما صرفه إلى الطاعة لأنها أكشف الأشياء وأشهرها عند الناس والعامة، إنما تعرف الطاعة والمعصية. فكل ما أمر الله به فهو طاعة. وكل ما نهى عنه فهو معصية. فأما حاصل الاسم فالطاعة بذل النفس لله فيما أمر ونهى، والمعصية امتناع النفس واشتدادها، لأن الله تعالى دعا العبد إلى الوقوف بين يديه كالعبيد. فالمؤمنون أجابوا دعوته، وقبلوا العبادة، ثم دعاهم بعد ذلك إلى شيء بعد شيء. فمن ائتمر بأمره وانتهى عن نهيه، فقد وفى بتلك الإجابة في المبتدأ وبذلك القبول، فقيل: أطاع. فهو مطيع. أي أعطى ذلك البذل الذي قبله في المبتدأ. فقوله: « أعطي وأطاع » مشتق بعضه من بعض. وحروفها في العدد سواء،

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٣: ٧٥ ثنا حسن ثنا ابن لهيعه ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ــ ﷺ ــ قال: وذكره.

وفي التأليف مختلفة. قدم العين هنا، وأخر العين هناك، ليستعمل هذا في عطاء العبودة، ويستعمل ذاك في عطاء الأشياء المملوكة. والمعصية من التعصيص، وهو اشتداد النفس وامتناعها. ومنه سمي العصا. يُقال في اللغة : تعيص عليه: أي امتنع وتشدد.

وأما القنوت فهو الركود. وكل شيء استقر في مكانه فلم يتحرك فهو راكد. ومن ذلك سمي الماء راكداً إذا أمسك عن الجري. والسفن رواكد. قال الله تعالى: ﴿ **إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره** ﴾[1]. يقال: قنت ونتق. والنتوق أن يقابل الشيء بالشيء راكداً عليه. وذلك قوله تعالى: ﴿ **وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة** ﴾[2].

ومنه قول علي (رضي الله عنه)، حيث سئل عن البيت المعمور، فقال: هو بيت في السماء السابعة نتاق هذا البيت. أي بحذائه.

والقنوت مقابلة قلبك عظمة من وقفت له وبين يديه. فإنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إذا صلى العبد أقبل الله عليه بوجهه » .

فمن حق إقباله عليه أن يقبل العبد بقلبه على عظمته وجلاله. فهذه مقابلة العبد بقلبه قبالة ربه. فهذا القنوت. ومرجعه إلى ما كشفه رسول الله ﷺ فقال: هو الطاعة، لأنه إذا قابله بقلبه، فقد أعطاه بذل النفس، فقد أطاعه. وإنما صار إذا قابله باذلاً لنفسه، لأن القلب إذا لاحظ ببصر فؤاده جلاله وعظمته، خلص إلى النفس هول الجلال والعظمة فانقبضت وانقمعت وانخشعت وذهلت عن هشاشتها، وخمد تلظي نيران شهواتها لما أحست به.

---

(١) سورة الشورى آية رقم ٣٣.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٧١.

عن مجاهد (رضي الله عنه) في قوله تعالى: ﴿ **وقوموا لله قانتين** ﴾[1]. قال: القنوت الركود والخشوع: فجاد ما غاص مجاهد، صار إلى الأصل.

وأما التي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قانتين أي مطيعين. فقول ابن عباس (رضي الله عنهما) ظاهر التفسير، وقول مجاهد باطن التفسير. وقوله تعالى: ﴿ **يا مريم اقنتي لربك** ﴾[2]. روي في التفسير أنه قال: « قومي لربك » والقيام غير القنوت. ولو كان القنوت قياماً لاستحال أن يقول: ﴿ **قوموا لله قانتين** ﴾[3]. والقنوت صفة تحدث عن القيام.

فقوله تعالى لمريم: ﴿ **اقنتي لربك** ﴾[4]، أي أطيعي ربك. فهذا تفسير ظاهر. ولكن أريد من مريم القنوت في الباطن، وهو أن تقبل بقلبها على الله، مظلاً على النفس، مشتملاً على شهواتها، لئلا تتحرك وتتفرق غلياناً، وتجيش حتى يفور دخانها إلى الصدر، إلى محل إشراق نور الألوهة. فإنه ليس من حق عطايا ربنا أن يعطي عبداً إشراق نور عظمته في صدره، فيهمل العبد حراسته ورعايته، حتى تفور حرارة شهواته، كفوران القدر التي تغلي إلى صدره، كالدخان بين يدي نور العظمة في صدره. فإذا فعل ذلك حجب، لأن ذلك الفوران كالدخان. فإذا هاج من النفس وتأدى إلى الصدر، امتنع الإشراق واحتجب وبقي العبد محجوباً كأنه صار خالياً من الزكاء.

فأمرت مريم بالقنوت أي بالدوام، وبالركود بمقابلة القلب قبالة عظمة الله، حتى يدوم لها التعظيم لجلال الله. ولذلك سمي دعاء الوتر قنوتاً. لأن الصلاة وقوف تخشع وتذلل، يؤدى فرضه. فإذا قنت فإنما خرج من صلاته التي افترضت عليه، وقام له متعرضاً لربه إلى موقف آخر لرغبة أو

---

(١) و (٣) سورة البقرة آية رقم ٢٣٨.

(٢) و (٤) سورة آل عمران آية رقم ٤٣.

رهبة. فسمي قنوتاً لأن ذلك مقام خرج من فعل صلاته إليه، ودخل فيه بتكبيرة، فقابل بقلبه محل الرغبة والرهبة. ومن قبل التكبيرة، كان في محل التذلل والتخشع بين يدي عظمته، والآن في محل الرغبة والرهبة بين يدي جوده وكرمه، فتباين التقابلان والموقفان.

الأصل السادس والثمانون والمائتان

في عثرة الحليم وتجربة الحكيم

عن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: لا حليم إلا ذو عسرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة[1].

قال أبو عبدالله (رضي الله عنه): فالحلم يعطي العبد من نور الجود. فإذا خلص إلى القلب نور الجود، انحلت عقد النفس وكلت مخاليبها، وتخلص القلب من رق النفس ومن سخرتها ووثاقها، واتسعت النفس بما نالت من القلب من نور الجود، فتولدت السماحة. وإذا عثرت فوقعت في الذنب، فهناك تبصر وتنفسح، لما رأت عثرتها، اتسعت لغيرها في تلك العثرة، وأبصرت أن العاثر هو كمثله إما مغبوناً مخذولاً وإما معاقباً، ولما رأى في نفسه في وقت العثرة أنه مغبون أو معاقب أو جاهل. فقول رسول الله ﷺ: « لا حليم إلا ذو عثرة » أي بعد العثرة وصل إلى حقيقة الحلم وكنهه. فأما قبل العثرة فقد يكون حليماً، وليس على كنهه، كأنه لم

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر باب ٨٦ ما جاء في التجارب ٢٠٣٣ حدثنا عبدالله ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ: وذكره. قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ورواه البخاري في الأدب ٨٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ٨، ٦٩ (حلبي).

يكمل حلمه بعد، لأن نفسه لم تتسع بعد في الحلم الذي أعطي. فإذا جاءت العثرات، اعتبر بها، ورأى غيره فيها كما رأى نفسه في وقتها، فهناك يجد الحلم.

وهذا قول رسول الله ﷺ في حديث آخر: « ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس. وليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان، إنما المسكين الذي قعد في بيته وقنع »[1].

فذاك الذي كثر عرضه هو أيضاً غني. ولكن الغنى على كنهه وحقيقته هو غنى النفس. والمسكنة على الحقيقة وعلى كنهها في من قعد في بيته وقنع بما أوتي.

وأما قوله: « لا حكيم إلا ذو تجربة » فالحكمة من نور الجلال. فإذا أعطي العبد، انفجرت ينابيع الحكمة على قلبه. فهذه الحكمة ينبوعها على قلبه، فهي جاثمة متراكمة، وما لم يأخذه التجارب، لم تقدر النفس على مطالعة الحكمة، لأن النفس بلهاء غنمية، مشغولة بالشهوات، فكيف تدرك الحكمة. والحكمة باطن الأمور وأسرار العلم. فهي تعاين الظاهر ولا تدركه، فكيف تدرك الباطن ؟ فإذا جرت الأمور، صارت هذه التجارب له كالمرآة ينظر فيها لأنها صارت معاينة. ولذلك قال ابن عباس (رضي الله عنهما): ينتهي عقل الرجل إلى ثمان وعشرين ثم بعد ذلك التجارب.

فالعقل للقلب، والتجارب للنفس، لأن العقل باطن، والتجارب ظاهرة، تبصر العين، وتسمع الأذن، ويشم الأنف، وتلمس اليد، ويذوق اللسان

---

(١) الحديث أخرجه الامام مسلم في كتاب الزكاة باب ليس الغني عن كثرة العرض ١٢٠ (١٠٥١) حدثنا سفيان بن عيينه عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله وذكره، ورواه الامام البخاري في كتاب الرقاق ١٥ والامام الترمذي في كتاب الزهد ٤٠ وابن حاجة في كتاب الزهد ٩ واحمد بن حنبل في المسند ٢: ٢٤٣ ٢٦١، ٣١٥، ٣٩٠، ٤٣٨، ٤٤٣، ٥٣٩ (حلبي)

واللهاة. والتجارب ههنا. وهذه الأشياء مسالك إلى النفس، وعندها تشعر النفس بذلك للعقل الذي أعطي، لأن العقل مسكنه في الدماغ وفي الصدر يشرق بين عيني الفؤاد، والنفس لا تعلم بشيء من ذلك إلا ما يعلمها القلب ويفطن لها. فإذا نالتها التجارب، عرفت وأيقنت، لأنها صارت معاينة ما أدى إليها القلب من الحكمة ودلالة العقل.

الأصل السابع والثمانون والمائتان

في كلمة التقوى، وصورة معناها في القلب، والكنية والختم والقفل على القلب

عن أُبي بن كعب، عن أبيه (رضي الله عنهما)، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿ **وألزمهم كلمة التقوى** ﴾[1] قال : لا إله إلا الله.

قال أبو عبدالله (رضي الله عنه): إنما سميت هذه الكلمة كلمة التقوى، لأنه صارت وقاية لتوحيده، لأنه أثبت عقد المعرفة بإلهه قلباً، وباللسان نطقاً أنه إلهه. فلما أحدث الأعداء هذا الحدث وهو الشرك، فأشركوا في ملكه غيره، وذهبوا بوله قلوبهم في الضر والنفع إلى الذي قصدوه بالعبودة رجاء وتأميلاً لنوال نفع ودفع ضر، اقتضى الله المؤمنين كلمة نفي ذلك الحدث وهو قوله: « لا »، فنفوا بقولهم: « لا » هذا الحدث الذي أحدثته الفجرة الغواة الظلمة، فصار قوله: « لا » نزاهة لرجاسة ما أتوا به، وطهارة لنجاسته، ووقاية لذلك العقد الذي اعتقدوه، وحصناً كثيفاً لما في ذلك العقد، وهو التوحيد، ونور المعرفة، فنسبت هذه الكلمة إلى التقوى. وإنما هو في الأصل وقوى، مأخوذ من الوقاية.

---

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٦.

أي صار وقاية لعقدة التوحيد أن لا يمازجه شرك ثان معه، فإنه واحد، لا ثاني له، فرد، لا نظير له.

وهذه الكلمة في قالب الافتعال، لا في قالب فعل، لأن فعل هو قالب الظاهر، وافتعل هو قالب الظاهر والباطن. فقيل « اتقى »، وكان حقه أن يقول : « أوتقى »؛ لأن الواو في أصل الكلمة موضوعة لأنها أصيلة من قوله : وقى يقي وقاية. فلما صار افتعل كان حقه أن يُقال : « أوتقى »، فثقلت على الألسنة لاجتماع الواو والتاء، فأدغمت الواو في التاء، وشددت التاء، فقيل : أتقى يتقي اتقاء. والاسم منه تقوى.

فقوله : « لا إله » ينفي. وقوله : « إلا إله » استثناء، لئلا يقع النفي على الجميع. فلو قال: « لا إله » ثم إقتصر، لكان نفي الجميع. فإبتدأ بنفي الحدث بقوله: « لا إله »، ثم قال: « إلا الله » لئلا يقع النفي على هذا الاسم، وهو قوله: « إله ». فإنما هما كلمتان نفي بـ « لا »، وأثبت بـ «إلا ». فقوله: « لا » حرفان، لام، ثم ألف. و « إلا » أربعة أحرف، الف، ثم لامان مدغمة أحدهما في الأخرى، ثم ألف. فكأنما أخرجت هذه الكلمة على صورة إشارات القلوب وقصدها، لأن القلب لما حيى بنور الحياة، انفتحت عينا الفؤاد بالنور، وجاء نور الهداية، ونور المعرفة، فتراءى لعيني الفؤاد، انزعج القلب مرتحلاً عن وطنه إلى ذلك النور الذي عاين، حتى لقيه فأطمأن وسكن إلى معبوده، وبذل النفس للعبودة، ثم خطر بقلبه بال إلهه، وأنه أشرك في ملكه غيره، وأن قلوباً ولهت إلى غيره افتقاراً، فهاجت منه المحبة المنطوية في نور التوحيد والهداية والمعرفة، فحمى القلب من حرارة المحبة. فمن تلك الحرارة، قوي القلب، حتى قام منزعجاً بعضلاته وعروقه، فنفي ولههم وافتقارهم إلى من دونه وأبطله. فلما احتاج إلى إبراز تلك القوة للنفي، أبرز باللام، ثم بالألف، وإنما ابتدئ باللام، لأن عظم القوة فيها، وهي نزيع الألف، فإنه كان أولاً ألفاً، ثم نزع منها لام، فعظمت القوة في اللام، فنفى القلب كل رب ادعى العباد له

ربوبيته، وولهت قلوبهم إليه دونه. فابتداء هذا القلب الذي وصفنا بالنفي لأرباب الأرض، ثم سما عالياً حتى انتهى إلى الرب الأعلى، فوقف عنده وتذلل، وخشع له وإطمأن، ووله إليه. وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾[1].

أي أن هذه أرباب متفرقون. والرب الله الواحد القهار، فهداه إلى الرب الأعلى، وقال: ﴿ **وأن إلى ربك المنتهى** ﴾[2].

فهذه صورة فعل القلب. فلما احتاج إلى النطق والإبراز باللسان، أعطي تلك الحروف. ففي النفي لام وألف. وفي المستثنى الذي هو المنتهى ألف مخفوضة، ولامان، وألف، لاجتماع قوة اللامين على صورة فعل القلب، يدلك على ذلك من قولنا: كسر الألف وخفضها. لأن القلب من السفول ينزعج، نافياً للأرباب، ويصعد إلى الرب الأعلى بالألف الآخر من قوله: « إلا »، فيثبته رباً لا شريك له، واحداً لا ثاني له، أحداً لا نظير له، فرداً لا نَدَّ له، صمداً لا شبيه له، حياً لا مثل له، قيوماً لا زوال له، إلهاً لا وله إلا إليه.

فأما قوله: ﴿ **وألزمهم كلمة التقوى** ﴾[3]، فإنه ألزم قلوبهم هذه الكلمة بنور المحبة، حتى نطقوا بها، وذلك أنهم أعطوا المعرفة مع المحبة، وأعطوا العقل. والعقل من نور البهاء. فوجد القلب حلاوة المحبة، ووجدت النفس فرح زينة نور البهاء، فسكن القلب واطمأن إلى الحلاوة، وإستقرت النفس للزينة، فنشر عليه التكلم بقول: « لا إله إلا الله »، وهو قوله: ﴿ **حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم** ﴾[4].

---

(١) سورة الأعلى آية رقم ١.

(٢) سورة النجم آية رقم ٤٢.

(٣) سورة الفتح آية رقم ٢٦.

(٤) سورة الحجرات آية رقم ٧.

فبحلاوة الحب، وزينة البهاء، صارت الكلمة لازمة لقلوبهم حتى خرجت إلى اللسان، فدلت الألسنة بها، ودارت بحروفها التي نطقت بمعناها، فصارت منطقاً أحاط بمعناها ولزمها وشددها، كما أحاطت المنطقة بوسط الرجل وشددت. فهو الذي ألزمهم هذه الكلمة بما مَنَّ عليهم بحلاوة الحب، وزينة البهاء.

وأما قوله تعالى: ﴿ **وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾[1]، فإنما صاروا كذلك، لأن الله تعالى خلق المقادير قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف عام، فيما روي لنا عن رسول الله ﷺ: وكان الله ولا شيء، فخلق المقادير، وخلق الخلق في ظلمة، ثم رش عليهم من نوره. فمن أصابه من ذلك النور، اهتدى. ومن أخطأه، ضل. فقد علم من يخطئه ممن يصيبه.

عن عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة[2].

عن عمران بن حصين (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: اقبلوا البشرى يا بني تميم. قالوا : قد بشرتنا فاعطنا. قال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن. قالوا: قد بشرتنا فأخبرنا. قال: كان الله ولا شيء، ثم خلق العرش فجعله على الماء، وكتب في الذكر كل شيء[3].

---

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٦.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب القدر باب ١٨، ٢١٥٦ ــ حدثني أبو هانئ الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول: سمعت عبدالله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره. قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب، ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٦٩ (حلبي).

(٣) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب المغازي ٦٧، ٧٤ ورواه الترمذي في كتاب المناقب باب ٧٣ مناقب لغفار وأسلم وجهينة ومزينة ٣٩٥١ حدثنا سفيان عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال: وذكره.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله خلق الخلق في ظلمة، ثم رش عليهم من نوره. فمن أصابه من ذلك النور، اهتدى. ومن أخطأه، ضل[1].

وعن عبدالله بن الديلمي قال: قلت لعبدالله بن عمرو بن العاص: بلغنا أنك تقول: جف القلم بما هو كائن. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله خلق خلقه، ثم جعلهم في ظلمة، ثم أخذ من نوره ما شاء فألقاه عليهم، فأصاب النور من شاء الله أن يصيبه، وأخطأ من شاء الله أن يخطئه. فمن أصابه النور يومئذ، اهتدى. ومن أخطأه ضل. فلذلك ما أقول: جف القلم بما هو كائن .

قال أبو عبدالله (رضي الله عنه): فيوم المقادير خلقهم، وهم كالنجوم الذراري، ثم سلبهم الضوء، ووضعهم في ترابية التربة التي أراد منها إنشاء خلق آدم (عليه السلام)، وقد طمس ضوءهم، فلبثوا في تلك الظلمة ملياً إلى أن مضى من المدة مقدار خمسين ألف سنة أو نحوه، فصاروا في طول ذلك اللبث في تلك الظلمة ثلاثة أصناف. فصنف منهم زعم أن الذي ملكنا لم يدم ملكه، فعجز عنه. ولو لم يكن كذلك، لم يتركنا ههنا كالمنسي. وقال الصنف الآخر: تركنا ههنا، فنحن ننتظر ما يكون، وما يظهر لنا من أمره. فالأول كفر. والثاني نفاق وشك. وقال الصنف الثالث: تركنا ههنا، وهو دائم، ونحن له يجعلنا حيث يشاء. فأما الصنف الأول لما تكلموا بما ذكرنا، صارت تلك الترابية في أفواههم. وقال لهم: ما الذي رأيتم مني حتى نسبتموني إلى العجز وانقطاع الملك، فصارت هذه

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الإيمان باب ١٨ ما جاء في افتراق هذه الأمة ٢٦٤٢ ــ عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عبدالله بن الديلمي قال: سمعت عبدالله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره، ورواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ١٧٦، ١٩٧ (حلبي).

الكلمة ختماً على أفواههم على تلك الترابية، وهو قوله تعالى: ﴿ **ختم الله على قلوبهم** ﴾[1]. فالختم غير مرفوع أبداً.

وأما الصنف الثاني فشكوا فهم في الزندقة، ينتطرون ما يكون، ولم يستيقنوا، ولا استقرت قلوبهم. فتناثرت تلك الترابية على أفواه قلوبهم لتذبذبهم مرة إقبالاً على الله، ومرة إعراضاً عنه، ومرة إقبالاً على بال النفس. فلم يصر ختماً، ولكن صار قفلاً، قد يرفع ويفتح إن شاء، والختم لا يرفع أبداً، ذلك قوله تعالى: ﴿ **أم على قلوب أقفالها** ﴾[2].

وأما الصنف الثالث فقالوا: ربنا الذي يملكنا دائم، يجعلنا حيث يشاء، إن شاء جعلنا في ظلمة، وإن شاء جعلنا في نور، ثم مدوا أيدي القلوب نحوه للتعلق به، فضرب بيديه إلى قلوبهم فقال: أنتم لي عملتم أو لم تعملوا. فصارت هذه الكلمة مكتوبة على قلوبهم. فمن أصابته يده اليمنى، فهم الأولياء. ومن أصابته يده الأخرى، فهم عامة الموحدين. تناولهم فصيرهم في قبضته، وصارت تلك الكلمة مكتوبة بين أعين الفؤاد على قلوبهم. وذلك قوله تعالى: ﴿ **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان** ﴾[3]. وقال للآخرين: ﴿ **أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم** ﴾[4]. فالطبع هو الختم.

فهذه كانت صفتهم في البدو. ولم يزل ينقلهم من حال إلى حال، إلى أن نقلهم إلى الطينة المعجونة، طينة آدم (عليه السلام). قال تعالى في تنزيله: ﴿ **من حمأ مسنون** ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٧.

(٢) سورة محمد آية رقم ٢٤.

(٣) سورة المجادلة آية رقم ٢٢.

(٤) سورة محمد. آية رقم ١٦.

(٥) سورة الحجر آية رقم ٢٦.

ثم لما نفخ فيه الروح، أخرج المتعلقين من كتفه الأيمن، كهيئة الذر في صفاء وتلألؤ. وأصحاب الشمال كالحمة سوداً من كتفه الأيسر. والسابقون أمام الفريقين المقربون وهم الرسل والأنبياء والأولياء (عليهم السلام)، فقررهم وأخذ عهدهم وميثاقهم على الإقرار له بالعبودة، وأشهدهم على أنفسهم، وشهد عليهم بذلك، ثم ردهم إلى الأصلاب ليخرجهم تناسلاً من الأرحام، أرحام الأمهات.

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ، قال الله تبارك وتعالى خلق آدم، فضرب بيمينه على كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاً كالفضة، ومن اليسرى سوداً كالحممة، ثم قال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي[1].

معنى قوله: « هؤلاء في الجنة ولا أبالي » والله أعلم، أني لا أبالي ما يعملون من خير أو شر، فأقبل خيرهم، وأغفر شرهم. وذلك قوله تعالى: **﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً... ﴾** إلى قوله: **﴿ أولئك الذين نتقبل منهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئآتهم وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾**[2]

وهو الوعد الذي وعدهم حيث ضرب بيديه إليهم تناولاً، ثم قال لهم: « أنتم لي عملتم أو لم تعملوا ». وإنما صاروا بيضاً كالفضة من أجل ذلك النور الذي أصابهم، والآخرون سوداً من أجل الظلمة التي خلقهم فيها.

---

(١) الحديث أخرجه صاحب الموطأ في كتاب القدر (١) باب النهي عن القول بالقدر ٢ ــ عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب انه أخبره عن مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية ــ وإذا أخذ ربك من بن آدم من ظهورهم ذريتهم) فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله ــ ﷺ يسأل عنها فقال: وذكره

(٢) سورة الأحقاف آية رقم ١٥، ١٦.

عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله خلق آدم، وأخذ الخلق من ظهره، فقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي. فقال رجل: يا رسول الله، فعلى ماذا إذا نعمل ؟ قال: على مواقع القدر.

عن هشام بن يسار الجهني، عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه سُئل عن هذه الآية: ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم** ﴾[1]. فقال عمر (رضي الله عنه): سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عنها، فقال: إن الله خلق آدم، فمسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون. ثم مسح ظهره بيده، فاستخرج ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون. فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ: إذا خلق العبد للجنة، استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل أهل الجنة، فيدخله الجنة. وإذا خلق للنار، استعمله بعمل أهل النار حتى يموت وهو على عمل أهل النار، فيدخله به النار[2].

عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق: إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة نطفة، ثم علقة مثل ذلك، ثم مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك بأربع كلمات فيقول له: اكتب أجله وعمله ورزقه وشقي أو سعيد. وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيغلب عليه كتابه الذي سبق، فيختم له بعمل أهل النار، فيدخله الله النار. وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيغلب عليه

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٧٢.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في ٣٩ كتاب السنة ١٦ باب في القدر، والترمذي في ٤٤ كتاب التفسير ٧ سورة الأعراف حديث ٢

كتابه الذي سبق، فيختم له بعمل أهل الجنة، فيدخله الله[1] الجنة.

فهذه قصة هذا الخلق، سبق لهم من الله ما سبق، قال في تنزيله: ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون** ﴾[2].

فالحسنى هي الجنة. فمن سبقت له الجنة بوعد من الله تعالى: ﴿ **لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون** ﴾[3]. أي في الجنة. فشكر الله لهم ما كان لهم في تلك الظلمة من الطمأنينة إلى الله تعالى في وقت مبعث محمد ﷺ، وعرفهم منته عليهم فقال: ﴿ **وألزمهم كلمة التقوى** ﴾[4]. ثم شكر لهم قديمهم في تلك الظلمة، فأثنى عليهم بقوله: ﴿ **وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾. أي أحق بهذه الكلمة، وأهلاً لهذه الكلمة بما تقدم منهم.

وإنما استقروا هناك في تلك الظلمة، ونطقوا بما نطقوا بما رش عليهم من نوره هناك، فأوجب لهم يومئذ محبته، وجعل لهم ذلك النور حظهم من ربهم. وأصحاب الختم لم يُصِبْهم النور، فلم يكن لهم حظ. وأصحاب القفل منهم من لاحظ له، فهو لاحق بأصحاب الختم. ومنهم من له حظ في الغيب مكنون. وحظهم أدنى الحظوظ. ألا يرى إلى قوله تعالى: ﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار** ﴾[5]. ثم قال: ﴿ **إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله** ﴾[6]. فشرط

---

(١) الحديث أخرجه الامام مسلم في كتاب القدر ٣ (٢٦٤٥) بسنده عن عبد الله بن مسعود رض الله عنه يقول: وذكره. ورواه الامام البخاري في كتاب القدر او الحيص ١٧ وبدء الخلق ٦ والأنبياء او التوحيد ٢٨ ورواه أبو داود في السنة ١٦ والترمذي في القدر ٤ واحمد بن حنبل في المسند ٣: ١١٧، ١٤٨ (حلبي)

(٢) سورة الأنبياء آية رقم ١٠١.

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٢.

(٤) سورة الفتح آية رقم ٢٦.

(٥) سورة النساء آية رقم ١٤٥.

(٦) سورة النساء آية رقم ١٤٦.

لهم أربع شرائط ثم قال: ﴿ **فأولئك مع المؤمنين** ﴾[1] ولم يقل: من المؤمنين.

فهؤلاء لاحقة بهم. فهم في عدد المؤمنين، وحظهم من المحبة قليل، وهم من أصحاب القفل، أدركتهم الرحمة الواسعة فصاروا متخلصين من النفاق، ورفع القفل عنهم، حتى انفتحت عيون أفئدتهم مع هذه الشرائط الأربع: التوبة إلى الله، والإصلاح لما خرب، والاعتصام بالله، والإخلاص لله. فحينئذ ألحقهم بالمؤمنين، ليعلم أنهم لم يكونوا من المؤمنين الذين كتب في قلوبهم الإيمان يومئذ بقوله: أنتم لي عملتم أو لم تعملوا. فهؤلاء يعتريهم ذلك النفاق بعد إيمانهم في أعمالهم، فهم الذين يدلون على الله بأعمالهم في الشريعة، ويعجبون بشأن أنفسهم، ويكبون على أموالهم في عامة عمرهم، يتكثرون بها ويتعالون على الخلق، ويعاملون الله في السر بخلاف العلانية، ويراءون بأعمالهم، ويتفاخرون على طلب الدنيا وجاهها وعزها وفخرها وخيلاها، ويضاهئون الله في مدائحه فالعزة لله جميعاً، والعلو لله، والكبرياء لله. فهم في شهرهم ودهرهم طالبون لعز الدنيا ذهاباً بأنفسهم عن الخلق، وعلواً عن أحوالهم وتكبراً عن الانقياد للحق، لكبرياء نفوسهم، ساخطين لأقدار الله في الخلق وفي أنفسهم، حاسدين لعباد الله في نعمهم، مضادين لأقضيته وتقديره وتدبيره فيهم. فهؤلاء أصحاب الأقفال الذين كانت له فيهم مشيئة أن تدركهم رحمته وجوده. فإن للجود بعد انقضاء الرحمة المقسومة يوم القيامة بين أهل الجنة عملاً وشأناً عظيماً، جاد الله على من بقي في النار آلافاً من السنين، وليس عنده مثقال ذرة خير إلا توحيده، خرج له أيام دنياه من باب الجود والرحمة العظمى. فهم أصحاب الأقفال الذين كانت لله تعالى فيهم مشيئة أن أدركتهم رحمته العظمى، فلم يبال بما صنعوا، فرفع عنهم القفل في الدنيا حتى

---

(١) سورة السناء آية رقم ١٤٦.

نطقوا بالكلمة العليا، وهي كلمة التقوى، وأدخلهم الجنة بلا عمل ولا خير قدموه، نالوا هذا من باب الجود في محل القدرة، ونال المؤمنون المحبة من الذات، وولهت قلوبهم بالذات حباً له.

الأصل الثامن والثمانون والمائتان

في مبدأ الاستقامة ومنتهاها

عن علقمة، عن عبدالله (رضي الله عنه) قال: لما نزلت: ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾[1]. شق ذلك على المسلمين، فقالوا: وأينا لم يظلم ؟ فقال رسول الله ﷺ: ليس بذلك. ألم تسمعوا إلى قول لقمان: ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾[2].

عن الأسود بن هلال، عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما) أنه سأل أصحابه عن هاتين الآيتين: ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا...** ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾[4] فقالوا: استقاموا فلم يذنبوا، « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » أي بشرك.

عن الحسن (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى:

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٨٢.

(٢) سورة لقمان آية رقم ١٣.

(٣) سورة الأحقاف آية رقم ١٣.

(٤) سورة الأنعام آية رقم ٨٢.

﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا...** ﴾[1] أمتي، ورب الكعبة، مرتين أو ثلاثاً.

فقال عمر (رضي الله عنه): يا رسول الله ما ذكرك بهذه الآية ؟

قال: إن اليهود قالوا: ربنا الله. فلم يستقيموا، فقالوا في عزير (عليه السلام) ما قالوا. وإن النصارى قالوا: ربنا الله. فلم يستقيموا، فقالوا في المسيح ما قالوا. وإن أمتي قالوا: ربنا الله. ثم استقاموا فلم يشركوا.

قال أبو عبدالله : الاستقامة اسم لفعل. ولكل فعل حدَّان. فحد منه مبتدأه، والحد الآخر منتهاه. فالاستقامة مبتدأها انتصاب القلب لله تعالى رقاً وتذللاً، وإلقاء باليدين سلماً. فهذا أول العبودة، ومبتدأ الاستقامة. ثم قد يروغ يميناً وشمالاً عن الانتصاب لله تذللاً وخشعة، وينال تجبر الكبرياء، ثم يتوب ويرجع إلى الله تعالى، ويعود إلى مقامه من التذلل والرق، ويصير إلى الاستقامة في مقامه. فلا يزال هذا دأبه مرة هكذا ومرة هكذا، يقطع عمره على هذه الصفة، فيختم له بإحدى المنزلتين. ومن أيد في الاستقامة حتى يمر إلى الله تعالى، ولا يروغ في سيره يميناً وشمالاً، فإذا وصل إلى الله، فقد ذهب الروغان، واستقام على الباب بعد موت شهواته. فهذا منتهى الاستقامة. ورأيت فيما يرى النائم كأن سائلاً يسألني عن قوله تعالى: ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا...** ﴾ فأردت أن أجيبه بما عندي من ظاهر العلم، فرأيتي قبالتي شخصاً بيده صحيفة يقابل بها وجهي، مكتوب فيها: ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا...** ﴾ أي اشتاقوا إلى لقائه. ثم انتبهت فقلت في نفسي: هذا عين التفسير.

وإذا نزل العبد منزلة المشتاقين فنهمته وشهوته اللحوق بربه، فقلبه بالباب عاكف. والعاكف لا تزول استقامته، فالناس فيما بين الحديث من

---

(١) سورة الأحقاف آية رقم ١٣.

مبتدأه إلى أعلاه، كل قد أخذ من هذا بحظ. فالديان يحاسبهم فيعطيهم من ثواب هذه الاستقامة، كلاً على قدر ثباته وانتصابه لله، وتوقيه للروغان عنه. وكذلك قوله تعالى: ﴿ **ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾[1].

فالإيمان هو طمأنينة القلب إلى الله واستقرار النفس بما استقر عليه القلب. وإنما صار ذلك كذلك بالنور. فذلك النور اكتساب القلب، به يكرم، وعليه يتاب، وبه يجوز الصراط إلى دار السلام. فإذا أذنب فالذنب ظلمة، فقد ألبس ذلك النور ظلمة. وهو قول رسول الله ﷺ: إذا أذنب العبد، نكت في قلبة نكتة سوداء. فإن عاد، نكت أخرى. فلا يزال كذلك حتى يسود القلب. فإذا تاب ونزع، صقل قلبه[2]. يعني يرفع عنه تلك النكت. فينجلي القلب بنوره. بمنزلة شمس خرجت عن كسوفها فتجلت.

فأقل الظلم ترك أصغر شيء من أمر الله. وأعظم الظلم الشرك. فذاك مبتدأه، وهذا منتهاه. فترك أدنى أمر الله هو ظلم، وبقدر ذلك أطبق على نور الإيمان، وأظلم الصدر منه بقدر ذلك، لأنه افتقد إشراق ذلك النور على قدر ما أطبق. فكلما إزداد ذنباً، ازداد افتقاداً للإشراق، وازداد ظلمة حتى يطبق عليه كله إذا انتهى إلى منتهاه. وهو رأس الذنوب، وهو أعلاها. والخلق فيما بين الحدين كل قد ألبس إيمانه. يعني من هذا الظلم. ومن ذلك مثل الشمس إذا انكسفت، فعلى قدر ما ينكسف منها يفتقد الخلق إشراقها من الأرض. فإذا انكسفت كلها، صار نهارهم كالليل.

فأعلم رسول الله ﷺ الخلق منتهاه في حديث ومبتدأه في حديث آخر.

وكذلك أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) من بعده. فقال أبو بكر (رضي الله عنه): استقاموا فلم يشركوا.

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٨٢.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث.

وقال عمر (رضي الله عنه): استقاموا فلم يروغوا روغان الثعالب.

فقصد أبو بكر لأدناه، وعمر لأعلاه.

وأما حديث رسول الله ﷺ:

روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مسير ساره، إذ عرض له إعرابي على بكر له، فدنا فسأل رسول الله ﷺ، فنهاه المهاجرون والأنصار، فقال رسول الله ﷺ: خلوا عنه. فقال: يا رسول، والذي بعثك بالحق لقد جئتك من بلادي وتلادي لأهتدي بهداك وآخذ من قولك، فما بلغتك حتى ما لي طعام إلا من خضر الأرض، فاعرض الإسلام عليّ، فعرض عليه فقبل. فازدحمنا عليه، فدخل خف بكره في بيت جرذان فتردى الإعرابي فانكسر عنقه، فقال رسول الله ﷺ: صدق، والذي بعثني بالحق لقد خرج من بلاده وتلاده وما له ليهتدي بهداي ويأخذ من قولي، فما بلغني حتى ما له طعام إلا من خضر الأرض، كما قال. أسمعتم بالذي عمل قليلاً وجزي كثيراً، هذا منهم. أسمعتم: ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾[1] فإن هذا منهم. والذي بعثني بالحق ما بلغ الأرض حتى ملئ شدقه من ثمر الجنة. اغسلوا أخاكم وكفنوه، وصلوا عليه. قالوا: يا رسول الله، أنشق أم نلحد ؟ فقال رسول الله ﷺ: اللحد لنا والشق لغيرنا.

عن سخبرة قال: قال رسول الله ﷺ: من أعطي فشكر، وابتلي فصبر، وظلم فغفر، وظلم فاستغفر...، ثم سكت فقيل: ما له يا رسول الله ؟ قال: ﴿ **أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾. فهذا أعلاه. وحديث علقمة عن عبد الله أدناه.

فوعد الله في تنزيله للمستقيم الأمان من الخوف والحزن، والبشرى

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٨٢.

بالجنة. ولمن لم يلبس إيمانه بظلم الأمن والاهتداء. فكل إنما ينال من ذلك الوعد بقدر ما فيه من الاستقامة وقلة اللبس. فالمؤمن لما آمن تقبل الله إيمانه ودخل في أمانه، فله الأمن في الدنيا والآخرة من كل آفة. فلما أذنب خرج من أمان الله بقدر ذلك الذنب، ونقص من الأمن بقدر ذلك، واستحق العقوبة بقدر ذلك، وهو أن يزول نعمة من نعمه عنه بقدر ذلك. وإن شاء تفضل وعفا. وإن عاقب، زالت عنه من النعم بقدر ذلك. وذلك قوله تعالى: ﴿ **ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾[1].

فالنعمة اسم جامع جملة لهذا الآدمي في بدنه ودينه ودنياه. فلو لم يذنب لم يأخذ منه شيئاً. وكان على هيئته. وإنما جاءت الأمراض والنوائب والأحوال المتغايرة لمكان الخطايا والذنوب، غيروا فغير الله ما بهم، وعفى عن كثير. وقال الله تعالى في تنزيله: ﴿ **ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾[2].

فالاعتبار في هذا الأمر بقصة أبينا آدم (عليه السلام) فإن الله تعالى خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وبوأه مع زوجته، وعهد إليه عهداً أن هذا الذي أبى أن يسجد لك هو عدو لك ولزوجك، فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى، وعرض الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، فنظر آدم إلى إباد هؤلاء، فأخذته الغيرة وهاج منه الحب لله، فاحتملها وتقلدها، فبقيت قلادة في عنقه، فقيل له: هذه الجنة مسكنك، فانظر أن لا يخرجك وزوجتك هذا العدو من هذا المسكن بأن يغرك حتى تحدث فيه حدثاً يكون خيانة للأمانة. وقيل له: إن لك فيها ــ أي في الجنة ــ أن لا تجوع فيها ولا تعرى، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى. وهذه الأربع قوام الآدمي ومعاشه. يعرفه أنك إن أحدثت أخرجت منها. فإذا أخرجت

(١) سورة الأنفال آية رقم ٥٣.

(٢) سورة الشورى آية رقم ٣٠.

شقيت. أي صرت بمعزل من النعيم، ولحقتك الشدة والتعب والنصب في هذه المعيشة، فتحتاج إلى أن تتكلف لجوعك طعاماً، ولعريك لباساً، ولظمأك ماء، ولضحاك ــ وهو حر الشمس ــ مسكناً وكناً. فلما أحدث أخرج منها وأُلقي عليه هذا الذي حذر من الشقاء، دون حواء. فقيل: تشقى. ولم يقل: تشقيان. ومن ههنا علمنا أن نفقة المرأة على الزوج. فبقي ولده في هذا الشقاء إلى انقضاء الدنيا. فكل من كان من ولده أحفظ لهذه الأمانة، كان أوفر حظاً من أمان الله في الدنيا والآخرة، لأنه إنما قبل الله منه إيمانه بقبوله للأمانة.

فأوفرهم حظاً من وفاء الإيمان وحفظ الأمانة، أوفرهم حظاً من قبوله. وإذا قبله، فهو في أمانة في الدنيا والآخرة. وذلك قوله تعالى: ﴿ **إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور** ﴾.[1]

وكان داود (عليه السلام) يقول في دعائه: « اللهم دافع عني من كل جانب ». وكان يسأل الدفاع.

وكان رسول الله ﷺ من شأنه أن يقول: أعوذ بك من كذا. وبذلك أمر في تنزيله. وهو قوله تعالى: ﴿ **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾[2]. وعليه أنزلت المعوذتان. فالدفاع سؤال من بعد في الفرقة، والتعوذ تعلق به في القربة من القربة.

---

(١) سورة الحج آية رقم ٣٨

(٢) سورة المؤمنون آية رقم ٩٧.

الأصل التاسع والثمانون والمائتان

في تمثيل الحرص والسرف بالذئبين

عن كعب بن مالك (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والسرف لدينه[1].

قال أبو عبدالله (رضي الله عنه): وضع الله الحرص في الآدمي، ثم ذمه في المؤمنين بزمام التوحيد واليقين، وقطع علائق الحرص بنور السبحات. فمن كان حظه من نور اليقين ونور السبحات أوفر، كان وثاق حرصه أوثق، والحرص محتاج إليه الآدمي، ولكن بقدر معلوم. فإذا لم يكن لحرصه وثاق، تعدى القدر الذي يحتاج إليه فأفسد. قال له قائل: وما حاجة الآدمي إليه ؟ قال: إن الحرص مدد القوة الموضوعة في الآدمي ومثيرها، وهي نار تتقد، وأصلها من نور الحياة. وبقدر ما تتلظى نار

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الزهد باب ٤٣، ٢٣٧٦ عن زكريا بن أبي زائدة، عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن ابن كعب بن مالك الأنصاري عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ويروى في هذا الكتاب عن ابن عمر عن النبي ﷺ ولا يصح إسناده، ورواه الدارمي في الرقاق ٢١ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ٤٥٦، ٤٦٠ (حلبي).

الحرص يظهر لهبها في الجوارح. فإذا استعمل تلك الجارحة استعملها باستفزاز وخفة. وإذا سكن الحرص، فترت القوة. فبالحرص يقوى على تعب الأركان في أعمال البر، وبالحرص يصابر على طاعة الله تعالى، وبالحرص يسمو إلى معالي الدرجات. ومن شأن الحرص الترقي في الدرجات، وطلب الازدياد من كل شيء يناله من الدنيا والآخرة. وكذلك قيل في الحديث: « ما أعطي العبد شيئاً من الدنيا إلا زيد مثليه في الحرص » . والحرص والصرح مشتق بعضه من بعض. فالصرح البناء العالي، المشرف الناتئ على البنيان. وهو قوله تعالى: ﴿ **يا هامان ٱبْنِ لي صرحاً لعلّي أبلغ الأسباب** ﴾[1]. فهذا في الظاهر صرح، وذاك في الباطن سمي حرصاً لأنه به يطلب الازدياد ويترقى في درجات المزيد علواً.

ثم إذا نظر إلى من دونه، اعتراه العجب، وضال به على الخلق واستطال، فرمى به من ذلك العلو، فلا يبقى له عضو إلا انكسر. فأعطي الآدمي الحرص ليتقوى به على الازدياد من أعمال البر، وأمر أن يكون حرصه مزموماً بزمام الخوف والخشية، مشحوناً بأثقال السكينة والوقار، ليكون معصوماً من الإعجاب وترك الأدب في الدين.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: لأبي بكرة حيث دخل المسجد والناس ركوع، فركع ومشى في ركوعه حتى وصل إلى الصف، فقال رسول الله ﷺ: زادك الله حرصاً ولا تعد .

وكان قد تقدم إليهم فقال: « إذا أتيتم الصلاة فأتوها بالسكينة والوقار، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأقضوا » .

وقال في حديث آخر: « التأني من الله، والعجلة من الشيطان »[2].

---

(١) سورة غافر آية رقم ٣٦.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة ٢٠١٢ ــ حدثنا عبد المهمين بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

عن الحسن (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: من استعجل أخطأ .

فالعجلة من الخفة. والخفة من هيجان الحرص، يزيل السكينة والوقار. فهذا صاحب الدين.

وأما صاحب الدنيا فحرصه يحمله على طلب الازدياد طالباً لعلو الدرجات. وقال الله تعالى: ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً** ﴾[1].

فزجر عن طلب العلو في درجات الدنيا، وحرم طالبه الدار الآخرة، وهي الجنة، لأن الدنيا مقدرة، مقسومة، لن ينال عبد منها إلا ما قدر له، وهي درجات بعضها فوق بعض، ليبلونا فيما آتانا. قال تعالى في تنزيله: ﴿ **وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم** ﴾[2]. وقال: ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها** ﴾. ثم قال: ﴿ **كل في كتاب مبين** ﴾[3].

وإنما ضمن بيان مقداره لتسكن النفوس إلى ما قدر، ويتفرغ القلب لما خلق له من العبودة. وإذا هاج الحرص، وقع في الكبائر، حتى يصير إلى عبادة الأوثان. فإنهم عبدوا الأوثان بأهواء النفوس، كلما زين الشيطان في قلوبهم شجراً أو حجراً، نصبوه وثناً، فعبدوه وحرصوا على ذلك وابتدروه. قال الله تعالى: ﴿ **كأنهم إلى نصب يوفضون** ﴾[4] والوفض السرعة في المشي.

---

(١) سورة القصص آية رقم ٨٣.

(٢) سورة الأنعام آية رقم ١٦٥.

(٣) سورة هود آية رقم ٦.

(٤) سورة المعارج آية رقم ٤٣.

ولم يزل شأن الله مع الأنبياء أن ينزع إرادتهم ومشيئآتهم ليقفوا على مراقبة مشيئته حتى استقاموا، فرضي الله عنهم بموافقتهم إياه وتخليتهم عن الجبرية. فإن الجبار واحد قهار. فليس للعبيد أن يتجبروا فيضاهئون الله. وإنما سمي الجبار جباراً لأنه مستبد بكبره، يجبر الخلق على مشيئته. فالجبار مضاد لله، مضاد لحكمه. قال الله تعالى : « يا داود تريد وأريد ويكون ما أريد. فإن أردت ما أريد كفيتك ما تريد. وإن أردت غير ما أريد، عنيتك فيما تريد ويكون ما أريد ».

ولم يزل يهذب نبينا ﷺ عن التحارص في الدين حتى يكون بمقدار. ومقداره أن يراقب أمر الله وما يبدو له من مشيئآته في كل أمر، فيطمئن إليه، حتى استقام، فأثنى عليه فقال: ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[1]. فسئلت عائشة (رضي الله عنها) عن خلقه فقالت: كان يرضى برضاه ويسخط بسخطه. أي برضاء الله وسخطه. كأنه لم يبق له مشيئته.

وبلغ من إستقامته أنه فيما روي حين كان يقبض، جاءه جبرائيل (عليه السلام)، فقال: إن ربك يخيرك بين لقائه وبين الخلد. فقال: لا أختار حتى يختار لي ربي.

فهذا غاية رفض المشيئة، لم يحمله الشوق إلى ربه على اختيار اللقاء. ولم يحمله الكون بين الأمة في خالص العبودة ولذة الطاعات وتربية الأمة اختيار الكون بين ظهرانيهم، فألقى الاختيار إلى ربه. فرفع جبرائيل (عليه السلام) إليه. وقد كان قال لملك الموت: لا تنزعن محمداً حتى آتيك. فرجع وملك الموت ينتظره. فقال: يا محمد إن الله اختار لك لقاءه. فقال: تقدم يا ملك الموت. فما زال يقول: « لقاء ربي، لقاء ربي... »، حتى خرجت نفسه. وكذلك فعل حيث خير بين أن يكون عبداً نبياً أو ملكاً

---

(١) سورة القلم آية رقم ٤.

نبياً، فلم يختره حتى أشار إليه جبرائيل (صلوات الله عليه) وقد صار جبرائيل كهيئة الحلس الملقى ميتاً من الفرق. فأشار إليه بيده أن تواضع. فقال رسول الله ﷺ: نبياً عبداً. فقيل له: إن لك بما تواضعت أنك أول من تنشق عنه الأرض، وأول خطيب، وأول شفيع، ولواء الحمد بيدك، ومفاتيح الكرم بيدك. وتوقف جبرائيل فلم يختر له حتى ينظر ما يتجلى له من ربه من ملكه. فلما تجلى له ما تجلى، صار كالميت من الفرق. فذاك ملك الجلال. واستدل بذلك جبرائيل (عليه السلام) في ذلك الوقت أنه اختار له التواضع، فجاء جبرائيل بما جاء وأشار له بالتواضع. ولو أراد أن يختار له أن يكون نبياً ملكاً لكان عسى أن يتجلى له ملك الجمال والبهجة، فكان ينبسط جبرائيل (عليه السلام) ويأنس بما يتجلى له، فيستدل به على ما يختار له ربه. فهذا شأن النبي (عليه السلام).

وإذا كان الحرص في الدين يضر، فكيف بمن حرص على دنيا دنية يطلب بها العلو على الخلق. فمن فعل ذلك في دينه، سمي جاهلاً كما قال له: ﴿ **فلا تكونن من الجاهلين** ﴾[1]. ويكون قد عميت بصيرته. قال الله تعالى: ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾[2] فعمي قلبه في ظلمات المعاصي جمعاً من غير حق، ومنعاً من حق، وإنفاقاً من غير حق.

قال الله تعالى: ﴿ **إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين** ﴾[3].

وقال (عليه السلام): حبك الشيء يعمي ويصم[4].

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٣٥.

(٢) سورة الحج آية رقم ٤٦.

(٣) سورة الأسراء آية رقم ٢٧.

(٤) قال في المقاصد: رواه أبو داود والعسكري عن أبي الدرداء مرفوعاً وموقوفاً والوقف أشبه، وفي سنده ابن أبي مريم ضعيف، ورواه أحمد عن ابن أبي مريم فوقفه، والرفع أكثر ولم يصب الصنعاني حيث حكم عليه بالوضع، وكذا قال العراقي ان أبي مريم لم يتهمه أحد =

إنما حرص على جمعه لحبه إياه فأعماه وأصمه عن أمر الله فيه، وعن حقوقه فيه، وعن حدوده فيه، وألهاه تكاثره به عن ذكر الموت، حتى زار المقابر أصم أعمى، قد لحقته حقوق المال كالزنابير تلسعه، وكالعقارب تلدغه، وكالحيات تنهشه. قال الله تعالى: ﴿ **ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** ﴾[1].

وروي عن رسول الله ﷺ أن الذي جمع من غير حله ومنع الحقوق منه، تمثل له مالُهُ حية يطوق بها عنقه فتقض قضاً بأسنانها شؤن رأسه، بأكل دماغه، ثم يعود كما كان، ثم يفعل به مثل ذلك. فما زال هذا حاله في الموقف حتى يقضي الله بين العباد، ثم مصيره إلى ما شاء الله من النار أو غيرها.

فالحرص في الدين يطمس العلم، ويكون صاحبه جاهلاً، إن خرج الحرص من الوثاق. فإذا كان في وثاق، انتفع به صاحبه لأن الله تعالى وضعه في الآدمي ليكون عوناً له وقوة على ما يحتاج إليه في الدين والدنيا. وإذا كان الحرص مفقوداً، أداه إلى العجز والكسل في أمر الله تعالى وفي عبودته. فالحرص على الدنيا إذا كان في وثاق يقفه على القناعة بما قسم الله له من دنياه. فكلما أتاه شيء منها من حله من غير طمع ولا إشراف نفس، قبله من ربه، وحمده عليه، وقنع به. والحرص في دينه إذا كان في وثاق يقفه على حدود مراقبة المشيئة وتدبير الله.

= بكذب، إنما سرق له حلي فأنكر عقله. وقال الحافظ ابن حجر تبعاً للعراقي ويكفينا سكوت أبي داود عليه فليس بموضوع ولا شديد الضعف، فهو حسن انتهى، وقال القاري بعد أن ذكر ما تقدم فالحديث إما صحيح لذاته، أو لغيره مرتق عن درجة الحسن لذاته الى صحة معناه، وإن لم يثبت مبناه انتهى. ومثل هذا الحديث ما ذكره في الجامع الصغير عن ابن عباس حب الثناء من الناس يعمي ويصم، وسنده ضعيف كما في المناوي انتهى.

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٨٠.

وروي لنا عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ بعث إليه بهدية كأنه امتنع من قبولها، فقال له: يا عمر ما آتاك الله من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف نفس فخذه، فإنما هو رزق ساقه الله إليك.[1].

فمن أدبه الله وهذبه، كان حرصه على ما وصفنا.

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٤ : ٢٢١ ثنا عبدالله بن يزيد ثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني أبو الأسود عن بكير بن عبدالله عن بسر بن سعيد عن خالد بن عدي الجهني قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره.

الأصل التسعون والمائتان

في أن مراتب الشهداء سبع أو ثمان

عن جابر بن عتيك، أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبدالله بن ثابت، فوجده قد غلب عليه، فصاح به، فلم يجبه، فاسترجع رسول الله ﷺ وقال: غلبنا عليك يا أبا الربيع. فصاح النسوة وبكين، فجعل ابن عتيك يسكتهن. فقال رسول الله ﷺ: دعهن. فإذا وجب فلا تبكين باكية.

قالوا: وما الوجوب يا رسول الله ؟

قال: إذا مات.

قالت ابنته: والله إني كنت لأرجو أن تكون شهيداً، فإنك قد كنت قضيت جهادك.

فقال رسول الله ﷺ: إن الله قد أوقع أجره على قدر نيته. ثم قال: ما تعدون الشهادة فيكم ؟

قالوا: القتل في سبيل الله.

قال رسول الله ﷺ: الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله. المطعون شهيد. والغريق شهيد. وصاحب ذات الجنب شهيد. والمبطون شهيد.

وصاحب الحريق شهيد. والذي يموت تحت الهدم شهيد. والمرأة تموت بجمع شهيد[1].

قال أبو عبدالله: فالشهادة لها مرتبة عظيمة عند الله، والصدق أعظم مرتبة. وقد ذكر الله في تنزيله الصنفين، فقدم الصدق على الشهادة، فقال: ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** ﴾[2].

فبدأ بالأول. فالأول ذكر النبوة. ثم الصدق. ثم الشهادة. ثم الصلاح. فالصديق صدق الله في بذل نفسه له في جميع عمره. والشهيد صدق الله في بذل نفسه له في وقت الوفاة. وإنما نال الكرامة كل هؤلاء الأصناف ببذل النفس. ومن بذل نفسه لله تعالى، فقد آثر الله على نفسه، وذلك أن الله تعالى وضع للعبد في هذا القالب ــ أعني الجسد ــ روحاً به حيى، وبالنفس التي في جوفه، وهي الأمارة بالسوء المحبة للحياة في الدنيا، فعظم الآدمي هذه الحياة ههنا ليلتذ بالأشياء بقوتها. وعظم الله الحياة في الدار الآخرة. وقال تعالى في تنزيله: ﴿ **وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون** ﴾[3].

فالحيوان في الجنة، والحياة في الدنيا. وكل شيء على قالب فعلان فهو أكثر من قالب فعيل وفاعل، كقوله: الرحمن والرحيم، والعريان والعاري،

---

(١) الحديث رواه في كتاب الجنائز ١٢ باب النهي عن البكاء على الميت ٣٦ عن عبدالله بن عبدالله بن جابر بن عتيك عن عتيك بن الحارث وهو جد عبدالله بن عبدالله بن جابر أبو أمه أنه أخبره أن جابر بن عتيك أخبره أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبدالله بن ثابت فوجده قد غلب عليه فصاح به فلم يجبه فاسترجع رسول الله ﷺ: وذكره وأخرجه أبو داود في ٢٠ كتاب الجنائز ١٠ باب فضل من مات في الطاعون، والنسائي في ٢١ كتاب الجنائز ١٤ باب النهي عن البكاء على الميت.

(٢) سورة النساء آية رقم ٦٩.

(٣) سورة العنكبوت آية رقم ٦٤.

وحسان وحسن، وندمان ونديم. فالعريان هو المتجرد عن الثوب، والعاري الذي أخلق ثيابه وبلي. قال النابغة:

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي على خوف يظن بي الظنون

فالحياة العظمى هي حياة الحي الذي لا يموت. فمن حيى قلبه بالله سعد. وللحياة بين العباد درجات. فالكافر ميت القلب، حي الجسد بحياة الروح فيه، وحياة النفس الأمارة بالسوء. والمؤمن حي القلب حي الجسد، فحياة قلبه بالله، وحياة جسده بالروح والنفس، فنال بتلك الحياة التوحيد، ثم لم يزل يعمل الطاعات، يتقرب بها إلى ربه، فكلما ازداد قرباً، زاده الله حياة قلب به، وكلما ازداد من الله قربه، ازداد حياة، حتى ينال درجة الشهادة، فيبذل نفسه لله، ويؤثر الله على نفسه عند كل أمر؛ لأن المؤمن ممتحن بالشهوات. فإذا عارضته شهوة، آثر الله على تلك الشهوة، فرفضها ولم يذق نفسه طعمها، عادى نفسه في ذات الله. فهذا عبد قد أراد الله ورفض نفسه، فحق على الله أن يريده ويؤثره. وإن للشهوة حلاوة ولذة، ولوجود الله بالقلب لذة وحلاوة. ووجوده أن يتراءى لفؤاده نور من أنوار فيهيج من قلبه حبه له وشوقه إلى لقائه. فكلما كان ذلك النور أعلى كان هيجان القلب وفوران الشوق، وسلطان الحب أقوى وأشد. فمن عارضته شهوة من شهوات الدنيا فأعطى نفسه حلاوتها ولذتها، فقد آثر نفسه على الله تعالى، فهو محجوب عن الله بقدر ما آثر، لأن قلبه قد صار والهاً عن الله بتلك الشهوة. فبقدر ما صار محجوباً وصار ولهه إلى الشهوة، نقص ولهه الذي يوله إلى الله، وبقدر ذلك نقص من نور كلمة « لا إله إلا الله »، فإن نور كلمة « لا إله إلا الله » أثقل في الميزان من سبع سموات وسبع أرضين وجميع ما فيهما من الخلق.

وكذلك روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: قال موسى (عليه السلام): يا رب دلني على عمل أعمله.
قال: يا موسى، قل: « لا إله إلا الله ».

قال: يا رب دلني على عمل أعمله.
قال: يا موسى، قل: « لا إله إلا الله ».
قال: يا رب دلني على عمل.
قال: فأراد نبي الله أن يعمل عملاً ينهك منه بدنه.
فقال: يا موسى، إن السموات والأرضين ومن فيهما من الخلق لو وضعت في كفة، ووضعت « لا إله إلا الله » في كفة، لرجحت بهن[1].

عن محمد بن علي.(رضي الله عنه) أن النبي ﷺ أمسى في الأنصار بقباء عشية خميس وأمسى صائماً، فأتاه أوس بن خولة الأنصاري لما أمسى بقدح، فذاقه فقال له رسول الله ﷺ: ما شرابك ؟ فقال: ماء وعسل، أو لبن وعسل. قال: فوضعه، وقال: أما إني لا أحرمه، ولكن أتركه تواضعاً لله تعالى، فإنه من تواضع لله، رفعه الله. ومن اقتصد، أغناه الله. ومن بذر أفقره الله.

فهذا يحقق لك ما قلنا بدءاً أن من آثر الله على شهوة، فقد بذل نفسه لله. ومن آثر الشهوة لقي ما لقي الخضر (عليه السلام) حيث عوتب على فعله. وإنما يعاتب الأحباب والخواص من العباد، والأباعد لا يعاتبون ولا يبتغي منهم ذلك.

روي عن وهب بن منبه (رضي الله عنه) قال: بينما الخضر (عليه السلام) قاعد على شط البحر إذا أتاه سائل، فوقف عليه، فقال له: أيها القاعد أسألك بوجه الله أن تعطف عليّ بخير. فغشي على الخضر (عليه

---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه الامام أحمد في المسند ٢: ١٦٩ ــ ١٧٠ ــ ثنا حماد ابن زيد عن الصقب بن زهير عن زيد بن اسلم قال حماد أظنه عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمر قال: كنا عند رسول الله ــ ﷺ ــ فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيحان مزرورة بالديباج فقال: ألا ان صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس قال يريد ان يضع كل فارس ابن فارس ويرفع كل راع ابن راع قال فأخذ رسول الله ــ ﷺ بمجامع جبته وقال: وذكره.

السلام) ساعة من مقالة السائل: « بوجه الله ». فأفاق ثم قال: أيها السائل: سألتني بوجه الله، لا أدري ما أكافئك به وليس من الأشياء أكرم عليّ شيء من نفسي فقد بذلتك نفسي بعزة وجه الله، فدونك فبعها وانتفع بثمنها.

فذهب به السائل فعرضه على البيع، فباعه من رجل غني، يقال له ساحم بن أرقم، فذهب به إلى منزله وله بستان صغير في داره، بجنبها جبل كبير، فدفع المسحاة إليه، وأمره أن ينحت شيئاً من ذلك الجبل الذي في البستان قدر ما يغرس فيه شيئاً، وغاب ساحم إلى حاجته، وأقبل الخضر على النحت من ذلك الجبل، فأبطأ مولاه في حاجته، فجاء إلى بيته ممسياً، فقال لمن في البيت: أطعمتم هذا الغلام ؟ قالوا: أيما غلام ؟ قال: الذي اشتريته اليوم وجعلته في البستان. قالوا: لا علم لنا به. فاسترجع وأخذ الطعام ودخل عليه فإذا هو فرغ من ذلك الجبل وهذه. وذلك الجبل فرسخ في فرسخ، قد سوى في ذلك البستان وأصلحه وفرغ منه، وقام إلى الصلاة. فنظر ساحم إلى أمر عظيم وفرغ من ذلك، فتعجب وكاد يغشى عليه، فدنا منه فقال له: من أنت ؟ قال: أنا عبدك. قال: نعم، فما قصتك ؟ وما جنسك ؟ وممن أنت ؟ قال: أما القصة فعبد بيع، وآخر اشترى. وأما الجنس فمن آدم (عليه السلام) وآدم من تراب. قال: فمن أين لك هذه القوة التي أرى ؟ قال: من الله. قال: فأسألك بوجه الله لما صدقتني من أنت. فغشي على الخضر وسقط ساعة مغشياً عليه.

فلما أفاق، قال: أنا الخضر المذنب. فغشي على ساحم ساعة. علم أنه الخضر فأفاق، ثم غشي عليه، ثم أفاق وهو يقول: سبحان خالق النور، أعتقت عبدك ووليك وحبيبك وصفيك خضر لوجهك، وأسألك التوبة مما كان من استعمالي إياه، فسجد الخضر سجدة وهو يقول: يا رب بوجهك بذلت نفسي، وبوجهك أقررت بالرق، وبوجهك بعت رقبتي، وبوجهك رددت إلى نفسي، فمن الذي رجاك فخيبته ؟ ومن الذي خافك فلم

تؤمنه ؟ ومن الذي دعاك فلم تجبه ؟ يا رب أدعوك دعوة الخاطئين، يا رب أعتقني ساحم فمن يعتقني من دنوبي الموبقة ؟ خلصني ساحم من عبودته، فمن يخلصني من سيئآتي وذنوبي عند ذي العرش ؟ فقال له ساحم: أقسمت عليك بعزة الله أن تخبرني بالسبب. كيف صرت عبداً ؟ وما الذي صير إلى أن بعت نفسك ؟ قال: الوجه الذي أعتقني له، ثم قص عليه القصة.

قال: وقد عظمت علينا منتك يا ساحم، فإن رأيت أن أقيم فأؤدي بعض ما يجب من حقك، أقمت. وإن أذنت لي بالرجوع بعد إذ أعتقتني، فأنت المأجور فيه. فقال ساحم: فقد أذنت لك يا ولي الله، ارجع بسلام وأذكرني في دعائك. فقال: اللهم اغفر لساحم وأرحمه رحمة لا عذاب بعدها. قال: فنودي قد أجبت يا خضر.

قال: ومضى خضر حتى أتى البحر فإذا هو برجل قائم على وجه الماء، شاخص ببصره إلى السماء، وهو يقول: يا من أمسك السموات بأمره، فلا يسقط بعضها على بعض، يا من دحا الأرض وما فيها، فأحصى عدد ما فيها من مثاقيل رملها وحصبائها، يا من عاقب الخضر بذنبه وابتلاه بالعبودة بذنبه، خلصه واجعل توبته مقبولة بوجهك أكرم الوجوه. فدنا منه الخضر، فقال : السلام عليك يا عبد الله، مَن أنت الذي تسأل التوبة للخضر ؟ قال: أنا الذي آمنت بجلال ربي، فاشتغلت بأداء شكر إيماني، وإن الخضر لم يزل معصوماً حتى رغب في الدنيا وأدخل في قلبه حبها فابتلي، فقد رحمته وأخلصت له دعائي. فقال له: أنا الخضر. فقال: إليك إليك أيها المذنب، لا تخالطني أيها الميال إلى الميالة والذيال إلى الذيالة والمغرور إلى المغرورة، أنسيت نعيم الآخرة، فجرك النسيان إلى طلب نعيم الدنيا، أو قد نسيت شدة الآخرة وبؤسها، فطلبت راحة الدنيا وسرورها، أليس الله أبلاك بما ابتلاك عقوبة منه عليك، فلو قد نجوت مما قد رأيت لربحت، يا خضر الخاطئ تبوأت لنفسك مكاناً كأنك تخلد فيها

وقد غرست لراحتك ظلاً كأنك باق فيها، أو ما علمت أن أمكنتها مبدلة، وأن أغراسها منقلعة، وأن عمرانها مخربة، وأن نعيمها زائلة بمن فيها، يا خضر الخاطئ أين كان قلبك ساعة غرستها حتى فرغت قلبك لغرسها، أين كانت فكرتك عن الآخرة، أليس قد خلا قلبك عن ذكر الآخرة بذكر الدنيا ساعة، وإن الساعة في ذكر الآخرة لبلاغاً للعاقلين، يا خضر قد ابتليت بالدعاء لك من عبودة الرحمن

قال: وذلك أن الخضر كان له موضع معلوم على بعض شواطئ البحر. فإذا خرج الخضر إلى البر، عبد الله تعالى فيه.

قال: فغرس في ذلك الموضع شجرة يعبد الله تعالى في ظل أغصانها. إذا اشتهى العبادة فيها، استتر بها في عبادته. فعلم الله منه حب الدنيا بقدر ما اشتهى من تنزهه بها وإن كان ذلك في طاعته، عاقبه الله تعالى بذلك السائل حتى صارت عبادته في عبودة عبد من عباد الله، ولم يدر الخضر أنه ابتلي بذنب، حتى سمع ما سمع من العابد القائم على ظهر الماء. وكان اسمه سادون بن اشى. فلما سمع الخضر بذلك خر ساجداً وهو يقول: يا رب ما طلبت بذلك إلا وجهك ورضاك، فنودي: يا خضر، آثرت الدنيا على الآخرة، وفرغت قلبك لحبها دون حب الآخرة، وعزتي ما لي في حبها رضاء، ولا أُكرم من أحبها، ولو كان لي في حبها رضاء، لخصصت بها أوليائي، ولكن أزويها عنهم لهوانها عليّ وكرامتهم لدي، أذهب فلا مرغب لي فيمن رغب في الدنيا وأمكنها من قلبه، فلولا ما أدركك من دعاء سادون، لأنزلت عليك بوائقي، ولتتابعت عليك عقوباتي.

قال: وذلك أن سادون طلبه في مكانه الذي كان يسكن فيه أن يراه، فلم يره في مقعده، ولم يجده. فدعا الله أن يدله على الخضر، ويعلمه مكانه، وكان يعرف الخضر والخضر لا يعرفه.

قال: فأُري أن الخضر أحب الدنيا وزهرتها، وعوقب بعقوبة كذا

وكذا، فوقف بين يدي الله قائماً على الماء، شاخصاً ببصره إلى السماء، وهو يقول: يا رب إن أنت أهنت عبدك الخضر بعد كرامته، فمن يكرمه يا رب ؟ ارتكب عظيماً وحمل ثقيلاً، وخان نفسه، ونسي العهد، يا من لا ينسى كل ما كان ويكون من أمر عباده، أذكر عند ذنوب الخضر ما مننت به عليه من أنواع طاعتك وعظيم عبادته إياك، يا من ناصية الخضر بيده، يا من ليس له حراك نفس ولا عصمتها، ولا طرفة عين إلا بأمرك ومشيئتك وقدرتك، يا رب فاغفر له ما قدرت عليه من معصيتك، وقدر عليه طاعتك فإنها تذهب معصيتك يا رب. فاستجاب الله له، وخلص الخضر مما كان ابتلي به من العقوبة.

قال: فرفع الخضر رأسه وأتى من ساعته سادون، وهو يقول: يا سادون الممنون عليّ بمنة الله وجلاله أين عرفتني ولم أعرفك يا أخي ؟. فقال له سادون: يا خضر إن قلوب أولياء الله زاهرة نائرة، لها شعاع كشعاع الشمس، تطلع على قلوب أولياء الله، ألا ترى إلى الشمس ما أعظم قدرها، وأكثر ضوءها، فلو غشيتها الظلمة القليلة، لأذهبت بأكثر ضوئها، وكذلك قلب ولي الله صاف طاهر، فلو غشيه حب الدنيا بقدر ذرة لأكدر ضوءها، ولأضعف شعاعها. فإذا خلص القلب من حب الدنيا تراه ينظر إلى أولياء الله في مظانهم، وقد عرفك قلبي، فوالله لو كان قلبك للدنيا مثل قلبي، لعرفني قلبك كما عرفك قلبي. فقال له الخضر: يا سادون، وكيف قلبك للدنيا ؟

قال: بلغ من بغض الدنيا ما لو أن الله تعالى عرض عليّ الدنيا والجنة لأبيت قبولهما، ولست أريد الجنة مع ما أبغضها الله، وذلك أني أؤثر رضاء الله على رضائي، فإن رضاء الله ترك الدنيا، ورضائي دخول الجنة، ولو أن الله خيرَني بين أن أبقى في الدنيا ونعيمها خالداً مخلداً أبداً لا أموت فيها وبين أن يقبضني ويدخلني النار الساعة، لاخترت أن يقبضني ويدخلني النار الساعة، وذلك أني أؤثر سخطي على سخط الله تعالى، وأن

حب الدنيا سخط الله، ودخول النار سخطي، أفتجد ذلك في قلبك يا خضر ؟ قال: لا.

قال: لو كان ذلك في قلبك، لكان يراني قلبك، اذهب فليكن أكثر عبادتك بعض ما أبغض الله وهي الدنيا. ليس حب الدنيا بجمع أموالها وشهواتها وزهرتها، ولكن حب الدنيا أن يشغل قلبك عن حب الآخرة ولو طرفة عين، أبغضها بغضاً لا يكونن شيء أبغض إليك منها، فإنك لا تطيق أن تحب الآخرة إلا على قدر ما تبغض الدنيا. فقال: يا سادون، ادع الله تعالى أن يتوب عليّ بما ارتكبت فإني استحيي من ربي أن أدعوه، فقد حاربته مع عدوه. فقال سادون: يا رب، قدرت على عبدك الذنب، فارتكب من الذنب ما ارتكب، وما كان أهلاً لذلك وهو عدل منك. يا رب، ثم قدرت له الخلاص من عقوبتك يا رب، وألهمته طلب التوبة من ذنوبه. يا رب، فتب عليه فقد عرف ذنبه توبة مصر غير عائد. يا رب، إن الخضر سألني أن أدعوك، فقد دعوتك مدلاً عليك بما وعدتني من حسن إجابتك في أوليائك.

فنودي: مر الخضر أن يزهد في الدنيا، فإذا زهد في الدنيا، اشتاق إليّ، ومن اشتاق إليّ اشتقت إليه، ولا أشتاق إلى من لا أريد مغفرته ولم أرض عنه. فأخبره سادون، فزهد بعد ذلك الخضر زهداً لم يزهد أحد مثله. وكان سادون رجلاً ملاحاً. فكان ذات ليلة نائماً على شط البحر إذ خرجت سمكتان فوقعتا حذاءه، فسكت عنهما سادون رجاء أن يخرجا إلى البر، فيأخذهما. فنادته إحداهما: يا سادون، أبلغ حبك الدنيا أن تطمع في برها وبحرها، والله إنك طمعت أن تصطاد من هو أعبد إلى الله منك. فنادتها صاحبتها: يا هذه، أتمنين على سادون بعبادتك، ولم تؤد شكر نعمة أنعمها الله عليك. فقلت: من أنتما ؟ فقالت الأخيرة: أما التي نادتك بالكلام الأول منت على الله فمسخها الله الآن، فها هي ذي ممسوخة خرساء، وأما أنا فمن جنس السمك الذي كان يونس بن متى (عليه

السلام) في بطنها. فقال سادون: كيف خصها الله بيونس (عليه السلام) من بين دواب البحر ؟ قالت: كانت تعبد الله في البحر بزهدها. قال: فكيف كان زهدها ؟ قالت: كانت لا تبرح، فإن أوتيت صيداً عفواً أكلته، وإلا صبرت، فكانت دواب البحر تسميها السمكة الزاهدة، فأكرمها الله بنبيه ورسوله (عليه السلام) إكراماً لها بزهدها، فزهد سادون في مكانه زهداً، وأخلص لله عبادته، فقام من ساعته، فمر على الماء، فلما توسط البحر، وقف فلم يزل إلى أن صار إلى الخضر يعبد الله ويدعوه.

قال أبو عبدالله: فنور هذه الكلمة بلغ هذا المبلغ. فإنما بلغ بصدق القائل. ولو كان غير الصدق، لكان المنافق قد قاله. واليهود والنصارى قد قالوها. فأصدقهم في المقال أعظمهم نوراً. والصدق في المقال إنما يظهر من العبد ببذل النفس لله وإيثاره ربه على نفسه في كل مشيئة وإرادة وشهوة. فإذا آثر الله، فقد صدق الله في إرادته ربه، ورفض نفسه. فالنبي بفضل نبوته أراد الله إرادة بزيادة الحياة التي في قلبه. والصديق هو دون النبي. والشهيد دونهما. وهو أقل حياة من الصديق. والصديق أقل حياة من النبي. والصالح أقل حياة من الشهيد. ومن حيي بالله، نال نور اليقين. فهؤلاء الأصناف على درجاتهم على ما وصفنا في الحياة بالله واليقين به. فأوفرهم حظاً من الحياة واليقين أشدهم شوقاً إليه وإرادة له، وإيثاراً له على شهوات نفسه. فالنبي رأس الشهداء، ثم الصديق من بعده، ثم القتيل في سبيل الله، ثم من بعد ذلك من هذه الأصناف التي ذكرها في الحديث، وأصناف آخرون مذكورون في غير هذا الحديث. وإنما قال في هذا الحديث: الشهادة سبع. ولم يقل: ولا يكون شهيداً من وراء السبع. إنما ذكر السبع في ذلك الموطن، ثم ذكر بعد ذلك أن الغريب إذ مات. فهو شهيد. ومن مات مرابطاً فهو شهيد، ومن خرج في طلب العلم فمات، فهو شهيد. ومن دام على الطهارة متوضئاً فهو شهيد. ومن مات في يوم الجمعة، فهو شهيد.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: موت الغربة شهادة[1].

عن عبدالله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقاه الله فتنة القبر .

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) عن رسول الله ﷺ بمثله، وزاد فيه: وغذي وريح عليه من الجنة. أي يرزقه تعالى.

فأما تفسير الشهادة فإنه روي في الخبر أن الله تبارك وتعالى اسمه لما خلق الموت، فزعت الملائكة منه، وعظم شأنه عندهم فقالوا: من يقوم لهذا ؟ فقال تعالى فيما روي عنه: إن لي عباداً يتمنونه حباً للقائي، يتجرعون مرارته، ويهون ذلك عليهم اشتياقاً إليّ. ويرفضون الحياة الدنيا طالبين لي. فعجبت الملائكة من شأن هؤلاء العبيد وحنت إلى رؤيتهم. قال: فعرضت تلك الأرواح عليهم يومئذ. فمن شهد ذلك العرض يومئذ أثبت اسمه وسمي شهيداً ــ أي شهداء العرض ــ وكان من أهل هذه الصفة. فإذا خرج الروح منه، صار إلى ذلك المعرض، وكان من الأحياء المرزوقين. فلما صارت تلك الأرواح إلى الأجساد في الدنيا، كانت

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الجنائز ٦١ باب ما جاء فيمن مات غريباً ١٦١٣ ثنا أبو المنذر الهذيل بن الحكم ثنا عبد العزيز بن أبي رواد عن عكرمة عن ابن عباس ــ قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

قال السندي :قال السيوطي أورد ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات من وجه آخر عن عبد العزيز ولم يصب في ذلك. وقد سقت له طرقاً كثيرة في اللآلئ المصنوعة، قال الحافظ بن حجر في الترجيح، إسناد ابن ماجة ضعيف لأن الهذيل منكر الحديث. ذكر الدارقطني في العلل الخلاف فيه على الهذيل وصح قول من قال: عن الهذيل عن عبد العزيز عن نافع عن ابن عمر. وفي الزوائد : هذا إسناد فيه الهذيل بن الحكم، قال فيه البخاري: منكر الحديث. وقال ابن عدي: لا يقيم الحديث، وقال ابن حبان: منكر الحديث جداً وقال ابن معين: هذا الحديث منكر ليس بشيء، وقد كتبت عن الهذيل ولم يكن به بأس.

قلوبهم حية بالله، على الصفة التي وصفنا بدءاً. فمنهم الصديقون أولياء الله يتمنون الموت لحب الله. قال الله تعالى في تنزيله حين ادعت اليهود ولايته فقال: ﴿ **قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين** ﴾[1]. ثم قال: ﴿ **ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم** ﴾[2].

ثم هؤلاء الأصناف الذين ذكرهم في الحديث هم في الغيب في ذلك العرض قد اثبتت أسماؤهم في الشهداء لذلك المحل والعرض، فوفق الله لهم هذه الأحوال. فمن غرق فأخذ الماء بنفسه، كانت موتته موتة وحية. أي سريعة بلا لبث. فبذل نفسه لما أيس من الحياة واختار لقاء الله. وكذلك صاحب الحريق، وصاحب الهدم والنفساء بجمع إذا نشب الولد في البطن أيست من الحياة وآثرت لقاء الله، وكذلك المطعون.

وسئل رسول الله ﷺ عن الطاعون، فقال: وخز أعدائكم من الجن، فذاك قتيل الجن يائس صاحبه من الحياة، فكذلك المبطون، وصاحب ذات الجنب ــ وهو صاحب السل ــ قد أيسا من الحياة لأن قوة الحياة قد ذهبت من المبطون والمسلول، وقد أحست نفوسهما بالموت. وكذلك الغريب إذا أشرف على الموت فلم ير أهله وولده، ولا أحبابه، تمنى الموت وبذل نفسه، لأن هؤلاء إذا كانوا بالحضرة، اشتد على النفس فراقهم، فأحبوا الحياة، ففي هذا نقصان. ولذلك تعوذ رسول الله ﷺ فقال: أعوذ بك من حب العيش عند حضرة الموت[3]. فإذا أحب أن يعيش في ذلك الوقت الذي دعاه الله إليه فتلكأ وتردد، فذاك عيب ونقص. فأصحاب الفرش في هذا العيب لا يتمنون الموت إذا حضر، لحب العيش

---

(١) سورة الجمعة آية رقم ٦.

(٢) سورة الجمعة آية رقم ٧

(٣) لعل هذا الحديث من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر حيث لم يذكر في كتب الصحاح ولا السنة

وفتنة قلوبهم بالأهل والولد وحطام الدنيا، فذاك نقص وعيب.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: الشهداء أمناء الله، قتلوا أو ماتوا على فرشهم .

عن راشد بن سعد (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: ليس كل قتيل شهيداً. رب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته[1].

فمات رسول الله ﷺ وهو رأس الشهداء، ثم من بعده أبو بكر (رضي الله عنه). كذلك فإنهم صاروا شهداء بأنهم أمناء الله، جعل الله أرواحهم وأجسادهم عارية، فيقبضهم عند نفاد آجالهم. فكانوا في أيام الحياة يعدونها عارية، وكانت أعينهم مادة إلى الدعوة، متى يدعون فيستجيبون بلا تلكؤ ولا تردد. فمن أحب العيش في الدنيا، ولم يكن له حب لقاء الله، فحضره الموت، تلكأ وتردد في بذل الروح، فخرج من أن يكون من أمناء الله تعالى. وكذلك وضع فيما بين العباد، لو أن رجلاً أعطي شيئاً عارية أو أودع وديعة ثم استردها صاحبها فتلكأ هذا في ردها على مالكها، فقد خان وضيع الأمانة. فإنما يؤخذ منه بعد ذلك قهراً.

فأمناء الله هم الذين أرواحهم عندهم عارية بأمانة الله. فهم يتمنون الموت حباً للقاء الله تعالى. فإذا جاءهم الموت تجرعوا مرارته حباً للقائه، ولم يتلكأوا في رد العواري. فلذلك صاروا أمناء الله. وقال رسول الله ﷺ: هم الشهداء. لأنهم كانوا يومئذ شهدوا ذلك العرض. واليوم حين خرجت منهم الأرواح صارت إلى المحل فشهدوا القربة. فهم شهود عند الله في القربة أحياء.

---

(١) الحديث أخرجه الامام احمد في المسند عن ابراهيم بن عبيد بن رفاعة بلفظ (إن اكثر شهداء أمتي لأصحاب القرش رب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته).
قال صاحب مجمع الزوائد: رواه أحمد هكذا ولم اره ذكر ابن مسعود وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف والظاهر انه مرسل ورجاله ثقات.

فهذا يحقق ما قلنا بدءاً، فقد صير في حديثه القتيل والذين ماتوا على فرشهم بمنزلة، وسماهم شهداء. يعلمك أن الشهادة ليست على القتل حدثت. إنما اسم الشهادة لزمهم لما وصفنا، والكرامة نالوها من أجل أنهم رفضوا الحياة، وآثروا لقاء الله، وأرادوه فأرادهم. وكذلك الذي لا يزال على وضوء أيام الدنيا؛ لأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء طهوراً** ﴾[1] أي فعولاً للطهر ﴿ **لنحيي به بلدة ميتاً** ﴾[2].

فالأرض تحيا بذلك الماء وتنبت. والآدمي خلق من الأرض. فإذا أذنب مات قلبه عن الله على قدر ذنبه. فإذا توضأ، كان ذلك الماء الذي أنزله طهوراً يطهر جوارحه، ويزيل عنه المعاصي، فيعود القلب إلى الحياة التي كانت. فإذا دام وضوؤه، وتتابع، كانت حياة قلبه دائمة. فإذا دامت حياة قلبه، تمنى الموت. ولذلك:

قال رسول الله ﷺ في حديثه لأنس: إن حفظت وصيتي فلا يكون شيء أحب إليك من الموت.

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ ذكر عنده الشهداء، فقال: إن أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش. ورب قتيل بين صفين الله أعلم بنيته.[3]

عن إبن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: ليس من أحد إلا وله كرائم من ماله، يأبى بهم الذبح. فإن لله تعالى خلقاً من خلقه يأبى بهم الذبح. أقوام يجعل موتهم على فرشهم، ويقسم لهم أجور الشهداء .

---

(١) سورة الفرقان آية رقم ٤٨.

(٢) سورة الفرقان آية رقم ٤٩.

(٣) سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا

عن عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: لله أضنن بدم عبده المؤمن من أحدكم بكريمة ماله، حتى يقبضه على فرشه[1].

فهذه صفة عبد مؤمن، قد اطمأنت نفسه إلى ربه. ولها عن الدنيا وأحوال النفس، وأناب قلبه إلى ربه، وجاد بنفسه على ربه، يقبل أحكامه وأقضيته على نفسه قبول مهتش مشتاق إلى لقاء محب له بكل قلبه. فكما جاد بنفسه على ربه، ضن به ربه عن أحوال البلاء، ولم يدفعه إلى تلك الأحوال. فلذلك يأبى به عن القتل في سبيله، حتى يقبضه على فرشه، فيقسم له أجر الشهداء. لأن الشهيد إنما بذل نفسه ساعة من نهار حتى قتل. فهذا بذل نفسه في جميع عمره، فالله يضن بدمه كما يضن أحدنا بنجيبته، فإن النجيبة من كرائم ماله، فلا تسخو نفسه أن يذبحها. فكذلك ربنا يضن به عن البلاء، أن يعرض نفسه للبلاء. ولذلك قال رسول الله ﷺ في حديث، عن حوشب قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله ضنائن.

وفي رواية: إن لله عباداً يصونهم عن الأمراض والأسقام، يحييهم في عافية، ويميتهم في عافية، فيدخلهم الجنة في عافية. قال له قائل: فأين قول رسول الله ﷺ: أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون ؟ قال: هذا إذا ابتلاهم. فمن ابتلي من الأنبياء، فهو أشد الناس بلاء.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ حيث دخلوا عليه وبه حمى، قال أبو سعيد (رضي الله عنه): فما كادت يدي تقار من شدة الحر حين وضعت يدي عليه. فقلت له: يا رسول الله، ما أشد حماك. قال: إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم. وإن أشد الناس بلاء الأنبياء[2].

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٢: ٣٥٢ (حلبي)

(٢) الحديث أخرجه الامام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ٤٥ (٢٥٧١) عن الأعمش عن ابراهيم التيمي عن الحارث بن سويد عن عبد الله قال: وذكره. ورواه الامام البخاري=

فهذا إذا ابتلي، فهو أشد الناس بلاء. والذي قلنا باب آخر. إنما ذلك في التتابع والتواتر. فكثير من الأنبياء تتابعت عليهم وتواترت، حتى قتلوا بأنواع القتل. وأما الخواص من الأنبياء فقد عوفوا، منهم إبراهيم خليل الرحمن (عليه السلام)، إنما ابتلي ببلية من البلوى، ثم لم يزل معافاً. وإسماعيل وإسحاق وموسى وهارون ومحمد (صلوات الله عليهم أجمعين). فقد عرضوا للبلاء، ثم رفع عنهم، ولم يبتلهم فيشملهم البلاء. إنما البلاء لمثل أيوب (عليه السلام)، ومثل يحيى بن زكريا (عليهما السلام) حيث قتل صبراً. ولزكرياء (عليه السلام) حيث نشر بالمنشار في الشجر. ومثل جرجيس وأشباهه (عليه السلام).

عن ابن عمر (رضي الله عنهما)، عن رسول الله ﷺ قال: إن لله ضنائن من خلقه، تغذوهم رحمته، محياهم في عافية، ومماتهم إذا توفاهم الله إلى جنته. أولئك الذين تمر عليهم الفتن، كمثل قطع الليل المظلم، وهم منها في عافية[1]. والله أعلم.

= في كتاب المرض ٣، ١٦ والدارمي في كتاب الرقاق ٥٧ وأحمد بن حنبل في المسند ١: ٣٨١ ٤٤١، ٤٥٥ (حلبى)

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية من ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وأشار عليه بالصحة.

الأصل الحادي والتسعون والمائتان

في أن القلب الحقيقي في أثقال العظمة يتحمل بالمزاح

عن عقبة بن عامر (رضي الله عنه)، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس من اللهو إلا ثلاثة: تأديب الرجل فرسه. وملاعبته امرأته. ورميه بقوسه ونبله[1].

وفي رواية عن عقبة بن عامر (رضي الله عنه) أيضاً، قال: قال رسول الله ﷺ: كل لهو المؤمن باطل إلا ثلاثاً، فانهن حق: رميه بقوسه. وتأديبه فرسه. وملاعبته امرأته.

قال أبو عبدالله (رضي الله عنه): فاللهو ما يلهي قلب المؤمن عن الله تعالى. وهو كله مذموم، إلا في هذه الثلاثة الأنواع؛ لأن في هذه الثلاثة

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الجهاد ١٩ باب الرمي في سبيل الله ٢٨١١ — عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام عن عبدالله بن الأزرق عن عقبة بن عامر الجهني عن النبي ﷺ قال: وذكره ورواه أبو داود في الجهاد ٢٣ والترمذي في فضائل الجهاد ١١ والنسائي في الخيل ٨ والدارمي في الجهاد ١٤ وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ١٤٤ (حلبي).

عوناً على الدين وقواماً له، يرمي بقوسه لئلا تذهب عادته للرمي، ولا يتشنج أعضاؤه ومفاصله وكتفاه، ويؤدب فرسه لئلا يجمح، ولا يكون مستولياً على النزع منه والفروسية لئلا ينقطع عنه شجاعته، ويكون جريئاً ذا قلب. فإذا ترك ذلك، ضعف قلبه وجبن. وملاعبته أهله ليسكن ما به وبها. وهذا كله وإن كان ملهياً فهو في الأصل حق. وإنما رخص للمؤمن في التلهي بهذا لأن قلبه في أثقال العظمة. فإذا دام عليه، ضاق به والتمس تفرجاً وتخفيفاً، فيلجأ إلى هذه الأشياء التي هي في الأصل حق، حتى يكون مزاجاً للمؤمن.

ألا يرى أن رسول الله ﷺ لما أُسري به فانتهى إلى السدرة، وغشيها ما غشيها، قال: رأيت نوراً، ثم حال دونه فراش من ذهب، وأخذني كالثبات. فذاك مزاج له ليتحمل رؤية ذلك النور، كأنه لم يقدر على احتمال ذلك النور حتى مازجه بذلك الفراش فأطاق احتماله.

كذلك المؤمن البالغ إذا تراكمت على قلبه أثقال العظمة، التمس متنفساً ليقوى على احتمالها، فصير رسول الله ﷺ في حديثه هذا اللهو الملهي لقلبه حقاً وتخفيفاً عنه. فإنما صارت هذه الأشياء ملهية، لأن الرجل إذا رمى عن قوسه توخى بقلبه تسديد السهم وإصابته للهدف، فهو يجتهد في علم ذلك، ووضعه يده حيث وضع ففي ذلك مشغلة تلهي قلبه، ولا يخلو من ذلك. وفي إصابته حيث وضع شفاء للنفس وقوة للقلب، فسمي لهواً لأنه يلهيه. وذلك اللهو حق. وكذلك تأديبه الفرس حتى لا يحرن ولا يجمح، ويفهم شأن العنان، ويتعلم السير والوثبان، والوقوف والاستدارة، وفي ذلك مشغلة تلهيه، وذلك حق. وكذلك ملاعبته امرأته يريد بذلك تسكينها وعفتها عن الرجال. ففي ذلك ما يهيج عليه من الشهوة، ويلهيه.

ففي هذه الأشياء تفرج وخفة عن أثقال العظمة على قلب المؤمن، فيكون مزاجاً. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

هذا آخر كتاب نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ. والحمد لله على توفيق إتمامه. والصلاة والسلام على نبيه وحبيبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله الطاهرين وأصحابه أجمعين.

تمّ

الفهارس العامة
للجزء الرابع من كتاب
نوادر الأصول

١ ــ فهرس الآيات القرآنية
٢ ــ فهرس الأحاديث النبوية
٣ ــ فهرس الأعلام الخاصة بالجزء الرابع
٤ ــ فهرس الأعلام الخاصة بالأجزاء الأربعة
٥ ــ مراجع التحقيق
٦ ــ فهرس الموضوعات

١ ــ فهرس الآيات القرآنية

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١	قال الله تعالى: « لقد خلقنا الإنسان في كبد. »	البلد	٤
٢	قال الله تعالى: « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار. »	هود	١١٣
٣	قال الله تعالى: « والذين أوتوا العلم درجات. »	المجادلة	١١
٤	قال الله تعالى: « لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. »	النور	٢
٥	قال الله تعالى: « إن إبراهيم لحليم. »	هود	٧٥
٦	قال الله تعالى: « فبشرناه بغلام حليم. »	الصافات	١٠١

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٧	قال الله تعالى: « إن إبراهيم لحليم أواه منيب. »	هود	٧٥
٨	قال الله تعالى: « واقصد في مشيك. »	لقمان	١٩
٩	قال الله تعالى: « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات. »	فاطر	٣٢
١٠	قال الله تعالى: « اعملوا آل داود شكراً. »	سبأ	١٣
١١	قال الله تعالى: « إن ﷺ وإنا إليه راجعون. »	البقرة	١٥٦
١٢	قال الله تعالى: « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها. »	هود	٦
١٣	قال الله تعالى: « ويحذركم الله نفسه. »	آل عمران	٢٨
١٤	قال الله تعالى: « واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه. »	البقرة	٢٣٥
١٥	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم. »	التغابن	١٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٦	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط. »	المائدة	٨
١٧	قال الله تعالى: « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين. »	هود	٦
١٨	قال الله تعالى: « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده. »	فاطر	٢
١٩	قال الله تعالى: « وإن يردك بخير فلا راد لفضله. »	يونس	١٠٧
٢٠	قال الله تعالى: « من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار. »	المائدة	٧٢
٢١	قال الله تعالى: « أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير. »	لقمان	١٤
٢٢	قال الله تعالى: « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً. »	النساء	٩٣
٢٣	قال الله تعالى: « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم. »	البقرة	٢٢٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٤	قال الله تعالى: « ولا تقف ما ليس به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً. »	الإسراء	٣٦
٢٥	قال الله تعالى: « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله. »	النساء	٥٤
٢٦	قال الله تعالى: « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً. »	الإسراء	٣٢
٢٧	قال الله تعالى: « والسارق والسارقة. »	المائدة	٣٨
٢٨	قال الله تعالى: « والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحلّ لكم ما وراء ذلكم. »	النساء	٢٤
٢٩	قال الله تعالى: « إنما المؤمنون أخوة. »	الحجرات	١٠
٣٠	قال الله تعالى: « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم. »	الفتح	٢٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٣١	قال الله تعالى: « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق. »	الأنعام	١٢١
٣٢	قال الله تعالى: « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين. »	البقرة	٦٥
٣٣	قال الله تعالى: « ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه. »	يونس	٦١
٣٤	قال الله تعالى: « والله يعلم متقلبكم ومثواكم. »	محمد	١٩
٣٥	قال الله تعالى: « ألم يعلم بأن الله يرى. »	العلق	١٤
٣٦	قال الله تعالى: « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً. »	النور	٦٣
٣٧	قال الله تعالى: « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة. »	النحل	٩٧
٣٨	قال الله تعالى: « وإذا أصابهم البغي هم ينتصرون. »	الشورى	٣٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٣٩	قال الله تعالى: « بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره. »	القيامة	١٤ ــ ١٥
٣٨	قال الله تعالى: « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين. »	يوسف	١٠٨
٣٩	قال الله تعالى: « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه. »	التوبة	١٠٠
٤٠	قال الله تعالى: « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم. »	آل عمران	٣١
٤١	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون. »	المائدة	٣٥
٤٢	قال الله تعالى: « امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله. »	التحريم	١١
٤٣	قال الله تعالى: « ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها	التحريم	١٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
	فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه. »		
٤٤	قال الله تعالى: « إن الله يبشرك بكلمة منه. »	آل عمران	٤٥
٤٥	قال الله تعالى: « وأمه صديقة. »	المائدة	٧٥
٤٦	قال الله تعالى: « إن هذا لشيء عجيب. قالوا أتعجبين من أمر الله. »	هود	٧٢ — ٧٣
٤٧	قال الله تعالى: « إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين. »	آل عمران	٤٥، ٤٦
٤٨	قال الله تعالى: « رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر. »	آل عمران	٤٧
٤٩	قال الله تعالى: « إن النفس لأمارة بالسوء. »	يوسف	٥٣
٥٠	قال الله تعالى: « أبق إلى الفلك المشحون. »	الصافات	١٤٠

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٥١	قال الله تعالى: « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين. »	العنكبوت	٦٩
٥٢	قال الله تعالى: « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض. »	النمل	٦٢
٥٣	قال الله تعالى: « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم. »	المائدة	٩٢
٥٤	قال الله تعالى: « رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري. »	طه	٢٥
٥٥	قال الله تعالى: « وإن الدار الآخرة لهي الحيوان. »	العنكبوت	٦٤
٥٦	قال الله تعالى: « وجعلنا من الماء كل شيء حي. »	الأنبياء	٣٠
٥٧	قال الله تعالى: « وأنزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد. »	ق	٩
٥٨	قال الله تعالى: « ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى. »	فصلت	٣٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٥٩	قال الله تعالى: « أحيينا به بلدة ميتاً. »	ق	١١
٦٠	قال الله تعالى: « وجاهدوا في الله حق جهاده. »	الحج	٧٨
٦١	قال الله تعالى: « إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله. »	الأنفال	٤٨
٦٢	قال الله تعالى: « كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين. »	التكاثر	٥ — ٧
٦٣	قال الله تعالى: « بقية الله خير لكم. »	هود	٨٦
٦٤	قال الله تعالى: « ويا قوم استغفروا ربكم. »	هود	٥٢
٦٥	قال الله تعالى: « ويا قوم لا يجرمنّكم شقاقي. »	هود	٨٩
٦٦	قال الله تعالى: « قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول. »	هود	٩١
٦٧	قال الله تعالى: « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره. »	الزلزلة	٧ — ٨
٦٨	قال الله تعالى: « أشتاتاً ليروا أعمالهم. »	الزلزلة	٦

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٦٩	قال الله تعالى: « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة. »	الأنبياء	٤٧
٧٠	قال الله تعالى: « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها. »	هود	٦
٧١	قال الله تعالى: « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه. »	سبأ	٣٩
٧٢	قال الله تعالى: « زين للناس حب الشهوات من النساء... »	آل عمران	١٤
٧٣	قال الله تعالى: « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً. »	الكهف	٧
٧٤	قال الله تعالى: « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً. »	الكهف	٣٠
٧٥	قال الله تعالى: « إن الله لا يضيع أجر المحسنين. »	التوبة	١٢٠
٧٦	قال الله تعالى: « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. »	الذاريات	٥٦
٧٧	قال الله تعالى: « ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير. »	الشورى	٣٠

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٧٨	قال الله تعالى: « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله. »	الأنعام	١٧
٧٩	قال الله تعالى: « لأنتم أشد رهبة في صدروهم من الله، ذلك بأنهم قوم لا يفقهون. »	الحشر	١٣
٨٠	قال الله تعالى: « هم الذين يقولون لا تنفقوا على مَنْ عند رسول الله حتى ينفضُّوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون. »	المنافقون	٧
٨١	قال الله تعالى: « ادعوني أستجب لكم. »	غافر	٦٠
٨٢	قال الله تعالى: « قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون. »	يونس	٨٩
٨٣	قال الله تعالى: « هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للتقين إماماً. »	الفرقان	٧٤
٨٤	قال الله تعالى: « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً. »	مريم	٩٦

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٨٥	قال الله تعالى: « وألقيت عليك محبة مني. »	طه	٣٩
٨٦	قال الله تعالى: « وتركنا عليه في الآخرين. »	الصافات	٧٨، ١٠٨ ١١٩، ١٢٩
٨٧	قال الله تعالى: « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض. »	القصص	٨٣
٨٨	قال الله تعالى: « ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا. »	آل عمران	١٨٨
٨٩	قال الله تعالى: « واجعل لي لسان صدق في الآخرين. »	الشعراء	٨٤
٩٠	قال الله تعالى: « ورفعنا لك ذكرك. »	الانشراح	٤
٩١	قال الله تعالى: « إن إبراهيم كان أمة. »	النحل	١٢٠
٩٢	قال الله تعالى: « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس. »	البقرة	١٤٣
٩٣	قال الله تعالى: « إن تبدوا الصدقات فنعمَّا هي... »	البقرة	٢٧١
٩٤	قال الله تعالى: « فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً. »	النور	٣٣

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٩٥	قال الله تعالى:		
	« إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي. »	ص	٣٢
٩٦	قال الله تعالى:		
	« وإنه لحب الخير لَشديدٌ. »	العاديات	٨
٩٧	قال الله تعالى:		
	« كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك... »	البقرة	١٨٠
٩٨	قال الله تعالى:		
	« هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب. »	ص	٣٩
٩٩	قال الله تعالى:		
	« فسخرنا له الريح تجري بأمره... »	ص	١٣٦
١٠٠	قال الله تعالى:		
	« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً. »	النساء	٥
١٠١	قال الله تعالى:		
	« نعم العبد إنه أواب. »	ص	٣٠ ــ ٤٠
١٠٢	قال الله تعالى:		
	« وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب. »	ص	٤٠
١٠٣	قال الله تعالى:		
	« ومن ذريته داود وسليمان. »	الأنعام	٨٤
١٠٤	قال الله تعالى:		
	« أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده. »	الأنعام	٩٠

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٠٥	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون. »	المنافقون	٩
١٠٦	قال الله تعالى: « سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق. »	الأعراف	١٤٦
١٠٧	قال الله تعالى: « من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها. »	النساء	٤٧
١٠٨	قال الله تعالى: « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضي من القول. »	النساء	١٠٨
١٠٩	قال الله تعالى: « قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. »	طه	٥٠
١١٠	قال الله تعالى: « وله من في السموات والأرض كل له قانتون. »	الروم	٢٦
١١١	قال الله تعالى: « هو الذي خلق لكم ما في الأرض	البقرة	٢٩ ــ ٣٣

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
	جميعاً... » إلى قوله: « قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم. »		
١١٢	قال الله تعالى: « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه. »	الجاثية	١٣
١١٣	قال الله تعالى: « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون. »	الأعراف	١٥٩
١١٤	قال الله تعالى: « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. »	البقرة	٢٢٢
١١٥	قال الله تعالى: « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض... » إلى قوله: « بما نسوا يوم الحساب. »	ص	٢٦
١١٦	قال الله تعالى: « ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. »	الأنفال	٥٣
١١٧	قال الله تعالى: « شاكراً لأنعمه إجتباه وهداه. »	النحل	١٢١
١١٨	قال الله تعالى: « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله. »	آل عمران	١٤٥

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١١٩	قال الله تعالى: « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً. »	آل عمران	٨٣
١٢٠	قال الله تعالى: « أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا. »	الزخرف	٣٢
١٢١	قال الله تعالى: « إن علينا جمعه وقرآنه. »	القيامة	١٧
١٢٢	قال الله تعالى: « وإنا له لحافظون. »	الحجر	٩
١٢٣	قال الله تعالى: « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم. »	الأنعام	١١٠
١٢٤	قال الله تعالى: « ما كذب الفؤاد ما رأى. »	النجم	١١
١٢٥	قال الله تعالى: « من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير. »	التحريم	٣
١٢٦	قال الله تعالى: « ولنعلمه من تأويل الأحاديث. »	يوسف	٢١
١٢٧	قال الله تعالى: « وما جعل عليكم في الدين من حرج. »	الحج	٧٨
١٢٨	قال الله تعالى: « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات. »	البقرة	٢٥

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٢٩	قال الله تعالى: « بشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم. »	يونس	٢
١٣٠	قال الله تعالى: « ادعوا الله مخلصين له الدين. »	غافر	١٤
١٣١	قال الله تعالى: « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم. »	المائدة	٥٤
١٣٢	قال الله تعالى: « يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم. »	البقرة	١٠٥
١٣٣	قال الله تعالى: « فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان. »	البقرة	١٨٦
١٣٤	قال الله تعالى: « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم. »	الحجر	٨٧
١٣٥	قال الله تعالى: « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها. »	الإسراء	١١٠
١٣٦	قال الله تعالى: « فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم... »	آل عمران	١٥٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٣٨	قال الله تعالى: « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية. »	النساء	١٥٥
١٣٩	قال الله تعالى: « واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً. »	المزمل	٨
١٤٠	قال الله تعالى: « كزرع أخرج شطأه فآزره. »	الفتح	٢٩
١٤١	قال الله تعالى: « قد أفلح من تزكى. »	الأعلى	١٤
١٤٢	قال الله تعالى: « ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه. »	فاطر	١٨
١٤٣	قال الله تعالى: « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء. »	النور	٢١
١٤٤	قال الله تعالى: « ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى. »	طه	٧٥
١٤٥	قال الله تعالى: « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين. »	المنافقون	٨

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٤٦	قال الله تعالى: « سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. »	الصافات	١٨٠، ١٨٢
١٤٧	قال الله تعالى: « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون. »	الأعراف	١٥٩
١٤٨	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم. »	النساء	٥٩
١٤٩	قال الله تعالى: « فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم إلى البر إذ هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون. »	العنكبوت	٦٥، ٦٦
١٥٠	قال الله تعالى: « أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض. »	الزمر	٢١
١٥١	قال الله تعالى: « وفجرنا فيها من العيون. »	القمر	١٢
١٥٢	قال الله تعالى: « أفرأيتم ما تحرثون، أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون. »	الواقعة	٦٣، ٦٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٥٣	قال الله تعالى: « هو الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً. »	يس	٨٠
١٥٤	قال الله تعالى: « أفرأيتم النار التي تورون، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين. »	الواقعة	٧١ ــ ٧٣
١٥٥	قال الله تعالى: « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى. »	الزمر	٣
١٥٦	قال الله تعالى: « أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً. »	المائدة	٧٦
١٥٧	قال الله تعالى: « أف لكم ولما تعبدون من دون الله. »	الأنبياء	٦٧
١٥٨	قال الله تعالى: « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. »	البقرة	١٦٣
١٥٩	قال الله تعالى: « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار... » إلى قوله: « لآيات لقوم يعقلون. »	البقرة	١٦٤
١٦٠	قال الله تعالى: « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من	المؤمنون	٩١

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
	إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون. »		
١٦١	قال الله تعالى: « وأنزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه. »	الحجر	٢٢
١٦٢	قال الله تعالى: « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله. »	آل عمران	٣١
١٦٣	قال الله تعالى: « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين. »	آل عمران	١٤
١٦٤	قال الله تعالى: « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً. »	الكهف	١١٠
١٦٥	قال الله تعالى: « فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى. »	طه	١٣٣
١٦٦	قال الله تعالى: « فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون. »	الذاريات	٢٣
١٦٧	قال الله تعالى: « وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين... »	النور	٣٢
١٦٨	قال الله تعالى: « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا. »	يونس	٥٨

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٦٩	قال الله تعالى: « فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً، ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا. »	العنكبوت	٤٠
١٧٠	قال الله تعالى: « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين. »	الأنبياء	١٠٧
١٧١	قال الله تعالى: « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء. »	إبراهيم	٢٧
١٧٢	قال الله تعالى: « وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب... »	آل عمران	١٧٩
١٧٣	قال الله تعالى: « ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين. »	العنكبوت	١ ــ ٣
١٧٤	قال الله تعالى: « ولكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء. »	الأنعام	١٠٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٧٥	قال الله تعالى: « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. »	الذاريات	٥٦
١٧٦	قال الله تعالى: « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله. »	ص	٢٦
١٧٧	قال الله تعالى: « وورث سليمان داود. »	النمل	١٦
١٧٨	قال الله تعالى: « فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب. »	مريم	٥
١٧٩	قال الله تعالى: « وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون. »	العنكبوت	٤٣
١٨٠	قال الله تعالى: « وما يعقلها إلا العالمون. »	العنكبوت	٤٣
١٨١	قال الله تعالى: « وإن لنا للآخرة والأولى. »	الليل	١٣
١٨٢	قال الله تعالى: « والعاقبة للمتقين. »	الأعراف	١٢٨
١٨٣	قال الله تعالى: « لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين. »	القصص	٧٦
١٨٤	قال الله تعالى: « وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع. »	الرعد	٢٦

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٨٥	قال الله تعالى: « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون. »	يونس	٥٨
١٨٦	قال الله تعالى: « وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون. »	العنكبوت	٦٤
١٨٧	قال الله تعالى: « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين... » إلى قوله: « والمستغفرين بالأسحار. »	آل عمران	١٤ ــ ١٧
١٨٨	قال الله تعالى: « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة... »	الحديد	٢٠
١٨٩	قال الله تعالى: « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور. »	آل عمران	١٨٥
١٩٠	قال الله تعالى: « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها... »	الكهف	٧
١٩١	قال الله تعالى: « ليبلوكم أيكم أحسن عملاً. »	هود	٧
١٩٢	قال الله تعالى: « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء... » إلى قوله: « والله يدعو إلى دار السلام. »	يونس	٢٤ ــ ٢٥

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٩٣	قال الله تعالى: « أيكم يأتيني بعرشها... » إلى قوله: ليبلوني ءأشكر أم أكفر. »	النمل	٣٨ ــ ٤٠
١٩٤	قال الله تعالى: « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً. »	الإسراء	٧٢
١٩٥	قال الله تعالى: « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً. »	القصص	٨٣
١٩٦	قال الله تعالى: « إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره. »	الشورى	٣٣
١٩٧	قال الله تعالى: « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة. »	الأعراف	١٧١
١٩٨	قال الله تعالى: « وقوموا لله قانتين. »	البقرة	٢٣٨
١٩٩	قال الله تعالى: « يا مريم اقنتي لربك. »	آل عمران	٤٣
٢٠٠	قال الله تعالى: « وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها. »	الفتح	٢٦
٢٠١	قال الله تعالى: « سبح اسم ربك الأعلى. »	الأعلى	١

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٠٢	قال الله تعالى: « وأن إلى ربك المنتهى. »	النجم	٤٢
٢٠٣	قال الله تعالى: « حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم. »	الحجرات	٧
٢٠٤	قال الله تعالى: « ختم الله على قلوبهم. »	البقرة	٧
٢٠٥	قال الله تعالى: « أم على قلوب أقفالها. »	محمد	٢٤
٢٠٦	قال الله تعالى: « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان. »	المجادلة	٢٢
٢٠٧	قال الله تعالى: « أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم. »	محمد	١٦
٢٠٨	قال الله تعالى: « من حمأ مسنون. »	الحجر	٢٦
٢٠٩	قال الله تعالى: « ووصينا الإنسان بوالديه... » إلى قوله: « وعد الصدق الذي كانوا يوعدون. »	الأحقاف	١٥ ــ ١٦
٢١٠	قال الله تعالى: « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم... »	الأعراف	١٧٢
٢١١	قال الله تعالى: « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك	الأنبياء	١٠١، ٢٠١

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
	عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون. »		
٢١٢	قال الله تعالى: « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين... »	النساء	١٤٥، ١٤٦
٢١٣	قال الله تعالى: « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون. »	الأنعام	٨٢
٢١٤	قال الله تعالى: « إن الشرك لظلم عظيم. »	لقمان	١٣
٢١٥	قال الله تعالى: « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا... »	الأحقاف	١٣
٢١٦	قال الله تعالى: « ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير. »	الشورى	٣٠
٢١٧	قال الله تعالى: « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور. »	الحج	٣٨
٢١٨	قال الله تعالى: « وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون. »	المؤمنون	٩٧

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢١٩	قال الله تعالى: « يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب. »	غافر	٣٦
٢٢٠	قال الله تعالى: « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً. »	القصص	٨٣
٢٢١	قال الله تعالى: « وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاهم. »	الأنعام	١٦٥
٢٢٢	قال الله تعالى: « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين. »	هود	٦
٢٢٣	قال الله تعالى: « كأنهم إلى نصب يوفضون. »	المعارج	٤٣
٢٢٤	قال الله تعالى: « وإنك لعلى خلق عظيم. »	القلم	٤
٢٢٥	قال الله تعالى: « فلا تكونن من الجاهلين. »	الأنعام	٣٥
٢٢٦	قال الله تعالى: « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. »	الحج	٤٦

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٢٧	قال الله تعالى:		
	« إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين. »	الإسراء	٢٧
٢٢٨	قال الله تعالى:		
	« ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة. »	آل عمران	١٨٠
٢٢٩	قال الله تعالى:		
	« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. »	النساء	٦٩
٢٣٠	قال الله تعالى:		
	« وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون. »	العنكبوت	٦٤
٢٣١	قال الله تعالى:		
	« قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم. »	الجمعة	٦ ــ ٧
٢٣٢	قال الله تعالى:		
	« وأنزلنا من السماء ماء طهوراً لنحيي به بلدة ميتاً. »	الفرقان	٤٨ ــ ٤٩

٢ ــ فهرس الأحاديث النبوية

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١	قال ﷺ: « ما رزق عبد شيئاً أفضل من إيمان صلب. »	٣
٢	قال ﷺ: « إن لله في الأرض أواني ألا وهي القلوب، وأحبها إلى الله أرقاها وأصفاها وأصلبها. »	٤
٣	قال ﷺ: « خير ما ألقى في القلب اليقين ». وقال: « ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت أمتي. »	٥
٤	قال ﷺ: « إن يوماً لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله تعالى لا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم. »	٦
٥	قال ﷺ: « والذي نفسي بيده لو دعت الله أن يخزيه لأخزاه، ولكنها دعت أن ينظر فنظر. »	٧

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٦	قال ﷺ:	
	« لو كان جريج الراهب فقيهاً عالماً لعلم أن إجابة أمه من عبادة ربه. »	٨
٧	قال ﷺ:	
	« إن سياحة أمتي الغزو في سبيل الله، والعمرة، والحج. »	٨
٨	قال ﷺ:	
	« يا عثمان فإن صدقتك يوماً بيوم وتكف نفسك وعيالك وترمم المسكين واليتيم فتطعمه أفضل من ذلك. »	٨
٩	قال ﷺ:	
	« إني لم أرسل بالرهبانية إن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة وإنما هلكت من قبلكم من أهل الكتاب بالتشديد، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً. »	١٠
١٠	قال الله تعالى:	
	« لو كانت فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتها. » ثم نزل من المنبر فقطعها.	١١
١١	قال ﷺ:	
	« من كان فيه ثلاث خصال فقد أوتي ما أوتي آل داود: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر، والعدل في الغضب والرضا. »	١٢
١٢	قال ﷺ:	
	« إذا أنعم الله على عبده، أحب أن يرى أثر ذلك عليه. »	١٤

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	وقال: « الحمد لله الذي كاساني ما أواري به عورتي، وأتجمل به في الناس. »	
١٣	قال ﷺ:	
	« من كتم مصيبته أربعين يوماً يخرج من الذنوب كيوم ولدته أمه. » وقال: « نعوذ بالله من طمع يهدي إلى طبع. »	١٥
١٤	قال ﷺ:	
	« قال الله تعالى: من رجا غيري وكلته إليه ومن وكلته إليه، فليستعد للفتنة والبلاء. »	١٥
١٥	قال ﷺ:	
	« اعدلوا بين أولادكم في النخب كما تحبون أن تعدلوا بينكم في البر واللطف. »	١٦
١٦	قال ﷺ:	
	« من السرف أن تأكل كل ما شئت ». وقال: « إن النفس إذا أطعمتها طمعت، وإن آيستها أيست، وإن فوضت إليها ضيعت. »	١٧
١٧	قال ﷺ:	
	« لا يبلغ العبد ذروة الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله. »	١٨
١٨	قال ﷺ:	
	« المؤمن في سبعين حجاباً من نور، فإذا عمل خطيئة ثم تناساها حتى يعمل أخرى، هتك عنه حجاباً، فإذا عمل كبيرة هتك عنه الحجب كلها إلا حجاب الحياء. »	٢٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٩	قال ﷺ:	
	« أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: الذين إذا أعطوا الحق قبلوه. وإذا سئلوا بذلوه، وحكموا الناس كحكمهم لأنفسهم. »	٢٣
٢٠	قال ﷺ:	
	« لو خشع قلبه لخشعت جوارحه. »	٢٤
٢١	قال ﷺ:	
	« من استغنى بالله أغناه الله » وقال: « ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس. »	٢٥
٢٢	قال ﷺ:	
	« إذا وجدت تلك فاطعن اصبعك هذا ــ يعني السبابة ــ في فخذك اليسرى، وقل: بسم الله. فانها سكين الشيطان أو مدية الشيطان. »	٢٩
٢٣	قال ﷺ:	
	« ذاك شيطان يقال له: خنزب. فإذا أحسست بشيء منه فاتفل عن شمالك ثلاثاً، ثم تعوذ بالله منه. »	٣٠
٢٤	قال ﷺ:	
	« الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. »	٣٠
٢٥	قال ﷺ:	
	« الشيطان ملتقم قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس عنه. وإذا نسي الله التقم قلبه. »	٣٢
٢٦	قال ﷺ:	
	« كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم	٣٣

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	بنت عمران وآسية بنت مزاحم. وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام. »	
٢٧	قال ﷺ:	
	« اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله. »	٣٥
٢٨	قال ﷺ:	
	قال الله تعالى: « ما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء فرائض، وإنه ليتقرب إليَّ بعد ذلك بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر، ولسانه الذي به ينطق ويده التي بها يبطش... إلى آخر ما قال: فبي يستعمل هذه الأشياء قال. ﷺ عندما سئل عن الجمال فقال: صواب القول بالحق. قال: فما الكمال ؟ قال: حسن الفعال بالصدق. »	٣٥
٣٠	قال ﷺ:	
	« إن لله مائة وسبعة عشر خلقاً من أتى بواحدة منهن دخل الجنة. »	٣٩
٣١	قال ﷺ:	
	« من أدرك التكبيرة الأولى في صلاة الجماعة أربعين يوماً كتب له عتق من النار. »	٤٢
٣٢	قال ﷺ:	
	« من صلى أربعين يوماً في جماعة لا تفوته الركعة الأولى كتب له عتق من النار. »	٤٢
٣٣	قال ﷺ:	
	« بعثت لأتمم مكارم الأخلاق. »	٤٣

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٣٤	قال ﷺ: « إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء. » وقال: « الخلق وعاء الدين. »	٤٥
٣٥	قال ﷺ: « إن المرأة فضلت على الرجل بتسعة وتسعين جزءاً من الشهوة، وفضلت من الحياء بتسعة وتسعين جزءاً لتكسر تلك الشهوات ما فضلت به من أجزاء الحياء. »	٤٦
٣٦	قال ﷺ للأشج: « فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله قال: وما هما يا رسول الله ؟ قال: الأناة والتؤدة. قال: يا نبي الله، أجبلت عليه أم تخلقاً مني ؟ قال: بل جبلت عليه. فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله. »	٤٧
٣٧	قال ﷺ: « قلة الحياء كفر ». ووصفه أنس بن مالك فقال: كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذارى.	٤٨
٣٨	قال ﷺ: « أربع من كن فيه حرمه الله تعالى على النار، وحفظه من الشيطان: من ملك نفسه حين يرغب وحين يرهب، وحين يغضب وحين يشتهي. » وأربع من كن فيه نشر الله عليه رحمته وأدخله في محبته، من آوى مسكيناً، ورحم ضعيفاً ورفق بالمملوك، وأنفق على الوالدين. »	٥٠
٣٩	قال ﷺ: « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله،	٥٥

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب. »	
٤٠	قال ﷺ:	
	« الجهاد جهادان وأفضلهما جهاد النفس. »	٥٦
٤١	قال ﷺ:	
	« أفضل العبادة الفقه، وأفضل الدين الورع. »	٥٨
٤٢	قال ﷺ:	
	« ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد، وعماد هذا الدين الفقه. »	٥٨
٤٣	قال ﷺ:	
	« من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. »	٥٨
٤٤	قال ﷺ:	
	« لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل ربه ». وقيل: كيف يستعجل ربه يا رسول الله، فقال: « يقول: دعوت فلم تستجب لي. »	٦٤
٤٥	قال ﷺ:	
	« إذا دعا العبد قال الله تعالى: يا جبرائيل أحبس حاجة عبدي، فإني أحب صوته. وقد أجبته إلى ما سأل. »	٦٤
٤٦	قال ﷺ:	
	« خلق الله آدم عليه السلام من تراب، وعجنه بماء من ماء الجنة، فلم يكن يصلح له مكان يليق به من هذه المكارم إلا داره. »	٦٦

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٤٧	قال ﷺ:	
	« إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. » قالوا: ومنك يا رسول الله ؟ قال: « ومني، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ».	٦٧
٤٨	قال ﷺ:	
	إذا دخل الخلاء: « اللهم أذهب عني الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ». فإذا خرج، قال: الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني. »	٦٨
٤٩	قال ﷺ:	
	« لك أجران، أجر السر، وأجر العلانية ». وقال: « خير أعمالكم التي تحبون أن يعلم بها. »	٧١
٥٠	قال ﷺ:	
	« السر أفضل من العلانية. والعلانية أفضل لمن أراد به الاقتداء. »	٧١
٥١	قال ﷺ:	
	« يا أبي إن ربي أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه، أي ربي، هون على أمتي. فرده إليّ الثانية أن أقرأ على حرفين فقلت: يا ربي هون على أمتي فرده إليَّ الثالثة أن اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألينها. فقلت: اللهم اغفر لأمتي مرتين. وأخرت الثالثة إلى يوم يرغب إلي فيه الخلق. »	٧٣
٥٢	قال ﷺ:	
	« كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال: مؤمناً حقاً. قال: ما	٧٤

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	حقيقة إيمانك ؟ قال: كأني انظر إلى الله فوق عرشه. وفي رواية: كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً. »	
٥٣	قال ﷺ:	
	« ألا إن الدين هو النصيحة. ثلاث مرات. قيل: لمن ؟ قال: لله ولكتابه، ولأمة المسلمين وعامتهم. »	٧٦
٥٤	قال ﷺ:	
	« خيار عباد الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون العباد إلى الله، ويمشون لله في الأرض. »	٧٥
٥٥	قال ﷺ:	
	« لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقى عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من شدة الجبال. فقالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال: نعم، الحديد. قالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال: نعم، النار. قالت يا رب: هل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال: نعم، الماء. قالت: يا رب، هل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال: نعم التراب. قالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من التراب ؟ قال: نعم الريح. قالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال: نعم الإنسان. ثم قال: خلق الإنسان يغلب الريح يتقيها بيده، ثم خلق النوم يغلب الإنسان، ثم خلق الهم يغلب النوم. فأشد خلق ربك الهم. »	٧٧
٥٦	قال ﷺ:	
	« ليس أحد منكم ينجيه عمله ». قالوا: ولا أنت يا رسول	٧٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	الله قال: « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته. »	
٥٧	قال ﷺ: « إن لله ملائكة موكلين بأرزاق بني آدم، ثم قال لهم: أيما عبد وجدتموه جعل الهم هماً واحداً فضمنوا رزقه السموات والأرضين والطير وبني آدم. »	٧٩
٥٨	قال ﷺ: « من أحب أن يعلم ما منزلته عند الله فلينظر ما منزلة ربه عنده فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من ربه. »	٧٩
٥٩	قال ﷺ: « أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله. »	٨٠
٦٠	قال ﷺ: « من هاب الله أهاب الله منه كل شيء. ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء ؟. »	٨٠
٦١	قال ﷺ: « إن الله أعطى المؤمن المحبة والمهابة في صدور الصالحين. »	٨١
٦٢	قال ﷺ: « إن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء لمكانهم وقربهم من الله تعالى. »	٨٢
٦٣	قال ﷺ: « إن الله تعالى إذا أحب عبداً أثنى عليه من الخير مثل	٨٣

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	عمله سبع مرات، وإذا أبغض عبداً أثنى عليه مثل عمله من الشر سبع مرات. »	
٦٤	قال ﷺ:	
	« إن الله إذا أحب عبداً أثنى عليه بسبعة أضعاف من الخير لم يعمله، وإذا أبغض عبداً أثنى عليه بسبعة أضعاف من الشر لم يعمله. »	٨٣
٦٥	قال ﷺ:	
	« هل تدرون من المؤمن.. ؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: المؤمن من لا يموت حتى يملأ مسامعه مما يحب، ولو أن عبداً اتقى الله في بيت في جوف بيت الى سبعين بيتاً على كل بيت باب من حديد ألبسه الله تعالى رداء عمله حتى يتحدث به الناس ويزيدون والكلام مثل ذلك في فجوره، قيل: وكيف يزيدون يا رسول الله.. ؟ قال: إن التقي لو استطاع أن يزيد في بره لزاد والفاجر لو يستطيع أن يزيد في فجوره لزاد. »	٨٣
٦٦	قال ﷺ:	
	« نية المؤمن أبلغ من علمه. »	٨٣
٦٧	قال ﷺ:	
	« يقول الله عز وجل لعبده يوم القيامة: عبدي عبدتني أكرمك الناس ووضعوك فوق رؤوسهم، زهدت في الدنيا راحة تعجلتها هل واليت لي ولياً أو عاديت لي عدواً.. ؟. »	٨٤

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٦٨	قال ﷺ: « يؤتى يوم القيامة بعبد محسن في نفسه لا يرى أن له سيئة فيقال له: هل كنت توالي أوليائي، قال: يا رب كنت من الناس سلماً. قال: فهل كنت تعادي أعدائي.. ؟ قال يا رب إني لم أكن أحب أن يكون بيني وبين أحد شيء فيقول: وعزتي لا ينال رحمتي من لم يوال أوليائي ولم يعاد أعدائي. »	٨٤
٦٩	قال ﷺ: لمعاذ بن جبل: « ما يمنعك أن تعيش حميداً وتموت فقيراً، وإنما بعثت لأتمم محاسن الأخلاق. »	٨٥
٧٠	قال ﷺ: « ليس المؤمن أن يذل نفسه. وقال: طوبى لمن تواضع في غير مذلة. »	٨٤
٧١	قال ﷺ: « ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة أن لا تكون بشيء مما في يدك أوثق منك مما في يد الله تعالى، وأن يكون ثواب المصيبة أحب إليك من أن لو نفيت عنك المصيبة ولكل حق حقيقة ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولا يبلغ العبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شيء عمل لله عز وجل. »	٨٦

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٧٢	قال ﷺ: « للجنازة التي مرت عليه وشهدوا لها بالخير وجبت، ثم مرت به أخرى فأثنوا عليها شراً فقال: وجبت فقلنا يا رسول الله قلت: وجبت. قال: إن المؤمنين شهود الله في الأرض إذا شهدوا للعبد بخير أوجب الله له الجنة وإذا شهدوا للعبد بشر أوجب الله له النار. وما من عبد يشهد له أمة إلا قبل الله شهادتهم. »	٨٦
٧٣	قال ﷺ: « ما من مسلم يوضع في قبره فيثني عليه ثلاثة أهل بيت من جيرانه خيراً إلا قال الله تعالى لملائكته قد قبلت شهادة عبادي لعبدي فيما ظهر، وغفرت لهم ما لا يعلمون. »	٨٧
٧٤	قال ﷺ: « إن عمل السر من التطوع يفضل العلانية بسبعين ضعفاً. وقال صلاة الرجل في جماعة ــ يعني الفريضة ــ تزيد على صلاته وحده بخمس وعشرين درجة. »	٨٨
٧٥	قال ﷺ: « الإيمان حلو نزه فنزهوه. وقال: والذي نفسي بيده ما نقصت صدقة مالاً قط. »	٨٩
٧٦	قال ﷺ: « لو أن أم اسماعيل لم تغرف من زمزم لكان زمزم عيناً معيناً. »	٨٩
٧٧	قال ﷺ: قال الله تعالى لداود: « يا داود هل تدري أي المؤمنين	٩٠

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	أعظم منزلة عندي.. ؟ الذي هو بما أعطى أشد فرحاً بما حبس. »	
٧٨	قال ﷺ:	
	« قال جبريل لابراهيم عليه السلام: إن لله خليلاً في الأرض فقال: من هو حتى أكون له خادماً. قال: فإنك أنت هو. قال: بماذا ؟ قال: إنك تحب أن تعطي ولا تحب أن تأخذ. »	٩٠
٧٩	قال ﷺ:	
	« حفت النار بالشهوات. »	٩٢
٨٠	قال ﷺ لجابر بن عبدالله حين قتل أبوه:	
	« أتحب الدراهم. ؟ قلت: نعم قال: لو جاء دراهم أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا وهكذا وهكذا فقبض النبي ـــ ﷺ قبل أن يعطيني، فلما استخلف أبو بكر أتاه مال من البحرين فدعاني فقال: خذ كما قال لك رسول الله ـــ ﷺ فأخذت بكفي جميعاً وأخذت الثانية أقل منه. فقلت عدوا هذا فاعطوني مثله مرتين فعد فوجد سبعمائة وخمسين فأعطوني مثلها مرتين. »	٩٣
٨١	قال ﷺ:	
	« إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وأحسابكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. »	٩٥
٨٢	قال ﷺ:	
	« يأتي على الناس زمان القرآن في واد وهم في واد غيره. »	٩٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٨٣	قال ﷺ: « إن لله تعالى في الأرض أواني ألا وهي القلوب فأحبها إلى الله أرقها وأصفاها وأصلبها أرقها للإخوان وأصفاها من الذنوب وأصلبها في ذات الله فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه وإنما يصلح إذا سكنت النفس بشهواتها والهوى بجنوده، واطمأن القلب أميراً على الجوارح نافذاً سلطانه فعندها يحظى العبد من الله الحنان. »	١٠٠
٨٤	قال ﷺ: « عندما سأله رجل: أي الأعمال أفضل ؟ قال: العلم بالله ثم أتاه فسأله فقال له مثل ذلك قال يا رسول الله إنما أسألك عن العمل. قال: إن العلم ينفعك معه قليل العمل وكثيره، فإن الجهل لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره. »	١٠١
٨٥	قال ﷺ: « ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت لم يذكروا الله فيها. »	١٠٦
٨٦	قال ﷺ: « سيروا فقد سبق المفردون » قالوا: يا رسول الله، وما المفردون ؟ قال هم المتهترون بذكر الله، حط الذكر عنهم أوزارهم، فوردوا القيامة خفافاً. »	١٠٦
٨٧	قال ﷺ: « أشد الأعمال ثلاثة: ذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ من مالك، والإنصاف من مالك. »	١٠٦

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٨٨	قال ﷺ: « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، باسط يده لمسيء أن يتوب بالليل ولمسيء الليل أن يتوب بالنهار، حجابه النار، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره. »	١٠٩
٨٩	قال ﷺ: « ينادي مناد يوم القيامة: ألا من كان لله ولياً فليعتزل. ثم يقول: أنا ضامن لمن ادعى قبلهم حقاً. »	١١٠
٩٠	قال ﷺ: « إن صلاتكم عليَّ معروضة يوم الجمعة فأكثروا عليَّ الصلاة » فقال قائل: فكيف وقد رممت ؟ فقال: إنا معاشر الأنبياء حرم الله على الأرض أجسادنا أن تأكلها. »	١١٠
٩١	قال ﷺ عن حال الأنبياء: « إن الأرض تبرأت منهم، ولم تتبعهم مما أكلوا فيها، لأنهم تناولوا ما تناولوا منها بالحق والعدل. »	١١٠
٩٢	قال ﷺ: « على العبد أن يترك جميع مشيئآته لمشيئة الله تعالى فإن الله خلقه لما شاء، لا لما شاء العبد، ودبر له من أمر دنياه ما علم أن صلاحه فيه. »	١١٢
٩٣	قال ﷺ: « كم من أشعث أغبر، ذي طمرين، لا يؤبه له، لو أقسم على ربه لأبره. »	١١٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٩٤	قال ﷺ: « إن الله تعالى إذا أحب عبداً، قال: يا جبرائيل إني أحب فلاناً فأحبه. فيحب جبرائيل عليه السلام فيوضع له القبول في الأرض. »	١١٥
٩٥	قال ﷺ: « نضر الله إمرأ سمع منا حديثاً فبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه غير فقيه. »	١١٧
٩٦	قال ﷺ: « من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. »	١١٨
٩٧	قال ﷺ: « لمن يؤدي الحديث بمعناه: « ما لم تحرموا حلالاً ولا تحللوا حراماً وأصبتم المعنى فلا بأس. »	١١٩
٩٨	قال ﷺ: « أتاكم أهل اليمن ألين قلوباً، وأرق أفئدة ». وقال: « البكر تستأذن والثيب تستأمر. »	١٢١
٩٩	قال ﷺ: قال الله تعالى: « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي. يقول العبد: الحمد لله رب العالمين. يقول الله تعالى: حمدني عبدي. يقول العبد: الرحمن الرحيم. يقول الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي. يقول العبد: مالك يوم الدين. يقول الله تعالى: مجدني عبدي. يقول العبد: إياك نعبد وإياك نستعين. يقول الله تعالى: هذه بيني وبين عبدي. قال: يقول: اهدنا الصراط المستقيم...	١٢٣

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	إلى آخر السورة. يقول الله تعالى: هذه لعبدي، ولعبدي ما سأل. »	
١٠٠	قال ﷺ:	
	« أعطيت أمتي ما لم يعط إلا الأنبياء. كان الله تعالى إذا بعث نبياً قال له: ما جعل عليك في الدين من حرج. وقال لهذه الأمة. « وما جعل عليكم في الدين من حرج » وكان الله إذا بعث نبياً، جعله شهيداً على قومه، وجعل هذه الأمة شهداء على الناس. »	١٢٤
١٠١	قال ﷺ:	
	قال الله تعالى: « يا عيسى قل لبني اسرائيل ألا يمدوا أيديهم بالرغبة إليَّ حتى يبرأوا من أنجاس الذنوب. »	١٢٥
١٠٢	قال ﷺ:	
	« أعطيت أمتي من اليقين ما لم يعط أمة، وذلك قوله تعالى: « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم. »	١٢٦
١٠٣	قال ﷺ:	
	« ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة. »	١٢٦
١٠٤	قال ﷺ:	
	« والذي نفسي بيده إنها السبع المثاني، وإنها القرآن العظيم — يعني فاتحة الكتاب. »	١٢٧
١٠٥	قال ﷺ:	
	« إن نفع حذر من قدر فإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء. »	١٢٩

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٠٦	قال ﷺ: « لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه. »	١٣٠
١٠٧	قال ﷺ: « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله. »	١٣١
١٠٨	قال ﷺ لمن اعترض عليه عندما قبّل صبياً: « وما أملك إن كان الله نزع من قلبك الرحمة ؟ »	١٣٢
١٠٩	قال ﷺ: « ما نزعت الرحمة إلا من شقيّ. »	١٣٢
١١٠	الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء. »	١٣٣
١١١	قال ﷺ: « من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله هم آخرته. ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا، لم يبال الله في أي أوديتها وقع. »	١٣٤
١١٢	قال ﷺ: « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ». وفي رواية: « هي سجن المؤمن وسنته. »	١٣٥
١١٣	قال ﷺ: « من انقطع إلى الله كفاه الله مؤونته، ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها. »	١٣٦
١١٤	قال ﷺ: « إن لله ملائكة موكلين بأرزاق بني آدم، ثم قال لهم:	١٣٧

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	أيما عبد وجدتموه جعل الهم هماً واحداً فضمنوا رزقه السموات والأرض والطير وبني آدم. وأيما عبد وجدتموه طلبه فإن تحرى العدل فطيبوا له ويسروا، وإن تعدى إلى غير ذلك فخلوا بينه وبين ما يريد، ثم لا ينال فوق الدرجة التي كتبتها له. »	
١١٥	قال ﷺ:	
	« من اعتز بالعبيد، أذله الله. »	١٣٨
١١٦	قال ﷺ:	
	« لا يقص إلا أمير، أو مأمور، أو مرائي. وذلك لقوله تعالى: « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون. »	١٤١
١١٧	قال ﷺ:	
	« الشرك أخفى على أمتي من دبيب الذر على الصفا. »	١٤٢
١١٨	قال ﷺ لمعقل بن يسار: « قل: الله إني أعوذ بك أن أشرك بك فيما أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم. »	١٤٢
١١٩	قال ﷺ:	
	« قد كنت أكره لكم أن تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد. ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد. »	١٤٣
١٢٠	قال ﷺ:	
	« الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء. وأدناه أن يحب على شيء من الجور، أو يبغض على شيء من العدل. وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله. قال الله تعالى: « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله. »	١٤٧

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٢١	قال ﷺ: « إنما يسلط على ابن آدم من خافه ابن آدم. ولو أن ابن آدم لم يخف غير الله لم يسلط الله عليه غيره. وإنما وكل ابن آدم إلى من رجاه ابن آدم. ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله، لم يكله الله إلى غيره. »	١٤٧
١٢٢	قال ﷺ لأبي بكر: « لكي يذهب عنك الشرك صغيره وكبيره تقول كل يوم ثلاث مرات: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم. »	١٤٩
١٢٣	قال ﷺ: « إياكم واللو فإن اللو يفتح عمل الشيطان ». وقال رجل: « يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. »	١٥٠
١٢٤	قال ﷺ: « أمر أتخوفه على أمتي من بعدي. قلت: ما هو ؟ قال: الشرك والشهوة الخفية. قلت: يا رسول الله، وتشرك أمتك من بعدك ؟ قال: يا شداد أما إنهما لا يعبدون شمساً ولا حجراً ولا وثناً ولكنهم يراءون بأعمالهم. قلت: يا رسول الله، والرياء شرك هو ؟ قال: نعم. قلت: فما الشهوة الخفية ؟ قال: يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهوات الدنيا فيفطر. »	١٥١
١٢٥	قال ﷺ: « عندما رأى قومه يتحدثون عن فتنة المسيح	١٥٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	الدجال: ألا أخبركم بأعظم فتنة من الدجال ؟ رجل يعمل لمكان رجل. »	
١٢٦	قال ﷺ:	
	« السلطان ظل الله يأوي إليه كل مظلوم من عباده. فإذا عدل كان له الأجر، وعلى الرعية الشكر. وإذا جار كان عليه الأجر، وعلى الرعية الصبر. وإذا جارت الولاة قحطت السماء. وإذا منعت الزكاة هلكت المواشي، وإذا ظهر الزنا، ظهر الفقر والمسكنة، وإذا خفرت الذمة أديل الكفار.	١٥٣
١٢٧	قال ﷺ:	
	« ليتداعى عليكم الأمم كما يتداعى الأكلة إلى قصعتها. قيل: يا رسول الله، ومن قلة بنا يومئذ ؟ قال: لا، بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من صدور عدوكم منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن. فقيل: يا رسول الله، وما الوهن ؟ قال: حب الدنيا وكراهة الموت. »	١٥٦
١٢٨	قال ﷺ:	
	« عند سجوده: سجد لك سوادي وخيالي، وآمن بك فؤادي، أبوء بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي. هذا ما جنيت على نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنب العظيم إلا أنت. وكان يقول: سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته. »	١٥٧

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٢٩	قال ﷺ عند سجوده أيضاً: « اللهم اكتب لي بها عندك أجراً وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، واقبلها مني كما قبلت من عبدك داود عليه السلام. »	١٥٨
١٣٠	قال ﷺ: « هذه الأمة تبتلى في قبورها. »	١٦٠
١٣١	قال ﷺ: « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقاه الله فتنة القبر. »	١٦١
١٣٢	قال ﷺ: « من مات مرابطاً في سبيل الله أجير من فتنة القبر، وجزي على صالح عمله الذي كان يعمله إلى يوم القيامة. »	١٦٢
١٣٣	قال ﷺ عند دفن الموتى: « اللهم أجره من الشيطان، ومن عذاب القبر، ومن عذاب النار. »	١٦٣
١٣٤	« بكى رسول الله ﷺ عندما دفن ابنه ابراهيم. فقال له أبو بكر: أتبكي يا رسول الله وأنت تنهى عن البكاء. فقال: يا أبا بكر تدمع العين، ويوجع القلب، ولا نقول ما يسخط الرب. ثم قال: أما من أحد يأتينا بماء نطهر به قبر إبراهيم، فأتى بماء، فأمر به فرش على القبر ثم قال: ختمت عليك بالله من الشيطان الرجيم. »	١٦٣
١٣٥	قال رسول الله ﷺ: « لن يؤمن عبد حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به. »	١٦٤

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٣٦	قال ﷺ: « لا يعجبنكم إسلام رجل حتى تعلموا ما عقدة عقله. »	١٦٦
١٣٧	قال ﷺ: « ثلاثة تحت العرش، القرآن له ظهر وبطن، يحاج العباد. والرحم تنادي: صل من وصلني، واقطع من قطعني. والأمانة. »	١٦٨
١٣٨	قال ﷺ عن وصية نوح عليه السلام أنه كان يقول: « سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والذي نفس نوح بيده لو أن السموات والأرضين وما فيهن وما تحتهن وزن بهؤلاء الكلمات لوزنتهن. »	١٦٩
١٣٩	قال رسول الله ﷺ: « يا عائشة أحسني مجاورة نعم الله، فقل ما نفرت عن قوم فكادت ترجع إليهم. »	١٧٤
١٤٠	قال ﷺ: « إذا طنت أذن أحدكم فليصل على النبي عليه السلام ويقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، ذكر الله من ذكرنا. »	١٧٥
١٤١	قال ﷺ: « حياتي خير لكم وموتي خير لكم. »	١٧٦
١٤٢	قال رسول الله ﷺ: « ألا إني لكم بمكان صدق حياتي وإذا مت... فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، إذا مت ؟ قال: لا أزال أنادي في قبري: رب أمتي أمتي. حتى ينفخ في الصور النفخة	١٧٧

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	الأولى، ثم لا تزال دعوتهم لي مجابة حتى ينفخ في الصور النفخة الثانية. »	
١٤٣	قال ﷺ:	
	« العطاس من الله. »	١٧٧
١٤٤	قال ﷺ:	
	« من حدث بحديث فعطس عنده فهو حق. »	١٧٨
١٤٥	قال ﷺ:	
	« الدنيا ملعونة، ملعون من فيها إلا من ذكر الله أو معلم أو متعلم. »	١٧٩
١٤٦	قال ﷺ:	
	« تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فما أقبل عبد بقلبه على الله إلا أقبل الله تعالى بقلوب المؤمنين تفد إليه بالود والرحمة. وكان الله بكل خير أسرع. »	١٨٢
١٤٧	قال ﷺ:	
	« كل حرف ذكره الله في القرآن عن القنوت فهو الطاعة. »	١٨٨
١٤٨	قال ﷺ:	
	« لا حليم إلا ذو عسرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة. »	١٩٢
١٤٩	قال ﷺ:	
	« ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس، وليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان، إنما المسكين الذي قعد في بيته وقنع. »	١٩٣

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٥٠	قال ﷺ في قوله تعالى: « وألزمهم كلمة التقوى »، قال: لا إله إلا الله.	١٩٥
١٥١	قال ﷺ: « قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة. »	١٩٨
١٥٢	قال ﷺ: « اقبلوا البشرى يا بني تميم ». قالوا: قد بشرتنا فأعطنا. قال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن. قالوا: قد بشرتنا فأخبرنا. قال: كان الله ولا شيء، ثم خلق العرش فجعله على الماء، وكتب في الذكر كل شيء. »	١٩٨
١٥٣	قال ﷺ: «إن الله خلق الخلق في ظلمة، ثم رش عليهم من نوره. فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل. »	١٩٩
١٥٤	قال ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: « خلق آدم فضرب بيمينه على كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاً كالفضة، ومن اليسرى سوداً كالحممة، ثم قال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي. »	٢٠١
١٥٥	قال ﷺ: « إن الله خلق آدم وأخذ الخلق من ظهره، فقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي. فقال رجل: يا رسول الله، فعلى ماذا إذاً نعمل ؟ قال: على مواقع القدر. »	٢٠٢
١٥٦	قال رسول الله ﷺ:	

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	« إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة نطفة، ثم علقة مثل ذلك، ثم مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك بأربع كلمات، فيقول له: اكتب أجله، وعمله، ورزقه، وشقي أو سعيد. وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيغلب عليه كتاب الذي سبق، فيختم له بعمل أهل النار، فيدخله الله النار. وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيغلب عليه كتابه الذي سبق، فيختم له بعمل أهل الجنة، فيدخله الله الجنة. »	٢٠٣
١٥٧	قال ﷺ: « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والسرف لدينه. »	
١٥٨	قال رسول الله ﷺ: « إذا أتيتم الصلاة فأتوها بالسكينة والوقار، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فاقضوا ». وقال: « التأني من الله والعجلة من الشيطان. »	٢١٣
١٥٩	قال ﷺ: « حبك الشيء يعمي ويصم. »	٢١٦
١٦٠	قال رسول الله ﷺ: « يا عمر، ما أتاك الله من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف نفس فخذه، فإنما هو رزق ساقه الله إليك. »	٢١٨
١٦١	قال ﷺ: « الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله. المطعون شهيد،	٢٢٠

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	والمبطون شهيد. وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد. والمرأة تموت بجمع شهيد. »	
١٦٢	قال رسول الله ﷺ:	
	قال موسى عليه السلام: « يا رب دلني على عمل أعمله. قال: يا موسى، قل: « لا إله إلا الله ». قال: يا رب دلني على عمل أعمله. قال يا موسى، قل: « لا إله إلا الله ». قال: يا رب دلني على عمل. قال: فأراد نبي الله أن يعمل عملاً ينهك منه بدنه. فقال: يا موسى إن السموات والأرضين، ومن فيهما من الخلق لو وضعت في كفة، ووضعت « لا إله إلا الله » في كفة، لرجحت بهن. »	٢٢٢
١٦٣	قال رسول الله ﷺ:	
	« موت الغرباء شهادة. »	٢٢٩
١٦٤	قال ﷺ:	
	« أعوذ بك من حب العيش عند حضرة الموت. »	٢٣٠
١٦٥	قال ﷺ:	
	« ليس كل قتيل شهيداً. رب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته. »	٢٣١
١٦٦	قال ﷺ:	
	« لله أضنن بدم عبده المؤمن من أحدكم بكريمة ماله حتى يقبضه على فرشه. »	١٣٣
١٦٧	قال ﷺ:	
	« إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم. وإن أشد الناس بلاء الأنبياء. »	٢٣٣

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٦٨	قال ﷺ: « إن لله ضنائن من خلقه، تغذوهم رحمته، محياهم في عافية ومماتهم إذا توفاهم الله إلى جنته. أولئك الذين تمر عليهم الفتن كمثل قطع الليل المظلم، وهم منها في عافية. »	٢٣٤
١٦٩	قال رسول الله ﷺ: « ليس من اللهو إلا ثلاثة: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته امرأته، ورميه بقوسه ونبله. »	٢٣٥
١٧٠	قال رسول الله ﷺ: « كل لهو المؤمن باطل إلا ثلاثاً، فإنهن حق: رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته امرأته. »	٢٣٥

٣ ــ فهرس الأعلام الخاصة بالجزء الرابع

حرف الألف

إبراهيم التيمي : ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠.

أبي بن كعب : ٧٣، ٧٤، ١٢٧، ١٩٥، ٢٠٠، ٢١٥، ٢١٧.

أحمد بن حنبل : ٧، ١٤، ١٥، ٢٣، ٢٥، ٤٨، ٦٤، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ٨٣، ٨٧، ٩٢، ٩٥، ١٠٩، ١١٠، ١١٣، ١١٥، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٤٠، ١٤٢، ١٥٠، ١٥١، ١٥٦، ١٦١، ١٨٨، ١٩٣، ١٩٩، ٢٠٣، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥.

آدم عليه السلام : ٣١، ٣٤، ١٠٢، ١٠٤، ١٦٩، ٢٧٠، ١٧٧، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧.

أسامة بن زيد : ١١، ١٦، ١٨، ٢٤، ٥٥، ٦٤، ٧٣، ٨٦.

أسماء بنت عميس : ١٨٧، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٨٦، ٢١٨.

أسماء بنت يزيد : ٨٠، ٨٦، ٩٣، ١٠٣، ١١٦، ١١٩، ١٣٧.

الأسود بن هلال : ٢٠٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٣٦.

الأسود بن يزيد : ١٣٤، ١٥٦، ١٧٢، ١٨٤، ١٩٤، ٢٠٥، ٢١٧.

الأعمش : ٣٠، ٧٨، ١٠٩، ٢٣٣.

أنس بن مالك : ١٨، ٣١، ٤٢، ٤٨، ٦٨، ٧٤، ٧٦، ٨٣، ٨٧، ٩٢، ١٠١، ١١٢، ١٧٦.

الأوزاعي : ١٢١.

حرف الثاء

ثوبان مولى رسول الله : ١٣٠، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٣، ١٧٨، ١٩٠، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٢٣.

حرف الجيم

جابر بن عبدالله : ٣٦، ٩٣، ٩٤، ١٦٠، ١٧٩، ١٩٠، ٢٠٠.

جابر بن عتيك : ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٤٤.

جامع بن شداد : ٩، ٢٧، ٥٢، ٦٣، ٧٧، ٨٢، ٩٦.

جبير بن مطعم : ١١٧، ١١٩، ١٤٧، ١٥٣، ١٦١، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٩.

جبير بن نضير : ١٥، ٥٦، ٦٣، ٧٢، ٨٤، ٩٦، ١١٢.

جريج الراهب : ٧، ١٤٢، ١٦٧، ١٧٢، ١٨٠، ١٨٩، ١٩٣.

جرير بن عبدالله : ١٣١، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٧، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٧.

جعفر بن برقان : ٨٣، ٩٥، ١٠١، ١٠٦، ١١٧، ١٢٣، ١٢٨، ١٣٠.

جعفر بن عبد الرحمن : ٧، ١٣، ٢٦، ٣٣، ٤٧، ٥٦، ٦٣، ٦٨، ٧٢.

جعفر بن محمد : ٨٨، ٩٦، ١١٣، ١٢٦، ١٣١، ١٣٥، ١٤١، ١٤٨.

حرف الحاء

الحارث بن سويد: ٩، ١٨، ٣٢، ٣٤، ٤٦، ٥٢، ٦٧، ٩٣، ٢٣٣.

الحارث بن هشام : ٩، ٤٩، ٦٣، ٨٤، ١١٥، ١١٨، ١٢١، ١٢٦.

حبيب بن صالح : ٦٨، ٧٧، ٨٥، ٩١، ٩٤، ١١٥، ١١٧، ١٢١.

حذيفة بن اليمان : ١٤٣، ١٥٦، ١٧٧، ١٨٤، ١٩١، ١٩٤، ١٩٥.

الحسن البصري : ١، ٥، ٢٢، ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٨.

الحسن بن سفيان : ٨، ٢٧، ٥، ٥٦، ٧٣، ٨٦، ٩٤.

الحسين بن علي : ١٥٢، ١٥٣، ١٥٩، ١٦١، ١٦٣، ١٧٧، ١٨١، ١٩٣.

حماد بن سلمة : ٤٦، ٥٨، ٦١، ٦٧، ٧٠، ٧٦، ٨٢، ٩٥، ٩٨.

حماد بن عبد الرحمن : ١٦٣، ١٧٠، ١٨٤، ١٩٠.

حوشب الفهري : ٨، ١٥، ٢٧، ٥٣، ٦٠، ٧٣، ٨٤، ٩٦، ١٠٠.

حرف الخاء

خالد بن أبي عمران : ٢٣، ٤٦، ٤٢، ٥٧، ٦١، ٦٧، ٧١، ٧٥.

خالد الربعي : ١٢٥، ١٤٨، ١٦٢، ١٧٠، ١٧٢، ١٨٠، ١٨٤، ١٩٥.

حرف الراء

الربيع بن خيثم : ٣٢، ٨٦، ٩٢، ٩٤، ١١٦، ١١٩، ١٢٠، ١٣٢، ١٤٨، ١٨٣، ٢٠٠.

حرف الزاي

زكريا بن زائدة : ٥٥، ٨٦، ٩٣، ١٠٨، ١١٤، ١٣٥، ١٤٢، ١٨٦.

الزهري : ٣٠، ٤٥، ٥٩، ٨٠، ١٣٢، ١٦٤، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٥.

زهير بن حرب : ٨٧، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٢.

زيد بن أسلم : ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٩.

زيد بن ثابت : ١١٧، ١٦٠، ١٧١، ١٨٣، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠١، ٢١٠، ٢١٦، ٢٢١.

حرف السين

سعد بن زرارة : ٢١٢، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٧.

سعيد بن جبير : ٩٠، ١٢٨، ١٣٩، ١٤٢، ١٦٩، ١٧٢، ١٨٥.

سعيد بن مسعود الكندي : ٥، ٢٠، ٣٧، ٤٢.

سعيد بن المسيب : ٨، ١٣، ٥٩، ١٣٨، ١٦٢، ١٨٤، ١٩٠، ٢١٠، ٢١٥.

سفيان الثوري: ١٦٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٩٠، ١٩٢، ٢٠٠، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٨.

سلمة بن صفوان : ٤٥، ٨٦، ٩٣، ٩٦، ١١٧.

سليمان بن بلال : ٣٥، ٩٦، ١٠٤، ١٠٨، ١١٢، ١١٨، ١٢٤.

سليمان الفارسي : ١٦٢، ١٧٨، ١٨٤، ١٨٩، ١٩٧.

سهل بن سعد : ٣، ١٠٠، ٢١٣، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣٢.

حرف الشين

شداد بن أوس : ١١٠، ١٥١، ١٦٢، ١٧٠، ١٧٤، ١٨٢.

شريك بن عبدالله : ٣٥، ٧٨، ٩٦، ٩٨، ١٠٢، ١٠٩، ١١٤.

شعيب بن عبدالله : ٤٦، ٤٧، ٦٤، ٨٢، ٨٦، ٩٤، ٩٦.

شهر بن حوشب : ٨٠، ١٢٩، ١٣١، ١٣٣، ١٤٧، ١٥١.

حرف الطاء

طعمة بن عمرو : ٤٢، ٨٦، ٩٢، ٩٦، ١٠٥، ١٠٧، ١١١.

حرف العين

عائشة أم المؤمنين : ١١، ١٣، ٢٣، ٣٣، ٦٦، ١١٢، ١٣٢، ١٤٧، ١٥٧، ١٥٨، ١٧٤، ١٨٢، ١٨٦، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥.

عامر بن كريز : ٩٥، ١١٥، ١١٨، ١٣٤، ١٤٨، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٥.

عبد الرحمن بن عوف : ٦٤، ١٦٨.

عبد الرحمن بن قتادة السلمي : ٢٠٢.

عبدالله بن الأعرج : ١٥٧، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٧٢، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٩.

عبدالله بن أكيمة : ١١٩، ١٤٣، ١٥١، ١٦٠.

عبدالله بن بريدة : ٧٣، ٨٢، ٩٤، ١١٦، ١٢٨.

عبدالله بن راشد : ٣٩، ٤١، ٥٧، ٦١، ٦٧، ٧٢.

عبدالله بن الزبير : ١١٨، ١٣٩، ١٨٧، ١٩٢، ٢١٦.

عبدالله بن عباس : ٢٦، ٣٦، ٣٧، ٥٨، ٥٩، ٨٠، ٨٧، ١٢٨، ١٤٠، ١٤٢، ١٥٨، ١٩٠، ٢٠٩، ٢٢٩.

عبدالله بن عمر : ٧١، ٧٣، ٩٠، ١١٨، ١٣٢، ١٣٣، ١٥٣، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٦٤، ١٦٦، ١٩٨، ٢١٢، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٤.

عبدالله بن عمرو : ١٩٩.

عبدالله بن مسعود : ٢٢، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٣٤، ١٥٧، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٣٢.

عبدالله بن معاوية الجمحي: ١٢٦، ١٢٨، ١٤٥، ١٥٧، ١٦٣، ١٦٥.

عبد الملك بن قدامة : ٩، ١٨، ٢٧، ٣٢، ٤٨، ٥٦، ٦١، ٦٣.

عثمان بن أبي العاص : ٢٩، ٣١، ٣٣، ٤٥، ٤٦، ٥١، ٥٤، ٦٦، ٦٧، ٧٤، ٧٨، ٧٩، ٨٢، ٩٣.

عثمان بن عفان : ٨، ٣٩، ٤١، ٥٥، ٦١، ٦٧، ٧٣، ٨٢.

عروة بن الزبير : ١١٢، ١١٦، ١٤٠، ١٥١، ١٦٢، ١٧٣.

عطاء بن يسار : ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩.

عقبة بن عامر الجهني : ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩.

علقمة بن عبدالله : ٢٠٦، ٢١٣، ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٤٧، ٢٥٠.

علي بن أبي طالب : ٧٧، ١٢٥، ١٥٧، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠٠، ٢١٦، ٢٢٢.

علي بن الحسين : ١٤، ١٦، ٥٨، ٧٦، ٨٤، ٩٣.

عمران بن حصين : ١٤، ١٣٦، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢١٠.

عمر بن الخطاب : ٥، ١١، ١٣، ٢٧، ١٣٨، ١٥٦، ١٧٧، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٨.
عمرو بن دينار : ١٣٣، ١٣٦، ١٤٨، ١٥٤، ١٦١، ١٦٦، ١٧٧، ١٨٢.
عمرو بن شعيب : ١٤٠، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٢.

حرف الفاء

فاطمة بنت محمد : ١١، ٤٧، ٩٣، ١١٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٥، ١٤٨، ١٥٢.
فاطمة المخزومية : ١٠، ١١، ١٦، ٤٨، ٦٣، ٧٤، ٨٦.
فرقد السنجي : ٩٩، ١١٢، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٩، ١٤٠.

حرف الكاف

كعب بن مالك : ٢١٢، ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٣٠.

حرف الميم

مروان بن الحكم : ٣٩، ٤٢، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٣، ٦٩، ٧٢، ٨٠، ٨٦، ٥٩، ٩٠.
معاذ بن أنس : ١٦٩، ١٧٢، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٢، ١٩٤، ٢٠٢.
معاذ بن جبل : ١٥، ١٠٦، ١١٣، ١٢٩، ١٥٤، ١٦٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٨٢، ١٩٠، ١٩٩.
معقل بن يسار : ١٤٢، ١٥٥، ١٦٢، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠٦.

حرف النون

النعمان بن بشير : ١٦، ٥٥، ٦٢، ٦٣، ٦٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٥، ٩٦، ١٠٠، ١١٥.

حرف الهاء

هشام بن حسان : ١٢٦، ١٤٨، ١٦٢، ١٧٥، ١٨٠.
هشام بن يسار الجهني : ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١١، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٤، ١٣٦.

حرف الواو

واثلة بن الأسقع : ٨٣، ٨٤، ٩٦، ١١٠، ١١٦، ١١٨، ١٢٤، ١٥٢.
الوليد بن عبد الرحمن : ١٥، ٣٨، ٥٢، ٦٧، ٦٩، ٧٢، ٨٦، ٩٤.
وهب بن أبان : ١٤٧، ١٤٩، ١٦٠، ١٨٦، ١٩٠.
وهب بن منبه : ١٩، ٣١، ٤٢، ٩٤، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤.

حرف الياء

يحيى بن أبي بكر : ٦٦.
يحيى بن أبي كثير : ٣١، ٤٨، ٥٢، ٦٢، ٦٤، ٧٢، ٧٣.
يحيى بن سليم : ٨٠، ٨٣، ٨٦، ٩٤، ٩٦، ٩٨، ١١٥، ١٢٤، ١٣٦، ١٤٠.
يحيى بن يعمر : ٧٣، ٨٠، ٩٥، ٩٩، ١٠٣، ١١١، ١١٣.
يوسف بن أبي بردة : ٦٦، ٧٨، ٩٠، ٩٣، ٩٦، ٩٧، ١١٠، ١١٥، ١١٨، ١٢٠، ١٢٤، ١٣٦.
يونس بن خباب : ٨٨، ٩١، ٩٣، ٩٥، ١١٧، ١١٩، ١٢٢، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٥.

الكنى

أبو إدريس الخولاني : ٦٤، ٩٠، ١١٣، ١٢٠، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٨، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٠.
أبو الأشعث الصنعاني : ١١٠، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٤، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٧.
أبو أمامة : ١٤، ٢٣، ٢٧، ٣٣، ٣٨، ٤٢، ٤٦.
أبو بكر الصديق : ٥، ٦٨، ١٥٣، ٢٠٦، ٢٠٨.
أبو ثعلبة الخشني: ٣٠.
أبو الدرداء : ٣٦، ٨٣، ٨٤، ١٠٦، ١٦٦، ١٨٢، ٢٠١، ٢١٦.
أبو ذر الغفاري : ٨٥، ٩٠.
أبو رافع : ١٧٥.
أبو الزناد : ١٩٣.
أبو سعيد الخدري : ١، ٤٧، ٤٨، ٨٣، ١٣١، ١٦٠، ١٨٨، ١٩٢.

أبو العلاء : ١٤.
أبو قلابة : ٩.
أبو كبشة الأنصاري : ٨٩.
أبو مالك الأشعري : ٨٢، ٨٣.
أبو مسلم الخولاني : ٨٣.
أبو معبد بن حبان : ٩٧.
أبو المليح : ٢٩.
أبو موسى الأشعري : ٣٣، ٨٤، ١٠٨، ١٠٩، ١٤٢.

أبو نضرة : ١٦٠.
أبو هارون العبدي : ٤٧.
أبو هريرة : ٦، ٧، ٩، ٢٤، ٣٥، ٤٢، ٤٣، ٥٠، ٥٨، ٥٩، ٦٤، ٧٠، ٧٨، ٩٥، ١٠٦، ١١٥، ١١٩، ١٢١، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٧، ١٥٠، ١٥٣، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٦، ١٩٣.

٤ ــ فهرس الأعلام الخاصة بالأجزاء الأربعة

حرف الألف

ابراهيم بن اسحاق : (٣) ١٧٧، ١٩١، ١٩٦، ٢٠٠.

ابراهيم التيمي : (٤) ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠.

أبي بن كعب : (١) ٥٢، ٥٥، ٧٠، ٧٣، ٨٥، ٩١، ٩٦، ١٠٠، ١٢٠، ١٥٧، ١٨٣، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢١٧.

(٢) ٥٣، ٥٤، ٧٦، ٧٧، ٨٣، ٩٤، ٩٦، ١٠٢، ١١٦، ١٢٧، ١٣٣، ١٣٤.

(٣) ٢٢٩، ٢٤١، ٢٥٦، ٢٦٥، ٢٧٧.

(٤) ٧٣، ٧٤، ١٢٧، ١٩٥، ٢٠٠، ٢١٥، ٢١٧.

أحمد بن حنبل : (١) ٧١، ٧٤، ٩٠، ٩٢، ٩٧، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٩، ١١٥، ١١٨، ١٢٢، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٥، ١٥٣، ١٥٨، ١٦٨، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٦، ٢٠٧، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٤٥، ٢٥٩، ٢٦٣، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٤٦، ٣٧٢، ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٩٠، ٤٠٠.

(٢) ٥، ٩، ١٣، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٨، ٣١، ٣٥، ٣٧، ٤١، ٤٣، ٥٠، ٥٣، ٥٨، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٧٢، ٧٥، ٩٥، ٩٧، ٩٩، ١٠٣، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٧، ١٢٤، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٥، ١٤٣، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٣، ١٥٩، ١٧٢، ١٨١، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٧٢، ١٧٩، ١٨١، ١٨٥، ١٨٨، ١٩١، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٧٥، ٢٧٩، ٣٠٦،

٣٠٨، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٦، ٣٢٢،
٣٢٣، ٣٢٥، ٣٣٣، ٣٥٢.
(٣) ٥، ١٠، ١٧، ٣٦، ٤٤، ٥٧،
٥٩، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٨١، ٨٤،
٩٠، ٩٢، ١٠٨، ١٠٩، ١١٣،
١١٨، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧،
١٣٠، ١٣١، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧،
١٣٨، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٦،
١٥٩، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٠،
١٨١، ١٨٨، ١٩٢، ١٩٤، ٢٠٠،
٢١٨، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٤٢، ٢٤٥،
٢٥٠، ٢٦٩.
(٤) ٧، ١٤، ١٥، ٢٣، ٢٥، ٤٨،
٦٤، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ٨٣، ٨٧، ٩٢،
٩٥، ١٠٩، ١١٠، ١١٣، ١١٥،
١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٢٦،
١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٤٠،
١٤٢، ١٥٠، ١٥١، ١٥٦، ١٦١،
١٨٨، ١٩٣، ١٩٩، ٢٠٣، ٢١٦،
٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥.
آدم عليه السلام : (١) ٦٠، ٦٤، ٧٠،
٦١، ٧٦، ٨٢، ٩٥، ٩٩، ١٠٥،
١١٦، ١٢٢، ١٣٥، ١٤٧، ١٥٦،
١٦٢، ١٦٩، ١٧٠، ١٩٦، ٢١٧،
٣١٨، ٣٥٤، ٣٦٦، ٣٧٢، ٣٨٥،
٣٩٠، ٣٩٢، ٤٠٠، ٤٠٥، ٤٠٦.
(٢) ٨، ٩، ٤٨، ٥٧، ٦٧، ٧٢،
٧٨، ٩٧، ١٠١، ١٠٣، ١١٣،
١٢٤، ١٣٦، ١٤٢، ١٤٣، ١٧٢،
٢٠٢، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٥٦.
(٣) ١١١، ١٢٣، ١٢٤، ١٥٤،
١٩٣، ١٩٦، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٣،
٢٦٥، ٢٦٨، ٢٧١.
(٤) ٣١، ٣٤، ١٠٢، ١٠٤، ١٦٩،
١٧٠، ١٧٧، ٢٢٢.
أسامة بن زيد : (١) ٧٢، ٧٥، ٩٣،
١١٤، ١٢٧، ١٤٨، ١٥٦، ١٦٢،
١٦٣، ١٧٤، ١٩٩، ٢١٦، ٢٧٨،
٣٠٠، ٣٠٦، ٣١٧، ٣٣٥، ٣٤٢،
٣٨٧، ٣٩٦.
(٤) ١١، ١٦، ١٨، ٢٤، ٥٥، ٦٤،
٧٣، ٨٦.
أسماء بنت أبي بكر : (١) ٩٣، ١١٤،
١٣٢، ١٩٧، ٢١٦، ٢٢٨، ٢٥٤،
٢٥٧، ٢٧٢، ٢٨٣، ٢٩٥، ٣٠٠،
٣٠١.
(٢) ١٦، ٢٧، ٤١، ٥٣، ٦٧، ٧٢،
٨٣، ٨٦، ١٠١، ١٠٣، ١١٥،
١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٤٠، ١٥١،
١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٧،
١٧٠، ١٧٥، ١٨٤.
(٣) ١٠، ١٢، ١٣، ٧٦، ٨٣، ٩١،
١٠٥، ١١٦، ١١٨، ١٢٣، ١٢٦،
١٢٧، ١٣١.
أسماء بنت عميس : (١) ٧٢، ٨٤،
١١٦، ١١٧، ١٣٧، ١٤٢، ١٨٦،
١٩١، ٢٠١، ٢١٥، ٢١٩، ٢٥١.
(٣) ٣٦، ٣٧، ٦١، ٦٤، ٧٢، ٨٤،

٩٦، ٩٧، ١٠٠، ١٠٦.
(٤) ١٨٧، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٥، ٢١٦، ٢١٨.
أسماء بنت يزيد: (١) ٩٥، ١١٦، ١٢١، ١٣٣، ١٩٥، ٢٢٧، ٢٤١، ٢٥١، ٢٦٢، ٢٧٣، ٢٨٦، ٢٩٤.
(٢) ٣٥، ٤٨، ٨٦، ٩٤، ٩٦، ٩٩، ١٠٠، ١١٥، ١١٦، ١١٩، ١٢١.
(٤) ٨٠، ٨٦، ٩٣، ١٠٣، ١١٦، ١١٩، ١٣٧.
الأسود بن هلال: (١) ٨١، ١١٦، ١١٨، ١٤٧، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢٧، ٢٤٩، ٢٦١، ٢٧٢، ٢٨٤.
(٤) ٢٠٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٣٦.
الأسود بن يزيد: (١) ٧٩، ١٠٢، ١١٥، ١٤٨، ١٦٥، ٢٠٢، ٢١٧، ٢٨٤، ٣٠٠، ٣٤٥.
(٢) ٩٧، ١١٤، ١١٦، ١٣٢، ١٣٨، ١٤٢، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٥، ١٧٨، ١٨٩، ٣٠٥.
(٤) ١٣٤، ١٥٦، ١٧٢، ١٨٤، ١٩٤، ٢٠٥، ٢١٧.
الأشعري: (١) ٩٧، ١١٥، ١٧٢، ١٩٤، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٥٦، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٨١، ٣١٠.
(٢) ٩٦، ١١٣، ١١٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٥٦، ١٩٦، ٢٠٤، ٢١٦، ٢١٨، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٦٣، ٢٨٧.
أسيد بن صفوان: (١) ٧٢، ٨٣، ٩٦، ٩٧، ١١٣، ١١٤، ١١٧، ١٥١، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٣.
(٣) ٢٤٢، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٣.
الأعمش: (١) ٢٥٢، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣١٢، ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٤٨، ٣٦١، ٣٧٤، ٣٨٧، ٣٨٠.
(٤) ٣٠، ٧٨، ١٠٩، ٢٣٣.
أنس بن مالك: (١) ٧١، ٨٣، ٨٦، ٩٢، ٩٤، ٩٨، ١١٢، ١١٤، ١١٦، ١٣١، ١٤٢، ١٤٨، ١٩٦، ١٩٨، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٣٤، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٧٢، ٢٨٨، ٢٩٤.
(٤) ١٨، ٣١، ٤٢، ٤٨، ٦٨، ٧٤، ٧٦، ٨٣، ٨٧، ٩٢، ١٠١، ١١٢، ١٧٦.
الأوزاعي: (١) ١١٥، ١٢٦، ١٣٤، ١٤٣، ١٥٦، ١٦٢، ١٧٤، ١٨٦، ٣٠٤، ٣٢٧، ٣٦٢، ٣٨٠، ٣٩٣، ٤٠٠.
(٢) ٥، ٣٦، ٤٧، ٥٨، ٦٤، ٧٧، ٨٨، ٩٣، ٩٤، ١١٥، ١١٧، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ٣٢٩.
أويس القرني: (١) ٧٨، ٨٣، ٩٧، ١٢٧، ١٣٩، ١٤٤، ١٥٣، ٢٠٧،

٢١٠، ٢١٧، ٢٤١، ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٧٤.
(٢) ٩٢، ١١٢، ١٢٢، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٢، ١٥٥، ١٥٧، ١٦١، ١٦٨، ١٨٤، ١٩٥.

حرف الباء

بريدة (الصحابي) : (١) ٧٢، ٨٤، ٩٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٥٧، ١٦٣، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣١٨، ٣٥٦، ٣٨٧.
(٢) ١٦، ٩٧، ١١٣، ١٤٤، ١٥٦، ١٧٢، ١٨٣، ١٨٧، ٢٠٠، ٢١٥، ٢٢٥، ٢٣٦، ٢٤٧، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧٣.
(٣) ٢٨، ٦٣، ٧٦، ٩١، ١٠٥، ١٠٦.

بشر بن الخصاصية : (١) ١٢٣، ١٣١، ٢١٦، ٣٢٤، ٣٩٦، ٤٠٢، ٢١٦، ١٤٤.
(٣) ٧، ١٦، ٢٤، ٢٩، ٦٢.

بلال مؤذن الرسول : (١) ٨٥، ٨٦، ٩٤، ٩٦، ١١٥، ١٢٦، ١٣٢، ١٣٥، ١٤٧، ١٥٣، ٢٠٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٩٤،
(٢) ٧٠، ٧١، ٧٢، ٨٤، ٩١، ٩٥، ٩٧، ١١٤، ١١٧، ١٢١، ١٢٤، ١٣٦، ١٤٢، ١٥٧، ١٦١.
(٣) ٧٠، ٧١، ٧٢، ٨٤، ٨٦، ٩٣.

بلال بن يحيى : (١) ٩٦، ٩٧، ١١١، ١١٤، ١١٨، ١٢٥، ١٢٨، ١٤٨، ١٥٦، ١٧٢، ١٧٤، ٢٠٢، ٢١٣، ٢٢٦، ٢٤٨، ٢٦١، ٢٨٠، ٢٩٤، ٣٠٠.
(٢) ٩٧، ١٠٣، ١١٤، ١١٦، ١٢٢، ١٢٧، ١٢٩، ١٣١، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٢، ١٥٥، ١٦٣، ١٧٧، ١٨١، ١٨٥، ٣٣٨.
(٣) ٩٢، ٩٨، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٣٧، ١٤٨، ٣٣٨.

بهز بن حكيم : (١) ٢١٧، ٢٥٤، ٢٨٦، ٢٩١، ٣٠٠، ٢٠٣، ٣٠٨، ٣٢٤، ٣٣٩، ٣٥١، ٣٥٨، ٣٦٣، ٣٧٤، ٣٨١، ٣٩٤، ٤٠٠.
(٢) ٤٨، ٦٦، ٩٥، ١٠٩، ١١١، ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٧، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٧، ١٦٣، ١٧٢، ١٧٥، ١٨٣، ١٨٦، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢٢٦، ٢٣٩، ٢٥٣.
(٣) ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٢، ٥٦، ٥٩، ٦٤، ٦٧، ٧٩، ٢٥٣.

حرف الثاء

ثابت البناني : (١) ٧٦، ٨٢، ٨٦، ٩٤، ١٠٦، ١١٢، ١٢٧، ١٣٩، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١٧، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٦١، ٢٧٤، ٢٨٦، ٣٠١، ٣١٦، ٣٢٤، ٢٤٢، ٣٥٠.
(٢) ٨٨، ٨٩، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٩، ١١٣، ١١٧، ١٢٧، ١٦٣، ١٧٢، ١٧٦، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢١.
(٣) ٦٦، ٧٢، ٨٨، ١٤٣، ٣٢٤.
(٤) ١٣٠، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٣، ١٧٨، ١٩٠، ١٩٦، ٢٠٠.

ثعلبة الخشني : (١) ٢١٤، ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٨٢، ٢٩١، ٣٠٤، ٣١٦، ٣٣٨، ٢٤٧، ٣٥٦، ٣٦٤، ٣٨٠، ٣٩١.
(٢) ٣، ١٧، ٢٦، ٤٨، ٥٧، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ١١٥، ١١٧، ١١٩، ١٢١، ١٧٤، ١٩٥.
(٣) ٥، ١٦، ١٨، ٧٣، ٨٤.

ثوبان مولى الرسول: (١) ٩٠، ٩٣، ١١٧، ١١٩، ٢٠٢، ٢١١، ٢١٣، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٨٤، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣١٣، ٣١٥، ٣٢٨.
(٢) ٩٨، ١٢٦، ١٣٧، ٢١٥، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٩١، ٣٠٢.
(٣) ٢١٠، ٢٣٣، ٢٤٧، ٢٥٦.
(٤) ١٣٠، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٣، ١٧٨، ١٩٠، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٢٣.

حرف الجيم

جابر بن عبدالله : (١) ٩٧، ٩٩، ١١٢، ١٢٦، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٥، ١٤٦، ١٨٨، ١٩٥، ٢٠٠، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٥.
(٣) ٤٦، ١٢٨، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٦٩.
(٤) ٣٦، ٩٣، ٩٤، ١٦٠، ١٧٩، ١٩٠، ٢٠٠.

جابر بن عتيك : (١) ٢٤٧، ٢٩٩، ٣٢٤، ٣٦٦، ٣٩٧، ٤٠٥، ٤١٦.
(٤) ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٤٤.

جامع بن شداد : (١) ٢٤٥، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣١٢، ٣٣٧، ٣٦٠، ٣٩٠، ٣٩٦، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤١٣.
(٤) ٩، ٢٧، ٥٢، ٦٣، ٧٧، ٨٢، ٩٦.

جبير بن مطعم : (١) ٢١٤، ٢٥٦، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٤.

(٤) ١١٧، ١١٩، ١٤٧، ١٥٣، ١٦١، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٩.
جبير بن نفير: (١) ٤٦، ٨١، ١١٠، ١١٣، ١٢٦، ١٣٨، ١٤٤، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٥، ٢١٦، ٢٢٢.
(٤) ١٥، ٥٦، ٦٣، ٧٢، ٨٤، ٩٦، ١١٢.
جريج الراهب: (١) ٩٤، ١٥٣، ١٩٦، ٢٢٠، ٢٤٤، ٢٨٦، ٣٢٠، ٣٥٢، ٣٧٠، ٣٨٤.
(٤) ٧، ١٤٢، ١٦٧، ١٧٢، ١٨٠، ١٨٩، ١٩٣.
جرير بن عبدالله: (١) ٢٧٦، ٢٨٤، ٢٩٠، ٣٢٧، ٢٤٨، ٣٦١، ٣٨٢، ٣٨٦، ٣٩٩، ٤١٥، ٤٢١.
(٤) ١٣١، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٧، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٧.
جعفر بن برقان: (١) ٨٣، ٩٥، ١١٣، ١٤٢، ١٨٤، ١٩٠، ٢٠٥، ٢١٣، ٢١٤، ٢٤٧، ٢٨٢، ٢٩٦، ٣٠٠.
(٤) ٨٣، ٩٥، ١٠١، ١٠٦، ١١٧، ١٢٣، ١٢٨، ١٣٠.
جعفر بن عبد الرحمن: (١) ١٤٧، ٢١٦، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣٢٧، ٣٤٨، ٣٨٥، ٣٩٠، ٣٩٤، ٤٠١، ٤٢٨.
(٤) ٧، ١٣، ٢٦، ٣٣، ٤٧، ٥٦، ٦٣، ٦٨، ٧٢.
جعفر بن محمد: (١) ٨٨، ٩٦، ١١٥، ٣٣٢، ٣٤٧، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤١٦، ٤٢٢.
(٤) ٨٨، ٩٦، ١١٣، ١٢٦، ١٣١، ١٣٥، ١٤١، ١٤٨.

حرف الحاء

الحارث بن سويد: (٤) ٩، ١٨، ٣٢، ٣٤، ٤٦، ٥٢، ٦٧، ٩٣، ٢٣٣.
الحارث بن عميرة: (١) ٩٦، ١٢٣، ١٤٥، ١٥٧، ١٦٦، ١٨٣، ٢١٠.
(٢) ١١١، ١١٦، ١٢٣، ١٣٥، ١٣٧، ١٤١، ١٦٣.
الحارث بن هشام: (٤) ٩، ٤٩، ٦٣، ٨٤، ١١٥، ١١٨، ١٢١، ١٢٦.
حبيب بن أبي ثابت: (١) ٩٨، ١١٤، ٢٢٧، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٣١، ٣٤٤، ٣٦٥، ٣٧٢، ٣٨١، ٣٩٠، ٤٠٥.
(٣) ١٠١، ١١٦، ١٢٦، ١٣١، ١٣٩، ١٤٦، ٢٤٨، ٢٥١.
(٤) ٦٨، ٧٧، ٨٥، ٩١، ٩٤، ١١٥، ١١٧، ١٢١.
حبيب بن صالح: (١) ٩٠، ٩٥، ١١٢، ١٢٧، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٤٠، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٩٤، ٢٩٨، ٣٠٠.
(٤) ٦٨، ٧٥، ٨٣، ٩٠، ٩٦، ١٢٠، ١٢٥، ١٣٥.

الحجاج بن يوسف : (١) ٢١٢، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٨٤، ٢٩٥، ٣٢٠، ٣٥٢، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٨١، ٣٨٩، ٣٩٣.
(٢) ٦٦، ٧٧، ٨٣، ٨٧، ٩٣، ١٠٢، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٦، ١٤٨.

حذيفة بن اليمان : (١)٢٠٩، ٢٢٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣١٨، ٣٢٣.
(٢) ٩٧، ٩٨، ١٢٧، ١٣١، ١٤٤، ١٤٨، ١٦٢، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٤، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٠، ٢١٦، ٢٨٤.
(٣) ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٧.
(٤) ١٤٣، ١٥٦، ١٧٧، ١٨٤، ١٩١، ١٩٤، ١٩٥.

الحسن البصري : (١) ٢١٠، ٢١٥، ٢١٨، ٢٤٤، ٢٥٦، ٢٧٨، ٣٠٠، ٣٠١، ٣١٤، ٣٢٤، ٣٥٦، ٣٦٨، ٣٨٢.
(٢) ٧، ٢١٢، ٢٢٤، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٩، ١٥٤، ١٩٦، ٢٥٠، ٢٦١، ٢٩٠.
(٣) ١٠، ٢١، ٣٥، ٥٥، ٣٤٢.
(٤) ١، ٥، ٢٢، ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٨.

الحسن بن سفيان : (٤) ٨، ٢٧، ٤٥، ٥٦، ٧٣، ٨٦، ٩٤.

الحسن بن صالح : (١) ٨٢، ٩٤، ١١٦، ١٣٤، ١٤٦، ١٥٧.
(٣) ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٨.

الحسن بن علي : (١) ٢٢٨، ٢٥٦، ٢٧٤، ٣١٦، ٣٢٤، ٣٤١، ٣٥٦، ٣٨٨.
(٢) ٢٤، ٤٨، ٥٢، ٧٥، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٩٣، ١٠٦، ١٠٩، ١١٣، ١١٧، ١٢٠، ١٢٨.
(٣) ٦٩، ١٠٩، ١١٢، ١٣٥، ١٤٠، ١٨١، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٧.

الحسين بن علي : (١) ٧٠، ٧٥، ٨٦، ٩٠، ٩٤، ١١٢، ١٤٧، ١٥٦، ١٦٣، ٢١٠، ٢٣٦، ٢٤٨.
(٢) ٢١، ٨٣، ٩٦، ١٢٥، ١٢٧، ١٣٤، ١٣٥، ١٥٤، ١٦٣، ١٧٢، ١٨٣، ١٩١، ٢٠٠، ٢٠٧.
(٣) ٦٩، ١٠٩، ١١٧، ١١٩، ١٤٤، ١٨٢، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٧.
(٤) ١٥٢، ١٥٣، ١٥٩، ١٦١، ١٦٣، ١٧٧، ١٨١، ١٩٣.

حفصة بنت عمر : (١) ٣٥٤، ٣٦٢، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٩٦، ٤٠٦، ٤١٢، ٤١٧، ٤٢٣، ٤٣٢، ٤٣٥.
(٢) ١، ٥٢، ٩٨، ١٠٠، ١١٧، ١٣٣، ١٤١، ١٤٣، ١٦٠، ١٦٩، ١٧١، ١٧٤، ١٨٨، ١٩١، ١٩٣، ٢٠٠.

حكيم بن أبي حرة : (٣) ١٠٨، ١١٦، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٧.
حكيم بن حزام : (١) ٢٠٧، ٢٢٤، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣١١، ٣١٤، ٣١٨، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٦٧، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٨٠، ٣٨٦.
(٢) ٥١، ٦٢، ٧٨، ١١٦، ١١٨، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٣، ١٤٨، ١٥١، ١٥٩، ١٦١، ١٧٤، ١٨٨، ١٩٦، ١٩٨، ٢١٠، ٢١٣، ٢٢٤، ٣٠٦.
حماد بن زيد بن ثابت : (١) ٩٤، ٩٦، ١٠٢، ١١٥، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٢، ١٦٠.
حماد بن سلمة : (٢) ١٨، ٢٧، ٩٣، ١١٥، ١١٧، ١٢٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٢٣، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٣، ١٥٧، ١٥٩.
(٣) ١٩٧، ١٩٩، ٢١٧، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٥.
(٤) ٤٦، ٥٨، ٦١، ٦٧، ٧٠، ٧٦، ٨٢، ٩٥، ٩٨.
حماد بن عبد الرحمن : (١) ١١٨، ١٩٦، ٢٠٢، ٢١٦، ٢١٨، ٢٤٤، ٢٥٦، ٢٦٣، ٢٧٥، ٢٨٦، ٢٩٠.
(٤) ١٦٣، ١٧٠، ١٨٤، ١٩٠.
حوشب الفهري : (١) ٢١٥، ٢٩٦، ٣١٨، ٣٤٤، ٣٧٦، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٥، ٣١٧.
(٤) ٨، ١٥، ٢٧، ٥٣، ٦٠، ٧٣، ٨٤، ٩٦، ١٠٠.

حرف الخاء

خالد بن أبي عمران : (١) ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٣٠٦، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٣٢، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٦٠، ٣٧٢.
(٤) ٢٣، ٢٦، ٤٢، ٥٧، ٦١، ٦٧، ٧١، ٧٥.
خالد بن ثابت : (١) ٦٧، ٨٤، ٩٦، ١١٢، ١٣٧، ١٤٢، ١٥٤، ١٨٦، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣١.
(٣) ٨٤، ٩٦، ١١٥، ١٢١، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٣، ١٤٧، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٥، ١٩٩، ٢٠٠.
خالد بن الحرث : (١) ٢١٩، ٢٣٣، ٢٧١، ٢٨٣، ٢٩٦، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٣.
(٣) ٨٤، ٨٦، ١١٧، ١٢٤، ١٣٩، ١٤٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٦١، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٦.
خالد الربعي : (١) ٧٢، ٨١، ٩٢، ٩٧، ١٢٨، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١، ١٨٥، ٢١٠، ٢٢٤، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٥٦، ٣٠٠.
(٤) ١٢٥، ١٤٨، ١٦٢، ١٧٠، ١٧٢، ١٨٠، ١٨٤، ١٩٥.

خالد بن سمير : (١) ٩٨، ١١٨، ١٤٥، ١٦٧، ١٨٤، ١٩٩.
(٢) ١٠٠، ١١٨، ١٢٦، ١٣٧، ١٤١، ١٤٦، ١٥١، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٠، ١٩٤، ٢٠٠.

خالد بن معدان : (٢) ١٩٥، ١٩٩، ٢١٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩١، ٣١٣، ٣١٧، ٣٢٤.

خولة بنت حكيم : (١) ١٩٧، ١٩٩، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٦٨.
(٢) ٥٥، ٩٧، ١١٦، ١١٧، ١٢٣، ١٢٨، ١٢٩، ١٤٨، ١٥٦، ١٨١، ١٨٣، ١٩٠، ٢٠٣، ٢١٣.

حرف الراء

رافع بن عمرو : (١) ٦٧، ٨٨، ٩٤، ٩٦، ١١١، ١١٤، ١٢٩، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٥، ١٦٢.

(٢) ٥٤، ٨٦، ٩٣، ٩٧، ١١٠، ١٢٠، ١٢٣، ١٣٧، ١٤٢، ١٥١، ١٦٣، ١٦٧، ١٧١، ١٨٠.

الربيع بن خيثم : (١) ١٥٢، ١٧٠، ١٨٤، ١٩٢، ١١٧، ١١٩، ١٢٦، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٦٧، ٣٠٠.

(٢) ١٦١، ١٩٤، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٩، ١٩١، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٠.
(٤) ٣٢، ٨٦، ٩٢، ٩٤، ١١٦، ١١٩، ١٢٠، ١٣٢، ١٤٨، ١٨٣، ٢٠٠.

الربيع بنت معوذ بن عفراء : (١) ٧٦، ٨١، ٩٢، ٩٩، ٢٠٠، ٢٢٤، ٢٨٦، ٢٩٧، ٣٠٠.
(٢) ٢٧، ٤٨، ٦٣، ٧٤، ٧٨، ١١٧، ١٢٨، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٥، ١٨٦، ٢٠٠، ٢٠٣.

حرف الزاي

الزبير بن العوام : (١) ٨٣، ٩٦، ١٠٤، ١١٧، ١١٩، ١٢٧، ١٣٥، ١٨٦، ١٨٩، ١٩١، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٦.
(٢) ٧٢، ٧٣، ١١٨، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٤، ١٥٦، ١٥٨.
(٣) ١٠، ١٨٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٠، ٢١١، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧.

زكريا بن أبي زائدة : (١) ٧٧، ٧٨، ٨٧، ٩٦، ١١٥، ١١٦، ١٣٤، ١٧٧، ١٩٨، ٢١٣، ٢٥٦.
(٣) ١١٣، ١٩٧، ٢١٦، ٢٤٧، ٢٦٨، ٢٧٧، ٢٨١.

(٤) ٥٥، ٨٦، ٩٣، ١٠٨، ١١٤، ١٣٥، ١٤٢، ١٨٦.
الزهـري : (١) ١٨٦، ١٩٠، ٢٠٥، ٢٤٧، ٢٦٨، ٢٩٦.
(٢) ٥، ٨، ٩٧، ٥٣، ١٣٥، ١٥١، ١٨٥، ٢١٧، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١.
(٣) ٣٢، ١١٨، ١٣٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧.
(٤) ٣٠، ٤٥، ٥٩، ٨٠، ١٣٢، ١٦٤، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٥.
زهير بن حرب : (٤) ٨٧، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٢.
زياد بن أبي مريم : (١) ٢١٨، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٥٦، ٢٦٥، ٢٧٤، ٢٨٦، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣١٠.
(٢) ٢٧، ٩٨، ١١٥، ١٢٧، ١٧٨، ١٩٦، ٢٠٠، ٢١٧، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٥٣، ٣٤٥.
زياد بن سعد : (١) ٩٥، ١٣٣، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٦، ١٦١، ١٨٤، ١٩٦، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٥.
(٣) ٢١٦، ٢١٨، ٢٣٠، ٢٤١، ٢٥٦.
زيد بن أرقم : (١) ٩٣، ١١٣، ١٢٨، ١٩٦، ٣١٣، ٣٢٤، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٣، ٣٩٥.
(٣) ١٤١، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٢، ١٧٤.
زيد بن أسلم : (١) ٢١٥، ٢٩٦، ٣٣٤، ٣٤٦، ٣٧٦.
(٢) ٢٧، ٤٣، ٤٩، ٥٣، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٧٢، ٨٣، ٩٤، ١٠٢، ١١٧، ١٢٩، ١٧٢، ١٨٤، ٢٠٠، ٢١٦، ٣٤٥.
(٣) ٣٥، ٨٦، ٩٤، ١٢٦.
(٤) ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٩.
زيد بن ثابت : (١) ١٤٧، ١٦٨، ١٧٦، ١٨٨، ١٩٤، ٢٠٠.
(٢) ٤١، ٩٦، ١٠٢، ١١٥، ١٣٧، ١٤٨، ١٥٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٩٩، ٢١٦، ٢٢٧، ٢٢٩.
(٣) ٢٢٨، ٢٤١، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٦٨.
(٤) ١١٧، ١٦٠، ١٧١، ١٨٣، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠١، ٢١٠، ٢١٦، ٢٢١.
زيد بن حارثة : (١) ٦٨، ٨٨، ٩٢، ١١٢، ١١٦، ١٢٨، ١٣٢، ٣٠٢، ٣١٨، ٣٦٦، ٣٨٣.
(٢) ٨٨، ٩٢، ٩٤، ٩٧، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٣٦، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٧١، ٢٨٤، ٢٩٣.
زيد بن خالد الجهني : (١) ١٢٣، ١٣٢، ١٥٤، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٥، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٩٧، ٣٠٠.
(٢) ١١، ٣٣، ٤٢، ٦٨، ٨٣، ٩٤، ١٠٠، ١١٢، ١١٤، ١١٧، ١٣٢، ١٤٨، ١٥٠.

زيد الخثعمي : (٣) ٣٧، ٣٨، ٨٦، ٩٢، ٩٩، ١١٣، ١٢٤، ١٤٧، ١٧٧، ١٩٢.
زيد بن رفيع : (١) ٧٠، ٩٣، ١١٧، ١٥٨، ١٧٦، ١٩٤، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٨٠، ٢٨٧.
(٢) ٦٧، ٧٨، ٩٣، ١١٣، ١٢٤، ١٣٨، ١٥٦، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٢، ٢٠٧.
زيد بن علي : (١) ٢١٦، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٩٤، ٣١٣، ٣٢٧، ٣٥٩، ٣٩٠.
(٣) ١٤٠، ١٤١، ١٥٥، ١٦٧، ١٧٢، ١٨٣، ٢٠٦، ٢٢٧.
زينب بنت أبي سفيان : (١) ٢٤٧، ٢٦٨، ٢٩٦، ٣١٤، ٣٢٤.
(٢) ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٩٦، ٢٠٣، ٢١٣، ٢١٧، ٢١٩، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٨.
زينب بنت جحش : (١) ٢٠٧، ٢١٦، ٢١٨، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٩٠.
(٢) ١٤٨، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٣، ١٦٦، ١٧٠، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٦، ١٩١، ٢٠١.

حرف السين

سالم بن عبدالله : (١) ٨٦، ٩٤، ١٠٢، ٣٠٤، ٣٢٧، ٣٤٠، ٣٥٠.
(٣) ١٠، ١٣، ١٦، ٩٧، ١٠٢، ١٠٧، ١٢٢، ١٢٤، ١٣١، ١٣٦، ١٩٤، ٢٠٠.
سعد بن أبي وقاص : (١) ٩٧، ١٢٤، ١٣٨، ٢١٠، ٣١٥، ٣٣٨.
(٢) ٢٠، ٤١، ٦٣، ٧٢، ٨٤، ١٠٣، ١٢٧، ١٤٦، ١٦٢، ١٧١، ١٨٤، ١٩٣، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٣٦، ٢٤٧.
(٣) ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٥، ٨٦، ١١٢، ١١٨، ١٣١، ١٤٧، ١٥١.
سعد بن زرارة: (١) ١١٥، ١٢٨، ١٩٢، ٢١٦، ٢٢٨، ٣٠٠، ٣١١، ٣٨٦.
(٢) ٢١٢، ٢١٤، ٢٢١، ٢٢٢.
سعد بن معاذ : (١) ٢١٨، ٢٦٠، ٢٨٤، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣١٨.
(٢) ٩٨، ٩٩، ١٢٧، ١٣٨، ١٤١، ١٥٣، ١٨٢، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠١.
(٣) ٢٣٣، ٢٤٦، ٢٥٦، ١٦١.
سعيد بن أبي زائدة : (١) ٢١٧، ٢٣٨، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣١٧، ٣٢٦، ٣٤٧، ٣٦٠، ٣٦٥.
(٣) ١١٣، ١٦٣، ١٧٦، ١٨٢، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٢٩.
سعيد بن جبير : (١) ٩٤، ٩٦، ١١١، ١٧٦، ١٨٣، ١٩٦، ٢١٦.
(٣) ٩٠، ٩١، ١٠٧، ١٠٩، ١١٣، ١٧٢، ١٨١، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٤.

(٤) ٩٠، ١٢٨، ١٣٩، ١٤٢، ١٦٩، ١٧٢، ١٨٥.

سعيد بن خميس : (١) ٦٨، ٩٢، ١١٣، ١٨٦، ١٩٤، ٢١٢، ٢١٤.
(٣) ٥٧، ٦٢، ٦٤، ٧٧، ٨٧، ١١٦، ١٢٥، ١٢٧، ١٨٣، ٢٠١.

سعيد بن المسيب : (١) ٧٠، ٧٤، ٨٣، ٨٦، ٩٢، ٩٤، ١١٣، ١٦٠، ١٧٢، ٢٦٠، ٣٦٠، ٣٧١، ٣٨٤.
(٣) ١٢٧، ١٦٣، ١٩٤، ١١٢، ١١٧، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٤٦.
(٤) ٨، ١٣، ٥٩، ١٣٨، ١٦٢، ١٨٤، ١٩٠، ٢١٠، ٢١٥.

سفيان الثوري : (١) ١٦٢، ١٨٣، ٢٠٠، ٢٥٤، ٢٨٦، ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤٠٠.
(٢) ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٠.
(٤) ١٦٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٩٠، ١٩٢، ٢٠٠، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٨.

سفيان بن عيينة : (١) ٨٣، ٩٤، ١١٥، ١٤٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٨١، ١٩٦، ٢٠٧، ٢١٣.
(٢) ١٣٦، ١٣٨، ١٤٠، ١٦٧، ١٩٢، ٢٠٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٥٦.

سلمة بن الأكوع : (٣) ٦٠، ٦١، ٦٥، ١١٦، ١٥٧.

سلمة بن صفوان : (١) ٢١٩، ٢٢٧، ٢٨٨، ٢٩٦، ٣٠٨، ٣١٦، ٣٤٥.
(٤) ٤٥، ٨٦، ٩٣، ٩٦، ١١٧.

سلمة بن كهيل : (٣) ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٧١.

سليمان بن بلال : (١) ٧٤، ٨٥، ٩٣، ٢١٦، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٨٦، ٢٩٢، ٣٠٠.
(٤) ٣٥، ٩٦، ١٠٤، ١٠٨، ١١٢، ١١٨، ١٢٤.

سليمان الفارسي: (١) ٢١٦، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٩٢، ٣٠٣، ٣١١، ٣١٤.
(٢) ٢٠٤، ٢٥٥، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٠١، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٥.
(٣) ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦٢.
(٤) ١٦٢، ١٧٨، ١٨١، ١٨٤، ١٨٩، ١٩٧.

سهل بن سعد : (١) ٣١٤، ٣٤١، ٣٥٢، ٣٥٨.
(٢) ٢١، ٢٧، ٣٨، ٤٥، ٤٧، ٥٣، ٥٧، ٦١، ٧٦، ٨٢، ٩٤، ٩٧، ١١١، ١١٥، ١١٧، ٢٥٧.
(٤) ٣، ١٠٠، ٢١٣، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣٢.

سهل بن عمر : (٢) ٣٠، ٨٦، ٩٣، ٩٧، ١٠٠، ١١٥، ١١٨.

حرف الشين

شبيب بن بشر : (١) ٢١٧، ٢٣١، ٢٦١، ٢٧٤، ٢٨٣، ٢٩٥.
(٣) ١١٤، ١٣٦، ١٧٧، ١٩٦، ٢٠٢، ٢١٦.

شداد بن أوس : (١) ٨٦، ٩٤، ١٨٦، ٢٠٠، ٢١٨، ٢٥٣، ٢٨٤، ٢٩٦، ٣٠٠.
(٢) ١٤٣، ١٧٦، ١٨٢، ١٩١، ٢٠٥، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧، ٢١٩، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٩٩.
(٤) ١١٠، ١٥١، ١٦٢، ١٧٠، ١٧٤، ١٨٢.

الشعبي : (١) ٣٢٧، ٣٣٢، ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٩، ٣٩٦، ٤٠٢.
(٢) ٩٧، ١١٥، ١١٧، ١٢٣، ١٥٦، ١٦٢، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤، ١٩٢، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٠١.

شعيب بن عبدالله : (١) ٨٠، ٩٢، ٩٦، ١٠٧، ٢١١، ٢٥٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٣٠٠، ٣١٣.
(٤) ٤٦، ٤٧، ٦٤، ٨٢، ٨٦، ٩٤، ٩٦.

شريك بن عبدالله : (٤) ٣٥، ٧٨، ٩٦، ٩٨، ١٠٢، ١٠٩، ١١٤.

شقيق بن سلمة : (١) ٢٠٠، ٢١٧، ٢٤٨، ٢٥٧، ٢٦٩، ٢٧٤.
(٤) ١٦٦، ١٧٨، ١٩٦، ٢٠٨، ٢٠٩.

شهر بن حوشب : (١) ٣٠٠، ٣٢٦، ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٦١.
(٤) ٨٠، ١٢٩، ١٣١، ١٣٣، ١٤٧، ١٥١.

حرف الصاد

صفوان بن أمية : (١) ٢٠٨، ٢١٣، ٢٨٦، ٢٩١، ٣٠٠، ٣١١، ٣١٤، ٣٢٠.
(٢) ١٧٦، ١٨٢، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٨٦، ٢٩٩.
(٣) ١٧٦، ١٨٢، ١٩٦، ٢٠٦.

صفوان بن سليم : (١) ١٩٤، ١٩٦، ٢١٦، ٣١٥، ٣٤٨، ٣٥٠.
(٢) ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٠٠.
(٣) ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٥٦.

صلاح الدين الأيوبي : (١) ٢٠٦، ٢٢٧، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤١، ٣٠٧، ٣١١، ٣٢٣، ٣٣٤، ٣٤٠.
(٢) ٢١٤، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٥٠، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٧، ٣٠٠.

(٣) ٢١٤، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٧.

حرف الطاء

طارق بن شهاب : (٢) ١٤٣، ١٥٦، ١٧٢، ١٨٣، ١٩٦.
طاووس : (١) ٢١٤، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٥٠، ٣٢٤.
(٢) ٢٠٣، ٢١٦، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٧.
(٣) ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٥.
طعمة بن عمرو : (٤) ٤٢، ٨٦، ٩٢، ٩٦، ١٠٥، ١٠٧، ١١١.
الطفيل بن أبي كعب : (١) ٧١، ٨٤، ٨٦، ٩٣، ٩٩، ١١٨، ١٢١، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٣، ١٧٧، ١٧٨.
(٣) ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٧.
طلحة بن عبدالله : (٢) ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٦.
(٣) ٢٠٧، ٢١٦، ٢٣٢، ٢٤٥.
طليق بن قيس : (١) ٨٢، ٨٤، ١١٦، ١٣٨، ١٤٥، ١٥٦، ١٨٦، ١٩٢، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٧، ٢٣٩، ٣١٧، ٣٢١، ٣٥٧، ٣٨٠، ٣٩١.
(٢) ٨١، ٩٣، ٩٦، ٩٨، ١٠٠، ١٠٢، ١١٣، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٢، ١٤٨، ١٥٦، ١٦١، ١٦٣، ١٦٦، ١٧٠، ١٧٥، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٦، ١٩٠.

حرف العين

عائشة أم المؤمنين : (١) ٣٠٢، ٣١٤، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٧١.
(٢) ١، ١٦، ٢٨، ٣٠، ٤٩، ٧١، ٧٢، ٩١، ٩٩، ١٢٨، ١٤٧، ١٥١، ١٥٢، ١٨١، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٨، ٢١٩، ٢٢٩، ٢٤١، ٢٦٠، ٢٧٨، ٣٠٧، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٦١، ٣٦٢.
(٣) ٨٢، ٨٣، ١٠١، ١١٢، ١٢٥، ١٣١، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٨، ١٤٨، ١٨٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٦.
(٤) ١١، ١٣، ٣٣، ٦٦، ١١٢، ١٣٢، ١٤٧، ١٥٧، ١٥٨، ١٧٤، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥.
عائشة بنت طلحة : (١) ٨٥، ٩٤، ٩٩، ١١٧، ١٢١، ١٣٣، ١٣٥، ١٤١، ١٦٢، ١٧١، ١٧٣، ١٨٧، ١٩٩، ٢١١.

(٣) ١٨٢، ١٨٦، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١٧، ٢١٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٨.
عاصم بن أبي الجود: (١) ٣١٦، ٣٤٧، ٣٩٦، ٤٠٢، ٤١٥، ٤٢١.
(٢) ٣٠٠، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣١٣، ٣٢٧، ٣٢٨.
عاصم الأحول: (٢) ١٢٤، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٩، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٨، ١٩٠.
عامر بن الجراح: (١) ٧٠، ٧٣، ٨٦، ٩٤، ١١٤، ١١٧، ١٢٠.
(٢) ٩١، ١٠٣، ١٠٨، ١١٢، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣.
عامر بن كريز: (٤) ٩٥، ١١٥، ١١٨، ١٣٤، ١٤٨، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٥.
عبادة بن الصامت: (١) ٨٤، ٩٦، ١٢٨، ١٣٢، ١٦٢، ١٧٧، ٢٠٥، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٣٠.
(٣) ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٥.
عبد الرحمن بن أبي بكر: (١) ٢٠٠، ٢٦٥، ٢٧٠، ٢٨١، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣١١، ٣٢٤، ٣٣٥، ٣٤٦.
(٢) ٩١، ١٠٢، ١١٧، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٥، ١٧٢، ١٨٣، ١٩٤.
عبد الرحمن بن خالد بن يزيد:
(١) ٢١٧، ٢٢٨، ٣١٦، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٧٠، ٣٨٢.
(٢) ٩٠، ٩٥، ٩٧، ١٠٢، ١٠٤، ١١٨، ١٢٩، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٠.
عبد الرحمن بن سمرة: (١) ٣٠٠، ٣٢٨، ٣٣٩، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤١٢، ٤١٨، ٤١٩.
(٢) ٨٨، ٨٩، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ١٠١، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨.
(٣) ٢٣١، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٠.
عبد الرحمن بن عوف: (١) ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٨٧، ٣٩٠.
(٢) ١٨٥، ١٨٦، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢٠٩.
(٣) ٧٣، ٧٦، ١٨٦، ١٩٠، ٢٦٦.
عبد الرحمن بن غنم: (١) ٦٨، ٧٤، ٨٦، ٩١، ٩٨، ١٥١، ١٧٠، ١٨٣، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٠، ٢١٤.
(٢) ٢١٦، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٨٨.
(٣) ٢٠١، ٢٠٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٥.

عبدالله بن أبي بكر : (٢) ٢٦، ٤٨، ٦٣، ٧١، ٨٢، ٩٥، ١٠٥، ١١٦، ١١٨، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٢.
عبدالله بن أبي أوفى : (١) ٢٠٠، ٢٠٤، ٢١٧، ٢٢١، ٢٣٣، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٤.
(٢) ١٤٨، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٨، ١٧٦، ١٨١، ١٨٥، ١٩١، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣.
عبدالله بن الأعرج : (١) ٨٠، ٨٢، ٩٣، ٩٧، ٩٩، ٢١١، ٢١٣، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٧.
(٤) ١٥٧، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٧٢، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٩.
عبدالله بن اكيمة : (١) ٣٠٠، ٣١٦، ٣٤٨، ٣٦١.
(٤) ١١٩، ١٤٣، ١٥١، ١٦٠.
عبدالله بن إدريس : (١) ٣٢٤، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٥٦، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٨٢، ٣٩٠.
(٣) ١٥٦، ١٨٢، ١٩٠، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢٠٧.
عبدالله بن بريدة : (٤) ٧٣، ٨٢، ٩٤، ١١٦، ١٢٨.
عبدالله بن بشير : (١) ٩٣، ١٠٤، ١١٣، ١١٩، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٨، ١٤٢.
(٢) ١٣٨، ١٤٠، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٩.
عبدالله بن الجراح : (٣) ٣٩، ٤٢، ٥٦، ٨٢.
عبدالله بن جعفر : (١) ٢١٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٥٦، ٢٦٧، ٢٨٨، ٢٩٠.
(٢) ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٩٧.
(٣) ٦٠، ٧٢، ٨٦، ٩٦، ١٠٢، ١١٧، ١٣٢، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٠.
عبدالله بن راشد : (١) ٣٠٠، ٣١٢، ٣٢٨، ٣٤٢، ٣٥١.
(٤) ٣٩، ٤١، ٥٧، ٦١، ٦٧، ٧٢.
عبدالله بن رواحة : (١) ٣٠٢، ٣٠٨، ٣١١، ٣١٨، ٣٢٠.
(٢) ٨٨، ٩١، ٩٥، ٩٨، ١٠٢، ١١٣، ١١٧، ١٣٦، ١٤٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨.
عبدالله بن الزبير : (٢) ١٢، ١٣، ١٧، ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٦٧، ٦٨، ٧٣، ٧٥، ٨٦، ٩١، ٩٧.
(٤) ١١٨، ١٣٩، ١٨٧، ١٩٢، ٢١٦.
عبدالله بن زمعة : (١) ٩٦، ١١٨، ١٢٧، ١٣٨، ١٤٧، ١٥٣، ٢١٠،

٢٣٨، ٢٤٧، ٢٦٣، ٢٨٦، ٢٩٠.
(٣) ١٣٥، ١٤٨، ١٥١، ١٥٦، ١٦٠.
عبدالله بن الصامت : (٢) ٦٥، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠١، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨.
عبدالله بن سلمة : (٣) ٨٧، ٩٦، ١١٣، ١١٧، ١١٩، ١٢٠.
عبدالله بن عباس : (١) ٧٢، ٧٤، ٧٦، ٨٨، ٩٠، ٩٢، ٩٦، ١٠٠، ١٢٠، ١٢١، ١٢٤، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٠، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ١١١، ٢١٧، ٢١٨، ٢٣٠، ٢٣١.
(٢) ٩، ١١، ٣٥، ٤١، ٦٨، ٩٢، ١٠٠، ١٠٣، ١٢٠، ١٧٦، ١٨١، ١٨٤، ١٨٦، ٢٠٥، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٣١، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٩٣، ٣١٢، ٣٣١، ٣٤٠، ٣٥٢.
(٣) ١٠، ١٣، ١٥، ١٨، ٣٦، ٤٤، ٤٥، ٤٩، ٥٥، ٦٢، ٩٠، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٨، ١٤٧، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠٨، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٨، ٢٧٢.
(٤) ٢٦، ٣٦، ٣٧، ٥٨، ٥٩، ٨٠، ٨٧، ١٢٨، ١٤٠، ١٤٢، ١٥٨، ١٩٠، ٢٠٩، ٢٢٩.
عبدالله بن عمر : (١) ٧١، ٧٥، ٨٨، ٩٢، ٩٤، ١٠٢، ١٠٦، ١١٨، ١٢٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٥، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٤٠، ٢٤٦.
(٢) ١٢، ١٣، ١٦، ٢٧، ٦٣، ٦٧، ٦٩، ٨٨، ٩٨، ١٠١ ١٠٣، ١١١، ١١٣، ١١٨، ١٢١، ١٢٩، ١٤٦، ١٥٥، ١٥٩، ٢٠٢، ٢٥٢، ٢٨١، ٣٠١، ٣٠٥، ٣١٢، ٣١٩، ٣٢٥، ٣٤٥، ٣٤٧.
(٣) ١٩، ٢٤، ٤٨، ٨٠، ١١٦، ١٣٢، ١٥٩، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٦٤.
(٤) ٧١، ٧٣، ٩٠، ١١٨، ١٣٢، ١٣٣، ١٥٣، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٦٤، ١٦٦، ١٩٨، ٢١٢، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٤.
عبدالله بن عمرو بن العاص : (١) ٩٨، ١١٧، ١٣٨، ١٩٥، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٦، ٢١٨.
(٢) ١١١، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٢، ١٨١، ١٨٢، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٨، ٣٢٥.
عبدالله بن عمران : (٢) ١٢٤، ١٣٩، ١٤٠، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢،

٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٨، ٢٣٩.
عبدالله بن المبارك : (٢) ٨١، ٩٦، ١١٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٥، ١٤٧، ١٦٢، ١٦٥، ١٧٠، ١٨٠، ١٩١، ١٩٥.
عبدالله بن مسعود : (١) ٧٨، ٨٠، ٨٢، ٩٤، ١١٦، ١٢١، ١٣٢، ١٤٨، ١٥١، ١٦٣، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٦، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٩٠، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٣٦.
(٢) ٣٤، ٥٧، ٧١، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٦، ٢٠٦، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٦١.
(٣) ٢١، ٢٥، ٥٥، ٨٢، ٨٤، ٩٣، ١١٦، ١٤٧، ١٧٢، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٣.
عبدالله بن معاوية الجمحي : (١) ٩٦، ٩٧، ١٠٨، ١١٦، ١١٨، ١٢٢، ١٢٤، ١٣٦، ١٤٨.
(٤) ١٢٦، ١٢٨، ١٤٥، ١٥٧، ١٦٣، ١٦٥.
عبدالله بن معاوية العامري : (١) ٨٦، ٩٠، ١٠٤، ١١٥، ١٢٨، ١٣٠.
(٢) ١١٥، ١٤٦، ١٨٢، ١٩٥، ٢٠٢، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٣٧، ٢٩٨.
عبدالله بن نمير : (٢) ١٢، ١٣، ٦٤، ٧٧، ٨١، ١١٦، ١١٧، ١٤١، ١٥٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٤، ١٩٦.
عبدالله بن الوليد : (٢) ٣٥، ٣٩، ٤٧، ٦٦، ٧٢، ٨٥، ٩١، ١١٩، ١٢٥، ١٤٦، ١٥٣، ١٥٩، ١٦٥.
عبد العزيز بن رباح : (٢) ١٢٣، ١٣٥، ١٤٨، ١٩٦.
عبد العزيز بن صهيب : (٢) ٢٤٢، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٦٤.
عبد الملك بن عمير : (٢) ١٣٧، ١٨٢، ١٩٣، ٢٠٦.
عبد الملك بن الماجشون : (٢) ١٣٢، ١٣٥، ١٤٨، ١٥١، ١٧٢.
عبد الملك بن قدامة : (٤) ٩، ١٨، ٢٧، ٣٢، ٤٨، ٥٦، ٦١، ٦٣.
عثمان بن سعيد الدارمي : (١) ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٤، ١١٧، ١٢٠، ١٢٤، ١٣٢، ١٣٧، ١٤١، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٤.
(٢) ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣١٦، ٣٢٧، ٣٣١.
عثمان بن أبي العاص : (٤) ٢٩، ٣١، ٣٣، ٤٥، ٤٦، ٥١، ٥٤، ٦٦، ٦٧، ٧٤، ٧٨، ٧٩، ٨٢، ٩٣.
عثمان بن عفان : (١) ٩٠، ٩٢، ٩٥، ١٠٧، ١١٣، ١١٩، ١٢١، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٩، ١٣٢، ١٤٤، ١٤٨،

١٦٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٩٠، ١٩٣، ٢١٧، ٢١٨، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٨١، ٢٩٠.
(٢) ٧، ١٨، ٢٦، ٣٧، ٤٩، ٧٨، ٨٩، ١١٤، ١٢٦، ١٣٨، ١٥٠، ٢٣٢.
(٣) ٦، ١٨، ٢٢، ٣٣، ٩١، ١٣٧، ٢٢٦، ٢٥٢، ٢٦٣.
(٤) ٨، ٣٩، ٤١، ٥٥، ٦١، ٦٧، ٧٣، ٨٢.

عروة بن الزبير : (١) ٩٢، ٩٧، ١٠٣، ١٠٧، ١١٣، ١١٨، ١٢٠، ١٦٩، ١٧٢، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٧٦، ٢٨٢، ٢٩١، ٣٠٠.
(٢) ١١٧، ١٢٦، ١٣٨، ١٨٣، ٢١٠، ٢١٤، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٤٧، ٣٠١.
(٣) ٢١٦، ٢١٧، ٢٢١، ٢٣٦، ٢٤٨.
(٤) ١١٢، ١١٦، ١٤٠، ١٥١، ١٦٢، ١٧٣.

عطاء بن أبي رباح : (٣) ١٧٩، ١٨٠، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٧.
عطاء الخراساني : (٣) ١٧٩، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٢، ١٩٥.
عطاء بن يسار : (١) ٩٠، ٩٥، ١٠٦، ١٥٢، ١٨٤، ١٩٦، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٣، ٢٤٠، ٢٥٠، ٢٦١.
(٢) ١٤، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٢.
(٤) ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩.
عطاء بن يزيد : (٣) ٨١، ٨٢، ٩٦، ١١٢، ١١٥، ١١٧.

عقبة بن عامر الجهني : (١) ٨٦، ٨٧، ٩٣، ٩٤، ١٠٨، ١١٢، ١١٤، ١٢٦، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٥، ١٥٠، ١٦٢.
(٣) ٨٤، ٨٥، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٦٥.

علقمة بن عبدالله : (١) ٣٢٤، ٣٧٢، ٣٩٦، ٤٠٢، ٢١٧.
(٤) ٢٠٦، ٢١٣، ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٤٧، ٢٥٠.

علي بن أبي طالب : (١) ٢٥٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٩١، ٣١٥، ٣١٨، ٣٤٦، ٣٥٢، ٣٥٩، ٣٦٦، ٣٧٢، ٣٨٠، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤١٨، ٤٣٦، ٤٤٢.
(٢) ١٥، ٢١، ٢٦، ٢٩، ٥٤، ٦٣، ٧١، ٧٨، ٩٥، ١٠٢، ١١٣، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٦، ١٤٠، ١٦١، ١٦٥، ١٨٤، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٢٨، ٢٤٢، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٩.

(٣) ١٠، ١٣، ٤٠، ٤١، ٤٩، ٦٣، ٦٨، ١١٥، ١١٦، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٩، ١٥٢، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ٢٠٣، ٢٤٥، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٧٠.
(٤) ٧٧، ١٢٥، ١٥٧، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠٠، ٢١٦، ٢٢٢.
العلاء بن زياد العدوي : (٢) ٢٧٧، ٢٨١، ٢٩٣، ٢٩٧، ٢٩٩.
العلاء بن يعقوب : (٣) ١٠٥، ١١٦، ١١٨، ١٣٢، ١٤٥.
علي بن الحسين : (٤) ١٤، ١٦، ٥٨، ٧٦، ٨٤، ٩٣.
عمران بن حصين : (٤) ١٤، ١٣٦، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢١٠.
عمر بن الخطاب : (١) ٨٠، ٨٢، ٨٥، ٩٠، ٩٤، ٩٨، ١٠٠، ١١٤، ١٥٧، ١٦٦، ١٧٢، ١٨٨، ١٩٢، ٢٠٠، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٦٠، ٢٧١، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٢.
(٢) ٨، ١٧، ٢٦، ٢٨، ٥٦، ٦٢، ٧١، ٧٦، ٨٠، ٨٦، ٩٣، ١٠٠، ١١١، ١٥٥، ١٩٦، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٩٦، ٣٠٥، ٣١٧، ٣٣٢.
(٣) ٩، ١٢، ٨١، ٨٧، ٨٨، ٩١، ١١٦، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٨١، ١٩٠، ١٩٧، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٧.
(٤) ٥، ١١، ١٣، ٢٧، ١٣٨، ١٥٦، ١٧٧، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٨.
عمر بن عبد العزيز : (٢) ٥٥، ٦٧، ٩٣، ١١٨، ١٣١، ١٣٧، ١٤٨، ١٥١، ١٥٩، ١٦٣، ١٧٨، ١٩٣.
(٣) ٦٠، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤.
عمر بن هشام : (٣) ١٣٢، ١٨٦، ١٩١، ٢٠٥، ٢٠٧.
عمران بن حصين : (٣) ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٣.
عمرو بن الجموح : (١) ٣٠٠، ٣١٦، ٣٤١، ٣٥٧، ٣٦٦، ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٨، ٤٠٠.
(٢) ٣٥، ٣٧، ٦٢، ٩٧، ١١٥، ١٢٧، ١٣٣، ٢١٤، ٢٦٦، ٢٩١، ٣٠٠.
عمرو بن حديث : (٣) ١١٦، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٧، ١٤٨.
عمرو بن دينار : (١) ٢٥٠، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٨٢، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٥.
(٤) ١٣٣، ١٣٦، ١٤٨، ١٥٤، ١٦١، ١٦٦، ١٧٧، ١٨٢.
عمرو بن شعيب : (٢) ١٣٥، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٩، ١٧٤، ١٨٣.

(٣) ٧١، ٧٥، ٨٦، ٩٢، ١١٧، ٢٢٨.
(٤) ١٤٠، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٢.

عمرو بن العاص: (١) ٣٢٧، ٣٤٢، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧٤.
(٣) ٩، ١١، ١٦، ٢٧، ٧٢، ٨٤.

عمرو بن قيس: (٣) ٦٥، ٧٠، ٩٣، ١١٢، ١٢٧، ١٦٣، ١٧٢، ١٩٧، ٢٠٧، ٢١٦.

عمرو بن مالك: (١) ٨٦، ٨٩، ٩١، ٩٩، ١١٧، ١٢٨، ١٣٩، ١٤١، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٤.
(٣) ١٧٢، ١٨٣، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٥٠.

عمرو بن مرة: (٢) ١٤٧، ١٦٢، ١٧٥، ١٨١، ١٨٣، ١٨٦، ١٩٢.
(٣) ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥١.

عمرو بن معديكرب: (٢) ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٦١.

عوف بن الحارث: (٢) ٣٥١، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٢.

عوف بن مالك: (٢) ٣٩، ٥٨، ٧١، ٨٤، ١٠٩، ١٣٦، ١٤٢، ١٥١، ١٦٤، ١٧٧، ١٩١، ١٩٧، ٢٤٤، ٢٥٦، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٨٤، ٢٩٥، ٢٩٧.

عويمر بن مالك: (٢) ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٤.

حرف الفاء

فاطمة بنت الحسين: (١) ٣٠٠، ٣١٨، ٣٣٦، ٣٤٩، ٣٦٠، ٣٧٤، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٩٠، ٣٩٢.
(٣) ١٠، ١١٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣١، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٢، ١٢٥، ١٣٠.

فاطمة الزهراء: (١) ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٩١، ٣٠٧، ٣١١، ٣٢٨، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤٥.
(٣) ٦٦، ٦، ٦٩، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦.

فاطمة بنت محمد: (٤) ١١، ٤٧، ٩٣، ١١٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٥، ١٤٨، ١٥٢.

فاطمة المخزومية: (٤) ١٠، ١١، ١٦، ٤٨، ٦٣، ٧٤، ٨٦.

فرعون: (٢) ٤٦، ١٢٠، ١٦٥، ٢٠٠.

فرقد بن يعقوب السنجي: (٢) ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٢٧.
(٤) ٩٩، ١١٢، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٩، ١٤٠.

فضالة بن عبيد القاسم : (٢) ٩٠، ١١٥، ١٣٢، ١٤٦، ٢٣٠.
(٣) ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٤٤، ٢٤٧.

حرف القاف

قارون : (٢) ١٦٩، ١٨٥، ١٩٧.
القاسم الشيباني : (١) ١٩٨، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٦٢.
(٢) ١٤٩، ١٦٢، ١٧٥، ١٨٣.
القعقاع بن حكيم : (١) ٢٠٠، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٥٩، ٢٦٧، ٢٧٩، ٢٨٥، ٢٨٧، ٣٠٠، ٣٠٤.
(٢) ١٣٠، ١٤٥، ١٥٥، ٣٤٦.
قيس بن أبي حازم : (١) ٩٦، ٩٧، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٠، ١٧١، ٢٠٣، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٤٦، ٢٥٠، ٣٠٠، ٣١٦، ٣٢٧.
(٢) ١٣٢، ١٤٨، ١٥٥، ٣٤٦.
قيس بن مسلم : (٢) ٢٢٧، ٢٤٨، ٢٥٦، ٣١٦.

حرف الكاف

كثير بن هشام : (١) ٣٠٠، ٣٣٥، ٣٤٤، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٤.
(٢) ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٦٤، ٢٧٦.
(٣) ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٥٤.
كعب بن مالك : (٢) ٢٦، ١٧٠، ١٨٨، ١٩٦، ٢١٢.
(٣) ١٧٠، ٢١٢، ٢١٧، ٢٢١.
(٤) ٢١٢، ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٣٠.
كعب عجرة : (٢) ١٢٧، ١٤٩، ١٦٢.
كعب بن مرة : (١) ٢١٧، ٢٢٩، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٩٠، ٣١٢.
(٣) ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٧.

حرف اللام

لقمان الحكيم : (١) ٢٢٧، ٢٩٤، ٣١٥، ٣٤٧، ٣٥٢.
(٢) ١٤٩، ٢٩٠، ٢٩٤، ٣٠٠.
الليث بن سعد : (٢) ١١٠، ١١٨، ١٧٥، ١٩٣، ٢١٣.
(٣) ١١١، ١٧٥، ٢٠٦، ٢٢٧.

حرف الميم

مالك بن أنس : (١) ٧٢، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٩٠، ٩٣، ٩٥، ٩٨، ١٠٠، ١١٨، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٠٥.

(٢) ١٥، ٧٤، ٩٦، ١١٥، ١٢٧، ٣٠٢.
(٣) ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٦١.
مالك بن دينار: (١) ٣١٨، ٣٢٧، ٣٣٦، ٣٥١، ٣٦٥، ٣٧٤، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٩٠.
(٢) ١٩٦، ١٩٨، ٢٠١، ٢١٧، ٢١٨، ٢٣٧، ٢٤٦، ٢٥٧.
(٣) ٢٣٧، ٢٤٦، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٩.
مالك بن صفوان: (٢) ٥٠، ٧١، ٨٣، ٩٦، ١٢١، ١٢٤، ١٥٦، ١٦٢، ١٦٨.
مالك بن مغلول: (٣) ٣٢، ٤٣، ٨٦، ٩٧، ١١٣، ١١٤.
مجمع بن يحيى: (٣) ٦١، ٧٨، ٩٣.
محمد بن الحنفية: (٢) ٢٠٥، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٤٤، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٩٤، ٢٩٩.
محمد بن سيرين: (٢) ١٠، ١٦، ٩٣، ١٨٧، ٢١١، ٢٢٠، ٢٤٧، ٢٥٩، ٢٦٤.
مروان بن الحكم: (٤) ٣٩، ٤٢، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٣، ٦٩، ٧٢، ٨٠، ٨٦، ٥٩، ٩٠.
المطلب بن وداعة: (٣) ٢١٤، ٢٣٧، ٢٤٥، ٢٥٦.
معاذ بن أنس: (٤) ١٦٩، ١٧٢، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٢، ١٩٤، ٢٠٢.
معاذ بن جبل: (١) ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٨، ٢٥٠.
(٣) ٧، ١٩، ٤١، ٤٢، ٤٩، ٥١، ٧٢، ١٠٦، ١١٨، ١٢٦، ١٤١، ١٤٩، ١٦٣.
(٤) ١٥، ١٠٦، ١١٣، ١٢٩، ١٥٤، ١٦٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٨٢، ١٩٠، ١٩٩.
(٢) ١٩٦، ٢٠٠، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٧٠.
محمد بن المبارك: (١) ١٦٧، ١٩٣، ٢١٦، ٢٤٧، ٢٦١، ٢٧٧، ٢٤٨، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٧.
محمد بن المنكدر: (٢) ١١٠، ١١٨، ١٥٤، ١٧٦، ١٨٢، ١٩٥.
مرة الهمزاني: (١) ١٤٧، ١٦١، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٣.
معاوية بن أبي سفيان: (١) ١٧٣، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٠، ١٩١، ١٩٥، ٢٠٠، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٥٧.

(٢) ٧٥، ٩٦، ١١١، ١١٧، ١٣٦، ١٤٨، ١٥٥، ١٧٠، ١٧٩، ١٨٢، ١٩٥، ٢٠٠.
(٣) ٦٩، ٨٢، ١١٥، ١٢٣، ١٢٨، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٤٧.
معاوية بن مزرد: (١) ١٨٤، ١٩٢، ٢٠٢، ٢١١، ٢١٣، ٢٢٨.
معاوية القشيري: (٢) ١١٦، ١٤٣، ١٥٧، ١٧٨، ١٩٧.
معبد بن خالد الجهني: (٢) ٢٢٢، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٨٥.
معقل بن يسار: (٤) ١٤٢، ١٥٥، ١٦٢، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠٦.
موسى بن علي: (٣) ٣٩، ٤٢، ٤٧، ٨٨، ٩١، ٩٧، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٦.
مليح بن عبدالله الخطمي: (١) ٩٦، ١١٥، ١٢٧، ١٤٣، ١٥٦، ٢١٦.
(٢) ٢٥٠، ٢٥٩، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٩٠.

حرف النون

النجاشي ملك الحبشه: (٢) ٢٠٣، ٢١٦، ٢٥٤، ٢٩٦.
نصير الدين الطوسي: (٢) ٢١٣، ٢٥٧، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٩٠.
النعمان بن بشير: (٢) ٨، ١٧٣، ١٩٤، ٢٣٨، ٢٥٥.
(٣) ٥٠، ٧٢، ٩٤، ١١٧، ١٢١، ١٥٤، ١٦٧، ١٩٢، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٢٨.
(٤) ١٦، ٥٥، ٦٢، ٦٣، ٦٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٥، ٩٦، ١٠٠، ١١٥.
نوف البكالي: (٣) ٢٠٠، ٢٠٧، ٢١٣، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٣٥، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٦.

حرف الهاء

هارون بن زياد: (١) ٩٥، ٩٨، ١٠٩، ١١٢، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٢، ١٦٢، ١٧٧، ١٨٥، ١٩٠، ٢٠٣، ٢٠٦.
(٢) ١٩٨، ٢٠٠، ٢١٦، ٢٥٦، ٢٦٤.
هارون بن محمد أبو الطيب:
(٢) ١٧١، ١٩٦، ٢٠٠، ٢١٣، ٢١٧.
(٣) ١٩، ٢٦، ٣٨، ١١٨، ١٤٧، ٢١٦.
(١) ٧٢، ٧٣، ٧٦، ٨١، ٨٦، ٩٤، ٩٥، ٣٠٠، ٣٣٤، ٣٥٧، ٣٧٢.
(٢) ١١٢، ٢١٦، ٢٤٧.
هشام بن حسان: (١) ٧٠، ٨٢، ٩٤، ١٠٣، ١١٨، ١٢٠، ١٥٣، ١٥٩، ١٨٤، ١٩٢.
(٤) ١٢٦، ١٤٨، ١٦٢، ١٧٥، ١٨٠.

هشام بن عروة : (٢) ١٤٨، ١٦٣، ١٦٥، ٣٠٠.
(٣) ٩، ٨٢، ١١٣، ١١٨، ١٢٤، ١٤٨.
هشام بن هشام : (٣) ١٠٩، ١٢٨، ١٤٧، ١٦٣، ٢١٩، ٢٢٧، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٦٢، ٢٧٤.
هشام بن يسار : (٤) ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١١، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٤٦.
هلال بن الصلت : (٣) ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٧٠.
هلال بن المغيرة بن شعبه : (٢) ٩٣، ٩٤، ١٢٦، ١٣٤، ٢٤٨.
هلال بن ميمون : (٢) ١٦٨، ١٩١، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٠.
هند بن أبي هالة الكندي : (٣) ٢٢١، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٤٥.
الهيثم بن خالد : (١) ٧٤، ٧٦، ٧٩، ٨٣، ٨٥، ٩٦، ١٠٢، ١١٤، ١١٣، ١٣٩، ١٤٣، ١٥٠.
(٢) ١٦٧، ١٧٢، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٣.

حرف الواو

واثلة بن الاسقع : (١) ٣٠٠، ٣٥٦، ٣٧٢، ٣٨٤، ٣٩٦.
(٣) ٩٩، ١٣١، ١٧٥، ١٨٨، ٢٠١.
(٤) ٨٣، ٨٤، ٩٦، ١١٠، ١١٦، ١١٨، ١٢٤، ١٥٢.
وكيع بن الجراح : (٢) ٢٢٣، ٢٣٦، ٢٥١، ٢٦٠، ٢٧٦، ٣٠٠.
الوليد بن عبدا الرحمن : (٤) ١٥، ٣٨، ٥٢، ٦٧، ٦٩، ٧٢، ٨٦، ٩٤.
الوليد بن محمد : (٢) ٣٣٠، ٣٤٤، ٣٥٢، ٣٦٧.
الوليد بن مسلم : (٢) ٢٨٤، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٤٧، ٣٥٢.
وهب بن منبه : (١) ٢١٢، ٢١٤، ٢٩٣، ٣٠٠، ٣١٤، ٣١٦، ٣٣٧، ٣٤٢، ٣٤٥.
(٢) ١١٧، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٤٦، ٢٧٨.
(٣) ٢١٤، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٦٢، ٢٧٣.
(٤) ١٩، ٣١، ٤٢، ٩٤، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤.
وهب بن أبان : (٤) ١٤٧، ١٤٩، ١٦٠، ١٨٦، ١٩٠.

حرف الياء

يحيى بن أبي كثير : (٢) ١٣١، ١٥٦، ١٦٢، ١٨٤.
٣) ٦٥، ٧٥، ٨١، ٩٦، ٢١٨، ٢٢٩.

(٤) ٣١، ٤٨، ٥٢، ٦٢، ٦٤، ٧٢، ٧٣.
يحيى بن أيوب: (٣) ١٧٧، ١٧٨، ١٩٣، ٢١٠، ٢٢٧.
يحيى بن زكريا: (٣) ١٢٤، ١٢٥، ٢٣٥، ٢٤٧، ٢٤٩.
يحيى بن سعيد: (٣) ١٩٠، ١٩٤، ٢١١، ٢١٧.
يحيى بن سليم: (٤) ٨٠، ٨٣، ٨٦، ٩٤، ٩٦، ٩٨، ١١٥، ١٢٤، ١٣٦، ١٤٠.
يحيى بن شداد: (٢) ١٦٨، ١٩٤، ٢٠٠، ٢١٧، ٢١٩، ٢٣٥.
يحيى بن عقيل: (٣) ١٩٢، ١٩٦، ٢٢٥، ٢٤٨، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٦.
يحيى بن يعمر: (١)(٩٣، ٩٧، ١١٦، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٣، ٢٢٥، ٢٤٧، ٢٨٦، ٢٩١، ٣٠٠.
(٣) ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣.
(٤) ٧٣، ٨٠، ٩٥، ٩٩، ١٠٣، ١١١، ١١٣.
يوسف بن أبي بردة: (٤) ٦٦، ٧٨، ٩٠، ٩٣، ٩٦، ٩٧، ١١٠، ١١٥، ١١٨، ١٢٠، ١٢٤، ١٣٦.
يوسف بن مهران: (٢) ١٧٢، ٢٠٠، ٢١٩، ٢٤٨.
يوشع: (٢) ١٦٩، ١٧٠، ٢٠٠، ٢١٥، ٢٢٧.
يونس بن خباب: (٤) ٨٨، ٩١، ٩٣، ٩٥، ١١٧، ١١٩، ١٢٢، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٥.

٥ ــ مراجع تحقيق الكتاب

١ ــ القرآن الكريم

٢ ــ فتح الباري ــ شرح صحيح البخاري.
دار المعرفة ــ بيروت

٣ ــ صحيح مسلم ــ للإمام مسلم بن الحجاج.
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار احياء التراث العربي ــ بيروت

٤ ــ الجامع الصحيح ــ وهو سنن الترمذي.
تحقيق ــ أحمد محمد شاكر ــ دار الحديث ــ القاهرة

٥ ــ سنن الحافظ أبي عبد الله بن يزيد ــ ابن ماجة.
تحقيق ــ محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار الحديث.

٦ ــ سنن النسائي ــ بشرح الحافظ السيوطي.
دار الحديث ــ القاهرة

٧ ــ المستدرك على الصحيحين ــ للامام الحاكم النيسابوري.
دار الكتاب العربي ــ بيروت

٨ ــ سنن أبي داود.
مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد
دار الكتب العلمية ــ بيروت

٩ ــ المسند ــ للامام أحمد بن حنبل.
المكتب الاسلامي ــ بيروت
١٠ ــ تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ــ للسيوطي.
احياء الكتب العربية ــ مصر
١١ ــ الادب المفرد ــ للامام البخاري.
عالم الكتب ــ بيروت
١٢ ــ الموطأ ــ للامام مالك بن أنس.
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار الحديث ــ مصر
١٣ ــ المعجم الكبير ــ للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني.
تحقيق حمدي عبد المجيد
١٤ ــ الجامع الصغير ــ للحافظ السيوطي ــ
مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبيْ ــ مصر
١٥ ــ ضعيف الجامع الصغير وزيادته ــ تأليف محمد ناصر الدين الألباني.
المكتب الاسلامي ــ بيروت
١٦ ــ كتاب الاسماء والصفات ــ للبيهقي
المركز الاسلامي للكتاب ــ بيروت
١٧ ــ جامع الشمل في أحاديث خاتم الرسل ــ محمد بن يوسف اطفيش.
دار احياء الكتب العربية ــ مصر
١٨ ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ــ للهيثمي ــ
مكتبة القدسي ــ مصر
١٩ ــ اللالىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ــ للسيوطي.
دار المعرفة ــ بيروت
٢٠ ــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ــ للسيوطي.
دار المعرفة ــ بيروت

٢١ ــ طبقات الشافعية الكبرى ــ للسبكي
دار احياء الكتب العربية ــ مصر
٢٢ ــ تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير
دار المعرفة ــ بيروت
٢٣ ــ الجامع لاحكام القرآن الكريم ــ القرطبي.
دار الكاتب العربي ــ بالقاهرة
٢٤ ــ تفسير الطبري ــ لابن جرير الطبري.
تحقيق محمود محمد شاكر ــ دار المعارف مصر
٢٥ ــ فهارس التاريخ الكبير ــ للامام البخاري.
دار الكتب العلمية ــ بيروت
٢٦ ــ زاد المسير في علم التفسير ــ لابن الجوزي.
المكتب الاسلامي ــ بيروت
٢٧ ــ كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.
حاجي خليفة ــ المثنى ببغداد
٢٨ ــ كتاب الأعلام ــ للزركلي ــ
طبعة ثالثة ــ بيروت
٢٩ ــ كتاب الضعفاء الكبير.
تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت
٣٠ ــ ميزان الاعتدال ــ للذهبي ــ
تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية ــ بيروت
٣١ ــ لسان الميزان ــ لابن حجر العسقلاني
حيدر أباد ١٣٢٥ هـ
٣٢ ــ تهذيب التهذيب ــ لان حجر العسقلاني
حيدر أباد ١٣٢٥ هـ

٣٣ ــ نصبَ الراية لاحاديث الهداية ــ للزيلعي ــ
دار الحديث ــ مصر

٣٤ ــ صفوة صحيح البخاري ــ
اختيار الشيخ عبد الجليل عيسى ــ جماعة الأزهر للنشر والتأليف

٣٥ ــ السيرة النبوية ــ لابن هشام ــ
ط مؤسسة علوم القرآن

٣٦ ــ الاستيعاب في معرفة الاصحاب.
تحقيق علي البجاوي ــ مكتبة نهضة مصر

٣٧ ــ الأذكار المنتخبة من كلام سيد الابرار ــ لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ــ
ط ــ الحلبي مصر

٣٨ ــ الاصابة في تمييز الصحابة ــ لابن حجر العسقلاني ــ
ط التجارية مصر

٣٩ ــ تذكرة الحفاظ ــ لابي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي
حيدر أباد ــ ١٩٥٥

٤٠ ــ الترغيب والترهيب للمنذري.
تحقيق ــ مصطفى عمارة ــ الحلبي ــ القاهرة

٤١ ــ التصوف الثورة الروحية في الاسلام ــ للدكتور أبي العلا عفيفي.
ط المعارف بالاسكندرية ــ مصر

٤٢ ــ التعرف لمذهب أهل التصوف ــ للكلاباذي ــ
عبد الحليم محمود عيسى الحلبي ــ مصر

٤٣ ــ جامع الأصول من أحاديث الرسول ــ لابي السعادات. مبارك بن محمد بن الأثير الجزري
تصحيح محمد حامد الفقي ط السنه المحمدية ــ القاهرة ١٩٤٩

٤٤ ــ دائرة المعارف الاسلامية ــ
اعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وزميليه ــ ط كتاب السنة.
٤٥ ــ الرسالة القشيرية ــ لابي القاسم عبد الكريم القشيري ــ
محمد صبيح القاهرة ــ ١٩٤٨ م
٤٦ ــ سنن الدارمي ــ لابي محمد عبد الله الدارمي
ط دمشق ١٣٤٩ هـ
٤٧ ــ شرح النووي على صحيح مسلم ــ للامام النووي ــ
المطبعة المصرية بالازهر القاهرة ــ ١٣٤٧ ــ ١٩٢٩ م
٤٨ ــ الطبقات الكبرى للشعراني ــ
ط ــ مصر بدون تاريخ
٤٩ ــ جامع الأحاديث ــ للجامع الصغير وزوائده ــ للامام السيوطي ــ
جمع وترتيب عباس أحمد صقر، واحمد عبد الجواد ــ ط مطبعة خطاب
٥٠ ــ الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية، للدكتور عبد الفتاح بركة ــ
ط مجمع البحوث الاسلامي
٥١ ــ كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي
تحقيق الدكتور عثمان اسماعيل يحيى ــ ط الكاثوليكية بيروت
٥٢ ــ كشف الخفاء ومزيل الالباس، لاسماعيل بن محمد العجلوني ــ
ط القدسي القاهرة ١٣٥١ هـ
٥٣ ــ كنز العمال ــ لعلي المنقى بن حسام الدين الهندي
ط ــ حيدر آباد

٦ ــ فهرس موضوعات
الجزء الرابع
من كتاب نوادر الأصول

الأصل الثامن والخمسون والمائتان:	في أخلاق المعرفة	١
الأصل التاسع والخمسون والمائتان:	في دفع الوسوسة	٢٩
الأصل المائتان والستون :	في أن كمال المرء في سبع	٣٣
الأصل الحادي والستون والمائتان:	في أخلاق الله المائة والسبعة عشر	٣٩
الأصل الثاني والستون والمائتان :	في صورة النفس وإحيائها	٥٠
الأصل الثالث والستون والمائتان :	في حقيقة الفقه وفضيلته	٥٨
الأصل الرابع والستون والمائتان :	في سر غفرانك بعد الفراغ	٦٦
الأصل الخامس والستون والمائتان:	في سر العمل وعلانيته	٧٠
الأصل السادس والستون والمائتان:	في أن الله تعالى إنما ينظر إلى القلوب لأن كنوز المعرفة فيها وإلى الأعمال	٩٥
الأصل السابع والستون والمائتان :	في فضل العلم بالله	١٠١
الأصل الثامن والستون والمائتان :	في سر رواية الحديث بالمعنى	١١٧
الأصل التاسع والستون والمائتان :	في فضل الفاتحة	١٢٣
الأصل السبعون والمائتان :	في أن مَنْ لا يَرحم لا يُرحم	١٣١
الأصل الحادي والسبعون والمائتان:	في جمع الهموم وتشعُّبها	١٣٤
الأصل الثاني والسبعون والمائتان :	في الإعتزاز بالعبد	١٣٨
الأصل الثالث والسبعون والمائتان:	في من يقصّ وتحقيق القصص	١٤٠

الأصل الرابع والسبعون والمائتان : في محبة لأسباب ومعرفة الشرك والتوحيد فيها ١٤٢
الأصل الخامس والسبعون والمائتان: في غياث العباد في أربع: السلطان، والقرآن، وأشرف المكان الكعبة ١٥٣
الأصل السادس والسبعون والمائتان: في ما تراءى للحكيم في منازل القربة مجاوبات للآية التي فيها السجدة ١٥٧
الأصل السابع والسبعون والمائتان: في الحكمة في فتاني القبر ١٥٩
الأصل الثامن والسبعون والمائتان : قي استكمال العبودية ١٦٤
الأصل التاسع والسبعون والمائتان: في فضل العقل ١٦٦
الأصل الثمانون والمائتان : في الثلاثة التي تحت العرش ١٦٨
الأصل الحادي والثمانون والمائتان: في وصية نوح، عليه السلام، نبيه، وهي أربع كلمات ١٦٩
الأصل الثاني والثمانون والمائتان : في رأس النعم وشكر المنعم ١٧٤
الأصل الثالث والثمانون والمائتان: في طنين الأذن ١٧٥
الأصل الرابع والثمانون والمائتان : في أن الدنيا ملعونة إلا عن ثلاثة ١٧٩
الأصل الخامس والثمانون والمائتان: في أن القنوط وقوف العبد وإقباله، وركود، وخشوع. ١٨٨
الأصل السادس والثمانون والمائتان: في عثرة الحليم وتجربة الحكيم ١٩٢
الأصل السابع والثمانون والمائتان: في كلمة التقوى، وصورة معناها في القلب، والكنية والختم والقفل على القلب ١٩٥
الأصل الثامن والثمانون والمائتان : في مبدأ الاستقامة ومنتهاها ٢٠٦
الأصل التاسع والثمانون والمائتان: في تمثيل الحرص والسرف بالذئبين ٢١٢
الأصل التسعون والمائتان : في أن مراتب الشهداء سبع أو ثمان ٢١٩
الأصل الحادي والتسعون والمائتان: في أن القلب الحقيقي في أثقال العظمة يتحمل بالمزاج ٢٣٥

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية ٢٤١
فهرس الأحاديث النبوية ٢٧١
فهرس الأعلام الخاصة بالجزء الرابع ٣٠١
فهرس الأعلام الخاصة بالأجزاء الأربعة ٣٠٧
مراجع تحقيق الكتاب ٣٣٣
فهرس موضوعات الجزء الرابع ٣٣٨

من مكتبة التراث

نوادر الأصول
في أحاديث الرسول

تأليف
محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم
الترمذي

المجلد الرابع

حقق أصوله وخرج أحاديثه
الدكتور عبد الرحمن عميره

دار الجيل
بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

نوادر الأصول

في أحاديث الرسول